

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_232409

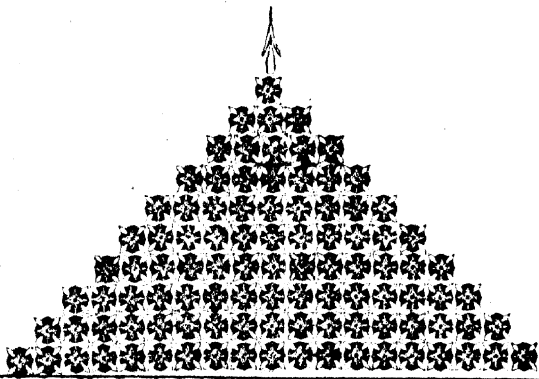
UNIVERSAL
LIBRARY

(فهرسة الجزء الثاني من تفسير الخطيب الشربيني)

سورة الزعد ١٤٢	سورة يوسف عليه السلام ٨٧	سورة هود عليه السلام ٤٢	سورة يونس عليه السلام ٢
سورة الاسراء ٢٧٢	سورة النحل ٢١٤	سورة الحجر ١٩٢	سورة ابراهيم عليه السلام ١٦٧
سورة الانبياء عليهم الصلوة والسلام ٤٩٤	سورة طه عليه الصلاة والسلام ٤٤٧	سورة صريم عليها السلام ٤١٢	سورة الكهف ٢٤٧
سورة الفرقان ٦٤٦	سورة النور ٥٩٥	سورة المؤمنين ٥٦٩	سورة الحج ٥٢٥

* (تمت) *

الجزء الثاني من السراج المنير في الاعانة على معرفة
بعض معاني كلام ربنا الحكيم الجليل للشيخ
الامام الخطيب الشريفي قدس الله
روحه وعم بالرحمة
صريحه
آمين
٢



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سورة يونس عليه السلام مكتبة﴾

الافان كنت في شك الآتين أو الثلاث أو ومنهم من يؤمن به الآية مائة وتسع وأعشر آيات
وعدد كلماتها ألف وثمانمائة واثنان وثلاثون كلمة وحروفها سبعة آلاف وخمسمائة وسبعة
وستون حرفا وهي أول المثني ان جعلنا براة مع الانفصال من الطوال والافراءة أولاهن
(بسم الله) جامع العباد بعد تفريقهم بحاله من العظمة والامتنان (الرحمن) الذي عههم
بالايجاد وخص منهم من شاء بالايمان (الرحيم) الذي خص أولياه بالرضوان المبيع للبعثان
(الر) قال ابن عباس والضحاك الر أنا الله أرى والمر أنا الله أعلم وأرى وقبل أنا الرب لأرب
عبري وقال سعيد بن جبير الروحم ونون حروف اسم الرحمن وقد سبق الكلام على حروف
الهيبة أول البقرة واتفقوا على أن الروحد ليس آية واتفقوا على أن قوله طه وحسده آية
والفرق أن قوله تعالى الر لايشاكل مقاطع الآي التي بعده بخلاف قوله تعالى طه فانه يشاكل
مقاطع الآي التي بعده وقرأ فالون وابن كثير وخص بفتح الراء والالف بعدها وورش بين
اللفظين والباقون بالامالة المهضمة (تلك) أي الآيات العظيمة جدا التي اشتملت عليها هذه
السورة والسورة التي تقدمت هذه السورة وهذه الحروف المقطعة المشيرة الى أن القرآن كلام
الله تعالى قد أعجز القادرين على التلفظ بهذه الاحرف (آيات الكتاب) أي الذكر الجملع لكل
خير وهو هذا القرآن الذي وافق كل ما فيه من القصص كل ما في التوراة والانجيل من ذلك فدل
ذلك على صدق الآي في به قطعاً لانه لم يكن يعرف شيأ من الكتابين ولا جالس أحد ابعله (الحكيم)

أى المحكم وقوله تعالى (أكان للناس) أى أهل مكة استغفام انكار للتعجب وقوله تعالى
 (تجباً) خبر كان والتعجب تغير النفس بما لا تعرف سببه مما خرج عن العادة ثم ذكر الحامل على
 العجب وهو اسم كان بقوله تعالى (أن أوحينا) أى ايجازنا (الى رجل منهم) أى من أهل مكة
 ومن قريش وهو محمد صلى الله عليه وسلم يعرفون صدقه ونسبه وأماته قبل كانوا يقولون العجب
 ان الله تعالى لم يجسد رسولا يرسله الى الناس الا يتيماً أى طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور
 نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة وهو لم يكن صلى الله عليه وسلم
 يقصر عن عظمتهم فيما يعتبر فيه الا فى المال وخفة المال أهون شئ فى هذا الباب ولذلك كان
 أكثر الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله كذلك وقد قال تعالى وما أموالكم ولا اولادكم بالتي
 تقربكم عندنا زانئى (أن أندر الناس) عامة أى أعلمهم مع الخوف ما أمامهم من البعث وغيره
 وأن هى المفسرة لان الاجماع فيه معنى القول (وبشر الذين آمنوا) انما هم فى الانذار لانه قل
 أن يسلم أحدهم كبيرة أو صغيرة أو هفوة جليلة أو حقيرة على اختلاف الرتب وتباين المقامات
 وخصص البشارة اذ ليس للكافر ما يصبغ أن يبشر به (أن) أى بأن (لهم قدم) أى سلف (صدق
 عندهم) اختلفت عبارات المفسرين وأهل اللغة فى معنى قدم صدق فقال ابن عباس أجرا
 حسناً ما قدموا من أعمالهم وقال مجاهد الاعمال الصالحة صلاتهم وصومهم وصدقهم
 ونسبيهم وقال الحسن عمل صالح أسلفوه يقدمون عليه وقال عطاء مقام صدق لازوال له
 ولا يوش فيه وقال زيد بن أسلم هو شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وأضيف القدم الى الصدق
 وهو نعتة تكفلهم مسجد الجامع وصلاة الاولى وحب الحصيد وقال أبو عبيدة كل سابق فى
 خيراً أو شراً فهو عند العرب قدم قال الشاعر

صل لذي العرش واتخذ قدما * ينحك يوم العثار والندم

وهو مؤثف يقال قدم حسنة وقدم سالحة وقوله تعالى (قال الكافرون ان هذا الصهرمين)
 قرأه نافع وأبو عمرو وابن عامر بكسر السين وسكون الحاء على أن الاشارة للقرآن المشتمل على
 ذلك والباقون بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء على أن الاشارة للنبي صلى الله عليه وسلم
 (ان ربكم) الموجد لكم والمربي والمحسن هو (الله الذى خلق) أى قدروا وجد (السوات
 والارض) على اتساعها وأكثر ما فهم ما من المنافع (فى ستة أيام) من أيام الدنيا أى فى قدرها لانه
 لم يكن ثم شمس ولوناء خلقتهما فى لحظة والعدول عنه لتعليم خلقه الثابت (فان قيل) ان اليوم قد
 يراد به اليوم مع بليته وقد يراد به النهار وحده فما المراد (أجيب) بأن الغالب فى اللغة أنه مراد
 باليوم اليوم بليته ولما وجد سبحانه وتعالى هذا التعلق الكبير المتباعد الاقطار الواسع
 الاشارة المفتقر الى عظيم التدبير ولطيف التصريف والتقدير غير سبحانه وتعالى عن عمله
 فيه عمل المولى فى محالكمه بقوله مشيراً الى عظمته بأداة التراخي (ثم استوى) أى عمل فى تدبيره
 واتقان ما فيه واحكامه عمل المعنى بذلك (على العرش) المتقدم وصفه فى الاعراف بالعلفنة
 وليست ثم للترتيب بل كناية عن علو الرتبة وبعد منازلتها ثم بين ذلك الاستواء بقوله (يبشر)

الامر) كله فلا يخفى عليه عاقبة امر من الامور لان التدبير عادل أحوال الملك فالاستواء
 كتابه عنه وقوله تعالى (ما من شئيع الا من بعد اذنه) تقرر بعظمته جل وعلا ورد على من زعم
 أن آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن أذن له (ذالكم الله) أي الموصوف تلك
 الصفات المتقتضية للالوهية والربوبية (ربكم) أي الذي يستحق العبادة منكم (فاعبدوه) أي
 وحدوه ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك أو انسان فضلا عن جاد لا يضمر ولا ينفع فان
 عبادتكم مع الشريك ليست عبادة ولو لافضله لم يكن لمن زل أو أدى زلة طاعة وقوله تعالى
 (أفلاتنكرون) قرأه حفص وحجرة والكسائي بضمف الذال والباقون بالتشديد بادغام التاء
 في الاصل في الذال أي فلاتنكرون أدنى تفكر فينبشكم عن أنه المستحق للربوبية والعبادة
 لا ما تعبدونه (اليه) تعالى (مرجعكم) أي رجوعكم بالموت والنشور حال كونكم (جميعا)
 لا يتخلف منكم أحد فاستعدوا للقائه وقوله تعالى (وعد الله) مصدر منصوب بفعله المقدّم مؤكّد
 لنفسه لان قوله تعالى اليه مرجعكم وعد من الله وقوله تعالى (حقا) أي صدقا لا اخاف فيه
 مصدر آخر منصوب بفعله المقدّم مؤكّد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله (انه يبدأ الخلق) أي يجمعهم
 ابتداء (ثم يعيده) أي ثم يجمعهم ثم يجمعهم وفي هذا دليل على الحشر والنشر والمعاد وحجته وقوعه
 ورد على منكري البعث ووقوعه لان القادر على خلق هذه الاجسام المولفة والاعضاء المركبة
 على غير مثال سبق قادر على اعادة ما بعد تفرقها بالموت والبلى فيركب تلك الاجزاء المتفرقة
 تركيبا ثانيا ويخلق الانسان الاوّل مرة أخرى فاذا ثبت القول بجمعة المعاد والبعث بعد الموت
 كان المقصود منه ايصال الثواب للمطيع والعقاب للعاصي وهو قوله تعالى (ليجزى الذين آمنوا
 وعملوا الصالحات بالقسط) أي بالعدل لا ينقص من أجورهم شيئا (والذين كفروا وهم شراب
 من حميم) وهو ماء حار قد انتهى حره (وعداب الليم) أي بالغ في الايلام (بما كانوا يكفرون) أي
 بسبب كفرهم (هو الذي جعل الشمس ضياء) أي ذات ضياء (والقمر نورا) أي ذات نور وخص
 الشمس بالضياء لانه أقوى وآكد من النور وخص القمر بالنور لانه أضعف من الضياء لان
 الشمس نيرة في ذاتها والقمر نير بعرض مقابله الشمس والاكساب منها وقرأ قبل همزة
 مفتوحة ومدودة بعد الضاد والباقون بياء مفتوحة والضمير في قوله تعالى (وقدره منازل) يرجع
 الى الشمس والقمر أي قدر مسير كل واحد منهما منازل أو قدره ذات منازل أو يرجع الى القمر
 فقط وتخصيصه بالذكري لسرعة مسيره ومعانيته منازل واناطة أحكام الشرع به ولذلك علقه بقوله
 تعالى (تعلموا عدد السنين والحساب) أي حساب الاوقات من الشهر والايام في معاملتكم
 ونصرتكم لان الشهور والمعتبرة في الشريعة مبنية على رؤية الالهة والسنة المعتبرة
 في الشريعة هي السنة القمرية كما قال تعالى ان عدّة الشهور عند الله اثني عشر شهرا في كتاب
 الله (فائدة) منازل القمر ثمانية وعشرون منزلا وأسمائها الشرطان والبطين والثرية
 والدران والهقعة والهنة والذراع والثرية والطرف والجهة والزبرة والصرفة
 والعوا والسماك والغفر والزباني والاكيل والقلب والشولة والنعام والبلدة

وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية وفرغ الدولو المقدم وفرغ الدولو
المؤخر وبطن الحوت وهذه المنازل مقسومة على البروج وهي اثنا عشر برجا الحمل والثور
والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو
والحوت فلكل برج منزلان وثلاث فينزل القمر في كل ليلة منهم منزلا فيستمر ليلتين ان كان
الشهر ثلاثين وان كان تسعا وعشر بن فليله واحدة فيكون انقضاء الشهر مع نزوله تلك المنازل
ويكون مقام الشمس في كل منزلة ثلاثة عشر يوما فيكون انقضاء السنة مع انقضائها وانتفاع
الخلق بوضو الشمس وبنور القمر عظيم فالشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل وبحركة
الشمس تنفصل السنة الى هذه الفصول الاربعة وبالفصول الاربعة تنقسم مصالح هذا العالم
وبسبب الحركة اليومية يحصل النهار والليل والنهار يكون زما بالتكسب والطلب والليل يكون
زما بالراحة (ما خلق الله ذلك) المذكور (الابالحق) أى لم يخلق ذلك باطلا ولا عشا تعالى الله عن
ذلك اظهار القدرته ودلائل وحدانيته ونظيره قوله تعالى في آل عمران ويتفكرون في خلق
السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقال تعالى في سورة أخرى وما خلقتنا السماء
والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا (يفصل) أى بين (الآيات) أى الدلائل
الباهرة واحدة في اثر واحدة بيانها سفيا (لقوم يعلمون) فانهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن
كثير وأبو عمرو وحفص بالياء والباقون بالنون * ولما استدلت سبحانه وتعالى على اثبات الالهية
والتوحيد بقوله تعالى ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض وثانيا بأحوال الشمس
والقمر استدلت بالشا بقوله تعالى (ان فى اختلاف الليل والنهار) أى بالجمي * والذهاب والزيادة
والنقصان واربعا بقوله تعالى (وما خلق الله فى السموات) من ملائكة وشمس وقر ونجوم
وغير ذلك (و) ما خلق الله فى (الارض) من حيوان وجبال وبحار وأنهار وأشجار وغير ذلك
* (فائدة) * أقسام الحوادث فى هذا العالم محصورة فى أربعة أقسام أحدها الاحوال الحادثة
فى العناصر الاربعة ويدخل فيها أحوال الرعد والبرق والسياب والامطار ويدخل فيها
أيضا أحوال البحار والصواعق والزلازل والخسف وثانيتها أحوال المعادن وهى بحسب كثرة
وثالثها اختلاف أحوال النبات واربعاها اختلاف أحوال الحيوانات وبجمله هذه الاقسام
الاربعة داخلة فى قوله تعالى وما خلق الله فى السموات والاستقصاء فى شرح هذه الاحوال
لا يدخل تحت الحصر بل كل ما ذكر العقلاء فى أحوال أقسام هذا العالم فهو جزء مختصر
من هذا الباب (آيات) أى دلالات على قدرته تعالى (لقوم يتقون) الله فانه يحملهم على
التفكير والتذكر وخصهم بالذكر لانهم المنتفعون بها حال القفال من تدبر فى هذه الاحوال علم أن
الديناميخ مخلوقة لشقاء الناس فيها وان خالقها وخالقهم ما أهمهم بل جعلها لهم دار عمل واذا
كان كذلك فلا بد من أمر ونهى ثم من ثواب وعقاب ليعتدوا الحسن عن المسيء فهذه الاحوال
فى الحقيقة دالة على صحة القول باثبات المسدا واثبات المعاد * ولما أقام الله سبحانه وتعالى
الدلائل القاهرة على صحة القول باثبات الاله الرحمن وعلى صحة القول باثبات الاله الرحيم الحكيم

وعلى صحة القول بالمعاد والحشر والنشر شرع في شرح أحوال من يكفر بها وشرح أحوال
 من يؤمن بها وقد ابتدأ بأولها ووصفه بأربع صفات مبتدئاً بأولها بقوله تعالى (إن الذين
 لا يرجون لقاءنا) أي لا يخافونه لانكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها فهم
 مكذبون بالثواب والعقاب والرجاء يكون بمعنى الخوف وبمعنى الطمع فن الآول قول العرب
 فلان لا يرجو فلان بمعنى لا يخافه ومنه قوله تعالى مالكم لا ترجون لله وقاراً ومنه قول أبي ذؤيب
 الهذلي * اذلست به النحل لم يرج لسعها * أي لم يخفها ومن الثاني قولهم فلان يرجو فلان أي
 يطمع فيه والمعنى لا يطعمون في ثوابنا والصفة الثانية والثالثة قوله تعالى (ورضوا بالحياة الدنيا
 واطمأنوا بها) فيه مملون لها عمل المقيم فيها مع ما يشاهدونه من سرعة زوالها منهم مكن في لذاتها
 وزخارفها وسكنوا فم اسكون من لا ينزع عنها والصفة الرابعة قوله تعالى (والذين هم عن آياتنا)
 أي دلائل وحدانيتنا (غافلون) تاركون النظر فيها بمنزلة الغافل عن الشيء الذي لا يخطر بباله
 طول عمره مذكّر ذلك الشيء وبالجملة فهذه الصفات الاربعة دالة على شدة بعدهم عن طلب
 الاستعداد بالسعادات الاخرى ويحتمل أن الصفة الاخيرة لفرق آخر ويكون المراد بالآولين
 من أنكروا البعث ولم يردوا بالحياة الدنيا وبالآخر من الهامح العاجل عن التأمل في الآجل
 والاعداد له ولما وصفهم الله تعالى بتلك الصفات قال (أولئك ما أوأهم النار بما كانوا
 يكسبون) من الشرك والمعاصي ولم شرع أحوال المنكرين الجاحدين ذكر تعالى شرح من
 يؤمن بها فقال (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) والاعمال الصالحة عبارة عن الاعمال التي
 تحمّل النفس على ترك الدنيا وطلب الآخرة والاعمال المذمومة ما يـكون بالصد من ذلك
 (بهديهم) أي يرشدهم (بهم بما يمانهم) أي بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدى الى الجنة أو لما
 يريدونه في الجنة أو لادراك الحقائق كما قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم
 وقال مجاهد المؤمنون يكون لهم نور يعيش بهم الى الجنة وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان
 المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول أنا عملك فيكون له نورا وقائد الى
 الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول أنا عملك فينطلق به حتى يدخله
 النار ومفهوم ترتب الهداية على الايمان والعمل الصالح قد دلّ على أن سبب الهداية هو
 الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله جل وعلا بإيمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان
 العمل الصالح كالثمة والرديف ثم انه تعالى لما وصفهم بالايمان والاعمال الصالحة ذكر بعد ذلك
 درجات كراماتهم ومراتب سعاداتهم وهي أربعة الاولى قوله تعالى (يخبر من فتحهم الانهار في
 جنات النعيم) أي يكونون جالسين على سرر رفوعة في البساتين والانهار تجري من بين أيديهم
 ينظرون اليها من أعالي أسرّتهم وقصورهم ونظيره قوله تعالى قد جعل ربك تنحلاً سريعاً
 ما كانت قاعدة عليه ولكن المعنى بين يديك وكذا قوله وهذه الانهار تجري من تحتي أي بين يدي
 فكذا هنا الثانية قوله تعالى (دعواهم فيها) قال بعض المفسرين أي طلبهم لما يشتهون
 في الجنة أن يقولوا (سبحانك) أي تزهك من كل سوء ونقصه (الهم) أي يا الله فاذا ما طلبوا

بين أيديهم على مواثد كل مائدة ميل في ميل على كل مائدة سبعون ألف صحيفة في كل صحيفة لون من
الطعام لا يشبه بعضها بعضاً فاذا فرغوا من الطعام حمدوا الله تعالى فذلك قوله تعالى وآخر
دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وأن المراد بقوله سبحانه اللهم اشتغال أهل الجنة بالتسبيح
والتحميد والتقديس لله تعالى والثناء عليه بما هو أهله وفي هذا الذكر سرورهم وابتهاجهم وكال
لذاتهم وهذا أولى ويدل عليه ما روى عن جابر رضي الله تعالى عنه أنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يبخلون ولا يتخبطون ولا
يتخطون قالوا يا أبا عبد الله ما بال طعام قال حشاء ورشح كرشع المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما
يلهمون النفس أي يخرج ذلك الطعام حشأه ورشح كرشع المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما
وتحبة الملائكة لهم (فيها أي الجنة سلام) وتأنيبهم الملائكة أيضاً من عند ربهم بالسلام قال
تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقال تعالى سلام قولاً من رب رحيم
الرابعة قوله تعالى (وأخرد دعواهم) أي وأخرد دعائهم (أن الحمد لله رب العالمين) أي أن يقولوا
ذلك وأن هي الخفيفة من الثقله وقد ذكرنا أن بعض المفسرين جعل التسبيح والتحميد على
أحوال أهل الجنة بسبب المأكل والمشرب فانهم إذا اشتوا شيئاً قالوا سبحانه اللهم فيحصل
ذلك الشيء فاذا فرغوا منه قالوا الحمد لله رب العالمين فترفع الموانئ عند ذلك قال الرازي وهذا
القائل مارق نظره في دنياه وأخرا عن المأكل والمشرب وحقيق بمثل هذا الإنسان أن يعتدي
زمره الهائم وأما المحققون فقد تروا ذلك اه ولا ينبغي هذه المبالغة فقد قاله البغوي وتبعه
جماعة من المفسرين وقال الزجاج أعلم الله أن أهل الجنة يفتحون بتعظيم الله تعالى وتزويجه
ويحتمون بشكره والثناء عليه قال البيضاوي المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعابوا أعظمه الله
تعالى وكبرياه ومجده ونعمته ونعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات والقوز
بأصناف الكرامات أو الله تعالى خمدوه وأثنوا عليه بصفات الأكرام ولما وصف الله تعالى
الكفار بأنهم لا يرجون لقاء الله ورضوا بالحياة الدنيا وطمأنوا بها وكانوا عن آيات الله غافلين
بين ان من عظمتهم أن الرسول متى أئذروهم استجلبوا العذاب جهلاً منهم وسفهاً بقوله تعالى (ولو
يجعل الله للناس الشر) أي ولو يجعل الله للناس اجابة دعائهم بالشر فيما لهم فيه مضرة ومكروه
(استجلبهم بالخير) أي كما يحبون أن يجعل لهم اجابتهم بالخير (لغضى اليوم أجلهم) أي لاهلكهم
ولكن بهمهم نزلت في النضرين الحارث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر
علينا حجارة من السماء أو أتنا بعذاب أليم ويدل عليه قوله تعالى (فمنذ أي فترك الذين
لا يرجون لقاءنا في طغيانهم) أي في تمردهم وعتوهم (يعمهمون) أي يترددون متحيرين وقال ابن
عباس هذا في قول الرجل عند الغضب لاهله وولده لعنكم الله لا بارك الله فيكم وقال قتادة هو
دعاء الرجل على نفسه وأهله وما له بما يكره ان يستجاب له فيه وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اني أتخذ عندك عهداً لن تحلفني انما أنا بشر فأرى
المؤمنين اذيتهم أو ستمتهم أو جلدتهم أو لعنتهم فاجعلها له صلاة وذكاة وقربة يقر به بها اليوم

القيامة (فان قيل) قابل التجميل في الآلية بالاستحجال وكان مقتضى النظم أن يقابل التجميل
 بالتجميل والاستحجال بالاستحجال أوجب بأن تقدير الكلام ولو يجعل الله للناس الشر تجميله
 للشر حين استعملوه استحجالا واستحجالهم بالخير حذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه وقال في
 الكشف أصل هذا الكلام ولو يجعل الله للناس الشر تجميله لهم بالخير لأنه وضع استحجالهم
 بالخير موضع تجميله لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته لهم واسعافه بطلبهم حتى كان استحجالهم
 بالخير تجميل لهم * وما حكى تعالى عنهم يستحجلون في نزول العذاب بين انهم كاذبون في ذلك
 الطلب والاستحجال بقوله تعالى (واذا من الانسان) أي الكافر (الضر) أي المرض والقر
 (دعا بالجنبه) أي على جنبه مضطجعا (اوقاعدا أو قائما) وفائدة التردد تنعيم الدعاء لجميع
 الاحوال أو لاصناف المضار والمعنى أنه لو نزل بالانسان أدنى شيء يكرهه ويؤذيه فإنه يتضرع
 الى الله تعالى في ازالته عنه وفي دفعه عنه وذلك يدل على أنه ليس صادقا في طلب الاستحجال
 (قلما كشفنا عنه ضرة) أي أزلنا عنه ما نزل به (متر) أي مضى على ما كان عليه من الكفر (كان
 لم يدعنا) أي كانه فأسقط الضمير على سبيل التخفيف ونظيره قوله تعالى كان لم يلبثوا (الى ضر
 سه) قال الحسن نسي ما كان دعا الله فيه وما صنع الله به في ازالة ذلك البلاء عنه وانما جعل
 الانسان في هذه الآية على الكفر لان العمل المذكور لا يليق بالمسلم البتة وقول بعضهم كل
 موضع في القرآن ورد فيه ذكر الانسان فالمراد هو الكافر مردود فقد قال تعالى هل أتى على
 الانسان حين من الدهر وقال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين وقال تعالى
 واقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه وأما المؤمن اذا اتى ببلية ومحنة وجب عليه رعاية
 أمور أولها أن يكون راضيا بقضاء الله تعالى غير معترض بالقلب واللسان عليه وانما وجب عليه
 ذلك لانه تعالى مالك على الاطلاق وملاك الاستحقاق فله أن يفعل في ملكه ما شاء ولانه تعالى
 حكيم على الاطلاق وهو منزوع عن فعل العيب فكل ما فعله فهو حكمة وصواب فيجب عليه الصبر
 وترك القلق فان أتى عليه تلك المحنة فهو عدل وان أزالها عنه فهو فضل وثانيها أنه في ذلك
 الوقت ان اشتغل بذكر الله تعالى والثناء عليه بدلا عن الدعاء كان أفضل لقوله صلى الله عليه وسلم
 حكاية عن الله تعالى من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيه أفضل ما أعطى السائلين ولان
 الاشتغال بالذكر اشتغال بالحق والاشتغال بالدعاء اشتغال بطلب حظ النفس ولا شك ان الاول
 أفضل وثالثها أنه تعالى اذا أزال عنه تلك البلية وجب عليه أن يباليغ في الشكر وأن لا يتجاوز
 ذلك الشكر في السراء والضراء وأحوال الشدة والرخاء فهذا هو الطريق الصحيح عند نزول
 البلاء وحينئذ يكون المؤمن على الضد من الكافر لان الكافر منهك في الشهوات والاعراض
 عن العبادات كما قال تعالى (كذلك) أي مثل ما زين لهؤلاء الكافرين هذا العمل الصالح (زين
 للمسرفين) أي المشركين (ما كانوا يعملون) من القبائح لاعراضهم عن الذكر واتباعهم
 الشهوات وانما سمى الكافر مسرفا لانه أتلف نفسه بتضييعها في عبادة الاوثان وأتلف ماله في
 البجعة والسابقة والوصيلة والمزين هو الله تعالى لانه مالك الملك وخالق كلهم عبده يتصرف

فيهم كيف شاء وقيل هو الشيطان وذلك باقدار الله تعالى اياه على ذلك والافهوا أخس وأحققر
 (ولقد أهلكا القرون) أي الامم الماضية (من قبلكم) بأهل مكة (لما ظلموا) أي حين أشركوا
 وقوله تعالى (وجاءتهم رسالهم بالبينات) أي بالحجج الدالة على صدقهم حال من الواو باضمار قد
 أو عطف على ظلموا (وما) أي والحال أنهم ما (كانوا يؤمنوا) أي وما استقام لهم أن يؤمنوا ولو
 جاءتهم كل آية لعلته تعالى بأنهم يعوتون على كفرهم واللام لتأ كيد النبي (كذلك) أي مثل ذلك
 الجزاء العظيم وهو اهلا كهملما كذبوا رسالهم (نجزي القوم المجرمين) أي نجزيكم يا أهل مكة
 بتكديكم محمد صلى الله عليه وسلم فوضع المظهر موضع المضمير للدلالة على كمال جرمهم وانهم
 اعلام فيه (تم جعلناكم) أي أيها المرسل اليهم أشرف رسلنا (خلافت) جمع خليفة (في الارض
 من بعدهم) أي استخلفناكم فيها بعد القرون التي أهلكناها استخلاف من يجتهد (النتظرون) ونحن
 أعلم بكم من أنفسكم في علم الشهادة لافامة الحجية (كيف تعملون) من خيرا أو شر فبما زبكم به
 وقدمت رقابهم هذا ومنه قوله تعالى ليلبوكم أيكم أحسن عملا وقال صلى الله عليه وسلم إن الدنيا
 خضرة حلوة وإن الله مستخلفكم فيها فانظروا كيف تعملون وقال قتادة صدق الله ربنا ما جعلنا
 خلفاء الا لينظر الى أعمالنا فأروا الله من أعمالكم خيرا بالليل والنهار قال الزجاج وموضع
 كيف نصب بقوله تعملون أي لا معمول لتظن لانها حرف استفهام والاستفهام لا يعمل
 فيه ما قبله لانه صدر الكلام فلا يتقدمه عامله وظاهر كلامه أن كيف مفعول لتعملون
 وجهور النعمة على أنه حال من ضمير تعملون (وإذا تولى علمهم) أي وإذا قرئ على هؤلاء
 المشركين (آياتنا) أي القرآن الذي أنزلناه اليك يا محمد حالة كون تلك الآيات (بينات) أي
 ظاهرات تدل على وحدانيتنا وصحة نبوتك (قال الذين لا يرجون لقاءنا) أي لا يصفون
 عذابنا ولا يرجون نوابنا لانهم لا يؤمنون بالبعث بعد الموت وكل من كان منكر للبعث بعد
 الموت فانه لا يرجوننا ولا يخاف عقابنا (انت) أي من عندك (بقرآن) أي كلام مجموع جامع
 لما تريد (غير هذا) في نظمه ومعناه (أو بدله) بالفاظ أخرى والمعاني باقية وقد كانوا عالمين
 بأنه صلى الله عليه وسلم مثلهم في العجز عن ذلك ولكنهم قصدوا أن يأخذوا في التفسير حوصا على
 اجابة مطالبهم فيبطل مدعاه أو يهلك واختلف في هذا القائل فقال قتادة هم مشركوا أهل
 مكة وقال مقاتل هم خسة نفر عبد الله بن أمية الجمحي والوليد بن المغيرة ومكدر بن حفص وعمر
 ابن عبد الله بن أبي قيس العامري والعماسي بن عامر بن هشام قالوا النبي صلى الله عليه وسلم
 ان كنت تريد أن تؤمن بك فأت بقرآن ليس فيه ترك لعبادة اللات والعزى ومناة وليس فيه
 عيبها وان لم ينزل الله فقل أنت من عند نفسك أو بدله فاجعل مكان آية عذاب آية رحمة أو مكان
 حرام حلالا أو مكان حلال حراما ولما كان كانه قبل فهاذا أقول لهم قال الله تعالى (قل) لهم
 (ما يكون) أي ما يصح (لي) ولا يتصور بوجه من الوجوه (ان أبدلهم تلقاهم) أي قبل
 (نفسى) وانما كتبت بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقرآن آخر
 وقرأ نافع وأبو عمرو ويضع الياء والباقون بالسكون (ان) أي ما (أسمع الامايوسى الى) فيها

قوله لانها حرف
 استفهام كذا في
 النسخ وظاهر أن
 كيف اسم لاحرف
 اه مصححه

أمرهم به أو أنها لم عنه أي لا آتى بشئ ولا أذرشأ من نحو ذلك الامتعالو حى الله تعالى
 وأوامره ان نسخت آية تبعت النسخ وان بدلت آية مكان آية تبعت التبديل وليس الى تبدل
 ولا نسخ (انى أخاف ان عصيت ربى) أى يتبدله (عذاب يوم عظيم) فانى مؤمن به غير مكذب ولا
 شك كغيرى من يتكلم الهذيان بما لا يخاف عاقبته فى ذلك اليوم الذى تذهل فيه كل مرضعة
 عما أرضعت وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ولى وانى يفتح الباء والباقون بالسكون (قل) يا محمد
 لهؤلاء المشركين الذين طلبوا منك تغيير القرآن وتبدله (لوشاء الله ما تلونه عليكم) أى لوشاء
 الله لم ينزل هذا القرآن ولم يأمر فى بقراءته عليكم (ولا أدراكم به) أى ولا أعلمكم به على لسانى
 وقرأ ابن كثير بخلاف عن البرى بقصر الهمزة بعد اللام جواب لو أى لا أعلمكم به على لسان
 غيرى والباقون بالمد المتفصل وقوله تعالى (فقد لبنت) أى سكنت قراءة نافع وابن كثير
 وعاصم بالظهار الشاء عند التاء والباقون بالادغام (فبكم عمرا) سنين أربعين (من قبله) أى قبل
 أن يوحى الى هذا القرآن لأتولوه ولا أعلمه فى ذلك اشارة الى أن هذا القرآن معجز خارق العادة
 وتقريره ان أولئك الكفار كانوا قد شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول عمره الى ذلك
 الوقت وكانوا علمين بأحواله وأنه ما طالع كتابا ولا تلمذ لاستاذ ولا تعلم من أحد ثم بعد انقراض
 أربعين سنة على هذا الوجه جاءهم بهذا الكتاب العظيم المشتمل على نقائس علم الاصول ودقائق
 علم الاحكام ولطائف علم الاخلاق وأسرار تخصص الاولين وعجز عن معارضته العلماء والقصاص
 والبلغاء وكل من له عقل سليم فانه يعرف أن مثل هذا لا يحصل الا لوىحى والا الهام من الله تعالى
 (أفلا تفتقرون) أى أفلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكير لتعلموا أن مثل هذا الكتاب
 العظيم على من لم يتعلم ولم يتلمذ ولم يطالع كتابا ولم يمارس مجادلة أنه لا يكون الا على سبيل الوحى من
 الله تعالى لا من مثلى وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم أتت بقرآن غير هذا من اضافة الافتراء
 اليه (تبيينه) أقام صلى الله عليه وسلم بعد أن أوحى اليه بمكة ثلاث عشرة سنة ثم هاجرا فقام
 بالمدينة عشر سنين وتوفى وهو ابن ثلاث وستين سنة قال الزورى وورد فى عمره صلى الله عليه
 وسلم ثلاث روايات احداها أنه توفى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ستين سنة والثانية خمس
 وستون سنة والثالثة ثلاث وستون سنة وهى أصحها وأشهرها وتأولوا رواية ستين بأن راويها
 اقتصر فيها على العقود وترك الكسر ورواية الخمس أيضا متأولة وتحصل فيها الشبهة ولما أقيمت
 الدلائل على أن هذا القرآن من عند الله وجب أن يقال انه ليس فى الدنيا أحد أجهل ولا أظلم
 على نفسه من منكر ذلك كما قال تعالى (من) أى لا أحد (أظلم من اقترى) أى نعمد (على
 الله كذبا) أى أى كذب كان من شريك أو ولداً وغير ذلك وكان الاصل مبنى على تقدير أن
 يكون هذا القرآن من عنده ولكنه وضع هذا الظاهر مكانه تعميما وتعليقا للعكس بالوصف
 (أو كذب بآياته) أى دلائل توحيديه فكفر بها كما فعلتم أنتم وذلك من أعظم الكذب وقوله تعالى
 (انه) أى الشأن (لا يفلح) بوجه من الوجوه (المجرمون) أى المشركون تأكيدا لما سبق من
 هذين الوصفين (ويصدون) أى هؤلاء المشركون (من دون الله) أى غيره (مالا يبصرهم) أى

ان لم يعبدوه (ولا ينفعهم) أي ان عبده وهو الاصنام لانها حجارة وجاد لا تقدر ولا تنفع
والكافرون قادرون على التصرف فيها تارة بالاصلاح وتارة بالفساد واذا كان العابد أصلي
حالاً من العبود كانت العبادة باطلة لان العبادة أعظم أنواع التعظيم فلا تليق الا برب
وينفع بان ينسب على الطاعة ويعاقب على المعصية وكان أهل الطائفة يعبدون اللات وأهل
مكة يعبدون العزى ومناة وهبل واسافا ونائلة (ويقولون هؤلاء) أي الاصنام التي نعبدها
(شفعاً وأعند الله) ونظيره قوله تعالى اخباراً عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقيل
انهم وضعوا هذه الاصنام والاوثان على صوراً بنيتهم وأكبرهم وزعموا أنهم متى اشتغلوا
بعبادة هذه التماثيل فان أولئك الاكابر يـكـونون شفعا لهم عند الله قال الرازي وتطيره
في هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الاكابر على اعتقاد أنهم اذا عظموا قبورهم
فانهم يكونون شفعا لهم عند الله ولكن تعظيمهم لهؤلاء ليس كتعظيم الكفار وفي هذه
الشفاعة قولان أحدهما أنهم يزعمون أنها تنفع لهم فيما يهملهم من أمور الدنيا في اصلاح
معاشهم قاله الحسن لانهم كانوا يعتقدون بعث الموت والشأنى أنهم يزعمون أنها تنفع لهم
في الآخرة ان يكن بعث قاله ابن جرير عن ابن عباس وكانهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط
جهالتهم حيث تركوا عبادتهم الصار النافع الى عبادة ما يعلم قطعاً أنه لا ينفع ولا ينفع
على توهم أنه ربما ينفع لهم قال النضر بن الحرث اذا كان يوم القيامة شفعت لى اللات والعزى
وقوله تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين (أنتبثون) أي تخبرون (الله) وهو العالم بكل شئ
المحيط بكل محيط (عما لا يعلم) أي لا يوجد له به علم في وقت من الاوقات استهفاهم انكار تهكم
بهم وعبادتهم من المحال الذي هو شفاعة الاصنام واعلام بأن النبوة باطل غير منطوق
تحت الصفة فكأنهم يخبرونه بشئ لا يتعلق به علمه وقوله تعالى (في السموات ولا في الارض)
تأكيده لضمه لاق مالم يوجد فيه ما فهو منتف معدوم وهذا على طريق الازمام والمقصود نفي علم
الله بذلك الشفيع وأنه لا وجود له البتة لانه لو كان موجوداً لكان معلوماً لله تعالى وحيث لم يكن
معلوماً لله تعالى وجب أن لا يكون معلوماً موجوداً وهذا من مثل مشهور في العرب فان الانسان
اذا أراد نفي شئ عن نفسه يقول ما علم الله ذلك منى ومقصوده أنه ما حصل ذلك الشئ منه قط ولا
وقع (سبحانه) أي تزيهاً عن كل شئ فيه ثابتة نقص (وتعالى عما يشركون) ما مصدريه أو
موصولة اى عن اشراكهم أو عن الشركاء الذين يشركونهم به وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على
الخطاب لقوله أنتبثون الله والباقون بالياء على الغيبة فكانه قبل للنبى صلى الله عليه وسلم
قل أنت سبحانه وتعالى عما يشركون ويجوز أن يكون الله سبحانه وتعالى هو الذى نزه نفسه
عما قالوه فقال سبحانه وتعالى عما يشركون ولما أقام تعالى الدلالة القاهرة على فساد القول
بعبادة الاصنام بين السبب في كيفية حدوث هذا المذهب الفاسد بقوله (وما كان للناس الامة
واحدة) أي جمعاً على الدين الحق وهو دين الاسلام وقيل على الضلال في فترة الرسل واختلف
القائلون بالاول أنهم متى كانوا كذلك فقال ابن عباس ومجاهد كانوا على دين الاسلام من لدن

آدم الى أن قتل قابيل هايل وقال قوم الى زمن نوح وكانوا عشرة قرون ثم اختلفوا في عهد نوح
 فبعث الله تعالى اليهم نوحا وقال آخرون كانوا على دين الاسلام من زمن نوح بعد الغرق حيث لم
 يذرا الله على الارض من الكافرين ديارا الى أن ظهر الكفر فيهم وقال آخرون من عهد ابراهيم
 عليه السلام الى زمن عمرو بن لحي وهذا القائل قال المراد من الناس في قوله تعالى وما كان
 الناس الا أمة واحدة العرب خاصة (فاختلفوا) بأن ثبت بعض وكفر بعض (ولولا كلمة سبقت
 من ربك) وهو تأخير الحكم الى يوم القيامة وقيل تلك الكلمة هي قوله سبحانه سبقت
 رحمتي غضبي فلما كانت رحمة غالبية اقتضت تلك الرحمة الغالبة اسباب الستر على الجاهل الضال
 وامهاله الى وقت الوجدان (لقضى بينهم) أي الناس ينزل العذاب في الدنيا دون يوم القيامة
 (فيما فيه يختلفون) من الدين باهلا لك المطل وابقاء الحق وكان ذلك فصلا بينهم (ويقولون) أي
 كفار مكة (لولا) أي هلا (أنزل عليه) أي محمد صلى الله عليه وسلم (آية من ربه) أي غير ما جاء به
 كما كان للانبياء من الناقة والعصا واليد (فقل) يا محمد لهؤلاء الكفرة المعاندين (انما الغيب)
 أي ما غاب عن العباد أمره (لله) أي هو المختص بعلمه ومنه الآيات فلا يأتي بها الا هو وانما
 على التبليغ (فاتطروا) أي نزول ما اقترحموه وقيل نزول العذاب ان لم يؤمنوا (انني معكم من
 المنظرين) أي لما يفعل الله تعالى بكم لعنادكم وبجوؤكم الآيات وكني بالقرآن وحده آية
 باقية على وجه الدهر بديعة في الآيات رقية المسلك بين المهجرات مع عجزكم عن معارضته بتبديل
 او غيره فأى عناد أعظم من هذا (واذا أذقنا الناس) أي كفار مكة (رحمة) أي صحة وسعة
 (من بعد ضراء) أي شدة وبلاء (مستهم) سلط الله تعالى القطع سبع سنين على أهل مكة حتى
 كادوا يهلكون ثم رجعهم فأنزل عليهم المطر الكثير حتى اخصبت البلاد وعاش الناس بعد ذلك
 فلم يتعظوا بذلك بل رجعوا الى العناد والكفر كما قال تعالى (إذ اللهم مكروا آياتنا) بالاستهزاء
 والتكذيب وقيل لا يقولون هذا من رزق الله انما يقولون سقينا بنوء كذا وعن أبي هريرة رضى
 الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى ليصبح القوم بالنعمة ويعسهم بها
 فيصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا والنوء عند العرب هي منازل القمر اذا
 طلع نجم سقط نظيره (قل الله) أي قل لهم يا محمد الله (أسرع مكرأ) منكم أي أعجل عقوبة وأشد
 أخذأ وأقدر على الجزاء ومعنى الوصف بالسرعية أنه قضى بعقابهم قبل تدبيرهم مكابدهم
 والمكر اخفاء الكيد وهو من الله تعالى انما الاستدراج أو الجزاء على المكرفانهم لما قابوا نعمة
 الله بالمكر قابل مكرهم بأشد منه وهو امهالهم الى يوم القيامة (ان رسلنا) أي الجنظة الكرام
 الكاسين (يكتبون ما تكرون) لانهم وكوا بكم قبل كونكم نطفأ ولم يوكوا بكم الا بعد علم موكلهم
 بكل ما تفعولونه ولا يكتبون مكركم الا بعد اطلاعهم عليه واما هو سبحانه وتعالى فانه اذا قضى قضاء
 لا يمكن أن يطلع عليه رسله الا باطلاعه فكيف بغيرهم واذا تبين أنه عالم بأموهم وهم جاهلون
 بأموه علم أنه لا يدعهم يدبرون كيدا الا وقد سبب له ما يجعله في شعورهم وقرأ ابو عمرو بسكون
 السين والباقون بالرفع ثم أخذ سبحانه وتعالى سين ما يتضح به سرعية مكره في مثال دال على ما في

الآية قبلها ان المعنى الكلي لا يصل الى افهام السامعين الا بذكر مثال جلي واضمح يكشف عن
 حقيقة ذلك المعنى الكلي فقال (هو الذي يسيركم) أي يجعلكم على السير في كل وقت تسيرون فيه
 لا تقدرون على الانفصال عنه ويمكنكم منه (في البر والبحر) أي يسبب لكم أسبابا لتوجب سيركم
 فيهما وقرأ ابن عامر بعد الباء الاولى بنون ساكنة بعدها شين مضمومة والباقون بسين
 مهملة مفتوحة بعدها ياء مكسورة مشددة ولما كان العطب بسير البحر أظهر مع أن السير فيه
 من أكبر الآيات وأوضع البيئات ينسب معرض عن ذكر البر بقوله تعالى (حتى اذا كنتم) أي
 كونا لابرار لكم منه (في الفلك) أي السفن (فان قيل) كيف جعل الكون في الفلك غاية للتيسير
 في البحر مع أن الكون في الفلك متقدم للمحالة على التيسير في البحر (أجيب) بأنه لم يجعل الكون
 في الفلك غاية للتيسير بل تقدير الكلام كأنه قيل هو الذي يسيركم حتى اذا وقع في جهلكم تلك
 التيسيرات الحصول في الفلك كان كذا وكذا ولفظ الفلك يطلق على الواحد وعلى الجمع فان
 أريد الواحد كان كبناء قفل أو الجمع كان كبناء حجر والمراد هنا الجمع لقوله تعالى (وغيرين بهم)
 أي عن فيها وعدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كأنه يذكر قهرهم حالهم ليجهم منها ويستدعي
 منهم الإنكار والتصحيح والاتفات في الكلام عن الغيبة الى الحضور والعكس في فصيح كلام
 العرب (بريح طيبه) أي لينة الهبوب (وفرحوابها) أي تلك الريح وبالفلك الجارية به وقوله
 تعالى (جاءتها) جواب اذا والضمير للفلك أو للريح الطيبة بمعنى تلاقها (ريح عاصف) أي
 شديدة الهبوب فأزجعت سفينةهم وأسأتهم (وجاءهم الموج) أي وجاء ركاب السفينة الموج
 وهو ما ارتفع وعلما من ضرب الماء في البحر وقيل هو شدة حركة الماء واختلاطه (من كل مكان)
 أي يعتاد مجي الموج منه فأرجف قلوبهم (وظنوا أنهم أحيط بهم) أي فظنوا ان الهلاك قد
 أحاط بهم وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن أحاط بهم العدو (دعوا الله لمخلصين) أي من غير
 اشتراك به (له الدين) أي الدعاء لانهم لا يدعون حينئذ غيره لان الانسان في هذه الحالة لا يطمع
 الا في فضل الله ورحمته ويصير منقطعاً عن جميع الخلق ويصير بقلبه وروحه وجميع أجزائه
 منصرفاً الى الله تعالى وقوله تعالى (لئن أخرجنا من هذه) الشدة التي نحن فيها وهي الريح
 العاصفة والأمواج الشديدة (لنسكون من الشاكرين) على ارادة القول أو مفعول دعوا
 لانه من جملة القول أي لنسكون من الشاكرين لك بالايمان والطاعة على انعامك علينا
 يا نجياتنا من هذه الشدة (فلما أخرجناهم) أي هؤلاء الذين ظنوا أنهم أحيط بهم من
 الشدة التي كانوا فيها اجابة لدعائهم (اذا هم يبغون) أي فاجازوا الفساد وساروا الى ما كانوا عليه
 من الكفر والمعاصي (في الارض) أي جنسها (بغير الحق) * فان قيل البغي لا يكون بحق فما
 معنى قوله بغير (أجيب) بأنه قد يكون بحق كاستيلاء المسلمين على أرض الكفرة وهدم دورهم
 واجراق زروعهم وقطع أشجارهم كأن فعل صلى الله عليه وسلم يني فريلة فان ذلك افساد بحق
 قال صاحب المفردات البغي على ضربين أحدهما غير محمود وهو مجاوزة الحق الى الباطل والى
 الشبهة والآخر كفعل المسلمين ما ذكر (يا أيها الناس ائتموا بغيركم) أي ظلمكم (على أنفسكم)

لعود وبالعليها خاصة قال صلى الله عليه وسلم أسرع الخبير ثوابا صلة الرحم وأجمل الشرع قابا البغي
 واليمين الفاجرة وروى ثمان يهملها ما الله تعالى في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن
 عباس لو بنى جبل على جبل لذلك الباني وكان المأمون يتمثل بهذين البيتين في أخيه
 يا صاحب البغي ان البغي مصرعة * فاربغ فغير فعال المرء أعدله
 فلو بنى جبل يوما على جبل * لاندك منه أعاليه وأسفله
 وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر وعلى تقدير الانتفاع بالبغي
 هو عرض زائل كما قال تعالى (متاع الحياة الدنيا) أي لا يتهبأ لكم بغي بعضكم على بعض الا
 أياما قليلة وهي مدة حياتكم مع قصرها وسرعة انقضاها (ثم الينا) بعد البعث (مرجعكم)
 في القيامة (فنبئكم) أي فنصبركم (عما كنتم تعملون) في الدنيا من البغي والمعاصي فنجازيكم
 عليها وقرأ حفص متاع نصب العين على أنه مصدر مؤكداً أي تتمتعون متاع الحياة الدنيا
 والباقون بالرفع على أنه خبر بغيركم وعلى أنفسكم صلته أو خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلك
 متاع الحياة الدنيا وعلى أنفسكم خبر بغيركم ولما قال تعالى يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم
 متاع الحياة الدنيا أتبعه بتمثل عجيب ضربه لمن يبغى في الارض ويغتر بالدنيا ويستمتع تسكها
 ويقوى اعراضه عن أمر الآخرة والتأهب لها بقوله تعالى (انما مثل الحياة الدنيا) أي حالها
 العجيب في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واعتزاز الناس بها والمثل قول سائر يشبهه
 فيه حال الثاني بالاول (كأما أنزلناه) وحقق أمره وبينه بقوله تعالى (من السماء فاختلط به)
 أي بسببه (نبات الارض) أي اشتبك بعضه ببعض والاختلاط تداخل الاشياء بعضها في
 بعض (مما يأكل الناس) من الحبوب والثمار ونحو ذلك (و) مما يأكل كل (الانعام) من
 الحشيش ونحوه (حتى اذا أخذت الارض زخرفها) أي حسننها ووججتها من النبات
 (وازينت) باظهار ألوان زهرها من أبيض وأصفر وأحمر وغير ذلك من الزهور كالعروس اذا
 أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتسبتها وزينت بغيرها من ألوان الزين واصل ازينت
 زينت أبدت التاء زايا وأدغمت في الزاي (وطن أهلها) أي أهل تلك الارض (انهم قادرون
 عليها) أي ممكنون من تحصيل جذاها وحصادها (أناها أمرنا) أي قضاؤنا من البرد والحتر
 المفرط وغيره (ليلاً ونهاراً) أي في الليل وفي النهار (فجعلناها) أي زرعها (حصيداً) أي
 كالحصود المناجل وقوله تعالى (كان) محققة أي كانوا (لم تقن) أي لم تكن (بالامس) تلك
 الزروع والاشجار قائمة على ظهر الارض وحذف المضاف من جعلناها ومن كان لم تقن
 للمبالغة * (تسبية) تشبيه الحياة الدنيا بهذا النبات يحتمل وجوهاً الا ان عاقبة هذه الدنيا
 التي تنقها المرء في باب الدنيا كعاقبة هذا النبات الذي حين عظم الرجاء في الانتفاع به وقع
 اليأس منه لان الغالب أن المتمسك بالدنيا اذا وضع قلبه عليها وعظمت رغبته فيها يأتيه الموت
 وهو معنى قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما آتوا وأخذناهم بفتنة فاذا هم مبلسون أي خاسرون
 الدنيا وقد انفقوا أعمارهم فيها وخاسرون من الآخرة مع أنهم توجهوا اليها الثاني أنه تعالى بين

أنه كالم يحصل لذلك الزرع عاقبة محمودة فكذلك المغتر بالدين المحب لها لا يحصل له عاقبة تحمد
 مع أن المنافع التي تحصل فيها مخلوطة بالمضار والمتاع فان سعادة الدنيا غير خالصة من الآفات
 بل هي مزجوجة بالبليات والاستعراء يدل عليه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من طلب ما لم يخلق
 أتعب نفسه ولم يرفق في قيل يارسول الله وما هو قال سرور يوم يتمه الثالث أن مالك ذلك
 البستان لما عمره بآتاع النفس وكمد الروح وعلق قلبه على الاتفاح به فاذا حصل ذلك
 السبب المهلك صار العناء الشديد الذي تحمله في الماضي سببا لحصول الشقاء الشديد في
 المستقبل وهو ما يحصل له في قلبه من الحسرات فكذا حال من وضع قلبه على الدنيا وأتعب
 نفسه في تحصيلها فاذا مات وفاته كل ما فات صار العناء الذي تحمله في تحصيل أسباب الدنيا سببا
 لحصول الشقاء العظيم له في الآخرة (كذلك) أي مثل هذا التمهيل الذي ذكرناه (تفصل
 الآيات) أي نبيها (لقوم يتفكرون) لانهم المتفكرون بها ولما تفرغوا عن الغافلين عن الميل الى
 الدنيا بالمثل السابق رغبهم في الآخرة بقوله تعالى (واقه يدعو) أي يعلق دعاءه على سبيل
 التجدد والاستمرار بالمذمومين (الى دار السلام) قال قتادة السلام هو الله وداره الجنة وسعى
 سبحانه وتعالى بالسلام لانه واجب الوجود لذاته فقد سلم من الفناء والتغير وسلم من احتياجه
 في ذاته وصفاته ومن الاقتدار الى الغير وهذه الصفة ليست الاله سبحانه كما قال تعالى والله الغني
 وأنتم الفقراء وقال تعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله وقيل السلام بمعنى السلامة وقيل
 المراد بالسلام الجنة سميت الجنة دار السلام لان أهلها يحيى بعضهم بعضا بالسلام والملائكة تسلم
 عليهم قال الله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم ومن كمال رحمته وجوده
 وكرمه على عباده أن دعاهم الى الجنة التي هي دار السلام وفيه دليل على أن فيها ما لا عين
 رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لان العظيم لا يدعو الى عظيم ولا يصف الاعظما
 وقد وصف الله تعالى الجنة في آيات كثيرة من كتابه وعن جابر قال جاءت ملائكة الى النبي صلى
 الله عليه وسلم وهو نائم فقالوا ان صاحبكم هذا مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مائدة وبعث
 داعيا فن أباب الداعي دخل الداروا كل من المائدة ومن لم يحب الداعي لم يدخل الداروا ولم يأكل
 من المائدة والدار الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم (و) الله (يهدي من يشاء) من عباده
 بما يخلق في قلبه من الهداية (الى صراط مستقيم) وهو دين الاسلام عم سبحانه وتعالى بالدعوة
 أو لاظهار اللبحة وخص بالهداية ثانيا اظهار القدرة لان الحكم له في خلقه وقال الخليل
 الدعوة عامة والهداية خاصة بل الهداية عامة والعمة خاصة بل العمة عامة والاتصال خاص
 وقيل يدعوا بالآيات ويهدي للعقائ والمعارف وقيل الدعوة لله والهداية من الله وقال بعضهم
 لا تنفع الدعوة لمن لم يسبق له من الله الهداية (للذين أحسنوا) أي بالايان (الحسنى) وهي
 الجنة (وزيادة) وهي النظر الى تعالى في الآخرة كما في الحديث الصحيح اذا دخل أهل الجنة
 الجنة نودوا أن يا أهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون اليه فرائ الله ما أعظم الله شأهوا حب
 اليهم منه والي محشرى في كشفه قال في هذا وزعت المشبهة والمجبرة لان المعترفة يشكرون

الزوية ويرده عليهم قول الله تعالى وجوه يومئذ ماضرة الى ربها ناظرة فأنبت الله لاهل الجنة
 أمرين أحدهما النضارة وهي حسن الوجوه وذلك من نعيم الجنة والثاني النظر الى الله تعالى
 بعون ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الحسنى الحسنة والزيادة عشرة أمثالها وعن الحسن عشر
 أمثالها الى سبعمائة ضعف وعن مجاهد الزيادة مغلظة من الله ورضوان وعن يزيد بن ثعبرة
 الزيادة ان غمز الصحابة بأهل الجنة فتقول ما تريدون ان أمطركم فلا يريدون شيئا إلا أمطرهم
 ولا مانع من أن تفسر الزيادة بذلك كله اذ لا تنافي فيها والفضل واسع (ولا يرهق) أى يغشى
 (وجوههم قتر) أى سواد (ولاذلة) أى كآبة وكسوف يظهر منه الانكسار والهوان
 (أولئك) أى هؤلاء الذين وصفهم الله هم (أصحاب الجنة) وقوله تعالى (هم فيها خالدون) إشارة
 الى كونها دائمة آمنة من الانقطاع ولا زوال فيها ولا انقراض بخلاف الدنيا وزخارفها وما بين
 تعالى حال الفضل فيمن أحسن بين حال العدل فيمن أساء بقوله تعالى (والذين كسبوا السيئات)
 أى الشرك (جزاء سيئة) منهم (بمثلها) بعدل الله من غير زيادة وفى ذلك إشارة الى الفرق بين
 السيئات والحسنات لأن الحسنات يضاعف ثوابها العاقلها من الواحد الى العشرة الى السبعمائة
 الى أضاعف كثيرة تفضلها من تعالى وتكثر ما وأما السيئة فانه يجازى عليها بمثلها بعدل الله
 تعالى (وترهقهم) أى تغشاهم (ذلة) عكس أهل الجنة (مالهم من الله من عاصم) أى مانع عنهم
 من عذاب الله اذ انزل بهم (كأنما أغشيت) أى ألبست (وجوههم قطعاً من الليل مطاباً) لقرط
 سوادها وظلمتها وقرأ ابن كثير والكسائي بسكون الطاء أى جزأ والباقون بفتحها جمع قطعة
 أى أجزاء (أولئك) أى هؤلاء الاشقياء (أصحاب النار هم فيها خالدون) لا يتمكنون من مفارقتها
 (و) اذ كر (يوم تحشرهم) أى الفريقين الناجين والمهالكين العابدين منهم والمعبودين من كل
 جانب وناحية الى موقف الحساب حال كونهم (جميعاً) لا يتخلف عنهم أحد وهو يوم القيامة
 والحشر الجمع بكره الى موقف واحد (ثم تقول للذين أشركوا مكانكم) أى الزموا مكانكم
 لا تبرحوا منه حتى تنظروا ما ينزل بكم وقوله تعالى (أنتم) تأكيد للضمير المستتر فى الفعل المقدر
 ليحطف عليه (وشركاؤكم) أى من كنتم تعبدونه من دون الله (فربنا) أى فرقنا (بينهم) أى بين
 المشركين وشركائهم وقطعنا ما كان بينهم من التواصل فى الدنيا وذلك حين تبرأ كل معبود من
 دون الله عن عبده وقيل فرقنا بينهم وبين المؤمنين كإي آية وامتازوا اليوم أيها المجرمون
 والاول أنسب بقوله تعالى (وقال شركاؤهم) لهؤلاء المشركين (ما كنتم ايانا تعبدون) أى
 انما كنتم تعبدون الشياطين حيث أمرتكم أن تعبدوا لله إذ اذا فاطمهم واخلقوا فى
 المراد هؤلاء الشركاء فقال بعضهم الملائكة واستشهدوا بقوله تعالى ويوم يحشرهم جميعاً ثم
 تقول للملائكة هؤلاء ايمانكم كانوا يعبدون ومنهم من قال هى الاصنام والدليل عليه ان هذا
 الخطاب مشق على الوحيد والتعبد وذلك لا يليق بالملائكة المقربين وهو شركاء لانهم
 جعلوا تصديقاً من أمورهم لتلك الاصنام ففسدوا وهم شركاء لانفسهم فى تلك الاموال ثم اختلفوا
 فى هذه الاصنام كيف ذكرت هذا الكلام فقال بعضهم ان الله تعالى خلق الحياة والعقل

والنطق فيها فقد رت على ذكر هذا الكلام وقال آخرون ان الله تعالى خلق فيها الكلام من غير
أن يخلق فيها الحياة حتى سمع منها ذلك الكلام والاول أظهر لان ظاهر قوله تعالى وقال
شركاؤهم يتنصون أن يكون فاعل ذلك القول هو الشركاء (فان قيل) اذا حياها الله تعالى هل
يقبها أو يقبها (أجيب) بأن الكل محتمل فان الله تعالى يفعل في خلقه ما يشاء وأحوال القيامة
غير معلومة الا القليل الذي أخبر الله تعالى عنه في القرآن وعلى لسان أنبيائه وقال بعضهم المراد
بهؤلاء الشركاء كل من عبد من دون الله من انس وملاك وجن وشمس وقر وشمس وهذا أظهر
وعلى هذا والاول هو الشركاء لان الله تعالى لما خاطب العابدين والمعبودين بقوله تعالى مكانكم
صاروا شركاؤهم في هذا الخطاب ولما قال لهم شركاؤهم ذلك قالوا بل كنا عبدكم فقال شركاؤهم
(فكفي بالله شهيدا بيننا وبينكم) فانه تعالى العالم بكنهه الحال (ان كنا عن عبادتكم لغافلين)
أى لم نأمر بها ولم نعلم بها وعلى القول بأنها الاصنام فنقول ما كنا نسمع ولا نبصر ولانقل فانها
بجادات لاحس لها بشئ ولا شعور البتة * (تنبيه) * ان هي المحففة من الثقيلة واللام هي
الفارقة بين الخفيفة والثاقبة (هنالك) أى في ذلك الموقف من المكان العظيم الأحوال المتوالى
الزوال (تلوى) أى تختبر (كل نفس) طائعة وعاصية (ما أسلفت) أى ما قدمت من عمل فتعابن
نفسه وضرة يؤدى الى السعادة أو شقاوة وقر أحزرة والكسائي بناء من التلاوة أى تقرأ ذكر
ما قدمت أو من التوفيق تبع كل شخص عمله فيقوده الى الجنة أو الى النار والباقون بعد التاء
موحدة من البلوى وهو الاخبار (ورزوا الى الله) أى الى جزائه اياهم عما أسلفوا لم يكن
لهم قدرة على قصد غيره (مولاهم الحق) أى ربهم ومتولى أمرهم على الحقيقة ولا التفات الى
سواه من تلك الأباطيل بل انقطع رجاءهم من كل ما يدعون به في الدنيا وهو المراد بقوله تعالى
(وضل عنهم) أى ذهب وبطل وضاع (ما كانوا يفترون) أى يعمدون كذبه من أن معبوداتهم
شركاء ويتقنوا في ذلك المقام أن توليهم لغير الله كان باطلا غير حق * ولما بين فضايح عبدة الاوثان
اتبها بذكر الدلائل على فساد هذا المذهب بمجيب الحجة الاولى قوله تعالى (قل) أى قل يا محمد
لهؤلاء المشركين (من يرزقكم من السماء) بالمطر (والارض) بالنبات فانحصر الرزق في ذلك
أما من السماء فيتنزل الامطار وأما من الارض فلان الغذاء إما أن يكون نباتا أو حيوانا أما
النبات فلا ينبت الا من الارض وأما الحيوان فهو يحتاج أيضا الى الغذاء ولا يمكن أن يكون
غذاء كل حيوان حيوانا آخر والارزق الذهاب الى ما لانهاية له وذلك محال فثبت ان أغذية
الحيوانات يجب انتهاؤها الى النبات وثبت أن تولد النباتات من الارض فثبت القطع بأن الارزاق
لا تفصل الا من السماء والارض (أمن يملك السمع) أى الاسماع (والابصار) أى من
يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سوياعليه من القطرة المحببة * عن على رضى الله
تعالى عنه كان يقول سبحان من بصر بشحم واسمع بعظم وانطق بلحم وأجمعهما وحفظهما من
الآفات مع كثرتها في المدد الطوال وهما الطيفان يؤذيهما أدنى شئ بكلامه وحفظه (ومن
يجرح الحى من الميت) كان يجرح الانسان من النطفة والطائر من البيضة (ويخرج الميت من

الحق) كان يخرج النطفة من الانسان والبيضة من الطائر وقيل المراد أن يخرج المؤمن
 من الكافر والكافر من المؤمن وقرأ نافع وحفص وحزرة والكسائي ميت في الموضعين بعد
 الميم بكسر اليااء المشددة والباقون بعد الميم يسكون اليااء (ومن يدبر الامر) أى ومن يلى
 تدبير امر الخلائق وهو تعميم بعد تخصيص وذلك لان أقسام تدبير الله تعالى في العالم السفلى
 وفي العالم العلوى وفي عالم الارواح والاجساد أمور لانهاية لها وذكر كلها كالتعذر فلماذا ذكر
 بعض تلك الافاصيل عقبها بالكلام الكلى ليدل على الباقي ثم بين تعالى أن الرسول صلى الله
 عليه وسلم اذا سألهم عن مدبر هذه الاحوال (فسيقولون الله) اذ لا يقدرون على المسكورة
 والعناد في ذلك لظرف وضوحه واذا كانوا يقررون بذلك (فقل) لهم يا محمد (أفلا تتقون) الشرك
 مع اعترافكم بأن كل الخيرات في الدنيا والآخرة انما تحصل بفضل الله تعالى واحسانه
 (فذا لكم الله ربكم الحق) أى الثابت ربو بيته ثباتا لا ريب فيه واذا ثبت أن هذا هو الحق وجب
 أن يكون ماسواه ضلالا لان التقيضين يمنع أن يكونا حقيقين وأن يكونا باطلين فاذا كان أحدهما
 حقا وجب أن يكون ماسواه باطلا كما قال تعالى (فما اذا بعد الحق الا الضلال) اذ لا واسطة بينهما
 فهو واستفهام تقرير أى ليس بعده غيره فمن اخطأ الحق وهو عبادة الله تعالى وقمع في الضلال
 ولذلك سبب عنه قوله تعالى (فأنى) أى فكيف ومن أى جهة (تصرفون) أى تعدلون عن
 عبادته وأنتم تقولون بأن الله هو الحق (كذلك) أى كما حقت الربوبية لله تعالى أو ان الحق بعده
 الضلال أو انهم مصروفون عن الحق (حقق كلمة ربك) في الازل (على الذين فسقوا) أى تمردوا
 في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح وقوله تعالى (أنهم لا يؤمنون) يدل من الكلمة أى حق
 عليهم اتقاء الايمان وعلم الله منهم ذلك والمراد بكلمة الله العدة بالعذاب وهو لا ملأن جهنم
 الاية وأنهم لا يؤمنون لتقليل بمعنى لانهم لا يؤمنون أو ذلك تفسير لكلمته التي حقت وقرأ نافع
 وابن عامر كلمة بالالف بعد الميم على الجمع والباقون بغير الف بعد الميم على الافراد الحجة الثانية
 قوله تعالى (قل) أى قل يا محمد لهؤلاء (هل من شركائكم) الذين زعمتم وهم شركاء من اتهمتم
 في أموالكم من أنعامكم وزرعكم (من يبدأ الخلق) كما بدأه ليصع لكم ما ادعيتهم من الشرك
 (ثم يعيده) كما كان (فان قيل) هم غير معترفين بالاعادة فكيف اخرج عليهم تعالى بها كالاتداء في
 الازمات بها (أجيب) بأنها الظهور برهانها وان لم يقرروا بها وضعت موضع ما ان دفعه دافع كان
 مكابرا واذا الظاهر البين الذي لا مدخل للشبهة فيه دلالة على أنهم في انكارهم لها منكرون
 أمر امسلا معترفا بصحته عند العقلاء ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتوب عنهم
 في الجواب بقوله تعالى (قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده) لان لجأهم لا يدعهم أن يعترفوا بها (فأنى)
 أى فكيف (تؤفكون) عن عبادته مع قيام الدلائل (فان قيل) ما القائدة في ذكر هذه الحجة على
 سبيل السؤال والاستفهام (أجيب) بان الكلام اذا كان نظاهرا جليا ثم ذكر على سبيل
 الاستفهام كلف ذلك ابلغ وأوقع في القلب الحجة الثالثة قوله تعالى (قل) أى قل يا محمد لهم
 (هل من شركائكم من يهدى الى الحق) نصب الحجج وخلق الاهتداء وارسال الرسل ولما كانوا

جاهلين بالجواب الحق في ذلك ومعاذين أمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم أن يجيب بقوله تعالى (قل الله) أي الذي له الاحاطة الكاملة (يهدي الحق) من يشاء لأحدا ممن زعموه شركاء فالاستغفال بشئ منها عبادة أو غيرها جاهل محض قال الزجاج يقال هديت إلى الحق وهديت للحق بمعنى واحد فالله تعالى ذكرها تعين اللغتين في قوله تعالى من يهدي إلى الحق وفي قوله تعالى قل الله يهدي للحق وقوله تعالى (أئن يهدي إلى الحق) أي وهو الله تعالى (أحق أن يتبع أمن لا يهدي) أي يهدي (الآن يهدي) أحق أن يتبع استفهام تقرير وتوبيخ أي الأقل أحق (فيا لكم كيف تحكمون) هذا الحكم الفاسد من اتباع من لا يستحق الاتباع وقوله تعالى (وما يتبع أكثرهم) في تفسيره وجهان الأول وما يتبع أكثرهم في إقرارهم بالله تعالى (الافتناء) لأنه قول غير مستند إلى برهان عندهم بل هو من أسلافهم الثاني وما يتبع أكثرهم الافتناء في قولهم للاصنام آلهة وانها شعاع عند الله تعالى الافتناء حيث قلده واقبه آباءهم قال الرازي والقول الأول أقوى لانه في القول الثاني يحتاج إلى تفسير الاكثر بالكل (ان الظن لا يبغي من الحق) فيما المطلوب فيه العلم (شياً) من الاغناء فدلّت هذه الآية على أن كل من كان ظاناً في مسائل الاصول وما كان فاطعاً لا يكون مؤمناً (فان قيل) فقول أهل السنة أنا مؤمن ان شاء الله يمنع من القطع فوجب أن يلزمهم الكفر (أجاب) الرازي بأن هذا ضعيف من وجوه الأول أن مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه أن الايمان عبارة عن مجموع الاعتقاد والاقرار والعمل فالشك حاصل في أن هذه الاعمال هل هي موافقة لأمر الله تعالى والشك في أحد أجزاء الماهية لا يوجب الشك في تمام الماهية الثاني أن الغرض من قوله ان شاء الله تعالى بقاء الايمان عند الخاتمة الثالث الغرض هضم النفس وكسرها (ان الله علم) أي بالغ العلم (بما يفعلون) أي من اتباعهم الظن وتكذيبهم الحق اليقين فيجازيهم عليه وقوله تعالى (وما كان) عطف على قوله ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي الخ فهو حتم مقدّم على القول أي قل لهم ذلك الكلام (هذا القرآن) أي الجامع لكل خير مع التادية بأساليب الحكمة المجزة لجميع الخلق (أن يفترى) أي افتراء (من دون الله) أي غيره لان المفترى هو الذي تأتي به البشر وكفار مكة زعموا أن محمداً صلى الله عليه وسلم أتى به هذا من عند نفسه فأخبر الله تعالى ان هذا القرآن وحى أنزله عليه وأنه مبرأ عن الافتراء والكذب وأنه لا يقدر عليه أحد الا الله ثم ذكر ما يؤكده هذا بقوله تعالى (ولكن) أنزل (تصديق الذي بين يديه) أي قبله من الكتب الذي أنزلها على أنبيائه كالتوراة والانجيل فثبت بذلك أنه وحى من الله أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم وأنه مجزؤه فانه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولم يجمع بأحد من العلماء ثم انه صلى الله عليه وسلم أتى بهذا القرآن العظيم المجزؤه وفيه أخبار الاولين وقصص الماضين وقيل تصديق الذي القرآن بين يديه من القيامة والبعث (ونفصّل الكتاب) أي تبين ما كتب الله من الاحكام وغيرها (لاريب) أي لا شك (فيه) وقوله تعالى (من رب العالمين) متعلق بتصديق أو بانزل المحذوف (أم) أي بل (يقولون افتراء) أي اختلقه محمد ومعنى الهكثرة فيه للانكار

(قل) أى قل لهم يا محمد ان كان الامر كما يقولون (فأتوا بسورة مثله) فى الفصاحة والبلاغة وحسن النظم فأنتم عرب مثله فى البلاغة والقطنة (فان قيل) هل يتناول ذلك جميع السور الصغار والكبار ويختص بالسور الكبار (أجيب) بأن هذه الآية فى سورة يونس وهى مكية فكيف المراد مثل هذه السورة لانها أقرب ما يمكن أن يشار اليه هكذا أجاب الرازى والاولى التناول لجميع السور فانهم لا بقدررون أن يأتوا بأقصر سورة (فان قيل) لم قال فى البقرة بسورة من مثله وهى بسورة مثله (أجيب) بأنه صلى الله عليه وسلم لم يقرأ ولم يكتب ولم يتلذذ لاحد فقيل فى سورة البقرة فأتوا بسورة من مثله بناء على أن الضمير يرجع للنبي صلى الله عليه وسلم أى قليات انسان يساوى محمد صلى الله عليه وسلم فى عدم مطالعة الكتب وعدم الاشتغال بالعلوم بسورة تساوى هذه السورة وحيث ظهر المجز ظهر المجز فهذا لا يدل على أن السورة فى نفسها مجيزة ولكنه يدل على أن ظهور مثل هذه السورة من انسان مثل محمد صلى الله عليه وسلم فى عدم التعلم والتلذذ مجيز ثم بين تعالى فى هذه السورة ان تلك السورة فى نفسها مجيزة فات الخلق وان تتلذوا وتعلموا واطلوا وتفكروا ولا يمكنهم الايمان بمعارضة سورة واحدة من هذه السور وهو المراد من قوله تعالى (وادعوا من استطعتم) أى فاستمعينوا من أمكنكم أن تستعينوا به (من دون الله) أى غيره فانه تعالى وحده قادر على ذلك (ان كنتم صادقين) أى فى أى آية به من عندى لان العاقل لا يجزم بشئ الا اذا كان عنده منه مخرج وذلك لا يكون الا عن دليل ظاهر وسلطان قاهر باهر * (تنبيه) * هو انب تحدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن ستة أولها أنه تحدىهم بكل القرآن كما قال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ثانيها أنه تحدىهم بعشر سور فقال تعالى فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ثالثها أنه تحدىهم بسورة واحدة كما قال تعالى فأتوا بسورة من مثله رابعها أنه تحدىهم بحديث مثله خامسها أن فى تلك المراتب الاربعة كان يطلب منهم أن يأتى بالمعارضة وجعل يساوى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عدم التلذذ والتعلم ثم فى هذه السورة طلب منهم معارضة سورة واحدة من أى انسان سواء تعلم العلوم أم لم يتعلمها سادسها أن فى المراتب المتقدمة تحدى واحد من الخلق وفى هذه المرتبة تحدى جميعهم وجوز أن يستعين البعض ببعض فى الايمان بهذه المعارضة كما قال تعالى وادعوا من استطعتم من دون الله وهى آخر المراتب فهذا مجموع الدلائل التى ذكرها الله تعالى فى اثبات ان القرآن مجيز ثم ان الله تعالى ذكر السبب الذى لاجله كذبوا بالقرآن فقال تعالى (بل كذبوا) أى أوقعوا التكذيب الذى لا تكذيب أشنع منه أسرع فى ذلك (عظام يحيطوا بعلمه) أى القرآن أول ما سمعوه قبل أن يتدبروا آياته من غير شبهة أصلا بل عندنا وطغيانا ونفورا عما يخالف دينهم فهو من باب من جهل شيئا أعاده والاحاطة ادارة ما هو كالتحاط حول الشئ واحاطة العلم بالشئ العلم به من جميع وجوهه (ولما يأتهم) أى الى زمن تكذيبهم (تأويله) أى تأويل ما فيه من الاخبار والغيب وما فيه من الوعيد حتى تبين لهم

أنه صدق أم كذب ومعنى التوقع في لما أنه قد ظهر لهم بالآخرة إجماع لما كثر عليهم التصدي
 فخر بواعظهم في معارضته فصغرت وضعفت دونها ومع هذا لم يقله واعن التكذيب بتزدا
 وعنادا (كذلك) أي مثل تكذيبهم هذا التكذيب العظيم في الشناعة قبل تدبر المجزأة
 (كذب الذين من قبلهم) أي من كفار الامم الماضية فظفوا فأهلكناهم بظلمهم (فاتنظر) يا محمد
 (كيف كان عاقبة الظالمين) يتكذب الرسل أي آخر أمرهم من الهلاك فكذلك يهلك من
 كذبك من قومك وفي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يكون الخطاب لكل فرد
 من الناس والمعنى فانظروا أيها الانسان كيف كان عاقبة من ظلم فأحذروا أن تفعل مثل فعله
 (ومنهم) أي من قومك يا محمد (من يؤمن به) أي القرآن أي يصدق به في نفسه ويعلم أنه حق
 ولكنه يعاند بالتكذيب (ومنهم من لا يؤمن به) في نفسه لغبا وبه وقوله تدبروا ومنهم من يؤمن به
 في المستقبل بأن يتوب عن الكفر ويبدله بالإيمان ومنهم من يصبر ويستمر على الكفر وانما فسرت
 هذه الآية بهذين التأويلين لأن كلمة يؤمن من تصلح للحال والاستقبال (وربك أعلم بالمفسدين)
 أي المعاندين على التفسير الاول والمصرين على التفسير الثاني وفي ذلك تهديد لهم (وان
 كذبوا) أي وان يكذبوا يا محمد بعد الزام الخجة (فقل) لهم (لي عمل) من الطاعة وجزاءها
 (ولكم علكم) من الشرك وجزاء عقابه أي فقبراً منهم فقد أذرت والمعنى لي جزاء عملي ولكم
 جزاء عملكم حقا كان أو باطلا (أنتم بريون مما عملوا وأنا بري مما عاهدتكم) لأنواخذون
 بعملهم ولاؤاخذبمكم واختلف في معنى ذلك فقيل معنى الآية الزجر والردع وقيل بل
 معناه استقالة قلوبهم وقال مقاتل والكلي هذه الآية منسوخة بآية السيف قال الرازي
 وهذا بعيد لأن شرط الناسخ أن يكون رافعا لحكم المنسوخ ومدلول هذه الآية اختصاص كل
 واحد بأفعاله وبفترات أفعاله من الثواب والعقاب وذلك لا يقتضي حرمة القتال وآية القتال
 ما رفعت شيئا من مدلولات هذه الآية فكان القول بالنسخ باطلا انتهى ولا ينبغي هذه المبالغة
 مع مثل من ذكر وقد تبعتها جماعة من المفسرين وما أقسم تعالى الكفار قسمين منهم من
 يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به قسم من لا يؤمن به قسمين منهم من يكون في نهاية البغض له
 والعداوة ونهاية النفرة عن قبول دينه ومنهم من لا يكون كذلك فوصف القسم الاول في
 قوله تعالى (ومنهم) أي من هؤلاء المشركين (من يستمعون اليك) اذا قرأت القرآن وعلت
 الشرائع باسماهم الظاهرة ولا يتبعهم لشدة عداوتهم وبغضهم لك فان الانسان اذا قرى
 بغضه لا حرو وعظمت نفرتة منه صارت نفقه معرضة عن جميع جهات محاسن كلامه (أفأنت
 تسمع الصم) أي أتقدر على اسماعهم (ولو كانوا) مع الصمم (لا يبعثون) أي لأن الاصم العاقل
 ربما تفرس واستدل اذا وقع في صمناخه دوى الصوت فاذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعا
 فقد تم الامر فكأنك لا تقدر على اسماع الاصم الذي لا يعقل لا تقدر على اسماع من أصم الله
 تعالى قلبه فان الله تعالى صرف قلوبهم عن الاتفاع بما يستمعون ولم يوقفهم لذلك فشبهم
 بالصم في عدم الاتفاع بما يتلى عليهم ثم وصف القسم الثاني في قوله تعالى (ومنهم من يتفرون

الملك) أى يعاينون دلائل نبوتك ولا يصدقونك (أفانت تمدى العصى) أى أتقدر على هدايتهم
 (ولو كانوا) مع العصى (لا يصرون) أى لا بصيرة لهم لأن الاعى الذى فى قلبه بصيرة قد يهدس
 ويتظن فأما العصى مع الحق فجهد البلا فلا تقدر على هداية من أعى الله تعالى بصيرته فهو لاء
 فى اليأس من أن يقبلوا ويصدقوا كالصم والعشى الذين لا عقول لهم ولا بصائر فلا يقدر على
 اسماعهم وهدايتهم الا الله تعالى * (تنبيه) * اختلف فى أن السمع أفضل أو البصر ففهم من قال
 السمع واحتج على ذلك بأمر ومنها تقدمه فى الآية ومنها أن القوة السامعة تدرك السموع من
 جميع الجوانب والقوة الباصرة لا تدرك المرئى الا من جهة واحدة وهى المقابل ومنها أن
 الانسان انما يستفيد العلم من التعلم من الاستاذ وذلك لا يكون الا بقوة السمع فاستكمال
 النفس بالكالات العلمية لا يحصل الا بقوة السمع ومنها أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام
 يراهم الناس ويسمعون كلامهم فنبوتهم ما حصلت بسبب ما معهم من الصفات المرئية وانما
 حصلت بسبب ما معهم من الاحوال المسموعة وهو الكلام وتبليغ الشرائع وبيان الاحكام
 ومنها أن المعنى الذى يمتاز به الانسان من سائر الحيوانات هو النطق بالكلام وانما يتفهم
 بذلك بالقوة السامعة فتعلق السمع النطق الذى يحصل به شرف الانسان ومتعلق البصر ادراك
 الالوان والاشكال وذلك أمر مشترك فيه بين الناس وبين سائر الحيوانات ومنهم من قال
 البصر واحتج بأمر ومنها أن آلة القوة الباصرة هى النور وآلة القوة السامعة هى الهواء
 والنور أشرف من الهواء ومنها أن جمال الوجه يحصل بالبصر وبذاهبه عيبه وذهاب السمع
 لا يورث الانسان عيبا فى جمال وجهه والعرب تسمى العينين الكريمتين ولا تصف السمع بمثل
 هذا وفى الحديث يقول الله تعالى من أذبت كريمتيه فصر واحتسب لم أرض له ثوابا دون
 الجنة ومنها أنهم قالوا فى المثل المشهور ليس وراء العيان بيان وذلك يدل على أن كل وجوه
 الادراكات هو الابصار ومنها أن كثيرا من الانبياء سمع الله واختلفوا فى أنه هل رآه منهم أحد
 أم لا وأيضا فان موسى عليه السلام أسمعه الله تعالى كلامه من غير سبق سؤال والتاس فلما
 طلب الرؤية قال لن ترانى وذلك يدل على أن حال الرؤية أعلى من حال السماع وهذا هو الظاهر
 ولما حكم تعالى على أهل الشقاوة بالشقاوة بقضائه وقدره السابق فيهم أخبر تعالى ان تقدير
 الشقاوة عليهم ما كان ظلامه بقوله تعالى (ان الله لا يظلم الناس شيئا) أى لانه تعالى فى جميع
 أحواله متفضل وعادل فيتصرف فى ملكه كيف يشاء وانخلق كلهم عبده وكل من تصرف
 فى ملكه بالفضل والعدل لا يكون ظالما وانما قال تعالى (ولكن الناس أنفسهم يظلمون) لأن
 فعلهم منسوب اليهم بسبب الكسب وان كان قد سبق قضاء الله تعالى وقدره فيهم ففى ذلك
 دليل على أن لا يعبد كسبا وأنه ليس مسلوب الاختيار كما زعمت الجبهة وقرأ آية الكسب
 بكسر النون مخففة ورفع السين والباقون نصب النون مشددة ونصب السين ولما وصف تعالى
 هؤلاء الكفار بقوله الاصفاء وترك التدبر أتبعه بالوعيد بقوله تعالى (ويوم نحشرهم) أى
 واذكرا بحمد يوم نحشر هؤلاء المشركين لموقف الحساب وأفضل الحشر اخراج الجماعة

وازعاجهم عن مكانهم (كأن) أي كأنهم (لم يلبثوا) في دنياهم والجملة في موضع الحال من
 ضمير محشرهم البارز أي مشبهين بمن لم يلبثوا (الأساعة) حشرة (من النهار) أي يستقصرون
 مدة ممكنهم في الدنيا وفي القبور لهول ما يرون (يتعارفون بينهم) أي يعرف بعضهم بعضا إذا
 بعثوا ثم ينقطع التعارف لشدة الأهوال والجملة حال مقدرة متعلق الطرف والتقدير يتعارفون
 يوم محشرهم وقوله تعالى (قد خسروا الذين كذبوا بآيات الله) أي بالبعث يحتمل وجهين الأول
 أن يكون على إرادة القول أي يتعارفون بينهم فائلمن ذلك الثاني أن يكون كلام الله تعالى
 فيكون شهادة من الله تعالى عليهم بالخسران والمعنى أن من باع آخرته بالدنيا فقد خسره لأنه
 أعطى الكثير الشريف الباقي وأخذ القليل الخسيس الفاني (وما كانوا مهتدين) أي إلى
 رعاية مصالح التجارة وذلك لانهم اغتروا بالظاهر وغفلوا عن الحقيقة فصاروا كمن رأى زباجة
 خسية فظنها جوهرة ثم يرفقه فاشتراها بكل ما ملكه فإذا عرضها على الناقدين خاب سعيه
 وفات أمه ووقع في حرة الروع وعذاب القلب وقوله تعالى (وإنما) فيه ادغام ان الشرطية
 في ما الزائنة (نزيك) يا محمد (بعض الذي نعدهم) به من العذاب في حياتك وجواب الشرط
 محذوف أي فذلك (أو توفينك) قبل أن نريك ذلك الوعد في الدنيا فأنك تستراه في الآخرة
 وهو قوله تعالى (فألينا) بعد البعث (مرجعهم) فنريك هناك ما هو أقر لعينك وأسر لقلبك
 وقوله تعالى (ثم الله شهيد على ما يقولون) فيه وعيد وتهديد لهم أي أنه تعالى شهيد على
 أفعالهم التي فعلوها في الدنيا فيجازيهم عليها يوم القيامة ولما بين تعالى حال محمد صلى الله عليه
 وسلم مع قومه بين أن حال كل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم كذلك بقوله تعالى
 (ولكل أمة) أي من الأمم التي خلت من قبلك (رسول) يدعوهم إلى الله تعالى وقوله تعالى
 (فأجاب رسولهم قضي بينهم بالقسط) فيه إضمار تقديره فأجاب رسولهم وبلغهم ما أرسل به
 إليهم فكذب قوم وصدفته آخرون قضي أي حكم وفصل بينهم بالقسط أي بالعدل وفي وقت هذا
 القضاء والحكم بينهم قولان أحدهما أنه في الدنيا بأن يهلك الكافرين وينجي رسوله والمؤمنين
 لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا والثاني في الآخرة وذلك أن الله تعالى إذا جمع
 الأمم يوم القيامة للحساب والفصل بين المؤمن والكافر والطائع والعاصي جى بالرسول لتشهد
 عليهم لقوله تعالى وحي بالنبين والشهداء وقضى بينهم والمراد منه المبالغة في إظهار العدل
 وهو قوله تعالى (وهم لا يظنون) في جزاء أعمالهم شيئا بل يجازى كل واحد على قدر عمله فكذلك
 يفعل جهؤلاء (ويقولون متى هذا الوعد) الذي تعدنا به يا محمد من نزول العذاب ومن قيام
 الساعة وإنما قالوا ذلك على وجه التكذيب والاستبعاد (إن كنتم صادقين) أي فيما تعدونا
 به وإنما قالوا بلفظ الجمع على سبيل التعظيم أو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وإن
 كان كل أمة قالوا الرسولوا مثل ذلك وهو الموافق لقوله تعالى ولكل أمة رسول قال الله تعالى
 (قل) أي قل لهم يا محمد (لأملك لنفسي ضمرا) من مرض أو فقر أدفعه (ولأنفعا) من صحة
 أو غنى أجليه (الأمأشاة الله) أن يقدرني عليه فكيف أملك لكم حلول العذاب أو قيام

الساعة ولا يقدر على ذلك أحد الا الله تعالى (لكل أمة أجل) أي مدة مضروبة (اذا جاء
 أجلهم) أي انقضت مدة أعمالهم (فلا يستأخرون) أي لا يتأخرون (عنه ساعة) ثم عطف
 على الجملة الشرطية بكما لها (ولا يستقدمون) أي ولا يتقدمون أي ولا يستعجلون فإن
 الوفاء بالوعد لا يتمه والسين فيما يعنى الوجدان أي لا يوجد لهم المعنى الذى منع منه الفعل
 ويجوز أن يكون المعنى لا يجردون التأخر ولا التقدم وان اجتهدوا فى الطلب فيكون فى السين
 معنى الطلب وتدل الآية على أن أحد الاموت الانقضاء أجله وكذا المقبول لا يقبل الاعلى
 هذا الوجه وقرأه آلون والبرى وأبو عمر وباسقاط الهمزة الاولى وسهل ورش وقنبل الثانية
 وابدلها أيضا حرف مد والباقون بالتحقيق قال الله تعالى (قل) أي قل لهم يا محمد أيضا (أرأيتم
 ان أتاكم عذاب) الذى تستعجلون به (بيانا) أي فى الليل بفتة كما يفعل العذرة (أو نهارا)
 أي وقت أنتم فيه تستعجلون بطلب المعاش والكسب (ماذا) أي أى شئ (يستعجل منه) أى من
 عذابه وعذاب كل مكروه لا يحتمل شئ منه (المجرمون) أي المشركون وضع المجرمون موضع
 المضمر للدلالة على أنهم لجرهم فبغى أن يعزوا من مجيء الوعيد لأن يستعجلوا وجملة
 الاستفهام متعلقة بأرأيتم وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال أو تعرفوا الخطأ
 فيه (ثم اذا ما وقع) أي حل بكم (آمنتم) أي آمنتم بالله وأل العذاب وقت نزول العذاب وهو
 وقت اليأس والهمزة لانكار التأخير فلا يقبل منكم وقوله تعالى (الآن) على ارادة القول
 أي قبل لهم اذا آمنوا وقت نزول العذاب الآن (وقد كنتم به تستعجلون) تكذبا واستهزاء
 * (تنبية) * اتفق فالون مع ورش على النقل هنا واتفق القراء كلهم على همزة الوصل التى بعد
 همزة الاستفهام ان فيها وجهين وهما البدل والتسهيل وقوله تعالى (ثم قبل للذين ظلموا) عطف
 على قبل المقدراى من أى قائل كان استهانة بهم وقرأ هشام والكسائى بأشمام القاف وهو
 أن تضم القاف قبل الباء والباقون بالكسر (ذوقوا عذاب الخلد) أي الذى تخلدون فيه
 والايان بتم اشارة الى تراخي ذلك عن الاهلاك فى الدنيا بالمكث فى البرزخ والى ان عذابه أدنى
 من عذاب يوم الدين (هل) أي ما تجزون الاجا كنتم تكسبون) فى الدين من الكفر والمعاصى
 (ويستنبونك) أي يستغبرونك يا محمد (أحق هو) أي ما وعدتاه من نزول العذاب وقيام
 الساعة وهو استفهام على جهة الانكار والاستهزاء فالهسي بن أخطب لما قدم مكة (قل) لهم
 فى جوابهم (أى وربى انه لخلق) أى كائن ثابت لا يدم من نزوله بكم * (تنبية) * اى بمعنى نعم وهو من
 لوازم القسم ولذلك توصل بواوه فى التصديق فيقال اى والله ولا ينطقون به وحده (وما أنتم
 بمعجزين) أي بفاشرين العذاب لان من معجز عن شئ فقد فاته (ولو أن لكل نفس ظلت) أي
 أشركت (ما فى الارض) من الاموال (لافتدت به) من عذاب يوم القيامة ولم يتعها العدا لقوله
 تعالى ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون (وأسر والندامة لما رأوا العذاب) أي حين عاينوه
 وأبصروه صاروا مهوتين نصيرين فلم يطبقوا عنده بكاء ولا صراخا سوى اسرار الندم كالحال
 فمن ذهب به ليصل فانه يبق مهوتا نصيرا لا ينطق بكلمة وقيل انهم أخلصوا قلبه فى تلك الندامة

ومن أخلص في الدعاء أسره وفيه تهكم بهم وبإخلاصهم لانهم انما أتوا بهذا الاخلاص في غير
 وقته بل كان من الواجب عليهم أن يأوآبه في دار الدنيا وقت التكليف وقيل المراد بالاسرار
 الاظهار وهو من الاضداد لانهم انما أخفوا الندامة على الكفر والفسق في الدنيا لاجل حفظ
 الرياسة وفي القيامة بطل هذا فوجب الاظهار وليس هناك تخلد (فان قيل) أسر وجاء على افظ
 الماضي والقيامة من الامور المستقبلة (أجيب) بأنها لما كانت واجبة الوقوع جعل الله
 مستقبليها كالماضي (وقضى بينهم) أي بين الخلائق (بالقسط) أي بالعدل (وهم لا يظلمون)
 (فان قيل) هذه الآية مكررة (أجيب) بأن الاولى في القضاء بين الانبياء وتكذيبهم وهذه عامة
 وقيل بين المؤمنين والكفار وقيل بين الرؤساء والاتباع فان الكفار وان اشتركوا في العذاب
 فلا بد أن يقضى الله تعالى بينهم لانه لا يمتنع أن يكون قد ظلم بعضهم بعضا في الدنيا وانه فيكون
 في ذلك القضاء تخفيف عذاب بعضهم وتثقل لعذاب الباقي لان العدل يقتضي أن يخفف
 المظلومين من الظالمين ولا يسبيل اليه الا أن يخفف من عذاب المظلومين وينقل في عذاب الظالمين
 وقوله تعالى (الآن لله ما في السموات والارض) تقر بقدرته تعالى على الاثابة والعقاب
 (الآن وعد الله) أي ما وعده على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من البعث الجزاء ومن ثواب
 الطائع وعقاب العاصي (حق) لاشك فيه (وايكن أكثرهم) أي الناس (لا يعلمون) أي
 جاهلون عن حقيقة ذلك فهم باقون على الجهل معدودون مع البهائم لقصور عقولهم الاظهار من
 الحياة الدنيا (هو) أي الذي ملك ما في السموات والارض (يحي ويميت) أي قادر على الاحياء
 والامانة لا يمدر عليه شيء مما أراد (واليه ترجعون) بعد الموت للجزاء وقوله تعالى (بأيها
 الناس) خطاب عام وقيل لاهل مكة (قد جاءكم من ربكم) أي كتاب فيه مالكم وعليكم
 وهو القرآن (وشفاء) أي دواء (لما في الصدور) أي القلوب من داء الجهل لان داء الجهل أضر
 للقلب من المرض للبدن وأمر اض القلب هي الاخلاق الذميمة والعقائد الفاسدة والجهالات
 المهلكة والقرآن منزىل لهذه الامراض كلها لان فيه المواعظ والزواجر والتخويف والترغيب
 والترهيب والتحذير والتذكير فهو الشفاء لهذه الامراض القلبية وانما خص تعالى الصدر
 بالذكرة لانه موضع القلب وغيره وهو أعز موضع في الانسان لمكان القلب فيه (وهدي) من
 الضلالة (ورحمة) أي اكرام عظيم (للمؤمنين) لانهم هم الذين اتقوا به دون غيرهم
 واختلف في تفسير قوله تعالى (قل بفضل الله وبرحمته) فقال مجاهد وقتادة فضل الله القرآن
 ورحمته أن جعلنا من أهله وقال ابن عباس والحسن فضل الله الاسلام ورحمته القرآن وعن
 أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال يكتب الله
 والاسلام وقال ابن عمر فضل الله الاسلام ورحمته تزيينه في قلوبنا وقيل فضل الله الاسلام
 ورحمته الجنة وقيل فضل الله القرآن ورحمته السنن ولا مانع من أن تفسر الآية بجميع ذلك
 اذ لتنافي بين هذه الاقوال والباه في بفضل الله وبرحمته متعلقة بمحذوف يفسره ما بعده تقديره
 قل فليفرحوا بفضل الله وبرحمته (فبذلك فليفرحوا) والتكرير للتأكيد والتقرير واليجاب

اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا لحذف أحد المفعولين لدلالة
 المذكور عليه والفاء داخلة تعني الشرط كأنه قيل ان فرحوا بشئ فليفرحوا بهما
 فانه لا مفروح به أحق منهما (هو) أى المحدث عنه من الفضل والرحمة (خير مما يجتمعون)
 أى من حطام الدنيا ولذاتها الفانية وقرأ ابن عامر بالتاء على الخطاب والباقون بالياء على الغيبة
 (قل) يا محمد لكفار مكة (أرأيت) أى أخبروني (ما أنزل) أى خلقى (الله لكم من رزق) وانه
 تعالى جعل الرزق منزلاً لانه مقدر فى السماء يحصل بأسباب منها (جعلتم منه) أى من ذلك الرزق
 (حرما وحلالا) وهو مثل ما ذكره من تحريم السائبة والوصيلة والحام ومثل قوله هذه
 أعام وحرم مثل قوله هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ومشمل قوله سم
 ثمانية أزواج من الضأن اثنين (قل) اللهم يا محمد (الله أذن لكم) فى هذا التحريم والتعليل (أم)
 أى بل (على الله تفترتون) أى تكذبون على الله بنسبة ذلك اليه (وما ظن الذين يفترون) أى
 يتعمدون (على الله الكذب) أى أى شئ ظنهم به (يوم القيامة) أيحسبون أن لا يؤاخذهم
 ولا يجازيهم على أعمالهم فهو اساتفها بمعنى التوبيخ والتقريع والتوبيخ والتوبيخ والتوبيخ
 لمن يفتري على الله الكذب (ان الله لذو فضل على الناس) نعم كثيرة لا تحصى منها انزال
 الكتب مفصلاً فيها ما يرضيه وما يسخطه ومنها ارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام لبيانها
 بما يحتمله عقول الخلق منها ومنها طول امهالهم على سوء أفعالهم ومنها انعامه عليهم بالعقل
 فكان شكره واجبا عليهم (ولكن أكثرهم) أى الناس (لا يشكرون) هذه النعم
 ولا يستعملون العقل فى دلائل الله تعالى ولا يقبلون دعوة أنبيائه ولا يتفجعون باستماع كتب الله
 وقوله تعالى (وما تكون) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (فى شأن) أى عمل من الاعمال
 وجهه شؤون والضمير فى قوله تعالى (وما تلو منه) امالا للشأن لان تلاوة القرآن شأن من
 شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو معظم شأنه واما التنزيل كانه قيل وما تلو من التنزيل
 (من قرآن) لان كل جزء منه قرآن والا ضمائر قبل الذكر تفخيم له واما الله تعالى والمعنى وما تلو
 من الله من قرآن نازل عليك وقوله تعالى (ولا تعملون من عمل) أى أى عمل كان تعميم الخطاب
 بعد تخصيصه عن هورئيسهم وهو النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك ذكر حيث خص بحافيه
 فخامة وهو الشأن وذكر حيث عم بقوله تعالى من عمل بما يتناول الجليل والحقير وقيل ان الكل
 داخلون فى الخطابين الا قرين أيضا لانه من المعاموم انه اذا خطب رئيس القوم كان القوم
 داخلين فى ذلك الخطاب كما فى قوله تعالى يا أيها النبي اذا طلقتم النساء (الا كلكم شهودا)
 أى رقباء فخصى عليكم أعمالكم لان الله تعالى رقيب على كل شئ وعالم بكل شئ اذا لم يحدث
 ولا خالق ولا موجد الا الله تعالى فكل ما يدخل فى الوجود هنامن أحوال العباد وأعمالهم
 الظاهرة والباطنة داخل فى علمه وشاهد عليه (اذ تفيضون) أى الله شاهد عليكم حين تدخلون
 وتخوضون (فيه) أى ذلك العمل وقيل الافاضة الدفع بكثرة وقال الزجاج اذ تتشرون
 فيه يقال أفاض القوم فى الحديث اذا تشروا فيه (وما يعزب) أى يغيب (عن ربك) يا محمد

أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة وأما البشري في الآخرة فتلقى الملائكة أيهاهم مسلمين
 مبشرين بالقوز والكرامة وما يروونه من يياض وجوههم واعطاء الصحائف بأيمانهم وما
 يقرؤون منها وسلام الله تعالى عليهم كما قال تعالى سلام قولاً من رب رحيم وغير ذلك من المبشرات
 بما بشر الله تعالى به عباده المتقين في كتابه وعلى السنة أنبيائه من جنسه وكريم ثوابه فان لفظ
 البشارة مشتق من خبر سار يظهر أثره في بشرة الوجه فكل ما كان كذلك دخل في هذه الآية
 ثم انه تعالى لما ذكر صفة أوليائه وشرح أحوالهم قال تعالى (لأنبئهم) أي بوجه من الوجوه
 (لكلمات الله) أي لا تغيير لاقوله ولا اخلاف لمواعيده والكلمة والقول سواء ونظيره قوله
 تعالى ما يتدل القول لدى وقوله تعالى (ذلك) إشارة الى كونهم مبشرين في الدارين (هو
 الفوز العظيم) هذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقق المشربه وتعظيم شأنه وليس من شرطه
 أن يقع بعده كلام يتصل بما قبله (ولا يحزنك) يا محمد (قولهم) أي هؤلاء المشركين أي لا يغمك
 تكذيبهم وتهديدهم وتشويرهم في تدبيره لا كل وابطال امرك وسائر ما يتكلمون به في شأنك
 وقرأ نافع بضم الباء وكسر الزاي من أحرته والباقون بفتح الباء وضم الزاي وكلاهما بمعنى وقوله
 تعالى (أن العزة) أي القوة (لله جميعاً) استئناف بمعنى التعليل كأنه قيل ما لا أحرز نصيب
 ان العزة لله جميعاً أي ان الغلبة والقهر في ملكة الله لله جميعاً لا يملك أحد شيئاً منها الا هم ولا
 غيرهم فهو يغلبهم وينصرهم عليهم قال تعالى كتب الله لأغلبن أنا ورسلي وقال تعالى ان النصر
 رسلنا وقيل ان المشركين كانوا يترزون بكثرة أموالهم وأولادهم وعبيدهم فأخبر الله
 تعالى ان جميع ذلك في ملكه فهو قادر على أن يسلب جميع ذلك ويذلهم بعد العز (هو السميع)
 أي البليغ السمع لاقوالهم (العليم) أي المحيط العلم بضمائرهم وجميع أحوالهم فهو البالغ
 القدرة على كل شيء فيما يزعم وهو تعليل لتفترده بالعزة لانه تفتردهم الذين الوصفين فانتقياً
 عن غيره ومن انتقاعه كان دون الحيوانات العجم فأنى يكون له عزة (فان قيل) قوله تعالى
 ان العزة لله جميعاً بوضاؤه تعالى والله العزة ورسوله وللمؤمنين (أجيب) بالمنع لان عزة
 الرسول والمؤمنين كلها بالله فهي لله (ألا ان الله من في السموات ومن في الارض) ملكا وخلقاً
 (فان قيل) اقد ذكر الله تعالى في الآية المنتقمة ألا ان الله ما في السموات والارض بلفظ ما وقال
 هنا بلفظ من فخاف انه ذلك (أجيب) بأنه تعالى غلب في الآية الاولى ما لا يعقل على من يعقل
 لكثرتة وفي هذه غلب العاقل على غيره لشرفه وقيل مجموع الآيتين دال على ان الكل خلقه
 وملكه وقيل ان المراد بمن في السموات الملائكة ومن في الارض النملان وانما خصهم بالذكر
 لشرفهم واذا كان هؤلاء في ملكه وتحت قهره فما يعقل منها أحق أن لا يكون له ندا وشريكا
 فهو كالدليل على قوله تعالى (وما يتبع الذين يدعون) أي يعبدون (من دون الله) أي غيره
 أصناماً (شركاء) على الحقيقة وان كانوا يسعون ما شر كاه تعالى الله عن ذلك (ان) أي ما يتبعون
 في ذلك (الا لظن) أي ظننا انها آلهة تشفع لهم وانما تقربهم الى الله تعالى ثم بين تعالى ان هذا
 الظن لا حكم له بقوله تعالى (وان) أي ما (هم الا يحرمون) أي يكذبون في ذلك ويجوز

(من مثقال) أى وزن (ذرة) وهى التلة الحمراء الصغيرة خفيفة الوزن جداً وقيل المراد بها الهباء وهو الشئ المنبث الذى تراه فى البيت فى ضوء الشمس وقرأ الكسانى بكسر الزاى والباقون بالضم ومن صله على القراءتين وانما قيد بقوله تعالى (فى الارض ولا فى السماء) تقرى بالعقول العامة (فان قيل) لم تقدم ذكر الارض على السماء وقدم ذكر السماء على الارض فى سورة سبأ حيث قال تعالى ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض فما فائدة ذلك (أجيب) بأن الكلام هنا فى حال أهلها والمقصود منه هو البرهان على احاطة علمه على ان العطف بالواو حكمه حكم التنبيه (ولأصغر من ذلك) أى الذرة (ولأكبر) أى منها (الاقى كآب بين) أى بين رهو اللوح المحفوظ وقرأ حمزة برفع الراء من أصغر وأكبر على الابداء والخبر والباقون بالنصب على ان ذلك اسم لا وفى كتاب خبرها (الآن أولياء الله) أى الذين يتولونه باطاعة ويتولاهم بالكرامة (لاخوف عليهم) من حقوق مكروء (ولاهم يحزنون) بقوات مأمول وقصرهم بقوله تعالى (الذين آمنوا وكانوا يتقون) الله يامثال أمره ونهيه وهذا الذى فسر الله تعالى به الالوية لا مزيد عليه وعن على رضى الله عنه هم قوم صفر الوجوه من السهر عشم العيون من العبر خص البطون من الخوا وعن سعيد بن جبیر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من أولياء الله تعالى فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعنى السمى والهيشة وعن ابن عباس الاخبات والسكنية وعن عمر رضى الله تعالى عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بأنبيا ولا شهداء تغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة لما كنهم من الله قالوا يا رسول الله أخبرنا من هم وما أعمالهم فلعلنا نجيبهم قال هم قوم تحابوا فى الله بغير ارحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الآية ونقل النووى فى مقدمة شرح المهدب عن الامامين الشافعى وأبى حنيفة رضى الله تعالى عنهما ان كلامهما قال اذا لم تكن العلماء أولياء الله فليس لله ولى وذلك فى العالم العامل بعلمه وقال القشبرى من شرط الولى أن يكون محفوظا كما أن من شرط النبى أن يكون معصوما فكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخادع فالولى هو الذى نوات أفعاله على الموافقة ولما تقي الله عنهم الخوف والحزن زادهم فقال تعالى مينا لتوليتهم لهم بعد ان شرع توليتهم له (لهم البشرى) أى الكاملة (فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) أما البشرى فى الدنيا نقصرت بأشياء منها الرؤيا الصالحة فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال البشرى هى الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له وقال صلى الله عليه وسلم ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقال الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان فاذا حلم أحدكم حلما يخافه فليست عود منه وليبصق عن شماله ثلاث مرات فانه لا يضره وقال الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة ومنها محبة الناس له وذكرهم اياه فى الفناء الحسن وعن أبى ذر قال قلت يا رسول الله ان الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال ثلاث عاجل بشرى المؤمن ومنها البشرى لهم عند الموت قال تعالى تنزل عليهم الملائكة

أن يكون وما يتبع في معنى الاستفهام أى وأى شئ يتبعون وشركاء على هذا نصب يسعدون
 وعلى الأول يتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فاقصر على
 أحدهم بالدلالة وقوله تعالى (هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) أى ليزول عنكم التعب
 والكلال فيه بما تقاسون في نهاركم من تعب التردد في المعاش (والنهار مبصر) أى مضيئاً
 تبصرون فيه مطالب أوزاقكم ومكاسبكم تنبيه على كمال قدرته وعظيم نعمته المتوحد هو بهما
 ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة وإضافة الإبصار إلى النهار مع أنه يصرفه على طريق نقل
 الاسم من المسبب إلى السبب كقولهم ليل نائم لأن الليل سبب للسكون قال قطرب يقول العرب
 أظلم الليل أى صار ذا ظلمة وأضاء النهار أى صار ذا ضوء (أن في ذلك) المذكور (آيات) أى
 دلالات على وحدانيته تعالى (أقوم بسمعون) سماع اعتبار وتدبر فيعلمون بذلك أن الذى خلق
 الأشياء كلها هو الله المعبود المتفرد بالوحدانية في الوجود ثم ذكر الله تعالى نوعاً من أباطيل
 الكفار بقوله تعالى (قالوا) أى اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله (أتخذ الله
 ولداً) قال الله تعالى (سبحانه) أى تنزيهاً عن الولد (هو الغنى) عن كل أحد وإنما يطلب الولد
 من يحتاج إليه ثم بين تعالى غناه بقوله تعالى (له ما في السموات وما في الأرض) من ناطق
 وصامت ملكاً وخلقاً ولما بين تعالى بالدليل الواضح امتناع ما ضافوا إليه عطف بالانكار
 والتوبيخ فقال (إن) أى ما عندكم من سلطان) أى حجة (بهذا) أى الذى تقولونه ثم بالغ تعالى
 في ذلك الانكار عليهم بقوله تعالى (أتقولون على الله ما لا تعلمون) حقيقته وصحته وتضيفون
 إليه ما لا يجوز إضافة إليه تعالى جهلاً منكم والاستفهام للتوبيخ (قل) يا محمد لهؤلاء الذين
 يحتقون على الله الكذب فيقولون عليه الباطل ويزعمون أن له ولداً (إن الذين يفترون) أى
 يتعمدون (على الله الكذب لا يفلحون) أى لا ينجحون في سعيهم ولا يفوزون بطلوبهم بل خابوا
 وخسر وأفانهم لا ينجحون من النار ولا يفوزون بالجنة ومن الناس من إذا فاز بشئ من المطالب
 العاجلة والمقاصد الخسيسة ظن أنه قد فاز بالمقصد والله سبحانه وتعالى أزال هذا الخيال بأن
 قال (متاع في الدنيا) وفيه اضمار تقديره لهم متاع في الدنيا على أنه مبتدأ خبره محذوف ويصح أن
 يكون خبراً لمبتدأ محذوف تقديره افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر
 أوحياهم أو تقليم متاع في الدنيا وهو أيام يسيرة بالنسبة إلى طول بقائهم في العذاب (ثم الإنسا
 من جهنم) بالموت (ثم نذيقهم العذاب الشديد) بعد الموت (بما) أى بسبب ما (كانوا يكفرون)
 ولما ذكر سبحانه وتعالى في هذه السورة من أحوال كفار قريش وما كانوا عليه من الكفر
 والعناد شرع بعد ذلك في قصص الأنبياء وما جرى لهم مع أممهم وذكر الله تعالى منهم في هذه
 السورة ثلاث قصص القصة الأولى قصة نوح عليه السلام المذكورة بقوله تعالى (واتل)
 يا محمد (عليهم) أى كفار قريش (تأماً) أى خير (نوح) وذلك ليكون لرسول الله صلى الله عليه
 وسلم ولاصحابه أسوة من سلف من الأنبياء فإنه كان صلى الله عليه وسلم إذا سمع أن معاملة
 هؤلاء الصالحين مع كل الرسل ما كان الاعلى هذا الوجه خفف ذلك على قلبه كما يقال المصيبة

اذا عت خفت ولان الكفار اذا سمعوا هذه القصص وعلموا ان الجهال وان بالغوا في ابداء
 الانبياء المتقدمين الا ان الله تعالى أعلنهم بالآخرة ونصرهم وأيدهم وقهر أعداءهم كان
 سماع هؤلاء الكفار لامثال هذه القصص سبباً لانتكسار قلوبهم ووقوع الخوف والوجل
 في صدورهم ولان الكلام اذا طال تقريرا في نوع من أنواع العلوم فربما حصل نوع من أنواع
 الملالة فاذا انتقل الانسان من ذلك الفن من العلم الى فن آخر شرح صدره وطاب قلبه ووجد
 في نفسه رغبة جديدة وقوة حادثة وميل اقويا ولانه صلى الله عليه وسلم لما لم يتعلم علما ولم يطالع
 كتابا ثم ذكر هذه القصص من غير تفاوت ومن غير زيادة ومن غير نقصان دل ذلك على أنه صلى الله
 عليه وسلم اعلمها بها بالوحي والتزيل ويبدل من بنأ نوح (اذ قال لقومه) وهم بنو قاييل
 (يا قوم ان كان كبر) أي شق وعظم (عليكم مقامي) أي لبي فيكم ألف سنة الاخسين عاما
 (وتذكري) أي وعظي اياكم (بآيات الله) أي بحجته وبيناته فعزمت على قسلي وطردى
 (فعلى الله توكلت) أي فهو حسي وثقي وأقياحى على الدعوة لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة
 قاموا على أرجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بيانا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى عليه
 السلام أنه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود (فاجعوا أمركم) أي فاعزموا على أمر نفعوا
 في أذى بالاهلاك وغيره (وشركاءكم) أي وادعوا شركاءكم أو الواو يعني مع أي مع شركائكم
 وهي الاصنام وانما حثهم على الاستعانة بها بناء على مذهبهم الفاسد واعتقادهم أنها تضر
 وتنتفع مع اعتقادها أنها جاد لا تضر ولا تنفع تبكينا وتوبيخا لهم (تم لا يكن أمركم) أي الذي
 تقصدون به (عليكم غمة) أي مستورا من غمة اذا ستره بل اظهره وبجاهر وفي مجاهرة فانه
 لامعارضة تلي بغير الله الذي يستوى عنده السر والجهر (ثم اقضوا لي) أي أمضوا
 ما في أنفسكم وافرغوا منه يقال قضى فلان اذا مات ومضى وقضى دينه اذا فرغ منه وقيل
 معناه توجهوا الى بالقتل والمكروه وقيل فاقضوا ما أنتم قاضون وهذا مثل قول الصحرة
 لفرعون فاقض ما أنت قاض أي اعمل ما أنت عامل (ولانتظرون) أي ولا تؤخرون بعد
 اعلامكم اياي ما أنتم عليه وانما قال ذلك اظهارا لقله مبالاة وثقتة بما وعده به من كلامه
 وعصمته وانهم ان يجردوا اليه سيلا (فان توليتم) أي عرضتم عن تذكري (فما سألتكم من أجر)
 أي من جعل وعوض على تبليغ الرسالة فينفركم عنى وتنهمنى لاجله من طمع في أموالكم
 وطلب أجر على عطسكم ومتى كان الانسان فارغا عن الطمع كان قوله أقوى تأثيرا في القلب (ان
 أجرى الاعلى الله) وهو الثواب الذي يثيب به في الآخرة أي ما أنصحكم الالوجه الله تعالى لا
 لغرض من أغراض الدنيا وهكذا ينبغي لكل من ينفع الناس بعلم أو ارشاد الى طريق الله تعالى
 (وامرت ان أكون من المسلمين) أي انى ما موربا للاستسلام لكل مكروه يصل الى منكم لاجل
 هذه الدعوة وقيل بدین الاسلام وانما مض فيه غير ما رآه قبله ولم تقبلوه (فكذبوه) أي
 أصروا على تكذيبه بعد ما ألزمهم الحق وبين أن توليتهم ليست الالعنادهم وقد رد لهم لاجرم حقت
 عليهم كلمة العذاب (فصيناه) من العرق (ومن معه في الملك) أي السفينة وكانوا ثمانين

(وجعلناهم) أي الذين أنجيناهم معه في القلک (خلاقف) في الارض يخلفون الهالكين
 بالغزق (وأغرقتنا الذين كذبوا بآياتنا) بالطوفان وقوله تعالى (فانظر) أي أيها الانسان أيا محمد
 (كيف كان عاقبة المذيرين) تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن أنذرهم رسول الله صلى الله عليه
 وسلم عن مثله وتسلية له وهذه القصة اذا سمعها من صدق النبي صلى الله عليه وسلم ومن كذب به
 كان زجرا للمكلفين من حيث يخافون أن ينزل بهم مثل ما نزل بقوم نوح وتكون داعية
 للمؤمنين على الثبات على الايمان لصلوا الى مثل ما وصل اليه قوم نوح وهذه الطريقة في
 الترغيب والتحذير اذا جرت على سبيل الحكاية عن تقدم كانت أبلغ من الوعيد المبتدأ ولهذا
 الوجه أكثر تعالى ذكره أفاصيص الانبياء عليهم السلام (ثم بعثنا من بعده) أي نوح (رسلا الى
 قومهم) لم يسم هنا تعالى من كان بعد نوح من الرسل وقد كان بعده هود وصالح و ابراهيم ولوط
 وشعيب صلوات الله وسلامه عليهم (فخاؤهم بالبينات) أي بالمعجزات الواضحات التي تدل
 على صدقهم (فما كانوا يؤمنوا) أي فاستقام لهم أن يؤمنوا الشدة عنادهم وخذلان الله تعالى
 اياهم (عما) أي بسبب ما (كذبوا به من قبل) أي أنهم كانوا قبل بعثة الرسل اليهم أهل جاهلية
 مكذبين بالحق فواقع فصل بين حالتهم بعد بعثة الرسل وقبلها كان لم يبعث اليهم أحد (كذلك)
 أي مثل ما طبعنا على هؤلاء بسبب تكذيبهم الرسل (نطبع) أي نختم (على قلوب المعتدين)
 في كل زمن لسكل من تعمد العدول فيما لا يحل له فلا يقبل الايمان لانهما كهم في الضلال
 واتباعهم المألوف وفي أمثال ذلك دليل على أن الافعال واقعة بقدره الله تعالى وكسب العبد
 * القصة الثانية قصة موسى عليه السلام المذكورة بقوله تعالى (ثم بعثنا من بعدهم) أي هؤلاء
 الرسل (موسى وهرون الى فرعون وملئه) أي أشرف قومه وغيرهم تسع لهم فهو مرسل الى
 الجميع (بآياتنا) التسع (فاستكبروا) عن اتباعها والايمان بها وهو أعظم الكبر أن يتناول
 العبيد برسالتهم بعد تبينها وبتعظيمها عن قبولها (وكانوا قوما مجرمين) أي كفارا ذوى
 آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترأوا عن ردها (فلما جاءهم الحق) أي جاء فرعون وقومه
 (من عندنا) أي الذي جاء به موسى من عند ربه وعرفوا أنه ليس من عند موسى وهرون
 لتظاهر المعجزات الظاهرات المزيحة للشك (قالوا) أي غير متأملين له ولا ناظرين في أمره
 لضرط تزدهم (ان هذا السحرمين) أي بين ظاهر يعرفه كل أحد وهم يعلمون أن الحق أبعد
 شيء من السحر الذي لا يظهر الا على كافر أو فاسق وقوله تعالى (قال موسى أتقولون للحق لما
 جاءكم أسحرا) فيه حذف تقديره أتقولون للحق لما جاءكم هو سحر أسحرا هذا الخذف السحر
 الاول اكتفاء بدلالة الكلام عليه ثم قال أسحرا هذا وهو استهزام على سبيل الانتكار بمعنى انه
 ليس بسحر ثم احتج على صحة قوله تعالى فقال (ولا يقل السامعون) فانه لو كان سحرا لاضمحل
 ولم يطل سحر السحرة قلب العصاحية وقلق البحر معلوم بالضرورة انه ليس من باب التويه
 والتخييل فثبت انه ليس بسحر (قالوا) أي قوم فرعون لموسى (أجتئتنا ليقننا) أي لثقتنا
 وتصرفتنا والفت والقتل أخوان (عما وجدنا عليه آياتنا) أي من الدين وعبادة الاصنام

ثم قالوا لموسى وهرون (وتكون لكما الكبرياء) أى الملك والعز (فى الارض) أى أرض مصر
قال الزجاج سعى الملك كبرياء لانه أكبر ما يطلب من أمر الدنيا وأيضاً المولود موصوفون بالكبر
ولهذا وصف ابن الرقيات مصعباً فى قوله

ملكه ملك رافة ليس فيه * جبروت منه ولا كبرياء

ينقى ما عليه المولود من ذلك ويجوز ان يقصد وبذلك ذمهما وأنهما ان ملكاً أرض مصر تجبرا
وتكبرا كما قال القبطى لموسى عليه السلام ان تريد الا أن تكون جباراً فى الارض (وما نحن

لكما بؤمين) أى بصدقين فيما جئنا به (وقال فرعون) لقومه ارادة للمناظرة لما أتى به موسى
عليه السلام (انثوى بكل ساحر عليم) أى بالغ فى علم السحر لثلايقوت شئ من السحر متأخر
البعض وقرأ أجزاء والكسائى بغير ألف بين السين والحاء وتشديد الحاء مفتوحة وألف بعدها
بصفة فعال دال على زيادة قلقت فرعون والباقون بألف بعد السين وتحذف الحاء مكسورة
ولألف بعدها (فلما جاء السحر) أى كل من فى أرض مصر منهم قالوا لموسى امان تلقى

واما ان نكون نحن الملقين (قال لهم موسى ألقوا) جميع (ما أنتم ملقون) (فان قيل) كيف
أمرهم بالكفر والسحر والامر بالكفر كفر (أجيب) بأنه انما أمرهم بالقاء ما معهم من الحبال
والعصى التى معهم لمظهر للخلق انما أتوا به عمل فاسد وسعى باطل لا على طريق أنه عليه السلام
أمرهم بالسحر (فلما ألقوا) ما معهم من الحبال والعصى وخيلوا السحرهم أعين الناس
أنها تسمى (قال موسى) منكر اعليهم (ما جئتم به السحر) قرأه أبو عمرو ومزين الاولى همزة
الاستفهام فهى مفتوحة والثانية همزة وصل وله فيها وجهان التسهيل والبدل فالاستفهامية

مبتدأ وجئتم به خبرها والسحر بدل منه وقرأ الباقون به هزة وصل فتسقط فى الوصل أى
الذى جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحراً ثم أخبر موسى عليه السلام بقوله (ان
الله سيطله) أى يهلكه ويظهر فضيحة صاحبه (ان الله لا يصلح عمل المفسدين) أى لا يثبت
ولا يقويه وقول البيضاوى وفيه دليل على أن السحر افساد وتغويه لاحقيقة له محمول على
ما يفعله أصحاب الحيل بمعونة الآلات والادوية والافله حقيقة فهو حق عند أهل السمنة وهو
علم بكيفية استعدادات تقدرهم النفوس البشرية على ظهور التأثير فى عالم العناصر (ويحق)

أى يثبت ويظهر (الله الحق بكلماته) أى بقضائه ووعد الصادق لموسى عليه السلام وقد
أخبر الله تعالى فى غير هذه السورة انه كيف أبطل ذلك السحر وذلك بسبب أن ذلك الشعبان
قد تلقف ذلك الحبال والعصى (ولو كره الجرمون) ذلك * ولما بين تعالى أن قوم موسى شاهدوا
هذه المعجزات ومع ذلك لم يؤمن منهم الا القليل كما قال تعالى (فما آمن لموسى الا ذرية من قومه)

واعتاد كرتعالى ذلك تسلياً لمحمد صلى الله عليه وسلم لانه كان يفتن بسبب اعراض القوم
عنه واستقرارهم على الكفر بين تعالى أن له فى هذا الباب بسائر الانبياء اسوة لان الذى ظهر من
موسى عليه السلام من المعجزات كان أمر اعظيما ومع ذلك فما آمن له الا ذرية من قومه
والذرية اسم يقع على القليل من القوم قال ابن عباس الذرية القليل والماء التى فى قومه

راجعة الى موسى أي فما آمن من قومه الا طائفة من ذراري بني اسرائيل كأنه قيل
 الأولاد من أولاد قومه وذلك أنه دعا الآباء قبل يحميه خوفا من فرعون واجابته طائفة من
 أبنائهم مع الخوف وقيل راجعة الى فرعون والذرية امرأه وأسبى ومومن آل فرعون
 وحازن فرعون وامرأة خازنه وما شطته (على خوف من فرعون وملائم) أي خوف منه
 لانه كان شديد البطش وكان قد أظهر العداوة مع موسى وإذا علم ميل القوم الى موسى كان
 يبالغ في ابدائهم فلهذا السبب كانوا خائفين منه ومن أشرف قومه والضمير لفرعون وجمعه
 على ما هو المعتاد في ضمير العظمة لانه ذو أصحاب يأتمرون به وقيل المراد بفرعون آله كما يقال
 ربيعة ومضر (أن يقتنهم) أي بصرفهم ويصدتهم عن الايمان (وأن فرعون لعال) أي
 متكبر قاهر (في الارض) أي أرض مصر (وانه لمن المسرفين) أي الجاهلون بالحد
 فانه كان من أخس العبيد وادعى الربوبية وكان كثيرا القتل والتعذيب لبني اسرائيل (وقال
 موسى) لقومه (يا قوم ان كنتم آمنتم بالله) أي صدقتم به وبآياته (فعلية نوكلوا) أي ثقوا به
 واعقدوا عليه فانه ناصر أوليائه ومهلك أعدائه (ان كنتم مسلمين) أي مستسلمين لقضاء الله
 تعالى مخلصين له وقيل ان كنتم آمنتم بالقلب وأسلمتم بالظاهر (فقالوا) مجيبين له (على الله
 نوكلنا) أي عليه اعتمدنا لا على غيره ثم دعوا ربهم فقالوا (ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم
 الظالمين) أي لا تسلطهم علينا فيفسدونا (ونحن) أي خلصنا (برحمتك من القوم الكافرين)
 أي من أيدي قوم فرعون لانهم كانوا يستعبدونهم ويستعملونهم في الاعمال الشاقة وانما قالوا
 ذلك لانهم كانوا مخلصين لاجرم ان الله تعالى قبل نوكلهم وأجاب دعاءهم ونجاهم وأهلك من كانوا
 يخافونه وجعلهم خلفاء في الارض وفي تقديم التوكل على الدعاء تبيينه على أن الداعي ينبغي
 أن يتوكل أولا لتعجب دعونه * ولما شرح الله تعالى خوف المؤمنين من الكافرين وما ظهر
 فيهم من التوكل على الله تعالى أتبعه بأن أمر موسى وهرون عليهما السلام باتخاذ البيوت
 بقوله تعالى (وأوحينا الى موسى وأخيه) أي الذي طلب موازنته ومعاضدته (أن تتوا)
 أي اتخذوا (لقومك بمصر بيوتا) تسكنون فيها وترجعون اليها للعبادة (واجعلوا) أنتم
 وقومك (بيوتكم) أي تلك البيوت (قبلة) مصلى أو مساجد كما في قوله تعالى في بيوت أذن
 الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه موجهة نحو القبلة أي الكعبة وكان موسى عليه السلام يصلي اليها
 وقرأ ودش وأبو عمرو وخصص بيوتنا وبيوتكم برفع الباء والباقون بالخفض (وأقيموا الصلاة)
 فيها ذكر المفسرون في كيفية هذه الواقعة وجوها ثلاثة الاقول أن موسى عليه السلام ومن معه
 كانوا في أول أمرهم مأمورين بأن يصلوا في بيوتهم خفية من الكفرة لئلا يظهر وعلمهم
 ويؤذهم ويقسوه عن دينهم كما كان المؤمنون على هذه الحالة في أول الاسلام بمكة الثاني
 انه قيل انه تعالى لما أرسل موسى اليهم أمر فرعون بتغريب مساجد بني اسرائيل ومنعهم من
 الصلاة فأمرهم الله تعالى أن يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلوا فيها خوفا من فرعون الثالث
 أنه تعالى لما أرسل موسى اليهم وأظهر فرعون تلك العداوة الشديدة أمر الله تعالى موسى

وهرون وقومهما بانحاذ المساجد على رغم الاعداء وتكفل الله تعالى بأن يصونهم من شر
 الاعداء وقد خص الله تعالى موسى وهرون في أول هذه الآية بالخطاب بقوله تعالى أن تتوآ
 لقومك لان التبوؤ للقوم وانحاذ المعابد مما يعطاه رؤس القوم للتشاور ثم عم هذا الخطاب
 فقال واجعلوا بيوتكم قبله لان جعل البيوت مساجد واقامة الصلاة مما ينبغى أن يفعله كل
 أحد ثم خص موسى عليه السلام في آخر الكلام بالخطاب فقال تعالى (وبشر المؤمنين) أى
 بالنصر في الدنيا والجنة في العقبى لان الغرض الاصلى من جميع العبادات حصول هذه البشارة
 فخص الله تعالى موسى بما يبدل بذلك على أن الاصل في الرسالة هو موسى عليه السلام وان
 هرون عليه السلام تبعه ثم أتت موسى عليه السلام لما بلغ في اظهار المعجزات القاهرة الظاهرة
 ورأى القوم مصرين على الجحد والعناد والانكار أخذ يدعو عليهم ومن حق من يدعو على الغير
 أن يذكر أو لا بسبب اقدامه على الجرائم وكان جرمهم هو لاجل جهنم الدنيا ركوز (ولهذا السبب
 قال موسى ربنا انك أتيت فرعون وملاه) أى أشرف قومه على ما هم عليه من الكفر والكبر
 (زينه) أى عظيمة يتزينون به من الحلية واللباس وغيرهما من الدواب واللحمان وأنثا البيت
 الفاخر ونحو ذلك (وأموال) أى كثيرة من الذهب والفضة وغيرهما (في الحياة الدنيا) روى عن
 ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ما كان لهم من فسطاط مصر الى أرض الحبشة جبال فيها معادن
 من ذهب وفضة وزير جدوا ياقوت ثم بين غايتها لهم فقال مقتحما بالنداء باسم الرب ليعيده واتباعه
 من مثل حالهم (ربنا) أى يا ربنا آتيتهم ذلك (لينبأوا) أى في خاصة أنفسهم وبضوا وغيرهم
 (عن سبيلك) أى دينك واللام للعاقبة وهى متعلقة بآتيت كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون
 ليكون لهم عدوا وحزنا وقيل لام كى أى آتيتهم كى تقننهم وقيل هو دعاء عليهم بجماع من ممارسة
 أحوالهم أنه لا يكون غير ذلك وقرأ عاصم وحزرة والكسائى بضم الياء والباقون بالفتح (ربنا
 اطمس على أموالهم) أى اسحقها وغيرها عن هيبتها قال قتادة صارت أموالهم وحررتهم
 وزرعوهم وجواهرهم حجارة وقال مجاهد بن كعب جعل سكرهم حجارة وقال ابن عباس بلغنا
 ان الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيتها صحاحا وأنصافا وثلاثا وارباعا ودعا عمر بن
 عبد العزيز بجزيرة فيها أشباه من بقايا آل فرعون فاخرج منها البيضة مشقوقة والجزيرة
 مشقوقة وانها كالخجر قال السدى مسخ الله تعالى أموالهم حجارة والتخيل والتمار والدقيق
 والاطعمة فكانت احدى الآيات التسع (واشدد على قلوبهم) أى اطبع عليها واستوثق
 حتى لا تتشرح للايمان وقوله (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) جواب للدعاء أو دعاء بلفظ
 النهى أو عطف على لبضوا وما بينهما دعاء معترض وقوله تعالى (قال قد آجبت دعوتك) فيه
 وجهان الاقول قال ابن عباس ان موسى كان يدعو وهرون كان يؤمن فلذلك قال دعوتك
 وذلك أن من يقول عند دعاء الداعى آمين فهو يصادع لان قوله آمين تأويله استجب فهو سائل
 كما ان الداعى سائل أيضا الثانى أن يكون كل منهما ذكر هذا غاية ما فى الباب أن يقال انه تعالى
 حكى هذا الدعاء عن موسى بقوله تعالى وقال موسى ربنا وهذا لينا فى أن يكون هرون قد ذكر

الدعاء أيضا وأما قوله تعالى (فاستجبنا) فعناء استعاض على الدعوة والرسالة والزيادة في الرام
 اعطه فقد لبث نوح في قومه ألف سنة الا خمسين عاما فلان استجبنا قال ابن جرير ان فرعون لبث
 بعد هذا الدعاء أربعين سنة (ولا تتبعنا سبيل الذين لا يعقلون) أي الجاهلين الذين يظنون انه متى
 كان الدعاء مجابا كان المقصود حاصل في الحال فر بما أجاب الله تعالى دعاء الانسان في مطلوبه
 الا انه انما رجا يوصله اليه في وقته المقدور والاستجبال لا يبصر الا من الجهال وهذا كما قال
 تعالى لنوح عليه الصلاة والسلام اني أعظك ان تكون من الجاهلين وهذا النهي لا يدل على
 ان ذلك قد صدر من موسى عليه السلام كما أن قوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك لا يدل على
 صدور الشرك منه صلى الله عليه وسلم وقرأ ابن ذكوان بتخفيف النون والباقون بتشديدها
 لان نون التوكيد تثقل وتخفف ولما أجاب الله تعالى دعاهما أمر بني اسرائيل وكانوا سائمة
 ألف بالخروج من مصر في الوقت المعلوم وبسر لهم أسديابه وفرعون كان غافلا عن ذلك فلما سمع
 انهم خرجوا وعزموا على مفارقة مملكته خرج في عقبهم كما قال تعالى (وجاوزنا) أي قطعنا (بين
 اسرائيل) أي عبدنا المخلص لنا (البحر) حتى بلغوا الشط حافظين لهم (فأتبعهم فرعون
 وبنوده) أي لحقهم وأدركهم يقال تبعه وأتبعه اذا أدركه وحقه (بغيا وعدوا) أي ظلما
 وعدوانا وقيل بغيا في القول وعدوا في الفعل فلما أدركهم فرعون قالوا لموسى أين المخلص
 والمخرج البحر أما منا وفرعون وراءنا قد كنا نلقى من فرعون البلاء العظيم فأوحى الله تعالى
 الى موسى أن اضرب به صلك البحر فضر به فافتلق لموسى وقومه فكان كل فرق كالطود العظيم
 وكشف عنه وجه الارض وانتشر لهم البحر فلما وصل فرعون الى البحر هابوا ودخله وكان فرعون
 على حصان أدهم وكان معه في عسكره ثمانمائة ألف حصان على لون حصانه وميكائيل يسوقهم
 حتى لم يشد منهم احد فلما خرج آخر بني اسرائيل من البحر تقدمهم جبريل على فرس وخاض
 البحر فلما وجد الحصان رجع الانثى لم يملك فرعون من أمره شيئا فنزل البحر واتبعه جنوده حتى
 اذا اكملوا جميعا في البحر وهم أولهم بالخروج التطم البحر عليهم فلما أتاه الغرق أتى بكلمة
 الاخلاص كما قال تعالى (حق اذا أدركه الفرق) أي لحقه (قال آمنت أنه) أي بأنه (الا اله الا
 الله) آمنت به بنو اسرائيل وأمان المسلمين (فان قيل) انه آمن ثلاث مرات أولها قوله آمنت
 وثانيها قوله لا اله الا الله الذي آمنت به بنو اسرائيل وثالثها قوله وأمان المسلمين فما السبب في عدم
 القبول (اجاب) العلماء عن ذلك بأجوبة منها انه انما آمن عند نزول العذاب والايان والتوبة
 عند معاناة الملائكة والعذاب غير مقبول وبدل عليه قوله تعالى فلم يك يتفهم ايمانهم لما روا
 بأسنا ووس جبريل في فيه من حيا البحر مخافة أن تناله الرحمة وقال له (آلان) تؤمن (وقد
 عصيت قبل) وضيعت التوبة في وقتها وأثرت دينك الفانية على الآخرة الباقية (وكنتم من
 المفسدين) بظلالك واضلالك عن الايمان والتوبة حتى أغلق بابها بحضور الموت ومعاناة
 الملائكة وانما قال له وكنتم من المفسدين في مقابلة قوله وأمان المسلمين ومنها ان فرعون انما
 قال هذه الكلمة ليتوصل بها الى دفع ما نزل به من النبلة الحاضرة ولم يكن قصده الاقرا بوحداية

الله تعالى والاعتراف له بالربوبية فلم ينقمه ما قال في ذلك الوقت ومنها ان فرعون كان من المهرية
 المنكرين لوجود الصانع الخالق سبحانه وتعالى ولذلك قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به
 بنو اسرائيل فلم ينقمه ذلك لحصول الشك في ايمانه ومثل هذا الاعتقاد الفاسد لا تزول ظلمته
 الا بنور الحق القطعية والدلائل اليقينية ومنها ما روي في بعض الكتب أن بعض أقوام بنى
 اسرائيل لما جاوزوا البحر اشتغلوا بعبادة العجل فلما قال فرعون آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به
 بنو اسرائيل انصرف ذلك الى العجل الذي آمنوا بعبادته في ذلك الوقت فكانت هذه الكلمة
 في حقه سبباً لزيادة الكفر ومنها ان الايمان انما كان يتم بالاقرار بوحدانية الله تعالى وبالاقرار
 بنبوة موسى عليه السلام وفرعون لم يقتر بالنبوة فلم يصح ايمانه وتطيرمان الواحد من الكفار
 لو قال ألف مرة أشهد أن لا اله الا الله فانه لا يصح ايمانه الا اذا قال معه وأشهد أن محمداً رسول
 الله فكذا هنا ومنها أن جبريل عليه السلام أتى فرعون بفتوى ما قول الامير في عبدنا
 في مال مولاه ونعمته فكفر نعمته ومجده وادعى السيادة فنهى فكتب فرعون فيه بقوله أبو
 العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج عن سيده الكافر بنعمته أن يعزق في البحر ثم أتى
 فرعون لما عزق رفع جبريل عليه السلام اليه خطه (فان قيل) فما فائدة ذلك فم فرعون
 ذلك لانه في تلك الحالة اتماماً ان يكون التكليف ثابتاً أم لا فان كان فكيف يمنعه من التوبة وان
 كان غير مكلف فلا فائدة في ذلك (أجيب) بأن التكليف كان ثابتاً وجبريل عليه السلام لم يفعل
 ذلك من قبل نفسه فانه عبد لمؤرور الله تعالى يفعل ما يشاء كما قال تعالى فان الله يضل من يشاء
 ويهدي من يشاء وقال تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة وهكذا فعل
 بفرعون منعه من الايمان عند الموت جزاء على تركه الايمان أولاً فندس الحما في فهم فرعون من
 جنس الختم والطبع على القلب ومن الناس من قال قائل هذا القول هو الله تعالى لانه ذكر بعده
 (فاليوم نصيبك) أي نخرجك من البحر (بيدك) أي جسمك الذي لا روح فيه كاملا سويا
 لم يتغيراً ونخرجك من البحر بانما من غير لباس أو ان المراد بالبدن الدرع قال اللبث البدن
 هو الدرع الذي يكون قصير الكمين وهذا منقول عن ابن عباس قال كان عليه درع من ذهب
 يعرف به فأخرجه الله تعالى من الماء مع ذلك الدرع ليعرف (تسكون لمن خلقت) أي بصلتك
 (آية) أي عبدة فيعروا عبوديتك ولا يقدموا على مثل فعلك وعن ابن عباس أن بعض بنى
 اسرائيل شكوا في موته فأخرج لهم لبروه ويشاهد ما خلق على ذلك الذل والمهانة بعدما سمعوا
 منه قوله أنار بكم الاعلى ليعلموا ان دعواه كانت باطلة وان ما كان فيه من عظم الشأن وكبرياه
 الملك آل أمره الى ما يرون لعصيانه ربه (وان كثير من الناس عن آياتنا لقولون) أي لا يعتبرون
 بها وهذا الكلام ليس الا كلام الله تعالى ولكن القول الاول أشهر (ولقد نبأنا) أي أنزلنا
 (في اسرائيل موباً صدق) أي منزلاً صالحاً مرضياً وهو مصر والشام وانما وصف المكان
 بالصدق لان عادة العرب اذا مدحت شيئاً أضاقته الى الصدق تقول العرب هذا رجل صدق
 وقدم صدق والسبب فيه أن الشيء اذا كان كمالاً صالحاً لا بد أن يصدق الظن فيه وقيل أو ضمه

المشأم والقوس والاردن لانهما بلاد انقلب والشرق والبركة (ووزقناهم من الطيات) أي
 الخسافات المستنذات من القواكه والحبوب والالبان والاعمال وغيرها فأورث تعالى
 بني اسرائيل جميع ما كان تحت أيدي فرعون وقومه من الناطق والصامت والحارث والندل
 كما قال تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها (فما اختلفوا)
 أي هؤلاء الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بني اسرائيل في أمر دينهم (حتى جاءهم العلم) أي
 جاءهم ما كانوا به عالمين وذلك أنهم كانوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم مقرين به مجمعين على
 نبوته غير مختلفين فيه لما يجدونه مكتوباً عندهم وكانوا يجربون بعينه ووصفته ونعته ويقضون
 بذلك على المشركين فلما بعث صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه فآمن به بعضهم كعبداً لله بن
 سلام وأصحابه وكفروه بعضهم بغيراً وحسدوا وإتباعاً لبقاء الرياسة وانهم اختلفوا في دينهم الا
 من بعد ما قرأوا التوراة وعلموا أحكامها (أن ربك) يا محمد (يقضى بينهم يوم القيامة) أي الذي
 هو أعظم الايام (فيما كانوا) أي بأفعالهم الجبلية (فيه يختلقون) أي فيقبز الحق من
 الباطن والصديق من الزنديق ويسكن كلاداره واختلف المفسرون فيمن الخطاب بقوله تعالى
 (فان كنت في شك مما أنزلنا عليك فأسأل الذين يقرؤون الكتاب) أي التوراة (من قبلك) أي
 فانه ثابت عندهم يخبرونك بصدقه نضيل هو النبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر والمراد أمته
 كقوله تعالى يا أيها النبي اتق الله ولا تطلع الكافرين والمنافقين وقوله تعالى لئن أشركت ليحبطن
 عملك وقوله تعالى لعيسى عليه السلام أنت قلت للناس اتخذوني وأمتي الهين من دون الله
 ومن الأمثلة المشهورة ابالك أعني واسمعي يا جارة والذي يدل على صحة ذلك وجوه الأول قوله
 تعالى في آخر السورة يا أيها الناس فين أن ذلك المذكور وفي الآية على سبيل الرمز هم
 المذكورون في هذه الآية على سبيل التصريح الثاني أنه صلى الله عليه وسلم لو كان شاكاً في
 نبوته نفسه لكان شك غيره في نبوته أولى وهذا يوجب سقوط الشريعة بالكلية الثالث إذا قدر
 أن يكون شكاً في نبوته نفسه فكيف يراد ذلك الشك باخبار أهل الكتاب عن نبوته مع أنهم
 في الأكثر كانوا قنيت أن الخطاب وإن كان في الظاهر معه صلى الله عليه وسلم لأن المراد هو
 الامة ومثل هذا معان فان السلطان إذا كان له أمير وتحت رايته ذلك الأمير جمع فإذا
 أراد أن يأمر الرعية بأمر مخصوص فانه لا يوجه خطابه عليهم بل يوجه ذلك الخطاب
 على ذلك الأمير الذي يجعله أميراً عليهم ليصكون ذلك أشد تأثيراً في قلوبهم وقبول
 الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على حقيقته ولكن الله تعالى علم أنه صلى الله عليه وسلم
 لا يشك في ذلك الآن المتصور وأنه حتى سمع هذا الكلام فانه بصريح ويقول يارب لا تخك ولا
 أطلب الخبيث من قول أهل الكتاب بل أكتفى بما أنزلته على من الدلائل الظاهرة ولهذا قال
 صلى الله عليه وسلم لا أشك ولا أسأل أحد منهم وتظهر هذا قوله لا تملأنكم أهولاً اياكم كانوا
 يعبدون والمتصور أن يصرحوا بالجواب الحق ويقولوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا
 يعبدون الحق وكما قال تعالى لعيسى عليه السلام أنت قلت للناس اتخذوني وأمتي الهين

والمتصودين أن يصريح عيسى عليه السلام بالبراءة من ذلك فكذلك هنا وقرأ ابن كثير
 والكسائي بنقل حركة الهمزة إلى السين والباقون بالهمزة وسكون السين وقيل الخطاب
 لكل من يسمع أي ان كنت أي السامع في شك مما أنزلنا على لسان نبينا اليك وفيه تشبيه على أن
 من خالفته شبهة في الدين ينبغي أن يسارع إلى حلها بالرجوع إلى أهل العلم وأظهر هذه الأقوال
 أولها وهذه الأقوال تجري في قوله تعالى (لقد جاءك الحق من ربك) أي الآيات القاطعة
 لا مدخل للمرية فيه (فلا تكونن من الممتريين) أي الشاكين فيه وفي قوله تعالى (ولا تكونن
 من الذين كذبوا بآيات الله فتكفرون من الخاسرين) أي الذين خسروا أنفسهم (إن الذين
 حقت عليهم كلمة ربك) أي ثبت عليهم قوله تعالى الذي كُتِبَ في الوح المحفوظ وأخبر به
 الملائكة أنهم (لا يؤمنون) أي يموتون كفارا فلا يكون غيره اذ لا يكذب كلامه ولا ينقض
 قضاؤه (ولو جاءتهم كل آية) فإن السبب الأصلي لايمانهم وهو تعلق ارادة الله تعالى به مفقود
 فإن الدليل لا يهدي الا باعانة الله تعالى واذا لم تحصل تلك الاعانة ضاعت تلك الدلائل (حتى
 يروا العذاب الاليم) فيخيل ان لا ينفعهم الايمان كالم ينفع فرعون وقرأ نافع وابن عامر كلمات
 بألف بعد الميم على الجمع والباقون بغير ألف على الافراد القصة الثالثة قصة يونس عليه السلام
 المذكورة بقوله تعالى (فلولا) أي فهلا (كانت قرية) واحدة من قرى الامم الماضية التي
 أهلكتها (أمنت) أي آمن أهلها عند امتحان الآيات وعند رؤية أسباب العذاب (فنفعتها)
 أي تسبب عن ايمانهم ذلك أنه نفعتها (ايانها) بأن تقبله الله تعالى منها وكشف العذاب عنها
 وقوله تعالى (الاقوم يونس) استثناء منقطع بمعنى لكن قوم يونس (ما آمنوا) أي لم اخلصوا
 الايمان أول مارأوا آية العذاب ولم يؤخروه إلى حوله (كشفت عنهم عذاب الخزي في الحياة
 الدنيا) ويجوز أن يكون متصلا بالجملة في معنى النفي لتضمن حرف التخصيص معناه كأنه قيل
 ما آمن أهل قرية من القرى الهالكة فنفعهم ايمانهم الاقوم يونس (ومتعناهم إلى حين) أي
 إلى انقضاء آجالهم روى عن ابن مسعود وغيره ان قوم يونس كانوا بأرض فينوي من أرض
 الموصل فأرسل الله تعالى اليهم يونس عليه السلام يدعوهم إلى الايمان فدعاهم فأبوا فقبل له
 ان العذاب مصعبهم إلى ثلاثة أيام فاخبرهم بذلك فقالوا نالم نجرب عليك كذبا فانظروا فان
 بات فيكم تلك الليلة فليس بشئ وان لم يبت فاعلموا ان العذاب مصعبكم فلما كان في جوف تلك
 الليلة خرج يونس عليه السلام من بين أظهرهم فلما أصبحوا تغشاهم العذاب فكان فوق رؤسهم
 قدر ميل وقال وهب غامت السماء غما عظيما أسودها ثلاثا يدخلن دخانا عظيما فهبط حتى غشى
 مبدئتهم واسودت سطوحهم فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك فطلبوا يونس بينهم فلم يجدوه
 وقدف الله تعالى في قلوبهم التوبة فخرجوا إلى الصعيد بانفسهم ونسائهم واولادهم ووداجهم
 ولبسوا المسوح وأظهروا الايمان والتوبة وأخلصوا النية وقزوا بين كل والدة وولدها من
 النساء والذواب حتى بعضهم إلى بعض وعلت أصواتها واحتلقت بأصواتهم وعجوا ونصرت عوا
 إلى الله تعالى وقالوا آمنا بما جاء به يونس عليه السلام فرجهم الله تعالى واستجاب دعاهم

وكشف عنهم العذاب بعدما أظلمهم وكل ذلك يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود رضى
الله تعالى عنه بلغ من نوبتهم ان تراءوا المظالم حتى ان الرجل كان يقطع الحجر وكان قد وضع عليه
أساس بنيانه فبرده وقيل خرجوا الى شيخ من بقبية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فارتى
فقال لهم قولوا يا حيّ يا قيوم يا حيّ يا حيّ يا حيّ لا اله الا انت فقالوا فكشف عنهم
وعن الفضيل بن عياض اللهم انّ ذنوبنا قد عظمت وجبت وأنت أعظم منها وأجل افعال بنا
ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله وسئمتى بقية القصة ان شاء الله تعالى في سورة والصفات
(فان قيل) قد حكى الله تعالى عن فرعون انه تاب في آخر الامر ولم يقبل توبته وحكى عن قوم
يونس أنهم آمنوا وقبل توبتهم فما الفرق بين الحالين (أجيب) بأن فرعون اغتاب بعد ان
شاهد العذاب وهو وقت اليأس من الحياة وأما قوم يونس فانهم تابوا قبل ذلك فانهم لما ظهرت
أمارات دلت على قرب العذاب تابوا قبل أن ينزل بهم ولم يباشروهم فكانوا كالمرضى يخاف
الموت ويرجو العافية وان الله تعالى قد علم صدق نيّاتهم في التوبة فقبل توبتهم بخلاف فرعون
فانه لم يصدق في ايمانه ولا أخلص فلم يقبل منه قال الله تعالى (ولو شاء ربك لأممك) ^{بك}
وصدقك (من في الارض كلهم) بحيث لم يشذ منهم أحد (جميعاً) أى مجتمعين على ذلك في آن واحد
لا يختلفون في شئ منه ولكن لم يشأن يصدقك ويؤمن بك الا من سبق له السعادة في الازل وفي
هذا نسبية للنبي صلى الله عليه وسلم فانه كان حريصاً على ايمانهم كلهم فأخبر الله تعالى أنه لا يؤمن
به الا من سبق له السعادة الازلية فلا تتعب نفسك على ايمانهم وهو قوله تعالى (أفأنت
تكره الناس) أى الذين لم يرد الله ايمانهم (حتى يكونوا مؤمنين) أى ليس ايمانهم اليك حتى
تكرههم عليه وتحصر عليه انما ايمان المؤمن واضلال الكافر بمشئته الله تعالى وقضائه وليس
لاحد ذلك سواء كما قال تعالى (وما كان) أى وما ينبغي وما يتأتى (لنفس) أى واحدة فما فوقها
(أن تؤمن) أى يقع منها ايمان في وقت ما (الا باذن الله) أى بارادته له بالايمان فان هدايتها
الى الله فهو المهدي والمضل وقال ابن عباس بأمر الله وقال عطاء بمشئته الله (ويجعل) الله
(الرحم) أى العذاب واخذلان فانه سببه وقرأ شعبة وحده بالنون (على الذين لا يعقلون)
أى لا يتدبرون في آيات الله تعالى فينتفعوا بها وهم يدعون أنهم أعقل الناس ويتساقطون
في مساوى الاخلاق وهم يدعون أنهم أبعده الناس عنها فلا تذهب نفسك عليهم حسرات
• ولما بين الله تعالى في الآيات السابقة أن الايمان لا يحصل الا بتخليق الله تعالى ومشيئته أمر
بالنظر والاستدلال في الدلائل بقوله تعالى (قل انظروا) أى قل يا محمد لولا المشركين الذين
يسألونك الآيات (ماذا) أى الذى (في السموات والارض) من الآيات وواضع الدلالات
من عجائب صنعه ليدلّكم على وحدته وكمال قدرته في العالم العلوى الشمس والقمر وهما
دليلان على المسلسل والنهار والنجوم وحركات الافلاك ومقاديرها وأوضاعها والكواكب
وما يختص بذلك من المنافع وفي العالم السفلى الجبال والبحار والمعادن والنبات والحيوان
وأخصها حال الانسان كل ذلك من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى وأنه خالقها كما قال

المقاتل

وفي كل شيء آية • تدل على أنه واحد

وقرأ عاصم وحزرة في الموصل بكسر اللام والباقون بضمها وأما الهمزة من انظروا فكل القراء
 يتحدون بالضم (وماتفق الآيات) أي وان كانت في غاية الوضوح (والنذر) جمع نذير أي الرسل
 (عن قوم لا يؤمنون) في علم الله تعالى وحكمه (تنبه) قال الصوابون ما هنا محتمل وجهين
 الأول أن تكون نفيًا بمعنى أن هذه الآيات والنذر لا تصمد المائدة في حق من حكم الله تعالى
 عليه بأنه لا يؤمن كقولك لا يفني عنك المال إذا لم تنفق والثاني أن تكون استفهامًا كقولك
 أي شيء يفني عنهم وهو استفهام بمعنى الإنكار (فهل) أي ما ينتظرون أي أهل مكة تتكذبك
 (الا) أي ما أي وقائع (مثل آيات) أي وقائع (الذين خلوا من قبلهم) أي من مكذبي الأمم
 كلقبط وقوم نوح وما نظوي بينهما من الأمم أي مثل وقائعهم من العذاب (قل) أي قل لهم
 يا محمد (فاتظروا) أي العذاب (إني معكم من المنتظرين) أي لنزول العذاب بكم وقوله
 تعالى (ثم نجي رسنا والذين آمنوا) عطف على محذوف دل عليه قوله تعالى (المنل أيام الذين
 خلوا من قبلهم) كأنه قيل لنهلك الأمم ثم نجي رسنا ومن آمن بهم على حكاية الأحوال الماضية
 وقرأ أبو عمرو وحده بسكون السين (كذلك) أي كما تخييار رسنا والذين آمنوا معهم من
 الهالك (حقا علينا نجي المؤمنين) أي نجيكم يا محمد ومن آمن معك وصدقك من الهالك
 والعذاب (فان قيل) قوله تعالى حقا يقتضي الوجوب والله تعالى لا يجب عليه شيء (أجيب) بأن
 ذلك حق بحسب الوعد والحكم لأنه حق بحسب الاستحقاق لما ثبت أن العبد لا يستحق على
 خالفه شيئا وهو اعتراض بين المشبه والمشبه به ونسب بفعله المقدر وقيل بدل من ذلك
 وقرأ حفص والكسائي بسكون النون الثانية والباقون بضمها وأما الوقف عليها فجميع
 القراء يفتنون على الجيم لانها مرسومة في المصحف بالجيم بلا ياء فهي في القرآن وقفا وصلابلا ياء
 لجميع القراء ولما ذكر تعالى الدلائل على أقصى الغايات وأبلغ النهايات أمر رسوله صلى الله عليه
 وسلم بأفهامه فقل (قل) يا محمد (يا أيها الناس) أي الذين أرسلت إليهم فمشكروا
 في أمره ولم يؤمنوا بك (ان كنتم في شك من ديني) أي الذي أَدعوك إليه انه حق وأصررت
 على ذلك وعبدتم الأصنام التي لا تنضر ولا تنفع (فلا تعبدون من دون الله) أي
 غيره وهو الأصنام التي لا قدر لها على شيء (ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم) يقبض أرواحكم
 التي لا شيء عندكم يعدلها فانه الذي يستحق العبادة وانما خص الله تعالى هذه الصفة للعبودية
 وقيل انهم لما استعملوا يطلب العذاب اجابهم بقوله ولكن أعبد الله الذي هو قادر على
 اهلاككم ونصرى عليكم (وأمرت أن) أي بأن (أكون من المؤمنين) أي المستقين
 بما جاء من عند الله وقيل انه لما ذكر العبادة وهي من أعمال الجوارح أتبعها بذكر الإيمان
 لانه من أعمال القلوب (فان قيل) كيف قال في شك وهم كفار يعتقدون بطلان ما جاء به
 (أجيب) بأنه كان فيهم مشاكرون أو أنهم لما رأوا الآيات اضطربوا وشكوا في أمره صلى
 الله عليه وسلم وقوله تعالى (وأن أقوم وجهك للدين) عطف على أن أكون غير أن صلته

أن محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما في الغرض لأن المقصود وصلها بما تضمن معنى المصدر
 لدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب والمعنى وأمرت
 بالاستقامة في الدين والاستعداد فيه بأداء الفرائض والانتها عن القبائح أو في الصلاة
 باستقبال القبلة وقوله (حنفا) حال من فاعل أقم أو من الدين أو من الوجه ومعناه ما مثلا
 مع الدين غير معوج عنه إلى دين آخر وقوله تعالى (ولا تكونن من المشركين) أي ممن يشرك
 بالله في عبادته غيره تهلك خطا بالنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أمته أي ولا تكونن أيها
 الانسان وكذا قوله تعالى (ولا تدع) أي تعبد (من دون الله) أي غيره (مالا يتفعل) أي
 ان عبده (ولا يضرك) ان لم تعبده (فان فعلت) ذلك (فانك اذا من الظالمين) لنفسك لانك
 وضعت العبادة في غير موضعها والظلم وضع الشيء في غير محله فاذا كان ماسوي الحق معزولا
 عن التصرف كان اضافة التصرف الى ماسوي الحق وضعا للشيء في غير موضعه فيكون ظلما
 ولما ذكر تعالى الاوثان وبين أنها لا تقدر على ضرر ولا نفع بين تعالى أنه هو القادر على كل شيء
 وأنه ذو الجود والكرم والرحمة بقوله تعالى (وان يحسبك) أي يصيبك (الله بضر) كفقير
 زمرض (فلا كاشف) أي لا دافع (له الا هو) لانه الذي أنزله بك (وان يردك بخير) كراه وصحة
 (فلا راد) أي دافع (لفضله) أي الذي أراد له (بصيبه) أي بالخير (من يشاء من عباده
 وهو الغفور) أي البليغ الستر للذنوب (الرحيم) أي البائع في الاكرام وقرأ أبو عمرو وقالون
 والكسائي بسكون الهاء والباقون بالضم فرج سبحانه وتعالى جانب الخير على جانب الشر من
 ثلاثة أوجه الاقول أنه تعالى لما ذكر اساس الضربين أنه لا كاشف له الا هو وذلك يدل على أنه
 تعالى يزيل المضار لان الاستثناء من النفي اثبات ولما ذكر الخليل يقل بأنه يدفعه بل قال انه
 لا أراد فضله وذلك يدل على أن الخير مطلوب بالذات وأن الشر مطلوب بالعرض كما قال صلى الله
 عليه وسلم عن ربه تعالى انه قال سبقت رحمتي غضبي الشافي أنه سبحانه وتعالى قال في صفة الخير
 يصيب به من يشاء من عباده وذلك يدل على أن جانب الخير أقوى وأغلب الثالث أنه تعالى
 قال وهو الغفور الرحيم وهذا أيضا يدل على قوة جانب الرحمة وحاصل الكلام في هذه الآية أنه
 سبحانه وتعالى بين أنه منفرد بالخلق واليجاد والتكوين والابداع وأنه لا موجد سواه ولا
 معبود الاياه وأن جميع الممكنات مسندة اليه وجميع الكائنات محتاجة فالأيدي مر فوعة
 اليه والحاجات منتهية اليه والعقول والهة فيه والرحمة والجود فائض منه ولما قرر تعالى
 الدلائل المذكورة في التوحيد والنبوة والمعادوزين أمر هذه السورة بهذه البيانات الدالة
 على كونه تعالى مبتدئا بالخلق والابداع والتكوين والاختراع ختمها بهذه الخاتمة الشريفة
 العالمة ثلاثية لاحد عذر بقوله تعالى (قل) يا محمد (يا أيها الناس) أي الذين أرسلت اليهم
 (قد جاءكم الحق من ربكم) هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق من الله تعالى والقرآن
 فلهيتم لكم عذر (من اهتدى) أي آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وعمل بما في الكتاب (فانما
 يهدي نفسه) لانه اتبع الحق الثابت وقرب الباطل الزائل فانقذ نفسه من النار وأوجب لها

الجنة ثواب اهتدائه لئلا ومن ضل) أى كفر بها أو بشئ منها (فإنما يضل عليها) أى على نفسه لأن
وبالضلالة عليها لأن من ترك الباقي وتمسك بما ليس في يده منه شئ فقد غر نفسه ثم قال صلى الله
عليه وسلم (وما أنا عليكم بوكيل) أى حفيظ أى موكول إلى أمركم وإنما أنا بشير ونذير قال ابن
عباس ر هذه الآية منسوخة بآية السيف قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (واتبع
بأحمد) ما يوحى اليك) بالامتثال والتبليغ (واصبر) أى على دعوتهم وتحمل أذيتهم (حتى
يحكم الله) أى بنصرتك عليهم واطهار دينك وبالامر بالقتال (وهو خير الحاكمين) إذ لا يمكن
الخطأ في حكمه تعالى لاطلاع على السرائر كاطلاعه على الطواهر فحكم بقتل المشركين
والجزية على أهل الكتاب يعطونها عن يدهم صاغرون وأنشد بعضهم في الصبر

سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبرى * وأصبر حتى يحكم الله فى أمرى

سأصبر حتى يعلم الصبر أنى * صبرت على شئ أمرت من الجبر

وروى أن أبا قتادة تخلف عن تلقى معاوية حين قدم المدينة وقد تلقته الانصار ثم دخل المدينة
فقال له مالك لم تلقنا قال لم يكن عند نادواب قال فأين النواضح قال قطعناها فى طلبك وطلب
أبيك يوم بدر وقد قال صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار انكم ستأتون بعدى أثره قال معاوية
فأذا قال قال فاصبر وراحتى تلقوني قال فاصبر قال اذا نصبر فقال عبد الرحمن بن حسان

ألا بلى معاوية من حرب * أمير الظالمين شكلامى

بأنا صابرون فنظروكم * الى يوم التغابن والخصام

وقول البيضاوى تبعا للزنجشبرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس أعطى
من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق يونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون حديث
موضوع

﴿سورة يهود عليه السلام مكية﴾

الا واقم الصلاة الآية والا فلعلك تارك الآية وأنتك يؤمنون به الآية مائة وثلاثون وثلاث
وعشرون آية وكلما ألف وسبعمائة وخمس عشرة وحر وفها سبعة آلاف وستمائة وخمسة
أحرف وعن أبى بكر رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله جعل لك الشيب قال شيبتى هود
وأخواتها الحاقفة والواقعة وعم يساء لون وهل أتاك حديث الغاشية

(بسم الله) أى الذى له تمام العلم وكال الحكمة وجميع القدرة (الرحمن) لجميع خلقه بعموم
البشارة والندارة (الرحيم) لاهل ولايته بالحفظ فى سلوك سبيله وقوله تعالى (الركاب) مبتدا
وخبر أو كتاب خبر مبتدأ محذوف وتقدم الكلام على أوائل السور أو لسورة البقرة وقرأ أبو
عمرو وابن عامر وشعبة وحجزه والكسائى بالامالة والباقون بالفتح وقوله تعالى (أحكمت آياته)
صفة للكتاب وفسر الاحكام بوجوده الاقل أحكمت آياته أى نظمت نظاما محكما لا يقع فيه نقص
ولا خلل كالبناء المحكم المرص ولا يعثره اخلال من جهة اللفظ والمعنى ولا يستطيع أحد

نقض شيء منه ولا الطعن في شيء من بلاغته أو فصاحته الثاني أن الأحكام عبارة عن منع
 الفساد من الشيء فقوله أحكمت آياته أي لم تنسخ بكتاب كما نسخت الكتب والشرائع به كما قال
 ابن عباس الثالث أنها أحكمت بالطبع والدلائل أو جعلت حكمية منقول من حكم بالضم إذا
 صار حكماً لأنها مشتملة على أمهات الحكم النظرية والعملية وقوله تعالى (ثم فصلت) صفة
 أخرى للكتاب أي بينت بالأحكام والقصاص والمواعظ والأخبار وبالآزال نجماً متجمداً أو فصل
 فيها وخلص ما يحتاج إليه أو يجعلها سوراً وقال الحسن أحكمت بالأمر والنهي ثم فصلت بالوعد
 والوعيد * (تنبيه) * معنى ثم في قوله ثم فصلت ليس للتراخي في الوقت لكن في الحال كما تقول
 هي محكمة أحسن الأحكام ثم فصلت أحسن التفصيل وفلان كريم الأصل ثم كريم الفعل
 وقوله تعالى (من لدن حكيم خبير) أي الله تعالى صفة أخرى للكتاب والتقدير الركب من
 حكيم خبير أو خبر به خبر والتقدير الرمن لدن حكيم خبيراً واصله لاحكمت وفصلت أي
 أحكمت وفصلت من لدن حكيم خبير وعلى هذا التقدير قد حصل بين أوائل هذه السورة وبين
 آخرها مناسبة لطيفة كأنه يقول تعالى أحكمت آياته من لدن حكيم وفصلت من لدن خبير
 عالم بكيفيات الأمور وقوله تعالى (أن لا تعبدوا إلا الله) يحتمل وجوهاً الأول أن تكون مفعولاً
 له والتقدير كتاب أحكمت آياته ثم فصلت لاجل أن لا تعبدوا إلا الله الثاني أن تكون
 مفسرة لأن في تفصيل الآيات معنى القول قال الزاوي والجل على هذا أولى لأن قوله تعالى
 وأن اسـتغفروا معطوف على قوله تعالى أن لا تعبدوا فيجب أن يكون معناه أي لا تعبدوا
 ليكون الأمر معطوفاً على النهي فإن كونه بمعنى أن لا تعبدوا يمنع عطف الأمر عليه الثالث
 أن يكون كلاماً مابتداً منقطعاً عما قبله على لسان النبي صلى الله عليه وسلم اغترأ منه على
 اختصاص الله تعالى بالعبادة ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم (أنتى لكم منه) أي الله
 (نذير) بالعقاب على الشرك (وإشير) بالثواب على التوحيد كأنه قيل ترك عبادة غير
 الله تعالى بمعنى أتركوها أنتى لكم منه نذير وإشير كقوله تعالى فضرب الرقاب * (تنبيه) *
 هذه الآية الكريمة مشتملة على أشباه مرتبة الأول أنه تعالى أمر أن لا تعبدوا إلا الله لأن
 ما سواه محدث مخلوق مربوب وإنما حصل بتكوير الله وإيجاده والعبادة عبارة عن
 اظهار الخضوع والخشوع ونهاية التواضع والتسذال وذلك لا يليق إلا بالخالق المدبر الرحيم
 المحسن فثبت أن عبادة غير الله تعالى منكورة المرتبة الثانية قوله تعالى (وان استغفروا
 ربكم) المرتبة الثالثة قوله (ثم توبوا إليه) واختلفوا في بيان الفرق بين هاتين المرتبتين على
 وجوه الأول أن معنى قوله وأن استغفروا أي اطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم ثم بين الشيء
 الذي يطلب به ذلك وهو التوبة فقال ثم توبوا إليه لأن الداعي إلى التوبة والمحرك عليها هو
 الاستغفار الذي هو عبارة عن طلب المغفرة فالاستغفار مطلوب بالذات والتوبة مطلوبة لكونها
 من مهمات الاستغفار وما كان آخرافي الحصول كان أولاً في الطلب فلهذا السبب قدم
 ذكر الاستغفار على التوبة الثاني وأن استغفروا من الشرك والمعاصي ثم توبوا أي أرجعوا

إليه بالطاعة الثالث الاستغفار يطلب من الله تعالى لازالة ما لا ينبغي والتوبة سعي من الانسان
 في ازالة ما لا ينبغي فقدم الاستغفار وليدل على ان المؤمن يجب عليه أن لا يطلب الشيء الا من
 مولاه فانه هو الذي يقدر على تحصيله ثم بعد الاستغفار ذكر التوبة لانها عمل يأتي به الانسان
 ويتوسل به الى دفع المكروه والاستعانة بفضل الله تعالى تقدم على الاستعانة بسعي النفس
 ثم انه تعالى لما ذكر هذه المراتب الثلاثة ذكر بعدها ما يرتب عليها من الاستنارة المطلوبة ومن
 المعالوم ان المطالب محصورة في نوعين لانه انما يكون حبه ولها في الدنيا وفي الآخرة اما المنافع
 الدنيوية فهي المرادة من قوله تعالى (بمعمكم منا عا حسنا) أي بطيب عيش وسعة رزق (الى أجل
 صميمي) وهو الموت (فان قيل) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر
 وقال أيضا خصص البلاء بالانبياء ثم الارباب ثم الامثل فالامثل وقال تعالى ولولا أن يكون
 الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحن لبيوتهم سفحاً من فضة فهذه النصوص دالة على أن
 نصيب المشتغل بالطاعات في الدنيا هو الشدة والبليّة ومقتضى هذه الآية أن نصيب المشتغل
 بالطاعات الراحة في الدنيا فكيف يجمع بينهما (أجيب) بأن المشتغل بعبادة الله ومحبه مشغول
 بحب شيء يمتنع تغيره وزواله وبقاؤه فكما كان امعانه في ذلك الطريق أكثر ووقعه فيه أتم كان
 انقطاعه عن الخلق أتم وأكمل وكلما كان الكمال في هذا الباب أكثر كان الابتهاج والسرور
 أكمل لانه أمن من تغير مطلوبه وأمن من زوال محبوه وأما من كان مشتغلاً بحب غير الله كان
 أي في ألم الخوف من فوات المحبوب وزواله وكان عيشه منعصاً وقلبه مضطرباً ولذلك قال تعالى
 في صفة المشتغلين بخدمته فلنصيبه حياة طيبة وقيل المراد بالمتاع الحسن عدم العذاب
 بعذاب الاستئصال كما استأصل أهل القرى الذين كفر واوسى سبحانه وتعالى منافع الدنيا
 بالمتاع لاجل التنبيه على حقايرها وقلتها ونبه تعالى على كونها منقضية بقوله تعالى الى أجل
 مسمى فصار هذه الآية دالة على كونها حقيرة خسيسة منقضية وأما المنافع الاخرية فقد
 ذكرها تعالى بقوله تعالى (ويؤت) أي في الآخرة (كل ذي فضل) أي في العمل (فضله)
 أي جزاءه لان مراتب السعادة في الآخرة مختلفة لانها متقدرة بمقدار الدرجات الحاصلة
 في الدنيا فلما كان الاعراض عن غير الحق والاقبال على عبودية الحق درجات غير متناهية
 فكذلك مراتب السعادات الاخرية غير متناهية فلهذا السبب قال تعالى ويؤت كل ذي
 فضل فضله وقال أبو العالمة من كثرت طاعاته في الدنيا زادت درجاته في الآخرة وقال ابن عباس
 من زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن زادت سيئاته على حسناته دخل النار ومن
 استوت سيئاته وحسناته كان من أهل الاعراف ثم يدخلون الجنة وقال ابن مسعود من عمل
 سنة كتبت له سنة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فان عوقب بالسيئة التي عملها
 في الدنيا بقيت له عشر حسنات وان لم يعاقب بها في الدنيا أخذ من حسناته العشر واحدة وبقي له
 تسع حسنات ثم يقول ابن مسعود هلك من غلب آجاده أعشاره وقوله تعالى (وان تولوا) فيه
 حذف احدي التامين أي وان تعرضوا عما جنتكم به من الهدى (فاني) أي قتل لهم الفى (أخاف

عليكم عذاب يوم كبير) هو يوم القيامة وصف بالكبر كما وصف بالعظم والنقل وقيل يوم الشدايد
 وقد يتلوا بالقطع حتى أكلوا الجيف (الى الله مرجعكم) أى رجوعكم في ذلك اليوم فيثيب
 الحسن على احسانه ويعاقب المسيء على اسائه (وهو على كل شئ قدير) أى قادر على جميع
 المقدورات لا دافع لقضائه ولا مانع لمشيئته ومنه الثواب والعقاب وفي ذلك دلالة على قدرة
 عالية وحلافة عظيمة لهذا الحاكم وعلى ضعف لهذا العبد والملاك القاهر العالى اذا رأى عاجزا
 مشرفا على الهلاك فانه يخلصه من الهلاك ومنه المثل المشهور وملكت فأصبح أى فاعف يقول
 مصنف هذا الكتاب قد أنفقت عمري في خدمة العلم ومطالعة الكتب ولا رجاء لى فى شئ الا
 أنى غاية الذلة والقصور والكره اذ اقدر عفا فأسألك يا كرم الاكرمين وأرحم الراحمين
 ونسأترعيوب المعيوبين أن تفيض بهال رحمتك على وعلى والدى وأولادى واخوانى
 وأحبابى وأن تخصصنى واباهم بالفضل والتجاوز والجود والكره واختلفوا فى سبب نزول قوله
 تعالى (الا انهم يتنون صدورهم) فقال ابن عباس نزلت فى الاخس بن شريق وكان رجلا حلو
 الكلام حلوا المنظر يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحب وينطوى بقلبه على ما يكره فعنى
 قوله تعالى يتنون صدورهم يخفون ما فى صدورهم من الشحنة والعداوة وقال عبد الله بن
 شداد نزلت فى بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره
 وطأ طأ رأسه وغطى وجهه كى لا يراه النبي صلى الله عليه وسلم وقال قتادة كانوا يخفون ظهورهم
 كى لا يسمعوا كلام الله تعالى ولا ذكره وروى البخارى عن ابن عباس أنها نزلت فىمن كان يسخى
 أن يتخلى أو يجامع فيفضى الى السماء وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرسخه
 ويتغشى ثوبه ويقول هل يعلم الله ما فى قلبى وقال السدى يتنون صدورهم أى يعرضون
 بقلوبهم من قولهم ثبت عنانى (ليستخفوا منه) أى من الله تعالى بسرهم فلا يطلع رسول الله
 صلى الله عليه وسلم والمؤمنون عليه وقيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قيل أنها نزلت فى
 طائفة من المشركين قالوا ان أرحمنا علينا ستورا واستغثنا ثيابا باطونا صدورنا على عداوة
 محمد كيف يعلم (الاحين يستغشون ثيابهم) أى بأورون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم (يعلم)
 تعالى (مايسرون) فى قلوبهم (وما يعلنون) بأفواههم أى أنه لا تفاوت فى علمه تعالى بين
 اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون من الاخفاء (انه) تعالى (علم بذات
 الصدور) أى بالقلوب وأحوالها ولما علم تعالى أنه يعلم مايسرون وما يعلنون أرفه بما يدل على
 كونه عالما بجميع المعلومات بقوله تعالى (وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها) فذكر
 تعالى ان رزق كل حيوان انما يصل اليه من الله تعالى فلعلم يكن عالما بجميع المعلومات لما
 حصلت هذه المهمات والدابة اسم لكل حيوان دب على وجه الارض ولا شك ان أقسام
 الحيوانات وأنواعها كثيرة وهى الاجناس التى تكون فى البر والبحر والجبال والله تعالى
 عالم بكلية طباعها واعضاءها وحوالها وأغذيتها ومساكنها وما وافقها ويخالفها فالله
 البدر لا طباع السموات والارض ولطبائع الحيوانات والنبات كيف لا يكون عالما بأحوالها

روى أن موسى عليه السلام عند نزول الوحي عليه تعلق قلبه بأحوال أهله فأمره الله تعالى أن
 يضرب عصاه على صخرة فانشقت وخرج منها صخرة ثانية ثم ضرب عصاه عليها فانشقت وخرج
 منها صخرة ثالثة ثم ضرب عصاه عليها فانشقت فخرجت منها دودة كالذرة وفي فيها شئ يجري
 مجرى الغذاء لها ورفع الله تعالى العجاب عن سماع موسى عليه السلام فسمع أن الدودة كانت
 تقول سبحان من يراني ويسمع كلامي ويعرف مكاني ويذكرني ولا ينساني (فان قيل) ان كلمة على
 للوجوب فيدل على ان اوصول الرزق الى الدابة واجب على الله تعالى (أجيب) بأنه تعالى انما
 أتى بذلك تحقيقاً لوصوله بحسب الوعد والفضل والاحسان وجلا على التوكل فيه وفي هذه
 الاية دليل على ان الرزق قد يكون حراماً لانه ثبت ان اوصول الرزق الى كل حيوان واجب
 على الله تعالى بحسب الوعد والله تعالى لا يخبله ثم قدرني ان انساناً لا يأكل من الحلال طول
 عمره فلو لم يكن الحرام رزقاً لكان الله تعالى ما أوصل رزقه اليه فيصكون الله تعالى قد أدخل
 بالواجب وذلك محال فقلنا ان الحرام قد يكون رزقاً (ويعلم) تعالى (مستقرها) قال ابن عباس
 هو المكان الذي تأوى اليه وتستقر فيه ليلاً ونهاراً (ومستودعها) هو الذي تدفن فيه اذا
 ماتت وقال عبد الله بن مسعود المستقر أرحام الامهات والمستودع المكان الذي تموت فيه
 وقال عطاء المستقر أرحام الامهات والمستودع أصلاب الاباء وقيل الجنة أو النار والمستودع
 القبر لقوله تعالى في صفة الجنة والنار حسنت مستقر اوساءت مستقر اومقاما ولا مانع أن
 يفسر ذلك بهذا كله (كل) أي كل واحدة من الدواب ووزقها ومستقرها ومستودعها (في
 كتاب) أي ذكرها مثبت في اللوح المحفوظ (مبين) أي بين كما قال تعالى ولا تطب ولا يابس الا
 في كتاب مبين ولما أثبت تعالى بالدليل المتقدم كونه عالماً بالعلومات أثبت كونه تعالى قادراً
 على كل القدرات بقوله تعالى (وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام) أي من
 أيام الدنيا أو لها الاحد وأخرها الجمعة وتقدم الكلام على تفسير ذلك في سورة الاعراف (وكان
 عرشه على الماء) قال كعب خلق باقوته خضراء ثم نظر اليها بالهيبه فصارت ما يرتعد ثم خلق
 الريح فجعل الماء على منها ثم وضع العرش على الماء وقال أبو بكر الاصم ومعنى قوله تعالى
 وكان عرشه على الماء كقولهم السماء على الارض وليس ذلك على سبيل كون أحدهما ملتصقا
 بالآخر وقال حمزة ان الله عز وجل كان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وخلق
 القلم فكتب به ما هو خالقه وما هو كائن من خلقه ثم ان ذلك الكتاب سبح الله تعالى ومجده
 ألف عام قبل أن يخلق شيئاً من خلقه ففي هذا دلالة على كمال قدرته تعالى لان العرش مع كونه
 أعظم من السموات والارض كان على الماء وقد أسسكه الله تعالى من غير دعامة تحته ولا علاقة
 فوقه وقوله تعالى (ليسألكم) متعلق بخلق أي خلقها وما فيها منافع لكم ومصالح ليجتبركم وهو أعلم
 بكم منكم (أيكم أحسن عملاً) أي أطوع لله وأورع عن محارم الله وهذا الصيام الخيرة عليهم وقد
 مر أمثال ذلك ولما بين تعالى أنه انما خلق هذا العالم لاجل ابتلاء المكلفين وامتحانهم وهذا
 يوجب القطع بمصون الحشر والنشر لان الابتلاء والامتحان يوجب تخصيص المحسن بالرحمة

والثواب وتخصيص المسمى بالعقاب وذلك لا يتم الا مع الاعتراف بالمعاد والقيامه خاطب تعالى
 محمد صلى الله عليه وسلم فقال جلا وعلا (ولئن قلت) يا محمد لهؤلاء الكفار من قومك (انتم
 مبعوثون من بعد الموت) أى للعسب والحزاء (ليقولن الذى كفر وان) أى ما (هكذا) أى
 القرآن بالبعث أو الذى تقوله (الاصحرومين) أى بين وقرأ حمزة والكسائى: بفتح السين وألف
 بعدها وكسر الحاء فيكون ذلك راجعا للنبي صلى الله عليه وسلم والباقون بكسر السين وسكون
 الحاء ولما حكى تعالى عن الكفار أنهم يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم حكى عنهم نوعا آخر
 بقوله تعالى (ولئن أخرجنا عنهم العذاب الى) محيى (أمة) أى جماعة من الاوقات (معدودة) أى
 قليلة (ليقولن) أى استهزاء (ما يحبسهم) أى ما يمنعهم من الوقوع قال الله تعالى (الايوم بأثمهم)
 كيوم بدر (ليس مصروفا) أى مدفوعا العذاب (عنهم وحق) أى نزل (بهم) من العذاب
 (ما كانوا يستهزؤن) أى الذى كانوا يستهزؤن فوضع يستهزؤن موضع يستهجلون لأن
 استهجالهم كان استهزاء (فان قيل) لم قال تعالى وحق على لفظ الماضى مع أن ذلك لم يقع
 (أجيب) بأنه وضع الماضى موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة فى التأكيذ والتقرير والتهديد
 ولما ذكر تعالى أن عذاب الكفار وان تأخر الأثم لا بد وأن يحق بهم ذكر بعده ما يدل على كفرهم
 وعلى كونهم مستحقين لذلك العذاب بقوله تعالى (ولئن أذقنا) أى أعطينا (الإنسان) أى
 الكافر (منارحة) أى نعمة كفى وصحة بحيث يجد لذتها (ثم نزعناها) أى سلبنا تلك النعمة
 (منه انه ليؤس) أى فنوط من رحمة الله تعالى لقله صبره وعدم ثقته به (كفور) أى سجود
 لنعمتنا عليه وأما المسلم الذى يعتقد أن تلك النعمة من جود الله تعالى وفضله واحسانه فانه
 لا يحصل له اليأس بل يقول لعله تعالى يردها على بعد ذلك أحسن وأكل وأفضل مما كانت (ولئن
 أذقناه) أى الكافر (نعماء بعد ضراء مسته) كنعمة بعد سقم وغنى بعد عدم وفى اختلاف الفعلين
 وهما أذقناه ومستته من حيث الاسناد اليه تعالى فى الاول والى الضراء فى الثانى نكتة عظيمة
 وهى أن النعمة صادرة من الله تعالى تفضلا منه لخبر ما أحديدخل الجنة البرجحة الله تعالى
 قبل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا والضرر صادر من العبد كسبب الاله السبب فيه باجته الاله اياه
 بالمعاصى غالب القوله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ولا ينافى
 ذلك قوله تعالى قل كل من عند الله فان الكل منه ايجادا غير أن الحسنه احسان وامتحان
 والسيئة مجازاة وانتقام لخبر ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكه يشا كلها وحق
 انقطاع شسع لعله الا بذب وما يعفو الله أكثر (ليقولن) أى الذى أصابه العفة والغنى
 (ذهب السيئات) أى المصائب التى أصابتى (عنى) ولم يتوقع زوالها ولا يشكر عليها (انه لفرح)
 أى فرح بطر (خورد) على الناس بما أذاقه الله تعالى من نعمائه وقد شغله الفرح والفرح عن
 الشكر فبين سبحانه وتعالى فى هذه الآية أن أحوال الدنيا غير باقية بل هى أبدا فى التغير والزوال
 والتحول والاتقال فان الانسان اما أن يتحول من النعمة الى المحنة ومن اللذات الى الآفات
 كالقسم الاول واما أن يكون بالعكس من ذلك وهو أن ينقل من المكروه الى المحبوب كالقسم

الثاني ولما بين تعالى أن الكافر عند الابتلاء لا يكون من الصابرين وعند الفوز بالنعمة لا يكون
 من الشاكرين بين حال المتقين بقوله تعالى (الآ) أي لكن (الذين صبروا) على الضراء وعملوا
 الصالحات) أي في النعمة أي فأنهم ان أصابهم شدة صبروا وان نالتهم نعمة شكروا (وأولئك
 لهم مغفرة وأجر كبير) فجمع لهم تعالى بين هذين المطولين أحدهما زوال العقاب واخلاص
 منه وهو المراد من قوله تعالى لهم مغفرة والثاني الفوز بالنواب ودخول الجنة وهو المراد
 من قوله تعالى وأجر كبير (فلعلك) يا محمد (تارك بعض ما يوحى إليك) فلا تبلغهم أيام ليلتهم
 به فأنهم كانوا يستهزئون بالقرآن ويضحكون منه وقرأ حمزة والكسائي بالأمانة محضة وورش بين
 اللظنين والباقون بالفتح (وضائق به صدرك) أي تلاوته عليهم لاجل (أن يقولوا لولا) أي
 هلا (أنزل عليه كثر) ينفضه في الاستبعا كالملوك (أو جاء معه ملك) ويصدقه كما اقترنا وروى
 عن ابن عباس أن رؤساء مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهباً ان كنت رسولا وقال
 آخرون أنت يا ملائكة ليشهدوا بنبوتك فقال لا أقدر على ذلك فنزل (انما أنت نذير) فلا عليك
 الا البلاغ الا الايات بما اقترحوه (والله على كل شيء وكيل) فتوكل عليه انه عالم بحالهم وفاعل
 بهم جزاء أقوالهم وأفعالهم (أم) أي بل (يقولون) كفار مكة (اقترأه) أي اخلفه من تلقاه
 نفسه وليس هو من عند الله قال الله تعالى (قل) لهم يا محمد (فأنا بعبث سور منسله) في البيان
 وحسن انتظم (مفريات) فانكم عريون مثلي قال ابن عباس هذه السور التي وقع بها هذا
 التحدى معينة وهي سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف
 والانتقال والتوبة ويونس وهود وقيل التحدى وقع عطلق السور وهو متقدم على التحدى
 بسورة واحدة والتحدى بسورة واحدة وقع في سورة البقرة وفي سورة يونس اما تقدم هذه
 السورة على سورة البقرة فظاهراً لان هذه السورة مكية وسورة البقرة مدنية وأما في سورة يونس
 فلان كل واحدة من هاتين السورتين مكية فتكون سورة هود متقدمة في النزول على سورة
 يونس كما قاله الرازي وأنكر المبرد هذا وقال بل سورة يونس أولا وقال معنى قوله في سورة يونس
 فأنا بسورة مثله أي مثله في الخبر عن القيب والاحكام والوعد والوعيد فجزء افتقال لهم
 في سورة هود ان مجزتم عن الايات بسورة مثله في الاخبار والاحكام والوعد والوعيد فأنا
 بعشر سور من غير وعد ولا وعيد وانما هي مجزء البلاغة (وادعوا) أي وقل لهم يا محمد ادعوا
 للمعاونة على ذلك (من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) في أنه مفترى والضمير في قوله
 تعالى (فان لم يستجيبوا لكم) أي بايات ما دعوتهم اليه للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين
 لانه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا يتحدوهم وقال تعالى في موضع آخر فان لم يستجيبوا
 لك فاعلم والتعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم (فاعلموا انما أنزل) ملتبسا (بعلم الله) أي بما
 لا يعلمه الا الله تعالى من نظم مجزء الخلق واخبار بغيوب لاسيما لهم اليه ولا يقدر عليه سواه
 وقوله تعالى (وان) مخففة من الثقيلة أي وانه (لا اله الا هو) وحده وان توحده واجب
 والاشراية ظلم عظيم (فهل أنتم مسلمون) أي ثابتون على الاسلام راعون مخلفون فيه اذ

بحقق عندهم أمجازه مطلقا وقيل الخطاب للمشركين والضعيف لم يستجيبوا لمن استطعم أي فأن
 لم يستجيب لكم من تدعونه من دون الله إلى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وأن طاعتهم
 أقصر من أن تبلغه فاعلموا أنه منزل من عند الله وأن مادعاكم إليه من التوحيد حق فهل
 أنتم بعد هذه الحجة القاطعة مسلمون أي أسلوا وفي مثل هذا الاستفهام إيجاب بليغ لما فيه من
 معنى الطاب والتبسيه على قيام الموجب وزوال العذر واختلف في سبب نزول قوله تعالى
 (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) أي بعمله الذي يعمل من أعمال البر (نوف اليهم أعمالهم) أي
 التي عملوها من خير كصدقة وصله رحم (فيها) أي في الدنيا (وهم فيها لا يبخسون) أي توصل اليهم
 أجورا أعمالهم واقية كاملة من غير يخس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرياسة وسعة
 الرزق وكثرة الأولاد ونحو ذلك (وأولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط) أي بطل
 (ما صنعوا) أي عملوا (فيها) أي الآخرة فلا ثواب لهم (وباطل ما كانوا يعملون) لأنه لغير الله
 تعالى فقال مجاهد نزلت في أهل الرياء قال صلى الله عليه وسلم إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك
 الأصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر قال الرياء والرياء هو أن يظهر الإنسان الأعمال
 الصالحة ليعمده الناس ويعتقدوا فيه الصلاح فهذا هو العمل الذي لغير الله تعالى فعوذ بالله من
 الخذلان وقال أكثر المفسرين إنهم نزلت في الكافر وأما المؤمن فيريد الدنيا والآخرة وادته
 الآخرة غالبه فيجازي بحسناته في الدنيا ويناب عليها في الآخرة وعن أنس أن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قال إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يناب عليها في الدنيا ويجزي بها في الآخرة
 وأما الكافر فيطم بحسناته في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يعطى بها خيرا
 وقيل نزلت في المنافقين الذين يطلبون بغزوهم مع النبي صلى الله عليه وسلم الغنائم من غير أن
 يؤمنوا بالآخرة وثوابها وقيل في اليهود والنصارى وهو منقول عن أنس وما ذكره تعالى الذين
 يريدون بأعمالهم الحياة الدنيا ويزنتهاذ كمن كان يريد بعمله وجهه الله تعالى والدار الآخرة
 بقوله تعالى (أفمن كان على بينة من ربه) قيل هو النبي صلى الله عليه وسلم والبينه هي القرآن
 (ويتلوه) أي يتبعه (شاهد) يصدقه (منه) أي من الله تعالى وهو جبريل عليه السلام (ومن
 قبله) أي القرآن (كتاب موسى) وهو التوراة شاهده أيضا وقوله تعالى (أماما) أي كتابا مؤتمنا
 به في الدين (ورجحة) أي على المنزل عليهم لانه الوصلة إلى الفوز بمعادة الدارين حال من كتاب
 موسى والجواب محذوف لظهوره والتقدير أفمن كان على بينة من ربه كمن يريد الحياة الدنيا
 ويزينتها وليس لهم في الآخرة إلا النار ليس مثله بل بينهم تفاوت بعيد وتباين بين وقيل هو من
 آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره والمزاد بالبينه هو البيان والبرهان والمراد بالشاهد هو
 القرآن ومنه أي من الله ومن قبله كتاب موسى أي ويتلو ذلك البرهان من قبل محي القرآن
 كتاب موسى أي في دلالته على هذا المطلوب لافي الوجود قال الرازي وهذا القول هو الاظهر
 لقوله تعالى (أولئك يؤمنون به) وهذه صفة جمع ولا يجوز رجوعه إلى محمد صلى الله عليه وسلم
 انتهى ويجوز أن تكون للتعظيم لوله صلى الله عليه وسلم ومن تبعه ورعا يكون هذا أولى كما

جرى عليه بعض المفسرين والاشارة الى من كان على بينة والضعير فيه للقرآن واذا كان هذا
 الفريق ليس له في الآخرة النار فهذا الفريق ليس له في الآخرة الا الجنة (ومن يكفر به) أى
 بالنبي صلى الله عليه وسلم والقرآن (من الاحزاب) أى اصناف الكفار فيدخل فيهم اليهود
 والنصارى والمجوس (فالتار موعده) يعنى في الآخرة روى سعيد بن جبير عن أبى موسى ان
 النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يسمع بي يهودى ولا نصرانى فلا يؤمن بي الا كان من أهل النار
 قال أبو موسى فقلت في نفسي ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول مثل هذا الا عن القرآن
 فوجدت الله تعالى يقول ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده قال بعض العلماء ولما دلت
 الآية على أن من يكفر به كانت النار موعده دل على أن من لا يكفر به كانت الجنة موعده
 وقوله تعالى (فلا تأكف في مرتبة) أى في شك (منه) أى القرآن أو الموعد (انه الحق من ربك)
 الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط ويؤيد ذلك
 قوله تعالى (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) أى لا يصدقون بما أوحينا اليك أو بأن
 موعده الكفار النار ثم وصف الله تعالى هؤلاء المنكرين الجاحدين بصفات كثيرة في معرض
 الذم الصفة الاولى كونهم مفترين على الله كما قال تعالى (ومن) أى لا أحد (أظلم ممن افترى
 على الله كذبا) بنسبة الشريك والولد اليه أو أسند اليه ما لم ينزله أو نفي عنه ما أنزله الصفة
 الثانية أنهم يعرضون على الله تعالى في موقف الذل والهوان كما قال تعالى (أو لئن يعرضون
 على ربهم) أى يوم القيامة (فان قبل) هم لا يختصون بهذا العرض لان العرض عام في كل
 العباد كما قال تعالى وعرضوا على ربك صفا (أجيب) بأنهم يعرضون فيقتضون بشهادة
 الاشهاد عليهم كما قال تعالى (ويقول الا شهداء هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) فيحصل لهم من
 الخزي والنكال ما لا يحسد عليه وهذه هي الصفة الثالثة واختلف في هؤلاء الا شهداء فقال مجاهد
 هم الملائكة الذين يحفظون أعمالهم عليهم في الدنيا وقال متنازل هم الناس كما يقال على رؤس
 الاشهاد أى على رؤس الناس وقال قوم هم الانبياء كما قال تعالى فلتسألن الذين أرسل اليهم
 ولتسألن المرسلين والقائدة في اعتبار قول الا شهداء المبالغة في اظهار الفضيحة (فان قيل)
 العرض على الله يقتضى أن يكون الله تعالى في حيز وهو تعالى منزعه عن ذلك (أجيب) بأنهم
 يعرضون على الاماكن المعدة للحساب والسؤال أو يكون ذلك عرضا على من يوجب بأمر الله
 تعالى من الانبياء والمؤمنين والاشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب أو جمع شهيد
 كشريف وأشرف قال أبو علي الفارسي وكان هذا أرجح لان ما جاء من ذلك في التنزيل جاء
 على فاعل كقوله تعالى وجئناك شهيدا على هؤلاء وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال ان الله تعالى يدين المؤمن يوم القيامة فيستره من الناس فيقول أى عبدى تعرف
 ذنب كذا وكذا فيقول نعم حتى اذا قرره بذنوبه قال تعالى سترتها عليك في الدنيا وقد سترتها لك
 اليوم ثم يعطى كتاب حسناته وأما الكافر والمنافق فتقول الا شهداء هؤلاء الذين كذبوا على ربهم
 ولما أخبر الله تعالى عن حالهم في عقاب القيامة أخبر عن حالهم في الحال بقوله تعالى (الآلعة)

الله على الظالمين) فبين تعالى انهم في الحال ملعونون من عند الله وهذه هي الصفة الرابعة
 ثم وصفهم بالصفة الخامسة بقوله تعالى (الذين يصدون عن سبيل الله) أي دينه ثم وصفهم
 بالصفة السادسة بقوله تعالى (ويغوونها) أي يطلدون السبيل (عوجاً) أي معوجة أي كأنهم
 ظلوا أنفسهم بالترام الكفر والضلال فقد أضافوا اليه المنع من الدين الحق والقاء الشبهات
 وتعويج الدلائل المستقيمة لانه لا يقال في العاصي انه يسعي عوجاً وانما يقال ذلك فيمن يعرف
 كيف الاستقامة وكيفية العوج بسبب القاء الشبهات وتقرير الضلالات ثم وصفهم بالصفة
 السابعة بقوله تعالى (وهم) أي والحال انهم (بالآخرة هم كافرون) وتكرر لفظهم لتأكيد
 كفرهم وتوعظهم فيه الصفة الثامنة كونهم عاجزين عن الفرار من عذاب الله كما قال تعالى
 (أولئك لم يكونوا معجزين في الارض) أي ما كانوا معجزين في الدنيا أن يعاقبهم اذ لا يمكنهم
 أن يهربوا من عذابه فان هرب العبد من عذاب الله تعالى محال لانه تعالى قادر على جميع
 المكئات ولا تتفاوت قدرته بالقرب والبعد والقوة والضعف الصفة التاسعة انهم ليس لهم
 أولياء يدفعون عقاب الله تعالى عنهم كما قال تعالى (وما كان لهم من دون الله) أي غيره (من
 أولياء) أي أنصار ينعونهم من عذابه الصفة العاشرة مضاعفة العذاب كما قال تعالى
 (يضاعف لهم العذاب) أي بسبب اضلالهم غيرهم وقيل لانهم كفروا بالله وكفروا بالبعث
 والنشور الصفة الحادية عشرة قوله تعالى (ما كانوا يستطيعون السمع) قال قتادة صم عن سماع
 الحق فلا يسمعون خيراً فينتعون به (وما كانوا يبصرون) خيراً فيأخذوا به قال ابن عباس أخبر
 الله تعالى انه أحال بين أهل الشرك وبين طاعة الله تعالى في الدنيا وفي الآخرة أما في الدنيا فانه قال
 ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وأما في الآخرة فانه قال فلا يستطيعون خاشعة
 أبصارهم الصفة الثانية عشرة قوله تعالى (أولئك الذين خسروا أنفسهم) فانهم اشترى عبادة
 الآلهة بعبادة الله تعالى فكان مصيرهم الى النار المؤبدة عليهم وذلك أعظم وجوه الخسران
 الصفة الثالثة عشرة قوله تعالى (وضل) أي غاب (عنهم ما كانوا يفترون) على الله تعالى من
 دعوى الشرك وان الآلهة تشفع لهم الصفة الرابعة عشرة قوله تعالى (لاجرم أنهم في الآخرة
 هم الا خسرون) أي لا أحد أبين وأكثر خسراناً منهم * (وتنبه) * قال القراء ان لاجرم بمنزلة
 قولنا لا بد ولا محالة ثم كثر استعمالها حتى صارت بمنزلة حقا تقول العرب لاجرم انك محسن
 على معنى حقا انك محسن وقال الزجاج ان كلمة لا تفي لما ظنوا أنه ينفعهم وجرم معناه كسب
 ذلك الفعل والمعنى لا ينفعهم ذلك وكسب ذلك الفعل لهم الخسران في الدنيا والآخرة قال
 الأزهرى وهذا من أحسن ما قيل في هذا الباب وقال سيبويه لا رد على أهل الكفر كما رد وجرم
 معناه أحق والمعنى أنه أحق كفرهم وقوع العذاب والخسران بهم واحتج سيبويه بقول الشاعر
 ولقد طعنت أبا عينه طعنة * جرمت فزاره بعدها أن يغضبوا
 أراد أذ حققت الطعنة فزاره أن يغضبوا * ولما ذكر تعالى عقوبة الكفار وخسرانهم اتبعه
 بذكر أحوال المؤمنين في الدنيا ويرجعهم في الآخرة بقوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا

الصالحات وأخبتوا الى ربهم) أى اطعوا نوا اليه وخشعوا اليه اذا الاخبات فى اللقمة هو
 الخشوع والخضوع وطعاً بقية القلب ويتعدى بالى وباللام فاذا قلت أخبت فلان الى كذا
 فعناء اطعاً نوا اليه واذا قلت أخبت له فعناء خشع وخضع له فقولته تعالى ان الذين آمنوا وعملوا
 الصالحات اشارة الى جميع عمل الجوارح وقوله تعالى وأخبتوا اشارة الى أعمال القلوب وهى
 الخشوع والخضوع لله تعالى وان هذه الاعمال الصالحة لاتمتنع فى الآخرة الا بصحصول أعمال
 القلب وهى الخشوع والخضوع (أولئك) أى الذين هذه صفتهم (أصحاب الجنة هم خالدون)
 فأخبر تعالى عن حالهم فى الآخرة بأنهم من أهل الجنة التى لا انقطاع لنعيمها ولا زوال * ولما ذكر
 سبحانه وتعالى أحوال الكفار وما كانوا عليه من العصى عن طريق الحق ومن الضم عن
 معاصه وذكر أحوال المؤمنين وما كانوا عليه من البصيرة وسماع الحق والانقياد للطاعة ذكر
 فيها ما مثالا مطابقا بقوله تعالى (مثل) أى صفة (الفرحين) أى الكفار والمؤمنين (كالاغنى
 والاصم) هذا مثل الكافر شبه بالاعى لتعاميه عن آيات الله وبالاصم لتصاميه عن استماع
 كلام الله تعالى وتأسيه عن تدبر معانيه (والبصير والسميع) هذا مثل المؤمن شبه بالبصير
 والسميع لأن أمره بالضم من الكافر فيكون كل منهما مشابهاً بتأثيره عن بصيرته أو سميجه
 الكافر بالجامع بين العنى والضم والمؤمن بالجامع بين ضميمه على أن تكون الواو فى الاضم
 وفى السميع لغطف الصفة على الصفة بخلافه على التشبيه الا فى الغطف الموصوف على
 الموصوف ويعبر عنه بعطف الذات على الذات (هل يستويان) أى هل يستوى القرينان
 (مثلاً) أى تشبيها لا يستويان ويصح أن يكون مثلاً صفة لصند ويحذف أى استواء مثلاً وأن
 يكون حالاً من فاعل يستويان وقوله تعالى (أفلاتنكرون) فيه ادغام التاء فى الاصل فى الذا لى
 متعقلون بضرب الامثال والتأمل فيها وقرأ حفص وجزء والكسائى تخفف الذا لى والباقون
 بالتشديد وقد جرت عادة الله تعالى بأنه اذا أورد على الكفار أنواع الدلائل اتبعها بالقصص
 ليعرذ كرهاً وكذلك الدلائل وفى هذه السورة ذكر أنواعاً من القصص القصص الاولى قصة
 نوح عليه السلام المذكورة فى قوله تعالى (واقدا أرسلنا نوحاً الى قومه) وقوله (اننى لكم) قرأه
 ابن كثير وأبو عمرو والكسائى بفتح الهمزة أى بأنى والباقون بكسرها على اعادة القول
 (بذيربين) أى بين التذارة أخوف من الاقاب لمن خالف امر الله تعالى وقوله (أن لاتعبدوا الا
 الله) بدل من انى لكم أو يفعلون معنى (اننى أخاف عليكم) أى ان عبدتم غيره (عذاب يوم
 أليم) أى مؤلم موجع فى الدنيا والآخرة قال ابن عباس بعث نوح بهدأ أربعين سنة ولبت يدعوا
 قومه تسعاً مائة وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة
 وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعاً مائة وخمسين سنة وعاش بهدأ
 الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره ألف سنة وأربعمائة وخمسين ولما حكى تعالى
 عن نوح عليه السلام أنه دعا قومه الى هداية الله تعالى حكى عنهم أنهم دعوتوا فى نبوته ثلاثة
 أنواع من التشبهات بقوله تعالى (فقال هؤلاء الذين كفروا من قومه) وهم الاثريانى (ما نراك

الا بشرامتنا) هذه الشبهة الاولى اى انك بشر مثلنا لاجزيتك علينا تنخصك بالنبوة ووجوب
 الطاعة وانما فالوا هذه المقالة وتمسكوا بهذه الشبهة جهلا منهم لان الله تعالى اذا اصطفى عبدا
 من عباده وأمره بنبوته ورسالته وجب على من أرسله اليهم اتباعه الشبهة الثانية ما ذكره
 الله تعالى عنهم بقوله تعالى (ومازالنا تبعك الا الذين هم أراد لنا) اى أسأفنا كالحاكمة وأهل
 الصنائع الخسيسة وهو جمع أرذل بفتح الهمزة كقوله تعالى أ كبر بحجر ميها وقوله صلى الله عليه
 وسلم أحاسنكم أخلاقا أوجع أرذل بضم الذا لى جمع رذل بسكونها فهو على الاول جمع مفرد
 وعلى الثانى جمع جمع ثم قالوا ولو كنت صادقا لاتبعتك الا لكابر من الناس والاشراف منهم
 وانما فالوا ذلك جهلا منهم أيضا لان الرفعة بالدين واتباع الرسول لا بالنصاب العالية والمال
 (بادى الرأى) اى اتبعوك فى أول الرأى من غير تثبت وتفكير فى أمرك ولو تفكرت واما اتبعوك
 ونصبه على الظرف اى وقت حدوث أول رأىهم وقرأ أبو عمرو وبادى بهمزة مفتوحة بعد
 الدال والباقون بياء مفتوحة وأبدل السوسى همزة الرأى ألفا وفسا ووصلا واما جمزة
 فأبدلها وفسا لا وصلا الشبهة الثالثة ما ذكره الله تعالى عنهم فى قوله تعالى (وما نرى لكم)
 اى لك ولن اتبعك (علينا من فضل) اى بالمال والشرف والجاه تستحقون به الاتباع منا
 وهذا أيضا جهل منهم لان الفضيلة المعتبرة عند الله تعالى بالإيمان والطاعة لا بالشرف
 والرياسة وقولهم (بل نطلبكم كاذبين) خطاب لنوح عليه السلام فى دعوى الرسالة وأدجروا
 قومه معه فى الخطاب وقيل خاطبوه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم وقيل كذبوه فى دعوى
 النبوة وكذبوا قومه فى دعوى العلم بصدقه فغلب الخطاب على الغائبين وما ذكرناه هذه الشبهة
 لنوح عليه السلام (قال لهم يا قوم أرايتم) اى أخبروني (ان كنت على بينة) اى نبوة
 ورسالة (من ربى وانى رجة) اى نبوة ورسالة (من عنده) من فضله واحسانه (فعميت)
 اى خفيت والتبت (عليكم) ووجد الضمير اما لان البينة فى نفسها هى الرحمة واما لانه لكل
 واحدة منهما وقرأ حفص وحجرة والكسافى بضم العين وتشديد الميم والباقون بفتح العين
 وتخصت الميم (انلزمكموها) اى أنكرتكم على قبولها وانتم لها كارهون) اى لا تختارونها
 ولا تتاملون فيها لان ذلك فالى تحسده وواقته لو استطاع نبي الله لارزمها قومه ولكنه
 لا يملك ذلك وانفق القرأ على ضم النون من أنلزمكموها لالتصالها باللام رسما وحيث اجتمع
 ضميران وليس أحدهما حرفا أو حرفين فالاعرف منهما ما جاز فى الثانى الوصل كما فى الآية والفصل
 كان يقال أنلزمكم اياها (ويا قوم لا أسألكم عليه) اى على تبليغ الرسالة وهو وان لم يذكر
 معلوم مما ذكر (مالا) اى بضمها تعهونه (ان) اى ما (أجرى الاعلى الله) اى ما نواب
 يتبعى الاعلته فانه المأمور منه تعالى وقرأ ابن كثير وشعبة وحجرة والكسافى بسكون الياء
 والباقون بالفتح وقول نوح عليه السلام (وما أنا بطارد الذين آمنوا) جواب لهم حين طلبوا
 طردهم فأنهم طلبوا من نوح عليه السلام قبل أن يطردوا الذين آمنوا وهم الازدليون فى زعمهم
 فقال ماجبورنى ذلك (أنهم خلاقوا بهم) اى بالبعث فيضاهون طائفة هم خلفه وبأخذ لهم بمن

ظلمهم وطردهم أو أنهم بلا قوة ويفوزون بقره فكيف أطردهم (ولكني أراكم قوما
 تجهلون) أي أن هؤلاء المؤمنين خير منكم أو عاقبة أمركم وتسفهون عليهم بأن تدعوهم
 أراذل (ويا قوم من نصرتي) أي بمعنى (من الله) أي من عقابه (ان طردتهم) عنى وهم
 مؤمنون مخلصون (أفلا) أي فهلا (تذكرون) أي تعظون. وقرأ حفص وحزرة والكسائي
 بخفيف الذال والباقون بالتشديد بادغام التاء في الاصل في الذال (ولأقول لكم عندي
 خزائن الله) أي خزائن رزقه فكما أني لأسألكم ما لا فكذلك لأدعي اني أملك ما لا ولا عرض لي
 في المال لأأخذوا لادفعا وقوله (ولأعلم الغيب ولا أقول اني ملك) فأعظم به عليكم حتى
 تقولوا ما أنت الا بشر مثلنا بل طريقي التواضع والخضوع ومن كان هذا شأنه وطريقته
 كذلك فانه لا يستنكف عن مخالطة الفقراء والمساكين ولا يطلب مجالسة الامراء والسلاطين
 ثم اكد ذلك بقوله (ولأقول للذين تردى) أي تحتمر (أعينكم) أي لأقول في حقهم
 (ان يؤتيهم الله خيرا) فان ما أذاقه تعالى لهم في الآخرة خير مما آتاكم في الدنيا (الله أعلم
 بما في أنفسهم) وهذا كالدلالة على أنهم كانوا ينسبون اتباعه مع الفقر والذلة الى النفاق (اني
 إذا) أي ان فعلت ذلك (لمن الظالمين) لنفسى ومن الظالمين لهم (فان قيل) هذه الآية تدل على
 تفصيل الملائكة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان الانسان اذا قال لأدعي كذا وكذا
 انما يحسن اذا كان ذلك الشيء أشرف من أحوال ذلك القائل (أجيب) بأن نوحا عليه السلام
 انما ذكر ذلك جوابا عما ذكره من الشبهة فانهم طعنوا في اتباعه بالفقر فقال ولأقول لكم
 عندي خزائن الله حتى أجمع لهم أعنياء وطعنوا فيهم أيضا بأنهم منافقون فقال ولأعلم الغيب
 حتى أعرف كيفية باطنهم وانما تكلم في بناء الاحوال على الظاهر وطعنوا فيه انه من البشر
 فقال ولأقول اني ملك حتى تنفوا عني ذلك وحينئذ فالآية ليس فيها ذلك (فان قيل) في هذه
 الآية دلالة على أن طرد المؤمنين لطلب مرضاة الكفار من أصول المعاصي فكيف طرد محمد
 صلى الله عليه وسلم بعض فقراء المؤمنين لطلب مرضاة الله حتى عاتبه الله تعالى في قوله ولا تطرد
 الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي (أجيب) بأن الطرد المذكور في هذه الآية محمول على
 الطرد المطلق على سبيل التأييد والطراد المذكور في واقعة محمد صلى الله عليه وسلم محمول على
 التبعيد في أوقات معينة رعاية للمصلحة. ولأن الكفارا وردوا تلك الشبهة وأجاب نوح عليه
 السلام عنها بالجوابات الموافقة الصحيحة وأورد عليه كلامين الاول ما حكاه الله تعالى عنهم
 بقوله تعالى (قالوا يا نوح قد جادلتنا) أي خاصمتنا (فأكثر جدالنا) أي فأطنت فيه
 وهذا يدل على أنه عليه السلام كان قد أكثر في الجدال معهم وذلك الجدال ما كان الا في اثبات
 التوحيد والنبوة والمعاد وهذا يدل على أن الجدال في تقرير الدلائل وإزالة الشبهات حرفة
 الانبياء عليهم الصلاة والسلام وعلى أن التقليد والجهل حرفة الكفار والثاني ما ذكره الله
 تعالى عنهم بقوله (فانتم اجمعنا) أي من العذاب (ان كنتم من الصادقين) في الدعوى
 والوعيد فان مناظرتك لا تؤثرتنا (قال) لهم نوح عليه السلام في جواب ذلك (انما يأتيكم به الله

أن شاء (فجعله لكم فان أمره اليه ان شاء بجعله وان شاء أخره الى) (وما أنتم بمجزين) أي بضائين
 الله تعالى ولما أجاب نوح عليه السلام عن شأنهم ختم الكلام بجماعة قاطعة فقال (ولا ينفعكم
 نصحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم) أي يضلكم وجواب الشرط
 محذوف دل عليه ولا ينفعكم نصحي وتقدير الكلام ان كان الله يريد أن يغويكم فان أردت أن
 أنصح لكم فلا ينفعكم نصحي فهو من باب اعتراض الشرط على الشرط ونظير ذلك ما لو قال
 رجل لزوجه أنت طالق ان دخلت الدار ان كنت زيد ادخلت ثم قلت لم تطلق فيشترط في وجوب
 الحكم وقوع الشرط الثاني قبل وقوع الأول وفي الآية دليل على ان الله تعالى قدير يد الكفر
 من العبد فانه اذا أراد منه ذلك فانه يمنع صدور الايمان منه (هو ربكم) أي خالقكم
 والمتصرف فيكم وفق ارادته (واليه ترجعون) فيجازيكم على أعمالكم قال تعالى (أم)
 أي بل (يقولون اقترأه) أي اخلقه وجاءه من عند نفسه والمهاة ترجع الى الوحي الذي بلغه
 اليهم (قل) لهم (ان افترتة فعلي اجرائي) وهذا من باب حذف المضاف لان المعنى فعلي انتم
 اجرائي والاجرام اقتراف المحظور وفي الآية محذوف آخر وهو أن المعنى ان كنت افترتة فعلي
 عقاب جرمي وان كنت صادقا وكذبتوني فعليكم عقاب ذلك التكذيب الا انه حذف هذه
 البقية لدلالة الكلام عليها (وأنا بريء مما تجرمون) أي من عقاب جرمكم في اسناد الاقتراف الى
 * (تبيه) * أكثر المفسرين على أن هذا من بقية كلام نوح عليه السلام مع قومه وقال مقاتل
 أم يقولون أي المشركون من كفار مكة اقترأه أي محمد صلى الله عليه وسلم اختلق القرآن من
 عند نفسه وهذه الآية وقعت في قصة محمد صلى الله عليه وسلم في اثناء قصة نوح عليه السلام
 قال الرازي وقوله بعيد جدا (وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك) أي لن يستقر على
 الايمان لقوله تعالى (الامن قد آمن) قال ابن عباس ان قوم نوح كانوا يضربون نوحا حتى
 يسقط فيلقونه في لبد ويلقونه في بيت يظنون أنه قد مات فيخرج في اليوم الثاني ويدعوهم
 الى الله تعالى وروى أن شيخا منهم جاء متوكئا على عصاه ومعه ابنه فقال لابنه لا يغويك هذا
 الشيخ المجنون فقال يا ابنه مكى من العصا فأخذها من أبيه وضرب بها نوحا عليه السلام حتى
 شجبه شجرة منكرة فأوحى الله تعالى اليه أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن (فلا تبئس) أي
 لا تحزن عليهم فاني مهلكهم (بما) أي بسبب ما كانوا يفعلون من الشرك وتتخذ منهم فيمتد
 دعما عليهم نوح عليه السلام فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وحكي محمد بن
 اسحق عن عبيد بن عمير الليثي انه بلغه انه -م كانوا يطشون به فيخفقونه حتى يقش عليه فاذا
 أفاق قال رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون حتى عمادوا في المعصية واشتد عليه منهم البلا وهو
 ينظر من الجبل الى الجبل فلا يأتي قرن الا كان أنجس من الذين قبلهم ولقد كان يأتي القرن
 الا آخر منهم فقول قد كان هذا الشيخ مع آبائنا وأجدادنا هكذا مجنونا فاقبلوا منه مشأ
 فشكى الى الله تعالى فقال رب اني دعوت قومي ليلادونها حتى قال رب لا تذر على الارض
 من الكافرين ديارا فأوحى الله تعالى اليه (واصنع الفلك) أي السفينة (باعتنا) قال ابن

عباس يرى منا وقال مقاتل بعلمنا وقيل بحفظنا (ووحينا) أي باهرنا لك كيف صنعها
(ولا تخاطبني في الذين ظلموا) أي ولا تراجعني في الكفار ولا تدعني في استدفاع العذاب عنهم
(أنهم مغرقون) أي محكوم عليهم بالانحراف فلا يسيل الي كفه وقيل لا تخاطبني في انك كنعان
واصرأ تلك راعية فانهم اهل الكان مع القوم و يروي ان جبريل عليه السلام أتى فوطاه فقال
ان ربك يأمر بك أن تصنع الفلك قال كيف أصنع ولست بخبار قال ان ربك يقول اصنع فانك
بأعيننا فأخذ القدم فجعل يجر ولا يجطي وصنعها فعملها مثل جوجوا الطير وفي قوله تعالى
(ويصنع الفلك) قولان أحدهما انه حكاية حال ماضية أي في ذلك الوقت كأن يصدق عليه
أنه يصنع الفلك الثاني التقدير فأقبل يصنع الفلك فاقصر على قوله ويصنع الفلك ثم ان نوحا
عليه السلام أقبل على عملها ولها عن قومه وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيئ عترة
الفلك من القار وغيره وجعل قومه يميزون عليه ويسخرون منه كما قال تعالى (وكلمنا عزراة
أي جماعة (من قومه سخروا منه) أي استمزوا به ويقولون يا نوح قد صرنا نجارا بعد ما كنت
نبيا فأعقم الله أرحام نسائهم فلا يولد لهم قال ابن عباس رضي الله عنهما اتخذ نوح عليه السلام
السفينة في سنتين وكان طول السفينة ثلثمائة ذراع وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثه
بطون فجعل في البطن الاقل الوحوش والهوام وفي البطن الاوسط الدواب وركب هو ومن
معه البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وقال قتادة كان بابها في عرضها وروى عن أنس
كان طولها ألف ذراع وماتت ذراع وعرضها سقانه وقيل ان الحوارين قالوا لعيسى عليه
السلام لوبعث لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى بهم الى كتيب من
تراب فأخذ كما من ذلك التراب فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال كعب بن
حام قال فضرب الكتيب بعصاه فقال قم يا ذن الله فاذا هو قائم منه عن رأسه التراب وقد شاب
فقال له عيسى عليه السلام هكذا هلكت قال لا ولكن مت وأنا شاب ولكنني ظننت أنها
الساعة فن ثم شئت قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها ألف ذراع وعرضها سقانه ذراع
وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحوش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال له عبد اذن الله
تعالى كما كنت فعاد ترابا قال البغوي والمعروف ان طولها ثلثمائة ذراع وعن زيد بن أسلم قال
مكث نوح مائة سنة يغرس الاشجار ومائة سنة يعمل الفلك وعن كعب الاحبار ان نوحا عمل
السفينة في ثلاثين سنة وروى أنها كانت ثلاث طبقات الطبقة السفلى للدواب والوحوش
والطبقة الوسطى فيها الانس والطبقة العليا فيها الطير فلما كثرت ارواث الدواب أوحى الله
تعالى الى نوح عليه السلام أن اغز ذنب القيل فغمره فوق موضع منه خنزير وخنزيرة فأقبل على
الروث ولما أفسد القار في السفينة فجعل يقرض حبالها أوحى الله تعالى اليه أن اضرب بين
عيني الاسد فضرب فخرج من مخرو سنور وسنورة وهو القط فأقبل على القار فأكله قال الرازي
واعلم ان أمثال هذه المباحث لا تعجبي لانها أمور لا حاجة الى معرفتها البتة ولا يتعلق بعرفتها
فائدة البتة فكان الخوض فيها من باب الفضول لا سيما مع القطع بانه ليس ههنا ما يدل على

الجانب الصحيح والذي تعلمه انها كانت في السعة بحيث تسع المؤمنين من قومه وما يحتاجون
 اليه والحصول لزوجين من كل حيوان لان هذا القدر مذكور في القرآن وما آمن معه الاقليل
 فأما تمين ذلك القدر فغير معلوم (قال) لهم لما سخر وامنه (ان تسخر وامنا فانا نسخر منكم
 كما تسخرون) اذا سخرنا وغرقتم (فان قيل) السخرة لا تليق بمنصب النبوة (أجيب) بأن ذلك
 ذكر على سبيل الازدواج في مشاكلة الكلام كما في قوله تعالى وحراة سيئة سيئة مثلها والمعنى ان
 تسخر وامنا فسترون عاقبة سخر يتكم وهو قوله تعالى (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه)
 أي يهينه في الدنيا وهو الفرق (ويحل عليه) في الآخرة (عذاب مقيم) وهو النار التي
 لا انقطاع لها وقوله تعالى (حتى اذا جاء أمرنا) أي باهلاكهم غاية لقلوبه ويصنع القلق وما
 ينهس ما حل من الضمير فيه أو حتى هي التي يتبدأ بعدها الكلام واختلف في التنوير في قوله
 تعالى (وقار التنوير) فقال عكرمة والزهرى هو وجه الارض وذلك انه قيل لنوح عليه السلام
 اذا رأيت الماء فارعلى وجه الارض فاركب السفينة وروى عن علي رضي الله عنه أنه قال فار
 التنوير وقت طلوع الفجر ونور الصبح وقال الحسن ومجاهد والشعبي انه التنوير الذي يخبر فيه
 وهو قول أكثر المفسرين ورواية عطية وابن عباس لانه حل الكلام على حقيقته ولفظ التنوير
 حقيقته هو الموضوع الذي يخبر فيه وهو قول أكثر المفسرين فوجب حل اللفظ عليه وهو لا
 اختلفوا عنهم من قال انه تنوير نوح ومنهم من قال انه كان لا دم عليه السلام قال الحسن كان
 تنويرا من سجارة كانت حواء تخبر فيه فصارت الى نوح فقيل لنوح عليه السلام اذا رأيت الماء
 يفور من التنوير فاركب السفينة أنت وأصحابك واختلفوا أيضا في موضعه فقال مجاهد
 والشعبي كان في ناحية الكوفة وكان الشعبي يحلف بالله ما فار التنوير الا من ناحية الكوفة
 وقال اتخذ نوح السفينة في جوف مسجد الكوفة وكان التنوير على عيني الداخل مما يلي باب
 كندة وكان فوران الماء منه علم النوح وقال مقاتل كان ذلك تنوير آدم عليه السلام
 وكان بالشأم بموضع يقال له عين وردة وروى عن ابن عباس أنه كان بالهند ومعنى فار نبع على
 قوة وشدة تشبها بغليان القدر عند قوة النار ولا شبهة ان التنوير لا يفور والمراد فار الماء من
 التنوير فلما فار أمر الله تعالى نوحا عليه السلام أن يحمل في السفينة ثلاثة أنواع من الاشياء
 الاقل قوله تعالى (فلما حل فيها) أي السفينة (من كل زوجين اثنين) والزوجان عبارة
 عن كل شئين يكون أحدهما ذكرا والآخر أنثى والتقدير من كل شئين هما كذلك فاحل منهما
 في السفينة اثنين واحدا ذكر وواحدة أنثى وفي القصة ان نوحا عليه السلام قال يارب كفا حمل
 من كل زوجين اثنين فحشر الله تعالى اليه السباع والطير فجعل يضرب سديه في كل جنس
 فيقع الذكر في يده والأنثى في يده اليسرى فيحملهما في السفينة وقرأ حفص بتوین لام
 كل أي واحل من كل شئ زوجين اثنين الذكور زوج والانثى زوج (فان قيل) ما الفائدة في قوله
 زوجين اثنين والزوجان لا يكونان الا اثنين (أجيب) بأن هذا على مثال قوله تعالى لا تتخذوا
 الهين اثنين وقوله تعالى نفخة واحدة والباقون بغير تنوين فهذا السؤال غير وارد النوع

الثاني من الاشياء التي أمر الله تعالى نوحا عليه السلام أن يحملها في السفينة قوله تعالى
 (وأهلك) وهم أبناؤه وزوجته وقوله تعالى (الامن سبق علمه القول) بأنهم المترقين وهو
 ابنه كنعان وأمه راعله وكانا كافرين بحكم الله تعالى عليهما بالهلاك بخلاف سام وحام وياث
 وزوجاتهم ثلاثة وزوجته المسلمة (فان قيل) الانسان أشرف من سائر الحيوانات فلم يبدأ بالحيوان
 (أجيب) بأن الانسان عاقل فهو لعقله مضطرا الى دفع أسباب الهلاك عن نفسه فلا حاجة فيه
 الى المبالغة في الترغيب بخلاف السعي في تخلص سائر الحيوانات فلهذا السبب وقع الاتداء به
 النوع الثالث من الاشياء التي أمر الله تعالى نوحا عليه السلام بحملها في السفينة قوله تعالى
 (ومن آمن) أي واحمل معك من آمن معك من قومك واختلف في العدد الذي ذكره الله تعالى
 في قوله تعالى (وما آمن معه الا قليل) فقال قتادة وابن جرير لم يكن معه في السفينة الا ثمانية نفر
 نوح وامرأته المسلمة وثلاثة بنين له وهم سام وحام وياث ونسأوهم وقال ابن اسحق كانوا عشرة
 سوى نسأهم نوح وبنوه الثلاثة وستة اناس ممن كان آمن به وأزواجهم جميعا وقال مجاهد كانوا
 اثنين وسبعين نفرا رجلا وامرأة وعن ابن عباس قال كان في سفينة نوح ثمانون نصفهم رجال
 ونصفهم نساء وقال الطبري والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله تعالى وما آمن
 معه الا قليل فوصفهم بالقلة فلم يجد عددا يعقد ارفلا ينبغي أن يجاوز في ذلك حد الله تعالى اذ لم
 يرد عدد في كتاب الله تعالى ولا في خبر صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم نحو ذلك عن
 الرازي وقال مقاتل حل نوح معه في السفينة جسد آدم عليه السلام فجعله معترضا بين الرجال
 والنساء وقصد نوح عليه السلام جميع الدواب والطيير ليصلها قال ابن عباس أول ما حل نوح
 الدرة وآخر ما حل الحمار فدخل الحمار وأدخل صدره وتعلق ابليس بذنبه فلم تستقل رجلاه
 فجعل نوح يقول ويحك ادخل فينفض فلا يستطيع حتى قال ويحك ادخل وان كان الشيطان
 معك كلمة زلت على لسانه فلما قالها خلى الشيطان سبيله فدخل ودخل الشيطان معه فقال نوح
 ما أدخلك علي يا عدو الله قال مالك بدأ نوح يحملي معك فكان معه على ظهر السفينة هكذا انقذه
 البغوي قال الرازي وأما الذي يروى ان ابليس دخل السفينة فبعيد لانه من الجن وهو جسم
 ناري أو هوائي فكيف يؤثر الفرق فيه وأيضا كتاب الله تعالى لم يدل عليه ولم يرد في ذلك خبر صحيح
 فالاولى ترك الخوض في ذلك قال البغوي وروى أن بعضهم قال ان الحسة والعقرب أتيوا نوحا
 عليه السلام فقالتا حملنا معك فقال انكما سبب البلاء فلا أجلكما فقالتا حملنا فانفضحت لك
 أن لانضر أحدا ذكرك فمن قرأ حين يخاف مضرتهما سلام على نوح في العالمين لم يضره وقال
 الحسن لم يحمل نوح في السفينة الا ما بلد ويبيض فأما ما يتولد من الطين من حشرات الارض
 كالقبي والبعوض فلم يحمل منها شيئا (وقال) نوح لمن معه (اركبوا) أي صبروا (فيها) أي
 السفينة وحصل ذلك ركوبا لانها في الماء كركوب في الارض وقوله تعالى (بسم الله بحرها
 ومرساها) متصل باركبوها حال من الواو في اركبوها أي اركبوها فيها مسحين الله أو قائلين بسم الله
 وقت ابحارها وارسائها قال الضمك كان نوح اذا أراد أن تجرى السفينة قال بسم الله جرت

وإذا أراد أن ترسو قال بسم الله رست وقرأ حفص وحزرة والكسائي نصب الميم من جرت
 ورست أي جريها وورسوها وهم مصدران والباقون بضم الميم من أبحرت وأرست أي بسم
 الله أبحرأوها وأرسأوها وأمال الألف بعد الراء أبو عمرو وحفص وحزرة والكسائي محضه وورش
 بين اللظنين والباقون بالفتح وذكر وفي عامل الأعراب في بسم الله وجوها الأول اركبو باسم
 الله الثاني ابدؤا باسم الله الثالث بسم الله أبحرأوها (إن ربي لغفور رحيم) أي لولا مغفرته
 لفرطتكم ورحمته أياكم لما نجحكم وقوله تعالى (وهي تجري بهم) متعلق بمحذوف دل عليه
 اركبو أي فركبو واسم من الله تعالى وهي تجري وهم فيها (في موج) وهو ما ارتفع من الماء إذا
 اشتدت عليه الريح (كأجبال) في عظمه وارتفاعه على الماء قال العلماء بالبر أرسل الله تعالى
 المطر أربعين يوماً وليله وخرج الماء من الأرض فذلك قوله تعالى ففتحنا أبواب السماء بماء
 منهمر وجرفنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر فنصار الماء نصفين نصف من السماء
 ونصف من الأرض وارتفع الماء على أعلى جبل وأطوله أربعين ذراعاً وقيل خمسة عشر
 ذراعاً حتى أغرق كل شيء وروى أنه لما كثر الماء في السكك خافت امرأته على ولدها من الفرق
 وكانت تحبه حباً شديداً فخرجت به إلى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء ارتفعت حتى
 بلغت ثلثيه فلما بلغها الماء ذهبت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء رقبتهما رفعت الصبي
 يديه حتى ذهب به الماء فلورحم الله تعالى منهم أحد الرحم هذه المرأة وما قيل من أن الماء
 طبق ما بين السماء والأرض وكانت السفينة تجري في جوفه كما تسبح السمكة فليس بثابت قال
 البيضاوي والمشهور أنه علاشواخ الجبال خمسة عشر ذراعاً فانصرأى أنه طبق ما بين السماء
 والأرض ففعل ذلك أي ما ذكر من علو الموج قبل التطبيق (ونادى نوح ابنه) كنعان وكان
 كافراً كما مر وقيل كان اسمه يام (وكان في معزل) عزل فيه نفسه أماناً من يبه وأدينه ولم يركب
 معه وأمان السفينة وأمان الكفار كانه انفرده عنهم وظن نوح عليه السلام أن ذلك إنما
 كان لأنه أحب مفارقتهم ولذلك ناداه بقوله (يا بني اركب معنا) في السفينة وقرأ عاصم بفتح الياء
 اقتصاراً على الفتح من الألف المدلّة من ياء الأضافة في قولك يا بني والباقون بالكسر في الوصل
 ليس دل على ياء الأضافة المحذوفة كما قال الشاعر

يا بنيت عم لا تلومي واهجبي ثم حذف الألف للتخفيف (ولا تكن مع الكافرين) أي في دين ولا
 مكان فتلك ولما قال له ذلك (قال سآوى) أي التجبى وأصير (إلى جبل يعصم) أي يعصم (من
 الماء) قال له نوح عليه السلام (لا عاصم) أي لا مانع (اليوم من أمر الله) أي من عذابه وقوله
 (الامن رحم) استيقظ منقطع كأنه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم بقوله تعالى ما لهم به
 من علم الا اتباع الظن وقيل الامن رحم أي الا الراحم وهو الله تعالى وقيل الامكان من رحمه
 الله تعالى فانه مانع من ذلك وهو السفينة (وحال بينهما) أي بين نوح وابنه وبين ابنه والجبل
 (الموج) المذكور في قوله موج كأجبال (فكان) ابنه (من المفرقين) أي فصار من المهاجرين
 بالماء (و) لما تنهى الطوفان وأغرق قوم نوح (قبس) أي قال الله تعالى أهلكناهم مع عاقل

بأرض ابلي مائه) أى اشريه (وياسمها أقلي) أى أمسكي مائه ناداهما بما نادى به الحيوان
 المميز على لفظ التخصص والاقبال عليهما بالخطاب من بين سائر الحيوانات ثم أمرهما بما يؤمر به
 أهل التمييز والعقل غملا لكمال انقيادهما لما يشاءن تكو به فيهما وهما همتان مختلفتان من
 كلمتين الاولى مضمومة والثانية مفتوحة قرأ عمر وونافع وابن كثير بابدال الثانية واوخالصة
 والباقون بالتخفيف (وعيض الماء) أى نقص وزهد وقرأ هشام والكسائي بإشمام الغين وهو
 ضم الغين قبل الباء والباقون بالكسر وكذا وقيل (وقضى الامر) أى وأنجز ما وعد من اهلاك
 الكافرين وانجاء المؤمنين (واستوب) أى استقرت السفينة (على الجودي) وهو جبل
 بالجزيرة قريب من الموصل (وقيل) أى قال الله تعالى أوملك بأمره تعالى (بعدا) أى هلاك
 (للقوم الظالمين) ويحجى اخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء وان تلك
 الامور العظام لا تكون الا بفعل قادر وبكون مكون قاهر وان فاعلها واحد لا يشارك
 في أفعالها فلا يذهب الوهم الى أن يقول غيره بأرض ابلي مائه وياسمها أقلي ولأن يقضى
 ذلك الامر الهائل غيره ولأن تستوى على متن الجودي وتستقر عليه الابتسوية واقتراره
 وروى ان السفينة لما استقرت بعث نوح عليه السلام الغراب ليأبته بخبر الارض فوقع على
 جيفة فلم يرجع فبعث الحمامة فجاءت بورق زيتون في مناقرها ولطخت رجلها بالطين فعلم نوح
 أن الماء قد نقص فقبل انه دعا على الغراب بالخوف فلذا الأيات البيوت وطوق الحمامة الخضره
 التي في عنقها ودعا لها بالامان فن ثم تألف البيوت وروى ان نوحا ركب السفينة لعشره مضت
 من رجب وجرت بهم السفينة ستة أشهر ومزت بالبيت العتيق وقد رفعه الله تعالى من الفرق
 وبنى موضعه فطافت به السفينة سبعاً وأودع الحجر الاسود في جبل أى قيس وهبط فوح ومن
 معه في السفينة يوم عاشوراء فاصاه نوح وأمر من معه بصيامه شكر الله تعالى وبنوا قرية بقرب
 الجبل وسميت سوق غمانين فهى أول قرية عمرت على وجه الارض بعد الطوفان وقيل انه
 لم ينبغ أحد من الكفار من الفرق غير عوج بن عنق وكان الماء يصل الى حجزته وهذا الايات على
 القول باطباق الماء قال هذا القائل وسبب نجاةه أن نوحاً احتاج الى خشب ساح للسفينة
 فلم يمكنه نقله فحمله عوج اليه من الشام فنجاه الله تعالى من الغرق بذلك (فان قيل) كيف
 أغرق الله تعالى من لم يبلغ الحلم من الاطفال (أجيب) بأنه تعالى يتصرف في خلقه لا يستل
 عما يفعل وقيل ان الله تعالى أعظم أرحام نسايتهم أربع مائة سنة فلم يولد لهم تلك المدة (ونادى
 نوح ربه) أى دعاه وسأله (فقال رب ان ابني من أهلى) وقد وعدتني أن تعطيني وأهلى (وان وعدك
 الحق) أى الصدق الذى لا خلف فيه (وأنت أحكم الحاكمين) لانك أعلمهم وأعدلهم (فان
 قيل) اذا كان النداء هو قوله رب فكيف عطف قال رب على نادى بالقاء (أجيب) بأن القاء
 تفصيل لمجل نادى مثلها فى نوصاف فضل وقيل نادى أى أراد نداءه فمقال رب (قال) الله تعالى له
 (يا نوح انه) أى هذا الابن الذى سألت نجاةه (ليس من أهلك) أى المحكومون بنجاتهم لايمانهم
 وكفره ولهذا اعل بقوله تعالى (انه عمل غير صالح) وقرأ الكسائي بكسر الميم ونصب اللام بغير

تتوین ونصب الراء اى عمل الكفر والتكذيب وكل هذا غير صالح والباقون بفتح الميم ورفع
اللام ممنونة ورفع الراء اى ذوم عمل غير صالح أو صاحب عمل غير صالح فجعل ذات العمل المبالغة
كقول الخنساء نصف ناقة ترتع * فأنما هي اقبال وادبار * واختلف علماء التفسير هل كان ذلك
الولد ابن نوح أو لأعلى أقوال الاقول وهو قول ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضالك
والاكثرين أنه ابنة حقيقه ويبدل عليه أنه تعالى نص عليه فقال ونادى نوح ابنه نوح أيضا
نص عليه فقال يا بني وصرف هذا النقط الى أنه براه وأطلق عليه اسم الابن لهذا السبب صرف
للكلام عن حقيقته الى مجازته من غير ضرورة القول الثاني أنه كان ابن امرأته وهو قول محمد
ابن علي الباقر وقول الحسن البصرى القول الثالث وهو قول مجاهد والحسن أنه ولد حنث
ولدى على قرأته ولم يعلم نوح بذلك واحتج هذا القائل بقوله تعالى في امرأته نوح وامرأة لوط
فخاتاها قال الرازى وهذا قول واه حيث يجب صون منصب الانبياء عن هذه الفضيحة لاسيما
وهو خلاف نص القرآن وقد قيل لابن عباس ما كانت تلك الخيانة فقال كانت امرأته نوح تقول
زوجي مجنون وامرأة لوط تدل الناس على ضيفه اذ انزل به (فلا تأسأنى ما ليس لك به علم) اى بما
لا تعلم أصواب هو ام لالان اللائق بأمثالك من أولى العزم بناء أمورهم على التحقيق وقرأ نافع
وابن كثير وابن عامر بفتح اللام وتشديد النون والباقون بسكون اللام وتخفيف الدون وأثبت
الماء بعد النون في الوصل دون الوقف ورش وأبو عمرو وحذفتها الباقون وقفا ووصلوا الى
أعظك اى عواظي كراهة (أن تكون من الجاهلين) فتسأل كما يسألون وانما سمي ندا مسؤالا
لنضمن ذكر الوعد بنجاة أهله واستنجازه في شأن ولده (قال) نوح رب اى أعوذ بك أن اى من
أن (أسألك) فى شئ من الاشياء (ما ليس لى به علم) تأديا بابدك واتعاطا بوعظك (والاذتغفر لى)
اى الان ما فرط منى وفى المستقبل ما يقع منى (وترجى) اى تستر زلاتى وتحمها وتكرمنى
(أكن من الخاسرين) اى الغريقين فى الخسارة (فان قيل) هذا يبدل على عصمة الانبياء لوقوع
هذه الزلة من نوح عليه السلام (أجيب) بأن الزلة الصادرة من نوح انما هى كونه لم يستعص
ما يبدل على نفاق ابنه وكفره لان قومه كانوا على ثلاثة أقسام كافر يظهر كفره ومؤمن بخفى ايمانه
ومنافق لا يعلم حاله فى نفس الامر وقد كان حكم المؤمنين هو النجاة وحكم الكافرين هو الفرق
وكان ذلك معلوما ما أهل النفاق فبقي أمرهم مخفيا وكان ابن نوح منهم وكان يجوز فيه كونه
مؤمنا وكانت الشفقة المقرطة التى تكون للاب فى حق الابن تحمله على حمل أعماله وأفعاله
لاعلى كونه كافرا بل على الوجوه العصية فأخطأ فى ذلك الاجتهاد كما وقع لآدم عليه السلام
فى الاكل من الشجرة فلم يصد عنه الا الخطأ فى الاجتهاد فلم تصدر منه معصية فلجأ الى ربه
تعالى وخشع له ودعا وسأله الغفرة والرحمة كما قال آدم عليه السلام ربنا ظننا أننا نفسنا وان لم
تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين لان حسنات الاربابسيات المقررين (قيل) اى قال
الله تعالى اى وملك بأمره تعالى (يا نوح اهبط) اى انزل من السفينة أو من الجبل الى الارض
المستوية (بسلام) اى بعظم وأمن وسلامة (منا) وذلك أن الفرق لما كان عاماتى جميع

الارض فعندما خرج نوح عليه السلام من السفينة علم أنه ليس في الارض شيء مما ينفع به
 من الثبات والحيوان فكان كالمخائف في أنه كيف يعيش وكيف يدفع جهات الحماجات عن نفسه
 من الماء كقول والمشروب فلما قال الله تعالى اهبط بسلام منا زال عنه ذلك الخوف لأن ذلك
 يدل على حصول السلامة وأن لا يكون الامع الامن وسعة الرزق ثم انه تعالى لما وعده بالسلامة
 أردفه بأن وعده بالبركة بقوله تعالى (وبركات عليك) وهو عبارة عن الدوام والبقاء والنيات
 لأن الله تعالى صبر نوحا عليه السلام أبا البشر لأن جميع من بقى كانوا من نسله لأن نوحا لما خرج
 من السفينة مات كل من كان معه من لم يكن من ذريته ولم يحصل النسل الامن ذريته فالخلق
 كلهم من نسله أو أنه لم يكن معه في السفينة الامن كان من نسله وذريته وعلى التقديرين
 فالخلق كلهم من ذريته ويدل على ذلك قوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين فثبت أن نوحا كان
 آدم الاصغر فكان أبا الانبياء والخلق بعد الطوفان كلهم منه ومن ذريته وكان بين نوح وآدم
 ثمانية أجداد وقوله تعالى (وعلى أمم من معك) يحتمل أن تكون من البينان فيراد الامم الزمنية
 كانوا معي في السفينة لانهم كانوا اجاعات أو قيل لهم أمم لأن الامم تتشعب منهم وأن تكون
 لا ابتداء الغاية أي على أمم ناشئة من معك وهي الامم الى آخر الدهر قال في الكشف وهو الوجه
 وقوله تعالى (وأمم) بالرفع على الابتداء وقوله تعالى (سنتهم) أي في الدنيا صفة والخبر محذوف
 تقديره وعن معك أمم سنتهم وانما حذف لأن قوله عن معك يدل عليه والمعنى أن السلام
 منا والبركات عليك وعلى أمم مؤمنين نشؤون من معك وعن معك أمم تمتعون في الدنيا (ثم يسهم
 مناعذاب اليم) في الآخرة وهم الكفار وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل
 مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وفيما بعدهم من المتاع والعذاب كل كافر وقيل المراد بالامم الممتعة
 قوم هود وصالح ولوط وشيب والمشرح تعالى قصة نوح عليه السلام على التفصيل قال تعالى
 (تلك) أي قصة نوح التي شرحناها ومحل تلك رفع على الابتداء وخبرها (من أبناء الغيب) أي
 من الاخبار التي كانت غائبة عن الخلق وقوله تعالى (نوحيا اليك) خبر ثان والضمير لها أي
 موحاة اليك وقوله تعالى (ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) أي نزول القرآن خبر آخر
 والمعنى أن هذه القصة مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحاشنا اليك ونظير هذا ان يقول
 انسان لا آخر لا تعرف هذه المسئلة لأنك ولا أهل بلدك (فان قيل) قد كانت قصة طوفان نوح
 مشهورة عند أهل العلم (أجيب) بأن ذلك كان بحسب الاجمال وأما التفاصيل المذكورة
 فما كانت معلومة أو بأنه صلى الله عليه وسلم كان أميا لم يقرأ الكتب المتقدمة ولم يعلمها وكذلك
 كانت أمته ثم قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (فاصبر) أي أنت وقومك على
 أذى هؤلاء الكفار كما صبر نوح وقومه على أذى أولئك الكفار (ان العاقبة للمتقين)
 البشارة والمعاصي وفي هذا تنبيه على ان عاقبة الصبر لنبينا صلى الله عليه وسلم النصر والفرج
 أي السرور كما كان لنوح وقومه (فان قيل) هذه القصة ذكرت في يونس في الحكمة والقائدة
 فيها عايتها (أجيب) بأن القصة الواحدة قد ينفع بها من وجوه في السورة الاولى كان

الكفار يستجلبون نزول العذاب فذكر تعالى قصة نوح في بيان ان قومه كانوا يكذبونه بسبب
 ان العذاب ما كان يظهر ثم في العاقبة ظهر فكذا في واقعة محمد صلى الله عليه وسلم وفي هذه
 السورة ذكرت لاجل ان الكفار كانوا يباليقون في اليمام فذكرها الله تعالى لبيان ان اقدام
 الكفار على الابداء والايحاش كان حاصلها في زمان نوح عليه السلام فلما صبر فاز ونظر فكن
 يا محمد كذلك لتسال المقصود ولما كان وجه الانتفاع بهذه القصة في كل سورة من وجه آخر
 لم يكن تكريرها خاليا عن الحكمة والغائبة * القصة الثانية من القصص التي ذكرها الله تعالى
 في هذه السورة قصة هود عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (والى عاد) أى وأرسلنا الى عاد
 (أخاهم) فهو معطوف على قوله تعالى نوحا وقوله تعالى (هودا) معطف بيان ومعالم ان تلك
 الاخوة ما كانت في الدين وانما كانت في النسب لان هودا كان رجلا من قبيلة عاد قيسله من
 العرب كانوا بنساحية اليمن (فان قيل) انه تعالى قال في ابن نوح انه ليس من أهلك فين ان قرابة
 النسب لا تفيد اذ لم تحصل قرابة الدين وهذا أثبت هذه الاخوة مع الاختلاف في الدين (أجيب)
 بأن قوم محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يتبعون ان يكون رسولا من عند الله تعالى مع أنه واحد
 من قبيلتهم فذكر الله تعالى ان هودا كان واحدا من عاد وان صالحا كان واحدا من عود لا زالة
 هذا الاستبعاد ولما تقدم أمر نوح عليه السلام مع قومه استشراف السامع الى معرفة ما قال
 هود عليه السلام هل هو مثل قوله ألا فاستأنف الجواب بقوله (قال يا قوم اعبدوا الله) أى
 وحدوه ولا تشركوا معه شيئا في العبادة (مالكم من اله غيره) أى هو الهكم لان هذه الاصنام التي
 تعبدونها حجارة لا تضر ولا تنفع (فان قيل) كيف دعاهم الى عبادة الله تعالى قبل اقامة الدليل
 على ثبوت الاله (أجيب) بأن دلائل وجود الله تعالى ظاهرة وهي دلائل الآفاق والاقنص
 وقلبا وجد في الدنيا طائفة يشكرون وجود الاله ولذلك قال تعالى في صفة الكفار ولئن سألتهم
 من خلق السموات والارض ليقولن الله وقرأ الكسائي بكسر الراء والهيا صفة على اللفظ
 والباقون بالرفع صفة على محل الجار والمجرور ومن زائدة (ان أنتم الامفسترون) أى كاذبون في
 عبادتكم غيره وكرر قوله (يا قوم) للاستعفاف وقوله (لأأسالكم عليه أجر ان أجرى الاعلى
 الذى فطرني) أى خلقتني خاطب به كل رسول قومه ازالة للثمة وتحبضا للنصيحة فانها لا تنفع
 مادامت مشوبة بالمطامع (أفلا تعقلون) أى أفلا تستعملون عقولكم تعرفوا الحق من المبطل
 والصواب من الخطا فتعظون ثم قال (ويا قوم) أيضا لما ذكر (استغفروا ربكم) أى آمنوا به
 (ثم توبوا اليه) من عبادة غيره لان التوبة لا تنفع الا بعد الايمان (يرسل السماء) أى المطر
 (عليكم مدارا) أى كثير الدر (ويزدكم قوة الى قوتكم) أى ويضاعف قوتكم وانما رغبتهم
 بكثرة المطر وزيادة القوة لان القوم كانوا أصحاب زرع وبساتين وهارات حراصا عليها أشد
 الحرص فكانوا أخرج شئ الى الماء وكانوا مذلين غيرهم بما وتوا من شدة القوة والبطش
 والبأس والعبدة مهابين في كل ناحية وقيل أراد القوة في المال وقيل القوة على الشكاح وقيل
 حبس عنهم المطر ثلاث سنين وعصفت أرحام نساءهم وعن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهم أنه

وقد على معاوية فلما خرج تبعه بعض حجاجه فقال انى رجل ذومال ولا يولدنى فعلتى شيئا لعل الله
 يرزقنى ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر فى يوم واحد
 سبع مائة مرة فولده عشرة بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سألته ثم قال ذلك فوفد مرة أخرى
 فسأله الرجل فقال ألم تسع قول هود ويزد كم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم بأموال
 وبنين (ولا تتولوا) أى ولا تعرضوا عن قبول قولى ونصى حالة كونكم (مجرمين) أى
 مشركين * ولما حكى الله تعالى عن هود ما ذكره لقومه حكى أيضا ما ذكره لقومه له وهو أشياء أولها
 ذكره تعالى بقوله (قالوا يا هود ما جئنا بسينة) أى بحجة تدل على صحة دعوائك وسميت سينة
 لأنها تين الحق ومن المعلوم أنه عليه الصلاة والسلام كان قد أظهر لهم المعجزات الا ان القوم
 لجهلهم أنكروها وزعموا أنه ما جاء بشئ من المعجزات وثانيها قولهم (وما نحن بشاركي الهمنا)
 أى عبادتها وقولهم (عن قولك) أى صادرين عن قولك حال من الضمير فى تاركى وهذا أيضا
 من جهلهم فانهم كانوا يعرفون أن النافع والضار هو الله تعالى وأن الاصنام لا تنفع ولا تضر
 وذلك حكم فطرة العقل وبديهة النفس وثالثها قولهم (وما نحن لك بمؤمنين) أى مصدقين
 وفى ذلك اقتناط لمن الاجابة والتصديق وابعاد قولهم (ان) أى ما (نقول) فى شأنك
 (الاعتراك) أى أصابك (بعض الهمنا بسوءه) لسببك اياها فجعلتك مجنوناً وأسفدت عقلك ثم
 انه تعالى ذكر أنهم لما قالوا ذلك (قال) هو عليه السلام مجيبا لهم (انى أشهد الله) على
 (وأشهدوا) أنتم أيضا على (أنى برى) مما تشركون من دونه) أى الله وهو الاصنام التى كانوا
 يعبدونها (فكيدونى) أى احتالوا فى هلاكى (جميعا) أنتم وأصنامكم التى تعتقدون أنها تضر
 وتنفع فانها لا تضر ولا تنفع * (فأهه) * اتفق القراء على اثبات الياء فى كيدونى هنا ووفقا
 ووصلنا ثباتها فى المصحف (ثم لا تنتظرون) أى تهملون وهذا فيه مجيزة عظيمة لهود عليه السلام
 لانه كان وحيداً فى قومه وقال لهم هذه المقالة ولم يهيمهم ولم يحضهم معهم ما هم فيه من الكفر
 والجبوت ثقة بالله تعالى كما قال تعالى (انى توكلت على الله ربي وربكم) أى فوضت أمرى
 اليه واعتمدت عليه (ما من دابة) تدب على الارض ويدخل فى هذا جميع بنى آدم والحيوان
 لانهم يدبون على الارض (الا هو أخذ بناصيتها) أى مالكتها وقاهرها فلا يقع نفع ولا ضرر الا
 باذنه والناسية باسم منبته والعرب اذا وصفوا انسانا بالذلة والخضوع قالوا ما ناصية فلان الايد
 فلان وكانوا اذا أسروا الاسير أو اردوا اطلاقه والتمن عليه جزوا ناصيته ليكون ذلك علامة
 لقهره فحوظوا فى القرآن بما يعرفون من كلامهم (ان ربي على صراط مستقيم) أى
 طريق الحق والعدل فلا يظلمهم ولا يعمل الا بالاحسان والانصاف فيجازى المحسن باحسانه
 والمسيء بعصيانه وقوله تعالى (فان تولوا) فيه حذف احدى التامين أى تعرضوا (فقدأ بقلوبكم)
 جميع (ما أرسلت به اليكم) فان قبل البلاغ كان قبل التولى فكيف وقع جزاء الشرط
 (أجيب) بأن معناه فان تولوا لم أعاتب على تقصير من جهتي وصرتم محجوبين لانكم أنتم

الذين أصروا على التكذيب وقوله (ويستخلف ربى قوماً غيركم) استئناف بالوعد لهم بأن الله تعالى يهلككم ويستخلف قوماً آخرين في ديارهم وأموالهم يوحدهونه تعالى ويعبدونه (ولا تضرّونه) أى الله مباشرة لكم (شياً) من الضرر وإنما تضررون أنفسكم وقيل لا تنقصونه شيئاً إذا أهلككم لأن وجودكم وعدمكم عنده سواء (إن ربي على كل شيء صغيراً وكبيراً جباراً وجليلاً (حفظ) أى رقيب عالم بكل شيء وقادر على كل شيء فيحفظنى أن تنالونى بسوءه وأحفظ لأعمال العباد حتى يجازيهم عليها أو يحفظ على كل شيء يحفظه من الهلاك إذا شاء ويهلكه إذا شاء (ولما لم يرجعوا ولم يعروا بينة ولا رغبة ولا رهبة (جاء أمرنا) أى عذابنا وذلك هو ما نزل بهم من الريح العقيم عذبهم الله تعالى به سبع ليالٍ وسبعين يوماً حسوماً تدخل في مناخرهم وتخرج من أديبارهم وترفعهم وتضر بهم على الأرض على وجوههم حتى صاروا كالجبال تخلخأوية وهنا هم زان مفتوحان من كلمتين قرأ فالون واليزى وأبو عمر بإسقاط الأولى وقرأ أورث وقيل بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية والباقون بتحقيقهما (نجينا هوداً والذين آمنوا معه) أى من هذا العذاب وكانوا أربعة آلاف (برحمة منا) لأن العذاب إذا نزل قديماً المؤمن والكافر فلما أنجى الله تعالى المؤمنين من ذلك العذاب كان برحمته وفضله وكرمه (ونجينا هم من عذاب غليظ) هو عذاب الآخرة ووصفه بالغليظ لأنه أعظم من عذاب الدنيا (ونجينا هوداً والذين آمنوا معه من أن يصل إليهم الكفار بسوء مع اجتهدهم في ذلك ونجينا هم من عذاب غليظ هو الریح المدكورة * ولما ذكره تعالى قصة عاد خاطب أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال (ولذلك عاد) وهو إشارة إلى قبورهم وآثارهم كأنه تعالى قال سيحوا في الأرض فانظروا إليها واعتبروا ثم انه تعالى جمع أوصافهم ثم ذكر عاقبة أحوالهم في الدنيا والآخرة أما أوصافهم فثلاثة الصفات الأولى قوله تعالى (بجدوا يا أيات ربهم) أى بالمجازات التي أتى بها هود عليه السلام الصفة الثانية قوله تعالى (وعصوا رسله) أى هوداً وحده وإنما أتى به بلفظ الجمع أمالته عظيم أولان من عصى رسولاً فقد عصى جميع الرسل لقوله تعالى لا تفرق بين أحد من رسله الصفة الثالثة قوله تعالى (واتبعوا أمر كل جبار عنيد) أى أن السفلة كانوا يقلدون الرؤساء في قولهم ما هذا إلا بشر مثلكم فأطاعوا من دعاهم إلى الكفر وما يرد بهم وعصوا من دعاهم إلى الإيمان ولا يرد بهم والجبار المرتفع المتفرد والعنيد والعنود والمعاند هو المنازع المعارض * ولما ذكر تعالى أوصافهم ذكر أحوالهم بقوله تعالى (واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة) أى جعل اللعن رديها لهم ومتابعا ومصاحباً في الدنيا والآخرة ومعنى اللعنة الإبعاد من رحمة الله تعالى ومن كل خير وقيل اللعنة في الدنيا من الناس وفي الآخرة العذبة على رؤس الأشهاد * ثم انه تعالى بين السبب الأصلي في نزول هذه الأحوال المكروهة بهم بقوله تعالى (الآن عاداً كفروا ربهم) أى كفروا برهم فحذف الباء أو أن المراد بالكفر الجحد أى جحدوا برهم وقيل هو من باب حذف المضاف أى كفر وانعمة ربهم * (تنبيه) * الأداة استفتاح لأن ذكر الأبيدي كلام بعضهم موقعه ويجعل خطبه ثم قال (الآبعاد لعاد) دعاهم عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على أنهم كانوا مستوجبين للنزل بهم بسبب ما حكم

عنه وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفضيلا لامرهم وحثا على الاعراب بحالهم وقوله تعالى (قوم
 هود) عطف بيان لعاد وفائدة تمييزهم من عاد الثانية عاد ارم والايحاء الى استحقاقهم للبعد
 بما جرى بينهم وبين هود القصة الثالثة التي ذكرها الله تعالى في هذه السورة قصة صالح
 عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (والى نوح) وهم سكان الحجر اى وأرسلنا الى نوح (أخاهم)
 فهو معطوف على قوله تعالى نوحا كما عطف عليه والى عاد وقوله تعالى (صالحا) عطف بيان وتلك
 الاخوة كانت في النسب لافى الدين كما مر فى هود ثم أخرج قوله عليه السلام على تقدير سؤال
 بقوله (قال يا قوم) اى يا من يعز على أن يحصل لهم سوء (اعبدوا الله) اى وحدوه وخصوه
 بالعبادة (ما لكم من الغيرة) هو الهكم المستحق للعبادة لانه الامتصاص ثم ذكر الدلائل الدالة
 على وحدانيته تعالى بقوله (هو انشأكم) اى ابتدأ خلقكم (من الارض) وذلك أنهم من بنى آدم
 وآدم خلق من الارض وأران الانسان مخاوق من المسنى وهو متولد من الدم والدم متولد من
 الاغذية وهى اما حيوانية واما نباتية فأما الحيوانية فخالها حال الانسان فوجب انتهاء الكل
 الى النبات والنبات متولد من الارض فثبت أنه تعالى أنشا الانسان من الارض وقيل من بمعنى
 فى كما فى قوله تعالى اذ انودى للصلاة من يوم الجمعة (واستمعركم فيها) اى جعلكم عمارها وسكانها
 وقال الضحاك أطال أعماركم فيها حتى ان الواحد منهم كان يعيش ثمانمائة سنة الى ألف سنة وكذا
 كان قوم عاد وروى ان ملوك فارس قد أكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار ووصلت لهم
 الاعمار الطويلة فسأل نبي من أنبياء زمانهم ربه ما سبب تلك الاعمار فأوحى الله اليه أنهم عمروا
 بلادى فعاش فيها عبادى وأخدم معاوية فى احياء الارض فى آخر عمره فقبل له فى ذلك فقال
 ما خلقى عليه الا قول القائل

ليس القى ببقى لا يستضاه به * ولا يكون له فى الارض آثار

وقال مجاهد استمعركم من العمري اى جعلها لكم ما عشتم فاذا متم انتقلت الى غيركم * وما بين لهم
 عليه السلام عظمة الله تعالى بين لهم طريق الرجوع اليه بقوله (فاستغفروه) اى آمنوا به
 (ثم توبوا اليه) من عبادة غيره لان التوبة لا تصح الا بعد الايمان وقدمت مثل ذلك (ان ربي
 قريب) من خلقه بعلمه لكل من أقبل عليه من غير حاجة الى حركة (محبب) لكل من ناداه
 لا كعبود اتكم فى الامرين * وما قرر لهم عليه السلام هذه الدلائل (قالوا) له (يا صالح قد كنت
 قنصا مر جوا قبل هذا) اى القول الذى جئت به لما ترى فيك من محابيل الرشد والسداد فانك
 كنت تعطف على فقيرنا وتعين ضعيفنا وتعود مرضانا فقول رجائنا فيك أن تصرد بيننا
 فكيف أظهرت العداوة * ثم انهم أضافوا الى هذا التعجب الشديد فقالوا (أنتها أنا أن نعبدما)
 كان (بعبد أبائنا) من الالهة ومقصودهم بذلك التمسك بطرف التقليد وجوب متابعة الاباء
 والاسلاف وتظهر هذا التعجب ما حكاه الله تعالى عن كفار مكة حيث قالوا اجعل الالهة الها
 واحد ان هذا الشئ يعجب ثم قالوا (وانتالى شك مما تدعونا اليه) من التوحيد وتزل عبادة
 الاصنام (مررب) اى موقع فى الرية وهى قلق النفس واستقاء الطمأنينة باليقين والرجاء فعلق

النفس عجيبة الخيرة على جهة الظن ونظيره الامل والطمع والنهي المنع من الفعل بصيغة لاتفعل
 وقولهم هذا مبالغة في تزييف كلامه (قال) صالح عليه السلام مجيبا لهم (يا قوم اوابتم) أي
 أخبروني (ان كنت علي بينة) أي بيان وبصيرة (من ربي) وأتى بحرف الشك على سبيل الجزم
 ليلام الخاطب حال المخاطبين (وأتاني منه رحمة) أي نبوة ورسالة (فمن نصرني) أي يعنني
 (من الله) أي عذابه (ان عصيته) أي ان خالفت أمره في تبليغ رسالته والمنع عن الاشتراك به
 (فما يزيدوني) أي بأمركم لي بذلك (غير تخشع) أي غير تضليل قال الحسن بن الفضل لم يكن صالح
 في خسارة حتى يءول فما يزيدوني غير تخشع وانما المعنى فما تزيدوني بمائة ولون الانسبى اياكم
 الى الخسارة * ولما كانت العادة في يدعي النبوة عند قوم بعدد الاصنام أن يطلبوا المعجزة
 وأمر صالح عليه السلام هكذا كان يروي أن قومه خرجوا في عبد لهم فسأوه أن يأتيهم بآية
 وأن يخرج لهم من مخزنة معينة أشاروا إليها فادعاه فخرجت كاسا أو أشار اليها بقوله
 (ويا قوم هذه ناقة الله) وضافتم الى الله اضافة تشريف كعبت الله (لكم آية) أي معجزة من
 وجوه أحد هاتين آياتها الله تعالى من الصخرة ثابتهما أنه تعالى خلقها في جوف الجبل ثم شق
 الجبل عنها ثالثها أنه تعالى خلقها حاملا من غير ذكر ثم ولدت فصلا يشبهها رابعها أنه تعالى
 خلقها على تلك الصورة دفعة واحدة خامسها ما روى أنه كان لها شرب يوم ولكل القوم شرب
 يوم آخر سادسها أنه كان يحصل منها لبن كثير فيكفي الخلق العظيم به فكل واحد من هذه الوجوه
 معجزة قوى وليس في القرآن الا أن هذه الناقة كانت آية معجزة وأما بيان أنها كانت آية معجزة من
 أي الوجوه فليس فيه بيان * (فبینه) * آية نصب على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال
 منها تقدمت عليها لتسكرها ولو آتخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت اتصفت على الحال ثم قال
 لهم (قد رويها) أي اتركوها على أي حالة كان ترككم لها (تأكل) مما أرادت (في أرض الله)
 من العشب والنبات فليس عليكم مؤنتها فصارت مع كونها آية لهم تتفهم ولا تضرم لانهم كانوا
 يتفهمون بلبنها ثم انه عليه السلام خاف عليها منهم لما شاهد من اصرارهم على الكفر فأت
 الخضم لا يحب ظهوره ورجحة خصمه بل يسي في اخفائها وابطالها بأقصى الامكان فلهذا السبب
 كان يخاف من اقدامهم على قتلها فلماذا احتاط وقال (ولا تمسوها بسوء) أي بعقر أو غيره ثم
 نوءدهم بقوله (فياخذكم) ان مستموها بسوء (عذاب قريب) أي في الدنيا لا يتأخر عن مسكم
 لها الا يسيرا وذلك تحذير شديد لهم في الاقدام على قتلها فخالقوه (فبعقروها) وذبجوها (فقال)
 لهم عند بلوغه الخبر (تمتعوا) أي عيشوا (في داركم) والمتع التلذذ بالمناقع والملاذ التي تدرك
 بالحواس وذلك لا يحصل الا للعي وفي المراد من الدار وجهان أحدهما البلد ونسبى البلد
 الديار لانه يدور فيها أي تصرف فيها يقال ديار بكر لبلادهم الثاني دار الدنيا أي تمتعوا في الدنيا
 (ثلاثة أيام) وذلك لأنهم لما عقروا الناقة أنذرهم صالح عليه الصلاة والسلام بنزول العقاب بعد
 هذه المدة قال ابن عباس انه تعالى لما أمهلهم تلك الايام الثلاثة فقد رغبهم في الايمان ثم
 قالوا صالح عليه السلام وما علامة ذلك قال تصبر وجوهكم في اليوم الاوّل مصفرة وفي

الثاني حجرة وفي الثالث مسوقة ثم يأتيكم العذاب في اليوم الرابع فلما رأوا وجوههم مسوقة
 أيقنوا حينئذ بالعذاب فخصطوا واستعدوا للعذاب فصحبهم اليوم الرابع كما قال تعالى (ذلك)
 أي الوعد العالي الرتبة في الصدق (وعد غير مكذوب) أي فيه فأتسع في العارف بمخد في الحرف
 واجرائه مجرى المفعول به كقوله * ويوم شهدناه (أي ورب يوم شهدنا فيه) صلحا وعاصرا *
 أو غير مكذوب على الجواز وودع غير كذب على أنه مصدر وقوله تعالى (فلما جاء أمرنا فنجينا صالحا
 والذين آمنوا معه برحمة منا) في تفسيره وقراءة الله - مزتين وعدد الذين آمنوا معه مثل ما تقدم
 في قصة عاد (و) نجينا هم (من خزى يومئذ) وهو هلاكهم بالصيحة أو ذلهم أو فضيحتهم يوم
 القيامة وقرأ نافع والكلبي ساقى بفتح الميم من يومئذ على البناء للاضافتها إلى العيني وكسرهما
 الباقون على الاعراب والأول أكثر (أن ربك هو القوي) فهو يغلب كل شئ (العزير) أي
 القادر على منع غيره من غير أن يقدرا حد عليه ثم أخبر تعالى عن عذاب قوم صالح بقوله (وأخذ
 الذين ظلموا) أي أنفسهم بالكفر (الصيحة) أي صيحة جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة
 واحدة فهلكوا جميعا أو أنتم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم في صدورهم فأتوا جميعا كما
 قال تعالى (فأصعقوا في ديارهم جاثين) أي باركين على الركبتين * (تنبيه) * إنما قال تعالى
 وأخذ ولم يقل وأخذت لأن الصيحة محمولة على الصباح وأيضا فصل بين الفعل والاسم المؤنث
 بفواصل فكان الفاصل كالعرض من تاء التأنيث وقوله تعالى (كان) مخففة من الثقيلة وإسماها
 محذوف أي كأنهم لم يفتنوا) أي يقبوا (فيها) أي ديارهم ولم يسكنوها مدة من الدهر يقال
 غنيت بالمكان إذا أقتبه وقوله تعالى (ألان تعود كفرهم ألبعد النمود) تفسيره
 ما تقدم في قوله تعالى ألان عادا كفرهم الآية وقرأ حفص وحزرة ألان تعود بغير تنوين
 للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة والباقون بالتنوين للذهاب إلى الحى أو إلى الأب الأكبر
 ومن نون وقف على ألف بعد الدال ومن لم ينون وقف على الدال ساكنة وقرأ الكلبي
 بعد النمود بتنوين تعود مع الكسر لما تروا والباقون بغير تنوين مع الفتح لما تروا أيضا القصة
 الاربعة التي ذكرها الله تعالى في هذه السورة قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام المذكورة
 في قوله تعالى (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) أي بأحسب ومن وراءه أحسب يعقوب
 والمراد بالرسول الملائكة ولفظ رسلنا جمع وأقله ثلاثة واختلف في الزائد على ذلك وأجمعوا على
 أن الأصل فيهم كان جبريل عليه السلام واقتصر ابن عباس وعطاء على أقل الجمع فقالوا كانوا
 ثلاثة جبريل وميكائيل وإسرافيل وهم الذين ذكرهم الله تعالى في سورة الذاريات بقوله تعالى
 هل أتاكم حديث ضيف ابراهيم المكرمين وفي الحجر وثبتهم عن ضيف ابراهيم وقال
 الضعيف كانوا تسعة وقال محمد بن كعب القرظي كان جبريل ومعه سبعة أملاك وقال
 السدي كان جبريل ومعه أحد عشر ملكا على صورة الغلمان الذين يكونون في غاية الحسن
 قال الصوريون ودخلت كلمة قدهمنا لأن السامع لقصص الانبياء يتوقع قصة بعد قصة وقد
 للتوقع ودخلت اللام في القدر كيد الخبر (قالوا سلاما) أي سلطنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا

على معنى ذكره واسلاماً أي سلوا (قال سلام) أي أمركم أو جوازي سلام أو وعليكم سلام
 * (تنبه) * قوله سلام أكل من قوله السلام لأن التكرير يفيد التكامل والمبالغة والتمام
 ولهذا صرح وقوعه حينئذ لأن الفكرة إذا كانت موصوفة بما يجعلها مبتدأ وأما لفظ السلام
 فإنه لا يفيد إلا الماهية (فان قيل) فلا يثنى ما كنى الأولى في التحلل من الصلاة عند التورى
 (أجيب) بأن ذلك سنة متبعة وقراءة الكسائي بكسر السين وسكون اللام ولا ألف بعدها
 والباقون بفتح السين واللام وبعدها ألف قال الفراء ولا فرق بين القراءتين كما يقال
 حل وحلال وحرم وحرام وقيل سلم هو معنى الصلح أي نحن سلم صلح نجرس (فما لبث أن جاء
 بجعل حينئذ) أي فما أبداً بحجته به والحنيذ المشوي على الحجارة المحمأة في حفرة من الأرض
 وكان سينا يقطر ودكه كما قال تعالى في موضع آخر فخاء بجعل سين قال قتادة كان عامة مال
 ابراهيم البقر روي أن ابراهيم عليه السلام مكث خمس عشرة ليلة لم يأبأه ضعف فاعتم لذلك
 وكان يجب الضيف ولا يأكل الامعة فلما جاءته الملائكة رأى أضيافاً لم ير مثلهم فجعل
 قراهم وجاء بجعل سين مشوي (فلما رأى أيديهم) أي الاضياف (لأنصل اليه) أي
 لا يمتدون أيديهم اليه (نكرهم) أي أنكروهم وأنكر حالهم لامتناعهم من الطعام (وأوجس)
 أي أضرق نفسه (منهم خيفة) أي خوفاً قال قتادة وذلك أنهم كانوا اذا نزل بهم ضعف فلم
 يأكل من طعامهم ظنوا أنه لم يأت بخير وانما جاء بشر (قالوا لا تخف يا ابراهيم) (أنا) ملائكة
 الله (أرسلنا إلى قوم لوط) بالعذاب وانما لم يبدلنا إلا لأننا كل (وأمر أنه) أي ابراهيم
 سارة وهي ابنة عم ابراهيم (قائمة) وراءه الاسترسمع محاورتهم أو على رؤسهم للخدمة فسمعت
 الإشارة بالولد التي دل عليها فيما مضى قوله بالبشرى (ففتحكت) سروراً من تلك البشري
 لزوجها مع كبره ورميها من غيرها لأنها كانت جهوراً عاقباً فأزبل ذلك الطن عنها بقوله تعالى
 (فبشرناها) أي على لسان الملائكة تنسري فظالها وتغصم الشأمن (باسحق) تلده (ومن وراء
 اسحق يعقوب) أي يكون يعقوب عليه السلام ابناً لاسحق عليه السلام فتعيش حتى ترى ولد
 ولدها قال البقاعي والذي يدل على هذا التقدير من أنهم بشروه بالولد قبيل امرأته فسمعت
 فحجبت ما يأتي عن نص التوراة وساق عن التوراة عبارة مطولة وقيل سبب سرورها زوال
 الخيفة أو هلاك أهل الفساد وقيل ففتحكت فخاضت كما قال الشاعر
 عهدى يسلي ضاحكاً في لسانه * أي حاضاً في جماعة من النساء وهذا يراد على الفراء حيث
 قال فتحكت به في حاضت لم نسمع من ثقة وقال آخر * ففتحك الضمير لقتلي هذيل * أراد أنها
 تحمض فرحاً * (تنبه) * ههنا همزان مكسوران من كلمتين قرأوا لولن والبري بتسهيل الأولى
 مع المد والقصر وقرأ أورش وقنبل بتسهيل الثانية وابدائها أيضاً حرف مد وقرأ أبو عمرو وباسقاط
 أحدهما مع المد والقصر والباقون بتحقيق الهمزتين ولا ألف بينهما (قالت يا ويلتا) هذه
 كلمة يقال عند أمر عظيم والالف مبدلة من ياء الاضافة (أالدوا بنحور) وكانت ابنة تسعين
 سنة في قول ابن اسحق وقال مجاهد تسع وتسعين سنة (وهذا يعني) أي زوجي حتى بذلك لأنه

قيم أمرها وقولها (شجنا) نصب على الحال قال الواحدى وهذا من لطيف التصور وغامضه
 فان كلمة هذا الاشارة فكان قولها وهذا بعل شجنا قائم مقام أن يقال أشير الى بعل حال كونه
 شجنا والمقصود تعرف هذه الحالة المخصوصة وهى الشيوخوخة وكان ابن مائة وعشرين سنة
 فى قول ابن اسحق وقال مجاهد مائة سنة وكان بين البشارة والولادة سنة (ان هذا الشئ عجيب)
 أى ان الولد من هرمن فهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك (قالوا) أى
 الملائكة لسارة (أنعجبين من أمر الله) متكررين عليهم اذك أى لانعجبين من ذلك فان الله
 تعالى قادر على كل شئ واذا أراد شئاً كان سريراً فان خوارق العادات باعتبار أهل بيت النبوة
 ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس بمستغرب (رحمة الله وبركاته
 عليكم أهل البيت) أى بيت ابراهيم وأهل منصوب على المدح أو النداء القصد التخصيص
 كقولهم اغفر لنا أيها العصابة وهذا على معنى الدعاء من الملائكة لهم بالخير والبركة وفيه دليل
 على ان أزواج الرجل من أهل بيته (أنه) تعالى (حميد) أى محمود على كل حال أو فاعل
 ما يستوجب به الحمد (محميد) أى كثير الخير والاحسان القصة الخامسة التى ذكرها الله تعالى
 فى هذه السورة قصة لوط عليه السلام المذكورة فى قوله تعالى (فلما ذهب عن ابراهيم الروح)
 أى الخوف وهو ما أوجس من الخيفة حين أنكر أضيافه واطمأن قلبه بعرفانهم (وجاءه
 البشرى) بدل الروح بالولد أخذ (بجادلنا) أى يجادل رسلنا (فى) شأن قوم لوط (وجواب لما
 أخذ يجادلنا لأنه حذف اللفظ لدلالة الكلام عليه وقيل تقديره لما ذهب عن ابراهيم الروح
 جادلنا (فان قيل) كيف جادل ابراهيم الملائكة مع علمه أنهم لا يمكنهم مخالفة امر الله وهذا
 منكر (أجيب) بأن المراد من هذه المجادلة تأخير العذاب عنهم لعلمهم بؤمنون ويرجعون عما هم
 فيه من الكفر والمعاصى لان الملائكة قالوا اناهم لىكوا أهل هذه القرية أو ان مجادلته انما
 كانت فى قوم لوط بسبب مقام لوط فيهم ولهذا قال ابراهيم عليه السلام أرايتم لو كان فيها
 خمسون رجلاً من المؤمنين أتهم لىكونها قالوا لا قال أو أربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا قال
 فثلاثون قالوا لا حتى بلغ خمسة قالوا لا قال أرايتم لو كان فيها رجل مسلم أتهم لىكونها قالوا لا
 فعند ذلك قال ان فيها لوطا وقد ذكر الله تعالى هذا فى سورة العنكبوت فقال ولما جاء رسلنا
 ابراهيم بالبشرى قالوا اناهم لىكوا أهل هذه القرية ان أهلها كانوا ظالمين قال ان فيها لوطا قالوا
 نحن أعلم عن فيها النجسين وأهل الامر أنه كانت من الغابرين قال ابن جرير وكان فى قري
 لوط أربعة آلاف لوطا لو كانت هذه المجادلة مذمومة لمامدحه بقوله تعالى (ان ابراهيم حلميم)
 أى لا يتعجل مكافأة غيره بل يتأني فيها فيؤخر او يعفو ومن هذا حاله يجب من غيره هذه الطريقة
 وهذا مدح عظيم من الله تعالى لابراهيم ثم ضم الى ذلك ما يتعلق بالحلم وهو قوله تعالى (أواه)
 أى كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس (متنب) أى رجع فلما طال مجادلتهم قالوا له
 (يا ابراهيم أعرض عن هذا) أى الجدال وان كانت الرحمة لديك فلا فائدة فيه (انه قد جاء أمر
 ربك) أى قضاؤه الا نزل بعد ايهام وهو أعلم بحالهم (وانهم أتتهم عذاب غير مردود) أى لا سبيل

الى دفعه وردة (ولما بعث رسلنا لوطا) أي هؤلاء الملائكة الذين بشروا ابراهيم بالولد قال ابن عباس انطلقوا من عند ابراهيم الى لوط وهو ابن أخي ابراهيم عليه الصلاة والسلام وبين القريتين أربعة فراسخ ودخلوا عليه على صورة شباب مرد من بني آدم وكانوا في غاية الحسن ولم يعرف لوط انهم ملائكة الله تعالى (سبيهم) أي حزن بسببهم (وضاق بهم ذرعا) أي صدرا يقال ضاق ذرع فلان بكذا اذا وقع في مكروه لا يطيق الخروج منه وذلك ان لوطا نظر الى حسن وجوههم وطيب روائحهم تخاف عليهم خبت قومه وأن يعجز عن مقاومتهم وقيل ساء ذلك لانه عرف بالآخر انهم ملائكة الله تعالى وانهم جاؤا لاهلاك قومه ففر قلبه على قومه (وقال هذا يوم عصب) أي شديد كانه قد عصب به الشر والبلاء أي شديدا ما خوذ من العصابة التي تشد بها الرأس قال قتادة خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قرية لوط فانوا لوطا نصف النهار وهو في أرض له يعمل فيها وروى أنه كان يحطب وقد قال الله تعالى لهم لا تلهكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فاستضافوه وانطلق بهم فلما مضى ساعة قال لهم ما بلغكم من أمر هذه القرية قالوا وما أمرهم قال أشهد بالله انها الشمر قريبة في الأرض علي يقول ذلك أربع مرات وروى أن الملائكة جاؤا الى بيت لوط فوجدوه في داره ولم يعلم بذلك أحد الأهل بيت لوط فخرجت امرأته فأخبرت قومه وقالت ان في بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قط (وجاهه قومه) لما علموا بهم (بهرعون) أي يسرعون (اليه) قاله ابن عباس وقال الحسن الازراع المشي بين مشيين (ومن قبل) أي قبل مجيئهم الى لوط وقيل من قبل مجي الرسل اليهم (كانوا يعلمون السينات) أي القهلات الخفية والفاحشة القبيحة وهي آيات الرجال في أدبارهم لوط (قال) لقومه حين قصدوا أضفاه وظنوا انهم غلبان من بني آدم (يا قوم هؤلاء بناقي) قال مجاهد وسعد بن جبير أراد بيننا نساء قومه وأضافهن الى نفسه لأن كل بني هو أبو أمته كالوالد لهم أي فترتوجوا منهن وقيل أراد بنات نفسه عرضهن عليهم بشرط الاسلام وقيل كان في ذلك الوقت وفي تلك الشريعة يباح تزويج المرأة المسلمة بالكافر كما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته من عتبة بن أبي لهب وأبي العاص بن الربيع قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فأراد أن يزوجهما ابنته (هن أظهر لكم) أي أنطف فعلا (فان قبل) افعال التفضيل تقتضي كون العمل الذي يطلوبونه طاهرا ومعلوم انه فاسد لانه لا طهاره في آيات الرجال (أوجب) بان هذا جار مجرى قوله تعالى اذ لك خبر زلأم شجرة الزقوم ومعلوم أن شجرة الزقوم لا خير فيها وكقوله صلى الله عليه وسلم لما قالوا يوم أحد اعدل جبل قال الله اعلى وأجل ولا عائله بين الله تعالى والصم وانما هو كلام خرج مخزج المقابلة ولهذا نظائر كثيرة (فائقوا الله) وراقبوه واتركوا ما أنتم عليه من الكفر والمعاصي (ولا تحزبون) أي تفضضوني (في ضنني) أي أضيا في (اليس منكم رجل رشيد) يهتدى الى الحق قبا مر بالمعروف وينهي عن المنكر (قالوا لقد علمت ما لنا في بناق من حق) أي حاجه (وانك تعلم ما تريد) أي من آيات الله كورد وما لنا فيه الشهوة فمن ذلك (قال) أي لوط عليه السلام (لو أن لي بكم

قوله ابن الربيع
هو كذلك في متن
السواهب قال
شارحه على
الصواب ورواه
يحيى بن بكير ومعنى
ابن عيسى وأبو
مصعب وغيره عن
مالك وروى
الجمهور عنه انه
ابن ربيعة وادعى
الاصبلي انه ابن
الربيع بن ربيعة
٥١

قوة) أي طاقه (أو أوى إلى ركن شديد) أي عشيرة تنصرف به كمن الجبل في شدته وعنه
 صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى لوطا كان يأوى إلى ركن شديد والركن الشديد نصر الله
 وموئته فكان النبي صلى الله عليه وسلم استقر من لوط عليه السلام قوله أو أوى إلى ركن
 شديد وعده نادرة إذ لا يمكن أشد من الركن الذى كان يأوى إليه وجواب لوط محذوف تقديره
 لبطشت بكم أو ولد فقتكم روى أنه أغلق بابيه دون أضيافه وأخذ يجادلهم من وراء الباب
 فقتلوا الجدار فلما رأته الملائكة ما على لوط من الكرب (قالوا يا لوط انزلنا ربك إن يصلوا
 إليك) بسوء فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل ربه في عقوبتهم
 فأذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فذبح جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در من منظوم
 وهو براق الشنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم كما قال تعالى فطمسنا أعينهم فصاروا
 لا يعرفون الطريق ولا يهتدون إلى بيوتهم فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط
 قوما حرة * (تنبه) * لن يصلوا إليك جملة موضحة للتي قبلها لانهم إذا كانوا رسل الله لن
 يصلوا إليه ولن يقدروا على ضرره ثم قالوا له (فأسر بأهلك بقطع) أي طاقه (من الليل)
 وقرأ نافع وابن كثير بعد الفاء بهمزة وصل من السرى والباقون بهمزة قطع من الاسراء (ولا
 يلتفت منكم أحد) أي لا ينظر إلى ورائه لئلا يرى عظيم ما نزل بهم وقوله (الامرأتك) قرأه
 ابن كثير وأبو عمرو وبرقع التاء على أنه يدل من أحد والباقون بالنصب على أنه استثناء من الأهل
 أي فلاتسربها (أنه مصيها ما أصابهم) فلم يخرج بها وقيل خرجت والتفت فقالت واقوماه
 فجاءها حجر فقتلها روى أنه قال لهم متى موعد هلاكهم فقالوا له (إن موعدهم الصبح) قال
 أريد أسرع من ذلك فقالوا (أليس الصبح يقرب) أي فأسرع الخروج عن أمرت بهم (فلما
 جاء أمرنا) أي عذابنا بهلاكهم (جعلنا عاليها) أي قراهم (سافلها) روى أن جبريل
 عليه السلام أدخل جناحه تحت قرى قوم لوط المؤتفكات المذكورة في سورة براءة وكانت
 خمس مدائن وفيها أربعة مائة ألف وقيل أربعة آلاف فرقع المدائن كلها حتى سمع أهل
 السماء صياح الديكة ونهيق الجمل ونباح الكلاب ليكفأ لهم آناه ولم ينتبه نائم ثم أسقطها مقلوبة
 إلى الأرض (وأطمرنا عاليها) أي المدين بعد قلبها وقيل على شذاها وهو بضم الشين المجهمة
 وبذالين يهجنين أولاهما شدة وهم الذين ليسوا من أهلها يكونون في القوم وليسوا منهم
 (حجارة من سجيل) أي من طين طنج بالنار كما قال تعالى في موضع آخر من طين وقيل مثل السجيل
 وهو الدلو العظيمة (منضود) أي متتابع يبيع بعضها بعضا (مسومة) أي معلة عليها اسم
 من يربى بها وقال أبو صالح رأيت بها عند أم هانئ وهي حجارة فيها خراطم حرد على هيئة البزغ
 وقال الحسن عليها أمثال الخواتيم وقال ابن جرير كان عليها اسماء يعلم بها أنها ليست من حجارة
 الأرض وقوله تعالى (عند ربك) فارق لها (وما هي) أي تلك الحجارة (من الظالمين) أي
 مشركي مكة (يبعد) أي بشئ بعيد أو مكان بعيد لأنها وان كانت في السماء وهي مكان بعيد
 إلا أنها إذا وقعت منها فهي أسرع شئ لحو قبالمرى فكانت حجارة كان في بيوتهم وفيه وعيد لهم

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جبريل فقال يعنى ظالمى مكة ما من ظالم منهم الا وهو
يعرض عليه حجر فيسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى أى هي قرية من ظالمى مكة
يترون عليها في مدينتهم القصة السادسة التى ذكرها الله تعالى في هذه السورة قصة شعيب عليه
السلام المذكورة في قوله تعالى (والى مدين) أى وأرسلنا الى مدين وهم قبيلة أبوهم مدين بن
ابراهيم عليه السلام وقيل هو اسم مدينة بناها مدين المذكور وعلى هذا فالتقدير وأرسلنا
الى أهل مدين فحذف المضاف للدلالة الكلام عليه (أخاهم) أى فى النسب لافى الدين و (شعبيا)
عطف بيان وكان قائلًا قال فما قال لهم فقيل (قال) ما قال اخوته من الانبياء فى البداية بأصل
الدين (يا قوم) مستعطفًا لهم مظهر اغاية الشفقة (اعبدوا الله) أى وحدوه ولا تشركوا به
شيئاً (مالك من اله غيره) فلقد اتفقت كما ترى كلمتهم واتحدت الى الله تعالى دعوتهم وهذا
وحده قطعى الدلالة على صدق كل منهم لما علم قطعاً من تباعد اصهارهم وتناهى ديارهم
وان بعضهم لم يلم بالعلوم ولا عرف أخبار الناس الا من الى القيوم ولما دعاهم الى
العدل فيما بينهم وبين الله تعالى دعاهم الى العدل فيما بينهم وبين عبيده فى أقمج ما كانوا
اتخذوه بعد الشرك لئلا يقال (ولا تنقصوا) بوجه من الوجوه (الميكال والميزان) أى الى الكيل
ولا آتته ولا الوزن ولا آتته والكيل تعديله الشئ بالآلة فى القلة والكثرة والوزن تعديله
فى الخفة والنقل فالكيل العدل فى الكمية والوزن العدل فى الكيفية ثم علل ذلك بقوله (أتى)
أراً كم يجير) أى بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف قال ابن عباس كانوا موسرين فى نعمة
وقال بجاهد كانوا فى خصب وسعة فحذرهم زوال تلك النعمة وغلاء السعر وحلول النعمة
ان لم يؤمنوا وتوبوا وهو قوله (وأنى أخاف عليكم) ان لم تؤمنوا (عذاب يوم يحيط
بكم فيه) أى بكم جميعاً وهو عذاب الاستئصال فى الدنيا وعذاب النافى الآخرة ومنه قوله تعالى
وأنت جهم لمحيطه بالكافرين والمحيط من صفة اليوم فى الظاهر وفى المعنى من صفة العذاب
وذلك مجاز مشهور وكقوله هذا يوم عصب (ويا قوم أوفوا) أى أتموا اتماماً حسناً (الميكال
والميزان) أى الكيل والوزن وألتما (فان قبل) النهى عن النقصان أمر بالابقاء فإفادة
قوله تعالى أوفوا (أجيب) بأنهم نهوا أولاً عن القبيح الذى كانوا عليه من نقص الميكال والميزان
لأن فى التصريح بالقبيح نهي عن المنهى وتغييره ثم ورد الأمر بالابقاء الذى هو حسن فى العقول
مصرحاً بلقطه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وحج به مقيداً (بالقسط) أى ليكون الايقاع على
وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان أمر اجماعه الواجب لأن ما جاوز العدل فضل
وأمر مندوب اليه غير المأمور به وقد يكون محظوراً كما فى الربا وقوله تعالى (ولا تبغضوا الناس
أشياءهم) تعميم بعد تخصيص فانه أهم من أن يكون فى المقدار وفى غيره فانهم كانوا يأخذون
من كل شئ يباع كما تفعل السامرة وكانوا يمسكون الناس وكانوا ينقصون من أثمان ما يشترون
من الاشياء فنهوا عن ذلك فظهر بهذا البيان ان هذه الاشياء غير مكررة بل فى كل واحد منها فائدة
زائدة والحاصل انه تعالى نهى فى الآية الاولى عن النقصان فى الميكال والميزان وفى الثانية أمر

باعطاء قدر الزيادة ولا يحصل الجزم واليقين بأداء الواجب الا عند أداء ذلك القدر من الزيادة
 ولهذا قال الفقهاء انه تعالى أمر بغسل الوجه وذلك لا يحصل الا عند غسل جزء من الرأس
 فكأنه تعالى نهى أولاً عن سعي الانسان في أن يجعل مال غيره ناقصاً يحصل له تلك الزيادة
 وفي الثاني أمر بأن يسعى في تنقيص مال نفسه ليخرج بالتعيين عن العهدة كما قيده بقوله تعالى
 بالقسط وفي الآية الثالثة نهى عن النقص في كل الأشياء وكذا قوله تعالى (ولا تعسوا
 في الارض مفسدين) فان العتويم تنقيص الحقوق وغيرها من أنواع الفساد ومفسدين حال
 مؤكدة لمعنى عاملها وقائدها اخراج مائة صديب الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام
 (بقيت الله) قال ابن عباس يعني ما بقى الله لكم من الحلال بعد ابقاء الكيل والوزن (خير
 لكم) مما تأخذونه بالتطعيم وقال مجاهد مما يحصل لكم في الدنيا من المال الحرام
 (ان كنتم مؤمنين) أي مصدقين بما قلت لكم وأمرتكم به * (فائدة) * بقيت رسمت هنا
 بالتاء المحرورة وقف عليها ابن كثير وأبو عمرو والكسائي والباقون وقوا علمها بالهاء (وما
 أنا عليكم بحفيظ) أعلم جميع أعمالكم وأقدر على كفكم عما يكون منها فساداً ولما أمرهم
 شعب عليه السلام بثنتين بالتوحيد وبترك الخس (قالوا) له (يا شعيب) سمعوا باسمه استخفافاً
 وغلظة وأنكروا عليه متميزين به (أصلواتك تأمرتك) أي تفعل معلن فعل من يأمر دائماً بشككنا
 (أن نترك ما يعبد) أي على سبيل المواظبة (أباؤنا) من الاصنام فخذف الذي هو التكليف
 لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره قالوا له ذلك في جواب أمره لهم بالتوحيد (أو) ترك
 (أن تفعل) أي دائماً (في أموالنا مناشأه) من قطع الدراهم والذئاب وفساد المعاملة
 والمقامرة ونحوها مما يكون افساد المال قالوا له ذلك في جواب النهي عن التطعيم والامر
 بالايقاء وانما أضافوا ذلك الى صلواته تكماً واستزاه بها واشعاراً بأن مثل هذا لا يدعو اليه
 داع عقلي وانما دعا اليه خطرات ووسوس من جنس ما توارب عليه وكان شعيب عليه
 الصلاة والسلام كثر الصلاة في الليل والنهار وكان قومه اذا رأوه يصلي تغافروا وتضاحكوا
 وقصدوا بقولهم أصلواتك تأمرتك السخرية والهزة كما أنك اذا رأيت معنوها يطالع كتباً ثم
 يذكر كلاماً فاسداً فيقال له هذا فائدة مطالعة تلك الكتب على سبيل الهزة فكذا هنا وقرأ حفص
 وحزرة والكسائي أصلواتك بالافراد والباقون بالجمع والتاء بالرفع في القراءتين وغلظ ورش
 اللام في أصلواتك وقولهم له (أنك لانت الحليم الرشيد) تم كتم به وقصدوا وصفه بضد ذلك كما
 يقال للخبيل الخسيس لورا لسانه لسجدك وعلوا انكار ما به معونه من واسعه بعدوه بأنه موسوم
 بالحلم والرشد المانعين من المبادرة الى مثل ذلك ثم أخرج قوله عليه الصلاة والسلام على تقدير
 سؤال بقوله (قال يا قوم) مستعطفاً لهم لما بينهم من عواطف القرابة منبها لهم على أحسن النظر
 فيما ساقه على سبيل الفرض والتقدير ليكون أدعى الى سبيل الوفاق والانصاف (أرأيتم) أي
 أخبروني (ان كنت على يمينه) أي برهان (من ربي) وعطف على جملة الشرط المستفهم عنه قوله
 (ورزقني) والضمير في (منه) لله تعالى أي من عنده باعائه بلا كتمني في تحصيله وعظم الرزق

بقوله (رزقنا حسنا) جليلا وما لاحلالا لم أعظم فيه أحدا وجواب الشرط محذوف أي فهل يسوغ
 مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان أخون في وحيه فأخالفه في أمره
 ونهيه وهذا اعتذار عما أنكروا عليه من تغيير المألوف والنهي عن دين الآباء (وما أريد
 أن أخالفكم) أي واذهب (إلى ما أنها كم عنه) فارتكبه (أن) أي ما (أريد) أي فيما أمركم به
 وأنها كم عنه (الإصلاح) أي ما أريد إلا ان أصلحكم بموعظتي ونصيحتي وأمرى بالمعروف
 ونهي عن المنكر (ما استطعت) أي وهو البلاغ والانداز فقط ولا استطعت اجباركم على
 الطاعة لأن ذلك إلى الله تعالى فانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء (وما توفيتي) أي لاصابة الحق
 والصواب (إلا بالله) أي الاجتهوت وتأييده (عليه) لا على غيره (توكلت) أي اعتمدت في جميع
 أمورى فانه القادر على كل شيء وما عداه عاجز وهذه الصيغة تفيد الحصر فلا ينبغي للإنسان
 أن يتوكل على أحد إلا الله تعالى وفيه إشارة إلى محض التوحيد الذي هو أقصى مراتب
 المبدأ وأما قوله (وآله أنيب) ففيه إشارة إلى معرفة المعاد وهو أيضا تفيد الحصر لأن قوله وآله
 أنيب يدل على انه لا مأب للخلق إلا إلى الله تعالى وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه كان اذا ذكر
 شعبيا قال ذلك خطيب الانبياء الحسن مر اجعته قومه (ويا قوم لا يجرم منكم) أي لا يكسب منكم
 (شقاقي) أي خلافي وهو فاعل يعبرم والضمير مفعول أول والمفعول الثاني (أن يصيبكم) عذاب
 العاجلة على كفركم وأفعالكم الخبيثة قال في الكشف جرم مثل كسب في تعديه إلى مفعول
 واحد وإلى مفعولين تقول جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا وكسبته آياه ومنه قوله تعالى لا يجرم منكم
 شقاقي أن يصيبكم (مثل ما أصاب قوم نوح) من الفرق (أو قوم هود) من الریح العقيم
 (أو قوم صالح) من الرجفة (وما قوم لوط منكم بعيد) لافي الزمان ولا في المكان لانهم كانوا
 حديثي عهد بهلاكهم وكانوا جيران قوم لوط وبلادهم قريبة من بلادهم فان القرب في الزمان
 والمكان يفيد زيادة المعرفة وكال الوقوف على الاحوال فكأنه يقول اعتبروا بأحوالهم
 واحذروا من مخالفة الله ومنازعة حتى لا ينزل بكم مثل ذلك العذاب (فان قيل) لم قال بعيد
 ولم يقل بعيدين (أجيب) بأن التقدير وما اهلا بهم بشئ بعيدا وأيضا يجوز أن يسوى في قريب
 وبعيد وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودهما على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق
 ونحوهما انتهى (واستغفروا ربكم) أي آمنوا به (تم توبوا إليه) عن عبادة غيره لأن التوبة
 لانصح الابدال ايمان وقدم وتمثل ذلك (ان ربي رحيم) أي عظيم الرحمة للنايبين (ودود) أي
 محب لهم * ولما بالغ عليه السلام في التقرير والبيان أجابوه بأنواع فاسدة الأولى (قالوا له)
 (يا شعيب ما نفقه) أي ما نفهم (كثيرا مما تقول) (فان قيل) انه كان يحاط بهم بلسانهم فلم
 قالوا ما نفقه (أجيب) بأنهم كانوا لا يلقون اليه اذهانهم لشدة قفرتهم عن كلامه وهو قوله تعالى
 وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وأنهم فهموه ولكنهم ما أقاموا له وزنا فنذكروا
 هذا الكلام على وجه الاستهانة كما يقول الرجل لصاحبه اذ لم يعبا مجديته ما أدري ما تقول
 النوع الثاني قوله له (وانالرت فينا ضعيقا) أي لا قوة لك فتشغ منان أردناك بسوء أو ذليلا

لا عزك وقيل أعمى بلفه جبرته قتادة وفي هذا تجوز العمى على الانبياء الا ان هذا اللفظ
 لا يحسن الاستدلال به في اثبات هذا المعنى لانه ترك الظاهر من غير دليل وقيل ضعيف البصر قاله
 الحسن * النوع الثالث قولهم له (ولو لارهطك) أي عشرتك وعزمتهم عندنا لكونهم على ملتنا
 لا تخوف من شوكتهم (لرجنك) بالجارحة حتى توت والرهط من الثلاثة الى عشرة وقيل الى
 السبعة والمقصود من هذا الكلام انهم ينواله لانه لا حرمة له عندهم ولا وقع له في صدورهم
 وانهم اعلم يقتلوه لاجل احترام رهطه * النوع الرابع قولهم له (وما أنت علينا بعزير) أي
 لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ورفعتك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من
 أهل ديننا ولم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا ولما خوف الكفار شعيبا عليه السلام بالقتل
 والابناء حكى الله تعالى عنهم ما ذكره في هذا المقام وهو نوعان * الأول (قال) لهم (يا قوم)
 مستعظا فلهم مع غلظتهم عليه (أرهطى أعز عليكم من الله) المحبط بكل شيء قدرة وعلما حتى
 نظرتهم اليهم في قرابتي منهم ولم تنظروا الى الله تعالى في قرابي منه لما ظهر على من كرمته تعالى
 (واخذنقروهم وراءكم ظهريا) أي جعلتهم كالنسي المنبوذ وراء الظهر بإشراككم به والاهانة
 لرسوله قال في الكشاف والظهور منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ونظيره
 قولهم في النسبة الى الامس امسى بكسر الهمزة وقوله (ان ربي بما تعملون محبط) أي انه علم
 بأحوالكم فلا يخفى عليه شيء منها * النوع الثاني قوله (يا قوم اعلموا على مكاتكم) والمكانة
 الحالة التي يمكن صاحبها من علم والمعنى اعلموا حال كونكم موصوفين بغاية المكنة والقدرة
 وكل ما في وسعكم وطاقتكم من افعال الشرور الى (اني) أيضا (عامل) بما آتاني الله من القدرة
 والاطاعة (سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب) فمن موصولة مفعول العلم
 (فان قيل) لم يقل فسوف تعلمون (أجيب) بأن ادخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل
 وأما حذف الفاء فيجعله جوابا عن سؤال. قدتر وهو المسمى في علم البيان بالاستئناف البياني
 تقديره انه لما قال (يا قوم اعلموا على مكاتكم) في عامل فكأنهم قالوا فاذا يكون بعد ذلك فقال
 سوف تعلمون فظهر ان حذف حرف الفاء ههنا أكمل في بيان الفصاحة والنهول لانه استئناف
 (وارتقبوا) أي انظروا عاقبة أمركم (اني معكم رقيب) أي منتظر والرقيب بمعنى الرقيب من
 رقبه كالضرب والصرير بمعنى الضارب والصارم أو بمعنى المراقب كالعشير والنديم أو بمعنى
 المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المنتظر والمرتفع (ولما جاء أمرنا) بعد ايمهم واهلاكهم (فحينئذ
 شعيبا والذين آمنوا معه برحمة) أي بفضل (مننا) بأن هديناهم للايمان ووفقتناهم للطاعة (فان قيل)
 لم جاءت قصة عاد وقصة مدين بالواو وقصة صالح ولوط بالفاء (أجيب) بأن قصة عاد ومدين
 لم يسبقهما ذكر وعديجري مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فانما ذكر ابعدا للوعد
 وذلك قوله تعالى ويحذركم الله ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء النسبية (وأخذت
 الذين ظلموا) أي ظلموا أنفسهم بالشرك والبص (الضيعة) أي ضيعة جبريل عليه السلام
 ضاح بهم صيحة نوحين أو اوحىهم وما قوا جبلا وقتل أتهم صيحة من السماء (فأصحبوا)

في ديارهم جاين) أي باركين على الركب ميتين (كان لم يفتنوا) أي كانوا لم يفتنوا (فيها) أي
 ديارهم مدة من الدهر مأخوذ من قولهم غنى بالمكان إذا أقام فيه مستغنياً عن غيره (الأبعدا)
 أي هلاكاً (المدين كبعدهت عمود) انما شبههم بهم لأن عذابهم كان أيضاً بالصيحة لكن صيغتهم
 كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم قال ابن عباس لم يعذب الله تعالى أمتين بعذاب
 الا قوم شعيب وقوم صالح فأما قوم صالح فأخذتهم الصيحة من تحتهم وأما قوم شعيب
 فأخذتهم الصيحة من فوقهم * القصة السابعة التي ذكرها الله تعالى في هذه السورة وهي آخر
 قصصها قصة موسى عليه الصلاة والسلام المذكورة في قوله تعالى (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا)
 أي التوراة مع ما فيها من الشرائع والاحكام (وسلطان مبين) أي برهان بين ظاهر على صدق
 نبوته ورسالته وقيل المراد بالآيات المعجزات وبالسلطان المبين العصا لأنها أظهر الآيات
 وذلك لأن الله تعالى أعطى موسى تسع آيات ينبت وهي العصا واليد البيضاء والظوفان
 والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص من الثمرات والسنين ونهم من أبلد نقص
 الثمرات والسنين باطلال الجبل وقلق البحر قال بعض المحققين سميت الحجة سلطاناً لأن
 صاحب الحجة يقهر من لا حجة له كالسلطان يقهر غيره والعلماء سلاطين بسبب كمالهم في القوة
 العلمية والمولود سلاطين بحسب ما معهم من القدرة والمكنة الآن سلطة العلماء أكمل
 وأقوى من سلطة المولود لأن سلطة العلماء لا تقبل التسخروا العزل وسلطة المولود تقبلهما
 ولأن سلطة المولود تابعة لسلطة العلماء لأن سلطة العلماء من جنس سلطة الأنبياء وسلطة
 المولود من جنس سلطة الفراعنة (الفرعون) طاعة القبط (ومثله) أي أشرف قومه الذين
 تتبعهم الأذنان لأن القصد الأكبر رفع أيديهم عن بني اسرائيل (فأتبعوا أمر فرعون) أي
 أتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الذي لا ينجي فساد على من له
 أدنى مسكة من العقل ولم يتبعوا موسى الهادي إلى الحق المؤيد بالمعجزات الظاهرة الباهرة
 لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم (وما أمر فرعون برشيد) أي بسديد ولا حميد العاقبة
 ولا يدعوا إلى خير وقيل رشيد ذو رشد وانسلاخ فرعون من الرشد كان ظاهراً لأنه كان دهرياً
 نافياً للصانع والمعاد وكان يقول لا اله الا الله العالم وانما يجب على أهل كل بلد أن يشتهلوا بطاعة
 سلطانهم وعبوديته رعاية لمصلحة العالم وكل الرشد في عبادة الله تعالى ومعرفة فلما كان هو نافياً
 لهذين الأمرين كان خالياً عن الرشد بالكلية (يقدم قومه يوم القيامة) إلى النار كما كان يقدمهم
 في الدنيا إلى الضلال أو كما تقدم قومه في الدنيا فأدخلهم البحر وأغرقهم فكذا يقدمهم في
 القيامة فدخلهم النار كما قال تعالى (فأوردتهم النار) (فان قيل) لم يقل يقدم قومه فيوردتهم
 النار بل أتى بلفظ الماضي (أجيب) بأنه انما أتى بلفظ الماضي مبالغة في تحققة ونزل
 النار له منزلة الماء فسمى اتيانهم مورداً ولهذا قال تعالى (وبئس الورد المورود) ووردتهم لأن
 الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الالباب والنار ضدته (فان قيل) لفظ النار مؤنث فكان
 مختصاً بذلك أن يقال وبئس الورد المورود (أجيب) بأن لفظ الورد مذكر فكان التذكير

والتأنيث جائزين كما تقول نعم المنزل دارك ونعمت المنزل دارك فمن ذكر غلب المنزل ومن أنثى
 على تأنيث الدار (وأتعوا في هذه) أي الدنيا (لعنة) أي طردا وبعد اعن الرحمة (ويوم القيامة)
 أي واتعوا يوم القيامة لعنة أخرى فهم ملعونون في الدنيا والآخرة وتظيره قوله تعالى في سورة
 القصص (وأتعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين (بئس الرفد) أي العون
 (المرفود) رَفَدَهُمْ سَأَلَ رَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ هُوَ اللَّعْنَةُ بَعْدَ اللَّعْنَةِ وَقَالَ قَتَادَةُ
 تَرَادَفَتْ عَلَيْهِمْ لَعْنَتَانِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى لَعْنَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَعْنَةٌ فِي الْآخِرَةِ وَكُلُّ شَيْءٍ جَعَلْتَهُ عَوْنًا لِمَنْ تَرَفَدْتَهُ
 رَفَدْتَهُ بِهِ وَسَمِيَتْ اللَّعْنَةُ عَوْنًا لِأَنَّهَا إِذَا تَعَبْتُمْ فِي الدُّنْيَا بَعَدْتُمْ عَنْ الرَّحْمَةِ وَأَعَانَتْكُمْ عَلَى مَا هُمْ فِيهِ مِنَ
 الضَّلَالِ وَسَمِيَتْ رَفْدًا أَي عَوْنًا لِهَذَا الْمَعْنَى عَلَى التَّهْكِيمِ كَقَوْلِ الْقَائِلِ * تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ *
 وَسَمِيَتْ مَعْنًا لِأَنَّهَا أُرْدِفَتْ فِي الْآخِرَةِ بِلَعْنَةٍ أُخْرَى لِيَكُونَ هَاتَيْنِ إِلَى طَرِيقِ الْجَحِيمِ وَلِمَا ذَكَرَ تَعَالَى
 قِصَصَ الْأَوَّلِينَ قَالَ تَعَالَى (ذَلِكَ) أَي الْمَذْكُورُ وَهُوَ مِثْلُ مَا أَخْبَرَهُ (مَنْ أَبَاءَ الْقُرَى) أَي أَخْبَارَ
 أَهْلَ الْقُرَى وَهُمْ الْأُمَمُ السَّالِفَةُ فِي الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (نَقَصَهُ عَلَيْكَ) أَي تَخَيَّرَكَ بِهِ
 بِمَا مَخَّخِرًا بَعْدَ خَيْرٍ وَقَائِدَةً ذَكَرَهُ الْقِصَصُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَعْلَمَ السَّمَاعُ أَنَّ
 الْمُؤْمِنَ يُخْرَجُ مِنَ الدِّمِيعِ الشَّنَاءِ الْجَمِيلِ فِي الدُّنْيَا وَالنَّوَابِ الْجَزِيلِ فِي الْآخِرَةِ وَإِنَّ الْكَافِرَ
 يُخْرَجُ مَعَ اللَّعْنَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْعِقَابِ فِي الْآخِرَةِ وَإِذَا تَكَرَّرَتْ هَذِهِ الْأَقَاصِيبُ عَلَى السَّمْعِ فَلَا بُدَّ
 وَأَنْ يَلِيَنَّ الْقَلْبَ وَيَتَضَخَّ النَّفْسُ وَتَزُولَ الْعِدَاوَةُ وَيَحْصُلَ فِي الْقَلْبِ خَوْفٌ يَحْمِلُهُ عَلَى النَّظَرِ
 وَالِاسْتِدْلَالِ فِي أَخْبَارِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذِهِ الْقِصَصِ مِنْ غَيْرِ مَطَالَعَةِ كِتَابٍ وَلَا تَلْمِذِ دَلَالَةٍ
 عَلَى نُبُوته فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِوَجْهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى (مَنْهَا) أَي الْقُرَى (قَائِمٌ) أَي بَاقٍ كَالرَّيْحِ الْقَائِمِ
 هَلَاكُ أَهْلِهِ دُونَهُ (وَ) مِنْهَا (حَصِيدٌ) أَي عَاقِي الْأَثَرِ كَالرَّيْحِ الْمُحْصُودِ هَلَاكٌ مَعَ أَهْلِهِ (وَمَا ظَلَمْنَا هُمْ) أَي
 بِأَهْلَاكَ هُمْ بِغَيْرِ ذَنْبٍ (وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَرِيدُ
 وَمَا نَقَصْنَا هُمْ فِي الدِّينِ مِنَ النِّعَمِ وَالرِّزْقِ وَلَكِنْ نَقَصُوا حَظَّ أَنْفُسِهِمْ حَيْثُ اسْتَحْفَوا بِمُحَقِّقِ اللَّهِ
 تَعَالَى (فَأَغْنَتْ) أَي دَفَعَتْ (عَنْهُمْ أَلْهَتَهُمْ) أَي أَصْنَاءَهُمْ (الَّتِي يَدْعُونَ) أَي يَعْبُدُونَ (مَنْ دُونَ
 اللَّهِ) أَي غَيْرِهِ (مَنْ شِئ) أَي شَيْءًا مِنْ مَزِيدَةٍ (لِمَا جَاءَ أَمْرُ بَيْتِكَ) أَي عِقَابِهِ (وَمَا زَادَهُمْ) بِعِبَادَتِهِمْ
 (غَيْرَ تَنْبِيْ) أَي غَيْرَ تَحْسِيرٍ وَقِيلَ تَدْمِيرٍ وَلِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كِتَابِهِ
 بِمَا فَعَلَهُ بِأُمَّمٍ مِنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِمَا خَالَفُوا الرِّسَالَ وَمَا وَرَدَ عَلَيْهِمْ مِنْ
 عَذَابِ الِاسْتِنْسَالِ وَيَبِينُ أَنَّهُمْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَعَلَّ بِهِنَّ الْعَذَابَ فِي الدُّنْيَا قَالَ تَعَالَى بَعْدَهُ (وَكَذَلِكَ)
 أَي وَمِثْلُ ذَلِكَ الْإِخْذُ الْعَظِيمُ (أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ) أَي الْقُرَى (ظَالِمَةٌ) وَالْمُرَادُ
 أَهْلُهَا وَتَظْهِرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا وَقَوْلُهُ تَعَالَى وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ
 كَانَتْ ظَالِمَةً فَيَبِينُ تَعَالَى أَنَّ عَذَابَهُ لَيْسَ مَقْصُورًا عَلَى مَنْ تَقَدَّمَ بِلِ الْحَالِ فِي أَخْذِ كُلِّ الظَّالِمِينَ
 يَكُونُ كَذَلِكَ * وَلِمَا بَيَّنَّ تَعَالَى كَيْفِيَّةَ أَخْذِ الْأُمَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ ثَمَّ يَبِينُ تَعَالَى أَنَّهُ إِنَّمَا يَأْخُذُ بِجَمِيعِ الظَّالِمِينَ
 عَلَى ذَلِكَ الْوَجْهِ اتَّبَعَهُ عِبْرَةٌ يَدُّهَا كَيْدًا وَتَقْوِيَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (إِنَّا أَخَذْنَاهُ الْيَمِّ) أَي مَوْلَاهُ (شَدِيدِ)
 أَي صَعْبِ مَفْتَتِ الْقَوَى وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عليه وسلم قال ان الله تعالى ليل للظالم حتى اذا اخذته لم يقله ثم قرأ وكذلك اخذ ربك اذا اخذ
 القرى وهي ظالمة ان اخذته ألم شديد وفي هذه الآية الكريمة والحديث الشريف دلالة على أن
 من أقدم على ظلم فانه يتدارك بالتوبة والابانة ورد الحقوق الى أهلها ان كان الظلم للغير لا يقع
 في هذا الوعيد العظيم والعذاب الشديد ولا يظن ان هذه الآية مختصة بظالمى الامم الماضية
 بل هي عامة في كل ظالم وبعضه الحديث (ان في ذلك) أى ما ذكر من عذاب الامم الماضية
 واهلاكهم (آية) أى عبرة وموعظة (من خاف عذاب) يوم الحياة (الآخرة) لانه ينظر
 ما أحل الله تعالى بالجرمين في الدنيا وما هو الأعمود لما أعد لهم في الآخرة فاذا رأى عظمه
 وشدةه اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظة ولطفا في زيادة التقوى والخشعة
 من الله تعالى وقوله (ذلك) إشارة الى يوم القيامة لان عذاب الآخرة دل عليه (يوم مجموع له) أى
 فيه (الناس) أى ان خلق الآولين والآخريين كلهم يحسرون في ذلك اليوم ويجمعون ثم وصفه
 تعالى بوصف آخر بقوله تعالى (وذلك يوم مشهود) أى يشهده أهل السموات وأهل الارض
 (وما تؤخروه) أى ذلك اليوم وهو يوم القيامة (الالاجل) أى وقت (معدود) أى معلوم ومحدود
 وذلك الوقت لا يعلمه الا الله تعالى (يوم يأتي) ذلك اليوم (لا تكلم) فيه حذف احدى التامين
 أى لا تسكلم (نفس الابانه) تعالى وقرأ نافع وأبو عمرو والكسائي بإسبات الياء بعد التاء
 من يأتي وصلا ووقفا وحذفها الباقون وأما التاء من تكلم فشددها البرزى في الوصل وخففها
 الباقون (فان قيل) كيف يوفق بين قوله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله تعالى
 هذا يوم لا يتكلمون ولا يؤذن لهم فيعتذرون (أجيب) بأن ذلك اليوم يوم طويل له موافق
 ومواطن ففي بعضها يجادلون عن أنفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام ولا يؤذن لهم
 وفي بعضها يؤذن لهم فيسكلمون وفي بعضها يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وتشهد أرجلهم
 (فتهم) أى الناس (شقي و) منهم (سعيد) أى فتم من سبقت له الشقاوة فوجبت له النار بعقضى
 الوعيد ومنهم من سبقت له السعادة فوجبت له الجنة بموجب الوعد وعن علي رضي الله تعالى
 عنه قال كافي جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعده وقعد ناحوله
 ويده مضمرة ثم نكت بها الارض ساعة ثم قال ما من نفس منقوسة الا قد كتب مكانها من
 الجنة أو النار فقالوا يا رسول الله أفلا تسكلم على كتابنا فقال اعلموا فكل ميسر لما خلق له أما
 من كان من أهل السعادة فسيصير الى عمل أهل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير
 لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى الآية وبيع
 الغرقده ومقبرة أهل المدينة الشريفة ومدفنهم فيه والمخضرة كالسوط والعصا مما يسكلمه
 الانسان بيده والنكت بالنون والتاء المثناة من فوق ضرب الشيء بثلث المخضرة أو باليد أو نحو
 ذلك حتى يؤثر فيه (فأما الذين شقوا) في عمله تعالى (ففي النار لهم فيها زفير) وهو صوت شديد
 (وشهيق) وهو صوت ضعيف وقيل الزفير اخراج النفس والشهيق رده وقيل الزفير بمنزلة
 ابتداء صوت الجهر بالتهيق والشهيق بمنزلة آخر صوت الجمار اذا رتده في صدره وقيل الزفير

في الملقق والشهيق في الصدر وعلى كل المراد منهما الدلالة على شدة كربهم ونغمهم (خالد بن فهيا)
 وقوله تعالى (مادامت السموات والارض) فيه وجهان أحدهما سموات الآخرة وأرضها وهي
 مخلوقة دائمة للابد والدليل على أن لها سموات وأرضاً قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض
 والسموات وقوله تعالى وأورثنا الارض تقبوا من الجنة حيث نشاء ولانه لا بد لاهل الآخرة مما
 يقبلهم ويظلمهم أما سماه يخلقها الله تعالى أو يظلمهم العرش وكل ما أظلك فهو سماه وكل ما استقر
 قدمك عليه فهو أرض والوجه الثاني أن المراد مدة دوامهما في الدنيا (الآ أي غير (ما شاء ربك)
 من الزيادة على مدتة مما لا منتهى له وذلك هو الخلود فيها أبدا (أن ربك فعال لما يريد) من غير
 اعتراض (وأما الذين سعدوا في الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الاما شاء
 ربك) كما تقدم ودل عليه قوله تعالى (عطاء غير مجدوذ) أي مقطوع وقيل الاستثناء في أهل
 الشقاوة يرجع الى قوم من الموحدين يدخلهم الله تعالى النار بذنوب اقترفوها ثم يخرجهم منها
 فيكون ذلك استثناء وذلك كاف في صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن
 البعض من غير الجنس لان الذين أخرجوا من النار سعداء في الحقيقة استثناءهم الله تعالى من
 الاثمية لما روى عن جابر أنه صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بالشقاوة وفي رواية
 ان الله تعالى يخرج ما شاء من النار فيدخلهم الجنة وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال ليصين
 قوم اسفح من النار بذنوب أصابوها عقوبة ثم يدخلهم الله بفضلهم ورحمته الجنة وفي رواية أنه
 صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بشقاوة محمد صلى الله عليه وسلم فيدخلون الجنة
 فيسعون الجهنمين وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي ليا تين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس
 فيها أحد أي من اهل الكفار من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بأن تحلى طبقتهم التي كانوا فيها
 وان نازع في ذلك الرخمشري على مذهبه الفاسد من ان أهل الكفار يدخلون في النار وأما
 الاستثناء في أهل السعادة فيرجع الى مدة لبثهم في النار قبل دخولهم الجنة أو ان الاستثناء
 راجع الى الفريقين فانهم مضوا في الجنة أيام عذابهم وان التأيد من مبداء معين بقص
 باعتبار الابداء كما ينقص باعتبار الانتهاء وهو لا وان شقوا بعض ما نهم فقد سعدوا بما جازهم
 ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله تعالى فنهم شقي وسعيد تقريبا محصيا لان شرطه أن تكون صفة
 كل قسم منقسمة عن قسمه لان ذلك الشرط حيث التقسيم لان انفصال حقيق أو مانع
 من الجميع من الجنة والنار مدة تعميمهم في الدنيا واحسابهم في البرزخ وهو ما بين الموت الى
 البعث ومدة وقوفهم للحساب ثم يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فيكون المعنى
 خالدين في الجنة والنار الا هذا المقدار وقيل معناه لو شاء ربك لا يخرجهم منها ولكنه لا يشاء
 لانه تعالى حكم لهم بالخلود وقال الفراء هذا الاستثناء استثناء الله تعالى ولا يفعله كقولك والله
 لا ضربك الا ان أرى غير ذلك وعزمتك ان تضربه وقال أهل المعاني هذه عبارة عن التأيد
 على عادة العرب يقولون لا آتيتك مادامت السموات والارض ولا يكون كذا ما اختلف اللبس
 والنهار يعنون أبدا وقيل ان أهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب أحيانا

فكذلك أهل الجنة نعمون بما هو أعلى من الجنة وهو الفوز برضوان الله تعالى ولقائه كما قال
تعالى واعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة
في جنات عدن ورضوان من الله أكبر وقرأ حفص وحزرة والكسائي سعدوا بضم السين على
البناء المفعول من سعده الله بمعنى أسعده والباقون بقضها وبعطاء نصب على المصدر المؤكد أي
أعطوا إعطاء أو والحال من الجنة ولما شرح الله تعالى أفاضيص عبدة الاوثان ثم اتبعه بأحوال
الاشقياء وأحوال السعداء شرح للرسول صلى الله عليه وسلم أحوال الكفار من قوله فقال
(فلانك) يا محمد (في مرية) أي شك (بما بعد هؤلاء) المشركون من الاصنام أتانا تعذيبهم كما
عذبنا من قبلهم وهذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم) أي
كعبادتهم (من قبل) وقد عذبناهم (وانا لموفوهم) مثلهم (نصيهم) أي حظههم من
العذاب (غير منقوص) أي كمالا غير ناقص ولما ذكر تعالى في هذه الآية اعراضهم عن
الاتباع مع ما أتى به من المعجزات وأنزل عليه من الكتاب سلاها بأخيه موسى عليه السلام بقوله
تعالى (ولقد أتينا موسى الكتاب) أي التوراة الجامعة للخير (فاختلف فيه) أي الكتاب
فأمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير
الحساب والجزاء لخلت إلى يوم القيامة (لقضى) أي لوقع القضاء (بينهم) أي بين من اختلف
في كتاب موسى في الدنيا فيما اختلفوا فيه بانزال ما يستحقه المبطل لتمييزه الحق ولكن سبقت
الكلمة ان القضاء الكامل انما يكون يوم القيامة كما قال تعالى في سورة نونس عليه السلام
فما اختلفوا حتى جاءهم العلم الآية ولما كان الاختلاف قد يكون بغير الكفر بين تعالى أنه به
لان كل طائفة من اليهود تنسركشكها فيه وفعلاها فعل الشاك فقال تعالى مؤكدا (وانهم لئي
شك) أي عظيم محيط بهم (منه) أي من الكتاب والقضاه (مرتب) أي موقع في الريب
والثمة والاضطراب مع ما رأوا من الآيات التي منها سماع كلام الله تعالى ورؤية ما كان يقبل
في جبل الطور من خوارق الاحوال وقيل الضمير في وانهم راجع لكفار مكة في منه للقرآن
(وان كلا) أي كل الخلاق وقوله تعالى (لما) ما زائدة واللام موطنه تقسيمه مقدر تقديره واقه
(لمو فيهم ربك أفعالهم) فيجازي المصدق على تصديقه الجنة ويجازي المكذب على تكذيبه
النار وقرأ نافع وابن كثير وشعبة بضمف وان والباقون بالتشديد وقرأ ابن عامر وعاصم
وحزرة بتشديد ميم لما والباقون بالتخفيف * (فائدة) * قال بعض الفضلاء انه تعالى لما أخبر
عن توفية الاجزية على المستحقين في هذه الآية ذكر فيها سبعة أنواع من التأكيدات أولها
كلمة ان وهي للتأكيد وثانيها اللفظة كل وهي أم الباب في التأكيد وثالثها اللام الداخلة على
خبر ان تصيد التأكيد أيضا ورابعها حرف ما اذا جعلته على قول القراء موصولا وخامسها
المضمر وسادسها اللام المشائية الداخلة على جواب القسم وسابعها النون المذكورة في قوله
تعالى لمو فيهم فجميع هذه الالفاظ السبعة الدالة على التوكيد في هذه الكلمة الواحدة تدل
على ان أمر الربوبية والعبودية لا يتم الا بالعبادة والقيامه وأمر الحشر والقسم ثم أوقفه بقوله

تعالى (انه بما يعملون خبير) وهو من أعظم المؤكدات فانه تعالى لا يخفى عليه شيء من أعمال
عباده فقيه وعبد للمحسنين ووعيد للمكذبين الكافرين ولما بين تعالى أمر الوعد والوعيد قال
لنبيه صلى الله عليه وسلم (فاستقم) أى على دين ربك والعمل والدعاء اليه (كما أمرت) والامر
في ذلك للتأكيد فانه صلى الله عليه وسلم كان على الاستقامة لم يزل عليها فهو كقولك للقائم قم حتى
آتيك أى دم على ما أنت عليه من القيام حتى آتيك وتوطئته لقوله تعالى (ومن تاب معك) أى
وايستقم أيضاً على دين الله والعمل بطاعته من آمن معك قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى
عنه الاستقامة أن تستقيم على الامر والنهي ولا تروغ عنه وروغان الثعلب وأشار صلى الله عليه
وسلم الى شدة الاستقامة بقوله شيبتي هود وأخواتها وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
ما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم آية أشد ولا أشق من هذه الآية وعن بعضهم رأيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم في النوم نقلت له روى عنك انك قلت شيبتي هود فقال نعم فقلت بأى آية
قال قوله تعالى فاستقم كما أمرت وعن سفیان ابن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لى
في الاسلام قولاً لا أسأل عنه أحد غيرك قال قل آمنت بالله ورسوله ثم استقم قال الامام الرازي
ان هذه الآية أصل عظيم في الشريعة وذلك لان القرآن لما ورد بالامر بأعمال الوضوء مرتبة
في اللفظ وجب اعتبار الترتيب فيها لقوله تعالى فاستقم كما أمرت ولما ورد بالامر في الزكاة أداء
الابل من الابل والبقر من البقر وجب اعتبارها وكذا القول في كل ما ورد أمر الله تعالى به
اتسهي ولما كانت الاستقامة هي التوسط بين طرفي الافراط والتقريب نهى عن الافراط بقوله
تعالى (ولا تطغوا) أى لا تجاوزوا الحد فيما أمرتم به أو نهيتم عنه بالزيادة افراطاً فان الله تعالى
انما أمركم ونهاكم لتذيب أنفسكم للحاجته الى ذلك ولن تطغوا ان تقدروا الله حق قدره
والدين معين لم يشأتم أحد الاغلبه كما ورد عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الدين يسر ولن يشاد الدين أحد الاغلبه فسدوا وقاربوا ويسروا واستعينوا بالغدوة
والروحة وشئ من الدجلة فقله صلى الله عليه وسلم ان الدين يسر ضد العسر اراد به التسهيل
في الدين وترك التشديد فان هذا الدين مع يسره وسهولته قوى فلن يغالب ولن يقاوى وقوله
وسددوا أى اقصوا السداد في الامور وهو الصواب وقاربوا أى اطلبوا المقاربة وهي القصد
الذي لا غلظ فيه ولا تقصير والغدوة الرواح بكرة والرواح الرجوع عشاء والمراد منه اعلموا بالنهار
واعلموا بالليل أيضاً وقوله واستعينوا بشئ من الدجلة اشارة الى تقلبه ولما نهى تعالى عن الافراط
وهو الزيادة تصرح بها أفهم النهى عن التقريط وهو التقصص عن المأمور تلوياً بحمان باب أولى ثم
علل ذلك مؤكداً ان الزيادة لم يفرط أو يفرط منزلة المنكر فقال (انه بما يعملون بصير) أى عالم بأعمالكم
كأهلها لا يخفى عليه شيء منها فيجازيكم عليها (ولا تركزوا) أى عملوا (الى الذين ظلوا) أى عمل
(فمضتكم النار) أى نصيبكم بجرها والنهي متناول للاختطاط في هواهم والانتطاع اليهم
ومصاحبهم وبجملتهم وزيارتهم وحقبتهم والرضا بأعمالهم والتشبه بهم والتقريب بينهم ومد
العين الى زهرتهم وذكرهم بمخافة تعظيم لهم وتأمل قوله تعالى (ولا تركزوا فان الركون هو الميل

اليسير وحكى أن الموفق صلى خلف الامام فقرأ بهذه الآية تغشى عليه فلما أفاق قيل له في ذلك
 فقال هذا فبين ركن الى من نظم فكيف بالطالم ولما خاطب الزهري السلطين كتب اليه أخ له في
 الدين عاقبانا الله وبالله أباجكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعوا الله لك
 ويرحمك أصبحت شيخا كبيرا وقد انقلبتك نعم الله تعالى بما فهمك من كتابه وعلك من سنة يمينه
 وليس كذلك أخذ الله المناق على العلماء قال الله سبحانه وتعالى لميتته للناس ولا يكتونه واعلم
 ان أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت انك أنت وحشة الطالم وسهلت سبيل التي بدوتك عن
 لم يؤد حقها ولم يتربط بالاطلاحين ادناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحي باطلهم وجسر يعبرون عليك
 الى ملاذهم وسلمي يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون بك الشك على العلماء ويقنادون بك قلوب
 الجاهلة فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما أكثر ما أخذوا منك فيما أفسدوا عليك
 من دينك فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم نخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة
 واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا فانك تعامل من لا يبجل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو
 دينك فقد دخله سقم وهي زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شيء في الارض
 ولا في السماء والسلام وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القرء الزائر ون للملوك وعن
 الاوزاعي ما من شيء أبغض الى الله تعالى من عالم يزور وعاملا أي من الطلبة وعن محمد بن سلمة الذباب
 على العذرة أحسن من قارئ على باب هؤلاء وقال صلى الله عليه وسلم من دعا الطالم بالبقاء فقد
 أحب أن يعصى الله في أرضه ولقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك في برية هل يلقى
 شربة ماء فقال لا يقبل له يموت فقال دعه يموت وقوله تعالى (وما لكم من دون الله من اولياء)
 أي أعوانا وانصارا يمنعوك من عذابه حال من قوله فتمسك النار أي فتمسك النار وأنتم على هذه
 الحالة (ثم لا تنصرون) أي لا تجدون من ينصركم ويخلصكم من عذاب الله في القامة ففي هذه
 الآية وعيد لمن ركن الى الطلبة بأن تمسه النار فكيف يكون حال الطالم في نفسه ولما أمر تعالى
 بالاستقامة أرفعه بالامر بالصلاة بقوله تعالى (وأتم الصلاة) وذلك يدل على أن أعظم العبادات
 بعد الايمان بالله تعالى هو الصلاة وقوله تعالى (طرفي النهار) الغداة والعشي أي الصبح والنهار
 والعصر وقوله تعالى (وزنفا) جمع زلفة أي طائفة (من الليل) أي المغرب والعشاء (ان
 الحسنات) كاصوات الخمس (يذهبن) أي يكفرن (السيات) أي الذنوب الصغار لما رواه مسلم
 أنه صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارة لما بينهن ما اجتنب
 الكبائر وزاد في رواية أخرى ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر
 وعن أبي هريرة رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رأيت لواتم نهر
 يباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات مات يقولون هل يبقى من درنه شيء قالوا لا يا رسول الله
 لا يبقى من درنه شيء فقال ذلك مثل الصلوات الخمس عموا الله بها الخطايا وعن جابر قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم
 خمس مرات وعن الحسن ان الحسنات قول العبد سبحانه الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر

وسبب نزول هذه الآية ما رواه الترمذي عن أبي اليسر بن عمرو قال أتتني امرأة وتزوجها بعنه
 النبي صلى الله عليه وسلم في بعض فقلت بعني بدرهم عرا قال فأعجبتني فقلت إن في البيت غمرا هو
 أطيب من هذا قال فاحببني فدخلت معي البيت فأهويت اليها فقبلتها فأنت أبابكر فذكرت ذلك
 له فقال استر علي نفسك وتب ولا تخبر أحدا فأنت عمر فذكرت ذلك فقال استر علي نفسك وتب
 ولا تخبر أحدا فأنت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك فقال أختت رجلا غاريا في سبيل
 الله في أهله بمثل هذا حتى غمى أنه لم يكن أسلم الا ثلاث الساعة حتى ظن أنه من أهل النار وأطرق
 رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا حتى أوحى اليه وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل
 الى قوله تعالى (ذلك ذكرى للذاكرين) أي عظة للمتقين قال أبو اليسر فأنت فقراها على رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فقال أحسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ألهذا خاصة أم للناس عامة
 قال بل للناس عامة قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وعن عبد الله بن مسعود أن رجلا
 أصاب من امرأة قبله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فتركت فقال رجل يا رسول الله
 ألهذا خاصة فقال بل للناس كافة وعن معاذ بن جبل قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال
 يا رسول الله أرايت رجلا في امرأة ليس بينهما معرفة وليس يأتي الرجل الى امرأة شيئا الا قد أتى
 هو اليها الا أنه لم يجامعها قال فأنزل الله تعالى هذه الآية وأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يتوضأ
 ويصلي فقال معاذ بن جبل فقلت يا رسول الله أهي له خاصة أم للمؤمنين عامة قال بل للمؤمنين
 عامة قال العلماء الصغائر من الذنوب تكفرها الاعمال الصالحة مثل الصلاة والصدقة والذكر
 والاستغفار ونحو ذلك من أعمال البر وأما الكبائر من الذنوب فلا يكفرها الا التوبة النصوح
 ولها ثلاث شرائط الا اول الافلاع عن الذنب بالكلية الثاني الندم على فعله الثالث العزم
 التام على أن لا يعود اليه في المستقبل فاذا حصلت هذه الشرائط صحت التوبة وكانت مقبولة
 ان شاء الله تعالى والاشارة في قوله تعالى ذلك ذكرى الى ما تقدم ذكره من قوله تعالى فاستقم كما
 أمرت الى ههنا وقيل هو اشارة الى القرآن وقوله تعالى (واصبر) خطاب للنبي صلى الله عليه
 وسلم أي واصبر يا محمد على أذى قومك وعلى الصلاة وهو قوله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر
 عليها (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) أي أجر أعمالهم وعدل عن الضمير ليكون كالبرهان
 على المقصود ودليلا على ان الصلاة والصبر احسان واما به بأنه لا يعتد بهم بدون الاخلاص ولما
 بين تعالى أن الامم المتقدمين حل بهم عذاب الاستئصال بين ان السبب فيه أمر ان السبب
 الاول انه ما كان فيهم قوم يهتدون عن الصادق في الارض فقال تعالى (فاولا) أي فهلا (كاف من
 المشرقين) أي من الامم الماضية (من قبلكم أولو قبيلة) أي أصحاب رأي وغيره فضل (يهدون
 عن الصادق في الارض) وبمعنى الفضل والجلود بقية لان الرجل يستبق مما يضره بجهه أجوده
 وفضله فصارت مثلا للجلود والفضل ويقال فلان من قبيلة القوم أي من خيارهم وبه تفسير
 بيت الحاسية ان تذبوا ثم يأتي قبيلتكم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجل يتباها ويحور
 أن تكون القبيلة بمعنى القبوى كالتبوية بمعنى التقوى أي فهلا كان منهم ذو يقاها على أنفسهم

وصيانة لها من حفظ الله تعالى وعقابه * (قائدة) * حكى عن الليل أنه قال كل ما في القرآن من
كلمة ولا يمضاه هلا الا التي في الصافات قال صاحب الكشاف وما صحت هذه الحكاية فني غير
الصافات لولا أن تداركة نعم من ربه ولولا رجال مؤمنون ولولا أن نبينا أنتهى وقوله تعالى
(الاقليبا لمن أئجينا منهم) استثناء منقطع معناه ولكن قليلا من أئجينا من القرون فهو عن
الفساد وسائرهم تاركون للنهي السبب الثاني لتزول عذاب الاستئصال قوله تعالى (واتبع الذين
ظلموا ما أتروا فيه) أى ما نعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل أسبابها وأعرضوا عما وراء
ذلك (وكانوا مجرمين) أى كافرين * (تنبيه) * قوله تعالى واتبع الذين ظلموا ان كان معناه
واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمولان المعنى الاقليبا لمن أئجينا منهم فهو عن الفساد
واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وان كان معناه واتبعوا اجراء الاتراف ظلموا و
المحال فكانه قيل أئجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا اجراءهم وقوله تعالى وكانوا مجرمين عطف
على أتروا أى اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمو بالانتماء وعلى
اتبعوا أى اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك ثم بين تعالى انه ما أهلك أهل القرى بظلم بقوله
تعالى (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم) أى بشرك (وأهلها مصلحون) فيما بينهم والمعنى انه
لا يهلك أهل القرى بمجرد كونهم مشركين اذا كانوا مصلحين في المعاملات فيما بينهم والحال
أن عذاب الاستئصال لا ينزل لاجل كون القوم معتقدين الشرك بل انما ينزل ذلك العذاب
اذا أساءوا في المعاملات وسعوا في الايذاء والظلم ولهذا قيل ان حقوق الله تعالى مبناها على
المساخمة والمساهلة وحقوق العباد مبناها على الضيق والشح ويقال في الاتزال الملك يتي مع
الكفر ولا يتي مع الظلم وانما نزل على قوم نوح وهو ذو صالح ووط وشعب عذاب الاستئصال
لمساخية الله تعالى عنهم من ايذاء الناس وظلم الخلق (ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة)
أى أهل ملة واحدة وهى الاسلام كقوله تعالى ان هذه أمتكم امة واحدة وفي هذه الآية دليل
على ان الامر غير الارادة وأنه تعالى لم يرد الايمان من كل أحد وان ما اراده يجب وقوعه
والمعترية يحصلون هذه الآية على مشيئة الاجزاء والاجبار ولهذا قال الزمخشري يعنى
لا اضطرهم الى أن يهكونوا أهل ملة واحدة (ولا يزالون مختلفين) أى على اديان شتى
ما بين يهودى ونصرانى ومجوسى ومشرك ومسلم فكل أهل دين من هذه الاديان اختلجوا في
دينهم أيضا اختلافا كثيرا لا ينضب عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال فترق اليهود على احدى وسبعين فرقة وفي رواية الا ان من قبلكم من أهل
الكتاب افترقوا على ائتين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفرق على ثلاث وسبعين فرقة ففتان
وسبعون في النار وواحدة في الجنة والمراد بهذه الفرق أهل البدع والاهواء كالقدرية والمعتزلة
والرافضة والمراد بالواحدة هى ملة السنة والجماعة الذين اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم
فأقواله وأفعاله (فان قيل) ما الدليل على أن الاختلاف في الاديان ظلم لا يجوز ان يحمل على
الاختلاف في الالوان والالسنه والاذواق والاهمال (أجيب) بأن الليل عليه ما قبل هذه

الآية وهو قوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة فيجب حمل الاختلاف على
 ما يخرجهم من أن يكونوا أمة واحدة وما بعد هذه الآية وهو قوله تعالى (الامن رحم ربك)
 أى أراد لهم الخير فلا يختلفون فيه فيجب حمل الاختلاف على معنى يصح أن يستثنى منه ذلك
 وفي هذه الآية دلالة على أن الهداية والايان لا تحصل الا بتخليق الله تعالى لان تلك الرحمة
 ليست عبارة عن اعطاء القدرة والعقل وارسال الرسل وانزال الكتب وازاحة العذرة فان كل
 ذلك حاصل في حق الكفار فلم يبق الا أن يقال تلك الرحمة هو أنه سبحانه وتعالى خلق فيهم تلك
 الهداية والعرفة (ولذلك خلقهم) أى خلق أهل الاختلاف للاختلاف وخلق أهل الرحمة
 للرحمة روى عن ابن عباس أنه قال خلق الله أهل الرحمة لئلا يختلفوا وخلق أهل العذاب لان
 يختلفوا وخلق الجنة وخلق لها أهلاً وخلق النار وخلق لها أهلاً والحاصل أن الله تعالى خلق
 أهل الباطل وجعلهم مختلفين وخلق أهل الحق وجعلهم متفقين فحكم على بعضهم بالاختلاف
 وهم أهل الباطل ومصيرهم الى النار وحكم على بعضهم بالاتفاق وهم أهل الحق ومصيرهم
 الى الجنة ويدل ذلك قوله تعالى (وتت كلمة ربك) وهى (لاملان جهنم من الجنة) أى الجن
 (والناس أجمعين) وهذا صريح بأن الله تعالى خلق أقوام الجنة والرحمة فهداهم ووقفهم
 لاعمال أهل الجنة وخلق أقوام الضلالة والنار فخذلهم ومنعهم من الهداية ولما ذكر تعالى
 القصص الكثيرة في هذه السورة ذكر نوعين من الفائدة أولهما تثبت القواديق قوله تعالى
 (وكلا) أى وكل نبا (نقص عليك) وقوله تعالى (من أنباء الرسل) أى تخبر لئله بيان لكل وقوله
 تعالى (ما تثبت به قوادك) يدل من كلا وهى تثبت قواده زيادة يقينه وطمأنينة قلبه وثبات
 نفسه على أداء الرسالة وعلى الصبر واحتمال الاذى وذلك لان الانسان اذا ابتلى بجمحة وبليمة
 فاذا رأى له فيه مشاركا خف ذلك على قلبه كما يقال المصيبة اذا عمت خفت واذا سمع الرسول
 صلى الله عليه وسلم هذا القصص وعلم أن حال جميع الانبياء مع اتباعهم هكذا سهل عليه تحمل
 الاذى من قومه وأمكنه الصبر عليه * الفائدة الثانية قوله تعالى (وجاء فى هذه الحق) أى
 فى السورة وعليه الاكثر وفى هذه الانبياء المقتصة فيها وقال الحسن فى هذه الدنيا قال الرازى
 وهذا بعيد غير لائق بهذا الموضوع لانه لا يجوز للدنيا ذكر حتى يعود الضمير لها (فان قيل) قد جاءه
 الحق فى غير هذه السورة بل القرآن كله حق وصدق (أجيب) بأنه انما خصم بالذكري نشر يقالها
 (وموعظة وذكري للمؤمنين) وخصم بالذكري لا تتفاعهم بذلك بخلاف الكفار فقد كرتعالى
 أمورا ثلاثة الحق والموعظة والذكري أما الحق فهو اشارة الى البراهين الدالة على التوحيد
 والعدل والنبوة والمعاد وأما الموعظة فهى اشارة الى السفر عن الدنيا وتبصير أحوالها وأما
 الذكري فهى اشارة الى الارشاد الى الاعمال النافذة الصالحة فى الدار الآخرة ولما بلغ تعالى
 الغاية فى الانذار والاعذار والترغيب والترهيب اتبع ذلك بأن قال لرسوله صلى الله عليه وسلم
 (وقل للذين لا يؤمنون اعلموا على مكاتكم) أى حالتكم وفيه وعيد وتهديد وان كانت صيغته
 صيغة الامر فهو قوله تعالى لا بليس واستغفر من استغفرتهم بموتك وأجلب عليهم بخيلك

ورجلك وقر أشعبة بعد التوبن بالف على الجمع والباقون بغير ألف على الافراد (اناعاملون) أى على حالنا التى أمرنا بها زينا (واستظروا) أى ما بعدكم الشيطان به من الخذلان (انامنتظرون) أى ما يجعل بكم من نعم الله تعالى وعذابه فهو ما نزل على أمثالكم وقيل انامنتظرون ما وعدنا الرحمن من أنواع العفران والاحسان ثم انه تعالى ذكر خاتمة شريفة عالية جامعة لكل الطالب الشريفة المقدسة فقال (ولقد غيب السموات والارض) أى علم ما غاب فيها فعمله سبحانه وتعالى نافذ في جميع مخلوقاته خفيها وجليها (واليه) أى لا الى غيره (يرجع الامر كله) أى اليه يرجع أمر الخلق كله في الدنيا والآخرة وقرأ نافع وحفص بضم الياء وفتح الجيم على البناء للمفعول والباقون بفتح الياء وكسر الجيم ولما كان أول درجات السير الى الله تعالى عبوديته وآخرها التوكل عليه قال تعالى (فاعبهه) ولا تستغل بعبادة غيره (ولو كل عليه) أى ثق به في جميع أمورك فإنه ككافيك (ومار بك بغافل عما تعملون) فيحفظ على العباد أعمالهم لا يخفى عليه شئ منها فيجزى المحسن باحسانه والمسيء باساءته وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء على الخطاب والباقون بالياء على الغيبة * (فائدة) * قال كعب الاحبار خاتمة التوراة خاتمة سورة هود وقول اليساوى تعالى محمد بنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط و ابراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء حديث موضوع

﴿سورة يوسف عليه السلام مكية كلها﴾
 مائة واحدى عشرة آية وعدد كلماتها ألف وتسعمائة وست وتسعون كلمة
 وعدد حروفها سبعة آلاف ومائة وستة وسبعون حرفا

(بسم الله) الذى وسع كل شئ قدرة وعلم (الرحمن) لجمع خلقه المين لهم طريق الهدى (الرحيم) الذى خص حربه بالاعداد عن مواطن الردى وقوله تعالى (الرحمن) تقدم الكلام على أوائل السور أول سورة البقرة وقرأ ورش بالامالة بين بين وأبو عمرو وابن عامر وشعبة وحمزة والكسائي بالامالة محضة والباقون بالفتح واختلف في سبب نزول هذه السورة فعن سعيد بن جبيرة أنه قال لما أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يتلوه على قومه فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فنزلت هذه السورة فقتلها عليهم فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فنزل الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني فقالوا لو ذكرتنا فنزل ألم بأن للذين آمنوا أن نخشع قلوبهم لذكر الله وعن ابن عباس انه قال سألت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا واحدتنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف فنزلت هذه السورة وقوله تعالى (تلك) إشارة الى آيات هذه السورة أى تلك الآيات التى أنزلت اليك في هذه السورة المسماة بالرحمن (آيات الكتاب) أى القرآن (المبين) أى المين فيه الهدى والرشد والحلال والحرام المظهر للعق من الباطل الذى ثبت فيه قصص الاولين والآخرين وشرحت فيه أحوال المتقدمين (انا أنزلناه) أى الكتاب (قرأنا عرسا) أى بلفظة العرب لكى يعلموا معانيه ويفهموا ما فيه روى ان علماء اليهود قالوا

لكبراء المشركين اسأوا محمد الم اتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن كيفية قصة يوسف
فأنزل الله تعالى هذه الآية وذكر فيها أنه تعالى عبر عن هذه القصة بألفاظ عربية ليتمكنوا من
فهمها والتقدير أنا أنزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف حال كونه قرآنا غير بياناً وسمى بعض
القرآن قرآناً لأن القرآن اسم جنس يقع على الكل والبعض (أعلمكم) يا أهل مكة (تقولون) أي
أراد أن تفهموا وتحيطوا بعماليه ولا يلبس عليكم ولو جعلناه قرآناً نجحنا لقالوا لولا فصلت
آياته واختلف العلماء هل في القرآن شيء غير العربية فقال أبو عبيدة من زعم أن في القرآن
لساناً غير العربية فقد أعظم على الله القول واحتج بهذه الآية أنا أنزلناه قرآناً غير بياناً وروى عن
ابن عباس ومجاهد وعكرمة أن فيه من غير لسان العرب من سهيل ومشكاة واليم واستبرق
وجع بعض المفسرين بين القولين بأن هذه اللفاظ لما تكلمت بها العرب ودارت على ألسنتهم
صارت عربية فصيحة وان كانت غير عربية في الأصل لكنهم لما تكلموا بها نسبت اليهم
وصارت لهم لغة وهو جمع حسن (نحن نقص عليك أحسن القصص) أي أحسن الاقتصاص
لأنه اقتص على أبداع الاساليب والقصص اتباع الخبر بعضه بعضاً وأصله في اللغة من قص الاثر
إذا تبعه وانما سميت الحكاية قصة لأن الذي يقص الحديث يذكر تلك القصة شيئاً فشيئاً والمعنى
اناسين لك يا محمد أخبار الامم السالفة والقرون الماضية أحسن البيان أو قصة يوسف عليه
السلام خاصة وسميها أحسن القصص لما فيها من العبر والحكم والذم والثناء والقوائد التي تصلح
للدين والدنيا وما فيها من سير الملوك والممالك والغلمان ومكر النساء والصبر على اذى الاعداء
وحسن التجاوز عنهم بعد اللقاء وغير ذلك قال خالد بن معدان في سورة يوسف ومريم يتفكك فيهما
أهل الجنة في الجنة وقال ابن عطاء لا يسمع سورة يوسف محزون الا استراح اليها (بما) أي بسبب
ما (أو حيناً) أي ايحاً بنا (اليك) يا محمد (هذا القرآن) الذي قالوا فيه انه مقترى فحن تنابع
القصص بعد القصة حتى لا يشك شك ولا يهتري عثمراً من عند الله (وأن كنت من
قبله) أي ايحاً بنا اليك وهذا القرآن (لن الغافلين) أي عن قصة يوسف واخوته لأنه صلى الله
عليه وسلم انما علم ذلك بالوحى وقيل لمن الغافلين عن الدين والشريعة وان هي الخففة من
الثقلية واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وقوله تعالى (اذ قال يوسف لاه) بدل من
أحسن القصص أو منصوب باضمار اذ كرو يوسف اسم عبري وقيل عربي ورد بأنه لو كان
عربياً لصرف واستل أبو الحسن الاقطع عن يوسف فقال الاسف في اللغة الحزن والاسف العبد
واجتماعي يوسف فسمي به وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الكريم ابن
الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وقوله (يا أبت) أصله
يا أباي فموض من الباء التانيث لتساها في الزيادة ولذلك قلبها ابن كثير وابن عامر هاهنا في
الوقف ووقف الباقون بالياء كالرسم وفي الوصل بالياء للجمع وفتح التاني في الوصل ابن عامر
وكسرها الباقون (التي رأيت) أحد عشر كوكباً والشمس والقمر) قال أهل التفسير رأى يوسف
عليه الصلاة والسلام في منامه وكان ابن النبي عشر قسنة وقيل سبع عشرة وقيل سبع سنين

لسبله الجمعة وكانت ليلة القدر كان أحد عشر كوكبا نزلت من السماء ومعها الشمس والقمر
فسجدوا له وفسروا الكواكب باخوته وكانوا أحد عشر يستضاء بهم كما يستضاء بالنجوم
والشمس والقمر بأبيه وأمه يجعل الشمس للام لانها موثقة والقمر للاب لانه مذكروا الذي رواه
البيضاوي تعالى الكشاف عن جابر من أن يهوديا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أخبرني عن النجوم
التي رآهن يوسف فأخبره بأسمائها فقال اليهودي اى والله انها الاسماؤها قال ابن الجوزي
انه موضوع وقوله (رأيتهم لى ساجدين) استئناف لبيان حالهم التي رآهم عليها فلا تكرر
لان الرؤية الاولى تدل على أنه شاهد الكواكب والشمس والقمر والثانية تدل على انه شاهد
كونها ساجدة له وقال بعضهم انه لما قال انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر قبله
كيف رأيت قال رأيتهم لى ساجدين وقال آخرون يجوز أن يكون أحد هما من الرؤية
والآخر من الرؤيا وهذا القائل لم يبين أن أيهما يجعل على الرؤية وأيها يجعل على الرؤيا
قال الرازى فذكر قولنا بجملا غير مبين (فان قيل) قوله رأيتهم وقوله ساجدين لا يليق
الاب بالعتلاء والكواكب جمادات فكيف جاءت اللفظة المخصوصة بالعتلاء في حق الجمادات
(أجيب) بأنها لما وصفت بالسجود صارت كأنها تعقل وأخبر عنها كما أخبر عن يعقل كما قال
تعالى في صفة الاصنام وتراهم ينظرون اليك وهم لا يصرون وكفى قوله تعالى يا أيها الملأ
ادخلوا مساكنكم (فان قيل) لم أفرد الشمس والقمر بالذكر مع أنهم من جملة الكواكب
(أجيب) بأنه أفردهما للفضل لهما وشر فهما على سائر الكواكب كقوله تعالى وملائكته
وجبريل وميكال وهل المراد بالسجود نفس السجود حقيقة أو التواضع كلاهما محتمل
والاصل في الكلام جملة على الحقيقة قال أهل التفسير ان يعقوب عليه السلام كان شديد
الحب ليوסף عليه السلام فحسده اخوته لهذا السبب وظهر ذلك ليعقوب فلما رأى يوسف
هذه الرؤيا وكان تأويلها أن أبو به واخوته يخضعون له وخاف عليه حسدهم وبغيتهم
(قال) له أبوه (يا بني) بصيغة التصغير للشفقة أو لصغر سنه على ما تقدم وقرأ حفص
في الوصل بفتح الباء والباقون بالكسر والتشديد للجمع (لا تقصص رؤياك على اخوتك)
أى لا تخبرهم برؤياك فانهم يعرفون تأويلها (فيكيدوا لك كيدا) أى فيصتالوا في هلاكك
(فان قيل) لم يقل فيكيدوك كما قال فيكيدوني (أجيب) بأن هذه اللام تأكيد للصلة كقوله
لرؤياك تعبرون وكقوله نعمتكم ونصحتك وشكوتك وشكوتك وقيل صلة كقوله لرؤياهم
يرهبون (ان الشيطان للانسان عدو مبين) أى ظاهر العداوة كما فعل بالدم وحواء فلا يألو
جهدا فى نسولهم وانارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد وعن أبي قتادة قال كنت
أرى الرؤيا تمرضى حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرؤيا الصالحة من الله والحلم
من الشيطان فاذا رأى أحدكم ما يحبه فلا يتحدث به الا من يجب واذا رأى ما يكره فلا يتحدث به
وليقتل عن يساره ثلاثا وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وشرها فانها لا تضره وعن أبي
سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فانها من

الله فليحمد الله عليها وليحدث بها واذا رأى غير ذلك مما يكره فانما هي من الشيطان
 فليستهذبه الله من شرها ولا يذكرها الا حد فانها لا تضره وعن أبي رزين العقيلي أن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قال رؤيا المؤمن جزء من أربعين جزءا من النبوة وهي على رجل طائر
 ما لم يحدث بها فاذا حدثت بها سقطت قال وأحسبه قال ولا يحدث بها الا ليبيبا ورحيبا
 وانما أضيفت الرؤيا المحبوبة الى الله اضافة تشريف بخلاف الرؤيا المكروهة وان كانتا جميعا
 من خلق الله تعالى وتدبيره وارادته ولا فعل للشيطان فيهما ولكنه يحضر المكروهة ويرتضيها
 فيستحب اذا رأى الشخص في منامه ما يجب أن يحدث به من يجب واذا رأى ما يكره فلا
 يحدث به وليستعوذ بالله من الشيطان الرجيم من شرها وليستغل ثلاثا ولا يتحول عن جنبه الا آخر
 فانما لا تضره فان الله تعالى جعل هذه الاسباب سببا لسلامته من المكروه كما جعل الصدقة
 سببا لوقاية المال قال الحكماء ان الرؤيا الرديئة يظهر تعبيرها عن قريب والرؤيا الحيدة انما
 يظهر تعبيرها بعد حين قالوا والسبب فيه ان رجة الله تعالى تقتضى أن لا يحصل الاعلام بوصول
 الشر الا عند قريب وصوله حتى يكون الحزن والغم أقل وأما الاعلام بالتغير فانه يحصل
 متقدما على ظهوره بزمان طويل حتى تكون البهجة الحاصلة بسبب توقع حصوله وذلك الخير
 أكثر وأتم ولهذا لم تظهر رؤيا يوسف عليه السلام الا بعد أربعين سنة وهو قول أكثر المفسرين
 وقال الحسن البصرى كان بينهما ثمانون سنة حتى اجتمع على ابيه واخوته وخر واله ساجدين
 (وكذلك) أى وكما اجتناب ذلك الاطلاع على هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكال
 نفس (بجيتيك) أى يختار له ويصطفيك (وبك) بالدرجات العالية واجتباء الله تخصيصه بفيض
 الهى يحصل منه أنواع الامارات بلا سبب من العبد وذلك مخصوص بالانبياء وبعض من
 يقارهم من الصديقين والشهداء والصالحين وقوله (وبعلمك) كلام مستأنف خارج عن التشبيه
 والتقدير وهو بعلمك (من) أى بعض (تأويل الاحاديث) من تأويل الرؤيا وغيرها من
 كتب الله تعالى والاحبار المرورية عن الانبياء المتقدمين وكان يوسف عليه السلام في تعبير الرؤيا
 وغيرها غاية والتأويل ما تقول اليه عاقبة الامر (ويتم نعمته عليك) بالنسبة قال ابن عباس لان
 منصب النبوة أى ومع الرسالة أعلى من جميع المناصب وكل الخلق دون درجة الانبياء فهذا
 من تمام النعمة عليهم لان جميع مناصب الخلق دون منصب الرسالة والندوة فالكمال المطلق
 والتمام المطلق فى حق البشر ليس الا النبوة والرسالة وقيل بجيتيك بالنبوة ويتم نعمته عليك
 بسعادات الدنيا وسعادات الآخرة أما سعادات الدنيا فالأقارب والاولاد والخدم والاباع
 والتوسع فى المال والجاه والاجلال فى قلوب الخلق وحسن الشناء والحمد وأما سعادات الآخرة
 فالعلوم الكثيرة والاخلاق الفاضلة والاستغراق فى معرفة الله تعالى (وعلى آل يعقوب) أى
 اولاده وهذا يقتضى حصول تمام النعمة لآل يعقوب وتمام النعمة هو النبوة والرسالة كما مر
 فلزم حصولها لآل يعقوب وأيضا ان يوسف عليه السلام قال انى رأيت أحد عشر كوكبا وكان
 تأويله أحد عشر نفسا لهم فضل وكال ويستضى بعلمهم ودينهم أهل الارض لانه لاشئ أضوأ

من الكواكب وبها يهتدى وذلك يقتضى أن تكون جملة أولاد يعقوب أنبياء ورسل (فان قيل)
 كيف يجوز أن يكونوا أنبياء وقد أقدموا على ما أقدموا عليه في حق يوسف عليه السلام
 (أجيب) بأن ذلك وقع منهم قبل النبوة والعصمة من المعاصي انما تعتبر بعد النبوة لاقبلها على
 خلاف فيه (كما أجمع على أبوبن) بالنبوة والرسالة وقيل اتسام النعمة على ابراهيم عليه السلام
 خلاصه من النار واتخاذ خلد لاوعلى اسحق خلاصه من الذبح وقد أوثق بذيبح عظيم على قول ان
 اسحق هو الذبيح (من قبل) أى من قبل هذا الزمان وقوله (ابراهيم واسحق) عطف بيان
 لأبويك ثم ان يعقوب عليه السلام لما وعده بهذه الدرجات الثلاثة ختم الكلام بقوله (ان ربك
 عليم) أى بليغ العلم (حكيم) أى بليغ الحكمة وهى وضع الاشياء فى أئقن مواضعها (لقد كان
 فى) خبر (يوسف واخوته) وهم أحد عشر يهوذا وروبييل وشعمون ولاوى وزبولون
 قال البقاعى بزى وباهم واحدة وبشجر وأتمهم ليان بنت ليمان وهى ابنة خال يعقوب وولده
 من سر يتين احدهما زئبى والاخرى بلقم كذا قاله البغوى وقال الرازى والاخرى بلهمة
 أربعة اولاد واسماؤهم دان ونفثالى قال البقاعى بنون مقتوحة وفاه سا كنة ومنثاة فوقية
 ولام بعد هاء وجاد وأشر ثم توفيت لما فتزوج باختر ارا حيل فولدت له يوسف وبنيامين وقيل
 جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ (آيات) أى علامات ودلائل على قدرة الله تعالى وحكمته
 فى كل شئ (للساتين) عن قصصهم قال الرازى ولين لم يسأل عنها وهو قوله تعالى فى أربعة أيام
 سواء للساتين وقيل آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أن اليهود سألو عن قصة يوسف
 وقيل سألو عن سبب انتقال ولدي يعقوب من أرض كنعان الى أرض مصر فذكر لهم قصة يوسف
 فوجدوها موافقة لما فى التوراة فحجوا منه فكان دلالته على نبوته صلى الله عليه وسلم لانه
 لم يقرأ الكتب المتقدمة ولم يجالس العلماء واصحاب الاخبار ولم يأخذ عنهم شيئا فدل ذلك على
 أن ما أتى به وحى سماوى أو جاءه الله تعالى اليه وعرفه به وهذه السورة تشتمل على أنواع من
 العبر والمواعظ والحكم منها رؤيا يوسف عليه السلام وما حقق الله تعالى فيها من حسد اخواته
 وما آل اليه أمر من الملائك ومنها ما اشتمل على حزن يعقوب وصبره على فقد ولده وما آل اليه
 أمر من بلوغ المراد وغير ذلك من الآيات التى اذا فكر فيها الانسان اعتبر وقرأ ابن كثير آية
 على التوحيد والباقون على الجمع (اذ) أى واذا كراذ (قالوا) أى بعض اخوة يوسف لبعض
 بعد أن بلقتم الرؤيا وقالوا ما رضى أن تسجد له اخرته حتى يسجد له أبواه (ليوسف واخوه)
 أى بنيامين (أحب الى أيتاننا) اللام الابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة أرادوا
 ان زيادة محبته لهما أمر ثابت لاشبهه فيه وخبر المبتدأ أحب ووجدلان أفعل يستوى
 فيه الواحد وما فوقه مذكرا كان أو مؤنثا اذ لم يعرف أو لم يصف وقيل اللام قسم تقديره
 والله ليوسف وانما قالوا وأخوه وهم جميعا اخوته لان أمتها كانت واحدة والواو فى قولهم
 (وفحن عصبه) واوالحال أى يفضلها فى المحبة علينا وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما
 ولا منفعة وفحن جماعة أقواها تقوم بعراقه ففحن أحق بزيادة المحبة منهما الفضلنا بالكثر

والمنفعة عليهما والفضيلة والعصابة العشرة تفوقها وقيل الى الاربعين سوا ذلك لانهم
 جماعة تعصب بهم الامور ويستكنفي بهم النوائب (ان ابا ناني ضلال) أي خطا (مبين)
 أي بين في اثاره حب يوسف وأخيه عليتا والقرب المقضى للحب في كلنا واحد لاننا في النبوة
 سواء ولنا حزية تقتضى تفضيلنا وهي انا عصابة لنا من النفع له والذب عنه والكفاية
 ما ليس لهما • (تنبيه) • ههنا سؤالات • الاول ان من المعلوم ان تفضيل بعض الاولاد على
 بعض يورث الحقد والحسد فلم أقدم يعقوب عليه السلام على ذلك (أجيب) بأنه انما فضلها
 في المحبة والهمة ليست في وسع البشر فكان معذورا فيها ولا يلحقه في ذلك لوم • الثاني كيف
 اعتراضوا على أيهم وهم يعلمون انه نبي وهم مؤمنون به وأجيب بانهم وان كانوا
 مؤمنين بقبولته لكن جوزوا أن يكون فعله باجتهاد ثم ان اجتهادهم أدى الى تخطئة أيهم
 في ذلك الاجتهاد لكونهم أكبر سنا وأكثر نفعا وغاب عنهم ان تخصيصهما بالبر كان لوجوه
 أحدها أن أمتهم ماتت نانيها أنه كان في يوسف من آثار الرشد والنجابة ما لم يجده في سائر
 أولاده نالها أنه وان كان صغيرا الا أنه كان يخدم أباه بأنواع من الخدمة أعلى وأشرف
 مما كان يصدر عن سائر أولاده والحاصل أن هذه المسئلة كانت اجتهادية وكانت مخلوطة بميل
 النفس وموجبات القطرة فلا يلزم من وقوع الاختلاف فيها طعن أحد الخمين في دين الآخر
 الثالث أنهم نسبوا أباهم الى الضلال عن رعاية مصالح الدنيا والبعد عن طريق الرشد لا الضلال
 في الدين • الرابع أن قولهم ليوسف وأخوه أحب الى أينا منا محض حسد والحسد من أمهات
 الكبار لاسما وقد أقدموا بسبب ذلك الحسد على أمور مذمومة منها قولهم (اقتلوا يوسف
 أو اطرحوه أرضا) أي بصيت يحصل اليأس من اجتماعه بأبيه ومنها القارؤه في ذل العبودية
 ومنها أنهم أبقوا أباهم في الحزن الدائم والاسف العظيم ومنها اقدمهم على الكذب وكل ذلك
 يقدح في العصمة والنبوة (أجيب) بما تقدم أن ذلك كان قبل النبوة وقرأ نافع وابن كثير
 وهشام والكسائي بضم التنوين من مبين في الوصل والباقون بالكسر فان وقف القارئ على
 مبين وامتن في الابداء يتبدى بالضم للجميع وقولهم (يجل لكم وجه أيكم) جواب الامر
 أي يصف لكم وجه أيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يفت عنكم الى غيركم ولا يشارعكم في محبته
 أحد وقولهم (وتكولوا) مجزوم بالعطف على مجل لكم أو منصوب باضهاران (من بعده)
 أي قتل يوسف وأطرحه (فوما صالحين) بأن تتوبوا الى الله تعالى بعد فعلكم فانه يعفو عنكم
 وقال مقاتل يصلح أمركم فيما بينكم وبين أيكم (قال قاتل منهم) هو يهودا وكان أحسنهم رأيا فيه
 وهو الذي قال فلن أرح الارض وقيل رويل وكان أكبرهم سنا (لاقتلوا يوسف وألقوه)
 أي اطرحوه (في غيابة الحب) أي في أسفله وظلمته والنجابة كل موضع سترت شأ وغيبه عن النظر
 قال القائل فان أباؤنا ما غيبتني غيابتني • فسير وابسرى في العشرة والاهل
 أراد غيابة حضرة التي يدفن فيها والحب البئر الكبيرة التي ليست مطوية بحيث جبالها تقطعت
 قطعاً يحصل فيها شئ غير القطع من طين أو ما أشبهه وانما ذكر الغيابة مع الحب دلالة على

أن المشير أشار بطرحه في موضع مظلم من الجلب لا يلحقه نظر الناظرين قال بعض أهل العلم أنهم
 عزموا على قتله وعصمه الله تعالى رحمة بهم ولو فعلوا لهلكوا أجمعين واختلف في موضع ذلك
 الجلب فنقال قبادة هويت المقدس وقال وهب هو بأرض الاردن وقال مقاتل هو على ثلاثة
 فراعص من منزل يعقوب وقرأ نافع بألف بين الباء والتاء على الجمع والباقون بغير ألف على
 التوحيد (يلتقطه) أي يأخذه (بعض السيارة) جمع سيارا رأى المبالغ في السير وذلك الجلب
 كان معروفاً يريد عليه كثير من المسافرين فاذا أخذوه ذهبوا به الى ناحية أخرى فاستريح منه
 (ان كنتم فاعلين) أي ما أردتم من التفریق فاكتفوا بذلك ولما أجمعوا على التفریق بين
 يوسف وأبيه بضرب من الحيل (قالوا) أعمال التحيلة في الوصول اليه مستفهمين على وجه
 التعجب لانه كان أحسن منهم السوء فكان يحذروهم عليه (ياأبا ناملك لا تأمناعلى يوسف
 والحال) (انالله لنا محزون) أي فأمون بصلته وحفظه * (تنبیه) * اتفق القراء على اخفاء
 النون الساكنة عند النون المتحركة واتفقوا أيضاً على ادغامها مع الاشمام (أرسله معنا غداً)
 أي الى الصحراء (ترزع) أي تسرع في أكل القواكه ونحوها وأصل الرزع أكل البهائم
 في الخصب في زمن الربيع ويستعار للانسان اذا أريد به الاكل الكثير (وتلعب) روى
 أنه قيل لابي عمرو كيف يقولون تلعب وهم أنبياء فقال لم يكونوا يومئذ أنبياء وأيضاً جاز أن يكون
 المراد بالعب الاندماج على المباحات لاجل انشراح الصدر كما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال
 لجابر فهلا بكرة اتلعبها وتلاعبك وأيضاً كان لهم الاستباق والاتصال والقرض منه
 المحاربة والمقاتلة مع الكفار والدليل عليه قولهم ناذهبننا سبق وانما هو لعب لانه
 في صورته وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بالنون فيهما والباقون بالياء وسكن العين
 أبو عمرو وابن عامر وعاصم وحزرة والكسائي وكسرهما الباقون في الوصل ولقبيل وجه آخر
 وهو أنه ثبت الياء في ترزع بعد العين وقفوا وصلوا (وانالله لحافظون) أي يلبغون في الحفظ له
 حتى تزده السك سالماً قال أبو حيان وانتصب غداً على الظرف وهو ظرف مستقبل يطلق
 على اليوم الذي يلي يومك وعلى الزمن المستقبل من غير تقييد وأصل غداً غدو وحذفت الواو
 انتهى ثم ان يعقوب عليه السلام اعتذر لهم بعد ذلك الاقول ما حكاها الله تعالى عنه بقوله (قال
 اني اعجز عن أن تذهبوا به) أي ذهابكم به والحزن هنا ألم القلب بفراق المحبوب لانه كان
 لا يقدر أن يصبر عنه ساعة وقرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي والباقون بفتح الياء وضم الزاي
 والثاني قوله (وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون) بالرفع واللعب أو لقله اهتمامكم به
 وكان يعقوب عليه السلام رأى في النوم أن الذئب شد على يوسف فكان يحذره فن أجل هذا
 ذكر ذلك وكأنه لقبهم العله وفي أمثال العرب البلاء موكل بالمنطق والمراد به الجنس وكانت
 أرضهم كثيرة الذئاب (قالوا) مجيبين عن الثاني بما يلبس الاب لارساله مؤكدين لتطبيب خاطره
 الذين على القسم بلامه (لئن أكله الذئب ونحن) أي والحال أنا (عصبة) أي جماعة عشرة
 رجال بمنزلهم تصعب الامور وتكفي الخطوب وأجابوا عن القسم بما أغنى عن جواب الشرط

بقولهم (أنا إذا) أي إذا كان هذا (الخاسرون) أي كاملون في الخسارة لا فائزاً ضيعنا أماناً
 ففنى المساواة من أموالنا أشد تضييعاً وأعرضوا عن جواب الاقول لأن حقدهم وغيظهم
 كان بسبب العذو الاول وهو شدة حبه له فلما سمعوا ذلك المعنى تعافوا عنه وأقله أن يقولوا
 ما وجه الشرح بفرقه يوماً والسماح بفراننا كل يوم وقرأ الذيب ورش والسومى والكسافى
 ببدال الهمزة ياءه وفتاوى وصلوا وجزءه وفتاوى وصلوا والباقون بالهمزة وفتاوى وصلوا وقوله تعالى
 (فلما ذهبوا به) فيه اضمحار واختصار تقديره فأرسله معهم فلما ذهبوا به (وأجمعوا أن يجعلوه
 في غيابة الجب) أي وعزموا على القائه فيها ولا بد من تقدير جواب وهو جعلوه فيه اوحذف
 الجواب في القرآن كثير بشرط أن يكون المذكور دليلاً عليه وهنا كذلك قال وهب وغيره
 من أهل السير والخبار أن اخوة يوسف قالوا له مات شقيق أن يخرج معنا الى مواشينا فنصيد
 وتسبق قال بلى قالوا فاسأل أباك أن يرسل معنا قال يوسف أقبل فدخلوا جميعاً على أبيهم
 وقالوا يا أبا نانا إن يوسف قد أحب أن يخرج معنا الى مواشينا فقال يعقوب ما تقول يا بني قال
 نعم يا أبت انى أرى من اخوتي اللين والल्पف فأحب أن تأذن لي وكان يعقوب عليه الصلاة
 والسلام يكره مفارقة ويحب مرضاه فأذن له فأرسله معهم فلما خرجوا به من عند أبيهم جعلوا
 يحملونه على رقابهم وأبوهم ينظر اليهم فلما بعدوا عنه وصاروا الى العصراء أقوم على الارض
 وأظلموا له ما فى أنفسهم من العداوة وأغلظوا له القول وجعلوا يضربونه فجعلوا كلما جاء الى
 واحد منهم واستغاث به يضربه فلم يرض منهم رحيماً فضر به حتى كادوا يقتلوه وهو يصيح يا بنائى
 ويا يعقوب لو رأيت يوسف وما نزل به من اخوته لأحزنك ذلك وأبكاك يا بنائى ما أسرع ما نسوا
 عهدك وجعل يكي بكاء شديداً فأخذه رويل فجلده به الارض ثم جلس على صدره وأراد قتله
 فقال له مهلاً يا بني لا تقتلنى فقال له يا ابن راحيل أنت صاحب الاحلام الكاذبة قتل رؤياك
 تخلفك من أيدينا ولوى عنقه فاستغاث يوسف بيهودا وقال له اتق الله فى وحل بينى وبين
 من يريد قتلى فأدر كته رحمة ورقة فقال يهودا يا اخوتاه ما على هذا عاهدتوني فانظروا به
 الى الجب لمطرحوه فيه فخاؤا به على يتر على غير الطريق واسع الاسفل ضيق الرأس فجعلوا
 يدلون به فى البئر فبعلق بشعر البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا على قميصي
 أستتر به فى الجب فقالوا ادع الشمس والقمر والكواكب تخلفك وتونسك فقال انى لم أر
 شيئاً أقوم فيها وكان فى البئر ما فسقط فيه ثم أوى الى صخرة كانت فى البئر فقام عليها فنادوه
 فظن أنها رحمة أدر كته فأجابهم فأرادوا أن يرضفوه بصخرة ليقتلوه فنهعهم يهودا من ذلك وكان
 يهودا يأتى به بالطعام ويقي فيها ثلاث ليال (وأوحينا اليه) فى الجب فى صغره وهو ابن سبع
 عشرة سنة أو دونها كما أوحى الى يحيى وعيسى عليهما السلام فى صغرهما وفى القصص ان
 ابراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار جرد عن ثيابه فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من
 حر الجنة فألبسه اياه ودفعه ابراهيم عليه السلام الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب
 فى قمية عليها يوسف فأخرجها جبريل وألبسه اياها (لتنبتهم) أى لتضربهم بعد هذا اليوم

(يا امرهم) أي بصنعهم (هذا وهم لا يشعرون) أي انك يوسف لعلوا شاك وبعد هين
 أو هامهم وطول العهد المغير لهيات كما قال تعالى فعرّفهم وهم له منكرون والمقصود من ذلك
 تقوية قلبه وأنه سيخلص مما هو فيه من المحنة ويصير مستوليا عليهم ويصبرون تحت أمره
 ونبيه وقهره وروى أنهم لما دخلوا عليه لطلب الخنطة عرفهم وهم له منكرون ودعا بالصواع
 فوضعه على يده ثم قره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجمام انه كان لكم أخ من ايكم يقال له
 يوسف فطرحوه وقلتم لا بيكم أكله الذئب وقيل لا يشعرون بايهاما اليك وأنت في التبرأ أنك
 ستخبرهم بصنعهم هذا والفائدة في اخفاء ذلك الوحي عنهم انهم لو عرفوه فربما زاد حسدهم
 وكانوا يقصدون قتله وقيل ان المراد من هذا الوحي الالهام كافي قوله تعالى وأوحينا إلى أم
 موسى وقوله تعالى وأوحى ربك إلى النحل (و) لما كان من المعلوم أنه ليس بعد هذا الفعل
 الذي فعلوه الا الاعتذار (جاؤا أباهم) دون يوسف (عشاء) في ظلة الليل لئلا يتقرس أبوهم
 في وجوههم اذ أراها في ضياء النهار ضد ما جاؤا به من الاعتذار وقد قبل لانطلب
 الحاجة في الليل فان الحياة في العينين ولا تغتذربالنهار من ذنب قتليلج في الاعتذار
 (يكون) والبكاء جريان الدمع من العين والآية تدل على أنه لا يدل على الصدق لاحتمال
 التصنع روى ان امرأة حاتت الى شريح فبكت فقال الشعبي يا أبا أمية أمارتاه بسكي
 فقال قد جاء أخوة يوسف يكون وهم ظلمة كذبة لا ينبغي للانسان أن يقضى الا بالحق فعند
 ذلك فرع يعقوب عليه السلام فقال هل أصابكم في غمكم شيء قالوا لا قال فما فعل يوسف (قالوا)
 يا أبا نانا ذهبتنا سبق قال الزجاج يسابق بعضنا بعضا في الرمي ومنه قوله عليه الصلاة والسلام
 لا سبق الا في خف أو فض أو حافر يعني بالفضل الرمي وقيل العدو ولتبيين آيات أسرع عدوا
 (وتركا يوسف) أحمانا (عند متاعنا) أي ما كان معنا محتاج اليه في ذلك الوقت من ثياب
 وزاد ونحو ذلك (فأكله) أي فتسبب عن انفراده أن أكله (الذئب وما) أي والحال انك ما
 (أنت بمؤمن) أي بمصدق لما علموا أنه لا يصدقهم بغير أمارة (لناولو كأصادقين) في هذه القصة
 لمحبة يوسف عندك فكيف وأنت تسمى الظن بنا وقيل لا تصدقنا لأنه لا دليل لنا على صدقنا
 وان كأصادقين عند الله تعالى (و) لما علموا أنه لا يصدقهم بغير أمارة (جاؤا على قبضه) أي يوسف
 عليه السلام (بدم كذب) قال القراء أي مكذب فيه لأنه وصفه بالمدر على تقدير ذى كذب أو
 مكذب أطلق على المصدر وبالغذ لأنه غير مطابق للواقع لانهم ادعوا أنه دم يوسف عليه السلام
 والواقع أنه دم صخرة ذبحوها وطمخوا القميص بذلك الدم قال القاضي ولعل غرضهم
 في نزع قبضه عند القائه في غيابة الجب أن يفعلوا هذاتو كيد الصدقهم اذ يعد أن يفعلوا
 ذلك طمعا في نفس القميص ولا بد في العصبة من أن يقترب بها الخلد لان فلوخرقوه مع لطمه
 بالدم لكان الاتهام أقوى فلما شاهد يعقوب عليه السلام القميص صحبا علم كذبهم
 روى أن يعقوب عليه السلام أخذ القميص منهم وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه
 بدم القميص وقال تالله ما رأيت كالدم ذبا أحلم من هذا كل اجني ولم يترق قبضه (تنبه)

على قيصه محله النصب على الطريقة كما نه قيل وجاراً فوق قيصه بدم كما تقول جاء على جماله باجماله
 ولا يصح أن يكون حالاً متقدماً لأن حال الجرور لا يتقدم عليه قال الشعبي قصة يوسف كماها
 في قيصه وذلك أنهم لما القوه في الحب نزعوا قيصه ولطخوه بالدم وعرضوه على أبيه ولما
 شهد الشاهد قال ان كان قيصه قد من قبل ولما أتى بقميصه الى يعقوب وأتى على وجهه
 ارتد بصيرا ثم ذكر تعالى ان اخوة يوسف لما ذكروا ذلك الكلام واحتجوا على صدقهم
 بالقميص الملطخ بالدم (قال يعقوب عليه السلام (بل سؤلت) أي زينت (لكم أنفسكم أمراً)
 ففعلتموه به واختلف في السبب الذي عرف به كونهم كاذبين على وجوه الاقول أنه كان يعرف
 الحسد الشديد في قلوبهم الثاني كان عالماً بأنه حى لأنه عليه السلام قال ليوسف وكذلك
 يحنينك ربك وذلك دليل على كذبهم في ذلك القول الثالث أنه لما رأى قيصه صحيحاً قال كذبتم
 لوأكله الذئب لخرق ثوبه وقيل انه لما قال ذلك قال بعضهم بل قتله للصمص فقال كيف قتله
 وتركوا قيصه وهم الى قيصه أخرج منهم الى قتله فلما اختلفت أقوالهم عرف بسبب ذلك كذبهم
 وقوله (فصبر جميل) مرفوع بالابتداء لكونه موصوفاً وخبره محذوف والتقدير فصبر جميل أولى
 من الجزع ومنهم من أضره ابتداء قال الخليل الذي أفعله صبر جميل وقال قطرب معناه فصبري
 صبر جميل وقال الفراء فهو صبر جميل وعن الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن
 الصبر الجميل فقال صبر لا شكوى فيه فمن يثلم يصبر كما قال يعقوب انما أشكوا بني وحزني الى الله
 وقال مجاهد فصبر جميل من غير جزع وقال الثوري ان من الصبر ان لا تحدث بوجعك ولا
 بصيبك ولا تركزى نفسك وروى ان يعقوب عليه السلام كان قد سقط حاجباه وكان يرفعهما
 بخرقة فضيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فأوحى الله تعالى اليه يا يعقوب
 أن شكوى فقال يارب خطيئة أخطأتم فاغفرها لي وروى عن عائشة رضيت الله تعالى عنها
 في قصة الافك أنها قالت والله لئن حلفت لاتصدقوني ولئن اعتذرت لاتعذرروني فغلبت ومثلكم
 كمثل يعقوب وولده والله المستعان على ما تصفون فأنزل الله تعالى في عذرهما ما أنزل
 وقوله فصبر جميل يدل على أن الصبر على قسرين قديكون جميلاً وقد يكون غير جميل فالصبر
 الجميل أن يتكفله ان هذا البلا من الحق فاستغراقه في شهود نور الملبى ينمعه من الاشتغال
 بالشكايه من البلاه ولذلك قيل المحبة التامة لاتزداد ابالوفاء ولا تنقص بالبلاء لانها لو ازدادت
 بالوفاء لكان المحبوب هو النصيب والحظ وموصل النصيب لا يكون محبوباً بالذات بل بالعرض
 فهذا هو الصبر الجميل وأما الصبر بالرضا بقضاء الله تعالى بل كان لسائر الاعراض فذلك الصبر
 لا يكون جميلاً (فان قيل) الصبر على قضاء الله تعالى واجب وأما الصبر على ظلم الظالمين فغير
 واجب بل الواجب ازالته لاسيما في الضرر العائد الى الغير فلم يصبره بعبودية على ذلك ولم يبالغ في
 البعث مع شدة وجعته في حضور يوفى ونهاية حبه له وكان من بيت عظيم شريف وكان الناس
 يعرفونه ويعتقدون فيه (أجيب) بأنه يحتمل أن يكون منع من الطلب بوحى تشديد اللعنة عليه
 زيادة في أجره وأما لو بالغ في البعث لهما أقدموا على ايذانه ولم يمكنوه من الطلب والتمس

فرأى أن الاصوب الصبر والسكوت وتفويض الامر بالكلية الى الله تعالى وقال (والله
 المستعان) أى المطلوب منه العون (على ما تصفون) أى تذكرون من أمر يوسف والمعنى ان
 اقدامه على الصبر لا يكون الا بمعونة الله تعالى لان الدواعى النفسانية تدعوه الى اظهار الجزع
 وهى قوية والدواعى الروحانية تدعوه الى الصبر فكان الحاربه وقعت بين الصنفين فلم تحصل
 اعانة الله تعالى لم تحصل الغلبة فقولوه فصبر جميل يجرى مجرى قوله اياك نعبد وقوله والله المستعان
 على ما تصفون يجرى مجرى قوله و اياك نستعين * ولما اراد الله تعالى خلاص يوسف من الحب بين
 سببه بقوله تعالى (وجاءت سياره) وهم القوم المسافرون * هو ايد ذلك لانهم يسعون فى الارض
 و كانوا رفقة من مدين يريدون مصر فأخطوا الطريق فأنطلقوا بهم يمرون على غير طريق
 فهبطوا على أرض فيها جاب يوسف وكان الحب فى قفرة بعيدة عن العمران أى لم يكن
 الا للراعى روى أن ماءه كان ملحا فعذب حين ألقى يوسف فيه فلما نزلوا أرسلوا رجلا يقال له
 مالك بن ذعر لطلب الماء فذلك قوله تعالى (فأرسلوا واردهم) أى الذى يريد الماء ليستقى منه
 والوارد هو الذى يتقدم الرفقة الى الماء فهبى الارشسية والدلاء (فأدلى) أى أرسل (دلوه) فى
 البئر يقال أدليت الدلو اذا أرسلتها فى البئر ودلوها اذا أخرجتها والدلو معروف والجمع الدلاء
 فلما أرسلها تعاقب بالحبيل يوسف عليه السلام فلما خرج فاذا هو بغلام أحسن ما يكون قال
 صلى الله عليه وسلم أعطى يوسف شطر الحسن ويقال انه ورث ذلك الجمال من جدته سارة وكانت
 جدته قد أعطت سدس الحسن قال ابن اسحق ذهب يوسف وأتمه ثلثى الحسن وحكى الثعلبى
 عن كعب الاحبار قال كان يوسف حسن الوجه جعد الشعر فغضم العينين مستوى الخلق
 أبيض اللون غليظ الساعدين والعضدين والساقين خيمص البطن صغير السرة وكان
 اذا تبسم رأيت النور من ضواحه واذا تكلم رأيت شعاع النور من شياها لا يستطيع أحد
 وصفه وكان حسنه كضوء النهار عند الليل وكان يشبه آدم عليه السلام يوم خلقه الله وصورة
 قبل أن يصيب الخطيئة فلما رام مالك بن ذعر (قال يا بشرى هذا غلام) نادى البشرى بشاره
 لنفسه كأنه قال تعالى فهذا أوانك وعن الاعمش أنه قال دعا امرأته اسمها بشرى فقال يا بشرى
 وعن السدى أن المدلى نادى صاحبه وكان اسمه بشرى فقال يا بشرى كما قرأه حمزة وعاصم
 والكسائى فانهم قرؤا بخذف الياء بعد الالف والباقون بأثبات الياء وقيل ذهب به فلما دنا من
 أصحابه صاح بذلك وروى أن جدران البئر كانت تسكى على يوسف حين أخرج منها واختلف
 فى ضمير (وأسرته بضاعة) الى من يعود وفيه قولان الأول أنه عائذ الى الوارد وأصحابه
 أخفوا من الرفقة أنهم وجدوه بالحب وذلك أنهم قالوا ان قلنا للسيارة التقطناه شاركونا وان
 قلنا اشتريناه سألونا الشركة فالاصوب أن نقول ان أهلا لنا جعلوه بضاعة عندنا على أن نبيعه
 لهم بمصر والثانى ونقل عن ابن عباس أنه قال وأسرته يعنى اخوة يوسف أسرته وأنه وذلك
 أن يهودا كان يأتيه بالطعام كل يوم فلم يجده فى البئر فأخبر اخوته فطلبوه فاذا هم بمالك بن ذعر
 وأصحابه نزول فأتوهم فاذا هم بيوسف فقالوا هذا عبد لنا أبق منا وابعدهم يوسف على ذلك

لانهم فوعده بالقتل بلسان العبرانية قال الرازي والاولى لاق قوله وأسروه بضاعة يدل
 على أن المراد أنهم أسروه حال ما حكموا بأنه بضاعة وذلك انما يليق بالوارد لا باخوة يوسف
 * (تبيه) * البضاعة القطعة من المال تجعل للتجارة من بضعت الشيء اذا قطعته قال الزجاج
 وبضاعة منصوب على الحال كانه قال وأسروه حال ما جعلوا بضاعة ولما جعل تعالى هذا البلاء
 سببا للوصول الى مصر ثم صارت وقائعه الى أن صار ملكا بمصر وحصل ذلك الذي رآه في النوم
 فكان العمل الذي عمله الاعداء في دفعه عن ذلك المطلوب صنيره الله تعالى سببا لحصول ذلك
 المطلوب فلهذا المعنى قال تعالى (والله عليم) أي بالغ العلم (بما يعامون) أي لم يخف عليه ما فعلوه
 يوسف وأبيه (وسرره) أي باعوه اذ قد يطلق لفظ الشراء على البيع يقال شريت الشيء بمعنى
 بعته وانما حمل هذا الشراء على البيع لان الضمير في سرره وفي كفاؤفيه من الزاهدين يرجع
 الى الشيء واحد وذلك ان اخوته زهدوا فيه فباعوه وقيل ان الضمير يعود الى مالك بن زعر
 وأصحابه وعلى هذا يكون لفظ الشراء على يابه وقال محمد بن اسحق ربك أعلم اخوته باعوه
 أم السبارة واختلفوا في معنى قوله تعالى (بئس نجوس) فقال الضحاك أي حرام لان عن الحرام
 حرام وبمعنى الحرام نجوس البركة وقال ابن مسعود أي زبوف وقال عكرمة أي
 بئس قليل ويدل لهذا قوله تعالى (دراهم معدودة) لانهم كانوا في ذلك الزمان لا يزنون ما كان
 أقل من أربعين درهما انما كانوا يأخذون مادون ما عدوا فاذا بلغت ما هي أوقية وزونها واختلفوا
 في عدد تلك الدراهم فقال ابن عباس كانت عشرين درهما فاقتسموها درهمين درهمين وعلى
 هذا لم يأخذ اخوه بنيامين شقيقه منها شيئا وقال مجاهد كانت اثنين وعشرين درهما وقال
 عكرمة أربعين درهما (وكانوا) أي اخوته (فيه) أي يوسف (من الزاهدين) لانهم لم يعلموا منزله
 عند الله تعالى ومعنى الزهد قلعة الرغبة يقال زهد فلان في كذا اذا لم يرغب فيه وأصله القلعة
 يقال رجل زهد اذا كان قليل الطمع وقيل كانوا في الثمن من الزاهدين لانهم لم يكن قصدهم
 تحصيل الثمن وانما كان قصدهم تباعد يوسف عن أبيه وقيل الضمير في كانوا للسيارة لانهم
 التقطوه والمثلث للشيء ثم اتوا به خائف من انتزاعه مستجمل في بيعه لاجرم باعوه بأوكس
 الامعان روى في الاخبار ان مالك بن زعر انطلق هو وأصحابه يوسف وتبعهم اخوته يقولون
 استوتقوا منه لانه أبق فذهوا به حتى اتوا مصر وعرضه مالك على البيع فاشتراه قطفير
 أو اطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من
 العمالقة وقدمت يوسف ومات في حياة يوسف فلك بعده قابوس بن مصعب فدعا يوسف
 الى الاسلام فأبى واشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة وأقام في منزله ثلاث عشرة سنة
 واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله تعالى العلم والحكمة وهو ابن ثلاث
 وثلاثين سنة ووفى وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في أيامه فرعون موسى عاش
 أربع مائة سنة بدليل قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى
 من أولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه العزيز بعشرين ديناراً وزوج نعل وثوبين أي يمين

وقال وهب بن منبه قدمت السيارة بيوسف مصر فدخلوا به السوق بعرضونه للبيع
فترافع الناس في ثمنه حتى بلغ ثمنه ووزنه ذهباً ووزنه فضة ووزنه مسكاً وحريراً وكان وزنه
أربع مائة رطل وكان عمره حينئذ سبع عشرة سنة وقيل ثلاث عشرة سنة فابتاعه قطيفر
من مالك بهذا الثمن فذلك قوله تعالى (وقال الذي اشتراه من مصر لأمراًته) وأسماها زليخاً
وقيل راعيل (أكرمى منواه) قال الرازي اعلم ان شيئاً من هذه الروايات لم يدل عليه القرآن
ولم يثبت أيضاً في خبر صحيح وتفسير كتاب الله تعالى لا يتوقف على شيء من هذه الروايات فاللافت
بالعاقلة أن يحترق من ذكرها انتهى ولكن البغوي ذكرها وتبعه على ذلك جماعة من المفسرين
واللام في أمر أنه متعلقة بقال لا باشتراه والمتنوى موضع الإقامة أي اجعلني منزله ومقامه
عندنا كريمة أي حسننا مرضياً بدليل قول يوسف انه ربي أحسن منواي والمراد تفقده به
بالاحسان وتعهديه بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة في محبة ناسا كنه في كنفنا قال
المحققون أمر العزيز أمر أنه باكرام مشواه دون اكرام نفسه يدل على أنه كان ينظر اليه على
سبيل الاجلال والتعظيم وهو كما يقال سلام الله على المجلس العالی * ولما أمر باكرام مشواه
علل ذلك بأن قال (عسى أن ينفعنا) أي يقوم باصلاح مهماتنا ونيبنا بالربح ان أردنا بيعه
(أو نتخذة ولداً) أي تنبناه وكان حصوا وليس له ولد قال ابن مسعود أفرس الناس ثلاثة العزيز في
يوسف حيث قال لامرأته أنه أكرمى منواه عسى أن ينفعنا وابنة شعيب حين قالت لا يبهيا في موسى
استأجره وأبو بكر في عمر حيث استخلفه (وكذلك) أي وكما تخميناه من القتل والحب وعطفنا
عليه قلب العزيز (مكالم يوسف في الارض) أي أرض مصر قال البقاعي التي هي كالارض
كلها لكثرة منافعتها بالملك فيها التمكنه من الحكم بالعدل والنبوة وقوله تعالى (ولنعلمه من
تأويل الاحاديث) أي تفسير الرؤيا عطف على مقدمته لعلق بمكالم أي لنسكنه أو الوالوا زائدة
(والله غالب على أمره) أي الامر الذي يريد لانه تعالى فعال لما يريد ولادافع لقضائه ولا مانع
عن حكمه في أرضه وسماه أو على أمر يوسف أراد اخوته قتله فغلب أمره عليهم وأرادوا أن
يلتقطه بعض السيارة ليندرس اسمه فغلب أمره وظهور اسمه واشتهر ثم باعوه ليكون مخلوكا
فغلب الله أمره حتى صار ملكا وسجدا بين يديه ثم أرادوا أن يضربوا أباهم ويعطبو اقلبه
حتى يخلو لهم وجهه فغلب أمره تعالى فأظهره على مكرهم واحتمات عليه امرأة العزيز
لتخذه عن نفسه فغلب أمره تعالى فعصمه حتى لم يمسسوه بل هرب منه غاية الهرب ثم بذات
جهدها في اذلاله والقاء التهمة عليه فأبى الله تعالى الاعزازة وبراءة ثم أراد يوسف عليه
السلام ذكر السابق له فغلب أمره تعالى فأنساه ذكره حتى مضى الاجل الذي ضرب به الله تعالى
له وكم من أمر كان في هذه القصة وفي غيرها يرشد الى أنه لا أمر لغيره (ولكن أكثر الناس)
وهم الكفار (لا يعقلون) أن الامر كله بيد الله تعالى أو أن أكثر الناس لا يعقلون ما هو صانع
بيوسف وما يريد منه فمن تأمل في الدنيا وبغائب أحوالها عرف وتيقن ان الامر كله لله وان قضاء
الله تعالى غالب * ولما بين تعالى أن اخوته أساءوا اليه وصبر على تلك الشدائد والمحن ومكنه

في الارض اتبع الامر بتمام النعمة عليه بقوله تعالى (ولما بلغ أشده) أي منتهى شبابه وقوته
وشدته تقول العرب بلغ فلان أشده اذا انتهى منتهاه في شبابه وقوته وهذا اللفظ مستعمل
في الواحد والجمع يقال بلغ فلان أشده وبلغوا أشدهم وهو ثلاث وثلاثون سنة وقال السدي بلغ
ثلاثين سنة وقال الضحالك عشرين سنة وقال الكلبي الأشد ما بين ثمانية عشر الى ثلاثين وقيل
اقصاه اثنان وستون سنة قال الاطباء ان الانسان يحدث في أول الامر ويتزايد كل يوم شأ فشيأ
الى أن ينتهي الى غاية الكمال ثم يأخذ في التراجع الى أن ينتهي الى العدم والهاق كالقمر (أبناء
حكيا) أي حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل وأحكام بين الناس (وعلم) أي علم تأويل الاحاديث وقيل
المراد بالحكم النبوة والرسالة وتقدم ان قوله تعالى وأوحينا أنه وحى حقيقة قال الرازي فلا
يبعد أن يقال ان ذلك الوحي اليه في ذلك الوقت لا اجل بعثته الى الخلق بل لاجل تقوية قلبه
وازالة الحزن عن صدره ولاجل أن يستأنس بحضور جبريل عليه السلام (وكذلك) أي ومثل
ذلك الجزء الذي جزىناه به (تجزى المحسنين) قال ابن عباس يعني المؤمنين وعنه أيضا يعنى
المهتدين وقال الضحالك يعنى الصابرين على النوائب كما صبر يوسف عليه السلام وعن الحسن
من أحسن عبادة ربه في شبابه أتاه الله الحكمة في كتابه * ولما أخبر تعالى أن سبب النعمة
عليه احسانه اتبعه دليله فقال تعالى (وراودته التي هو في بيتها) أي امرأة العزيز وراودت يوسف
(عن نفسه) لان المارأة في غاية الحسن والجمال طمعت فيه ويقال ان زوجها كان عاجزا
والمرادة مفاعلة من راوودا اذا جاء وذهب كان المعنى خادعته عن نفسه أي فعلت ما يفعل
المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد أن يخرج منه من يده يحتمل أن يغلبه عليه ويأخذه منه وهو
عبارة عن التعليل لمواقفه اياها (وغلقت الابواب) أي أطبقتهما وكانت سبعة والتشديد للتكثير
أولمبا لغته في الايقان لان مثل هذا الفعل لا يكون الا في ستر وخفية لاسيما اذا كان حراما ومع
قيام الخوف الشديد (وقالت) له (هيت) أي تهبأت وقصعت (لك) خاصة فاقبل الى وامتل
أمرى قال الواحدى هيت لك اسم للفعل نحو رويدوصه ومه ومعناه هلم في قول جميع أهل اللغة
وقرأ نافع وابن عامر بكسر الهاء والباقون بالفتح وقرأ هشام بعد الهاء بهمزة ساكنة والباقون
بهاء ساكنة وقرأ ابن كثير بضم التاء وفتحها والباقون بالفتح (قال) اي يوسف عليه السلام (معاذ
الله) أي أعوذ بالله واعتصم به وألجأ اليه مما تدعيني اليه (انه) أي الذي اشتراني (ربي) أي
سدي (أحسن مشواي) أي أكرم منزلي فلا أخونه في أهله وقيل انه أي الله ربي أحسن مشواي
أي آواني ومن بلاه الحب أنجاني (انه لا يظلم الظالمون) أي ان فعلت هذه القلعة فأنا ظالم ولا يظلم
الظالمون (ولقد همت به وهم بها) أي قصدت مخالطته وقصدت مخالطتها والهيم بالشيء قصدته
والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بشئ أمضاه والمراد به متهميل الطبع ومنازعة
الشهوة لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر
الجزيل من الله تعالى من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهيم ولهذا قال بعض أهل
الحقائق الهيم قسمان هيم ثابت وهو اذا كان معه عزم وعقد ورضامثل هم امرأة العزيز

فالعبد مأخوذ به وهم عارض وهو الخطرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم
 يوسف عليه السلام والعبد غير مأخوذ به مالم يتكلم أو يعمل كما روى عن أبي هريرة رضي الله
 تعالى عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل اذا تحدثت عبدي بأن يعمل حسنة فأنا
 أكتبها حسنة مالم يعملها فاذا عملها فأنا أكتبها له بعشرة أمثالها واذا تحدثت بأن يعمل سيئة
 فأنا أغفرها له مالم يعملها فاذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها قال في الكشاف ويجوز أن يريد بقوله
 وهم بها شارف أن بهم بها كما يقول الرجل قتله لولم أخف الله يريد مشاركة القتل ومشافهته
 كأنه شرع فيه (لولا أن رأى) أي بعين قلبه (برهان ربه) أي الذي آتاه آياته من الحكم والعلم
 أي لهم بها لکنه كان البرهان حاضر لديه حضور من يراه بالعين فلم بهم أصلا مع كونه في غاية
 الاستعداد لذلك لما آتاه الله تعالى من القوة مع كونه في سن الشباب فلولا المراقبة لهم بها لتوفر
 الداعي غير أن نور الشهود ومحاسنها أصلا وهذا التقدير هو اللائق بمثل مقامه عليه السلام مع أنه
 الذي تدل عليه أساليب هذه الآيات من جعله من المخلصين والمحسنين المصروف عنهم السوء
 وإن السجين أحب إليه من ذلك مع قيام القاطع على كذب ما تضمنه قولها ما جزاء من أراد
 بأهلك سوء الآية من مطلق الإرادة ومع ما يتهم من تقدير ما ذكر بعد لولا في خصوص هذا
 التركيب من أساليب كلام العرب فإنه يجب أن يكون المقدر بعد كل شرط من معنى ما دل عليه
 ما قبله وهذا مثل قوله تعالى ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها أي لا بدت به وأما ما ورد
 عن السلف مما يعارض ذلك من تفسيرهم بها بأن حل الهميان وجلس بها مجلس المجامع وبأنه
 حل تكسرا وويله وقعد بين شعبها الاربع وهي مستلقية على قفاها ومن تفسير البرهان بأنه سمع
 صوتا يابك واياها فلم يكثر له فسمعته نائيا فلم يعمل به فسمعته نائيا فأعرض عنها فلم يجمع فيه حق
 مثل له يعقوب عاضا على أغمقه وقبل ضرب يده على صدره فخرجت شهوته من أنامله وقيل كل
 ولي يعقوب وولده اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه وولده أحد عشر ولدا من أجل ما نقص من شهوته
 حين هم وقيل صحيح به يا يوسف لا تكن كاطائر كان له ريش فلما زنا قعد لا ريش له وقيل بدت
 ككف فيما بينهن ما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين
 فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقر بوالزنا انه كان فاحشة وساء سميلا فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا
 يوما ترجعون فيه الى الله فلم يجمع فيه فقال الله تعالى لغيريل عليه السلام أدركت عبدي قبل أن
 يدرك الخطيئة فأنشط جبريل وهو يقول يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب في ديوان
 الانبياء وقيل رأى تمثال العزيز وقيل قامت المرأة الى صنم كان هناك فسترته وقالت أستحي أن
 يراها فقال يوسف استحيت مما لا يسمع ولا يبصر ولا أستحي من السميع العليم بذات الصدور فلم
 يصح منه شيء عن أحد منهم مع أن هذه الأقوال التي وردت عنهم اذا جمعت تناقضت وتكاذبت
 قال الزنجشمرى وهذا ونحوه ممن يورده أهل الجبر والحشوا الذين دينهم بهت لله وأنبيائه
 فأخزى الله أولئك في إرادهم ما يؤذون الى أن يكون انزال الله السورة التي هي أحسن القصص
 في القرآن العربي المبين ليعتدي بنبي من أنبياء الله تعالى فيها ذكره وأهل العدل والتوحيد

ليسوا من مقالتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل وأطال في رد ذلك وكذا فعل الرازي وقيل وهم
 بها أي بزجرها ووعظها وقيل هم بها أي غمها امتناعه منها وقيل هم بها أي نظر إليها وقيل هم
 بضرها وادفعها وقيل هذا كله قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن إلى يوسف عليه
 السلام قبل شهوة حتى نبأه الله تعالى فألقى عليه هيبه النبوة فشغلت هيبته كل من رآه عن حسنه
 (كذلك) أي مثل ذلك التثبيت نبتته في كل أمر (لتصرف عنه سوء) أي الهم بالزنا وغيره
 (والفحشاء) أي الزنا وغيره وقيل سوء مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بالشهوة والفحشاء
 هي الزنا فكانه قيل لم فعل به هذا فقيل انه (من عبادة) أي الذين عظمناهم (المخلصين) أي في
 عبادتنا الذين هم خير صرف لا يخالطهم غش وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وروا بن عامر بكسر اللام
 بعد الخاء والباقون بالفتح قال الرازي فوروده باسم الفاعل دل على كونه آياتا للطاعات
 والقربات مع صفة الاخلاص ووروده باسم المفعول يدل على أن الله تعالى استخلصه واصطفاه
 لحضرتة وعلى كلا اللفظين فانه من أدل الالفاظ على كونه منزها عما أضافوه اليه وهذا مع قول
 ابليس لا غويهم أجمعين الاعباد منهم المخلصين شهادة من ابليس أن يوسف عليه السلام بري
 من الهم فمن نسبه إلى الهم ان كانوا من أتباع دين الله فليقبلوا شهادة الله تعالى على طهارته وان
 كانوا من أتباع ابليس وحنوده فليقبلوا شهادة ابليس على طهارته قال ولعلمهم بقولون كافي
 أول الامر تلامذة ابليس الأنازدا ونجرنا عليه في السفاهة كما قال الجزوري

وكنت فتى من جند ابليس فارزقي * بي الامر حتى صار ابليس من جندي

فلومات قبلي كنت أحسن بعده * طرائق فسق ليس بحسنها بعدى

ثم ذكر سبحانه وتعالى مبالغة في الامتناع بالحد في الهرب لدبلا على اخلاصه وأنه لم يهتأ أصلا
 فقال (واستبقا الباب) أي أوجدا المسابقة بغاية الرغبة من كل منهما هذا الهرب منها وهذه لمنعه
 فكل منهما بذل أقصى جهده في السبق فلحقته عند الباب الاقصى مع أنه قد كان سبقها بقوة
 الرجولية وقوة الداعية إلى الفرار إلى الله تعالى ولكن عاقبة اتمام المكر بكون الابواب كانت
 مغلقة فكان يشغل بضمها فعلق بأدنى ما وصلت اليه من قصصه وهو ما كان من ورائه
 خوف فواته فاشتد تعلقها به مع اعراضه هو عنها وهربه منها فقصه فأراد الخروج فذعته (و) لم
 تزل تنازع حتى (قذت) أي شقت (قصصه) وكان القصد (من دبر) أي الناحية من الخلف منه
 وانقطعت منه قطعة فثبتت في يدها (وألقيا) أي وجدوا (سيداها) أي زوجها قاطع وهو العزيز
 تقول المرأة لبعولها سيدى ولم يقل سيدهما لأن ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيدا له على الحقيقة
 (لدى) أي عند (الباب) جالس مع ابن عم المرأة (فان قيل) كيف وحد الباب وقد جمعه في قوله
 وعلقت الابواب (أجيب) بانه أراد الباب البراني الذي هو المخرج من الدار والمخلص من العار
 فقد درى كعب الاجبار ان يوسف لما هرب جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من
 الابواب فلما رأت المرأة ابن عمها هائسه وخافت التهمة فسابت يوسف بالقول (وقالت)
 لزوجها (ما جزا من أراد باهلك سوا) أي فاحشة زنا وغيره ثم خافت عليه أن يقتل وذلك لشدة

حبهاله فقالت (الآن يسجن) أي بحبس في السجن ويمنع التصرف (أو عذاب اليم) أي مؤلم بأن يضرب بالسياط ونحوها وانما بدأت بالسجن قبل العذاب لأن المحب لا يشتهي ايلام المحبوب وانما أرادت أن يسجن عندها يوماً أو يومين ولم ترد السجن الطويل فإنه لا يعبر عنه بهذه العبارة بل يقال يجب أن يجعل من المسجونين ألا ترى أن فرعون هكذا قال في حق موسى عليه السلام في قوله لئن اتخذت الهاغبري لاجعلنك من المسجونين فلما سمع يوسف عليه السلام مقالها (قال) ميرثا نفسه (هي) بضمير القيبة لاستحيائه بمواجهتها بإشارة أو ضمير خطاب (راودني عن نفسي) أي طلبت مني الفاحشة فأبيت وفررت منها وذلك أن يوسف عليه السلام ما كان يريد أن يذ كر ذلك القول ولا يهتك سترها ولو كان لما قالت هي ما قالت ولطغت عرضه احتاج الى ازالة هذه التهمة عن نفسه وصدقه لعمرى فيما قال لا يحتاج الى بيان أكثر من الحال الذي كان فيه وهو أنهم ما عند الباب ولو كان الطلب منه لما كان الا في محلها الذي تجلس فيه وهو صدر البيت وأشرف موضع فيه وأيضا هو عبد لهم والعبد لا يمكنه أن ينسلط على مولاه الى هذا الحال وأيضا أن المرأة زينت نفسها على أكمل الوجوه وأما يوسف فما كان عليه أثر من آثار زين النفس فكان الحاق هذه الفسنة بالمرأة أولى ثم انه تعالى أظهر ليوسف عليه السلام دليلا آخر يقوى تلك الدلائل المذكورة ويدل على أنه برى من الريب وان المرأة هي المذنبه وهو قوله تعالى (وشهد شاهد من أهلها) أي وحكم حاكم من أهل المرأة واختلوا في هذا الشاهد فقال سعيد بن جببر والضحاك كان صبيا في المهدي أنطقه الله تعالى كرامة ليوسف عليه السلام وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال تكلم في المهدي أربعة وهم صغار شاهد يوسف وابن ماشطة بنت فرعون وعيسى بن مريم وصاحب جريج الراهب وراه الامام أحمد وفي الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال لم يتكلم في المهدي الا ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريج وصبي كان يرضع أمه فتراكب حسن الهيئة فقالت أمه اللهم اجعل ابني مثل هذا فقال الصبي اللهم لا تجعلني مثله وبهذا الاعتبار صاروا خمسة وزاد الثعلبي سادسا وهو يحيى بن زكريا عليه ما السلام وزاد غيره على ذلك ولعل الحصر فيما ذكر في الحديث كان قبل العلم بالزيادة فلا تناقض وأوصلهم السيوطي الى أحد عشر ونظمهم فقال

تكلم في المهدي النبي محمد * ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومعري جريج شاهد يوسف * وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مر بالامة التي * يقال لها تزي ولا تتكلم
وماشطة في عهد فرعون طفلها * وفي زمن الهادي المبارك يختم

وقالت طائفة عظيمة من المفسرين انها كان لها ابن عم وكان رجلا حكيما وانفق في ذلك الوقت أنه كان مع الملك يريد أن يدخل عليها فقال قد سمعنا الجلبة من وراء الباب وشق القميص الأنا لاندري أيكأقدام صاحبه ولكن (آن كان قبصه قدم من قبل) أي من قدام (فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قبصه قدم من دبر) أي من خلف (فكذبت وهو من الصادقين) لانه لو لا ادبارة

منها واقبالها عليه لما وقع ذلك فعرف سيدها صفة ذلك بلا شبهة كما قال تعالى (فلما رأى) أى
 سيدها (يقصه) أى يوسف عليه السلام (قد من دبر قال) لها زوجها قطفه وقد قطع بصدقه
 وتكذبها مؤكداً لاجل انكارها (انه) أى هذا القذف له (من كيد كرتن) معشر النساء
 والكيد طلب الانسان بما يكره (ان كيد كرتن عظيم) والعظيم ما ينقص مقداره غيره عنه حسا
 أو معنى (فان قيل) كيف وصف كيد النساء بالعظيم مع قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا
 وهلا كان مكر الرجال أقوى من مكر النساء (أجيب) بأن الانسان ضعيف بالنسبة لخلق
 ما هو أعظم منه كخلق السموات والارض وبأن كيدهن أدق من كيد الرجال وأطف وأخفى
 لأن الشيطان عليهن لنقصهن أقدر ومكرهن في هذا الباب أعظم من كيد جميع البشر
 لأنهن من المكر والحيل والكيد في اتمام مرادهن ما لا يقدر عليه الرجال في هذا الباب
 ولأن كيدهن في هذا الباب يورث العار ما لا يورثه كيد الرجال ولما ظهر للقوم براءة يوسف
 من ذلك الفعل المنكر حكى تعالى أنه قال (يوسف) أى يا يوسف (أعرض) أى انصرف بكليتك
 مجاوزا (عن هذا) الحديث فلا تذكره لاحد حتى لا يشيع وينشر بين الناس ثم اتفتت الى المرأة
 وقال لها (واستغفري لذنبيك) أى توبى الى الله تعالى بما رميتي يوسف به من الخطيئة وهو برىء
 منها (انك كنت من الخاطئين) أى الاعمى قال أبو بكر الاصم ان ذلك الزوج كان قليل الغيرة
 فاكتفى منها بالاستغفار وقيل ان القائل المذكور هو الشاهد (فان قيل) كيف قال من الخاطئين
 بلقظ التذكير (أجيب) بأنه قال ذلك تغليبا للذكور على الاناث أو أن المراد انك من نسل
 الخاطئين فمن ذلك النسل سرى ذلك العرق الخبيث فيك ثم شاع الخبر واشتهر (وقال نسوة)
 أى وقال جماعة من النساء وكن حسنا امرأة الساقى وامرأة الخبز وامرأة صاحب الدواب
 وامرأة صاحب السجين وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنى فيه غير حقيقي
 ولذلك لم يلحق فعله تاء التانيث وقوله (في المدينة) أى مدينة مصر ظرف أى أشعن الحكاية في
 مصر واصفة نسوة وقيل مدينة عين شمس (امرات العزيز) وانما أضفنها الى زوجها ارادة
 لاشاعة الخبر لان النفس الى سماع أخبارا ولى الاخطار أميل ويردن قطفه والعزيز الملك
 بلسان العرب ورسم امرأة التاء المجرورة ووقف عليها ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالهاء
 والباقرن بالتاء وأما الوصل فهو بالتاء للجميع (تراودفتها) أى عبدها الكنعاني يقال فتى
 وفتى أى عدى وجارى (عن نفسه) أى تطلب منه الفاحشة وهو يمنع منها (قد شغفها حبا)
 أى شق شغاف قلبها وهو حجابها حتى وصل الى فؤادها وحبا انصب على التمييز وقيل جلدة رقيقة
 يقال لها لسان القلب قال النابغة

وقد حالهم دون ذلك والنج * مكان انشغاف بتبغيه الاصابع

وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم بانظهار ال قد عند الشين والباقرن بالادغام (انا
 اترها) أى نعلم أمرها علما هو كالرؤية (في ضلال) أى خطأ (مبين) أى بين ظاهر حيث تركت
 ما يجب على أمثالها من العفاف والستر بسبب حبها لياه (فلما سمعت) زليخا (بمكرهن) أى قولهن

وانما سمي ذلك مكررا لوجوه الاقوال ان النسوة انما ذكرن ذلك الكلام استدعانا لروية يوسف عليه السلام والنظر الى وجهه لانهن عرفن انهن اذا قلن ذلك عرضت يوسف عليهن ليتعهد عذرهما عندهن. الثاني ان زليخا اسرت اليهن حبهاليوسف عليه السلام وطلبت منهن كتمان هذا السر فلما اظهرن السر كان ذلك مكررا الثالث انهن وقعن في غيبتها والغيبه انما ذكر على سبيل الخفيه فاشبهت المكر (ارسلت اليهن) ندوهن لتقيم عذرهما عندهن قال وهب اتخذت مأدبه ودعت أربعين امرأة من اشرف مدينتهما فيهن الخمس (واعسدت) أي أعددت (لهن) متكا) أي طعاما يقطع بالسكين وهو الاترج وانما سمي الطعام متكا لانه يتكا عنه قال جميل فظللنا بنعمة واتكنا * وشربنا الخلال من قلله

والتكا ما يتكا عليه عند الطعام والشراب والحديث لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك جاء النهي عنه في الحديث أن يأكل الرجل متكنا وقال صلى الله عليه وسلم لا آكل متكنا وقيل انما زينت البيت بالوان الفواكه والاطعمة ووضعت الوسايد ودعت النسوة الاثني عشر نجا يوسف عليه السلام (واتت) أي أعطت (كل واحدة منهن سكيناً) أي اتنا كل بها وكانت عادتتهن أن يأكلن اللحم والنواكه بالسكين (وقالت) زليخا ليوسف عليه السلام (اخرج عليهن) أي النسوة وكان يحاف من مخالفتها فخرج عليهن يوسف وكانت قد زينت به واختبأه في مكان وقرأ أبو عمرو وعاصم وحزرة والكسائي بكسر التاء في الوصل والباقون بالضم وأما الابتداء فجميع القراءه يتدون الهمزة بالضم (فلما رأيت) أي النسوة (أكبرته) أي أعظمته ودهشن عند رؤيته اتفق الاكثرون على انهن انما أكبرته بحسبتهن الجمال الفائق والحسن الكامل وكان يوسف قد أعطى شطرا الحسن وقال عكرمة كان فضل يوسف في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال رأيت يوسف ليلة أسرى بي الى السماء كالقمر ليلة البدر ذكره البغوي بغير سند وقال ابن اسحق كان يوسف اذا سار في أزقة مصر تلاتا لوجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها ويقال انه ورت حسن آدم عليه السلام يوم خلقه الله تعالى قبل أن يخرج من الجنة وقيل ورت الجمال من جدته سارة وقيل أكبرته يعني حضن والهاء للسكر يقال أكبرت المرأة اذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغرى الى حد الكبر وكان ابا الطيب أخذ من هذا التفسير قوله

خف الله واسترذ الجمال برفع * فان لحت حاضت في الخدود والعواتق

وقيل أمنين قال الكمي

ولمكواته الخليل من رأس شاقق * سهلن وأميين المنى المدفقا

وقال الرازي انما أكبرته لانهن رأين عليه نور النبوة وسما الرسالة وانما الخسوع والاختبات وشاهدت فيه شهادة الهيبة وهيبه ملكية وهي عدم الالتفات الى الطعوم والنكوح وعدم الاعتماد عليهن وكان الجمال العظيم مقر ونايك الهيبة فوق العجب والمهابه منه في قلوبهن

(وقطعن أيديهن) أي جرحنهما بالسكاكين التي معهن. وهن يحسبن أنهن يقطعن الاترج ولم
يجدن إلا من فرط الدهشة يوسف وقال وهب مات جماعة منهن (وقلن حاشن لله) أي تنزيهه
الرسم يغير ألف بعد الشين وقرأ أبو عمرو في الوصل دون الوقف بألف بعد الشين والباقون يغير
الف وقفا ووصلا (ما هذا) أي يوسف عليه السلام (بشرا) وأعمال ما على ليس هي اللغة القدي
الجزازية وبدل عليها هذه الآية وقوله تعالى ما هن أمهاتهم (أن) أي ما (هذا الإملك كريم)
أي على الله لما حوامن الحسن الذي لا يكون عادة في النسمة البشرية فان الجمع بين الجنال
الرائق والسكال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة (قالت) أي زليخا للنسوة لما
رأين يوسف ودهشن عند رؤيته (فذلكن) أي فهذا هو (الذي لمتني فيه) أي في محبته قبل أن
تصورنه حق صورته ولو تصورته بما عايتن لعذرتني ثم انها صرحت بما فعلت فقالت (ولقد
زادته عن نفسه فاستعصم) أي فامنع من ذلك الفعل الذي طلبت وانما صرحت بذلك لأنها
علمت انها لا ملامة عليها منهن وانهن قد أصابهن ما أصابها عند رؤيته ثم قالت (ولئن لم يفعل
ما أمره) أي وان لم يطاوعني في ما دعوته اليه (ليسجنن) أي لعاقبن بالحس (وليكونا من
الصاغرين) أي الذليلين المهانين فقال النسوة ليوسف أطع مولائك في ما دعوتك اليه فاختر
يوسف عليه السلام السجن على ما دعت اليه فلذلك (قال رب السجن أحب الي مما يدعونني
اليه) وان كان هذا مما تشبهه النفس وذلك مما تكرهه نظرا الى العاقبة فان الأول فيه الهم
في الدنيا والعقاب في الآخرة والثاني فيه المدح في الدنيا والنواب الدائم في الآخرة (فان قيل)
ان الدعاء كان منها فلم أضافه اليهن جميعا (أجيب) بأنهن خوفنه من مخالفتها وزيين له مطاوعتها
وقيل انهن دعونه الى أنفسهن قال بعض العلماء لو لم يقل السجن أحب الي مما يتسل بالسجن
والأولى بالعباد أن يسأل الله تعالى العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان
يسأل الله الصبر بقوله سألت الله البلاء فاسأله العافية رواء الترمذي (والأ) أي وان لم (تصرف
عني كيدهن) أي فيما أردن مني بالتثبيت على العصمة (أصب) أي أمل (اليهن) يقال صافلان
الى كذا اذا مال اليه واشتاقه (وأكن) أي أصر (من الجاهلين) أي من السفهاء ما ارتكاب
ما يدعونني اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح وفي ذلك دليل على أن من ارتكب ذنبا عميا ارتكبه
عن جهالة والقصد بذلك الدعاء ولذلك قال تعالى (فاستجاب له ربه) أي فأجاب الله تعالى دعاءه
الذي تضمنه هذا التناهي لأن الكريم يغيثه التلويح عن التصريح كما قيل
إذا أتيت عليك المره يوما • كفالك من تعرضه التناهي

(فصرف عنه كيدهن) أي فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة
المتضمنة للعصيان (أنه هو السميع) أي دعاء الملتجئين اليه (العليم) أي الضامر والنيات فيصيب
ما صبح فيه القصد وطاب منه العزم (ثم بدأ) أي ظهر (لهم) أي العزيز وأوحى به (من بعد ما رأوا
الآيات) أي الدالة على براءة يوسف عليه السلام كشهادة الصبي وقد القيمص وقطع النساء
أيديهن واستعصم عنهن (ليصننه حتى) أي الى (حين) ينقطع فيه كلام الناس وذلك ان

المرأة قالت لزوجها ان هذا العبد العبراني قد فضخني في الناس يقول لهم اني راودته عن نفسه
 وانا لا اقدر على اظهار عذري فاما ان تاذن لي فأخرج واعتذر واما ان تعسبه كما حبستني
 فعند ذلك وقع في قلب العزيز ان الاصلح حبسه حتى يسقط عن السنة الناس ذكر هذا الحديث
 وحتى تقل القضية فضحه * (تنبه) * في فاعل بدأ أربعة أوجه أحسنها انه ضمير يعود على
 السجن بفتح السين أي ظهر لهم حبسه والثاني ان الفاعل ضمير المصدر المقهوم من الفعل وهو
 بدأ أي بدأ بهم بداء والثالث انه ضمير يدل عليه السياق أي بدأ بهم رأى والرابع أنه محذوف
 وليسبحنه فأمم مقامه أي بدأ بهم السجن مخذف وأقيمت الجملة مقامه وليست الجملة فاعلان
 الجمل لا تكون كذلك وقيل الحبس هنا خمس سنين وقيل سبع سنين وقال مقاتل بن سليمان حبس
 يوسف اثنتي عشرة سنة وقال الرازي والصحيح ان هذه المقادير غير معلومة وانما القدر المعلوم انه
 بقى مسجوناً مدة طويلة لقوله تعالى واذكر بعد أمة وعن عكرمة قال قال رجل ذور أي للعزيز
 متى تركت هذا العبد يعتذر الى الناس ويقص عليهم أمره فان تركه في بيته لا يخرج الى الناس
 فان خرج للناس عذروه وفضخوا أهلك فأمر به فسجن (ودخل معه السجن تينان) وهما
 غلامان كانا للوليد بن زوان العملي ملك مصر الاكبر أحدهما خباز صاحبه وطعامه
 والاخر ساقية صاحبه شرابه غضب الملك عليهم ما حبسهما وكان السبب فيه ان جماعة من
 أشرف مصر أرادوا المكر بالملك واعتباله وقتله فضمنوا الهدى للغلامين ما لا على أن يساعدا الملك
 في طعامه وشرابه فأجابا الى ذلك ثم ان الساقية ندم ورجع عن ذلك وقبيل الخباز الرشوة وسم
 الطعام فلما حضر الطعام بين يدي الملك قال الساقية لانا كل أيها الملك فان الطعام مسموم فقال
 الخباز ولا تشرب فان الشراب مسموم فقال الملك للساقية اشرب فشربت فلم يضره وقال الخباز
 كل من طعامك فأبى فأطعم من ذلك الطعام دابة فهلكت فأمر بحبسهما وكان يوسف عليه
 السلام حين دخل السجن قال لاهله اني أعبر الاحلام فقال أحد القيين لصاحبه هلم فلنحزب
 هذا العبد العبراني فنتراى له رؤيا قال ابن مسعود وما رأيا شيئاً وانما تحالما ليصير يا يوسف وقال قوم
 بل كانوا رأيا حقيقة فرأها يوسف وهما مهمومان فسألهما عن شأنهما فذكر أنهما صاحبا الملك
 حبسهما وقد رأيا رؤيا عنهما فقال يوسف فصاعلي ماراً تيناً (قال أحدهما) وهو صاحب
 شراب الملك (انني أرا في أعصر خمرأ) (فان قبيل) كيف يعقل عصر الخمر (أجيب) عن ذلك
 بثلاثة أقوال أحدها أن يكون المصفي أعصر عنب خمر أي العنب الذي يكون عصيره خمرأ
 مخذف المضاف الثاني ان العرب تسمى الشيء باسم ما يؤول اليه تقول فلان يطبخ دبسا وهو يطبخ
 عصيراً الثالث قال أبو صالح أزد وعمان يسهون العنب بالخمر فوقت هذه اللفظة الى أهل مكة
 فنطقوا بها قال الضمخاني نزل القرآن بالسنة جميع العرب وذلك انه قال اني رأيت في المنام كأنني
 في بستان واذ فيه شجرة فيها ثلاثة أعصان عليها ثلاثة عناق من عنب فحزبتهم او كان كأس
 الملك يدي فعصرتهم فيه وسقيت الملك فشربه (وقال الآخر اني أرا في أحمل فوق رأسي خبزاً
 تأكل الطير منه) وذلك انه قال رأيت في المنام كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها الخبز وألوان

الطعام وسباع الطير تنهش منه (ينثا) أي أخبرنا (بتأويله) أي بتفسيره (اناراك من المحسنين)
 أي في علم التفسير لأنه متى عبر لم يخطئ كما قال وعلمتني من تأويل الاحاديث وقيل في أمر الدين
 لأنه كان شديد المواظبة على الطاعات من الصوم والصلاة فإنه كان يصوم النهار ويقوم الليل كله
 ومن كان كذلك فإنه يوتق بما يقوله في تعبير الرؤيا وفي سائر الامور وقيل في حق الشركاء
 والاصحاب لأنه كان يعود مرضاهم ويؤنس حزنهم واذا ضاق على أحد هم وسع عليه واذا
 احتاج أحد هم جمع له شياً قيل انه لما دخل السجن وجد قوماً اشتد بلاؤهم وانقطع رجاؤهم
 وطال حزنهم فجعل يسكنهم ويقول اصبروا وابشروا وتوحيروا فبقوا ولولم يبارك الله فيك يا فتى
 ما أحسن وجهك وخلقت وحيدك لقد بورك لنا في جوارك فاني أنت يا فتى قال أنطونيوس
 ابن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن والله يا فتى
 لو استطعت خلقت سبيلك ولكن سأحسن جوارك فكن في أي بيوت السجن شئت وروى
 أن القسيس لما رأى يوسف قال لقد أحببناك حين رأيناك فقال له ما يوسف أنشدك الله أن لا تجلبني
 فوالله ما أحببني أحد قط الا دخل على من حبه بلاه لقد أحببتني حتى قد دخل على بلاه ثم أحببني
 أي فألقت في الحب وأحببتني امرأة العزيز فنجست فلما قصا عليه الرؤيا كره يوسف أن يعبر
 لهما ما سألاه لما علم في ذلك من المكروه على أحدهما (قال) معرض عن سؤالهما أخذ في غيره
 من اظهار المحبة في الدعاء الى التوحيد (لا يا تيكا طعام ترزقانه) أي في منامك (الآباء تيكا
 بتأويله) أي في البقطة (قبيل أن يا تيكا) وتأويله وقيل أراد به في البقطة يقول لا يا تيكا طعام
 ترزقانه من منازل تيكا طعامه انسابك يا تيكا بوله بقدره ولونه والوقت الذي يصل اليك قبل
 أن يصل وأي طعام أكلت ومتى أكلت وهذه كجوزة عيسى عليه السلام حيث قال وأبشركم
 بما أنا كون وما تدخرون في بيوتكم فقالوا هذا فعل العرافين والكهنة فمن أين لك هذا العلم
 فقال ما أنا بكاهن (ذلك) أي هذا التأويل والاخبار بالمغيبات (بما علمتني ربي) وفي ذلك
 حث على ايمانهم ثم قواه بقوله (أني تركت مله) أي دين (قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة
 هم كفرون) وكره ان يظنهم للتأكيده لشدة انكارهم للمعاد وما ادعى يوسف عليه السلام النبوة
 وأظهر المحبة أظهر أنه من أهل بيت النبوة بقوله (وانعت مله) أي أنى ابراهيم واسحق ويعقوب
 ليسمعوا قوله وبطبعوا أمره فيمليدهم اليه من التوحيد فان الانسان متى ادعى حرفة أيه
 ويحده لم يستبعد ذلك منه وأيضا فكما لدرجة ابراهيم واسحق ويعقوب أمر مشهور في الدنيا
 فاذا أظهر أنهم آباؤه وعظموه ونظروا اليه بعين الاجلال فكانت اقبادهم له أمم وتأييد لهم
 بكلامه أكل (فان قيل) انه كان نبيا فكيف قال اتعت مله أي النبي لا بد وأن يكون
 محتسبا بشرية نفسه (أجيب) بأن مراد التوحيد الذي لا يتغير وأعلمه كان رسولا من عند الله
 تعالى الا انه كان نبيا على شريعة ابراهيم عليه السلام وقرأ عاصم وحزوة والكسائي بسكون
 ياء آباء والباقيون بالفتح (ما كان) أي ما صح (لنا) معشر الانبياء (أن نشرك بالله من شيء) لان لفظه
 تعالى طهره وطهر آباءه عن الكفر وظهر قوله تعالى ما كان لئلا يتخذ من ولد وانما قال من شيء

لان اصناف الشرك كثيرة فمنهم من يعبد الاصنام ومنهم من يعبد النار ومنهم من يعبد
 الكواكب ومنهم من يعبد الملائكة فقولهم من شئ رد على هؤلاء الطوائف وارشاد الى الدين
 الحق وهو انه لا موجد ولا خالق ولا رازق الا الله (ذلك) اى التوحيد (من فضل الله علينا)
 بالوحى (وعلى الناس) اى ما ارهم به عنا الارشادهم وتبليغهم عليه (ولكن اكثر الناس) اى
 المبعوث اليهم (لا يشكرون) هذه النعمة التى انعم الله تعالى بها عليهم لانهم تركوا عبادته
 وعبدوا غيره ثم دعاهم الى الايمان فقال (يا صاحبي السجن) اى يا صاحبي فى السجن
 فاضافة ما الى السجن كما تقول يا سارق الليلة فكما ان الليلة مسروق فيها غير مسروقة فكذلك
 السجن مصوب فيه غير مصوب وانما المصوب غيره وهو يوسف عليه السلام او باسا كفى
 السجن كما قيل لسكان الجنة اصحاب الجنة ولسكان النار اصحاب النار (أرباب) اى آلهة
 (متفرقون) اى متباينون من ذهب وفضة وصفر وحديد وخشب وحجارة وصغير وكبير
 ومتوسط وغير ذلك (خير) اى اعظم فى صفة المدح وأولى بالطاعة (أم الله الواحد القهار)
 اى المتوحد بالالوهية الذى لا يغالب ولا يشارك فى الربوبية غيره خير والاستفهام للتحقير
 وفى الهمزتين فى أرباب من القرآت ما فى أنذرتهم وقدمت (فان قيل) هل يجوز التفاضل بين
 الاصنام وبين الله تعالى حتى يقال انها خير أم الله (أجيب) بأن ذلك خرج على سبيل القرض
 والمعنى لو سلمنا أنه حصل منها ما يوجب الخير فهى خير أم الله الواحد القهار * ثم بين عجز الاصنام
 فقال (ما تعبدون) وانما خاطبهم بلفظ الجمع وقد ابتدأ بالتنبيه فى المخاطبة لانه أراد جميع
 من فى السجن من المشركين والعبادة خضوع القلب فى أعلى مراتب الخضوع وبين حقارة
 معبوداتهم وسفالتها بقوله (من دونه) اى الله الذى قام البرهان على الهيته وعلى اختصاصه
 بذلك (الأسماء) وبين ما يريد وأوضحه بقوله (سميها) اى ذوات أو وجدت لها أسماء (أنتم)
 سميها آلهة وأربابا وهى حجارة جماد خالية عن المعنى لاجتياها (وأباؤكم) من قبلكم
 سموها كذلك (ما أنزل الله بها) اى عبادتها (من سلطان) اى حجة وبرهان (ان الحكم)
 اى ما الحكم (آلله) اى المختص بصفات الكمال والحكم فصل الامر بما تدعو اليه الحكمة
 (أمر) وهو النافذ الامر المطاع الحكم (أن لا تعبدوا الاياه) لانه المستحق للعبادة لاهذه
 الاسماء التى سميها آلهة * ولما قام الدليل على هذا الوجه الذى كان جديرا بالاشارة الى فضله
 أشار اليه بأداة البعد تنبيها على علو مقامه وعظيم شأنه فقال (ذلك) اى الشأن الاظم وهو
 توحيدهم وافرادهم عن خلقه (الدين القيم) اى المستقيم الذى لا عوج فيه (ولكن اكثر الناس)
 وهم الكفار (لا يعلمون) ما يصبرون اليه من العذاب فيشركون * ولما قرأ يوسف عليه السلام
 أمر التوحيد والنبوة عاد الى الجواب عن السؤال الذى ذكره فقال (يا صاحبي السجن) اى
 الذى يحصل فيه الانكسار للنفس والرقعة فى القلب فتخلص فيه المودة ولما كان فى الجواب
 ما يسره الخبائر بهم ليجوز كل من ممانه الفائر فان الجأه الى التعيين كان ذلك عذرا له فى الخروج
 عن الايق فقل (أما أحدكم) وهو صاحب شراب الملك (فيسق زبده) اى سميده (خرا) على

عادته والعناقد الثلاثة هي ثلاثة أيام يبق في السجن ثم يدعوه الملك فترقه الى رتبته التي كان
 عليها هذا وأويل رؤياه (وأما الآخر) وهو صاحب طعام الملك (فصلب) والسلاط
 الثلاثة ثلاثة أيام ويدعوه الملك فيصليه (فتأكل الطير من رأسه) هذا وأويل رؤياه قال
 ابن مسعود فلما سمعوا قول يوسف عليه السلام قالاماراً يا شامانما كنا نلب فقال لهم يوسف
 عليه السلام (قضى) أي تم (الأمر الذي فيه تستفيان) أي تطلبان الاتناء فيه عملاً بالقوة
 فسألتم عن تأويله وهو تعبيري رؤيا كما كذبتم أو صدقتم أقله عن جهل ولا غلط (وقال) يوسف
 عليه السلام (لذي ظن) أي علم وتحقق فالظن به في العلم لانه قاله عن وحى لقوله قضى الأمر
 ويجوز أن يكون ضمير ظن للساقى فهو حيث نذ على بابه (أنه نأج منهما) وهو الساقى (اذكرني
 عند ربك) أي سيدك ملك مصر بما رأيت من معنى من معالي الاخلاق وطهارة الشيم الدالة على
 بعدى عمارتته والمراد بالرب هنا غير المراد به في قوله أرباب متفقون فبما الساقى وصلب
 صاحبه وفق ما قاله لهم ما يوسف عليه السلام واختلف في ضمير (فأنساه الشيطان ذكر ربه)
 على قولين أحدهما أنه يعود الى الساقى وهو قول جماعة من المفسرين أي فأنسى الشيطان
 الساقى أن يذكر يوسف عند الملك فالوالان صرف وسوسة الشيطان الى ذلك الرجل الساقى حتى
 أنساه ذكر يوسف وأولى من صرفه الى يوسف والقول الثاني وعليه أكثر المفسرين أنه يرجع
 الى يوسف عليه السلام وقال الرازي انه الحق أي ان الشيطان أنهى يوسف ذكر ربه تعالى
 حتى استعان بمخلوق مثله وتلك غفلة عرضت له عليه السلام فان الاستعانة بالمخلوق في رفع الظلم
 جائزة في الشريعة الا ان حسنات الابرايسات المقترين فهذا وان كان جائز العامة الخلق
 الا ان الاولى بالصديقين أن يقطعوا نظرهم عن الاسباب بالكلية وأن لا يشتغلوا الاسباب
 الاسباب فلها صار يوسف عليه السلام مواخذا بهذا القول ولم يواخذه تعالى في تلك القصة
 البتة بل ذكره بأعظم وجوه المدح والثناء فعلم بذلك أنه عليه السلام كان مبرأ مما نسب اليه الجهال
 والحشوية اليه (فان قيل) كيف تمكن الشيطان من يوسف حتى أنساه ذكر ربه (أجيب)
 بأن ذلك انما كان شغل خاطر وأما التسامان الذي هو عبارة عن ترك الذكر وازالته عن القلب
 بالكلية فلا يقدر عليه واختلف في قدر البضع في قوله تعالى (فلبت في السجن بضع سنين) فقال
 مجاهد ما بين الثلاث الى التسع وقال ابن عباس مادون العشرة قال البغوي وأكثر المفسرين
 ان البضع في هذه الآية سبع سنين وكان قد لبث قبله خمس سنين فجملة اثناعشرة سنة وقال
 وهب أصاب أيوب البلا سبع سنين وترك يوسف في السجن سبع سنين وقال مالك بن دينار
 لما قال يوسف للساقى اذ كرني عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دوني وكيلاً لا يطلق حبسك
 فيكي يوسف وقال يارب أنسى قلبي كفرة البلوى فقلت كلمة قال الحسن قال النبي صلى الله عليه
 وسلم رحم الله يوسف لولا بكتته التي قالها ما لبث في السجن ما لبث ثم بكى الحسن وقال لعن
 اذ انزل بنا بلا فترغنا الى الناس ذكره الشعبي مرسلًا ويقرب منه وقال الحسن أيضا دخل جبريل
 على يوسف عليهما السلام في السجن فلما رآه يوسف عرفه فقال له يا أخا المنذر من مالي أول الذين

الخاطئين فقال له جبريل يا طاهر يا ابن الطاهر بن قمر عليك السلام رب العالمين ويقول لك
 أما استحييت مني واستشفعت لادمين فوعزني لالبتك في السجن بضع سنين قال يوسف وهو
 فذلك عنى راض قال نعم قال اذا الالبالي وقال كعب قال جبريل ليوسف ان الله تعالى يقول لك
 من خلقك قال الله قال فن علمك تأويل الرؤيا قال الله قال فن حبيبك الى أبيك قال اقه قال فن
 أنجاله من كرب البئر قال الله تعالى قال فن صرف عنك السوء والفتشاء قال الله قال فكيف
 استشفعت بآدمي مثلك قال محمد بن عمر الرازي في تفسيره والذي جربته من أول عمري الى آخره
 ان الانسان كلما عول في أمر من الامور على غير الله تعالى صار ذلك سببا للنبله والمحنة والشدة
 والرزية واذا عول على الله تعالى ولم يرجع الى أحد من الخلق حصل ذلك المطلوب على أحسن
 الوجوه فهذه التجربة قد استقرت لي من أول عمري الى هذا الوقت الذي بلغت الى السابع
 والخمسين فعند ذلك استقر قلبي على أنه لا مصلحة للانسان في التعويل على شئ سوى فضل الله
 تعالى واحسانه * ولما دنا فرج يوسف عليه السلام رأى ملك مصر الاكبر الريان بن الوليد رؤيا
 عجيبه هائلة كما قال تعالى (وقال الملك انى أرى) أى وأيت عبر بالمضارع كحكاية للعالم لشدة
 ما هاله من ذلك (سبع بقرات سمان) أى خرجن من نهر يابس والسمن زيادة البدن من الشحم
 واللحم وسمان جمع سمينة ويجمع سمين أيضا عليه يقال رجال سمان ونساء سمان كما يقال رجال
 كرام ونساء كرام (يا كاهن) أى يتلعهن (سبع) أى من البقر (عجاف) جمع عجفاء أى مهازيل
 خرجن من ذلك النهر * (تنبيه) * جمع عجفاء على عجاف والقياس عجف نحو حرام وحجر حلاله على
 سمان لانه نقبضه ومن دأبهم حمل النظر على التظير والنقيض على النقيض (و) انى أرى (سبع
 سنبلات خضر) أى قد انقعدت بها (و) انى أرى سبع سنبلات (أخرى يابسات) أى قد أدركت
 فالتوت اليباسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استعنى عن بيان حالها بما نض من حال
 البقرات والسنبله تبات كالفصبة فيها جلة حبوب منتظمة فكانه قيل فكان ماذا فقيل قال
 الملك بعد أن جمع الصحرة والكهنة والمعبرين (يا أيها الملام) أى الاشراف النبلاء الذين تعلقوا
 العميون مناظرهم والقلوب ما أثرهم (أقنوني في رؤياى) أى أخبرونى بتأويلها (ان كنتم للرؤيا
 تعبرون) أى ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا فاعبروها * (تنبيه) * اللام في الرؤيا من زيادة فلا تعلق
 لها بشئ وزيد لتقدم المعمول تقوية للعامل كما زيدت اذا كان العامل فرعا كقوله تعالى فعال
 لما يريد ولا تزداد فيما عدا ذلك الا ضرورة وقيل ضمن تعبرون معنى ما يعتدى باللام تقديره ان كنتم
 تتدبون لعبارة الرؤيا وقيل متعلقة بمحذوف على أنها البيان كقوله تعالى ~~وكانوا فيه من~~
 الزاهد بن تقديره أعنى فيه وكذلك هذا تقديره أعنى للرؤيا وعلى هذا يكون مفعول تعبرون
 محذوف تقديره تعبرونها وفي الآية ما يوجب حال العلماء من حاجة الملوك اليهم فكانه قيل فما
 قالوا فقيل (قالوا) هذه الرؤيا (أضغاث) أى اخلاط (أحلام) محتلمة مختلفة مشبهة جمع ضغت
 بكسر الصاد واسكان الفين المجبة وهى قبضة حشيش محتلمة الرطب باليابس والاحلام جمع حلم
 بضم الحاء واسكان اللام وضمها وهو الرؤيا فصيدها وبالاضغاث وهو ما يكون من الرؤيا باطلا

لكونه من حديث النفس ووسوسة الشيطان لكونهم تشبهه أخلاط النبات التي لا تناسب بينهما
 لأن الرؤيا تارة تكون من الملك وهي العصبة وتارة تكون من تخمين الشيطان وتخلطانه
 وتارة من حديث النفس ثم قالوا (وما نحن) أي بأجمعنا (بشأ ويل الاحلام) أي المنامات الباطلة
 (بالمؤمن) أي ليس لها تأويل عندنا وإنما التأويل للمنامات الصادقة كأنه مقدمة ثانية للعدر
 ولسأله الملك عن هذه الرؤيا واعترف الحاضر وبالجزء عن الجواب تذكرك الشراي واقعة
 يوسف عليه السلام لأنه كان يعتقد فيه كونه منجرا في هذا العلم كما قال تعالى (وقال الذي سمع)
 أي يخلص (منهما) أي من صاحبي السجن وهو الشراي إن في الحبس رجلا فاضلا صالحا
 كثير العلم كثير الطاعة قصصنا وأولنا عليه منامين فذكرنا ويله ما فصدق في كل ما ذكر وما
 أخطأ في حرف فكانت هذه الرؤيا سببا لخلص يوسف عليه السلام ولم يترك الشراي إلا بعد
 طول المدة كما قال تعالى (وآذركم) بالذال المهملة أي طلب الذكر بلذال المجهدة وزنه افتعل (بعد
 أمة) أي وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان محقة أي مدة طويلة والجملة اعتراض ووقول
 القول (أنا أنبئكم بشأويله فأرسلون) أي إلى يوسف عليه السلام فإنه أعلم الناس فأرسلوه إليه
 قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ولم يكن السجن بالمدينة فأتاه فقال الساقى المرسل إليه
 مناديا له نداء القرب تحببا إليه (يوسف) وزاد في التحبب بقوله (أيها الصديق) أي البليغ
 في الصدق والتصديق لأنه جزب أحواله وعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه وهذا يدل
 على أن من أراد أن يتعلم من رجل شيئا فإنه يحب عليه أن يعظه وأن يخاطبه بالألفاظ المشعرة
 بالاجلال ثم أنه أعاد السؤال يعني اللفظ الذي ذكره الملك فقال (أفسم) أي اذكر لنا الحكم (في
 سبع بقرات سبعان) أي رأيت الملك (يا كلهن سبع) من البقر (سبع وسبع) في (سبع سفلات)
 سبع سفلة وهي جمع الحب من الزرع (خضرو) في سبع (آخر) من السافل (بابسات) أي في
 رؤيا ذلك ونم ما فعل من ذكر السؤال بعين اللفظ فإن نفس الرؤيا قد تختلف بحسب اختلاف
 الالفاظ كما هو مذكور في ذلك العلم ثم قال (لعلني أرجع إلى الناس) أي إلى الملك وجماعته
 بفتور القلب مانع بمعنى (لعلهم يعلمون) أي بتأويل هذه الرؤيا وقيل بمنزلة في العلم وقرأ نافع
 وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر يفتح الباء والباقون بالسكون (قال) يوسف عليه السلام معبرا
 لتلك الرؤيا أما البقرات السمان والسفلات الخضرة فسبع سنين محصبات وأما البقرات الجفاف
 والسفلات اليبسات فسبع سنين مجذبة فذلك قوله (ترزعون سبع سنين) وهو خبر بمعنى
 الأمر كقوله تعالى والمطلقات يتربصن والوالدات يرضعن وإنما خرج الأمر في صورة الظير
 للمبالغة في الإيجاب فيجعل كأنه وجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه في معنى الأمر قوله
 خذروه في سبيله وقوله (دابا) نصب على الحال أي دابين أي سبع سنين متتابعة على عادتك
 في الزراعة والدأب العادة وقيل أزرعوا مجدوا وجمعتهم وهذا تأويل السبع السمان والسفلات
 بالخضرة وقرأ حفص يفتح الهزرة وسكنها الباقون وأبدها السومى ألفا وقتا ووصلا وجزءة وقضا
 فتنه (فأحصدتم فذروه) أي أتركوه (في سبيله) مثلا يفسد ولا يقع فيه للسوس وذلك أبق لهصل

طول الزمان (الاقليلا مآكلون) أى ادرسوا قليلا من الخنطة للاكل بقدر الحاجة أمرهم
بمحافظة الاكل ووقت الحاجة أيضا وهو وقت السنين المجدية كما قال (ثم يأتي من بعد ذلك) أى
السميع المخصيات (سبع شداد) أى مجديات صعب وهى تأويل السمع الجفاف والسنبليات
اليابسات (يا كلن ما قدمته لهن) أى يأكل أهلن ما ذخرتم لاجلهن فأسند اليهن على الجواز
تطبيقا بين المعبر وهويا كلهن سبع عجاف والمعبره وهويا كلن ما قدمته لهن (الاقليلا مآ
تحصنون) أى تحزرون وتذخرون للبذر والاحصان الاحراز وهو ابقاء الشيء فى الحصن بحيث
يحفظ ولا يضيع (ثم يأتي من بعد ذلك) أى السبع المجديات (عام فيه يقات الناس) أى يعطرون
من الغيث وهو المطر وقيل يتخذون من قول العرب استغثت فأعاني (وفيه يعصرون)
من العنب جزا ومن الزيتون زيتا ومن السمسم دهنا وأراد بذلك كثرة النعم والخير وقال
أبو عبيدة بن جعون من الكرب والشدة والجذب وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب لأن
الكلام كله مع الخطاب والباقون بالياء على الغيبة ردا الى الناس ولما رجع الشراى الى الملك
وعرض عليه التعبير الذى ذكره يوسف عليه السلام استحسنه (وقال الملك) أى الذى العزيز
فى خدمته (أتسوي به) لاسمع ذلك منه وأكرمه وهذا يدل على فضيلة العلم فانه سبحانه وتعالى
جعل علمه سببا للخلاص من المحنة الذنوبية فكيف لا يكون العلم سببا للخلاص من المحن
الآخروية بقائه الرسول ليأتى به الى الملك (فلما جاءه) أى يوسف عليه السلام عن قرب من الزمان
(الرسول) بذلك وهو السابق وقال له أجب الملك (قال) له يوسف عليه السلام (ارجع الى ربك)
أى سبيلك الملك ولم يخرج معه حتى يظهر رهانه للملك ولا يراه بعين النقص ولذلك قال (فأسأله
ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن) وانما قال يوسف عليه السلام فأسأله ما بال النسوة ولم يقل
فأسأله أن يقتل عن حالهن لأن قوله فأسأله له يحتمل أن يكون بمعنى المسئلة أى أسأله عن شأنهن
وان يكون بمعنى الطلب وهو ان يقتل عن شأنهن فحسن تقييده بلفظ ما الذى يسأل به عن
حقيقة الشيء ليهيجه أن يتحرك للتفتيش عن حالهن لأن الانسان حريص على تحقيق الشيء
ويستكشف أن ينسب الى الجهل به بخلاف ما لو قال سله ان يقتل أى اطلب منه فانه لا يسأل
بهذا الطلب ولا يلتفت اليه لاسيما الملوك وانما يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كراما
ومراعاة للادب وقدم سؤال النسوة وخص حالهن لتظهر براءه فاسأله لانه لو خرج فى الحال
لربما كان يبقى فى قلب الملك من تلك التهمة أثر فلما التمس من الملك أن يفحص عن حال تلك
الواقعة دل ذلك على براءه من تلك التهمة فبعد خروجه لا يقدر أحد ان يعلقه بتلك الرذيلة
وان يتوصل بها الى الطعن فيه وفى ذلك دليل على أنه ينبغي للشخص أن يجتهد فى نفي التهم
وتبني مواقعها وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لقد عجت من يوسف وصبره والله يغفر له
حين سئل عن البقرات الجفاف والسمان ولو كنت مكانه ما أجبتهم حتى اشتربت أن
يخرجوني ولقد عجت منه حيث أتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولنت
فى السجن مطلب لا سرعت الاجابة وبأدبهم الباب ولما بقيت العذر ان كان خليما ذائبا
واصل الحديث فى العيصين مختصرا وانما قال صلى الله عليه وسلم ذلك على سبيل التواضع لانه

صلى الله عليه وسلم كان في الامر منه مبادرة وبجمله لو كان مكان يوسف والنواضع لا يصغر كبيراً
 ولا يضع رقيقاً ولا يظلم لذي حق حقه لكنه بموجب لصاحبه فضلاً وبليسه جلاله وقدره وقوله
 والله يعفركه مثل هذه المقدمة مشعرة بتعظيم الخطاب من توقيره وتوقيره كما تقول لمن تعفمه
 عفا الله عنك ما صنعت في أمرى ورضى الله تعالى عنك ما جوابك عن كلامي وقوله ان كان
 الحلبان هي المخففة من الثقيلة والاناة الوفاق وقيل هو اسم من التاني في الامور وقرأ ابن
 كثير والكسائي بفتح السين ولا همزة بعدها والباقون بسكون السين وهمزة مفتوحة بعدها
 (ان ربي) أى الله (بكيدهن عليم) حين قلن أطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد
 بعلم الله تعالى عليه وأنه برى بما عيب به والوعيد لهن على كيدهن وقيل المراد برى الملك
 وجعله ربال نفسه لكونه مريباً وفيه اشارة الى كون ذلك الملك عالماً بكيدهن ومكرهن ولما
 قال يوسف عليه السلام ذلك وأبى أن يخرج من السجن قيل تين الامر رجع الرسول الى الملك
 فأخبره بما قال عليه السلام فكانه قيل فافعل الملك فقتل (قال) للنسوة بعد ان جمعتهن وامرأة
 العزيز معهن (ما خطبكن) أى ما سألتكن العظيم وقوله (أذرا ودتن) أى خادعتن (يوسف
 عن نفسه) دليل على أن براءته كانت متحققة عند كل من علم القصة وانما خاطب الملك جميع
 النسوة بهذا الخطاب والمراد بذلك امرأة العزيز وولدها ليكون أسرتها وقيل ان امرأة العزيز
 راودته عن نفسه وسائر النسوة أمرته بطاعتها فلذلك خاطبتهن فكانه قيل فما قلن قتل (قلن
 حاش لله) أى عياداً بالملك الاعظم وتنزيهاً له من هذا الامر (ما علمنا علمه) أى يوسف عليه
 السلام وأغرقن في النفي فظن (من سوء) أى من خيانة في شئ من الاشياء ولما أن يوسف
 عليه السلام راى جانب امرأة العزيز حيث قال ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن فذكرهن
 ولم يذكر تلك المرأة البتة وعرفت المرأة أنه اغتار لذكورها رعاية لخطيئها وتعظيم الجانبها واخفاء
 للامر عنها ارادت أن تكافئه على هذا الفعل الحسن فلا جرم أزال الغطاء والوطاء فلذلك
 (قالت امرأت العزيز) مصرحة بحقيقة الحال (الآن حصص الحق) أى ظهر وتبين (أنا
 راودته) أى خادعته (عن نفسه) وأكدت ما أفصح به مدحا ونفيما لكل سوء بقولها مؤكداً
 لاجل ما تقدم (وإنه لمن الصادقين) أى القرينين في هذا الوصف في نسبة المرادة الى وتبرئة
 نفسه فقد شهد النسوة كلهن ببراءته وإنه لم يقع منه ما ينسب به الى شئ من سوء البتة فن
 نسب بعد ذلك لها وغيره فهو تابع لمجرد الهوى في شئ من المخلصين قال الرازي رأيت في بعض
 الكتب ان امرأة جاءت بزوجه الى القاضي وأدعت عليه المهر فأمر القاضي بأن تكشف
 عن وجهها حتى تتمكن اليهود من اقامة الشهادة فقال الزوج لاجاسة الى ذلك فاني مقر
 بصدقها في دعواها فقالت المرأة لما أكرمتني الى هذا الحد فاشهد وانى أبرأت ذمتك من كل
 حق لي عليك ولما رجع الرسول الى يوسف عليه السلام وأخبره بشهادتهن ببراءته قال (ذلك)
 أى الخلق العظيم في تنبئ في السجن الى أن تين الحق (ليعلم) العزيز باقرارها وهي في الامن
 وأتاني محل الضيق والخوف علما مؤكداً (انني لم أخنه) أى في أهله ولا في غيرها (بالغيب) أى

والحال أن كلامنا غائب عن صاحبه هذا أقول الأكثرين أنه قول يوسف عليه السلام قال
 القراء ولا يعد وصل كلام انسان بكلام آخر إذ ادلت القرينة عليه ومثاله قوله تعالى إن
 الملوك إذ دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة هذا كلام بلقيس ثم قال الله تعالى
 وكذلك يفعلون وقوله تعالى ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه كلام الداعي ثم قال الله
 تعالى إن الله لا يخلف الميعاد ثم ختم الكلام بقوله (وإن الله لايهدي) أي يستدوي بنجح
 بوجه من الوجوه (كيد الخائنين) أي ولو كنت خائناً لما خصى الله من هذه الورطة العظيمة
 وحيث خلصني منها ظهراني برى عما نسبوني اليه وقبل انه كلام امرأة العزيز والمعنى اني
 وان كنت أحمات عليه الذنب في حضوره لكني ما أحمات الذنب عليه في غيبته أي لم تقل فيه وهو
 في السجن خلاف الحق ثم انها بالغت في تكيد هذا القول وقالت وإن الله لايهدي كيد
 الخائنين يعني اني لما أقدمت على الكيد والمكر لاجرم افضتحت وانه لما كان برياً من الذنب
 لاجرم طهره الله تعالى منه * واعلم ان هذه الآية على القول الاول دالة على طهارة يوسف عليه
 السلام من وجوه كثيرة الاول قولها أنا راودته عن نفسه والناسي قولها وان لمن الصادقين
 وهو اشارة الى أنه صادق في قوله هي راودتني عن نفسي والثالث قول يوسف عليه السلام
 ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب والحشوية يذكرون أنه لما قال يوسف هذا الكلام قال له جبريل
 عليه السلام ولا حين هممت قال الرازي وهذا من رواياتهم الخبيثة وما صحت هذه الرواية
 في كتاب معتد أي وانما أسندها بعضهم لابن عباس بل هم يلحقونها بهذا الموضوع سعياً منهم في
 تحريف ظاهر القرآن ورابعها أن اقدامه على قوله ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب مع أنه خانه
 بأعظم وجوه الخيانة اقدام على وقاحة عظيمة وعلى كذب عظيم من غير أن يتعلق به مصلحة
 بوجه ما و الاقدام على مثل هذه الوقاحة من غير فائدة أصلاً لا يليق بأحد من العقلاء فكيف
 يليق اسناده الى نبي مرسل من سلاله الانبياء الاصفياء فثبت أن هذه الآية تدل دلالة قاطعة
 على براءته مما يقول الجهال والحشوية واختلفوا في تفسير قوله (وما أبرئ نفسي) لان ذلك
 يختلف باختلاف ما قبله لان قوله ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب ان كان من كلام يوسف عليه
 السلام وقدمت أنه قول الاكثرين فهو أيضاً كلامه وان كان من كلام المرأة فهذا أيضاً كلامها
 فعلى الاول قد تمسك به الحشوية وقالوا انه عليه السلام لما قال ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب
 قال له جبريل ولا حين حلت تكية سراً وبك فعند ذلك قال يوسف عليه السلام وما أبرئ نفسي
 (إن النفس لامارة بالسوء) أي بالزنا (الامارحيم) أي عصم منه (رب ان ربي غفور) أي اللهم الذي
 همته (رحيم) أي لو فعلته لتساب على وهذا ضعيف كما قاله الرازي لما تقدم أن الآية المتقدمة
 برهان قاطع على براءته من الذنب وانما قال ذلك عليه السلام لانه لما قال ذلك ليعلم أني لم أخنه
 بالغيب كان ذلك جاريًا مجرى مدح النفس وتركيبتها وقد قال تعالى فلا تزكوا أنفسكم
 فاستدرك ذلك على نفسه بقوله وما أبرئ نفسي والمعنى وما أفرقت نفسي ان النفس لامارة
 بالسوء مبالغة الى القبايح وراغبة في المعصية وعلى الثاني أهمها هات ذلك ليعلم أني لم أخنه

بالغيب قالت وما أرى نفسي من انسانية مطلقا فاني قد خنته حين أحلت الذنب عليه وقلت
 ما جزاء من أراد بأهلك سوء الأنان يسجن وأودعته في الحبس كأنها أرادت الاختسار وما
 كان واختاف في قوله (وقال الملك) بينهم من قال هو العزيز ومنهم من قال هو الريان الذي
 هو الملك الأكبر قال الرازي وهذا هو الاظهر لوجهين الاول ان قول يوسف اجعلني على
 خزائن الارض يدل عليه الثاني قوله استخلصه لنفسى يدل على أنه قبل ذلك ما كان خالصا
 وقد كان يوسف عليه السلام قبل ذلك خالصا للعزيز فدل هذا على ان هذا الملك هو الملك الأكبر
 انتهى ولما صرح به ولم يستغن بضميره كراهية الالتباس لما احتمل بينه وبين جواب امرأة
 العزيز من كلام يوسف عليه السلام ولو كان الكل من كلامها لاستغنى بالضمير ولم يحتاج الى
 ابرازه (انثوني به استخلصه لنفسى) أى اجعله خالصا لدون شريك قال ابن عباس فأنام
 الرسول فقال له ألقى عنه ثياب السجن وألبسه ثيابا جدد واقم الى الملك فدعاه أهل السجن وهو
 يومئذ ابن ثلاثين سنة واطمأن وتطفت ولبس ثيابا جدد ابعدها عن اهل السجن فقال
 اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تم عنهم الاخبار وكتب على باب السجن هذه
 منازل البلوى وقبور الاحياء وبيوت الاحزان وتجربة الاصدقاء وشهادة الاعداء
 ثم أتى الملك فلما رآه غلاما حدها فقال أيعلم هذا رؤياى ولا يعلمها السحرة والكهنة ثم أقدمه
 قدامه وقال له لا تحف وألبسه طوقا من ذهب وثياب حرير وأعطاه دابة مسرجة من رتبة
 كدابة الملك وروى أن جبريل عليه السلام دخل على يوسف وهو في الحبس وقال قل اللهم
 اجعل لى من عندك فرجا ومخرجا وارزقنى من حيث لا أحتسب فقيل الله تعالى دعاه وأظهر
 هذا السبب في تخليصه من السجن وروى أن يوسف لما دخل عليه قال اللهم انى أسألك
 بخيرك من خيره وأعوذ بغيرك وقدوتك من شره ثم سلم عليه بالعربية فقال ما هذا اللسان
 قال هذا اللسان عجمي اسمعيل ثم دعاه بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال هذا اللسان أبائى قال
 وهب كان الملك يتكلم بسبعين لغة ولم يعرف هذين اللسانين وكان الملك كلما كلمه بلسان أجابه
 يوسف عليه السلام وزاد بالعربية والعبرانية (فلما كلمه) أى كلم الملك يوسف عليه السلام
 وشاهد منه ما شاهد من جلال النبوة وجمال الوزارة وخلال السيادة ومخايل السعادة
 أقبل عليه وقال انى أحب أن أسمع منك تأويل رؤياى شفاها فأجابه بذلك الجواب شفاها
 وشهد قلبه بصحته فعند ذلك (قال) له (انك اليوم لدينا مكيين أمين) أى ذو مكانة وأمانة
 على أمرنا فأتى بها الصديق (قال) أرى أن تزرع في هذه السنين الخمسة زراعا كثيرا وتبنى
 الخرائن وتجمع فيها الطعام فاذا جاءت السنين المجذبة بعنا الغلال فيحصل بهذا الطريق
 مال عظيم فقال الملك ومن لى بهذا الشغل فقال يوسف (اجعلنى على خزائن الارض) جمع
 خزانة وأراد خزائن الطعام والاموال والارض ارض مصر أى خزائن ارضك مصر وقال
 الربيع بن أنس أى خرج مصر ودخله روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 في هذه الآية قال رحم الله أخى يوسف لو لم يقل اجعلنى على خزائن الارض لاستعمله من

ساعته لکنه لما قال ذلك أخوه الله تعالى سنة فأقام في بيته سنة مع الملك قال الرازي وهذا
 من العجائب لأنه لما تناقل عند الخروج من السجن سهل الله تعالى عليه ذلك على أحسن
 الوجوه ولم يسارع في ذلك هذا الاتماس أخراقة تعالى ذلك المطلوب عنه وهذا يدل على أن
 ترك التصرف أتم والتفويض بالكلية إلى الله تعالى أولى ثم قال (أني حفيظ عليم) أي ذو
 حفظ وعلم بأمرها وقيل كاتب وحاسب (فان قيل) لم طلب يوسف عليه السلام الامارة والنبي
 صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن سمره لا تسأل الامارة ولم طلب الامارة من سلطان كافر ولم
 يصبر مدة ولم أظهر الرغبة في طلبها في الحال ولم طلب أمر الخزانة في أقل الامر مع ان هذا
 يورث نوع تمسمة ولم مدح نفسه وقد قال تعالى فلا تزكوا أنفسكم ولم ترك الاستثناء في هذا وقد
 قال تعالى ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك عند إلا أن يشاء الله فهذه سبعة أسئلة (أجيب) عنها
 بأن الاصل في جواب هذه الاسئلة ان التصرف في أمور الخلق كان واجبا عليه بخلافه
 أن يتوصل اليه بأي طريق كان وانما كان ذلك واجبا عليه لوجوه الاول أنه كان رسولا حقا
 من الله تعالى إلى الخلق والرسول يجب علمه مراعاة الأمة بقدر الامكان والثاني أنه علم بالوحي
 أنه سيحصل القبط والضيق الشديد فقلعه تعالى أمره أن يدبر في ذلك ويأتي بطريق لا يجلبه يقل
 ضرر ذلك القبط في حق الخلق والثالث أن السعي أيضا في ائصال النفع إلى المستحقين ورفع
 الضرر عنهم أمر مستحسن في العقول فكان مكلفا عليه السلام برعاية المصالح من هذه الوجوه
 وما كان يمكنه رعايتها الا بهذا الطريق وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وانما مدح نفسه
 لأن الملك وان علم كماله في علوم الدين لكن ما كان عالما بأنه في هذا الامر وأيضا مدح النفس
 انما يكون مذموما اذا قصد به الشخص التطاول والتفاخر والتوصل إلى غير ما يحل وأما هذا
 الوجه فليس مذموم وقوله تعالى فلا تزكوا أنفسكم المراد به تزكية حال من لا يعلم كونها من كرامة
 والدليل قوله تعالى بعدها الآية هو أعلم بمن اتقى أما اذا كان الانسان عالما بأنه صدق وحق
 فهذا امر ممنوع منه وانما ترك الاستثناء لانه لو ذكره لربما اعتقد الملك فيه انه اعماذ كره لعلمه أنه
 لا قدرة له على ضبط هذه المصلحة كما ينبغي فلهذا المعنى ترك الاستثناء ولما سأل يوسف عليه
 السلام ما تقدم قال معلما بأنه قد أجيب بتخيير الله تعالى له (وكذلك) أي كأنعاما عليه
 بالخلاص من السجن (مكلا يوسف في الارض) أي أرض مصر (ينبأ) أي ينزل (منها حيث
 يشاء) بعد الضيق والحسب قال ابن عباس وغيره ولما انقضت السنة من يوم سأل الامارة دعاه
 الملك فتوجه وجعل خاتم الملك في اصبغه وقلده سيفه وجعل له سريرا من ذهب مكللا بالدر
 والياقوت طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة أذرع عليه ستون فراسا فقال يوسف عليه السلام
 أما السرير فأشبهه ملكك وأما الخاتم فأدبره أمر لئلا تأتاج فليس من لباسي ولا لباس آياتي
 وأمره أن يخرج فخرج لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الشاظر وجهه في صفاء لونه فانطلق
 حتى جالس على ذلك السرير ودانت لها المولى ودخل الملك بيته وفوض اليه أمر مصر وعزل
 قاضيها كان عليه وجعل يوسف مكانه قال ابن اسحق قال ابن زيد وكان الملك مصر خراش

كثيرة فسلم سلطانه كله اليه وجعل امره وقضاه نافذا في مملكته ثم مات قطفير بعد ذلك فزوجه
 الملك امرأته فلما دخل عليها قال أليس هذا خيرا كما كنت تريدين قالت أيها الصديق لا ينبغي
 فاني كنت امرأة حسنة ناهمة كما تری في ملك ودينا وكان صاحبي لا يأتي النساء وكنت كما جعلك
 الله في حسنك وهيئتك فغلبتني نفسي فوجدتها يوسف عليه السلام عذراء فأصابها فوعدت له
 ذكرين أفرأنيهم وميشا فأقام العدل بمصر وأحبه الرجال والنساء وأسلم على يديه الملك وكثير من
 الناس وياع من أهل مصر في سنى القحط الطعام بالدراهم والدنانير في السنة الأولى ثم بالحلى
 والجواهر في السنة الثانية ثم بالدواب في السنة الثالثة ثم بالعبيد والاماء في السنة الرابعة ثم
 بالضياع والعقار في السنة الخامسة ثم بالادهم في السنة السادسة ثم برقاهم في السنة
 السابعة حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة الا صار عبد الله فقال الناس ما رأينا كاليوم ملكا أجمل
 ولا أعظم من هذا صار كل الخلق عبيد الله فلما سمع ذلك قال انى أشهد الله انى أعقت أهل مصر
 عن آخرهم ووددت عليهم املا كههم وكان لا يبيع أحدا ممن يطلب الطعام أكثر من حمل بعير
 لثلايضيق الطعام على الباقين هذا المخلص ما قاله البغوى والزحشري وغيرهما قال الرازى
 والله أعلم بحقيقة الحال وروى ان يوسف عليه السلام كان لا يبيع من طعام في تلك
 الايام فقيل له تجوع ويبدك خزائن الارض فقال ان شبعت نسيب الجائع وأمر يوسف طبخ
 الملك أن يجعل غداءه نصف النهار وأدب ذلك أن يذيق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائعين قال
 البغوى من ثم جعل الملوكة غداءهم نصف النهار قال الله تعالى (نصيب) أى شخص (برحمتنا من
 نساء) في الدنيا والآخرة (ولا نضيع أجر المحسنين) بل نؤتيهم أجورهم عاجلا وājلا لان اضعاف
 الاجرام ان تكون للجزأ والجهل أو للجنل والسكل ممنوع في حق الله تعالى فالأضاعة ممنوعة
 (ولا جبر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) الشرك والفواحش قال الرازى وهذا
 تنصيص من الله تعالى على أن يوسف عليه السلام كان في الزمان السابق من المتقين وليس
 ههنا زمان سابق يحتاج الى بيان أنه كان فيه من المتقين الا ذلك الوقت الذى قال الله تعالى
 فيه ولقد همت به وهم بها فكأن هذا من الله تعالى شهادة بأنه عليه السلام كان في ذلك الوقت
 من المتقين وايضا قوله ولا نضيع أجر المحسنين شهادة من الله تعالى على أنه كان من المخلصين
 فنبت أن الله تعالى شهد بأن يوسف كان من المتقين ومن المحسنين ومن المخلصين والجاهل
 الحشوى يقول انه كان من المذنبين ولا شك أن من لم يقبل قول الله تعالى مع هذه التاكيدات
 كان من الاخسرين ولما اشتد القحط وعظم البلاء عم ذلك جميع البلاد حتى وصل الى
 بلاد الشام وأرض كنعان وقصد الناس مصر من كل مكان للميرة فجعل يوسف عليه السلام
 لا يعطى أحدا أكثر من حمل بعير وان كان عظيما تقبسطا بين الناس وتزاحم الناس عليه ونزل
 بال يعقوب ما نزل بالناس من الشدة فبعث بنه الى مصر للميرة وأمسك بنيامين أخا يوسف
 لأمه وأيه فذلك قوله تعالى (وجاء اخوة يوسف) وكانوا عشرة وكان منزلهم بالعربيات من ارض
 فلسطين ثم نورا الشام وكانوا أهل ايل وشباه فدعاهم أبوهم يعقوب عليه السلام وقال بلغنى أن

بصرفه كما يصلح بيع الطعام فجهزوا اليه واقصدوه لتشتروا منه ما تحتاجون من الطعام
وههنا همزتان مختلفتان من كلمتين فقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وبسهيل الثانية والساقون
بالتحقيق * ولما أمرهم أبوهم بذلك خرجوا حتى قدموا مصر (فدخلوا عليه فعرّفهم) قال ابن
عباس بأول نظرة اليهم عرفهم وقال الحسن لم يعرفهم حتى تعرفوا اليه (وهم له منكرون) أي لم
يعرفوه وذلك لوجوه الأول أنه عليه السلام أمر بحجابه بأن يوقه وهم من البعد وما كان يسكنهم
معهم الا بواسطة الثاني أنهم حين القوه في الحب كان صغيراً ثم انهم رأوه بعد وفور الحصة وكبر
الحنة قال ابن عباس وكان بين ان ذفوه في البثريين أن دخلوا عليه أربعون سنة فلذلك أنكره
وقال عطاء انعام يعرفوه لانه كان على سرير الملك وكان بزى ملوك مصر عليه ثياب حرير وفي
عنقه طوق من ذهب ثم ان يوسف عليه السلام أمر بانزالهم وكرامهم وكانت عادة أن لا يزيد
أحد على جل بعير وكانوا عشرة فاعطاهم عشرة أجمال كما قال تعالى (ولما جهزهم بجهازهم)
أي وفاهم كيلهم والجهاز ما يعتمد من الامتعة للثقله كمدد السفر وما يحمل من بلدة الى أخرى
وما تزف به المرأة الى زوجها فقالوا ان لنا شيخاً كبيراً وأخاً خربق معه وذكروا أن أباهم
لاجل سنه وشدة حره لم يحضروا انأخاهم في خدمة أبيه ولا بدتلهما أيضاً من جلفين آخرين
من الطعام فلما ذكروا ذلك قال يوسف عليه السلام فهذا يدل على أن حب أسيكم له أزيد من
حبه لكم وهذا شئ عجب لانكم أنتم مع جالككم وعقلكم وأديكم اذا كانت محبة أسيكم
لذلك الاخ أكثر من محبته لكم دل ذلك على أنه محبوبة في العقل والادب فحسبني به حتى
أراه كما قال تعالى حكاية عنه (قال اتوني بأخ لكم من أسيكم) أي الذي خلفتموه عنده وقيل
انه لما نظر اليهم وكلهم بالعبرانية قال لهم اخبروني من أنتم وما أمركم فاني أنكرت شأنكم قالوا
قوم من أرض الشام أصابنا ما أصاب الناس فحننا عمار فقال لعلمكم جئتم لتظروا الى عودة
بلادنا قالوا والله لسنا نجواسيس انما نحن اخوة بنو أب واحد وهو شيخ صديق يقال له
يعقوب بنى من أنبياء الله تعالى قال وكمنتم قالو كئنا اثني عشر فذهب أخ لنا الى البرية فهلك
فيها وكان أحبنا الى أينا قال فكم أنتم ههنا قالوا عشرة قال وابن الابن الآخر قالوا عندنا أينا
لانه أخو الذي هلك وأبوهم يتلى به قال فن يعلم ان الذي تقولون حتى قالوا أيها الملك اننا بلاد
لا يعرفنا فيها أحد فقال يوسف عليه السلام فاتوني باخيكم الذي من أسيكم ان كنتم
صادقين فأننا أرضي بذلك فقالوا ان أبانا يحزن على فراقه وسنراوده عنه قال فدعوا بعضكم
عندي رهينة حتى تأتوني بأخيكم فاقرعوا بينهم فأصاب القرعة شمعون وكان أحسنهم رأياً
في يوسف فخطفوه عنده ثم انه قال لهم (الأترون أني أوفى الكيل) أي أتمه ولا أبخس منه شيئاً
وقرأ نافع بفتح الباء من أني والباقون بالسكون وأما الباء من أوفى فجميع القراء يثبتونها في
الوقف لثباتها في الرسم وحذفوها في الوصل لالتقاء الساكنين (وأنا خير المتزانيين) أي
المضيفين فانه كان قد أحسن ضيافتهم مدة اقامتهم عنده قال الرازي وهذا يضعف قول من
يقول من المفسرين انه اتهمهم ونسبهم الى أنهم عميون وجواسيس ولو شافهم بهذا الكلام

فلا يلبق به أن يقول لهم ألا ترون أنى أوفى الكيل وأنا خير المتزئين وأيضا يعد من يوسف
 عليه السلام مع كونه صديقاً أن يقول لهم انتم عيون وجواسيس مع أنه يعرف برأيتهم
 عن هذه التهمة لأن البهتان لا يلبق بحال الصديق ثم قال عليه السلام (فان لم تأتوني به) أى
 بأخيتكم (فلا كيل) أى فلاميرة (لكم عندي) ولم يمنعهم من غيره (ولا تقر بون) نهى أوعطف
 على محل فلا كيل لكم أى تقرموا ولا تقر بونى ولا تدخلوا ديارى فجمع لهم عليه السلام
 بين الترهيب والترغيب فالترغيب فى قوله الأول والترهيب فى قوله الثانى لانهم كانوا فى نهاية
 الحاجة الى الطعام وما كان يمكنهم تحصيله الا من عنده ومع ذلك لم يحظروا اليهم أنه يوسف فكانه
 قيل فما قالوا فقيل (قالوا اسراود) أى بوعد لا خلف فيه حين نصل (عنه آياه) أى سلكه فيه
 وتنازعه الكلام ومختمال فيه وتلطف فى ذلك ولا تدع جهداً (وانا لفاعلون) أى ما أمرتنا
 به والتمناه (و) لما أرغبهم وأرهبهم فى شأن أخيه (قال لفتيته) أى علمانه الكيلين جمع
 فتى وقرأ حفص وحزرة والكسائى بألف بعد الباء المثناة تحت وبعد الالفون مكسورة
 والباقون بالياء المثناة تحت ثم تاء مشددة فوق مكسورة (اجعلوا بضاعتهم) أى التى أتوا بها
 عن الميرة وكانت دواهم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنها كانت النعال والادم
 (فى رحالهم) جمع رحل أو عيتم التى يحملون فيها الطعام (لعلهم يعرفونها) أى بضاعتهم (إذا
 أقبلوا) أى رجعوا (الى أهلهم) وقصوا أو عيتمهم (لعلهم يرجعون) البنا واختلف فى السبب
 الذى من أجله ود يوسف عليه السلام بضاعتهم فى رحالهم على أوجه الأول أنه أراد أن يكون
 ذلك المال معونة لهم على شدة الزمان وكان يخاف للصوص من قطع الطريق فوضع تلك
 الدراهم فى رحالهم حتى تبقى مخفية الى أن يصلوا الى أيهم الثانى أراد أن يعترف أباه أنه
 أكرمهم وطلبهم لزيد الأكرام فلا يشغل على أبيه ارسال أخيه الثالث مقصوده أن يعرفوا أنه
 لا يطلب ذلك الا لاجل الايذاء والظلم ولا يطلب زيادة الثمن الرابع أراد أن يحسن اليهم على
 وجه لا يطعمهم فيه عيب ولا منة الخامس قال القراء انهم متى شاهدوا بضاعتهم فى رحالهم وقع
 فى قلوبهم أنهم وضعوا تلك البضاعة فى رحالهم على سبيل السهو وهم أبناء أولاد أبناء
 ف يرجعون ليعرفوا السبب فيه ويردوا الملك الى مالكه السادس أراد به التوسعة على أبيه لان
 الزمان كان زمان القمط السابع رأى ان أخذ من الطعام من أبيه ومن اخوته على شدة حاجتهم
 الى الطعام لئوم الثامن خاف أن لا يكون عند أبيه من المال ما يرجعون به مرة أخرى التاسع
 أنهم متى قصوا المتاع فوجدوا بضاعتهم فيه علوا ان ذلك كرم من يوسف عليه السلام وسعاه
 فيبغضهم ذلك الى العود اليه والحرص على معاملته عليه السلام (فلما رجعوا) أى اخوة يوسف
 عليه السلام (الى أبيهم قالوا يا أبانا) انا قد مناعلى خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة عظيمة لو كان
 رجلاً من آل يعقوب ما أكرمنا كرامه فقال يعقوب عليه السلام اذ رجعت الى ملك مصر
 فأقرومتى السلام فقولوا له ان أبانا يدعوك بما وليتنا ثم قال لهم ابن شعون قالوا ارتهنته ملك
 مصر وأخبروه بالقبضة وقولهم (منع منا الكيل) فيه قولان أحدهما أنهم لما طلبوا الطعام

لاخيهم الغائب عندهم ممنوعا منه والثاني أنهم منعوا الكيل في المستقبل وهو قول
 يوسف عليه السلام فلا كبل لكم عندي ولا تقر بون ويدل لهم ما قولهم (فأرسل معنا
 أخانا) بنيامين (تكتل) فان حزمة والكسائي قرأه بالياء أي يكتل لنفسه وهذا يدل لقول
 الأول والباقر بنون أي تكتل نحن وإياه وهذا يدل لقول الثاني (واناله لحافلون) عن
 أن يناله مكره حتى نرذه الملك فلما قالوا يعقوب عليه السلام هذه المقالة (قال لهم هسل
 آمنكم) أي أقبل منكم الآن وفي مستقبل الزمان تأمينكم لي فيه بما يسوون في تأميننا مستقبلا
 (عليه) أي بنيامين (الايك آمنكم) أي في الماضي (على أخيه) يوسف عليه السلام (من
 أقبل) فانكم أكرمتم غاية التأكيد فلم تحفظوه ولم ترذوه التي والامن اطمنثان القلب الى
 سلامة النفس فان في هذا لآمن عليه الا الله تعالى (فأنه) المحيط علما وقدره (خير حفظا) منكم
 ومن كل أحد ففيه التبريز الى الله تعالى والاعتماد عليه في جميع الامور وقرأه حفص وحزمة
 والكسائي بفتح الحاء وألف بعدها وكسر الفاء والباقر بكسر الحاء وسكون الفاء وهو منصوب
 على التمييز في القراءتين وتحتل الاولي التصب على الحال اللازمة (وهو أرحم الراحمين) أي
 أرحم بي من أن يفجعني به بعده صديقي بأخيه فلا يجمع على مصيبتين (ولما) أرادوا تقر بون
 ما قدموا به من المرة (فكسوا متاعهم) أي أوعيتهم التي جالوها من مصر (وجددوا بضاعتهم) أي
 ما كان معهم من كنعان لشراء القوت (ردت اليهم) والوجدان ظهور الشيء للنفس بحاسة
 أو ما يغني عنها فكانه قيل ما قالوا فقبل (قالوا) أي لا ييهم عليه السلام (يا أبا تاما) استغفارية
 أي أي شيء (بني) أي زيد جميع القراء أبتوا بالياء وقضوا ووصلا لنباتها في الرسم فكانه قال
 لهم ما الخبر فقالوا يا نالذات وتأكيدا للسؤال في استصحاب أخيه (هذه بضاعتنا ردت اليينا)
 هل من مزيد على ذلك أكرمنا وأحسن مشوانا وباع منا ورده علينا متاعنا وما كان التقدير
 وزرجع بها اليه بأخينا فيظهر له نحننا وصدقنا (وتعبرأ هلنا) أي تجلب اليهم الميرة برجوعنا اليه
 والميرة الاطعمة التي تعمل من بلد الى بلد (وتحفظ أخانا) فلا يصيبه شيء مما تحشى عليه تأكيدا
 للوعد بحفظه (وزداد كبل بعير) لاخينا (ذلك كبل يسير) أي سهل على الملك لسخائه وحرصه
 على البذل وقيل قصر المدة ليس سبيل مثله أن تطول مدته بحسب الحبس والتأخير وقيل قليل
 فابتأ أخانا معنا حتى نبذل تلك القلة بالكثرة فكانه قيل ما قال لهم فقبل (قال) يعقوب
 عليه السلام (لن أرسله) أي بنيامين كائنا (معكم) أي في وقت من الاوقات (حتى نؤتوني
 موثقا) أي عهدا مؤكدا (من الله) قرأ ابن كثير بإثبات الياء بعد النون وقضوا ووصلا
 وأبو عمرو بإثبات الياء وقضوا ووصلا وحذفها الباقر وقضوا ووصلا وقوله (لأنتني) أي كلكم
 (به) أي تحلفوا بالله لتأنتني به من الاثيان وهو الهجى في كل حال جواب القسم أو المعنى حتى
 تحلفوا بالله لتأنتني به (الا) أي في حال (أن يحاط) أي تحصل الاحاطة بصيبته من المصائب
 لا طاقة لكم بها (بكم) فتهلكوا من عند آخركم كل ذلك زيادة في التوثق بما حصل له من
 المصيبة يوسف عليه السلام وان كان الاعتماد في حفظه انما هو على الله تعالى وهذا من باب

اعقلها و هو كل فأجابه الى ذلك كما قال تعالى (فلما أوتوه موثقهم) بذلك (قال الله على
 ما تقول) نحن وأنتم (وكيل) أى شهيد وأرسله معهم بعد ذلك (فان قيل) لم أرسله معهم
 وقد شاهد منهم ما شاهدني يوسف عليه السلام (أجيب) بأن ذلك لوجوه أحدها أنهم
 كبروا ومالوا الى الخير والصالح الثانی انه كان شاهداً انه ليس بينهم وبين بنيامين من الحسد
 والحقه مثل ما كان بينهم وبين يوسف عليه السلام الثالث لعل الله أوحى اليه وضمن حفظه
 وايصاله اليه (و) لما عزمو على الخروج الى مصر وكانوا موصوفين بالكمال والجمال وأبناء
 رجل واحد (قال) لهم (يا بني لا تدخلوا) اذا قدمتم الى مصر (من باب واحد) من أبوابها
 (وادخلوا من أبواب) واحترز من أن تكون متلاصقة أو متقاربة جداً بقوله (متفرقة)
 أى تفرقا كثيراً وهذا حكم التكليف للتلاصق بالعين وهي من قدر الله تعالى وقد ورد
 شرعاً بذلك ففي الصحاح وغيرهما عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال العين حق
 وفي رواية عن أحمد بن محمد بن أبي حنيفة عن جابر بن آدم وفي رواية لمسلم بن عبد الله بن حنيفة
 عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان
 شيء سابق القدر لسبقته العين وفي رواية عن جابر أن العين تدخل الجمل القدر والرجل
 القبر وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم كان يديه والحسن والحسين يقول أعيد كما بكلمات
 الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ويقول هكذا كان يعوذ إبراهيم اسمعيل
 واسحق صلوات الله وسلامه عليهم وعلى سائر النبيين وعن عباد بن الصامت قال دخلت على
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول النهار فوجدته شديد الوجع ثم عدت اليه في آخر النهار
 فرأيتُه معافى فقال أن جبريل عليه السلام أتاني فرقاني فقال بسم الله أرقبك من كل شيء
 يؤذيك من كل عين وحسد الله يشفيك قال فأذقت وفي رواية أن بنى جعفر بن أبي طالب
 كانوا غلماناً يضافقات أسماء رسول الله أن العين اليهم سريرة فاسترق لهم من العين فقال لها
 نعم وفي رواية دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت أم سلمة وعندها صبي يشتكي فقالوا
 يا رسول الله أصابته العين فقال أما تسترقون له من العين وعن عائشة رضی الله تعالى عنها كان
 يومر العائش أن يتوضأ ثم يغتسل منه العين الذي أصيب بالعين ولما خاف يعقوب عليه السلام
 أن يسبق من أمره هذا الى بعض الاوهام أن الحذر يغني عن القدر في ذلك بقوله عليه السلام
 (وما أعنى) أى ادفع (عنكم) بقول ذلك (من الله من شيء) قدره عليكم وانما ذلك شفقة
 ومن مزيدة للتأكيده واعلم أن الانسان مأثور بأن يراعى الاسباب المعتبرة في هذا العالم بأن
 يجوز بأنه لا يحصل الا ما قدره الله تعالى وان الحذر لا يدفع القدر فالانسان مأثور بأن يحذر
 الأشياء المهلكة والأغذية الضارة ويسعى في تحصيل المنافع ودفع المضار بقدر الامكان
 ومع ذلك يكون جازماً بأنه لا يصل اليه الا ما قدره الله تعالى ولا يحصل في الوجود الا ما أراه
 الله تعالى فقوله عليه السلام لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة إشارة الى
 رعاية الاسباب المعتبرة في هذا العالم وقوله وما أعنى عنكم من الله من شيء إشارة الى عدم
 الالتفات الى الاسباب بل الى التوحيد المحض والبراءة من كل شيء سوى الله تعالى ولما ختم

الأمر كله إليه تعالى وجب رد كل أمر إليه وقصر النظر عليه فقال منها على ذلك (إن الحكم
 الآله) وحده الذي ليس الحكم الآله (عليه) أي على الله وحده (توكلت) أي جعلته
 وكلي فرضيت بكل ما يفعل (وعليه) وحده (فليتوكل المتوكلون) أي الثابتون في باب
 التوكل فإن ذلك من أعظم الواجبات من فعله فإز ومن أعظمه خاب وقد ثبت بالبرهان أن لا حكم
 إلا لله فلزم القطع بأن حصول كل الخيرات ودفع كل الآفات من الله تعالى وذلك يوجب أن
 لا توكل إلا على الله تعالى فهذا مقام شريف عال والشيخ أبو حامد الغزالي أكثر في تقرير
 هذا المعنى في كتاب التوكل من كتب أحياء علوم الدين فمن أراد الاستقصاء فيه فليطالع
 ذلك الكتاب * ولما قال يعقوب عليه السلام وما أغنى عنكم من الله من شيء صدق الله
 تعالى في ذلك فقال (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) أي متفرقين (ما كان) ذلك
 التفرق (بغنى عنهم من الله) أي من قضاؤه وأغرق في النفي فقال (من شيء) أي مما قضاه
 عليهم كما تقدم من قول يعقوب عليه السلام فسر قوا وأخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله
 ونضاعفت العصية على يعقوب عليه السلام وقوله تعالى (الأحاجة) استثناء منقطع أي
 لكن حاجة (في نفس يعقوب) وهي الوصول إلى ما أمر به شفقة عليهم (قضاها) يعقوب عليه
 السلام وأبرزها من نفسه إلى أولاده فعملوا فيها بما ردها فغنى عنهم الخلاص من عقوق أبيهم
 فقط (وأنه) أي يعقوب عليه السلام مع أمره لبنيه بذلك (لذو علم) أي معرفة بالحكمين حكم
 التكليف وحكم التقدير وإطلاع على الكونين عظيم (لما علمناه) بالوحي ونصب الحجج ولذلك
 قال وما أغنى عنكم من الله من شيء ولم يغتر بتدبيره * ولما كان قديراً أن كل أحد يكون
 كذلك أي يعلم ما علمه نبي ذلك سبحانه وتعالى بقوله جل شأنه (ولكن أكثر الناس) أي لأجل
 ما نالهم من الاضطراب (لا يعلمون) أي ليسوا بآذنين علم ما علمناهم لأعراضهم عنه واستفراغ
 قواهم في الاهتمام بما وقع التكليف لهم به ومن أحوال الدنيا ومقابله قطرهم القوقعة السلبية
 بردها إلى ما تدعوهم إليه الحظوظ والشهوات حتى لا يكون طب مخلوق * ولما أخبر تعالى عن
 دخولهم إلى البلد أخبر عن دخولهم لحاجتهم إلى يوسف عليه السلام فقال (ولما دخلوا)
 أي أخوة يوسف عليه السلام (على يوسف) في المقدمة الثانية بأخيهم بنيامين فالواحد أخونا
 فقال أحسنتم واحسبتم وسجدون خير ذلك عندي ثم أنزلهم وأكرم منزلهم ثم أضافهم
 وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقى بنيامين وحيداً فبكي وقال لو كان أخي يوسف حياً
 أجلسني معه فقال يوسف لقيصر أخوك هذا وحيداً فأجلسه معه على مائدته وصار يوماً كله
 فلما كان الليل أمر أن ينزل كل اثنين منهم يتناقض بنيامين وحده فقال يوسف هذا بنام معي علي
 فراشي كما قال تعالى (أوى) أي ضم (إليه أخاه) فبات معه وجعل يوسف يضمه إليه ويشجو
 ثم قال له ما اسمك فقال بنيامين قال وما بنيامين قال المشكل وذلك أنه لما ولد هلكت أمه قال
 وما اسم أمك قال راحيل بنت لاوي قال فهل لك من ولد قال نعم عشرة بنين ولما رأى تأسفهم
 لاختلاف ذلك قال له أتعجب أن أكون أخاك بدل أخيك فقال ومن يجد أخاك مثلك ولكنك لم يلدك

يعقوب ولا راحل فكي يوسف وقام اليه وعانقه (وقال اني انا اخوك فلا تبئس) أي لا تحزن
 (بما كانوا يعملون) أي بشئ فعلوه بنا فيما مضى فان الله قد أحسن النيا فلا تلتفت الى
 أعمالهم المتكررة التي قد أقدموا عليها وقد جعلنا الله تعالى على خير ولا تعلم بشئ من ذلك وقرأ
 نافع وابن كثير وأبو عمرو ويقع الباء والباقون بالسكون ومتبعه النون من أنا قبيل الهمزة
 المقفوحة نافع والباقون بالقصر ثم انه ملاءم لهم أو عيبتهم كما أرادوا وكان في المرة الاولى أبطأ
 في تجهيزهم في طول المدة ليعترف أخبارهم من حيث لا يشعرون ولذلك لم يعطف بالقاء وأسرع
 في تجهيزهم في هذه المرة قصدا الى انفراده بأخيه من غير رقيب بالحيلة التي دبرها فلذلك أنت
 الفاء في قوله (فلا جهزهم) أي اجعل جهازهم وأحسنه (بجهازهم جعل) نفسه أو بأدونه
 (السقاية) أي المشربة التي كان يشرب بها (في رحل أخيه) أي وعاء طعام أخيه بنيامين
 كما فعل بيضاء عنهم في المرة الاولى قال ابن عباس كنت من زبرجد وقال ابن اسحق كانت من
 فضة وقيل من ذهب وقال عكرمة كانت مشربة من فضة مرصعة بالجواهر وجعلها يوسف عليه
 السلام ميكا لا لتلايكال بغيرها وكان يشرب فيها قال الرازي هذا بعد لان الاناء الذي يشرب
 فيه الملك لا يصلح أن يجعل صاعا وقيل كانت الدواب تسمى بها قال وهذا أيضا بعد لان الاتية
 التي تسمى الدواب فيها لا تكون كذلك قال والاصوب أن يقال كان ذلك الاناء مشبها له قيسه
 اما الى هذا الحد الذي ذكره ففلا والسقاية والصواع واحد ثم او تحلوا وأمهلهم يوسف عليه
 السلام حتى انطلقوا وذهبوا منزلا وقيل حتى خرجوا من العمارة ثم بعث خلفهم من
 استوفهم وجسهم (ثم أذن) أي أعلن فيهم النداء (مؤذن) فالتا ليرفع صوته وان كانوا
 في غاية القرب منه بمدل عليه اسقاط الاداة (أيتها العير) أي القافلة قال أبو الهيثم كل ما سير
 عليه من الابل والحمير والبغال فهو عير قال وقول من قال العير ابل خاصة باطل فقوله أيها العير
 أي أصحاب العير كقوله يا خيل الله أركبي قال القراء كانوا أصحاب ابل وقال مجاهد كانت
 العير جيرا وقرأ ورش بابدال همزة مؤذن واوا وقفا ووصلا وهمزة في الوقف فقط والباقون
 بالقصر (انكم لسارقون) ففقر حتى تنظر الذي فقدنا والسرقة أخذ ما ليس له أخذه في خفاء
 من حرز مثله (فان قيل) هل كان هذا النداء بأمر يوسف عليه السلام أو ما كان بأمره فان كان
 بأمره فكيف يلقى يوسف عليه السلام مع علو منصبه أن يهتأقوا ما يرسبهم الى السرقة
 كذنا وبهنا ناوان كان بغير أمره فهلا أظهر برأتهم عن تلك التهمة (أجيب) بأجوبة الاقول
 انه عليه السلام لما أظهر لأخيه أنه يوسف قال لست أفارقك قال لا سبيل الى ذلك الا بتدبير
 حيلة أنسبك فيها الى ما يليق بك قال رضيت بذلك وعلى هذا لما تألم قلبه بسبب هذا الكلام
 لانه قد رضي به فلا يكون ذلك ذنبا الثاني انكم لسارقون يوسف من أيه الا أنهم ما أظهروا
 هذا الكلام فهو من المعارض وفي المعارض مندوحة من الكذب الثالث أن المنادي
 امتياز النداء على سبيل الاستفهام وعلى هذا يخرج أن يكون كذبا الرابع ليس في القرآن
 ما يدل على أنهم قالوا هذا بأمر يوسف عليه السلام قال الرازي والاقرب الى ظاهر الحال أنهم

فعلوا ذلك من أنفسهم لانهم لم يطلبوا السقاية فلم يجدها ولم يكن هناك أحد غيرهم غلب على
 ظمهم أنهم الذين أخذوها ولما وصل اليهم الرسول قال لهم ألم تحسن ضيافتكم وتكرم منواكم
 وتضيكم كبلكم وفعلنا بكم ما لم تفعل بغيركم قالوا بلى وما ذلك قالوا سقاية الملك فقد ناهوا ولانهم
 عليها غيركم فذلك قوله تعالى (قالوا) الخال أنهم قد (أقبلوا عليهم) أي على جماعة الملك المنادى
 وغيره (ماذا) أي ما الذي (تفقدون) مما يمكننا أخذه والفقدان ضد الوجود (قالوا ان فقد) وكان
 للسقاية اسمان فعبروا بقولهم (صواع الملك) والصواع هو المكيال وهو السقاية المتقدمة سموه
 تارة كذا وتارة كذا وانما اتخذوا هذا الاناء مكيالا لعزة ما يكال به في ذلك الوقت (ولن جاء به
 حل بغير) أي من الطعام والبعير يطلق لفة على الذكر خاصة وأطلقه بعضهم على الناقة أيضا
 وجعله تفسير انسان وهو ما جرى عليه الفقهاء في باب الوصية واجمع في القلة على أبرة
 وفي الكثرة على بعران (وأنا به زعيم) قال مجاهد هذا الزعيم هو الذي أذن والزعيم الكميل وهذه
 الآية تدل على أن الكفالة كانت صحيحة في شرعهم وقد حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم
 في قوله الزعيم غارم واذا ورد في شرعنا ما يقر شرع غيرنا هل يكون شرعنا في ذلك خلاف
 والراجح أنه ليس بشرع لنا (فان قيل) كيف تصح هذه الكفالة مع أن السارق لا يستحق شيئا
 (أجيب) بأنهم لم يكونوا سارقا في الحقيقة فيصل ذلك على مثل رد الضائع فيكون ذلك جهالة
 أو أن مثل هذه الكفالة كانت جائزة عندهم في ذلك الزمان (قالوا) أي اخوة يوسف
 عليه السلام (تالله) التاء حرف قسم وهي عند الجمهور بدل من واو القسم والواو بدل من الباء
 فهي فرع الفرع فلذلك ضعف عن التصريف في الاسماء فلا تدخل الاعلى الجلالة الكريمة
 أو الرب مضافا للكعبة أو الرحمن في قول ضعيف ولو قلت تالرجن لم يجز أي والله (لقد علمت)
 أي بما جرت به من أماتنا قبل هذا في كون مجيئنا (ما بيننا) وأكدا والنتي باللام فقالوا
 (لنفسد) أي نوقع الفساد (في الأرض) أي أرض مصر (و) لقد علمت (ما كنا) أي بوجه من
 الوجوه (سارقين) أي موصوفين بهذا الوصف قطعا (فان قيل) من أين علموا ذلك (أجيب) بأن
 ذلك يعلم محاربا ومن أحوالهم وقيل لانهم ردوا البضاعة التي جعلت في رحالهم قالوا فلو كنا
 سارقين ما رددناها وقيل قالوا ذلك لانهم كانوا معروفين بأنهم لا يتناولون ما ليس لهم وكانوا اذا
 دخلوا مصر كموا أفواءا وواجههم كي لتناول شيئا من حروث الناس (قالوا) أي أصحاب يوسف
 عليه السلام المنادى ومن معه (تجراؤه) أي السارق وقيل الصواع (ان كنتم كاديين)
 في قولكم ما كنا سارقين ووجد فيكم والجزاء مقابلة العمل بما يستحق من خير وشر (قالوا)
 وثوقانهم بالبراءة واخبارا بالحكم عندهم (جزاؤه من وجد في رحله) ولتحققهم البراءة علقوا
 الحكم على مجزئ الوجدان لا السرقة ثم أكدوا ذلك بقولهم (فهو جزاؤه) قال ابن عباس
 كان ذلك الزمان كل سارق يسرقه فلذلك قالوا ذلك أي فالسارق جزاؤه أن يسلم
 بسرقة الى المسروق منه فيسرق سنة وكان ذلك سنة آل يعقوب في حكم السارق
 وكان حكم مملك مصر أن يضرب السارق ويفرم ضعي قيمة المسروق فأراد يوسف أن يعبس

أخاه عنده فرد الحكيم اليهم ليستمكن من حبسه عنده على حكمهم (كذلك) أي الجزء (تجزى
الظالمين) بالسرقه قال أصحاب يوسف فلا بد من تفتيش رجالكم فردوهم الى يوسف عليه السلام
فامر بتفتيشها بين يديه (فبدأ بأوعيتهم) ففتشها (قبل وعاء أخيه) لثلاثتهم فلم يجد فيها شيئاً (ثم)
أي بعد تفتيش أوعيتهم والتأني في ذلك (استخرجها) أي السقاية أو الصاع لانه يذكر ويؤت
(من وعاء أخيه) فلما خرج الصاع من وعاء بنيامين تكس اخوته رؤسهم من الحياء وأقبلوا
على بنيامين بلومونه ويقولون له ايش الذي صنعت فضمتنا وسودت وجوهنا يا ابن راحيل
ما زال لنا منكم بلاه حتى أخذت هذا الصاع فقال بنيامين بل بنو راحيل ما زال لهم منكم بلاه
ذهبتم بأخي فاهلكتموه في البرية ان الذي وضع هذا الصاع في رحلي هو الذي وضع البضاعة
في رحالكم فأخذ بنيامين رقيباً وقيل ان المنادى وأصحابه هم الذين قولوا تفتيش رجالهم
وهم الذين استخرجوا الصاع من رحله فأخذه برقبته وردوه الى يوسف عليه السلام * (تنبه) *
ههنا همزتان مختلفتان من كلتين قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وبأبدال الثانية بياء والباقون
بالتحقيق (كذلك) أي مثل ذلك الكيد (كدنا يوسف) خاصة بأن علمناه اياه جزاء لهم
على كيدهم يوسف عليه السلام في الابتداء وقد قال يعقوب ليوسف عليه السلام في كيدوا
لك كيدا والكيد من الخلق الحيلة ومن الله تعالى التدبير بالحق فالمراد من هذا الكيد هو
ان الله تعالى ألقى في قلب اخوته بأن حكموا أن جزاء السارق هو أن يسرق لاجرم لما ظهر
الصاع في رحله حكموا عليه بالاسترقاق وصار ذلك سبباً لتكتم يوسف عليه السلام من
امسأله أخيه عن نفسه * ولما كان الكيد يشعر بالحيلة والخديعة وهو في حق الله تعالى
محال جل على الغاية ونهايته هنا القاء الانسان من حيث لا يشعر في أمر مكره لا سبيل له
الى دفعه فالكيد في حق الله تعالى محال على هذا المعنى وقيل المراد بالكيد ههنا ان اخوة
يوسف سعوا في ابطال أمره والله تعالى نصره وقواه وأعلى أمره وقوله تعالى (ما كان) أي
يوسف (ليأخذ أخاه في دين الملك) أي حكمه بيان للكيد لان جزاءه كان عنده الضرب
وقفرهم مشى ما أخذوا أنه يستعبد وقوله تعالى (الآن يشاء الله) فيه وجهان أحدهما
أنه استثناء منقطع تقديره ولكن بمشيئة الله أخذه في دين غير دين الملك وهو دين آل يعقوب عليه
السلام ان الاسترقاق جزاء السارق والثاني انه مفرغ من الاحوال العاتية والتقدير
ما كان ليأخذه في كل حال الا في حال التباسه بمشيئة الله أي انه في ذلك * ولما كان يوسف عليه
السلام انما كان من ذلك بعلاو درجته وكنه ورفقته بعدما كان فيه عندهم من
الصغار كان ذلك محل عجب فقال تعالى التفاتاً الى مقام التكلم (ترفع درجات من نشاء) أي
بالعلم كما رفعا درجته وكان الاصل درجانه ولكنه عم لأنه أدل على العظمة فكان أليق
بمظهرها وفي هذه الآية دليل على ان العلم أشرف المقامات وأعلى الدرجات لان الله تعالى
لماهدي يوسف عليه السلام الى هذه الحيلة مدحه لاجل ذلك ورفعه درجته على اخوته ويوسف
ابراهيم عليه السلام يقول تعالى ترفع درجات من نشاء عندما حكى عنه دلائل التوحيد والبراءة

عن الهبة الشمس والقمر والكواكب وقرأ حاصم وحجرة والكسافي بتتوين التاء والباقون
 بغير تتوين (وفوق كل ذي علم عليم) قال ابن عباس فوق كل عالم عالم الى أن ينهى
 العلم الى الله تعالى فانه تعالى فوق كل عالم لانه هو الغني بعله عن التعلم وفي الآية دليل على ان
 اخوة يوسف عليه السلام كانوا علماء وكان يوسف أعلم منهم قال ابن الانباري يجب أن يتم العالم
 نفسه ويستشعر التواضع لربه تعالى ولا يطمع نفسه في العليسة في العلوم لانه لا يتجاوز عالم
 فوقه * ولما حصل لاخوة يوسف من اخراج الصواع من رحل بنيامين ما حصل فكأنه قيل
 لما كان فعلهم عند ذلك فقيل (قالوا) نسبية لانفسهم ودفعة للعارفين خاصتهم (ان يسرق)
 ولم يجوزوا بسرقته لعلمهم باماتته ونظنهم ان الصواع دس في رحله وهو لا يشعر كما دست بضاعتهم
 في رحالهم وكان قد قال لهم ذلك (فقد سرق أخ له من قبل) أي يوسف وكان غرضهم من
 ذلك اناللسنا على طريقته ولا على سيرته وهو وأخوه مختصان بهذه الطريقة لانهم ما من أم أخرى
 واختلفوا في التي نسبوها الى يوسف عليه السلام على أقوال فقال سفيان بن عيينة أخذ حاجة
 من الطبر التي كانت في بيت يعقوب فأعطاها سائلا وقال مجاهد جاءه سائل فأخذ بيضة من
 البيت فناولها السائل وقال وهب كان يخيا الطعام من مائدة يعقوب للفقراء وقال سعيد بن
 جببر كان جد أبو أمه كافر يعبد الوثن وأمرته أمته أن يسرق تلك الاوثان ويكسرها فلعله ترك
 عبادة الاوثان ففعل ذلك فهذا هو السرقة وقال محمد بن اسحق ان يوسف عليه السلام كان
 عند عمته ابنة اسحق وكانت تحبه حبا شديدا فأرادت أن تمسكه عند نفسها وكان فديقي
 معها منطقة لايام اسحق عليه السلام وكانوا يتبركون بها فشدتها على وسط يوسف عليه السلام
 من تحت ثيابه وهو صغير لا يشعر ثم قالت انه سرقها وكان علمهم أن من سرق يسترق فقال يعقوب
 عليه السلام ان كان قد فعل ذلك فهو سلم لك فأمسكته عندها حتى ماتت فقوصلت بهذه الحيلة
 الى امساکه عند نفسها قال ابن الانباري وليس في هذه الاعمال كلها سرقة ولكنها اشبهها
 فغير وجهها عند الغضب وقيل انهم كذبوا عليه وبموتوه وكانت قلوبهم مملوءة من الغضب على
 يوسف بهذه تلك الوقائع وبعد انقضاء المدة الطويلة قال الرازي وهذه الواقعة تدل على ان قلب
 الحاسد لا يطمن من الغل البتة (فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها) أي يظهرها (لهم) والضمير
 للكلمة التي هي قوله (قال) أي في نفسه (أنتم شتمتم ~~كنا~~) أي من يوسف وأخيه أي
 لسرقتكم أنماكم من أييكم وظلمكم له وقيل الضمير يرجع الى الكلمة التي قالوا في حقه وهي
 قولهم فقد سرق أخ له من قبل وعلى هذا يكون المعنى فأسر يوسف جواب الكلمة التي قالوها
 في حقه (والله أعلم) منكم (بما تصفون) أي تقولون وأنه ليس كما قلتم قال أصحاب الاخبار
 والسيران يوسف عليه السلام لما استخرج الصاع من وحل بنيامين نقره وأذناه الى أذنه ثم قال
 ان صاعى هذا يخبرني أنكم كتمتم اخي عشر رجلا لابل واحد وانكم انطقتم بأخ لكم من أييكم
 فبحقوه فقال بنيامين أيها الملك ان صاعك يخبرك من جعله في رحلي ثم نقره وأذناه من أذنه فقال
 ان صاعى غضبان وهو يقول كيف تسألوني عن صاحبي وقد رويت مع من كنت قالوا ان غضب

روييل لذلك وكانوا اولاد يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا وكان روييل اذا غضب لم يقم لغضبه شيء
 وكان اذا صاح ألفت كل حامل حملها اذا سمعت صوته وكان مع هذا اذا مسه أحد من
 ولدي يعقوب عليه السلام يسكن غضبه وكان أقوى الاخوة وأشدهم وروي أنه قال لاختونه
 كم عدد الاسواق بعصر قالوا عشرة فقال اكفوني انتم الاسواق وأنا كفيكم الملك
 أو اكفوني انتم الملك وأنا كفيكم الاسواق ودخلوا على يوسف فقال روييل لتردن علينا أخانا
 أو لا يصيحن صيحة لا تبق بعصر امراً تحمل الألفت ولدها وقامت كل شعرة في جسده حتى
 خرجت من ثيابه فقال يوسف لابن له صغير قم الى جذب روييل نفسه وروي خذ بيده فالتفت به
 فذهب الغلام نفسه فسكن غضبه فقال لاختونه من معنى منكم قالوا لم يصك منا أحد فقال
 روييل ان هنا بذرا من يذرع يعقوب فقال يوسف من يعقوب وروي أنه غضب ثانياً فقام اليه
 يوسف فركضه برجله وأخذ بثلابه فوقع على الارض وقال انتم بام عشر العبرانيين تظنون
 ان لا أحد أشد منكم فلما صار أمرهم الى هذا ورأوا أن لا سبيل لهم الى تخاضع وضعوا ذلوا
 و(قالوا يا بها العزيز) فخاطبوه بما يليق بالا كابر ليرق لهم (ان له) أي هذا الذي وجد الصواع
 في رحله (أبأ شيخاً كبيراً) أي في سنه وقدره وهو مغرم به لا يقدر على فراقه ولا يصبر عنه
 (فخذوا منكم ما كانه) وأحسن الى أبيه بارسالة اليه (ان انزل الله) أي نعلك علمهاو كالأرثية وبحسب
 ما رأينا من المحسنين أي العريقين في ضفة الاحسان فاجري في أمرنا على عادة احسانك فكانه
 قيل فما أجابهم قيل (قال معاذ الله) هو نصب على المصدر وحذف فعله وأضيف الى المفعول أي
 نعوذ بالذي لا مثل له معاذ اعظيما من (أن تأخذ الامس وجدنا متاعنا عنده) ولم يقل سرق متاعنا
 لانه لم يفعل في الصواع فعل السارق ولم يقع منه قبل ذلك ما يصح اطلاق الوصف عليه ثم علله
 بقوله (أنا اذا) أي اذا أخذنا أحد امكانه (الظالمون) أي عريقون في الظلم في دينكم فلم تطلبون
 ما هو ظلم عندهم ولما استبأ سهمهم بما قال عن اطلاق بنيامين حكى الله تعالى ماتم لهم من
 الرأي فقال (فلما) دال باللقاء على قرب زمن تلك المراجعات (استبأ سوا) أي ايسوا (منه) لما
 رأوا من احسانه واطقه ورحمته ياسا شديداً بما رأوا من ثباته على أخذه بعينه وعدم استبداله
 (خلصوا) أي انفردوا عن غيرهم حال كونهم (نجيباً) وهو مصدر يصلح للواحد وغيره أي ذوى
 نجوى يتأجى بعضهم بعضاً فكانه قيل فماها لوافقيل (قال كبيرهم) في السن وهو روييل وقيل
 في الفضل والعلم وهو يهوذا وقيل شععون وكان له الرياسة على اخوته (أم تعلوأ) مقرر لهم
 بما يعرفونه مع قرب الزمان ليستد توجهم في بذل الجهد في الخلاص من غضب أي سهم (ان
 أباكم) أي الشيخ الكبير الذي فجعتهموه في أحب ولده الهه (قد أخذ عليكم) أي قبل أن
 يعطيكم هذا الولد الاخر (موتقاً) أي عهداً وثيقاً (من الله) في أخيكم وانما جعل حلفهم بالله
 موتقاً منه لانه باذن منه وتاكيد من جهته وقوله (ومن قبل ما فرطتم) في هذه الآية وجوه
 أظهرها أن ما مزيدة في تعلق الطرف بالفعل بعدها والتقدير ومن قبل هذا فرطتم أي قصرتم في
 حق يوسف وشأنه وزيادة ما كثيرة وبه بدأ الرخصى وغيره وقيل انما مصدرية في محل رفع

بالابتداء والخبر هو قوله (في يوسف) أي وتفريطكم كائن أو مستقر في يوسف وإلى هذا ذهب
 الفارسي وقيل غير ذلك ولا تطيل بذكره اذ في هذا القدر كفاية (قلن أرح أي أفرق
 الارس) أي أرض مصر (حتى يأذن لي أبي) أي بالعود اليه (أو يحكم الله لي) بخلاص أخي
 (وهو خير الحاكمين) أي أعدهم (فان قيل) هذه الواقعة من أولها إلى آخرها تزوير وكذب
 فكيف يجوز لنيوسف عليه السلام أن يعمل مثل هذه الاعمال بآية ولم يخبره بكانه وحسب أخاه
 أيضا عنده مع علمه بشدة وجدان آية عليه وشدة غمه وفيه ما فيه من العقوق وايداء الناس من
 غير ذنب لاسميا ويعلم انه اذا حبس أخاه عنده بهذه التهمة فانه يعظم حزن آية ويشد غمه فكيف
 يلبق بالرسول المعصوم المبالغ في التزوير إلى هذا الحد (أجيب) بأجوبة كثيرة للعلماء وأحسنها
 انه انما فعل ذلك بأمر الله تعالى له لاعتنا أمره وانما أمره الله تعالى بذلك ليزيد بلاه يعقوب عليه
 السلام فيضاعف له الاجر على البلاه ويلحقه بدرجة آياته والله تعالى أسرا ولا يعلمها أحد من
 من خلقه وهو المتصرف في خلقه بما يشاء فهو الذي أخفى خبر يوسف عن يعقوب في هذه المدة
 مع قرب المسافة لما يريد أن يدبره فيهم والله أعلم بأحوال عبادهم ثم قال كبيرهم (ارجعوا إلى
 أيكم) دوني (وقولوا) له أي متطفيين في خطابكم (يا أبانا) وأكدم واقماتكم فانه ينكرها
 وقولوا (ان ابنك سرق) (فان قيل) كيف يحكمون عليه بأنه سرق من غير بينة وهو قد أجابهم
 بالجواب الشافي فقال الذي جعل الصاع في رحلي هو الذي جعل البضاعة في رحالكم (أجيب)
 بأنهم لما شاهدوا الصاع وقد أخرج من متاعه غلب على ظنهم أنه سرق فلذلك نسبوه إلى
 السرقة في ظاهر الامر لافي حقيقة الحال ويدل على أنهم لم يقطعوا عليه بالسرقة قولهم (وما
 شهدنا) عليه (الاعمالنا) ظاهر من رؤيتنا الصاع يخرج من وعائه وأما قوله وضع الصاع
 في رحلي من وضع البضاعة في رحالكم فالفرق ظاهر لان هنالك المارجه وبالْبضاعة اليهم
 اعترفوا بأنهم هم الذين وضعوها في رحالهم وأما هذا الصاع فان أحد الميعترف بأنه هو الذي
 وضع الصاع في رحله فلهذا السبب غلب على ظنهم أنه سرق فشهدوا ببناء على الظن (وما كنا
 للغيب) أي ما غاب عنا حين أعطينا الموثق (حافظين) أي ما كنا نعلم ان ابنك يسرق ويصير أمرنا
 إلى هذا ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به معنا وانما قلنا ونحفظ أمانا مما لنا إلى حفظه سبيل وحقيقة
 الحال غير مبرومة لنا فان الغيب لا يعلمه الا الله تعالى ففعل الصاع دس في رحله ونحن لانعلم ذلك
 ففعل حيلة دبرت في ذلك غاب عنا عملها كما صنع في ربضاعتنا (واسأل القرية) أي أهلها على
 حذف المضاف وهو مجاز مشهور وقيل انه مجاز لكنه من باب اطلاق المثل وارادة الحال (التي
 كفاها) وهي مصر عما أخبرناك به بخبروك بصدق فان الامر قد اشتهر عندهم وقيل هي قرية
 من قرى مصر كانوا ارتحلوا بها إلى مصر (واسأل العير) أي القافلة وهم قوم من كنعان
 جيران يعقوب عليه السلام (التي أقبلنا فيها) والسؤال طلب الاخبار بأدائه من الهمة وأهل
 أو غيرهما والقرية الارض الجامعة لحديد وفاصلة وأصلها من قرية المناء جمعته والعير قافلة
 الجير من العير بالفتح وهو الجار هذا هو الاصل ثم كثر حتى استعمل في غير الجير ولما كان ذلك

بالانكار لما يصدق من كرم أخيههم أ كدوه بقولهم (وانا) أي والله انا (صادقون) في أقوالنا
 ولما رجعوا الى أمهم وقالوا له ما قال كبيرهم فكانه قيل فما قال لهم فقيل (قال) لهم (بل سئلت)
 أي زينت تريننا فيه غي (لكم أنفسكم أمرا) أي حدثتكم بأمر ففعلتوه والاغصا أدري الملك
 أن السارق يؤخذ بسرقة (فصبر جميل) أي فأمرى صبر جميل أو فصبر جميل صبري أو أجل وقدم
 مثل ذلك في واقعة يوسف لأنه قال فيها والله المستعان على ما تصفون وقال هنا (عسى الله أن
 يأتي نبيهم) أي يوسف وشقيقه بنيامين والاخ الثالث الذي أقام بمصر (جميعا) أي فلا يتضلف
 منهم أحد وانما قال يعقوب عليه السلام هذه المقالة لأنه لما طال حزنه واشتد بلاؤه ومحنته
 علم أن الله تعالى سيجعل له فرجا ومخرجا عن قريب فقال ذلك على سبيل حسن الظن بالله تعالى
 وتفرض أن هذه الأفعال نشأت عن يوسف عليه السلام وأن الأمر يرجع الى سلامة واجتماع
 ثم علل هذا بقوله (أنه هو العليم) أي البليغ العليم عما خفي عن من ذلك فيعلم أسبابه الموصلة الى
 المقاصد (الحكيم) أي البليغ فيما يدبره ويقضيه (و) لما ضاق قلب يعقوب عليه السلام
 بسبب الكلام الذي سمعه من أبنائه في حق بنيامين (تولى عنهم) أي انصرف بوجهه عنهم لما
 تولى عندهم من الحزن (وقال يا أسفا) أي يا أسفى (على يوسف) أي تعال هذا وأنت والاسف
 أشد الحزن والحسرة والالفة بدل من بقاء المتكلم وانما أسف على يوسف دون أخويه والحادث
 انما هو مصيبتهم لان مصيبتهم كانت قاعدة المصائب والحزن القديم اذا صادفه حزن آخر كان
 ذلك أوجع للقلب وأعظم لهيجان الحزن الاول كما قال متم بن زوية لما رأى قبر اجديدا جدد
 حزنه على أخيه مالك

فقالوا أتبكي كل قبر رأيتنه * لقبر نوى بين اللوى والدكالك

فقلت نعم أن الامى يبعث الاسى * فدعنى فهذا كله قبر مالك

ولانه كان وانما بجياتهم ما دون حياته وفي حديث رواه الطبراني لم تعط أمة من الامم ان الله وانا
 اليه راجعون عند المصيبة الا أمة محمد صلى الله عليه وسلم الا ترى الى يعقوب حين أصابه
 ما أصابه لم يسترجع وقال يا أسفا (وابيضت عيناه) أي انمحق سوادهما وبدا يباضا (من الحزن)
 أي من كثرة البكاء عليه وقيل عند غلبة البكاء يكثر الماء في العين فتصير العين كأنها ابيضت
 من يباضا ذلك الماء وقيل ضعف بصره حتى صار يدرك ادراكا لطيفا وقيل عي وقال مقاتل
 لم يبصرهم ما ست سنين حتى كشفه الله تعالى بقميص يوسف عليه السلام قيل ان جبريل عليه
 السلام دخل على يوسف في السجن فقال ان بصر أهلك ذهب من الحزن عليك فوضع يده على
 رأسه وقال ليت أي لم تلدني ولم أكن حزن على أبي (فان قيل) هذا اظهار للجزع وبار مجرى
 الشكاية وهو لا يليق بمثل يعقوب عليه السلام (أجيب) بأنه لم يذكر الا هذه الكلمة ثم عظم
 بكائه ثم أسكلسانه عن النياحة وذكر ما لا ينبغي ولم يظهر الشكاية مع أحد من الخلق
 ويدل لذلك قوله (فهو كظيم) أي مغفوم مكروب لا يظهر كربه وقوله انما أشكو بنى وحزنى الى
 اقه فكل ذلك يدل على أنه لما عظمت مصيبتيه وقويت محنته صبر وتجرع القصة وما أظهر

الشكايه به فلا جرم استوجب به المدح العظيم والثناء الجزيل روى ان يوسف عليه السلام قال
 لغيريل عليه السلام هل لك علم يعقوب قال نعم قال فكيف حزنه قال حزن سبعين شكلي وهى
 التى لها ولد واحد عيوت قال فهل له اجر قال نعم اجر مائة شهيد وعل امثال ذلك لا يدخل تحت
 التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدايد وايضا البكاء مباح فقد بكى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يخطئ الرب وان اعلى
 فراقك يا ابراهيم محزونون رواه الشيخان * (تنبه) * شرف الانسان باللسان والعين والقلب
 فين تعالى ان هذه الثلاثة كانت غريفة في الغم فاللسان كان مشغولاً بقوله ما اسفا والعين
 بالبكاء والبياض والقلب بالغم الشديد الذى يشبه الوعاء المملوء الذى سد فلا يمكن خروج الماء
 منه وهذا مبالغة فى وصف ذلك الغم * ولما وقع من يعقوب عليه السلام ذلك كان قائلاً يقول
 فما قال له اولاده فصيل (قالوا) له حنقنا من ذلك (ناله تفتق) أى لا تفتقوا لآزال (تذكر
 يوسف) تنجعا فتفتقوا جواب القسم وهو على حذف لا كقول الشاعر

فقلت بين الله ابرح قاعدا * ولو قطعوا راسى الملك وأوصالى

ويدل على حذفها أنه لو كان مشتبلاً لآزال بلام الابتداء ونون التوكيد معانداً البصريين
 أو أحدهما عند الكوفيين فتفتقوا ناقصة بمعنى لا تزال كما تقرر ورسمت فتفتقوا الواو (حتى) الى
 ن (تكون حرضاً) أى مشرفاً على الهلاك لظول مرضك وهو مصدر يستوى فيه الواحد
 وغيره (أو تكون من المهالكين) أى الموتى (فان قيل) لم لحظوا على ذلك مع أنهم لم يعلموا ذلك
 قطعاً (أجيب) بأنهم بنوا الامر على الظاهر قال اكثر المفسرين قائل هذا الكلام هم اخوة
 يوسف وقال بعضهم ليس الاخوة بل الجماعة الذين كانوا فى الدار من اولاده وخدمه * ولما قالوا
 لذلك فكان قائلاً يقول فما قال لهم فقيل (قال) لهم انما أشكوا بنى) والبت أشد الحزن
 بهى بذلك لانه من صعوبته لا يطاق حمله فيباح به وينشر (وحزنى) مطلقاً ان كان سببه خفيفاً
 بقدر الخلق على ازالته (الى الله) المحيط بكل شئ وعلمه وقدرته لا الى غيره فهو الذى تنفع الشكوى
 اليه (وأعلم من الله) أى الملك الاعلى من اللطف بنا أهل البيت (مالاتعون) فى أتى بالفرج
 من حيث لا أحسب وفى ذلك إشارة الى أنه كان يعلم حياة يوسف ويتوقع رجوعه اليه وذكره
 لسبب هذا المتوقع أمورا أحدها أن ملك الموت أتاه فقال له ياملك الموت هل قبضت روح ابني
 يوسف قال لا يا بنى الله ثم أشار الى جانب مصر وقال اطلبه من ههنا ولذلك قال (يا بنى اذهبوا
 فتعسسوا) أى والتعسس طلب الخبر بالحاسة وهو قرىب من التعسس بالجيم وقيل التعسس
 بالحاء يكون فى التعسس والجيم يكون فى الشر ومنه الجاسوس وهو الذى يطلب الكشف عن
 عورة الناس والمعنى فتعسسوا خبيرا (من) أخبار (يوسف وأخيه) أى اطلبوا خبرهما
 وثانيها أنه علم أن رؤيا يوسف عليه السلام صادقة لان آمارات الرشد والكمال ظاهرة فى حق
 يوسف عليه السلام ورؤيا مثلها لا تخفى ونالها العلة تعالى أوحى اليه أنه سيوصله اليه ولكنه
 تعالى ما عين الوقت فهذا بنى فى التلقى ورابعها قال السدى لما أخبره بنوه بسيرة الملك وكان

حاله وأقواله وأفعاله طمع في أن يصكون هو يوسف وقال بعد أن يظهر في الكفر ومثله ثم
 تعلق بينه وقال لهم (ولتأسوا) أي تقنطوا (من روح الله) قال ابن عباس من رحمة الله
 وقال قتادة من فضل الله وقال ابن زيد من فرج الله (أنه لا يأس من روح الله الا القوم
 الكافرون) أي الغريقون في الكفر قال ابن عباس ان المؤمن من الله على خير يرجوه في البلاء
 ويحمده على الرخاء والكافر على الضد من ذلك فان اليأس من رحمة الله لا يحصل الا اذا اعتقد
 الانسان أن الله العالم غير قادر على الكمال أو غير عالم بجميع المعلومات أو ليس بكرم بل هو
 بخيل وكل واحد من هذه الثلاثة يوجب الكفر وإذا كان اليأس لا يحصل الا عند حصول أحد
 هذه الثلاثة وكل واحد منها كفر ثبت أن اليأس لا يحصل الا لمن كان كافرا وقرأ البري بعد التاء
 من تأسوا وبعد الياء من لا يأس بألف وبعدها ياء مضروحة بخلاف عنه والباقون به حزة
 مقنطرة قبلها ياء ساكنة ولما قال يعقوب عليه السلام لبنيه ذلك قبلوا منه هذه الوصية وما رواه
 الى مصر (فلما دخلوا عليه) أي على يوسف عليه السلام (قالوا يا أيها العزيز) وكان العزيز
 لقب الملك مصر يومئذ (مسننا وأهلنا) أي من خلفناهم ورائنا (الضرة) أي لا يستنابسة
 فحسها (وجئتني بضاعة) وقالوا (مزجاة) أي انقصها أو لردتها وأولها جميعا وقال الحسن
 البضاعة المزجاة القليلة واختلجوا في تلك الرداة فقال ابن عباس كانت دراهم رديئة
 لا تقبل في ثمن الطعام وقيل متاع الاعراب الصوف والسمن وقيل الاظ وقيل النعال والادم
 وقيل ان دراهم مصر كان ينقش فيها صورة يوسف عليه السلام والدراهم التي جاؤا بها ما كان
 فيها ذلك فما كانت مقبولة عند الناس ثم سبوا عن هذا الاعتذار لانه أقرب الى رحمة أهل
 الكرم قولهم (قالوا لئنا الكليل) أي شفقة علينا بسبب ضعفنا (وتصدق أي تفضل علينا)
 زيادة على الوفاء كما عودتنا بفضل ترجو نوابه ولما رأوا أفعاله تدل على عسكته من الله تعالى علوا
 ذلك بقولهم (ان الله) أي الذي له الكمال كله (يجزي المتصدقين) أي وان كانت على غنى قوى
 فكيف اذا كانت على أهل الحاجة والضعف (فائدة) «سئل سفيان بن عيينة هل حرمت
 الصدقة على نبي من الانبياء سوى نبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام قال سفيان ألم تسمع قوله
 وتصدق علينا الآية يريد أن الصدقة كانت حلالا لهم ولا يهيم وروى أن الحسن سمع رجلا
 يقول اللهم تصدق على قال ان الله لا يتصدق وانما يتصدق من يبي الثواب قل اللهم أعطني
 وتفضل على (فان قيل) اذا كان ابوهم أمرهم أن يتصدقوا من يوسف وأخيه فلم عادوا الى
 الشكوى (أجيب) بأن المتصدق يتوصل الى مطلوبه بجميع الطرق والاعتراف بالهجر
 وضموا رقة الحال وقلة المال وثمة الحاجة وذلك مما يرقق القلب فقالوا لغيره في هذه الامور
 فان رقق قلبه لئلا يكرهه الاكسنا فقدموا هذه المقدمة قال ابو اسحق ذكرني
 أنهم لما تكلموا بهذا الكلام أدركته الرقة على اخوته فارفض دمه فباح بالذي كان يكتم فلهذا
 (قال) لهم (هل علمتم) مقرر لهم بعد ان استأسوا به قال البقاعي والظاهر ان هذا كان بغير
 ترجمان (يا أي قبح الذي قطعتم يوسف) أي أخيكم الذي حلت بينه وبين أبيه (وأخيه) أي

جعلكم ابا فريد آمنه ذليلا بينكم ثم في قولكم له لما وجد الصاع في رحله لا يزال يا نينا البلاء
من قبلكم يا بني راحيل وانما قال لهم ذلك فصالحهم وتقرضوا على التوبة وشفقة عليهم لما
راى من عجزهم وتمسكهم لامعانة وتثريا وقيل اعطوه كتاب يعقوب عليه السلام في تخليص
بنيامين وذكر والده ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وقوله (اذا انتم جاهلون)
اى فاعلون فعلهم اولانهم كانوا حينئذ صبيانا طيبين نلويصا الى معرفته فقد روى انه لما قال هذا
تيسم وكان في تيسمه امر من الحسن لا يجمله منه من رآه ولو مرة واحدة فعرفوه بذلك فلذلك
(قالوا ائتلك لانت يوسف) استفهام تقرير ولذلك حقق بان واللام عليه وقيل عرفوه بنظرة
وخلقه حين كلهم وقيل رفع التاج عن رأسه فراء اعلامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكان
لسارة يعقوب واصحق مثلها وقرأ ابن كثير بهمزة مكسورة بعدها نون على الخبر وقرأ آلون
وأبو عمرو بهمزة مفتوحة بعدها همزة مكسورة مسهلة بينهما ألف على الاستفهام وقرأ ورش
بغير ألف بينهما والتسهيل في الثانية على الاستفهام أيضا وقرأ الباقون بتحقيق الهمزة مع
القصر ولهشام وجه ثان وهو المد وقيل انهم لم يعرفوه حتى (قال) لهم (أنا يوسف) وزادهم بقوله
(وهذا أخى) بنيامين شقيقى وانما ذكر لهم ليزيدهم ذلك معرفة له وتثبيتا في امره وليبني عليه
قوله (قدم من الله علينا) قال ابن عباس بكل خير في الدنيا والآخرة وقال آخرون بالجمع بينما بعد
النفرة (انه من يتق) أى المعاصى (ويصبر) أى على البليات وأذى الناس وقال ابن
عباس يتق الزنا ويصبر على العزوبة وقال مجاهد يتق المعصية ويصبر على السجن (فان الله
لا يضيع أجر المحسنين) والمعنى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجرهم فوضع المحسنين
موضع الضمير لاستتماله على المتقين وقرأ قبل باثبات الياء بعد القاف وقفا ووصلا واختلف
المعربون في ذلك على وجهين أجودهما أن اثلث حرف العلة في الجزم لغة لبعض العرب
وأنشأوا عليه قول قيس بن زهير

ألم بأبيك والاباء تنبى * بما لاقت لبون بنى زياد

(وقول الآخر)

هجوت زيان ثم هجفت معتذرا * من هجوزيان لم تهجو ولم تدع

(وقول الآخر)

اذا العجوز غضبت فطلقى * ولا ترضاهوا ولا تلقى

والثانى انه مرفوع غير مجزوم ومن موصولة والفعل صلتهما فلذلك تمم باثبات لامه وسكن يصبر
لتوالى الحركات وان كانت في كلمين وقرأ الباقون بالحدف وقفا ووصلا ولما ذكر يوسف عليه
السلام لاخوته ان الله تعالى من عليه وأنه من يتق ويصبر فان الله تعالى لا يضيعهم صدقوه فيه
واعترفوا للمفضل والمرتبة ولذلك (قالوا) خصمين بقولهم (ثانته) أى الملك الاعظم (اقد اترك)
أى اختلفك (الله علينا) بالعلم والعقل والاطم والحسن والملك والتقوى وغير ذلك واحتج بعضهم
بهذه الآية على ان اخوته لما كانوا أيضا لان جميع المناصب التى تكون مغايرة لمنصب النبوة

كالعدم بالنسبة اليه فلوشار كوه في منصب النبوة لما قالوا ذلك ثم قالوا (وان كانا طاشين) أي
 والحال ان شأنا انا كالمذنبين بما فعلنا معك ولذلك أدلنا الله تعالى لك فكانه قيل ما قال لهم
 على قدرته وعظمتك مع ما سلف من اهاتهم له فقيل (قال) لهم قول الكرام اقتداء باخوانه من
 الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام (لالتقريب) أي لا لوم ولا تعنيف ولا هلاك (عليكم اليوم)
 وانما خصه بالذكر لانه مظنة التثريب فاذا اتقى ذلك فيه فما ظنك بما بعده ولما أعفاهم من
 التثريب كانوا في مظنة السؤال عن كمال العفو المزيل للعقاب من الله تعالى فاتبه الجواب عن
 ذلك بالدعاء لهم بقوله (يقفر الله) أي الذي لا اله غيره (لكم) أي ما فرط منكم وعبر في هذا الدعاء
 بالمضارع ارشاد لهم الى اخلاص التوبة وورعهم في ذلك ورجاهم بالصفة التي هي سبب الغفران
 فقال (وهو) تعالى (أرحم الراحمين) لجميع العباد لاسيما التائب فهو جدير بادراك النعم روى
 أنهم أرسلوا اليه انك لتدعوننا الى طعامك وكرامتك بكرة وعشيا ونحن نسخي بما فرط منا فقال
 ان أهل مصر يتظرونني وان ملكت فيهم بعين العبودية فيقولون سبحان من بلغ عبد ابعشرين
 درهما ما بلغ ولقد شرفت الان بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني من
 ذرية ابراهيم عليه السلام ولما اقترأ عندهم بعد اجتماع نخلهم بازالة ما يحشونه دنيا وأخرى
 سأل عن أبيه فقال ما فعل أبي بعدى قالوا ابيضت عيناه من الحزن فأعطاهم قميصه وقال
 (اذهبوا بقميصي هذا) وهو قميص ابراهيم عليه السلام الذي لبسه حين ألقى في النار عرابا
 فأنجاه جبريل بقميص من حر الجنة فألبسه اياه وكان ذلك عند ابراهيم فلما ملت ابراهيم ورثه
 اسحق فلما مات اسحق ورثه يعقوب فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك في قصبة من فضة
 وسد رأسيها وعلقها في عنقه لما كان يخاف عليه من العين وكان لا يفارقه فلما ألقى في
 البئر عرابا جاءه جبريل وعلى يوسف ذلك التعويذ فاخرج القميص وألبسه اياه في الوقت
 جاءه جبريل عليه السلام وقال ارسل ذلك القميص فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلي ولا
 على سقيم الا عوفي فدفع يوسف ذلك القميص الى اخوته وقال اذا وصلت الى أبي (فالقوه على
 وجهه أبي بات) أي يصير (بصيرا) أي يرده اليه بصره كما كان أو يأت الى حال كونه بصيرا
 (وانتوني) أي أبي وأنتم (بأهلكم) أي مصاحبين لكم (أجمعين) لا يتخلف منكم أحد فرجعوا
 بالقميص لهذا القصد وروى أن يهودا هو الذي حمل القميص لما الطخوه بالدم فقال لا يحمل
 هذا غيري لافرحه كما أفرته لحمه وهو حاف من مصر الى كنعان وبينهما غمانون فرسخا (ولما
 فصلت العير) من عريش مصر وهو آخر بلاد مصر الى أول بلاد الشام (قال أبوهم) لولد ولده
 ومن حوله من أهله مؤكدا للعلم أنهم ينكرون قوله (اني لاجد ريح يوسف) أو وصلت اليه ريح
 الصبا باذن الله تعالى من مسيرة ثلاثة أيام أو ثمانية أو أكثر قال مجاهد هبت ريح فصفت
 القميص ففاحت روائح الجنة في الدنيا واتصلت بيعقوب فوجد ريح الجنة فعلم عليه السلام
 أنه ليس في الدنيا من ريح الجنة الا ما كان من ذلك القميص قال أهل المعاني ان الله تعالى
 أوصل اليه ريح يوسف عليه السلام عند انقضاء مدة المهنة وبقي وقت الفرج من المكان

البعيد ومنع من وصول خبره اليه مع قرب احدى البلدين من الاخرى في مدة ثمانين سنة
 وذلك يدل على أن كل سهل فهو في زمان المحنة صعب وكل صعب فهو في زمان الاقبال سهل
 ومعنى أجدر يح يوسف أسمه وعبر بالوجود لانه وجدان له بحاسة الشم (لولا أن تضندون) أى
 تنسبونى الى الخرف قال أبو بكر الانبارى أفند الرجل اذا خرف وتغير عقله وعن الاصمعي اذا
 كثر كلام الرجل من خرف فهو مضند قال فى الكشاف يقال شخ مضند ولا يقال عجز مضندة
 لانها لم تكن فى شبيبتها ذات رأى حتى تضند فى كبرها وقيل التضند الفساد يقال فندت فلانا
 اذا أفسدت رأيه ورددته قال بعضهم

يا صاحبي دعا لوى وتضندي * فليس ما فات من أمر مجردود

ولما ذكر يعقوب عليه السلام ذلك (قالوا) أى الحاضرون عنده (تالله انك لاني ضلالك) أى
 حيك (القديم) ليوسف لانسه ولا تذهل عنه على بعد العهد وهو كقول اخوة يوسف ان أبانا
 لنى ضلال ميين وقال مقاتل معنى الضلال هنا الشقاء أى شقاء الدنيا والمعنى انك لاني شقاتك
 القديم عما تكابدهم من الاحزان على يوسف وقال الحسن انما خاطبوه بذلك لاعتقادهم أن يوسف
 قدمات فكان يعقوب فى ولوعه بذكره ذاهبا عن الرشد والصواب ثم انهم عجلوا له بشرا فأسرع
 قبل وصولهم بالقميص (فلما) وزيدت (أن) لتأكد مجيئه على تلك الحالة وزيادةها بعد ما
 قياس مطرد (جاء البشير) وهو يهودا بذلك القميص (ألقاه) أى طرحه البشير (على وجهه)
 أى يعقوب وقيل ألقاه يعقوب على وجه نفسه (فارتد) أى رجع (بصيرا) أى صيره الله بصيرا
 كما كان كما يقال طالت النظرة والله تعالى هو الذى أطالها * ولما ألقى القميص على وجهه وبشر
 بحياة يوسف عليه السلام عظم فرحه وانشرح صدره وزالت أحزانه فعند ذلك (قال)
 لبيته (ألم أقل لكم انى أعلم من الله ما لا تعلمون) من حياة يوسف وان الله تعالى يجمع بيننا قال
 السهيلي لما جاء البشراى يعقوب عليه السلام أعطاه فى بشارته كلمات كان يروىها عن أبيه
 عن جده عليه السلام وهى الطيفا فوق كل لطيف الطيف فى أمورى كلها كما أحب
 وروى فى دينى وأخرى وروى أن يعقوب عليه السلام قال للبشير كيف تركت يوسف
 قال تركته ملك مصر قال ما أصنع بالملك على أى دين تركته قال على دين الاسلام قال الا نتحت
 النعمة فعند ذلك (قالوا يا أبانا) منادين بالاداء التى تدل على الاهتمام العظيم بما بعدهما له
 من عظيم الوقوع (استغفر) أى اطلب من الله تعالى أن يغفر (لناذونينا) أى التى اقترناها هم
 قالوا مؤكدين بتحقيق الاخلاص فى التوبة (أنا كنا خاطئين) أى متعمدين لللاثم بما ارتكبنا
 فى أمر يوسف عليه السلام ومن حق المعترف بذنبه أن يصفح عنه ويستل له المغفرة قال صلى
 الله عليه وسلم ان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فكانه قيل فما قال لهم فقيل
 (قال) لهم (سوف أستغفر) أى اطلب أن يغفر (لكم ربى) الذى أحسن الى بأن يغفر لى
 حتى لا يفرق بينى وبينهم فى دار البقاء والربوبية ملك هو أتم الملك على الاطلاق وهو ملك الله
 تعالى وظاهر هذا الكلام أنه لم يستغفر لهم فى الحال بل وعدهم بأن يستغفر لهم بعد ذلك

واختلصوا في سبب هذا المعنى على وجوده فقال ابن عباس والاصكثرون أراد أن يستغفر
 لهم في وقت السحر لأن هذا الوقت أوفق الاوقات لرجاء الاجابة وفي رواية أخرى له أنه أخر
 الاستغفار الى ليلة الجمعة لانها أوفق لاوقات الاجابة وقال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة
 في نيف وعشر من سنة وقال طاوس أخر الى السحر من ليلة الجمعة فوافق ليلة عاشوراء وقيل
 استغفروهم في الحال وقوله سوف استغفر لكم معناه اني أدوم على هذا الاستغفار في الزمان
 المستقبل وقيل قام الى الصلاة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لي جزئي على
 يوسف وقلة صبري عنه واغفر لاولادي ما فعلوا في حق يوسف فأوحى الله تعالى اليه اني قد
 غفرت لك ولهم أجمعين وعن الشعبي قال أسأل يوسف ان عفا عنكم أستغفر لكم وبني (انه
 هو الغفور الرحيم) كل ذلك تسكيناً لقلوبهم ونصحاً لرجائهم وروى أن يوسف عليه السلام
 كان بعث مع الشيرالي يعقوب عليه السلام مائتي راحلة وجهازا كثيرا ليوافق يعقوب
 وأهل وولده فتهيأ يعقوب عليه السلام للخروج الى مصر فخرج بهم فلما دنا من مصر كلم يوسف
 الملك الذي فوقه فخرج يوسف عليه السلام والملك في أربعة آلاف من الجنود والعظماء وركب
 أهل مصر معه ما بأجمعهم يتلقون يعقوب وكان يعقوب عشى وهو يتوكأ على يهودا فنظر
 الى الخليل والناس فقال يا يهودا هذا فرعون مصر قال لا هذا ابنك يوسف فلما دنا كل واحد
 منهم من صاحبه ذهب يوسف يديه بالسلاط فقال له جبريل لا حتى يديا يعقوب بالسلاط فقال
 يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقال الثوري لما التقى يعقوب ويوسف عليهما السلام
 عانق كل واحد منهما صاحبه وبكى فقال يوسف يا أبت بكيت على حتى ابيضت عينك ألم
 تعلم ان القيامة تجتمعنا قال بلى يا بني ولكن خشيت أن يسلب دينك فيحال بيني وبينك فذلك
 قوله تعالى (فلما دخلوا على يوسف آوى) أى ضم (اليه أوبه) قال الحسن اباه وأمه وكانت
 حبة اكرامها بما عاينها به وغلب الاب في التثنية لذكوره وعن ابن عباس أنها خالته
 لسا وكانت أمه قد ماتت في نفاس بنيامين قال البغوي وفي بعض التفاسير ان الله تعالى أحيى
 أمه حتى جاءت مع يعقوب الى مصر (فان قيل) ما معنى دخولهم عليه قبل مصر (أجيب) بأنه
 حين استقبلهم نزل بهم في خيمة أو بيت هناك فدخلوا عليه وضم اليه أوبه (وقال) مكرما
 (ادخلوا مصر) أى البلد المعروف وأتى بالشرط للمؤمن لا للدخول فقال (ان شاء الله آمين) من
 جميع ما ينوب حتى عما فرطتم في حتى وفي حق أخى روى أن يعقوب عليه السلام وولده دخلوا
 مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى عليه السلام والمقاتلون
 منهم سقانة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الصبيان والشيوخ (ولما استقرت
 بهم الدار بدخول مصر (رفع أوبه) أى جلسهما معه (على العرش) أى السرير الرفيع
 والرفع هو النقل الى العلو (وشتروله) أى انخواله أو احوته (سجدا) أى سجودا فخيمناه
 والتواضع قد يسمى سجودا كقول الشاعر ترى الاكم فيها سجد الجوارف لاوضع جبهة وكان
 تحيتم في ذلك الزمان أو أنهم وضعوا الجباه وكان ذلك على طريقة التحيبة والتعظيم لا على طريقة

العادة وكان ذلك جازا في الامم السالفة فنسخت في هذه الشريعة وروى عن ابن عباس
 أنه قال معناه خزا والله سبحانه بين يدي يوسف عليه السلام فيكون سجود شكر لله لاجل وجدان
 يوسف وبدل عليه قوله تعالى ورفع أبو به على العرش وخزوا له سجدا وذلك يشعر بأنهم صعدوا
 على السرير ثم سجدوا لله تعالى ولو أنهم سجدوا ليوسف لسجدوا له قبل الصعود على السرير
 لأن ذلك أدخل في التواضع (فان قيل) هذا التأويل لا يطابق قول يوسف عليه السلام (وقال
 يا أيها رب هذا أنا ويا رب رؤياي من قبل) والمراد منه قوله اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر
 رأيتهم لي ساجدين أي رأيتهم ساجدين لاجل أي انهم سجدوا لله لطلب مصلحة والسعي
 في اعلام منصبه واذا كان هذا محتملا سقط السؤال قال الرازي وعندى أن هذا التأويل متعين
 لانه يعدم عقل يوسف ودينه أن يرضى بأن يسجد له أبوه مع سابقته في حقوق الولادة
 والشجوخة والعلم والدين وكال نسوة وأأنهم جعلوا يوسف كالمقبله وسجدوا وشكروا النعمة
 وجدانه فانه يقال صليت للكعبة كما يقال صليت الى الكعبة قال خشان

ما كنت أعرف ان الامر منصرف * عن هاشم ثم منها عن أبي الحسن

أليس أول من صلى لقبلكم * واعرف الناس بالآثار والسنن

ثم استأنف يوسف عليه السلام فقال (قد جعلها ربي) أي الذي رباني بما وصلني اليها (حقا) أي
 مطابقة للواقع لتأويلها وتأويل ما أخبرني به أنت والتأويل تفسير ما يؤول اليه معنى الكلام
 وعن سلمان رضى الله تعالى عنه أن ما بين رؤياه وتأويلها أربعون سنة وعن الحسن أنه أتى
 في الحب وهو ابن سبع عشرة سنة وبقي في العبودية والسجن والملك ثمانين سنة ثم وصل الى أبيه
 وأقاربه وعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة فكان عمره مائة وعشرين سنة (وقد أحسن) أي
 أوقع احسانه (بي) تصديقا لما بشرني به من اتمام النعمة وتعمية أحسن بالباء أدل على القرب
 من التعدي به نالي وان كان أصل أحسن أن تعدي بالي كما قال تعالى وأحسن كما أحسن الله اليك
 وقيل ضمن معنى لطف فتعدي بالباء كقوله تعالى وبالوالدين احسانا وقال (أذا خرجني من
 السجن) ولم يذكر اخراجه من الحب لوجوه أولها انه قال لاخوته لا تتريب عليكم اليوم ولو ذكر
 واقعة الحب لكان ذلك تفريرا لهم فكان اهماله جاريا مجرى الكرم ثانياً انه لما خرج من الحب
 لم يصير ملكا بل صبروه عبدا وانما صار ملكا بعد اخراجه من السجن فكان هذا الاخراج أقرب
 من أن يكون انعاما كاملا ثالثا انه لما خرج من الحب وقع في المضار الحاصلة بسبب تهمة
 المرأة ولما خرج من السجن وصل الى أبيه واخوته فكان هذا أقرب الى المنفعة مع أن اللفظ
 محتمل للجب أيضا لكنه احتمال خفي ولما كان يعقوب وولده بأرض كنعان وتحول الى بدو وقال
 ابن عباس ومنه قدم علي يوسف قال يوسف عليه السلام (وجاء بكم من البدو) أي من أطراف
 بادية فلسطين وذلك من أكبر التهم كما جاء في الحديث من يرد الله به خيرا ينقله من البادية الى
 الحاضرة والبدو ضد الحاضرة وهو من الظهور ويقال بد ايذوا سكن في البادية روى عن عمر
 اذ انه وناجفونا أي تخلفنا باخلاق البدوين قال الواحدى البدو بسط من الارض يظهر فيه

الشخص من بعيد وأصله من بدأ يد وبدأ ثم سمي المكان باسم المصدر وفي الآية دلالة على أن
 فعل العبد خلق الله تعالى لأنه أضاف إخراجه من السجن إلى الله تعالى وبجيبهم من البدوالة
 (من بهدان نزع) أي أسعد (الشيطان) بسبب الحسد (بين وبين أخوتي) وأصل النزع
 دخول في أمر لانساده (فان قيل) إضافة يوسف عليه السلام إخبار إلى الله تعالى والشر إلى
 الشيطان تقتضي ان فعل الشريسي من الله تعالى كما قاله بعض المبتدعة ولو كان منه لضافه اليه
 (أجيب) بأن إضافة هذا الفعل إلى الشيطان مجاز لأن الفاعل المطلق هو الله تعالى في الحقيقة
 قال تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لقد تافيت بذلك ان الكل من عند الله تعالى وبفضائه
 وقدره وليس للشيطان فيه مدخل الا بالقائه الوسوسة والتعميرين لافساد ذات البين وذلك باقدار
 الله تعالى اياه على ذلك كما حكى الله تعالى ذلك عنه بقوله تعالى وما كان لي عليكم من سلطان الا ان
 دعوتكم فاستجبتم لي ولما كان حصول الاجتماع بينه وبين اخوته وأبويه مع الالفه والمحبة
 وطيب العيش وفرار البال وكان في غاية البعد عن العقول الا أنه تعالى لطيف قال يوسف
 عليه السلام (ان ربي لطيف لما يشاء) أي لطيف التدي به لانه اذا ما من صعب الا وثقت فيه مشيته
 ويتسهل دونها فاذا أراد حصول الشيء سهل أسبابه فحصل وان كان في غاية البعد عن الحصول
 (انه هو العليم) بوجوه المصالح والتدابير (الحكيم) أي الذي يفعل كل شيء في وقته وعلى
 وجه يقتضي الحكمة روى أن يوسف عليه السلام طاف بأبيه في خزائنه فلما أدخله خزنة
 القراطس قال يا بني ما أعقت عندك هذه القراطيس وما كتبت الي علي ثمان مراحل قال
 أمرني جبريل بذلك قال أو ماتسأله قال أنت أقرب مني اليه فسأله فقال جبريل الله أمرني
 بذلك لقولك وأخاف أن يأكله الذئب قال فهلاخفتني ولما حضر يعقوب عليه السلام
 الموت وصي يوسف عليه السلام أن يحمله ويدفنه عند أبيه فغضى بنفسه فدفنه ثم عاد إلى مصر
 وأقام بعده ثلاثا وعشرين سنة ولما تم أمره وعلم أنه لا يدوم ناقت نفسه إلى الملك الدائم
 فقال (رب قد آتيتني) واقتم بقدر لان الحال حال توقع السامع لشرح حال الرؤيا (من الملك)
 أي بعضه بعد بدعي منه جدا وهو ملك مصر (وعلمتني من) أي بعض (تأويل الاحاديث)
 طبق ما بشرني به أبي وأخبرت به أنت من التمكين والتعظيم قبل قواك والله غالب على أمره ثم
 ناداه بوصف جامع للعلم والحكمة فقال (فأطرق) أي خالق (السموات والارض) ثم أعلمه بما هو
 أعلم به منه من أنه لا يعول على غيره في شيء من الاشياء (أنت وليي) أي الاقرب إلى باطننا
 وظاهرنا (في الدنيا والاخرة) أي لا ولي في غيرك والولي يفعل لموليه الاصلح والاحسن فأحسن
 لي في الاخرة أعظم مما أحسن لي في الدنيا روى أنه صلى الله عليه وسلم حكى عن جبريل عن
 رب العزة جيل وعلائه قال من شغلته ذكرى عن مستلقى أعطيتة أفضل ما أعطى السائلين
 فلهذا المعنى من أراد الدعاء لا بد وأن يقدم عليه ذكر الثناء على الله تعالى فهذا يوسف
 عليه السلام لما أراد أن يذكر الدعاء قدم عليه الثناء وهو قوله رب قد آتيتني من الملك وعلمتني
 من تأويل الاحاديث فأطرق السموات والارض ثم ذكر عقب الدعاء وهو قوله (توفني) أي

اقتض روحى واقباتا فى جميع أمرى حسا ومعنى حال كونى (مسلمًا) ولما كان المسلم
 حقيقته من كان مريفا فى الاخلاص عقبه بقوله (وألقى بالصالحين) وتطيره ما فعله الخليل
 عليه السلام فى قوله الذى خلقنى فهو يهدين فمن ههنا الى قوله رب هب لى حكما نعوذ على الله تعالى
 ثم من قوله رب هب لى حكما الى آخر الكلام دعاء فكذا هنا * (تبيينه) * اختلف فى قوله توفى
 مسلما هل هو طلب منه للوفاة أم لا فقال قتادة سأله ربك اللعوق به ولم يتن نبى قط الموت قبله
 وكثير من المفسرين على هذا القول وقال ابن عباس فى رواية عطاء يريد اذا توفيتنى قفونى على
 الاسلام فهذا طلب لان يجعل الله تعالى وفاته على الاسلام وليس فيه ما يدل على انه طلب
 الوفاة واللفظ صالح للامرين ولا يعنى الرجل العاقل اذا اكل عقله ان تتى الموت وتغظم
 رغبته فيه لوجوه كثيرة منها ان الخطباء والبغاة وان اطنبوا فى مذمة الدنيا الا ان حصل
 كلامهم يرجع الى ثلاثة أمور أحدها ان هذه السعادات سريعة الزوال مشرفة على الفناء
 والام الحاصل عند زوالها اشد من اللذة الحاصلة عند وجدانها وثانيها انها غير حاصلة بل هى
 مزموجة بالمنغصات والمكدرات وثالثها ان الاراذل من الخلق يشاركون الافاضل فيها بل ربما
 كان حصص الاراذل أعظم بكثيرين من حصص الافاضل فهذه الجهات الثلاثة منقذة عن هذه
 اللذات ولما عرف العاقل انه لا يحصل تحصيل هذه اللذات الا مع هذه الجهات الثلاثة المنقذة
 لا يجرم تتى الموت ليتخلص عن هذه الآفات ومنها ان تداخل اللذات الدنيوية قليلة وهى ثلاثة
 أنواع لذة الاكل ولذة النكاح ولذة الرياضة ولكل واحدة منها عيوب كثيرة أما لذة الاكل ففيها
 عيوب أحدها ان هذه اللذة ليست لذة قوية فانه لا يمكن ابقاؤها فان الانسان اذا أكل وشبع
 لم يبق فيه الا لذة اذبالا كل فهذه اللذة ضعيفة ومع ضمهها غير باقية وثانيها انها فى نفسها خسيصة
 وان الاكل عبارة عن ترطيب ذلك الطعام بالبراق المجتمع فى القم ولا شك انه شئ منفر ولما يصل
 الى المعدة يظهر فيه الاستحالة الى الفساد والتفنن والفقوة وذلك أيضا منفر وثالثها ان جميع
 الحيوانات الخسيصة شاركة له فيها ورابعها ان الاكل انما يطيب عند اشتداد الجوع والجوع
 نقص واقفة وخامسها ان الاكل مستحقر عند العقلاء حتى قيل من كانت همته ما يدخل فى بطنه
 فقبحته ما يخرج من بطنه فهذه اشارات مختصرة الى معائب الاكل وأما لذة النكاح فذا ذكر
 فى الاكل حاصل هناع أشياء أخرى وهى ان النكاح سبب لحصول الولد وحينئذ تكدر الانحاص
 فتكثر الحاجات الى المال فيحتاج الانسان بسببها الى الاحتيال فى المال بطرق لانهاية لها وربما
 صارها لكاسب طلب المال وأما لذة الرياضة فعيوبها كثيرة منها ان يكون على شرف الزوال
 فى كل حين وأوان ومنها انه عند حصولها فى الخوف الشديد من الزوال ومنها انه يكون عند
 زوالها فى الاسف العظيم والحزن الشديد بسبب ذلك الزوال فالعاقل اذا تأمل فى هذه المعانى
 علم قطعانه لا صلاح له فى طلب هذه اللذات فيكون اتقاء الله عنده أرجح فبغى الموت وعن عمر بن
 عبد العزيز رضى الله تعالى عنه ان عمير بن مهران بات عنده فرآه كثير البكاء والمستلة للموت
 فقال له صنع الله لك خيرا كثيرا احييت سننا وأمت بدعا وفى حياتك خيرا وراحة لاهلنا فقال

أفلاً: كون كالعبد الصالح لما أقر الله عينه وجمع له أمره قال توفى مسلماً والحقني بالصالحين
 (فان قيل) الانبياء عليهم الصلاة والسلام يعطون أنهم يموتون لامحالة على الاسلام فكان هذا
 الدعاء حاصله طلب تصحيل الحاصل وانه لا يجوز (أجيب) بأن حال كمال المسلم أن يتسلم
 لحكم الله تعالى على وجه يستقر قلبه على ذلك الاستسلام ويرضى بقضاء الله وتطمئن النفس
 وينشرح الصدر وينفسح القلب في هذا الباب وهذه حالة زائدة على الاسلام الذي هو ضد
 الكفر والمطلوب ههنا هو الاسلام هذا المعنى (فان قيل) ان يوسف عليه السلام كان من أكابر
 الانبياء والصالح أول درجة المؤمنين فالواصل الى الغاية كيف يليق به أن يطلب البداية
 (أجيب) بأن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم قال يعنى بأن يلحقه بأبائه ابراهيم واسماعيل
 واسحق ويعقوب والمعنى ألحقني بهم في نوابهم ودرجاتهم وولد ليوسف عليه السلام من امرأة
 العزيز ثلاثة افرائيم وميشا وهودجديوشع بن نون ورحمة امرأة أيوب عليهم السلام ولما نأقت
 نفسه الى الملك المخلد وتوفى الموت فلم يأت عليه أسبوع حتى توفاه الله عز وجل طيباً طاهراً ونشأ
 الناس في دفنه فطلب أهل كل محلة أن يدفن في محلتهم رجاء بركته حتى هموا بالقتال فقرأوا
 أن يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفونه في النيل حيث يتفرق الماء بمصر ليجري عليه الماء
 وتيسل بركته الى جميعهم قال بكرمة دفن في الجانب الايمن من النيل فأخصب ذلك الجانب
 وأجذب الجانب الآخر فنقل الى الجانب الايسر فأخصب ذلك الجانب وأجذب الآخر
 فدفنوه في وسطه وقد روا ذلك بسلسلة فأخصب الجانبان الى أن أخرجه موسى عليه السلام
 ودفنه بقرب آبائه بالشام وقد سير الله تعالى زيارته وزيارة آبائه في عام شرعت في هذا التفسير
 سنة أربع وستين وتسعمائة جمعني الله تعالى وآبائي وأهلي وأصحابي وأحبائي معهم في دار
 كرامته ولما تم الذي كان من أمر يوسف عليه السلام واخوته على الوجه الاحكم والصراف
 الاقوم من ابتدائه الى انتهائه قال تعالى مشيراً الى أنه دليل كاف في تصحيح نبوته صلى الله عليه
 وسلم بقوله (ذلك) أي الذي ذكرته لك يا محمد من قصة يوسف عليه السلام وما جرى له مع اخوته
 ثم صار الى الملك بعد الرق (من انبياء الغيب) أي أخبار ما غاب عنك (نوحيه اليك) أي الذي
 أخبرناك به من أخبار يوسف وحى أوحيناها اليك (والحال انك ما كنت تدريهم) أي عند اخوة
 يوسف عليه السلام (اذ) أي حين (أجمعوا أمرهم) أي عزموا على أمر واحد وهو القاء
 يوسف في البئر (وهم يكبرون) أي يدبرون الاذي في الخفية يوسف والمعنى ان هذا التلغيب
 لأنه صلى الله عليه وسلم ما طالع الكتب ولا تتلذذ لاحد ولا كانت البلدة بلدة العلماء واثنائه صلى الله
 عليه وسلم بهذه القصة الطويلة على وجه لا يقع فيه تحريف ولا غلط من غير مطالعة ولا تعلم ومن
 غير أن يقال انه حاضر معهم لا بد وأن يكون مجزاً وقوله تعالى وما كنت تدريهم ذكر على سبيل
 التكميم بهم لأن كل أحد يعلم أن محمد صلى الله عليه وسلم ما كان معهم ولما سألت قريش واليهود
 رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه له أبوحيان عن ابن اليتاري عن قصة يوسف عليه السلام
 فقلت مشروحة هذا الشرح الشافي مبينة هذا البيان الوافي فأقبل صلى الله عليه وسلم أن يكون

ذلك سبب اسلامهم فخالقوا تأمليه عزاء الله تعالى بقوله (وما أكرم الناس) أي أهل مكة (ولو
 حرصت) على إيمانهم (بمؤمنين) لعنادهم وتصميمهم على الكفر وكان ذلك إشارة إلى ما ذكر الله
 تعالى في قوله تعالى أنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ثم نفي عنه التهمة بقوله
 تعالى (وما نسألهم عاقبه) أي على تبليغ هذا الكتاب الذي أوحيناها إليك وأغرق في النفي فقال
 (من أجر) حتى يكون سؤالك سبباً لأن يتموا أو يقولوا لولا أنزل عليه كنزليستغنى به عن سؤالنا
 ثم نفي عن هذا الكتاب كل غرض دينوي بقوله تعالى (إن هو إلا ذكر) أي عظة من الله تعالى
 (للعالمين) عامة ثم إن الله تعالى أخبر عنهم أنهم لما تأملوا الآيات الدالة على توحيد الله تعالى
 بقوله تعالى (وكآين) أي وك (من آية) دالة على وحدانية الله تعالى (في السموات) كالنيرين
 وسائر الكواكب والنصاب وغير ذلك مما لا يحصى إلا الله تعالى (والارض) من الجبال
 والشجر والدواب وغير ذلك مما لا يحصى إلا الله تعالى (يعززون عليها) أي يشاهدونها وهم عنها
 معرضون) أي لا يتفكرون فيها فلا عجب إذا لم يتأملوا في الدلائل على نبوتك فان العالم مملوء من
 دلائل التوحيد والقدرة والحكمة ثم انهم يعززون عليها ولا يلتفتون إليها * ولما كان ربما قيل
 كيف يوصفون بالأعراض وهم يعتقدون أن الله تعالى فاعل تلك الآيات بين أن اشراكهم
 سقط لذلك بقوله تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله) حيث يقولون بأنه الخالق الرازق (والوهم
 مشركون) بعبادته الاصنام قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله لكنهم كانوا
 يشركون شركا في العبودية وعن ابن عباس ان هذه الآية نزلت في تلبية مشركي العرب كانوا
 يقولون في تلبيةهم ليبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك يعنون الاصنام وعنه أيضا
 أن أهل مكة قالوا الله ربنا وحمده لا شريك له والملائكة بناته فلم يوجدوا بل أشركوا وقال عبدة
 الاصنام ربنا الله وحده والاصنام شفعاء وعنده وقالت اليهود ربنا الله وحده وعزير ابن الله
 وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال عبدة الشمس والقمر ربنا الله وحده وهؤلاء أربابنا وقال
 المهاجرون والانصار ربنا الله وحده لا شريك له ولما كان أكثر هؤلاء لا يتقادون إلا بالعذاب
 قال تعالى (أنا منوا) انكار فيه معنى التوبيخ والتهديد (أن تأتيهم) في الدنيا (غاشية) أي نقمة
 تفشاهم وتشملهم (من عذاب الله) أي الذي له الامر كله كما أتى من ذكرنا قصصهم من الامم
 (أوتأتيتهم الساعة بغتة) أي فجأة وهم عنها في غاية الغفلة وقوله تعالى (وهم لا يشعرون) أي
 وقت اتيانها قبله كالتأكد لقوله بغتة * ولما كان صلى الله عليه وسلم مبلغا عن الله تعالى أمره
 أن يأمرهم باتباعه بقوله تعالى (قل) يا أيها الخلق وأصفاهم وأعظمهم نصحا واخلاصا (هذه)
 أي الدعوة إلى الله تعالى التي يدعو إليها (سبيلى) أي طريقى التي ادعو إليها الناس وهي
 توحيد الله تعالى ودين الاسلام وسبى الدين سبيلا لانه الطريق المؤدى إلى نواب الجنة (ادعو
 إلى الله) أي إلى توحيد والى ايمان به (على بصيرة) أي حجة واضحة وقوله (انا) تأكيدا للمستتر
 في ادعوى على بصيرة لانه حال منه أو مبتدأ خبره على بصيرة وقوله (ومن اعبنى) أي من آمن بي
 ويصدق بما جاء في عطف عليه لان كل من ذكر الحجة وأجاب عن الشبهة فقد دعا بقدر وسعه

الى الله وهذا دل على أن الدعاء الى الله انما يحسن ويجوز مع هذا الشرط وهو أن يكون على
 بصيرة مما يقول ويؤمن فان لم يكن كذلك والافهو محض الغرور وقال صلى الله عليه وسلم العلماء
 أمناء الرسل على عباد الله من حيث يحفظون ما يدعون اليه * (فائدة) * جميع القراء يفتنون
 الياء وقفا وصلواتها في الرسم (وسبحان) أى وقل سبحان (الله) تنزيها لله تعالى عما يشركون
 به (وما آمن المشركين) أى الذين اتخذوا مع الله ضدًا وندًا ولما قال أهل مكة للنبي صلى الله
 عليه وسلم هلا بعث الله ملكا قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك) الى المكلفين (الارجالا) أى
 مثل ما نكز رجل لاملأئكة ولا نانا كما قاله ابن عباس ولا من الجن كما قاله الحسن (يوسى الهمم)
 أى بواسطة الملائكة مثل ما يوسى اليك وقرأ أحفص قبل الواو البنون وكسر الحاء والباقون
 بالياء وفتح الحاء وضم الهاء من الهمم حمزة على أصله وكسرها الباقون (من أهل القرى) أى من
 أهل الامصار والمدن المنفة بالدر والحجر ونحوه لامن أهل البوادي لان أهل الامصار أفضل
 وأعلم وأكل وأعقل من أهل البوادي ومكة أم القرى لانها مجمع لجميع الخلائق لما أمر وابه
 من حج البيت وكان العرب كلهم يأثونها فكيف تعجبوا في حقه قال الحسن لم يبعث الله نبيا من
 البداية لفظهم وجفائهم ثم هددهم سبحانه وتعالى بقوله تعالى (أفلم يسيرا) أى هؤلاء
 المشركون المكذبون (في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من المكذبين
 للرسل والايات فيحذروا تكذيبك ويعتبروا بهم وبما حل بهم من عذابنا * ولما أن الله تعالى نجي
 المؤمنين عند نزول العذاب بالام الماضية المكذبة وما في الآخرة خير لهم من ذلك بقوله تعالى
 (ولدار الآخرة) أى ودار الحلال الآخرة أو الساعة الآخرة أو الحياة الآخرة (خير) وهى
 الجنة (الذين اتقوا) الله من حياة ما آلهما الموت وان فرحوا فيها بالحال وان امتدت ألف
 عام وكان عيشها كله رغدا من غير آلام (أفلا يهتدون) فيستعملون عقولهم فيتبعون الداعي الى
 هذا السبيل الاقوم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتاء على الخطاب لاهل مكة والباقون بالياء
 على الغيبة لهم وللمشركين المكذبين وقوله تعالى (حتى اذا استبأس الرسل)ناية للمخوف دل
 عليه الكلام أى لا يفورهم عمادى أيامهم فان من قبلهم أمهلوا حتى أيس الرسل من النصر
 عليهم في الدنيا ومن ايمانهم لانهما كهم في الكفر مترفين مقادين فيه من غير وازع (وظنوا)
 أى ايض الرسل (أنهم قد كذبوا) بالتشديد كما قرأ غير حمزة وعاصم والكسافى تكديبا لا ايمان
 بعده وأما ما تخفيف كما قرأه هؤلاء فالعنى ان الام ظنوا أن الرسل قد أخطفوا ما وعد وابه من
 النصر عليهم (جاءهم نصرنا) لهم بخذلان أعدائهم (فنجي من نشاء) أى النبي والمؤمنون وقرأ
 ابن عامر وعاصم بنون مضمومة بعد هاجم مشددة ويا بعد الجيم مفتوحة والباقون بنون
 الاولى مضمومة والثانية ساكنة وتخفيف الجيم وسكون الياء (ولا يرد بأسنا) أى عذابنا (عن
 القوم الجرمين) أى المشركين ما نزل بهم * ولما ذكر سبحانه وتعالى هذه القصص وحث
 على الاعتبار بما يقوله أفلم يسيرا أتبعه بأن فى أحاديثهم أعظم عبرة فقلل حشا على تأملها
 والانتصارات بها (لقد كان فى قصصهم) أى يوسف واخوته أو فى قصص الرسل (عبرة) أى عظة

عظيمة (لاولى الآيات) أى لذوى العقول المرأة من شواذب الكدر يعتبرون به الى ما يستعملهم
 لأن من قدر على ما مضى من أمر يوسف عليه السلام لقادر على أن يعجز محمد صلى الله عليه وسلم
 ويعلو كلمته وينصره على من عاداه كما نؤمن كان كما فعل يوسف وغيره ولما كان من أجل العبرة
 في ذلك القاطع بحقيقة القرآن به تعالى على ذلك بتقدير سؤال فقال تعالى (ما كان حدينا يقترى)
 أى يحتلق لأن الذى جاء به من عنده هو محمد صلى الله عليه وسلم لا يصح منه أن يفتره لانه
 لم يقرأ الكتب ولم يتلذذ لاحد ولم يخالف العلماء فى الحال أن يقترى هذه القصة بحيث تكون
 مطابقة لما رأوه فى التوراة من غير تفاوت كما يعلم من قوله تعالى (ولكن تصديق الذى بين يديه)
 أى من الكتب الالهية المنزلة من السماء كالتوراة والانجيل فى ذلك اشارة الى أن هذه
 القصة وردت على الوجه الموافق لمافى التوراة من ذكر قصة يوسف عليه السلام (و زاد على
 ذلك بقوله (تفصيل) أى تبيين (كل شئ) أى يحتاج اليه من الدين اذ ما من أمر دينى الا وله سند
 من القرآن بوسطا وبغير وسط وقيل المراد تفصيل كل شئ من واقعة يوسف مع آبيه واخوته
 قال الواحدى وعلى التفسيرين جميعا فهو من العام الذى أريد به الخاص كقوله تعالى ورحمى
 وسعت كل شئ أى يجوز أن يدخل فيها وقوله تعالى وأوتيت من كل شئ (وهدى) من الضلال
 (ورحمة) ينال بها خير الدارين (القوم يؤمنون) أى يصدقون خصمهم بالذكر لانهم هم الذين
 اتفقوا به كقوله تعالى هدى للمتقين فسبحان من أنزله معجزا باهرا وقاضيا الحق لا يزال ظاهرا
 ومارواه البيضاءوى تعالى للكشاف من أنه صلى الله عليه وسلم قال علما أرفأهكم سورة يوسف فانه
 أياما سمل تلاحوا وعلما أهلها وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لا
 يحسد أحدا حديث موضوع والله أعلم

﴿سورة الرعدكية﴾

الا ولا يزال الذين كفروا الآية ويقول الذين كفروا لست مرسل الاية أو مدينة الاولات
 قرأنا سيرت به الجبال وهى ثلاث أو أربع أو خمس أو ست وأربعون آية وعدد كلماتها
 ثمانمائة وخمس وخسون كلمة وعدد حروفها ثلاثة آلاف وخمسمائة وسبعة أحرف
 (بسم الله) الحق الذى كل ما عداه باطل (الرحمن) الذى هم الرغبة والرغبة بعموم الرحمة
 (الرحيم) الذى خص من شاء بما يرضاه عظيم الرغبة (المر) قال ابن عباس معناه أنا الله أعلم
 وأرى وقال فى رواية عطاء أنا الله الملك الرحمن وقد تقدم الكلام على شئ من أوائل السور
 فى أول سورة البقرة وقرأ قالون وابن كثير وحفص بالفتح وقرأورش بين بين والباقون بالامالة
 (تلك) أى هذه الآيات (آيات الكتاب) أى القرآن والاضافة بمعنى من وقيل المراد بالكتاب
 السورة الكاملة ووصفت بالكمال من تعريف الكتاب بأل لأن خبر المبتدأ اذا عرف بالام
 الجفيس أفاد المبالغة وقوله تعالى (والذى أنزل اليك من ربك) أى القرآن مبتدأ وخبره (الحق)
 أى الموضوع كل شئ منه فى موضعه على ما تدعو اليه الحكمة الواضح الذى لا يقض شئ منه

عن مطابقة الواقع من بعث ولاغيره (ولكن أكثر الناس) أي مشركي مكة (لا يؤمنون)
 لاختلافهم بالنظر والتأمل فيه فال مقاتل نزلت في مشركي مكة حين قالوا ان محمد ابقوله من تلقاه
 نفسه فرب الله تعالى عليهم بذلك * والما ذكر تعالى أن أكثر الناس لا يؤمنون ذكر عقبه ما يدل على
 صحة التوحيد والمعاد بأموراً حدها قوله تعالى (الله الذي رفع السموات بغير عمد) أي سوارى جمع
 عمد كادم وأديم وأعماد كاهب واهاب والعمود جسم مستطيل يمنع الارتفاع أن يميل (ترونها)
 أي وأنت ترون السماء مرفوعة بغير عمد من تحتها تسندها ولامن فوقها علاقة تمسكها فالعمد
 منفية بالكلمة قال اباص بن معاوية السماء مضية على الارض مثل القبة ففي ذلك دلالة عظيمة
 على وحدانية الله تعالى لان هذه الاجسام الغريبة بقيت واقفة في الحق العالی وبسبب ان
 يكون بقاؤها هناك لا عيانها لذا انها فهدا برهان باهر على وجود الاله القادر القاهر وقيل الضمير
 راجع الى العمدة أي انها عمد اولكن لا ترونها أنتم ومن قال بهذا القول يقول ان عمدها على
 جبل قاف وهو جبل من زمرد يحيط بالدينا والسماء عليه مثل القبة وهذا قول مجاهد وعكرمة
 قال الرازي وهذا التأويل في غاية السقوط لان السموات لما كانت مستقرت على جبل قاف
 فأى دلالة تبقى فيها على وجود الاله * (تنبه) * الله سبحانه والذى رفع السموات خبيره ويجوز
 أن يكون الموصل صفة والخبر يدير الامر ثانياً بقوله تعالى (ثم استوى على العرش) بالخط
 والتدبير والقهر والقدرة أي ان من فوق العرش الى ما تحت الثرى في حفظه وتدبيره وفي
 الاحتياج اليه وتقدم الكلام على ذلك في سورة الاعراف بما فيه كفاية وثالثها قوله تعالى
 (وجهر) أي ذلل (الشمس والقمر) لمتافع خلقه مقهوران بجران على ما يريد (كل) منهما
 (يجرى) في فلكه (لاجل مسمى) أي الى وقت معلوم وهو وقت فناء الدنيا وزوالها وعند مجي
 ذلك الوقت تقطع هذه الحركات وتبطل تلك التسميرات كما وصف الله تعالى ذلك في قوله
 اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا السماء انشقت واذا السماء انظطرت وعن
 ابن عباس الشمس مائة وثمانون منزلاً كل يوم لها منزل وذلك يتم في ستة أشهر ثم انها تعود مرة
 أخرى الى واحد واحد منها في ستة أشهر مرة أخرى وكذلك القمر له ثمانية وعشرون منزلاً
 فالمراد بقوله تعالى كل يجري لاجل مسمى هذا وتحققه أنه تعالى قدر لكل واحد من تلك
 الكواكب سيرا الى جهة خاصة بقدر اخص من السرعة والبطء وحينئذ يلزم أن يكون لها
 بحسب كل لحظة ولحظة حالة أخرى ما كانت حاصله قبل ذلك * ثم انه تعالى لما ذكر هذه الدلائل
 قال (بديراً الامر) أي يقضى أمر ملكه من اليجاد والاعدام والاحياء والامانة والاعتناء
 والافتقار ويدخل فيه انزال الوحي وبعثه الرسل وتكليف العباد وفي ذلك دليل عجيب على كمال
 القدرة والرحمة وذلك لان هذا العالم المعلوم من اعلاه العرش الى ما تحت الثرى انواع
 وأجناس لا يحيط بها الا الله عز وجل والدليل المذكور يدل على أن اختصاص كل واحد منها
 بوضعه وموضعه وصفته وطبيعته وحليته ليس الا من الله تعالى ومن المعلوم أن من استعمل
 طبيعته وأمره في شأنه فاعاقل اذا تأمل في هذه الآية علم أنه تعالى يدبر عالم

قوله جمع عمد كادم
 وأديم الخ في حاشية
 الجبل والعامه على
 فتح العين والميم وهو
 اسم جمع وعبارة
 بعضهم انه جمع نظرا
 الى المعنى دون
 الصناعة وقسراً
 أبو حية ويحيى بن
 وثاب عمد بضمين
 ومزوده يحتمل أن
 يكون عمادا ككتاب
 وشهب وكاب وكب
 وأن يكون عمودا
 كرسول ورسول اه

الاجساد وعالم الارواح ويدبر الكبير كما يدبر الصغير فلا يشغله شأن عن شأن ولا يمنعه تدبير عن
 تدبير وذلك يدل على أنه تعالى متعال في ذاته وصفاته وعلمه وقدرته عن مشابهة المحدثات
 والممكنات * ولما كان هذا ينافيا للبرس فيه قال تعالى (يقصّل) أي يبين (الآيات) التي
 برزت الى الوجود وتدبرها الدالة على وحدانيته وكمال حكمته المشتملة عليها بمبدءاته فيفرقها
 ويبين بينها مبانيسة للبرس فيها تقرينا العقول لكم وتدرييا فهو مكم لتعلموا أنهم فاعل الواحد
 المختار * ولما كان هذا التدبير وهذا التفصيل دالا على تمام القدرة وغاية الحكمة وكان
 البعث لفصل القضاء والحكم بالعدل واظهار العظمة هو محط الحكمة على ذلك بقوله (لعلكم)
 يا اهل مكة (تلقوا ربكم) بالبعث (توقنون) فتعلموا أن من قدر على خلق هذه الاشياء
 وتدبرها على عظمتها وكبرتها قادر على ايجاد الانسان واحيائه بعد موته برؤى أن واحدا
 قال لعلني بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه انه تعالى كيف يحاسب الخلق دفعة واحدة فقال
 كما يرزقهم الآن دفعة واحدة وكما يسبح نداهم ويحيب دعاءهم الآن دفعة واحدة وحاصل
 الكلام أنه تعالى كما قدر على ابقاء الاجرام الفلكية والنيرات الكوكبية في الجوز العالى لا يهد
 أن يرد الارواح الى الاجساد وان كان الخلق عاجزين عنه وكما يمكنه أن يدبر من فوق العرش
 الى ما تحت الثرى لا يشغله شأن عن شأن فكذلك يحاسب الخلق بحيث لا يشغله شأن عن شأن
 * (تنبه) * اليقين صفة من صفات العلم وهي فوق المعرفة والدراية وهي سكون الفهم مع
 ثبات الحكم وزوال الشك * ولما ذكر تعالى الدلائل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته من رفع
 السماء بغير عمد وأحوال الشمس والقمر اورد فيها بذكر الدلائل الارضية بقوله تعالى (وهو الذي
 مدّ الارض) أي بسطها طولاً وعرضاً تثبت عليها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان ولو شاء
 لجعلها كالجدار والازج لا يستطاع القرار عليها هذا اذا قلنا ان الارض مسطحة لا ككرة وعند
 أصحاب الهيئة أنهم ككرة فكيف يقولون بذلك ومدّ الارض ينافي كونها ككرة كما ثبت بالدليل
 (أجيب) بأن الارض جسم عظيم والككرة اذا كانت في غاية الكبر كان كل قطعة منها تشهد
 كالسطح كما أن الله تعالى جعل الجبال أو تادامع أن العالم من الناس يستقرّون عليها فكذلك
 ههنا ومع هذا قاله تعالى قد أخبر أنه مدّ الارض وحدها وبسطها وكل ذلك يدل على
 التسطّيح والله تعالى أصدق قديلا وأبين دليلا من أصحاب الهيئة هذا هو الدليل الاوّل من
 الدلائل الارضية الثاني منها قوله (وجعل) أي وخلق (فيها) أي الارض (رواسي) أي جبالا
 ثوابت واحدا فاراسية أي ثابتة باقية في حيزها غير منتقلة عن مكانها لا تتحرك ولا يتحرك ما هي
 راسية فيه وهذا الابتدوان يكون بتخليق القاد والحكيم قال ابن عباس أول جبل وضع على
 وجه الارض جبل أبي قبيس ولما غاب على الجبال وصفها بالرواسي صارت الصخرة تفتق عن
 الحروف فجمعت جمع الاسم كحائط وكأله قاله أبو حيان الثالث منها قوله تعالى (وأنازلنا)
 أي وجعل في الارض أنهارا جارية لمنافع الخلق والنهر الجرى الواسع من مجارى الماء وأصله
 الاتساع ومنه النهر والاتساع ضيائه الرابع منها قوله تعالى (ومن كل الفرات) وهو متعلق

بقوله تعالى (جعل فيها) أى الارض (زوجين اثنين) أى جعل فيهما من جميع أنواع
 الثمار صنفين اثنين والاختلاف اتمام من حيث الطم كالحلو والحامض أو اللون كالاسود
 والابيض أو الحجم كالصغير والكبير والطبيعة كالحار والبارد (فان قيل) الزوجان لا بد وأن
 يكونا اثنين في الفائدة في اثنين (أجيب) بأنه قيل انه تعالى أول ما خلق العالم وخلق فيه
 الاشجار خلق من كل نوع من الانواع اثنين فقط فلو قال - لخلق زوجين لم يعلم أن المراد النوع
 أو الشخص فلما قال اثنين علم أنه تعالى أول ما خلق من كل زوجين اثنين لأقل ولا يزيد فسكان
 الناس وان كان فيهم الآن كثرة فابتدأهم من زوجين اثنين بالشخص آدم وحواء فكذا
 القول في جميع الاشجار والزرع الخالص منها قوله تعالى (يقضى) أى يطفى (الليل) بظلمته
 (النهار) أى والنهار الليل بنوثة فيعتدل فعلهما على ما قدره الله تعالى لهما في السير من
 الزيادة والنقصان وذلك من الحكم النافعة في الدين والدنيا الظاهرة لكل ذى عقل انما تدبيره
 بفعله واختياره وقهره واقتداره وقر أشعة وسحرة والكسافى بفتح الغين وتشديد الشين
 والباقون يسكون الغين وتخفيف الشين * ولما ذكر تعالى هذه الدلائل النيرة والقواطع القاهرة
 جمعها وناطها بالفكر فقال تعالى (ان في ذلك) أى الذى وقع التحدث عنه من الآيات
 (آيات) أى دلالات (اقوم يفكرون) أى يبتدون في الفكر فيستدلون بالصنعة على
 الصانع وبالسبب على المسبب والتفكير والتدبر تصرف القلب في طلب معانى الاشياء ثم انه
 تعالى ذكر دليله لاظهار حجة بقوله تعالى (وفي الارض) أى التى أنتم مكانها تشاهدون
 ما فيها مشاهدة لتقبل الشك (قطع) أى بقاع مختلفة (متجاورات) أى متقاربات يقرب
 بعضها من بعض واحدة طيبة والاخرى سجة لا تنبت واخرى صالحة للزرع وللشجر واخرى
 بالعكس واخرى قليلة الربيع واخرى كثيرة مع انتظام الكل في الارضية وهو من دلائل قدرته
 تعالى (وجنات) أى بساكن فيها أنواع الاشجار من نخيل وأعاب وغير ذلك كما قال تعالى (من
 أعناب وزرع ونخيل صنوان) جمع صنو وهي التخلات يجدها أصل واحد وتشعب فروعها
 ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فى عمه العباس عم الرجل صنو أى به يعنى أنهم من أصل واحد
 (وعن صنوان) أى متفرقات محتانة الاصول وسمى البستان جنة لانه يستربأ بشجاره الارض
 وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحض رفيع العين واللام والنون الثانية من صنوان والراء من
 غير مع التنوين فى العين واللام والنون وعدم التنوين فى الراء والباقون بالخفض فى الاربعة
 وعدم التنوين فى الراء * ولما كان الماء بمنزلة الاب والارض بمنزلة الام وكان الاختلاف
 مع اتحاد الاب والام أعجب وأدل على الاسناد الى الواحد المسبب لالى شئ من الاسباب قال
 (تسقى) قراءة ابن عامر وعاصم بالياء على التسذ كبرى أى المذكور وقراءة الباقيين بالتاء على
 التأنيث أى الجنات وما فيها (بما واحد) قفخرج أغصانها وثمراتها فى وقت معلوم لا تاتخر
 عنه ولا تتقدم والماء جسم رقيق مانع به حياة كل نام وقيل فى حذبه جوهر سيمال به قوام
 الارواح (وتفضل بعضها على بعض فى الاصل) أى فى الطم ما بين حلو وحامض وغير ذلك

وفي الشكل والرائحة والمنفعة وغير ذلك وذلك ايضا ما يدل على النادر والحكيم فان اختلافها
 مع اتحاد الاصول والاسباب لا يكون الا بقصص قادر يختار قال مجاهد وذلك كمثل بني آدم
 صالحهم وخبيثهم وابوهم واحد وقال الحسن هذا مثل ضربه الله تعالى لقلوب بني آدم وكانت
 الارض طينة واحدة في يدى في قدرة الرحمن فسطحها فصارت قطعاً باورات فينزل عليها
 المامن السماء فتخرج هذه زهرتها وشجرها وثمرها ونباتها وتخرج هذه سبخها ولطها وخبيثها
 وكل بسقي عمار واحد وكذلك الناس خلقوا من آدم فينزل عليهم من السماء تذكرة فترق قلوب
 قوم فتضع وتضع وتفسد قلوب قوم فتلهو ولا تسمع وقال الحسن والله ما جالس القرآن
 أحد الا قام من عنده بزيادة أو نقصان قال تعالى وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين
 ولا يزيد الظالمين الا خساراً وقرأ حمزة والكسائي بالياء ليطابق قوله تعالى يدبر الامر والباقون
 ياتون وقرأ نافع وابن كثير بسكون الكاف والباقون بالرفع (آن في ذلك) أى الامر العظيم
 الذى ذكرناه (لايات) أى دلالات (لقوم يعقلون) أى يستعملون عقولهم بالتدبر
 والتفكير في الايات الدالة على وحدانيته تعالى * ولما ذكر تعالى الدلائل القاهرة الدالة على
 معرفة المبدأ ذكر بعده ما يدل على المعاد بقوله تعالى (وان تعجب) أى بأى كرم الخلق من تكذيب
 الكفار لك بعد ان كنت تعرف عندهم بالصادق الامين (فتعجب) أى لحقيق أن يتعجب منه
 (قولهم) أى منكرى البعث (أئذا كاتراباً) أى بعد الموت (أئنا نخلق جديداً) أى
 خلق بعد الموت كما كآقبله ولم يعلموا أن القادر على انشاء الخلق وما تقدم على غير مثال قادر على
 اعادةهم (وقيل) وان تعجب من اتخاذ المشركين ما لا يضرهم ولا ينفعهم أهة يعبدونها
 مع اقرارهم بأن الله تعالى خلق السموات والارض وهو بضرير يرفع وقدره اوقادرة الله تعالى
 وما ضرب لهم به الامثال فتعجب قولهم ذلك والعجب تغير النفس برؤية المستبعد في العادة وقال
 المتكلمون العجب هو الذى لا يعرف سببه وذلك في حق الله تعالى محال لانه تعالى على اعلام الغيوب
 لا تخفى عليه خافية وقرأ أبو عمرو وخلاد والكسائي بادغام الباء في الفاء والباقون بالظهار
 * (تنبيه) هنا آيات في كل منهما همزتان نقرأ قالون بفتح الهمزة الاولى وتسهيل الثانية
 ويدخل بينهما الفاعلى الاستفهام وفي الآية الثانية همزة مكسورة وبعدها نون مشددة على الخبر
 وورش كذلك الا انه لا يدخل بين الهمزتين في أئذا الفاء ينقل في الثاني على أصله وابن كثير
 يقرأ بالاستفهام فيهما من غير ادخال ألف بين الهمزتين مع تحنيط الاولى وتسهيل الثانية فيهما
 وأبو عمرو وكذلك مع ادخال ألف بينهما وابن عامر في الاول همزة مكسورة وبعدها نون مشددة
 على الخبر وفي الثاني همزة مفتوحة ومحمقة وهمزة مكسورة ومحمقة على الاستفهام وادخل هشام
 بينهما الفاء بخلاف عنه والباقون همزتين محمقتين الاولى مفتوحة والثانية مكسورة ولا ألف
 بينهما في الموضوعين * (فائدة) * جميع ما في القرآن من ذلك أحد عشر موضعا في تسع سور
 والاحد عشر مكررة قصيرا اثنين وعشرين في هذه السورة موضع والثاني والثالث في سورة
 الاسراء والرابع في المؤمنون والخامس في النمل والسادس في المنكبوت والسابع في السجدة

والثامن والتاسع في الصلوات والعاشر في الواقعة والحادي عشر في المنزعات وأما ذكر ان شاء الله تعالى في كل سورة من السور المذكورة فمذهبهم في محله (أو لئلك) أي الذين جمعوا أنواعا من البعد من كل خير (الدين كفر واربهم) أي غطوا ما يجب اظهاره بسبب الاستماتة بالذي بدأ خلقهم ثم برباهم بأنواع اللطف فإذا أنكروا معادهم فقد أنكروا رباهم (أو لئلك) للبعثاء البغاة (الاعلال) يوم القيامة (في أعناقهم) بسبب كفرهم والغل طوق من حديد تقيد به اليد في العنق رقيق المراد بالاعلال ذلهم وانقيادهم يوم القيامة كما يقاد الاسير بالذليل بالئيل وقيل انهم مقيدون بالضلال لا يرجي فلاحهم (وأولئك) أي الذين لا يخساره أعظم من خسارتهم (أصحاب النار هم فيها خالدون) أي ثابت خلودهم دائما لا ينجرون منها ولا يموتون حولها كان صلى الله عليه وسلم يوم تارة بعد ذاب يوم القيامة وتارة بعد ذاب الدنيا والقوم كما تارة بعد ذاب يوم القيامة أنكروا القيامة والبعث والحشر والنشر وهو الذي تقدم ذكره في الآية الاولى وكلما تدهم بعد ذاب الدنيا قالوا له نحن نأبى هذا العذاب وطلدوا منه اظهاره وانزاله على سبيل الطعن واظهار ان الذي يقوله كلام لا أصل له نزل (ويستجيبونك) أي استهزاء وتكديسا والاستجبال طلب التجميل وهو تقديم الشيء قبل وقته الذي يقدره (بالسنة) أي العذاب قبل الحسنه) أي الرحمة وذلك أن مشركي مكة كانوا يقولون اللهم ان كان هذا هو الحق من عندنا فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم * (تنبيه) * قوله قبل الحسنه فيه وجهان أحدهما متعلق بالاستجبال نظرفاله والثاني أنه متعلق بمخذوف على أنه حال مقدرة من السبيته قاله أبو البقاء (وقد) أي والحال أنه قد (خلت من قبلهم الملائك) جمع مثله بفتح الميم وضم المثلثة كصدقة وصدقات أي عقوبات أمثالهم من المكذبين أفلا يعقرون بها (وأنزلناهم للمغفرة للناس على ظلمهم) واللام يترك على ظهرها دابة كما قال تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما تركوا على ظهرها من دابة ولحال ابن عباس معناه لذو تجار وزعم المشركين اذا آمنوا (وأنزلنا لشديد العقاب) للمصريين على النمرک الذين ماتوا عليه وقال مقاتل انه لذو تجار وزعم شركهم في تأخير العذاب عنهم وشديد العقاب اذا عاقب * ولما بين سبحانه وتعالى أن الكفار طعنوا في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم بسبب طعنهم في الحشر والنشر أو لا ثم طعنوا في نبوته بسبب طعنهم في همة ما يبدؤهم به من نزول عذاب الاستماتة نائبا ثم طعنوا في نبوته بأن طلبوا منه الهجرة والبيعة ثلثا وهو المذکور في قوله تعالى (ويقول الذين كفروا لولا أنزلناهم على هلا (أنزلناهم) أي محمد صلى الله عليه وسلم (آية من ربه) أي محمد صلى الله عليه وسلم وانه صالح وذلك لانهم أنكروا كون القرآن من جنس المجهزات وقالوا هذا كتاب مثل سائر الكتب وايمان الانسان بضعيف معين وكل بضعيف لا يكون مجهزا مثل مجهزات موسى وهيسى عليهما السلام وكان نبيا صلى الله عليه وسلم راغبا في اجابة مقترحاتهم لثمة التفاته الى ايمانهم قال الله تعالى له (انما أنت منذر) أي ليس عليك الا الانذار والتصريف وليس عليك الايمان الآيات (ولكل قوم هاد) أي نبى يدهوهم الى ربهم على عظيم من الآيات لا بما يقتضون

وقرأ ابن كثير في الوقف بيا بعد الدال وفي الوصل بغير ياء وتنوين الدال والباقون بغير ياء في
 الوقف والوصل مع تنوين الدال * ولما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات أن أجبرهم أيقه
 تعالى عن عظيم قدرته وكمال علمه بقوله تعالى (الله يعلم ما تحمل كل أنثى) من ذكر وغيره وواحد
 ومتعدد وغير ذلك (وما تفيض) أي تنقص (الارحام) من مدة الحمل (وما تزداد) أي من مدة الحمل
 فقد تكون سبعة أشهر وأزيد عليها إلى سنتين عند الامام أبي حنيفة وإلى أربع عند الامام الشافعي
 وإلى خمس عند الامام مالك رضي الله تعالى عنهم وقيل إن النضال ولد سنتين وهرم بن
 حبان بن بطن أمه أربع سنين ولذلك سمي هرما وقيل ما تنقصه الرحم من الاولاد وتزبده
 منهم يروى أن شرب بك كان رابع أربعة في بطن أمه وقيل من نقصان الولد فيجوز
 ناقصا والزيادة تمام خلقه وقيل ما تنقص بالسقط عن ان يتم وما يزداد بالتام وقيل ما تنقص
 بظهور دم الحيض وذلك انه إذا سال الدم في وقت الحمل ضعف الولد ونقص بقدر حصول
 ذلك قال ابن عباس كلما سال الحيض في وقت الحمل وما زاد في مدة الحمل يوما يحصل الجنين
 ويعتدل الامر والآن يتحمل جميع ذلك الا لثاني في هذه الاقوال ويدل لذلك قوله تعالى
 (وكل شيء) من هذا وغيره من الآيات المقترحات وغيرها (عنده) أي في علمه وقدرته (بمقدار)
 في كفيته ويكفيه لا يجاوز ولا يقصر عنه لانه تعالى عالم بكيفية كل شيء ويكفيه على الوجه
 المفصل المبين * (تنبيه) * قوله تعالى هذه يجوز أن يكون مجرورا لمحل صفة لشيء أو مفعول
 صفة لكل أو منصوبه ظرفا لقوله بهقدار أو ظرفا للاسـتقرار الذي تعلق به الجار لوقوعه خبرا
 (علم الغيب) وهو ما غاب عن كل مخلوق (والشهادة) وهو ما شاهدوه وقيل الغيب هو
 المعدم والشهادة هو الموجود وقيل الغيب ما غاب عن الحس والشهادة ما حضر في الحس
 (الكبيرة) أي العظم (المتعال) عن خلقه بالقهر المنزه عن صفات النقص فهو تعالى موصوف
 بالعلم الكامل والقدره التامة وقرأ ابن كثير في الوقف والوصل بيا بعد اللام في الباقيات بغير
 ياء ونقفا ووصلا ولما كان علمه تعالى شاملا لجميع الاشياء قال تعالى (سوره منيكم) أي في علمه
 تعالى (من أسر القول) أي أخفى معناه في نفسه (ومن جهره) أي أظهره فقد استوى
 في علمه تعالى السر بالقول والجاهر به (ومن هو مستخف) أي مستتر (بالليل) أي بظلامه
 (ويصاف) أي ظاهر فيها به في سره (بالتنهار) والسر بفتح السين يسكون الراء الطرقي
 وقال ابن عباس سواء ما أظهره للقلوب وأظهره اللسان وقال مجاهد سواء من يقضم على
 القبائح في ظلمات الليل ومن يأتى في النهار انظاه على سبيل التوارى والضمير في (له) يعود
 الى من في قوله هو امنكم من أسر القول ومن جهره ومن هو مستخف بالليل أو اللذان
 (مقببات) أي ملائكة تعقبه والذي عليه الجمهور ان المراد بالملائكة الحفظة وانما يصح
 يصحبون أعمال العباد ويتخونهم بالحفظ والكتب وكل من عمل عملا ثم عاد له فقد تعقب
 فعل هذا المراد من المقببات ملائكة الليل والنهار يروى عن عثمان انه قال يا رسول الله اخبرني

عن العبدكم معه من ملك فقال صلى الله عليه وسلم لك عن عبيك الحسنات وهو أمر على الذي
 على الشغال فاذا عملت حسنة كتبت عشرها واذا عملت سيئة قال الذي على الشمال اصحاب
 اليمين اكتب قال لاله ان توب أو يستغفر فيستأذنه ثلاث مرات فاذا قال ثلاثا قال اكتب
 أراحنا الله منه فمس القرين ما أقل مر اقبته لله واستصياها مناهم وقوله تعالى له معقبات (من
 بين يديه) أي قدامه (ومن - لفته) أي ورائه وملك قابض على ناصيتك فاذا نواضعت لربك
 وفعلت وان تجبرت فعملك وملكك لي شفيعك يحفظان عليك الصلاة وملك على فمك لا يدع أن
 تدخل الحية في فمك وملكك على عبيك فهذه عنزة ملائكة على كل آدمي ملائكة بالليل وملائكة
 بالنهار هم عنزرون ملائكة على كل آدمي وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بانهار ويجتهدون في صلاة العجبر
 وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم الله تعالى وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادي
 فيقولون تركناهم وهم يصلون وقال مجاهد ما من عبد الا وله ملك موكل يحفظه من الجن
 والانس والهوام في نومه ويقظته (فان قيل) الملائكة ذكور فلماذا ذكروا في جمع الاناث وهو
 المعقبات (أجيب) بجوابين الاول قال الفراء المعقبات ملائكة تعقبه واحدها معقب
 ثم جمعت معقبه معقبات كما قيل ابناءت وربالات جمع ابناء وربال والذي على التسديد كبير
 قوله تعالى (يحفظونه) والثاني وهو قول الاخفش انما أنت لكثرة ذلك منها نحو نسيابة
 وعلامة وهو ذكر واختلاف في المراد من قوله تعالى (من أمر الله) على أقوال أحدها انه
 على التقديم والتأخير والتقدير له معقبات من أمر الله يحفظونه ثانياً ان فيه اخباراً أي ذلك
 الحفظ من أمر الله أي مما أمر الله تعالى به فحذف الاسم وأبقى خبره وثالثه ان كلمة من معناها
 الباء والتقدير يحفظونه بأمر الله وبعائته وقال كعب الاحبار لولا ان الله تعالى وكل بكم
 ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم ومشر بكم وعوراتكم انحطفتكم الجن وقال ابن جرير
 معنى يحفظونه أي يحفظون عليه الحسنات والسيئات (فان قيل) ما الفائدة في تخصيص هؤلاء
 الملائكة مع بني آدم وتسلطهم عليهم (أجيب) بأن الانسان اذا عمل أن الملائكة تخصي عليه
 أعماله كان الى الخذل من المعاصي أقرب لان من اعتقد جلاله الملائكة وعلموا مراتبهم فاذا
 حاول الاقدام على معصية واعتقد أنهم يشاهدونها زجره الحياء منهم عن الاقدام اليها كما زجره
 اذا حضر من يعظمه من البشر واذا علم أن الملائكة تخصي عليه تلك الاعمال كان ذلك أيضا
 ردعاً عنها واذا علم أن الملائكة يكتبونها كان الردع أكمل ولما دل ذلك على غاية القدرة
 والعظمة قال تعالى (أن الله) مع قدرته (لا يغير ما قوم) أي لا يسلبهم نعمته (حتى يغيروا) أي
 الذي (بأنفسهم) من الاحوال الجيلة الى الاحوال القبيحة (راداً) أراد الله بقوم (سوا) أي
 هلاكاً وعذاباً (فلا مردة) أي لا يقدر احد لا من المعقبات ولا من غيرها أن يرد ما نزل بهم
 من قضائه وقدره (وما لهم) أي ان أراد الله بهم سوا (من دونه) أي غير الله (من وال)
 يلي أمرهم وينصرهم ويمنع العذاب عنهم. وقرأ ابن كثير في الوقت باثبات الياء بعد اللام دون

الوصل والباقرن بغيا بعد اللام وتقا وورصلا * ولما خوف الله تعالى بقوله وإذا أراد أياته يقوم
 سوا أتبعه بذكر آيات تشبه النجم والاحسان من بعض الوجوه وتشبه العذاب والقهر من بعض
 الوجوه بقوله تعالى (هو الذي يرثكم البرق خوفا) أي للمساقرين من الصواعق (وطمعا) أي
 للمقيم في المطر وقيل أن كل شيء يحصل في الدنيا يحتمل الخير والشر فهو خير بالنسبة إلى
 قوم وشر بالنسبة إلى آخرين فكذلك المطر خير في حق من يحتاج إليه في أوانه وشر في حق من
 يضره ذلك أما بحسب المكان وأما بحسب الزمان والبرق معروف وهو لعنان يظهر من بين
 السحاب (وينشئ) أي يخلق (السحاب الثمال) أي بالمطر * (تنبيه) * خوفا وطمعا ما صدران
 ناصهما محذوف أي تخافون خوفا وتطمعون طمعا ويجوز نيز لك والسحاب قال علي بن أبي
 طالب رضي الله تعالى عنه غزال الماء وهو غيم ينسحب في السماء وهو اسم جنس جمع واحد
 صحابة وأكثر المفسرين على أن الرعد في قوله تعالى (ويسبح الرعد بحمده) على أنه اسم للملك
 الذي يسوق السحاب والصوت المسموع منه تسميحه ولا يرذلك عطف الملائكة عليه في قوله
 تعالى (والملائكة) أي تسمعه (من خيفته) أي الله لأنه أفرد بالذكر تشریفه قاله كافي في قوله تعالى
 وملائكته ورسوله وجبريل وميكال قال ابن عباس أقبلت يهود على النبي صلى الله عليه وسلم
 فقالوا أخبرنا عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار
 يسوق بها السحاب قال ابن الأثير والمخاريق جمع مخراق وهو في الأصل ثوب يلف ويضرب به
 الصبيان بعضهم بعضا وهي آلة تزجر بها الملائكة السحاب وتسوقه وقد جاء تنفسيرا المخراق
 في حديث آخر وهو سوط من نور تزجر به الملائكة السحاب وعن ابن عباس أنه قال من سمع
 صوت الرعد فقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير
 فإن أصابته صاعقة فعلى دينه وعن عبد الله بن الزبير أنه كان إذا سمع صوت الرعد ترك الحديث
 وقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وفي بعض الاخبار يقول الله تعالى
 لو أن عبادي أطاعوا نواحيي لاسقطتهم المطر بالليل وأطاعت الشمس عليهم بالنهار ولم أسمعهم صوت
 الرعد وفي رواية عن ابن عباس الرعد ملك موكل بالسحاب يسوقه حيث يئمر وأنه يحوز
 الماء في نفرة إبهامه وأنه يسبح الله تعالى إذا سبح لا يبقى ملك في السماء إلا رفع صوته بالتسبيح
 فعند ما ينزل المطر وعن الحسن أن الرعد خلق من خلق الله ليس يملك وقد اختلفت الروايات
 في ذلك ففي بعضها أنه ملك وكل بالسحاب وفي بعضها أنه ملك ينفق بالغيث كما ينفق الراعي
 بغنمه وفي بعضها أنه ملك يسوق السحاب بالتسبيح كما يسوق الحادى الأبل بجدائه وفي بعضها
 أنه ملك سمي به وهو الذي تسمعون صوته وقد وردت الإشارة إلى ذلك في البقرة وقيل هؤلاء
 الملائكة أعوان الرعد جعل الله تعالى له أعوانا فهم خائفون خاضعون طائعون وقيل المراد
 بهم جميع الملائكة وأستظهره قوله تعالى (ويرسل الصواعق) جمع صاعقة وهي الهذاب
 المهلك تنزل من البرق فخرق من نصيبه (فيصيب به لمن يشاء) فهلكه (وهم يجادلون في الله)
 حيث يكذبون ويسؤل الله صلى الله عليه وسلم والتكذيب التشديد في الخصومة وروى أن عامر

ابن الطقبيل واريد بن زبيعة أخا لبيد وقد ادى رسول الله صلى الله عليه وسلم قاهدين لقتله
فاخذهم عامر بالمجاهدة ودار اريد بن خلفه ليضربه بالسيف فقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال اللهم اكفهم ما جاشت فأرسل الله تعالى على اريد صاعقة فقتلته ورمى عامر بقعدة فمات
في بيت سلوامة فكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلوامة فمزات وعن الحسن أنه قال
كان رجل من طواغيت العرب بعث اليه النبي صلى الله عليه وسلم فمرا يدعونه الى الله تعالى
ورسوله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اخبروني عن رب محمد هذا الذي تدعونني اليه هم هو امن
ذهب أو فضة أو حديد أو نحاس فاستعظم القوم مقالته فانصرفوا الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا يا رسول الله ما رأينا رجلاً أكفر قلباً ولا أعتى على الله منه فقال صلى الله عليه وسلم
ارجعوا اليه فرجعوا اليه فجعل لا يزيدهم على مقالته الاولى وقال أجب محمد الى رب لا آراء
ولا أعرفه فانصرفوا وقالوا يا رسول الله ما زادنا على مقالته الاولى وأخبت فقال ارجعوا اليه
فرجعوا فينجاهم عنده ينازعونه ويدعونوه وهو يقول هذه المقالة اذا ارتفعت صحابة فكانت
فوق رؤسهم فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فأحرق الكافر وهم جلوس فجأوا يسعون للخبروا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبلهم قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
احترق صاحبكم فقالوا من أين علمت فقالوا أوحى الله تعالى الى النبي صلى الله عليه وسلم ويرسل
الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله (وهو شديد الحال) واختلف المقسرون في
قوله تعالى وهو شديد الحال فقال على رضى الله عنه شديد الأخذ وقال ابن عباس شديد الحول
وقال مجاهد شديد القوة وقال أبو عبيدة شديد القوة والمغالبة واختلف في قوله تعالى (له) أى
الله (دعوة الحق) فقال على دعوة الحق التوحيد وقال ابن عباس شهادة أن لا اله الا الله وقال
الحسن الحق هو الله تعالى وكل دعاء اليه دعوة الحق (والذين يدعون) أى وهم الكفار (من
دونه) أى غير الله وهى الاصنام (لا يستجيبون) أى الاصنام (لهم) أى الكفار (يشئ) مما
يطلبونه من نفع أو دفع ضرر (الا أى الاستجابة) (بسط) أى كاستجابة باسط (كفه الى الماء)
أى على شفير البئر يدعوه ولا يبلغ فاه) أى يرتفعه من البئر اليه (وما هو) أى الماء (ببلاغه) أى
فاه أبداً لانه جمد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته فكذلك ما هم مستجيبين لهم أبداً لان
اصنامهم كذلك وقيل شبهوا في قلة فائدة دعائهم لا ألهمهم عن أراد أن يعرف الماء بيديه ليشربه
فبسط كفه ناشر أصابعها ولم يصل كذاه الى ذلك الماء ولم يبلغ مطلوبه من مشربه ثم انه
تعالى عم في أنه لا يستجاب لهم بقوله تعالى (ومادعاء الكافرين الا فى ضلال) أى ضياع لان منفعة
فيه لانهم ان دعوا الله ليجبهم وان دعوا ألهمهم لم تستطع اجابتهم وقيل المراد بالدعاء فى الحالين
العبادة وقوله تعالى (ولله يستجيبون فى السموات والارض) يحتمل أن يراد به السجود على حقيقته
وهو وضع الجبهة وعلى هذا فيكون قوله تعالى (طوعاً) للملائكة والمؤمنين من النقلين حالتي
الشدّة والرخاء وقوله تعالى (وكرهاً) للكافرين والمنافقين الذين أكرهوا على السجود بالسيف
وأن يراد به التعظيم والاعتراف بالعبودية فنكل من السموات والارض معترف بعبودية الله

تعالى كما قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وأن يراد به الانتقاد والخضوع وترك
 الامتناع وكل من في السموات والارض ساجد لله بهذا المعنى لان قدرته ومشيئته نافذة
 في الكل * (تنبيه) * قوله تعالى طوعا وكرها اتمامه قول من أجله واما حال أى طائعين وكارهين
 واختلف في تفسير قوله تعالى (وظلالهم بالغدقر) أى البكر (والاصال) أى العشايا أى تسجد
 فقال أكثر المفسرين كل شخص سواء كان مؤمناً أو كافراً فان ظله يسجد لله قال مجاهد
 ظل المؤمن يسجد لله تعالى وهو طائع وظل الكافر يسجد لله تعالى وهو كاره وقال الزجاج جاء
 في التفسير ان الكافر يسجد لغير الله وظله يسجد لله قال ابن الانبارى ولا يبعد أن يخلق الله
 تعالى في الظلال عقولاً وأفهاماً تسجد به الله وتخشع وقيل المراد من عبود الظلال ميلها من
 جانب الى جانب وطولها بسبب انحطاط الشمس وقصرها بسبب ارتفاع الشمس وهى منقادة
 مسلسلة في طولها وقصرها وميلها من جانب الى جانب وانما خص الغدقر والاصال بالذكر
 لان الظلال انما تعظم وتكثر في هذين الوقتين * (تنبيه) * الغدو جمع غداة كقنى وقناة
 والاصال جمع الاصل والاصل جمع اصيل وهو ما بين العصر الى غروب الشمس * ولما بين تعالى
 ان كل من في السموات والارض ساجد لله تعالى عدل الى الرد على عباد الاصنام بقوله تعالى
 (قل) يا أشرف الخلق على الله تعالى اقومك (من رب السموات والارض) أى من ما انكهما
 وما فيهما وما مدبرهما وخالقهما (قل الله) أى أجب عنهم بذلك ان لم يقولوه ولا جواب لهم غيره
 ولانه البين الذى لا يمكن المراة فيه ولقنهم الجواب به وروى أنه لما قال للمشركين ذلك عطقوا
 عليه وقالوا أجب أنت فأمره الله تعالى فأجاب بذلك ثم أزمهم الحجية على عبادتهم الاصنام بقوله
 تعالى (قل) لهم (أفأخذتم من دونه) أى غير الله (أولياء) أى أصناما تاعبدونها (لا يملكون
 لانفسهم نفعاً) يجلبونه (ولاضرراً) يدفعونه فكذب يملكون لكم ذلك وقرأ ابن كثير وحفص
 باظهار الذال في أخذتم عند التاء والباقون بالادغام ثم ضرب الله تعالى مثلاً للمشركين الذين
 يعبدون الاصنام والمؤمنين الذين يعبدون الله فقال تعالى (قل هل يستوى الاعمى والبصير)
 قال ابن عباس يعنى المشرك والمؤمن وانما مثل الكافر بالاعمى لانه لا يهتدى سبيلاً فكذلك
 الكافر لا يهتدى سبيلاً * ثم ضرب الله مثلاً للايمان والكفر بقوله تعالى (أم هل تستوى
 الظلمات) أى الكفر (والنور) أى الايمان الجواب لا وقرأ شعبة وحزرة والكسافى يستوى
 بالياء على التذكير والباقون بالتأنيث وأما اللام من هل هنا فلا تدغم على القراءتين
 (أم جعلوا لله شركاء) والهمزة للانكار وقوله تعالى (خلقوا كخلقهم) صفة شركاء أى خلقوا
 سموات وأرضين ونسما وقرابجا ولبا وجمارا وجمنا وانسا (قتشابه الخلق) أى خلق الشركاء
 بخلق الله (عليهم) من هذا الوجه فلا يدرون ما خلق الله ولا ما خلق آلهم فاعتقدوا استحقات
 عبادتهم بخلقهم وهذا الاستفهام انكار أى ليس الامر كذلك ولا يستحق العبادة الا الخالق
 ولما كان من المعلوم قطعاً ان جوابهم ان الخلق كله لله لزمهم الحجية فقال تعالى (قل) لهؤلاء
 المشركين (الله خالق كل شئ) أى عما يصح أن يكون مخلوقاً فهو من العموم الذى يراد به

الخسوف فلا يدخل في ذلك صفات الله تعالى وإذا كان لا خالق غيره فلا يشاركه في العبادة
 أحد فوجب أن ينفرد بالالهية كما قال تعالى (وهو الواحد) أي الذي لا يجانسه شيء وكل مسواه
 لا يتناول عن مماثل عياله وأين رتبة من عيائل من رتبة من لا مثل له (القهار) الذي كل شيء تحت
 قهره فيدخل تحت قضائه ومشيئته وإرادته ثم ضرب تعالى مثلا للحق والباطل بقوله تعالى (أنزل
 من السماء) أي السحاب أو السماء نفسها (ماء) أي مطرا (فسالت أودية) أي أنها رجعت واد
 وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجاري فيه وتكبرها
 لأن المطر يأتي على تناوب بين البقاع (بقدرها) أي بمقدارها الذي علم الله تعالى أنه نافع غير ضار
 أو بمقداره في الصغر والكبر (فاحتل السيل زبدا رابيا) أي عاليا عليه هو ما على وجهه من
 قدر ونحوه (ومما توفدوا عليه في النار) أي من جواهر الأرض الذهب والفضة والنحاس
 والحديد (ابتغاء) أي طلب (حلبة) أي زينة (أو متاع) أي ينتفع به كالأواني إذا أديت
 وآلات الحرب والحراث والمقصود من هذا بيان منافعتها (زبد مثله) أي مثل زبد السيل وهو
 خبثه الذي ينتقيه الكير ومن لا ابتداء أو لتبعض وقرأ حفص وحزرة والكسائي بالياء
 على الغيبة على أن الضمير للناس واضماره للعلم به والباقيون بالتاء على الخطاب (كذلك) أي مثل
 هذا الضرب العلى الرتب المتبين السبب (يضرب الله) أي الذي له الأمر كله (الحق والباطل)
 أي مثلها فإنه تعالى مثل الحق في أفادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الأودية
 على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع بها أنواع المذافع ويمكث في الأرض بأن يثبت بعضه في منافعه
 ويسلك بعضه في عروق الأرض إلى العميون والفتى والآبار ومثل الباطل في قلبه نفعه وسرعة
 زواله بزبد ما وهو قوله تعالى (فأما الزبد) أي من السيل وما أوقد عليه من الجواهر (فيذهب
 جفاء) قال أبو حيان مضمعا أي متلاشيا لا منفعة فيه ولا بقاء له وقال ابن التبراري ممتقرا
 واتصاه على الحال (وأما ينتفع الناس) من الماء ومن الجواهر الذي هو مثل الحق (فيمكث
 في الأرض) أي يثبت ويبقى لينتفع به أهلها (كذلك) أي مثل ذلك الضرب (يضرب) أي يبين
 (الله) الذي له الإحاطة الكاملة علما وقدرة (الأمثال) فيجعلها في غاية الوضوح وإن كانت
 في غاية العموض قال أهل المعاني هذا مثل ضربه الله تعالى للحق والباطل فالباطل وإن علا على
 الحق في بعض الاوقات والاحوال فإن الله يحققه ويطله ويجعل العاقبة للحق وأهله كالزبد الذي
 يعلو على الماء فيذهب الزبد فيبقى الماء الصافي الذي ينتفع وكذلك الصفوف من هذه الجواهر يبقى
 ويذهب العلو الذي هو الكدر وهو ما ينتقيه الكير مما يذاب من جواهر الأرض كذلك الحق
 والباطل وقيل هذا مثل للمؤمن واعتقاده وارتفاعه باليمان كمثل الماء الصافي الذي ينتفع به
 الناس ومثل الكافر وخبث اعتقاده كمثل الزبد الذي لا ينتفع به البتة * ثم انه تعالى لما ذكر الحق
 والباطل ذكر ما لا اله الا الله ما من الثواب والعقاب فقال تعالى (الذين استجابوا لربهم) أي أجابوه
 إلى ما دعاهم اليه من التوحيد والعدل والنسوة وبعث الاموات وانترام الشرائع الواردة
 على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم (الحسنى) قال ابن عباس وقال أهل المعاني الحسنى

هي المنفعة العظمى في الحسن وهي المنفعة الخالصة عن شوائب المضرة الدائمة الخالصة عن
 الانقطاع المقرونة بالتعظيم والاجلال ولم يذكر تعالى الزيادة ههنا لانه تعالى ذكرها في سورة
 أخرى وهي قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة هذا ما لاهل الحق وأما ما لاهل الباطل
 فهو ما ذكره بقوله جل من قائل (والذين لم يستجيبوا له) وهم الكفرة فلهم أنواع ثلاثة من العذاب
 والعقوبة فالنوع الأول قوله تعالى (لو أن لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لاقتدوا به) أي
 جعلوه فكأنك أنفسهم بغاية جهدهم لأن المحبوب بالذات لكل انسان هو ذاته وكل ما دونه فهو
 انما يحبه لكونه وسيله الى مصالح ذاته فاذا كانت النفس في الضر والالم والتعب وكان مالها
 لما يساوي عالم الاجناس والارواح فانه يرضى بأن يجعله قدا نفسه لأن المحبوب بالعرض لا بد
 وأن يكون قدا لما كان محبوبا بالذات والسكينة في به عائدة الى ما في قوله ما في الارض والنوع
 الثاني من أنواع العذاب الذي أعد الله تعالى لهم ما ذكره بقوله تعالى (أو لئن لم لهم سو
 الحساب) وهو المناقشة فيه وعن النبي بأن بحاسب العبد بذنبه كله لا يغفر منه شيء وانما نوقشوا
 لانهم أحبوا الدنيا وأعرضوا عن المولى فلما ماتوا بقوا محرورين عن معشوقهم الذي هو الدنيا
 وبقوا محرورين من النور بسعادة خدمة المولى والنوع الثالث من عقوباتهم ما ذكره بقوله
 تعالى (وما وآهم) أي مرجعهم (جهنم) وذلك لانهم كانوا غافلين عن الاشتغال بخدمه المولى
 عاشقين للذات الدنيا فاذا ماتوا فارقوا معشوقهم فيمترقون على مفارقتها وليس عندهم شيء آخر
 يجبر هذه المصيبة فلذلك كان مأواهم جهنم * ثم انه تعالى وصف هذا المأوى بقوله عز من قائل
 (ويؤس المهاد) أي الفراش والمخصوص بالذم محذوف أي جهنم * ونزل في حجة وأبي جهل
 وقيل في عمار وأبي جهل (أفمن يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق) أي يؤمن به ولا يعمل بما فيه وهو
 حجة أو عمار يرضى الله تعالى عنهما (كن هو أعمى) أي أعمى البصيرة ولا يؤمن به ولا يعمل بما فيه
 وهو أبو جهل قال ابن الخازن في تفسيره وجل الآية على العموم أولى وان كان السبب خصوصا
 والمعنى لا يستوى من يبصر الحق ويتبعه ومن هو لا يبصر الحق ولا يتبعه وانما شبه الكافر والجاهل
 بالاعمى لان الاعمى لا يهتدى لرشد (انما يتذكر) أي يتعظ (أو لو الالباب) أي أصحاب العقول
 الذين يطلبون من كل صورة معناها وبأخذون من كل قشرة لبابها ويعبرون من ظاهر كل حديث
 الى سره ولبابه (الذين يوفون بعهد الله) أي ما عاقدوه على أنفسهم من الاعتراف بروييته حين
 قالوا بلى أو ما عهد الله تعالى عليهم في كسبه (ولا ينقضون الميثاق) أي ما وافقوه من المواثيق بينهم
 وبين الله تعالى وبينهم وبين العباد فهو تعميم بعد تخصيص (والذين يصلون ما أمر الله به أن
 يوصل) أي من الايمان والرحم وغير ذلك والا كثرون على أنه أراد به صلة الرحم عن أبي
 موسى ان عبد الرحمن بن عوف عاديا بالدرداء فقال عبد الرحمن سمعت رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يقول فيما يحكي عن ربه تعالى أنا الرحمن وهي الرحم شققت لها اسم من اسمي فمن وصلها
 وصلته ومن قطعها قطعته أو قال بته وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم الرحم متعلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطع الله وعن

أي هرة رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يسط له في رزقه وأن
 ينسأ له في أثره فليصل رحمه ومعنى ينسأ يؤخر والمراد به تأخير الاجل وفيه قولان أحدهما وهو
 المشهور أنه يزياد في عمره زيادة حقيقية والثاني يبارك له في عمره فكأنه قد زيد فيه وعن ابن عمرو بن
 العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل
 الذي إذا انقطعت رحمه وصلها وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال تأتي يوم القيامة لها
 السنة ذلقة الرحم تقول أي رب قطعت والامانة تقول أي رب تركت والنعمة تقول أي رب
 كفرت وعن الفضيل بن عياض أن جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من أين أنتم فقالوا من خراسان
 قال اتقوا الله وكونوا من حيث سنتم واعلموا ان العبد لو أحسن كل الاحسان وكان له دجاجة
 فأساء اليها لم يكن من المحسنين (ويخشون ربهم) أي وعيده عموما والخشية خوف يشوبه تعظيم
 (ويخافون سوء الحساب) خصوصا فيما سمون أنفسهم قبل أن يماسبوا (والذين صبروا) أي على
 طاعة الله تعالى وعن معاصيه وفي كل ما يبغي الصبر فيه وقال ابن عباس صبروا على أمر الله
 وقال عطاء على المصائب والنوائب وقيل صبروا عن الشهوات وعن المعاصي ومرجع الكل
 واحدا فان الصبر الحبس وهو تجرع مرارة منع النفس عما تحب عملا ليجوز فعله (انتقام) أي
 طلب (وجه ربهم) أي رضاه لا طلب غيره من جورا وسعة أوريا وألغرض من أغراض الدنيا
 أو نحو ذلك (وأقاموا الصلاة) أي المروضة وقيل مطلق الصلاة فيدخل فيه الفرض والنفل
 (وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) قال الحسن المراد به الزكاة فان لم يتهم بترك الزكاة
 فالاولى أن يؤذيهم سرا وان كان يتهم بتركها فالاولى أن يؤذيهم علانية وقيل المراد بالسر
 صدقة التطوع وبالعلانية الزكاة وقيل المراد بالسر ما يؤديه من الزكاة بنفسه وبالعلانية
 ما يدفعه الى الامام (ويديرون) أي يدفعون (بالحسن السبئة) كالجهل بالحلم والاذى بالصبر
 روى عن ابن عباس قال يدفعون بالصلاح من العمل السيئ من العمل وهو معنى قوله تعالى
 ان الحسنات يذهبن السيئات وقوله صلى الله عليه وسلم اذا عملت سيئة فاعمل بحسنة تحمها
 السر بالسر والعلانية بالعلانية وعن عقبه بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 ان مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل عليه درع ضيق قد خنقه ثم عمل
 حسنة فانفكت حلقة ثم عمل حسنة أخرى فانفكت أخرى حتى يخرج الى الارض وقال ابن
 عباس يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سوء غيرهم وعن الحسن اذا حرموا أعطوا
 واذا اطروا اعفوا واذا اقطعوا واصلوا وعن ابن عمر ليس الواصل من وصل ثم وصل تلك مجازاة لكن
 من قطع ثم وصل وعطف من لم يصله وليس الحلیم من ظلم ثم حلم حتى اذا هجمه قوم احتاج لكن
 الحلیم من قدر ثم عفا وعن ابن كيسان اذا اذنبوا تابوا وقيل اذا ارأوا منكرا أمروا بتغييره
 وروى أن شقيقا البجلي دخل على ابن المبارك مستنكرا فقال له من أين أنت فقال من بلخ فقال
 وهل تعرف شقيقا قال نعم فقال وكف طريقة أصحابه قال اذا منعوا صبروا واذا أعطوا شكروا
 فقال ابن المبارك طريقة كلابنا هكذا فقال شقيق فكيف ينبغي أن يكون الامر فقال الكلامون

هم الذين اذا منعوا اشكروا واذا أعطوا آثروا (أو لئلا) أى العالو الرتبة (لهم عقبى الدار)
 وبينها تعالى بقوله (جنت عدن) أى اقامة لانفسك اهلها يقال عدن بالمكان اذا أقام به ثم
 استأنف بيان تمكنهم به بقوله تعالى (يدخلونها) ولما كانت الدار لا تطيب بدون الاحبة قال
 تعالى عاطفا على الضمير المرفوع (ومن صلح من آباءهم) أى الذين كانوا سببا في إيجادهم فيشمل
 ذلك الآباء والامهات وان علوا (وأزواجهم وذرياتهم) أى الذين تسبوا عنهم والمعنى أنه يلحق
 بهم من صلح من أهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعلما للسنة - م ويتقال ان من أعظم
 موجبات سرورهم أن يجتمعوا فيتمذكروا أحوالهم في الدنيا ثم يشكروا الله تعالى على الخلاص
 منها والقوز بالجنة ولذلك قال الله تعالى في صفة أهل الجنة أنهم يقولون يا ليت قومي يعلمون بما
 غفر لي ربي وجعلني من المكرمين وفي ذلك دليل على أن الدرجة تعلو بالشقاعة وان الموصوفين
 بتلك الصفات يقترن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في أنهم
 والتقسيد بالصلاح دلالة على أن مجرد الانساب لا تنفع وفسر ابن عباس الصلاح بالتصديق فقال
 يريد من صدق بما صدقوا وان لم يعمل مثل أعمالهم قال الرازي قوله وأزواجهم ليس فيه
 ما يدل على التمييز بين زوجة وزوجة ولعل الاولى من مات عنها وماتت عنه وما روى عن سودة
 انها لما هم الرسول صلى الله عليه وسلم بطلاقها قالت دعني يا رسول الله أحشر في جله نسائك
 كالدليل على ما ذكرنا اه وعلى هذا من تزوجت بغيره قيل انها تخبر بينهم ما ثم زاد تعالى في ترغيبهم
 بقوله تعالى (والملائكة يدخلون عليهم) لأن الاكثر من ترداد رسل الملك أعظم في الضخو وأكثر
 في السرور والعز * ولما كان آياتهم من الاماكن المعنادة مع القدرة على غيرها أدل على الادب
 والكرم قال تعالى (من كل باب) قال ابن عباس لهم خيمة من درة مجوفة طولها فرسخ وعرضها
 فرسخ لها ألف باب مصارعها من ذهب يدخلون عليهم من كل باب يقولون لهم (سلام عليكم) أى
 فاضم القول هنالدة الكلام عليه (بما صبرتم) على أمر الله والباء للسببية أى بسبب صبركم
 أو البديهة أى بدل ما احتمتم من مشاق الصبر ومتاعبه (فان قيل) به يتعلق قوله بما صبرتم قال
 الزمخشري محذوف تقديره هذا بما صبرتم وقال البيضاوى متعلق بعلبكم أو محذوف لا بسلام
 فان الخبر فاصل مع أن الزمخشري قال ويجوز أن يتعلق بسلام أى نسلم عليكم ونكرمكم
 بصبركم وهذا أظهر ورد الاقول بأن الممنوع منه انما هو المصدر المؤول بحرف مصدرى وفعل
 والمصدر هناليس كذلك * ولما تم ذلك تسبب عنه قوله تعالى (فقم عقبى الدار) وهى المسكن
 في قرار المهيا بالابنية التى يحتاج اليها والمرافق التى تنتفع بها والعقبى الانتهاء الذى يؤدى اليه
 الابتداء من خيرا وشرا والمخصوص بالمدح محذوف أى عقامكم * ولما ذكر تعالى صفات الشهداء
 وما يترتب عليها من الاحوال الشريفة العالسة أتبعها ذكر أحوال الاشقياء وذكر ما يترتب
 عليها من الاحوال الخزية المكربة وأتبع الوعد بالوعيد والثواب بالعقاب ليكون البيان
 كاملا فقال تعالى (والذين ينقضون عهد الله) أى فيعملون بخلاف موجهه والنقض التفريق
 الذى ينقض تأليف البناء (من بعد ميثاقه) أى الذى أوثقه عليهم من الاقرار والقبول

(ويقطعون ما) أى الذى (أمر الله به أن يوصل) وذلك فى مقابلة قوله من قبل والذين يصلون ما
 أمر الله به أن يوصل فجعل من صفات هؤلاء القطع بالضد من ذلك الوصل والمراد به قطع ما يوجب
 الله تعالى وصله أى لماله من المحاسن الجلية والخفية التى هى عين الصلاح ويدخل فى ذلك وصل
 الرسول صلى الله عليه وسلم بالموا الالة والمعانة ووصل المؤمنين ووصل الأرحام ووصل سائر
 من له حق (ويفسدون) أى يوقعون الفساد (فى الأرض) أى فى أى جزء كان منها بالعلم وتنهيج
 القطن والدعاء الى غير دين الله تعالى (وأولئك) أى البعداء البغضاء (لهم اللعنة) أى الطرد
 والبعد (ولهم سوء الدار) والدار لهم هى جهنم وليس لهم فيها إلا ما يسوء الصائرين إليها * ولما حكم
 تعالى على من نقض عهده فى قبول التوحيد والنبوة بأنهم ملعونون فى الدنيا ومعذبون
 فى الآخرة فكانه قيل لو كانوا أعداء الله تعالى لما فتح الله عليهم أبواب النعم والذات فى الدنيا
 فأجاب الله تعالى بقوله تعالى (الله يبسط الرزق) أى يوسعه (لمن يشاء ويقتدر) أى يضيقه على من
 يشاء سواء فى ذلك الطائع والعاصى ولا تعلق لذلك بالكفر والإيمان فقد يوجد الكافر موسعا
 عليه دون المؤمن ويوجد المؤمن موسعا عليه دون الكافر فالدينادارامتحان * ولما كانت السعة
 مظنة الفرح الأعند من وفقه الله تعالى قال الله تعالى (وفرحوا) أى كفارمكة فرح بطر
 (بالحياة الدنيا) أى بما نالوه فيها الأفرح سرور بفضل الله والعافية عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى
 يستوجبوا نعيم الآخرة (وما الحياة الدنيا) أى بكالها (فى الآخرة) أى فى جنبها (الامتاع) أى
 حقير متلاش يتبعه ويذهب كجمالة الراسكب وهى ما يتجمله من تمرات أو شربة ماء سويق
 أو نحو ذلك (ويقول الذين كفروا) من أهل مكة (لولا) أى هلا (أنزل عليه) أى على هذا الرسول
 (آية) أى علامة بينة (من ربه) أى المحسن إليه كالعصا والدموسى والناقلة لصالح لهم مدى بها
 فنؤمن به * وأمره الله تعالى أن يجيبهم بقوله (قل) أى لهؤلاء المعاندين (إن الله يضل من يشاء)
 اضلاله فلا تغنى عنه الآيات شيئا وأنزلت كل آية (ويهدى) أى يرشد (إليه) أى الى دينه
 (من أناب) أى رجع اليه كأبى بكر الصديق وغيره ممن تبعه من العشرة المشهود لهم بالجنة
 وغيرهم ولو حصلت آية واحدة فلا تستغفوا بطلب الآيات ولكن تضرعوا الى الله تعالى
 فى طلب الهداية وقوله تعالى (الذين آمنوا) بدل من أناب أو خبر مبتدأ محذوف (وتطمئن)
 أى تسكن (قلوبهم بذكر الله) أى أنسابه واعتمادا عليه ورجاء منه أو بذكر رحمة ومغفرته بعد
 القلق والاضطراب من خشيته أو بذكر دلائله الدالة على وجوده أو بالقرآن الذى هو أقوى
 المعجزات وقال ابن عباس يريد إذا سمعوا القرآن خشعت قلوبهم واطمأنت (فان قيل) قد قال
 الله تعالى فى سورة الانفال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والوجل ضد
 الاطمئنان فكيف الجمع بين هاتين الآيتين (أجيب) بأنهم اذا ذكروا العقاب ولم يأمنوا
 أن يقصدوا على المعاصى فهناك يحصل الوجيل واذا ذكروا وعده بالثواب والرحمة سكنت
 قلوبهم الى ذلك وحينئذ حصل الجمع بينهما (ألا بد ذكر الله) أى الذى له الجلال والاكرام لا بد ذكر
 غيره (تطمئن) أى تسكن (القلوب) ويثبت اليقين فيها وقوله تعالى (الذين آمنوا وعملوا

الصالحات) تبيند أخبره (طوبى لهم) واختلف العلماء في تفسير طوبى فقال ابن عباس فرح
 لهم وقرّة عين وقال عكرمة نعمى لهم وقال قتادة حسنى لهم وقال النخعي خير لهم وكرامة وقال
 سعيد بن جبير طوبى اسم الجنة بالحسبية قال الرازى وهذا القول ضعيف لانه ليس في القرآن
 الا العربي لاسما واشتقاق هذا اللفظ من اللغة العربية ظاهر وعن أبي هريرة وأبي الدرداء
 ان طوبى شجرة في الجنة تظل الجنان كلها وقال عبيد بن عمير هي شجرة في جنة عدن أصلها
 في دار النبي صلى الله عليه وسلم وفي كل دار وغرفة غصن منها لم يخلق الله لونا ولا زهرة الا وفيها
 منه الا السواد ولم يخلق الله فاكهة ولا ثمرة الا وفيها منها سبع من أصلها عينان الكافور
 والسلسيل وقال مقاتل وكل ورقة منها تظل أمة عليها ملك يسبح الله تعالى بأنواع التسبيح وعن
 أبي سعيد الخدري أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم ما طوبى قال شجرة في الجنة مسيرة مائة
 سنة ياب أهل الجنة تخرج من أكلها وعن معاوية بن قرة عن أبيه يرفع طوبى شجرة غرسها
 الله تعالى بيده ونفخ فيها من روحه تنبت الحلبي والحللي وان أغصانها ترى من وراء سور الجنة
 وفي رواية عن أبي هريرة انه قال ان في الجنة شجرة يقال لها طوبى يقول الله تعالى لها تفتقي لعبدى
 عما يشاء فتفتقي له عن فرس مسرجة بلجامها وهيئتها كإيشاء وتتفتق له عن راحله برجلها
 وزمامها وهيئتها كإيشاء وقيل طوبى فعلى من الطيب قلبت باؤه واوالضم ما قبلها مصدر
 لطاب كيشرى وزانق ومعنى طوبى لك أصبت خيرا وطيبا (وحسن ما ب) أى حسن المنقلب
 (كذلك) أى مثل ارسال الرسل الذين قدمنا الاشارة اليهم في آخر سورة يوسف وفي غيرها
 (أرسلناك في أمة) أى جماعة كثيرة (قد دخلت من قبلها) أى تقدمتها (أمم) طال اذاهم
 لانبيائهم ومن آمن بهم واستترأؤهم بهم في عدم الاجابة حتى ككأنهم لو اصاب هذا القول
 فليس يبدع ارسال الله اليهم (لتتلق) أى لتقرأ (عليهم) أى على أمتك (الذى أوحينا اليك) من
 القرآن وشرائع الدين (وهم) أى والحال أنهم (يكفرون بالرحمن) أى بالبالغ الرحمة الذى
 وسعت رحمته كل شئ وقال قتادة هذه الآية مدينة نزلت في صلح الحديبية وذلك ان سهل بن
 عمرو لما جاء للصلح واتفقوا على أن يكتبوا كتاب الصلح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلى
 اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهل بن عمرو لا نعرف الرحمن الا صاحب الجمامة يعنى
 مسيلة الكذاب اكتب كما كنت تكتب باسمك اللهم فهذا معنى قوله وهم يكفرون بالرحمن
 أى أنهم يكفرونه ويحسدونه قال البغوى والمعروف ان الآية مكتوبة وسبب نزولها
 ان ابا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الجريد يدعو يا الله يا الرحمن فرجع الى المشركين
 فقال ان محمد يدعو الله ويدعو لها آخر يسمى الرحمن ولا نعرف الرحمن الا الرحمن الجمامة
 فنزلت هذه الآية ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله وادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى
 وروى الضحاك عن ابن عباس أنها نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم
 اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قال الله تعالى (قل) لهم يا محمد ان الرحمن الذى أنكرتم
 معرفته (هو ربى لاله الا هو عليه توكلت) أى اعتمدت عليه في اموري كلها (وابه مناب)

أي مرجعي ومرجعكم روي أن أهل مكة قعدوا في فناء الكعبة فأتاهم النبي صلى الله عليه وسلم وعرض الإسلام عليهم فقال له عبد الله بن أمية الخزومي سير لنا جبال مكة حتى ينضج المكان علينا واجعل لنا فيها أنما رازرع فيها وأحى لنا بعض أمواتنا لنساء لهم أحق ما تقول أم باطل فقد كان عيسى يحيى الموقى وسخر لنا الريح حتى نركبها إلى البلاد فقد كانت الريح مسخرة لسلیمان فليست بأهون على ربك من سلیمان فنزل قوله تعالى (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال) أي نقلت عن أما كتبها (أو وقطعت) أي شقت (به الأرض) من خشية الله تعالى عند قرأته فجعلت أنهارا وعيوننا (أو وكبته الموقى) أي بأن يحيوا وجواب لو محذوف أي لكان هذا القرآن في غاية ما يكون من العظمة واكتفى بمعرفة السامعين مراده وهذا معنى قول قتادة قال لو فعل هذا القرآن قبل قرآنكم لقتل بقرآنكم وقيل تقدير لما آمنوا ونقل عن الفراء أن جواب لوهي الجملة من قوله وهم يكفرون في الكلام تقديم وتأخير وما بينهما اعتراض وتقدير الكلام وهم يكفرون بالرحن لو أن قرأنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كبته الموقى لكفروا بالرحن ولم يؤمنوا بالمسبح من علمنا فيهم (فان قيل) لم حذف التأني في قوله تعالى وكبته الموقى ونبتت في الفهين قبله (أجيب) بأنه من باب التغليب لأن الموقى يشمل المذكور والمؤنث (بل الله الأمر) أي القدرة على كل شيء (جميعا) وهذا اضرب عما تضمنته لومن معنى النبي أي بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الآيات لكن الإرادة لم تتعلق بذلك لعله تعالى بأنه لا يبين قلوبهم ويؤيد ذلك قوله تعالى (أدلم يئأس الذين آمنوا) عن ايمانهم مع ما رأوا من أحوالهم وذهب أكثرهم إلى أن معناه فلم يعلم الذين آمنوا (أن) أي بأنه (لويشاء الله) أي الذي له صفات الكمال (لهدى الناس جميعا) أي إلى الايمان من غير آية ولكنه تعالى لم يشأ هداية جميع الخلائق (ولا يزال الذين كفروا) أي جميع الكفار (تضمين بما) أي بسبب ما (صنعوا فأرعة) أي نازلة وداهية تفرعهم بأنواع البلاء تارة بالجدب وتارة بالسلب وتارة بالقتل وتارة بالأسر وغير ذلك واختلف في الكفار على قولين قبل أرادهم جميع الكفار لأن الوقائع الشديدة التي وقعت لبعض الكفار من ذلك أوجبت حصول الغم في قلب الكل وقيل المراد الكفار من أهل مكة والالف واللام للمعهود السابق ويدل لهذا قول ابن عباس أراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهيم بها اليهم (أو تحل) أي تنزل نزولا ثابتا تلك القارعة (قريمان دارهم) أي قوتهم وأمرهم وقيل معناه أو تحل أنت يا محمد بجيشك قريمان دارهم مكة كما حل بالحديبية (حتى يأتي وعد الله) أي بالنصر وظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه بفتح مكة أو بالنصر على جميع الكفرة في زمن عيسى عليه السلام فيقطع ذلك لأنه لا يبقى على الأرض كافر وقيل أراد بوعد الله يوم القيامة لأن الله يجمعهم فيه فيجازيهم بأعمالهم (إن الله لا يخلف الميعاد) لامتناع الكذب في كلامه تعالى * ولما كان الكفار يسألون هذه الآيات منه صلى الله عليه وسلم على سبيل الاستزاء والسخرية وكان ذلك يشق عليه ويتأذى من تلك الكلمات أنزل الله تعالى تسليما له وتصيرا له

على سفاهة قومه (ولقد استهزئ برسل من قبلك) كما استهزئ بك (فألميت للذين كفروا)
 أى أطلت المدة تأخير العقوبة (ثم أخذتهم) باله قوية (فكيف كان عقاب) أى هو واقع
 موقعه فكذلك أنفعل عن استهزأبك والاملاء الامهال بأن يترك مدة من الزمان فى راحة وأمن
 كالبجعة على لها فى المرعى وهذا استهفاهم معناه التهجب وفى ضننه وعمد شديد لهم وجواب
 عن اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاستهزاء ثم انه تعالى
 أورد على المشركين ما يجرى مجرى الحجاج وما يكون تويجها لهم وتجيها من عقولهم فقال
 تعالى (أفئن هو قائم) أى رقيب (على كل نفس بما كسبت) أى علمت من خير وشر وهو الله تعالى
 القادر على كل الممكنات العالم بجميع المعلومات من الجزئيات والكليات ولا بد لهذا الكلام
 من جواب فإن من موصولة صلتها هو قائم والموصول مرفوع بالابتداء وخبره محذوف
 تقديره كن ليس بهذه الصفة وهى الأصنام التى لا تنفع ولا تضر تدل على هذا المحذوف قوله
 تعالى (وجعلوا لله شركاء) وتفسيره قوله تعالى أفئن شرح الله صدره للاسلام الآية تقديره كن
 قسا قلبه يدل عليه قوله فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله وانما حسن حذفه كون الخبر مقابلا
 للمبتدأ وقد جاء مبينا كقوله تعالى أفئن يخلق كن لا يخلق وقوله تعالى (قل سمعوه) فيه تشبيه على
 أن هؤلاء الشركاء لا يستحقون والمعنى سمعهم بأسمائهم الحقيقية فأنهم اذا عرفت حقاقتهم أنها
 حجارة وأغرى ذلك عما هو مركز العجز ومحل النقص عرف ما هم علمه من إضافة العقول وركاكة
 الآراء ثم قبل أرجعتهم عن ذلك الى الاقرار بأنهم من جله عبده (أم تتنوثونه) أى تجبرونه (بما
 لا يعلم) وعلمه محيط بكل شئ (فى الارض) من كونها اهلها ببرهان قاطع (أم) تسمونهم شركاء
 (نظاير من القول) أى بحجة اقناعية تقال بالتم وكل ما لا يعلم فليس بشئ وهذا احتجاج ببلغ
 على أسلوب عجيب ينادى على نفسه بالاجاز * ولما كان التقدير ايسر لهم على شئ من هذا برهان
 قاطع ولا قول ظاهر شى عليه قوله تعالى (بل زين) أى وقع التزيين بأمر من لا يرد أمره على يد من
 كان من شياطين الانس وشياطين الجن (للذين كفروا مكرهم) أى أمرهم الذى أرادوا به
 ما يراى بالمكر من اظهار شئ وابطن غيره وذلك أنهم اظهروا أن شركاهم اهلها حقوا وهم يعلمون
 بطلان ذلك وليس بهم فى الباطن الاتقليد الآباء واظهروا أنهم بعد ونبأه التقر بهم الى الله ربانى
 وتشفع لهم وهم لا يعتقدون بعنا ولا نشور افاضار كل ذلك من فعلهم فعل الماكر (وصدوا)
 غيرهم (عن السبيل) أى طريق الهدى الذى لا يقال لغيره سبيل فان غيره عدم بل العدم خير منه
 فيهم لم يسلكوا السبيل ولا تركوا غيرهم يسلكه ضلوا وأضلوا وليس ذلك بحجيب فان الله أضلهم
 (ومن يضل الله) أى الذى له الامر كما بارادة اضلاله (فقاله من هاد) وقرأ ابن كثير باثبات الياء
 بعد الدال فى الوقف دون الوصل والماقون بغير ياء وقفا ووصلا وكذلك من واق وكذا ولا واق
 ولما أخبر الله تعالى بملك الامور المذكورة بين أنه جمع لهم بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة
 بقوله تعالى (لهم عذاب فى الحياة الدنيا) بالقتل والاسر والذم والاهانة واعتنام الاموال واللعن
 وغوئك مما فيه غيظهم (ولعذاب الآخرة أشق) أى أشد فى المشقة بسبب القوة والشدّة

وكثرة الانواع والدولم وعدم الانقطاع ثم بين تعالى ان أحد الايقيم من عذابه بقوله تعالى
(ومالهم من الله من واق) أى مائع بمنعهم اذا أرادهم سواء فى الدنيا ولا فى الآخرة والواق
فاعل من الوفاية وهى الحجز على يدع الأذية * ولما ذكر تعالى عذاب الكفار فى الدنيا والآخرة
أتبعه بذكرواب المتقين بقوله تعالى (مثل) أى صفة (الجنة) أى التى هى مقرهم (التى وعد
المتقون) واختلاف فى اعراب ذلك على أقوال الاول قال سيويه مثل الجنة مبتدأ وخبره
مخذوف والتقدير فيما تصناه عليك مثل الجنة والثانى قال الزجاج مثل الجنة جنة من صفتها
كذا وكذا والثالث مثل الجنة مبتدأ وخبره (تجربى من تحتها الانهار) كما تقول صفة زيد
أجر والرابع الخبر (أكلها) أى ما كولها (دائم) لانه الخارج عن العادة فقد وصف الله تعالى
الجنة بثلاثة أوصاف الاول تجربى من تحتها أى من تحت قصورها وأشجارها الانهار الثانى
ان أكلها دائم لا ينقطع أبدا بخلاف جنة الدنيا والثالث قوله تعالى (وظلها) أى دائم ليس كظل
الدنيا لا تنهضه الشمس ولا غيرها اذ ليس فيها شمس ولا قمر ولا ظلة بل ظل عمود لا ينقطع ولا يزول
ثم انه تعالى لما وصف الجنة بهذه الصفات الثلاثة بين تعالى أنها للمتقين بقوله تعالى (تلك) أى
الجنة العالية الاوصاف (عقبى) أى آخر أمر (الذين اتقوا) أى الشرك ثم كرر الوعيد
للكافرين بقوله تعالى (وعقبى) أى منتهى أمر (الكافرين النار) لا غير وفى ترتيب النظمين
الطماع للمتقين واقناط للكافرين واختلاف فى قوله تعالى (والذين آتيناهم الكتاب) على قولين
الاول أنهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والمراد بالكتاب القرآن (فرحون بما أنزل اليك) من
أنواع التوحيد والعدل والنبوة والبعث والاحكام والقصاص (ومن الاحزاب) أى الجماعات
من اليهود والنصارى وسائر الكفار (من ينكر بعضه) وهذا قول الحسن وقناة (فان قيل)
الاحزاب منكر كل القرآن (أجيب) بأنهم لا ينكرون كل ما فى القرآن لانه ورد فيه
اثبات الله تعالى واثبات عمله وقدرته وحكمته وأفاضل الانبياء والاحزاب لا ينكرون كل
هذه الاشياء والقول الثانى ان المراد بالكتاب التوراة وبأهلها الذين أسلموا من اليهود والنصارى
كعبد الله بن سلام وأصحابه ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون من نجران
وعمانية من اليمن واثنتان وثلاثون من أرض الحبشة وفرحوا بالقرآن لانهم آمنوا به وصدقه
والاحزاب بقية أهل الكتاب وسائر المشركين وقيل كان ذكر الرجن قليلا فى القرآن فى الابتداء
فلما أسلم عبد الله بن سلام ومن تبعه من أهل الكتاب ساءهم قلذ ذكر الرجن مع كثرة ذكره فى
التوراة فلما ذكر الله تعالى ذكره فى القرآن فرحوا به فأمر الله تعالى والذين آتيناهم الكتاب
يفرحون بما أنزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه يعنى مشركى مكة حين كتب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى كتاب الصلح بسم الله الرحمن الرحيم قالوا ما نعرف الرجن الا رجن اليمامة
يعنى مسيلة فأمر الله تعالى وهم بذكر الرجن هم كفرون * ثم انه تعالى لما بين هذا جاع كل ما يحتاج
المراهبه فى معرفة المبدأ والمعدود بينه بالفاظ قليلة فقال (قل) أى يا أكرم الخلق على الله تعالى
(أما أمرت) أى وقع الى الامر الجازم الذى لا شك فيه ولا تغيير له الامر كله (أن أصد

(الله) أي وحده وذلك قال (ولا أشركت به) شيئا (النه) وحده (أدعوا إليه ما ب) أي مرجحي
 للغير إلا إلى غيره (وذلك) أي كما أنزلنا الكتب على الأنبياء بلسانهم (أنزلناه) أي
 القرآن (حكما) والحكم فصل الأمر على الحق (عربيا) بلسانك ولسان قومك وانما سمى القرآن
 حكما لأن فيه جميع التكليف والحلال والحرام والنقض والابرام فلما كان سببا للحكم جعل
 نفس الحكم على سبيل المبالغة وروى أن المشركين كانوا يدعون النبي صلى الله عليه
 وسلم إلى ملة آتاه فوعده الله تعالى على متابعتهم في تلك المذاهب بأن يصلى إلى قبلتهم بعد
 ما حوله الله تعالى عنها بقوله تعالى (ولترابعت أهواءهم) أي الكفار فيما يدعونك إليه من
 ملتهم (بعد ما جاز من العلم) أي بأنك على الحق وأن قبلك هي الكعبة (مالك من الله من
 ولي) أي ناصر (ولا واق) أي مانع من عذابه قال ابن عباس الخطاب مع النبي صلى الله عليه
 وسلم والمراد أمته * ونزل للماعز الكفار النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة النساء (ولقد أرسلنا
 رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا) أي نساء ينكحون فكان لسلیمان ثلثمائة امرأة وسبعمائة
 سرية وكان لداود عليه السلام مائة امرأة (وذرية) أي أولاد فأنت مثلهم وكانوا يقولون
 أيضا لو كان رسولنا من عند الله لكان أي شيء طلبناه منه من المعجزات أتى به فرد الله تعالى
 عليهم بقوله تعالى (وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله) أي بإرادته لأن المعجزة الواحدة
 كافية في إزالة العذر والعلل وفي اظهار الحجج والبينة وأما الزائد عليها فهو مفضول إلى المشيئة
 الله تعالى ان شاء أظهرها وان لم يشأ لم يظهرها لا اعتراض لاحد عليه في ذلك * ولما نوهدهم
 صلى الله عليه وسلم نزول العذاب وظهور النصر له واقومه وتأخر ذلك عنهم قالوا لو كان نبيا
 صادقا لما ظهر كذبه فرد الله تعالى عليهم بقوله تعالى (لكل أجل) أي مدة (كتاب) أي مكتوب
 قد أتيت فيه ان أمر كذا ويكون في وقت كذا من الثواب والعقاب والاحكام والاتبان
 بالآيات وغيرها اثباتا ونسفا على ما تقتضيه الحكمة * ولما اعتراضوا على رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وقالوا ان محمدا بأمر أصحابه بأمر اليوم ثم بأمر بخلافه غدا وما سبب ذلك إلا أنه
 يقوله من تلقاء نفسه فرد الله تعالى عليهم بقوله تعالى (يجمع الله ما يشاء) أي مجموه من الشرائع
 والاحكام وغيرها بالتسخير في رعه (ويثبت ما يشاء) اثباته من ذلك بأن يقتره ويعضى حكمه كقوله
 تعالى ما تسخ من آية إلى قوله تعالى ألم تعلم لم أن الله على كل شيء قدير وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
 وعاصم بكون الناء المثناة وتخفيف الباء الموحدة والباقون بفتح الناء وتشديد الباء الموحدة
 * (تنبيه) في هذه الآية قولان أحدهما أنها عامية في كل شيء كما يقتضيه ظاهر اللفظ وهذا
 مذهب عمر وابن مسعود وغيرهما قالوا ان الله يجمعون الرزق ويرزق فيه وكذا القول في الاجل
 والسعادة والشقاوة والايان والكفر وروى عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه كان يطوف
 بالبيت وهو يبكي ويقول اللهم ان كنت كبتني في أهل السعادة فأبتني فيها وان كنت كبتني على
 الشقاوة فأخمني وأبتني في أهل السعادة والمغفرة فأنك تمنعوا من انشاء وتبت وعندك أم الكتاب
 ومثلهن ابن مسعود وهذا التأويل رواه جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي بعض

الآثار أن الرجل يكون قديق من عمره ثلاثون سنة فيقطع رحمه فيرد إلى ثلاثة أيام والرجل
 يكون قديق من عمره ثلاثة أيام فيصل رحمه فيرد إلى ثلاثين سنة وروى أن الله تعالى ينزل أي أمره
 في آخر ثلاث ساعات تبقى من الليل فينظر في الساعة منهن في أم الكتاب الذي لا يتطرفه أحد
 غيره فيعمو ما يشاء ويثبت والقول الثاني أن هذه الآية خاصة في بعض الأشياء دون بعض
 واختلفوا على هذا القول فقال سعيد بن جبير وقتادة بمحو الله ما يشاء من الشرائع والقرائن
 فينسخه ويبدله ويثبت ما يشاء منها فلا ينسخه وقال ابن عباس بمحو الله ما يشاء ويثبت إلا الرزق
 والاجل والسعادة والشقاوة واستدل لهذا بما رواه حذيفة بن أسيد قال سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول إذا أمر بالنعطة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله ملكا فصورها وخلق
 معها وبصرها وبلدها ولحها وعظمها ثم قال يا رب أذكر أم أنى فيقضى ربك ما يشاء ويكتب
 الملك ثم يقول الملك يا رب رزقه فيقضى ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يقول يا رب أشق أم سعيد
 فيكتبان فيكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزد ولا ينقص وقال عطية عن ابن
 عباس هو الرجل يعمل بطاعة الله تعالى ثم يرجع له صيبة الله تعالى فيموت على ضلاله فهو الذي
 يعمو والذي يثبت يعمل الرجل بطاعة الله فيموت وهو في طاعته فهو الذي يثبت وقال الحسن
 بمحو ما يشاء أي من جاء أجله يذهب به ويثبت من لم يجئ أجله إلى أجله وعن سعيد بن جبير قال
 يعمو ما يشاء من ذنوب العباد فيغفرها ويثبت ما يشاء فلا يغفرها وقال عكرمة بمحو الله ما يشاء
 من الذنوب بالتوبة ويثبت بدل الذنوب حسنات كما قال تعالى فأولئك يدل الله سيئاتهم حسنات
 وقال السدي بمحو الله ما يشاء يعني القمر ويثبت ما يشاء يعني الشمس بيانه قوله تعالى فمحونا آية
 الليل وجعلنا آية النهار مبصرة وقال الربيع هذا في الأرواح يقبضها الله تعالى عند النوم فمن
 أراد موته أمسكه ومن أراد بقاءه أثبته ورده إلى صاحبه بيانه قوله تعالى الله يتوفى الأوفس
 حين موتها الآية وقيل إن الله تعالى يثبت في أول كل سنة حكمها فإذا مضت السنة معناه
 وأثبت حكما آخر للسنة المستقبلية وقيل يعمو الله الدنيا ويثبت الآخرة وقيل إن الحفظة
 يكتبون جميع أعمال بني آدم وأقوالهم فيمحو الله من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب
 وقيل هذا في الحسن والمصائب فهي مثبتة في الكتاب ثم يعمو بالدعاء والصدقة (وعنده) تعالى
 (أم الكتاب) أصل الكتب والعرب تسمى كل ما يجرى مجرى الأصل للشيء أمًا ومنه أم الرأس
 للدماغ وأم القرى لمكة وكل مدينة فهي أم لما حو لها من القرى فكذلك أم الكتاب هو الذي
 يكون أصلا لجميع الكتب وفيه قولان الأول أنه اللوح المحفوظ الذي لا يغير ولا يتبدل وجميع
 حوادث العالم العلوي والسفلي يثبت فيه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كان الله
 ولا شيء ثم خلق اللوح وأثبت فيه أحوال جميع الخلق إلى قيام الساعة والقول الثاني إن أم
 الكتاب أصله الذي لا يغير منه شيء وهو الذي كتب في الأزل وقال ابن عباس في رواية عكرمة
 هنا كتابان كتاب سوى أم الكتاب يعمو ما يشاء منه ويثبت وعنده أم الكتاب لا يغير منه شيء وعلى
 هذا فالكتاب الذي يعمو منه ويثبت هو الكتاب الذي تكتبه الملائكة على الخلق وعن ابن

عباس قال ان الله لو حافظ ما مسيرته خمسمائة عام من دوة بضاء له دفقان من ياقوته لله فيه في كل يوم ثلثمائة وستون لحظة يعومها بياض وبيوت وعنده أم الكتاب وسأل ابن عباس كعبا عن أم الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه * ولما كان من مقترحاتهم وطلبنا منهم استهزاء استعجال السبوة مما وعدوا به وكانت النفس ربما غممت وقوع ذلك البعض وابشانه ليدون به غيره فقررنا الفصل النزاع قال تعالى (واما زينك) يا محمد وأكدهم تبا كيد للاعلام بأنه لا حرج عليه في ضلال من ضل بعد ابلاغه (بعض الذي نعدهم) أي من العذاب وأنت حتى مما تريد أو تريد أصحابك قبل وفائك فذلك شافيك من أعدائك والوعد الخبير عن خير مضمون والوعد الخبير عن شر مضمون والمعنى ههنا عليه وسماه وعد التزليلهم اياه في طلب نزول منزلة الوعد (أو توفيتك) أي قبل أن نزينك ذلك فلا لوم عليك ولا عتب (فانما عليك البلاغ) أي ليس عليك التبليغ الرسالة اليهم واما سب عليك أن تجازيهم ولأن تأتيتهم بالمقترحات والبلاغ اسم أقيم مقام التبليغ واما فيه ادغام فون ان الشرطية في ما الزائدة (وعليها الحساب) أي علينا أن نقاسمهم يوم القيامة فنجازيهم بأعمالهم فلا تحتفل بأعراضهم ولا تستعمل بهم ذاهبهم * (تنبية) * قال أبو حيان هنا شرطان لأن المعطوف على الشرط شرط فيكون كذلك كل شرط ما يناسب أن يكون جزاء مرتب عليه والتقدير واما زينك بعض الذي نعدهم فذلك شافيك من أعدائك واما توفيتك قبل حلوله بهم فلا لوم عليك ولا عتب وقد مررت الاشارة الى ذلك ولما وعد الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بأن يره بعض ما يعده أو يتوفاه قبل ذلك بين تعالى أن آثار حصول تلك المواعيد وعلاماتها قد ظهرت وقويت بقوله تعالى (أو لم يروا) أي كفار مكة (أن آتأت الارض) أي نقصد أرض هؤلاء الكفرة (نتقصها من أطرافها) بما يفتح الله تعالى على المسلمين من ديار الشرك أرضا بعد أرض حوالى أرضهم هذا قول ابن عباس وقتادة وجماعة وقال مجاهد هو خراب الارض وقبض أهلها وعن عكرمة قال هو قبض الناس وعن الشعبي مثله وعطاء وجماعة نقصانها موت العلماء وذهاب الفقهاء ويؤيد هذا ما رواه عمرو بن العاص أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساجها لا فسئلوا فاتقوا بغير علم فضلوا وأضلوا وقال الحسن قال عبد الله بن مسعود عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضه ذهاب أهله وقال علي انما مثل الفقهاء كمثل الانف اذا قطعت لم تعد وقال سليمان لا يزال الناس بخير ما بقى الأول حتى يتعلم الآخر واذا هلك الأول قبل أن يتعلم الآخر هلك الناس وقيل لسعيد بن جبيرة ما علمه هلاك الناس قال هلاك علمائهم ثم أثبت تعالى لنفسه أمرا كذا فقال (وانه) أي الملك الاعلى (يحكم) في خلقه بما يريد لانه (لامعقب) أي راد لان التعقيب رد الشيء بعده فصله (الحكمة) وقد حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كاش لا يمكن تغييره * (تنبية) * محل جملة لامعقب لحكمه النصب على الحال كأنه قيل والله يحكم نافذ احكمه كما تقول جاءني زيد لا عمامة على رأسه ولا قلنسوة تريد حمارا (وهو) عزز

وجعل مع تمام القدرة (سريع الحساب) فيحاسبهم عما قيل في الآخرة بعد ما عذبهم
 بالقتل والاعلاء في الدنيا وقال ابن عباس يريد سريع الانتقام يعني حسابه للمجازاة بالخير
 والنشر فجازاة الكفار بالانتقام منهم ومجازاة المؤمنين بإيصال الثواب اليهم وقد تقدم
 الكلام في معنى سريع الحساب قبل هذا وقوله تعالى (وقدمكم الذين من قبلهم) أي
 من كفار الامم الماضية قبل مكرهوا بأنبيائهم مثل نوح ومكرهوا إبراهيم وفرعون مكرهوا موسى واليهود
 مكرهوا عيسى فيه تسليمة للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (قلته المصكر جميعا) أي أن مكر
 جميع الماكرين حاصل بتخليقه واراذه لانه تعالى هو الخالق لجميع أعمال العباد فالمكر
 لا يضره الا باذنه ولا يؤثر الا بتقديره فيه امان له صلى الله عليه وسلم من مكرهم فكانه قيل اذا كان
 حدوث المكر من الله تعالى وتأثيره في الممكور به من الله وجب أن لا يكون الخوف الا من الله
 تعالى لان أحد من المخلوين وذهب بعض المفسرين الى أن المعنى قلته جزاء المكر وذات
 أنهم لما مكرهوا بالمؤمنين بين الله تعالى أنه يجازيهم على مكرهم قال الواحدى والاول أظهر
 القولين بدليل قوله تعالى (يعلم ما تكسب كل نفس) أي ان اكساب العباد لله لومة لله تعالى
 وخلاف المعامم متسع الوقوع واذا كان كذلك فلا قدرة لعدم على الفعل والترلف فكان الكل
 من الله فيجازيهم على أعمالهم وفي ذلك وعيد وتهديد للكفار الماكرين ثم انه تعالى أكد
 ذلك التهديد بقوله تعالى (وسيعلم الكفار لمن عقبي الدار) أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة
 اللهم أم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وبالالف بعد الكاف
 على الافراد والكاف مفتوحة والفاء مكسورة مخففة والباقون بالالف بعد الفاء على الجمع
 فالكاف مضمومة والفاء مفتوحة مشددة فمن قرأ بالافراد أراد الجنس كقوله تعالى ان الانسان
 لني خسر ليرى وافق قراءة الجمع وقال عطاء المستهزؤون وهم خمسة والمقتسمون وهم ثمانية وعشرون
 وقال ابن عباس يريد بأوجه الازي والاول هو الصواب أي ليرى وافق قراءة الجمع كما مر
 * ولما تقدم قوله تعالى ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه عطف عليه بعد شرح
 ما استتبعه قوله تعالى (ويقول الذين كفروا استمر سلا) أي لكونك لا تأتي بمقرحاتهم مع
 أنه صلى الله عليه وسلم لم يقل يوما انه قادر عليها فكانه قيل فما أقول لهم فقال تعالى (قل) لهم
 (كني بالله) الذي له الاحاطة الكاملة (شهيدا) أي بليغ العلم في شهادته بالاطلاع على ما ظهر
 وما بطن (يعني وينسكم) يشهد بتأييد رسالتي وتصحيح مقالتي بما أظهر من الآية وأوضح من
 الدلالة بهذا الكتاب ويشهد بتكذيبهم بادعائكم القدرة على المعارضة وترككم لها معجزا وهذا
 أعلى مراتب الشهادة لان الشهادة قول يفيد غلبة الظن بان الامر كما شهد به والمجيزة فعل
 مخصوص بوجوب القطع بكونه رسولا من عند الله واختلف في قوله تعالى (ومن عنده علم
 الكتاب) قروي العوفي عن ابن عباس أنهم علماء اليهود والنصارى أي أن كل من كان عالما
 من اليهود والنصارى ومن النصارى بالانجيل علم أن محمدا صلى الله عليه وسلم مرسل من عند الله لما
 يجذب من الدلائل الدالة على نبوته فيها شهد بذلك من شهد به وأنكره من أنكره منهم والشان

أن المراد شهادة أهل الكتاب من الذين آمنوا بهم عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وغير
الداري وقال الحسن ومجاهد والربيع وسعيد بن جبيرة ومن عنده علم الكتاب هو الله تعالى
قال الحسن لا والله لا يعني إلا الله والمعنى كفى بالله الذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم
ما في اللوح الا هو شهيد ابني وبينكم وهذا أظهر كما استظهره البقاعي وان كان عطف الصفة
على الموصوف خلاف الاصل اذ يقال شهد بهما ازيد افضيه لازيدوا افضيه لانه جائز في الجملة
وقيل معناه أن علم أن القرآن الذي جئتمكم به معجز ظاهر وبرهان باهر لما فهمه من القضاة
والبلاغة والاختيار عن الغيوب وعن الامم الماضية فمن علم بهذه الصفة كان شهيدا بيبي
وبينكم والله أعلم بمراده ومارواه البيضاوي تبعا للزحمرى وتبعهما ابن عادل من أنه صلى
الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الرعد أعطى من الاجر عشر حسنة بوزن كل حباب
مضى وكل حباب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهده الله حديث
موضوع

﴿سورة ابراهيم عليه السلام مكية﴾

الاقوله تعالى ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله الايتين وهى اثنتان وخسرون آية وعدد كلماتها
ثمانمائة واحد وثلاثون كلمة وعدد حروفها ثلاثة آلاف وأربعمائة وأربعة وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى (الر) تقدم الكلام عليها أول يؤمن وهو رد وقوله تعالى
(كتاب) خبر مبتدأ محذوف أى هذا القرآن كتاب أو الران قلنا انها مبتدأ والجملة بعده صفة
ويجوز أن يرتفع بالابتداء وخبره الجملة بعده وجاز الابداء بالنكرة لانها موصوفة تقديرا
تقديره كتاب أى كتاب يعنى عظيما من بين الكتب السماوية (أرسلناه اليك) بأشرف
الخلق عند الله تعالى (لتخرج الناس) أى عامة قومك وغيرهم بدعائك اياهم (من الظلمات) أى
الكفر وأنواع الضلالة (الى النور) أى الايمان والهدى قال الرازى والآية دالة على أن
طرق الكفر والبعد كثيرة وأن طريق الحق ليس الا واحدا لانه تعالى قال لتخرج الناس
من الظلمات وهى صبغة جمع وعبر عن الايمان والهدى بالنور وهو لفظ مفرد وذلك ليدل
على أن طرق الجهل والكفر كثيرة وأن طريق العلم والايمان ليس الا واحدا * (تنبيه) *
القائلون بأن معرفة الله تعالى لا يمكن تحصيلها الا من تعليم الرسول احتجوا بهذه الآية
وذلك يدل على أن معرفة الله تعالى لا تحصل الا من طريق التعليم وأجيب بأن الرسول
صلى الله عليه وسلم كان نبيه وأما المعرفة فهى انما تحصل من الدليل وقوله تعالى (ياذن
ربهم) متعلق بالانخراج أى بتوفيقه وتسجيله ويدل من الى النور (الى صراط) أى طريق
(العزيم) أى الغالب (الحميد) أى المحمود على كل حال المستحق لجميع الحمد وفى قوله (الله)
قراءتان فقرا نافع وابن عامر برفع الهاء وصلا وابتداء على انه مبتدأ خبره (الذى له ما فى
السموات وما فى الارض) أى ملكا وخالقا وقرأ الباقون بالجر على أنه بدل أو عطف بيان وما

بعده صفة * (تنبیه) * ذهب جماعة من المحققين الى أن قولنا الله جار مجرى الاسم العلم لذات الله سبحانه وتعالى وذهب قوم آخرون الى أنه لفظ مشتق قال الرازي والحق عندنا هو الاول لان الامة لما اجتمعت على أن قولنا لا اله الا الله واجب التوحيد المحض علمنا أن قولنا الله جار مجرى الاسم العلم وقد قال تعالى هل تعلم له سميا أي هل تعلم من اسمه الله غير الله وذلك يدل على قولنا الله اسم لذاته المخصوصة ولذا استشكل قراءة الجر إذ الترتيب الحسن أن يذكر الاسم ثم يذكر عقبه الصفات كقوله تعالى هو الله الخالق البارئ المصور وأما الخالق الله فلا يحسن وأجيب عن ذلك بأنه لا يبعد أن تذكر الصفة أولا ثم يذكر الاسم ثم تذكر الصفة مرة أخرى كما يقال حررت بالامام الاجل محمد الفقيه وهو بعينه نظير قوله تعالى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الارض والآية تفيده حصر ما في السموات وما في الارض له لا لغيره وذلك يدل على أنه لا مالك الا الله ولا حاكم الا الله وأنه تعالى خالق لامال العباد لانها حاصلة في السموات والارض فوجب القول بان أفعال العباد له بمعنى كونها مملوكة له والمالك عبارة عن القدرة فوجب كونها مقدره لله واذا ثبت أنهم مقدر لله ووجب وقوعها بقدره الله واللكان العبد قدم مع الله تعالى من ايقاع مقدره وذلك محال ثم انه تعالى لما ذكر ذلك عطف على الكفار بالوعيد فقال تعالى (وويل للكافرين) أي الذين تركوا عبادة من يستحق العبادة التي له ما في السموات وما في الارض وعباد من لا يملك شيئا البتة بل هو مملوك لله تعالى لانه من جعله ما في السموات وما في الارض وويل مبتدأ وجزا لا ابتدأ به لانه دعاء كسلام عليكم وللكافرين خبره وقوله تعالى (من عذاب شديد) أي يعذبهم في الآخرة متعلق بويل ولا يضر الفصل بالخبر ثم وصفهم بقوله تعالى (الذين يستعجبون) أي يمتارون (الحياة الدنيا على الآخرة) أي يؤثرونها عليها (ويصدون عن سبيل الله) أي يمنعون الناس عن قبول دين الله (ويغونها) أي السبيل (عوجا) أي معوجة والاصل ويغنون لها زبغا وميلا لخذف الجار وأرسل الفعل الى الضمير (أولئك) أي الموصوفون بهذه الصفات (في ضلال بعيد) أي عن الحق واستناد البعد الى الضلال اسناد مجازي لان البعيد هم الضلال يعملهم عن الباقي الى الثاني * ثم ذكر ما يجرى مجرى تكميل النعمة والاحسان في الوجهين بقوله تعالى (وما أرسلنا من رسول) أي في زمن من الازمان (الابلسان) أي لغة (قومه) أمما بالنسبة الى الرسول فلانه تعالى بين أن سائر الانبياء كانوا مبغوثين الى قومهم خاصة وأما أنت يا محمد فبعثت الى عامة البشر وكان هذا الانعام في حقل أكمل وأفضل وأما بالنسبة الى عامة الخلق فهو أنه تعالى ذكر أنه ما بعث رسولا الا بلسان أولئك القوم (ليسين لهم) ما أمروا به ففهموه عنه يسر وسرعة لان ذلك أسهل لهم أسرار تلك الشريعة والوقوف على حقايقها وأبعد عن الغلط والخطا * (تنبیه) * تمسك طائفة من اليهود يقال لهم العيسوية بهذه الآية على أن محمد صلى الله عليه وسلم لم يرسل لغرب العرب من وجهين الاول ان القرآن لما كان نازلا بلغة العرب لم يعرف كونه معجزة بسبب ما فيه من الفصاحة الا العرب وحيفند لا يكون القرآن حجة الا عليهم الثاني ان قوله تعالى

وما أرسلنا من رسول الا لبلسان قومه المراد بذلك اللسان لسان العرب وذلك ليدل على أنه
 مبعوث الى العرب فقط ورد عليهم بأن المراد بالقوم أهل دعوته والدليل على عموم الدعوة قوله
 تعالى قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين لان التعدي كما وقع مع الانس
 وقع مع الجن دليل قوله تعالى قل لمن اجتمعت الانس والجن على أن يأثوا بمنزل هذا القرآن لا يؤثرون
 بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ثم بين سبحانه وتعالى ان الاضلال والهداية بمنشئته بقوله
 تعالى (فبضل الله من يشاء) اضلاله (ويهدى من يشاء) هدايته فانه تعالى هو المصل الهادي
 وليس على الرسل الا التبليغ والبيان والله تعالى هو الهادي المصل يفعل ما يشاء (وهو العزيز)
 في ملكه فلا راد له عن مشيئته (الحكيم) في صنعه فلا يهدى ولا يضل الحكمة * ولما بين تعالى
 أنه انما أرسل محمد عليه الصلاة والسلام الى الناس ليخرجهم من الظلمات الى النور وذكر
 كمال انعامه عليه وعلى قومه في ذلك الارسال وفي تلك البعثة أتبع ذلك بشرح بعثة سائر
 الانبياء الى أقوامهم وكيفية معاملته أقوامهم لهم ليكون ذلك تصيرا له صلى الله عليه وسلم
 على أذى قومه وارشاده الى كيفية مكالمتهم ومعاملتهم فذكر تعالى على العادة المألوفة قصص
 بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام فبدأ بذكر قصة موسى عليه السلام فقال (ولقد أرسلنا
 موسى بآياتنا) أي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وقلق البحر وانفجار العيون
 من الحجر واظلال الجبل والمن والسلاوي وسائر معجزاته (أن أخرج قومك) أي بني اسرائيل
 (من الظلمات) أي الكفر والضلال (الى النور) أي الايمان والهدى * (تنبيه) * يجوز
 أن تكون أن مصدرية أي بأن أخرج والباء في آياتنا للحال وهذه للتعدية ويجوز أن تكون
 مضمرة للرسل بمعنى أي ويصكون المعنى أي أخرج قومك من الظلمات أي قلنا له أخرج
 قومك كقوله تعالى وانطلق الملائمة منهم أن امنوا (وذكرهم بأيام الله) قال ابن عباس ينم
 الله وقال مقاتل يوقائع الله في الامم السالفة يقال فلان عالم بأيام العرب أي يوقائعهم وفي المثل
 من سر يوم ياره قال الرازي معناه من رأى في يوم سروره بصرع غيره رآه غيره في يوم آخر
 بصرع نفسه وقال تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس والمعنى عظمهم بالترغيب والترهيب
 والوعيد والترغيب والوعد أن يذكرهم ما أنعم الله عليهم وعلى من قبلهم ممن آمنوا
 بالرسل فيما سلف من الايام والترهيب والوعد أن يذكرهم بأمر الله وعذابه واتقامه عن كذب
 الرسل فيما سلف من الايام مثل ما نزل بعد وعود وغيرهم من العذاب ليرغبوا في الوعد فيصتقوا
 ويجذروا من الوعد فيتركوا التكذيب ويسئل بأيام الله في حق موسى أن يذكر قومه بأيام المحنة
 والبلاء حين كانوا تحت أيدي القبط يسومونهم سوء العذاب لخلعهم الله من ذلك وجعلهم
 ملوكا بعد أن كانوا ملوكين (ان في ذلك) أي التذكير العظيم (آيات) على وحدانية الله تعالى
 وعظمته (لكل صبار) أي كثير الصبر على الطاعة وعن المعصية (شكور) أي كثير الشكر
 للنعيم وانما خص الصبور والشكور بالآيات لان كان فيها عبرة لكل لانهم المتفجعون
 بها دون غيرهم فلهاذا خصهم بالآيات فكانها ليست لغيرهم فهو كقوله تعالى هدى المتقين فان

الانتفاع لا يمكن حصوله الا لمن يكون صابرا شاكرا امانا لا يكون كذلك فلا ينتفع بها البتة
 * ولما أمر الله تعالى موسى أن يذكرهم بأيام الله حكى عنه أنه ذكرهم بأقوله تعالى (واذ قال
 موسى لقرمه اذكروا نعمة الله عليكم) وقوله (اذأهباكم من الفرعون) ظرف للنعمة بمعنى
 الانعام أي اذكروا انعام الله عليكم في ذلك الوقت (يسومونكم سوء العذاب) بالاسـ تعداد
 (ويذبحون) أي تذبيحاً كثيراً (أبناءكم) أي المولودين (ويستهيون) أي يستبقون (نساءكم)
 أحياء وذلك كقول بعض الكهنة ان مولودا يولد في بني اسرائيل يكون سبب زوال ملك
 فرعون (فان قيل) لم ذكر تعالى في سورة البقرة يذبحون بغير واو وذكره في صامع الواو (أجيب)
 بأنهما التماخذه في سورة البقرة لانها تفسير لقوله يسومونكم سوء العذاب وفي التفسير
 لا يحسن ذكر الواو وهنا أدخل الواو فيه لانه نوع آخر لانهم كانوا يذبحونهم بأنواع من العذاب
 غير التذبيح فليس تفسير العذاب (وفي ذاكم بلاه) أي انعام وابتلاء (من ربكم عظيم) لان
 الابتلاء يكون ابتلاء بالنعمة والهمنة جميعا ومنه قوله تعالى ونبأكم بالشر والخير فتنة (فان
 قيل) تذبيح الابناء فيه بلاه وأما استهياؤ النساء فكيف فيه ابتلاء (أجيب) بأنهم كانوا
 يستهيونهن ويتركونهن تحت أيديهم كالاماء فكان ذلك ابتلاء وقوله تعالى (واذ) أي
 واذكروا اذ (تأذن ربكم) فهو أيضا من كلام موسى عليه السلام وتأذن بمعنى أذن كتعود
 وأعد غير أنه أبلغ لما في الفعل من معنى التكلف والمبالغة (لئن شكرتم) أي يا بني اسرائيل نعمتي
 بالتوحيد والطاعة (لازيدنكم) نعمة الى نعمة ولاضاعف لكم ما أنتمكم فان الشكر قديم
 الموجود وصيد المفود والشكر عبارة عن الاعتراف بنعمة المنعم مع تغطيه وتوطين النفس
 على هذه الطريقة ثم قدرني العبد عن تلك الحالة الى أن يصير حبه للمنعم شغلا عن اللذات
 الى النعمة ولاشك ان منبع السموات وعنوان كل الخيرات بحمة الله تعالى وعرقه وأما الزيادة
 في النعمة فهي على قسمين روحية وجسمانية فالاولى هي أن الشاكر يكون أهدى مطاعة
 أقسام نعمة الله تعالى وأنواع فضله وكرمه وأما الثانية فلان الاستقراء دل على أن كل من كان
 اشتغاله بشكر نعم الله أكثر كان وصول نعم الله اليه أكثر نسأل الله تعالى القيام بواجب شكر
 النعمة حتى يزيدنا من فضله وكرمه واحسانه ويفعل ذلك باهلينا وأحبانا ثم انه تعالى لما ذكر
 ما يستحقه الشاكر ذكر ما يستحقه مقابله بقوله تعالى (ولئن كفرتم) أي جحدتم النعمة بالكفر
 والمعصية لا عذبناكم دل عليه (ان عذابي لشديد) أي لمن كفر نعمتي ولا يشكرها ومن عادة
 أكرم الاكرمين أن يصرح بالوعود ويعرض بالوعيد * ولما بين موسى أن الاشتغال بالشكر
 يوجب تزايد الخيرات في الدنيا والآخرة والاشتغال بكفران النعم يوجب العذاب الشديد
 وحصول الآفات في الدنيا والآخرة بين بعده أن منافع الشكر ومضار الكفران لا تعود الا الى
 صاحب الشكر وصاحب الكفران وأما الممجد والمشكور فانه متعال عن أن ينتفع بالشكر
 أو يستغفر بالكفران فلا جرم قال تعالى (وقال موسى ان تكفروا أتم) أي يا بني اسرائيل (ومن
 في الارض) وأكده بقوله تعالى (جميعا) أي من الثقلين فانما ضم رد ذلك يعود على أنفسهم

وحرمتها الخبر كله (فإن الله لعقوب) عن جميع خلقه فلا يزاد بشكر الشاكرين ولا ينقص
 بكفر الكافرين (حميد) أي محمود في جميع أفعاله لأنه فيها منفضل عادل وقوله تعالى (ألم يأتكم)
 يا بني إسرائيل (نبأ) أي خبر (الدين من قبلكم قوم نوح) وكانوا ملء الأرض (و) نبأ (عاد) قوم
 هود وكانوا أشد الناس أبدانا (و) نبأ (عمود) قوم صالح وكانوا أقوى الناس على سخت المنصور
 وبناه القصور يحتمل أن يكون من كلام موسى أو كلام مبدأ من الله تعالى اقوم محمد صلى
 الله عليه وسلم وهو استغفهم تقرير وقوله تعالى (والذين من بعدهم) أي بعد هؤلاء الامم
 الثلاثة (لا يعلمهم الله) فيه قولان الاول أن يكون المراد لا يعلم كنه مقاديرهم الا الله تعالى
 لان المذكور في القرآن جله فاما ذكر العدد والعمر والكيفية والكمية فغير حاصل والقول
 الثاني ان المراد ذكر اقوام ما بلغنا أخبارهم أصلا كذبوا رسالنا تعرفهم أصلا ولا يعلمهم الا
 الله ولذلك كان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية قال كذب النسايون يعني أنهم يدعون علم
 الانساب الى آدم عليه السلام وقد نفي الله عنها عن العباد وعن ابن عباس أنه قال بين عدنان
 واصمئيل ثلاثون أبابا يعرفون وتطير هذه الآية قوله تعالى وقروا بين ذلك كثيرا وكلا ضربا له
 الامثال وكلا تبرنا تبيرا وقوله تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وعنه صلى
 الله عليه وسلم أنه كان في اتسابه لا يجاوزه عد بن عدنان بن أد و قال تعلموا من أنسابكم ما تصلون
 به أرحامكم وتعلموا من التجوم ما تستدلون به على الطريق قال الرازي والقول الثاني أقرب
 ولما جاءتهم أي هؤلاء الاقوام الذين تقدم ذكرهم (رسلمهم بالبينات) أي الدلائل الواضحات
 والمعجزات الباهرات أو ابأموراؤها ما حكاها الله تعالى عنهم بقوله تعالى (قرؤوا) أي الامم
 (أيديهم في أفواههم) وفي ذلك احتمالات الاول ان الكفار ردوا أيديهم في أفواههم فعضوها
 غيظا مما جاءت به الرسل كقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ والثاني أنهم لما سمعوا
 كلام الانبياء بمجوامنهم وضعوا على سبيل السخرية فعند ذلك ردوا أيديهم في أفواههم كما
 يفعل ذلك من غلبه الضحك فيضع يده على فميه والثالث أنهم وضعوا أيديهم على أفواههم
 مشيرين بذلك الى الانبياء أن كفوا عن هذا الكلام واستكثروا عن ذكر هذا الحديث والرابع
 أنهم أشاروا بأيديهم الى ألسنتهم والى ما تكلموا به من قولهم الكفر كما حكى الله تعالى ذلك عنهم
 بقوله تعالى (وقالوا اننا كفرنا بما أرسلتم به) أي على زعمكم أي ان هذا جوارنا لكم ليس عندنا
 غيره اقتطالهم من التصديق هذا هو الامر الثاني الذي أتوا به وقيل الضمير في ردوا راجع
 للرسل عليهم السلام وفيه وجهان أحدهما أن الكفار أخذوا أيدي الرسل ووضعوها على
 أفواههم لسكتوا ويقطعوا الكلام والثاني ان الرسل لما يسوا منهم سكتوا ووضعوا أيدي
 أنفسهم على أفواه أنفسهم فان من ذكر كلاما عند قوم وأنكروه وخافهم فذلك المتكلم ربما
 وضع يده على فم نفسه وغرضه أن يعرفهم أنه لا يعود الى ذلك الكلام البتة والامر الثالث
 قولهم (وانالني شدما) أي نقي (تدعوننا) أيها الرسل (اليه) أي من الدين (مريب) أي
 موجب الريسة أي موقع في الريسة والشبهة والريسة قلق النفس وان لا تطمن الى الامر الذي

يشك فيه (فان قيل) انهم قالوا اولانا كفرناها أرسلتم به فكيف يقولون ثانيا وانالقي شكك
والشك دون الكفر (أجيب) بأنهم لما صرحوا بكفرهم بالرسول كلهم حصل لهم شبهة ووجب
الشك لهم فقالوا ان لم تدع الجزم واليقين في كفرنا فلا أقل من أن تكون شكاً كين مرتابين في
صحة نبوتكم وعلى التقديرين فلا يسئل الى الاعتراف بنبوتكم * ولما قال هؤلاء الكفار للرحل
ذلك (قالت) لهم (وسلمهم) مجيبين (أفي الله شك) أي هل تشكرون في اقله وهو استفهام انكار رأى
لاشك في توحيد الله للذلال الظاهرة عليه منها قوله تعالى (فاطر) أي خالق (السموات والارضين)
أي وما فهم ما من الانفس والارواح والارزاق وقرأ أبو عمرو ورسلمهم هنا وفيما ترى في جاءتهم
رسلمهم باسكان السين والساقيون بالرفع * ولما قاموا بالدليل على وجود الله تعالى وصفوه بكال
الرحمة يتولهم (يدعوكم) أي الى الايمان بعبادته وقولهم (ليغفر لكم) اللام متعلقة بيه وهو أي
لاجل غفران ذنوبكم كقوله

دعوت لما نالني مسورا * فلي فلي يدي مسورا

ويجوز أن تكون معدية كقوله دعوتك زيد والتقدير يدعوكم الى غفران ذنوبكم وقوله (من
ذنوبكم) قال السيميوطي من زائدة فان الاسلام بقفر به ما قبله أو تبعيضية لخراج حقوقي
العباد اه أي والمغفور لهم ما بينهم وبين الله تعالى قال الرازي والعاقل لا يجوز له المصير الى كلمة
من كلام الله تعالى بأنها زائدة من غير ضرورة اه وقال في الكشاف ما علمته جاء هكذا الا
في خطاب الكافرين كقوله واتقوه وأطعوهون يغفركم من ذنوبكم يا قومنا أجيبوا داعي
الله وأمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين ذلكم خير انكم ان كنتم تعلمون
يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يوقفك عليه الاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين وأن
لا يسوى بين الفريقين في المعاد اه قال الرازي وأما قول الكشاف فهو من باب الظلمات
لان هذا التبعض ان حصل فلا حاجة الى ذكر هذا الجواب وان لم يحصل كان هذا الكلام
فاسدا (ويؤخركم) أي ولا يفعل بكم فعل من تعهدون من الملول في المعاجلة في الاهلاك
لمن خالفهم بل يؤخركم (الى أجل مسمى) أي الى وقت قد سماه وبين مقداره يبلغكم وانه انتم
أمنتم به والاعاجيلكم بالهلال قبل ذلك الوقت ان أنتم ما آمنتم (فان قيل) أليس قال تعالى
فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فكيف قال هنا ويؤخركم الى أجل
مسمى (أجيب) بأن الاجل على قسمين معلق ومبرم (قالوا) أي الامم مجيبين للرسول (ان) أي
ما أنتم (أيها الرسل) (الابشر مثلنا) أي لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو ارسل الله
تعالى الى البشر رسلا ليعلمهم من جنس أي من البشر في زعم القائلين أفضل وقول الكشاف
وهم الملائكة جار على مذهبه (تريدون أن تصدقونا عما كان بعد آبائنا) أي ما تريدون بقولكم
هذا الاصدنا عن آلهتنا التي كان آبائنا يعبدونها (فأقولنا بساطان ميين) أي بحجة ظاهرة على
صدقكم * ولما حكى الله تعالى عن الكفار شبهاتهم في الطعن في النبوة حكى عن الانبياء عليهم
الصلاة والسلام جوابهم عنها بقوله تعالى (قالت لهم رسلمهم) مجيبين لهم (ان) أي ما (نحن

لا بشر مثلكم) كما قلتم فسلوا أن الامر كذلك لكنهم بينوا أن التماثل في البشرية لا يجمع
 من اختصاص بعض بمنصب النبوة بقولهم (ولكن الله يمتن) أي يفضل (على من يشاء من
 عباده) بالنبوة والرسالة فيصطفى من يشاء من عباده لهذا المنصب العظيم الشريف كما قال تعالى
 الله أعلم حيث يجعل رسالته (وما كان) أي ما صح واستقام (لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن
 الله) أي الا بأمره لانا عبيد مر بوبون فليس بنا الايمان بالآيات ولا تستبد به استطاعتنا حتى
 نأتيكم بما اقترحتموه وانما هو امر متعلق بمشيئة الله تعالى فله أن يخص كل نبي بنوع من
 الآيات (وعلى الله فليستوكل) بأمر حتم (المؤمنون) أي يثقوا به فلا يخاف من تخويفكم
 ولا تلتفت الى تهديدكم فان توكلنا على الله واعتمادنا على فضل الله فان الروح متى كانت
 مشرقة بالمعارف الالهية مشرقة باضواء علم الغيب قلنا تالي بالاحوال الجسمانية وقلنا تقيم
 لها وزنا في حالتها السراء والضراء فلها ذوقا على الله وعلو على فضلها وقطعوا أطعاهم
 عن سواه وعموا الامر للاشعار بما يلوجب التوكل وقصدوا به أنفسهم قاصدا اوليا ألا ترى الى
 قولهم (وما لنا أن نتوكل على الله) أي أي عذر لنا في أن لا نتوكل عليه (وقد هذا ناسلنا) أي
 وقد عرتنا طريق النجاة وبين لنا الرشدا فان من فاز بنسب العبودية ووصل الى مقام الاخلاص
 والمكاشفة يقيم عليه أن يرجع في أمر من الامور الى غير الحق وفي هذه الآية دلالة على أنه تعالى
 يعصم اوليائه والمخلصين في عبوديته عن كيد أعدائهم ومكرهم وقرأ أبو عمر وبسكون الباء
 والباقون بالرفع وكذلك لرسولهم سكن أبو عمر والسين ورفعها الباقون ثم قالوا (وانصبرن على
 ما آذيتونا) فان الصبر مفتاح الفرج ومطلع الخيرات والحق لا يبدو وأن يصبر غالبا قاهرا وبالباطل
 لا يبدو وأن يصبر مغلوبا معه ورأثم قالوا (وعلى الله فليستوكل المتوكلون) فان قيل أي فرق بين
 المتوكلين (أجيب) بأن الاول لاستحداث التوكل والثاني طلب دوامه أي فليثبت المتوكلون
 على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم * ولما حكى الله تعالى عن الانبياء عليهم السلام
 انهم استكفوا في دفع شرور أعدائهم بالتوكل عليه والاعتماد على حفظه وحياطته حكى عن
 الكفار أنهم بالغوا في السفاهة بقوله تعالى (وقال الذين كفروا لسلهم) مستهينين لمن قصر
 النجاء عنهم عليه (لنصر جنكم من ارضنا) أي التي لنا الآن الغلبة عليها (ولتعودن في ملتنا) أي
 حلفوا يكون أحد الامرين اما اخراجكم أيها الرسل واما عودكم الى ملتنا أي ديننا (فان قيل)
 قد يفهم هذا بظاهره أنهم كانوا على ملتهم قبل ذلك (أجيب) بأن العود هنا بمعنى الصيرورة وهو
 كثير في كلام العرب كثيرة فاشية لا تتكاد تتسعهم يستعدون صارا ولكن عادي يقولون ما عدت
 أراه عاد لا يكلمني ما عاد لقلان مال وقد اجعت الامة على ان الرسل من أول الامر انما نشؤوا
 على التوحيد لا يعرفون غيره ويجوز أن يكون الخطاب لكل رسول ولن آمن معه فقلبو بالجماعات
 على الواحد وقيل (ولتعودن في ملتنا) أي الى ما كنتم عليه قبل ادعاء الرسالة من السكوت عند
 ذكره ما به وعدم التعرض له بالظن والقدح * ولما ذكر الكفار هذا الكلام قال تعالى (فأوحى
 اليهم) أي الوسل (رجمهم) وقوله تعالى (لنهلكن الظالمين) أي الكافرين حكاية تقتضى اضعاف

القول أو أجرى الإيحاء مجزى القول لانه ضرب منه (ولتسكننكم الارض) أى أرضهم
(من بعدهم) أى بعدهم ولا بهم وتطيره قوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
الارض ومغاربهم وقوله تعالى وأورثكم أرضهم وديارهم قال الزمخشري وعن النبي صلى الله
عليه وسلم من آذى جاره وورثه الله داره قال ولقد عايت هذا في مدة قريية كان لي خال يظله عظيم
القرية التي أنا فيها ويؤذيني فيها فأت ذلك العظيم وما كنى الله ضيعته فنظرت يوماً إلى أبناء خالي
يترددون منها ويأمرن وينهون فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدنتهم
به وسجدناشكر الله تعالى (ذلك) أى النصر وإراث الارض (لمن خاف مقامى) أى موقفي وهو
موقف الحساب لأن ذلك الموقف موقف الله الذى يوقف فيه عباده يوم القيامة وتطيره وأتأمن
خاف مقام ربه وقوله تعالى وإن خاف مقام ربه جنتان وقيل ذلك لمن خاف مقامى أى خافنى
فالمقام مقمهم مثل ما يقال سلام على المجلس العالى والمراد السلام على فلان (وخاف وعبد) قال
ابن عباس ما وعدت من العذاب وهذا يدل على أن الخوف من الله غير الخوف من وعده
لأن العطف يقتضى المغايرة وفي تفسير قوله تعالى (واستغفصوا) قولان أحدهما ما طلب الفتح
أى واستنصر الله تعالى على أعدائهم وهو كقوله تعالى ان تستغفوا فقد جاءكم الفتح والثاني
الفتح الحكيم والقضاء أى واستصكمموا الله وسألوه القضاء بينهم وهو مأخوذ من الفساحة وهى
الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق فعلى القول الاوّل المستغفص هم الرسل
لأنهم استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب لما أيسوا من إيمانهم قال نوح رب لا تذر على
الارض من الكافرين دياراً وقال موسى ربنا اطمس على أموالهم وقال لوط انصرفى على
القوم المفسدين وعلى القول الثانى قال الرازى فالاولى أن يكون المستغفص هم الامم وذلك أنهم
قالوا اللهم ان كان هؤلاء الرسل صادقين فعذبنا ومنه قول كفار قريش اللهم ان كان هذا هو الحق
من عندك فأمطر علينا جبارة من السماء وكقول آخر من اتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين
(وخاب) أى خسرو هلك (كل جبار) أى متكبر عن طاعة الله وقيل هو الذى لا يرى فوقه
أحدًا وقيل هو المتعظم فى نفسه المتكبر على إقرانه واختلفوا فى قوله تعالى (عند) فقال مجاهد
معاند للحق ومجانبه وقال ابن عباس هو المعرض عن الحق وقال مقاتل هو المتكبر وقال قتادة
هو الذى يأبى أن يقول لا اله الا الله وقيل هو المحب بما عنده ولما حكم تعالى على الكافر بالخسبة
ووصفه بكونه جباراً عند اوصف كيفية عذابه بأمر الاوّل قوله تعالى (من وراءه) أى
امامه (جهنم) أى هو صائر اليها قال أبو عبيدة هو من الاضداد وقال الشاعر

عسى الكرب الذى أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب

ويقال أيضاً الموت وراء كل أحد وقال تعالى وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا أى
امامهم وقال تعاب هو اسم للمواورى عنك سواء كان خلقك أم قدماك فيصح اطلاق لفظ الوراة
على خاف وقد ام وقال ابن الانبارى وراء بمعنى بعد قال الشاعر * وليس وراء الله الخلق مهرب
ومعنى الآية على هذا ان الكافر بعد الخسبة يدخل جهنم الامر الثانى ما ذكره تعالى بقوله

(ويسقى) أى فى جهنم (من ماء صديد) وهو ما يسيل من جوف أهل النار محتلطاً بالقيح والدم
 جعل ذلك شراب أهل النار وقال محمد بن كعب هو ما يسيل من فروج الزنا يتساقط الكافر
 (فإن قيل) علام عطف ويسقى (أجيب) بأنه عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم
 يلقي فيها ما يلقي ويسقى من ماء صديد (يتجزعه) أى يتكلف أن يتلعه مرة بعد مرة لمرارته
 وحرارته ونقته (ولا يكاد يسفه) أى ولا يقدر على ابتلاعه قال الزمخشري دخل كاد للمبالغة
 يعنى ولا يقارب أن يسفه فكيف تكون الاساعة كقوله تعالى لم يكديراها أى لم يقرب من
 رؤيتها فكيف يراها (فإن قيل) كيف الجمع على هذا الوجه بين تجزعه ولا يكاد يسفه
 (أجيب) بجوابين أحدهما أن المعنى ولا يسفه جميعه كأنه يتجزع البعض وما أساغ الجميع
 والثانى أن الدليل الذى ذكرنا يدل على وصول ذلك الشراب الى جوف ذلك الكافر لأن ذلك
 ليس باساعة لأن الاساعة فى اللغاة اجراء الشراب فى الحلق واستطابة المشروب والكافر يتجزع
 ذلك الشراب على كراهية ولا يسفه أى لا يستطبه ولا يشربه شراباً مرة واحدة وعلى هذين
 الوجهين يصح حمل لا يكاد على نفي المقاربة الامر الثالث ما ذكره تعالى بقوله تعالى (وبأياته
 الموت) أى أسبابه المقضية له من أنواع العذاب (من كل مكان) أى من سائر الجهات وقيل من
 كل مكان من جسده حتى من أصول شعره وإبهام رجله (وما هو بميت) فيستريح وقال ابن
 جرير متعلق نفسه عند حنجرتة فلا يخرج من فيه فيموت ولا ترجع الى مكان من جوفه فتسفه
 الحياة الامر الرابع ما ذكره تعالى بقوله تعالى (ومن ورائه) أى ومن بين يديه بعد ذلك العذاب
 (عذاب غليظ) أى شديد كل وقت يستقبله أشد مما قبله وقيل هو الخلود فى النار وقيل هو قطع
 الانفاس وحبسها فى الاجساد * وما ذكره تعالى أنواع عذابهم بين بعده ان سائر أعمالهم نصير
 ماطلة ضائعة وذلك هو الخسران الشديد بقوله تعالى (مثل) أى صفة (الذين كفروا بربهم
 أعمالهم) أى الصالحة كصدقة وصلة ورحم وفك أسير واقرض صيف وبر والذى عدم الانتفاع
 بها (كمأذا اشتدت به الريح فى يوم عاصف) أى شديد هبوب الريح فجعلته هباً منتورا لا يقدر
 عليه كما قال تعالى (لا يقدرون) أى الكفار يوم الجزاء (عما كسبوا) أى عملوا فى الدنيا (على
 شئ) أى لا يجدون لهم ثواباً لفقده شرطه وهو الايمان وقرأ نافع الرياح بالجمع والباقون بالافراد
 (ذلك) إشارة الى ضلالهم مع حسابهم أنهم محسنون (هو الضلال البعيد) أى الخسران
 الكبير لأن أعمالهم ضلت وهلكت فلا يرجى عودها * (تنبيه) * فى ارتفاع قوله تعالى مثل
 أوجه أحدها وهو مذهب سيئويه أنه مبتدأ محذوف الخبر تقديره فيما يتلى عليكم . مثل الذين
 كفروا وتكون الجملة من قوله تعالى أعمالهم كرماد مسنأة نفة على تقدير سؤال سائل يقول
 كيف مثلهم فقيل أعمالهم كرماد والثانى وهو مذهب القراء التقدير مثل أعمال الذين كفروا
 بربهم كرماد فحذف المضاف اعتماداً على ذكره بعد المضاف اليه وهو قوله تعالى أعمالهم ومثله
 قوله تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة المعنى ترى وجوه الذين
 كذبوا على الله مسودة الثالث أن يكون التقدير صفة الذين كفروا أعمالهم كرماد كقوله صفة

زيد عرضه ومصون وماله مبذول الرابع أن تصكون أعمالهم بدلائم قوله مثل الذين كفروا
 والتقدير مثل أعمالهم وقوله تعالى كرماد هو الخبر وقيل غير ذلك وقوله تعالى (المر) أى تنظر
 خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمة وقيل لكل واحد من الكفرة على الالتفات
 (أن الله خلق السموات) على عظمتها وارتفاعها (والارض) على تباعد أقطارها واتساعها
 وقوله تعالى (بالخلق) أى بالحكمة والوجه الذى يحق أن تخلق عليه متعلق بخلق وقر أحزة
 والكسافى بألف بعد الناء وكسر اللام ورفع القاف وخفض الارض والباقون بغير ألف بعد
 الناء وفتح اللام والقاف ونصب الارض (ان يشأ يذهبكم) أيها الناس (وبأت) بدلكم (بخلق
 جديد) أطوع منكم رتب ذلك على كونه خالق السموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق
 أسولهم وما يتوقف عليه تخليقهم قدر أن يدلهم بخلق آخر ولم يتنع عليه كما قال تعالى (وما
 ذلك على الله بعزيز) أى عمتنع فانه تعالى قادر بذاته ولا اختصاص له بتقدرون مقدور
 ومن هذا شأنه كان حقيقاً أن يؤمن به ويعبد رباً ثوابه وخوفاً من عقابه يوم الجزاء * ولما ذكر
 تعالى أصناف عذاب هؤلاء الكفار وذكر عقبه أن أعمالهم تصير محبطة باطله ذكر كيفية
 مجادلتهم عند تمسك اتباعهم بهم وكيفية اقتضاحهم عندهم بقوله تعالى (وبرزوا) أى
 الخلاق من قبورهم (لنجمعها) والتعبير فيه وفيما يأتى بالمضى وان كان معناه الاستقبال
 التصق وقوعه لأن كل ما أخبر الله تعالى عنه فهو حق وصدق وكان لا محالة فصار كأنه قد
 حصل ودخل فى الوجود ونظيره ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار * (تنبية) * البروز فى اللغة
 الظهور بعد الاستتار وروحى حق الله تعالى محال فلا بد من تأويله وهو من وجهين الاول أنهم
 كانوا يسترون من العميون عند ارتكاب الفواحش ويظنون أن ذلك خاف على الله تعالى فإذا
 كان يوم القيامة انكشفوا لله عن أنفسهم وعلموا أن الله تعالى لا تخفى عليه خافية الثانى أنهم
 خرجوا من قبورهم فبرزوا والحساب الله تعالى وحكمه * ثم حكى الله تعالى عنهم أن الضمير
 يقولون للرؤساء هل تقدرين على دفع عذاب الله تعالى عنا بقوله تعالى (فقال الضمير) أى
 الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعفاء الرأى (للذين استكبروا) أى المتبوعين الذين طلبوا الكبر
 وادعوه فاستغفروهم به حتى تكبروا على الرسل وقوله تعالى (انا كآللكم تبعاً) يصح أن يكون
 مصدرانعت به للمبالغة أو على اضمار مضاف وأن يكون جمع تابع أى تابعين لكم فى تكذيب
 الرسل فكنتم سبب ضلالتنا وقد جرت عادة الاكابر بالدفع عن اتباعهم المساعدين لهم على
 أباطيلهم (فهل أنتم) أى فى هذا اليوم (مغنون) أى دفعون (عنا من عذاب الله) أى من
 انتقامه (من شئ) فان قيل فما الفرق بين من فى عذاب الله وبين من فى شئ (أجيب) بأن الاولى
 للشيئين والناية للتبعيض كأنه قيل هل أنتم مغنون عنا بعض الشئ الذى هو من بعض عذاب
 الله ويجوز أن يكونا للتبعيض معا معنى هل أنتم مغنون عنا بعض شئ هو بعض عذاب الله وعند
 هذا حكى الله تعالى عن الذين استكبروا أنهم قالوا (لو هدانا الله) أى الذى له صفات الكمال
 (الهدى بناكم) أى لو أرشدنا الله تعالى لارشدناكم ودعوناكم الى الهدى ولكنه لم يهدنا فاضلنا

وكنتم لتسبعا فلما أضللتناكم ولما كان المرجح لقولهم هذا الجزع قالوا (سواء علينا) أى نحن
 فأنتم (أجر نعمنا أم صبرنا) أى مستوعبنا الجزع والصبر والجزع أبلغ من الجزع لأنه يصرف
 الإنسان عما هو يصدده ويقطعه عنه (مألنا من محيص) أى مخي ومهرب عما نحن فيه
 من العقاب * (تنبيه) * يحتمل أن يكون هذا من كلام المتبوعين وأن يكون كلام القريرين
 ويؤيد الثاني ما روى أنهم سم يقولون فى النار عا والوا الجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفقهم
 الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفقهم الصبر فعند ذلك يقولون
 ذلك وقال محمد بن كعب القرظى بلغنى أن أهل النار استعاثوا بالخرزنة كما قال الله تعالى
 وقال الذين فى النار لخرزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فردت الخرزنة عليهم
 أولم تك تأتيناكم برسلكم بالدينات قالوا بلى فردت الخرزنة عليهم ادعوا وما دعاء الكافرين
 الا فى ضلال فلما يتسوا بما عند الخرزنة نادوا يا مالك ليقض علينا ربك أسألو الموت فلا يجيبهم
 ثمانين سنة والسنة ثمانمائة وستون يوما واليوم كأف سنة مما تعدون ثم يجيبهم بقوله انكم
 ما تكونون فلما أيسوا بما عنده قال بعضهم لم لبعض ذلك ولما ذكر تعالى المناظرة التى وقعت
 بين الرؤساء والاتباع من كفرة الانس أردفها بالمناظرة التى وقعت بين الشيطان وبين
 اتباعه بقوله تعالى (وقال الشيطان) الذى هو أول المتبوعين فى الضلال ورأس المضلين
 والمستكبرين (لمناقضى الامر) أى أحكم وفرغ منه وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار
 النار أخذ أهل النار فى لوم ابليس وتقريره وتوبيخه فيقوم فيهم خطيبا قال مقاتل يوضع له
 منبر من نار فيجتمع أهل النار اليه يلومونه فيقول لهم ما أخبر الله تعالى بقوله (ان الله
 وعدكم وعد الحق) أى بالبعث والجزاء على الاعمال فصدقكم (ووعدهم) أن
 لاجنة ولانار ولا حشر ولا حساب (فأخلفتمكم) أى الوعد فلم أقل شيئا الا كان زيفا
 فاتبعتونى مع كوفى وعدوكم وتركتكم وهو وليكم * (تنبيه) * فى الآية اضمهر من
 وجهين الاول ان التقدير ان الله وعدكم وعد الحق فصدقكم كما تقدم تقريره ووعدهم
 فأخلفتمكم وحذف ذلك لدلالة تلك الحالة على صدق ذلك الوعد لانهم كانوا يشاهدونها وليس
 وراء العيان بيان ولانه ذكر فى وعد الشيطان الاخلاف فدل ذلك على الصدق فى وعد الله
 تعالى الثانى ان قوله ووعدهم فصدقكم فصدقوا بصدق الوعد بقضى ففعلوا نائيا وحذف هذا للعلم به
 والتقدير ووعدهم فصدقكم ان لاجنة ولانار ولا حشر ولا حساب كما تقرر ولما بين غروره بين سهولة
 اغترارهم زياده فى تدعيمهم فقال (وما كان لى عليكم من سلطان) أى سلطانا من مزيدة أى
 قوة وقدرة أقرهم على الكفر والمعاصى وأجلستكم على متابعتى وقوله (الا ان دعوتكم) استثناء
 منقطع قال النحويون لان الدعاء ليس من جنس السلطان فمعناه لكن دعوتكم (فاستجبتم لى)
 همكمن السموات لان النفس تدعو الى هذه الاحوال الدنيوية ولا يتصور كيفية السموات
 الاخرية والكلمات النفسانية واقه يدعوا اليها ويرغب فيها كما قال والاخرة خير وأبلى قال
 الرازى وعندى انه يمكن أن يقال كلمة الالهنا استثناء حقيقى لان قدرة الانسان على حل الغير

على عمل من الاعمال تارة تكون بالقهر والقسر وتارة يكون بتقوية الداعية في قلبه بالقائه
 الوساوس اليه فهذا نوع من أنواع التسليط اه ثم قال لهم (فلاتلوموني) أي لانه ما كان مني
 الا الدعاء والقائه الوسوسة (ولوموا أنفسكم) لانكم سمعتم دلائل الله تعالى وجاءتكم الرسل
 فكان من الواجب عليكم أن لاتلقنوا الي ولا تسمعوا قولي فلما رجعت قولي على الدلائل الظاهرة
 كان اللوم بكم أو لي باجابتكم ومتابعي من غير حجة ولا دليل (فان قيل) لم قال الشيطان فلان لوموني
 وهو لوم بسبب اقدامه على تلك الحالة والوسوسة الباطلة (أجيب) بأنه أراد لاتلوموني
 على فعلكم ولوموا أنفسكم عليه لانكم عدلتم عما توجه من هداية الله تعالى لكم * ثم قال
 تعالى حكاية عن الشيطان انه قال (ما أتاكم مني حتى (أي بعينكم فيما يخضعكم من العذاب
 فازيل صراخكم منه) وما أنتم بصراخي) أي بعيني فيما يخضعني منه وقرأ ما عدا حجة بفتح الياء
 مع التشديد وقرأ حجة بكسر الياء مع التشديد على الاصل في التقاء الساكنين لان ياء الاعراب
 ساكنة وياء المتكلم اصلها الساكنون فلما التقيا كسرت لالتقاء الساكنين قال البضاوي
 وهو اصل مرفوض في مثله لما فيه من اجتماع ياءين وثلاث كسرات مع حركة ياء الاضافة اه
 فقوله اصل مرفوض أي متروك عند النجاة والافه وقرائة متواترة عند القراء فيجب المصير اليها
 لانها وردت من رب العالمين على لسان سيد المرسلين وقول القراء ولعلمهم وهم القراء فانه
 قل من سلم منهم من الوهم بمنوع فقد قال أبو حيان هي قراءة متواترة نقلها السلف واقتنى
 آثارهم فيها الخلف فلا يباين يقال فيها انها خطأ أو مقيمة أو رديشة وقد نقل جماعة من أهل
 اللغة أنها لغة لكن قل استمعها ونصر قطرب على أنها لغة في بني يربوع ونصر على أنها
 صواب أبو عمرو بن العلاء سئل عنها والقاسم بن معن من رؤساء الكوفيين قال الله تعالى
 حكاية عن الشيطان انه قال (اني كفرت بما أشركتوني من قبل) أي كفرت اليوم بإشراككم
 أي من قبل هذا اليوم أي في الدنيا كقوله تعالى ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومعنى
 كفروه بإشراكهم اياه تبرؤ منه واستنكاره له كقوله تعالى انابرآمنكم وما نعبدون من
 دون الله كفرتابكم. روى البغوي بسنده عن عقبه بن عامر عن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم في حديث الشفاعة يقول عيسى ذلك النبي الاتمي فيأتوني فيأذن الله لي أن أقوم فيثور
 مجلسي من أطير ريح شهها أحد حتى آتيني فيشفعني ويجعل في ثورامن شهر رأسي الى
 ظفر قدمي ثم يقول الكفار قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا فيقولون ما هو غير
 الشيطان هو الذي أضلنا فيأتونه فيقولون قد وجد المؤمنون من يشفع لهم قم أنت فاشفع لنا
 فانك أضلنا نيقوم فيثور من مجلده أتت ريح شهها أحد ثم يعظم لهمهم ويقول عند ذلك
 ان الله وعدكم وعد الحق الآية قال في الكشف وقوله (ان الظالمين) أي الكافرين (لهم
 عذاب أليم) أي مؤلم من كلام الله تعالى ويحتمل أن يكون من جملة قول ابليس وانما حكى
 الله تعالى ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفًا للسامعين في النظر لعاقبتهم والاستعداد
 لما لا بد لهم من الوصول اليه وأن يتصوروا في أنفسهم ذلك المقام الذي يقول فيه الشيطان

ما يقول فيخافوا ويعملوا ما يحلهم منه وينجهم * ولما بالغ سبحانه وتعالى في شرح حال الاشقياء
 من الوجوه الكثيرة شرح أحوال السعداء وما أعد لهم من الثواب العظيم والاجرا الجزيل
 وذلك أن الثواب منفعة خاصة دائمة مقرونة بالتعظيم فالمنفعة الخاصة اليها الاشارة بقوله تعالى
 (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار) وكونها اذاعة أشير اليها
 بقوله تعالى (خالدين فيها) وهو حال مقدرة والتعظيم حصل لهم من وجهين أحدهما قوله تعالى
 (بأذن ربهم) لأن تلك المنافع انما كانت تفضل من الله تعالى وانعاما والثاني قوله تعالى
 (تحتهم فيها سلام) لأن بعضهم يحيى بعضا بهذه الكلمة والملائكة يحيونهم بها كما قال تعالى
 والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم والرب يحييهم أيضا بهذه التحية كما قال تعالى
 سلام قولاً من رب رحيم ويحتمل أن يكون المراد انهم لم يدخلوا الجنة سلوا من جميع آفات
 الدنيا وحسراتها وفنون الآلهة واستقامها وأنواع ههوها وغمها لأن السلام مشتق من
 السلامة * ولما شرح سبحانه وتعالى أحوال الاشقياء وأحوال السعداء ذكر مثليين الحال
 في حكم هذين القسمين بقوله تعالى (آلم تر) أى تنظر والخطاب يحتمل أن يكون للنبي صلى الله
 عليه وسلم ويدخل معه غيره وأن يكون لكل فرد من الناس أى ألم تر أيها الانسان كيف
 ضرب الله أى المحيط بكل شئ علما وقدرة (مثلا) سيره بحيث يعم نفعه والمثل قول سائر
 يشبه فيه حال الثاني بالاول ثم ينه بقوله تعالى (كلمة طيبة) قال ابن عباس وأكبر المفسرين
 هى لا اله الا الله (كشجرة طيبة) قال ابن مسعود وأنس هى النخلة وعن ابن عباس هى شجرة
 فى الجنة وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ان الله تعالى ضرب مثل
 المؤمن شجرة فأخبرونى ما هى قال عبد الله فوقع الناس فى شجر البوادرى وكنت صيبا فوقع
 فى قلبى أنها النخلة فهبت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقولها وأنصغير القوم وروى فنعنى
 مكان عمر فاستجيب فقال له عمر يا نبي لو كنت قلتها لكانت أحب الى من جرائم ثم قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انها النخلة قبل الحكمة فى تشبيه الانسان بالنخلة من بين سائر
 الاشجار أن النخلة أشبه به من حيث انها اذا قطع رأسها يبست وسائر الاشجار ينشعب من
 جوانبها بعد قطع رأسها وأنها تشبه الانسان بحيث انها لا تحمل الا باللقاح لانها خلقت من
 فضلة طيبة آدم عليه السلام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أكرموا عممكم قبل ومن عممنا قال
 النخلة (أصلها ثابت) أى فى الارض (وفرعها) أى غصنها (فى السماء) أى فى جهة العلو
 والصعود ولم يرد المظلة كقولك فى الجبل طويل فى السماء تريد ارتفاعه وشموخه (توتى) أى
 تعلى (أكلها) أى غرأها (كل حين بأذن ربها) أى بارادته والحين فى اللغة الوقت يطلق
 على القليل والكثير واختلفوا فى مقداره هذا فقال مجاهد الحين هنا سنة كاملة لأن النخلة
 تنمر فى كل سنة مرة وقال قتادة ستة أشهر يعنى من حين طلوعها الى وقت صرامها وقال الربيع
 كل حين يعنى كل غدوة وعشية لأن تمر النخل يؤكل ليلا ونهارا وصيفا وشتاء فهو ككل منها
 الجمار والطلع والبيع والحلال والبسر والمنصف والرطب وبعد ذلك يؤكل التمر اليابس الى

حين الطرى الرطب فأكلها دأتم في كل وقت قال العلماء ووجه الحكمة في تشبيل كلمة
 الاخلاص بالشجرة لان الايمان ثابت في قلب المؤمن كنبوت أصل هذه الشجرة في الارض
 وعمله يصعد الى السماء كما قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فكذلك
 فرع هذه عال في السماء وتسال بركته وتوابه كل وقت والمؤمن كلما قال لا اله الا الله سعدت الى
 السماء وجاءه بركتها وخيرها وتوابها ونفعتهم ولان الشجرة لا تكون شجرة الا بثلاثة أشياء
 عرف راسخ وأصل قائم وفرع عال كذلك الايمان لا يتم الا بثلاثة أشياء تصدق القلب وقول
 اللسان وعمل بالابدان ثم شبهه تعالى على عظم هذا المنزلة ليقبل على تدبره ليعلم المراد منه فيلزم
 فقال (ويضرب الله) أى الذى له الاحاطة الكاملة (الامثال للناس لعلهم يتذكرون) أى
 يتعظون فان في ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعاني العقلية فيحصل الفهم
 التام والوصول الى المطلوب * ولما ذكر مثل حال السعداء اتبعه بمثل حال الاعداء فقال (ومثل
 كلمة خبيثة) هى كلمة الكفر (كشجرة خبيثة) هى الحنظل وقيل النوم وقيل الكشوث
 بثلاثة في آخره قال الجوهري نبت يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الارض قال
 الشاعر
 هى الكشوث لأصل ولا ورق * ولا نسيم ولا ظل ولا نحر

وقيل شجرة الشوك (اجتنت) أى استوصلت (من فوق الارض) أى عرقها قريبة
 منه (مالها من قرار) أى أصل ولا عرق فكذلك الكفر بالله تعالى ليس له حجة ولا ثبات
 ولا قوة وعن عبادة انه قيل لبعض العلماء ما تقول في كلمة خبيثة فقال ما أعلمها في الارض
 مستقرا ولا في السماء مصعد الا أن تلزم عنق صاحبها - حتى يوافي به يوم القيامة * ولما وصف
 الله سبحانه وتعالى الحكمة الطيبة في الآية المتقدمة أخبر بقوله تعالى (ثبت الله الذين آمنوا
 بالقول الثابت) أنه تعالى ثبتهم بها (في الحياة الدنيا) أى في القبر وقيل قبل الموت
 (وفي الآخرة) أى يوم القيامة عند البعث والحساب وقيل في القبر على القول الثاني * ولما
 وصف الكلمة الخبيثة في الآية المتقدمة أخبر بقوله تعالى (ويضل الله الظالمين) أى الكفار
 أنه تعالى لا يهديهم للجواب الصواب (ويضل الله ما يشاء) أى ان شاء هدى وان شاء أضل -
 لا اعتراض عليه روى عن البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم اذا سئل
 في القبر يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله تعالى ثبت الله الذين آمنوا
 بالقول الثابت وروى عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع في القبر
 وتوفى عنه أصحابه يسمع قرع فقال لهم أتاهم لمكان فقعد انه فيقولان له ما كنت تقول في هذا
 الرجل لمحمد صلى الله عليه وسلم فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر الى
 مقعدك من النار ابدلك الله بمقعد من الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم فيراها ما
 جميعا قال قتادة ذكر لنا أنه يسمع له في قبره ثم رجع الى حديث أنس قال وأما المنافق أو الكافر
 فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيه فيقال
 ما صويت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين اذنيه فيصبح صيحة يسمعها من يليه غير

الثقلين وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال شهدنا جنازة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
 فرغنا من دفنها وانصرف الناس قال انه الآن يسمع خفق نعالكم أتاه منكر ونكبر أعينهما
 مثل قدمي القوم وأنيابهما مثل صياحى البقر وأصواتهما مثل الرعد فيجلسانه فيسأله لأنه
 ما كان يعبدون من نبيه فان كان ممن يعبد الله تعالى قال كنت أعبدا لله ونبي محمد صلى الله
 عليه وسلم جاءه بالبينات والهدى فأمنابه واتبعناه فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا
 بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة فيقال له على اليقين حبيت وعليه مت وعليه تبعث
 ثم يفتح له باب الى الجنة ويوسع له في حفرته وان كان من أهل الشك قال لا أدري سمعت الناس
 يقولون شيئا فقلت له على الشك حبيت وعليه مت وعليه تبعث ثم يفتح له باب الى النار
 ويسلط عليه عقارب وتنانين لوتفخ أحدهم في الدنيا ما أنبت شيئا فتنشه وتوهر الارض فنضم
 عليه حتى تختلف أضلاعه فذم الله الثبات لنا ولو الدنيا ولا حبايتنا في الدنيا والآخرة انه كريم
 جواد ثم انه تعالى عاد الى وصف الكافرين فقال (المرت) أى ينظر وفى الخطاب ما تقدم (الى
 الذين يدولوا) والتبديل جعل الشيء مكان غيره (نعمة الله) أى التى أسبغها عليهم من كلمة
 التوحيد ومن جميع النعم الدينية وتيسر الرزق وغير ذلك بأن جعلوا مكان شكرها (كفرا)
 وهم يدعون أنهم أشكر الناس للاحسان وأعلامهم فى الوفاء وأبعدهم عن الحفاه (وأحلوا)
 أى أنزلوا (قومهم) أى الذين تابعوهم فى الكفر باضلالهم اياهم (دار البوار) أى الهلاك
 مع ادعائهم أنهم أذب الناس عن الجارض لاعن الاهل روى البخارى فى التفسير أنهم كفار
 أهل مكة وقوله تعالى (جهنم) عطف بيان (يدخلونها) أى يدخلونها (ويؤس القرار) أى المقر
 (وجعلوا لله) أى الذين يعلمون انه لا شريك له فى خلقهم ولا رزقهم لانه الكمال كله (أندادا)
 أى شركاء. وقوله تعالى (لتضلوا عن سبيله) أى دين الاسلام فيه قرآن كثير وأبو عمرو
 بفتح الباء من ضل يضل والباقون بضم الباء من أضل يضل وليس الضلال ولا الاضلال
 غرضهم فى اتخاذ الأنداد لكن لما كان نتيجته جعل كالغرض * ولما حكى الله تعالى عنهم هذه
 الأنواع الثلاثة من الاعمال القبيحة قال لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل) أى تهديد الهم فانهم
 لا يشكون فى قولك وان عاندوا (تعتوا) بدينا كم قليلا (فان مصيركم) أى مرجعكم (الى النار)
 فى الآخرة ولما أمر الله تعالى الكافرين على سبيل التهديد والوعيد بالتمتع بنعيم الدنيا أمر
 المؤمنین بترك التمتع بالدنيا والمبالغة فى المجاهدة بالنفس والمال بقوله تعالى (قل لعبادى)
 فوصفهم بأشرفا وأصافهم وأضافهم الى ضميره الشريف تحبيبا لهم فيه ثم اتبع هذا الوصف
 ما يناسبه من اذعانهم لسيدهم بقوله تعالى (الذين آمنوا) أى أوجدوا وهذا الوصف
 (يقبوا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم) فيه وجهان أحدهما يصح أن يكون جوابا لأمير محمد زوق
 تقديره قل لعبادى الذين آمنوا أقبوا الصلاة وأنفقوا يقبوا الصلاة وينفقوا والثانى يصح
 أن يكون هو أمر الحق ولا محذور فامنه اللام أى يقبوا يصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك
 جهنا ولم يحسن فى قوله

محمد فقد نفسك كل نفس * إذا ما خفت من شيء تسبلا

أى تسبلى به أى تكثر به لدلالة قل عليه (سرا وعلائية) أى يتقون أموالهم في حال السر والعلائية وقيل المراد بالسر صدقة التطوع وبالعلائية اخراج الزكاة الواجبة * (تنبية) * في انصباب سرا وعلائية وجوه أحدها أن يكون على الحال أى ذوى سرا وعلائية بمعنى مسرتين ومعلمين والثانى على الظرف أى وقت سرا وعلائية وثالثها على المصدر أى انفاق سرا وانفاق علائية * ولما أمرهم الله تعالى بأقامة الصلاة والانفاق أشار الى عدم التهاون بذلك بقوله عز وجل (من قبل أن يأتى يوم) أى عظيم جدا ليس كشيء من الأيام التى تعرفونها (لا يبيع فيه) أى فيشترى المقصر ما يتدارك به نقصه - يره أو يقضى به نفسه (ولا خلال) أى مخاللة أى صداقة تنفع في ذلك اليوم قال مقاتل انما هو يوم لا يبيع فيه ولا شرا ولا مخاللة ولا قرابة فكانه تعالى يقول أنفقوا أموالكم في الدنيا حتى تجددوا ثواب ذلك الانفاق في مثل هذا اليوم الذى لا يحصل فيه مباحة ولا مخاللة ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة البقرة لا يبيع فيه ولا خلة ولا شفاعة (فان قيل) كيف نفي الله تعالى المخاللة في هاتين الآيتين مع انه تعالى أثبتها في قوله تعالى الاخلاص يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين (أجيب) بان الآية الدالة على نفي المخاللة محمولة على نفي المخاللة بسبب ميل الطبع ورغبة النفس والآية الدالة على حصول المخاللة محمولة على حصول المخاللة الحاصلة بسبب عبودية الله تعالى ومحبة الله تعالى * ولما طال الكلام في وصف أحوال السعداء وأحوال الأشقياء وكانت العمدة العظمى والمترلة الكبرى في حصول السعادات معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وفي حصول الشقاوة ففسدان ذلك ختم تعالى أحوال الفريقين بقوله تعالى (الله) أى الملك الاعلى المحيط بكل شيء ثم اتبعه بالدلائل الدالة على وجوده وكمال علمه وقدرته وذكرنا عشرة أنواع من الدلائل أولها قوله تعالى (الذى خلق السموات) وثانيها قوله تعالى (والارض) وهما أكبر خلقا منكم وأعظم شأنا وثالثها قوله تعالى (وأزل من السماء ماء

فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس * (تنبية) * الله مبتدا وخبره الذى خلق ورزقا مفعول لا يخرج ومن الثمرات بيان له حال منه ويصح أن يكون المراد بالسماء هنا السحاب اشتقاقا من السمو والارتفاع وأن يكون الجرم المعهود فينزل من السماء الى السحاب ومن السحاب الى الارض وقد ذكرت ذلك في سورة البقرة وفي غيرها ورابعها قوله تعالى (وسخر لكم الفلك) أى السفن (لتجربى فى البحر) أى بالركوب والحمل (بأمره) أى بمشيئته وإرادته وخامسها قوله تعالى (وسخر لكم الانهار) أى ذللها لكم تجرونها حيث شئتم لان ماء البحر لا يتفجع به في سقى الرزق والثمرات ولا في الشرب فكان ذلك نعمة من الله تعالى وسادسها وسابعها قوله تعالى (وسخر لكم الشمس والقمر) حال كونهما (دايين) أى جارين في فلكهما لا يفتران في سيرهما وانارتها وتأثيرهما في انارة الظلمة واصلاح النبات والحیوان الى آخر الدهر وهو انتضاء عمر الدنيا وذهابها والشمس سلطانها النهار وبها تعرف فصول السنة وهى أفضل من القمر لكثرة نفعها والقمر سلطانها الليل وبه يعرف انتضاء

الشهور ووكل ذلك بتسخير الله تعالى وانعامه ونامها وناسعها قوله تعالى (وتحزركم
 الليل والنهار) يتعاقبان فيكم بالضياء والظلمة والزيادة والنقصان وذلك من نعم الله تعالى على
 عباده حيث جعل لهم الليل ليسكنوا فيه والنهار ليعتقوا فيه من فضله وعاشرها قوله تعالى
 (وأنا كم من كل ما سألتموه) أي ما أنتم محتاجون اليه على حسب مصالحكم فأنتم سألتموه
 بالقوة * ولما ذكر سبحانه وتعالى بعض ما أنعم به على عباده بين أن العبد عاجز عن حصرها
 وعذها بقوله تعالى (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) أي لا تحيطوا بها ولا تطبقوا عذها
 وبلوغ آخرها هذا اذا أرادوا أن يعدوها على الاجمال واما على التفصيل فلا يقدر عليه
 ولا يعلم الا الله تعالى (ان الانسان) أي الكافر وقال ابن عباس يريد بأجهل (الظلم)
 أي كثير الظلم لنفسه (كفار) أي كفور لئتم ربه وقيل ظلم في الشدة يشكو ويجزع كفار
 في النعمة يجمع وينع (فان قيل) لم قال تعالى حناتا الانسان لظلم كفار وفي الضل ان الله
 لغفور رحيم (أجيب) بأنه تعالى يقول للعبد اذا حصلت لك النعم الكثيرة فأنت الذي أخذتها
 وأنا الذي أعطيتها فحصل لك عند أخذها وصفان وهما كونك ظلوما كفارا ولي وصفان عند
 اعطائها وهما كونك غفورا رحما والمقصود كانه يقول ان كنت ظلوما فانا غفور وان كنت
 كفارا فانا رحيم أعلم بحزرك وتقصيرك فلا أقابل تقصيرك الا بالتوقير ولا أجازي جزاءك الا بالوفاء
 ونسأل الله حسن العاقبة والرحمة * ولما بين الله تعالى بالدلائل المتقدمة أن لامعبود الا الله
 سبحانه وتعالى وانه لا يتجزع عبادة غير الله البتة حكى عن ابراهيم عليه السلام مبالغة في انكاره
 عبادة الاوثان بقوله تعالى (واذ كر لهم مذكرا بأيام الله خيرا ابراهيم اذ قال ابراهيم
 رب أي الحسن الي باجابة دعائي (اجعل هذا البلدا) أي مكة (أمنا) أي ذا أمن وقد أجاب
 الله تعالى دعاءه فجعله حرما لا يفسك فيه دم انسان ولا يظلم فيه أحد ولا يصادم بيده ولا يتجمل
 خلاله (فان قيل) أي فرق بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا وبين قوله اجعل هذا البلدا آمنا
 (أجيب) بأن المسؤل في الاول أن يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها ولا يخافون وفي الثاني
 أن يزيل عنها الصفة التي كانت حاصله لها وهي الخوف ويجعل لها تلك الصفة وهي الامن كانه
 قال هو ببلد مخوف فاجعله آمنا (فان قيل) كيف أجاب الله تعالى دعاءه مع ان جماعة من
 الخبارة قد أثاروا عليهم وأخافوا أهلها (أجيب) بجوابين أحدهما ان ابراهيم عليه السلام
 لما فرغ من بناء الكعبة دعا بهذا الدعاء والمراد منه جعل مكة أمنة من الخراب وهذا موجود
 بحمد الله تعالى فلم يقدر احد على اضرار مكة (فان قيل) برده على هذا ما ورد عنه صلى الله عليه
 وسلم أنه قال يخرب الكعبة ذوا السويقتين من الحبشة (أجيب) بأن قوله تعالى اجعل هذا
 البلد يعني الى قرب يوم القيامة وخراب الدنيا فهو عام مخصوص بقصة ذى السويقتين فلا
 تعارض بين النصين والجواب الثاني أن المراد جعل أهلها آمنين كقوله تعالى واسأل القرية
 أي أهلها وهذا الخراب عليه أكثر المفسرين وعلى هذا فقد اختص أهل مكة بزيادة الامن في
 بلدهم كما أخبر الله تعالى بقوله ويخطف الناس من حولهم وأهل مكة آمنون من ذلك حتى ان

من التبع إلى مكة أمن على نفسه وماله وحتى إن الوحوش إذا كانت خارجة الحرم استوحشت
 وإذا كانت داخله الحرم استأنست لعلها أنه لا يهجمها أحد في الحرم وهذا القدر من الأمن
 حاصل بحمد الله بمكة وسرهما (واجبني) أي بهدي (وبني أن) أي عن أن (تعبدا للاصنام)
 أي اجعلنا في جانب غير جانب عبادتها (فان قيل) الانبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون
 فما الفائدة في قوله اجبني عن عبادة الاصنام (أجيب) بأنه عليه الصلاة والسلام انما سأل
 ذلك ههنا نفسه واظهارا للعاجلة والقاقة إلى فضل الله في كل المطالب وفي ذلك دليل على أن
 عصمة الانبياء بتوفيق الله تعالى وحفظه اياهم (فان قيل) كان كفار قريش من آبائهم مع انهم
 كانوا يعبدون الاصنام فكيف أجيب دعاؤه (أجيب) بأن المراد من كان وجود حال الدعاء
 ولا شبهة ان دعوته كانت بحجة فيهم أو ان هذا الدعاء مخصوص بالمؤمنين من اولاده والدليل
 عليه أنه قال عليه السلام في آخر الآية فمن تعني فانه مني وذلك بقصد أن من لم يتبعه على دينه
 فانه ليس منه وتظهير قوله تعالى انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح والصنم المصنوع على خلقه
 البشر وما كان مضموعا على غير خلقه البشرية وثناؤه الطبري ولذا المسائل ابن عيينة كيف
 عبت العرب الاصنام فقال ما عبد أحد من بني اسمعيل صنما واحتج بقوله تعالى واجبني وبني
 أن نعبد الاصنام انما كانت انصاب الجبارة لكل قوم قالوا ليت حجر فيصنمنا صنما حجر فهو
 بمنزلة الميت فكأنوا يدورون بذلك الحجر أي يطوفون به أسابع تشبيها بالكعبة ويسمونه الدوار
 بضم الدال مشددة وقد تفتح قال الجوهري دوار بالضم صنم وقد تفتح فاستحب أن يقال طاف
 بالبيت ولا يقال دار بالبيت قال الرازي وهذا الجواب ليس بقوى لانه عليه السلام لا يجوز
 أن يريد بهذا الدعاء الاعباد غير الله والحجر كاصنامهم في ذلك ثم حكى الله تعالى عن ابراهيم أنه قال
 (رب انهن أي الاصنام) أضلن كثيرا من الناس بعبادتهم لها (تنبيه) * اتفق كل الفرق
 على أن قوله أضلن مجاز لانها اجادات والجملا لا يفعل شيئا البتة الا انه لما حصل عند عبادتها
 أضيف اليها كما تقول فننتهم الدنيا وغرتهم أي اقتدوا بها واغتروا بسببها ثم قال (فمن تعني)
 أي على التوحيد (فانه مني) أي فانه جار مجرى بعضي لفرط اختصاصه بي وقر به مني (ومن
 عصاني) أي في غير الدين (فانك عفو رحيم) وهذا سر مح في طلب الرحمة والمغفرة لا ولك
 العصاة واذا ثبت حصول هذه الشفاعة في حق ابراهيم عليه الصلاة والسلام ثبت حصولها في
 حق محمد صلى الله عليه وسلم لانه مأثور بالاقتران كما قال تعالى واتبع له ابراهيم وقيل ان هذا
 الدعاء كان قبل أن يعلم ابراهيم ان الله لا يغير الشرك وقيل انك قادر ان تغفر له وترجه بأن تنقله
 عن الكفر إلى الاسلام وقيل المراد من هذه المغفرة أن لا يعاجلهم بالعقاب فلا يعجزهم حتى
 يتوبوا قال الرازي واعلم أن هذه الاوجه ضعيفة وارفضي ما تقر أولًا (تنبيه) * حكى الله
 سبحانه وتعالى عن ابراهيم عليه السلام في هذا الموضوع انه طلب من الله تعالى سبعة أمور
 الاقل طلب من الله تعالى نعمة الامان وهو رب اجعل هذا البلد آمنا المطالب الثاني أن يرفقه
 اقمبها التوحيد ويصونه عن الشرك وهو قوله واجبني وبني أن نعبد الاصنام المطالب

الثالث قوله (ربنا انى اسكنت من ذريتى) أى بعض ذريتى أو ذرية من ذريتى لخذف المفعول على هذا القول وهم اسمعيل ومن ولده منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم (بواد) هو وادى مكة المشرفة لتكونه في فضاء منخفض بين جبال تجرى فيه السيول (غير ذى زرع) أى لا يكون فيه من الزرع قط فانه حجرى لا ينبت قوله تعالى قرأنا عريبا غريبا عوجا بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج (عند بيتك المحترم) أى الذى حرمت التعرض له والتماون به وجعلت ماحوله حرما لمكانه أولانه لم يزل منعاعز رايها به كل جبار كالشئ المحترم الذى حقه أن يجتنب أولانه محترم عظيم الحرمه لا يجل انتهاكه أولانه حرم على الطوفان أى منع منه كما سعى عتيقا لانه أعتق منه فأرسله عليه أولانه أمر الصائرين اليه أن يحرموا على أنفسهم أن يساءوا كانت تحمل لهم من قبل أولانه حرم موضع البيت حين خلق السموات والارض وحفه بسبعة املالك وهو مثل البيت المعمور الذى بناه آدم فرفع الى السماء السادسة وروى ان هاجر كانت أمة لسارة فوهبتا لابراهيم عليه السلام فولدت منه اسمعيل فقالت سارة كنت أريد أن يهب الله لى ولدا من خليله ففغنيه ورزقه خادمى وغارت عليهما وقالت لابراهيم بعد همامنى وناشدته بالله أن يخرجهما من عندها فنقلهما الى مكة واسمعيل رضيع حتى وضعهما عند البيت عند دوحه فوق زمزم فى اعلى المسجد وليس مكة يومئذ أحد وليس بهما ماء فوضعهما هناك ووضع عندهما جرأبافيه تمر وسقا فيه ماء ثم قفل ابراهيم منطلقا فبعثته أم اسمعيل وقالت يا ابراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شئ فقالت لذلك مرار او هو لا يلتفت اليها فقالت له الله أمر لى بهذا قال نعم قالت اذا الايضعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعاهم وولاه الدعوات وروع يديه وقال ربنا انى اسكنت من ذريتى حتى بلغ يشكرون وجعلت أم اسمعيل ترضعه وتشرى من ذلك الماء حتى اذا تقدم فى السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يلتوى أو قال يلبط فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل فى الارض يليه اقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى من أحد فلم تر أحد ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريدن ضمما ثم تسعت فسمعت أيضا فقالت قد أسمعت ان كان عند ذلك غواث فاذا هى بالملك عند موضع زمزم فبعث بعقبه أو قال يجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء فى سقاها وهو يوربعدها ما تغرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله أم اسمعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عنا عينا قال فشرى وأرضعت زلدها فقال الملك لا تخافوا الضيعة فان هبنات الله بينه هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعاً من الارض كالراية يأتىه السيل فيأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كذا فنزلوا فى أسفل مكة فنظروا طائرا فقلوا ان هذا الطائر يدور على الماء

لعهد ناهي الوادي وما فيه ماء فأرسلوا جريا أو سريين فاداهم بالماء فرجعوا فأخبروهم فأقبلوا
 وأم اسمعيل عند الماء فقالوا أتأذنين لنا أن نزل عندك فقلنا نعم ولكن لاحق لكم في الماء
 قالوا نعم قال ابن عباس قالت ذلك أم اسمعيل وهي تحب الانس فتزولوا وأرسلوا الى أهلهم
 فتزولوا معهم حتى اذا كان بهم أهل أبيات منهم قشب الغلام وتعلم العربية منهم والفهم وأعجبهم
 حتى شب فلما أدرك تزوجوه امرأة منهم وماتت أم اسمعيل فجاءه ابراهيم بعد ما تزوج اسمعيل
 وتقدم تمام هذه القصة في سورة البقرة ثم قال (رب ليقيموا الصلاة) الام لام كي متعلقة
 بأسكنت أي ما أسكنتهم بهذا الوادي المقرر الذي لا شيء فيه الا إقامة الصلاة عند بيتك المحترم
 ويعمره وبذرك وعبادتك وما تعمر به مساجدك ومتعبدا لك متبركين بالبيعة التي شرفتها
 على البقاع مستعبدين بجوارك الكريم متقربين اليك بالعبادة وكوف عند بيتك والطواف به
 والركوع والسجود حوله مستنزلين الرحمة التي آثرت بها سكان حرمك وتكبر ير النداء وتوسطه
 للاشعار بأنهما المقصود بالذات من اسماكلهم هـ سالك والمقصود من الدعاء توفيقهم لها (فاجعل
 أفئدة) أي قلوبا محترقة بالاشواق (من الناس) ومن للتبعض والمعنى واجعل أفئدة بعض
 الناس (تهوى) أي تميل (اليهم) ويدل عليه ما روى عن مجاهد لو قال أفئدة الناس لاحتكم
 عليه فارس والروم والترك والهند وقال سعيد بن جبير لو قال أفئدة الناس لاحت اليهود
 والنصارى واليهوس ولكنهم قال أفئدة من الناس فهم المسلمون وقال ابن عباس لو ذل أفئدة
 الناس لحت اليه فارس والروم والناس كلهم * ولما دعاهم بالدين دعاهم بالرزق فقال
 (وارزقهم من الثمرات) ولم يقل وارزقهم الثمرات وذلك يدل على أن المطلوب بالدعاء ايصال
 بعض الثمرات اليهم ويحتمل أن يكون المراد ايصال بعض الثمرات اليهم ايصالها اليهم على سبيل
 التجارات كما قال تعالى تجي اليه ثمرات كل شئ حتى يوجد فيه الفواكه الصيفية والربيعية
 والخريفية في يوم واحد وليس ذلك من آياته بحجب وأن يكون المراد عمارة القرى بالقرب منها
 لتحصن تلك الثمار وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال كانت الطائفة من أرض
 فلسطين فلما قال ابراهيم ذلك رفعها الله فوضعها حيث وضعها رزقا للحرث (لعلهم يشكرون)
 يدل على أن المقصود للعالم من منافع الدنيا أن يتفرغ لاداء العبادات واقامة الطاعات فان
 ابراهيم عليه السلام بين أنه انما يطلب تيسير المنافع على أولاده لاجل أن يتفرغوا لاقامة
 الطاعات واداء الواجبات * ولما طلب عليه السلام من الله تعالى تيسير المنافع لأولاده
 وتسهيلها عليهم - ثم ذكر انه لا يعلم عواقب الاحوال ونهاية الامور في المستقبل فانه تعالى هو
 العالم بها والمحيط بأسرارها فقال (ربنا انك تعلم ما نخفي) أي نسر (وما نعلن) وهذا هو المطلوب
 الرابع والمعنى أنك أعلم بأحوالنا ومصالحنا ومفاسدنا مما قيل ما نخفي من الوجوه بسبب
 حصول الفرقة بيني وبين اسمعيل وما نعلن من البكاء وقيل ما نخفي من الحزن المتكبر في القلب
 وما نعلن يريد ما جرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تمسكنا قال الى الله
 أكلكم قالت الله أمرتكم بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا واختلف في قوله تعالى (وما يخفي على

الله من شئ في الارض ولا في السماء) مقبل من تبة قول ابراهيم عليه السلام يعني وما يخفى على
الله الذي هو عالم الغيب من شئ في أي مكان والا ككثرون على انه قول الله تعالى تصديقا
لابراهيم فيما قال كقوله تعالى وكذلك يفعلون ولغظة من تفيد الاستغراق كأنه قيل وما يخفى
عليه شئ مما * ولما تم ابراهيم عليه السلام ما دعا به أتبعه الحمد على ما رزقه من النعم بقوله تعالى
(الحمد لله) أي المستجمع لصفات الكمال (الذي وهب لي) أي أعطاني (علي الكبير) أي وهب لي
وأنا كبير آيس من الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظما للنعمة واطهارا للمنافيه من الحجزة
(اسماعيل واسحق) ومقدار ذلك السن غيره معلوم من القرآن وانما يرجع فيه الى الروايات فقال
ابن عباس ولدا اسمعيل لابراهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة وولده اسحق وهو ابن مائة واثنتي
عشرة سنة (فان قيل) ان ابراهيم عليه السلام انما ذكر هذا الدعاء عندما سكن اسمعيل واته
في ذلك الوادي وفي ذلك الوقت ما ولدا اسحق فكيف يمكنه أن يقول ذلك (أجيب) بأن هذا
يقضي أن ابراهيم انما ذكر هذا الكلام في زمن آخر لاعتق ما تقدم من الدعاء قال الرازي
ويمكن أيضا أن يقال انه عليه السلام انما ذكر هذا الدعاء بعد كبر اسمعيل وظهور اسحق وان
كان ظاهر الروايات بخلافه انتهى * (تنبيه) * قوله على الكبير يعني مع كقوله
اني على ما ترى من كبرى * أعلم من حيث يؤكل السمك

وهو في موضع الحال * ولما ذكر الدعاء على سبيل الرمز والتعريض لاعلى وجه الانصاح
والتصريح قال (ان ربي) أي المحسن الي (اسمع الدعاء) أي الجيبه (فان قيل) الله تعالى
يسمع كل دعاء أجاه أوله الجيبه (أجيب) بأن هذا من قولك سمع الملك كلامي اذا اعتدب وقيله
ومنه سمع الله لمن حده المطلوب الخامس قوله (رب اجعلني مقيم الصلاة) أي معتدلا لها
. واطلبا عليها * (تنبيه) * في الآية دليل على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى لان قوله تعالى
حكاية عن ابراهيم عليه السلام واجنبي وبني أن نعبد الاصنام يدل على ان ترك المنهيات
لا يحصل الامن الله تعالى وقوله رب اجعلني مقيم الصلاة يدل على ان فعل المأمورات لا يحصل
الامن الله تعالى وذلك تصريحه بأن ابراهيم عليه السلام كان مصرعا على أن الكل من الله تعالى
وقوله تعالى (ومن ذريتي) عطف على المنصوب في اجعلني أي واجعل بعض ذريتي كذلك لان
كلمة من في قوله ومن ذريتي للتبعية وأما ذكر هذا التبعية فلا نعلم باعلام الله تعالى انه
يكون في ذريته جمع من الكفار وذلك قوله تعالى لا ينال عهدى الطالبين المطلوب السادس
أنه عليه السلام لمادعا الله تعالى في المطالب المذكور دعا الله تعالى أن يقبل دعاءه فقال
(وبنوا تقبل دعاء) قال ابن عباس يريد عبادتي بدليل قوله تعالى وأعتزلكم وماتدعون من
دون الله وقيل دعائي المذكور المطلوب السابع قوله (ربنا) أي أيها الملك لا مورنا المدبر لنا
(اغفر لي) * فان قيل ان طلب المغفرة انما يكون بعد سابقة ذنب (أجيب) بأن المقصود من
ذلك الالتجاء الى الله تعالى وقطع الطامع الامن فضله وكرمه ورجته ثم أشركه مع أقرب الناس
اليه وأحقهم بشكره فقال (ولو ادتي) * فان قيل كيف جاز أن يستغفر لوالديه وكلنا

كافرين (أجيب) بوجوه الأول ان المتع منه لا يعلم الابتوقيف فلعلة لم يجدمنه منعاً وظن
 كونه جائزاً الثاني أراد بوالديه آدم وحواء الثالث كان ذلك بشرط الاسلام وقال
 بعضهم كانت أمته مؤمنة ولذلك خص أباه بالذكور في قوله فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه * ثم دعا
 لمن تبعه في الدين من ذريته وغيرهم بقوله (وللمؤمنين) أي العريقين في هذا الوصف (يوم
 يقوم) أي يبدو ويظهر (الحساب) وقيل أراد يوم يقوم الناس فيه للحساب فاكتفى بذكر
 الحساب لكونه مفهوماً عند السامع وهذا دعاء للمؤمنين بالمغفرة والله تعالى لا يرد دعاء خليه
 ابراهيم عليه السلام وفيه بشارة عظيمة للمؤمنين بالمغفرة فنسأل الله تعالى أن يغفر لنا ولوالدينا
 ولجميعنا ولا حبا بنا ولن تقطر في هذا التفسير ودعاء لمن كان سبباً فيه بالمغفرة * ولما بين تعالى
 دلائل التوحيد ثم حكى عن ابراهيم عليه السلام انه طلب من الله تعالى أن يصونه عن الشرك
 وطلب منه أن يوفقه للاعمال الصالحة وان يخصصه بالرجة والمغفرة في يوم القيامة عقبه بقوله
 تعالى مخاطبة لتبنيه صلى الله عليه وسلم (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون) لان الغفلة
 معني يمنع الانسان عن الوقوف على حقائق الامور وقيل حقيقة الغفلة سهو يعترض الانسان
 من قلة التحفظ والتيقظ وهذا في حق الله تعالى محال والمتصور من ذلك التبيين على انه ينتقم
 للمظلوم من الظالم فقيه وعيبد وتمديد للظالم واعلام له بأنه لا يعامله معاملة الغافل عنه بل يتقمم
 ولا يتركه مغفلاً عنه وعن سفيان بن عيينة فيه تسليمة للمظلوم وتمديد للظالم فقيل له من قال
 هذا فغضب وقال انما قاله من علمه (فان قيل) كيف يليق به صلى الله عليه وسلم أن يحسب الله
 موصوفاً بالغفلة وهو أعلم الناس به (أجيب) بوجوه الأول أن المراد به التثبت على ما كان
 عليه من انه لا يحسب الله غافلاً كقوله لا تدع مع الله الها آخر والثاني ان المقصود منه بيان
 انه لو لم ينتقم لكان عدم الانتقام لاجل غفله عن ذلك الظلم والثالث أن المراد ولا تحسبنيه
 معاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقيض والقطمير
 والرابع أن يكون هذا الكلام وان كان خطاباً مع النبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر الا أنه
 يكون في الحقيقة خطاباً مع الامة * ثم بين تعالى انه (انما يؤخرهم) أي عذابهم (ليوم) موصوف
 بخمس صفات الصفة الاولى قوله تعالى (نحسب فيه الابصار) أي ابصارهم * لا تقرر مكانها
 من هول ما ترى في ذلك اليوم الصفة الثانية قوله تعالى (مهطعين) أي مسرعين الى الداعي
 أو مقبلين بأبصارهم لا بطرقون هيبة وخوفاً وقيل المهطع الخاضع الذليل الساكن الصفة
 الثالثة قوله تعالى (مقنعي رؤسهم) أي رافعيها اذا الاتقاع رفع الرأس الى فوق فأهل الموقف
 من صفتهم أنهم رافع رؤسهم الى السماء وهذا بخلاف المتعاد لان من توقع البلاء بطرق
 بصره الى الارض وقال الحسن وجهه الناس يوم القيامة الى السماء لا ينظر أحد الى أحد
 الصفة الرابعة قوله تعالى (لا يرتد اليهم طرفهم) أي بل تثبت عيونهم شاحصة لا يبطرفون
 بعينهم ولا يكتن عيونهم مقنوعة مدودة من غير تحريك للاحسان قد شغلهم ما بين أيديهم
 الصفة الخامسة قوله تعالى (وأفنتهم) أي قلوبهم (هوام) أي خالية من العقل لفرط الخيرة

والدهشة وقال قتادة خرجت قلوبهم عن صدورهم فصارت في حناجرهم فلا تخرج من أفواههم ولا تعود إلى أماكنها* (تنبيه) اختلقوا في وقت حصول هذه الصفات قبل أنها عند المحاسبة بدليل أنه تعالى إنما ذكر هذه الصفات عقب وصف ذلك بأنه يوم يقوم الحساب وقيل إنها تحصل عندما يتميز فريق عن فريق فالسعداء يذهبون إلى الجنة والأشقياء إلى النار وقيل يحصل عند آجابه الداعي والقيام من القبور قال الرازي والأول أولى (وأندرا الناس) يا محمد أي خوفهم يوم القيامة وهو قوله تعالى (يوم يأتيهم العذاب) أي الذي تقدم ذكره وهو نحو من أبحارهم وكونهم مطعنين مقنعي رؤسهم (فيقول الذين ظلوا) أي كفروا (ربنا أحرنا) أي بأن تردنا إلى الدنيا (إلى أجل قريب) إلى أمد واحد من الزمان قريب (نجب دعوتك) أي بالتوجه وتدارك ما فرطنا فيه (وتبج الرسل) فيما يدعوننا إليه فيقال لهم تو بيجا (أولئك كانوا أقسمتم) أي حلفتهم (من قبل) في الدنيا (مالكم) وأكد النبي بقوله (من زوال) أي مالكم عنها استقال ولا يبعث ولا نشور كما قال في آية أخرى وأفسوا بالله جهداً بما بينهم لا يبعث الله من موت وكانوا يقولون لا زوال لنا من هذه الحياة إلى حياة أخرى ومن هذه الدار إلى دار الجحزة لأنهم كانوا يشكرون أن يزولوا عن حياة إلى موت أو عن شباب إلى هرم أو عن غنى إلى فقر ثم أنه تعالى زادهم تو بيجا آخر بقوله تعالى (وسكنتم) في الدنيا (في مساكن الذين ظلوا أنفسهم) بالكفر من الام السابقة (وتبين لكم كيف فعلناهم) أي وظهر لكم بما شاهدون في منازلهم من آثار ما نزل بهم وما نزل عندكم من أخبارهم (وضربنا) أي وبيننا (لكم الأمثال) في القرآن أن عقابهم عادت إلى الوبال والخزي والشكال مما يعلم به أنه قادر على الإعادة كما قدر على الابتداء وقادر على التعذيب المؤجل كما يفعل الهلاك المجمل وذلك في كتاب الله تعالى كثير* ولما ذكر تعالى صفة عقابهم أتبعه بذكر كيفية مكربهم بقوله تعالى (وقدمكروا مكربهم) أي الشديد العظيم الذي استقر غوائه جهدهم واختاب في عود الضمير في مكروا على وجوه الأول أن يعود إلى الذين سكنوا في مساكن الذين ظلوا أنفسهم لأن الضمير يعود إلى أقرب مذكور والثاني إلى قوم محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى وأندراى يا محمد الناس وقدمكروا مكربهم وذلك المكرب هو الذي ذكر الله تعالى في قوله وإذ يكربك الذين كفروا بالذبول أو يقتلوك ويحرقوك (وعند الله مكربهم) أي ومكرب عند الله فعلهم فهو مجازهم عليه بكم هو أعظم منه وقيل إن مكربهم لا يزال أمر محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو ثابت ككشوت الحبال وقد حكى عن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه في الآية قول آخر وهو أنها نزلت في عمرو الجبار الذي ساج إبراهيم في ربه فقال عمرو ذان كان ما بقوله إبراهيم حقا فلا انتهى حتى أصدع إلى السماء فأعلم ما فيها ثم أمر عمرو وصاحبه فأتخذ لنفسه تابوتاً وجعل له باباً من أعلاه وباباً من أسفله وربط قوائمه الأربع بأربعة نسور وكان قد جوعها ورفع فوق الجوانب الأربع من التابوت عصياً أربعة وتعلق على كل واحدة منها قطعة لحم ثم أنه جلس مع صاحبه في ذاك التابوت فلما أبصرت النسور تلك اللعوم تصاعدت في جوف

الهواء فطارت يوما حتى أبعدت في الهوا فقال عز وجل لصاحبه افتح الباب الاسفل وانظر الى
 الارض كيف تراها ففعل فقال أرى الارض مثل المبة والجبال مثل الدخان قال فطارت
 النسور يوما آخر وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال عز وجل لصاحبه افتح الباب
 الاعلى ففتح فاذا السماء ههيتها وفتح الباب الاسفل فاذا الارض سوداء مظلمة ويودي اليها
 الطاغى أين تريد قال عكرمة كان معه في التابوت غلام قد جعل القوس والشباب فرمى بهم
 فعاد اليه السهم ملطحا بالدم يدم سكة قذفت نفسها من بحر في الهواء وقيل طائر أصابه السهم
 فقال كفت له السماء فنكس تلك العصى التي علق عليها اللحوم فتدفقت انسور وهبطت الى
 الارض فسمعت الجبال حفيف التابوت والنسور ففرغت وظنت ان قد حدث في السماء حدث
 وأن القيامة قد قامت فكانت تزول عن أما كنتم ان ذلك قوله تعالى (وان كان مكروها من أى من
 القوة والضخامة لتزول منه الجبال) قال الرازى ولا حاجة في تأويل الآية الى هذا فإنه لم يحن
 فيه خبر صحيح معتمد انتهى والمراد بالجبال هنا قبل حقيقة تاويل شرايع الاسلام المشبهة بها في
 القزار والنبات وقرأ الكسائي يفتح اللام الاولى ورنع الاخيرة والباقيون بكسر الاولى وفتح
 الثانية والتقدير على القراءة الاولى وان كان بحيث انه تزول منه الجبال وقيل ان نافية واللام
 لتأكيد النفي (فلا تحسبن الله الخاطبا له صلى الله عليه وسلم والمراد منه أمته) (مخلف وعده
 رسله) من النصر واعلاء الكلمة واطهار الدين كما قال تعالى ان انصرونا وقال تعالى كتب
 الله لاغلبن أناورسلي (فان قيل) هلا قال مخلف رسله وعده ولم تقدم المقبول الثاني على
 الاول (أجيب) بأنه تعالى قد علم ذلك ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلا قوله تعالى ان الله
 لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليسد له على انه تعالى لما لم يخلف وعده أحدا وليس من شأنه
 اختلاف المواعيد فكيف يخلف رسله الذين هم خيرته وصفوته (ان الله) أى ذواب الجلال
 والاكرام (عزير) أى غالب بقدر ولا يقدر عليه (ذوانعام) أى من عصاه وقوله تعالى
 (يوم تبدل الارض غير الارض) بدل من يوم يأتيهم أو ظرف للإتيان والمعنى يوم تبدل هذه
 الارض التي تعرفونها أرضا أخرى غير هذه المعروفة وقوله تعالى (والسماوات) عطف على
 الارض وتقدره والسماوات غير السموات والتبديل التغيير وقد يكون في الذات كقولك
 بدلت الدراهم ذنانير ومنه بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم بجنتهم خنتين وفي الاوصاف كقولك
 بدلت الحلقة خاتما اذا أذبتها وسويتها خاتما فنتها من شكل الى شكل آخر ومنه قوله تعالى
 فأولئك يبدل الله سبحانه سموات والايهات لئلا يكونوا من الذين القهومين فعن ابن
 عباس رضى الله تعالى عنهما هي تلك الارض وانما تغير اوصافها وأنشده

وما الناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدار للدار التي كنت تعلم

فتبدل اوصافها فتسير عن الارض بسببها وتفجر بياراتها وتستوى فلا ترى فيها عوجا
 ولا أمنا وتبدل السماء بانشاركوا كبها وكوف شها رخسوف قرها وانثاقها وكونها
 أبوابا وبدل لذلك قوله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفرها

كقرصة القاء ليس فيها علم لاحد أخرجاه في الصحيحين العفراء بل عين المهملة زهي البيضاء
 الى حمرة ولهاذا شبهها بقرصة النقاء وهو الخير الايض الجيد الفائق المائل الى الحمرة كان لتار
 ميلت يواض وجهه الى الحمرة وقوله ليس فيها علم لاحد يعنى ليس فيها علامة لاحد لتبديل هيمتها
 رصفتها وزوال جمالها وجميع بنائها فلا يبق فيها أثر يستدل به وعن ابن مسعود انه قال تبدل
 الارض بأرض كالفضة البيضاء فقبل لم سفك فيها دم ولم تعمل عليها خطيئة وقال علي بن أبي
 طالب كرم الله وجهه الارض من فضة والسماء من ذهب وقال محمد بن كعب وسعد بن جبير
 تبدل الارض خبزة بيضاء بأكل المؤمن من تحت قدميه وعن الضحالة ايضا من فضة كالعصائب
 وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية
 فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله فقال على الصراط أخرجه مسلم وروى ثوبان أن حبرا
 من اليم ودسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أين تكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض
 قال هم في الظلمة دون الجسر قال الرازى واعلم أنه لا يعد أن يقال المراد من تبدل الارض
 والسموات هو انه تعالى يجعل الارض جهنم والسموات الجنة والدليل عليه قوله تعالى **ولا**
ان كتاب الابرار في عليهم وقوله تعالى **كلان كذب الفجار لنبي** **سجين** **(وبرزوا)** أى خرجوا من
 قبورهم **(الله)** أى لحكمه والوقوف بين يديه تعالى للعقاب **(الواحد)** أى الذى لا شريك له
(القهار) أى الذى لا يدافعه شئ عن مراده كما قال تعالى لمن الملك اليوم **الله الواحد القهار** ولما
 وصف نفسه سبحانه وتعالى بكونه قهارا بين مجزهم وذلتهم بقوله تعالى **(وترى)** يا محمد أى تبصر
(المجرمين) أى الكافر **ينزبون** أى يوم القيامة ثم ذكر تعالى من صفات مجزهم وذلتهم أموراً
 الصفة الاولى قوله تعالى **(مترنين)** أى مشدودين **(فى الاصفاد)** جمع صفة وهو القيد قال
 الكلبي كل **كافر** مع شيطان فى غل وقال عطاء هو معنى قوله تعالى واذا النفوس زوجت
 أى قرنت فتقرن نفوس المؤمنين بنفوس الحور العين ونفوس الكافرين بقربانهم من الشياطين
 وقيل هو قرن بعض الكفار ببعض فتضم تلك النفوس الشقية والارواح الكدرة الظلمانية
 بعضها الى بعض **اكونها** متشاكسة متجانسة وتنادى ظلمة كل واحدة منها الى الاخرى وقال ابن
 زيد قرنت أيديهم وأرجلهم الى رقابهم بالاغلال الصفة الثانية قوله تعالى **(سرايلهم)**
 أى قصهم جمع سرايل وهو التميمى **(من قطران)** وهو نقي يتحالب من شجر يسمى الابل فيطبخ
 وتطلى به الابل الجربى فيحرق الجرب بجرارته وحده وقد تصل حرارته الى داخل الجوف
 ومن شأنه أنه يتسارع فيه اشتعال النار وهو أسود اللون منق الريح فقطلى به جلود أهل النار
 حتى يصير ذلك **الطلاء** **كالسرايل** فيحصل بسببها أربعة أنواع من العذاب لذع القطران
 وحرقت وأسراع النار فى جلودهم واللون الوحش وتغل الريح وأيضا التفاوت بين قطران
 القيامة وقطران الدنيا كالتفاوت بين النارين الصفة الثالثة قوله تعالى **(ونعشى)** أى تعلقوا
(رجوهم النار) وتظلمه قوله تعالى **أقمن** تقي بوجهه سوء العذاب وقوله تعالى يوم يسحبون
 فى النار على وجوههم ولما كان موضع العلم والجهل هو القلب وموضع الكفر والوهم هو

الرأس وأثر هذه الاحوال يظهر في الوجه فلماذا خص الله تعالى هذين العضوين بظهور آيات النار العقاب فيها فقال في القلب نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة وقال في الوجه وتغشى وجوههم النار وقوله تعالى (ليجزى الله) متعلق ببرزوا (كل نفس ما كسبت) أى من خير أو شر وهذا أولى من قول الواحدى المراد منه أنفس الكفار لان ما سبق ذكره لا يليق أن يكون جزاء لاهل الايمان * ولما كان حساب كل نفس جديراً بأن يستعظم قال (ان الله سريع الحساب) أى لا يشغله حساب نفس عن حساب أخرى ولا شأن عن شأن وقوله تعالى (هـ) (ذات) اشارة الى القرآن الذى يخرج الناس من الظلمات الى النور نزل منزلة الحاضر وقيل الى السورة (بلاغ) أى كان غاية الكفاية فى الايصال (لنناس) والموعظة لهم وقوله تعالى (ولينذروا) أى وليتقوا (به) عطف على محذوف ذلك المحذوف متعلق ببلاغ تقديره أى ليصعقوا ولينذروا وقيل الواو مزيدة ولينذروا متعلق ببلاغ (وليعلموا) أى بما فيه من العجب على وحدانية الله تعالى (أعماهو) أى الله (اله واحد) فيستدلوا بذلك على أن الله واحد لا شريك له (وليدكر) بادغام التاء فى الـ فى الذا لى يعظ (أو لوالالباب) أى أصحاب العقول الصافية من الاكدار والافهام الصحيحة فانه موعظة لمن انعط * (تنبيه) * ذكر سبحانه وتعالى لهذا البلاغ ثلاث فوائد مستفادة من قوله تعالى ولينذروا به وتاليه والحكمة فى انزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمالهم القوة النظرية التى منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية التى هى التدرع بلباس التقوى جعلنا الله تعالى من الفائزين بها بحمد وآله وفعل ذلك بوالدنا وأحببنا ومارواه البيضاء وبعالزنجشبرى من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة ابراهيم أعطى من الاجر مئتين حسنة بعد كل من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد حديث موضوع قال العلامة ابن جماعة فى شرح منظومة ابن فرج ألقى أولها غراى صحيح فرغ من غرائب الجوينى يكفر وراضع الحديث أى والمشهور عدم تكفيره

﴿سورة البرمكية﴾

وهى تسع وتسعون آية وستمائة وأربع وخمسون كلمة وعدد حروفها
ألفان وسبعمائة وستون حرفاً

(بسم الله) الملك الواحد القهار (الرحمن) الذى أسبغ نعمة على سائر بريته فمجزت عن وصفه الازكار (الرحيم) الذى خص أهل ولايته بنجاتهم من النار وقوله تعالى (الر) ذكر فيه الغنى والامالة أول يونس وقيل له معناه انا الله أرى وقد معنا الكلام على أوائل السور فى أول سورة البقرة وقوله تعالى (تلك) اشارة الى آيات هذه السورة أى هذه الآيات (آيات الكتاب) أى القرآن والاضافة بمعنى من وقوله تعالى (وقرآن مبین) أى مظهر للبعق من الباطل عطف بزيادة صفة وقيل المراد بالكتاب هو السورة وكذا القرآن وقيل المراد بالكتاب التوراة والانجيل وبالقرآن هذا الكتاب ثم بين سبحانه وتعالى حال الكفار يوم القيامة بقوله تعالى (ربما يؤذ)

أى تعنى (الذين ~~كفروا~~) اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين في ذلك اليوم (لو كانوا مسلمين)
 وقيل حين يعاينوا حال المسلمين عند نزول النصر وحلول الموت ورب للكثير فانه يكثر منهم تعنى
 ذلك وقيل للتقليل فان الاحوال تدهشهم فلا يفقهون حتى يتموا ذلك الا في احيان قليلة
 فان قيل لم دخلت رب على المضارع وقد اودخزلها الاعلى الماضى (أجيب) بأن المترقب
 في اخبار الله تعالى بمنزلة الماضى المقطوع به في تحقيقه فكاه قيل ربما و قد قرأ عاصم ونافع
 بتخفيف باه و ربما والباقون بالتشديد قال أبو حاتم أهل الحجاز يخففون ربما وقيس و ربما
 يشقلونها ولما تمادوا في طغيانهم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (ذرهم) أى دعهم
 عن النهى عما هم عليه والصدعنه بالتذكرة والتصيحة وخلفهم (يا كواو ايمعوا) بديانهم
 وتنفيذ شهواتهم والتمتع التلذذ وهو طلب اللذة حالاً بعد حال كالتقرب في أنه طلب القرب
 حالاً بعد حال (ويبلههم الامل) أى ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن
 أخذ حظهم من السعادة وعن الاستعداد للمعاد وقرأ أبو عمرو في الوصل بكسر الهاء والميم
 وحزة والكسائي برفع الهاء والميم والباقون بكسر الهاء ورفع الميم وأما الوقف فالجميع
 بكسر الهاء والكلام على الهاء الثانية وأما الهاء الاولى فكسورة للجمع وقفا وصلاباً ولما
 كان هذا أمر الاشتهار به الأصح تسبب عنه التهديد بقوله تعالى (فسوف يعلمون) أى
 ما يحجلهم بعد ما فسحنالهم في زمن التمتع من سوء صنيعهم وهـ مذا قبل الامر بالقتال
 * (تنبيه) * في الآية دليل على أن ايتار التلذذ والتمتع في الدنيا يؤدى الى طول الامل وليس
 ذلك من أخلاق المؤمنين وعن بعضهم التمتع في الدنيا من أخذ لاق الهالكين والاخبار في ذم
 الامل كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الحرص على المال
 والحرص على العمر وعن علي رضي الله تعالى عنه انما أخشى عليكم اثنتين طول الامل واتباع
 الهوى فان طول الامل ينسب الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق * ولما هددهم تعالى
 بآية التمتع والهاء الامل أتبعه بما يؤكده الزجر بقوله تعالى (وما أهلكنا من قرية) أى
 من القرى والمراد أهلها ومن مزيدة (الاولها كتاب معلوم) أى أجل مضروب بحدد
 مكتوب في اللوح المحفوظ لهلاكها * (تنبيه) * المستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل
 أن لا تدخلها الواو كقوله تعالى الا لهم نذرون وانما توسطت لتأكد لصوق الصفة بالموصوف
 كما يقال في الحال جاءني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب * (فائدة) * رسم كتاب هنا ثبات
 الالف * ثم بين تعالى الآية السابقة بقوله تعالى (ما سبق) وأكد الاستغراق بقوله تعالى (من)
 أمة) وقيل من مزيدة كقولك ما جاءني من أحد أى أحد من المراد بالكتاب الاجل بقوله
 تعالى (أجلها) أى الذي قدرناه لها (وما يستأخرون) أى عنه * (تنبيه) * انث الامة أولان
 ذكرها استخراجاً على اللفظ في الاول وعلى المعنى في الثاني قال البقاعي وانما ذكره لثلاث
 بصر فوجه الى خطابه صلى الله عليه وسلم تعنتوا في الآية دليل على أن كل من مات أو قتل فأنما
 مات بأجله وان من قال يجوز أن يموت قبل أجله محطى * ولما بالغ تعالى في تهديد الكفار ذكراً

شبههم في انكار نبوته صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر) أي
 القرآن في زعمه (أنك لجنون) انما نسبوه الى الجنون اما لانهم كانوا يستبعدون كونه رسولا
 حقا من عند الله لان الرجل اذا مع كلاما مستبعدا من غيره فربما قال به جنون واما لانه عليه
 الصلاة والسلام كان يظهر عليه عند نزول الوحي حالة شبيهة بالجنون فظنوا أنهم جنون ويدل
 عليه قوله تعالى أولم يتفكروا ما يصاحبهم من جنمة ثم أتبعوه ما زعموا أنه دليل على قولهم
 فقالوا (لوما) أي هلا (تأتينا باللائكة) أي يشهدون لك بأنك رسول من عند الله حقا (ان
 كنت من الصادقين) في ادعائك للرسالة وان هذا القرآن من عند الله ولما كان في قولهم
 أمران أجاب الله تعالى عن قولهم الثاني لانه أقرب بقوله تعالى (ما نزل الملائكة الا بالحق)
 أي الاتزالا لمتبسا بالحقمة والمصلحة ولا حكمة في أن تأتيكم بهم عيانا تشهدونهم ويشهدون
 لكم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم لانكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله قوله تعالى
 وما خلقتنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقيل الحق الوحي والعذاب وقرأ شعبة بضم
 التامع فتح الزاي ورفع الملائكة وحقق وجزة والكسائي بنونين الاولى مضمومة والثانية
 مفتوحة وكسر الزاي ونصب الملائكة والباقون بالتاء مفتوحة مع فتح الزاي ورفع الملائكة
 وشد التاء البري في الوصل وأما الزاي فهي مشددة للجمع مع يفتح ومن يكسر (وما كانوا)
 أي الكفار (إذا) أي اذا تأتيهم الملائكة (منظرين) أي لزال الامهال عنهم فيعذبون في الحال
 ان يؤمنوا ويصدقوا وكان حينئذ يفوت ما قضينا به من تأخيرهم واخراج من أردنا بآياته من
 اصلاهم ثم أجاب تعالى عن الاول بقوله تعالى مؤكدا للتكذيبهم (انا نحن) بما لنا من العظمة
 والقدرة (ترنا) أي بالتدريج على لسان جبريل عليه السلام (الذكر) أي القرآن (واناله
 لحافظون) أي من التبديل والتحريف والزيادة والنقصان وظهره قوله تعالى ولو كان من
 عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فالقرآن العظيم محفوظ من هذه الاشياء كلها لا يقدر
 أحدهم جميع الخلق من الجن والانس أن يزيد فيه أو ينقص منه كلمة واحدة أو حرفا واحدا
 وهذا مختص بالقرآن العظيم بخلاف سائر الكتب المنزلة فانه قد دخل على بعضها التحريف
 والتبديل والزيادة والنقصان (فان قيل) فلم اشتغلت العصابة بجمع القرآن في المحصف وقد
 وعد الله تعالى بحفظه وما حفظه الله تعالى فلا خوف عليه (أجيب) بأن جمعهم القرآن في
 المحصف كان من أسباب حفظ الله تعالى آياته فانه تعالى لما أراد حفظه قبضهم لذلك قال أصحابنا
 وفي هذه الآية دلالة قوية على كون البسملة آية من أول كل سورة لان الله تعالى قد وعد حفظ
 القرآن والحفظ لا معنى له الا أن يبقى مصنوعا من الزيادة والنقصان فلو لم تكن البسملة آية من
 القرآن لما كان مصنوعا عن التغيير ولما كان محفوظا عن الزيادة ولو جاز أن يظن بالعصابة أنهم
 زادوا جاز أيضا أن يظن بهم النقصان وذلك يوجب خروج القرآن عن كونه حجة وقيل الضمير
 في له راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى والحمد لحافظون عن أن يزدبه سوا فهو كقوله
 تعالى والله يعصمك من الناس ولما أساء الكفار عليه صلى الله عليه وسلم في الاول وخاطبوه

بالسفاهة وقالوا انك المجنون وكان عادة هؤلاء الجهال مع جميع الانبياء قال سبحانه وتعالى
 نسلية له على وجه راد عليهم (ولقد ارسلنا من قبلك) أي رسلا تحذف ذكر الرسل لدلالة الارسال
 عليه وقوله تعالى (في شيع) أي فرقة (الاولين) من باب اضافة الصفة الى الموصوف كقوله تعالى
 حق اليقين سمو اشياء المتابعة بعضهم بعضا في الاحوال التي يجتمعون عليها في الزمن الواحد
 والشيع جمع شيعه وهي الفرقة المجتمعة المتفقة كلمتهم على مذهب وطريقة وقال القراء
 الشيعة هم اتباع وشيعه الرجل اتباعه وقيل الشيعة من يتقوى بهم الانسان (وما يأتينهم)
 عبر بالمضارع على حكاية الحال الماضية فان ما لا تدخل على مضارع الاوهو في معنى الحال
 ولا على ماض الاوهو قريب من الحال والاصل وما كان يأتينهم (من رسول) أي على أي وجه
 كان (الا كانوا به) جيلة وطبعها (يستزنون) كاستزاء قومك بك فصبروا فاصبر كما صبروا (كذلك)
 أي مثل ادخالنا التكذيب في قلوب هؤلاء المستهزئين بالرسول (فسلكته) أي ندخله (في قلوب
 الجرمين) أي كفار مكة المستهزئين (لا يؤمنون به) أي بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل
 بالقرآن وفي الآية دليل على أن الله تعالى يخلق الباطل في قلوب الكفار والسلك ادخال الشيء
 في الشيء كالتحيط في المحيط والرح في المطعون ومنه قوله تعالى ما سلككم في سقر وقيل
 الضمير في نسلكه يعود للذكر كما ان الضمير في به يعود اليه وجمله لا يؤمنون به حال من ذلك
 الضمير والمعنى على هذا مثل ذلك السلك نسلك الذي ذكر في قلوب الجرمين مكذبا به غير مؤمن به قال
 البيضاوي وهذا الاستدلال ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في المرجوع اليه
 اه وما أعدت الضمير عليه في ذلك هو ما قاله ابن الخازن وجرى عليه الجلال السيوطي وقوله
 تعالى (وقد دخلت سنة الاولين) أي سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم انبياءهم وعيد شديد
 لكفار مكة بأنه ينزل بهم مثل ما نزل بالام الماضية المكذبة وقال الزجاج قدمت سنة الله
 في أن يسلك الكفر والضلال في قلوبهم قال الرازي وهذا أليق بظاهر اللفظ وقرأ ابو عمرو ووجزة
 والكسائي بادغام تاء التأنيث في السين والباقون بالاعطاف وقوله تعالى (ولو قمنا عليهم بايام
 السماء) الآية هو المراد في سورة الانعام في قوله تعالى ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس الآية
 أي الذين يقولون لو ما تأتينا بالملائكة فلو أنزلنا للملائكة (فظلوا فيه) أي فظلت الملائكة
 (بعرجون) أي يصعدون في الباب وهم يرونها عيانا (لقالوا) أي من عتوهم في الكفر (انما
 سكرت ابصارنا) أي سددت عن الابصار بالسهر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير
 بالتخفيف وأحبرت من السكر ويدل عليه قراءة الباقيين بالتشديد (بل نحن قوم مسهورون)
 أي قد سهرنا بمحمد بذلك أي كما قالوه عند ظهور غيره من الآيات كاشتقاق القمر وما جابه
 النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن المعجز الذي لا يستطيع الجن والانس أن يأتوا بمثله وقيل
 الضمير في يعرجون للمشركين أي فظل المشركون يصعدون في ذلك الباب فينظرون في
 ملكوت السموات وما فيها من العجائب لما آمنوا العنادهم وكفرهم وقالوا انما سهرنا وقرأ
 الكسائي بادغام لام في النون والباقون بالاعطاف ولما أجب الله تعالى عن شبهة منكري

النبوة والقول بالنبوة مفرع على القول بالتوحيد ودلائل التوحيد منها ما هو ومنها أروضة
 بدأ منها يذكر الدلائل السماوية فقال مقتضاها بحرف التوقيع (ولقد جعلنا) بما لنا من العظمة
 والقدرة الباهرة (في السماء بروجاً) قال الأبيث البروج واحد ما برح من بروج الفلك والبروج
 هي النجوم الكبار مأخوذة من الظهور يقال تبرجت المرأة إذا ظهرت وأراد بها المنازل التي
 تنزلها الشمس والقمر والكواكب السيارة وهي اثنا عشر برجا الحمل والثور والجوزاء
 والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو
 والحوت وهي منازل الكواكب السبعة السيارة المربح وله الحمل والعقرب والزهرة
 ولها النور والميزان وعطارد وله الجوزاء والسنبلة والقمر وله السرطان والشمس
 ولها الاسد والمشتري وله القوس والحوت وزحل وله الجدي والدلو وهذه البروج
 مقسومة على ثلثمائة وستين درجة لكل برج منها ثلاثون درجة تقطعها الشمس في كل سنة
 مرة وبها تتم دورة الفلك ويقطعها القمر في ثمانية وعشرين يوماً قال ابن عباس في هذه الآية
 يريد بروج الشمس والقمر يعني منازلهما وقال عطية هي قصور في السماء عليها الحرس وقال
 مجاهد هي النجوم العظام قال أبو اسحق يريد نجوم هذه البروج وقرأ نافع وابن كثير وابن
 ذكوان وعاصم باظهار الالف عند الجيم والباقون بالادغام (وزيانتها) أي السماء بالشمس
 والقمر والنجوم والاشكال والهيئات الهيمة (للتناظرين) أي المعبرين المستدلين بها على
 توحيد خالقها ومبدعها وهو الله الذي أوجد كل شيء وخلقهم وصوره (وحفظناهم من كل
 شيطان رجيم) أي مرجوم وقيل ما عاون قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون عن
 السموات وكانوا يدخلونها ويسمعون أخبار الغيوب من الملائكة فيلقونهم على الكهنة فلما
 ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سنوات ولما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من
 السموات كلها فلما منعوا من أحد يريد استراق السمع الاربي بشهاب فلما منعوا تلك المقاعد
 ذكروا ذلك لابلوس فقال لقد حدث في الارض حدث فبهتم يتظرون فوجدوا رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يتلو القرآن فقالوا والله هذا حدث وقوله تعالى (الامن استرق السمع) يدل من
 كل شيطان رجيم وقيل استثناء منقطع أي لكن من استرق السمع واستراق السمع اختلاسه
 قال ابن عباس يريد الخطفة اليسيرة وذلك أن الشياطين يركب بعضهم بعضاً الى السماء الدنيا
 يسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب كما قال تعالى (قائمه شهاب مبین) وهو شعلة
 من نار ساطعة وقد يطلق على الكواكب لما فيها من البريق يشبه شهاب النار فلا يخطئ أحد
 فتمس من يقتله ومنهم من يحرق وجهه أو جنبه أو يده حيث يشاء الله ومنهم من يجلب فيصير
 غولاً فيضل الناس في البوادي روى أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا
 قضى الامر في السماء ضربت الملائكة بأخمصها القوله ~~كأنه~~ سلسله على صفوان
 فإذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير فيسميها مسترقو
 السمع ومسترقو السمع هكذا بعضهم مفرق وبعض ووصف سبعين بكفه فخرها ويتدب بين أصابعه

فليس سمع الكلمة فليظن بها الى من تحتته ثم يلقها الاخر الى من تحتته حتى يلقها الى لسان الساحر
 أو الكاهن وربما أدركه الشهاب قبل أن يلقها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها
 مائة كذبة فيقال ليس قد قال لنا يوم كذا وكذا فصدق تلك الكلمة التي سمعها من
 السماء (فان قيل) اذا جاز أن يسمع الشيطان أخبار الغيوب من الملائكة تخرج الاخبار عن
 المغيبات عن كونه مجزاً لدلالة على الصدق لان كل غيب يخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم
 فام فيه الاحتمال وحينئذ يخرج عن كونه مجزاً لدلالة على الصدق (أجيب) بأننا انبئنا كون
 محمد صلى الله عليه وسلم رسولاً بسائر المعجزات ثم بعد العلم بقبوته نقطع بأن الله تعالى أعجز
 الشياطين عن تلقف الغيب بهذا الطريق وعند ذلك يصير الاخبار عن الغيب مجزاً ولم يشرح
 الله تعالى الدلائل السماوية في تقرير التوحيد أتبعها بذكر الدلائل الارضية وهي أنواع النوع
 الاقول قوله تعالى (والارض مدناها) قال ابن عباس بسطناها على وجه الماء قال البغوي
 يقال انها مسيرة خمسمائة سنة في مثلها حديث من تحت الكعبة (فان قيل) فهل يدل ذلك على
 انها بسيطة أو كرة عظيمة على ما يقوله أرباب الهيئة (أجيب) بان ليس في الآية دلالة على شيء من
 ذلك لان الارض على تقدير كونها كرة فهي في غاية العظمة والكثرة العظيمة ترى كالسطح
 المستوي وتقدم الكلام على ذلك في سورة البقرة وسأتي زيادة على ذلك ان شاء الله تعالى في
 سورة والنسازعات النوع الثاني قوله تعالى (وألقينا فيها رواسي) أي جبالاً ثوابت واحدها
 راس والجمع راسية وجمع الجمع رواسي وهو كقوله تعالى وألقي في الارض رواسي أن تمسد بكم
 قال ابن عباس لما بسط الله تعالى الارض على الماء مالت بأهلها كالسفينة فأرسلها الله تعالى
 بالجبال الثقال لكي لا تمسد بأهلها وقيل ان الله تعالى خلقها لتكون دلالة للناس على طرق
 الارض ونواحيها لانها كالأعلام فلا تميل الناس عن الحاجة المستقيمة ولا يتبعون في الضلال
 النوع الثالث قوله تعالى (وأنبئنا فيها) واختلف في عود ضمير فيها فقيل يعود الى الارض لان
 أنواع النبات المنفوع به يكون في الارض وقيل الى الجبال لانها أقرب مذكوراً وتوله تعالى
 (من كل شيء وزون) وانما يوزن ما يتولد من الجبال والاولى عوده لهما واختلفوا في
 المراد بالوزون فقال ابن عباس أي معلوم وقال مجاهد أي مقدار معين تقتضيه حكمته وقال
 الحسن أعنى به الشيء الموزون كالذهب والفضة والرصاص والحديد وهو ذلك مما يستخرج
 من المعادن والاولى أنه جميع ما ينبت في الارض والجبال لان ذلك نوعان أحدهما يستخرج
 من المعادن وجميع ذلك موزون والثاني النبات فبعضه موزون وبعضه بالكيل وهو يرجع الى
 الوزن لان الصاع والمتمقدران بالوزن (وجهنا لكم فيها) أي انعاماً منا ونفضلاً عما يكتم
 (معاش) وهي بياض ريحة من غير مذبذب معيشة وهو ما يعيش به الانسان مدة حياته في الدنيا
 من المطاعم والملابس والمعادن وغيرها (و) جعلنا لكم (من لستم له برازقين) من العبيد
 والانعام والنبات والطير فانكم تنفعون بها ولستم لها برازقين لان رزق جميع الخلق على الله
 تعالى وبعض الجهال يظنون في أكثر الامم انهم الذين يرزقون العيال والخدم والعبيد

وذلك خطأ فان الله هو الرزاق يرزق المخدم والخدم والمملوك والمالك لانه تعالى خلق الاطعمة
 والاشربة وأعطى القوة الغاذية والهاضمة والاله يحصل لاحد رزق (فان قيل) صبغة من محتصة
 عن يعقل (أجيب) بأنه تعالى أثبت لجميع الدواب رزقا على الله تعالى حيث قال وما من دابة في
 الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها فقلب من يعقل على غيره حكى أن الماء قد
 قل في بعض الاودية والجبال واشتد الحر قال بعضهم فرأيت بعض تلك الوحوش رفعت رأسها
 الى السماء عند اشتداد عطشها قال فرأيت الغيوم قد أقبلت وأمطرت وامتلأت الاودية
 * (تنبيه) * قيل لا يجوز أن يكون ومن لست له برازقين حجر وراعظفا على الضمير المحرور لا يقال
 أخذت منك وزيد الا باعادة الخافض كما في قوله تعالى واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك
 ومن نوح والرامي الجواز كما قرئ قوله تعالى تساءلون به والارحام بالخفض في القرآت السبع
 وهذا أعظم دليل * ولما بين سبحانه وتعالى أنه أثبت لهم كل شيء موزون وجعل لهم معاش أشعر
 بذكر ما هو السبب لذلك فقال تعالى (وان) أي وما (من شيء) أي ما ذكر وغيره من الاشياء الممكنة
 وهي لانهاية لها (الا عندنا خزائنه) أي قادرون على ايجاده وتكويته أضعاف ما وجد منه
 فضرب الخزان مثلا لا قدره على كل مقدور وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال
 في العرش تمثال جميع ما خلق الله في البحر والبر والخزائن جمع خزانه وهي اسم للمكان الذي
 يخزن فيه للعفظ وقيل أراد مفاتيح الخزائن وقيل المطر لانه سبب الارزاق لبني آدم والوحش
 والطير والدواب ومعنى عندنا أي في حكمه تعالى وتصرفه وأمره وتديبره (وما تنزله) من يفاع
 القدرة (الا بقدر معلوم) أي على حسب المصالح وقيل ان لكل أرض حدا ومقدار من المطر
 يقال لا ينزل من السماء قطرة مطر الا وهما ملك يسوقه الى حيث يشاء الله ولما تم ما أراد من
 آيتي السماء والارض وخقه بشمول قدرته لكل شيء أتبعه ما نشأ عنهما مما هو بينهما مودع في
 خزائن قدرته بقوله تعالى (وأرسلنا الرياح) جمع ريح وهو جسم لطيف منبث في الجو سريع المر
 (لواقيح) أي حوامل لانها تحمل الماء الى السحاب فهي لاقحة يقال ناقه لاقحة اذا حملت الولد
 وقال ابن مسعود يرسل الله تعالى الريح فتصمّل الماء فتجبه في السحاب ثم تتربه فتسدر كما تدر
 اللقعة ثم تمطر وقال عبيد بن عمير بعث الله تعالى الريح المثيرة فتثير السحاب ثم بعث الله المؤلفة
 فتؤلف السحاب بعضها الى بعض فتجعلها كما ما تبعث الله اللواقيح تلقيح الشجر وعن ابن عباس
 قال ما هبت ريح قط الا جنات النبي صلى الله عليه وسلم على ركبته وقال اللهم اجعلها رحمة ولا
 تجعلها ريحاً وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا عصفت الريح
 قال اللهم اني أسألك خيرا وخيرا ما فيها وخيرا ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها
 وشر ما أرسلت به وقرأ أحزابا لافراد والباقرن بالجمع (فأنزلنا) أي بعظمتنا بسبب تلك السحاب
 التي حملتها الريح (من السماء) أي الحقيقية أو جهتها أو السحاب لان الاسباب المترتبة يسند
 الشيء تارة الى القريب منها وتارة الى البعيد (ماء) وهو جسم مائع سميال به حياة كل حيوان
 من شأنه الاغتذاء (فأسقينا كوه) أي جعلناه لكم سقيا يقال سقينا ما يشربه وأسقينا أي

مكتنه منه ليس في به ما شئته ومن يريد وثق سبحانه وتعالى عن غيره ما أثبتته أو لال نفسه بقوله
 (وما أنتم له) أي لذلك الماء (بمخازنين) أي استخرا منه بأيدىكم والخزن وضع الشئ في مكان
 مهيب العنظ فثبت أن القادر عليه واحد مختار ومن دلائل التوحيد الاحياء والامانة كما قال
 تعالى (وانالخن نحيي) أي لنا هذه الصفة على وجه العظمة فيحيي بها من نشاء من الحيوان
 بروح البدن ومن الروح بالمعارف ومن النبات بالتموان كان أحدهما حقيقة والآخر مجازا
 لأن الجمع جائز (ونمت) أي لنا هذه الصفة فنبرز بها من عظمتنا مناشاء (ونحن الوارثون) أي
 الارث التام اذ امات الخلائق الباقون بعد كل شئ كما كالأشئ فليس لاحد تصرف بامانة
 ولا احياء فثبت بذلك الوحدة ائسية والفعل بالاختيار فلما ثبت بهذا كمال قدرته وكانت آثار
 القدرة لا تكون محكمة الا بالعلم قال تعالى (واقعدنا المستقدمين منكم) وهو من قضينا بعونه
 أو لا من لدن آدم فيكون في موته كأنه يسارع الى التقدم اليه وان كان هو وكل من أهله مجتهدا
 بالعلاج في تأخيرهم (ولقد علمنا المستأخرين) أي الذين غدت في أعمالهم فنؤخر موتهم حتى يكونوا
 كأنهم يسابقون الى ذلك وان عاجلوا الموت بشرب سم أو نحوه وأعالجه لهم غيرهم بضرهم
 بسيف أو غيره فعرف من ذلك قطعا أن الفاعل واحد مختار وقال ابن عباس أريد بالمستقدمين
 الاموات وبالمستأخرين الاحياء وقال عكرمة المستقدمين من خلق الله تعالى والمستأخرين
 من لم يخلق وقال الحسن المستقدمين في الطاعة والخبر والمستأخرين المستبطون عنه
 وقيل المستقدمين من القرون الاولى والمستأخرين أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل
 المستقدمين في الصوف والمستأخرين فيها وذلك ان النساء كن يخرجن الى الجماعة فيقفن
 خلف الرجال فرجعا كان في الرجال من في قلبه رية فيتاخر الى آخر صف الرجال ومن النساء
 من في قلبها رية فتقدم الى أول صف النساء لتقرب من الرجال فقال النبي صلى الله عليه
 وسلم خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها
 * (تنبيه) في سبب نزول هذه الآية قولان أحدهما أن أحدهما أن أحدهما أن أحدهما أن أحدهما أن أحدهما أن
 صلى الله عليه وسلم فكان بعضهم يستقدم حتى يكون في أول صف حتى لا يراها ويتأخر بعضهم
 حتى يكون آخر صف فاذا ركع نظر من تحت ابطه فنزلت والثاني أن النبي صلى الله عليه وسلم
 حترض على الصف الاول فارد جوارحه وقال قوم بيوتهم فاصبية عن المسجد لئيبين دورنا
 ونشترين درواقرية من المسجد حتى ندرلك الصف المقدم فنزلت (وان ربك هو يحشرهم) أي
 المستقدمين والمستأخرين الجزاء ونوسط الضهير للدلالة على أنه القادر والمتولى لحشرهم لا غيره
 وتصديرا لجله بأن لتحقيق الوعد والتنبيه على أن ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه
 بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله تعالى (انه حكيم) أي باهر الحكمة
 متقن في أفعاله (علم) وسع علمه كل شئ ولما استدل سبحانه وتعالى بتخليق الحيوانات على صحة
 التوحيد في الآية المتقدمة أوردنه بالاستدلال بتخليق الانسان على هذا المطلوب بقوله تعالى
 (واقعد خلقنا الانسان) قال الرازي والمفسرون أجمعوا على أن المراد منه آدم عليه السلام ونقل

في كتب الشيعة عن محمد بن علي الباقر أنه قال قد انقضى قبل آدم الذي هو أبونا ألف ألف آدم
 أو أكثر سمي انسا نا اظهره وادراك البصراياه وقيل من النسيان لانه عهد اليه نفسي (من
 صلصال) أي من الطين الشديد اليابس الذي لم تصببه نار اذ انقرته سمعت له صلصلة أي صوتا
 وقال ابن عباس هو الطين اذ انضب عنه الماء تشقق فاذا حركه تققق وقال مجاهد هو الطين
 المتن واختاره الكسائي وقال الفراء هو طين خلط برمل قصاره صوت عند نقره وقال الرازي
 قال المفسرون خلق الله تعالى آدم من طين قصوره وتركه في الشمس اربعين سنة فصار صلصالا
 لا يدري أحد ما رآه ولم يروا شيئا من الصور يشبهه الى أن نفخ فيه الروح (من جما) أي طين
 أسود متين (مستون) أي مصور بصورة الآدمي وقال ابن عباس هو التراب المبتل المتين وقال
 مجاهد هو المتين المتغير قال البغوي وفي بعض الآثار ان الله تعالى ختر طينة آدم وتركه حتى صار
 متغيرا أسود ثم خلق منه آدم عليه السلام قال ابن الخازن والجمع بين هذه الاقوال على ما ذكره
 بعضهم ان الله تعالى لما أراد خلق آدم عليه السلام قبض قبضة من تراب الارض واليه
 الاشارة بقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم ان ذلك التراب بله بالماء
 وجأ حتى اسود وأتت ريجه وتغير واليه الاشارة بقوله تعالى من جامسنون ثم ان ذلك الطين
 الاسود المتغير صورته الله صورة انسان أجوف فلجاف وييس كانت تدخل فيه الريح فيسمع له
 صلصلة واليه الاشارة بقوله تعالى من صلصال كالفخار وهو الطين اليابس بغير في الشمس ثم نفخ
 فيه الروح فكان بشرا سويا * ولما ذكر سبحانه وتعالى خلق الانسان ذكر ما خلقه قبل من الجان
 فقال تعالى (والجان) قال ابن عباس هو أبو الجن كما ان آدم عليه السلام أبو البشر وابليس أبو
 الشياطين وفي الجن مسلون وكافرون وبيا كلون وبشرون ويحيون ويموتون كبنى آدم وأما
 الشياطين فليس فيهم مسلون ولا يموتون الا اذا مات ابليس وقال وهب ان من الجن من يولد
 له وبيا كلون وبشرون بمنزلة الادميين ومن الجن من هو بمنزلة الريح لا يتولدون ولا يبأ كلون
 ولا يشربون وهم الشياطين قال ابن الخازن والاصح ان الشياطين نوع من الجن لا اشتراكهم
 في الاستتار سمو اجناسا لهم واستتارهم عن الاعين من قولهم جن الليل اذا استتر
 والشيطان هو العاني المتزدد الكافر والجن منهم المؤمن ومنهم الكافر واتصاب الجان بفعل
 يفسره (خلقناه من قبل) أي قبل خلق الانسان (من نار السموم) أي من ریح حارة تدخل
 مسام الانسان فقتله من قوة حرارتها قال الرازي فالريح الحارة فيها نار وبها فيج كاور في
 الخبر انها من فيج جهنم انتهى ويقال السموم بالنهار والحروب بالليل وقال الكلبي عن أبي صالح
 السموم نار لا دخان لها والصواعق تكون منها وهي نار تكون بين السماء وبين الخراب فاذا أحدث
 الله تعالى أمر اخرجت الخراب فهوت الى ما مرت به فالهامة التي تسمعون خرق ذلك الخراب
 وعن ابن عباس هذه السموم جز من سبعين جز من السموم التي خلق منها الجان وتلا هذه
 الآية وعن الضحاك عن ابن عباس كان ابليس من جن الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من
 نارا السموم وخلق الجن الذين ذكروا في القرآن من ما من جن من نار أو ملائكة خلقوا

من النور. ولما ذكر الله تعالى حدوث الانسان الاوّل واستدل بذكره على وجود الاله القادر
 المختار ذكر بعبده واقعته بقوله تعالى (واذ) أى واذكربا أشرف الخلق قول ربك عز وجل اذ
 (قال ربك) أى المحسن اليك بتشريف أليك آدم عليه السلام لتشر يفك (للملائكة) أى خالق
 بشرا) أى حيوانا كثيفا ياشرو بيلاقى والملائكة والجن لا ياشرون للطف أجامهم عن
 اشارة البشر والبشرة ظاهر الجلد من كل حيوان وقوله تعالى (من صلصال من جامسنون)
 تقدم تفسيره (فأذاسوتيه) أى عدلته وأتمته وهما نه لنفخ الروح فيه بالفعل (وتنفخت فيه من
 روحى) أى خلقت الحياة فيه وليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل وأضاف الروح اليه تشريفا
 كما يقال بيت الله وهو ما يصير به الروح عالما وأشرف منه ما يصير به العالم عاملا خاشعا وسبأنى
 الكلام على الروح ان شاء الله تعالى فى سورة سبحان عند قوله تعالى ويسألونك عن الروح
 (فقروا) أى اسقطوا (له) تغليط حال كونكم (ساجدين) وتقدم فى سورة البقرة الكلام
 على من المخاطب بالسجود وهل هو كل الملائكة أو ملائكة السموات أو ملائكة الارض
 وهل هو سجود الخناء أو غيره (فسجد الملائكة) وقوله تعالى (كلهم أجمعون) قال سيبويه
 تأكيده بعد تناكيد روستل المبرد عن ذلك فقال لو قال فسجد الملائكة احتمل أن يكون بسجد
 بعضهم فلما قال كلهم زال هذا الاحتمال فظهر أنهم بسارهم بسجدوا ثم عند هذا بقى احتمال وهو
 أنهم بسجدوا دفعة واحدة أو بسجد كل واحد فى وقت آخر فلما قال أجمعون ظهر أن الكل
 بسجدوا دفعة واحدة قال الزجاج وقول سيبويه أجدلان أجمعين معرفة فلا يكون حالا وقوله
 تعالى (الابليس) أجمعوا على أن ابليس كان مأمورا بالسجود لا دم واختلقتوا فى انه هل كان
 من الملائكة أم لا وقد سبقت هذه المسئلة على الاستتصاء فى سورة البقرة وقوله تعالى (أى أن
 يكون مع الساجدين) أى لا دم استئناف تقديره ان قالوا قال هل بسجد فقبل أى ذلك واستكبر
 عنه (قال) الله تعالى له (يا ابليس مالك ألاتكون) أى أن تكون ولا مزيدة أى ما منعك أن
 تكون (مع الساجدين) لا دم (قال لم أكن لاسجد لبشر) جسمانى كثيف واللام لتأكيده الذى
 أى لا يصح معنى وينافى حالى أن أسجد وانما لك روحانى لبشر (خلقته من صلصال من جام
 مسنون) وهو أخس العناصر وخلقته من نار وهى أشرفها استنقص آدم باعتبار النوع
 والاصل وقد سبق الجواب عنه فى سورة الاعراف * (تنبيه) * قال بعض المتكلمين انه تعالى
 أوصل هذا الخطاب الى ابليس على اسان بعض رساله وضعف لان ابليس قال فى الجواب لم أكن
 لاسجد لبشر خلقته من صلصال فقوله خلقته خطاب الحضور لا خطاب الغيبة وظاهره يقتضى
 أن الله تعالى تكلم مع ابليس بغير واسطة وأن ابليس تكلم مع الله بغير واسطة فكيف يعقل هذا
 مع ان مكالمة الله تعالى من غير واسطة من أعظم المناصب وأشرف المراتب فكيف يعقل حصوله
 لرأس الكفرة ورؤسهم * (وأجيب) * بأن مكالمة الله تعالى انما تكون منصبا عالما اذا كانت
 على سبيل الاكرام والاعظام فاما اذا كانت على سبيل الالهانة والاذلال فلا (قال) الله تعالى له
 (فانزع عنها) أى من الجنة وقبل من السموات وقبل من زمرة الملائكة وقد تقدم الكلام

على ذلك أيضا في سورة الاعراف (فانك رجيم) أي مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد
 رجم بالحجارة وشيطان رجيم بالشهب وهو وعد ينضم الجواب عن شبهته (وان عليك اللعنة)
 أي هذا الطرد والابعاد (الى يوم الدين) قال ابن عباس يريد يوم الجزاء حيث يجازى العباد
 بأعمالهم مثل قوله تعالى مالك يوم الدين (فان قيل) كلة الى تفيده حصر انتهاء الغاية فهذا يفيد
 ان اللعنة لا تقص الا الى يوم الدين وعند القيامة يزول اللعن (أجيب) بجوابين الاول أن
 المراد التأيد وذكر القيامة بعد غاية ذكرها الناس في كلامهم كقوله تعالى مادامت السموات
 والارض في التأيد والثاني أنه مذموم مدعو عليه باللعن في السموات والارض الى يوم
 القيامة من غير أن يعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذب عذابا يقترن اللعن معه فيصير اللعن حينئذ
 كزازا يسبب أن شدة العذاب تذهل عنه ولما جعله الله تعالى رجما لعنوا الى يوم القيامة
 فكان تأييدا لقوله فماذا قال فقيل (قال رب) فاعتترف بالعبودية والاحسان اليه (فأنتظرني)
 أي أترني والانتظار تأخير المحتاج للنظر في أمره والقائه متعلقة بمعدوف دل عليه فخرج
 منها فانك رجيم (الى يوم يعثون) أي الناس أراد أن يجرد فسحة في الاغواء ونجاة من الموت
 اذ لا موت بعد وقت البعث (قال) الله تعالى مجيبا للاول دون الثاني بقوله تعالى (فانك من
 المنتظرين الى يوم الوقت معلوم) وهو المسمى فيه أهلك عند الله وهو النعمة الاولى وما يتبعها
 من موت كل مخلوق لم يكن في دار الخلد (فان قيل) كيف أجابه الله تعالى الى ذلك الامهال
 (أجيب) بأنه اعماجا أجابه الى ذلك زيادة في بلائه وشقائه وعذابه لالا كرامه ورفع مرتبته
 * ولما أجيب لذلك كأنه قيل فماذا قال فقيل (قال رب) أي أيها الموجود والمدبر لي وقوله
 (تعالى غوثي) أي خيتني من رحمتك الباء فيه للقسم ومصدرية وجواب القسم (الزين)
 أي أقسم باغوائك اياي لازين (لهم في الارض) حب الدنيا ومعاصيك كقوله فجزتلك
 لاغوينهم أجمعين الا انه في ذلك الموضع أقسم بعزة الله وهي من صفات الذات وهما أقسم باغواء
 الله وهي من صفات الافعال والفقهاء قالوا القسم بصفات الذات صحيح واختلوا في القسم
 بصفات الافعال والراجح فيها العصمة (ولاغوينهم) أي بالاضلال عن الطريق الحميد مقابلقاء
 الوسوسة في قلوبهم ولاجلتهم (أجمعين) على الغواية وقوله (الاعباد لك منهم المخلصين) قرأه
 ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر اللام أي الذين أخلصوا دينك عن الشوائب وقرأه
 الباقر بن يقطين أي الذين أخلصهم الله تعالى بالهداية وانما استثنى ابليس المخلصين لانه علم
 ان كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه قال الرازي والذي حمله على هذا الاستثناء أنه لا يصير كذبا
 في دعواه فلما احتزرا ابليس عن الكذب علمنا ان الكذب في غاية الخساسة * (تنبيه) قال
 زويم الاخلاص في العمل هو ان لا يريد صاحبه منه عوضا من الدارين ولا عوضا من المكين
 وقال الحنيد الاخلاص سر بين العبد وبين الله تعالى لا يعلم ملك فكيفه ولا شيطان فيفسده
 ولا هو فيفيله وذكر القشيري وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سألت جبريل عليه
 السلام عن الاخلاص ما هو قال سألت رب العزة عن الاخلاص ما هو قال سر استودعته قلب

من أحب من عبادي * ولما ذكر ابلis أنه يغوي بني آدم الامن عصبه الله بوفيقه وتضمن هذا
 الكلام تفويض الامور الى الله تعالى والى ارادته (قال تعالى (هذا) أي الذي ذكرته من
 حال المستثنى والمستثنى منه (سراط) أي طريق (على مستقيم) أي لا انحراف عنه
 لاني قضيت به وحكمت به عليك وعليهم ولولم تقل أنت * ولما قال ابلis لازين لهم في الارض
 ولا غوي بينهم أجمعين الاعباد لك منهم المخلصين أو هم هذا أن له سلطانا على عباد الله غير المخلصين
 فبين تعالى كذبه أنه ليس له سلطان على أحد من عبيد الله سواء كانوا مخلصين أو لم يكونوا
 مخلصين بل ومن اتبع منهم ابلis باختياره صار تبعه له ولكن حصول تلك المتابعات أيضا ليس
 لاجل ابلis وأوهم ان له على بعض عباد الله سلطانا فين تعالى كذبه وذكر تعالى انه ليس له
 على أحد منهم سلطان ولا قدرة أصلا بقوله تعالى (ان عبادي) أي المؤمنين كلهم (ليس لك)
 أي بوجه من الوجوه (عليهم سلطان) أي لتردهم كلهم بما يرضيني وتظهر هذه الآية قوله
 تعالى حكاية عن ابلis وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي وقال تعالى
 في آية أخرى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه
 والذين هم به مشركون (الامن اتبعك) أي بتعمده منه ورغبة في اتباعك (من الغاوين)
 أي ومات من غير توبة فاني جعلت لك عليهم سلطانا بالتزير والاغواء وسئل سفيان بن عيينة
 عن هذه الآية فقال معناها ليس لك عليهم سلطان تلقيمهم في ذنب بضيق عنه عفوى وقيل ان
 الاضافة للتشريف فلا تشمل الا لخاص فحينئذ يكون الاستثناء منقطعاً فائدة وقوة بصورة
 الاستثناء على تقدير الانقطاع الترخيب في رتبة التشريف بالاضافة اليه والرجوع عن اتباع
 العدو الى الاقبال عليه لان ذوى الانفس الالية والهم العلية ينافسون في ذلك المقام
 ورويه كما هو الحق أعلى مرام (وان جهنم لم وعدهم) أي الغاوين وهم ابلis ومن تبعه
 (أجمعين) ثم بين تعالى أنهم متقارون فيها بقوله تعالى (لها) أي لجهنم (سبعة أبواب) أي
 سبع طبقات قال على رضي الله تعالى عنه أتدرون كيف أبواب النار هكذا ووضع احدى
 يديه على الاخرى أي سبعة أبواب بعضها فوق بعض وان الله تعالى وضع الجنات على العرض
 ووضع النار بعضها على بعض قال ابن جرير النار سبعة دركات أولها جهنم ثم لظى
 ثم الحطمية ثم السعير ثم سقر ثم الحميم ثم الهاوية (تنبيه) تخصيص العدد لان أهلها سبع فرق
 وقيل جعلت سبعة على وفق الاعضاء السبعة من العين والاذن واللسان والبطن والقروح
 واليد والرجل لانها مصادر السبات فكانت موارد الابواب السبعة ولما كانت هي بعينها
 مصادر الحسنات بشرط النية والنية من أعمال القلب زادت الاعضاء واحدا فجعلت أبواب
 الجنان ثمانية قال تعالى (لكل باب) أي منها (منهم) أي من الغاوين خاصة لا يشاركهم فيها
 مخلص (جرم) أي نصيب وقرأ شعبة بضم الزاي والباقون بالسكون (مقسوم) أي معلوم فلكل
 دركهم قوم يسكنونها قال النخعي في الدرجة الاولى أهل التوحيد الذين أدخلوا النار يعذبون
 بقدر ذنوبهم ثم يصحرون وفي الثانية النصارى وفي الثالثة اليهود وفي الرابعة الصابئون وفي

الخمامة الجوس وفي السادسة أهل الشرك وفي السابعة المنافقون فذلك قوله تعالى ان
 المنافقين في الدرك الاسفل من النار وروى عن عمرو بن رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم لهم سبعة أبواب باب منها من سل السيف على أمي أو قال على أمة محمد ولما
 شرح تعالى أحوال أهل العقاب أتبعه بصفة أهل الثواب بقوله تعالى وكذا أنكار المكذبين
 بالبعث (ان المتقين) أي الذين اتقوا الشرك بالله تعالى كما قال جمهور الصحابة والتابعين وهو
 الصحيح لأن المتقى هو الآتي بالتقوى مرة واحدة كما أن الضارب هو الآتي بالضرب مرة واحدة
 والقاتل هو الآتي بالقتل مرة واحدة فكأنه ليس من شرط صدق الوصف بكونه ضارياً أو قاتلاً
 كونه آتياً بجميع أنواع الضرب والقتل ليس من شرط صدق الوصف بكونه متقبلاً كونه آتياً
 بجميع أنواع التقوى لأن الآتي بفرد واحد من أفراد التقوى يكون آتياً بالتقوى لأن كل فرد
 من أفراد الماهية يجب كونه مستتلاً على تلك الماهية (في جنات) أي بساتين قال الرازي
 أما الجنات فأربعة لقوله تعالى ولن خاف مقام ربه جنات ثم قال ومن دونها جنتان فيكون
 المجموع أربعة وقوله ولن خاف مقام ربه جنات يؤكد ما قلناه لأن من آمن بالله لا يتفك قلبه
 من الخوف من الله تعالى وقوله تعالى ولن خاف يكفي في صدقه حصول هذا الخوف مرة واحدة
 وقوله تعالى (وعيون) قال الرازي يحتمل أن يكون المراد منها ما ذكره الله تعالى في قوله مثل الجنة
 التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين
 وأنهار من عسل مصفى ويحتمل أن يكون المراد من هذه العيون منابع مغايرة لتلك الأنهار
 (فان قيل) هل كل واحد من المتقين محتص بعيون أو تجري تلك العيون بعضها إلى بعض
 (أجيب) بأن كل واحد من الوجهين محتمل فيجوز أن يختص كل واحد بعين ينفع هوجها
 ومن يختص به من الحور والولدان ويكون ذلك على قدر حاجاتهم وعلى حسب شهواتهم ويحتمل
 أن يجري من بعضهم إلى بعض لأنهم يطهرون عن الحقد والحسد وقرأ نافع وأبو عمرو وهشام
 وحفص يرفع العين والباقون بالكسر وقرأ بكسر التنوين في الوصل أبو عمرو وابن ذكوان
 وعاصم وحزرة والباقون بالضم * ولما كان المنزل لا يجس من الأبالسة والانس قال تعالى
 (ادخلوها) أي يقال لهم ذلك (بسلام) أي سالمين من كل آفة من حبايبكم (آمنين) من ذلك دائماً
 ولما كان الانس لا يكمل إلا بالجنس مع كمال المودة وصفاء القلوب عن الكدر قال تعالى (وترعنا)
 أي بما لنا من العظمة والقدر (مافي صدورهم من غل) أي حقد كامن في القلب ويطلق على
 الشصاء والعداوة والحسد والبغضاء فكل هذه الخصال المذمومة داخله في الغل لأنها كامنة
 في القلب يروى ان المؤمنين يحبسون على باب الجنة فيقتص بعضهم من بعض ثم يؤمر بهم إلى
 الجنة وقد نقيت قلوبهم من الغل والغش والحقد والحسد حالة كونهم (أخواناً) أي متصافين
 حالة كونهم (على سرر) جمع سرر وهو مجلس رفيع موطأ للسرور وهو أخوذ منه لأنه مجلس
 سرور قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهم يريد على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر
 والياقوت والسرر يرثل ما بين صنعاء إلى الحياينة (متقابلين) لا يرى بعضهم قبايع بعض فان التقابل

التواضع وهو تقيض التدابر ولا شك أن المواجهة أشرف الأحوال وعن مجاهد رضى الله تعالى
 عنه تدور به اسم الامرة حينما داووا فيكونون في جميع أحوالهم متقابلين * (تبيينه) * ليس
 المراد الاخوة في النسب بل المراد الاخوة في المودة والمخالطة كما قال تعالى الاخلاء يومئذ
 بعضهم لبعض عدو الا المتقين وعن الجنيدي أنه قال ما أحلى الاجتماع مع الاصحاب وما أمر
 الاجتماع مع الاعداد وقوله تعالى (لا يمسمهم فيها نصب) أى اعياء ونهب وجهه ومشفقة
 استئناف أو حال بعد حال أو حال من الضمير في متقابلين وقوله تعالى (وما هم منها بمخرجين)
 المراد به كونه خلودا بلا زوال وبقاء بلا فناء وكما لا يتنصان وفوزا بلا حرمان * ولما ذكر تعالى
 أحوال المتقين وأحوال غيرهم أتبع ذلك بقوله تعالى (نبئ) أى خبريا أفضل الخلق (عبادى)
 اخبارا جليلا (أنى أنا) أى وحدى (الغفور) أى للمؤمنين (الرحيم) بهم وقرأ نافع وابن كثير
 وأبو عمرو بفتح الياء من عبادى وانى والباقون بالسكون وأما البسمزة في نبئ فلم يبدلها الاجزة
 في الوقف فقط وكذا البسمزة من نبئهم ونقل عن حمزة كسر الهاء في الوقف (وأن عذابى) أى
 وحدى للعصاة (هو العذاب الاليم) أى المؤلم * (تبيينه) * في هذه الآية طائف الاولى أنه
 سبحانه وتعالى أضاف العباد الى نفسه وهذا تشرىف عظيم الا ترى انه قال لنبى محمد صلى الله
 عليه وسلم سبحانه الذى أسرى بعبد له ليللا الثانية انه تعالى لما ذكر الرحمة والمغفرة بالغ
 في التأكيدات بالفاظ ثلاث أولها قوله تعالى أنى وثانيها قوله أنا وثالثها ادخال حرف الالف
 واللام على قوله تعالى الغفور الرحيم ولما ذكر العذاب لم يقل أنى أنا المعذب وما وصف نفسه
 بذلك بل قال وأن عذابى هو العذاب الاليم الثالثة انه أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ
 اليهم هذا المعنى فكأنه أشهد رسوله على نفسه في التزام المغفرة والرحمة والرابعة انه لما قال
 نبئ عبادى كان معناه نبئ كل من كان معترفا بعبوديتى وهذا كما يدخل فيه المؤمن المطيع كذلك
 يدخل فيه المؤمن العاصى وكل ذلك يدل على تغليب جانب الرحمة من الله تعالى وعن أبي هريرة
 رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق الرحمة يوم
 خلقها مائة درجة فأمسك منها عندة تسعة وتسعين وأرسل في خلقه رحمة فلو يعلم الكافر بكل
 الذى عند الله من الرحمة لم يأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذى عند الله من العذاب
 لم يأمن من النار وعن عبادة رضى الله تعالى عنه قال بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أنه قال لو يعلم العبد قدر عقوباته ما ورع من حرام ولو يعلم قدر عذابه لجمع نفسه الى قتلها
 وعنه صلى الله عليه وسلم أنه مر بفر من أصحابه وهم يضحكون فقال أتضحكون وقد ذكر
 الجنة والنار بين أيديكم فنزل نبئ عبادى انى أنا الغفور الرحيم * ولما بالغ تعالى في تقرير النبوة
 ثم أرفده بذكر دلائل التوحيد ثم ذكر تعالى عقبه أحوال القيامة ووصف الاشقياء والسعداء
 أتبع ذلك بقصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام ليكون سماعها مرغبا في العبادة الموجهة
 للفوز بدرجات الاولياء ومخذرا عن المعصية المرجبة لاستحقاق دركات الاشقياء واقتمت
 من ذلك بقصة ابراهيم عليه السلام فقال تعالى (ونبئهم) أى خبريا بسيد المرسلين عبادى

(عن ضيف ابراهيم) وهم ملائكة اثناعشر أو عشرة أو ثلاثة منهم جبريل عليه السلام
 (فان قيل) الضيف هو المنضم الى غيره لطلب القرى (أجيب) بأن هؤلاء هموا بهذا الاسم لانهم
 على صورة الضيف فهو من دلالة التضمن وقيل أيضا ان من يدخل دار انسان ويلتجئ اليه
 يسمى ضيفا وان لم يأكل (اذ دخلوا عليه) أي ابراهيم وكان يكنى أبا الضيفان كان لقصره أربعة
 أبواب لكن لا يفوته أحد (فقالوا سلاما) أي نسلم عليك سلاما وسلمت سلاما (قال) ابراهيم عليه
 السلام بلسان الحال أو المقال (آنا) أي أنا ومن عندي (منكم وجاؤون) أي خائفون وكان
 خوفهم لامتناعهم من الاصل أو لانهم دخلوا بغير إذن وبغير وقت والوجل اضطراب
 النفس لتوقع ما تكره (قالوا لا توجل) أي لا تخف (آنا) رسل ربك (نبشركم بغلام) أي ولد
 ذكر في غاية القوة ليس كالأولاد الشيوخ ضعيفا وقرأ حمزة بفتح النون وسكون الباء وضم
 الشين مخففة والباءون بضم النون وفتح الباء وكسر الشين مشددة (علم) أي ذى علم كثير
 هو اسحق عليه السلام كما ذكر في هود وتقدم ذكر القصة هناك بأسرها (قال) ابراهيم عليه
 السلام (أبشركوني) أي بالولد وقوله (على أن مسنى الكبر) حال أي مع مسه اباي (فان
 قيل) كيف قال (قم) أي فباي تنبئ (تبشرون) أي ينوئ ذلك يا ناسا فإمعانهم
 قدينا ما بشروا به وما فائدة هذا الاستفهام (أجيب) بأنه أراد أن يعرف ان الله تعالى
 هل يعطيه الولد مع بقائه على صفة الشيخوخة أو يقليه شابا ثم يعطيه الولد والسبب في هذا
 الاستفهام ان العادة جارية بأنه لا يحصل في حالة الشيخوخة التامة وانما يحصل في حال
 الشباب أو انه استفهام تعجب ويدل لذلك قولهم (قالوا بشركنا بالحق) قال ابن عباس
 يريدون بما قضاه الله تعالى والمعنى ان الله تعالى قضى أن يخرج من صلب ابراهيم اسحق ويخرج
 من صلب اسحق ذرية مثل ما أخرج من صلب آدم وقولهم (فلا تنكح) أي بسبب
 تبشيركنا من القاطنين) أي الابسين نهى لابراهيم عليه السلام عن القنوط ونهى الانسان عن
 الشيء لا يدل على كونه فاعلا للمنهى عنه كما في قوله تعالى ولا تطع الكافرين والمنافقين ثم
 حكى الله تعالى عن ابراهيم عليه السلام أنه (قال ومن يقنط) أي يئس من هذا اليأس (من
 رحمة ربه) أي الذي لم يزل احسنه عليه (الاضالون) أي المخطون طريق الاعتقاد الصحيح
 في دينهم من تمام القدرة وانه لا تضروه عصبية ولا تنفضه طاعة وقرأ أبو عمرو والكسائي بكسر
 النون والباقون بقصها ولما تحقق عليه السلام البشري ورأى اتيانهم محققين على غير الصفة
 التي يأتي عليها الملك للوحى وكان هو وغيره من المارقين بالله عالمين بأنه ما ينزل الملك الا بالحق كان
 ذلك التسديد الان يسألهم عن أمرهم ليزول وجهه كله ولذلك (قال) عليه السلام (ما) بقاء السبب
 (خطبتكم) أي شأنكم قال أبو حيان والخطب لا يكاد يقال الا في الامر الشديد اه وقال
 الرماني انه الامر الجليل (أي المرسلون) فانكم ما مجتمع الامر عظيم يكون فضلا بين هالته
 ونابح (قالوا آنا أرسلنا) أي أرسلنا العزيز الحكيم الذي أنت أعرف الناس في هذا الزمان به
 (آلى) اهلاك (قوم) أي ذرى منعة (مجرمين) أي كفروا بهم قوم لوط وقوله تعالى (الآل لوط)

فيه وجهان أحدهما انه استثناء متصل على أنه مستثنى من الضمير المستكن في مجرمين بمعنى
أجرموا كلهم الآل لوط فانهم لم يجرموا ويكون معنى قوله تعالى (انالمجروهم أجمعين) أى
لايمانهم استئناف اخبار بنجاتهم لكونهم لم يجرموا ويكون الارسال حينئذ شاملا للمجرمين
ولآل لوط لاهلاك أولئك وانجاء هؤلاء والثانى انه استثناء منقطع لأن آل لوط لم يندرجوا
في المجرمين البتة فيكون قوله تعالى انالمجروهم أجمعين جرى مجرى خبر لكن في اتصاله بالآل لوط
لأن الماء في لكن آل لوط منجوبهم وقرأ جزء والكسائي بسكون النون وتخفيف الجيم والباقون
بفتح النون وتشديد الجيم وقوله تعالى (الامرأته) استثناء من آل لوط أو من ضميرهم على
الأول وعلى الثانی لا يكون الامن ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الآن يجعل انالمجروهم
اعتراضا وقوله تعالى (قدزنا) قرأ شعبة بتخفيف الدال والباقون بالتشديد (انهمالمن الغابرين) أى
من السابقين في العذاب لبقورها * (تنبيه) * معنى التقدير في اللفظة جعل الشيء على مقدار غيره
يقال قدر هذا الشيء لهذا أى جعله على مقداره وقد والله تعالى الاقوات أى جعلها على
مقدار الكفاية ويفسر التقدير بالقضاء فيقال قضى الله تعالى عليه وقدره عليه أى جعله على
مقدار ما يكفي في الخير والشر وقيل معنى قدرنا كتبنا وقال الزجاج دبرنا (فان قيل) لم أسند
الملائكة فعل التقدير الى أنفسهم مع أنه عز وجل (أجيب) بأنهم انما ذكروا هذه العبارة
لما لهم من القرب والاختصاص بالله تعالى كما تقول خاصة الملك دبرنا كذا وأمرنا بكذا والمدير
والامر هو الملك لا هم وانما يريدون بهذا الكلام اظهار مالهم من الاختصاص بذلك الملك
فكذا هنا * ولما بشر الملائكة عليهم السلام ابراهيم عليه السلام بالولد وأخبروه بأنهم مرسلون
بعذاب قوم مجرمين ذهبوا بعد ابراهيم عليه السلام الى لوط وآله وهذه هي القصة الثانية
المذكورة في هذه السورة قال تعالى (فلما جاء آل لوط المرسلون) ههنا هم زان مقصوحتان من
كلمتين فقرأ قالون والبرى وأبو عمر وباقا واحدة منهما مع المد والقصر وقرأ ورش وقيل
بتسهيل الثانية وابدأها حرف مد والباقون بتحقيق الهمزتين وكذا جاء أهل المدينة (قال)
لهم (انكم قوم منكرون) لانهم دخلوا عليه هجما فاستنكروهم وخاف من دخولهم لاجل شر
يوصلونه اليه ولاجل انهم كانوا اشباها مرءا احسان الوجوه تخاف أن يهجم قومهم عليهم بسبب
طلبهم فقال هذه الكلمة وقيل ان السكرة ضد المعرفة فذوله عليه السلام انكم قوم منكرون
أى لأعرفكم ولأعرف انكم من أى الاقوام أنتم ولأى تعرض دخلتم على فعند ذلك (قالوا)
أى الملائكة (بل جئناك نبأ) أى بالعذاب الذى (كانوا) أى قومك (فيه يمترون) أى يشكون
في نزولهم وبالجاهل يوصف بالشك وان كان مكذبا من جهة ما يعرض له منه من حيث
أنه لا يرجع الى نفسه فيما هو عليه ثم أكدوا ما ذكره بقولهم (وأنتالخالق) أى باليقين
الذى لا يشك فيه ثم أكدوا هذا التأكيد بقوله (واناالصادقون) أى فيما أخبرنا لذب
(فأستريأهات) أى فاذهب بهم في الليل (يقطع من الليل) أى في طائفة من الليل وقيل هى آخره
قال الشاعر افتحى الباب واقطرى في العجوم * كم علينا من قطع ليل بهم

كأنه طال عليه الليل فخطب ضجيجته بذلك أو كان يجب طول الليل للواصل وقرأ نافع وابن
 كثير يوصل همزة فأسر بعد الفاء من السرى والباقون بالقطع وهما عني (واسع أدبارهم)
 أي وقن على آثارها هلك وسرخلفهم وتطلع على أحوالهم (ولا يلتفت منكم أحد) أي لا تلتزم
 ألب ما نزل بهم من البلاء وقيل جعل ترك الالتفات علامة لمن نجو من آل لوط (وامضوا
 حيث نؤمرون) أي إلى المكان الذي أمركم الله بالمضي إليه قال ابن عباس هو الشام وقال
 الفضيل حيث يقول لكم جبريل وذلك أن جبريل أمرهم أن يعضوا إلى قرية معينة ما عمل أهلها
 عمل قوم لوط وقيل إلى الأردن وقيل إلى مصر* (تنبيه)* حيث ههنا على بابها من كونها طرف
 مكان مبهم ولا يها تعدي إليها الفعل من غير واسطة (وقضينا) أي وأرحمنا (إليه) ولما ضمن
 قضينا معنى الإيحاء تعدي بالي ومثله وقضينا إلى بني إسرائيل وقوله تعالى (ذلك الأمر) مبهم
 تفسيره (إن دابر هؤلاء مقطوع) أي مستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد وقوله تعالى
 (مصعبين) حال من هؤلاء ومن الضعيف مقطوع وجهه للحم على المعنى فإن دابر هؤلاء في
 معنى مدبري هؤلاء أي يتم استئصالهم في الصباح (وجاء أهل المدينة) أي مدينة من مدائن قوم
 لوط وهي سدوم بسين مهمله وذال هجته وأخطأ من قال بهملة (يستبشرون) أي باضياف لوط
 طمعا فيهم وليس في الآية دليل على المكان الذي جاؤه إلا أن القضية تدل على أنهم جاؤا دار
 لوط وقيل إن الملائكة لما كانوا في غاية الحسن اشتهر خبرهم حتى وصل إلى قوم لوط وقيل
 امرأه لوط أخبرتهم بذلك قال الرازي وبالجملة فالقوم قالوا نزل بلوط ثلاثة من المردم رأينا قاط
 أصبح وجهها ولا أحسن شكلامهم فذهبوا إلى دار لوط طلبا منهم لا وثلك المرد والاشتبار
 انظهار السرور ولما وصلوا إليه (قال) لهم لوط (إن هؤلاء ضيفي) أي وحق على الرجل أكرام
 الضيف (فلا تفتخون) فيهم يقال فضحه يفضحه إذا أظهر من أمره ما يلزم به العار وإذا قصد
 الضيف بسوء كان ذلك اهانة لصاحب المحل ثم أكد ذلك بقوله (واتقوا) أي خافوا (الله)
 في أمرهم (ولا تخزون) أي ولا تتجاولوني فيهم بقصدكم إياهم بفعل الفاحشة من الخزية وهي
 الحياء أو لا تذولوني بسببهم من الخزي وهو الهوان (قالوا) أي قومه في جواب قوله لهم
 (أو لم تنهك عن العالمين) أي عن أن تضيف أحدا من العالمين وقيل أولم تنهك أن تدخل الغريب
 المدينة فإن انقلب منهم الفاحشة وقيل أولم تنهك أن تمتع بيننا وبينهم فانهم كانوا يعرضون لكل
 أحد وكان لوط عليه السلام ينعهم عنهم بقدر وسعه ثم (قال) لهم (هؤلاء بناتي) أي نساء القوم
 لأن كل أمة أولاد نبيها رجالهم بنوه ونساءهم بناته فكأنه قال لهم هؤلاء بناتي فأنكروهن
 وخولوا بني فلانة عرضوا لهم (إن كنتم فاعلين) أي ما أقول لكم أم قضاء الشهوة والكلام في ذلك
 قدم مراتب الاستقصاء في سورة هود وقرأ نافع بفتح ياء بناتي والباقون بسكونها قال الله تعالى لنبيه
 محمد صلى الله عليه وسلم على لسان ملائكته (لعمرك) أي وحياتك وما أقسم بحياة أحد غيره
 وذلك يدل على أنه أكرم الخلق على الله تعالى (أنهم لفي سكرتهم) أي شدة غفلتهم التي أزلت
 عقولهم (بهمون) أي يتعجبون انظاب للوط عليه السلام قالت له الملائكة ذلك أي

فكيف يعقلون قولك ويلتفتون ان تصيحتك * (تنبيه) * امرك مبتدأ محذوف الخبر
 وجوبا وانهم وما في حيزه جواب القسم تقديره لعمرك قسمي أو يميني انهم والعمر والعمر
 بالفتح والضم واحد وهو البقاء لانهم خصوا القسم بالفتوح لا يشار الا خلف فيه وذلك لان
 الحلق كثير الدور على السننهم بلعمرى ولعمرك (فأخذتهم الصيحة) أى صيحة هائلة مهلكة
 وهل هي صيحة جبريل عليه السلام قال الرازى ليس فى الآية دليل على ذلك فان ثبت بدليل
 قوى قبل به والاليس فى الآية دليل لانهم جاءتهم صيحة عظيمة مهلكة وقوله تعالى
 (مشرفين) أى داخلين فى وقت الشروق وهو بزوغ الشمس حال من مفعول أخذتهم ثم بين
 سبحانه وتعالى ما تسبب عن الصيحة من قبالتها بقوله تعالى (جعلنا) أى جعلنا من العظمة والقدرة
 (عليها) أى مداثهم (سافلها) بأن رفعها جبريل عليه السلام الى السماء وأسقطها مقلوبة
 الى الارض (وأمرنا عليهم) أى أهل المدائن التى قلبت المدائن لاجلهم (بجارية من جعليل)
 أى طين طبع بالنار * (تنبيه) * دلت الآية الكريمة على أن الله تعالى عذبهم بثلاثة أنواع
 من العذاب أحدها الصيحة الهائلة المنكرة وثانيها أنه جعل عليها سافلها وثالثها أنه أمطر
 عليهم بجارية من جعليل وتقدمت الاشارة الى ذلك فى سورة هود (ان فى ذلك) أى المذكور
 من هذه الأنواع (لايات) أى دلالات على وحدانية الله تعالى (للمؤمنين) أى الناظرين
 العتبرين جمع متروم وهو الناظر فى السمعة حتى يعرف حقيقة الشيء وسمته (وانها) أى هذه
 المدائن (ليسيل) أى طريق قريش الى الشام (مقيم) أى لم يندرس بل يشاهدون ذلك
 ويرون أثره أفلا يعتبرون ثم قال سبحانه وتعالى مشيراً الى زيادة الحث على الاعتبار بالتأكيده
 (ان فى ذلك) أى هذا الامر العظيم (لاية) أى علامة عظيمة فى الدلالة على وحدانيته تعالى
 (للمؤمنين) أى كل من آمن بالله وصدق الانبياء والرسل عرف ان ذلك انما كان لاجل
 ان الله تعالى اتقى لانياته من أوامرك الجهال أما الذين لا يؤمنون بالله فانهم يحملونه على
 حوادث العالم ووقائمه ثم ذكر تعالى القصة الثالثة وهى قصة شعيب عليه السلام بقوله
 تعالى (وان) مخففة من الثقيلة أى وانه (كان) أى جده وطبعاً (أصحاب الايكة) وهم
 قوم شعيب عليه السلام وقد ذكر الله تعالى قصتهم فى سورة الشعراء والايكة الشجر
 المتكاثف وقيل الشجر الملتف وقال ابن عباس هى شجر المقل وقال الكلبى الايكة الغيضة
 أى غيضة شجر بقرب مدين (الظالمين) أى عريقين فى الظلم تكذيبهم شعيباً عليه السلام
 (فأتقنا منهم) أى بسبب ذلك قال المفسرون اشتد الحزق فيهم أياماً ثم اضطرم عليهم المكان ناراً
 فهلكوا عن آخرهم وقوله تعالى (وانهما) فيه قولان الاول ان المراد قري قوم لوط والايكة
 والقول الثانى أن الضمير للايكة ومدين لأن شعيباً كان مبعوثاً اليهما فلما ذكر الايكة
 دل به كرها على مدين فجاء ضميرها (لبامام) أى طريق (مبين) أى واضح والامام اسم لما يؤتم به
 قال القراء انما جعل الطريق اماماً لانه يؤتم ويتبع وقال ابن قتيبة لان المسافر يأتم به حتى
 يصل الى الموضع الذى يريد ثم ذكر تعالى القصة الرابعة وهى قصة صالح عليه السلام بقوله

تعالى (ولقد كذب أصحاب الحجر) وهم ثمود قوم صالح عليه السلام وديارهم بين المدينة
 الشريفة والشام (المرسلين) أي كلهم تكذيب رسولهم كما كذب هؤلاء المرسلين بتكذيبك
 لأن الرسل يشهد بعضهم لبعض بالصدق فنكذب واحدا منهم فقد كذب الجميع وهم في اثبات
 الرسالة بالمعجزة على حد سواء ثم أتبع ذلك قوله تعالى (وآياتناهم) أي بما لنا من العظمة والقدرة
 على يد رسولهم صالح عليه السلام (آياتنا) أي آيات الكتاب المنزل على نبيهم أو معجزات كالناقة
 وكان فيها آيات كثيرة كخروجها من الصخرة وعظيم خلقها وقرب ولادتها وغزارة لبنها وانما
 أضاف الآيات إليهم وإن كانت لنبيهم صالح عليه السلام لأنه مرسل من ربهم بهم بهذه الآيات
 (فكانوا عنها) أي الآيات (معرضين) أي تاركيها غير ملتفتين إليها لا يتفكرون فيها ثم أخبر تعالى
 عنهم أنهم كانوا مثل هؤلاء في الأمن من العذاب والغفلة عما يربدهم مع أنهم كانوا أشد منهم
 فقال تعالى (وكانوا يضنون) والنحت قلع جزء بعد جزء من الجسم على سبيل المسح (من الجبال)
 أي التي تقدمنا جعلها هاروا سي (يونا أمين) عليهما من الانهدام وزعم الصوفى وتخريب
 الأعداد لونا قما لا كيونكم التي لابقا لها على أدنى درجة وقرأ ورش وأبو عمرو وحفص
 برفع الباء والباقون بكسرها (فأخذتهم الصيحة) أي صيحة العذاب (معصين) أي وقت الصبح
 (فما أغنى) أي ما دفع عنهم (الضر والبلاء) ما كانوا يكسبون أي يعملون من بناء البيوت
 الوثيقة واستكثار الأموال والعدد وعن جابر رضى الله تعالى عنه مرزنا مع رسول الله صلى
 الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا لاندخلوا مساكن الذين ظلوا أنفسهم الآن تكفونوا يا كين
 حذرا أن يصيبكم مثل ما أصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم راحته فأسرع حتى
 خلفها وما ذكر تعالى هذه القصص تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم فإنه إذا سمع أن الأمم السالفة
 كانوا يعملون أنبياء الله بمنزل هذه المعاملات سهل تحمل تلك السفاهة قال تعالى (وما خلقنا
 السموات والأرض) أي على ما لها من العلو والسعة والأرض على ما لها من المنافع والغرائب
 (وما بينهما) من هؤلاء المشركين المكذبين وعذابهم ومن الماء والرياح والسموات المسبب عنه
 النبات وغير ذلك (الابالحق) أي الأخلقاملتنسبا بالحق فينتكرفيه من وفقه الله تعالى ليعلم
 النشأة الآخرة من النشأة الأولى (وان الساعة) أي القيامة (لا تميم) لا محالة فيجازى الله
 تعالى كل أحد بعمله ثم انه تعالى لما صبره على أذى قومه رغبه بعد ذلك في الصفع عن سيئاتهم
 بقوله تعالى (فاصفع الصفع الجميل) أي اعرض عنهم اعراضا لجزع فيه ولا تنجل بالانتقام
 منهم وهذا منسوخ بآية السيف قال الرازى وهو بعد لأن المقصود من ذلك أن يظهر الخلق
 الحسن والصفو والصفح فكيف يصير منسوخا ٥١ والأقول جرى عليه البغوى وجماعة من
 المفسرين ثم هل تعالى هذا الأمر بقوله (ان ربك) أي الحسن اليك الأمر لك بهذا (هو) أي
 وحده (الخلق) أي المتكبر منه هذا الفعل (العليم) أي البالغ العلم بكل المعلومات فليست
 أقوالهم وأفعالهم الآمنة سبحانه وتعالى لأنه خالقها وقد علمت أنه لا يضيع مثقال ذرة فاعتمد
 عليه في أخذ حثك فإنه تم المولى وتم النصير ولما صبره الله تعالى على أذى قومه وأمره أن يصفح

الصفح الجليل اتبع ذلك بذكر النعم العظيمة التي خص الله تعالى أفضل خلقه بما بقوله تعالى
 (ولقد آتيناك) بأفضل الخلق بالناس من العظمة والقدرة كما آتينا صالحا لما تقدم (سبعاً) يكون
 كل سبع منها كفيلاً باغلاق باب أبواب من الثيران السبعة وهي أم القرآن الجامعة لجميع معاني
 القرآن التي أمرنا باعادتها في كل ركعة زيادة في حفظها وتبركاً بلفظها وتذكراً المعانيها
 وتخصيصها لها عن بقية الذكر الذي تكفلنا بحفظه والسبب في وقوع هذا الاسم على الفاتحة
 لانها سبع آيات وهذا ما عليه أكثر المفسرين روى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ الفاتحة وقال هي
 السبع المثاني رواه أبو هريرة وقيل المراد سبع سور وهي الطوال واختلف في السابعة فقيل
 الانفال وبرامة لانها ما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بآية البسطة وقيل الحواميم السبع
 وقيل سبع صحائف وهي الاسباع وقوله تعالى (من المثاني) صفة للسبع وهو جمع واحد
 منثاة والمنثاة كل شيء ينثى أي يجعل اثنين من قولك ثبت الشيء ثبناً أي عطفه وضممت اليه
 آخر ومنه يقال ركبتي الدابة ومرقتها مثاني لانها تنثى بالفضد والعضد ومثاني الوادي معافقه
 أما تسمية الفاتحة بالمثاني فالوجه الاول أنها تنثى في كل صلاة بمعنى أنها تقرأ في كل ركعة الثاني
 أنها تنثى بما بعدها فيما يقرأ معها الثالث أنها قسمت قسمين اثنين لما روى أنه صلى الله عليه وسلم
 قال يقول الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين والحديث مشهور وقد ذكرته في
 وجه تسميتها صلاة عند ذكرها الرابع أنها قسمان اثنان ثناء ودعاء وأيضا النصف الاول منها حق
 الربوبية وهو الثناء والنصف الثاني حق العبودية وهو الدعاء الخامس أن كلماتها منثاة مثل
 الرحمن الرحيم يا انبئ ويا الذائع ويا الذائع اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم وأما
 السور والاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعود والوعيد وغير ذلك ولما فيها
 من الثناء كلها تنثى على الله تعالى بأفعاله العظمى وصفاته الحسنى * (تنبيه) * من في من المثاني
 اما اللسان أو للتبعض اذا أردت بالسبع الفاتحة والطوال والليسان ان أردت الاسباع قال
 الزخشي ويحوز أن تكون كتب الله كلها مثاني لانها تنثى عليه لم فيها من المواعظ المكررة
 ويكون القرآن بعضها وقوله تعالى (والقرآن العظيم) أي الجامع لجميع معاني الكتب
 السماوية المتكفل بخيرى الدارين مع زيادات لا تحصى فيه أوجه أحدها أنه من عطف بعض
 الصفات على بعض أي الجامع بين هذين النعتين الثاني أنه من عطف العام على الخاص اذ
 المراد بالسبع اما الفاتحة واما الطوال فكانت ذكر مرتين بجهة الخصوص ثم اندرجا في
 العموم الثالث أن الواو مقممة * ولما عرف سبحانه وتعالى رسوله عظيم نعمه عليه فيما يتعلق
 بالدين وهو أنه آناه سبعاً من المثاني والقرآن العظيم نهام عن الرغبة في الدنيا بقوله تعالى
 (لا تعلقن عينين) أي لا تشغل سررك وخطرك بالالتفات (الى ما تمنعنا به أزواجهم) أي
 أصمنا ما من الكفار والزوج في اللغة المنصف وقد أوتيت القرآن العظيم الذي فيه فخر عن
 كل شيء قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه من أوفى القرآن فرأى أن أحد أوفى في الدنيا أفضل
 مما أوفى فقد صغر عظيماً وعظم صغيراً وتأول سفيان بن عيينة هذه الآية بقول النبي صلى الله

عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن أي لم يستغن وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
تصدق عينيك أي لا تتفق ما فضلنا به أحدا من متاع الدنيا وقيل أتت من بعض البلاد سبع
قوافل ليهود قرظية والنضير فيها أنواع البر والطيب والجوهر وسائر الامتعة فقال المسلمون
لو كانت هذه الاموال لنا لتقوت بناها وأتقناها في طاعة الله تعالى فقال الله تعالى لقد أعطيتكم
سبع آيات هن خير من هذه القوافل السبع وقزرا لواحدي هذا المعنى فقال انما يكون ماذا
عنيته الى الشيء اذا دام النظر نحوه وادامة النظر الى الشيء تبدل على استحسانه وتغنيه وكان
النبي صلى الله عليه وسلم لا ينظر الى ما يستحسن من متاع الدنيا روى أنه نظر الى نيم بنى المصطلق
وقد عوس في أبو الهيا وأبعارها وهو أن تجف أبو الهيا وأبعارها على أنخاذها اذا تركت من
العمل أيام الربيع فتكثر شهوها ولحومها وهي أحسن ما تكون وعن أبي هريرة رضي الله
تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا الى من هو أسفل منكم ولا تنظروا الى
من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم وقوله تعالى (ولا تحزنوا عليهم) نهى له عن
الالذات اليهم ان لم يؤمنوا فيخلصوا أنفسهم من النار ولما نهاه سبحانه وتعالى عن الالتفات
الى أولئك الاغنياء من الكفار أمره بالتواضع للفقراء المسلمين بقوله تعالى (واخفض جناحك)
أي أن جابتك (للمؤمنين) أي العربيين في هذا الوصف واصبر نفسك معهم وافرقتهم وما
أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالزهد في الدنيا والتواضع للمؤمنين أمره بتبليغ
ما أرسل به اليهم بقوله تعالى (وقل اني أنا النذير) من عذاب الله أن ينزل عليكم ان لم تؤمنوا
وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وفتح الباء والباقون بالسكون (المبين) أي البين الاذار وقوله
تعالى (كأ أنزلنا) أي العذاب (على المقتسمين) قال ابن عباس هم اليهود والنصارى سمو بذلك
لانهم آمنوا ببعض القرآن وكفروا ببعضه فما وافق كتبهم آمنوا به وما خالف كتبهم كفروا به
وقال عكرمة أنهم اقسام سور القرآن فقال واحده هذه السورة في وقال اخر هذه السورة في
وانما فعلوا ذلك استهزاء به وقال مجاهد انهم اقسام كتبهم فآمن بعضهم ببعضها وكفروا بعضهم
ببعضها وقال قتادة أراد بالمقتسمين كفار قريش قال سمو بذلك لان أقوالهم تقسمت في القرآن
فقال بعضهم انه سحر وزعم بعضهم انه كهانة وزعم بعضهم انه أساطير الاولين وقال ابن
السائب سمو بالمقتسمين لانهم اقساموا طرق مكة وذلك أن الوليد بن المغيرة بعث رهطا من أهل
مكة قبل ستة عشر وقيل أربعين وقال اطلقوا فتفرقوا على طرق مكة حيث يمر بكم أهل
الموسم فاذا سألوكم من محمد فقل بعضكم انه مجنون وليقل بعضكم انه كاهن وليقل بعضكم
انه ساحر وليقل بعضكم انه شاعر فذهبوا وقعدوا على طرق مكة يقولون ذلك لمن يترجم من حجاج
العرب وقعد الوليد بن المغيرة على باب المسجد الحرام نصبوه حكا فاذا جاؤا أسألو عما قال أولئك
فيقول حسد قروا فاهلكهم الله تعالى يوم بدر وقوله تعالى (الذين جاهدوا القرآن عيضا) نعت
للمقتسمين وقال ابن عباس هم اليهود والنصارى جزوا القرآن أجزاء آمنوا بما وافق التوراة
والانجيل وكفروا بالباقي وقال مجاهد قسموا كتاب الله فصرقوه وبتدوه وقيل كانوا يستغزون به

فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول بعضهم سورة آل عمران لي وقيل اتسموا القرآن فقال
 بعضهم سحر وقال بعضهم شعر وقال بعضهم كذب وقال بعضهم أساطير الاولين وقيل هم أهل
 الكتاب آمنوا به بعض كتبهم وكفروا ببعض على أن القرآن ما يقرؤه من كتبهم فيكون ذلك
 تنبيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر
 وأساطير الاولين بأن غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم * (تنبيه) * عشرين جمع
 عضة وهي الفرقة والعشرين الفرق وتقدم معنى جعلهم القرآن كذلك وقيل العضة الشعر بلغة
 قريش يقولون هو عاضه وهي عاضه وفي الحديث لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضه
 والمستعضه أي الساحرة والمستسحرة وقيل هو من العضة وهو الكذب والبهتان يقال عاضه
 عضا وعضيه أي رماه بالبهتان وقيل جمع عضو مأخوذ من قولهم عضيت الشيء أعضيه إذا فرقه
 وجعلته أجزاء ذلك أنهم جعلوا القرآن أعضاء مفرقة فقال بعضهم سحر وقال بعضهم أساطير
 الاولين ثم أقسم سبحانه وتعالى بنفسه على أنه يسأل هؤلاء المقتسمين الذين جعلوا القرآن
 عشرين بقوله تعالى (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) فيكون الضمير عائدا على المقتسمين
 لأنه الأقرب ويحتمل أن يعود على جميع المكلفين لأن ذكرهم تقدم في قوله تعالى وقيل اني أنا
 النذير المبين أي لجميع الخلق قال جماعة من المفسرين يستلون عن لاله الا الله وقال أبو
 العالية يستلون عما كانوا يعبدون وما أجابوا به المرسلين (فان قيل) كيف الجمع بين قوله في
 فوربك لنسألنهم أجمعين وبين قوله تعالى فيومثلا يستل عن ذنبه انس ولا جان (أجيب) بأن
 النبي ينصرف الى بعض الاوقات والاشبات الى وقت آخر لان يوم القامة يوم طويل وفيه
 مواقف يستلون في بعضها ولا يستلون في بعض آخر ويطير به قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون وقال
 في آية أخرى ثم انكم يوم القامة عند ربكم تختصمون ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
 (فاصدع) أي اجهر بعلو شدة فارهاين الحق والباطل وقرأ حمزة والتكاسي باشمام الصاد
 الساكنة قبل الدال والباقون بالصاد الخالصة (عما) أي بسبب ما (توصوا) به أمر النبي صلى
 الله عليه وسلم في هذه الآية ناظهار الدعوة روى عن عبد الله بن عبدة قال كان مستفضيا حتى
 نزلت هذه الآية فخرج هو وأصحابه (واعرض) أي اعراض من لا يسأل (عن المشركين)
 بالرفع الجليل عن الاذى والاجتهاد في الدعاء ولتلتفت الى لومهم بالذم على اظهار الدعوة قال
 بعض المفسرين كالبعثى وهذا منسوخ بآية القتال قال الرازي وهو ضعيف لأن معنى هذا
 الاعراض ترك المبالاة بهم فلا يكون منسوخا * ولما كان هذا الصدع في غاية الشدة عليه صلى
 الله عليه وسلم لكثرة ما يلقي عليه من الاذى خفف عنه سبحانه وتعالى بقوله معللا له (انا) أي
 بمثلنا من العظمة والقدرة (كفناك المستزين) أي شر الذين هم عريقون في الاستمزاز وهم
 خمسة نفر من رؤساء قريش الوليد بن المغيرة والعاصم بن وايل وعندي بن قيس والاعوذ
 ابن عبد المطلب والاسود بن عبد يغوث ووصف سبحانه وتعالى هؤلاء بقوله تعالى (الذين
 يجعلون مع الله الها آخر) وقيل ليس بصفة بل مبهمة وانضمته معنى الشرط دخلت الفاء في خبرية

وهو (فسوف يعلمون) أي عاقبة أمرهم في الدارين * ولذا ذكر سبحانه وتعالى أن قومه
يسفهون عليه ولا سيما أولئك المقتسمون قال له تعالى (ولقد نعلم) أي نضيق وقوع علمنا (أنك)
أي على مالك من الحلم وسعة البطن (يضيق صدرك) أي يوجد ضيقه ويجدد (بما يقولون)
أي من الاستهزاء والتكذيب بك وبالقرآن لأن الجبلة البشرية والمزاج الانساني يقتضي
ذلك فنسند هذا لآل تعالى (فسبح) ملتبسا (بمحمد ربك) أي نزهه عن صفات النقص وقال
الضحاك نقل سبحانه الله وبمحمده وقال ابن عباس فصل بأمر ربك (وكن من الساجدين) أي
من المصلين روى أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة وقامت معناه في
سورة البقرة * (تنبيه) * اختلف الناس كيف صار الاقبال على الطاعات سبباً لزال ضيق
القلب والحزن فقال العارفون المحققون إذا اشتغل الانسان بهذه الانواع من العبادات يتوزر
باطنه ويشرق عليه وينفصح وينشرح صدره فعند ذلك يعرف قدر الدنيا وحقارتها فلا
يلتفت اليها وقال بعض الحكماء إذا نزل بالانسان بعض المكروه فزع إلى الطاعات فكانت
يقول يا رب يجب علي عبادتك سواء أعطيتني الخيرات أو ألقيتني في المكروهات فأنا عبدك بين
يديك فأفضل بي ما تشاء (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) قال ابن عباس يريد الموت وسعى
الموت يقيناً لأنه أمر متيقن وهذا مثل قوله تعالى في سورة مريم وأوصاني بالصلاة والزكاة
مادمت حياً وروى البغوي بسنده عن ابن جبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوحى
الله الي أن أجمع المال وأكون من التاجرين ولكن أوحى الي أن أسبح بمحمد ربك وكن من
الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين (فان قيل) أي فائدة لهذا التوقيت مع أن كل أحد
يعلم أنه إذا مات سقطت عنه العبادات (أجيب) بأن المراد منه واعبد ربك في جميع زمان
حياتك فلا تتخل لحظة من لحظات الدنيا بهذه العبادات وعن عمر رضي الله عنه قال نظر رسول
الله صلى الله عليه وسلم إلى مصعب بن عمير مقبلاً وعليه اهاب كبش قد تنطق به فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انظر والى هذا الذي نورا الله قلبه لقد رأيته بين أوبه يغذو وانه بأطيب
الطعام والشراب ولقد رأيته عليه حمله شراها أو قال شريته له بجاتي درهم فدعا حب
الله وحب رسوله إلى ماترون وما وواه البيضاءى تبعا للزحمشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال
من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستمزين
بمحمد صلى الله عليه وسلم حديث موضوع

﴿سورة النمل عتبة﴾

الاقوله تعالى وان عاقبتهم الى آخر السورة وحكى الاسم عن بعضهم أنها كلها مدينة وقال آخرون
من أولها الى قوله كن فيكون مدني وما سواها مكي وعن قتادة بالعكس وتسمى سورة النعم
والمقصود من هذه السورة الدلالة على أنه تعالى تام القدرة والعلم فاعل بالاختيار مغزوه عن
شوائب النقص وأدل ما فيها على هذا المعنى أمر النمل لما ذكر من شأنها في دقة الفهم في ترتيب

يوتها وزجها وساير أمرها من اختلاف ألوان ما يخرج منها من أعسالها وجعله شفاء مع أكلها
من الخمار النافعة والعصارة وغير ذلك من الامور ووسمها بالنم واضمح وهي مائة وخمسة وعشرون
آية واللذان ونما ثمانه وأربعون كلمة وعدد حروفها سبعة آلاف وسبعمائة وسبعة أحرف
(بسم الله) أي المحيط بدار الكمال فاشاء فصل (الرحمن) أي الذي عمت نعمته جلجل خلقه
وحقيقه صغيره وكبيره (الرحيم) أي الذي خص من شاء بنعمته النجاة عما يسخطه بما يراه وقوله
تعالى (أني أمر الله) فيه وجهان أحدهما أنه ماض لفظا مستقبلي معنى إذا المراد به يوم القيامة
وإنما برزه في صورة ما وقع وانقضى تحقيقه له وصدق الخبر به والثاني أنه على باب والمراد
مقدماته وأوائه وهو نضر رسوله صلى الله عليه وسلم أي جاء أمر الله وذو اقرب فانه يقال في
الكلام المعتاد انه قد أتى ووقع اجراء لما يجب وقوعه مجري الواقع يقال لمن طلب الاعانة
وقرب حصولها جاءك القوت أي أتى أمر الله وعدا (فلا تستجلبوه) ووقعا قبل مجيئه فانه واقع
لا محالة روى أنه صلى الله عليه وسلم قال بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار باصبعه السبابة
والوسطى قال ابن عباس كان مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشرط الساعة * ولما مر
جبريل بأهل السموات مبعوثا إلى النبي صلى الله عليه وسلم لم قالوا الله أكبر قامت الساعة وروى
أنه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار بعضهم لبعض ان هذا أي محمد صلى الله عليه وسلم يزعم
أن القيامة قد اقتربت فأمسكوا عن بعض ما تقولون حتى ننظروا ما هو كائن فلما تأخرت قالوا
ما نرى شيئا فنزل لشاقت للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى
شيئا مما نتخوفنا به فنزل أي أمر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم
وظنوا أنهم اقدأت حقيقة فنزل فلا تستجلبوه فاطمأنوا فكان الكفار قالوا اسئلك يا محمد الا أنا
نعبد هذه الاصنام لتشفع لنا عند الله تعالى فخلصنا من هذا العذاب المحكوم به فأجابهم الله
تعالى بقوله تعالى (سبحانه) أي تنزيها له (وتعالى عما يشركون) أي تبرأ سبحانه وتعالى بالاوصاف
المجدية عن أن يكون لشريك في ملكه وقرأ اجزة والكسائي أي بالامالة وقرأ ورش بالفتح وبين
اللفظين والباقون بالفتح وقرأ اجزة والكسائي عما تشركون في الموضوعين بالتاء على وفق قوله
فلا تستجلبوه والباقون بالياء على الغيبة على تلويح الخطاب أو على أن الخطاب للمؤمنين أولهم
ولغيرهم * ولما أجب سبحانه وتعالى الكفار عن شبهتهم بقوله تنزيها لنفسه عما يشركون وكان
الكفار قالوا هب ان الله تعالى قضى على بعض عبيد بالشر وعلى آخرين بالخير ولكن كيف
يمكنك أن تعرف هذه الامور التي لا يبعلها الا الله تعالى وكيف صرت بحيث تعرف أسرار
الله تعالى وأحكامه في ملكه وملكوته فأجابهم الله تعالى بقوله (ينزل الملائكة) قال ابن عباس
يريد بالملائكة جبريل وحده قال الواحدى يسمى الواحد بالجمع اذا كان ذلك الواحد ريسا
وقرأ ابن كثير وبوعمر وبخفيف الزاى والباقون بتشديد ها والمراد (بالروح) الوحي أو القرآن
فان القلوب تحيا به من موت الجهالات وقوله تعالى (من أمره) أي بارادته حال من الروح (على
من يشاء من عباده) وهم الانبياء (أن أنذروا) أي خوفوا الكفار من بالعذاب وأعلوهم (أنه)

أى الشان (لا اله الا أنا) أى لا اله غيرى وقوله تعالى (فاتقون) أى خافوني رجوع الى محاطتهم
 بما هو المقصود * (تنبيه) * فى قوله تعالى ان أنذروا ثلاثة أوجه أحدها أنها المقصرة لان
 الوصى فيه ضرب من القول والانزال بالروح عبارة عن الوصى قال تعالى وكذلك أوحينا اليك
 روحنا من أمرنا الثانى أنها الخفيفة من الثقله واما ضمير الشأن محذوف الثالث أنها
 المصدرية التى من شأنها نصب المضارع ووصلت بالامر كقولهم كتب اليه بأن قم والاية تدل
 على أن نزول الوصى بواسطة الملائكة وان النبوة عطاءة * ولما وجد سبحانه وتعالى نفسه ذكر
 الآيات الدالة على وحدانيته من حيث انها تدل على أنه تعالى هو الموجد لا اصول العالم
 وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة بقوله تعالى (خلق السموات) أى التى هل السقف المظلم
 (والارض) أى التى هى البساط المقل (بالحق) أى أوجدهما على مقدار وشكل وأوضاع
 وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته (تعالى) أى تعاليات الوصف (عما يشركون) به
 من الامنام * ولما كان خلق السموات والارض غيبا تقدمه وكان خلق الانسان على هذه
 الصفة شهادة فتكون أقوى فى الدلالة على وحدانيته تعالى قال تعالى (خلق الانسان) أى
 هذا النوع (من نطفة) أى آدم عليه السلام من مطلق الماء ومن تفرع عنه بعد زوجه حواء
 من ماء مقيد بالدفق الى أن صيره قويا شديدا (فاذا هو خصيم) أى شديد الخصومة (مبين) أى
 بينها روى أن أبى بن خلف الجمحى وكان يشكر البعث جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم
 رميم فقال تزعم يا محمد ان الله يحيى هذا العظم بعد ما قدرتم فنزلت هذه الآية ونزل فيه أيضا قوله
 تعالى قال من يحيى العظام وهى رميم قال الخازن فى تفسيره والصحيح ان الآية عامة فى كل
 ما يقع فيه الخصومة فى الدنيا ويوم القيامة وجلها على العموم وأولى ولما كان أشرف الاجسام
 الموجودة فى العالم السفلى بعد الانسان سائر الحيوانات وأشرفها الانعام ذكرها بقوله تعالى
 (والانعام) أى الأزواج الثمانية الضأن والمعز والابل والبقر ونصبه بفعل يفسره
 (خلقها) قال الواحدى تم الكلام عند قوله والانعام خلقها ثم ابتدأ فقال (لكم فيها دفء)
 أى ما يدفأ به من اللباس والاكسية ونحوها المتخذة من الاصواف والاوبار والاشعار قال
 ويجوز أيضا أن يكون تمام الكلام عند قوله والانعام خلقها لكم ثم ابتدأ فقال تعالى فيها
 دفء قال الرازى قال صاحب النظم وأحسن الوجهين أن يكون الوقت عند قوله تعالى خلقها
 والدليل عليه أنه عطف عليه ولكم فيها جمال والتقدير لكم فيها دفء ولكم فيها جمال ولما
 ذكر تعالى الانعام ذكر لها أنواعا من المنافع الاوّل قوله تعالى لكم فيها دفء النوع الثامن
 قوله تعالى (ومنافع) أى ولكم فيها منافع من نسلها ودرها وركوبها والحمل عليها وسائر
 ما يتنفع به من الانعام وانما عبرتعالى عن ذلك بلفظ المنفعة وهو اللفظ الدال على الوصف
 الاعمال لأن الدر والنسل قد يتنفع به فى الاكل وقد يتنفع به فى البيع بالنقود وقد يتنفع به بأن
 يستدل بالثياب وسائر الضروريات فعبّر عن جملة هذه الاقسام بلفظ المنافع ليتناول الشكل
 النوع الثالث قوله تعالى (ومتما تاكلون) فان قيل تقديم التلذذ فيه لا لحرص لان تقديم

الظرف مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها (أجيب) بأن الاكل من هذه الانعام هو
الذي يعده الناس في معاشهم وأما الاكل من غيرها كالذجاج والبط والاوز وصيد البر والبحر
فليس يعد به في الاغلب وأكله يجرى مجرى التفكه به فخرج ومنها تأكلون مخرج الغالب في
الاكل من هذه الانعام (فان قيل) منفعة الاكل مقدمة على منفعة اللباس فلم تقدمت منفعة
اللباس عليه (أجيب) بأن منفعة اللباس أكثر من منفعة الاكل فلهدا تقدمت على منفعة
الاكل (ولكم فيها جمال) أي زينة (حين تريحون) أي تردونهم من اعيابها الى مراحتها بالعشي
(وحين تسرحون) أي تخرجونهم بالغداة الى المرعى فان الافنية تنزى بهم في الوقتين وتقبل
أهلها في أعين الناظرين اليها (فان قيل) لم تقدمت الراحة على التسريح (أجيب) بأن الجمال
في الراحة أظهر اذا أقبلت ملائى البطون حافله الضروع ثم اوت الى الخطا راضرة لاهلها
فمفرح أهلها بما يختلف تسريحها الى المرعى فانها تخرج جائعة البطون ضامرة الضروع ثم
تأخذ في التفرق والانتشار والمرعى في البرية فليس في التسريح تتجمل كافي الراحة النوع
الرابع قوله تعالى (وتحمل أنقالكم) جمع نقل وهو متاع المسافر (الى بلد) أي غير بلدكم أردتم
السفر اليه (لم تكونوا بالغيه) أي غير واصلين اليه على غير الابل (الابشق الانفس) أي الابل الكفة
ومشقة والشق بكسر الشين نصف الشيء أي لم تكونوا بالغيه الابل الكفة الابل الكفة
نصفها وقال ابن عباس يريد من مكة الى اليمن والى الشام والى مصر قال الواحدى والمراد
كل بلد لو تكلفتم بلوغه على غير ابل شق عليكم وخص ابن عباس هذه البلاد لان متاجر أهل
مكة كانت الى هذه البلاد (فان قيل) المراد من قوله تعالى والانعام خلقها لكم الابل فقط بدليل
أنه وصفها الى آخر الآية بقوله وتحمل أنقالكم الى بلد وهذا الوصف لا يليق بالابل
(أجيب) بأن المقصود من هذه الآيات تعدد منافع الانعام فبعض تلك المنافع حاصل في الكل
وبعضها يختص ببعض والدليل عليه أن قوله ولكم فيها جمال حاصل في البقر والغنم مثل
حصوله في الابل (تبيه) * احتج منكر وكرامات الاولياء بهذه الآية فانها تدل على أن الانسان
لا يمكنه الانتقال من بلد الى بلد الا بشق الانفس وحمل الانتقال على الابل ومثبو الكرامات
يقولون ان الاولياء قد ينتقلون من بلد الى بلد آخر بعد في ليلة واحدة من غير تعب وتحمل
مشقة وكان ذلك على خلاف هذه الآية فيكون باطلا واذا بطل القول بالكرامات في هذه
الصورة بطل القول بها في سائر الصور اذ لا قائل بالفرق وأجاب المثبتون بأننا نخص عموم هذه
الآية بالادلة الدالة على وقوع الكرامات (ان ربكم) أي الموجد لكم والحسن اليكم (ارؤف)
أي بليغ الرحمة لمن يتوسل اليه بما رضىه وقرأ أبو عمرو وشعبة وحزرة والكسائي بقصر الهمزة
والباقون بالمد (رحيم) أي بليغ الرحمة بسبب وبغير سبب وقوله تعالى (والخيل) أي الصاهلة
وهوام جنس لا واحد له من لفظه كالابل والرهط (والبغال) أي المتولدة بينها وبين الخيل
(والحجر) الناهقة عطف على الانعام أي وخلق هذه الحيوانات (لتركبوها) أي لاجل أن
تركبوها وفي نصب قوله تعالى (وزينة) أوجه أحدها انه مفعول من أجله وانما وصل الفعل الى

الاول باللام في قوله تعالى لتركبوهما والى هذا بنفسه لاختلاف شرطه في الاول وهو عدم اتصاف
 الفاعل فان الخالق هو الله تعالى والراكب الخياطون بخلاف الثاني الثاني انهما منصوبة
 على الحال وصاحب الحال اما مفعول خلقها واما مفعول لتركبوهما فهو مصدر اقيم مقام
 الحال الثالث ان يتصب بتقدير فعل قدره الزمخشري بقوله وخلقها زينة وقدره ابن
 عطية وغيره بقولهم وجعلها زينة الرابع انهما مصدران فعل محذوف أى وتزينون بهما زينة
 * (تنبيه) * احتج القائلون وهم ابن عباس والحاكم وأبو حنيفة ومالك بتعريم لحوم الخيل
 بهذه الآية فالواضع الاكل اعظم من منفعة الركوب فهو كان أكل لحم الخيل جائزا لكان
 هذا المعنى أولى بالذكر وحيث لم يذكره تعالى علمنا أنه يحرم أكله لان الله تعالى خص الانعام
 به الاكل حيث قال تعالى ومنها تأكلون وخص هذه بالركوب فقال لتركبوهما فعلمنا أنها
 مخلوقة للركوب لا للاكل واحتج القائلون باباحة أكل اللحم من الخيل وهم سعيد بن جبير
 وعطاء وشريح والحسن والشافعي بما روى عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله تعالى
 عنها قالت نحرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا ونحن بالمدينة وما روى
 عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الجمر الالهية وأذن في
 الخيل وفي رواية أكلنا في زمن خيبر الخيل وجمر الوحش ونهى النبي صلى الله عليه وسلم
 عن الجمر الالهية هذه رواية البخاري ومسلم وفي رواية أبي داود قال ذبحنا يوم خيبر الخيل
 والبغال والحمير وكأقد أصابنا منجصة فنهانا النبي صلى الله عليه وسلم عن البغال والحمير ولم ينهنا
 عن الخيل وأجابوا عن هذه الآية بأن ذكر الركوب والزينة لا يدل على أن منفعتها محتصة بذلك
 وانما خص هاتين المنفعتين بالذكر لانهما معظم المقصود ولهذا سكت عن حمل الاثقال على
 الخيل مع قوله تعالى في الانعام ونحمل أثقالكم ولم يلزم من ذلك تحريم الاثقال على الخيل وقال
 الواحدى لو دلت هذه الآية على تحريم أكل هذا الحيوان لكان تحريم أكلها معلوما في
 مكة لاجل أن هذه السورة مكية ولو كان الامر كذلك لكان قول عامة المفسرين والمحدثين ان
 لحوم الجمر الالهية حرمت عام خيبر أى وذلك في المدينة باطلا لان التحريم لما كان حاصل قبل
 هذا اليوم لم يكن لتخصيص هذا التحريم بهذه السنة فائدة قال الرازي وهذا جواب
 حسن متين وقال ابن الخازن والدليل الصحيح المعتمد عليه في اباحة لحوم الخيل ان السنة صينة
 للكتاب * ولما كان نص الآية يقتضى أن الخيل والبغال والحمير مخلوقة للركوب والزينة
 وكان الاكل مسكوتا عنه ودار الامر فيه على الاباحة والتحريم فوردت السنة باباحة لحوم
 الخيل وتحريم لحوم البغال والحمير أخذنا به جماين النصين * ولما ذكر سبحانه وتعالى هذه
 الأنواع من الحيوان ذكرها على سبيل الاجمال بقوله تعالى (ويخلق ما لا تعلمون) وذلك
 لان أنواعها وأصنافها وأقسامها كثيرة خارجة عن الحد والاحصاء ولو خاض الانسان
 في شرح بحاث أحوالها لكان المذكور بعد كتبه المجلدات الكثيرة كالقطرة في البحر فكان
 أحسن الاحوال ذكرها على سبيل الاجمال كما ذكر الله تعالى في هذه الآية ويروى عطاء

ومقاتل والضالع عن ابن عباس أنه قال إن عن بين العرش شهر من نور مثل السموات السبع
والارضين السبع والبحار السبعة يدخل فيه جبريل ككل يوم ويغتسل فيزداد نورا الى نوره
وجالا الى جماله ثم ينفض فيخلق الله تعالى من كل نفضة تقع من ريشه كذا وكذا ألف ملك يدخل
كل يوم منهم سبعون ألفا البيت المعهود وفي الكهبة أيضا سبعون ألفا لا يعودون اليه الى
أن تقوم الساعة سبحان من له هذا الملك العظيم قال تعالى وما يعلم جند ربك الا هو وفسر
قناة الآية بالسوس في النبات والدودي القواكه وفسرها به ضمهم بما أعد الله تعالى لاهل
الجنة في الجنة بما لعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر * وما شرح الله تعالى
دلائل التوحيد قال تعالى (وعلى الله) أي الذي له الاحاطة بكل شئ (قد السبيل) أي بيان
الطريق المستقيم انما ذكرت هذه الدلائل وشرحها ازاحة لاعتذار الالوهة لعلهم لم يهلك
عن بينة ويحيى من حي عن بينة والمراد بالسبيل الجنس ولذلك أضاف اليها القصد وقال
(ومنها) أي السبيل (جائر) أي حائد عن الاستقامة (فان قيل) هذه الآية تبدل على أن الله
تعالى يجب عايبه الارشاد والهداية الى الدين واذا حجة العليل والاعتذار كما قال به المعتزلة لانه
تعالى قال وعلى الله قصد السبيل وكلمة على للوجوب قال تعالى والله على الناس حج البيت
(أجيب) بأن المراد على الله تعالى بحسب الفضل والكرم أن يبين الدين الحق والمذهب
الصحيح (فان قيل) لم غير أسلوب الكلام حيث قال في الاقل وعلى الله قصد السبيل وفي الثاني
ومثا جائر دون وعليه جائر (أجيب) بأن المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر
انما جاء بالعرض ثم قال تعالى (ولو شاء) هدايتكم (لهداكم) الى قصد السبيل (أجمعين)
فتقدمون اليه باختيار منكم قال الرازي وهذا يدل على أن الله تعالى ماشاء هداية الكفار وما
أراد منهم الايمان لأن كلمة لو تفيد انتفاء الشيء لاتقاء غيره * وما ذكر تعالى نعمه على عباده بخلق
الحيوانات لاجل الانتفاع وازينة عقبه بذكر انزال المطر لان من أعظم النعم على عباده فقال
(هو) أي لا غيره مما تدعى فيه الالهية (الذي أنزل) أي بقدرته الباهرة (من السماء) اما
من نفسها ومن غيرها ومن جهتها ومن السحاب كما هو مشاهد (ماء) أي واحدا تحسونه
بالذوق والبصر (لكم منه) أي من ذلك الماء (شراب) أي تشربونه وقد بين تعالى في آية
أخرى ان هذه النعمة جليلة فقال وجعلنا من الماء كل شئ حي (فان قيل) ظاهر هذا ان
شرابنا ليس الا من المطر (أجيب) بأنه تعالى لم ينف أن يشرب من غيره ويتقديرا الحصر لا يمنع
أن يكون الماء العذب تحت الارض من جملة ماء المطر سكن هذا البديل قوله في سورة المؤمنون
وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكاه في الارض (ومنه) أي من الماء (شجر) أي ينبت بسببه
والشجر هنا ككل نبات من الارض حتى الكلا وفي الحديث لا تأكلوا من الشجر فانه
صحت بمعنى الكلا (فان قيل) قال المفسرون في قوله تعالى والتجسم والشجر يسجدان المراد
من التجسم ما ينجم من الارض مما ليس له ساق ومن الشجر ما له ساق (أجيب) بأن عطف الجنس
على النوع وبالضمة مشهور وأيضا فلفظ الشجر يشعر بالاختلاط يقال تشاجر القوم اذا اختلط

أصوات بعضهم ببعض وتشجرت الرياح إذا اختلطت وقال تعالى حتى يحوطكم فيما شجر
بينهم ومعنى الاختلاط حاصل في العشب والكلأ فوجب إطلاق لفظ الشجر عليه ويصح
أن يكون المراد بالشجر هنا ماله ساق لأن الأبل تقدر على رمي ورق الأشجار الكبار وحينئذ
فاطلاق الشجر على الكلأ مجاز (فيه) أي الشجر (تسيون) أي ترعون مواشكم يقال أسعت
الماشية إذا خيلتها ترمي وسامت هي إذا وعت حيث شامت قال الزجاج أخذ ذلك من
السومة وهي العلامة لأنها تؤثر في الأرض برعيها علامات وقال غيره لأنها تعلم الأرسال في
المرعى * ولما ذكر تعالى الحيوانات تفصيلاً واجالاً ذكر الثمار تفصيلاً واجالاً بقوله تعالى
(يَنْبُتْ) أي الله (لكم به) أي بذلك الماء (الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل
الثمار) فبدأ بذكر الزرع وهو الحب الذي يفتات به كالحنطة والشعير والارز لأن به قوام
البدن وثى بذكر الزيتون لما فيه من الأدم والدهن وبارك فيهما وثالث بذكر النخيل لأن ثمرها
غذاء وفاكهة وختم بذكر الأعناب لأنه شديد النخيل في المنفعة من التفكه والتغذية ثم ذكر
تعالى سائر الثمار اجالاً لأنه بذلك على عظيم قدرته وجزيل نعمته على عباده لأن الحبة
الواحدة تقع في الطين فإذا مضى عليها مقدار معين من الوقت نفذ في داخل تلك الحبة أجزاء
من رطوبة الأرض ونداوتهم افتتخ الحبة فينشق أعلاها وأسفلها فيخرج من أعلى تلك الحبة
شجرة صاعدة من داخل الأرض إلى الهواء ومن أسفلها شجرة أخرى غائصة في قعر الأرض
وهذه الغائصة هي المسماة بعروق الشجرة ثم إن تلك الشجرة لا تزال تزداد وتمو وتقوى ثم
تخرج منها الأوراق والأزهار والأكام والثمار ثم إن تلك الثمرة تشتمل على أجسام مختلفة
الطبايع مثل العنب فإن ثمره وعجمه باردان يابسان كشيغان ولجه وماؤه حار ان رطبان لطيفان
والى ذلك الإشارة بقوله تعالى (إن في ذلك لآية) بينه على أن فاعل ذلك تام القدرة يقدر على
الاعادة وأنه مختار يفعل ذلك في الوقت الذي يريد وإنما تحصل معرفة ذلك (لقوم يتفكرون)
فيما ذكر من دلائل قدرته ووحدايته فيؤمنون * ثم ذكر سبحانه وتعالى أشياء تدل على أنه
الفاعل المختار بقوله تعالى (وسخر لكم) أي أيها الناس لإصلاح أحوالكم (الدليل) للسكنى
(والنهار) للمعاش ثم ذكر رؤية النهار فقال (والشمس) أي المنافع اختصاصها ثم آية الليل
فقال (والقمر) لأمور علقها به (والنجوم) أي الآيات نصبها لها * ثم شبه على تغييرها بقوله
تعالى (مسخرات) أي بأنواع التغيير لما خلقها له على أوضاع دبرها (بأمره) أي بإرادته
سبباً لصلاحكم وصلاح ما به قوامكم دلالة على وحدانيته تعالى وفعله بالاختيار ولو شاء تعالى
لقام أسباباً غيرها وأغنى عن الأسباب وقرأ ابن عباس برفع الأربعة وهي الشمس والقمر
والنجوم ومسخرات على الابتداء والخبر وواقفه حفص في الاثنين الآخرين والنجوم مسخرات
لاغير والباقيون بالنصب عطفاً على ما قبله في السلافة الأولى وفي الرابع وهو مسخرات
على الحال * ولما ذكر سبحانه وتعالى هذه الأشياء وجعلها مسخرات لمنافع عباده ختم
ذلك بقوله (إن في ذلك) أي التسخير العظيم (آيات) أي دلالات متعددة كثيرة عظيمة

(لقوم يعقلون) أي يدبرون فيعملون أن جميع الخلق تحت قدره وقدرته وتسخيره لما أراه
 منهم وقوله تعالى (وما ذرا) أي خلق (لكم في الأرض) عطف على الليل أي وسخر لكم ما خلق
 لكم فيها من حيوان ونبات وقيل أنه في موضع نصب بفعل محذوف أي وخلق هكذا قدره
 أبو القاء وكانه استبعد تسلط هجر على ذلك فقد رُفِعَ لانتقا وقوله تعالى (مختلفا) حال منه
 وقوله تعالى (أولائه) أي في الخلقة والهبة والكيفية فاعل به (أن في ذلك لآية لقوم يذكرون)
 أي يتعقلون (تنبية) ختم تعالى الآية الأولى بالتميم لئلا يفتروا ما فيهم من غير ما خلقوا
 وختم الثانية بالعقل لأن مدار ما قدم عليه وختم الثالثة بالتذكير لانه نتيجة ما تقدم وجمع
 الآيات في الثانية دون الأولى والثالثة لأن ما ينطبقها أكثر ولذلك ذكر معها العقل وما استدل
 سبحانه وتعالى على اثبات الاله وألا باجرام السموات والأرض وثاني ما يسيدهن الإنسان وثالثا
 بهجائب خلقة الحيوان ورابعها عجائب النبات ذكرها مع عجائب العناصر وبدأ بالاستدلال
 بعنصر الماء بقوله تعالى (وهو) أي لا غيره وقرأ قالون وأبو عمر والكناسي بسكون الهاء
 والباقون بضمها (الذي سخر البحر) أي ذلله وهبها لعبس ما فيه من الحيوان وتكون الجواهر
 وغير ذلك فالعلماء الهينة ثلاثة أرباع كرة الأرض غائصة في الماء فذا الشو البحر المحيط وجعل
 في هذا الربع المسكون سبعة أبحر قال تعالى والبحر يمده من بعده سبعة أبحر والبحر الذي سخره
 الله تعالى للناس هو هذه البحار فمن تسخيرها للخلق مأمور ومنه جعلها بحيث يتمكن الناس
 من الانتفاع بها بالكوب وبالقوص وبغير ذلك فنافع البحار كثيرة وذكر سبحانه وتعالى منها
 هنا ثلاثة منافع الأولى قوله تعالى (لتأكلوا منه) أي بالأصطيد وغيره من لحوم الأسماك
 (لحما طريا) لا تجد أنتم منه ولا ألين وهو أربط اللحوم فيسرع إليه الفساد فيبادر إلى أكله
 عند فاني ذلك دلالة على كمال قدرته تعالى وذلك أن السمك لو كان كالهالما لعرف به من قدرة
 الله تعالى ما يعرف بالطري لانه لما خرج من البحر الملح اللحم الطري في غاية العذوبة علم انه يخلق
 اقه وقدرته لا يحسب الطبع وعلم بذلك ان الله تعالى قادر على اخراج الضد من الضد المنفعة
 الثانية قوله تعالى (وتسخر جوامعها) أي يجهدكم في القوص وما يتبعه (حلمة) أي اللؤلؤ
 والمرجان كما قال تعالى يخرج منها اللؤلؤ والمرجان (تلبسونها) أي نسأؤكم وهن بعضكم
 فكان اللابس أنتم ولأن زينة النساء بالخلي انما هو لاجل الرجال فكان ذلك زينة لهم المنفعة
 الثالثة قوله تعالى (وترى الفلك) أي السفن (مواخر) أي تغمر الماء أي تشقه بجريها (فيه)
 أي مقبله ومديرة وذلك انك ترى سفينتين احدهما تقبل والاخرى تدبر بربح واحدة وقال
 مجاهد تغمر الرشح السفن يعني أنها اذا جرت تسمع لها صوت وقال الحسن مواخر يعني بملاوة
 متاعا وقوله تعالى (ولتبغوا) أي لتطلبوا عطف على تاكوا وما بينهما اعتراض وقيل عطف
 على محذوف تقديره لتبتغوا بذلك ولتبغوا (من فضله) أي من سعة ورزقه بركوبها للتجارة
 وللوصول الى البلدان التاسعة (ولعلكم تشكرون) الله على هذه النعم التي أنتم عاجزون
 عنها لولا تسخيرها ثم انه تعالى ذكر بعض النعم التي خلقها الله تعالى في الاوص بقوله تعالى (والأني)

في الارض رواسي) أي جبالاً ثوابت (أن تميد) أي كراهة أن تميل وتضطرب (بكم) وقيل
 لثلاثمئيل بكم والاول قدره البصريون والثاني قدره الكوفيون وقد تقدم مثل ذلك في قوله
 تعالى بين الله لكم أن تضلوا روى أن الله تعالى خلق الارض فجعلت تمور وفنسات الملائكة
 ماهي عمقاً أحد على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال لم تدر الملائكة ثم خلقت وقوله تعالى
 (وأشجاراً) عطف على رواسي لأن الالتقاء به في الخلق والجعل الأثرى أنه تعالى قال في آية
 أخرى وجعل فيها رواسي من فوقها وقال تعالى وألقيت عليك محبة مني وذكركم على الانهار
 بعد الجبال لان معظم عيون الانهار وأصولها تكون من الجبال (و) جعل لكم فيها (سبلاً) أي
 طرقاً مختلفة تسلكون فيها في أسفاركم والتردد في حوائجكم من بلد الى بلد ومن مكان الى مكان
 (لعلكم تهتدون) أي سلك السبل الى مقاصدكم والى معرفة الله تعالى فلا تضلون (و) جعل
 لكم فيها (علامات) أي من الجبال وغيرها جمع علامة تهتدون بها في أسفاركم * ولما كانت
 الدلالة بالنجم أنفع الدلالات وأوضحها را وبحر اليلابنها ربه على عظمها بالالتفات الى مقام
 الغيبة لافهام العموم للتلايقن أن الخطاب مخصوص والامر لا يعتداه فقال تعالى (وبالنجم)
 أي الجنس (هم) أي أهل الارض كلهم وأولى الناس بذلك المخاطبون وهم قريش ثم العرب
 كلها لفرط معرفتهم بالنجوم (يهتدون) وقدم الجبار تبيينها على أن الدلالة بغيرها بالنسبة اليه
 سبأه وقيل المراد بالنجم الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدى وقيل الضمير لقرين لانهم
 كانوا كثيرى الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في مساربهم بالنجوم * ولما ذكر سبحانه
 وتعالى من عجائب قدرته وبديع خلقه ما ذكر على الترتيب الاحسن والنظم الاكمل وكانت
 هذه الاشياء المخلوقة المذكورة في الآيات المتقدمة كلها دالة على كمال قدرة الله ووحدها
 وأنه تعالى المنفرد بخلقها جميعها قال على سبيل الانكار على من ترك عبادته واشتغل بعبادة
 هذه الاصنام العاجزة التي لا تنفع ولا تنفع ولا تقدر على شيء (أفمن يخلق) أي هذه الاشياء
 الموجودة وغيرها (كن لا يخلق) شيئاً من ذلك بل على ايجاد شيء مما فكيف يخلق العاقل أن
 يشتغل بعبادة من لا يستحق العبادة وترك عبادة من يستحقها وهو الله تعالى (فان قيل) ذلك
 الزام للذين عبدوا الاوثان وسجوا الهة تشبيهاً بالله فقد جعلوا عباداً مثل الخالق فكأن
 حتى الزام أن يقال أفمن لا يخلق كمن يخلق (أجيب) بأنهم لما جعلوا غير الله مثل الله تعالى
 في تشبيهاً باسمه والعبادة له وسؤا رايه وينسه فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبهها
 فأنكر عليهم ذلك بقوله تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق (فان قيل) من لا يخلق ان أريده جميع
 ما عبد من دون الله كان وروى من واخصالاً العاقل يغلب على غيره فيعبر عن الجميع عن ولو جى
 أيضاً بما لجاز ان أريده الاصنام فلم جى عن الذى هو لاولى العلم (أجيب) بأنهم سموها
 آلهة وعبدها فاجروها مجرى اولى العلم الأثرى الى قوله تعالى على اثره والذين تدعون من
 دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون والى قول الشاعر

بكيت الى ضرب القطار اذ همرون بي * فقلت ومثلى باليكما بخدير

أسرب القطا هل من يعبر جناحه * لعل الى من قد هويت أطير
 و لكل قطة لا تعبر جناحها * تعبر بذل والجناح قصير

فأوقع من على سرب لمعامله معاملة العقلاء وقيل للمشكاة بينه وبين من يخلق وقيل
 لمعنى أن من يخلق ليس يكن لا يخلق من أولى العلم فكيف بما لا علم عنده كقوله تعالى ألهم أرجل
 عيشون بها يعني أن الآلهة حالهم مخبطة عن حال من لهم أرجل وأيدوا أذان وقلوب لان هؤلاء
 أحياء وهم أموات فكيف تصح لهم العبادة الا انهم الوصحت لهم هذه الاعضاء لصح أن يعبدوا
 * ولما كان هذا القدر ظاهرا غير خاف على أحد فلا يحتاج فيه الى تدقيق الفكر والنظر بل
 بمجرد التذكريه كفاية لمن فهم وعقل ختم تعالى ذلك بقوله تعالى (أولاتن ذرون) بما تشاهدونه
 من ذلك ولو من بعض الوجوه فتؤمنون * (تنبيه) * احتج أهل السنة بهذه الآية على أن العبد
 غير خالق لافعال نفسه لانه تعالى ميز نفسه عن الاشياء التي يعبدونها بصفة الخالق لانه
 الغرض من قوله تعالى أفن يخلق كمن لا يخلق بيان تميزه عن هذه الاشياء بصفة الخالق وبانه انما
 استحق الالهية والعبودية لكونه تعالى خالقها وهذا يقتضى ان العبد لو كان خالقا لشيء لوجب
 كونه الهامعبودا ولما كان ذلك باطلا علمنا ان العبد لا يقدر على الخلق والايجاد ولما
 كانت المقدورات لا تخصى وأكثرها نعت على العباد مذكورة لهم بخالصهم قال عثمان عليهم باحسانه
 من غير سبب منهم (وان تعبدوا) كلكم (نعمت الله) أى انعام الملك الاعظم الذى لا ريب
 غيره عليكم من صحة البدن وعافية الجسم واعطاء النظر الصحيح والعقل السليم ويطش اليدين
 ومشى الرجلين الى غير ذلك مما أنعم به عليكم وما خلق لكم مما تحتاجون اليه من أمر الدنيا
 حتى لو رام أحدكم معرفة أدنى نعمة من هذه النعم لمحجز عنها وعن معرفتها وحصرها فان تتبعها
 يفوت الحصر (للتحصوها) أى لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم مع كثرتها واعراضكم
 جهل عن شكرها والعباد وان أنعب نفسه فى القيام بالطاعات والعبادات وبالغ فى شكر نعم الله
 تعالى فانه يكون مقصر الا انعم الله كثيرة وأقسامها عظيمة وعقل ناقص عن الاحاطة
 بمباديها فضلا عن غاياتها لكن الطريق الى ذلك أن بشكر الله تعالى على جميع نعمه مفصلها
 ومجملها (ان الله لغفور) أى لتعصيركم فى القيام بشكرها يعنى النعمة كما يجب عليكم (رحيم)
 بكم فوسع عليكم النعم ولم يقطعها عنكم بسبب التقصير والمعاصى وقوله تعالى (والله يعلم
 ما تنسرون وما تعلنون) فيه وجهان الاول ان الكفار مع كفرهم كانوا يسرون أشياء وهو
 ما كانوا يعمرون بالنبي صلى الله عليه وسلم وما يعلنون أى وما يظهرون من أداء صلى الله عليه
 وسلم فأخبر الله تعالى بأنه عالم بكل أحوالهم سرها وعلانيتها لا يخفى عليه خافية وان دقت
 وخضت والوجه الثانى أنه تعالى لما ذكر الاصنام وذكر عجزها فى الآية المتقدمة ذكر فى هذه
 الآية أن الاله الذى يستحق العبادة يجب أن يكون عالما بكل المعلومات سرها وجهرها وهذه
 الاصنام ليست كذلك فلا تستحق العبادة * ثم وصف تعالى هذه الاصنام بصفات الاولى
 مذكورة فى قوله تعالى (والذين تدعون) أى تعبدون (من دون الله) أى الاصنام وتعتقدون

انها آلهة وقرأ عاصم بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب (لا يخلقون شيئا وهم
 يخلقون) أي يصورون من الحجارة وغيرها (فان قيل) قوله تعالى في الآية المتقدمة أفن يخلق
 كمن لا يخلق يدل على أن هذه الاصنام لا تخلق شيئا وهم يخلقون وهذا هو المعنى المذكور في تلك
 الآية المذكورة فافائدة هذا التكرار (أجيب) بأن فائدته أن المعنى المذكور في الآية
 المتقدمة أنهم لا يخلقون شيئا فقط والمذكور في هذه الآية أنهم لا يخلقون شيئا وهم يخلقون
 كغيرهم فكان هذا زيادة في المعنى وهو فائدة التكرار فكانه تعالى بدأ بشرح نقصهم في ذواتهم
 وصفاتهم فبين أولاً أنهم لا تخلق شيئا ثم بين ثانياً أنها كما لا تخلق غيرها فهي مخلوقة كغيرها
 الصفة الثانية قوله تعالى (أموات) أي جمادات لا روح لها (غير أحياء) إذا لاله الذي يستحق
 أن يعبد هو الحي الذي لا يموت (فان قيل) علم من قوله أموات أنها غير أحياء فافائدة في ذكره
 (أجيب) بأن من الاموات ما يعقب موته حياة كالفن التي ينسبها الله تعالى حيوانا
 وأجساد الحيوانات التي تعقب بعد موتها وأما الحجارة فأمووات لا يعقب موتها حياة وذلك
 أعرق في موتها وقيل ذكر لنا كيد لان الكلام مع الكفار الذين يعبدون الاوثان وهم في نهاية
 الجهالة والضلالة ومن تكلم مع الجاهل الغبي فقد يعبر عن المعنى الواحد بالعبارات الكثيرة
 وغرضه الاعلام بكون المخاطب في غاية الغباوة في أنه لا يفهم المعنى المقصود بالعبارة الواحدة
 الصفة الثالثة قوله تعالى (وما يشعرون) أي الاصنام (أيان) أي وقت (سيعنون) أي وما تعلم
 هؤلاء الآلهة متى تبعث الاحياء تكلم بها لئلا يشعروا بالجد محال فكيف يشعروا ما لا يعلمه
 حتى الاحي القيوم سبحانه وتعالى وقيل الضمير راجع للاصنام قال ابن عباس ان الله تعالى
 يبعث الاصنام لها ارواح ومعها شياطين فيؤمر بالكل الى النار وقيل المراد بقوله تعالى
 والذين تدعون من دون الله الملائكة وكان ناس من الكفار يعبدونهم فقال الله تعالى انهم
 أموات أي لا بد لهم من الموت غير أحياء أي باقية حياتهم وما يشعرون أي لا علم لهم بوقت
 بعثهم * ولما زيف سبحانه وتعالى طريقة عبدة الاصنام وبين فساد مذهبهم قال تعالى (الهمكم)
 أي أيها الخلق جميعا المعبود بحق (الله) أي متصف بالالهية على الاطلاق بالنسبة الى كل
 أوان وكل زمان وكل مكان (واحد) لا يقبل التعدد الذي هو مثال النقص بوجه من الوجوه
 لان التعدد يستلزم إمكان القامع المستلزم للجزء المستلزم للمعدن رتبة الالهية (فالذين)
 أي فتسبب عن هذا أن الذين (لا يؤمنون بالآخرة) أي دار الجزاء ومحمل اظهار الحكم
 الذي هو غرة الملك والعدل الذي هو مدار العظمة (قلوبهم منكورة) أي جاحدة للوحدانية
 (وهم) أي والحال أنهم يسبب انكار ذلك (مستكبرون) أي متكبرون عن الايمان بها
 (الاجرم) أي حقا (ان الله يعلم) علم غيبيا وشاهديا (ما يسرون) أي ما يخفون مطلقا وبالنسبة
 الى بعض الناس (وما يعلبون) أي يظهرون فيجازيهم بذلك * ولما كان في ذلك معنى التهديد
 على ذلك بقوله تعالى (انه) أي العالم بالسر والعلن (لا يحب المستكبرين) أي على خلقه فما
 بالمتكبرين على التوحيد واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ومعنى عدم محبتهم انه يعاقبهم

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل يا رسول الله ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسداً فقال ان الله يجبل بحب الجمال الكبير بطر الحق ونمص الناس ومعنى بطر الحق أنه يستكبر عند سماع الحق فلا يقبله ومعنى نمص الناس استنقاصهم وازدراؤهم ولما بالغ سبحانه وتعالى في دلائل التوحيد وأورد الدلائل القاهرة في ابطال مذاهب عبدة الاصنام قال تعالى عاطفاً على قلوبهم منكرة (وإذا قيل لهم) أي لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة وقوله تعالى (ما) استهامة (وذا) موصولة أي ما الذي (أنزل ربكم) على محمد صلى الله عليه وسلم واختلف في قائل هذا القول فقيل كلام بعضهم لبعض وقيل قول المسلمين لهم وقيل قول المؤمنين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أسألهم وفود الحاج عما أنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم (فالوا) مكابرين في انزال القرآن هو (أساطير) أي أكاذيب (الآواين) مع عجزهم بعد تحذيرهم عن معارضتهم أقصر سورة منه مع علمهم بأنهم أفصح الناس وأنه لا يكون من أحد من الناس متقدم أو متأخر قول الاقوال أبلغ منه (فان قيل) هذا كلام متناقض لانه لا يكون منزلاً من ربهم وأساطير (أجيب) بأنهم قالوه على سبيل السخرية كقوله ان رسولكم الذي أرسل اليكم ليجنون واللام في قوله تعالى (ليحملوا) لام العاقبة كما في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً وذلك لما وصفوا القرآن بكونه أساطير الا قبل كان عاقبتهم بذلك أن يحملوا (أوزارهم) أي ذنوب أنفسهم وانما قال تعالى (حملوا) لثلايته وهم أنه يكفر عنهم شيء بسبب البلايا التي أصابتهم في الدنيا وأعمال البر التي عملوها في الدنيا بل يعاقبون بكل أوزارهم (يوم القيامة) الذي لا شك فيه ولا يحصى عن آياته قال الرازي وهذا يدل على أنه تعالى قد سبق بعض العقاب عن المؤمنين اذ لو كان هذا المعنى حاصل في حق الكل لم يكن تخصيص هؤلاء الكفار بهذا التمهيم فائدة (و) يحملوا أيضاً (من) جنس (أوزار) الجهلة الضعفاء (الذين يضلونهم) وقوله تعالى (بغير علم) حال من مفعول يضلونهم أي يضلون من يعلم أنهم ضلال أو من المفاعل وانما وصف بالضلال واحتمال الوزر من أضلوه وان لم يعلم لانه كان عليه أن يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين الحق والمبطل وانما حصل للرؤساء الذين أضلوا غيرهم ومددوهم عن الايمان مثل أوزار الاتباع لانهم دعوهم الى الضلال فاتبعوهم فاشتركو في الاثم وعسى أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيئاً ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً أخرجه مسلم ومعنى الآية والحديث أن الرئيس والكبير اذا سن سنة حسنة أو بسنة قبيحة فبعضه عليه باجماعه فعملوا بها فان الله تعالى يعطيهم ثوابه وصحابه حتى يكون ذلك الثواب والعقاب مساوياً لكل ما يستحقه كل واحد من الاتباع الذين عملوا بالسنة الحسنة أو القبيحة وليس المراد بان الله يوصل جميع الثواب أو العقاب التي يستحقه

الاتباع الى الرؤساء ويدل لذلك قوله تعالى ولا تزدر وزارة وزر أخرى وقوله تعالى وأن ليس
 للإنسان الا ما سعى * (تنبيه) * قال الواحدى لفظه من في قوله تعالى ومن أوزار ليست
 للتبعيض لانها لو كانت كذلك لنعص عن الاتباع بعض الاوزار وقد قال صلى الله عليه وسلم
 لا يعص ذلك من آثمهم شيئا لكنها الجنس كما قدرت ذلك في الآية الكريمة أى يصلموا من
 جنس أوزار الاتباع وقيل انهم للتبعيض وجرى عليه اليساوى تعالى الزمخشرى (الاسماء) أى
 بنس (مايزرون) أى يحملون جملهم هذا وفى هذا وعيد وتهديد لهم (فان قيل) ان الله تعالى - حكى
 هذه الشبهة عن القوم ولم يجب عنها بل اقتصر على محض الوعيد فى السبب فى ذلك (أجيب) بأن
 السبب فيه أنه تعالى بين كون القرآن معجزا بطريقين الاقول أنه صلى الله عليه وسلم تحداهم
 ألا يكفل القرآن وثانيا بعشر سور وثالثا بسورة فجوزوا عن المعارضة وذلك بدلى على كونه معجزا
 الثانى أنه تعالى حكى هذه الشبهة بعينها فى آية أخرى وهى قوله تعالى اكتبها فهى على عليه بكرة
 وأصيلا وأبطلها بقوله تعالى قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض ومعناه أن القرآن
 يشتمل على الاخبار الغيوب وذلك لا يتأتى الا من يكون عالما بأسرار السموات والارض * ولما
 ثبت كون القرآن معجزا بهذين الطريقين وتكرر شرح هذين الطريقين مرارا كثيرة لاجرم
 اقتصر فى هذه الآية على مجرد الوعيد ولم يذكر ما يجرى مجرى الجواب عن هذه الشبهة ثم انه
 سبحانه وتعالى بالغ فى وصف وعيد هؤلاء الكفار بقوله نه الى (قدمكر الذين من قبلهم) أى من
 رأوا آثارهم ودخلوا فى ديارهم (فأتى الله) أى أمره (بنيانهم من القواعد) أى من جهة العمدة
 التى بنوا عليها مكرهم (فخر) أى سقط عليهم السقف من فوقهم) وصار سبب هلاكهم وقرأ أبو
 عمرو فى الوصل بكسر الهاء والميم وحزرة والكسافى بضم الهاء والميم والباقون بكسر الهاء
 وضم الميم وأما الوقف فحزرة بضم الهاء على أصله والباقون بالكسر (وأنا هم العذاب من
 حيث لا يشعرون) أى من جهة لا يتخطر ببالهم وهذا على سبيل التمثيل أى التشبيه والتخييل
 لافساد ما أبرموه من المكربا لرسول فجعل الله هلاكهم فيما أبرموه كحال قوم بنو ابي ناهوم وهو
 بالاساطين فأتى البنيان من الاساطين بأن تضعفت فسقط عليهم السقف فهلكوا ونحوه من
 حفر لانيه جبا وقع فيه مشكبا وقيل هو غرودين كنهان حين بنى المصرح يابا بل بعد الى
 السماء قال ابن عباس كان طول المصرح فى السماء خمسة آلاف ذراع وقال كعب كان طول
 فرسخين فأهب الله تعالى الريح فألقت رأسه فى البحر وخرت عليهم الباقى وهم تحتهم قال البغوى
 ولما سقط المصرح تبلبت ألسن الناس يومئذ من الفزع فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا
 فلذلك سميت بابل وكنان لسان الناس قبل ذلك بالسريانية فذلك قوله تعالى فأتى الله
 بنيانهم من القواعد أى أتى أمره غر بانيانهم من أصلها فخر عليه وعلى قومه السقف أى على
 البيوت من فوقهم فهلكوا * (تنبيه) * قال ابن الخازن فى قول البغوى وكان لسان الناس
 قبيل ذلك بالسريانية نظر لان صالحا عليه السلام كان قبله - وكان يتكلم بالعربية وكان أهل
 اليمن عربا منهم جرهم الذين نشأ اسمعيل بينهم وتعلم منهم العربية وكان يبابل من العرب طائفة

قديمة قبل ابراهيم عليه السلام. انتهى وقد يقال انه كان لسان أكثر الناس بالسريانية فلا
 ينافي ذلك (فان قيل) ما فائدة قوله تعالى نخر عليهم السم السقف من فوقهم والسقف من فوقهم
 (أجيب) بأنهم قد لا يكونون تحته فلما قال تعالى نخر عليهم السقف من فوقهم دل على انهم كانوا
 تحته وحيث ينفذ في هذا الكلام بأن الآية قد تهتمت وهم ما واثمتها * ولما ذكر الله تعالى حال
 أصحاب المكفر في الدنيا ذكر حالهم في الآخرة بقوله عز وجل (ثم يوم القيامة يجزيهم) أي يذلهم
 ويهينهم بعذاب النار (ويقول) لهم الله تعالى على لسان الملائكة توبوا أيضا (أي تشركا) أي
 في زعمكم واعتقادكم (الذين كنتم تشاقون) أي تخالفون المؤمنين (فيهم) أي في شأنهم وقرآنهم
 بكسر النون والباقون بقصصهما (قال) أي يقول (الذين أتوا العلم) أي من الانبياء والمؤمنين
 وقال ابن عباس يريد الملائكة (ان الخزي) أي البلاء المذل (اليوم) أي يوم الفصل الذي يكون
 للفاضل فيه العاقبة المأمونة (والسوء) أي كل ما يسوء (على الكافرين) أي الغريقين في الكفر
 الذين تكبروا في غير موضع التكبر وفائدة قولهم اظهروا الشعانة وزيادة الاهانة وحكاية
 تكون لطف لمن سمعه * (تنبه) * في الآية دلالة على ان ماهية الخزي وماهية السوء
 في يوم القيامة مختصة بالكافرين وهذا ينفي حصول هذه الماهية في حق غيرهم وبؤ كدهذا
 قول موسى عليه السلام انا قد اوحى اليك ان العذاب على من كذب وتولى ثم انه تعالى وصف
 عذاب هؤلاء الكافرين من وجه آخر فقال سبحانه وتعالى (الذين تتوفاهم الملائكة) أي
 يقبض ارواحهم ملك الموت وأعوانه عليهم السلام وقرأ حجة في هذه الآية وفي الآية الآتية
 بالياء في الموضوعين على التذكير لان الملائكة ذكور والباقون بالنساء على التانيث لان لفظ
 الجمع مؤنث (ظالمى أنفسهم) أي بأن عرضوا للعذاب المخلد بكفرهم (فأتوا السلم) أي
 استسلموا وانقادوا وحينما الموت فأتين (ما كانوا يعمل من سوء) أي شرك وعدوان فتنه
 لهم الملائكة (بلى) أي بل كنتم تعملون أعظم السوء ثم علل نكذيبهم بقوله تعالى (ان الله
 عليهم بما كنتم تعملون) أي فلا فائدة لكم في انكاركم فيجازيكم به * ولما كان هذا الفعل
 مع العلم سببا لدخول جهنم قال تعالى (فادخلوا) أي أيها الكفرة (أبواب جهنم) أي
 أبواب طبقاتها ودرجاتها (خالدین) أي مقدرين الخلود (فيها) أي جهنم لا يخرجون منها
 وانما قال تعالى ذلك لهم ليكون أعظم في الخزي والغم وفي ذلك دليل على أن الكفار بعضهم
 أشد عذابا من بعض ثم قال تعالى (قلبتس مقوى) أي ماوى (المتكبرين) عن قبول التوحيد
 وسائر ما أتت به الرسل * ولما بين تعالى أحوال المكذبين ذكر أحوال الصديقين بقوله تعالى
 (وقيل للذين اتقوا) أي اتقوا عقاب الله (ماذا) أي أي شيء (أنزل ربكم قالوا خيرا) أي أنزل
 خيرا وذلك ان احباء العرب كانوا يعينون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم
 فاذا جاءه سأل الذين قعدوا على الطارق عنه فيقولون ساحر شاعر كاهن كذاب مجنون
 ولولم تلقه خير لك فيقول السائل أنا شر وافدان رجعت الى قومي دون أن أدخل مكة وألقاه
 فبداخل مكة فيرى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيضربونه بصدقه وأنه نبي مبعوث

من الله تعالى فذلك قوله تعالى وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم الآية (فان قيل) لم رفع الاقول
 وهو قولهم أساطير الاولين ونصب الثاني وهو قولهم خيرا (أجيب) بأنه ذكر ذلك للفصل بين
 جواب المقترب جواب الجاحد وذلك أنهم لم يسألوا الكفار عن المنزل على النبي صلى الله عليه
 وسلم عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا أساطير الاولين وليس هو من الانزال في شيء لانهم
 لم يعتقدوا كونه منزلا ولم يسألوا المؤمنين عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم لم يتلعموا
 وطابقوا الجواب عن السؤال بينما مكشوفاً مفعولاً للانزال فقالوا خيرا أى أنزل خيرا وتم
 الكلام عند قوله خيرا فهو وقف تام ثم ابتدأ بقوله تعالى (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة)
 أى حياة طيبة أو ان للذين أتوا بالاعمال الصالحات الحسنة لهم ثواب حسنة مضاعفة من
 الواحدة الى العشرة الى السبع مائة الى اضعاف كثيرة وأنه تعالى بين أن اعترافهم بذلك
 الاحسان في هذه الدنيا حسنة أى جزاء لهم على احسانهم هل جزاء الاحسان الا الاحسان * ولما
 كانت هذه الدار سريرة الزوال أخبر عن حالهم في الآخرة فقال (ولدار الآخرة) أى الجنة
 (خير) أى ما أعد الله لهم في الجنة خير مما حصل لهم في الدنيا ثم مدحها ومدحهم بقوله تعالى
 (ولنم دارا للمتقين) أى دار الآخرة فخفف لتقدم ذكرها وقال الحسن هي الدنيا لأن أهل
 التقوى يتزودون فيها للآخرة وقوله تعالى (جنات) أى بساين (عدن) أى اقامة خير مبتدا
 محذوف ويصح أن يكون الخصوص بالمدح (يدخلونها) أى تلك الجنات حالة كونها (تجزي
 من تحتها) أى من تحت غرفها (الانهار) ثم كانت اسئلا سؤال عافية من النار وغيرها فأجيب
 بأن (لهم فيها ما يشاؤون) أى ما تشتهى الانفس وتلذذ الاعين مع زيادات غير ذلك فهذه الآية تدل
 على حصول كل الخيرات والسعادات فهي أبلغ من قوله تعالى وفيها ما تشتهى الانفس وتلذذ
 الاعين لان هذين القسمين داخلان في قوله تعالى لهم فيها ما يشاؤون مع أقسام أخرى وعلى أن
 الانسان لا يجد كل ما يريد في الدنيا لان قوله لهم فيها ما يشاؤون يفيد الحصر (كذلك) أى مثل
 هذا الجزاء العظيم (يجزي الله) أى الذى له الكمال كله (المتقين) أى الراضين في صفة التقوى
 ثم حث تعالى على ملازمة التقوى بالتنبيه على أن العبرة بحال الموت فقال (الذين تتوفاهم
 الملائكة) أى تقبض أرواحهم وقوله تعالى (طيبين) كلمة مختصرة جامعة لامعاني الكثيرة
 وذلك لانه يدخل فيه اتيانهم بكل ما أمروا به واجتنابهم عن كل ما نهوا عنه ويدخل فيه
 كونهم موصوفين بالاخلاق الفاضلة مبرئين عن الاخلاق المذمومة ويدخل فيه كونهم مبرئين
 عن العلائق الجسمية متوجهين الى حضرة القدس ويدخل فيه أنه طالب لهم قبض الارواح
 وانهم لا تقبض الامع للبشارة بالجنة حتى صاروا كأنهم مشاهدون لها ومن هذا حاله لا يتألم
 بالموت وأكثر المفسرين على أن هذا التوفى هو قبض الارواح كما مر وان كان الحسن يقول
 انه وفاة الحشر واستدل بقوله تعالى ادخلوا الجنة لانه لا يقال عند قبض الارواح في الدنيا
 ادخلوا الجنة وأجاب الاكثرون بما سياتى وأدغم أبو عمر والتاء في الطاء بخلاف عنه ثم بين
 تعالى ان الملائكة (يقولون) لهم عند الموت (سلام عليكم) فنظم عليهم أوتلقاهم السلام

من الله تعالى كما روى ان العبد المؤمن اذا أشرف على الموت جاءه ملك فقال السلام عليك
يا ولي الله الله يقرأ عليك السلام ويشر لك بالجنة ويقال لهم في الآخرة هذا جواب الاكثرين
(ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) وانهم لما بشرهم بالجنة صارت الجنة كأنهم ادا رهم وكانهم
فيها فيكون المراد بقولهم ادخلوا الجنة أى هي خاصة لكم كأنتم فيها ولما طعن الكفار
في القرآن بقولهم أساطير الاولين وذكر أنواع التهديد والوعيد ثم أتبعه بذكر الوعد لن وصف
القرآن بكونه خيرا عاد الى بيان ان أولئك الكفار لا ينجرون عن كفرهم وأقوالهم الباطلة
الا اذا جاءتهم الملائكة أو اتاهم أمر ربك فقال تعالى (هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة)
القبض ارواحهم وقرأ جزءة والكسائي بالياء على التسديد كبير والباقون بالتاء على التأنيث
وقدم توجيه ذلك (أوتياق أمر ربك) أي يوم القضاة وقبل العذاب وقبل انهم طلبوا
من النبي صلى الله عليه وسلم ان ينزل الله تعالى ملكا من السماء يشهد على صدقه في ادعاء النبوة
فقال تعالى هل ينظرون في التصديق بنبوتك الا ان تأتيهم الملائكة شاهدين بذلك وعلى كلاً
التقديرين فقد قال تعالى (كذلك) أي مثل ما (فعل) هو لانه هذا الفعل البعيد الشنيع فعل
(الذين من قبلهم) من الامم السالفة كذبوا رسلكم فأهلكوا (وما ظلمهم الله باهلا كهم بغير
ذنب (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بكفرهم وتكذيبهم للرسول فاستوجبوا ما نزل بهم
(فأصابهم) أي قسب عن ظلمهم لانفسهم ان أصابهم (سبات) أي عقوبات واجرام سببات
(ما عملوا وحق) أي نزل (بهم) ما كانوا يستزنون تكبراً عن قبول الحق فحاق بهم جزاءه
والحق لا يستعمل الا في الشر وقرأ حق جزءة بالماله والباقون بالفتح (وقال الذين أشركوا
لنبي صلى الله عليه وسلم استهزاء ومنه البعثة والتكليف (لوشاء الله ما عبدنا من دونه من شيء
نحن ولا آباؤنا) لانهم اعتقدوا أن كون الامر كذلك يمنع من جواز بعثة الرسل وهو اعتقاد
باطل فلذلك استحقوا عليه الذم والوعيد ثم قالوا لهم (ولا حرمنا من دونه من شيء) أي من
السوايب والنجاسات وهو راض به وبمسيئته وحينئذ فلا فائدة في محبتك وفي ارسالك
وهذا عين ما حكاه الله تعالى عنهم في سورة الانعام في قوله تعالى سبق قول الذين أشركوا
لوشاء الله الآية قال الله تعالى (كذلك فعل الذين من قبلهم) أي من تقدمه هؤلاء من
الكفار من الامم الماضية كانوا على هذه الطريقة وهذا الفعل الخبيث فانكار بعثة الرسل
كان قد عمى الامم الخالية ففي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وكذا في قوله تعالى (فهل
على الرسل الا البلاغ) أي البلاغ (البين) أي البين فليس عليهم هداية أحد انما عليهم
تبليغ ما أرسلوا به الى من أرسلوا اليه * ثم بين تعالى ان البعثة امر حرج به السنة الالهية
في الامم كلها سبب الهدى من اراد اهتداه وزيادة لضللال من اراد ضلاله كما بغذاء الصالح فانه
يتبع المزاج السوي ويقويه ويضرب المزاج المنحرف ويفنيه بقوله تعالى (ولقد) أي والله لقد
(بعثنا) أي بالثامن العظيمة التي من اعترض عليها قصم (في كل أمة) من الامم الذين من
قبلكم (رسولاً) أي كما بعثنا فيكم محمد صلى الله عليه وسلم رسولاً (ان اعبدوا الله) أي الملك

الاعلى وحده وقرأ أبو عمرو وعاصم وحزرة بكسر النون في الوصل والباقون بالضم (واجتنبوا
 الطاغوت) أي الاوثان ان تعبدوها (فهم من هدى الله) أي وفقهم للايمان باورشاده ومنهم
 من حقت) أي وحيبت (عليه الضلالة) أي في علم الله تعالى فلم ينفعهم ولم يرددهم
 * (تنبيه) * في هذه الآية ابن ديايل على أن الهادي والمضل هو الله تعالى لانه المتصرف
 في عباده يهدي من يشاء ويضل من يشاء لا اعتراض عليه فيما حكم به سابق علمه ثم التفت
 سبحانه وتعالى الى مخاطبتهم اشارة الى أنه لم يبق بعده هذا الدليل القطعي في نظر البصيرة
 الا الدليل المحسوس للبصر فقال تعالى (فسيروا) أي فان كنتم أيها المخاطبون في شك
 من اخبار الرسل فسيروا (في الارض) أي جنسها (فانظروا) أي اذا سرتم ومررتم
 بديار المكذبين وآثارهم ثم اشار تعالى بالاستدلال بالاشياء التي انما حوالهم مما يجب ان يستدل عنه
 للاعتاط به فقال (كيف كان عقبة) أي آخر امر (المكذبين) أي من عاد ومن بعدهم
 من الذين تلقيت اخبارهم عن قلدتهم في الكفر من اسلافكم لعلمكم بتعبيرهم * ولما كان
 من الحق انه ليس بعد الابصال في الاستدلال الى الامر المحسوس الا العناد اعرض عنهم
 ملتفتا الى الرؤف بهم الشفق عليهم محمد صلى الله عليه وسلم فقال مسليا له (ان تحرص على
 هدايتهم) فتطلبه بغاية جتلك واجتهادك وقد اضلهم الله تعالى لا تقدر على ذلك ثم قال تعالى
 (فان الله لا يهدي من يضل) أي من يرد ضلاله وهو معين لمن حقت عليه الضلالة وقرأ عاصم
 وحزرة والكسافي بفتح الميم وكسر الدال والباقون بضم الباء وفتح الدال على البناء للمفعول
 قال البيضاوي وهو ابلغ ثم قال تعالى (ومالهم) أي هؤلاء الذين اضلهم الله وجمع من يضل
 (من ناصرين) أي وليس لهم أحد ينصرهم في الدنيا والآخرة عند مجازاتهم على الضلالة
 لينقذوهم مما يلحقهم عليه من الويل كما فعل بالمكذبين من قبلهم ثم حكى الله عن هؤلاء القوم
 انهم ينكرون الحشر والنشر بقوله (واقصروا بالله جهد ايمانهم) أي غاية اجتهادهم فيها
 (لا يعبث الله من موت) وذلك أنهم قالوا ان الانسان ليس هو الا هذه البنية المخصوصة فاذا
 مات وتفترقت أجزاؤه وبلى امتنع عوده بعينه لان الشيء اذا عدم فقد فني ولم يبق له ذات ولا
 حقيقة بعد فناؤه وعدمه فكذبهم الله تعالى في قولهم بقوله تعالى (بلى) أي يعذبهم بعد
 الموت فان لفظة بلى اثبات لما بعد النفي والجواب عن شبهتهم ان الله تعالى خلق الانسان
 وأوجده من العدم ولم يكن شيئا فالذي أوجده ولم يكن شيئا قادر على ايجادها بعد اعدامه لان
 النشأة الثانية أهون من الاولى وقوله تعالى (وعدا عليه حقا) مصدران مؤكدان منصوبان
 بفعلهما المقدرا أي وعد ذلك وعدا وحقه حقا (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك أي لا علم لهم
 بوصولهم لذلك لانه من عالم الغيب لا يمكن عقولهم الوصول اليه بغير ارشاد من الله تعالى ولا هم
 يقبلون أقوال الدعاة اليه الذين أيدهم الله بروح منه لتقديدهم بما يوصل الى عقولهم انها
 قاصرة على عالم الشهادة لا يمكنها الترفي منه الى عالم الغيب بغير واسطة منه سبحانه وتعالى
 فلذلك ترى الانسان منهم يأبى ذلك استبعادا وهو خصم ميين وقوله تعالى (اليسين هم الذي

يختلفون فيه) يتعلق بمادل عليه بلى اى يعثهم ليسين لهمم والضمير لمن يموت وهو عام للمؤمنين
 والكافرين والذى اختلفوا فيه هو الحق (وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين) في قولهم
 لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ وقولهم لا يعبد الله من يموت وقيل يجوز ان يتعلق بقوله
 ولقد بعثنا في كل امة رسولا اى بعثناه ليسين لهمم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا على الضلالة قبله
 مفترين على الله الكذب ثم بين سبحانه وتعالى تيسر الاعادة بقوله تعالى (انما قولنا) اى بما لنا
 من العظمة والقدرة (اشئ) ابداء واعادة (اذا اردناه) ان نقول له كن فيكون) اى يتسبب عن
 ذلك القول انه يكون * (تنبيه) * قوله تعالى قولنا مبتدا وان نقول خبره فيكون وكن من كان
 التامة التى بمعنى الحدوث والوجود اى اذا اردنا حدوث شئ فليس الا ان نقول له احدث
 فيحدث عقب ذلك من غير توقف (فان قيل) قوله تعالى كن ان كان خطابا مع المدوم فهو محال
 وان كان خطابا مع الموجود فكان امر ايتصلا بالحاصل وهو محال (أجيب) بأن هذا تمثيل
 لنفى الكلام والغايات وخطاب مع الخلق بما يعقلون ليس هو خطاب المدوم لان ما اراد فهو
 كائن على كل حال وعلى ما اراده من الاسراع ولو اراد تعالى خلق الدنيا والآخرة بما فيها من
 السموات والارض في قدر لمح البصر لقد رد على ذلك ولكن خاطب تعالى العباد بما يعقلون وعن
 ابي هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى
 يشتمنى ابن آدم وما ينبغى له ان يشتمنى ويكذبنى وما ينبغى له اما شتمته اباى فيقول ان لى ولدا واما
 تكذيبه فيقول ليس يعيدنى كما بد ائى وفي رواية كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له
 ذلك فاما تكذيبه اباى فقوله ان يعيدنى وليس اول الخلق باهون على من اعادته واما شتمته
 اباى فقوله اتخذ الله ولدا وانا لله الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وقرا
 ابن عامر والكسافى بفتح النون من يكون عطفا على يقول اوجوب باللامر والباقون بالرفع
 ولما حكى الله تعالى عن الكفار انهم اقمه وابعاد الله جهدا يجانهم على انكار البعث والقيامة دل
 ذلك على انهم عمادوا فى النقي والجهالة والجهل والضلال وفي مثل هذه الحالة لا يعقد اقدمهم
 على ابداء المسلمين وازال العقوبة بهم وحينئذ يلزم على المؤمنين ان يهاجروا من تلك الديار
 والمساكن فبين تعالى حكم تلك الهجرة وما هو لواء المهاجرين من الحسنات فى الدنيا والآخرة
 بقوله تعالى (والذين هاجروا فى الله) اى فى حقه ولوجهه لا طامة دينه (من بعد ما ظلموا) وهم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضى الله تعالى عنهم ظلمهم اهل مكة ففروا بدينهم الى
 الله منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع لله تعالى بين الهجرتين ومنهم من هاجر الى
 المدينة واليهوسون المذبذبون بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بلال
 وسهيب وخباب وعمار وعابس وابوجندل وسهيل اخذهم المشركون بمكة يعذبونهم
 ليرجعوا عن الاسلام الى الكفر فاما بلال فكان اصحابه يجرؤونه الى بطحاء مكة فى شدة الحر
 ويشدونه ويجملون على صدره الحجارة وهو يقول احد احد فاشترته منهم ثم ابوبكر رضى الله عنه
 واعتقه واشترى معه ستة نفر اخر واما سهيب فقال انا رجل كبير ان كنت معكم لم اضعكم

وان كنت عليكم لم أضركم فافتدى منهم بما له وهاجر فلما راه أبو بكر قال له ربيع البيع يا صهيب
وقال عمر له نعم الرجل صهيب لو لم يحف الله لم يعصه وهو شفاء عظيم يريد لو لم يخلق الله نار الاطاعه
(لنؤتمهم) أى لننزلهنهم (فى الدنيا) دارا (حسنة) وهى المدينة وقيل لنصن الميم فى الدنيا بأن
نفتح لهم مكة ونعكفهم من أهلها الذين ظلوههم وأخرجوهم منها وقيل أراد بالحسنة فى الدنيا
التوفيق والهداية الى الدين (ولاجرا الآخرة) وهى الجنة والنظر الى وجهه الكريم (أكبر) أى
أعظم (لو كانوا يعلمون) أى الكفار والمتخفون عن الهجرة مالمهاجرين من الكرامة لو افقوهم
وقيل انه راجع الى المهاجرين أى لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا فى اجتهادهم وصبروا وروى أن
عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان اذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاء يقول له خذ
بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله به فى الدنيا وما ادخلك فى الآخرة أفضل ثم يقرأ هذه الآية
وقوله تعالى (الذين صبروا) أى على الشدائد وعلى مفارقة الوطن الذى هو حرم الله وعلى
المجاهدة وبذل الاموال والانفس فى سبيل الله محله رفع على تقديرهم أو نصب على المدح ويجوز
أن يكون تابعا للموصول قبله نعتا وبدلا أو يائنا محله (وعلى ربهم يتوكلون) أى منقطعين
اليه مفوضين الامر كله اليه * (تنبه) * ذكر الله تعالى فى هذه الآية الصبر والتوكل وهما
مبدأ السلوك الى الله تعالى ومنتهاه اما الصبر فهو تهر النفس وحبسها على اعمال البر وسائر
الطاعات واحتمال الاذى من الخلق وأما التوكل فهو الاقتراع عن الخلق بالكلمة والتوجه
الى الحق كما مرت الاشارة اليه فالاول هو مبدأ السلوك والثانى هو آخر الطريق ومنتهاه * ونزل
لما أنكر مشركو مكة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا الله أعظم وأجل ان يكون رسوله
بشرا فهـ لا بعث ملكا اليها (وما أرسلنا من قبلك) يا محمد الى الامم من طوائف البشر
(الاجالا) لا ملائكة بل آدميين هم فى غاية الاقتدار على الصبر والتوكل الذى هو محط
الرحال (نوحى اليهم) بواسطة الملائكة فعادة الله جارية مستمرة من أول مبتد الخلق الى الآسن
لم يعث رسولا الامن البشر (فاسألوا أهل الذكر) أى أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى
وانما أمرهم الله تعالى بسؤالهم لان كفار مكة كانوا يعتقدون ان أهل الكتاب أهل علم وقد
أرسل اليهم رسلا مثل موسى وعيسى عليهما السلام من البشر وكانوا يبشرا مثلهم فاذا سألوهم
فلا بد أن يخبروهم أن الرسل الذين أرسلوا اليهم كانوا يبشرا فاذا أخبروهم بذلك فرجمازالت هذه
الشبهة وقال ابن عباس يريد أهل التوراة والدليل عليه قوله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد
الذكر يعنى التوراة والذكر هو التوراة وقال الزجاج معناه أسألوا كل من يذكر بعلم وتحقيق
* ولما كان عندهم أحسن من ذلك سماع أخبار الامم قبلهم أشار اليه بقوله تعالى (ان كنتم
أى جيله وطبعا (لا تعلمون) ذلك فانهم يعلمونه وانتم الى تصديقته أقرب من تصديق المؤمنين
محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (بالبينات) متعلق بمحذوف أى أرسلناهم بالهجج الواضحة
وقيل التقدير ان كنتم لاتعلمون بالبينات (والزبر) أى الكتب فاسألوا أهل الذكر وقيل انه
متعلق بمحذوف جواب لسؤال مقدر كما أنه قيل بم أرسلوا فقيل أرسلوا بالبينات والزبر وقوله

تعالى (وأزلنا الذن الذي ذكر) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والذكر هو القرآن وانما سمي ذكرا
 لانه موعظة وتذكير (لتبين للناس) كافة أى أعطاك الله تعالى من القهس الذي فقت فيه
 جميع الخلق واللسان الذي هو اعظم الالسنه وأفصها وقد وصلك الله تعالى فيه الى رتبة
 لم يصل اليها أحد (ما نزل) أى ما وقع تنزيهه (اليهم) من هذا الشرع المؤدى الى سعادة الدارين
 بتبيين المجل وشرح ما أشكل من علم أصول الدين الذي رأسه التوحيد ومن البعث وغيره
 فان القرآن فيه محكم وفيه مشابه فالهكم يجب أن يكون مينا والمشابه هو المجل فيطلب بيانه
 من السنه (واعلمهم يتفكرون) فيما أنزل اليهم اذ انظروا أساليبه القاتقة ومعانيه العالیه الراققة
 فيعتبرون (فان قيل) ان هذه الآية تبدل على أن المبين لكل التكليف والاحكام هو النبي صلى
 الله عليه وسلم فالقياس ليس بحجة (أجيب) بأنه صلى الله عليه وسلم للمبين أن القياس حجة فمن
 رجع في تبين الاحكام والتكليف الى القياس كان ذلك في الحقيقة رجوعا الى بيان النبي صلى
 الله عليه وسلم وقوله تعالى (أفأمن الذين مكروا السيئات) فيه اضمار تقديره المكرات
 السيئات وهم كفار قریش مکروا بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وبالقرآن في أذيتهم
 والمكر عبارة عن السعي بالفساد على سبيل الاخفاء ثم انه تعالى ذكر في تمهيدهم أربعة أمور
 الاول قوله تعالى (أن يخسف الله بهم الارض) كما خسف بقارون وأصحابه فاذا هم في
 بطنها لا يقدرون على نوع تغلب بمناجعة ولا غيرها الثاني قوله تعالى (أوبأتيهم العذاب) على
 غير تلك الحال (من حيث لا يشعرون) به فيأتيهم بغتة فهلكهم كما فعل بقوم لوط عليه السلام
 الثالث قوله تعالى (أوبأخذهم) أى الله بعذابه (في) حالة (تقلبهم) ومشاعرهم حاضرة وقواهم
 مستجيبة وفي تفسير هذا القلب وجوه أولها أنه تعالى يأخذهم بالعقوبة في أسفارهم فانه
 تعالى قادر على اهلاكم في السفر كما أنه قادر على اهلاكم في الحضر (فما هم بمجزيين)
 أى بضائين العذاب بسبب ضربهم في البلاد البعيدة بل يدركهم الله تعالى حيث كانوا فانيها
 أنه تعالى يأخذهم بالليل والنهار وفي حال اقبالهم وادبارهم وذهابهم ومجيئهم وثالثها أن الله
 تعالى يأخذهم في حال ما يتقلبون في قضايا أفعالهم فيجول الله بينهم وبين أعمال تلك الحيل
 وحل لفظ القلب على هذا المعنى مأخوذ من قوله تعالى وقلوبك الامور فانهم اذا قلبوها فقد
 تقلبوا فيها الامر الرابع قوله تعالى (أوبأخذهم على تخوف) وفي تفسير التخوف قولان الاول
 التخوف تفعل من الخوف يقال خفت الشيء وتخوفته والمعنى أنه تعالى لا يأخذهم بالعذاب
 أو لا يل يخيئهم إلا بعد أخذهم بعده وتلك الاخافة هو أنه تعالى يهلك قرية تقصاف التي تليها
 فيأتيهم العذاب والثاني التخوف بمعنى التقص أى أنه تعالى يتقص شيأ بعد شي في أنفسهم
 وأموالهم حتى يهلكوا من تخوفه اذا تقصه روى أن عمر رضي الله تعالى عنه قال على المنبر
 ما تقولون في هذه الآية فسكتوا فقال شيخ من هذيل هذه لغتنا التخوف التقص فقال عمر هل
 تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم قال شاعرنا أبو كبير
 تخوف (أى تقص) الرجل (أى رجل ناقته) منها تامكلا (أى سينا ما) فردا

(أى متراكماً أو متفاعلاً وهو يسكون الراء) كما تحقوف عود التبعة السفن
والتبعة بالضم واحدة التبع وهو شجر يتخذ منه السفن والسفن بفتح السين والقاء ما صنعت به
الشيء وهو فاعل تحقوف ومفعوله عود فقال عمر عليه السلام يدوانكم فالواو ما دواتا قال شعر
الجاهلية فيه تفسير كما بكم ومعاني كلامكم ومعنى البيت أن رحلى ناقته ينقص سنامها
المتراكم أو المرتفع كما ينقص السفن عود التبعة (فإن ربكم) أى المحسن اليكم باهلاكم من يريد
وابقاءكم من يريد وقوله تعالى (لرؤف) قرأه أبو عمرو وشعبة وجزء والكسائي بقصر الهـ حزة
والباقون بالفتح ومعناه يبلغ الرحمة لمن يتوسل إليه بنوع وسيلة وكذا من قاطعه أتم مقاطعة واليه
أشار بقوله تعالى (رحيم) أى حيث لم يعاجلهم بالعذاب * ولما تحقوف سبحانه وتعالى المشركين
بالانواع الاربعة المذكورة من العذاب أردفه بذكر ما يدل على كمال قدرته في تدبير أحوال
العالم العلوى والسفلى وتدبير أحوال الارواح والاجسام ليظهر لهم أنه مع كمال هذه القدرة
الباهرة والقوة الغير المتناهية لا يهجز عن اىصال العذاب اليهم على أحد تلك الاجسام الاربعة
بقوله تعالى (أولم يروا الى ما خلق الله من شيء) أى من الاجرام التى لها مثل كشجر وجبل
(تقيؤ) أى تيميل (ظلاله عن العين والشمائيل) جمع شمال أى عن جانبى كل واحد منهما وشقيه
وقرأ جزء والكسائي بالتاء على الخطاب على نسق ما قبله والباقون بالياء على التيبة الى ما خلق
استعاره من بين الانسان وشماله الجانبى الشئ أى ترجع الظلال من جانب الى جانب منقادته
غير متعنة عليه فيما يهزهاه وقال قتادة والفضائل أما العين فأقول النهار وأما الشمائيل فاستخرو
لان الشمس وقت طلوعها الى وقت اتيهاها الى وسط الفلك تقع الظلال الى الجانب الغربى
فاذا انحدرت الشمس من وسط الفلك الى الجانب الغربى وقعت الظلال فى الجانب الشرقى
والظلال فى أول النهار تبدئ من بين الفلك على الربع الغربى من الارض ومن وقت انحدار
الشمس من وسط الفلك تبدئ من شمال الفلك واقعة على الربع الشرقى من الارض (فان قيل)
ما السبب فى ذكر العين بلفظ الواحد والشمائيل بصيغة الجمع (أجيب) بأشياء الاول انه وحد
العين والمراد الجمع ولكنه اقتصر فى اللفظ على الواحد كقوله تعالى ويولون الدر الثانى قال
القرءا كأنه اذا وحده ذهب الى واحد من ذوات الظلال واذا جمع ذهب الى كلها وذلك لان قوله
الى ما خلق الله من شئ لفظه واحد ومعناه الجمع على ما مر فيحتمل كلا الامرين الثالث أن العرب
اذا ذكرت صيغى جمع عبرت عن أحدهما بلفظ الواحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور
وقوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم * (تنبيه) * الهمزة للاستفهام وهو استفهام
انكار أى قدراً وأمثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيه ليظهر لهم كمال قدرته وقهره
فيخافوا منه وما موصولة مبهمه بمعنى الذى ومن شئ يبان لها (فان قيل) كيف بين الموصول
وهو مبهم بشئ وهو مبهم بل أبهم مما قبله (أجيب) بأن شيئاً قد انضح وظهر بوصفه بالجملة بعده
وهو تيمون ظلاله وقيل الجملة يبان لما وقوله تعالى (مجدداً لله) حال من الظلال جمع ساجد
كشاهد وشهدوا كع وركع واختلف فى المراد من السجود على قولين أحدهما أن المراد منه

الاستسلام والانتقاد يقال سجد البعير اذا طار رأسه ليركب وسجدت الفخلة اذا ماتت لسكرة
 الحمل ويقال اسجد للقردي زمانه أي اخضع له وقال الشاعر * ترى الاكم فيها سجد البعير
 أي متواضعة والثاني أن هذه الظلال واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد فلما
 كانت الظلال يشبه شكلها شكل الساجدين أطلق الله تعالى عليها هذا اللفظ وكان الحسن
 يقول أما ظلك فيسجد لربك وأما أنت فلا تسجد لربك بتسماعتك وعن مجاهد ظل الكافر
 يصلي وهو لا يصلي وقيل ظل كل شيء يسجد لله سواء أكان ذلك الشيء ساجدا أم لا قال الرازي
 والاول أقرب الى الحقائق العتبية والثاني أقرب الى الشبهات الظاهرة وقوله تعالى (وهم
 داخرون) أي صاغرون حال أيضا من الظلال فينتصب عنه حالان وقيل حال من الضمير المستتر
 في سجد أهوى حال متداخلة (فان قيل) الظلال ليست من العقلاء فكيف جازعها بالواو
 والنون (أجيب) بأنه تعالى لما وصفها بالطاعة والخور أشبهت العقلاء وأن في جملة ذلك
 من يعقل فقلب * ولما حكم على الظلال بما يم أصحها من جماد وحيوان وكان الحيوان أشرف
 من الجماد رقى الحكم اليه بخصوصه فقال (ولله يسجد ما في السموات وما في الارض) وقوله
 تعالى (من دابة) يجوز أن يكون ياء النافية السموات وما في الارض جميعا على أن في السموات
 خلق الله يدبون فيها كما تدب الاناس في الارض وأن يصكون ياء النافية الارض وحده ويراد
 بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح وأن يكون ياء النافية الارض ويراد بما في السموات
 الملائكة وكثر ذكرهم بقوله تعالى (والملائكة) خصوصاً من بين الساجدين لانهم أطوع
 الخلق وأعبدهم ويجوز أن يراد بما في السموات ملائكتهم وبقوله تعالى والملائكة ملائكة
 الارض من الحفظة وغيرهم (فان قيل) سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف
 سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد (أجيب) بأن المراد بسجود المكلفين طاعتهم
 وعبادتهم وسجود غيرهم اتيقاده ارادة الله تعالى وأنه غير متعجب عليه وكلا السجودين يجمعهما
 معنى الانتقاد فليختلفا فلذلك جاز أن يعبر عنهما بلفظ واحد (فان قيل) هلاجي بمن دون
 ما تغلبا للعقلاء من الدواب على غيرهم (أجيب) بأنه لو جى بمن لم يكن فيه دليل على التغلب
 فكان متناولاً للعقلاء خاصة فحى بما هو صالح للعقلاء وغيرهم ارادة للعموم (وهم) أي الملائكة
 (لا يستكبرون) عن عبادته ثم علل تخصيصهم بقوله تعالى دلالة على أنهم كغيرهم في الوقوف بين
 الخوف والرجاء (يخافون وهم) أي الموجد لهم المدبر لا مورهم المحسن اليهم خوفا مبتدأ
 (من فوقهم) اشارة الى علو الخوف عليهم وغلبته لهم أو ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم
 أو يخافونه وهو فوقهم بالتهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده وقوله تعالى وانافوقهم
 قاهرون والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون أو بيان له أو تقرير لان من خاف الله لا يستكبر
 عن عبادته (ويؤمنون ما يؤمرون) أي من الطاعة والتدبير وفي ذلك دليل على أن الملائكة
 مكلفون مدارون على الامر والنهي والوعد والوعيد كسائر المكلفين وأنهم بين الخوف
 والرجاء كما مرت الاشارة اليه وأنهم معصومون من الذنوب لان قوله تعالى وهم لا يستكبرون يدل

على أنهم متقادون لتسليمهم وانهم ما خلفوا في أمر من الأمور كما حال تعالى لا يسبقونه بالقول
 وهم بأمره يعملون * ولما بين تعالى أن كل ماسوى الله تعالى سواء كان من عالم الارواح أم
 من عالم الاجساد فهو متقاد خاضع لجلال الله تعالى وكبريائه آتبعه بالنهي عن الشرك وبالامر
 بأن كل ماسواه فهو ملكه وانه غنى عن الكل بقوله تعالى (وقال الله) فعبر لاجل تعظيم المقام
 بالاسم الاعظم الخاص (لاتخذوا) أى لا تكلفوا فطر تكلم الاولى السليمة المحبولة على معرفة
 ان الاله واحد أن تأخذ في اعتقادها (الهيئتين) (فان قيل) انما جمعوا بين العدد والمعدود
 فيما وراء الواحد والاثني فقالوا عندي رجال ثلاثة وأفراس أربعة لان المعدود عار عن الدلالة
 على العدد الخاص فأتا رجل ورجلان وفرس وفرسان فعدودان فيما دالة على العدد فلا
 حاجة الى أن يقال رجل واحد ورجلان اثنان فواجه قوله تعالى الهيئتين (أجيب) باجوبة
 أولها قال الرازي وهو الاقرب عندي ان الشيء اذا كان مستنكرا مستقبعا فن أراد
 المبالغة في التفسير عنه عبر عنه بعبارات كثيرة ليصيرت الى تلك العبارات سببا لوقوف العقل
 على ما فيه من القبح والقول بوجود الهيئتين مستقيم في العقول فان أحد من العقلاء لم يقل
 بوجود الهيئتين متساويين في الوجود والقدم وصفات الكمال فالقصد من تكرار الهيئتين ما كيد
 التفسير عنه وتوقيف العقل على ما فيه من القبح الثاني أن قوله تعالى الهيئتين لفظ واحد يدل
 على أمرين ثبوت الاله وثبوت التعدد فاذا قيل لاتخذوا الهيئتين لم يعرف من هذا اللفظ ان
 النهي وقع عن اثبات الالهين أو عن اثبات التعدد وعن مجموعهما فلما قال لاتخذوا الهيئتين
 اثنتين ظهر أن قوله لاتخذوا نهى عن اثبات التعدد فقط الثالث في الآية تقديم وتأخير
 والتقدير لاتخذوا الهيئتين الرابع أن الاسم الحامل لعننى الافراد والتنسبة دال على
 شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فاذا أريدت الدلالة على ان المعنى به منهما والذي يساق
 اليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به ألا ترى أنك لو قلت
 انما هو له ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل أنك تثبت الالهية لا الوحدانية ثم قال تعالى ذلك
 النهي بما اقتضاه السياق من الوحدانية فقال جل ذكره (انما هو) أى الاله المفهوم من لفظ
 الهيئتين الذي لا يستحق غيره أن يطلق عليه هذا الضمير الاجاز لان لا يطلق اطلاقا حقيقيا الاعلى
 من وجود من ذاته (الله) أى مستحق هذا الوصف على الاطلاق (واحد) لا يمكن أن ينفى بوجه
 ولا أن يجزأ بقاياه وبغير غاية لغناه المطلق عن كل شيء واحتياج كل شيء اليه * ولما ثبت بالدليل
 أنه لا يدل للعالم من الله وثبت أن القول بوجود الهيئتين محال وثبت أنه لا اله الا الواحد الاحد
 المفرد الصمد قال تعالى بعده (فاياي فارهبون) أى خافون دون غيري والرهبة مخافة مع حزن
 واضطراب وانما نقل الكلام من الغيبة الى خطاب الحضور وهو من طريقة الالتفات لانه أبلغ
 في الترهيب من قوله فاياه فارهبوه ومن أن يجي ما قبله على لفظ التمسك * ولما ثبت بالدليل
 الصحيح والبرهان الواضح أن اله العالم لا شريك له في الالهية وجب أن يكون جميع المخلوقات
 عبده وفي ملكه ونصرته وتحت قهره وذلك قوله تعالى (وله) أى الله وأعاد الضمير في قوله تعالى له

على الله الاسم الاعظم العلم الجامع لجميع الاسماء الحسنى (ما في السموات والارض) أى
 ما تعبدونه وغيره فكيف يتصور أن يكون شئ من ذلك الها وهو ملكه مع كونه محتسبا الى
 الزمان والمكان وغيرهما (وله الدين) أى الطاعة وقوله تعالى (واصبا) أى دائما حال من الدين
 والعامل فيه ما في الظرف من معنى الفعل قال ابن قتيبة ليس من أحد يدان له ويطلع الا
 انقطع ذلك لسبب في حال الحياة أو بالموت الا الحق سبحانه وتعالى فاطاعته واجبة أبدا ولانه
 المنعم على عباده المالك لهم فكانت طاعته واجبة دائما أبدا وقوله تعالى (أقفر الله) أى الذى له
 العظمة كلها (سقون) استفهام انكار والمعنى أنكم بعد ما عرفتم ان الله العالم واحد وعرفتم أن
 كل ما سواه محتاج اليه في وقت دوامه وبقاؤه بعد العلم بذلك كيف يعقل أن يكون للانسان
 رغبة في غير الله تعالى أو رهبة من غير الله تعالى * ولما بين تعالى أن الواجب على العاقل أن لا يتق
 غير الله بين أنه يجب عليه أن لا يشكر أحدا الا الله تعالى بقوله تعالى (وما يكم من نعمة) أى من
 نعمة الاسلام وصحة الابدان وسعة في الارزاق وكل ما أعطاكم من مال أو وولد أو جاه (فإن الله) هو
 المتفضل على عباده فيجب عليكم شكره على جميع انعامه لان الشكر انما يجب على النعمة فنبت
 بهذا أن العاقل يجب عليه أن لا يخاف وأن لا يشكر الا الله تعالى * (تنبه) * احتج أصحابنا بهذه
 الآية على أن الايمان حصل بخلق الله فقالوا الايمان نعمة وكل نعمة فمن الله فينتج أن الايمان
 من الله وأيضا النعمة عبارة عن كل ما يكون منتفعا به وأعظم الاشياء في النفع هو الايمان فنبت
 أن الايمان نعمة والمسلمون مطبوعون على قولهم الحمد لله على نعمة الايمان والنعم اما دينية واما
 دنيوية واما النعم الدينية فهي اما معرفة الحق لذاته واما معرفة الخير لاجل العمل به والنعم الدنيوية
 اما نفسانية واما دينية واما خارجية وكل واحد من هذه الثلاثة جنس تحتها أنواع خارجة عن
 الحصر كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقدمت الاشارة الى ذلك عند ذكر هذه
 الآية * ولما كان اخلاصهم لهم مع ادعائهم الوهية غيره أمر مستبعد اعبر بأداة التراخي والبعد
 في قوله تعالى (ثم اذامسكم) أى أصابكم أدنى مس (الضر) بزوال نعمة مما أنعم به عليكم
 وقال ابن عباس يريد الاسقام والامراض والحاجة (قالبه) أى لالى غيره (تجأرون) أى
 ترفعون أصواتكم بالاستغاثة للملازمة في فطرتكم الاولية السليمة من أنه لا ملجأ ولا منجى منه
 الا اليه (ثم اذا كشف) سبحانه وتعالى (الضر) أى الذى مسكم (عنكم) ونبه على مسارعة
 الانسان في الكفران فقال (اذا فريق) أى جماعة هم أهل فرقة وضلال (منكم) أى أيها
 العباد (برجم) الذى تنزى بالانعام عليهم (يشركون) أى يوقعون الاشرار بعبادة غيره (ليكفروا
 بما آتيناهم) أى من النعم * (تنبه) * في هذه اللام وجهان الاول انها لام كي فيكون المعنى
 على هذا أنهم انما أشركوا بالله ليحمدوا نعمة عليهم في كشف الضر الثاني أنها لام العاقبة
 كما في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا والمعنى عاقبة أمرهم هو كفرهم
 بما آتيناهم من النعماء وكشفنا عنهم الضر والبلاء ثم انه تعالى توعدهم بعد ذلك بقوله تعالى
 (فمتنبوا) أى باجتماعكم على عبادة الاصنام وهذا القوله والمراد منه التهديد بقوله تعالى

قل آمنوا به أولاً تؤمنوا وقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (فسوق نعلون) عاقبة
 أمرهم وما ينزل بكم من العذاب • ولما بين تعالى بالدلائل القاهرة فساد قول أهل الشرك والتشبيه
 شرح تفاضيل أقوالهم وبين فسادها بأنواع الأول قوله تعالى (ويجعلون) أي المشركون
 (لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم) من الحث والانعام بقولهم هذا الله وهذا الشرك كما
 • (تنبيه) الضمير في قوله تعالى لما لا يعلمون عائد على الاصنام أي إن الاصنام لاتعلم شيئاً البتة
 لأنها جاد والجماد لا علم له وقبل عائد إلى المشركين ومعنى لا يعلمون أنهم يسمونها آلهة فيعتقدون
 فيها جهالات مثل أنها تنفعهم وتشفع لهم وليس الأمر كذلك • ثم أقسم سبحانه وتعالى بنفسه
 على نفسه أنه بسألهم يوم القيامة بقوله تعالى (تالله لتسألن) سؤال توبيخ وفيه التفات من
 الغيبة إلى الحضور وهو من يدبغ الكلام وبلغه (عما كنتم تكفرون) على الله من أنه أمرهم
 بذلك • (تنبيه) في وقت السؤال احتمالان الأول أنه يقع عند القرب من الموت الثاني أنه
 يقع في الآخرة قال الرازي وهذا أولى النوع الثاني قوله تعالى (ويجعلون لله البنات) ونظيره
 قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً كانت خرافة وكثافة يقولون الملائكة
 بنات الله قال الرازي أظن أن العرب إنما أطلقوا لفظ البنات على الملائكة لاستتارهم عن
 العيون فأشبهوا النساء في الاستتار فأطلقوا عليهم البنات قال ابن عادل وهذا الذي ظنه ليس
 بشئ فإن الجن أيضاً مستترون عن العيون ولم يطلقوا عليهم لفظ البنات • ولما حكى الله تعالى
 عنهم هذا القول قال تعالى (سجانه) وفيه وجهان الأول أن يكون المراد تزيينه ذاته عن نسبة الولد
 إليه الثاني تحجيب الخلق من هذا الأمر والجمل الصريح وهو وصف الملائكة بالأنوثة ثم نسبتها
 بالولدية إلى الله تعالى قيل في التفسير معناه معاذ الله وذلك مقارب للوجه الأول • ولما ذكر
 الله تعالى ما جعلوا له مع الغنى المطلق بين ما نسبوا لانفسهم مع لزوم الحاجة والضعف بقوله تعالى
 (ولهم ما يشتهون) من البنين وقد يكونون أعداء أعدائهم • ثم انه تعالى ذكر أن الواحد من
 هؤلاء المشركين لا يرضى بالولد البنت لنفسه فكيف يثبت لله تعالى فقال (واذا بشر أحدكم
 بالأنثى) أي أخبر بولادتها (ظل وجهه) أي صار أودام النهار كله (مسوداً) من الكآبة
 والحياء من الناس واسوداد الوجه كآبة عن الاعتماد والتعجيل كما أن يياض الوجه وشارفه
 كآبة عن الفرح والسرور (وهو كظيم) أي مملوء غيظاً على المرأة ولذا نب لها بوجهه والبيشارة في
 أصل اللغة الخبر الذي يغير البشرية من حزن أو سرور ثم خص في عرف اللغة بالسرور ولا يكون إلا
 بالخبر الأول فالمراد بالبيشارة هنا الاخبار كما مر وقول الرازي إن اطلاقه على الخبر والشردا دخل
 في التصيق خلاف المشهور (يتواري) أي يستحي (من القوم) أي من الرجال الذين هو فيهم
 (من سوء ما بشره) خوفاً من التعيير وذلك أن العرب كانوا في الجاهلية إذا قرب ولادة زوجة
 أحدهم توأري عن القوم إلى أن يعلم ما ولده فان ولده ذكر ابتجج وسر بذلك وظهر
 وإن كانت أنثى حزن ولم يظهر أي ما متردداً ماذا يفعل بذلك الولد (أي يتركه بغير قتل
 على هون) هو أن يذل (أم يبدسه في التراب) وذكر الضمير في يسكه ويبدسه نظراً للفظ الولد أو

لكون الاثني ولدا كما علم محمداً قال ابن معلق قال المشركون كانت المرأة اذا أدركها المخاض احتفرت حفرة وجلست على شفيرها فان وضعت ذكراً أظهرته وظهر السرور على أهلها وان وضعت اثنى استأذنت مستولدها فان شاء أمسكها على هون وان شاء أمرها بالقاتها في الحفرة وردت التراب عليها وهي حية لتموت انتهى وعن قيس بن عاصم أنه قال يا رسول الله انى واربت ثمان بنات في الجاهلية فقال صلى الله عليه وسلم اعتمق عن كل واحدة منهن رقبة فقال يا نبى الله انى ذوا بل قال اهد عن كل واحدة منهن هدباً وروى أن رجلاً قال يا رسول الله والذى بعثك بالحق ما أجد حلاوة الاسلام مذقاً سلمت فقد كنت لى فى الجاهلية بائنة فأمرت امرأتى أن تزنيها فأخرجتها فلما انتهت الى واد فيه بئر بعيدة القعر ألقيتها فيها فقالت يا أبت قتلتنى فكلمنا ذكرت قولها لم ينفعنى شئ فقال صلى الله عليه وسلم ما كان فى الجاهلية فقد هدمه الاسلام وما فى الاسلام يهدمه الاستغفار وكانوا فى الجاهلية مختلفين فى قتل البنات فمنهم من يحضر الحفرة ويدفن فيها الى أن تموت ومنهم من يرصها من شاطئ جبل ومنهم من يفرقها ومنهم من يذبحها وكانوا يفعلون ذلك تارة للغيرة والحجة خوفاً من أن يقطع فيهن غير الاكفاء وتارة خوفاً من الفقر وكثرة العيال ولزوم النفقة وكان الذى منهم يريد أن يحيى ابنته تركها حتى تكبر ثم يلبسها جبة من صوف أو شعر ويجهلها ترى الابل والغنم فى البداية قال الله تعالى (الأساء) أى بنس (ما يحكمون) حكمهم هذا وذلك لانهم بلغوا فى الاستنكاف من البنت الى أعظم الغايات فازلها أنه يسود وجهه وثانيها أنه يحتقن من القوم من شدة نفرته عن البنت وثالثها ان الولد محبوب بحسب الطبيعة ثم انه بسبب نفرته عنها يقدم على قتلها وذلك يدل على أن النفرة عن البنت والاستنكاف عنها قد بلغ مبلغاً لا يزد عليه فكيف يليق بالعاقل أن يثبت ذلك لاله عالم مقدس عال عن مشابهة جميع المخلوقات وتظهر هذا الآية بقوله تعالى الكفر الذى كرهه الاثني تلك اذا قسمه شيرى ثم قال تعالى (الذين لا يؤمنون بالآخرة) وهم الكفار (مثل السوء) أى الصفة السوء بمعنى القبيحة وهى قتلهم البنات مع احتياجهم اليهن للنكاح (ولله المثل الاعلى) أى الصفة العليا وهى انه لاله الا هو وان له جميع صفات الجلال والكمال من العلم والقدرة والبقاء السرمدى وغير ذلك من الصفات التى وصف الله بها نفسه وقال ابن عباس مثل السوء النار والمثل الاعلى شهادة أن لا اله الا الله (فان قبيل) كيف جاء الله المثل الاعلى مع قوله تعالى فلا تضربوا الله الامثال (أجيب) بأن المثل الذى يضربه الله تعالى حق وصدق والذى يذكروه غيره باطل (وهو العزيز) الذى لا يمتنع عليه شئ فلا نظيره (الحكيم) الذى لا يوقع شئ الا فى محله وما حكى الله تعالى عن القوم عظيم كفرهم وقبيح قولهم بين أنه تعالى يعمل هؤلاء الكفار ولا يعاجلهم بالعقوبة اظهار الفضل والرحمة والكرم بقوله تعالى (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) أى بسبب كفرهم ومعاصيهم (ما ترك عليها) أى على الارض وانما أضمر ذكرها من غير ذكر دلالة الناس والدابة عليها (من دابة) أى ان الله تعالى لو أخذ الناس بظلمهم لاهلك جميع الدواب التى على وجه الارض (فان قبيل) اسم الناس جنس يشمل الكل

قد دخل في ذلك الانبياء فبدل ذلك على عدم عصمتهم (أجيب) بأن ذلك عام مخصوص بقوله
 تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق
 بالخيرات باذن الله فالمدكور في هذه الآية اما كل العصاة المستحقين العقاب والذين تقدم
 ذكرهم من المشركين ومن الذين آمنوا بالله البنات أوجيع الكفار بدليل قوله تعالى ان شر
 الدواب عند الله الذين كفروا وقال قتادة قد فعل الله تعالى ذلك في زمن نوح عليه السلام
 فأهلك جميع الدواب التي على وجه الارض الا من كان في السفينة مع نوح عليه السلام روى
 أن أباهم ريرة رضى الله تعالى عنه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الانفسه فقال بسما قلت
 ان الحبارى تموت من الامن ظلم الظالم وقال ابن مسعود ان الجبل تعذب في حجرها بذب ابن آدم
 والجبل بضم الجيم وفتح العين دوية قاله الجوهرى وقيل في معنى الآية ولو يؤاخذ الله
 الآباء الظالمين بسبب ظلمهم لانقطع النسل ولم توجد الابناء وليبقى في الارض أحد (ولكن
 يؤخرهم) أى يمهلم بفضله وكرمه وحمله (الى أجل مسعى) أى الى انتهاء آجالهم وانقضاء
 أعمالهم (فأذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة) عنه (ولا يستقدمون) أى لا يؤخرون ساعة
 من الاجل الذى جعله الله تعالى لهم ولا ينتقصون منه * (تنبه) * ههنا هم زمان مفترقتان
 من كلمتين فقرأ لولون والبرى وأبو عمرو بإسقاط احدى الهمزتين مع المد والقصر وقرأ ورش
 وقيل بتسهيل الثانية وأبدى الحارفى مد والباقون بتحقيق الهمزتين النوع الثالث من
 الاقاول الفاسدة التى كان يذكرها الكفار وحكاها الله تعالى عنهم قوله (ويجعلون لله
 ما يكرهون) لانفسهم من البنات وأراذل الاحوال والشركاء فى الرئاسة ثم وصف الله تعالى
 جراتهم مع ذلك بقوله تعالى (وتصف) أى تقول (السنتم الكذب) أى مع ذلك مع أنه قول
 لا ينبغي أن يتخيله عاقل ثم بينه بقوله تعالى (أن لهم الحسنى) أى عنده أى الجنة كقوله تعالى
 ولئن رجعت الى ربي انى عنده للعسنى ولا جهل أعظم ولا أحكم سوا من أن تقطع بأن من
 تجعل له ما ذكره أن يجعل لك ما تحب فكانه قيل ما لهم عنده فضيل (لاجرم) أى لا ظن ولا تردى
 (أن لهم النار) أى هى جزاء الظالمين وقيل لاجرم بمعنى حقا (وأنهم مفرطون) أى متروكون
 فيها أو مدمون اليها وقرأ نافع بكسر الراء أى متجاوزون الحد والباقون بالفتح (فان قيل) انهم
 لم يقرزوا بالبعث فكيف يقولون ان لنا الحسنى عند الله (أجيب) بأنهم قالوا ان كان محمدا قاتا
 فى البعث بعد الموت فان لنا الجنة وقيل انه كان فى العرب جمع يقرون بالبعث والقبلة وانهم
 كانوا يربطون البعير النعيس على قبر الميت ويتركونه الى أن يموت ويقولون ان ذلك الميت اذا
 حشر فانه يحشر معه موكبه ثم بين تعالى أن مثل هذا الصنيع الذى يصدون مشركى قريش
 قد صدر من سائر الامم السابقين فى حق الانبياء المتهتمين بقوله تعالى (تالله) أى الملك الاعلى
 (لقد أرسلنا) أى بما نؤمن من القدرة ورسلا من الماضين (الى امم من قبلك) كما أرسلنا
 الى هؤلاء (فزين لهم الشيطان) أى المتهتم بالفض والطرد باللعنة (أعمالهم) الخبيثة
 من الكفر والتكذيب كما زين لهؤلاء فضلا كما ضلوا فأهلكهم وهذا يجرى مجرى التسليبة

للنبي صلى الله عليه وسلم فيما كان يناله من الغم بسبب جهالات القوم والمزيرين في الحقيقة هو والله
 تعالى هذا مذهب أهل السنة وانما جعل الشيطان آفة باللقاء الوسوسة في قلوبهم وليس له
 قدرة على أن يضل أحدا أو يهدي أحدا وانما له الوسوسة فقط فمن أراد الله تعالى شقاوته وسلطه
 الله عليه حتى يقبل وسوسته (فهو وليهم اليوم) أى فى الدنيا وانما عبر باليوم عن زمانها أى فهو
 وليهم حين كان يزين لهم أو يوم القيامة على أنه حكاية حال ماضية أو آية أى لاولى لهم غيره وهو
 عاجز عن نصر نفسه فكيف ينصرهم وقيل الضمير لقريش أى زين الشيطان للكفرة المتقدمين
 أعمالهم وهو لى هؤلاء القوم بغيرهم وبغيرهم وقيل يجوز أن يقدر مضاف أى فهو لى أعمالهم
 والولى القرين والناصر فيكون نعما للناصر لهم على أبلغ الوجوه (ولهم عذاب أليم) أى مؤلم
 فى الآخرة * ثم ذكر تعالى انه مع هذا الوعيد الشديد قد أقام الحجج وأزاح العلة بقوله تعالى (وما
 أنزلنا) أى بما لنا من العظمة من جهة العلو (عليك) يا أشرف المرسلين (الكتاب) أى القرآن
 (الاثين لهم) أى للناس (الذى اختلفوا فيه) من أمر الدين مثل التوحيد والشرك واثبات
 المعاد ونفيه فانه كان فيهم من ينكر البعث ومنهم من يؤمن به ومنهم عبد المطلب ومثل تحريم
 الحلال كالبحيرة والسائبة وتحليلهم أشياء محرمة كالسنة (فان قيل) اللام فى تبيين الهسم تدل
 على ان أفعال الله تعالى معللة بالأغراض كقوله تعالى كآب أنزلناه اليك لتخرج الناس وقوله
 وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون (أجيب) بأنه لما ثبت بالعقل امتناع التعليل وجب صرفه
 الى التأويل وقوله تعالى (وهدى رحمة) أى وكراما مجيبة معطوفان على محل تبيين الا انهما
 اتصبا على أنهم مامفعول لهما لانهما فعلا الذى أنزل الكتاب ودخلت اللام على تبيين لانه فعل
 مخاطب لافعل المتزل وانما يقصد مفعولا لهما كان فعل فاعل الفعل المعلل ولما كان ذلك ربما
 شملهم وهم على ضلالهم فناه بقوله تعالى (لقوم يؤمنون) وتطيره قوله تعالى فى أول البقرة
 هدى للمتقين وانما خص المؤمنين بالذكر من حيث انهم قبلوه واتقوا به كفى قوله تعالى انما
 أنت منذر من يخشاها لانه انما اتفح بانذاره هذا القوم فقط * ولما انقضى الدليل على أن
 قلوبهم منكرة استكبارا وما يتعلق به وختمه بما أحياه القلوب فى الايمان والعلم بعدموتها
 بالكفر والجهل وكان المقصود الاعظم من القرآن تقرير اصول أربعة الالهيات والنبوات
 والمعاد واثبات القضاء والقدر والفعل بالاختيار وكان أجل هذه المقاصد الالهيات شرع
 فى ذكر الوحدة والقدرة والفعل بالاختيار المستلزم للقدرة على البعث على وجه غير المتقدم
 ليعلم أن أدلة ذلك أكثر من أوراق الأشجار وأجلى من ضياء النهار فعطف على قوله والله يعلم
 ما تسرون وما تعلنون قوله جامعاً فى الدليل بين العالم العلوى والعالم السفلى (والله) أى الذى
 له الامر كله (أنزل من السماء) فى الوقت الذى يريد (ماء) بالمطر والثلج والبرد (فأحياه)
 أى بذلك الماء (الارض) بأنواع النبات (بعد موتها) أى يبسها (أن فى ذلك) المذكور (آية)
 أى دلالة واضحة على كمال قدرته تعالى (لقوم يسمعون) أى سماع تدبر وانصاف وثلر لان
 سماع القلوب هو النافع لاسماع الاذان فمن سمع آيات القرآن بقلبه وتدبرها ونفكر فيها

انتفع ومن لم يسمع بقلبه فكأنه أصم لم يسمع ولم ينتفع بالآيات ومن الدلائل المذكورة في هذه الآية الاستدلال بجانب أحوال الحيوانات وهو قوله (وَأَن لَّكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ) أي اعتبارا إذا تفكرتم فيها وعرفتم كمال قدرتنا وقوله تعالى (نَسْتَكْبِرُ بِمَا فِي بَطُونِهِ) استئناف بيان العبرة وإنما ذكر لفظ الضمير لانه لفظ الانعام مفرد وضع لفائدة الجمع كارهط والقوم ولا من اللبس والدلالة على قوة المعنى لكونها سورة النعم وأشه في سورة المؤمنون للمعنى فإن الانعام اسم جمع ولذلك عدته سيويه في باب ما لا ينصرف في الاسماء المفردة الواردة على أفعال كقولهم توب أكاش بياء تخمية وشين مجمدة ضرب من الثياب يفرزل مرتين ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها وقرأ نافع وابن عامر وشعبة بفتح النون تقول سقيته حتى روى قال تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا والباقون بضمها من قولك اسقاه اذا جعل له شرابا كقوله تعالى وأسقيناهم كما مفرانا ولما كان في موضع العبرة بتخليص اللبن من غيره قدم قوله تعالى (من بين فرث) وهو الغل الذي ينزل الى الكرش فاذا خرج منه لم يسم فرثا (ودم لبنا خالصا) أي صافيا خلقه الله وسطا بين القرث والدم يكسفه وينه وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغي عليه أحدهما بلون أو رائحة أو طعم روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اذا أكلت البهجة العلف واستقرت في كرشها طيخته فكان أسفله فرثا وأوسطه لبنا وأعلاه ما والكبدة متسلطة على هذه الاصناف الثلاثة تقسمها فيجري الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى القرث في الكرش فسبحان الله ما أعظم قدرته وأطف حكمته لمن تفكر وتأمل وسئل شقيق عن الاخلاص فقال تمييزا لعمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث دم (سائغا للشاربين) أي سهل المرور في الحلق وقيل لم يقص أحد باللبن قط * (تنبيه) * قال أهل التحقيق اعتبار حدوث اللبن كما يدل على وجود الصانع الختار فكذلك يدل على إمكان الحشر والنشر وذلك لأن هذا العشب الذي يأكله الحيوان إنما يتولد من الماء والارض فخالق العالم برب تدبير آخر بقلب ذلك الدم لبنا ثم برب تدبير آخر فأحدث من ذلك اللبن السمن والجبن فهذا الاستقرار يدل على انه تعالى قادر على أن يقلب هذه الاجسام من صفة الى صفة ومن حالة الى حالة فاذا كان كذلك لم يمنع أيضا أن يكون قادرا على أن يقلب أجزاء أبدان الاموات الى صفة الحياة والعقل كما كانت قبل ذلك فهذا الاعتبار يدل من هذا الوجه على أن البعث والقيامة أمر ممكن غير ممنوع وفي حدوث اللبن في الثدي واتصافه بالصفات التي باعتبارها يكون موافقا لتغذية الطفل مشحولة على حكمة تجسية يشهد صريح العقل بأنها لا تحصل الا بتدبير الفاعل الحكيم المدبر وبيانه من وجوه الأثر انه تعالى خلق في أسفل المعدة منفذا يخرج منه نقل الغذاء فاذا تناول الانسان غذاء أو شرابا انطبق ذلك المنفذ انطباقا كليا لا يخرج منه شيء من ذلك المأكول والمشروب الى أن يكمل انضمامه في المعدة ويجذب ما صني منه الى الكبدة ويبقى النقل هناك فيعتقد ينفتح ذلك المنفذ وينزل منه ذلك النقل وهذا من العجائب التي لا يمكن حصولها الا بتدبير الفاعل الحكيم لانه متى كانت الحاجة الى خروج ذلك الجسم من المعدة انفتح فصول

الانطباع نارة والانفتاح نارة أخرى بحسب الحاجة وبقدرا المنفعة مما لا يتأق بالابتداع بالفاعل
الحكيم الثاني عند تولد اللبن في الضرع يحدث الله تعالى في حلة الثدي نضبا صغيرة ومسما
ضئيلة وجعلها بحيث اذا اتصل المص والحلب تلك الحلة انفصل اللبن عنها ولما كانت تلك
المسام ضئيلة جدا كان لا يخرج منها الا ما كان في غاية الصفا واللطافة وأما الاجراء الكشافة
فانه لا يمسكها الخروج من تلك المنافذ الضئيلة فتبقى في الداخل فالحكمة في احداث تلك
الثقب الصغيرة والمنافذ الضئيلة في رأس حلة الثدي انها تكون كالصفحة فكل ما كان لطيفا
خرج وكل ما كان كثيفا احتبس في الداخل ولم يخرج فهذا الطريق بصير اللبن خالصا موافقا
لبدن الطفل سائغا للشاربين الثالث أنه تعالى ألهم ذلك الطفل الى المص فان الام كلما ألفت
حلمة الثدي في فم الطفل فذلك الطفل في الحال يأخذ في المص ولو لان الفاعل المختار
الرحيم ألهم ذلك الطفل الصغير ذلك العمل المخصوص والا لم يحصل الانتفاع بتطبيق ذلك
اللبن في الثدي وقوله تعالى (ومن ثمرات النخيل والاعناب) متعلق بمحذوف تقديره
ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب أي من عصيرهما وحذف دلالة نسقيكم عليه وقوله تعالى
(تخذون منه سكرًا) بيان وكشف عن كنه الاسقاء قال الواحدى الاعناب عطف على الثمرات
لا على النخيل لانه يصير التقدير ومن ثمرات الاعناب والعنب نفسه ثمرة وليس له ثمرة أخرى
(ورزقا حسنا) كالتمر والزبيب والدبس والخل * (تنبيه) * في تفسير السكر وجوه الاول هو
التمر سميت بالمصدر من سكر سكر او سكر اخور شد وشد او رشا فان قيل التمر محترمة فكيف
ذكرها الله تعالى في معرض الانعام (أجيب) عن ذلك بوجهين أحدهما ان هذه السورة مكية
وتحريم التمر نزل في سورة المائدة فكان نزول هذه الآية كان في الوقت الذي كانت الحنزة فيه غير
محترمة ومن قال بنسخها النخعي والشعبي الثاني أن الآية جامعة بين العناب والمنة فالعناب
بالنسبة الى السكر والمنة بالنسبة الى رزقا حسنا الوجه الثاني أن السكر هو النبيذ وهو
عصير العنب والزبيب والتمر فاذا طبع حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد فهو حلال عند
أبي حنيفة رحمه الله تعالى الى حد السكر ويحجج بهذه الآية وقوله صلى الله عليه وسلم التمر
حرام لعينها وهذا يقتضى أن يكون السكر شيا غير التمر وكل من أثبت هذه المقابلة قال انه
النبيذ المطبوخ الوجه الثالث أن السكر هو الطعام فله أبو عبيدة واحتج عليه بقول الشاعر
* جعلت امرض الكرام سكره أى تنقلب باعراضهم بان جعلتها نقلًا وتناولًا والنقل
ما يتقل به على الشراب قال البغوي وأولى الاهاويل ان قوله تعالى اتخذون منه سكرًا منسوخ
انتهى ويدل له قول الحسن ذكر الله نعمته عليهم في التمر قبل أن يحترمها عليهم وروى عن ابن
عباس قال السكر ما حرم من ثمرها والرزق الحسن ما أحل من ثمرها وروى عنه أيضا السكر
الحرام منه والرزق زيبه وعنه ومنافعه * ثم قال تعالى (ان في ذلك) المذكور (لاية) أى
دلالة على قدرته تعالى (اقوم يعقلون) أى يستعملون عقولهم بالنظر والتأمل في الآيات
فيعلمون ان هذه الاحوال لا يقدر عليها الا الله تعالى فيخرج بصورها على وجود الاله القادر

الحكيم • ولما بين تعالى أن اخراج الالبان واخراج السكر والرزق الحسن من غمرات الفخيل
 والاعناب دليل قاطع وبرهان ساطع على ان لهذا العالم لها قدار ومختار وحكماذ كأن اخراج
 العسل الذي جعله الله تعالى شفاه للناس من دابة ضعيفة وهي النحل دليل قاطع وبرهان
 ساطع على اثبات هذا المقصود بقوله تعالى (وأوحى ربك الى النحل) وحي الهام قال الضحاك
 الهما ولم يرسل اليها رسولاً والمراد من الالهام انه تعالى قدر في انفسها هذه الاعمال العجيبة
 التي يعجز عنها العقلاء من البشر ويأمنه من وجوه الاول ما ذكر الله بقوله تعالى (أن اتخذى) أى
 بأن اتخذى ويجوز أن تكون مفسرة لأن في الابهام معنى القول (من الجبال يونان) تأويل
 اليها وانما سمي ما بينه لتعسل فيه بيتاً تشبه بيت الانسان فتبنى البيوت المسدسة من اضلاع
 متساوية لا يزيد بعضها على بعض بمقدار طبعها والعقلاء من البشر لا يمكنهم مثل تلك البيوت
 الابالات وانظار دقيقة الثاني انه ثبت في الهندسة ان تلك البيوت لو كانت مشكلة بأشكال
 سوى المستدسات كأن كانت مدورة أو مثلثة أو مربعية وغير ذلك من الاشكال فانه تبنى
 بالضرورة فيعابن تلك البيوت فرج خالية ضائعة فاهتداء هذا الحيوان الضعيف الى هذه
 الحكمة الخفية والدقيقة اللطيفة من الاعاجيب الثالث ان النحل يحصل بينا واحداً كالريس
 للبقية وذلك الواحد يكون أعظم جنة من الباقي ويكون نافذ الحكم على تلك البقية وبهم
 يتقدمونه ويحملونه عند تبعه وذلك أيضاً من الاعاجيب الرابع انها اذا انفردت عن وكرها
 ذهبت مع الجمعية الى موضع آخر فاذا ارادوا عودها الى وكرها ضربوا الطبول وآلات
 الموسيقى فبواسطة تلك الالمان يقدررون على ردها الى أوكارها وهذه أيضاً حالة عجيبة فلما
 امتاز هذا الحيوان بهذه الخواص العجيبة الدالة على مزيد الكاء واليكاسة كان ليس الاعلى
 سبيل الالهام وهو حالة شبيهة بالوحى والوحى قد ورد في حق الانبياء كقوله تعالى وما كان لبشر
 أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب وفي حق الاولياء قال تعالى واذا وحيت الى الحوارين
 ويعنى الالهام في حق البشر قال تعالى وأوحينا الى أم موسى وفي حق سائر الحيوانات خاص
 قال الزجاج يجوز أن يقال سمي هذا الحيوان نحل لأن الله تعالى نحل الناس العسل الذي
 يخرج من بطونها وقال غيره النحل يذكرو ويؤث وهي مؤنثة في لغة اعجاز واذلك أنها الله تعالى
 وكذلك كل جمع ليس بينه وبين واحده الالهاء (و) اتخذى (من الشجر) أى الصالحة يونان
 (و) اتخذى (بما يعرشون) أى الناس فينبون تلك الاماكن وذلك أن النحل منه وسبب
 وهو الذي يسكن الجبال والشجر والكهوف ومنه أهلى وهو الذى يأوى الى البيوت وترتبه
 الناس عندهم وقد جرت العادة أن الناس يبنون للنحل الاماكن حتى يأوى اليها وذلك
 بحرف التبعية لانها لا تبنى في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من الكرم أو سقف ولا في كل
 مكان منها وقرأ ابن عامر وشعبة بضم الراء والبالقون بكسرهما • (تبيينه) ظاهر قوله تعالى
 اتخذى أمر وقد اختلفوا فيه فن الناس من يقول لا بعد أن يكون لهذا الحيوان عقول
 ولا بدع أن يتوجه عليها من الله أمر ونهى وقال آخرون بل المراد منه أنه تعالى خلق قوما

غرائز وطباع توجب هذه الاحوال وسماى الكلام على ذلك ان شاء الله في سورة النحل عند
 قوله تعالى يا ايها النحل ادخلوا مساكنكم * ولما كان اهم شئ للحيوانات بعد الراحة من هم
 القيل أكل شئ غني به فقال (ثم كل من كل الثمرات) أى من كل ثمرة يشتهيها وترها وحلها وذكر
 ذلك بحرف التراخي اشارة الى عجب الصنع في ذلك وتيسيرها * (تنبيه) * لفظ من هذا
 للتبعض أول ابتداء الغاية * ولما أذن لها في ذلك كله وكان من المعلوم عادة أن تعاطيه لا يكون
 الابشقة عظيمة في معاناة السير اليه نبيه على خرقة العادة في تيسيره لها بقوله تعالى (فاسلكي
 سبل ربك) أى الطرق التي ألهمك الله تعالى أن تسلكها وتدخلى فيها لاجل طلب الثمار
 وقوله تعالى (ذللنا) جمع ذلول حال من السبل أى مستخرقة فلا تعسر عليك وان توعدت
 ولا تظلى عن العود فيها وان بعدت وقيل من الضمير فى اسلكي أى متقادة لاربابها حتى انهم
 ينقلونها من مكان الى مكان آخر حيث شاؤوا وأرادوا الاستعصى عليهم وقوله تعالى (يخرج
 من بطونها) فيه عدول عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود
 من خلق النحل والهامة لاجلهم (شراب) أى عسل (مختلف ألوانه) ما بين أبيض وأحمر
 وأصفر وغير ذلك من ألوان العسل وذلك على قدر ما تأكل من الثمار والازهار ويستحيل
 في بطونها عسلا بقدرة الله تعالى ثم يخرج من أفواهها يسيل كاللعاب وقال الرازى انه
 رأى في بعض كتب الطب ان العسل طل من السماء ينزل كالترنجبين فيقع على الازهار وأوراق
 الشجر فيجمعه النحل فتأكل بعضه وتدخر بعضه في بيوتها لانفسها لتغذى به فاذا اجتمع في
 بيوتها من تلك الاجزاء الطيبة شئ كثير فذلك هو العسل وقال هذا القول أقرب الى العقل
 لان طبيعة الترنجبين تقرب من طبيعة العسل وأيضا اننا نشاهد ان النحل يتغذى بالعسل
 وأجاب عن قوله تعالى يخرج من بطونها شراب ان كل تجويف داخل البدن يسمى بطنا
 فقوله يخرج من بطونها أى من أفواهها انتهى والاقول كما قال ابن الخازن وغيره أظهر لانا
 نشاهد ان العسل يوجد فيه طعم تلك الازهار التي يأكلها النحل وكذا توجد لذتها وريحها
 وطعمها فيه أيضا وبعض هذا قول بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم له أكلت مغافير
 قال لا قالت ما هذه الريح التي أجد منك قال سقتني حفصة شربة عسل قالت جرت نخلة
 العرطف والعرطف شجر الطلع له صبغ يقال له المغافير يه الرائحة نعتى جرت فحله العرطف
 أكلت وورعت من العرطف الذى له الرائحة الكريهة فثبت بهذا أنه يوجد في طعم العسل ولونه
 وريحه طعم ما يأكله النحل ولونه وريحه لا ما قاله الاطباء من انه طل لانه لو كان طلالا لكان على
 لون واحد وقوله كل تجويف فى داخل البدن يسمى بطنا خلاف الظاهر لان لفظ البطن اذا
 أطلق لم يرديه الا العضو المعروف بطن الانسان وغيره (فيه) أى الشراب الذى يخرج من بطون
 النحل (شفا الناس) من الاوجاع كما قال ابن عباس وابن مسعود اما لبعضها كما دل عليه تنكير
 شفا وما لى لكها فيضمته الى غيره اذ قل مجنون من المعاجين ليدكر الاطباء فيه العسل
 أو يوفيه بنيته وبهذا سقط ما قيل انه يضرب بأصحاب الصفرأه ويهيج الحرارة ويضرب بالشباب

المحرورين ويعطش قال ابن مسعود العسل شفا من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور
 وفي رواية عنه عليكم بالشفاء من القرآن والعسل وروى نافع أن ابن عمر ما كانت قرحة ولا شيء
 الا لطح الموضع بالعسل وبقرا يخرج من بطونهم شارب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس وعن أبي
 سعيد الخدري رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان أخي يشتكى
 بطنه فقال صلى الله عليه وسلم اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب
 فاسقه العسل فقد صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ فكأنا نشط من عقال
 فقوله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم علم بنور
 الوحي الالهي أن العسل الذي أمر به بشره سيظهر نفعه بعد ذلك فلما لم يظهر نفعه في الحال
 قال صدق الله يعني فيما وعده من أن فيه شفاء للناس وكذب بطن أخيك يعني باستجابكم
 للشفاء في أول مرة وقال مجاهد الضمير في فيه شفاء للناس راجع للقرآن لأن فيه شفا من
 أمراض الشرك والجهالة والضلالة وهو هدى ورحمة للناس وعلى هذا تمت قصة تولد العسل
 من النحل عند قوله تعالى يخرج من بطونهم شارب مختلف ألوانه ثم ابتدأ وقال فيه شفاء للناس
 أي في هذا القرآن قال الرازي وهذا قول ضعيف ويبدل عليه وجهان الاول أن الضمير في قوله
 تعالى فيه شفاء للناس يجب عوده الى أقرب المذكورات وما ذاك الا قوله تعالى شارب مختلف
 ألوانه وأما الحكم يعود هذا الضمير الى القرآن مع أنه غير مذكور فيما سبق فهو غير مناسب
 والثاني حديث أبي سعيد الخدري المتقدم * ثم انه تعالى ختم الآية بقوله تعالى (ان في ذلك) أي
 المذكور (لاية لقوم يتفكرون) أي في اختصاص التحل تلك الطعوم الرقيقة واللطائف
 الخفية مثل بناء البيوت المسدسة وغير ذلك فيعتبرون ويستدلون بما ذكرنا على وحدانيتنا
 وقدرتنا وقد ذكر في هذه السورة اضافة الآيات الى مخاطبين نارة بالافراد ونارة بالجمع ونوعها
 نارة بالعقل ونارة بالفكر ونارة بالذكور ونارة بغيرها * ثم انه تعالى لما يقظهم من رقدتهم ونبههم
 على عظيم غفلتهم فني بعض ما في أنفسهم من الادلة على ذلك فقال (والله) أي المحيط بكل شيء
 قدرة وعلما (خلقكم) أي أوجدكم من العدم وأخرجكم الى الوجود ولم تكونوا شيئا (ثم يوفاكم)
 أي عند انقضاء اجلكم على اختلاف الانسان فلا يقدر الصغيران يؤخر ولا الكبير على أن
 يقدم فنسكم من يموت على حال قوته (ومنكم من يرد الى أذل العمر) أي أخسه من الهرم
 والخرف قال بعض العلماء عمر الانسان له أربع مراتب سن الطفولية والنور وهو من أول العمر
 الى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية سن الشباب وبلوغ الاشد ثم المرتبة الثانية سن الوقوف
 وهو من ثلاثة وثلاثين سنة الى أربعين سنة وهو غاية القوة وكال العقل والمرتبة الثالثة سن
 الكهولة وهو من الأربعين الى الستين وهذه المرتبة يشرع فيها الانسان في النقص لكنه يكون
 نقصا خفيا لا يظهر ثم المرتبة الرابعة سن الشيخوخة والاضطراب من الستين الى آخر العمر
 خمسة وستون سنة تبين النقص ويكون الهرم والخرف قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه
 أزدل العمر خمسة وسبعون سنة وقيل ثمانون سنة وقال قتادة تسعون سنة وعن أنس رضي الله

تعالى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انى أعوذ بك من العجز والهزم والبخل
وأعوذ بك من عذاب القبر وقننة الحيا والممات وفي رواية عنه كان يقول اللهم انى أعوذ بك
من البخل والكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وقننة الحيا والممات (لكيلا يعلم بعد علم شيئا)
أى ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية فى نقصان القوة والعقل وسوء الفهم * (تبيه) * هل
ذلك عام فى المسلم والكافر أو مختص بالكافر فيه قولان أحدهما انه عام والقول الثانى انه مختص
اذ المسلم لا يزاد بطول العمر الاكرامة على الله تعالى ولا يقال فى حقها انه رذالى أرذل العمر قال
الرازى والدليل عليه قوله تعالى ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فىن
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات ما ردتوا الى أسفل السافلين وقال عكرمة من قرأ القرآن لم يصر
الى هذه الحالة وقال فى قوله تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم الذين قرؤوا القرآن
وقال ابن عباس قوله ثم رددناه أسفل سافلين يريد الكافرين ثم استثنى المؤمنين فقال الا الذين
آمنوا وعملوا الصالحات وهذا يؤيد ما مر (ان الله عليم) بمقادير أعمارهم (قدير) بميت الشاب
النشط ويبقى الهرم القانى وفى ذلك تشبيه على ان تفاوت أجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم
ركب أبنيتهم وعدل أمر جنتهم على قدر معلوم ولو كان مقتضى الطباع كما يقول الطباعيون
لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ * ولنا ذكر تعالى المفاوئة فى الاعمار المنادية بإبطال الطباع الموجبة
للمساواة الى الاعتبار لا ولى الابصار للنفوس كل لحظة من مصيبة الموت أجمعها بالمفاوئة
فى الارزاق فقال (والله) أى الذى له الامر كله (فضل بعضكم) أى الناس (على بعض فى
الرزق) فنسبكم فنى ومنكم فقير ومنكم مالك ومنكم مملوك كل ذلك بتقدير العزير الحكيم
فيجعل الضعيف العاجز الجاهل أغنى من القوى المحتال العالم فترى أكيس الناس وأكثرهم
عقلاء يعنى عمره فى طلب القليل من الدنيا ولا يتيسر له ذلك وترى أجلف الخلق وأقلهم عقلا
وفهما تفتحه أبواب الدنيا من كل شى خطر ياله أو دار فى خياله فانه يحصل له بسهولة ولو كان
السبب فى ذلك هو جهل الانسان وعقله لوجب أن يكون الأعدل أفضل فى هذه الاحوال
فلما رأينا ان الأعدل أقل نصيبا وان الأجهل الأخص أو فر نصيبا علمنا ان ذلك بسبب قسمة
القسام كما قال تعالى أهدم يقسمون رجة ربك فمن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا فانقوا
الله وأجلوا فى طلب الرزق وأقبلوا فى جمع قلوبكم على ما ينفعكم من الاستبصار وأنشد
سفيان بن عيينة يقول

كم من قوى قوى فى قلبه * مهذب الرأى عنه الرزق منصرف

ومن ضعيف ضعيف العقل محتلط * كأنه من خليج البحر يغترف

(وحكى) أن سليمان المهلبى أرسل الى الخليل بن أحمد رجالة ألف درهم فردها الخليل وكتب

اليه هذه الايات

أبلغ سليمان انى عنه فى سعة * وفى غنى غير انى لست ذامال

شخصى بنفسى انى لأرى أحدا * يموت جوعا ولا يبقى على حال

فالجزع عن قدرها الهجز ينقصه * ولا يزيد فيه حول محتال
والفقير في النفس لافي المال تعرفه * ومثل ذلك الغنى في النفس لا المال

وقال الشافعي رحمه الله تعالى

ومن الدليل على القضاء وكونه * بؤس اللبيب وطيب عيش الاجح

* (تنبيه) * هذا التفاوت ليس محتصا بالمال بل هو حاصل في الذكاء والبلادة والحسن والقبح
والعقل والحق والصحة والسقم والاسم الحسن والاسم القبيح وهذا بحر لا ساحل له قال الرازي
وقد كنت مصاحبا لبعض المملوك في بعض الاسفار وكان ذلك الملك كثيرا المال والجاه فكانت
الجنائب الكثيرة تقادبن يديه وما كان يمكنه ركوب واحد منها وربما حضرت الاطعمة
الشهية والقوا كذا كثيرة العطرة عنده وما كان يمكنه أن يتناول شيئا منها وكان من الفقراء من
هو صحيح المزاج وقوى البنية كامل القوة وما كان يجادل مطنه طعاما فذلك الملك وان كان
يفضل هذا الفقير في المال الآن هذا الفقير كان يفضل ذلك الملك في الصحة والقوة وهذا باب
واسع اذا اعتبره الانسان عظم نجهه فيه ففسأل الله تعالى أن يقيننا من فضله وأن يرضينا بما
قسم لنا انه كريم جواد ثم ضرب الله تعالى مثلا للذين جاءوا الله شركاء بقوله تعالى (فما الذين
فضلوا) أي في الرزق وهم الموالى (برادى رزقهم على ما ملكت ايما نهم) أي يجاعلى
ما رزقناهم من الاموال وغيرها بينهم وبين عماليتهم (فهم) أي المماليك والموالى (فيه سواء)
أي شركاء يقول الله تعالى هم لا يرضون أن يكونوا هم وعماليتهم في رزقناهم سواء فكيف
يجعلون بعض عبيدى شركائى فى ملكى وسلطانى وقيل معنى الآية أن الموالى والمماليك الله
رازقهم جميعا فهم في رزقهم سواء فلا تحسبن الموالى يردون رزاقهم على عماليتهم من عند
أنفسهم بل ذلك رزق الله اجراه على أيدي الموالى للمماليك والمقصود منه بيان أن الرزق هو
الله تعالى لجميع خلقه وأن الموالى والمماليك في ذلك الرزق سواء وأن المالك لا يرزق المملوك
وانما ذلك رزقى أجرته اليهم على أيديهم فالرزق للمالك والمملوك هو الله تعالى * ولما قرر
سبحانه وتعالى هذه الدلائل وبينها وأظهرها بحيث يفهمها كل عاقل كان ذلك انعاما عظيما منه
على الخلق فعند هذا قال (أفبينعمة الله) في تقرير هذه البيانات وايضاح هذه البيانات
(بمجدون) أي يكفرون وفي ذلك انكار على المشركين حيث مجدوا نعمته وعبدوا غيره وجعلوا
له شركاء بضيقون اليهم بعض ما نعم به عليهم فيستورون بينهم وبينه في ذلك وقرأ أشعبة بالساء على
الخطاب والباقون بالياء على الغيبة ثم انه تعالى ذكر نوعا آخر من أحوال الناس ليستدل به على
وجوه الاله الختار والحكيم وتبينها على انعام الله تعالى على عبيده بمثل هذه النعم بقوله تعالى
(والله) أي الذى له تمام القدرة وكال العلم (جعل لكم من أنفسكم أزواجا) أي من جنسكم
لتستأنسوا بها ولتكون أولادكم منكم فخلق حواء من ضلع آدم وسائر الناس من نطف الرجال
والنساء فهو خطاب عام فنقصه مباحا دم وحواله فقط خلاف اللبيل والمعنى أنه تعالى خلق
النساء لتتزوج بهن الذكور ومعنى من أنفسكم كقوله تعالى فاقبلوا أنفسكم فسلوا على

أنفسكم أي بعضكم بعضا ونظيره قوله تعالى ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا وجعل
 لكم من أزواجكم بنين وحفدة) والحفدة جمع حافد وهو المسرع بالخدمة المسارع الى الطاعة
 ومنه قول القانت واليك نسبي ونحفد أي نسرع الى طاعتك هذا أصله في اللغة واختلف فيه
 أقوال المفسرين فقال ابن مسعود والنخعي الحفدة أختان الرجل على بناءه وعن ابن مسعود
 انهم أصهاره فهو بمعنى الأول وعلى هذا يكون معنى الآية وجعل لكم من أزواجكم بنين
 وبنات تزوجوهن فيحصل لكم بسببهن الاختان والأصهار وقال الحسن وعكرمة والفضال لهم
 الخدم وقال مجاهد هم الاعوان وكل من أعانك فهو حفيدك وقال عطاءهم ولد الرجل الذين
 يعينونه ويخدمونه وقال الكلبي ومقاتل البنون هم الصغار والحفدة كبار الاولاد الذين
 يعينون الرجل الذين ليسوا منه أي اولاد المرأة من الزوج الأول قال الرازي والاولى
 دخول الكل فيه لان اللفظ محتمل للكل بحسب المعنى المشترك قال الرخشي ويجوز ان
 يراد بالحفدة البنون أنفسهم كانه قيل جعل لكم منهن اولادهم بنون وهم حافدون أي جامعون
 بين الامرين انتهى ومع هذا فالشهوران الحافد وولد الولد من الذكور والاناث * (فائدة) *
 قال الاطباء وأهل الطبيعة المتى اذا انصب الى الخصية اليمنى من الذكر ثم انصب منه الى
 الجانب الايمن من الرحم كان الولد ذكرا تاما في الذكورة واذا انصب من الخصية اليسرى ثم
 انصب الى الجانب الايسر من الرحم كان الولد أنثى تاما في الانوثة واذا انصب الى الخصية اليمنى
 وانصب منها الى الجانب الايسر من الرحم كان ذكرا في طبيعة الاناث واذا انصب الى الخصية
 اليسرى ثم انصب منها الى الجانب الايمن من الرحم كان هذا الولد أنثى في طبيعة الذكور
 وحاصل كلامهم ان الذكور الغالب عليهم الحرارة واليبوسة والغالب على الاناث البرودة
 والرطوبة وهذه العلة ضعيفة فان في النساء من مزاجها في غاية السخونة وفي الرجال من
 مزاجها في غاية البرودة فخالف الذكور والانثى هو الاله القادر الحكيم * ولما ذكر تعالى انعامه على
 عبده المنكوح وما ينه فيه من المنافع والمصالح ذكر انعامه عليهم بالطعومات الطبية فقال
 (ورزقكم من الطبيات) سواء كانت من النبات وهي الثمار والحبوب والاشربة أو كانت من
 الحيوان والمراد بالطيب المستلذ أو الحلال ومن في من الطبيات للتبعض لان كل الطبيات
 في الجنة وما طبيات الدنيا الامموزج منها واختلف في تفسير قوله تعالى (أفبالباطل يؤمنون)
 فقال ابن عباس يعني بالاصنام وقال مقاتل يعني بالشيطان وقال عطاء يستقون ان لى شريكا
 وصاحبة وولدا (وسمعت الله هم يكفرون) أي بأن يضيفوها الى غير الله تعالى ويتركون
 اضافتها الى الله تعالى وقيل الباطل ماسؤل لهم الشيطان من تحريم البجيرة والسائبة
 وغيرها ونعمة الله ما أحل لهم من هذه الطبيات وتحريم الخبائث * (فائدة) * رحمت نعمت
 هيا بالثناء ووقف عليها ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالهاء والباقون بالياء والكسائي يقرأ
 بالامالة * ولما شرح الله تعالى الدلائل على صحة التوحيد واتبعها ذكر أقسام النعم العظيمة
 اتبعها بالرد على عبدة الاصنام فقال (ويعبدون من دون الله) أي غيره (ملا يملك لهم رزقا)

أى تاركين عبادته من يسده جميع الارزاق وهو ذوالعلا المطلق الذى رزقهم من الطيبات
 ويعبدون غيره ثم بين تعالى جهة الرزق بقوله تعالى (من السموات والارض) ائاما للرزق
 الذى ياتى من جانب السماء فالطير وأما الذى من جانب الارض فالنبات والثمار التى تخرج
 منها وقوله تعالى (شياً) فيه ثلاثة أوجه أحدها أنه منصوب على المصدر أى لا يعك لهم ملكا
 أى شيئاً من الملك والثانى أنه بدل من رزق أى لا يعك لهم شيئاً قال ابن عادل وهذا غير مقيد
 اذ من المعلوم أن الرزق شئ من الاشياء ويؤيد ذلك أن البدل لا يأتى الا لخدم معينين البيان
 أو التأكيد وهذا ليس فيه بيان لانه أعم ولا تأكيد والثالث انه منصوب برزقا على انه اسم
 مصدر واسم المصدر يعمل عمل المصدر على خلاف في ذلك * ولما كان من لا يعك شيئاً قد يكون
 موصوفاً باستطاعة أن يتملك بطريق من الطرق نفي الله تعالى عنهم ذلك بقوله تعالى (ولا
 يستطيعون) أى وليس لهم نوع استطاعة أصلاً (فان قيل) انه تعالى قال ويعبدون من
 دون الله ما لا يعك فعبر عن الاصنام بصيغة ما وهى لغیر العاقل ثم جمع بالواو والنون فقال ولا
 يستطيعون وهو مختص بمن يعقل (أجيب) بأنه عبر عنها باننا اعتباراً باعتبار عقادهم انها آلهة وفى
 تفسير قوله تعالى (فلا تضر با الله الامثال) وجهان الأول قال أكثر المفسرين لا تشبهوا
 الله بخلقه فانه واحد لا مثل له ولا شبه ولا شريك من خلقه لان الخلق كلهم عبيده وفى مذكرة
 فكيف يشبه الخالق بالخلق والارزاق بالرزوق والقادر بالعاجز الثانى ان عبدة الاوثان
 كانوا يقولون ان الله العالم أجل وأعظم من ان يعبده الواحد منا بل نحن نعبد الكواكب
 أو نعبد هؤلاء الاصنام ثم ان الكواكب والاصنام عبيد الاله الاكبر الاعظم كان أصغر
 الناس يخدعون أكبر حقة الملك وأولئك الاكبر كانوا يخدعون الملك فكذا همنا (ان الله)
 أى الذى له الامر كله ولا امر لغيره (يعلم) أى خطأ ما أنتم عليه من ضرب الامثال (وأنتم
 لا تعلمون) ذلك وقيل معناه وأنتم لا تعلمون ما عليكم من العقاب العظيم بسبب عبادة هذه
 الاصنام ولو علمتموه لتركتم عبادتها * ولما ختم تعالى ابطال مذهب عبدة الاصنام بسبب
 العلم الذى هو مناط السداد عنهم أكد ذلك بضرب مثل بقوله تعالى (ضرب الله) أى الذى له
 كمال العلم وتمام القدرة (مثلاً) بالاحرار والعبيد ثم أبدل من مثلاً (عبداً) وقيد بقوله تعالى
 (تملوكاً) ليخرج الحر لان العبد يطلق على الحر بالنسبة الى الله تعالى وقيد بقوله تعالى (لا يقدر
 على شئ) ليخرج المكاتب ومن فيه شائبة حترية وهذا مثل شركائهم ثم عطف على عبداً قوله
 (ومن) أى وحرفهى نكرة موصوفة لطابق عبداً (رزقناه من رزقنا حسناً) أى واسعاً طيباً
 (فهو يتق منه) دائماً وهو معنى قوله تعالى (سرا وجهراً) أى يتصرف فيه كيف يشاء وهذا
 مثل الاله وله المثل الاعلى ثم بكتهم انكاراً عليهم بقوله تعالى (هل يستون) أى هذان
 الفريقان المثل بهما لان المراد الجنس فاذا كان لا يسوغ فى عقل أن يسوى بين مخلوقين
 أحدهما حتر مقتدر والاخر مخلوق عاجز فكيف يسوى بين هجر من صوان وغيره وبين الله
 تعالى الذى له القدرة التامة على كل شئ وقيل ذلك تمثيل للكافر الخذول والمؤمن الموفق

* (تنبيه) * جواب هل يستون هو لا يستون وقوله تعالى (الحمد لله) قال ابن عباس الحمد لله
 على ما فعل باوليائه وأنعم عليهم بالتوحيد وقيل المعنى ان كل الحمد لله وليس شئ من الحمد
 للاضنام لانه لانعمة لها على أحد لانها جاد عاجز أى انما الحمد لله لا لغيره فيجب على جميع العباد
 حمد الله لانه تعالى أهل المحامد والنساء الحسن فكانهم قالوا نحن نعلم ذلك فقيل (بل أكثرهم)
 أى الكفار (لا يعلون) لكونهم يسؤونه غيره ومن نفى عنه أصل العلم الذى هو أعلى صفات
 الكمال سكان فى عداد الانعام فهم لذلك يشبهون به ما ذكر وبضربون له الامثال الباطلة
 ويضيقون نعمه الى غيره ثم انه تعالى ضرب لعبد الاوثان مثلا آخر بقوله تعالى (وضرب الله
 مثلا) ثم أبدل منه (رجلين) ثم استأنف البيان لما أجل فقال (أحدهما أبكم) وهو الذى
 ولد أخرس فكل أبكم أخرس وليس كل أخرس أبكم وروى ثعلب عن ابن الاعرابى الابكم
 الذى لا يسمع ولا يبصر وصف الله تعالى هذا الرجل بصفة ثانية بقوله تعالى (لا يقدر على شئ)
 لانه لا يفهم ولا يفهم وفى ذلك اشارة الى العجز التام والنقصان الكامل ثم وصفه الله تعالى
 بصفة ثالثة بقوله تعالى (وهو) أى ذلك الابكم العاجز (كل على مولاة) أى ثقيل على من ولى
 أمره ويعوله قال أهل المعاني أصله من الغلط الذى هو نقيض الحذو يقال كل السكين اذا
 غلظت شفرته فلم تقطع وكل اللسان اذا غلظ فلم يقدر على الكلام وكل فلان عن الامر اذا نقل
 علمه فلم ينهض فيه ثم وصفه تعالى بصفة رابعة بقوله (أى بما يواجهه) أى يرسله ويصرفه ذلك المولى
 (آيات بحير) لانه عاجز لا يحسن ولا يفهم قيل هذا مثل شركائهم الذين هم عيال ووبال على
 عبدتهم ويجهلهم الله تعالى بقوله (هل يستوى هو) أى هذا الموصوف بهذه الصفات الاربع
 (ومن) أى ورجل آخر على ضد صفته فهو ناطق قادر عالم فطن قوى خير مبارك مسمون (يأمر)
 أى ورجل آخر يأمر بحاله من العلم والقدرة (بالعدل) أى يبذل النصيحة لغيره (وهو) فى نفسه
 ظاهر او باطنا (على صراط) أى طريق واضح (مستقيم) أى عامل فيه بما يأمر به قبل هذا مثال
 المعبود بالحق الذى يكنى عابديه جميع المؤمن وهو دال على كمال علمه وتمام قدرته وقيل المراد
 من هذا الابكم عبد لعثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه كان ذلك العبد يكره الاسلام وما كان
 فيه خير ومولاه وهو عثمان يأمر بالعدل وكان على الدين القويم والصراط المستقيم وقيل
 المراد كل عبد موصوف بهذه الصفات المذمومة وكل حرم موصوف بتلك الصفات المبيدة
 وهذا القول كما قال الرازى أولى من الاول لان وصفه تعالى اياهما بكونهما جليلين يمنع من
 حمل ذلك على الوثن وكذلك بالبكم وبالك وبالتوجه فى جهات المنافع وكذلك وصف الآخر
 بأنه على صراط مستقيم يمنع من حمله على الله تعالى وأيضاً المقصود تشبيه صورة بصورة فى أمر
 من الامور وذلك التشبيه لا يتم الا عند كون احدى صورتين مغايرة للآخرى وأما القول
 الثانى فضعيف أيضاً لان المقصود ابانة التفرقة بين رجلين موصوفين بالصفات المذكورة وذلك
 غير مختص بشخص معين بل اذا حصل التفاوت فى الصفات المذكورة فانه يحصل المقصود
 ثم وصف سبحانه وتعالى نفسه بكمال العلم بقوله تعالى (ولله) أى لا لغيره (هيب السموات)

والارض) وهو ما غاب فيه ما عن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل الغيب
 هنا هو قيام الساعة فان علمه غاب عن اهل السموات والارض ثم وصف سبحانه وتعالى كمال
 قدرته بقوله تعالى (وما امر الساعة) وهو الوقت الذي يكون فيه البعث (الا كلح البصر)
 أي الا كرجع الطرف من أعلى الحدقة الى أسفلها والمعنى وما امر قيام الساعة في السرعة
 والسهولة الا كطرف العين والمراد منه تقدير كمال القدرة ومعنى قوله تعالى (أوهو أقرب)
 ان لمح البصر عبارة عن انتقال الجسم المسمى بالطرف من أعلى الحدقة الى أسفلها ولا شك
 أن الحدقة مؤلفة من أجزاء فلح البصر عبارة عن المرور على جلة تلك الاجزاء التي منها تألف
 الحدقة ولا شك أن تلك الاجزاء كثيرة والزمان الذي يحصل فيه لمح البصر مركب من
 آتات متعاقبة والله تعالى قادر على اقامة القيامة في آن واحد من تلك الآتات فلذلك قال
 أوهو أقرب الا انه لما كان أسرع الاحوال والحوادث في عقولنا وأفكارنا هو لمح البصر لا جرم
 ذكره ثم قال أوهو أقرب تنبها على ما مر ولا شبهة في أنه ليس المراد طريقة الشك فالمراد اذا
 بل هو أقرب وقال الزجاج المراد به الاجهام على مخاطبين لانه تعالى يأتي بالساعة اما بقدر
 لمح البصر أو بما هو أسرع وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخي فهو عند الله كالشيء
 الذي تقولون فيه هو كلح البصر أوهو أقرب مبالغة كقوله تعالى وان يوما عند ربك كالف
 سنة مما تعدون (ان الله) أي الملك الاعظم (على كل شيء قدير) فيقدر على ان يحيي الخلائق
 دفعة واحدة كما قدر على احياهم فانه تعالى مهما اراده كان في أسرع ما يكون ثم انه تعالى عاد
 الى الدلائل الدالة على وجود الصانع المختار فعمط على قوله تعالى والله جعل لكم من انفسكم
 أزواجا قوله عز وجل (والله) أي الذي له العظمة كلها (أخرجكم) بقدرته (من بطون
 أمهاتكم) حال كونكم عند الاخراج (لأن بطون شيئا) من الاشياء اقل أو جل فالذي
 أخرجكم منها قادر على اخراجكم من بطون الارض بلا فرق بل بطريق الاولى وقرأ حمزة
 والكسائي بكسر الهمزة والباقون بضمها وقرأ حمزة بكسر الميم والباقون بفتحها ثم عطف على
 أخرجكم قوله تعالى (وجعل لكم السمع والابصار والافتدة) آلات لازالة الجهل الذي وقعت
 الولادة عليه ووفق مواضعها وسواها وعدلها وأنتم في البطون حيث لا تصل اليه يد ولا يتمكن
 من شق شيء منه باآلة فالذي قدر على ذلك في البطن ابداعا قادر على اعادته في بطن الارض بل
 بطريق الاولى قال البقاعي وله له تعالى جمعها أي الابصار والافتدة دون السمع لان التفاوت
 فيها أكثر من التفاوت فيه بما لا يعلمه الا الله والافتدة هي القلوب التي هيها الله تعالى لفهم
 وامساح البدن بما أودعهما من الحرارة الطيبة للمعاني الدقيقة (العلتكم تشكرون) لتصبروا
 بمعارف القلوب التي وهبكموها اذا سمعتم المواعظ وأبصرت الآيات في حال يرحى فيها شكركم
 لما أفاض عليكم من لطائف صنعته بأن تعرفوا ما له من العلم والقدرة فانه انما أنتم عنكم بهذه
 الحواس لتستعملوها في شكر من أنعم بها عليكم (فان قيل) عطف وجعل لكم السمع على
 أخرجكم يقتضي أن يكون جعل السمع والبصر متأخرين عن الاخراج من البطون مع أن

الامر ليس كذلك (أجيب) بأن حرف الواو لا يوجب الترتيب وأيضاً اذا جعلنا السمع على
 الاستماع والابصار على الرؤية زال السؤال ثم انه تعالى ذكر دليلاً آخر على كمال قدرته وحكمته
 بقوله تعالى (ألم يروا الى الطير مسخرات) أى مذلات للطيران (فى جوار السماء) أى فى الهواء
 بين الخفافين مما لا يقدرون عليه بوجه من الوجوه مع مشاركتكم لها فى السمع والبصر
 وزيادتكم عليها بالعقول فعلم قطعاً أنه تعالى خلق الطير مخلقة معها يمكنه الطيران فيها والامان
 أمكن ذلك لانه تعالى أعطى الطير جناحاً يسطه مرة ويكسره مرة أخرى مثل ما يعمل
 السابح فى الماء وخلق الجو مخلقة لطيفة ورقية يسهل خرقة والنفاذ فيه ولولا ذلك لما كان
 الطيران ممكناً مع ذلك (ما يسكنون) فى الجوع عن الوقوع (الآله) أى الملك الاعظم فان جسد
 الطير جسم ثقيل والجسم الثقيل يتبع بقاؤه فى الجوع معلقاً من غير دعامة تحته ولا علاقة فوقه
 فوجب أن يكون المسك له فى ذلك الجو هو الله تعالى وقرأ ابن عاصم وحزرة بالياء على أنه
 خطاب العامة والباقون بالياء على الغيبة (آن فى ذلك) المذكور (لايات) أى دلالات
 (لقوم يؤمنون) وخصهم بذلك لانهم هم المستفوعون بها وان كانت هذه الايات آيات لكل
 العقلاء ثم ذكر تعالى نوعاً آخر من دلائل التوحيد بقوله تعالى (والله) أى الذى له الحكمة
 البالغة (جعل لكم من بيوتكم) وأصل البيت المأوى ليلاً ثم اتسع فيه (سكناً) أى موضعاً
 لتسكنوا فيه * (تبيه) * البيوت التى يسكن الانسان فيها على قسمين أحدهما البيوت المتخذة
 من الخشب والطين والآلات التى بها يمكن تسقيف البيوت واليها الاشارة بقوله تعالى والله
 جعل لكم من بيوتكم سكناً وهذا القسم من البيوت لا يمكن نقلها بل الانسان ينقل اليها
 والقسم الثانى القباب والخيام والقساطيط واليها الاشارة بقوله تعالى (وجعل لكم من
 جلود الأنعام بيوتا) المتخذة من الادم ويجوز أن يتناول المتخذة من الوبر والوصوف والشعر
 فانها من حيث انها ثابتة على جلودها بصدق عليها انها من جلودها (تستغفونها) أى تغفونها
 خفيفة يخفف عليكم حملها ونقلها (يوم نضعكم) أى وقت ترحالكم وعبر باليوم لان الترحال
 فى النهار (ويوم أقامتكم) أى وقت الحضر أو وقت النزول وهذا القسم من البيوت يمكن
 نقلها وتحملها من مكان الى مكان وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح العين والباقون
 بالسكون وأضاف قوله تعالى (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها) الى ضمير الأنعام لانها
 من جلثها قال المفسرون وأهل اللغة الاصواف للضأن والابواللابيل والاشعار للمعز (أماناً)
 أى ما يلبس ويفرش (ومتاعاً) أى ما يتعجب به وقيل الاثا ما يكتبى به المرء ويستعمله فى الغطاء
 والوطاء والمتاع ما يفرش فى المنازل ويتزين به واختلف فى معنى قوله تعالى (الى حين) فقيل الى
 حين تلبى وقيل الى حين الموت وقيل الى حين بعد حين وقيل الى يوم القيامة * (تبيه) * فى نصب
 أماناً وجهان أحدهما أنه منصوب عطف على بيوتاً أى جعل لكم من أصوافها أماناً والثانى
 أنه منصوب على الحال واعلم أن الانسان أماناً أن يكون مقبلاً ومسافراً والمسافر أماناً أن يكون
 قنبراً يستحب معه الخيام أولاً فالقسم الاقرب اشارة اليه بقوله تعالى جعل لكم من بيوتكم سكناً

وأشار إلى القسم الثاني بقوله تعالى وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا وأشار إلى القسم الثالث بقوله تعالى (وآلله) أي الذي له الجلال والاکرام (جعل لكم) أي من غير حاجة منه تعالى (مما خلق) من شجر وجمال وأغنية وغيرها وقوله تعالى (ظللاً) جمع ظل تتقون به شدة الحر وقوله تعالى (وجعل لكم) مع غناه المطلق (من الجبال أكنافاً) جمع كن موضع تسكنون فيه من الكهوف والبيوت المحيطة فيها (وجعل لكم) أي امتناناً منه عليكم (سرايل) جمع سربال قال الزجاج كل ما لبسته فهو سربال من قبض أودع أو جوشن أو غيره أي وسواء كان من صوف أو قطن أو غير ذلك (تقبكم الحر) ولم يقل تعالى والبرد لتقدمه في قوله تعالى فيها دفء وقيل انه اكتفى بأحد المتقابلين وقيل كان الخطابون بهذا الكلام العرب وبلادهم حارة فكان حاجتهم إلى ما ينفع الحر فوق حاجتهم إلى ما ينفع البرد كما قال تعالى ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أسنن وأشرف الآية تعالى ذكر ذلك النوع لانه كان الفهم بها أشد واعتيادهم للبسها أكثر ولما كانت السرايل نوعاً واحداً لم يرد رلفظ جعل فقال

(وسرايل) أي دروعاً من حديد وغيرها (تقبكم بأسكم) أي حربكم أي في الطعن والضرب فيها * ولما عد الله تعالى أنواع نعمته قال (كذلك) أي كتمام هذه النعمة المتقدمة (بتم) نعمته عليكم في الدنيا والدين بالبيان والهداية لطريق النجاة والمنافع والتنبيه على دقائق ذلك (اعلمكم) يا أهل مكة (تأملون) أي تخلصون لله الربوبية وتعلمون أنه لا يقدر على هذه الانعامات أحدهما وقيل تعلمون من الجراح بلبس الدروع (فإن تولوا) فلم يقبلوا منك وآثروا لذات الدنيا ومتابعة الآباء والمعاداة في الكفر (فانما عليك) يا أفضل الخلق (البلاغ المبين) هذا جواب الشرط وفي الحقيقة جواب الشرط محذوف أي فقد عهدتكم بعد ما أدت ما وجب عليكم من التبليغ فذكر سبب العذر وهو البلاغ ليدل على المسبب وذلك لأن تبليغه سبب في عذره فأقيم السبب مقام المسبب وهذا قبل الأمر بالقتال ثم أتى تعالى ذمهم بأنهم (يعرفون نعمة الله) أي الملك الأعظم التي تقدمت بعضها في هذه السورة وغيرها (ثم يتكرونها) بعبادتهم غير المنعم بها وقال السدي نعمة الله يعني محمد صلى الله عليه وسلم أنكروه وكذبوه وقيل نعمة الله هي الاسلام وهو من أعظم النعم التي أنعم الله تعالى بها على عباده ثم إن كفار مكة أنكروه وبجده واختلف في معنى قوله تعالى (وأكثرهم الكافرون) مع أنهم كلهم كانوا كافرين على وجوه الاقوال انما قال تعالى وأكثرهم لانه كان فيهم من لم تقم عليه الحجة عن لم يبلغ حد التكليف أو كان ناقص العقل فأراد بالاكثير البالغين الاصحاء الثاني أن يكون المراد بالكافر الجاحد المعاند وكان فيهم من لم يكن معانداً بل كان جاهلاً بصدق الرسول وما ظهر له كونه نبياً حقيقاً من عنده الثالث انه ذكر الاكثر والمراد الجميع لأن أكثر النسخ يقوم مقام الكل فذكر الاكثر كذا في الجميع وهذا كقوله تعالى الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون * ولما بين تعالى من حال القوم انهم عرفوا نعمة الله ثم أنكروها وذكر أيضاً من حالهم أن أكثرهم كافرون أتبعها بالوعيد فذكر حال يوم القيامة بقوله تعالى (ويوم) أي ونعزفهم

يوم أو واذ كرلهم يوم (بعث) بعد البعث (من كل أمة شهيدا) هونبها كما قال تعالى
فكيف اذا اجتمعنا من كل أمة بشهيد وبعثناك على هؤلاء شهيدا يشهد نبيها وعلما يوم
القيامة ليحكم تعالى بقوله اجراء للامر على ما تعارفون وان كان تعالى خنيا عن شهيد وقوله
تعالى (تم لا يؤذن للذين كفروا) فيه وجوه أحدها لا يؤذن لهم في الاعتذار كقوله تعالى ولا
يؤذن لهم فيعتذرون ثانيها لا يؤذن لهم في كثرة الكلام ثالثها لا يؤذن لهم في الرجوع الى
دار الدنيا والى التكليف رابعها لا يؤذن لهم في حال شهادة الشهود بل يسكت أهل الجمع كلهم
ليشهد الشهود (فان قيل) ما معنى ثم ههنا (أجيب) بأن معناها أنهم يعفون أي يتلون بغير
شهادة الانبياء عليهم السلام عما هو أطم منها وانهم يعفون الكلام فلا يؤذن لهم في القاء معذرة
ولادلاء بحجة (ولا هم يستغنيون) أي لاتزال عنياهم وهي ما يعفون علم او يلامون يقال
استغيت فلانا يعني اعنته اي ازلت عنياه (واذ رأى الذين ظلموا) أي ظلوا أنفسهم بالكفر
والمعاصي (العذاب) أي عذاب جهنم بعد الموقف وشهادة الشهداء (فلا يحصف عنهم)
ذلك العذاب (ولا هم ينظرون) أي لا يعجلون * ولما بين تعالى حاصل أمرهم في البعث وما بعده
وكان من أهم المهتم أمرهم في الموقف مع شركائهم الذين كانوا يرجونهم عطف على ذلك بقوله
تعالى (واذ رأى) أي بالعين يوم القيامة (الذين أشركوا شركاههم) أي الالهة التي كانوا
يدعونها شركاء من الشياطين وغيرها (قالوا ربنا) أي يا من أحسن النياور بنا (هؤلاء أشركوا بنا)
أضافوهم الى أنفسهم لانه لاحقيقة لشركتهم سوى تسميتهم لها الموجبة لضرتهم ثم ينو
المراد بقولهم (الذين كانوا) أي نعبدهم (من دونك) ليقر بونا اليك فأكرمنا لاجلهم جريا
على مناهجهم في الدنيا في الحول والعبادة تخاف شركائهم من عواقب هذا القول والاقرار
عليه سطوات الغضب (فألقوا) أي الشركاء (اليهم) أي المشركين (القول) أي بادروا به حتى
كان اسراعهم اليه اسراع شئ ثقيل يلقى من علو أو كدوا قولهم فقالوا (أنكم لكانون)
في جعلنا شركاء أو أنكم عبدتوا حقيقة وانما عبدتم أهواءكم كقوله تعالى كلا سيكفرون
بعبادتهم ولا يعد أن تطلق الاصنام بذلك يومئذ في انهم حلوههم على الكفر وأرؤهم اياه
كقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي (والقوا) أي الشركاء
(الى الله) أي الملك الاعلى (يومئذ) أي يوم القيامة (السلام) أي الاستسلام بحكمه بعد
الاستكبار في الدنيا (ووصل) أي غاب (عنهم) أي الكفار (ما كانوا يفترون) أي من أن
آلهتهم تشفع لهم * ولما ذكر تعالى وعيد الذين كفروا أتبعه بوعيد من ضم الى كفره صد الغير
عن سبيل الله بقوله تعالى (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) أي ضجوا مع كفرهم انهم
منعوا الناس عن الدخول في الايمان بالله وبرسوله (زدناهم عذابا) لصدتهم (فوق العذاب)
المستحق بكفرهم (بما كانوا يفسدون) أي يكونهم مفسدين بصدتهم وقيل زدناهم عذابا باهيات
وعقاب كال مثال البعث يستغيثون بالهرب منها الى النار ومنهم من ذكر أن لكل عقرب سقاة
تفرق في كل نقرة لئلا تله من سم وقيل عتارب لها أنياب كالفضل الطوال ثم كرر سبحانه

وتعالى التعذير من ذلك اليوم على وجه يزيد على ما أفهمته الآية السابقة وهو أن الشهادتين تقع على الامم لالهم وتكون بحضورهم فقال (ويوم) أي وخوفهم أو وادكر لهم يوم (نبئت) أي بمالئمن القدرة (في كل أمة) من الامم والامة عبارة عن القرن والجماعة (شهدا عليهم) قال ابن عباس يريد الانبياء قال المفسرون كل نبي شاهد على أمته وهو عدل شاهد عليها (من أنفسهم) أي منهم لأن كل نبي انما بعث من قومه الذين بعث اليهم ليشهدوا عليهم بما فعلوا من كفر وإيمان وطاعة وعصيان (وجئنا) بمالئمن العظيمة (بك) يا خير المرسلين (شهدا) على هؤلاء أي الذين بعثنا اليهم وهم أهل الارض وأكثرهم ليس من قومه صلى الله عليه وسلم ولذلك لم تقيد بعنته بشئ وقال ابو بكر الاصم المراد بذلك الشهيد هو أنه تعالى ينطق عشرة من أعضاء الانسان حتى انها تشهد عليه وهو الاذان والعينان والرحلان واليدان والجلد واللسان قال والدليل عليه ما قاله في صفة الشهيد أنه من أنفسهم وهذه الاعضاء لا شك أنهم من أنفسهم ورد بأنه تعالى قال شهدا عليهم فيجب أن يكون غيرهم وأيضا قال من كل أمة فيجب أن يكون ذلك الشهيد من الامة واحدا هذه الاعضاء لا يصح وصفها بأفعال الامة ثم بين تعالى أنه أزاح عنهم فيما كانوا يفلحون لاجلهم ولا معةذرة بقوله تعالى (وزننا) أي بعظمتنا محسب التدريج والتنجيم (عليك) يا خير خلق الله (الكتاب) أي القرآن الجامع لهدى (تبيانا) أي بيانا بليغا (لكل شئ) (فان قيل) كيف كان القرآن تبيانا لكل شئ (أجيب) بأن المعنى من كل شئ من أمور الدين حيث كان نصاعلي بعضها واحالة على السنة حيث أمر فيه باتباع النبي صلى الله عليه وسلم وطاعته وقد قال تعالى وما ينطق عن الهوى وحنا على الاجماع في قوله تعالى ويبتع غير سبيل المؤمنين وقد رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لامة اتباع اصحابه والاقداء بآثارهم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطوا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس والاجتهاد مسندة الى تبيان الكتاب فمن ثم كان تبيانا لكل شئ (وهدى) أي من الضلالة (ورحة) لمن آمن به وصدق (وبشري) بالجنة (للمسلمين) أي الموحدون خاصة * ولما استقصى سبحانه وتعالى في شرح الوعد والوعيد والرغبة والترهيب أتبعه بقوله (ان الله) أي الملك المستجمع لصفات الكمال (يا أمر بالعدل) قال ابن عباس في بعض الروايات العدل شهادة أن لا اله الا الله (والاحسان) أداء الفرائض وقال في رواية أخرى العدل خلع الانداد والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه وأن تحب للناس ما تحب لنفسك فان كان مؤمنا أحببت له أن يزداد إيمانا وان كان كافرا أحببت له أن يكون أخاك في الاسلام وقال في رواية ثالثة العدل هو التوحيد والاحسان هو الاخلاص فيه وقال آخرون يعنى بالعدل في الافعال والاحسان في الاقوال فلا تفعل الا ما هو عدل ولا تقتل الا ما هو احسان وأصل العدل المساواة في كل شئ من غير زيادة ولا نقصان فالعدل هو المساواة في المكافاة ان خيرا فخير وان شرا فشر والاحسان أن تقابل الخير بأكثر منه والشرب أن تهفوعنه وعن الشعبي قال عيسى بن مريم انما الاحسان أن تحسن

الى من أساء اليك ليس الاحسان أن تحسن الى من أحسن اليك وقيل العدل الانصاف
 والانصاف أعدل من الاعتراف للمنعم بأفعاله والاحسان ان تحسن الى من أساء اليك
 وعن محمد بن كعب القرظي قال دعاني عمر بن عبد العزيز فقال صف لي العدل فقلت يحسنت
 عن أمر جسيم كن لصغير الناس أبا ولكبيرهم ابنا وللمثل منهم أبا وللساء كذلك (وايتام)
 أي ومن الاحسان ايتام (ذو القربى) أي القرابة القربى والبعدى فيندب أن تصلهم من فضل
 ما رزقك الله فان لم يكن لك فضل فدعاهم حسن وتودد وروى أبو سلمة عن أبيه أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال ان أجعل الطاعة ثوابا صله الرحم ان أهل هذا البيت ليكونون تجارا
 فتمني أموالهم ويكثر عددهم اذا وصلوا رحمتهم * وما أمر تعالى بالكارم نهى عن المساوي
 بقوله تعالى (وينهي عن الفحشاء) قال ابن عباس أي الزنا فانه اقبح احوال الانسان
 وأشنعها وقال غيره الفحشاء ما وقع من القول والفعل فبدخل فيه الزنا وغيره من جميع
 الاقوال والافعال المذمومة جميعها (والمسكر) قال ابن عباس يعني الشرك والكفر وقال غيره
 المسكر ما لا يعرف في شريعة أو سنة (والبغى) هو الاستيلاء على الناس والتعير عليهم قيل ان
 أجعل المعاصي عقابا للبغي ولو أن جبلين بغى أحدهما على الآخر لك الباغى ونص تعالى على
 البغي مع دخوله في المنكر اهتما مابه كما بدأ بالفحشاء لذلك وقال ابن قتيبة في هذه الآية العدل
 استواء السر والعلانية والاحسان أن تكون سريرة خيرا من علانيته والفحشاء والمنكر
 والبغي أن تكون علانيته أحسن من سريرته وقال بعض العلماء ان الله تعالى ذكر من
 الأمور ثلاثة أسياء ومن المنهيات ثلاثة أسياء فذكر العدل وهو الانصاف والمساواة
 في الاقوال والافعال وذكر في مقابلته الفحشاء وهو ما وقع من الاقوال والافعال وذكر
 الاحسان وهو ان يعرف عن ظلمه ويحسن الى من أساء اليه وذكر في مقابلته المنكر
 وهو أن ينكر احسان من أحسن اليه وذكر ايتام ذى القربى والمراد به صلة القرابة
 والتودد اليهم والشفقة عليهم وذكر في مقابلته البغي وهو أن يتكبر عليهم ويظلمهم
 حقوقهم ولما كان هذا المذكور من أبلغ المواظبة عليه بقوله تعالى (به ظلمكم) أي بأمركم
 بما يرقق قلوبكم من مصاحبة الثلاثة الاول وهي العدل والاحسان وايتام ذى القربى ومجانبة
 الثلاثة الاخيرة وهي الفحشاء والمنكر والبغي (لعلكم تذكرون) أي لكي تتعظوا فتمتعوا بما
 فيه رضا الله تعالى وقرأه من حصة والكسائي بضم السين والباقيون بالتشديد وفيه ادغام
 التاء في الاصل في الذال وروى البيهقي في شعب اليمان عن ابن مسعود انه قال أعظم آية
 في كتاب الله تعالى الله لا اله الا هو الحي القيوم وأجمع آية في كتاب الله الغبر والشرا آية التي
 في التحل ان الله يأمر بالعدل والاحسان وأكثر آية في كتاب الله تقويضا ومن يتق الله يجعل له
 مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وأشد آية في كتاب الله تعالى رجاء قل يا عبادي الذي أسرفوا
 على أنفسهم الآية وقال أهل المعاني لما قال الله تعالى في الآية الاولى وزنا على ذلك الكتاب
 تبيان لكل شيء بين في هذه الآية المأمور به والمنهى عنه على سبيل الاجمال فما من شيء يحتاج

اليه الناس في أمر دينهم مما يجب أن يوثق به أو يترك الا وقد اشتمت عليه هذه الآية وعن
 قتادة ليس من خلق حسن كان من أهل الجاهلية يعملون به ويعظمونه ويخشونه الأمر الله
 تعالى به وليس من خلق سيئ كانوا يعارون به بينهم الا نهي الله عنه وعن عكرمة ان النبي صلى الله
 عليه وسلم قرأ على الوليد بن المغيرة ان الله يأمر بالعدل والاحسان الى آخر الآية فقال له يا ابن
 أخي أعد علي فأعادها عليه فقال الوليد والله ان له لخلوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمخر وان
 أسفله لمغدر وما هو بقول البشر ولما تقررت هذه الجمل التي جمعت بجمعها المأمورات والمنهيات
 ما تضيق عنه الدفاتر والصدور وشهد لها المعاندون من بلغاء العرب انها بلغت من البلاغة
 مبدأ ما يحصل به غاية السرور وذكر بعض تلك الاقسام وبدأ بما هو مع جمعه أهم وهو الوفاء بالعهد
 بقوله تعالى (وأوفوا) أي أوفوا الوفاء الذي لا وفاء في الحقيقة غيره (بعهد الله) أي الملك
 الاعلى الذي عاهدكم عليه بآدلة العقل من التوحيد والبيع والايان وغيرهما من أصول الدين
 وفروعه (إذا عاهدتم) بتقبا لكم له باذعانكم لامثاله (ولا تنقضوا الايمان) واحتز عن لغو اليمين
 بقوله تعالى (بعدنوكيها) أي تشديدها فتحشوا فيها وفي ذلك دليل على أن المراد بالعهد غير
 اليمين لانه أعم منه قرأ أبو عمر وبادغام الدال في التاء بخلاف عنه (والاحمال انكم) قد جعلتم
 الله أي الذي له العظمة كلها (عليكم كفيلا) أي شاهدا ورقيبا وقرأ نافع وابن كثير وابن
 ذكوان وعاصم باظهار الدال قد عند الجيم والباقون بالادغام وعن جابر رضى الله عنه قال نزلت
 هذه الآية في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم كان من أسلم بايع على الاسلام فقال تعالى وأوفوا
 بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعدنوكيها فلا تنقضوا لكم قله تمجدا وأصحابه وكثرة
 المشركين أن تنقضوا البيعة التي بايعتم على الاسلام (ان الله) أي الذي له الاحاطة الكاملة
 (يعلم ما تفعلون) من وفاء العهد ونقضه ثم ضرب الله تعالى لنعص العهد مثلا فقال (ولا تكونوا)
 أي في نقض العهد (كألقى نقضت غزلهما) أي ما غزله فهو مصدر يعنى المنهول (من بعد قوة)
 أي ابرام واحكام وقوله تعالى (أنكأنا) جمع نكث وهو ما ينقض من الغزل والحبل قال مقاتل
 هذه امرأة من قريش يقال لها راطة وقيل ربيعة وتلقب بجعوا وكانت خرقاء حقا لها وسوسة
 اتخذت مغزلا قد رذراع وصنارة مثل اصبع وناكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل من الصوف
 والشعر والوبرهي وجواربها من الغداة الى الظهر ثم تأمر من فينقض مغزلها وكان هذا ذاتها
 وقال السدي كانت امرأة بكة تسمى خرقاء بكة تغزل فاذا برمت غزلهما نقضته وقال مجاهد
 نقضت حبلةا بعد ابرامها اياه وقال قتادة لو سمعت امرأة نقضت غزلهما من بعد ابرامه لقتلت
 ما أحق هذه وهذا مثل ضرب به الله لمن نكث عهده وقال في قوله تعالى (تخذون ايمانكم دخلا
 يذكركم) خيانة وغدر انتهى والدخل ما يدخل في الشيء على سبيل الفساد وقيل الدخل والدغل
 أن يظهر الرجل الوفاء بالعهد ويصطن نقضه وانما صكاوا به ليعلمون ذلك (أن) أي بسبب
 أن (تكونن) أو مخافة أن تكونن وتكون يجوز أن تكونن نائمة فتكونن (أمة) أي جماعة
 فاعلمها وان تكونن نائمة فتكونن أمة اسمها و(هي) مبتدأ و(أبي) أي أكثر (من أمة)

خبزه والجملة في محل نصب على الحال على الوجه الاقل وفي موضع الخبر على الثاني وأرى مأخوذ
 من رب الشيء ربو اذا زاد وهذه الزيادة قد تكون في العدد وفي القوة وفي الشرف فال مجاهد
 كانوا يحالفون الحلفاء ثم يجردون من كان أعز منهم وأشرف فينقضون حلف الاولين
 ويحالفون هؤلاء الذين هم أعز فنهاهم الله تعالى عن ذلك (انما يلوكم الله) الذي له الملك كله أي
 يحسبكم (به) أي يعاملكم معاملة المختبر ليظهر للناس تمسككم بالوفاء وانخلاصكم عنه اعتمادا
 على كثره أنصاركم وقلة أنصار من نقضتم عهده من المؤمنين أو غيرهم مع قدرته سبحانه وتعالى
 على ما يريد فبوشك أن يعاقب بالخالفه فيضعف القوى ويقال الكثير ويكثر القليل (وليبين
 لكم) أي اذا تجلب لفصل القضاء (يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) أي اذا جازاكم على
 أعمالكم بالثواب والعقاب فاحذروا يوم العرض على مالك السموات والارض وأن من
 نوقس الحساب يهلك (ولو شاء الله) أي الملك الاعلى الذي لا أثر لاحد معه أن يجعلكم أمة
 واحدة لا خلاف بينكم في أصول الدين ولا فروعه (لجعلكم أمة واحدة) أي متفقة على أمر
 واحد وهو دين الاسلام (ولكن) يشاذلك بل شاء اختلافكم فهو تعالى (يضل من يشاء)
 عدلانته تعالى لانه تام الملك ولو كان الذي أضله على أحسن الحالات (ويهدى) بفضله (من
 يشاء) ولو كان على أسخس الحالات والاحوال فبذلك تكونون مختلفين لا يستل عما يفعل
 سبحانه وتعالى وتلتثلن عما كنتم تعملون في الدنيا فيجازي المحسن باحسانه ويعاقب المسيء
 بعدله تعالى ولما حذر سبحانه وتعالى عن نقض العهد والايان مطلقا قال تعالى (ولا تضدوا
 أيمانكم دخلا) أي فسادا ومكرا وخديعة (بينكم) وليس المراد منه التهذير عن نقض مطلق
 الايمان والالزم التكرار الخالي عن الفائدة في موضع واحد بل المراد نهى أولئك الاقوام
 المخاطبين بهذا الخطاب عن بعض ايمان مخصوصة أقدموا عليها فلهذا المعنى قال المفسرون
 المراد نهى الذين بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم عن نقض العهد لان قوله تعالى (فتزل) أي
 فيكون ذلك سببلا نزل (قدم) هي في غاية العظمة (بعد شويتها) أي عن مركزها التي كانت به
 من دين أو دنيا فلا يصيرها قرار فتقطع عن مرتبتها لا يلبق بنقض عهد قبله وانما يلبق بنقض عهد
 رسول الله صلى الله عليه وسلم على الايمان به وبشرائعه * (تبيه) * فتزل منصوب باضمار أن على
 جواب النهي وزلل القدم مثل يذرك لكل من وقع في بلاء بعد عافية أو سقط في ورطة بعد سلامة
 أو محنة بعد نعمة (وتذوقوا السوء) أي العذاب في الدنيا (عما) أي بسبب ما (صددتم) أي أنفسكم
 ومنعتم غيركم بأيمانكم التي قد أردتم بها الافساد وخفاء الحق (عن سبيل الله) أي دينه وذلك
 أن من نقض العهد سهل على غيره طرق نقض العهد فيستن به (ولكم) مع ذلك (عذاب عظيم)
 أي ثابت غير منقذ اذا متم على ذلك ثم أكد سبحانه وتعالى هذا التهذير بقوله تعالى (ولا تشتروا)
 أي ولا تكلفوا أنفسكم لهما جازر كاللنظر أن تأخذوا وتستبدلوا (بعهد الله) الذي له الكمال
 كله (ثمنا قليلا) أي من حطام الدنيا وان كنتم تزونه كثيرا ثم علل قلبه بقوله تعالى (انما عند الله)

أى الذى له الجلال والاکرام من ثواب الدارين (هو خير لكم) ولا يعدل عن الخير الى غيره
 الابلوج ناقص العقل ثم شرط علم خبرته لكونهم من ذوى العلم بقوله تعالى (ان كنتم تعلمون)
 أى ان كنتم من أهل العلم والتمييز فتعلمون فضل ما بين العوضين ثم بين ذلك بقوله تعالى (ما عندكم)
 أى من متاع الدنيا ولذاتها (بتقد) أى يفتى فصاحبه منقوص العيش أشد ما يكون به اعتبارا
 بانقطاعه (وما عند الله) أى الذى له الامر كله من ثواب الآخرة ونعيم الجنة (باق) أى دائم روى
 عن أبى موسى الأشعري رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب ديناه
 أضرب آخريه ومن أحب آخريه أضرب ديناه فأثر وما يلقى على ما يفتى وقرا ابن كثير باقى
 فى الوقف بالياء والباقون بغيرها وأما فى الوصل فالجميع بالنون (وليجزين الذين صبروا) على
 الوفاء بما رضى به من الأوامر والنواهي فى السراء والضراء (أجرهم) أى ثواب صبرهم
 (بأحسن ما كانوا يعملون) أى يجزأه أحسن من أعمالهم وأمجزهم على أحسن أعمالهم
 وذلك لأن المؤمن قديماً بالمباحات والمندوبات وبالواجبات ولا شك أن الواجبات والمندوبات
 مما يباب على فعلها لا على فعل المباحات وقرا ابن كثير وعاصم بالدون قبل الجيم أى ولنجزين
 نحن والباقون بالياء أى ولنجزين الله ثم انه تعالى رغب المؤمنين فى الايمان بكل ما كان من
 شرائع الاسلام بقوله تعالى (من عمل صالحا من ذكراً أو أنثى وهو مؤمن) اذ لا اعتداد بأعمال
 الكفار فى استحقاق الثواب وإنما المتوقع عليها تخفيف العذاب (فان قيل) من عمل صالحا يفيد
 العموم فما قد تم ذكره وأتى (أجيب) بأنه ذكر دفعا للتخصيص بأحد الفريقين واختلاف فى
 قوله تعالى (فلنجزيه حياة طيبة) فقال سعيد بن جبير وعطاءه هى الرزق للجلال وقال مقاتل هى
 العيش فى الطاعة وقال الحسن هى القناعة لأن عيش المؤمن فى الدنيا وان كان فقيراً أطيب من
 عيش الكافر وان كان غنياً لأن المؤمن لما علم أن رزقه من عند الله تعالى وذلك بتقديره وتدييره
 تعالى وعرف أن الله تعالى محسن كريم حكيم يضع الأشياء فى محلها فكان المؤمن راضياً
 بفضاء الله وبما قدره له ورزقه اياه وعرف أن مصلحته فى ذلك القدر الذى رزقه فاستراحت نفسه
 من الكدر والحرص فطاب عيشه بذلك وأما الكافر والجاهل بهذه الاصول فدائم الحرص
 على طلب الرزق فيكون أبداً فى حزن ونعب وعناء وحرص فى الدنيا ولا يناله من الرزق
 الا ما قدر له فظهر بهذا أن عيش المؤمن القنوع أطيب من غيره وقال السدى الحياة الطيبة
 إنما تحصل فى القبر لأن المؤمن يستريح بالموت من كد الدنيا ونعبها وقال مجاهد وقتادة هى
 الجنة لأنها حياة بلا موت وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم وملك بلا هلك وسعادة بلا شقاء فأثبت بهذا
 أن الحياة الطيبة لا تكون الا فى الجنة ولا مانع من أن المؤمن الكامل يحصل جميع ذلك ثم
 ان الله تعالى ختم الآية بقوله تعالى (ولنجزيهم أجرهم) أى فى الدنيا والآخرة (بأحسن
 ما كانوا يعملون) أى من الطاعة وقد سبق تفسيره ولما قال تعالى ولنجزينهم أجرهم بأحسن
 ما كانوا يعملون أرشده الى العمل الذى به يتخلص أعماله من الوسواس بقوله تعالى (فأذأقرأت
 القرآن) أى أردت قراءته (فاستعد) أى إن شئت جهرا وان شئت سرا قال الشافعى رضى الله

تعالى عنه والاسرار وأولى في الصلاة وفي قول يجهر كما يفعل خارج الصلاة (بالله) أي سئل الذي له
الكمال كله أن يعينك (من الشيطان) أي المحترق بالعنة (الرحيم) أي المطرود عن الرحمة من
أن يصدك بوساوسه عن اتباعه ويدخل في ذلك جميع المردة من الشياطين لأن لهم قدرة على
القاء الوسوسة في دلوب بن آدم باقدار الله تعالى على ذلك وقيل المراد باللبس خاصة والاستعاذة
بأنه تعالى هي الاعتصام به والحطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غير من أمته وظاهر
الآية وجوب الاستعاذة واليه ذهب عطاء سواء كانت القراءة في الصلاة أم في غيرها
وافترق سائر الفقهاء على أنها سنة في الصلاة وغيرها والصارف لهذا الأمر عن الوجوب
أحاديث كثيرة منها القراءة بدون ذكر تعوذ كحديث البخاري وغيره عن أبي سعيد بن العلاء
رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال مامنك أن تجيبني قال كنت أصلي قال
أم يقل الله استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم ثم قال لا علمك سورة هي أعظم سورة في القرآن
الحمد لله رب العالمين وفي رواية الموطأ أنه صلى الله عليه وسلم نادى أيأوأه قال له كيف تقرأ
إذا افتتحت الصلاة قال أي تقرأ الحمد لله رب العالمين حتى أتيت إلى آخرها وظاهر الآية يبدل
على أن الاستعاذة بعد القراءة واليه ذهب جماعة من الصحابة والتابعين وهو قول أبي هريرة
واليه ذهب مالك وداود الظاهري قالوا لأن قارئ القرآن يستحق ثوابا عظيما وربما حصل
الوسواس في قلب القارئ هل حصل لذلك الثواب أولا فإذا استعاذ بعد القراءة اندفعت تلك
الوسواس وبقي الثواب مخلصا والذي ذهب إليه الأكثر من الصحابة والتابعين ومن بعدهم
من الأئمة وفقهاء الأمصار أن الاستعاذة مقدمة على القراءة قالوا ومعنى الآية إذا أردت أن
تقرأ القرآن فاستعذ بالله وسعتهم على ذلك فلهذا قدرت ذلك في الآية الكريمة ومثل ذلك قوله
تعالى إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم ومثله من الكلام إذا أكلت فسم أي إذا أردت
أن تأكل فقل بسم الله الرحمن الرحيم وإذا سافرت فتأهب أي إذا أردت السفر فتأهب وأيضا
الوسوسة إنما تحصل في أثناء القراءة فتقديم الاستعاذة على القراءة تذهب الوسوسة عنه
أولى من تأخيرها عن وقت الحاجة إليها * ولما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم
بالاستعاذة من الشيطان وكان ذلك بوجه أن للشيطان قدرة على التصرف في أتيان
الإنسان أزال الله تعالى ذلك الوهم وبين أنه لا قدرة له ألبتة الأعلى الوسوسة بقوله تعالى
(إنه ليس له سلطان) أي بحيث لا يقدر المسلم عليه على الانفكاك عنه (على الذين آمنوا) أي
بتوفيق ربهم لهم (وعلى ربهم) وحده (يتوكلون) أي على أوليائه المؤمنين به والمتوكلين
عليه فانهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته وعن سفیان الثوري
قال ليس له سلطان على أن يحم لهم على ذنب لا يقفر لهم ثم وصل تعالى بذلك ما أفهمه من أن
له سلطانا على غيرهم بقوله (إنما سلطانه) أي الذي يتمكن به غاية التمكّن بما كان الله
تعالى له (على الذين يتولونه) أي يجيبونه ويطيعونه (والذين هم به) أي بالله تعالى (مشركون)
وقيل الضمير راجع إلى الشيطان والمعنى هم بسببه شركون بالله ولما كان المشركون إذا

نزلت آية فيها شدة ثم نزلت آية ناسخة لها يقولون ان محمدا يستمزي بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر
 وينهاهم عنه غدا ما هو الا مقتر يقوله من تلقاء نفسه نزل (واذا بدلنا) أى بقدرتنا بالسسخ
 (آية) سهلة كالعادة بأربعة شعور وعشر وقتال الواحد من المسلمين لاثنتين من الكفار أو شاقة
 كصريم النحر وإيجاب الصلوات الخمس فجعلناها (مكان آية) شاقة كالعادة بحمول ومصارة
 عشرة من الكفار أو سهلة كالات المتضمنة لراحة النحر والتبديل رفع الشيء ووضع غيره
 مكانه (والله) أى الذى له الاحاطة الشاملة (أعلم بما ينزل) من المصالح بحسب الاوقات
 والاحوال بنسخ وغيره (قالوا) أى الكفار (انما أنت) يا محمد (مفتى) أى منقول على الله
 تعالى تأمر بشئ ثم يدو لك فتنهى عنه وهو جواب اذا والله أعلم بما ينزل اعتراض والمعنى
 والله أعلم بما ينزل من الناسخ والمسخ والتغليظ والتخفيف أى هو أعلم بجميع ذلك ومصالح
 العباد وهذا توحيج للكفار على قولهم انما أنت مفتى أى اذا كان هو أعلم بما ينزل فما لهم
 ينسبون محمدا الى الافتراء لاجل التبديل والسسخ (بل أكرمهم) وهم الذين يستمرون
 على الكفر (لا يقولون) حكمة فائدة السسخ والتبديل ولا يعجزون الخطأ من الصواب
 فان الله تعالى أعلم بمصالح العباد كما أن الطبيب يأمر المريض بشربة ثم بعد مدة ينهها عنها
 ويأمره بغيرها بضد تلك الشربة ثم أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالرد عليهم بقوله
 تعالى (قل) لمن واجهك بذلك منهم (نزله) أى القرآن بحسب التدرج لاجل اتباع
 المصالح باحاطة علم المتكلم به (روح القدس) أى جبريل عليه السلام وازافة الروح الى
 القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد وزيد
 الخير والمقدس الطهر من المآثم (من ربك بالحق) أى متلبسا بالحكمة (ليثبت الذين
 آمنوا) أى ليثبت بالقرآن قلوب الذين آمنوا فيزدادوا ايمانا وبقينا (وهدى) أى يانا واوضحها
 (وبشرى للمسلمين) أى المتقادين لحكمك (فان قيل) ظاهرا الآية ان القرآن لا يفسخ
 بالسنة لقوله تعالى واذا بدلنا آية مكان آية اذ متقضاء أن الآية لا تسسخ الا بأخرى (أجيب) بأن
 هذه الآية دلت على أنه تعالى يبدل آية بآية ولادلالة فيما على أنه لا يبدل آية الا بآية وأيضا
 لجبريل عليه السلام ينزل بالسنة كما ينزل بالآية واما كان المشركون يقولون ان محمدا انما
 يتعلم هذه القصص وهذا الاخبار من انسان آخر وهو آدمي مثله وليس هو من عند الله كما يزعم
 نزل قوله تعالى (واقدم تعلم) أى علم مستقرا (أنهم يقولون انما يعلم بشر) واختلف فى البشر الذى
 قال المشركون ان النبي صلى الله عليه وسلم يتعلم منه فقيل هو عبد بنى عامر بن لؤى يقال له
 يعيش كان يقرأ الكتب وقيل عداس غلام عتبة بن ربيعة وقيل عبد بنى الحضرمى صاحب
 كتب وكان اسمه خيرا فكانت قريريش تقول لعبد بنى الحضرمى يعلم خديجة وخديجة تعلم محمدا
 وقيل كان بمكة نصرانى اعجمى اللسان اسمه بلعام ويقال ابن ميسرة يتكلم بالرومية وقيل سلمان
 الفارسي وبالجملة فلا فائدة فى تعداد هذه الاسماء والحاصل أن القوم اتهموه بأنه يتعلم هذه
 الكلمة من غيره ثم انه يظهرها من نفسه ويزعم أنه انما عرفها بالوحى وهو كاذب فيه فأجاب

الله تعالى عنه تكذيباً لهم فيما روي به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب بقوله تعالى
 (لسان الذي يلدن) أي يملون إليه أو يشبهون (الله) أي أنه يعلمه (أبعمى) أي لا يعرف لغة
 العرب وهو مع ذلك الكن في التأدية غير مبين (وهذا) أي القرآن (لسان عربي مبين) أي ذويان
 وفصاحة فكيف يعلمه أبعمى وروى أن الرجل الذي كانوا يشيرون إليه أسلم وحسن إسلامه
 (إن الذين لا يؤمنون) أي لا يصدقون كل تصديق معترفين (بآيات الله) أي الذي له العظمة
 كلها (لا يمد بهم الله) أي لا يرشدهم ولا يوفقههم للإيمان (ولهم عذاب أليم) أي ولم في الآخرة
 ثم أخبر الله تعالى أن الكفار هم المفترون بقوله تعالى (انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون
 بآيات الله) أي القرآن بقولهم هذا من قول البشر (وأولئك) أي البعداء البغضاء (هم
 الكاذبون) أي السكاملون في الكذب لأن تكذيب آيات الله أعظم من الكذب أولئك
 هم الذين عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شيء لا يحجبهم عنه مروءة ولا دين * ولما ذكر تعالى
 الذين لا يؤمنون مطلقاً تبعهم من صفاتهم هم أشد كفرًا بقوله تعالى (من) أي أي مخلوق
 وقع له أنه (كفر بالله) أي الذي له صفات الكمال بأن قال أو عمل ما يدل على الكفر (من بعد
 إيمانه) بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم (الامن أكره) أي على التلذذ بالكفر فلما لفظ به (وقابه
 مطمئن بالإيمان) فلا شيء عليه لأن محل الإيمان هو القلب روى أن قريشاً أكرهوا عماراً وأباه
 ياسر وأمه سمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين وقالوا انك أسلت من أجل الرجال فقتلت
 وقتل ياسر وهما أول قبيل في الإسلام وأعطاهم عمار بلسانه ما أرادوا كرهها وهو كارهه وقبله
 فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأنه كفر فقال صلى الله عليه وسلم كلاً ان عمار امتلاً إيماناً من
 قرنه إلى قمه واختلط الإيمان بلمحه ودمه فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يكي فجعل
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه ويقول مالك ان عادوا لك فقل لهم مثل ما قلت
 * (تنبيه) في الآية دليل على إباحة التلذذ بالكفر وان كان الأفضل أن يتجنب عنه اعزازاً
 للدين كما فعله أبواه ولما روى ان مسيلة أخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد فقال
 رسول الله قال فما تقول في قال أنت أيضاً فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد فقال رسول الله
 قال فما تقول في قال أنا أصم فأعاد عليه ثلاثاً فأجابته فتتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فقال أما الأول فقد أخذ برخصة الله وأما الثاني فقد صدع بالحق فهنيأه واختلف الأئمة
 في وقوع الطلاق بالاكراه فقال الشافعي وأحدرجهما الله تعالى لا يقع طلاق المكره وقال
 أبو حنيفة رحمه الله تعالى يقع واستدل الشافعي بقوله تعالى لا إكراه في الدين ولا يمكن أن يكون
 المراد في ذاته لأن ذاته موجودة فوجب حمله على نفي آثره أي لا أثر له ولا عبرة به وقال عليه
 الصلاة والسلام رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وقال أيضاً الاطلاق في
 اغلاق أي إكراه وتمسك أبو حنيفة بقوله تعالى فان طلقها فلا تحل له وهذا قدطلقها وأوجب
 بأن الآية مخصوصة بغير ذلك جهابين الأدلة (ولكن من شرح بالكفر صدر) أي فقصه ووسعه
 لقبول الكفر واختاره ورضى به (فعلهم غضب) أي غضب تعين جهة عظمه لكونه (من الله)

أى الملك الاعظم (ولهم) أى بطواهرهم وبواطنهم (عذاب عظيم) فى الآخرة لا ترداهم
 على أعقابهم (ذلك) أى الوعيد العظيم (بأنهم) أى بسبب أنهم (استحبوا) أى أحبوا جبا عظيما
 (الحياة الدنيا) الكاثبة الحاضرة الفانية فآثروها (على الآخرة) الباقية الفارقة لانهم رأوا
 ما فيه المؤمنون من الضيق والكافرون من السعة (وأن الله) أى الذى له الغنى المطلق
 (لا يهدى القوم الكافرين) أى لا يرشدهم الى الايمان ولا يفقههم للعمل (وأولئك) أى البعداء
 البغضاء (الذين طبع الله) أى الملك الذى لا أمر لاحد معه (على قلوبهم) أى ختم عليها واستوثق
 * ولما كان التفاوت فى السمع نادر واحده بقوله تعالى (وسمعهم) أو بمعنى اسماعهم ليناسب
 قوله تعالى (وأبصارهم) فصاروا بعدم اتقاعهم بهذه المشاعر كأنهم لا يفقهون ولا يسمعون
 ولا يبصرون (وأولئك) أى الابعاد من كل خير (هم الغافلون) عما يراد بهم من العذاب
 فى الآخرة (لاجرم) أى لاشك (أنهم فى الآخرة هم الخاسرون) أى أكمل الناس خسارة
 لان الله تعالى وصفهم بست صفات الاولى أنهم استوجبوا غضب الله تعالى الثانية أنهم
 استوجبوا العذاب الاليم الثالثة أنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة الرابعة أن الله تعالى
 حرمهم من الهداية الخالصة أنه تعالى طبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم السادسة أنه
 جعلهم من الغافلين عن العذاب الشديد يوم القيامة اذ كل واحدة من هذه الصفات من أعظم
 الاحوال المانعة من الفوز بالخيرات والسعادات ومعها ان الله تعالى انما أدخل الانسان
 فى الدنيا ليكون كالتاجر الذى يشتري بطاعته سعادات الآخرة فاذا حصلت هذه الموانع
 العظيمة عظم خسارته فلهذا السبب حكم تعالى عليهم بالخسران * ولما ذكر تعالى حال من كفر
 بالله من بعد ايمانه وحال من أكره على الكفر ذكر بعده حال من هاجر من بعد ما فتنه بقوله تعالى
 (ثم إن ربك) أى المحسن اليك (للذين هاجروا) الى المدينة الشريفة بالولاية والنصر وقوله تعالى
 (من بعد ما فتنوا) قرأ ابن عامر بفتح الفاء والتاء على استناد الفعل الى الفاعل والباقون بضم
 الفاء وكسر التاء على فعل ما لم يسم فاعله وجه القراءة الاولى انه عاد الضمير على المؤمنين فالعنى
 فتنوا أنفسهم بما أعطوا المشركين من القول ظاهرا وأنهم لم يصبروا على عذاب المشركين
 فكأنهم فتنوا أنفسهم وان عاد على المشركين فهو ظاهر أى فتنوا المؤمنين لان أولئك
 المقسومين هم المستضعفون الذين جعلهم أقويا المشركين على الرثة والرجوع عن الايمان فبين
 تعالى أنهم هاجروا (ثم جاهدوا وضربوا) على الطاعة (إن ربك بن بعدها) أى القسنة
 (لغفور) أى بليغ الاكرام (رحيم) فهو يعفر لهم ويرحمهم * (تنبيه) * حذف خبران الاولى
 دلالة خبر الثانية عليه أو مقدر بعامر (يوم) أى اذ كرم (تأتى كل نفس) أى وان عظم
 جرمها (تجادل) أى تحتاج (عن نفسها) أى لا يهملها غيرها وهو يوم القيامة (فان قيل) ما معنى
 النفس المضافة الى النفس (أجيب) بأنه يقال لعين الشيء ذاته نفسه وفى نقيضه غيره والنفس
 الجملة كجهاى فالنفس الاولى هى الجملة والثانية عينها وذاتها فكانه قيل يوم يأتى كل انسان
 يجادل عن ذاته لا يهمل شأن غيره كل يقول نفسى نفسى ومعنى الجدل عنها الاعتذار عنها

كقولهم هؤلاء الذين أضلونا وما كنا مشركين (وقوى كل نفس) صالحة أو غير صالحة (ما علمت) أي جزاء من نفسه (وهم لا يظنون) أي شيا * ولما هدانا الله للكفر بالوعيد الشديد في الآخرة هددهم أيضا بأفات الدنيا وهي الوقوع في الجوع والخوف بقوله تعالى (وضرب الله) أي المحيط بكل شيء (مثلا) ويبدل منه (قرية) هي مكة والمراد أهلها (كانت آمنة) أي ذات أمن ويأمن بها أهلها في زمن الخوف قال تعالى أولم يروا أنا جعلنا حراما آمناء بنحطف الناس من حولهم والامن في مكة كان كذلك لأن العرب كان يغرب بعضهم على بعض دون أهل مكة فانهم كانوا أهل حرم الله والعرب كانوا يحترمونهم ويخصونهم بالتعظيم والتكريم (مطمئنة) أي قارة بأهلها لا يحتاجون فيها إلى نجعة وانتقال بسبب زيادة الأمن بكثرة العدد وقوة المدد وكف الله تعالى الناس عنها وجود ما يحتاج إليه أهلها (فإن قيل) الاطمئنان هو الأمن فيلزم التكرار (أجيب) بأن قوله تعالى آمنة إشارة إلى الأمن وقوله تعالى مطمئنة أي لا يحتاجون فيها إلى نجعة كما مر وقيل أشارت إلى ذلك إلى العمة لأن هو ذلك البلد كان ملائمة لأمر حرمهم فلذلك اطمأنوا إليه واستقروا قالت العقلاء ثلاثة ليس لها نهاية الأمن والعمة والكفاية (يأتينها) أي على سبيل التجدد والاستمرار (رؤفة أرغدا) أي واسعا طيبا (من كل مكان) بر وبحر بتيسير الله تعالى * ولما كانت السعة تجر إلى البطر غالباً تبته تعالى على ذلك بقوله تعالى (فكفرت بأنم الله) أي الذي له الكمال كله وأنم جمع نعمة قال الزمخشري على ترك الاعتدال بالآء كدرع وأدرع وقال قطرب هي جمع نعم والنعم النعمة يقال هذه أيام نعم وطعم فلا تصوموا وقيل جمع نعماء مثل بأساء وأبوس (فإن قيل) الانم جمع قلة فكانت تلك القرية كفرت بأنواع قليلة من نعم الله فعذبها الله تعالى فلم يقبل تعالى كفر وانم عظيمة فاستوجبوا العذاب (أجيب) بأن المقصود التنبيه بالادنى على الاعلى فإن كفران النعم القليلة لما أوجب العذاب فكفران النعم الكثيرة أولى وبأن الله تعالى أنعم عليهم بالنعمة العظيمة وهو محمد صلى الله عليه وسلم فكفروا به وبالغوا في ابدائه (فأذاقها الله) أي المحيط بكل شيء (لباس الجوع) بعد رغد العيش سبع سنين وقطعت العرب عنهم الميرة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جهدوا وأصكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب الميتة وقيل إن القرية غير مكة لانها ضربت مثلاً لمكة ومثل مكة يكون غير مكة (والخوف) بسرايا النبي صلى الله عليه وسلم * (تنبيه) * استعير الذوق لادراك أثر الضرر والنباس لما غشيتهم واشغل عليهم من الجوع والخوف وأوقع الأذقة عليه بالنظر إلى المستعاره كقول كثير عزة

غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا * غلقت لضحكته رقاب المال

فانه استعار الرداء المعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يليق عليه وأضاف إليه الغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء نظر إلى المستعار وهو لو نظر إلى المستعار لقال ضاع الرداء أي ساقطه ومعنى البيت إذا ضحك المسؤل ضحكاً أي من السائل بذلك التيسر استرقاق رقاب ماله وأنه يعطى بلا خلاف وقد ينظر إلى المستعاره كقوله

ينازعني وداني عبد عمرو • ودونك يا خاعرو بن بكر
 في الشطر الذي ملكت عيني • ودونك فاعصم منه بشطر
 استعار الرداء للضيف ثم قال فاعصم نظري الى المستعار ولونظري الى المستعار منه ليقال تعالى في
 الآية وكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير ضاني الرداء اذا تبسم ضاحكا وهذا نهاية
 ما يقال في الاستعارة وقال ابن عطية لما باشرهم ذلك صار كاللباس وهذا كقول الاعشى
 اذا ما الضبيع فني جيدها * تثنت عليه فكانت لباسا
 ومثله قوله تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن ومثله قول الشاعر
 وقد لبست بعد الزبير مجاشع * لباس التي حاضت ولم تغسل الدما
 كان العاروا لما باشرهم ولصق بهم كأنهم نسوة وقوله تعالى فاذا قمنا نظير قوله تعالى ذق انك انت
 العزيز الكريم ونظير قول الشاعر دون ماجنيت فاحس وذق * وقوله تعالى (بما كانوا
 يصنعون) يجوز ان تكون ما صدرية أى بسبب صنعهم أو بمعنى الذي والعايد محمد ذوق أى
 بسبب الذي كانوا يصنعونه والواو في يصنعون عائد على أهل البلد وقيل قرية نظير قوله تعالى
 أوهم فالتون بعد قوله تعالى وكمن قرية أهلكها • ولما ذكر الله تعالى المثل ذكر الممثل له فقال
 تعالى (ولقد جاءهم) أى أهل هذه القرية (رسول منهم) من نسبهم يعرفونه بأصله ونسبه وهو محمد
 صلى الله عليه وسلم (فكذبوه فأخذهم العذاب) قال ابن عباس يعنى الجوع الذى كان بمكة وقيل
 القتل الذى كان يوم بدر (وهم ظالمون) أى فى حال تلبسهم بالظلم كقوله تعالى الذين تتوفاهم
 الملائكة ظالمى أنفسهم فعوذ بالله من مفاجأة النعمة والموت على القفلة وقرأ نافع وابن كثير
 وابن ذكوان وعاصم بإظهار الراء قد عند الجيم والباقون بالادغام ثم قال تعالى (فكلوا)
 أى أيها المؤمنون (عمارزقكم الله) قال ابن عباس يريد من الغنائم وقال الكلبي ان رؤساء
 مكة كانوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جهدوا وقالوا عادت الرجال فباب النساء
 والصبيان وكانت المرة قد قطعت عنهم فأذن فى الحمل اليهم فحمل الطعام اليهم فقال الله تعالى
 كلوا عمارزقكم الله قال الرازى والقول ما قال ابن عباس يدل عليه قوله تعالى بعد هذه الآية
 انما حرم عليكم الميتة يعنى اذكم لما آمنتم وتركتم الكفر فكلوا عمارزقكم الله (حلالا طيبا)
 وهو الغنمة واتركوا الخبائث وهى الميتة والدم • ولما أمرهم تعالى بأكل الحلال أمرهم
 بشكر النعمة بقوله تعالى (واشكروا نعمت الله ان كنتم اياه تعبدون) أى تطيعون • (تنبيه) *
 رسمت نعمت بالياء وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وبالياء والباقون بالياء والكسائي يقف بالامالة
 وتقدم تفسير قوله تعالى (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن
 اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) فى سورة البقرة فلا اخادة فى تفسير ذلك وقرأ
 أبو عمرو وعاصم وحجة فمن اضطر فى الوصل بكسر النون والباقون بالضم • (تنبيه) * حصر
 الحرمت فى هذه الاشياء الاربعة مذكورا ايضا فى سورة الانعام عند قوله تعالى قل
 لا أجد فيما أوحى الى محر ما طعم بطعمه الآية وفى سورة المائدة فى قوله تعالى أحلت

لكم بهيمة الانعام الاما يتلى عليكم واجمعوا على أن المراد بقوله تعالى الاما يتلى عليكم هو قوله تعالى في سورة البقرة حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله وقوله تعالى في المائدة والمنجفة والموقوذة والمتريفة والمنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكبر فهذه الاشياء داخلة في الميتة ثم قال تعالى وما ذبح على النصب وهو أحد الاشياء الداخلة تحت قوله تعالى وما أهل به لغير الله فنبت أن هذه السور الاربعة دالة على حصر الحرمات في هذه الاربعة سورتان مكيتان وسورتان مدينتان فان سورة البقرة مدينة وسورة المائدة من آخر ما أنزل الله بالمدينة فمن أنكر حصر التحريم في هذه الاربعة الاما خصه الاجماع والدلائل العقلية القاطعة كان في محمل أن يحشى عليه لان هذه السورة دلت على أن حصر الحرمات في هذه الاربعة كان مشروعا ثابتا في أول زمان مكة وآخره وأول زمان المدينة وأنه تعالى أعاد هذا البيان في هذه السور الاربعة قطع الاعداد وازالة للشبهة * ولما حصر تعالى الحرمات في هذه الاربعة بالغ في تأكيد ذلك الحصر وزيف طريقة الكفار في الزيادة على هذه الاربعة تارة وفي نقصان عنها أخرى بقوله تعالى (ولا تقولوا لما نصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام) لما لم يحله الله ولم يحرمه فانهم كانوا يجزمون العبرة والسائبة والوصيلة والحام وكانوا يقولون ما في بطون هذه الانعام خاصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا فقد زادا في الحرمات وزادوا أيضا في المحللات لانهم حلوا الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فبين تعالى أن الحرمات هي هذه الاربعة وبين أن الاشياء التي يقولون هذا حلال وهذا حرام ككذب واقتراف على الله تعالى * (تنبيه) * في اصحاب الكذب وجهان أحدهما قال الكسائي ماصدرية والتقدير ولا تقولوا لاجل وصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام نظيره أن يقال لا تقولوا الكذا وكذا كذا وكذا (فان قيل) حمل الآية على هذا يؤدى الى التكرار لان قوله تعالى (لتفتروا على الله الكذب) عين ذلك (أجيب) بأن قوله تعالى لما نصف ألسنتكم الكذب ليس فيه بيان أنه كذب على الله فأعاده ليحصل فيه هذا البيان الزائد ونظيره في القرآن كثير وهو أنه تعالى يذكر كلاما ويعيد به مع فائدة زائدة الثاني أن تكون ماموصولة والتقدير ولا تقولوا للذي نصف ألسنتكم الكذب فيه هذا حلال وهذا حرام وحذف لفظ فيه لكونه معلوما وقيل اللام في لتفتروا الام العاقبة كما في قوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا (فان قيل) ما معنى وصف ألسنتهم الكذب (أجيب) بأن ذلك من فصيح الكلام وبلغه جعل قولهم ككأنه عين الكذب ومحضه واذا انطقت به ألسنتهم فقد حلت الكذب بجائسته وصورته بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال أى هي جميلة ومنها نصف الصحراى هي ساحرة فلما أوردوا المبالغة في وصف الوجه بالجمال ووصف العين بالصحرة وبذلك ثم انه تعالى أوعده المقترين بقوله تعالى (ان الذين يفترون على الله) أى الذئبة الملك كله (الكذب) منكم ومن غيركم (لا يظنون) أى لا يفوزون بخبر لان المقترى يفتري للحصول مطلوب فتق الله تعالى عنه الفلاح لانه الفوز بالخير والنجاة ثم بين

تعالى ان ما هم فيه من نعم الدنيا يزول عنهم عن قريب بقوله تعالى (متاع قليل) أى منقعة قليلة
تنتطح عن قرب لفضائه وان امتد ألف عام (ولهم) بعده (عذاب أليم) أى مؤلم فى الآخرة * ولما
بين تعالى ما يحصل ويجرم لاهل الاسلام اتبعه بيان ما يخص اليهود به من المحرمات بقوله
تعالى (وعلى الذين هادوا) أى اليهود (حرمنا) عليهم عقوبة لهم بعد اوتهمس وكذبهم على
ربهم (ما قصصنا عليك) بأجل المرسلين (من قبل) أى فى سورة الانعام وهو قوله تعالى وعلى
الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الاية (وما ظلمناهم) أى بصريم ذلك عليهم (ولكن كانوا)
أى دأبوا طبعها لهم وخلقنا مستورا (أنفسهم) خاصة (بظلمون) بالبغي والكفر فضيقنا عليهم
معاملة بالعدل وعاملناكم أنتم حيث ظلمتم بالفضل فاشكروا النعمة واحذروا غوائل
النقمة * ولما بين تعالى هذه النعمة الدنيوية عطف عليها نعمة هى أكبر منها جدا استحلابا
لسكل ظالم وبين عظمتها بحرف التراخي فقال تعالى (ثم ان ربك) أى المحسن اليك (للذين
عملوا السوء) وهو يتناول كل ما لا ينبغى فعله فيشمل الكفر وسائر المعاصي (بجهالة) أى
بسببها وملتبسين بيم اليم الجهول بالله وبفضائه وعدم التدبر فى العواقب فكل من عمل سوءا
انما يفعل بالجهالة أما الكفر فلان أحد الارضى به مع العلم بكونه كفر الا أنه لو لم يعتقد كونه
حقا فانه لا يختاره ولا يرتضيه وأما المعصية فلان العالم تصدق منه المعصية ما لم تنصر الشهوة
غالبة للعقل فثبت أن كل من عمل السوء فانما يقدم عليه بسبب الجهالة (ثم تابوا من بعد ذلك)
أى الذنب ولو كان عظيما واقتصر واعلى ما أذن فيه حالهم (وأصلحوا) بالاستقرار على ذلك
(ان ربك) أى المحسن اليك بتسهيل دينك وتيسيره (من بعدها) أى التوبة (لغفور) أى بليغ
الستر لما عملوا من السوء (رحيم) أى بليغ الرحمة يحسن بالآكرام فضلائمه ونعمة * ولما
دعاهم الله تعالى الى مكارم الاخلاق ونهاهم عن مساوئها بقبولها لمن أقبل اليه وكان ابراهيم
عليه الصلاة والسلام رئيس الموحدين لاجرم ذكره الله تعالى فى آخر هذه السورة ووصفه
بتسع صفات الصفة الاولى قوله تعالى (ان ابراهيم كان أمة) أى لكامله واستجماعه فضائل
لاتكاد توجد الامتزقة فى أشخاص كثيرة كقول القائل

وايس لله (أى من الله) بمستنكر * أن يجمع العالم فى واحد

أى أن يجمع صفاتهم فى شخص واحد وقال مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كانوا كفارا
فلهذا المعنى كان وحده أمة واحدة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول فى زيد بن عمرو بن
نضيل يعثبه الله أمة وحده وعن شهر بن حوشب لم تبق الارض الا فيها أربعة عشر يدفع الله
تعالى بهم عن أهل الارض الا زمن ابراهيم فانه كان وحده وقبل أمة فعله بمعنى مفعول كالدخلة
والنخبة من أمة اذا قصدوا قدي به فان الناس كانوا يومئذ للاستفادة ويقصدون بسيره كتقوله
تعالى انى جاءك للناس اماما وقرأ هشام ان ابراهيم وملة ابراهيم بالالف بعد الهاء فيهما وقرأ
الباقرن بالياء فيهما الصفة الثانية قوله تعالى (فان الله) أى مطيعا له فأنما بأوامره الصفة
الثالثة قوله تعالى (حنيفا) أى ما تلاحن الباطل قال ابن عباس انه أول من اختنق وأقام

مناسك الحج ونحى وهذه السنة الحنيفة الصفة الرابعة قوله تعالى (ولم يكن من المشركين) أى
 انه عليه الصلاة والسلام كان من الموحدين في الصغر والكبر وقد أبطل عبادة الاصنام
 والكواكب بقوله لأحب الأفلين ثم كسر تلك الاصنام حتى آل الامر الى أن القوم ألقوه
 في النار وذلك دليل اثبات الصانع مع ملك زمانه وهو قوله وبى الذي يحيى ويميت ثم طلب من
 الله تعالى أن ير به كيف يحيى الموتى ليحصل له زيادة الطمأنينة قال الرازى ومن وقف على علم
 القرآن علم أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان غريقا في بحر علم التوحيد الصفة الخامسة
 قوله تعالى (شاكرا لنعمة) فان قيل لفظ الانعم جمع قلته ونعمة الله تعالى على إبراهيم عليه السلام
 كانت كثيرة فلم قال شاكر الانعمه (أجيب) بأنه ذكر القلة للتبسيه على أنه كان لا يحل بشكر
 القليله فكيف بالكثيرة وروى أنه عليه الصلاة والسلام كان لا يتعدى الامع ضيف فلم يجد
 ذات يوم ضيفا فأخرجده فاذا هو يقوم من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فقبلوا
 له ان بهم جدا ما فقال لهم الآن وحيث مؤاكتكم شكر الله على انه عافاني واستلهمكم بهذا
 البلاء الصفة السادسة قوله تعالى (اجتباها) أى امطفاها للتبوة واختاره نطقه الصفة
 السابعة قوله تعالى (وهدها الى صراط مستقيم) أى وهداه الى دين الاسلام لانه الصراط
 المستقيم والدين القويم ونظيره قوله تعالى وأن هذا صراطى مستقيما فابعوه الصفة الثامنة
 قوله تعالى (واتيناه فى الدنيا حسنة) قال قتادة حبيبه للناس حتى ان أرباب الملل يتولونه
 ويشنون عليه أما المسلمون واليهود والنصارى فظاهر وأما كفار قريش وسائر العرب فلا يخفى
 لهم الابه وتحقيق القوم ان الله تعالى أجاب دعاءه في قوله واجعل لى لسان صدق فى الآخرين
 وقال آخرون هو قول المصلى منا كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وقيل أولاد ابرار
 على الكبر الصفة التاسعة قوله تعالى (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) فى الجنة (فان قيل)
 لم يقل تعالى فى أعلى مقامات الصالحين (أجيب) بأنه تعالى حكى عنه أنه قال رب هب لى حكما
 وألحقنى بالصالحين فقال تعالى هنا وان فى الآخرة لمن الصالحين تبسيها على أنه تعالى أجاب
 دعاءه ثم ان كونه من الصالحين لا يتنى أن يكون فى أعلى مقامات الصالحين فان الله تعالى بين
 ذلك فى آية أخرى وهى قوله تعالى وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء
 ولما وصف الله تعالى ابراهيم عليه السلام بهذه الصفات العالية الشريفة أمر نبيه محمدا
 صلى الله عليه وسلم فى اتباعه مشيرا الى علو مرتبته بحرف التراخي بقوله تعالى (ثم أوحينا اليك)
 يا أشرف الرسل وقيل أتى بتم التراخي أى لتراخي أيامه عن أيام ابراهيم عليه ما أفضل الصلاة
 والسلام (أن اتبع ملة ابراهيم) فى التوحيد والدعوة اليه بالرفق وبرايد الدلائل مرة بعد
 أخرى والمجادلة مع كل أحد على حسب فهمه ولا بعد فى أن يفهم ذلك الهجرة أيضا وقيل
 كان النبي صلى الله عليه وسلم مأمورا بشريعة ابراهيم عليه ما الصلاة والسلام الامتنع
 منها وما لم ينسخ ما شرع الله وقوله تعالى (حنيفا) حال من النبي صلى الله عليه وسلم ويصح أن
 يكون حالا من ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى (وما كان من المشركين) كثره

رداعلى من زعم من اليهود والنصارى أنهم على دينه وقوله سبحانه وتعالى (أنا جعل السبت على
 الذين اختلفوا فيه) فيه قولان الاول روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما
 أنه قال أمرهم موسى عليه السلام بالجمعة وقال تفرغوا لله في كل سبعة أيام يوماً واحداً وهو
 يوم الجمعة ولا تصموا فيه شيئاً من أعمالكم فأبوا أن يقبلوا ذلك وقالوا لا تريد الا اليوم الذى
 فرغ الله تعالى فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل عليهم السبت وشدد عليهم فيه ثم جاء عيسى
 عليه السلام أيضاً بالجمعة فقالت النصارى لا تريد أن يكون عيدهم أى اليهود بعد عيدنا فأتخذوا
 الاحد وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى كتب يوم الجمعة على من كان
 قبلكم فاختلغوا فيه وهدانا الله فهم لنا فيه تبع اليهود غداً والنصارى بعد غداً (فان قيل هل
 فى العقل وجه يدل على أن الجمعة أفضل من السبت والاحد فان أهل الملل اتفقوا على أنه
 تعالى خلق العالم فى ستة أيام وابدأ تعالى بالخلق والتسكوير فى يوم الاحد وقدم فى يوم
 الجمعة فكان يوم السبت يوم الفراغ فقالت اليهود نحن نوافق ربنا فى ترك الاعمال فعيونا يوم
 السبت لهذا المعنى وقالت النصارى مبدأ الخلق والتسكوير يوم الاحد ففعل هذا اليوم عيدنا
 فهذان الوجهان معقولان لنا فارجح جعل يوم الجمعة عيداً (أجيب) بأن يوم الجمعة هو يوم
 التمام والكمال وحصول التمام والكمال يوجب الفرح الكامل والسرور فجعل يوم الجمعة يوم
 العيد أولى من هذا الوجه القول الثانى اختلفوا فى السبت هو أنهم أحلوا الصلوة فيه تارة
 وحرموه تارة وكان الواجب عليهم أن يتفقوا فى تحريمه على كلمة واحدة (وان ربك) أى المحسن
 اليك بطواعية أمهاتك (ليحكم بينهم) أى هؤلاء المختلفين (يوم القيامة) وهو يوم اجتماع
 جميع الخلائق (فيما كانوا فيه يحضرون) فيحكم للمعقنين بالنواب والمبطلين بالعقاب * ولما
 أمر الله تعالى محمد صلى الله عليه وسلم باتباع ابراهيم عليه الصلاة والسلام بين الشئ الذى أمره
 بتابعته فيه بقوله تعالى (ادع) أى كل من تمكن دعوته عن بعثت اليه (الى سبيل ربك) أى
 المحسن اليك بتسهيل السبيل الذى تدعو اليه واتساعه وهو الاسلام الذى هو الملة الحنيفة
 (بالحكمة) أى المعاملة المحكمة وهو الدليل الواضح المنزل للشبهة (والموعظة الحسنة) أى
 بالدعاء الى الله تعالى بالترغيب والترهيب بالطبائبات المنقصة والعبارات النافعة والاولى
 لدعوى خواص الامة الطالبين للقائق والثانية لدعوى عوامهم (وجادلهم) أى وجادل
 معانديهم (بالتى) أى بالمجادلة التى (هى أحسن) كالدعاء الى الله تعالى بآياته والدعاء الى هججه
 بالطريقة التى هى أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير غلظ ولا تصف فان ذلك أنفع
 فى تشكين لهم وتبيين شبههم وقيل المراد بالحكمة القرآن أى ادعهم بالقرآن والموعظة الحسنة
 الرفق واللين فى الدعوة وفى الامر بالمجادلة التى هى أحسن الاعراض عن أذاهم وعدم التقصير
 فى تبليغ الرسالة والدعاء الى الحق وعلى هذا القول قال بعض علماء التفسير هذا منسوخ بآية
 المسيف وقيل ان الناس خلقوا وجبوا على ثلاثة أقسام القسم الاول العلماء الكاملون وهم
 أصحاب العلوم العميقة والبصائر الشافية الذين يطلبون معرفة الاشياء على حقائقها فهؤلاء

هم المشار اليهم بقوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة أى ادعهم بالدلائل القطعية اليقينية
 حتى يعوا الاشياء بحقائقها ويتفكروا الناس وهم خواص العلماء من العصابة وغيرهم
 القسم الثاني أصحاب القطرة السليمة والخلقة الاصلية وهم غالب الناس الذين لم يبلغوا احد
 الكمال ولم ينزلوا الى حضيض النقصان فهم اوسط الاقسام وهم المشار اليهم بقوله تعالى
 والموعظة الحسنة أى ادع هؤلاء بالموعظة الحسنة القسم الثالث أصحاب جدال وخصام
 ومعاندة وهؤلاء هم المشار اليهم بقوله تعالى وجادلهم بالتي هي احسن أى حتى يتقادوا الى
 الحق ويرجعوا اليه (ان ربك) المحسن اليك بالتحقيق عنك (هو أعلم) أى من كل من يتوهم
 فيه علم (ينضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) أى فهو سبحانه وتعالى أعلم بالقرينين فن كان
 فيه خير كناه الوعظ والنصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه مجتزت عنه الحيل وكلت تضرب
 في حديد بارد فاعلمك الابلاغ والدعوة وأما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما
 فليس ذلك اليك وهذا قبل الامر باقتال وذكرك في قوله تعالى (وان عاقبتهم فمعاقبوا عجل
 ما عوقبتهم به) أقوال أحدها وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما في رواية عطاء وأبى بن كعب
 والشعبى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى عمه حمزة بن عبدالمطلب وقد جردوا أنفه وأذنه
 وقطعوا ماذن كبره وبقروا بطنه وأخذت هند بنت عتبة قطعة من كبده فمضغت ما استرطبتها
 لتأكلها فلم تلبث في بطنها حتى رمت به فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال أمانها لو أكاها
 لم تدخل النار أبدا حمزة أكرم على الله من أن يدخل شيا من جسده النار فلما نظر رسول الله صلى
 الله عليه وسلم اليه نظر الى شئ لم ينظر الى شئ قط وأوجع قلبه منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم
 رحمة الله عليك فاني ما علمتك الا فعلا للخيرات وصولا للرحم ولو لآخرن من بعدك عليك لسرتني
 أن أدعك حتى تخمرن من أفواج شتى أما والله لئن نظرتني الله بهم لامتلن بسبعين منهم مكانك
 فتركت فامسك رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أراد وكفر عن يمينه وقال المسلمون أيضا لما
 رأوا ما فعل المشركون بقتلهم يوم أحد من تقير البطون والمثله السيئة حتى لم يبق أحد من
 قتلى المسلمين الا مثل به الا حنظلة بن الراهب فان أباه أبا عامر الراهب كان مع أبي سفيان فتركوا
 حنظلة لذلك فقال المسلمون حين رأوا ذلك انن ظفرتنا عليهم لتزيدن عليهم يعنى على صنيعهم ولتخمان
 بهم مثله لم يفعلها أحد من العرب بأحد القول الثاني أن هذا كان قبل الامر بالسيف
 والجهاد حتى كان المسلمون قد أمروا بالقتال مع من يقا تلهم ولا يتدوا بالقتال وهو قوله تعالى
 وفاتوا في سبيل الله الذين يقا تلونكم ولا تعتدوا و في هذه الآية أمر الله تعالى أن يعاقبوا بمثل
 ما يصيبهم من العقوبة ولا يزيدوا القول الثالث أن المقصود من هذه الآية تنبيه المعلوم عن
 استيفاء الزيادة من الظالم وهذا قول مجاهد والنضى وابن سيرين قال الرازى وحل هذه الآية
 على قصة لا تعلق لها بما قبلها يوجب حصول سوء الترتيب في كلام الله وهو في غاية المعدل
 الا صوب عندي أن يقال انه تعالى أمر محمدا صلى الله عليه وسلم بدعوة الخلق الى الدين الحق
 بأحدى الطريقتين الثلاثة وهي الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالطريق الاحسن ثم ان ذلك

الدعوة تنضمين أمرهم بالرجوع عن دين آبائهم وأسلاتهم والحكم عليهم بالكفر والضلالة وذلك
 مما يشقش قلوبهم ويوحش صدورهم ويحمل أكتفهم على قصده ذلك الداعي بالقتل تارة
 وبالضرب تارة وبالسم ثالثاً ثم إن ذلك الداعي المحق إذا سمع تلك السفاهات لابد وأن يحمله
 طبعه على تاديب أولئك السفهاء تارة بالقتل وتارة بالضرب فعند هذا أمر المحققين في هذا المقام
 برعاية العدل والانصاف وترك الزيادة فهذا هو الوجه الصحيح الذي يجب حمل الآية عليه
 (فان قيل) فهل تقدحون فيما روى أنه عليه الصلاة والسلام ترك العزم على ترك المثلة وكفر عن
 عيبه بسبب هذه الآية (أجيب) بأنه لا حاجة إلى القدح في تلك الرواية لأن تلك الواقعة
 داخله في عموم هذه الآية فيمكن التسك في تلك الواقعة بعموم هذه الآية وذلك لا يوجب سوء
 الترتيب في كلام الله تعالى * (تنبيه) * أمر الله تعالى برعاية العدل والانصاف في هذه الآية
 ورتب ذلك على أربع مراتب المرتبة الأولى قوله تعالى وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به
 أي ان رغبتهم في استيفاء القصاص فاقعوا بالمثل ولا تزدوا عليه فان استيفاء الزيادة ظلم والظلم
 ممنوع منه في عدل الله تعالى ورحمته وفي قوله تعالى وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به دليل
 على ان الأولى له أن لا يفعل كما أنك اذا قلت للمريض ان كنت تأكل الفاكهة فكل التفاح كان
 معناه أن الأولى بك أن لا تأكله فذكر تعالى بطريق الرمز والتعريض أن الأولى ترك المرتبة
 الثانية الانتقال من التعريض إلى التصريح وهو قوله تعالى (وان صبرتم لهم وخبر الصابرين)
 وهذا تصريح بأن الأولى ترك ذلك الانتقام لأن الرحمة أفضل من القسوة والانتفاع أفضل من
 الانتقام وقرأ هو قالون وأبو عمرو والكسائي بسكون الهاء والباقون برفعها المرتبة الثالثة
 هو الأمر الجازم بالترك وهو قوله تعالى (واصبر) لأنه في المرتبة الثانية ذكر أن الترك خير
 وأولى وفي هذه المرتبة الثالثة صرح بالأمر بالصبر في هذا المقام * ولما كان الصبر في هذا المقام
 شديداً شاقاً ذكر بعده ما يفيده سهولته بقوله تعالى (وما صبرك الا بالله) أي الملك الأعظم الذي
 شرع لك هذا الشرع الاقوم فذلك بتوفيقه وهوته وهذا هو السبب الكلي الاصلى ثم ذكر
 بعده ما هو السبب الجزئي القريب بقوله سبحانه وتعالى (ولا تحزن عليهم) أي في شدة كفرهم
 قبلنا في الحرص الباطح للنفس (ولا تذك في ضيق) ولو قل كالتوح اليه بتنوين التصغير (مما
 يكفرون) أي من استقرار كفرهم بك واعبد ربك حتى يأمنك اليقين وكانك به وقد أتى فاصبر
 فان الله معرك ومظهر دينك وقرأ ابن كثير بكسر الصاد والباقون بنصبها * (تنبيه) * هذا
 من الكلام المتقارب لأن الضيق صفة والصفة تكون حاصلة في الموصوف ولا يكون الموصوف
 خاصاً في الصفة فكان المعنى ولا يمكن الضيق فيك الا الآن الفائدة في قوله تعالى ولا تذك في ضيق
 هو أن الضيق اذا عظم وقوى صار كالشيء المحيط بالانسان من كل الجوانب وصار كالقصر
 المحيط به فكالت الفائدة في ذكر هذا اللفظ هذا المعنى المرتبة الرابعة قوله تعالى (ان الله) أي
 انبأ مع لصفات الكمال بلطفه وعونه (مع الذين اتقوا) أي يوجد منهم الخوف من الله تعالى
 واجتنبوا المعاصي (والذين هم محسنون) في أعمالهم والشفقة على خلقه وهذا يجري مجرى

التهديد لان في المرتبة الاولى رغبة في ترك الانتقام على سبيل الرمز وفي الثانية عدل عن الرمز
 الى التصريح وهو قوله تعالى ولئن صبرتم لهو خيرا للصابرين وفي المرتبة الثالثة أمر بالصبر على
 سبيل الجزم وفي هذه المرتبة الرابعة كانه ذكر الوعيد على فعل الانتقام فقال ان الله مع الذين
 اتقوا أى عن استغناء الزيادة والذين هم محسنون أى في ترك أصل الانتقام فكانه تعالى قال ان
 أردت أن أكون معك فكن من المتقين ومن المحسنين وهذه المعية بالرحمة والفضل والترية
 وفي قوله تعالى اتقوا اشارة الى التعظيم لأمر الله وفي قوله والذين هم محسنون اشارة الى
 الشفقة على خلق الله تعالى قبل لهم بن حبان عند قرب وفاته أوص فقال ان الوصية
 في المال ولا مال الى ولكن أوصيكم بخواتيم سورة النحل * (تبيه) * قال بعضهم ان قوله
 تعالى وان عاقبتهم الى لهو خيرا للصابرين منسوخ بآية السيف قال الرازي وهذا في غاية البعد
 لان المقصود من هذه الآية تعليم حسن الادب في كيفية الدعوى الى الله تعالى وترك التعدي
 وطلب الزيادة ولا تعلق لهذه الاشياء بآية السيف وما رواه البيضاوي نبالا لم يخشى من
 أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله تعالى بما أثم عليه في دار الدنيا
 وان مات في يوم تلهاه أو وليته كان له من الاجر كالذي مات وأحسن الوصية حديث موضوع
 قال الرازي في آخر هذه السورة يقول مصنف الكتاب الحق عزيز والطريق بعيد والمركب
 ضعيف والقرب بعدد الوصل هجر والحقائق مصونة والمعالي في غيب الغيب مكنونة
 والأسرار فباوراء أقفال العزة مخزونة ويبد الخلق القليل والقال والكامل ليس الله تعالى
 ذى الاكرام والجلال

﴿سورة الاسراء﴾ وسمى سبحانه وبني اسرائيل عليه

الاوان كادوا الآيات الثمان مائة وعشر آيات أو احدى عشرة وألف وخمسمائة وثلاث
 وثلاثون كلمة وعدد حروفها ستة آلاف واربعمائة وستون حرفا

(بسم الله) الملك المالك لجميع الامور (الرحمن) لكل ما وجد به جبارا به (الرحيم) لمن خصه بالتزام
 العمل بما يرضاه وقوله تعالى (سبحان) اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد يستعمل علما
 له فيقطع عن الاضافة ويجمع من الصرف للعلمية وزيادة الالف والنون قال الاعشى في مدحه
 عامر بن الطفيل

قد قلت لما جاء في نغره * سبحان من علقمة الفاخر

أى العجب منه اذ يفخر والعرب تقول سبحان من كذا اذا تعجبوا منه الشاهد في سبحان
 حيث جعله علما على التنزيه فنهى عن الصرف وعلقمة المذكور صحابي قدم على رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وهو شيخ فأسلم وبايع واستعمله عمر بن الخطاب رضى الله عنه على حوران فلت
 بها (الذى أسرى بعبدته) هو محمد صلى الله عليه وسلم الذى هو أشرف عباده على الاطلاق
 وأخفهم بالاضافة اليه وقرأ أبو عمرو وسحره والكسائي أسرى بالامالة محضه وورش بين بين

والباقر بالفتح وقوله تعالى (لبلاب) نصب على الظرف والاسراء سير الليل وقائدة ذكره
 الاشارة بتكبيره الى تقليل مدته فكان هذا الامر الجليل في جرم يسير من الليل والى انه عليه
 الصلاة والسلام يمتحج في الاسراء والعروج الى سدرة المنتهى وجماع الكلام من العلى الاعلى
 الى روضة بصيام ولا غيره بل كان مهيا لذلك متأهلا له فأقامه تعالى من القرش الى العرش
 (من المسجد الحرام) أى بعينه وهو الذى يدل عليه ظاهر لفظ القرآن وروى أنه صلى الله
 عليه وسلم قال بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل
 بالبراق وقيل كان نائما في الحطيم وقيل في بيت أم هانئ بنت أبي طالب قال البقاعي وهو قول
 الجمهور والمراد بالمسجد حنيفة الحرم لانه فناء المسجد (الى المسجد الاقصى) أى بيت المقدس
 الذى هو بعيد المسافة حينئذ رأ بعد المسجدين الاعظمين مطلقا من مكة المرفقة بينهما
 أربعون ليلة فغسلى بالانبياء كلهم ابراهيم وموسى ومن سواهما على جميعهم أفضل الصلاة
 والسلام ورأى من آياتنا الكبرى ما قدرنا له كما ساقى في حديث المعراج ورجع بين أظهرهم الى
 المسجد الاقرب منك في ذلك الجزء اليسير من الليل وأنتم تظنون أكاد الا بل في هذه
 المسافة شهر اذها وباشهر البياض ثم وصفه تعالى بما يقتضى تعظيمه وانه أهل القصد بقوله تعالى
 (الذى باركنا حوله) أى بما لنا من العظمة بالماء والاشجار وقال مجاهد سماه مباركا لانه مقر
 الانبياء ومهبط الملائكة والوحى ومنه يحشر الناس يوم القيامة وموطن العبادات ومعدن
 الفوائد والارزاق والبركات وباركنا حوله لاجله فانك به نفسك فهو انبغ من باركنا فيه
 ثم منه الى السموات العلى الى سدرة المنتهى الى ما لم ينله بشر غيره صلى الله عليه وسلم قال البقاعي
 ولعل حذف ذكر المعراج من القرآن ههنا لقصورا فهم عن ادراك أدلته لو أنكروه بخلاف
 الاسراء فانه أقام دليله عليهم بما شاهدوه من الامارات التى وصفها لهم وهم فاطمون بأنه صلى
 الله عليه وسلم يراها قبل ذلك فلما بان صدقه بما ذكر من الامارات أخبر بعد ذلك من أراد
 الله تعالى بالمعراج ثم ذكر سبحانه وتعالى الغرض من الاسراء بقوله تعالى (لتربيه بعينه وقلبه
 من آياتنا) أى بما تاب قدرتنا السماوية والارضية كما أريشأ أباه الخليل عليه السلام
 ملكوت السموات والارض (انه) أى الله (هو السميع) لجميع الاقوال (اليسير) أى
 العالم بأحوال عباده فيكرم ويقرب من شاء منهم وقيل انه أى هذا العبد الذى اختصه سبحانه
 بالاسراء هو أى خاصة السميع أى أذننا وقلبا بالاجابة لنا والاذعان لا امرنا البصير به مرا
 وبصيرة بدليل ما أخبر به من الآيات وصدق من الدلالات حتى نعت ماسا لو عنه من بيت
 المقدس ومن أمر غيره وغيرهما هم مشهور في قصة الاسراء واختلف هل أسرى بروحه
 أو بجسده صلى الله عليه وسلم فمن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها كانت تقول ما فقدت جسده
 النبي صلى الله عليه وسلم ولكن أسرى بروحه والا كثرون على أنه أسرى بجسده في المقظة
 وتواترت الاخبار العجيبة على ذلك منها قوله صلى الله عليه وسلم أوتيت بالبراق وهو دابة أبيض
 فوق الحمار ويدون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته فسار به حتى أتيت بيت المقدس

قوله الذى هو الخ
 كلام غير مستقيم اه

فربط الدابة بالحلقة التي تربط فيها الانبياء ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني
 جبريل بانام من خروا نام من لبن فاخترت اللبن قال جبريل عليه السلام اصبت الفطرة قال
 صلى الله عليه وسلم ثم عرج بي الى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل
 فقيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسى اليه قال قد ارسى اليه ففتح لنا فاذا انا انا آدم فرحب بي
 ودعالي بخير ثم عرج بي الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت فقال جبريل فقيل
 ومن معك قال محمد قيل قد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا انا يحيى وعيسى
 فرحباني ودعوا لي بخير ثم عرج بي الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من انت قال
 جبريل فقيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسى اليه قال قد ارسى اليه ففتح لنا فاذا
 انا يوسف واذا هو قد اعطى شطر الحسن فرحب بي ودعالي بخير ثم عرج بي الى السماء الرابعة
 فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسى اليه قال
 قد ارسى اليه ففتح لنا فاذا انا ابا دريس فرحب بي ودعالي بخير ثم عرج بي الى السماء الخامسة
 فاستفتح جبريل فقيل من انت فقال جبريل فقيل ومن معك قال محمد قيل قد ارسى اليه
 قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بهرون فرحب بي ودعالي بخير ثم عرج بي الى السماء السادسة
 فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال
 قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا موسى فرحب بي ودعالي بخير ثم عرج بي الى السماء السابعة فاستفتح
 جبريل فقيل من انت قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث
 اليه ففتح لنا فاذا انا ابراهيم فاذا هو مستند الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم
 سبعون ألف ملك ثم لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى السدرة المنتهى فاذا وورقها كادان القليلة
 واذا ثمرها كالقلال فلما غشيتها من امر الله ما غشيتها تغيرت فاعاد من خلق الله يستطيع
 ان يصفها من حسناتها قال صلى الله عليه وسلم فاعرج الى عبده ما اوحى وفرض علي في كل يوم
 وليلة خمسين صلاة فترت حتى انتهت الى موسى فقال ما فرض ربك علي اتمتك قلت خمسين
 صلاة في كل يوم وليلة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان اتمتك لا تطيق ذلك واني قد بلوت
 بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت له اي رب خفف عن امتي لخطي عني خسا
 فرجعت الى موسى فقال ما فعلت فقلت قد حط عني خسا قال ان اتمتك لا تطيق ذلك فارجع الى
 ربك فاسأله التخفيف لان اتمتك لا تطيق ذلك قال فلم ازل ارجع بين ربي وبين موسى ويحط عنى
 خسا حتى قال يا محمد هي خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشرين فقلت خسون صلاة
 ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرين ومن هم بسنة فلم يعملها
 لم تكتب فان عملها كتبت سنة واحدة فترت حتى انتهت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى
 ربك فاسأله التخفيف لا تملك فان اتمتك لا تطيق فقلت قد رجعت الى ربي حتى استهيت رواء
 الشيطان وروى انه قال بعد ذلك ولكن ارضى واسلم فلما جاؤت نادى مناد ا مضيت فريضتي
 وخففت عن عبادي ثم ادخل الجنة فاذا فيها جنازة اللؤلؤ واذا ترابها المسك وروى انه لما

وصل الى سدرة المنتهى فاذا اربعة اناهر نهران ظاهران ونهران باطنان فقلت ما هذان
 يا جبريل قال اما الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع الى البيت
 المعمور ثم اوتيت بانامن خمر وانامن لبن وانامن من غسل فاخبرت اللين فقال هي القطرة التي
 انت عليها وامتلك قال ثم فرضت على الصلاة خمسين صلاة يوم فرضت فمرت على موسى وساق
 الحديث ومنها ما رواه الحاكم في المستدرک عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم رأيت ربي عز وجل قال هي رؤيا عين اربها رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ليلته أسرى به الى بيت المقدس قال والشجرة المعروفة في القرآن هي شجرة الزقوم ومنها
 ما رواه قتادة عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم
 عن ليلة الاسراء به قال بنا أنافي الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع ومنهم من قال بين النائم
 واليقظان وذكر بين رجلين وأتيت بطشت من ذهب مملوءة حكمة وإيمان فاشق من النهر
 الى حراق البطن واستخرج قلبي فغسل ثم حشي ثم أعيد وقال سعيد وهشام ثم غسل البطن
 بماء زمزم ثم ملي إيماناً وحكمة ثم أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل
 يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته وساق بقية الحديث ومنها ما روى أنه صلى الله عليه
 وسلم كان نائمًا في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فأسرى به ورجع من ليلته وقص القصة على أم
 هانئ وقال مثل لي النيامون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبت أم هانئ بشوبه فقال
 مالك قالت أخشى أن يكذبك الناس وقومك ان أخبرتهم قال وان كذبوني فخرج اليهم
 وروى أنه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليله أسرى به فكان بنى طوى قال يا جبريل
 ان قومى لا يصدقوني قال صدقك أبو بكر وهو الصديق قال ابن عباس وعائشة عن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم لما كانت ليلة أسرى بي فأصبحت بمكة قطعت بأمرى وعرفت أن
 الناس يكذبوني فروى أنه عليه الصلاة والسلام قعد مع تارخينين تغزبه أبو جهل فجلس
 اليه فقال كما مستترى هل استفتدت من شئ قال نعم أسرى بي الليلة قال الى أين قال الى بيت
 المقدس قال ثم أصبحت بين ظهراينا قال نعم فقال أبو جهل يا معشر بني كعب بن لؤي
 هلموا فانقضت اليه المجالس فجأوا حتى جلسوا اليهما قال حدثت قومك بما حدثتني قال نعم
 اني قد أسرى بي الليلة قالوا الى أين قال الى بيت المقدس قالوا ثم أصبحت بين أظهرنا قال نعم
 فمن بين مصفق ووضع يده على رأسه فجمعا وانكارا وانتداس من كان آمن به وسعى رجال الى
 أبي بكر رضي الله عنه فقالوا له هل لك في صاحبك يزعم أنه امرى به الليلة الى بيت المقدس قال
 أوقد قال قالوا نعم قال ان كان ذلك لقد صدق قالوا تصدقه على ذلك قال اني لأصدقته على
 أن يعلمن ذلك أستغفه على خبر السماء في غدوة أو وروحة فسمى الصديق قال وفي القوم من كان
 يأتي المسجد الأقصى فقالوا فهل تستطيع أن تنعت لنا المسجد الأقصى قال نعم قال فذهبت
 أنعت وأنعت فأنزلت أنعت حتى التبس على قال فحي بالمسجد وأنا أنظر اليه حتى وضع دون
 دار عقيل فنعت المسجد وأنا أنظر اليه فقال القوم أما النعت فوالله لقد أصاب ثم قالوا يا محمد

أخبرنا عن غيرنا فهي أهم المناهل لقيت منها شياً قال نعم مررت على غيري فلان وهي باروحاء
وقد أضلوا بعير الهم وهم في طلبه وفي رحالهم قدح من ماء فعضت فأخذته وشربته ثم
وضعت كما كان فأسألوهم هل وجدوا الماء **الفتح** حين رجعوا إليه قالوا هذه آية قال ومررت
بعير بني فلان وفلان وفلان وكان يعود الهما فنفر بعيرهما مني فرى بفلان فأنكسرت
يده فأسألوهم عن ذلك قالوا وهذه آية قالوا فأخبرنا عن غيرنا حتى تجيء قال مررت بهم بالتعظيم
قالوا فاعتدتها وما حملها وما أجالها ومن فيها فقال هيئتها كذا وكذا وفيها فلان وفلان يقدمها
بجل أو ورق عليه غراران مخيطان تطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا وهذه آية ثم خرجوا
يشهدون فقوا الثنية وهم يقولون والله لقد قص محمد شياً وبينه حتى أتوا كداء فجلسوا عليه
فجعلوا ينظرون متى تطلع الشمس فيكذبونه إذ قال قائل منهم هذه الشمس والله قد أشرقت فقال
آخر والله وهذه العير قد أقبلت بقدمها جل أو ورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا إلا سحر
مبين والاورق من الأبل الذي في لونه بياض إلى سواد وهو أطيب الأبل لما قاله الجوهري ومنها
ما روى عن أنس بن مالك قال كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج
سقف بيتي وأباجعك فنزل جبريل ففرج صدرى ثم غسله من ماء زمزم وجاء بطشت من ذهب
مملئ حكمة وإيماناً فأفرغها في صدرى ثم أظبية ثم أخذ بيدي وعرج بي إلى السماء فلما
جئنا إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء افتح قال ومن هذا قال جبريل قال هل معك
أحد قال نعم معي محمد قال فأرسل إليه قال نعم ففتح قال فلعلمونا السماء الدنيا فإذا رجعت
عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة فإذا انظر قبل يمينه ضحك وإذا انظر قبل شماله بكى فقال مرحبا
بالابن الصالح والنبي الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الأسودة التي
عن يمينه وعن شماله نسف فيه فأهل اليمن منهم أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار
وإذا انظر عن يمينه ضحك وإذا انظر قبل شماله بكى ثم عرج بي جبريل حتى أتى إلى السماء الثانية
فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال لخازن السماء الدنيا فقال أنس بن مالك فذكر أنه
وجد في السموات آدم وادريس وموسى وعيسى وإبراهيم ولم يبين كيف منازلتهم غير أنه ذكر
أنه وجد آدم في السماء الدنيا وإبراهيم في السماء السادسة قال فلما مرت جبريل ورسول الله صلى
الله عليه وسلم يادريس فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح قال قلت من هذا قال انه
ادريس قال ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت من هذا قال
هذا موسى فقال ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت من هذا
قال عيسى ثم مررت بإبراهيم فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح قال قلت من هذا قال
هذا إبراهيم قال ابن شهاب أخبرني ابن جزم أن ابن عباس كان يقول كان النبي صلى الله
عليه وسلم يقول ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صرير الأقلام وروى معمر عن قتادة
عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بالبراق ليلة أسرى به صريراً لم يسمعها فاستصعب عليه
فقال جبريل لي بمحمد تنقل هذا فما ركبتك أحيداً كرم على ألقىته فما رقت مني فاقال ابن زيد

عن أبيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اتهمت الى بيت المقدس قال جبريل باصبعه
 تخرق به ساجرا وشده البراق وفي رواية أنه جاء جبريل بالبراق الى النبي صلى الله عليه وسلم
 وقال له يا محمد اركب فركبه صلى الله عليه وسلم وملك جبريل وطار به البراق في الهواء فاخترق
 به الجحوق فعبث صلى الله عليه وسلم واحتاج الى الشراب فأتاه جبريل باناء من لبن واناء من
 خمر وذلك قبل تحريم الخمر فعرضهما عليه فتناول اللبن فقال له جبريل عليه السلام أصبت
 الفطرة أصاب الله تعالى بك أم تك ولذا كان صلى الله عليه وسلم يتأول اللبن بالعالم فلما وصل
 الى السماء الدنيا استفتح الى أن قال ثم عرج بي الى سدرة المنتهى وأخبره جبريل أن أعمال
 بني آدم تنتهي الى تلك السدرة وانها مقر الارواح فهي نهاية لما ينزل مما فوقها ونهاية لما يعرج
 اليها مما هو دونها وبها مقام جبريل عليه السلام فنزل صلى الله عليه وسلم عن البراق ورجى اليه
 بالرفرف وهو نظير المحفة عندنا فاقعد عليه وسلمه جبريل الى الملك النازل بالرفرف فسأله الصبية
 لئلا تسبه فقال له لا أقدر لو خطوت خطوة لاحترقت فإنا االه مقام معلوم وما أسرى الله بك
 يا محمد الا ليريك من آياته فلا تغفل فودعه وانصرف مع ذلك الملك والرفرف والملك يمضي به الى
 أن ظهر لمستوى مع فيه صرير الاقلام في الالواح وهي كتبت ما يجره به الله تعالى في خلقه
 وما نقشه الملائكة من أعمال عبادته قال تعالى انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ثم رجع بي في النور
 زجعة فأقره الملك الذي كان معه وتأخر عنه فلم يره معه فعلم أن الرفرف ما تدلى الا لتكون البراق
 له مكان لا يتعداه كجبريل لما بلغ الى المكان الذي لا يتعداه وقف وكذلك الرفرف لما وصل الى
 مقام لا يتعداه رجع به في النور فقسمه النور من جميع نواحيه وأعطى علما آخر لم يكن يعلمه
 قبل ذلك عن وحى من حيث لا يدري وجهته وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم لقد رأيتني وأنا في الجحور قريريش تسألني عن مسراي فسألني عن أشيأ من بيت المقدس
 لم أت بها فكربت كربة ما كرت مثلها قط فرفعه الله الى لا نظير ليه فاسألتني عن شئ الا أتبتهم
 به وقد رأيتني في جماعة من الانبياء فاذا بموسى قائم يصلي فاذا رجع جعد كانه من رجال شؤاة
 واذا عيسى بن مريم قائم يصلي أقرب الناس به شهباء عروة بن مسعود الثقفي واذا ابراهيم قائم
 يصلي أشبه الناس به صاحبكم يعني به نفسه صلى الله عليه وسلم فحانت الصلاة فأمتهم فلما فرغت
 قال قائل يا محمد هذا مالك خازن النار صلى الله عليه فالتفت اليه فبدا نى بالسلام وعن جابر أنه سمع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما كذبني قريريش قلت الى الجبر فجعل الله لي بيت المقدس
 وذكر الحديث وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت موسى
 ليلة أسرى بي عند الكتيب الاحمر وهو قائم يصلي في قبره (فان قيل) رأى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم موسى يصلي في قبره وكيف تصلى الانبياء بعد الموت وهم في دار الآخرة (أجيب) بأن
 صلواته صلى الله عليه وسلم بالانبياء عليهم السلام بيت المقدس يحتمل أن الله تعالى جمعهم له
 ليصلي بهم ويعرفوا فضلهم وتقدمه عليهم ثم ان الله تعالى أراه اياهم في السموات على مراتبهم
 ليعرف هو مراتبهم وفضلهم وأما موسى وهو قائم يصلي في قبره عند الكتيب الاحمر

فيحتمل انه كان بعد رجوعه من المعراج وأما حكم صلاة الانبياء وهم في الدار الآخرة فهم في حكم الشهداء بل هم أفضل منهم وقد قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء فالانبياء بعد الموت أولى وأما حكم ضلاتهم فيحتمل أنهم بالذکر والدعاء وذلك من أعمال الآخرة قال تعالى دعواهم فيها سبحانه اللهم وورد في الحديث أنهم سلم لهم يوم التسبيح كما يلهمون النفس ويحتمل أن الله تعالى خصهم بخصائص في الآخرة كما خصهم في الدنيا بخصائص لم يخص بها غيرهم منها أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أنه رأهم يلبون ويحجون فكذلك الصلاة والله أعلم بمقتضى الأمور وروى عن شريك بن عبد الله قال سمعت أنس بن مالك يقول ليلة أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة انه جاء ثلاثة نفر قبل أن يوحى اليه وهو قائم في المسجد الحرام فقال أولهم أنهم هو قال أو سبطهم هو خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم وساق حديث المعراج بقصته قال فإذا هو في السماء الدنيا نهرين يطردان قال ما هذان يا جبريل قال هذان النيل والفرات عنصرهما ثم مضى به في السماء فإذا هو بنهر آخر عليه نهر من لؤلؤ ويزر جرد فضرب يده فاذا هو مسك أذفر قال ما هذان يا جبريل قال هو الكوز الذي خبأ لك ربك وذكر في آخر حديثه أنه صلى الله عليه وسلم قال في آخر الحديث ثم علا بي حتى جاء صدره المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى فكان منه كقاب قوسين وأدنى في فاحش اليه وذكرت عائشة أن النبي ذاق تسدي جبريل عليه السلام وسما في الكلام على ذلك ان شاء الله تعالى في سورة النجم (فان قيل) قوله تعالى اتر به من آياتنا يدل على انه تعالى ما أراه البعض الآيات لأن كلمة من تصيد التبعض وقال في حق ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض أى ملكهما فيلزم أن يكون معراج ابراهيم أفضل من معراج محمد عليهما السلام (أجيب) بأنه لما أضيفت تلك الآيات الى الله تعالى دل على انها أفضل مما أراه ابراهيم (تبيينه) قال النووي في شرح مسلم قد جاء في رواية شريك في حديثه أو هام أنكروا عليه العلماء فيها انها قوله وذلك قبل أن يوحى اليه وهو غلط لم يوافق عليه وإن الاسراء أقل ما قيل فيه انه كان بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر شهرا وقال الطبراني كان ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخرة قبل الهجرة بسنة وقال الزهري كان بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمسة سنين قال ابن اسحق أسرى به صلى الله عليه وسلم وقد فشا الاسلام بمكة والقبائل وقيل كان الاسراء في رجب ويقال في رمضان قال النووي وأشبهه الاقوال قول الزهري وابن اسحق وعلميل على أنه أسرى بجسده صلى الله عليه وسلم قوله تعالى أسرى به بعدة ولقظ العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد وقوله صلى الله عليه وسلم آيت بالبراق وهو اسم للذابة وهي التي ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به واشتقاقه من البرق لسرعته أولشدة صفائه وبياضه ولعانه وتلا لؤلؤ نوره والحلقة باسكان اللام ويجوز فتحها والمراد بربط البراق بالحلقة الاخذ بالاحتياط في الأمور وتعالطى الاسباب وإن ذلك لا يقدر في التوكل اذا كان الاعتماد على الله تعالى وقوله جاءني جبريل بانام من خروا نام من ابن فاخترت اللبن فيه اختصار

قوله عليه نهر المعراج هكذا في النسخ ولعله محرف عن قوله عليه جنان من لؤلؤ ويزر جده اه

والتقدير قال لي اخترت فاخترت اللبن وقول جبريل اخترت الفطرة يعني فطرة الاسلام وجعل اللبن
 علامة الفطرة الصحيحة السليمة لكونه سهلا طيبا سائغا للشاربين وانه سليم العاقبة يخلاف
 الخمر فانم أتم الخبائث وحبالبه لانواع الشر وقوله ثم عرج بي حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح
 جبريل فقيل من أنت قال جبريل فيه بيان الادب لمن استأذن أن يقول أنا فلان ولا يقول أنا
 فقط فانه مكروه وفيه أن للسماء أبو ابابؤابن عليها حرسا وقول بواب السماء وقد أرسل اليه
 وفي الرواية الاخرى وقد بعث اليه معناه للاستواء وصعود السماء وليس مراده الاستفهام
 عن أصل البعثة والرسالة فان ذلك لا يخفى عليه الى هذه المدة وقوله فاذا أنا آدم وذكر
 جماعة من الانبياء فيه استحباب لقاء أهل الفضل والصلاح بالبشر والترحب والكلام الحسن
 وان كان الزائر أفضل من المزور وفيه جواز مدح الانسان في وجهه اذا أمن عليه من الاعجاب
 وغيره من أسباب الفتنة وقوله فاذا أنا ابراهيم مستند ظهره الى البيت المعمور فيه دليل على
 جواز الاستناد الى القبلة وتحويل ظهره اليها وقوله ذهب بي الى السدرة المنتهى هكذا وقع
 في هذه الرواية بالالف واللام وفي باقي الروايات الى سدرة المنتهى قال ابن عباس وغيره من
 المفسرين سميت بذلك لان علم الملائكة ينتهي اليها ولم يجاوزها احد غير رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وقال ابن مسعود سميت بذلك لكونه ينتهي اليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من
 تحتها من أمر الله عز وجل وقوله واذا غمرها مثل القلال هو بكسر القاف جمع قلبه بضمها وهي
 الجزيرة الكبيرة التي تسع قريتين أو أكثر وقوله فرجعت الى ربّي قال النووي معناه رجعت
 الى الموضوع الذي ناجيته منه أو لانا جيته فيه ثانيا وقوله فلم أزل أرجع بين موسى وبين ربّي
 معناه بين موضع مناجاة ربّي وقوله ففرض عليّ أمّي خمسين صلاة الى قوله فوضع عني خمسا
 وفي رواية شطرها وفي رواية عشر ليس بين هذه الروايات منافاة لان المراد بالشرط الجزم وهو
 الخمس وليس المراد منه النصف وأما رواية العشر فهو رواية شريك ورواية الخمس رواية قتادة
 وهو أثبت من شريك والمراد حط عني خمسا الى آخره ثم قال هي خمس وهن خمسون يعني
 خمسين في الاجر والثواب لان الحسنه بعشر أمثالها واحتج العلماء بهذا الحديث على جواز نسخ
 الشيء قبل فعله وفي الحديث انه شق صدره ليلة المعراج وقد شق صدره أيضا في صغره وهو عند
 حلية التي كانت ترضعه فالمراد بالشق الثاني زيادة التطهير لما راد به من الكرامة ليلة المعراج
 وقوله أبت بطشت من ذهب قديتهم انه يجوز استعمال الذهب لنا وليس الامر كذلك لان
 هذا الفعل من فعل الملائكة وهم مباح لهم استعمال الذهب أو لعل هذا كان قبل تحريمه وقوله
 ممتلئ حكمة وایمانا فافرقهما في صدرى فديقال الحكيمة والایمان من المعاني والافراغ
 صفة الاجسام فاصحى ذلك أجيب بأنه يحمل انه جعل في الطشت شيء يحصل به كمال الايمان
 والحكمة وزيادة ثم حانمى ايمانا وحكمة لكونه سببا لها وهذا من أحسن الهماز وقوله
 في صفة آدم فاذا رجع عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة هو جمع مواد وقد فسره في الحديث
 بأنه نسف فيه يعني أرواح بنيه (فان قيل) أرواح المؤمنين في السماء وأما أرواح الكفار فتمت

الارض السفلى فكيف تكون في السماء (أجيب) بأنه يحتمل ان ارواح الكفار تعرض على
 آدم عليه السلام وهو في السماء فوافق وقت عرضها على ادم مرور النبي صلى الله عليه وسلم
 فأخبر عماراًى وقوله اذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر عن شماله بكى فبصه شفقة الوالد على اولاده
 وسروره وفرحه بحسن حال المؤمن منهم وحزنه على حال الكافر منهم وقوله في ادريس مرحبا
 بالاخ الصالح والنبي الصالح قد اتفق المؤرخون انه هو اخنوخ جد نوح فيكون جد النبي
 صلى الله عليه وسلم كما ان ابراهيم جدته فكان ينبغي ان يقول بالنبي الصالح والابن الصالح كما
 قال آدم و ابراهيم (وأجيب) بأنه قيل ان ادريس المذكور هنا هو الياس وهو من ذرية
 ابراهيم فليس هو جد نوح فانه القاضي عياض وقال النووي ليس في هذا الحديث ما يمنع
 كون ادريس ابابنينا صلى الله عليه وسلم وان قوله الاخ الصالح يحتمل ان يكون فانه تلعافا
 وتأدبا وهو أخ وان كان ابنا لان الانبياء اخوة والمؤمنون اخوة انتهى وانما أطلقت في بيان
 ذلك لان الكلام مع الاحبة يحلو ولولا خوف الملل ما اقتصرنا على ذلك فقد قال بعض
 المفسرين لأعلم في الكتاب العزيز سورة تضمنت من خصائصه التي فضل بها كافة الانبياء ما
 تضمنته هذه السورة ولكن في هذا القدر كفاية لاولى الالباب * ولما ثبت بهذه الحارقة ما أخبر
 به صلى الله عليه وسلم عن نفسه المقدسة من عظيم القدرة وما جاءه صلى الله عليه وسلم من الآيات
 الينيات في هذا الوقت اليسر أتبعه ما منح في السمر من مصر الى الارض المقدسة من الآيات
 في مدد طو ال موسى عليه الصلاة والسلام الذي كان أعظم الانبياء بركة على هذه الامتة ليله
 الاسراء لما ارشد النبي صلى الله عليه وسلم اليه من مراجعة الله تعالى في تحقير الصلاة حتى
 رجعت من خسين الى خمس مع أجر خسين فقال (وأتينا) أي بعظمتنا (موسى الكتاب)
 أي التوراة (وجعلناه) أي الكتاب بما لنا من العظمة (هدى لبني اسرائيل) بالجل على العدل
 في التوحيد والاحكام وأسر يشا موسى عليه السلام ويقومه من مصر الى بلاد المسجد
 الاقصى فأقاموا سائرين اليها أربعين سنة ولم يصلوا ومات كل من خرج الا المتقين الموفين
 بالعهد فقد بان الفضل بين الاسراء كما بان الفضل بين الكتابين فذكر الاسراء اول دليل على
 حذف مثله اول فالآية من الاحتياك ثم به على ان المراد من ذلك كلمة التوحيد اعطاء
 وعبادة بقوله تعالى (ان لا) أي لا (يتخذوا) على قراءة أبي عمرو وبالياء على الغيبة وقرأ غيره
 بالتاء على ان لا يتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل كذا (من دوني وكيلاً) أي ربا تكون
 اليه اموركم وذلك هو التوحيد فلامعراج أعلى ولا درجة أشرف ولا نعمة أعظم من ان يصير
 المرء غيره قاي بحر التوحيد وأن لا يقول في أمر من الامور الاعلى الله تعالى فان نطق نطق
 بذكر الله وان تفكر تفكر في دلائل تزيه الله وان طلب طلب من الله فيكون كله وباللهم والى الله
 وقوله تعالى (ذرية) نصب على الاختصاص في قراءة أبي عمرو وعلى النداء عند الباقين أي
 يا ذرية (من حملنا) أي في السفينة بعظمتنا على ظهر ذلك الماء الذي طبق ما تحت اديم السماء
 وبه تعالى على شرفهم وقيام نعمتهم بقوله تعالى (مع نوح) ففي ذلك تذكري بانعام الله تعالى

عليهم وانجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح في السفينة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح لانه كان معه في السفينة ثلاث بنين سام وحام وياث فالناس كلهم من ذرية اولئك قال البقاعي لان الصحيح أن من كان معه من غير ذريته ما نوا ولم يعقبوا ولم يقل ذرية نوح ليعلم انهم عقب اولاده المؤمنين لتكون تلك منة أخرى * ثم انه تعالى اثني على نوح خنا على الاقداس به في التوحيد كما اقتدى به آباؤهم في ذلك بقوله تعالى (انه كان عبدا شكورا) أي مبالغا في الشكر الذي هو صرف العبد لجميع ما أنعم الله تعالى به عليه لما خلق له روى انه عليه الصلاة والسلام كان اذا أكل كل قال الحمد لله الذي أطعمني ولوشاء أجاجني وفي رواية انه يسمي اذا أكل ويحمد اذا فرغ واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولوشاء أظلماني واذا ااكسى قال الحمد لله الذي كساني ولوشاء أعراني واذا احتدى قال الحمد لله الذي حداني ولوشاء أحقاني واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي أخرج عني أذاه في عافية ولوشاء أحبسه وفي رواية انه كان يقول الحمد لله الذي اذا قفي لذته وأبقي منفعتي في جسدي وأخرج عني أذاه وفي رواية انه كان اذا أراد الافطار عرض طعامه على من مرتبه فان وجدته محتاجا آثره به * ولما ذكر تعالى انعامه على بني اسرائيل بازال التوراة عليهم وبأنه جعل التوراة هدى لهم بين انهم ما هتدوا وجاهدوا به بل وقوا في الفساد بقوله تعالى (وقضينا) أي أوحينا (الى بني اسرائيل) أي الى بني عبدنا يعقوب عليه السلام الذي كان أطوع أهل زمانه وحيما تقطوعا مشبوتا (في الكتاب) أي التوراة التي قد أوصلناها اليهم على لسان موسى عليه السلام وقبل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ وقوله تعالى (لتفسدن) جواب قسم محذوف ويجوز أن يجري القضاء المشبوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كأنه قال وأقسمنا لتفسدن (في الأرض) أي أرض الشام قاله السيوطي وقال الرازي أرض مصر ويوافق الاول قول البقاعي أي المقدسة التي كانوا لشرفها هي الأرض (مرتين) أي افسادتين قال في الكشف أولاها قتل زكريا عليه السلام وحبس أرميا حين أخذهم بسخط الله تعالى والاخرى قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى بن مريم وقال البيضاوي الاولى مخالفة أحكام التوراة وقتل شعبا وقتل أرميا وثانيه ما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم السلام (وتعلن) أي بما صرتم اليه من البطر لتسيان المنم (علموا كبيرا) بالظلم والتزدد لانه يقال لكل متخير قد علا وتعلم (فأذا جاء وعد اولاهما) أي أولى مرتفي الفساد وهو الوقت الذي جددنا لهم الانتقام فيه (بعنا عليكم عبادنا) أي لايدان لكم بهم كما قال تعالى (اولى باس شديد) أي أصحاب قوة في الحرب واختلف فيهم فقال في الكشف سغاريب وجنوده وقيل بختنصر وقال ابن عباس جالوت قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وخرّبوا المساجد وسبوا منهم سبعين ألعا وقال البيضاوي عبادنا بختنصر عامل لها راسف على بابل وجنوده وقيل جالوت الخزري وهو بجاه قزاي مقتوحين فزاة نسبة الى الخزر وهو ضيق العين وصغرها وهو الذي قتله داود وجيل من الناس وذكر الرازي في ذلك قولين الاول ان الله تعالى سلط عليهم بختنصر فقتل منهم أربعين ألفا ممن يقرأ التوراة وذهب

بالبقية الى ارض نفسه فبقوا ههنا حتى الذل الثاني أن الله تعالى ألنى الرب من بني اسرائيل
 في قلوب الجوس فلما كثرت المعاصي فيهم أزال الله ذلك الرب عن قلوب الجوس فقصدهم
 وبالغوا في قتلهم وانفائهم واهلاكهم وأخرج ابن أبي حاتم عن عطية قال أفسدوا المرة الاولى
 فأرسل الله عليهم جم جالوت فقتلهم وأفسدوا المرة الثانية فقتلوا يحيى بن زكريا فبعث الله عليهم
 بجن حنصر وعن ابن مسعود قال كان أول الفساد من قتل زكريا فبعث الله عليهم ملك القبط
 وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال الاولى قتل زكريا والاخرى قتل يحيى قاله الرازي
 واعلم أنه لا يتعلق كتب غير عرض في معرفة أولئك الاقوام بأعيانهم بل المقصود هو أنهم
 لما كثروا من المعاصي سلط الله عليهم أقواما قتلوهم وانفؤهم ثم قال الله تعالى (فأسوأ) أي
 تزدوا والطلبكم (خلال الديار) أي وسطها القتل والغارة قال البيضاوي قتلوا كبارهم وسبوا
 صغارهم وحرقتوا التوراة وحزبوا المسجد والمعصرة لما منعوا تسلط الله الكافر على ذلك
 أولوا البعث بالتخلية انتهى وفي ذلك تعريض بالزخشي فانه قال في كشفه (فان قلت) كيف
 جاز أن يبعث الله تعالى الكفرة على ذلك ويسلطهم عليه (قلت) معناه خلطنا بينهم وبين مافعلوا ولم
 نمنعهم على ان الله عز وجل أسند بعث الكفرة عليهم الى نفسه فهو كقوله تعالى وكذلك نولي بعض
 الظالمين بعضا كما نولي ابيسبون (وكان) أي ذلك البعث ووعد العقاب به (وعدا
 مفعولا) أي قضاء كائنا لازما لاشك في وقوعه ولا بد أن يفعل (ثم رددنا لكم الكفرة) أي
 الدولة والغلبة (عليهم) حتى تبت عن ذنوبكم ورجعت عن الفساد في زمن داود بقتله جالوت
 وذلك بعد مائة سنة (وأمددناكم بأموال) تستعينون بهم على قتال عدوكم (وبين) يتقون
 بهم (وجعلناكم أكثر) من عدوكم (نفيرا) أي عشيرة تنفر معكم عند ارداد القتال وغيره من
 المهمات والنفي من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتعدون للذهاب الى العدو
 * ولما حكى الله تعالى عنهم أنهم لما عصوا وسلط الله عليهم أقواما قصدوهم بالقتل والنهب والسبي
 ولما تابوا أزال عنهم تلك المحنة وأعاد عليهم الدولة فعند ذلك ظهر أنهم ان أطاعوا الله فقد
 أحسنوا الى أنفسهم وان أصروا على المعصية فقد أساءوا على أنفسهم وقد تقررت في العقول
 أن الاحسان الى النفس حسن مطلوب وان الاساءة اليها قبيحة فلهذا المعنى قال تعالى (ان
 أحسنتم) أي يفعل الطاعة على حسب الامر في الكتاب الداعي الى العدل والاحسان (أحسنتم
 لانفسكم) أي لان نوابها (وان أسأتم) بارتكاب المحرمات والافساد فلها أي الاساءة
 لان نوابها عليها قال النعمانيون وانما قال وان أسأتم فلها للتقابل والمعنى فاليها وفعلها كما مر
 مع أن حروف الاضافة يقوم بعضها مقام بعض كقوله تعالى يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك
 أوحى لها أي اليها * (تنبه) * قال أهل الاشارات هذه الآية تدل على ان رحمة الله غالبية
 على غضبه دليل أنه تعالى لما حكى عنهم الاحسان ذكره مرتين فقال تعالى ان أحسنتم أحسنتم
 لانفسكم ولما حكى عنهم الاساءة اقتصر على ذكرها مرة واحدة فقال تعالى وان أسأتم فلها
 ولولان جانب الرحمة غالب والامان كذلك ثم قال (فاذا جاء وعد الآخرة) أي ثانية في

الانساد وهو الوقت الذي حددنا له الانتقام فيه (ليسووا) أي بعثنا عليكم عبادنا اليسووا
 (وجوهكم) أي يجعل آثار الاساءة بائنة فيها وحذف متعلق اللام لدلالة الأول عليه وقرأ
 الكسافي بعد اللام بنون مفتوحة على التوحيد والضمير فيه لله والباقون بالياء مفتوحة وأما
 الهمة التي بعد الواو التي بعد السين فقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص بضم الهمة ومدتها
 والباقون بفتح الهمة ولامه وقوله تعالى (وايدخلوا المسجد) عطف على ليسووا والمراد
 بالمسجد الأقصى الذي سبقناكم اليه من مصر في تلك المدد الطوال وأعطيناكم بلادهم بالتدريج
 وجعلناهم محل عزكم وأمنكم ثم جعلناهم محلا لآكرام أشرف خلقنا بالاسراء به اليه وجعل أرواح
 النبيين كلهم فيه وصلاته بهم وهذا تعريض بتهديد لقريش بأنهم ان لم يرجعوا بول الله أمنهم في
 الحرم خوفا وعزهم ذلا وأدخل عليهم جنود الاقبل لهم بها وقد فعل ذلك عام الفتح لكنه فعل
 اكرام لا اهانة بركة هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم (كما دخلوه) أي الاعداء (أول مرة)
 بالسيف ويقهروا جميع جنودكم دفعة واحدة (وليسروا) أي يهلكوا ويدهم وأمع التقطيع
 والتفريق (ما علوا) أي عليه من ذلك وقيل ما مصدرية أي مدة علومهم (تتيرا) أي اهلاكا
 قال الزجاج وكل شيء جعلته مكسرا مفتتا فقد تبرته ومنه قيل تبر الزجاج وتبر الذهب لمكسره
 ومنه قوله تعالى ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال الرازي وهذه المرة
 الاخيرة هي اقدامهم على قتل زكريا ويحيى عليهم ما السلام قال البيضاوي وذلك بأن سلط عليهم
 الفرس مرة أخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه حردون وقيل جردوس قبل
 دخل صاحب الجيش مذبح قراينيم جمع قربان فوجد فيه دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان
 لم يقبل منافقا لما صدقتموني فقتل عليه ألوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقوني ماترت
 منكم أحدا فقالوا انه دم يحيى فقال لمن شل هذا ينتقم بركم منكم ثم قال يا يحيى أي خطا بالدمه
 قد علم ربي وربك ما أصاب قومك من أجلك فاهدأ باذن الله قبل أن لا يبقى أحد منهم فهدا
 أي سكن وقال الواحدى فبعث الله تعالى عليهم بجنتمصر البابلي الجوسى أبيض خلقه اليه
 فسبى اسرائيل وخرب بيت المقدس قال الرازي أقوال التوارىخ تشهد أن بجنتمصر كان
 قبل وقت عيسى ويحيى وزكريا بسنين متطاولة ومعلوم ان الملك الذي اتهم من اليهود ملك
 الروم يقال له قسطنطين الملك والله أعلم بأحوالهم ولا يتعلق غرض من اغراض تفسير القرآن
 بمعرفة أعيان هؤلاء الاقوام انتهى ولما انقضى ذلك كان ككأنه قيل هل بقي لهم نصرمة
 على عدوهم فقال تعالى (عسى ربكم أن يرجحكم) يا بني اسرائيل بعد انتقامه منكم فترو الدولة
 اليكم ثم بعد أن أطمعهم فزعهم بقوله تعالى (وان عدتم) أي الى المعصية (عدنا) اي الى صب
 البلاء عليكم في الدنيا مرة أخرى قال القفال انما جعلنا هذه الآية على عذاب الدنيا لقوله
 تعالى في سورة الاعراف خبرا عن بني اسرائيل واذ تاذن ربك ليعثن عليهم الى يوم القيامة
 من يسوءهم سوء العذاب ثم قال وانهم قد عادوا الى فعل ما لا ينبغي وهو التكذيب بمحمد
 صلى الله عليه وسلم وكتان ما ورد في التوراة والانجيل فعاد الله تعالى عليهم بالتعذيب على أيدي

العرب فجري على بن النضير وقرظطة وبنى فينقاع وهو دخيبر ما جرى من القتل والحلاء
ثم الباقي منهم مفهرون وبالجزية لاملث لهم ولاسلطان ثم قال تعالى (وجعلنا) أي بعد ذلك
بعظمنا (جهنم) أي التي تلتى داخلها بالتجهيم والكرهه (للكافرين) وذكر الوصف الظاهر
موضع الضمير لبيان تعلق الحكم به على سيد الرسوخ سواء في ذلك هم وغيرهم وقوله تعالى
(حصيرا) يحتمل أن يكون فعلا بمعنى الفاعل أي جعلنا جهنم حاصرا لهم ويحتمل أن يكون
بمعنى مفعول أي جعلنا هاهما موضعا محصورا لهم والمعنى أن عذاب الدنيا وإن كان شديدا
قويا إلا أنه قد ينقلب بعض الناس عنه والذي يقع في ذلك العذاب يتخلص منه أما بالموت وأما
بطريق آخر وأما عذاب الآخرة فإنه يكون حاصرا للإنسان محيطا به لارجاء في الخلاص عنه
فهؤلاء الأقسام لهم من عذاب الدنيا ما وصفناه ويكون لهم بعد ذلك من عذاب الآخرة
ما يكون محيطا بهم من جميع الجهات ولا يتخلصون منه أبدا * ولما بين سبحانه وتعالى كتاب
موسى عليه السلام الذي أنزل عليه فيما بين مصر وبيت المقدس في تلك المدة المتطاوله وجعله
هدى لبنى اسرائيل صادق الوعد والوعيد بين تعالى كتاب محمد صلى الله عليه وسلم الذي أنزل
عليه منه في سبب مسيره اليه في ذلك ووصفه بثلاثة أنواع من الصفات الأولى قوله تعالى
(إن هذا القرآن) أي الجامع لكل حق والفارق بين كل ملتبس (يهدى للتي) أي الى الطريق
التي (هي أقوم) أي أصوب من كل طريق فقوله تعالى التي هي أقوم نعت لموصوف محذوف
كما تقرر ويصح أن يقدر الملة والشريعة أي يهدي الى الملة والشريعة التي هي أقوم الملل
والشرائع ومثل هذه الكتابة كثيرة الاستعمال في القرآن كقوله تعالى ادفع بالتي هي أحسن
وقيل الى الكلمة التي هي أعدل وهي شهادة أن لا اله الا الله * (تنبيه) * لفظ افعل قد جاء بمعنى
الفاعل كقولنا الله أكبر أي الله الكبير وكقولنا الأشج والناقص أعدل أي من وان فأقوم يحتمل
أن يكون كذلك وأن يبقى على ظاهره الصفة الثانية قوله تعالى (ويبشر المؤمنين) أي الراسخين
في هذا الوصف ولهذا قيدهم بآنا لهم بقوله (الذين) أي يصدقون إيمانهم بأنهم (يعملون)
أي على سبيل التجديد والاستمرار والبناء على العلم (الصالحات) من التقوى والاحسان (أن لهم
أجرا كبيرا) هو الجنة والنظر الى وجه الله تعالى وقرأ حزمة والكسائي بضم الباء وسكون الباء
الموحدة وضم الشين مخففة والباقون بضم الباء وفتح الباء الموحدة وكسر الشين مشددة (فإن
قيل) قال هنا أجرا كبيرا وفي الكهف أجرا حسنا (أجيب) بوقوع ذلك لموافقة القواصل قبل
وبعد في كل منهما الصفة الثالثة قوله تعالى (وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا) أي أحضرنا
وهي آنا (لهم عذابا أليما) وهو النار في الآخرة وهو عطف على أن لهم أجرا كبيرا والمعنى أنه
تعالى بشر المؤمنين بتوعين من البشارة بتوابعهم وبعقاب أعدائهم تظيره قولك بشرت زيد بأنه
سيعطى وبأن عدو سميع (فان قيل) كيف يليق لفظ البشارة بالعذاب (أجيب) بأن هذا
مذكور على سبيل التمسك أو انه من باب اطلاق أحد الضدين على الآخر كقوله تعالى وجرأه
سنة سيئة مثلها وعلى يبشر بأضمار يخبر (فان قيل) هذه الآية واردة في شرح أحوال اليهود

وهم ما كانوا يشكرون الايمان بالآخرة (أجيب) بأن أكثر اليهود ينكرون الثواب والعقاب
 الجسمانيين وبأن بعضهم قال لن نحمسنا النار الا أيام معدودات فهم بذلك صاروا كالمشركين
 للآخرة ولما بين سبحانه وتعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم والانسان قد يقدم على مالا
 فائدة فيه بينه بقوله تعالى (ويدع الانسان بالنسرة) عند مجرته على نفسه وأهله وماله (دعاه) أي
 مثل دعائه (بالخير) ولو استجيب له في الشر كما يستجاب له في الخير لهلك روى أنه صلى الله عليه وسلم
 دفع إلى السودة بنت زمعة أسيراً فأقبلت في الليل فقالت له مالك فبكي وشكافرتهم فارخت ككافه
 فهرب فلما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم دعاه فاعلم بشأنه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اقطع
 يدها فرغت سودة يديها تتوقع أن يقطع الله تعالى يدها فقدم النبي صلى الله عليه وسلم وقال
 اللهم انما أنا بشر اغضب كما يغضبون فمن دعوت عليه فاجعل دعائي رحمة له وقيل المراد النضر
 ابن الحرث حيث قال اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذاهو الحق من عندك الى آخره
 فأجاب الله تعالى دعاه وضربت رقبته يوم بدر صبوا وكان بعضهم يقول اثنا بعد اذاب الله
 وآخرون يقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وانما فعلوا ذلك الجهل ولا اعتقاد أن محمداً
 كاذب فيما يقول وقيل المراد أن الانسان قد يبالغ في الدعاء طالبا للشيء قد يعتقد أن خيره فيه مع
 ان ذلك الشيء منبع لشره وضرره وهو يبالغ في طلبه بلهله بحال ذلك الشيء وانما يقدم على مثل
 هذا العمل لكونه عجزاً لا مغتراً بظواهر الامور غير متعص عن حقائقها وأسرارها كما قال
 تعالى (وكان الانسان) أي الجنس (بجهولاً) أي يسارع الى كل ما يحظر بآله ولا ينظر الى عاقبته
 وقيل المراد آدم عليه السلام لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض فسقط * (تنبه) * حذف
 واو ويدع أي التي هي لام الفعل خطا في جميع المصاحف ولا موجب لحذفها اللفظا في العربية
 لكنها لما كانت لا تظهر في اللفظ حذف في الخط ونظيره قوله تعالى سندع الزبانية وسوف
 يؤت الله المؤمنين ويوم يناد المنادي فانتفن النذر قال القراء ولو كان ذلك بالواو والياء
 لكان صوابا وقال الرازي أقول هذا يدل على انه سبحانه وتعالى قد عظم هذا القرآن الجهد
 عن التحريف والتغيير فان اثبات الواو والياء في أكثر ألقاظ القرآن وعدم اثباتها في هذه
 المواضع المعدودة يدل على ان هذا القرآن نقل كما سمع وان أحد الم يتصرف فيه بمقدار فهمه
 وقوة عقله ولما بين تعالى ما وصل من نعم الدين وهو القرآن اتبعه بما وصل اليهم من نعم الدنيا
 فقال (وجعلنا الليل والنهار آيتين) دالتين على تمام العلم وشمول القدرة آية الليل كالاتيات
 المتشابهة وآية النهار كالحكمة فكان المقصود من التكليف لايم الا بذكر المحكم
 والمتشابه فكذلك الزمان لا يتيسر الانتفاع به الا بهاتين الآيتين (فحوتنا) أي بعظمنا الباهرة
 (آية الليل) أي طمسنا نورها بالظلام ليسكنوا فيه فجعلنا لها ليصير فيها المراتب كما لا يصير
 الكتاب اذا محي (وجعلنا) بما لنا من القدرة (آية النهار بمصره) أي بمصر فيها بالضوء
 فلا تزال هذه الدار الناقصة في تنقل من نور الى ظلمة ومن الظلمة الى النور كما ان الانسان يعقلته
 التي يدعو اليها طبعه وقائمه الداعي اليه عقله من انتقال من نقصان الى كمال ومن كمال الى

نقصان كما ان القمر الذي هو انقص من الشمس كذلك قال ابن عباس جعل الله نور الشمس
 سبعين جزءاً ونور القمر كذلك فحى من نور القمر تسعة وستين جزءاً فجعلها مع نور الشمس وحكى
 ان الله تعالى أمر جبريل فأمر بجناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقي
 فيه النور وسأل ابن رزكوان علياً رضي الله عنه عن السواد الذي في القمر قال هو أثر وهو
 * (تنبيه) * المراد من الايتين بعض الليل والنهار فالإضافة للبيان أي انه تعالى جعلهما
 دليلين للخلق على مصالح الدين والدنيا أما الدين فلان كل واحد منهما ماضد للآخر مغاير له
 مع كونهما متعاقبين على الدوام وهو من أقوى الدلائل على انه ما غير موجودين بذاتهما
 بل لا بد لهما من فاعل يدبرهما ويقدرهما بالقيادير المخصوصة وأما في الدنيا فلان مصالح الدنيا
 لا تتم الا بالليل والنهار فلو لا الليل ما حصل السكون والراحة ولو لا النهار ما حصل الكسب
 والتصرف وقيل الليل والنهار نظر فان والتقدير وجعلنا آيتين في الليل والنهار والمراد بالآيتين
 على هذا أما الشمس والقمر وأما تكوير هذا على هذا وهذا على هذا ثم ذكر تعالى بعض المنافع
 المرتب على ذلك بقوله تعالى (لتبغوا) أي تطلبوا طلباً شديداً (فضلاً من ربكم) أي المحسن
 اليكم فيهما نضياءً هذا تارة ونور هذا أخرى (ولتعلموا) بفصل هذا عن هذا (عدد السنين
 والحساب) لان الحساب يبنى على أربع مراتب الساعات والايام والشهور والسنين والعدد
 للسنين والحساب لمادون السنين وهي الشهور والايام والساعات وبعد هذه المراتب الاربعة
 لا يحصل الا التكرار كأنهم رتبوا العدد على أربع مراتب الآحاد والعشرات
 والمئات والالوف وليس بعدها الا التكرار * ولما ذكر تعالى أحوال آتى الليل والنهار
 وهما من وجه دليلان قاطعان على التوحيد ومن وجه آخر نعمتان عظيمتان من الله تعالى
 على أهل الدنيا وقد ذكر تعالى في آيات كثيرة منافعهما كقوله تعالى وجعلنا الليل لباساً وجعلنا
 النهار معاشاً وكقوله تعالى جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وشرح
 تعالى حالهما وفصل ما فيهما من وجوه الدلالة على الخالق ومن وجوه النعم العظيمة على الخلق
 كان ذلك تفصيلاً نافعاً وتبياناً كاملاً فلا جرم قال تعالى (وكل شيء) أي لكم اليه حاجة في مصالح
 دينكم ودنياكم (فصلناه نصفين) أي بيناه تبييناً وهو كقوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء
 وكقوله تعالى وزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وقوله تدمر كل شيء بأمر ربها وانما ذكر
 تعالى تفصيلاً لاجل تأكيد الكلام وتقريره فكأنه قال فصلناه حقاً * ولما بين تعالى انه وصل
 الى الخلق أصناف الأشياء النافعة لهم في الدنيا والدين مثل آتى الليل والنهار وغيرهما كان منعماً
 عليهم بوجود النعم وذلك يقتضى وجوب اشتغالهم بخدمته وطاعته فلا جرم كل من ورد عرصة
 إقامة فانه يكون مسؤولاً عن اعماله وأقواله كما قال تعالى (وكل انسان أذنمناه) أي بعطمتنا
 (ظانراً) أي عمله الذي قدرناه عليه من خير وشر لان العرب كانوا اذا أرادوا الاقدام
 على عمل من الاعمال وأرادوا أن يعرفوا ان ذلك العمل يسوقهم الى خير أو الى عمل شر اعتبروا
 أحوال الطير وهو انه يطير بنفسه أو يحتاج الى ازعاجه واذا اطار فهو يطير متيامناً أو متياسراً

أو صاعدا إلى الجوى غير ذلك من الأحوال التي كانوا يعتبرونها ويستدلون بكل واحد
 منها على أحوال الخير والشر والسعادة والخوسة فلما كثر ذلك منهم سواهم من الخير والشر
 بالطائر نسجته للشيء باسم لازمه فقوله تعالى وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه أي وكل إنسان
 ألزمناه عمله (في عنقه) الذي هو محل التزين بالقلادة ونحوها ومحل الشين بالغل ونحوه فان كان
 عمله خيرا كان القلادة والحلي في العنق وهذا مما يزينه وان كان عمله شرا كان كالعقل
 في عنقه وهو مما يشينه وقال مجاهد مامن مولود يولد الا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد
 قال الرازي والتعقيق في هذا الباب أنه تعالى خلق الخلق وخص كل واحد منهم بمقدار
 مخصوص من العقل والفهم والعلم والعمل والرزق والسعادة والشقاوة والانسان لا يمكنه
 أن يتجاوز ذلك المقدار وان كان يخرف عنه بل لا بد وأن يصل اليه ذلك القدر بحسب الكمية
 والكيفية فتلك الاشياء المقدرة كانها تطير اليه وتصير اليه فلهذا المعنى لا يعد
 أن يعبر عن تلك الأحوال المقدرة بلفظ الطائر فقوله تعالى ألزمناه طائره في عنقه كناية عن
 كل ما قدره الله ومعنى في عنقه حصوله له فهو لازم له واصل الهم غير يخرف عنه واليه
 الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة انتهى ملخصا ثم قال
 تعالى (ونخرج له يوم القيامة كتابا) أي مكتوباً وباقية عمله لا يفتاد صغيرة ولا كبيرة
 الأحصاها قال الحسن بسطت لك صحيفة و وكل بك ملكان فهم ما عن عينك وعن
 شمالك فأما الذي عن عينك فيحفظ حسنتك وأما الذي عن شمالك فيحفظ لك سيئاتك حتى
 اذا مت طويت صحيفةك وجعلت معك في قبرك حتى تخرجك من القبر وقوله تعالى (يلقاه
 منشورا) صفتان لكتابا وقرأ ابن عامر بضم الباء وفتح اللام وتشديد القاف على البناء للمفعول
 من لقيه كذا أي استقبلته به والباقون بفتح الباء وسكون اللام وتحفيف القاف واما
 الالف بعد القاف جزءة والكسائي محضة وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح ثم انه اذا
 لقي كتابه يوم القيامة يوم العرض قيل له (اقرأ كتابك) أي بنفسك (كني بنفسك اليوم) الذي
 تكشف فيه الستور وتظهر جميع الامور (عليك حسيبا) أي حاسباً ببلغا فانك تعطى
 القدرة على قراءته أميا كنت أو قارئا ولا ترى فيه زيادة ولا نقصانا ولا تقدر أن تنكر منه حرفا
 وان أنكروه لساتك شهدت عليك اركانك فيا لها من قدرة باهرة وقوة فاهرة ونصفة ظاهرة
 قال الحسن عدل والله في حقلك من جعلك حاسب نفسك وقال السدي بقول الكافر يومئذ
 انك قضيت انك لست بظلام للعبيد فاجعلني أحاسب نفسي فيقال له اقرأ كتابك كني بنفسك
 اليوم عليك حسيبا (فان قيل) قد قال تعالى وكني بنا حاسبين فكيف الجمع في ذلك (أجيب)
 بأن المراد بالحاسب هنا الشهيد أي كني بنفسك اليوم شاهد عليك أو ان القيامة مواقف
 مختلفة ففي موقف بكل الله تعالى حسابهم الى أنفسهم وعلمه محيط بهم وفي آخر يحاسبهم
 هو وقوله تعالى (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه) لان ثواب اهتدائه له لا ينبغي غيره (ومن ضل
 فانما يضل عليها) أي اثمه عليها فلا يضر في ضلاله سواء كما قال الكلبي دلالة على ان العبد يمكن

من الخير والشرّ وانه غير مجبور على عمل بعينه أصلاً لأن قوله تعالى من اهتدى الى آخره انما يليق بالقادر على الفعل المتمكن منه كيف شاء وأراد أنما الجبور على احد الطرفين المنوع عن الطرف الثاني فهذا لا يليق به هذا مذهب أهل السنة والجماعة فانه ترشد ثم انه تعالى أعاد تقرير ان كل أحد محتص بأثر عمل نفسه بقوله تعالى (ولا تزرن) أى نفس (وازرن) أى أمة أى لا تتحمل (وزرن) نفس (أخرى) بل انما تتحمل وزرها فقط (فان قيل) ورد أن المظلوم يأخذ من حسنات الظالم فاذا لم يوف يؤخذ من سيئات المظلوم وتطرح على الظالم (أجيب) بأن ذلك بسببه فهو كفعله (فان قيل) قد ورد أن الميت يعذب بيكاه أهله (أجيب) بأن ذلك محمول على ما إذا وصى بذلك وكان ذلك الفعل كقول طرفه بن العبد

اذامت فانعيتي بما أنا أهله * وشقي على الجيب يا ابنة م عبد

وعليه حمل الجمهور الاخبار الواردة بتعذيب الميت على ذلك (فان قيل) ذنب الميت فيما اذا وصى أو أمر بذلك فلا يتكلف عذابه بامتنانهم وعدمه (أجيب) بأن الذنب على السبب بعظم بوجود المسبب وشاهده من سن سنة سيئة الخ وقال الشيخ أبو حامد ان ما ذكره محمول على الكافر وغيره من أهل الذنوب ثم قال تعالى (وما كآ) أى على ما لنا من القدرة (معذبين) أحدا (حتى نبعث رسولا) بين له ما يجب عليه من بلغته دعوته فخاف أمره واستكبر عن اتاعه عذابه بما يستحقه وهذا أمر قد تحقق بإرسال آدم عليه السلام ومن بعده من الانبياء الكرام عليهم السلام في جميع الامم قال تعالى ولقد أرسلنا في كل أمة رسولا قال تعالى وان من أمة الا خلا فيها نذير فان دعوتهم الى الله تعالى قد انتشرت وعمت الاقطار واشتهرت (فان قيل) الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسول لأن معهم أدلة العقل التي بها يعرف الله تعالى وقد أغفلوا النظر وهم متكون منه واستحقاقهم العذاب لا غفالههم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا اغفال الشرائع التي لا سبيل اليها الا بالتوقيف والعمل بها لا يصح الا بعد الايمان (أجيب) بأن بعثة الرسول من جملة التنبيه على النظر واليقظة من رقة الغفلة لئلا يقولوا انا كنا عن هذا غافلين فهلا بعثت بنا رسولا ينهنا على النظر في أدلة العقل وفي الآيات لئلا يندل على أن لا وجوب قبل الشرع * (فائدة) في حكم أهل القبرتين بن نوح وادريس وبين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وهم ثلاثة عشر قسما ستة سعداء وأربعة أشقياء وثلاثة تحت المشيئة فأما السعداء فقسّم وحد الله تعالى بنور وحده في قلبه كقسّم بن ساعده فانه كان يقول اذا سئل هل لهذا العالم اله قال البعرة تدل على البعير وأثر الاقدام يدل على المسير وقسم وحد الله تعالى بما يتجلى لقلبه من النور الذي لا يتدر على دفعه وقسم آتني في نفسه وأطلع من كشفه على منزلة محمد صلى الله عليه وسلم فأمن به في عالم الغيب وقسم اتبع له حق من تقدمه وقسم طالع في كتب الانبياء فعرف شرف محمد صلى الله عليه وسلم فأمن به وقسم آمن بنبيه الذي أرسل اليه وأدر لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم وأمن به فله أجران وأما الأشقياء فقسّم عطل لآعن نظر بل عن تقليد وقسم عطل بعدما أثبت لآعن استقصاء بنظر وقسم أشرك عن

تقليد محض وقسم علم الحق وعائده وأما الذي تحت المشيئة فقسم عقل فلم يقرر وجوده عن نظر
 قاصر لضعف في مزاجه وقسم أشركه عن نظر أخطأ فيه وقسم عقل بعد ما أثبت لاعتق نظر
 بلغ فيه أقصى القوت هكذا قسم محي الدين بن عربي في الباب العاشر من الفتوحات المكية نقل
 ذلك عنه شيخ وقته الشيخ عبد الوهاب الشعراني ونقل عن السيوطي أن أبوي النبي
 صلى الله عليه وسلم لم تبلغهما الدعوة والله تعالى يقول وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
 وحكم من لم تبلغه الدعوة أنه يموت ناجيا ولا يعذب ويدخل الجنة قال وهذا مذهب
 لا خلاف فيه بين المحققين من أئمتنا الشافعية في الفقه والاشاعرة في الأصول ونص على ذلك
 الأمام الشافعي رضي الله عنه وتبعه على ذلك الأصحاب قال السيوطي وقد ورد في الحديث
 أن الله تعالى أحيا أبوي به حتى أمثابه وعلى ذلك جماعة من الحفاظ منهم الخطيب البغدادي
 وأبو القاسم بن عساكر وأبو حنيفة بن شاهين والسهيلي والقرطبي والطبري وابن المنير وابن
 سيد الناس وابن ناصر الدين الدمشقي والصفدي وغيرهم والاولى لنا الامسالة عن ذلك فإن
 الله تعالى لم يكلفنا ذلك ونكل الامر في ذلك الى الله تعالى ونقول كما قال النووي لما سئل
 عن طائفة ابن عربي تلك أمة قد دخلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا
 يعملون * ولما أشارت تعالى الى عذاب المخالفين قرر أسبابه وعرف أنها بقدره وان قدره
 لا يمنع حقوق العذاب بقوله تعالى (واذا أردنا) أن نحيا قرية الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة
 ألقينا في قلوب أهلها الامثال وأمرنا والتقسيد بالسباع رسلنا واذا أردنا (ان نهلك قرية) في
 الزمن المستقبل (أمرنا) أي بما لنا من القدرة التامة الشاملة (مترفيا) أي منعمها الذين
 لهم الامر والنهي قال الاكثرون أمرهم الله تعالى بالطاعة والخير على لسان رسله (ففسقوا
 فيها) أي خرجوا عن طاعة الله ورسوله وقال صاحب الكشاف ظاهر اللفظ يدل على أنه تعالى
 يأمرهم بالفسق فيفسقون الآن هذا مجاز ومعناه أنه يفتح عليهم أبواب الخيرات والراحات
 فعند ذلك تمردوا واطغوا وبغوا قال والدليل على أن ظاهر اللفظ يقتضي ما ذكرناه ان المأمور به
 انما حذف لان قوله ففسقوا يدل عليه يقال أمرته فقام وأمرته ففقر ألا يفهم منه الا أن المأمور
 به قيام وقراءه فكذلك هنا لما قال أمرنا مترفيا ففسقوا فيها اوجب أن يكون المعنى أمرنا هم
 بالفسق ففسقوا لا يقال بشكل هذا بقولهم أمرته ففصاني وخالفني فان هذا كلام لا يفهم
 منه أي أمرته بالمعصية والمخالفة لا نقول ان المعصية منافية للامر ومنافضة له فيكون كونها
 مأمورا بها مخالفا لهذه الضرورة تركها هذا الظاهر انتهى قال الرازي ولقائل أن يقول كما
 أن قوله أمرته ففصاني يدل على أن المأمور به شيء غير المعصية من حيث ان المعصية منافية
 للامر ومنافضة له فكذلك قوله أمرته ففسق يدل على أن المأمور به غير الفسق لان الفسق عبارة
 عن الايمان به فكونه فسقا ينافي كونه مأمورا به كما أن كونه معصية ينافي كونها مأمورا بها
 فوجب أن يدل هذا اللفظ على أن المأمور به ليس بفسق وهذا الكلام في غاية الظهور ولم أدر لم
 أمر صاحب الكشاف على قوله مع ظهور فساده فثبت أن الحق ما ذكره السلك وهو أن المعنى

أمرناهم بالاعمال الصالحة وهي الايمان والطاعة والقوم خالفوا ذلك الامر عندنا وأقدموا
 على الفسق (حقق عليها القول) أي الذي توعدناهم به على لسان رسولنا (قد مرناها تدويرا)
 أي أهلكناها باهلاك أهلها ونحرب ديارهم وخص المترفين بالذكر لأن غيرهم يبيعهم ولا نسهم
 أمرع الى الحماقة وأقدر على التجور وقيل معناه كثرنا وروى الطبراني وغيره حد بناخير المال
 سكة مأبورة ومهرة مأبورة أي كثيرة التناج والسكة بكسر السين وتشديد الكاف الطريقة
 المصطفة من النخل والمأبورة الملقحة قال ذلك الجوهري وروى أن رجلا من المشركين
 قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني أرى أمر لك هذا حقيرا فقال صلى الله عليه وسلم
 انه سيأمر أي سيكثر وسيكبر وعن أم المؤمنين زينب بنت جحش رضى الله عنها أن النبي
 صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعا يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فبع اليوم
 من ردم بأجوج وأجوج مثل هذه وحلق بين اصبعيه الابهام والتي تليها قالت زينب قلت
 يا رسول الله أنهم لك وفينا الصالحون قال نعم اذا ~~كثرت الخبث~~ أي الشر وويل يقال لمن وقع
 في سهلكة أو أشرف أن يقع فيها وقوله تعالى (وكم أهلكنا) أي عالنا من العظمة وبين مدلول كم
 بقوله تعالى (من القرون) أي المكذبين (من بعد نوح) كعاد وتعود من الامم الماضية يخوف
 به الكفار أي كفار مكة قال عبد الله بن أبي أوفى القرن عشرون ومائة سنة وقيل مائة سنة
 روى عن محمد بن القاسم عن عبد الله بن بشر المازني ان النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده على
 رأسه وقال سبعين هذا الغلام قرنا قال محمد بن القاسم ما زالنا نعد له حتى تمت له مائة سنة ثم مات
 وقال الكلبى القرن ثمانون سنة وقيل أربعون ثم قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (وكفى
 بربك) أي المحسن اليك (بذنوب عباده خيرا بصيرا) أي عالميا واطنا وظواهرها فكم من
 انسان كنتم ترونه من أكابر الصالحين ثم استقرت عاقبته على خلاف ذلك وكم من شخص ترونه
 يجتهد في العبادة فاذا خلا بارز به بالعظام وتقديم الخبر لتقديم متعلقه * ولما قرأته سبحانه
 وتعالى عالميا واطنا وعباده وظواهرهم قسمهم الى قسمين الاول قوله تعالى (من كان يريد
 العاجلة) أي الدنيا موصورا عليها هم (جعلنا له فيها) أي العاجلة بأن نفيض عليه من منافعها
 (ماتشاء) أي من البسط والتميز (لمن يريد) أي ان تفعل به ذلك فقيد تعالى الامر بقسدين
 أحدهما تقييد المجلل بارادته ومشيشته والثاني تقييد المجلل له بارادته وهكذا الحال ترى كثيرا
 من هؤلاء يمتنون بما يمتنون ولا يعطون الا بعضا منه وكثير منهم يمتنون ذلك البعض وقد حرموه
 فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة * (تنبيه) * لمن يريد بدل بعض من كل من الضمير في له
 باعادة العامل تقديره لمن يريد تعجيله له ويقال ان الآية في المنافقين كانوا يراون المسلمين
 ويقرون معهم ولم يكن غرضهم الامساخهم في الغنائم وضواها وهذا هو المناسب لقوله تعالى
 (ثم جعلنا وجهه ثم يصلاها) أي في الآخرة (مذموما) أي مذموما لانه الذم (مدحورا) أي
 مدحورا عطرودا مبعده وان ذكره البضاوي بصيغة قبل * ثم ذكر تعالى القسم الثاني بشرط فيه
 ثلاثة شروط الاول قوله تعالى (ومن أراد الآخرة) أي أراد بعمله ثواب الآخرة فانه ان لم يخو

ذلك لم ينتفع بذلك العمل لقوله تعالى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وقوله صلى الله عليه وسلم إنما
 الأعمال بالنيات الثاني قوله تعالى (وسعى لها سعيها) وذلك يقتضى أن يكون ذلك العمل من
 باب القرب والطاعات وكثير من الضلال يتقربون بعبادة الأوثان ولهم فيها تأويلات أحدها
 أنهم يقولون الله العالم أجل وأعظم من أن يقدر الواحد منا على اظهار عبوديته وخدمته
 ولكن غاية قدرتنا أن نستغل بعبادة بعض المقتربين من عباد الله بأن نستغل بعبادة كوكب
 أو ملك من الملائكة ثم إن الملك أو الكوكب يستغل بعبادة الله تعالى فهو لا يتقربون الى
 الله تعالى بهذا الطريق وهذه طريقة فاسدة فلا جرم أنه لم ينتفع بها ثانيها أنهم قالوا اتخذنا هذه
 التماثيل على صورة الانبياء والاولياء والمراد من عبادتها أن تصرتك الانبياء والاولياء شفعاء
 لنا عند الله وهذا الطريق أيضا فاسد فلا جرم لم ينتفع بها ثالثها أنه نقل عن أهل الهند أنهم
 يتقربون الى الله بقتل أنفسهم نارة وبأحراق أنفسهم أخرى وهذه الطريقة أيضا فاسدة فلا
 جرم لم ينتفع بها وكذا القول في جميع الفرق المبطلين الذين يتقربون الى الله تعالى بعبادتهم
 الباطلة الثالث قوله تعالى (وهو مؤمن) لأن الشرط في كون أعمال البرمقمة مقبولة للشواب هو
 الايمان فان لم يوجد لم يحصل المشروط وعن بعض المتقدمين لم يكن معه ثلاث لم ينتفع عمله
 ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الآية ثم انه تعالى أخبر عن وجود هذه
 الشروط بقوله تعالى (فأولئك) أى العالو الرتبة لجمعهم الشروط الثلاثة (سبعهم
 مشكورا) أى مقبولا مانبا عليه بالتضعيف وبعضهم يفتح له أبواب الدنيا مع ذلك كداود
 سليمان عليهما السلام ويستعمله فيما عايناه من مرضاة الله تعالى وبعضهم يزويها عنه كرامة
 له لاهو انا به فر بما كان الفقر خيرا له وأعون على مراده فالخاصل أنها ان وجدت عند الولي
 لم تنسرفه وان عدت عنه لم تحقره وانما التشرىف وغيره عند الله تعالى بالأعمال (تنبيه) *
 كل من أتى بفعل امان بقصد به تحصيل خيرات الدنيا واما أن يقصد به خيرات الآخرة واما أن
 يقصد به مجموعهما واما أن لا يقصد به واحد منهما فان قصد به تحصيل الدنيا فقط وتحصيل
 الآخرة فقط فالله ذكر حكم هذين القسمين في هذه الآية وأما القسم الثالث فيقسم الى ثلاثة
 أقسام امان أن يكون طلب الآخرة واجها ومرجوحا أو ويكون الطلبان متعادلين فان كان
 طلب الآخرة واجها فله يكون هذا العمل مقبولا عند الله تعالى فيه رأى أن أحدهما أنه غير
 مقبول لقوله صلى الله عليه وسلم كما يعن الله تعالى أنه قال أنا أغنى الأغنياء عن الشر لم عن عمل
 عملا أشرك فيه غيري تركته وشركه وأيضا طلب رضوان الله امان أن يكون سببا مستقلا لكونه
 باعنا لهم على ذلك الفعل وداعيا اليه واما أن لا يكون فان كان الأول امتنع أن يكون لغيره
 مدخل في ذلك البعث والدعاء لأن الحكم اذا أسند لسبب تام كامل امتنع أن يكون لغيره مدخل
 فيه وان كان الثاني فيصكون الداعي الى ذلك الفعل هو المجموع وذلك المجموع ليس هو طلب
 رضوان الله لأن المجموع الحاصل من الشيء ومن غيره يجب أن يكون مغاير الطلب ورضوان
 الله فوجب أن لا يكون مقبولا للرأى الثاني أنه مقبول لأن طلب الآخرة لما كان واجها على

طلب الدنيا تعارض المثل بالمثل ففي القدر الزائد داعية خاصة لطلب الآخرة فوجب كونه مقبولاً وأما إذا كان طلب الدنيا وطلب الآخرة متعادلين أو كان طلب الدنيا راجحاً فقد انفقوا على أنه غير مقبول إلا أنه على كل حال خير مما إذا كان طلب الدنيا خالياً بالكلمة عن طلب الآخرة وأما القسم الرابع وهو الأقدام على الفعل من غير داع فهذا مبنى على أن صدور الفعل من القادر هل يتوقف على حصول الداعي أم لا فالذين يقولون أنه يتوقف على حصول الداعي قالوا هذا القسم يمنع الحصول والذين قالوا لا يتوقف قالوا هذا الفعل لا أثر له في الباطن وهو محرم في الظاهر لأنه عبث * ثم إنه تعالى قال (كَلَّا) أي من الفريقين مرید الدنيا ومرید الآخرة (عَدَّ) أي بالعطاء ثم أبدل من كَلَّا قوله تعالى (هَوَلَاءَ) أي الذين طلبوا الدنيا تمتد (وهو لاء) أي الذين طلبوا الآخرة تمتد (من عطاء ربك) أي المحسن اليك أن ضيق على مؤمن فبالجملة من الدنيا الفانية التي انما هي لعب ولهو وان رسع فيها لاستعمال فيها على حسب ما يرضيه (وما كان عطاء ربك) أي الموجد لك المدبر لا مرئك (محظوراً) أي ممنوعاً في الدين عن مؤمن ولا كافر بل هو ملء السهل والجبل من الذهب والفضة والحديد والنحاس والجواهر والثمار وأقوات الناس والهائم وغير ذلك مما لا يحصيه إلا الله تعالى حتى لو اجتمع كل الناس على جمعه ليلاً ونهاراً ولم يكن لهم شغل سوى ذلك لأعيانهم ولم يقدروا عليه فسبحان الجواد المعطي المانع ثم إنه تعالى أمر بالنظر في عطائه هذا على وجهه مرغّب في الآخرة فزهد في الدنيا بقوله تعالى (انظر) أي أيها الانسان أو يا محمد (كيف فضلنا بعضهم على بعض) فأوسعنا على مؤمن وقرنا على كافر وأوسعنا على كافر وأزورنا على كافر وأزورنا على مؤمن ووجه الحكمة في التفاوت في سورة الزخرف بقوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات الآية وقال تعالى في آخر سورة الانعام ورفع بعضكم فوق بعض درجات * (تنبيه) * كيف نصب آما على التشبيه بالظرف واما على الحال وهي معلقة لأنظر بمعنى فكروا وأبصر * ولما به تعالى على ان ما تراه من التفضيل انما هو بمحض قدرته أخبر أن ما بعد الموت كذلك بقوله تعالى (وللاخرة أكبر) أي أعظم (درجات وأكبر تفضيلاً) من درجات الدنيا ومن تفضيلها فان نسبة التفاضل في درجات الآخرة الى التفاضل في درجات الدنيا كنسبة الآخرة الى الدنيا فان كان الانسان تشد رغبته في طلب فضيلة الدنيا قبل أن تقوى رغبته في طلب الآخرة أخرى لانها دار المقامة روى أن قوماً من الاشراف في دنوهم اجتمعوا يباب عسرى الله تعالى عنه فخرج الاذن لابلال وصهيب فشق على أبي سفيان فقال سهيل بن عمرو وانما أوتينا من قبلنا انهم دعوا دعياناً يعني الى الاسلام فأسرعوا وأبطأنا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة * ولما بين تعالى ان الناس فريقان منهم من يريد بعمله الدنيا فقط وهم أهل العذاب ومنهم من يريد طاعة الله وهم أهل الثواب ثم شرط في ذلك ثلاثة شروط فصل تلك المجالات وبدأً ولا يبشر حقيقته الايمان وأشرف أجزائه الايمان هو التوحيد وفي التوحيد والاضداد بقوله تعالى (لا تجعل مع الله)

أى الذى له جميع صفات الكمال (الها آخر) قيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم
 والمراد غيره والاولى أنه للإنسان فيكون خطأ باعتبار الكل من يصلح أن يخاطب به (فتقدم)
 أى فيستبب عن ذلك أن تقدم أى تصير في الدنيا قبل الآخرة (مذموماً ومأخذاً) لأن المشرك
 كاذب والكاذب يستوجب الذم والخذلان ولأنه قد ثبت بالدليل أنه لا اله ولا مدبر الا الله تعالى
 فيثبت تكون جميع النعم حاصله من الله تعالى فمن أشرك بالله فقد أضاف بعض تلك النعم الى
 غير الله فاستحق الذم والخذلان * (تنبيه) * قال الواحدى قوله تعالى فتقدم تصب لانه وقع
 بعد الفاء جوا بالنهاى واتصافه بالضمان ان كفوك لا تنقطع عنا فنجفول والتقدير لا يمكن منك
 انقطاع فيحصل أن نجفول فابعد الفاء متعلق بالجملة المتقدمة بحرف الفاء وانما سماه النحويون
 جوا بالكونه مشابها للجزء وأن الثانى مسبب عن الاول كما تقرر * ولما ذكر تعالى ماهو الركن
 الاعظم فى الايمان أتبعه بذكر ماهو من شعائر الايمان وشرايعه وذلك أنواع الاول أن يشتمل
 الانسان بعبادة الله تعالى ويتجزع عن عبادة غيره وهذا هو المراد من قوله تعالى (وقضى) أى
 أمر (ربك) أى المحسن اليك وقوله تعالى (أن لا تعبدوا) أى أنت وجميع أهل دعوتك وهم
 جميع الناس (الايام) فيه وجوب عبادة الله تعالى والمنع من عبادة غيره لأن العبادة عبارة
 عن الفعل المشتمل على نهاية التعظيم ونهاية التعظيم لا تليق الا برب له الانعام والافضال على
 عباده ولا منم الا الله تعالى فكان هو المستحق للعبادة لا غيره * (تنبيه) * روى سميون بن مهران
 عن ابن عباس أنه قال فى هذه الآية كان الاصل ووصى ربك فالتصقت احدى الواووين
 بالصاد فقرأ وقضى ربك ثم قال ولو كان على القضاء ما عصى الله أحد قط لان خلاف قضاء
 الله متنع وهذا القول كما قاله الرازى بعد جد اذ لو فتح هذا الباب لارتفع الامان عن القرآن
 وذلك يخرج عن كونه حجة ولا شك أنه طعن عظيم فى الدين ويندفع ما قاله بما فسر قضى به
 * ولما أمر تعالى بعبادة نفسه اتبعه بالامر ببر الوالدين بقوله تعالى (وباوالدين) أى وأحسنوا
 أى وأقروا الاحسان بهما (احساناً) أى بأن تبروهما ليكون الله معكم فإنه مع الذين
 اتقوا والذين هم محسنون * (تنبيهان) * أحدهما المناسبة بين الامر بعبادة الله تعالى والامر
 ببر الوالدين من وجوه الاول أن السبب الحقيقى لوجود الانسان هو تخليق الله تعالى ويجابده
 والسبب الظاهر هو الابوان فأمر الله تعالى بتعظيم السبب الحقيقى ثم اتبعه بالامر بتعظيم
 السبب الظاهرى الثانى ان الموجود اما قديم واما محدث ويجب أن تكون معاملته الانسان
 مع الموجود القديم بالتعظيم والعبودية ومع المحدث باظهار الشفقة وهو المراد من قوله صلى
 الله عليه وسلم التعظيم لاهر الله والشفقة على خلق الله وأحق الخلق بالشفقة الابوان لكثرة
 انعامهم على الانسان فقوله تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الاياه اشارة الى التعظيم لاهر
 الله تعالى وقوله تعالى بالوالدين احساناً اشارة الى الشفقة على خلق الله الثالث ان الاشتغال
 بشكر المنعم واجب ثم المنعم الحقيقى هو الخالق سبحانه وتعالى وقد يكون بعض المخلوقين منعماً
 عليك وشكراً أيضاً واجب لقوله صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله وليس لاحد

من الخلائق نعمة على الانسان مثل الابوين لان الولد قطعة من الوالدين قال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني وايضا شققة الوالدين على الولد عظيمة وايصال الخير الى الولد منبهاً أمر طبيعي واحترازهم ما عن ايصال الضرر اليه أمر طبيعي أيضاً فوجب أن تكون نعم الوالدين على الولد كثيرة بل هي أكبر من كل نعمة تصل من الانسان الى الانسان وايضا حال ما يكون الانسان في غاية الضعف ونهاية العجز يكون انعام الابوين في ذلك الوقت واصلا الى الولد واذا وقع الانعام على هذا الوجه كان موقعه عظيماً وايضا فايصال الخير الى الغير قد يكون لداعية ايصال الخير اليه وايصال الخير الى الولد ليس لهذا الغرض فكان الانعام فيه أتم وأكمل فثبت بهذه الوجوه أنه ليس لاحد من المخلوقين نعمة على غيره مثل ما للوالدين على الولد فهذا بدأ الله بشكر نعمة الخالق وهو قوله تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الاياه ثم أرففه بشكر نعمة الوالدين وهو قوله تعالى وبالوالدين احساناً (فان قيل) الوالدان انما طلبا تحصيل اللذة لانفسهما فلنزم منهُ دخول الولد في الوجود ودخوله في عالم الآفات والمخالفات فأى انعام للابوين على الولد حتى ان بعض المتسمين بالحكمة كان يضرب أباه ويقول هو الذي أدخلني في عالم الكون والفساد وعرضي للموت والفقر والمعنى والزمانة وقيل لابي العلاء المعري ماذا نكتب على قبرك فقال اكتبوا على قبري هذا اجنابيه أبي علي وما جئيت على أحد وقال في ترك التزيج والولد

وتركت فيهم نعمة العدم التي * فيهم لقد سبقت نعيم العاجل

ولو أنتم ولدوا والعواشدة * ترمي بهم في موبقات الآجل

وقيل لاسكندر استاذك أعظم منة عليك أم والدك فقال أستاذي أعظم منة لانه تحمل أنواع الشدة ائدعند تعلبي فأوقنى في نور العلم وأما الوالد فانه طاب تحصيل لذة الوقاع لنفسه فأخرجني الى آفات عالم الكون والفساد ومن الكلمات المأثورة المشهورة خير الآباء من علمك (أجيب) بأنه وان كان له في أول الامر طلب لذة الوقاع الآن الأهتمام بايصال الخيرات اليه ودفع الآفات عنه من أول دخوله في الوجود الى وقت بلوغه الكبر ليس أنه أعظم من جميع ما يصل اليه من جهات الخيرات والمبرات فسقطت تلك الشبهات (التنبيه الثاني) ان لفظ الالية يدل على معان كثيرة كل واحد منها يوجب المبالغة في الاحسان الى الوالدين منها أنه تعالى قال في الآيات المتقدمة ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً ثم أرففه بهذه الالية المشتملة على الاعمال التي بواسطتها يحصل الفوز بسعادة الآخرة وجعل من جعلها البر بالوالدين وذلك يدل على أن هذه الطاعة من أصول الطاعات التي تفيد سعادة الآخرة ومنها أنه تعالى بدأ بذكر الامر بالتوحيد وثى بطاعة الله تعالى وثلت ببر الوالدين وهذه درجة عالية ومبالغة عظيمة في تعظيم هذه الطاعة منها أنه تعالى لم يقل واحساناً بالوالدين بل قال وبالوالدين احساناً فقتد يمد كره ما يدل على شدة الاهتمام بهما ومنها أنه تعالى قال احساناً بلفظ التذكير والتذكير يدل على التعظيم أى احساناً عظيماً كما دلل ان احساناً ما اليك

قد بلغ الغاية العظيمة فوجب أن يكون احسانك اليهما كذلك ثم على جميع التقديرات لا تحصل
 المكافاة لأن انعامهما عليك على سبيل الاستداء وفي الامثال المشهورة ان البادئ بالبر لا يكافأ
 • ولما كان سبحانه وتعالى عليهما بما في الطباع من ملال الولد لهما عند أخذهما في السن قال
 تعالى (أما) مؤكداً بادخال ما على ان الشرطية تزيد التقرير للمعنى اهتماماً بأن الوالدين
 (يلتفت عندك الكبير) أي كان يضطر اليك في حالة الضعف والعجز فلا يكون لهما ما كفل غيرك
 فصبوا عندك في آخر العمر كما كنت عندهما في أوله (أحدهما أو كلاهما) وقرأ حذرة والكسائي
 بألف بعد الغين وكسر النون فالالف ضمير الوالدين لتقدم ذكرهما وأحدهما بدل منه أو كلاهما
 عطف عليه فاعلاً وأيدلاً (فان قيل) هلا كان كلاهما تو كيداً لا لأجيب بأنه معطوف على
 ما لا يصح أن يكون تو كيداً الاثنين فوجب أن يكون مثله (فان قيل) لم يجوز أن يكون أحدهما
 بدلاً وكلاهما تو كيداً او يكون ذلك عطفًا للتوكيد على البديل (أجيب) بأن العطف يقتضي
 المشاركة فجعل أحدهما بدلاً والاخر تو كيداً لخلاف الاصل وقرأ الباقر بغير ألف وفتح النون
 والاعراب على هذا ظاهر وجميع القراء يشددون النون ثم انه تعالى أمر الانسان في حق
 والديه بخمسة أشياء الاول منها قوله تعالى (فلا تقل لهما أف) أي لا تضجر منهما قال
 الزجاج أف بمعنى المتن وهذا قول مجاهد لانه قال معنى قوله فلا تقل لهما أف أي لا تقدرهما
 كما انهما اكانا لا يتقدران منك حين كنت تحزأ وتبول وفي رواية أخرى عن مجاهد اذا وجدت
 منهما راحة فؤدك فلا تقل لهما أف فلقد بالغ سبحانه وتعالى بالوصية بهما حيث شفع
 الاحسان اليهما بتوحيده ونظمهما في سلك القضاء بهما معاً ثم ضيق الامر في مراعاتهما ما
 حتى لم يرخص في أدنى كلمة تغفلت من التضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته ومع أحوال
 لا يكاد يدخل صبر الانسان معها في الاستطاعة وقد قال صلى الله عليه وسلم اياكم وعقوق
 الوالدين فان الجنة يوجدرحهما مع مسيرة ألف عام ولا يجدرحهما عاق ولا فاطح رحم ولا شيخ
 زان ولا جازأزاره خيلاء ان الكبرياء لله رب العالمين وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين
 فقال لا يقوم الى خدمتهما عن كسل وقرأ نافع وحفص بالتسوية في القاء مع الكسر وابن
 كثير وابن عامر بفتح القاء من غير تنوين والباقر بكسر القاء من غير تنوين الثاني
 قوله تعالى (ولا تنهروهما) أي لا تزجرهما عما يعاطيانه مما لا يعجبك يقال نهروه وانتهروه اذا
 استقبله بكلام يجره قال تعالى وأما السائل فلا تنهر (فان قيل) المنع من التأنيب يدل على
 المنع من الانتهاز بالاولى فما فائدة ذكره (أجيب) بأن المراد بالمنع من التأنيب المنع من
 اظهار الضجر بالقليل والكثير والمراد من منع الانتهاز بالمنع من اظهار المخالفة في القول
 على سبيل الرد عليهما والتكذيب لهما الثالث قوله تعالى (وقل لهما قولا كريماً) أي حسناً
 جيلاطسنا كما يقتضيه حسن الادب معهما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه هو أن يقول
 يا أباها يا أمها وسئل سعيد بن المسيب رضى الله عنه عن القول الكريم فقال هو قول العبد
 المذنب للسيد اللفظ الغليظ وعن عطاء أنه قال هو أن يتكلم معهما بشرط أن لا يرفع اليهما بصره

ولا يشتد اليها نظره وذلك أن هذين الفعلين يتأنيان القول الكريم (فان قيل) ابراهيم الخليل عليه السلام قال لبيبه اني أراك وقومك في ضلال مبين مع أنه عليه السلام من أعظم الناس أدبا وحلمًا وكرما (أجيب) بأن حق الله تعالى مقدم على حق الابوين فاقدام ابراهيم عليه السلام على ذلك الايذاء انما كان تقديما لحق الله تعالى والرابع قوله تعالى (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) أي لمن أجل الامتثال للامر وخوف العار فقط بل من أجل الرحمة لهما بأن لا تزال تذكر نفسك بالامر والنواهي وبما تقدم لهما من الاحسان اليك والمقصود بالمباغاة في التواضع وهذه استعارة بليغة قال الفصالح وفي تقريره وجهان الأول ان الطائر اذا أراد ضم فرخه اليه للتربيه خفض له جناحه فلماذا صار خفض الجناح كناية عن جنس التربيه فكأنه قال للولدا كفل والديك بأن تضمهما الى نفسك كما فعل ذلك بك حال صغرك والثاني أن الطائر اذا أراد الطيران نشر جناحيه ورفعهما اليرتفع واذا أراد ترك الطيران خفض جناحيه ولم يرفع فجعل خفض الجناح كناية عن التواضع واللين (فان قيل) كيف أضاف الجناح الى الذل والذل لا جناح له (أجيب) بوجهين الأول أنه أضيف الجناح الى الذل كما يقال حاتم الجود فكأن المراد هناك حاتم الجود فكذا هنا المراد اخفض لهما جناحك الدليل الثاني أن مدار الاستعارة على الخيلان فهنا تخيل للذل جناحا خفضا كما جعل ليدل للشمال يدا وللقره زماما في قوله وغداة ربيع قد كشفت وقرة * اذا أصبحت بيد الشمال زمامها فأثبت للشمال يدا وللقره زماما ووضع زمامها في يد الشمال فكذا هنا ومن طريق ما حكى أن أبا تمام لما نظم قوله

لا تفتني ماء الملام فأنني * صب قد استعذبت ما بكاني

جاءه رجل بقصعة وقال له اعطني شيئا من ماء الملام فقال له حتى تأتيني بريشة من جناح الذل يريد أن هذا مجازا استعاره لذلك وقال بعضهم

راشوا جناحي ثم بلوه بالندى * فلم أستطع من حبهم أن أطيرا

الخامس قوله تعالى (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) أي لا تكف برحمتك عليهما التي لابقاهما وادع الله أن يرحمهما برحمته الباقية واجعل ذلك جرا لرحمتهم ما عليك في صغرك وتربيتهم مالك هذا اذا كانا مسلمين فان كانا كافرين فان الدعاء لهما بالرحمة منسوخ بقوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي بل يدعوا الله تعالى لهما بالهداية والارشاد فاذا اهداهما فقد رجعهما وسئل بعضهم عن بر الوالدين فقال لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر اليهما شزرا ولا يري منك مخالفة في ظاهره ولا باطن وأن ترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة أودائهم من بعدهما لما ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من أبر البر أن يصل الرجل أهل وديته * (تنبيه) * قد ورد في البر الوالدين أحاديث كثيرة منها ما روى عن أبي هريرة انه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من أحسن الناس بعصتي فقال أمتك ثم أمتك ثم أبوك ثم أبوك ثم أذنالك فأذنالك

ومنا عنه أيضا أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أرغم الله أنفه أرغم الله أنفه أرغم الله أنفه قيل من يا رسول الله قال من أدركه والديه أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة ومنها ما روى عنه أيضا أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن يجرى ولد والده الآن يجده محلا كافي شريه فبعته ومنها ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذنه في الجهاد فقال أحي والدك قال نعم قال فقيمها جاهد ومنها ما رواه الترمذي أنه صلى الله عليه وسلم قال رضا الرب في رضا الوالدين ويخط الرب في سخط الوالدين ومنها ما روى عن أبي الدرداء أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الوالد أوسط أبواب الجنة فما حفظ ان ثبت أوضع ومنها ما روى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العمل أحب إلى الله تعالى قال الصلاة على وقتها قلت ثم أي قال بر الوالدين قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله وسئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال ذلك وأصل إليه ولا شيء أنفع لهم من الاستغفار ولو كان شيء أفضل منه لا أمر كره في الوالدين ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز الوصية بالوالدين ومنها ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما ومنها ما روى عن سعيد بن المسيب أن البارز بن أبيه لا يموت ميتة سوء ومنها ما روى أن رجلا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أباي باغما من الكبر أني ألي منهما ما وليتني في الصغر فهل قضيت ما قال لا فأنهما كانا يفعلان ذلك وهما يجبان بقاءه وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتها ومنها ما رواه أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أرغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم أنف رجل أتى عليه شهر رمضان فلم يغفر له ورغم أنف رجل أدرك أبوه الكبر فلم يدخلاه الجنة ومنها ما روى أن رجلا شكك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أباه وأنه يأخذ ماله فدعاه فاذا هو شيخ يتوكأ على عصا فسأله فقال انه كان ضعيفا وأنا قوي وقترا وأنا غني فكنت لا آمنه شيئا من مالي واليوم أنا ضعيف وهو قوي وأنا فقير وهو غني ويصل علي بماله فبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما من حجر ولا مدر يسبح بهذا الابن ثم قال للولد أنت ومالك لا يسبحك وشكك اليه آخر سوء خلق أمته فقال لم تكن سبنة الخلق حين جلتك نسمة أشهر قال انها سبنة الخلق قال لم تكن كذلك حين أرضعتك حولين قال انها سبنة الخلق قال لم تكن كذلك حين أسهرت لك ليلها واظمأت لك نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال حجبت بها على عنق قال ما جزيتها وعن ابن عمر أنه رأى رجلا في الطواف يحمل أمه ويقول

أنا لها مطية لا تذعر • اذا الر كائب ففرت لا تنقر
ما حلت وأرضعتني أسكر • الله ربى ذو الجلال الاكبر

تظننى جزئيا ابن عمر قال لا والله ولا زفرة واحدة ولما كان ما ذكر في حق الوالدين عسرا جدا يحذر من التهاون به أشار بقوله تعالى (ربكم) أي المحسن اليكم في الحقيقة فإنه هو الذى عطف عليكم من ربكم وهو الذى أعانهم على ذلك (أعلم) أي من كل أحد (عافى نفوسكم)

قوله أنفع لهم كذا
في الأصول ولوجرى
على ما قبله لا فرد
ولعله راجع إلى
الأموات المقهورين
من الميتة

من قصد البرية ما وغيره فلا يظهر أحدكم غير ما يظن فان ذلك لا ينفعه ولا ينجمه الا أن يحمل
نفسه على ما يصحكون سبباز جهتها (ان تكونوا صالحين) أي متقين محسنين في نفس الامر
والصلاح استقامة الفعل على ما يدعو الدليل اليه * وأشار تعالى الى أنه لا يكون ذلك الا
بمخالفة النفس وترجيحها كرهة بدعوة بقوله تعالى (فانه كان للاقربين) أي الرجاين الى
الخير مرة اثر مرة بعد جراح أنفسهم عنه (غفورا) أي بالغ السرحين وقوم منه تقصير فرجع عنه
فانه مغفور له * ولما حث تعالى على الاحسان للوالدين بالخصوص عم بالامر بالاحسان لكل ذي
قرابة ورحم وغيره بقوله تعالى (وات ذا القرى) من جهة الاب والام وان بعد (حقه) والخطاب
لكل أحد ان يوفى أقاربه حقوقهم من صلة الرحم والمودة والزينة وحسن المعاشرة والمعاودة
ونحو ذلك وقيل ان **ك** انوا محتاجين ومحاويج وهو مو سر لزمنه الانفاق عليهم عند الامام
أبي حنيفة وقال الشافعي لا يلزم الانفقة الوالد على والده والولد على والده فقط وقيل المراد
بالقرابة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم (و) آت (المسكين) حقه وان لم يكن قريبا (و) آت
(ابن السبيل) وهو المسافر المنقطع عن ماله ليكون متقيا محسنا * ولما رغب تعالى في البذل
وكانت النفس فلما يصحكون فعلها قواما بين الافراط والتفريط اتبع ذلك بقوله تعالى
(ولا تبذر) بتفريق المال سرفا وهو بذله فيما لا ينبغي وقد كانت الجاهلية تبذر أموالها
في الفخر والسعة وتذكر ذلك في أشعارها فأمر الله تعالى بالنفقة في وجوهها بما يقرب منه
ويزلف اليه وفي قوله تعالى (تبذرا) تنبيه على أن الارتفاع نحو ساحة التبذير أو لى من الهبوط
الى مضيق الشح والتقتير والتبذير يسطر السد في المال على حسب الهوى وقد سئل ابن
مسعود عن التبذير فقال انفاق المال في غير حقه وأما الجود فهو اتباع أمر الله تعالى في حقوق
المال وعن مجاهد لو أنفق الانسان ماله كله في الحق ما كان تبذيرا ولو أنفق مدا في باطل كان
تبذيرا وقد أنفق بعضهم نفقة في خيرا فأنفق له صاحبه لا خيرا في السرف فقال لا سرف
في الخير وعن عبد الله بن عمر قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسعد وهو يتوضأ فقال ما هذا
السرف يا سعد قال أوفى الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار ثم نبه تعالى على قبح التبذير
بإضافته آياه الى أفعال الشياطين بقوله تعالى (ان المبذرين كانوا اخوان الساطين) أي
على طريقتهم وهم اخوانهم وأصدقاؤهم لانهم يطيعونهم فيما أمر ونهى به من الاسراف وهم
قرباؤهم وهم في النار على سبيل التوعد ثم انه تعالى بين صفة الشيطان بقوله تعالى (وكان
الشيطان) أي هذا الجنس البعيد من كل خيرا المحترق بكل شر (لرب) أي الذي أحسن اليه
بإيجاده وترينه (كفورا) أي استورا لما يقدر على ستره من آياته الظاهرة ونعمته الباهرة
مع الحجة فلا ينبغي أن يطاع لانه لا يدعو الا الى مثل فعله قال بعض العلماء خرجت هذه الآية
على وفق عادة العرب وذلك لانهم **ك** انوا يجمعون الاموال بالنهب والغارة ثم كانوا يتفقونها
في الجلباء والتفاخر وكان المشركون من قريش وغيرهم يتفقون أموالهم ليصدقوا الناس عن
الاسلام وتوهين أهل وجاهة أعدائه فنزلت هذه الآية تنبيها على قبح أفعالهم في هذا الباب

وقوله تعالى (وَأَمَّا تَعْرِضُنَّ عَنْهُمْ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ تَرْجُوهُمَا) نزل في مهجع وبلال وصهيب
 وسالم وخباب وكانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم في الاحابين ما يحتاجون اليه ولا يجد
 فيه عرض عنهم حيا منهم ويمك لا تنتظر رزق من الله يرجوه أن يأتيه فيعطيه (فقل لهم) أى في
 حالة الاعراض (قولوا يسوراً) أى ذابسر يشرح صدورهم ويسيطر بجاههم لأن ذلك أقرب
 الى طريق المتقين المحسنين قال أبو حيان روى أنه عليه الصلاة والسلام كان بعد نزول هذه
 الآية اذالم يكن عنده ما يعطى وسئل يقول برزقنا الله تعالى واياكم من فضله انتهى وقد وقع
 هذا الابتغاء موضع الفقد لأن فاقد الرزق ممتنع له فكان الفقد سبباً للابتغاء والابتغاء سبباً عنه
 فوضع المسبب موضع السبب ثم أمر تعالى نبيه بما وصفه عباده المؤمنين في الاتفاق في سورة
 الفرقان بقوله تعالى والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً فقال تعالى
 (ولا تجعل يدك) أى بالجنح (مغلولة) أى كأنها بالمنع مشدودة بالغل (الى عنقك) أى
 لا تستطيع مداها أى لا تمسك عن الاتفاق بحيث تضيق على نفسك وأهلك في وجوه مصلحة
 الرحم وسبيل الخيرات والمعنى لا تجعل يدك في انقباضها كالمغلولة المنوعة من الانبساط
 (ولا تبسطها) باليد (كل البسط) فتبذر بحيث لا يبقى في يدك شيء ذكر الحكاه في كتب
 الاخلاق أن لكل خلق طرفي افراط وتفریط وهما مذمومان وانطلق القاضل هو العدل
 والوسط فالجنح افراط في الامسالك والتبذير افراط في الانفاق وهما مذمومان والمعتدل هو
 الوسط وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صبي فقال يا رسول الله أتى تستكسبك
 درعا أى قيصا ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا قصه فقال للهي من ساعة الى ساعة
 هذا متعلق بمخروف أى آخرسوا لك من ساعة ليس لنا فيها درع الى ساعة يظهر لنا فيها درع فقد
 لنا فذهب الى أمه فقالت له قل له ان أى تستكسبك الدرع الذى عليك قد دخل رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ونزع قصه فأعطاه وقعدت عريانا أى في ازار ونحوه فأذن بلال بالصلاة
 فانتظره فلم يخرج فدخل قلوب أصحابه فدخل عليه بعضهم فراء عريانا فأنزل الله تعالى ولا تجعل
 يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتعطي جميع ما عندك * (تنبيه) * ما ذكرته
 عن جابر تعالى للكشاف والبيضاوى والرازى وغيرهم قال الولي العراقى لم أوقف عليه وكذا
 قال الحافظ ابن حجر وقد يقال من حفظ حجة على من لم يحفظ (فقتعد) أى توجسد كالقتعد
 (ملوما) أى يبلغ الروح فيما يلام بسببه عند الله لأن ذلك مما نهى الله عنه عند نفسك
 وعند الناس لانه يلام نفسه وأصحابه أيضا يلومونه على تضييع المال بالكفاية (محسورا)
 أى منقطعاً بانه ذهب ما تقوى به قال القفال شبهه حال من أنفق كل ماله بمن انقطع في سفره
 بسبب انقطاع مطيته لأن ذلك المقدار من المال كأنه مطية تحمل الانسان الى آخر الشهر
 والسنه كما أن ذلك البعير يحمله ويبلغه الى آخر المنزل فاذا انقطع ذلك البعير يبق في وسط الطريق
 عاجزاً متضيراً فكذلك الانسان اذا أنفق مقدار ما يحتاج اليه في مدة شهر في أقل منه بقى في وسط
 ذلك الشهر عاجزاً متضيراً ومن فعل ذلك لحقه اللوم من أهله والحجاجين الى انفاقه عليهم بسبب

سوء تدبيره وترد الحزم في مهمات معاشه ثم قال تعالى لتبنيهم محمد صلى الله عليه وسلم (ان ربك) أي
 الحسن الملك (يسيطر الرزق) أي يوسع (لمن يشاء) البسطون غيره (ويقدر) أي يضيقة سواء
 قبض يده أم بسطها لأن الرب هو الذي يربي المربوب ويقوم باصلاح مهماته ورفع درجاته
 على مقدار الصلاح في الصواب فيوسع الرزق على البعض ويضيقة على البعض لأن ذلك
 هو الصلاح قال تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لافترقوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء
 (أنه كان بعباده خبيراً) أي بالغ الخبر (بصيراً) أي بالغ البصر بما يكون من كل من القبض
 والبسط لهم مصلحة ومفسدة فالتفاوت في انه ربي العباد ليس لاجل بخل بل لاجل رعاية مصلحة
 لا يعلمها العبد فسبحان المتصرف في عباده كيف يشاء * ولما تم سبحانه وتعالى الوصية بالاصول
 وما يتبع ذلك اوصى بالفروع بقوله تعالى (ولا تقتلوا اولادكم) فذكرهم بلفظ الولد الذي هو
 داعية الى الجنور والاعطاف (خشية املاق) أي فقر متوقع لم يقع بعد ثم وصل بذلك استثناءفا
 بقوله تعالى (نحن نرزقهم وايامكم) مقدماً ضميراً الاولاد لكون الاملاق مترقباً من الاتفاق عليهم
 ثم علل تعالى ذلك بما هو اعم منه فقال تعالى (ان قتلهم) أي مطلقاً لهذا ولغيره (كان خطأ) أي
 اثم (كبيراً) أي عظيماً وقرأ ابن كثير بفتح الطاء ومد بعدها ما متصلاً وقرأ ابن ذكوان بفتح
 الخاء والطاء ولا مد بعد الطاء والباقيون بكسر الخاء وسكون الطاء قال الرماني الخطأ بكسر
 ثم سكون لا يكون الاتعمد الى خلاف الصواب والخطأ أي محر كما قد يكون من غير تعمد واثماً
 وجب بالاولاد لامر واحداً منهم في غاية الضعف ولا كافل لهم غير الوالدين واثماً وجب
 بزوال الدين مكافأة لما صدر منهم من انواع البر الى الولد الثاني أن امتناع الاياه من البر بالاولاد
 يقتضي خراب العالم الثالث أن قرابة الولادة قرابة الجزئية والبعضية وهي من اعظم الموجبات
 للمحبة فالولم تحصل المحبة دل ذلك على غلط شديد في الروح وقسوة في القلب وذلك من اعظم
 الاخلاق الذميمة فرغب الله تعالى في الاحسان الى الاولاد الهذه الخصلة الذميمة وبرتعالى
 بالاولاد ليشمل الاناث فان العرب كانوا يقتلون البنات لعجز البنات عن الكسب وقدرة البنين
 عليه بسبب اقدامهم على النهب والغارة عليهم وايضاً كانوا يخافون انهن بعد كبرهن تفقد
 اكفاؤهن فيحتاجون الى انكاحهن من غير اكفاء وفي ذلك عار شديد فنهاهم الله تعالى عن ذلك
 فان المرجح للرجحة والشفقة هو كونه ولذا وهذا المعنى وصف مشترك بين الذكور والاثات
 واما ما يخاف من الفقر في البنات ففسد يخاف مثله في الذكور في حال الصغر وقد يخاف ايضاً
 في العاجزين من البنين وكما أنه سبحانه وتعالى يفتح ابواب الرزق على الذكور فكذلك على
 الاناث * ولما كان في قتل الاولاد حظ من البخل وفي فعل الزناداع من الاسراف أتبعه به فقال
 تعالى (ولا تقربوا الزنا) أدنى قرب ولو بفعل شيء من مقدماته واثماً أي تعالى بالقرابان تعظيمه
 لمخفيه من المفاسد الجازاة الى الفتن بالقتل وتضييع النسب والتسبب في ايجاد نفس بالباطل
 وغير ذلك ثم علل تعالى النهي عن ذلك بقوله تعالى مؤكداً ابلاناً في التسفير عنه لما للنفس من
 شدة الداعية اليه (أنه كان فاحشة) أي فعله ظاهرة القبح زانته وقد نهاكم الله تعالى عن

القمساء في قوله تعالى ان الله بأمر بالعدل والاحسان وابتداء ذى القربى وينهى عن القمساء
 الآية (وساؤه) أى وبس الزنا (سبيلا) أى طريقا طريقه ثم نهى سبحانه وتعالى عن القتل مطلقا
 عن التقييد بالاولاد بفيرحق بقوله تعالى (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله) أى بالاسلام والعهد
 (الابالخط) وهو المبيع للقتل من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى
 ثلاث رجل كفر بالله بعد ايمانه أو زنى بعد احصانه أو قتل نفسا بفيرحق ومثل انتقال المسلم
 من دين الاسلام الى دين الكفر انتقال كافر من دين الى دين آخر سواء كان ذلك الدين يقر عليه
 أم لا ومن ذلك قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وقوله تعالى انما جزاء
 الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا أو يصلبوا واختلف الفقهاء
 في أشياء غير ذلك منها أن تارك الصلاة كسلاهل يقتل فعند الشافعي يقتل بشرط معلومة
 وعند أبي حنيفة لا يقتل التارك كالزاني ومنها أن عمل اللواط هل يوجب القتل فعند الشافعي
 يوجب قتل الفاعل كالزاني وعند أبي حنيفة لا يوجبه ومنها أن الساحر اذا قال قتل فلانا
 بسحرى عمدا هل يوجب القتل فعند الشافعي يوجبه وعند أبي حنيفة لا يوجبه ومنها أن القتل
 بالمثل هل يوجب القصاص فعند الشافعي يوجب وعند أبي حنيفة لا يوجب ومنها الامتناع
 من أداء الزكاة هل يوجب القتل اختلفوا فيه في زمان أبي بكر رضى الله عنه ومنها أن اتيان
 الهجيرة هل يوجب القتل فعند كثر الفقهاء لا يوجب وعند قوم يوجبه ولكن ذكر أدلة
 يستدل بها رضى الله تعالى عنهم أنهم قال تعالى (ومن قتل مظلوما) أى باى ظلم كان من
 غير أن يرتكب ما يبيح قتله (فقد جعلنا لولييه) أى سواء كان قريبا أم بعيدا (سأطأنا) أى أصرا
 منسلطابه وقوله تعالى (فلا يسرف في القتل) قرأ جزء والكسافي بالتاء على الخطاب أى أيها
 الولي والباقرن بالياء على الغيبة أى الولي وفسر الاسراف بوجوه الاول أن يقتل القاتل وغير
 القاتل وذلك ان أولياء المقتول كانوا اذا قتل واحد من قبيلة شريفة قتلوا خلقا من القبيلة
 الدينية فنهى الله تعالى عنه وحكم يقتل القاتل وحده الثاني ان الاسراف هو ان لا يرضى بقتل
 القاتل فان الجاهلية كانوا يقصدون أشرف القبائل ثم يقتلون منهم قوما معينين ويتركون
 القاتل الثالث أن الاسراف هو أن لا يكتفى بقتل القاتل بل يقتله ثم يمثل به ويقطع أعضائه قال
 القفال ولا يعد حله على الكل لان حله على هذه المعاني مشترك في كونهم اسرافا واختلف
 في رجوع الهاء الى ما ذاق في قوله تعالى (انه كان منصورا) فقال مجاهد راجعة الى المقتول في قوله
 تعالى ومن قتل مظلوما أى ان المقتول منصور في الدنيا بايجاب القود على قاتله وفي الآخرة
 بتكفير خطاياه وايجاب النار لقاتله وقال قتادة راجعة لولي المقتول أى انه منصور على القاتل
 باستيفاء القصاص أو الدية فليكتف بهذا القدر ولا يطمع في الزيادة وقيل راجعة الى القاتل
 الظالم أى ان القاتل يكتفى منه باستيفاء القصاص ولا يطلب منه زيادة لانه منصور من عند الله
 تعالى في تحريم طلب الزيادة منه وأنه اذا عوقب في الدنيا بأزيد مما فعل نصر في الآخرة وقيل
 راجعة الى الدم وقيل الى الحق * ولما ذكر تعالى النهى عن اتلاف النفوس أتبعه بالنهى

عن اتلاف الاموال لان اعز الاشياء بعد النفوس الاموال وأحق الناس بالنهي عن اتلاف
أموالهم هو اليتيم لانه لصغره وضعفه وكال مجزه يعظم ضرره باتلاف ماله فلهذا السبب خصهم
الله تعالى بالنهي عن اتلاف أموالهم بقوله تعالى (ولا تقر بوا مال اليتيم) عبر بالقربان الذي هو
قبل الاخذ تعظيماً للمقام فهو أبلغ من قوله تعالى ولانأ كواها اسرافا وبدارا وفي تفسير قوله
تعالى (الابالقي هي أحسن) وجهان الأول الابالتصرف الذي يتيه ويكفره الثاني روى
مجاهد عن ابن عباس انه قال اذا احتاج كل بالمعروف واذا أيسر قضاء فان لم يوسر فلا شئ
عليه والولي تبقى ولايته على اليتيم (حتى يبلغ أشده) وهو ايتام الرشد منه بعد بلوغه كما بين تعالى
ذلك في آية أخرى وهي قوله تعالى وابتلوا اليتامى حتى اذ بلغوا السكاح فان أنتم منهم رشدا
فادفعوا اليهم أموالهم * ولما نهى سبحانه وتعالى عن ثلاثة أشياء وهي الزنا والقتل وأكل مال
اليتيم أتبعها بثلاثة أوامر الأول قوله تعالى (وأوفوا بالعهد) أي اذا عاهدتم الله تعالى على فعل
المأمورات وترك المنهيات والناس على فعل أو قول جائز وفي تفسير قوله تعالى (ان العهد كان
مسؤلاً) وجوه الأول ان يراد ان صاحب العهد كان مسؤولاً فخذف المضاف وأقيم المضاف
اليه مقامه كقوله تعالى وأسأل القرية ثانياً ان العهد كان مسؤلاً أي مطلوباً بطلب من
العاهد أن لا يضعه ويقي ثانياً أن يكون هذا تخيلاً كان يقال للعهد لم نكنتم وهذا وفي بك
تسكيماً لنا كتحيا يقال للموودة بأى ذنب قتلت وكقوله تعالى لعيسى عليه السلام أنت
قلت للناس اتخذوني وأمى الهين والمخاطبة لعيسى عليه السلام والانكار على غيره الامر
الثاني قوله تعالى (وأوفوا الكيل اذا كتم) أي لغيركم فان كتم لانفسكم فلا جناح عليكم ان
نقصتم عن حنكم ولم تقوا الكيل الامر الثالث قوله تعالى (وزنوا) أي وزنا متلبساً (بالقسطاس)
أي ميزان العدل الذي هو أقوم الموازين وزاد في تأكيده معناه فقال (المستقيم) دون شئ من
الحنيف * (تنبيه) * القسطاس روى عرب ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لان الاعمى اذا
استعملته العرب وأجرنه مجرى كلامهم في الاعراب والتعريف والتسكير وفحوا صار عربياً
وقرأ حفص والكسائي وحزرة بكسر القاف والمباقون بضمها (ذلك) أي الامر العالى الرتبة
الذى أخبرناكم به من الابقاء بالتام والكيل (خير) لكم في الدارين الدنيا والآخرة من
التطفيف بالكيل أو الوزن من حيث ان الانسان يتخلص بواسطته عن الذكر القبيح في الدنيا
والعذاب الشديد في الآخرة وان تراهى لكم ان التطفيف خير (وأحسن تأويلاً) أي عاقبة
في الدارين اما في الدنيا فلانه اذا اشتهر بالاحتراف عن التطفيف عول الناس عليه ومالت
القلوب اليه وحصل له الاستغناء في الزمان القليل وكم رأينا من الفقراء من اشتهر واعند الناس
بالامانة والاحتراف عن الخيانة انقلب القلوب عليهم وحصلت الاموال الكثيرة لهم واما في
الآخرة فالقوز بالتواب العظيم والخلاص من العقاب الاليم والتأويل وهو تعطيل من الاول
وهو الرجوع وأفعال التفضيل هنا لاستعمال النصفه بارحاه العنان أي على تقدير ان يكون
في كل منهما خيراً فهذا المعنى الذي ذكرناه أزيد خيراً والعاقلة لا يرضى لنفسه بالدون * ولما شرح

الله تعالى الاوامر الثلاثة عادا الى ذكر النواهي فنهى عن ثلاثة اشياء اولها قوله تعالى (ولا تقف) أى لا تسمع أياها الانسان (مالم يس لك به علم) من قول أو فعل وحاصله يرجع الى النهى عن الحكم بما لا يكون معلوما وهو قضية كلية يتدرج تحتها أنواع كثيرة واختلف المقسرون فيها فقال ابن عباس لاشهد الاجمارة عينك وسمعته أذنك ووعاء قلبك وقال قتادة لانتقل سمعت ولم تسمع ورأيت ولم تر وعلمت ولم تعلم وقيل المراد النهى عن القذف وقيل المراد النهى عن الكذب وقيل المراد نهى المشركين عن اعتقاداتهم وتقليد أسلافهم لأن الله تعالى نسبهم في تلك العقائد الى اتساع الهوى فقال تعالى ان هى الأسماء سميتوا بها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس وقيل القصور والبث وأصله من القفا كأنه يقال خانته وهو فى معنى الغيبة قال صلى الله عليه وسلم من قضا مؤمنا بما ليس فيه حبه الله تعالى فى ردة الجبال رواه الطبرانى وغيره وردغة يسكون الدال وفصحها عاصرة أهل النار وقال الكمي

ولأرمى البرى بغير ذنب * ولا أقفوا الحواصن ان قضينا

بيننا قضينا للمفعول والحواصن النساء الهائف واللفظ عام يتناول الكل فلما معنى للتصيد * (تنبيه) * يقال قفوت اثر فلان أقفوا اذا اتعت أثره وسميت قافية الشعر قافية لأن البيت يقفوا البيت وسميت القبيلة المشهورة بالقافة لانهم يتبعون آثار أقفاء الناس أو آثار أقفادهم ويستمدلون بهما على أحوال الناس وقال تعالى ثم قضينا على آثارهم برسلنا ونوحى القفا قفا لانه مؤخر بدن الانسان فان مشى يتبعه ويقفوه (فان قيل) ان هذه الآية تدل على منع القياس فانه لا يقيد الا بالظن والظن مغاير للعلم (أجيب) بأن ذلك عام دخله التخصيص فان الحكم فى الدين بمجرد الظن جائز باجماع الامة وبأن المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان قطعا أم ظاهريا واستعماله بهذا المعنى شائع ذائع وقد استعمل فى مسائل كثيرة منها ان العمل بالفتوى على بالظن ومنها ان العمل بالشهادة على بالظن ومنها الاجتهاد فى طلب القبلة ولا يفيد الا بالظن ومنها قيم المتلفات وارش الجنائيات لاسيما ليهما الا بالظن ومنها القصد والحجامة وسائر المعالجات تنبى على الظن ومنها بعث الحكمين فى الشقاق قال تعالى وان خضتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها وحصول ذلك الشقاق مظنون لامعالم ومنها الحكم على الشخص المعين بكونه مؤمنا مظنون وينبى على هذا الظن أحكام كثيرة مثل حصول التوارث ومثل الدفن فى مقابر المسلمين ومنها الاعتماد على صدق الاصدقاء وعداوة الاعداء كلها مظنونة وبناء الامر على تلك الظنون وقال صلى الله عليه وسلم فمن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر وذلك تصريح بأن الظن معتبر فبطل قول من يقول انه لا يجوز بناء الامر على الظن ثم قال تعالى النهى محوفا بقوله تعالى (ان السمع والبصر) وهما طريقا الادراك (والقواد) الذى هو آلة الادراك ثم عول تعالى الامر بقوله تعالى (كل أولئك) أى هذه الاشياء العظيمة العالية المنافع البديعة التكوين * (تنبيه) * أولا وجميع أسماء

الإشارة بشاربهم للعاقل وغيره كقول الشاعر

ذم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد أولئك الأيام

يجوز في ذم فتح الميم وكسر هاؤها وقوله بعد منزلة اللوى أي بعد مفارقتها والإضافة في منزلة اللوى للبيان وهو ممدود ولكن قصره هنا للضرورة والعيش عطف على المنازل والأيام صفة لادم الإشارة أو عطف بيان له (سكان عنه) أي بوعد لا خاف فيه (مسؤولاً) بسؤال يخصه * (تنبيه) * ظاهر الآية يدل على أن الجوارح مسؤولة وفيه وجوه الأول أن معناه أن صاحب السمع والبصر والفؤاد هو المسؤول لأن السؤال لا يصح إلا من كان عاقلًا وهذه الجوارح ليست كذلك بل العاقل القاهم هو الإنسان كقوله تعالى وأسأل القرية أي أهلها والمعنى أنه يقال للإنسان لم سمعت ما لم يحل سماعه ولم تطرت ما لم يحل نظره ولم عزمت على ما لم يحل لبث العزم عليه الثاني أن تقدير الآية أن أولئك الأقوام كلهم مسؤولون عن السمع والبصر والفؤاد فيقال لهم استعملتم السمع فيما ذأ في الطاعة أم في المعصية وكذا القول في بقية الأعضاء وذلك لأن الحواس آلات النفس والنفس كالأمير لها والمستعمل لها في مصالحها فان استعملها في الخيرات استوجب الثواب وان استعملها في المعاصي استحق العقاب الثالث أن الله تعالى يخلق الحياة في الأعضاء ثم إنهم أتساءل لقوله تعالى يوم تشهد عليهم أئديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فكذلك لا يعد أن يخلق العقل والحياة والنطق في هذه الأعضاء ثم إنهم أتساءل روي عن شكل بن حميد قال قال آيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبي الله علمني تعويذاً أتعوذ به فأخذ بيدي ثم قال قل أعوذ بك من شر سمعي وشر بصري وشر لساني وشر قلبي وشر مني قال فخطبتها قال سعد المني ماؤه النبي السائل قوله تعالى (ولاتمش في الأرض) أي جنسها (مرحاً) أي ذامرح وهو شدة الفرح والمراد من الآية النهي عن أن عشي الإنسان مشياد على الكبرياء والعظمة قال الزجاج ولا تمش في الأرض محتالاً تخورا ونظيره قوله تعالى في سورة القرقان وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وقال تعالى في سورة لقمان واقصد في مشيك واغضض من صوتك وقال تعالى فيها ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل محتال تخور ثم علل تعالى النهي عن ذلك بقوله تعالى (إنك إن تخرق الأرض) أي تنقبها حتى تبلغ آخرها بأكبرك (ولن تبلغ الجبال طولا) أي سطا أولك وهو تمكم بالاحتال لأن الاحتال جناية مجرمة لا تفيد شيئاً ليس في التذلل وفي ذلك إشارة إلى أن العبد ضعيف لا يقدر على خرق أرض ولا وصول إلى جبال فهو محاط به من فوقه ومن تحته بنوعين من الجمادات وهو أضعف منها بكثير والضعيف المحصور لا يلبث به التكبر فكانه قيل له تواضع ولا تتكبر فانك خلق ضعيف من خلق الله محصور بين حجارة وتراب فلا تفعل فعل المقتدر القوى وقيل ذكر ذلك لأن من مشى خيلاً مشى مرة على عقبه مرة على صدره وقد ميه فصيل له إنك إن تنقب الأرض ان مشيت على عقبك ولن تبلغ الجبال طولاً ان مشيت على صدره وقد ميهك قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى عليه وسلم إذا مشى تكفأ تكفأ كأنما ينحط من صب وروي

أبو هريرة رضي الله عنه قال ما رأيت أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس
 تجرى في وجهه وما رأيت أحدا أسرع في مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تما الأرض
 تطوى له أنانجهداً نفسنا وإنه غير مكثر وقوله تعالى (كل ذلك) إشارة إلى ما نهي عنه
 مما تقدم فإن الذي تقدم منبهات ومأمورات وجعله ذلك من قوله تعالى لا تجعل مع الله الها
 آخر إلى هنا خمسة وعشرون وها أنا أسردها لك تسهيلاً عليك فأولها لا تجعل مع الله الها
 آخر وثانيها وثالثها وقضى ربك أن لا تعبدوا الاياه لاشتماله على تكليفين الامر بعبادة الله
 تعالى والنهي عن عبادة غيره رابعها وبالوالدين احسانا خامسها فلا تفلت لهما أف سادسها
 ولا تنهرهما سابعها وقل لهما قولاً كريماً ثامناً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة تاسعها وقل
 رب ارحمهما كما ربياني صغيراً عاشرها وآت ذا القربى حقه حادي عشرها والمسكين ثاني
 عشرها وابن السبيل ثالث عشرها ولا تبذر تبريراً وابع عشرها فقل لهم قولاً يسوراً خامس
 عشرها ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك سادس عشرها ولا تبسطها كل البسط سابع عشرها
 ولا تقتلوا اولادكم ثامن عشرها ولا تقتلوا النفس تاسع عشرها ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا
 لوليه سلطاناً عاشرها وفلا يسرف في القتل حادي عشرها وأوفوا بالعهد ثاني عشرها وأوفوا
 الصكك ثالث عشرها وزنوا بالقسط اس المستقيم رابع عشرها ولا تقف ما ليس لك به علم
 خامس عشرها ولا تمش في الارض مرحافك هذه تكليفات بعضها أمر وبعضها نواه فالمنهى
 عنه هو الذي قال تعالى فيه (كان سيئه عند ربك مكروهاً) أي يغضبه والعاقلة لا يفعل
 ما يكرهه المحسن اليه وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وبفتح الهمزة وبالتاء منونة منصوبة وقرأ
 الباقر بضم الهمزة والهاء مضمومة من غير تنوين والمعنى على هذا ظاهر أي ان سئ تلك
 الاقسام يكون مكروهاً وأما على القراءة الاولى فسيئة خبر كان وأنت جلا على معنى شك ثم
 قال مكروهاً جلا على لفظها وقال الزجاجي ان السبيئة في حكم الاسماء بجزلة الذنب والاسم
 زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيده ولا فرق بين سبيئة وسيأ الاترى انك تقول الزناسيئة كما
 تقول السرقة سيئة فلا فرق بين اسنادها الى مذكر ومؤنث وفي نصب مكروهاً أوجه أحدها
 أنه خبر ثان لكان الثاني أنه بدل من سيئة وضعف بأن البدل بالمشتق قليل الثالث أنه حال من
 الضمير المستتر في عند ربك لوقوعه صفة لسبيئة الرابع أنه نعت لسبيئة وانما ذكر وصف سيئة لان
 تأنيده وتأنيث موصوفه مجازي ورد بان ذلك انما يجوز حيث أسندنا الى المؤنث المجازي اما
 اذا أسند الى ضميره فلا نحو الشمس طالعة فلا يجوز طالع وقوله تعالى (ذلك) إشارة الى الاحكام
 المتقدمة في الاوامر والنواهي (عما أوحى اليك) بأشرف الخلق (ربك) أي المحسن اليك (من
 الحكمة) التي هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به وانما سميت هذه الامور حكمة لوجوه
 الاول ان حاصلها يرجع الى الامر بالتوحيد وأنواع الطاعات والخيرات والاعراض عن الدنيا
 والاقبال على الآخرة قالوا في يمثل هذه الشريعة لا يكون داعياً الى دين الشيطان بل القطرة
 الاصلية تشهد بأنه يكون داعياً الى دين الرحمن الثاني ان هذه الاحكام المذكورة في هذه

الآيات شرائع واجبة الرعية في جميع الاديان والملل ولا تقبل النسخ والابطال فكلمات
 محكمة وحكمة من هذا الاعتبار الثالث ان الحكمة عبارة عن معرفة الحق لذاته وان الخير
 للعمل به كما مرتن الاشارة اليه فالامر بالتوحيد عبارة عن القسم الاول وسائر التكليف عبارة
 عن تعليم الخيرات حتى يواطى عليها ولا يتخرف عنها فثبت ان الاشياء المذكورة من هذه
 الآيات عين الحكمة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ان هذه الآيات كانت في ألواح
 موسى عليه السلام وجعل سبحانه وتعالى فاتحتها بقوله تعالى لا تجعل مع الله الها آخر وخالقتها
 قوله تعالى (ولا تجعل مع الله الها آخر) تنبيه على ان التوحيد مبدأ الامور ومنتهاه وان من
 قصد بفعل أو ترك غيره ضاع بسعيه وانه رأس الحكمة وملاكها ورب عليه ما هر عائدة
 الشرك في توله تعالى أو لا تجعل مع الله أى في الدنيا ونايا ما هو تبيخه في العقبي فقال
 (قلقى) أى فيفعل بك في الاخرة في الحشر (في جهنم) من الاسراع فيه وعدم القدرة على
 التدارك فعلم من ألقى من عال حال كونك (ملوما) أى تلوم نفسك (مدحورا) أى مبعدا
 من رجة الله * (تنبيه) * ذكره سبحانه وتعالى في الآية الاولى بقوله تعالى مذموماً مخذولاً
 وفي هذه الآية ملوماً مدحوراً والفرق بين الذم واللوم هو أن يذكر له ان الفعل الذى أقدم
 عليه قبيح ومنكر فهذا معنى كونه مذموماً يقال له فعلت هذا الفعل القبيح وما الذى حلك
 عليه فهذا هو اللوم فأقول الامر بصير مذموماً وآخره بصير ملوماً والفرق بين المخذول
 والمدحور هو ان المخذول عبارة عن الضعيف يقال تخذات أعضائه أى ضعفت والمدحور هو
 المطرود والطرء عبارة عن الاستخفاف والاهانة فكونه مخذولاً عبارة عن ترك اعائه وتقويضه
 الى نفسه وكونه مدحوراً عبارة عن اهانتة فصير أول الامر مخذولاً وآخره مدحوراً وقوله
 تعالى (أفأصفاكم ربكم بالبين) خطاب للذين قالوا الملائكة بنات الله والهزمة للانكار أى
 أغصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بأفضل الاولاد وهم البنون ولم يجعل فيهم نصيباً
 لنفسه (واخذ من الملائكة انانا) أى بنات لنفسه وهذا خلاف ما عليه معقولكم وعادتكم
 فان العبيد لا يستأثرون بأجود الاشياء واصفاها من الشوائب ويكون أردوها وأدونها
 للسادات (انكم لتقولون قولاً عظيماً) باضافة الاولاد اليه لان اثبات الولد يقتضى كونه تعالى
 مر بكم من الاعراض والاخر اود ذلك يقدح في كونه قديماً واجب الوجود لذاته وايضا بقدر
 ثبوت الولد فقد جعلوا أشرف القسمين لانفسهم وأخس القسمين لله تعالى وهذا جهل عظيم
 وايضا جعلوا الملائكة الذين هم من أشرف خلق الله الذين منهم من يقدر على حمل الارض وقلب
 اسفلها على أعلاها نانا في غاية الرخاوة * ولما كان في هذا من البيان ما لا يخفى على انسان
 ولم يرجعوا أشار الى أن لهم مثل هذا الاعراض عن أمثال هذا البيان فقال تعالى (ولقد
 صرقتنا) أى بينا بنا عظيماً بأواع طرق البيان من العبر والحكم والأمثال والاحكام والحجج
 والاعلام في قلوب الوعد والوعيد والامر والنهي والمحكم والمتشابه الى غير ذلك (في هذا
 القرآن) أى في مواضع منه من الامثال كما قال تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل

مثل قبل لفظة في زائدة كما في قوله تعالى وأصلح لي في ذريتي وورد بأن في لاتزاد وما ذكر متأول
 كما يأتي إن شاء الله تعالى في الاحقاف والتصريف لغة صرف الشيء من جهة إلى أخرى ثم صار
 كتابة عن التبيين قاله أبو حيان وقوله تعالى (لبدكروا) متعلق بصرفنا وقرأ أجزاء والكسائي
 بسكون الذال ورفع الكاف من غير تشديد من الذك الذي هو بمعنى التذكر والباقون بفتح
 الذال والكاف مع تشديدهما (وما يزيدهم) أي التصريف (الانقورا) أي تباعدوا عن الحق
 وقلة طمأنينة اليه وعن سفيان كان إذا قرأها قال زادني ذلك لخصوع ما زاد أعداءه لثغفورا
 * ثم قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قل) أي لهؤلاء المشركين ولا تبأس من رجوع
 بعضهم (لو كان معكم الهمة كما يقولون) من هذه الأقوال التي لو قالها أعظمكم في حق أدناكم وهو
 يريد بها حقيقة تها لصار ضحكة للعباد (إذا ابتغوا) أي طلبوا واطلباء عظيم (الذي العرش) أي
 صاحب السرير الأعظم المحيط الذي من ناله كان منفردا بالتدبير (سبيلا) أي طريقا سالكا
 يتوصلون به إليه لقهوده ويزيلوا ملكه كاترون فعلى ملوك الدنيا بعضهم مع بعض أو يتخذوا
 عنده يدا يقربهم إليه وقرأ ابن كثير وحفص بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب
 وأدغم أبو عمرو والشين من العرش في السين بخلاف عنه ثم زنه سبحانه وتعالى نفسه فقال عز من
 قائل (سبحانه) أي تنزه التنزه الأعظم عن كل شائبة نقص (وتعالى) أي علا على العلو بصفات
 الكمال (عما يقولون) أي من هذه النقايس التي لا يرضاها لنفسه أحد من علقها خلقه (علوا)
 أي تعاليا (كثيرا) أي متباعدة اغاية البعد عما يقولون فإنه تعالى في أعلى مراتب الوجود
 وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته * (تنبيه) * جعل العلو مصدر التعالى ومصدره
 تعاليا كما قدرته فهو المراد ونظيره قوله تعالى والله أنبتكم من الأرض نباتا (فان قيل) ما الفائدة
 في وصف ذلك العلو بالكبير (أجيب) بأن المنافاة بين ذاته وصفاته سبحانه وبين ثبوت الصحابة
 والولد والشركاء والاضداد والانداد منافاة بلغت في القوة والكمال الى حيث لا تعقل الزيادة
 عليها لان المنافاة بين الواجب لذاته وبين الممكن لذاته وبين القديم والمحدث وبين الغنى والمحتاج
 منافاة لا تعقل الزيادة عليها فلها هذا السبب وصف الله تعالى ذلك العلو بالكبير وقرأ أجزاء
 والكسائي بالتاء على الخطاب والباقون بالياء على الغيبة ثم استأنف تعالى بيان عظيمة هذا
 التنزيه مقررنا بوصف بالكمال فقال (تسبح) أي توقع التنزيه الأعظم (له) أي الاله الأعظم الذي
 تقدم وصفه بالجلال والاکرام خاصة (السعوات السبع والارض) أي السبع (ومن فيهن)
 أي من ذوى العقول (وان) أي وما وأغرق في النقي فقال (من شيء) أي ذى عقل أو غيره
 (الابسبح بحمده) أي يقول سبحان الله العظيم بحمده ويقول سبحان الله وبحمده وقال ابن
 عباس وان من شيء حتى الابسبح بحمده وقال قتادة يعنى الحيوانات والناميات وقال عكرمة
 الشجرة تسبح والاسطوانة تسبح وعن المقداد بن عدى التراب يسبح ما لم يتسل فاذا انسل ترك
 التسبيح والورقة تسبح مادامت على الشجرة فاذا سقطت تركت التسبيح والماء يسبح مادام
 جاريا فاذا ركبت التسبيح والثوب يسبح مادام جديدا فاذا وسع ترك التسبيح وقال السبوطي

في جواب سؤال عن ذلك

قد خصت آية الاسرى بمصنف * وصف الحياة كرتب الزرع والشجر
 فياس مات لا تسبيح منه كذا * مازال عن موضع كالقطع للمجر
 وقال ابراهيم الخفي وان من شئ جاد وحى الاسبغ يحمد حتى صرير الباب وتقبض السفن
 وقال مجاهد كل الاشياء تسبح لله تعالى حيوانا كانت أو جادا وتسيحها سبحان الله ويحمده يدل
 على ذلك ما روى عن ابن مسعود كأنه قال آيات بركة وأنتم تعدونها تخويها فكأن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال صلى الله عليه وسلم اطلبوا فضله من ماء فجاؤا باناء فيه ماء
 قليل فأدخل يده صلى الله عليه وسلم في الاناء ثم قال صلى الله عليه وسلم اطلبوا المباركة والمباركة من الله
 فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو بأكل
 وعن جابر بن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بمكة حجرا كان يسلم على لئالي بعثت ابي
 لاعرفه الآن وعن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم كان يخطب الى جذع فلما اتخذ له المنبر تحوّل
 اليه فحن الجذع فأناه فسبح يده عليه وفي رواية فتزل فاحتضنه وسار به بشئ ففني هذه الأحاديث
 دليل على ان الجاد يتكلم وأنه يسبح وقال بعض أهل المعاني تسبيح السموات والارض والجمادات
 والحيوانات سوى العقلاء بلسان الحال حيث تدل على الصانع وقدرته ولطيف حكمته
 فكأنها تنطق بذلك وبصير لها بمنزلة التسبيح قال البغوي والاول أصح وهو المنقول عن السلف
 وقال ابن الخازن القول الاول أصح لما دلت عليه الأحاديث وأنه منقول عن السلف قال
 البغوي واعلم ان الله تعالى علمنا في الجمادات لا يقف عليه غيره فينبغي أن يوكل علمه اليه (ولكن
 لانفقهمون) أي لانفقهمون (تسبيحهم) أي لانه ليس بلغتكم (انه كان حليما غفورا) ولما ذكر
 سبحانه وتعالى اثبات الالهية اتبعه بذكر تقرير النبوة بقوله تعالى (واذا قرأت القرآن) أي الذي
 لا يدايه واعظ ولا يساويه مفهم وهو تبيان لكل شئ (جعلنا) أي بما لنا من العظمة (بينك وبين
 الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) أي يحجب قلوبهم عن فهم ما تقرؤ عليهم والانتفاع به
 قال قتادة هو الكمة فالمستور بمعنى الساتر كقوله تعالى كان وعدة ما أتاهم فعول بمعنى فاعل
 وقيل مستورا عن عين الناس فلا يرونه وفسره بعضهم بالحجاب عن العين الظاهرة كما روى
 عن سعيد بن جبير أنه لما نزلت تب يد أبي لهب جاءت امرأة أبي لهب ومعها حجر والنبي صلى
 الله عليه وسلم مع أبي بكر رضى الله عنه فلم تره فقالت لابي بكر أين صاحبك لقد بلغني أنه
 هجاني فقال والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله فرجعت وهي تقول قد كنت جئت بهذا الحجر لارض
 به رأسه فقال أبو بكر ما رأيتك يا رسول الله قال لا لم ير ملك بيني وبينها يستترني (وجعلنا) أي
 بما لنا من العظمة (على قلوبهم أكنة) أي أعطيتهم كراهة (أن يفقهوه) أي يفهموه أي يفهموا
 القرآن حق فهمه (وفي آذانهم وقرا) أي شيئا تقبل لا يسمع سمعهم وعن أسماء كان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم جالسا ومعها أبو بكر إذا قبلت امرأة أبي لهب ومعها فهر تزيد الرسول صلى
 الله عليه وسلم وهي تقول مذمما بينا ودينه قلينا وأمره عدسينا فقال أبو بكر يا رسول الله معها

فها خشاها عليك فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية بجملة ومارات رسول صلى الله
 عليه وسلم وقالت اني رأيت قريشا قد علمت اني ابنة سيدها وان صاحبك هجاني فقال أبو بكر
 لا ورب الكعبة ورب هذا البيت ما هجأه وروى ابن عباس ان أباسقيان والنضربن الحارث وأبا
 جهل وغيرهم كانوا يجالسون النبي صلى الله عليه وسلم ويسمعون حديثه فقال النضربون ما
 ما أرى ما يقول محمد غير اني أرى شفيعه يجرّ كان بشي وقال أبو سفيان اني لأرى بعض ما يقوله
 الاحقا وقال أبو جهل هو مجنون وقال أبو الهب هو كاهن وقال حويط بن عبد العزى
 هو شعاع فترت هذه الآية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد تلاوة القرآن قرأ
 قبله ثلاث آيات وهي في سورة الاسراء وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي اذانهم وقرأوا في
 سورة النحل أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وفي حم الجاثية أفرايت من اتخذ الهه هواه الى
 آخر الآية فكان الله تعالى يحجبه ببركة هذه الآيات عن عيون المشركين (واذا ذكرت ربك في
 المحسن اليك واليهيم في القرآن وحده) أي مع الاعراض عن آلهتهم كان قلت وأنت تتلو القرآن
 لا اله الا الله * (تنبيه) في نصب وحده وجهان أحدهما أنه منصوب على الحال وان كان
 معرفة لفظا لانه في قوة التسمية اذ هو في معنى منفردا والثاني أنه منصوب على الظرف (ولو اعنى
 أذ بارههم نفورا) أي هربا من استماع التوحيد * (تنبيه) في نفورا وجهان أحدهما صدر من
 غير اللفظ مؤكدا لان التولى والنفور بمعنى والثاني أنه حال من فاعل ولو هو حينئذ جمع نافر
 كقاعد وقعود وشاهد وشهود والضمير في ولو ايعود الى الكفار وقيل يعود الى الشيطان وان لم
 يجز لهم ذكر قال المفسرون ان القوم كانوا عند استماع القرآن على أقسام منهم من كان يلهو
 عند استماعه روى أنه عليه الصلاة والسلام كان كلما قرأ القرآن قام عن يمينه ويساره اخوان من
 ولد قصى يصفقون ويصفرون ويحلمون عليه بالشعار ومنهم من كان اذا سمع من القرآن
 ما فيه ذكر الله تعالى بقوامه وتين لايهه مومن منه شيئا ومنهم من اذا سمع آيات فيها ذكر الله
 تعالى وذم المشركين ولو انفقوا وتر كوا ذلك المجلس * ولما كانوا بما ادعوا السمع والفهم
 فشككوا بعض من لم يرسخ ايمانه أتبعه تعالى بقوله تعالى (نحن أعلم) أي من كل عالم (بما
 يستمعون) أي يبالغون في الاصغاء والميل لقصد السمع (به) من الأذان والقلوب أو بسببه
 ولا جله من الهزء بك وبالقرآن (اذ يستمعون) أي يصغون بجهدهم (اليك) أي الى قراءة تلك (واذ)
 أي حين (هم) ذو (نجوى) أي يتناجون بأن يرفع كل منهم بصره الى صاحبه بعد اعراضهم
 عن الاستماع ثم ذكر تعالى ظرف النجوى بقوله تعالى (اذ) وهو يدل من اذ قبله (يقول الظالمون)
 وقولهم (ان) أي ما (تبعون الا رجلا مسحورا) أي تخذوا ما غلبوا على عقله روى أن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم أمر عليا أن يتخذ طعاما ويدعو اليه أشرف قريش من المشركين ففعل
 ذلك ودخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم القرآن ودعاهم الى التوحيد وقال
 قولوا لا اله الا الله حتى تطيعكم العرب وتدين لكم العجم فابوا عليه فلك وكانوا عند استماعهم من
 النبي صلى الله عليه وسلم القرآن والدعوى الى الله تعالى يقولون ان تبعون الا رجلا مسحورا

(فان قيل) انهم لم يتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يصح أن يقولوا ان يتبعون الا
 رجلا مسجورا (أجيب) بأن معناه ان اتبعوه فقد اتبعتم رجلا مسجورا وقرأ أبو عمر ووابن
 ذكوان وعاصم وحزرة بـكسر التنوين في الوصل والباقون بالضم ثم قال تعالى (انظر كيف
 ضربوا) أي هؤلاء الضلال (لك الامثال) التي هي ابدشي من صفتك من قولهم كاهن وساحر
 وشاعر ومعلم ومجنون (فضلوا) عن الحق في جميع ذلك (قلا) أي فسيب عن ذلك أنتم
 لا (يستطيعون سبيلا) أي وصولا الى طريق الحق * ولما جرت عادة القرآن باثبات التوحيد
 والنبوة والمعاد وقدم الدلالة على الاولين وختم باثبات جهلهم في النبوة مع ظهورها أتبع ذلك
 أمرا جليا في ضلالهم عن السبيل في أمر المعاد وقزوه غاية التقرير وحزرة أتم تحرير قال تعالى
 محجبا عنهم (وقالوا) أي المشركون المنكرون للتوحيد والنبوة والبعث مع اعترافهم بأن الله أنما
 خلقهم ومشاهدتهم في كل وقت ان يحيي الارض بعد موتها وقولهم (أنذا) استقهام انكارى
 كانهم على ثقة من عدم ما يسكرونه والعامل في اذا فعل من لفظ مبعوثون لاهو فان مالم يعد ان
 لا يعمل فيما قبلها فالمعنى أتبع اذا (كأ) أي بجملة أجسامنا كوننا لازما (عظاما ورفانا) أي
 حطاما مكسرا مفتتا وعبارا وقال الفراء هو التراب وهو قول مجاهد ويؤيده أنه قد يذكر في
 القرآن ترابا وعظاما ويقال للتين الرفات لانه دقاق الزرع (أننا لمبعوثون) حال كوننا مخلوقين
 خلقا جديدا * (تنبيه) * تقرير شبهة هؤلاء الضلال هي أن الانسان جفت أعضاؤه وتناثرت
 وتفرقت في جوانب العالم واختلطت تلك الاجزاء بسائر اجزاء العالم فالاجزاء المائية
 مختلطة بعلماء العالم والاجزاء الترابية مختلطة بالتراب والاجزاء الهوائية مختلطة بالهواء فكيف
 يعقل اجتماعها بأعيانها مرة أخرى وكيف يعقل عود الحياة اليها بأعيانها مرة أخرى هذا تقرير
 شبهتهم (أجيب) عنهابأنهن اتتم الا بالقدح في كمال علم الله تعالى وفي كمال قدرته فانه تعالى قادر
 على كل الممكنات فهو قادر على اعادة التآليف والتركيب والحياة والعقل الى تلك الاجزاء
 بأعيانها فمن سلم كمال علم الله تعالى وكمال قدرته زالت عنه هذه الشبهة بالكلية * ولما كان كانه قيل
 فماذا يقال لهم في الجواب فقال (قل) لهم يا أشرف الخلق لا تكونوا رافنا بل (كونوا) أصلب من
 التراب (سحارة) أي هي في غاية اليس (أو وحديدا) أي زائدا على يس الحجارة لسدة اتصال
 الاجزاء * (تنبيه) * ليس المراد به أمر الزام بل المراد انكم لو كنتم كذلك لما عجزتم الله تعالى عن
 الاعادة وذلك كقول القائل أتطمع في وأنا فلان فيقول كن من شئت كن ابن الخليفة فساد طلب
 منك حتى (أو خلقا) غير ذلك (بما يكبر) أي يعظم عظمة كبيرة (في صدوركم) أي مما يكبر عنكم عن
 قبول الحياة لكونه أبعد شيء منها فان الله تعالى قادر على اعادة الحياة اليها وقال ابن عباس
 ومجاهد وعكرمة وأكثر المفسرين انه الموت فانه ليس في نفس ابن آدم شيء أكبر من الموت أي
 لو كنتم الموت بعينه لا ممتنعكم ولا بعثتكم وقيل السموات والارض والجبال لانهم أعظم
 المخلوقات (فسيقولون) ثم ادباني الاستهزاء (من يعبدنا) اذا كنا كذلك (قل الذي فطركم)
 أي ابتدأ خلقكم (أول مرة) ولم تكونوا شيئا يعبدكم بالقدرة التي ابتدأكم بها فإلكم تعجز تلك

عن البداءة فهي لا تعجز عن الاعادة (فسيغضون) أي يحركون (اليد رؤسهم) تعجبوا واستهزأوا
 كانهم في شدة جهلهم على غاية البصيرة من العلم بما يقولون والنفذ والانفاض تحريك
 بارتفاع وانخفاض (ويقولون) استهزأوا (مقهور) أي البعث والقيامة قال الرازي واعلم
 أن هذا السؤال فاسد دلالتهم حكموا بامتناع الحشر والذمير بناء على الشبهة التي تقدمت
 ثم إن الله تعالى بين بالبرهان الباهر كونه ممكناً في نفسه فقولهم متى هو كلام لا تعلق له بالبعث
 فإنه لما ثبت بالدليل العقلي كونه ممكن الوجود في نفسه وجب الاعتراف بإمكانه فأما أنه متى
 يوجد فذلك لا يمكن اثباته من طريق العقل بل انما يمكن اثباته بالدليل السمعي فإن أخبر الله
 تعالى عن ذلك الوقت المعين عرف والافلاسيب الى معرفته لانه تعالى بين في القرآن أنه
 لا يطلع أحد من الخلق على وقته المعين فقال تعالى إن الله عنده علم الساعة وقال انما علمها
 عند ربى وقال تعالى ان الساعة آتية أكاد أخفيها فلا جرم قال تعالى (قل عسى أن يكون
 قريباً) قال المفسرون عسى من الله واجب ومعناه أنه قريب اذ كل آت قريب وأمال متى
 وعسى جزء والكسائي امالة محضه وورش بالفتح وبين اللغتين والباقون بالفتح وقوله تعالى
 (يوم يدعونكم) بدل من قريب والمعنى عسى أن يكون البعث يوم يدعونكم أي بالبداءة الذي
 يسعونكم وهو النفخة الاخيرة كما قال تعالى يوم ينادى المنادى من مكان قريب روى أن اسرافيل
 ينادى أي بالاجسام البالية والعظام النخرة والاجزاء المنفردة عودى كما كتفى (فتستحيون)
 أي تحجبون والاستحابة موافقة الداعي فيما دعا اليه وهي الاجابة الا أن الاستحابة تقتضى
 طلب الموافقة فهي آكد من الاجابة واختلف في معنى قوله تعالى (بجوده) فقال ابن
 عباس بأمره وقال سعيد بن جبير يخرجون من قبورهم وينفضون التراب عن رؤسهم
 ويقولون سبحانك اللهم وبمحمدك فيحمدونه حين لا ينفعهم الحد وقال قتادة بعرفته وطاعته
 وقال أهل المعاني تستحيون بجمده أي تستحيون حامدين كما تقول جاء بغضه أي جاء
 غضبان وركب الامير بسيفه أي وسيفه معه وقال الزنجشمرى بجمده حال منهم أي حامدين
 وهي مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك لمن تأمره بركوب ما يشق عليه فأبى ويتعصب ستر كبه
 وأنت حامد ساكر يعنى أنك تحمل عليه وتفسر عليه قسرا حتى أنك تلين لين المستحي الرغب
 فيه الحامد عليه (وتظنون ان) أي ما (لبنتم الا قليلاً) أي مع استحبابكم وطول لبسكم
 وشدة ماترون من الهول فعندها تستصرون مدة لبسكم في الدنيا وتحسبون يوماً أو بعض يوم
 وعن قتادة تحققت الدنيا في أنفسهم حين عاينوا الآخرة وقال الحسن معناه تقرب وقت
 البعث فكانت الدنيا ولم تكن وبالآخرة ولم تزل فهذا يرجع الى استقلال مدة اللبث في الدنيا
 وقيل المراد استقلال مدة لبسهم في برزخ القيامة لانه لما كان عاقبة أمرهم الدخول في النار
 استقصروا لبسهم في برزخ القيامة وقرأ نافع وابن كثير وعاصم باظهار الناء المثلثة عند التاء
 المثناة والباقون بالادغام ولما ذكر تعالى الحجة اليقينية في صحة المعاد وهو قوله تعالى قل الذي
 فطركم أول مرة قال تعالى (وقل) يا محمد (لعبادى) أي المؤمنين لان لفظ العبادى أكثر

آيات القرآن مختصر بالمؤمنين قال تعالى فنبش عبادي الذين يستمعون القول وقال تعالى
 فادخلني في عبادي وقال تعالى عينا يشرب بها عباد الله (يقولوا) للكفار الذين كانوا يؤذونهم
 الكلمة (التي هي أحسن) ولا يكافؤهم على سفههم بل يقولون مهديكم الله وكان هذا قبل
 الاذن بالقتال وقيل نزلت في عمر بن الخطاب شتمه بعض الكفار فأمره الله تعالى بالعضو وقيل
 أمر المؤمنين بأن يقولوا ويفعلوا الخلة التي هي أحسن وقيل الاحسن قول لا اله الا الله ثم علل
 بقوله تعالى (ان الشيطان) أي البعيد عن الرحمة المحترق بالعنة (ينزغ بينهم) أي يفسد
 ويفرى بعضهم على بعض ويوسوس لهم لتقع بينهم المشارة والمشاقة وأصل النزغ الطعن وهم غير
 معصومين فيوشك أن يأثروا بما لا يناسب الحال ثم علل تعالى هذه العلة بقوله تعالى (ان
 الشيطان كان) أي في قديم الزمان وأصل الطبع كونهوا يحبون عليه (للإنسان عدواً)
 أي بليغ العداوة (مبيناً) أي بين العداوة ثم فسر تعالى التي هي أحسن مما علمهم
 وبهم من النصفة بقوله تعالى (ربكم أعلم بكم) فعلم أن قوله تعالى ان الشيطان الى آخره جملة
 اعتراضية بين المفسر والمفسر وسكن أبو عمر والميم واخفاها عند الباء بخلاف عنه وكذا أعلم
 بمن ثم استأنف تعالى (ان يشأ) أي رجسكم (ربكم) أي مهديكم (أو ان يشأ) تعذيبكم
 (يعذبكم) أي باضلائكم فلا تحقروا أيها المؤمنون المشركين فقطعوا بأناهم
 من أهل النار فغير وهم بذلك فانه يجزى الى غيظ القلوب فلا فائدة لان الخاتمة مجهولة ولا
 تجاوزوا في فهم ما أمركم الله به من قول وفعل * ثم رقى الله الخطاب الى أعلى الخلق ورأس أهل
 الشرع ليكون من دونه أولى بالمعنى منه فقال تعالى (وما أرسلناك) أي مع ما لنا من العظمة
 الغنية عن كل شيء (عليهم وكيلاً) أي حفظوا وكفيلنا تقسره هم على ما رضى الله وانما أرسلناك
 على حسب ما أمرنا به بشيراً ونذيراً فداؤهم ومرأى محابك عداواتهم وقدمت أن هذا قبل
 الاذن بالقتال * ولما أمرهم بأن ينسبوا الاعلجة بهم اليه تعالى أخبر بما هو أعم من ذلك فأمرا
 الخطاب على أعلم خلقه بقوله تعالى (وربك) أي المحسن اليك بأن جعلك أكمل الخلق (أعلم عن
 في السموات والارض) فعلمه غير متصور عليكم بل متعلق بجميع الموجودات والمدومات
 ومتعلق بجميع ذات الارض والسموات فيعلم تعالى حال كل أحد ويعلم ما يليق به من المفاسد
 والمصالح ويعلم اختلاف صورهم وأديانهم وأخلاقهم وأحوالهم وجميع ما هم عليه سبحانه
 وتعالى لا يتخفى عليه خافية فيفضل بعض الناس على بعض على حسب احاطة علمه وشمول قدرته
 وبعض النبيين على بعض كما قال تعالى (واقدر فضلنا) بما لنا من العظمة (بعض النبيين) سواء
 كانوا رسلاً أم لا (على بعض) بعد أن جعلنا الكل فضلاً لتقوى كل منهم واحسانه فخصنا كلا
 منهم بفضيلة كوسى بالكلام وابراهيم بالخلة ومحمد صلى الله عليه وسلم بالاسراء فلا ينكر أحد
 من العرب أو بني اسرائيل أو غيرهم تفضيلنا لهذا النبي الكريم الذي صدرنا السورة بتفضيله
 على جميع الخلائق فاذا فعل ما نشاء بما لنا من القدرة التامة والعلم الشامل وقرأ نافع بالهمزة
 والباقون بالياء وورش على أصله بعد على الهمزة ويوسط ويقصر (وآيتنا) موسى التوراة

و (داود زبوراً) وعيسى الانجيل فلم يعد أيضاً أن نوفي محمد صلى الله عليه وسلم القرآن ولم
يعد أن نفضله على جميع الخلق (فان قيل) ما السبب في تخصيص داود عليه السلام بالذكر هنا
(أجيب) بأوجه الاقول انه تعالى ذكره فضل بعض النبيين على بعض ثم قال وآتينا داود
زبوراً يعني أن داود أوفى ملكاً عظيماً ثم انه تعالى لم يذكر ما آتاه من الملك وذكر ما آتاه من
الكتاب تنبيهاً على أن الفضل الذي ذكره قبل ذلك المراد منه التفضيل بالعلم والدين لا بالمال
الثاني انه تعالى كتب في الزبور أن محمد اخاتم الانبياء وأن أمة محمد خير الامم قال تعالى ولقد
كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون وهم محمد صلى الله عليه وسلم
وأمتهم (فان قيل) هلا عرفه كقوله ولقد كتبنا في الزبور (أجيب) بأن التنكير هنا يدل على تعظيم
حاله لان الزبور عبارة عن المزبور فكان معناه الكتاب وكان معنى التنكير أنه كامل في كونه
كتاباً ويجوز أن يكون زبوراً علمياً فاذا دخلت عليه أل كقوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور كانت
للحج الاصل كعباس والعباس وفضل والفضل الثالث ان كفار قريش ما كانوا أهل نظر
وجدل بل كانوا يرجعون الى اليهود في استخراج الشبهات واليهود كانوا يقولون انه لانبي بعد
موسى ولا كتاب بعد التوراة فنقض الله عليهم كلامهم بانزال الزبور على داود وروى البخارى
في التفسير عن ابي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال خفف على داود القرآن فكان يأمر
بدوابه لتسرح فكان يقرأ قبل أن يفرغ أى القرآن قال البقاعى ومن أعظم المناسبات
لتخصيص داود عليه السلام وزبوره بالذكر هنا ذكر البعث الذى هذا مقامه فيه صريحاً
وكذا ذكر النار مع خلوة التوراة عن ذلك أما البعث فلا ذكره فيها أصلاً وأما النار فبذكر شئ
مما يدل عليها الا انجيل في موضع واحد وأما الزبور فذكر فيه النار والهواة والنجيم في غير
موضع انتهى وقرأ آية بضم الزاى والباقون بالفتح واختلف في سبب نزول قوله تعالى (قل
ادعوا الذين زعمتم) أنهم آلهة (من دونه) أى من سواه كالملائكة وعزير والمسج وقرأ أذاع
وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم والكسائى بضم اللام من قل وكسر هاء عاصم وجزء كل
هذا في حال الوصل وأما الابتداء فالجميع استدوا بهمزة مضمومة (فلا يمكن كشف الضرر)
أى البؤس الذى من شأنه أن يعرض الجسم كله (عنكم) حتى لا يدعوا شيا منهن (ولا تحويلاً)
له الى غيركم فقال ابن عباس انه انزلت في الذين عبدوا المسج وعزيراً والملائكة والشمس
والقمر والنجوم وقيل ان قوماً عبدوا نفر من الجن فأسلم نفر من الجن وبقي أولئك القوم
متمسكين بعبادتهم فزلت فيهم هذه الآية وقيل ان المشركين أصابهم قحط شديد حتى أكلوا
الكلاب والجيف فاستغاثوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليدعولهم فزل قل للمشركين ادعوا الذين
زعمتم أنهم آلهة من دونه وليس المراد الاصنام لانه تعالى قال في وصفهم (أولئك الذين يدعون)
أى يدعونهم الكفار ويتألهونهم (يتبعون) أى يطلبون طلباً عظيماً (الى ربهم) أى المحسن
المهم (الوسيلة) أى المنزلة والدرجة والقربة لعمالهم الصالحة وابتغاء الوسيلة الى الله
تعالى لا يلبق بالاصنام البتة وقرأ أبو عمرو في الوصل بكسر الهاء والميم وجزء والكسائى بضم

الهاء والميم والباقون بكسر الهمزة وضم الميم * (تبيهه) * أولئك مبتدأ وخبره ينتفون ويكون
 الموصول نعتاً وبياناً أو بدلاً والمراد باسم الإشارة الانبياء والملائكة الذين عبدوا من دون
 الله والمراد بالواو العباد لهم ويكون العائد على الذين محذوفاً والمعنى وأولئك الانبياء الذين
 يدعونهم المشركون لكشف ضررهم ينتفون الى ربهم الوسيلة (أيهم أقرب) أي يتسابقون
 بالأعمال مسابقة من يطلب كل منهم أن يكون اليه أقرب وولديه أفضل (ويرجون رحمته)
 رغبة فيما عنده (ويخافون عذابه) فهم كغيرهم موصوفون بالعجز والحاجة فكيف
 يدعونهم آلهة وقيل معناه ان الكفار ينظرون أيهم أقرب الى الله تعالى فيتوسلون به ثم
 على خوفهم بأمر عام بقوله تعالى (ان عذاب ربك) أي المحسن اليك برفع انتقام الاستئصال
 منه عن أمتك (كان) أي كونه لازماً (محذوفاً) جذر ابان محذوف لكل أحد من ملك مقرب ونبي
 مرسل فضلاً عن غيرهم لما شوهد من اهلا كه للقرون الماضية * ولما قال تعالى ان عذاب
 ربك كان محذورياً بين بقوله تعالى (وان) أي وما (من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة
 أو معدنوها عذاباً شديداً) أن كل قرية أي أهلها لا بد وان يرجع حالهم الى أحد
 أمرين إما الاهلاك بالموت والاستئصال وإما العذاب بالقتل وأنواع البلاء وقال مقاتل
 أما الصالحة فبالموت وأما الطالحة فبالعذاب وقال عبد الله بن مسعود اذا ظهر الزنا والربا
 في قرية أذن الله تعالى في هلاكها (كان ذلك) أي الامر العظيم (في الكتاب) أي اللوح
 المحفوظ (مسطوراً) أي مكتوباً قال عبادة بن الصامت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول ان أول ما خلق الله القلم فقال اكتب فقال وما اكتب قال القدر ما كان وما هو كائن
 الى ابد الابد أخرجه الترمذي * ولما كان كفار قريش قد تكبروا اقتراحهم للايات وكان
 صلى الله عليه وسلم لشدة حرصه على ايمان كل أحد يحب أن الله تعالى يجيبهم الى مقترحهم
 طمعاً في ايمانهم فأجاب الله تعالى بقوله (وما منعنا) أي على ما لنا من العظمة التي لا يعجزها شيء
 ولا يمنعها مانع (أن نرسل بالآيات) أي التي اقترحوها كما حكى الله تعالى عنهم ذلك في قولهم
 فأتنا بآية كما أرسل الاولون وقال آخرون ان نؤمن لك حتى نجعلنا من الارض ينبوعاً الايات
 وقال سعيد بن جبيرانهم قالوا انك تزعم انه كان قبلك انبياء منهم من سفرت له الرياح ومنهم من
 أحيا الموتى فأتنا بشئ من هذه المعجزات فكان كأنه لا آيات عندهم سوى ذلك (الآ) علمنا في عالم
 الشهادة بما وقع من (أن كذب بها) أي المقترحات (الاولون) وعلمنا في عالم القيب ان هؤلاء
 مثل الاولين ان الشئ منهم لا يؤمن بالمقترحات كما لم يؤمن بغيرها وانه يقول فيها ما قال في غيرها
 من انها سحر وضغوة ذلك والسعيد لا يحتاج في ايمانه اليها فكم أجبن أمة الى مقترحها فما زاد
 ذلك أهل الضلالة منهم الا كفراً فأخذناهم لأن سنتنا جرت ان لا نعمل بعد الاجابة الى المقترحات
 من كذب بها قال ابن عباس سألت أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهباً
 وان ينقى الجبال عنهم ليزرعوا تلك الاراضي فطلب صلى الله عليه وسلم ذلك من الله تعالى
 فأوحى الله تعالى اليه ان شئت فعلت ذلك لكن بشرط ان لم يؤمنوا أهلكتهم فقال صلى الله

عليه وسلم لا يريد ذلك ففضل الله تعالى برحمته هذه الامتة وتشر فيها على الامم السالفة بعدم
استصالتها لما يخرج من أصلاب كفرتها من خلص عباده فهذا السبب ما أجابهم الله تعالى
الى مطالبهم فقال جل ذكره بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ثم ذكر تعالى من تلك
الآيات التي اقترحها الأولون ثم كذبوا بها لما رسل اليهم فأهلكوا ما ذكره تعالى بقوله تعالى
(وَأَنبِئَا عُمُودَ النَّاقَةِ) حالة كونها (مبصرة) أى مضيئة بنمة جذرية بأن يستبصر بها من كل
شاهد ما فيستدل بها على صدق قول ذلك النبي (فظلوا بها) أى ظلوا أنفسهم بتكذيبها وقال
ابن قتيبة مجدوا بأنهم من الله تعالى فأهلكواهم فكيف يتناهها هؤلاء على سبيل الاقتراح
والتصكم على الله تعالى وخص تعالى هذه الآية بالذكر لأن آثارها لكهم في بلاد العرب قريبة
من حدودهم يصورها مدرهم وواردهم ثم قال تعالى (وما ترسل بالآيات) أى المقترحات وغيرها
(الأنحويقا) للمرسل اليهم بها فان خافوا نجوا والاهلكوا بعدذاب الاستئصال من كذب
بالآيات المقترحات وبعدذاب الآخرة من كذب بغيرها كالمعجزات وآيات القرآن فأمر من بعث
اليهم مؤخر الى يوم القيامة (فان قيل) المقصود الاعظم من اظهار الآيات أن يستدل بها
على صدق المدعى فكيف حصل المقصود من اظهارها في التعويف (أجيب) بأنه لما كان
هو الحامل والغالب على التصديق فكانه هو المقصود ولما طلب القوم من النبي صلى الله عليه
وسلم تلك الآيات المقترحات وأجاب الله تعالى بأن اظهارها ليس بعصمة صاد ذلك سببا لمراة
أو تلك الكفار بالظعن فيه وأن يقولوا له لو كنت رسولا حقما من عند الله لآيت بهذه المعجزات
التي اقترحناها كما أتى به موسى وغيره من الانبياء فعند هذا قوى الله تعالى قلبه وبين له أنه بنصره
ويؤيده فقال تعالى (و) اذكر يا أشرف الخلق (اذقلناك ان ربك) أى المتفضل بالاحسان اليك
بالرفق لا تمتك (أحاط بالناس) علما وقدرة فهم في قبضته وقدرته لا يقدرون على الخروج من
مشيئته فلا يقدرون على أمر من الامور الا بقضائه وقدره وهو حافظك وما نعت منهم فلا تمتم
باقتراحهم وامض فيما أمرك به من تبليغ الرسالة فهو نصرتك ويقوتك على ذلك كما وعدك بقوله
تعالى والله يعصمك من الناس وقيل ان المراد بالناس أهل مكة بمعنى أنه يغلبهم ويقهرهم وروى
أنه لما تراخى القريشان يوم بدر ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش مع أبي بكر رضى
الله عنه كان يدعو ويقول اللهم انى أسألك عهدك ووعدك ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس
ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر وكان صلى الله عليه وسلم يقول حين وودبدا والله كأتى
أنظر الى مصارع القوم وهو يرمى الى الارض ويقول هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان
فسمعت قريش عا وحي الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم عطف تعالى على وما ترسل بالآيات
قوله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التي أرى نباله) أى التي شاهدتها ليلة الاسراء (الآية) أى امتحانا
واختبارا (للناس) لانه صلى الله عليه وسلم لما ذكر لهم قصة الاسراء كذبوه وكفروه كثير من
كان قد آمن به وازداد المخلفون ايمانا فلهذا السبب كانت احصائنا وروى البخارى في التفسير
عن ابن عباس انه قال هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به وتقتم

أنه قول الاكثر منهم سعيد بن جبير والحسن وسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريج
 وما قاله بعضهم من ان الرؤيا تدل على أنها رؤيا منام ضعيف اذ لا فرق بين الرؤية والرؤيا في اللغة
 يقال رأيت به بعيني رؤية ورؤيا * (قائدة) * قال بعض العلماء كانت اسرا آتته صلى الله عليه وسلم
 اربعا وثلاثين مرة واحدة بحجده والباقي بروحه رؤيا رآها قال ومما يدل على أن الاسراء ليلة
 فرض الصلاة كانت بالجسم ما ورد في بعض طرق الحديث انه صلى الله عليه وسلم استوحش
 لما زج به في النور ولم يرعه أحدا اذ الارواح لا توصف بالوحشة ولا بالاستحياء قال ومما
 يدل على أن الاسراء كان بجسمه ما وقع له من العطش فان الارواح المجردة لا تعطش ولما كان
 صلى الله عليه وسلم قد وصل الجحيم وأخبر صلى الله عليه وسلم ان شجرة الرقوم ثبتت في أصل
 الجحيم وكان ذلك في غاية الغرابة ضمهها الى الاسراء في ذلك بقوله تعالى (والشجرة الملعونة في
 القرآن) لان فيها احتمانا بضايل حال بعض المفسرين هي على التقديم والتأخير والتقدير وما
 جعلنا الرؤيا التي أرى لك والشجرة الملعونة في القرآن الاقنسة للناس واختلاف في هذه الشجرة
 فالأكثر قالوا انها شجرة الرقوم المذكورة في قوله تعالى ان شجرة الرقوم طعام الاثيم
 فكانت القنسة في ذكر هذه الشجرة من وجهين الاول أن أيا جهل قال زعم صاحبكم ان نار
 جهنم تحرق الحجارة حيث قال وقودها الناس والحجارة ثم يقول في النار شجرة والنار تأكل
 الشجر فكيف يولد فيها الشجر والثاني قال ابن الزبيرى ما نعلم الرقوم الا الترو والزبد فترقومانه
 فأنزله الله تعالى حين عجبوا أن يكون في النار شجرانا جعلنا قنسة للظالمين الآيات وما قدروا
 الله حق قدره من قال ذلك فان الله تعالى قادر على أن يجعل الشجرة من جنس لانا كانه
 النار فهذا وبر السمندل وهو دوية يبلاد الترك يتخذ منه مناديل اذا اتخدت طرحت في النار
 فيذهب الوسخ وبقيت سالمة لاتعمل فيها النار وترى النعامه تلبع الجرو وتلبع الحديد الحجر باجمه
 النار فلا يضرها ثم أقرب من ذلك انه تعالى جعل في الشجر نارانا فتحرقه قال تعالى الذي جعل لكم
 من الشجر الاخضر نارا (فان قيل) ليس في القرآن لعن هذه الشجرة (أجيب) عن ذلك بوجوه
 الاول المراد عن الكفار الذين ياكلونها لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وانما
 وصفت بلعن أصحابها على الجواز الثاني ان العرب تقول لكل طعام ضار انه ملعون الثالث ان
 اللعن في اللغة الاعداد ولما كانت هذه الشجرة مبعدة عن صفات الخير سميت ملعونة وقيل ان
 الشجرة الملعونة في القرآن هي اليهود لقوله تعالى لعن الذين كفروا الآية وقيل هي الشيطان
 وقيل أبو جهل وعن ابن عباس هي الكسوث التي تتلوى بالشجر تجعل في الشراب * ولما ذكر
 سبحانه ونعالى أنه يرسل بالآيات تخويفا قال هنا أيضا (وتخوفهم فما يردنهم) أى الكافرين
 والتخويف بالقرآن (الاطغيانا كبيرا) أى تجاوز الحد وفي غاية العظم فبتقدير أن يظهر الله
 تعالى لهم المعجزات التي اقترحواها لم يزدادوا بها الاتمادا في الجهل والعدا فاقضت الحكمة أن
 لا يظهر الله لهم ما اقترحوه من الآيات والمعجزات فانهم قد دخروا بعداب الدنيا وهو القتل يوم
 يدو وخوفوا بعداب الآخرة وشجرة الرقوم فما أترفيهم فكيف يخاف قوم هذمه سالمهم بارسانا

ما يقتضون من الآيات * ولما نازع القوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاندوه واقتروا
 عليه الاقتراحات الباطلة لآمرين الكبر والحسد أما الكبر فلأن تكبرهم كان يمنعهم من
 الانقياد وأما الحسد فلأنهم كانوا يحسدونه على ما آناه الله من النبوة فينبى تعالى أن هذا الكبر
 والحسد هما اللذان جلا إبليس على الخروج عن الإيمان والدخول في الكفر بقوله تعالى (وَأَذِ
 أَى وَاذِ كَرَأَذِ قَلْنَا) بِمَالِنَا مِنَ الْعِظْمَةِ الَّتِي لَا يَنْقُضُ مَرَادَهَا (لِلْمَلَائِكَةِ) حِينَ خَلَقْنَا أَبَا آدَمَ
 وَفَضَلْنَاهُ (أَسْجِدُوا لِآدَمَ) أَى امْتِثَالَا لِأَمْرِى (فَسَجِدُوا لِأَبْلِيسَ) أَى أَى أَنْ يَسْجُدَ لِكُونِهِ
 مِنْ حَقِّ عَلَيْهِ الْكِبْرِيَّةَ وَلَمْ يَتَّعَهُ مَا يَعْلَمُهُ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ وَعِظْمَتِهِ وَذَلِكَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى (قَالَ) أَى
 مُسْكِرًا مُتَكَبِّرًا (أَسْجِدُوا) أَى خُضُوعًا (بِمَنْ خَلَقْتَ) حَالُ كَوْنِ أَصْلِهِ (طِينًا) فَكُفِّرْ بِنِسْبَتِهِ لِنَا
 إِلَى الْجُورِ تَخْيِيلًا أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ حَيْثُ أَنَّ الْقُرُوعَ تَرْجِعُ إِلَى الْأَصُولِ
 وَأَنَّ النَّارَ الَّتِي هِيَ أَصْلُهُ أَكْرَمُ مِنَ الطِّينِ الَّتِي هِيَ أَصْلُ آدَمَ وَذَهَبَ عَنْهُ أَنَّ الطِّينَ أَنْفَعُ مِنَ النَّارِ
 وَعَلَى تَقْدِيرِ التَّنْزِيلِ فَالْجُورُ كَمَا هُمْ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَوْجَدَهُمَا مِنَ الْعَدَمِ بِفَضْلِ
 بَعْضُهُمَا عَلَى بَعْضٍ بِمَا يَحْدُثُ فِيهَا مِنَ الْأَعْرَاضِ وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْقِصَّةَ فِي سَبْعِ سُورٍ وَهِيَ
 الْبَقْرَةُ وَالْأَعْرَافُ وَالْحَجْرُ وَهَذِهِ السُّورَةُ وَالْكَهْفُ وَطَهُ وَص وَالْكَوَامِلُ الْمُسْتَقْتَصَى فِيهَا
 قَدْ تَقَدَّمَ فِي الْبَقْرَةِ وَلَعَلَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ أَعْمَا كَرُرَتْ تَسْلِيمَةً لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَانَّهُ كَانَ فِي مَحْنَةٍ
 عَظِيمَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَأَهْلِ زَمَانِهِ فَكَانَهُ تَعَالَى يَقُولُ أَلَا تَرَى أَنَّ أَوَّلَ الْأَنْبِيَاءِ هُوَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ
 أَنَّهُ كَانَ فِي مَحْنَةٍ شَدِيدَةٍ مِنْ إِبْلِيسَ وَأَنَّ الْكِبْرَ وَالْحَسَدَ كُلَّ مَنَّهُمَا بِلِيَّةٍ عَظِيمَةٍ وَمَحْنَةٍ عَظِيمَةٍ لِلخَلْقِ وَقُرَأَ
 نَافِعُ وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَبَعْضُ حَقِيقِ الْأَوَّلَى وَتَسْهِيلِ الثَّانِيَةِ وَأَدْخَلَ قَالُونَ وَأَبُو عَمْرٍو بَيْنَهُمَا أَلْفَاوِلَ
 يَدْخُلُ وَرَشَ وَابْنُ كَثِيرٍ بَيْنَهُمَا أَلْفَاوِلَ وَرَشَ أَيْضًا بَدَلِ الثَّانِيَةِ أَلْفَاوِلَ وَأَدْخَلَ حِزْمَةَ سَهْلِ الثَّانِيَةِ
 كَقِرَاءَةِ ابْنِ كَثِيرٍ وَقُرَأَ أَهْشَامُ بِالْحَقِيقِ فِي الثَّانِيَةِ وَالتَّسْهِيلِ وَأَدْخَلَ أَفَ بَيْنَهُمَا وَقُرَأَ الْبَاقُونَ
 بِتَحْقِيقِهِمَا بِلَا إِدْخَالٍ * وَلَمَّا أَخْبَرَ تَعَالَى بِتَكْبَرِهِ كَانَ قَائِمًا قَبْلَ أَنْ هَذِهِ الْوَقَاحَةُ عَظِيمَةٌ وَاجْتِرَاءٌ عَلَى
 الْجَنَابِ الْأَعْلَى فَهَلْ كَانَ مِنْهُ غَيْرُ ذَلِكَ قِيلَ (قَالَ أَرَأَيْتَ) أَى أَخْبَرَنِي وَقُرَأَ نَافِعٌ بِتَسْهِيلِ الْهَمْزَةِ
 بَعْدَ الرَّاءِ وَلَوْ رَشَ وَجِهَانٌ وَهُوَ أَنْ يَدْلُهَا أَلْفَاوِلَ وَأَسْقَطَهَا الْكَسَائِي وَالْبَاقُونَ بِالْحَقِيقِ (هَذَا
 الَّذِي كَرَّمْتَهُ عَلَى) لَمْ كَرَّمْتَهُ عَلَى مَعَ ضَعْفِهِ وَقَوِي فَكَانَتْ قَبْلَ الْقُدْأَى بِالْغَايَةِ فِي إِسَاءَةِ الْأَدَبِ
 فَمَا كَانَ بَعْدَ هَذَا قَبْلَ قَالِ مَقْسَمًا لِأَجْلِ اسْتِبْعَادِ أَنْ يَجْتَرَى أَحَدُ هَذِهِ الْجَرَءَةِ عَلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى
 (لَنْ أُخْرَجَ) أَى أَيُّهَا الْمَلِكُ الْأَعْلَى تَأْخِيرًا مَمْدُودًا (إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) حِيَامَتُكَ وَجَوَابِ الْقِسْمِ
 الْمَوْطَلِ بِاللَّامِ (لَا تُحْسِنُ كُنْ) أَى بِالْأَغْوَا (ذَرِيَّتِهِ) أَى لِأَسْتَوِيلِينَ عَلَيْهِمْ اسْتِيلًا مِنْ جَعَلٍ فِي حَنْكِ
 الدَّابَةِ الْأَسْفَلَ حَبْلًا يَتَقَوَّدُهَا بِهِ فَلَا تَأْبَى عَلَيْهِ وَقُرَأَ نَافِعٌ وَأَبُو عَمْرٍو بِزِيَادَةِ يَاءٍ بَعْدَ النَّونِ فِي آخِرَتِي
 عِنْدَ الْوَصْلِ وَحَذْفِهَا فِي الْوَقْفِ وَأَيْفَتُهُ ابْنُ كَثِيرٍ وَصَلَاوِقُ وَفَقَاوِحُ فَهَذَا الْبَاقُونَ وَقَفَاوِصًا
 اتَّعَا لِرَسْمِ * وَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْجَمِيعِ قَالَ (الْأَقْلِيَالُ) وَهُمْ أَوْلِيَاؤُكَ الَّذِينَ حَفِظْتَهُمْ مَعِي كَمَا
 قَالَ تَعَالَى إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ (فَإِنْ قِيلَ) كَيْفَ تَلْقَى إِبْلِيسَ هَذَا الظَّنَّ الصَّادِقَ بِذَرِيَّةِ
 آدَمَ (أَجِيبْ) بِأَوْجِهِ الْأَوَّلِ أَنَّهُ سَمِعَ الْمَلَائِكَةَ يَقُولُونَ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنَ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ

فعرف هذه الاحوال الثاني انه وسوس الى آدم ولم يجده عزما فقال الظاهر ان اولاده يكونون
 مثله في ضعف العزم الثالث انه عرف انه مركب من قوة بهيمية شهوية وقوة وهيمية شبيهة بطانية
 وقوة عقلية ملكية وقوة سبعية شخصية وعرف ان بعض تلك القوى تكون هي المسئولة في بعض
 اول الخلق ثم ان القوة العقلية انما تكمل في آخر الامر ومن كان كذلك كان ماذكرا ابايس لازما
 له ثم كانه قيل لقد اطال عدو الله الاجترافا قال له ربه بعد ذلك فقيل (قال) بمذاه (اذهب) اى
 امض لما قصدته وهو طرد وتخليه بينه وبين ما سوات له نفسه وتقدم في الحجر انه انما يؤخر الى يوم
 الوقت المعالوم وهو يوم ينفخ في الصور لا انه يؤخر الى يوم القيامة كما طلب وقرأ أبو عمرو وخلاص
 والكسائي بادغام الباء الموحدة في الفاء وأظهرها الباقون * ولما حكم تعالى بشقاوته وسقاوة
 من اراد طاعته له تسبب عنه قوله تعالى (فمن تبعك منهم) اى اولاد آدم عليه السلام (فان
 جهنم) اى الطبقة النارية التي تجهم داخلها (جزاؤكم) اى جزاؤك وجزاء اتباعك تجزون
 ذلك (جزاء موفورا) اى مكمل وافيا بما تستحقون على اعمالكم الخبيثة * ولما طالب ابليس
 اللعين من الله تعالى الامهال الى يوم القيامة لاجل ان يحثك ذرية آدم ذكر الله تعالى له اشياء
 الاوّل اذهب اى امض كما مر فاني امهلتك هذه المدة وليس من الذهاب الذي هو ضد المجيء
 الثاني قوله تعالى (واستغزرت) اى استخفت (من استطعت منهم) ان تستغزروهم الذين سلطانك
 عليهم (بصوتك) قال ابن عباس معناه دعائك الى معصية الله وكل داع الى معصية الله تعالى فهو
 من جنس ابليس وقيل اراد بصوتك الغناء والهلو واللعب الثالث قوله تعالى (واجلب) اى
 صحح (عليهم) من الجلبة وهى الصباح (بجنيك ورجلك) واختلقوا في الخليل والرجل على اقول
 الاوّل روى ابو الضمى عن ابن عباس انه قال كل راكب او راجل في معصية الله تعالى وعلى
 هذا تخيله ورجله كل من شاركه في الدعاء الى المعصية الثاني يحتمل ان يكون لابليس جيش من
 الشياطين بعضهم راكب وبعضهم راجل الثالث ان المراد منه ضرب المثل كما يقال للرجل
 الجهدى الامر جد بالخيل والرجل قال الرازى وهذا اقرب وقال الزمخشري هو كلام ورد
 موردا التمثيل مثل في تسلطه على من يغويه بغوار وقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفهم
 من اما كنهم ويطلقهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجنده من خياله ورجاله حتى استأصلهم
 والخيل تقع على الفرسان قال صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي وقد تقع على الافراس خاصة
 وقرأ حفص عن عاصم بكسر الجيم وسكنها الباقون جمع راجل كصاحب ومحب وراكب
 وركب ورجل بالكسر والضم لغتان مثل حدث وحدث وهو مفرد اريد به الجمع الرابع قوله
 تعالى (وشاركهم في الاموال والاولاد) اى المشاركة في الاموال فقال مجاهد هو كل ما اصيب
 من حرام او اتفق في حرام وقال قتادة هو جعلهم الخيرة والسابقة والوصيلة والحام وقال
 الضحالك هو ما يدبحونه لآلهتهم وقال عكرمة هو شيتكهم اذان الانعام وقيل هو جعلهم من
 اموالهم شيئا لغير الله كقولهم هذا لله وهذا للشر كما بنا ولا منافاة بين جميع هذه الاقوال
 واما المشاركة في الاولاد فقال عطاء عن ابن عباس هو تسمية الاولاد بعد شمس وعبد العزى

وعبد الحرث وعبد الدار وقعوها وقال الحسن هو أنهم هودوا وأولادهم ونصروهم ومحسوم
 وروى عن جعفر بن محمد أن الشيطان يعتقد ذكره على ذكر الرجل فاذا لم يقل بسم الله أصاب معه
 امرأته وأنزل في فرجها كما ينزل الرجل ويقال في جميع هذه الأقوال أيضا ما تقدم وروى
 أن رجلا قال لابن عباس ان امرأتي استنققت وفي فرجها شعله نار قال ذلك من وطء الجن
 وفي الآيات ان ابليس لما خرج الى الارض قال يا رب أخرجنى من الجنة لاجل آدم فسلطني
 عليه وعلى ذريته قال أنت مسلط قال لأستطعه الايك فزدني قال استقر زمن استطعت منهم
 بصوتك قال آدم يا رب سلطت ابليس علي وعلى ذريتي واني لأستطعه الايك قال لا يولد لك
 ولد الا وكت به من يحفظونه قال زدني قال الحسن بعشر أمثالها والسبعة بمنزلها قال زدني قال
 التوبة مفروضة مادام الروح في الجسد فقال زدني فقال يعبادي الذين أسرفوا الآية وفي
 الخبر ان ابليس قال يا رب بعثت أنبياء وأنزلت كتابا قرأتني قال الشعر قال فما كافي قال الوشم
 قال ومن رسولني قال الكهنة قال فاطعماي قال ما يبذرك عليه اسمي قال فاشرابي قال كل
 مسكر قال وأين مسكني قال الحمامات قال وأين مجلسي قال الاسواق قال وما حباتي
 قال النساء قال وما أذاني قال المزار الخالص قوله تعالى (وعدهم) أي من المواعيد الباطلة
 ما يبصغونهم ويفترهم من ذلك وعدهم بأن لاجنة ولا نار ومن ذلك شفاعة الآلهة والكرامة على
 الله تعالى بالانساب الشريفة وتسوية التوبة واينار العاجل على الآجل ونحو ذلك وقوله
 تعالى (وما بعدهم الشيطان) من باب الالتفات واقامة الظاهر مقام الضمير ولو جرى على سنن
 الكلام الأول لقال وما تعدهم بالثامن فوق وقوله تعالى (الغرور) فيه أوجه أحدها
 أنه نعت مصدر محذوف وهو نفسه مصدر والاصل الاوعدا غرورا الثاني أنه مفعول من أجله
 أي ما بعدهم من الاماني الكاذبة الا لاجل الغرور الثالث أنه مفعول به على الاتساع أي
 ما بعدهم الا الغرور ونفسه والغرور تزين الباطل بما يظن أنه حق (فان قيل) كيف ذكر الله
 تعالى هذه الاشياء لابليس وهو يقول ان الله لا يأمر بالفحشاء (أجيب) بان هذا على طريق
 التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم وكقول القائل اعمل ما شئت فسوف ترى وكما يقال اجهد
 جهداك فسوف ترى ما ينزل بك * ولما قال الله تعالى له اعمل ما تقدر عليه قال تعالى (ان
 عبادي) أي الذين أهلتهم للاضافة الى تقاموا بحق عمودتي بالتهقوى والاحسان (ليس لك عليهم
 سلطان) أي فلان قد رأيت نعيمهم وتحملهم على ذنب لا يفتقراني وفقتهم للتوكل على تكفيهم
 أمرتك (وكفى بربك) أي الموجدك (وكيلا) أي حافظا لهم منك * ولما ذكر تعالى انه الوكيل
 الذي لا كافي غيره أتبعه بعض أفعاله الدالة على ذلك بقوله تعالى (ربكم) أي المتصرف فيكم هو
 (الذي يرزق) أي يجري (لكم الفلك) ومنها التي حملكم فيها مع أيكم فوح عليه الصلاة والسلام
 (في البحر لتنفوا) أي لتطلبوا (من فضله) الربح وأنواع الامتعة التي لا تكون عندهم ثم انه
 تعالى علل ذلك بقوله عز وجل (انه) أي فعل سبحانه وتعالى ذلك لانه (كان) أي أولا وأبدا (ربكم
 وحيا) حيث هيا لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما يسر من أسبابه * (تبييه) * انطلب

في قوله ربكم وفي قوله تعالى انه كان بكم عام في حق الكل والمراد من الرحمة منافع الدنيا ومصالحها
وأما قوله تعالى (وإذا مسكم الضربة) أي الشدة (في البحر) خطاب للكفار بدليل قوله تعالى
(ضل) أي غاب عن ذكركم وخواطركم (من تدعون) أي تعبدون من الآلهة (الآيات) وحده
فأخلصتم له الدعاء علمنا منكم أنه لا ينجيكم سواه (فلما نجاكم) من الغرق وأوصلكم بالتدريج
(إلى البراء عرضتم) عن الاخلاص له ورجعتم إلى الاشرار (وكان الانسان) أي هذا
النوع (كفوراً) أي جود النعم بسبب أنه عند الشدة تمسك بفضله ورجعته وعند الرخاء
والراحة يعرض عنه وتمسك بغيره وقوله تعالى (أفأمنتم) الهمة زفة للانكار والفاء للعطف
على محذوف تقديره أنجوتم من البحر فأمنتم بعد خروجه منكم منه (أن تخشع بكم جانب البر)
فنجيكم في أي جانب كان منه لأن قدوتنا على التغييبين في الماء والتراب على السواء فعلى العاقل
أن يستوى خوفه من الله تعالى في جميع الجوانب (أو) أمنتم ان (نرسل عليكم) من جهة
القوق شياً من أمرنا (حاصباً) أي غطر عليكم بحجارة من السماء كما أمطرها على قوم لوط قال الله
تعالى أنا أرسلنا عليهم حاصباً وقل الحاصب الريح (ثم لا تجدوا لكم) أيها الناس (وكيلاً)
ينجيكم من ذلك ولا من غيره كالم تجدوا في البحر وكيلاً غيره (أم أمنتم) أي جاوزت بكم
الغياوة حدتها فلم تحوزوا ذلك (أن نعيدكم فيه) أي البحر الذي يضطركم إلى ذلك فنقسمكم عليه
وان كرهتم (نارة أخرى) بأسباب تضطركم إلى أن ترجعوا فتركبوه (نرسل عليكم قاصصاً من
الريح) أي ربحاً شديدة لا تترى بشئ الا قصفته فتكسر فلحكم (فنفرقكم) في البحر الذي
أعدناكم فيه بقدرتنا (بما كفرتم) أي بسبب اشراركم وكفرانكم نعمة الانجاء (ثم لا تجدوا
لكم عيسى بنوعاً) أي مطالباً بالباطل بما فعلنا بكم * (تنبيه) * نارة بمعنى مرة وكثرة نفسي
مصدر وتجمع على تير وتارات قال الشاعر

وانسان عيني يحسر الماء نارة * فيبدو وتارات يحمر فيفرق

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأن تخشع أو نرسل أن نعيدكم فنرسل فنفرقكم جميع هذه الخمسة
بنون العظمة والباقون يساء الغيبة والقراءة الأولى على سبيل الالتفات من الغائب في قوله
تعالى ربكم إلى آخره والقراءة الثانية على سنن ما تقدم من الغيبة * ثم إن الله تعالى ذكر نعمة
أخرى رفيعة جليته على الانسان وذكر فيها أربعة أنواع النوع الاول قوله تعالى (ولقد
كرمنا) أي بعظمتنا تكرر بما عظمنا (بن آدم) وحذف متعلق التكرير فلذا اختلف المفسرون
فيه فقال ابن عباس كل شيء يأكل بفيه الابن آدم فانه يأكل بيده وعن الرشيد أنه أحضر
طعاماً عنده فدعا بالملائق وعنده أبو يوسف فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس ولقد كرمنا
بن آدم جعلنا لهم أصابع يأكلون بهاء فأحضرت الملائق فردها وأكل بأصابعه وروى عن ابن
عباس أنه قال بالعقل وقال الضحاك بالنطق والتميز وقيل على سائر اللطيف والنجوى وعلى النامى
بالحياة وعلى سائر الحيوان بالنطق وقال حطاب بتعديل القامة وامتدادها والدواب منسكة
على رجليها قال بعضهم وفيه أن يشترط مع هذا شرط وهو طول القامة مع استكمال العروة

العقبة والحسية والحركية والا فالاشجار أطول قامة من الانسان وقيل الرجال بالبعي والنساء
بالذوات وقيل بأن سخرهم سائر الاشياء وقيل بأن منهم خير أمة أخرجت للناس وقيل بحسن
الصورة قال تعالى وصوركم فأحسن صوركم ولما ذكر الله تعالى خلقه الانسان وهي ولقد خلقنا
الانسان الآية قال قتيار الله أحسن الخالقين قال الرازي فان شئت فتأمل عضوا واحدا
من أعضاء الانسان وهي العين فخلق الحمدقة سوداء ثم أحاط بذلك السواد بياض العين ثم
أحاط بذلك البياض سواد الاشفار ثم أحاط بذلك السواد بياض الاجفان ثم خلق فوق بياض
الجنف سواد الحاجبين ثم خلق فوق ذلك السواد بياض الجبهة ثم خلق فوق ذلك البياض سواد
الشعر ولكن هذا المثال الواحد نموذج لك في هذا الباب انتهى واستدل أيضا الشرف
الانسان بأن الموجود اما أن يكون أزليا وبدا وهو الله تعالى واما أن لا يكون لا أزليا ولا أبديا
وهو عالم الدنيا مع كل ما فيه من المعادن والنبات والحيوان وهذا أحسن الاقسام واما أن
يكون أزليا ولا يكون أبديا وهذا ممنوع الوجود لان ما ثبت قدمه امتنع عدمه واما أن لا يكون
أزليا ولكنه يكون أبديا وهو الانسان والملئك ولشك أن هذا القسم أشرف من الثاني والثالث
وذلك يقتضى كون الانسان أشرف من أكثر مخلوقات * النوع الثاني قوله تعالى (وجعلناهم
في البر) على الدواب وغيرها (و) في البحر على السفن وغيرها من جعلته جلادا جعلته
ما ركبها أو جعلناهم فيها حتى لم تخسف بهم الارض ولم تفرقهم في الماء * النوع الثالث قوله تعالى
(ووزقناهم من الطيبات) أى المستلذات من الثمرات والاقوات وذلك لان الاغذية اما
حيوانية واما نباتية وكلا القسمين فان الانسان انما يتغذى بالثمنى أنواعها وأشرف أقسامها
بعد التنقية التامة والطبخ الكامل والنضج البالغ وذلك مما لا يحصل الا للانسان * النوع
الرابع قوله تعالى (وفضلناهم) في أنفسهم باحسان الشكل وفي صفاتهم بالعلم المنهج لسعادة
الدارين (على كثير من خلقنا) أى بعظمنا التي خلقناهم بها * وأكده الفعل بالصدر إشارة الى
اعراقهم في الفضيلة فقال تعالى (تفضيلا) * (تنبيه) * ظاهر الآية يدل على فضلهم على كثير
من خلقه لا على الكل وقال قوم فضلو على جميع الخلق الاعلى الملائكة وهو قول ابن عباس
واختيار الزجاج على ما رواه الواحدى في بسطه وقال الكلبي فضلو على جميع الخلائق كلهم
الاعلى طائفة من الملائكة جبريل وميكائيل واسرافيل وملئك الموت وأشباهم وقال قوم
فضلو على جميع الخلق وعلى جميع الملائكة كلهم وقد يوضع الاكثر موضع الكل كقوله تعالى
هل أنبئكم على من تنزل الشياطين الى قوله تعالى وأكثرهم كاذبون أى كلهم وروى جابر بن
قال لما خلق الله تعالى آدم وذريته قالت الملائكة يا رب خلقتهم يا كواون وينمرون وينكفون
فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال تعالى لا أجعل من خلقه يسدى وتغنى فيه من روى
كن قلت له كن فكان والاولى كما قاله بعض المفسرين كالغوى وابن عادل أن يقال عوام
الملائكة أفضل من عوام المؤمنين وخواص المؤمنين أفضل من خواص الملائكة قال تعالى
الذين آمنوا و عملوا الصالحات أولئك هم خير البرية وروى عن أبي هريرة رضى الله تعالى

عنه قال المؤمن أكرم على الله من الملائكة عنده رواه البغوي ورواه الواحدي في بسطه
(فان قيل) قال تعالى في أول الآية ولقد كرّمنا بني آدم وقال في آخرها وفضلناهم فلا بد من
الفرق بين التكريم والتفضيل والالزم التكرار (أجيب) بأنه تعالى فضل الانسان على سائر
الحيوانات بأموه وخلقية طبيعية ذاتية كالعقل والنطق والخط والصورة المحسنة والقامة
المليدة ثم انه سبحانه وتعالى عرضه بواسطة العقل والفهم لاكتساب العقائد الحقة والاخلاق
الفاضلة * ولما ذكر تعالى أنواع كرامات الانسان في الدنيا شرح أحوال درجاته في الآخرة
بقوله تعالى (يوم) أي اذ كرم يوم (تدعو) أي بتلك العظمة (كل أناس) أي منكم (بأمامهم)
الامام في اللغة كل من اتهم به قوم كانوا على هدى أو ضلالة فالنبي امام أمته وال خليفة امام
رعيته والقرآن امام المسلمين وامام القوم هو الذي يقتدون به في الصلاة وذكره وفي تفسير
الامام هنا أقوالا أحدها امامهم بينهم روى ذلك مرفوعا عن أبي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم فينادي يوم القيامة يا أمة ابراهيم يا أمة موسى يا أمة عيسى يا أمة محمد صلى الله عليه
وسلم فيقوم أهل الحق الذين اتبعوا الانبياء فيأخذون كتبهم بأيمانهم ثم ينادى الاتباع يا تابع
عوبد يا تابع فرعون يا تابع فلان وفلان من رؤساء الضلال وأكبر الكفر الثاني أن امامهم
كتابهم الذي أنزل عليهم فينادى في القيامة يا أهل القرآن يا أهل التوراة يا أهل الانجيل الثالث
امامهم كتاب أعمالهم قال تعالى وكل شيء أحصيناه في امام مبين فسمى الله تعالى هذا الكتاب
اماما قال الرمخشري ومن بدع التفاسير ان الامام جمع أم وإن الناس يدعون يوم القيامة
بأمتهم دون آبائهم وان الحكمة فيه رعاية حق عيسى و اظهار شرف الحسن والحسين وأن لا
تفضخ أولاد الزنا قال وليت شعري أيهما أبداع البدع أحسنه أفضله أمهم حكيمته قال ابن عادل
وهو معدور لان أمما لا يجمع على امام هذا قول من لا يعرف الصناعة ولا لغة العرب (فن أوفى)
أي من المدعوتين (كاتبه) أي كتاب عمله (بيمينه) وهم السعداء ولو البصائر في الدنيا (فأولئك
يقرون كتابهم) ابتهاجوا وتبجعا بما يرون فيه من الحسنات (ولا يظلمون) بنقص حسنة مما من ظالم ما
(قنبلا) أي شيئا في غاية القلة والحقارة بل يزدادون بحسب اخلاص النيات وطهارة الاخلاق
وزكاة الاعمال * (تبيه) * القليل القشرة التي في شق النواة تسمى بذلك لانه اذا رام الانسان
اخراجها انتقل وهذا مثل يضرب للشئ الخبير التافه ومثله القطعير وهو الغفلة التي في ظهر
النواة والخبير وهي النقرة التي في ظهر النواة وروى مجاهد عن ابن عباس قال القليل هو
الوسخ الذي يقتله الانسان بين سبائه وابهامه (فان قيل) لم خص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم
مع أن أهل الشمال يقرؤنه (أجيب) بان أصحاب الشمال اذا اطالعوا كتابهم وجدوه مشغولا
على المهلكات العظيمة والقبائح الكاملة فستولى الخوف على قلوبهم وينقل لسانهم فيجزمون
عن القراءة الكاملة وأما أصحاب اليمين فأمرهم على عكس ذلك لاجرم أنهم يقرؤن كتابهم
على أحسن الوجوه ثم لا يقنعون بقراءتهم وحدهم بل يقول القارئ لاهل المشركه هاؤم اقروا
كتابي جعلنا الله تعالى وجميع أحبائنا منهم * ثم قال الله تعالى (ومن كان منهم في هذه)

أي الدار (أعمى) أي ضال يعمل في الأفعال فعل الاعمى في أخذ الاعمان لا يهتدى إلى أخذ
 ما يقع وترك ما يضره ولا يعزبن حسن وقبح (فهو في الآخرة أعمى) أي أشد عمى مما كان عليه
 في هذه الدار لا ينجح له قصد ولا يهتدى له صواب ولم يقل تعالى أشد عمى كما يقال في الخلق
 اللازمة لحالة واحدة مثل العور والعمرة والسواد ونحوها لأن هذا مراد به عمى القلب الذي
 من شأنه التزايد والحدوث في كل لحظة شيئا بعد شيء (وأضل سبيلا) لأن هذه الدار دار
 الاكتساب والترقي في الأسباب وأما تلك فليس فيها شيء من ذلك وقال عكرمة جاء نفر من أهل
 اليمن إلى ابن عباس فسأله رجل عن هذه الآية فقال اقرأ ما قبلها فقرؤا ربكم الذي يرحمكم
 الملك إلى قوله تفضيلا فقال ابن عباس من كان أعمى في هذه النعم التي قدرأى وعابن فهو
 في الآخرة التي لم يعابن ولم ير أعمى وأضل سبيلا وعلى هذا فالإشارة في قوله هذه إلى النعم
 المذكورة في الآيات المتقدمة وحمل بعضهم العمى الثاني على عمى العين والبصر كما قال تعالى
 ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا
 قسيتها وكذلك اليوم تنسى وقال تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكيا وعمها
 وهذا العمى زيادة في عقوبتهم * ولما تعدتعالى في الآيات المتقدمة أقسام نعمه على خلقه
 وأبعها بدرجات الخلق في الآخرة وشرح أحوال السعداء وأردفه بما يجرى مجرى تحذير
 السعداء عن الاغترار بوسواس أبواب الضلال والافتخار بكمالاتهم المشتملة على المكر
 والتلبس فقال تعالى (وأن كادوا) أي قاربوا في هذه الحياة الدنيا العماهم في أنفسهم
 عن عصمة الله تعالى لك ولما كانت ان هذه هي المنخفضة من الثقيلة أتى باللام الفارقة بينها وبين
 النافية بقوله تعالى (ليقتنونك) أي ليخالطونك مخالطة تميل إلى جهة قصدهم لكثرة خداعهم
 واختلف في سبب نزول هذه الآية فروى عطاء عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في وفد
 ثقف أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا بعلك على أن تعطينا ثلاث خصال قال وما هن
 قالوا أن لا نجفي في الصلاة بفتح الجيم والباء الموحدة المشتدة أي لا نتخنى فيها ولا نكسر
 أصنامنا الأبايدنا وأن لا تمنعنا من اللات والعزى سنة من غير أن نعبدها فقال النبي صلى
 الله عليه وسلم لا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجود وأما أن تكسروا أصنامكم بأيديكم فذلك
 لكم وأما الطاغية يعني اللات والعزى فإني غير متمكن بها وفي رواية وحرم وادينا كما حرمت
 مكة شجرها وطيرها ووحشها فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجيبهم فقالوا
 يا رسول الله انما نحب أن نسمع العرب أنك أعطيتنا ما لم تعط غيرنا فان خشيت أن تقول العرب
 أعطيتهم ما لم تعطنا فقل الله أمرني بذلك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فطمع القوم في سكوته
 أن يعطيهم ذلك فصاح عليهم عمر وقال أما ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمسك
 عن الكلام كماه لما ذكره فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال سعيد بن جبسر كان النبي
 صلى الله عليه وسلم يستم الجمل الأسود فنهقه قريش وقالوا لا نعدك حتى تلم يا كئسا ونعسها
 فحدث صلى الله عليه وسلم نفسه ما على أن أفعل ذلك والله يعلم اني لها لكاتب بعد أن يدعوني

حتى استلم الحجر فأنزل الله تعالى هذه الآية . وروى ان قريشا قالوا له اجعل آية رحمة آية عذاب
 وآية عذاب آية رحمة حتى تؤمن بك فنزلت وان كادوا باليقنونك (عن النبي أوحيا اليك)
 من أوامرنا وناوينا وهدنا ووعيدنا (لتقترى) أى لتقول (علينا غيره) أى ما لم نقله (وإذا) أى
 لولمت الى ماد عولك اليه (لا تحذولك) أى بغاية الرغبة (خيلنا) أى لو لوك وصافوك وأظهرنا
 للناس أنك صوافق لهمم على كفرهم وراض بشركهم ومن يكن خليل الكفار لم يكن خليل الله
 تعالى ولكنك أبصرت رشدك فلزمت أمر الله واستمروا على مما هم اتماما لتفضيلنا لك على كل
 مخلوق (ولو لأن نبيناك) أى على الحق بعصمتنا اليك (لقد كدت) أى قاربت (تركن) أى عمل
 (اليهم) أى الى الاعداء (شيا) أى ركونا (قليل) لمحببتك في هدايتهم وحرصك على منفعتهم ولتكا
 عصمتك فنعناك أن تقرب من الركون فضلا من أن تركن اليهم لأن كلمة ولا تفيدا انتفاء
 الشيء ثبوت غيره تقول لولا زيد لهلك عمر ومعناه ان وجود زيد منع من حصول الهلاك لعمر و
 فكذلك ههنا قوله تعالى ولولا ان نبيناك لقد كدت تركن اليهم معناه لولا حصول تثبيت الله
 لمجد صلى الله عليه وسلم فكان تثبيت الله مانعا من حصول قرب الركون وهذا صريح في أنه
 عليه الصلاة والسلام ما هم بأجابتهم مع قوة الداعي اليها ولبليل على أن العصمة تتوفيق الله
 وحفظه (إذا) أى لو قاربت الركون الموصوف اليهم (لأذقناك ضعف) عذاب (الحياة وضعف)
 عذاب (المات) أى مشلى ما يعذب غيرك في الدنيا والآخرة وكان أصل الكلام عذابا ضعفا
 في الحياة وعذابا ضعفا في السمات ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه ثم أضيفت كما
 يضاف موصوفها وقيل المراد بضعف الحياة عذاب الآخرة وضعف السمات عذاب القبر
 والسبب في تضعيف هذا العذاب ان أقسام نعمة الله تعالى في حق الانبياء عليهم الصلاة
 والسلام أكثر فكانت ذنوبهم أعظم فكانت العقوبة المستحقة عليهم أكثر ونظيره قوله تعالى
 يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وقيل الضعف من أسماء
 العذاب (ثم لا تجد لك) أى وان كنت أعظم الخلق وأعلام مرتبة وهمة (علينا نصيرا) أى
 مانعا عنك من عذابنا واختلقوا في سبب نزول قوله تعالى (وان) أى وان هم (كادوا)
 أى الاعداء (لبستقزونك) أى ليزبحونك بمعاداتهم (من الارض ليخرجونك منها) فقال
 ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة حسدته اليهود وكرهوا قرابه
 منهم فقالوا يا أبا القاسم ان الانبياء انما بعثوا بالشأم وهي بلاد مقدسة وكانت مسكن ابراهيم
 فلخرجت الى الشأم آمنابك واتبعناك وقد علمنا أنه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان
 كنت رسول الله فالله يمنعك منهم فسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أميال من
 المدينة وقيل بذى الحليفة حتى يجمع اليه أصحابه ويراه الناس عانعا على الخروج الى الشأم
 فدخلون في دين الله فنزلت هذه الآية فراجع وهذا قول الكلبي وعلى هذا فالآية مدينة
 والمراد بالارض أرض المدينة وقال قتادة ومجاهد الارض أرض مكة والآية مكتبة هم
 المشركون أن يخرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكفهم الله تعالى عنه حتى أمره

بالحجرة فخرج بنفسه قال ابن عادل به مع الرازي وهذا البقي بالآية لأن ما قبلها خبر عن أهل مكة والسورة مكية وهذا اختيار الزبيح وكثير في التزويل ذكر الأرض والمراد منها مكان مخصوص كقوله تعالى أو يتقوا من الأرض أي من مواضعهم وقوله تعالى حكايته عن أخي يوسف فلن أبرح الأرض يعني الأرض التي كان قصدها الطلب الميرة (فان قيل) قال تعالى وكأين من قرية أهدى أشد قوة من قريته التي أخرجتك يعني أهل مكة فالمراد أهلها فاذكر تعالى أنهم أخرجوه وقال تعالى وان كلاً واليسئفزون ولك من الأرض لخرجوك منها فكيف الجمع بينهم على القول الثاني (أجيب) بأنهم هموا باخراجهم وهو صلى الله عليه وسلم ما خرج بسبب اخراجهم وانما خرج بأمر الله تعالى وحسن تدفلاتنا قض (واذا) أي واذا أخرجوك (لا يلبثون خلفك) أي بعد اخراجك لو أخرجوك (الآن) زماناً (قليلاً) وقد كان كذلك على القول الثاني فانهم أهل كوايدر بعد هجرته وعلى القول الأول قتل منهم بنى قريظة وأجل بنى النضير بقليل وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وشعبة بفتح اللام وسكون اللام والباقون بكسر اللام وفتح اللام وبعدها ألف قال الشاعر

عفت الديار (أي اندرست) خلفهم (أي خلفهم) فكانما * بسط الشواطئ بينهن حصيرا
الشواطئ النساء اللاتي يشقن الجريد ليعملن منه الحصر والشطب والشواطئ بسف الغفل
الأخضر يصف دروس ديار الاحب بعدهم وانما غير مكثوسة كأنما بسط فيها سف النخل
وما أخبره بذلك أعلم أنه سنة في جميع الرسل بقوله تعالى (سنة) أي كسنة أو سفناط سنة
(من قد أرسلنا قبلك) أي في الأزمان الماضية كلها (من سفنا) أنتم لك كل أمة أخرجوا
رسولهم من بين أظهرهم والسنة لله وضافتم إلى الرسل لأنهم من أجلهم ويدل عليه قوله
تعالى (ولا تجد لسنةنا تحويلاً) أي تغييراً * ولما قرئ صلى الله عليه وسلم الآلهيات
والمعاد والنبوات أردفها بذكر الأمر بالطاعة وأشرف بالطاعة بعد الإيمان الصلاة فذلك قال
تعالى لئن لم يجد محمد صلى الله عليه وسلم (أقم الصلاة) بفعل جميع أركانها وشرائطها بحيث تصير
كأنها قائمة بنفسها فانها بالعبادة تلتقي بالعبادة والمناسبة والأعراض عن كل غير وفنا عن كل
سوى بما أشرف من أثار الحضرة التي قد اضمحل اليها شكل فان وفي ذلك إشارة عظيمة إلى
أن الصلاة أعظم ناصر على الأعداء الذين يريدون بمكرهم استغزاز الأولياء ولذلك كان صلى الله
عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة ثم عين له الاوقات بقوله تعالى (لذلول الشمس) في هذه
اللام قولان أحدهما انما يعني بعد أي بعد ذلول الشمس ومثله قول حتم

فلما تفرقتنا كأنني ومالك * لطول اجتماع لم يبت ليلته معاً

والثاني انما على بابها لأنها تلج بوزوال الشمس والذلول مصدر دامت الشمس وفيه
أقوال أسدها انه الزوال وهو قول ابن عباس وابن عمر وجابر وأكثر التابعين ويدل لذلك قوله
صلى الله عليه وسلم كأنني جبريل لذلول الشمس حين زالت فخصي في الظهر وقول أهل اللغة معنى
الذلول في كلام العرب الزوال والذلول قيل للشمس اذا زالت نصف النهار النكدة والثاني انه

الغروب وهو قول ابن مسعود ونحوه الواحدى في البسيط عن علي رضي الله عنه وبه قال
 ابراهيم التيمي والضحاك والسدي وهو اختصار الفراء وحاصله ايصال الشمس اذا زالت
 نصف النهار الكعبة يقال لها ايضا اذا غربت الكعبة لانها في الجبلين زائلة قال الازهري
 والثالث انه من الزوال الى الغروب وقال في القاموس دلكت الشمس غربت أو اصقرت
 أو ماتت أو زالت عن كبد السماء فحينئذ في هذه القطة دلالة على الظهر والعصر والمغرب من
 استعمال المشترك في معانيه أما في الظهر والمغرب فواضح لما مر وأما العصر فلأن أول وقتها
 قول أخذ الشمس في الاصفرار وأدل دليل على ذلك أنه تعالى غاب الاقامة لوقت العشاء بقوله
 تعالى (الى غسق الليل) أي ظلمته وهو وقت صلاة عشاء الآخرة والغاية أيضا هنا داخله للمسايق
 وقد أجمعوا على أن المراد من قوله تعالى (وقرآن الفجر) أي صلاة الصبح وهو منصوب قبل على
 الاغراء أي وعليك بقرآن الفجر وبدأت أسماء الافعال لاتعمل مضرة وقال الفراء انه منصوب
 بالعطف على الصلاة في قوله تعالى أقم الصلاة والتقدير أقم الصلاة وأقم قرآن الفجر وحينئذ
 تدخل الصلوات الخمس في هذه الآية قال ابن عادل كالأزى وجعل كلام الله تعالى على ما يكون
 أكثر فائدة وأولى انتهى وسببت صلاة الصبح قرآنا لا شتمها عليه وان كانت بقية الصلوات
 أيضا مشتملة عليه لانه يطول فيها في القراءة ما لا يطول في غيرها فالمتصود من قوله تعالى وقرآن
 الفجر الحث على طول القراءة فيها أكثر من غيرها لان تخصيص بالذكري يدل على كونه أكمل
 من غيره * ولما كان القيام عن المنام يشق على من غاب مظهره غير مضر لان المقام مقام تعظيم
 فقال (ان قرآن الفجر صكان مشهودا) أي تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار
 ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو في آخر ديوان الليل وأول ديوان النهار قال الرازي ثم إن
 ملائكة الليل اذا صعدت قالت يا رب اناتر كعبادك يصلون لك وتقول ملائكة النهار وبنا
 اننا أتينا عبادك وهم يصلون فيقول الله تعالى للملائكة اشهدوا بأني قد غفرت لهم وقال
 أبو هريرة رضي الله تعالى عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تفضل صلاة الجمع صلاة
 أحدكم وحده بخمس وعشرين درجة وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر
 ثم يقول أبو هريرة اقرأوا ان شئتم ان قرآن الفجر كان مشهودا وهذا يدل على ان التغليس أولى
 من التنوير لان الانسان اذا شرع فيها من أول الوقت ففي ذلك الوقت ظلمة باقية فتكون
 ملائكة الليل حاضرة ثم اذا امتدت الصلاة بسبب ترتيب القراءة وتكثرها زالت الظلمة وظهر
 الضوء وحضرت ملائكة النهار وأما اذا ابتدأ بهذه الصلاة في وقت التنوير فهناك لم يبق أحد
 من ملائكة الليل فلا يحصل المعنى المذكور فقوله كان مشهودا يدل على ان التغليس أفضل
 وأيضا الانسان اذا شرع في صلاة الصبح من أول هذا الوقت فكانت الظلمة القوية في العالم
 فإذا امتدت القراءة ففي أثناء هذا الوقت ينقلب العالم من الظلمة الى الضوء والظلمة مناسبة
 للموت والعدم والوضوء مناسب للحياة والوجود فالانسان لما قام من منامه فكانه انتقل
 من الموت الى الحياة ومن العدم الى الوجود ومن السكون الى الحركة وهذه الحالة العجيبة

تشهد العقول بأنه لا يقدر على هذا التقلب الا الخلق المدبر بالحكمة البالغة فحينئذ يستنير
 العقل بنور هذه المعرفة ويخلص من مرض قلبه فان أكثر الخلق وقعوا في امراض القلوب
 وهي حب الدنيا والحرم والحسد والتفاخر والتسكائر وهذه الدنيا مثل دار المرضى اذا كانت
 مملوءة من المرضى والانبيا كالاطباء الحاذقين والمرضى ربما كان قديقوى مرضه فلا يعود الى
 الصحة الا بمعالجات قوية وربما كان المريض جاهلا فلا يتقاد للطبيب ويخالقه في أكثر الامران
 الطيب اذا كان مشفقا حاذقا فانه يسهى في ازالة ذلك المرض بكل طريق يقدر عليه وان لم يقدر
 على ازالته فانه يسهى في تقبله وفي تخفيفه فلما كان مرض الدنيا مستويا على الخلق ولا علاج له
 الا بالدعوى الى معرفة الله سبحانه وتعالى وخدمته وطاعته وهذا علاج شاق على النفوس وقل
 من يقبله ويقادله لاجرم أن الانبيا اجتهدوا في تقليل هذا المرض فعملوا الخلق على الشروع
 في الطاعة والعبودية من اول وقت القيام من النوم لانه مما يقع في ازالة هذا المرض ثم حدث
 سبحانه وتعالى على التهجيد لاضليته وارشديته بقوله عز من قائل (ومن الليل) أى وعليك أو
 وقم بعض الليل (فتهجد به) أى واترك الهجود للصلاة يقال هجد وتهجد نام ليلًا وهجد وتهجد
 سهر فهو من الاضداد ومنه قيل لصلاة الليل التهجيد قاله في الصحاح والضمير فيه لمطلق
 القرآن والمراد من الآية قيام الليل لصلاة النافلة فلا يحصل التهجيد الا بالصلاة فقل بعد نوم
 وكانت فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أمته في الابتداء بقوله تعالى يا أيها المزمحل قم
 الليل الا قليلا ثم نسخ بما في آخرها ثم نسخ بما في الصلوات الخمس وبقي قيام الليل على الاستعباب
 بقوله تعالى فاقروا ما تيسر منه وبقي الوجوب في حقه صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى
 (نافله لك) أى زيادة لك مختصة بك وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبي صلى الله عليه
 وسلم قال ثلاث هن على فريضة وهن سنة لكم الوتر والسواك وقيام الليل والصحيح أنه نسخ
 في حقه أيضا وبدليل النسخ رواه مسلم وقد وردت أحاديث كثيرة في قيام الليل منها ما روى عن
 المغيرة بن شعبه أنه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه فقيل له أتتكلف هذا
 وقد غفرا لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ومنها ما روى عن
 زيد بن خالد الجهني أنه قال لا رمقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة فنوسدت عينته
 أو فسطاطه فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم صلى ركعتين طويلتين ثم ركعتين طويلتين ثم ركعتين
 طويلتين ثم ركعتين دون اللتين قبلهما ثم أوتر فذلك ثلاثة عشر ركعة فلهذا قيل انه أكثر الوتر
 وهو أحد قولين الشافعي والمرجح عنده ان أكثره احدى عشرة ركعة لما رواه أبو سلة أنه سأل
 عائشة رضى الله تعالى عنها عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما كان يزيد في رمضان
 ولا في غيره على احدى عشرة ركعة أى وتر يصلى أربعا فلان سأل عن حسنته وطولهن ثم يصلى
 أربعا فلان سأل عن حسنته وطولهن ثم يصلى ثلاثا قالت عائشة رضى الله تعالى عنها فقلت
 يا رسول الله أتنام قبل أن توتر فقال يا عائشة ان عيني تنام ولا ينام قلبي ومنها ما روى عن أنس
 ابن مالك قال ما كنا نشاء أن نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليل مصليا إلا بناه وما نشاء

أن نراه نأثماً إلا رأيناه وفي رواية غيره قال وكان يصوم من الشهر حتى تقول لا يفطر منه شيئاً
 ويفطر حتى تقول لا يصوم منه شيئاً ثم قال تعالى (عسى أن يبعثك ربك) أي المحسن إليك (مقاماً
 محموداً) اتفق المفسرون على أن كلمة عسى من الله واجب قال أهل المعاني لأن لفظة عسى
 تفيد الاطماع ومن أطمع انساناً في شيء ثم حرمه كان عاراً والله أكرم من أن يطمع احدنا في
 شيء ثم لا يعطيه ذلك وأما المقام المحمود فقال الواحدى أجمع المفسرون على أنه مقام الشفاعة كما
 قال صلى الله عليه وسلم في هذه الآية هو المقام الذى أشفع فيه لأمتى وقال حذيفة يجمع الناس
 في صعيد واحدة فلا تتكلم نفس فأقول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبك وسعديك والشمر
 ليس إليك والمهدى من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لأملحاً ولا منجى منك إلا إليك
 تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت فقال هذا هو المراد من قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك
 مقاماً محموداً ويدل للآقول أحاديث منها ما روى عن أبي هريرة أنه قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لكل نبي دعوة مستجابة وإنى اختصت دعوتى شفاعتى لأمتى وهى نائلة منكم إن شاء الله
 تعالى من مات لا يشر له بالله شيئاً ومنها ما روى عن جابر أنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة
 والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته حلت له شفاعتى يوم القيامة ومنها ما روى عن
 أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يتموا بذلك فيقولون
 لو استشفعنا إلى ربنا فيرى نحن من مكاننا فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده
 وأسكنك الجنة وأوجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء أشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من
 مكاننا هذا فيقول لست هنا كم وبذكر خطيئته التى أصابك كله من الشجرة وقد غشى عنها
 ولكن اتوا نوحاً أول نبي بعثه الله إلى أهل الارض فيأتون نوحاً فيقول لست هنا كم وبذكر
 خطيئته التى أصاب بسؤال ربه بغير علم ولكن اتوا ابراهيم خليل الرحمن فيأتون ابراهيم
 فيقول لست هنا كم وبذكر ثلاث كذبات كذبهن ولكن اتوا موسى عبداً أتاه الله التوراة
 وكله وقربه نجياً قال فيأتون موسى فيقول لست هنا كم وبذكر خطيئته التى أصاب قتله النفس
 ولكن اتوا عيسى عبداً لله وكلته قال فيأتون عيسى فيقول لست هنا كم ولكن اتوا محمداً
 عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال فيأتونى فاستأذن على ربي فيؤذن لى فاذا رأيت
 وقعت ساجداً فبدعنى ماشاء الله أن يدعنى فيقول ارفع رأسك يا محمد وقل تسمع وأشفع تشفع
 وسل تعطه قال فأرفع رأسى فأثنى على ربي بثناءً وتحميداً يعلمني به قال ثم أشفع فيجئلى حداً
 فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فأقع ساجداً فبدعنى ماشاء الله أن يدعنى
 ثم يقول ارفع يا محمد وقل تسمع وأشفع تشفع وسل تعطه قال فأرفع رأسى فأثنى على ربي بثناءً
 وتحميداً يعلمني به قال ثم أشفع فيجئلى حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة قال فلا أدري
 فى الثالثة والرابعة فأقول يا رب ما بقى الامن حبسه القرآن أى وجب عليه الخلود وعن
 ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مقاماً محموداً يحمد له فيه الاولون والاخرون وتشرف

فيه على جميع الخلاق سل قطعى واشفع فنشفع ليس أحد الا تحت لوائك والاعخبار في
 الشفاعة كثيرة وفي هذا القدر كفاية لاولى البصائر جعلنا الله تعالى وجميع احيانا بمن
 أهلها الداخلين تحت شفاعة سيد الانبياء والمرسلين آمين واختلف أهل التفسير في قوله
 تعالى (وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق) فقال ابن عباس والحسن
 أدخلني مدخل صدق المدينة واخرجني مخرج صدق مكة نزل حين أمر النبي صلى الله عليه
 وسلم بالهجرة وقال النخلك أخرجني مخرج صدق من مكة آمنان المشركين وأدخلني
 مدخل صدق ظاهر اعلمها بالفتح وقال مجاهد أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة
 مدخل صدق وأخرجني من الدنيا وقدت بما وجب علي من حقها مخرج صدق وقيل ادخله
 القاروا خراجه منه سالما وقيل أدخلني مدخل صدق الجنة وأخرجني مخرج صدق من
 مكة وقيل أدخلني في القبر مدخل صدق ادخل امرضيا وأخرجني منه عند العتق مخرج صدق
 اخرجنا منك بالكرامة والجامع لهذه الاقوال ما جرى عليه البقاعي في تفسيره بقوله
 في كل مقام تريد ادخال في حسي ومعنوي دنيا وأخرى مدخل صدق يستحق الدخول فيه أن
 يقال له أنت صادق في قولك وفعلك فان ذال الوجهين لا يكون عند الله وجيها وأخرجني من كل
 ما تخرجني منه مخرج صدق انتهى والمراد من المدخل والمخرج الادخال والاخراج ومعنى
 اضافة المدخل والمخرج الى الصدق مدحهما كما أنه سأل الله تعالى ادخالا حسنا واخراجا
 حسنا لا يرى فيما مايكره ثم سأل الله تعالى أن يرزقه التقوية بالجنة وبالجهنم والقدرة فقال
 (واجعل لي من لذك أي عندك سلطانا نصيرا) أي حجة ظاهرة تنصير بها علي جميع من
 خافني وقد أجاب الله تعالى دعاءه وأعلمه أنه بعضهم من الناس بشو له تعالى والله بعضهم من
 الناس وقال تعالى الآن حرب الله هم الغالبون وقال تعالى ليظهره على الدين كله وقال تعالى
 ليستخلفنهم في الارض ووعدته تعالى ليظهره على الدين ووعدته تعالى ليعز من ملك فارس والروم
 فيجعل له وعنه صلى الله عليه وسلم أنه استعمل عتاب بن أسيد على أهل مكة وقال انطلق فقد
 اسسه ملكك على أهل الله فكان شديدا على المرأتين المنافقين لينا على المؤمنين وقال والله
 لا أعلم مخلقا يتخلف عن الصلاة الا منافقا فقال أهل مكة يا رسول الله لقد استعملت على أهل
 الله عتاب بن أسيد اعرايا جافيا فقال صلى الله عليه وسلم اني رأيت فيما يرى الناس كأن عتاب
 ابن أسيد اتي باب الجنة فاخذ بحلقة الباب فقلقه لها قلقة شديدة حتى فتح له فدخلها فأعز الله
 تعالى الاسلام لنصرتة المسلمين على من يريد ظلمهم فذلك السلطان النصير ثم أمره الله تعالى أن
 يخبر بالاجابة بقوله تعالى (وقل) أي لا ويا نك وأعدائك (جاه الحق) وهو ما أمرني به ربي وأرزله
 الي (ورحق) أي اصحبل وبطل وهلك (الباطل) وهو كل ما يخالف الحق ثم عمل زهوقه بقوله
 تعالى (ان الباطل) أي وان ارتفعت له دولة وصوله (كان) في نفسه بجبلته وطبعه (زهوقا) أي
 لا يبقى بل يزول على أسرع الوجوه وقت وأسرع رجوع قضاء قضاء الله تعالى من الأزل روى
 البخاري في التفسير عن ابن مسعود قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم التفتح وحول

قوله على أسرع
 الوجوه وقت الخ
 هكذا في جميع
 التسخ ولعله على
 أسرع الوجوه
 كل وقت ويرجع ٨١

الكعبة ثلثمائة وستون صنماً ثم كل قوم بحبالهم فجعل يطعن بها بعد في يده ويقول جاء الحق
 وزهق الباطل فجعل الصنم ينكب لوجهه وعن ابن عباس كانت لقبايل العرب أصنام يحجون
 اليها ويحزون لها فشكى البيت الى الله تعالى فقال أي رب الى متى تعبد هذه الاصنام حولي دونك
 فأوحى الله تعالى الى البيت اني سأحدث لك نوبة جديدة فاملوكم خذوا وسجدوا يدفون اليك
 دفيق النسور ويحنون اليك حين الطير الى بيضها لهم يجمع حولك بالتلبية * ولما زلت هذه
 الآيات يوم الفتح جاء جبريل عليه السلام وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم خذ مخصرتك ثم
 ألقها فجعل يأتى صنما صنما وهو ينكب بالمخصرة في عينه ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب
 الصنم لوجهه حتى ألقاها جميعا وبقى صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفرة فقال يا علي
 الزم به حمله رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مهد وري به فكسره فجعل أهل مكة يتعجبون
 ويقولون ماراً يثار جلاً أسحر من محمد قال الزمخشرى وشكايه البيت والوحى اليه تخميل وتمثيل
 * ولما بين سبحانه وتعالى الالهيات والنبوات والحشر والتشر والبعث واثبات القضاء والقدر
 ثم أتبعه بالامر بالصلاة ونبه على ما فيها من الاسرار وكان القرآن هو الجامع لجميع ذلك أتبعه
 ببيان كونه شفاء ورحمة بقوله تعالى (وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) أي ما هو
 شفاء في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمريض * (قفيه) * في من هذه ثلاثة
 أوجه أحدها انه لبيان الجنس قاله الزمخشرى والبيضاوي وابن عطية وأبو البقاء ورد عليهم
 أبو حيان بأن التي للسان لا بد أن تتقدمها ما تبينه لأن تتقدم عليه وهناك قد وجد تقديمها عليه
 الثاني أنها للتبعض وأنكره الحوفي لأنه يلزم أن لا يكون بعضه شفاء وأجاب أبو البقاء بأن منه
 ما يشفي من المرض وهذا قد وجد بدليل رقية بعض الصحابة سيد الخي الذي لدغ بالفاتحة
 فشفي من المرض فيكون التبعض بالنسبة للامر اض الجسمانية والافهوكه شفاء للابدان
 وللقلوب من الاعتقادات وغيرها الثالث أنها لا بد ان الغاية وهو كما قال ابن عادل واضع (و) من
 العجيب ان هذا الشفاء (لا يزيد الظالمين) وهم الذين يضعون الشيء في غير موضعه باعراضهم
 عما يجب قبوله (الاخسار) أي نقصاناً لأنه اذا جاءهم وقامت به الحجة عليهم أعرضوا عنه فكان
 أعراضهم ذلك زيادة في كفرهم كما ان قبول المؤمنين له واقبالهم على تدبره زيادة في ايمانهم
 وفي الدارمي عن قتادة قال ما جلس أحد القرآن فقام عنه الا بزيادة أو نقصان ثم قرأ هذه الآية
 ثم انه تعالى ذكر السبب الاصل في وقوع هؤلاء الكافرين الجاهلين الضالين في أودية الضلال
 ومقامات الخزي والنكال وهو حب الدنيا والرغبة في المال والجاه واعتقادهم أن ذلك انما يحصل
 بسبب جدهم واجتهادهم فقال تعالى (واذا أنعمنا) أي بما لنا من العظمة (على الانسان) أي
 هذا النوع هؤلاء وغيرهم وقال ابن عباس ان الانسان ههنا هو الوليد بن المغيرة قال الرازي
 وهذا بعيد بل المراد أي نوع الانسان اذا أنعمنا عليه (أعرض) أي عن ذكرنا وواعاننا
 اذ شأن نوع الانسان أنه اذا فاز بمقصوده ووصل الى مطلوبه اغتر وصرغ اخلا عن عبودية الله
 متمرداً عن طاعة الله كما قال تعالى ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى (وبأى) عن ذكر الله

(بجانبه) أى لوى عظيمه وبعد نفسه كأنه مستغنى بأمره ويجوز أن يكون كناية عن الاستكثار لانه من عادة المستكبرين ومعنى النأى فى اللغة البعد والاعراض عن الشيء أن يوليه عرض وجهه وقرأ ابن ذكوان بألف ممدودة بعد النون وتأخير الهمزة مثل جاءه وفى هذه القراءة تغر بجبان أحدهما من نأى بنوه أى نهض والثانى انه مقلوب من نأى فيكونان بمعنى قال ابن عادل ولكن متى أمكن عدم القلب فهو أولى وقرأ الباقر بالهمزة بعد النون وألف بعد همزة وآمال الالف بعد الهمزة السوسى وشعبة وخلاد محضة بخلاف عن السوسى وأمالها ورش بين بين وأمال الهمزة والنون محضة خلف والكسائى وفتح الباقر (وأداسه الشر) أى هذا النوع وان قل (كان يؤسا) أى شديد اليأس عما عهد من رحمة ربه والحاصل أنه ان فاز بالنعمة والدولة اعتربها ونسى ذكر الله وان بقي فى الحرمان عن الدنيا استولى عليه الأسف والحزن ولم يفرغ لذكر الله فهذا المسكين محروم أبدا عن ذكر الله تعالى ونظيره قوله تعالى فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرم من وأما اذا ما ابتلاه فقد رعبه رزقه فيقول ربى أهاننى وكذلك ان الانسان خلق هلو عا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا من حفظه الله وشرّفه بالاضافة اليه فليس للشيطان عليه سلطان ثم قال تعالى لئنبيى محمد صلى الله عليه وسلم (قل كل) من الشاكر والكافر (يعمل على شاكرته) أى طريقته التى تشاكل روحه وتشاكل ما طبعناه عليه من خيرا وشر (فربكم) أى فتسبب عن ذلك ان الذى خلقكم وصوركم (أعلم) من كل أحد (بن هو) منكم (أهدى سبيلا) أى أوضح طريقا واتباعا للحق فيشكرو ويصبروا احتسابا فيعطيه الثواب ومن هو منكم أضل سبيلا فيجعل له العقاب لانه يعلم ما طبعهم عليه فى أصل الخلقة وغيره تعالى انما يعلم أمور الناس فى طرائقهم بالتجربة وقد روى الامام أحمد لكن بسند منقطع عن أبي الدرداء رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم يجبل زال عن مكانه فصدقوا واذا سمعتم برجل تغير عن طبعه فلا تصدقوا فانه يصير الى ما جبل عليه واختلف فى سبب نزول قوله تعالى (ويستألونك) أى تعنا واتمنا (عن الروح) فعن عبد الله بن مسعود قال بينما أنا مشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوكأ على عسيب معه فتر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض اسألوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه لا يجيب بشئ تكبره فقلنا فقال بعضهم لتسألن فقام رجل منهم فقال يا أبا القاسم ما الروح فسكت فقلت انه يوحى اليه فقمت فلما انجلى عنه قال ويستألونك عن الروح (قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا) قال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا تسألوه وقال ابن عباس ان قريشا اجتمعوا فقالوا ان محمدا نشأ فينا بالصدق والامانة وما اتهمناه بكذب وقد ادعى ما ادعى فابعثوا نفرنا الى اليهود بالدنية واسألوهم عنه فانهم أهل كتاب فبعثوا جماعة اليهم فقالت اليهود سلوه عن ثلاثة اشياء فان اجاب عن ككلها لم نجيب عن شئ منها فليس بنبي وان اجاب عن اثنين فهو نبي فسالوا عن قية فقدوا فالزمنا للقل ما كان بأمره فانه كان لهم حديث عجيب وعن رجل بلغ مشرق الارض

ومغربها وعن الروح فسألو النبي صلى الله عليه وسلم فقال أخبركم بما سألت عند اوله يقل ان شاء الله فلبثت الروحى قال مجاهد اثني عشر ليلة وقيل خمسة عشر يوما وقيل أربعين يوما وأهل مكة يقولون وعندنا محمد غدا وقد أصبغنا لا يجترأ بشئ حتى حزن صلى الله عليه وسلم من مكث الوحي وشق عليه ما يقوله أهل مكة ثم نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله ونزل في القبية أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ونزل فيمن بلغ المشرق والمغرب ويستلونك عن ذى القرنين ونزل في الروح ويستلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وقول الرازي ومن الناس من طعن في هذه الرواية من وجوه وذكروا من جملة ذلك كيف يليق به أن يقول انى لأعرف هذه المسئلة مع أنها من المسائل المشهورة المذكورة مع جمهور الخلق غير لائق لأن ذلك علامة على نبوته قال الرخصى فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم في التوراة فندموا على سؤالهم انتهى وختلفوا في الروح الذى وقع السؤال عنه فروى عن ابن عباس أنه جبريل عليه السلام وهو قول الحسن وقادة وروى عن علي أنه قال ملك له سبعون ألف وجه لكل وجه سبعون ألف لسان يسبح الله تعالى بكلها وقال مجاهد خلق على صورة بنى آدم لهم أيد وأرجل ورؤس وليسوا بملائكة ولا ناس يأكلون الطعام وقال سعيد بن جبيرة يخلق الله تعالى خلقا أعظم من الروح غير العرش لو شاء أن يتلغ السموات السبع والأرضين السبع ومن فيهن بلقمة واحدة لتفعل صورة خلقه على صورة الملائكة وصورة وجهه على صورة وجه الادميين يقوم يوم القيامة على عین العرش وهو أقرب الخلق الى الله تعالى عند الحجب السبعين وأقرب الى الله تعالى وهو ممن يشفع لاهل التوحيد ولولا أن بينه وبين الملائكة سترامن نور لا حترق أهل السموات من نوره وقيل الروح هو القرآن وقيل المراد منه عيسى فانه روح الله تعالى وكتبه ومعناه أنه ليس كما تقوله اليهود ولا كما تقوله النصارى وقال بعضهم هو الروح المركب فى الخلق الذى يحييه الانسان قال البغوى وهو الاصح وتكلم فيه قوم فقال بعضهم هو الدم ألا ترى أن الحيوان اذا مات لا يفوت منه الا الدم وقال قوم هو نفس الحيوان بدليل أنه يموت باحتباس النفس وقال قوم عرض وقال قوم هو جنس لطيف وقال بعضهم الروح معنى اجتمع فيه النور والطيب والعلم والعلم والبقاء ألا ترى أنه اذا كان موجودا يكون الانسان موصوفا بجميع هذه الصفات واذا خرج ذهب الشكل قال البغوى وأولى الاقاييل أن يوكل عمله الى الله عز وجل وهو قول أهل السنة قال عبد الله بن بريدة ان الله تعالى لم يطلع على الروح ملكا مقربا ولا نبيا مرسلًا بدليل قوله تعالى قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا أى فى جنب علم الله تعالى * (تنبيه) * اختلف فى الخطاب بقوله تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا فقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل اليهود فانهم يقولون أوتينا التوراة وفيها العلم الكبير وقيل عام روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن محتصرون بهذا الخطاب أم أنت معنا فنه فقال نحن وأنتم لم نوت من العلم الا قليلا فقالوا ما أعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خسريرا

كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده الآية قال
 الزمخشري وليس ما قالوا بلازم لأن القلة والكثرة يدوران مع الاضافة فيوصف الشيء بالقلة
 مضافا الى ما فوقه وبالكثره مضافا الى ما تحته فالحكمة التي أوتيتها العبد خير كثير في نفسها الا
 أنها اذا أضيفت الى علم الله فهي قليلة وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم معنى الروح ولكن
 لم يخبر به لان تركه أخباره كان عملا لنبوته قال البغوي والاول أصح أن الله استأثر به لعله انتهى
 وعن أبي يزيد لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح وقال الرازي قوله تعالى قل
 الروح من أمر ربي من فعل ربي وهذا الجواب يدل على أنهم سألوه أن الروح قديمة أو حادثة
 فقال بل هي حادثة وانما حصلت بفعل الله وتكويده وإيجاده ثم احتج على احداث الروح بقوله
 وما أوتيتم من العلم الا قليلا بمعنى أن الروح في مبدأ الفطرة تكون خالية عن العلوم والمعارف
 ثم تحصل المعارف والعلوم فهي لاتزال تكون في التغير من حال الى حال وفي التبديل من نقصان
 الى كمال والتغير والتبديل من امارات الحدوث فقوله قل الروح من أمر ربي يدل على أنهم سألوه
 أن الروح هل هي حادثة أو قديمة فأجاب بأنها حادثة واقعة بتخليق الله تعالى وتكويده وهو المراد
 من قوله تعالى قل الروح من أمر ربي ثم استدل على حدوث الارواح بتغيرها من حال الى حال
 وهو المراد بقوله وما أوتيتم من العلم الا قليلا فهذا ما نقوله في هذا الباب انتهى وهو نص لطيف
 ولما بين سبحانه وتعالى أنهم ما آتاهم من العلم الا قليلا بين أنه لو شاء أن يأخذ منهم ذلك القليل
 أيضا لقد ر عليه بقوله تعالى (ولئن شئنا) أي ومشيئتنا لا يتعاطاهن هاشي واللام موطئة للقسم
 وأجاب عن القسم بما أغنى عن جواب الشرط فقال (لئن ذهبن) أي بما لنا من العظمة ذهبا
 محققا (بالشيء أرحمنا اليك) بأن نحمو حفظه من القلوب وكتابته من الكتب وهذا وان كان
 أمرا مخالفا للعادة الا أنه تعالى قادر عليه (ثم) أي بعد الذهاب به (لا تجدك به علينا وكلاما)
 أي لا تجد من تتوكل عليه في ردئتي منه واعدته مسطورا محفوظا وقوله تعالى (الارحمة من
 ربك) استثناء متصل لانه مندرج في قوله وكلاما والمعنى الا أن يرحمك ربك فبرده عليك
 أو منقطع فتقدر لكن عند البصريين أو بل رجحة من ربك عند الكوفيين والمعنى ولكن رجحة
 من ربك أو بل رجحة من ربك بتركه غيره ذهب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن
 قال الرازي وهذا تنبيه على أن الله تعالى على جميع العلماء نوعين من المنة أحدهما تمنيه
 ذلك العلم عليهم والثاني ابقاء حفظه عليهم فعلى كل ذي علم أن لا يقفل عن هاتين المنعتين
 وعن التيام بشكرهما وهما منه من الله تعالى عليه بحفظ العلم وروسخه في صدره ومنه عليه في
 بقاء المحفوظ (فان قيل) كيف يذهب القرآن وهو كلام الله تعالى (أجيب) بأن المراد محوما
 في المصاحف واذهاب ما في الصدور قال عبد الله بن مسعود اقرؤوا القرآن قبل أن يرفع فانه
 لا تقوم الساعة حتى يرفع قبل هذه المصاحف ترفع فكيف ما في صدور الناس قال يسرى عليه
 ليل يرفع ما في صدورهم فيصحبون لا يحفظون شيئا ولا يجردون في المصاحف شيئا ثم يفيضون
 في الشعر وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال لا تقوم الساعة حتى يرفع القرآن من حيث نزل

له دوى تحت العرش كدوى النحل فيقول الرب مالك فيقول يارب أتملى ولا يعمل بي وفي رواية لابن مسعود أول ما تفقدون من دينكم الامانة وآخر ما تفقدون الصلاة وليصلين قوم ولادين لهم وان هذا القرآن تصحون يوما وما فيكم منه شئ فقال رجل كيف ذلك وقد أبتناه في قلوبنا وأبتناه في مصاحفنا وتعلمه أبناءنا وبنو ايعلمه أبناءنا وأبناءهم فقال يسرى عليه ليلافيصبح الناس منه فقرأت رفع المصاحف ويتزع ما في القلوب وقوله تعالى (ان فضله كان) أى ولم يزل (عليك كبيرا) فيه قولان أحدهما المراد منه ان فضله كان عليك كبيرا بسبب ابقاء العلم والقرآن عليك ثانيهما أن المراد أن فضله كان عليك كبيرا بسبب أنه جعلك سيد ولد آدم وختمك النبيين وأعطاك المقام المنجود وقد أتمم عليك أيضا ابقاء العلم والقرآن عليك وزل حين قال الكفار لنتي صلى الله عليه وسلم لونشاء لقلنا مثل هذا القرآن (قل) أى لهؤلاء البعداء (لئن اجمعت الانس) الذين تعرفونهم وتعرفون ما وتؤمن بالبلاغة والحكمة والذين لا تعرفونهم (والجن) الذين يأتون كهانهم ويعلمونهم ببعض الغيبات عنهم وغيرهم وترك الملازمة لانهم لاعهد لهم بشئ من التصدي ولا لهم كانوا سايط (على أن يأتوا بمثل هذا القرآن) في البلاغة وحسن النظم وكال المعنى (لا يأتون بمثله) أى لا يسدرون على ذلك فالقرآن مجزى في النظم والتألف والاختيار عن الغيوب وهو كلام في أعلى طبقات البلاغة لا يشبه كلام الخلق ولو كان مخلوقا لآتوا بمثله * (تنبيه) * في قوله تعالى لا يأتون بمثله قولان أظهرهما أنه جواب للقسم الموطأه باللام والثاني أنه جواب للشرط واعتذروا عن رفعه بأن الشرط ماض فهو كقوله

* وان آتاه خليل (أى فقير) يوم مسغبة * يقول لا غائب مالى ولا حرم

لان الشرط وقع ماضيا وناقشه أبو حيان بأن هذا ليس مذهب سيبويه ولا الكوفيين والمبرد لان مذهب سيبويه في مثله ان النية به التقديم ومذهب الكوفيين والمبرد أنه على حذف الفاء وهذا مذهب ثالث قال به بعض الناس (ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) أى معينا بضم أقوى ما فيه الى أقوى ما في صاحبـه * (تنبيه) * قد تقدم في سورة البقرة أن الله تعالى قال فأتوا بسورة من مثله وقد معنا الكلام على ذلك وفي وجه كون القرآن مجزى قولان أحدهما أنه مجزى في نفسه والثاني أنه ليس في نفسه مجزى لأنه تعالى لما صرف دواعيهم عن الاتيان بمعارضته وكانت الدواعي متوفرة على الاتيان بهذه المعارضة مع التقديرات المذكورة يكون نقضا للعادة فيكون مجزى والقول الاول أظهر (ولقد صرفنا) أى يندبوا جوهم محتلفة زيادة في التقرير والبيان (لناس في هذا القرآن من كل مثل) أى من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه متوقعا في النفس وقيل معناه من كل وجه من العبر والاحكام والوعيد والوعيد والتقصص وغيرها وقيل صفة لمخدوف أى مثلا من جنس كل مثل لية عظوا (فأبى أكثر الناس) وهم من هم في صورة الناس ككفار قريش وقد سلبوا معانيهم (الا كفورا) أى بخودا (فان قيل) كيف جاز فإبى أكثر الناس الا كفورا ولم يجز ضرب الازيدا (أجيب) بأن أبى متأول بالنبي كأنه قيل فلم يرضوا الا كفورا * ولما تبين بالدليل اعجاز القرآن على وفق دعوى محمد

صلى الله عليه وسلم ولم يمتهم الجحمة وغلبوا أخذوا يتعللون باقتراح الآيات فعل المهوت المجموع
 المتعثر في أذيال الخيرة وذكرنا من ذلك ستة أنواع من المعجزات أولها (وقالوا) أي كفار قريش
 ومن والاهم (لن نؤمن لك حتى تفجر) أي تفجيرا عظيما (لنا من الارض ينبوعا) أي عينيا
 غزيرة الماء من شأنها ان تنبع بالماء ولا ينضب ماؤها وقرأ عاصم وحزرة والكسائي بفتح التاء
 وسكون الفاء وضم الجيم مخففة والباقون بضم التاء وفتح الياء وكسر الجيم المشددة ثانيها قولهم
 (أو تكون لك) أنت وحدك (جنة من نخيل وعنب) أي وأشجار عنب عبر عنه بالثمرة لأن
 الانتفاع منه بغيرها قليل (فتفجر الانهار) الجارية (خلالها) أي وسطها (تفجيرا) أي
 تشقبا والتفجير شق الظلام عن عمود الصبح والتفجور شق جلباب الحياة بما يخرج الى الفساد
 ثالثها قولهم (أو تسقط السماء) أي نفسها (كما زعمت) فيما توعدنا به (علينا كسفا) أي قطعها
 جمع كسفة وهي القطعة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بنصب السين مثل قطعة وقطع وسدرة
 وسدرو الباقون بسكونها مثل دمنة ودمن وسدرة وسدر وهو نصب على الحال في القراءتين جميعا
 كانه قيل أو تسقط السماء علينا مقطعة رابعها قولهم (أو تأتي) معك (بالله) أي الملك الاعظم
 (واللائكة قبلا) أي عيانا ومقابلة تنظر اليه لا يخفى علينا شيء منه وقال الضمك الهو جمع
 قبيلة أي أصناف الملائكة قبيلة قبيلة قال ابن هاني كفيلا أي يكفلون بما تقول خامسها
 قولهم (أو يكون لك) أي خاصلك (بيت من زخرف) أي ذهب كامل الحين والزينة سادسها
 قولهم (أو ترقى) أي تصعد (في السماء) درجة درجة ونحن ننظر اليك صاعدا (ولن نؤمن)
 أي نصدق مذعنين (لربك) أي أصلا (حتى تنزل) وحقه قوامه كونه من السماء بقولهم
 (علينا كتابا) ومعنى كونه في رق أو نحوه بقولهم (تقرؤه) يأمر نافية باتباعك روى عكرمة عن
 ابن عباس أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وابطال الجعري بن هشام وعبد الله بن أمية وأميه بن خلف
 والوليد بن المغيرة وأباجهل بن هشام والعاصي بن وائل ونبها ناومنها في الحاج اجتمعوا بعد
 غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلوه وخاضعوه حتى
 تعذروا فيه فبعثوا اليه ان أشرف قومك فذا اجتمعوا لك يكلمونك فجاءهم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم سريرا وهو يظن أنهم بداهم في أمره بداه وكان عليهم حر يصاحب رشدهم حتى جلس
 اليهم فقالوا يا محمد انا بعثنا اليك لتعذرك وانا والله لانعلم أن رجلا من العرب أدخل على قومه
 ما أدخلت على قومك لقد شمت الاباء وعيبت الدين وسفهت الاحلام وشتمت الآلهة وفرقت
 الجماعة فمابقي أمر فيج الا وقد جئته فيما بيننا وبينك فان كنت جئت بهذا الحديث فطلب به
 ما لا جملنا لك من أمورنا حتى تكون أكرهنا ما لا وان كنت تريد الشرف سودناك علينا وان
 كنت تريد ملكا ملكك علينا وان كان هذا الذي بك ريبا تراه قد غلب عليك لاتسه طبع
 ربه بذلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرك منه وأنه ذررك وكالوا يسمون التابع من الجن
 الرئي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي مما تقولون ما جئتمكم بما جئتمكم به لطلب
 أموالكم ولا للشرف عليكم ولا للملك عليكم ولكن الله بعثنى اليكم رسولا وأنزل علي كتابا

وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه الى أصبر لامر الله تعالى حتى يحكم الله بيني وبينكم فقالوا يا محمد فان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد أضيق بلادا وأشد عيشا منا فسل لنا ربك الذي بعثك فليسسر عنا هذه الجبال التي قد ضيقت وييسر لنا بلادنا ويفجر فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضي من آياتنا وليكن منهم قصي بن كلاب فإنه كان شيئا صدوقا فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل فان صدق قولك صدقناك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت فقد بلغتكم ما أرسلت به وان تقبلوه فهو حظكم وان تردوه أصبر لامر الله قالوا فان لم تفعل فسل ربك أن يعث ملكا يصدقك وسله أن يجعل لك حنايا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يفنيك بها عما ترأى فانما تقوم بالاسواق وتلتبس المعاش كما تلتسه فقال صلى الله عليه وسلم ما بعثت بهذا ولكن الله بعثنى بشيرا ونذيرا قالوا فأسقط السجاء كما زعمت ان ربك ان شاء ففعل فقال ذلك الى الله ان شاء ففعل ذلك بكم فقال قائل منهم لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام معه عبد الله بن أمية وهو ابن عاتكة بفت عبيد المطلب وقال له عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سأولك أن تجعل ما تحو فهم به من العذاب فلم تفعل فوالله لا أؤمن بك أبدا حتى تتخذ الى السجاء سلما ترضيه وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتني بشيخة نشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك بما تقول وإيم الله لو فعلت ذلك لظننت أن لا أصدقك فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله حزنا لما رأى من مبادئهم فأنزل الله هذه الآية وفيها اشارة الى أنه ليس من شرط كونه نبيا ما صدقوا واتر المعجزات الكثيرة وتواليا الذل ففتح هذا الباب لزم أن لا ينتهي الامر فيه الى المقطع وكل أتى النبي صلى الله عليه وسلم بحجج اقترحوا عليه بحجج آخر ولا ينتهي الامر فيه الى حد ينقطع عنه عناد المعادين وتغنت الجاهلن مع أنه صلى الله عليه وسلم أعطى من الآيات والمعجزات ما أغنى عن هذا كله مثل القرآن وانشقاق القمر وتغيير العيون من بين الاصابع وما أشبه ذلك ولما تم تعنتهم وكان لسان الحال طالبا من الله تعالى الجواب عنه أمر الله تعالى بجوابهم بقوله تعالى (قل) أي لهؤلاء البعداء والاشقياء (سبحان ربي) أي نجيبا من اقتراحتهم وتزويرها لله من أن يأتي أو يهكم عليه أو يشاركه أحد في القدرة وقرأ ابن كثير وابن عاصم بصيغة الماضي والماقون قل بصيغة الامر و (هل كنت الا بشر) لا يقدر على غير ما يقدر عليه البشر (رسولا) كما كان من قبلي من الرسل وكانوا لا يؤتون قومهم الا بما يظهره الله تعالى على أيديهم بما يلائم حال قومهم ولم يكن أمر الآيات اليهم ولا لهم أن يهكم وما على الله حتى يتغير وما هذا هو الجواب المجل وأما التفصيل فقد ذكر في آيات أخر كقوله تعالى ولوزنا عليك كتابا في قرطاس فلم يسهو بايديهم ولو فطنا عليهم بايا ونحو ذلك ولما أمر بما تضمن أنه كخبرانه من الرسل في كونه بشرا أتبعه قوله عطا على فأي أو قالوا (وما مع الناس) أي قريشا ومن قال بقولهم لم يلهم من الاضطراب (أن يؤمنوا) أي لم ينق لهم من الايمان والجله مفعول

منع (آذباهم الهدى) أى الدليل القاطع على الايمان وهو القرآن وغيره من الالادى وقرأ
 أبو عمر وروثام بادغام ذال اذ عند الجيم والباقون بالظهار وأمال الالف بعد الجيم حجة وابن
 ذكوان محضة واذ وقف حجة على جاءهم سهل الهمزة مع المد والقصير (الآن قالوا) فاعل
 منع أن قالوا أى منكرين عليه غاية الانكار متعجبين متهمين (أبعث الله بشرا رسولا) لأن
 الكفار كانوا يقولون لن نؤمن لك لانك بشر ولو بعث الله تعالى رسولا الى الخلق لوجب أن
 يكون ذلك الرسول من الملائكة فأجابهم الله تعالى بقوله (قل) أى لهؤلاء المطرودين عن الرحمة
 (لو كان فى الارض ملائكة يمشون) عليها كالأدميين (مطمئنين) أى مستوطنين فيها
 كالبشر (لترنا علمهم) مرة بعد مرة كما فعلنا فى تنزيل جبريل عليه السلام على الانبياء من البشر
 وحقق الامر بقوله تعالى (من السماء ملكا رسولا) يعلمهم الخير ويهديهم المرشد لتسكنهم
 من التلقى منه لما كتتم له بخلاف البشر كما هو مقتضى الحكمة لأن رسول كل جنس ينبغى
 أن يكون منهم اذ الشئ عن شكله أفهم وبه أنس واليه أحن وله آلف الامن فضله الله تعالى
 بتغاب روحه على نفسه وبتغلب عقله على شهوته فأقدره بذلك على التلقى من الملك كالمسلمين
 ثم أجابهم الله تعالى جوابا آخر بقوله عز وجل (قل كفى بالله) أى المحيط بكل شئ قدرة وعلمنا
 وأمال الالف حجة والكسافى محضة وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح (شهيد ابني
 وينسكم) على أنى رسوله اليكم ليظهر المعجزات على وفق دعواهم وانى بلغت ما أرسلت به اليكم
 وانكم عاندتم ومن يشهد الله على صدقه فهو صادق فعند ذلك قول القائل بأن الرسول يجب
 أن يكون ملكا لانسانا فتحكم فاسد لا يلتفت اليه * (تنبيه) * شهيد انصب على الحال
 أو التمييز ثم انه تعالى ذكر ما هو كالتهديد والوعيد بقوله تعالى (انه كان بعباده خيرا بصيرا)
 يعلم ظواهرهم وبواطنهم ويعلم من قلوبهم أنهم لا ينكرون هذا الالهض الحسد وحب الرياسة
 والاستنكاف من الانقياد للحق * ولما تقدم أنه تعالى أعلم بالمهتدى والصال عطف عليه قوله
 تعالى (ومن يهد الله) بأن يخلق الهداية فى قلبه (فهو المهتدى) لا يمكن أحد غيره أن يضل
 * (تنبيه) * أثبت نافع وأبو عمر والياء بعد الدال مع الوصل دون الوقف وحذفها السابقون
 وقفار وصلوا (ومن يضل فلن يجدهم) أى الضالين (أولياء) يهدونهم (من دونه) ولا ينصونهم
 بشئ أراد الله تعالى غيره. ولما كان يوم القيامة يظهر الله فيه لكل أحد ما كان يعمل به على
 ذلك بقوله تعالى (وتحشرهم) بنون العظمة أى يجمعهم بكره (يوم القيامة) الذى هو محط
 الحكمة (على وجوههم) مسحوبين عليها اهانة لهم فيها كمال بذلها بالسجود لنا قال تعالى
 يوم يسحبون فى النار على وجوههم أى يمشون عليها روى أبو هريرة قيسل يا رسول الله كيف
 يمشون على وجوههم قال ان الذى يمشيهم على أقدامهم فادر على أن يشيهم على وجوههم قال
 حكاه الاسلام ان الكفار رواحهم شديدة التعلق بالدينا ولذا اتها وليس لها تعلق بعالم الانوار
 وحضرة الاله سبحانه وتعالى فلما كانت وجوه قلوبهم وأرواحهم متوجهة الى الدينا لاجرم كان
 حشرهم على وجوههم وأما قوله تعالى (عيا وبكيا وصحا) فقد استشكله شخص على ابن عباس

فقال أليس قد قال الله تعالى ورأى المجرمون النار وقال تعالى سمعوا لها تغيظا وزفيرا وقال
 تعالى دعوا ههنا لا تسبوا وقال تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقال تعالى حكاية
 عن الكفار والله ربنا ما كنا مشركين فثبت بهذه الآيات أنهم يرون ويسمعون ويتكلمون
 فكيف قال تعالى هنا عمو وبكوا وصما أجاب ابن عباس وتلامذته عنه من وجوه الأول قال ابن
 عباس عمو لا يرون شيئا يسرهم صملا يسمعون شيئا يسرهم بكيا لا ينطقون بحجة الثاني قال في
 رواية عطاء عمو عن النظر أي عما جعله الله تعالى لا وليائه وبكوا عن مخاطبة الله تعالى ومخاطبة
 الملائكة المقرئين صما عن ساء الله تعالى عليهم الثالث قال مقاتل انه حين يقال لهم اخسوا
 فيها ولا تكلمون يصيرون عموا بكوا صما أما قبل ذلك فهم يرون ويسمعون وينطقون الرابع
 أنهم يكونون رائيين سامعين ناطقين في الموقف ولولا ذلك لما قدروا أن يظالموا كتبهم ولأن
 يسمعون الأوامر حجة الله تعالى عليهم الأنهم إذا أخذوا يذهبون من الموقف الى النار جعلهم
 الله تعالى عموا بكوا صما قال الرازي والحواب الأول أولى لأن الآيات السابقة تدل على أنهم
 في النار يصرون ويسمعون ويعيرون ثم بين تعالى مكانهم بقوله عز وجل (ما واهم جهنم)
 تسرع عليهم (كلمات) أي أخذ لهمها في السكون عند أكلها الحومهم وجلودهم (زدناهم
 سعيرا) وقد باعادة الجلود واللحوم ملتبسة مسعرة كأنهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء
 جزاهم الله تعالى بأن لا يرزقوا الاعادة والافناء وقرأ نافع وابن كثير وعاصم وابن عامر
 باظهار تاء التانيث عند الرازي وأدغمها الباقون ثم بين علة تعذيبهم لرجوع منهم من قضى
 بسعادته بقوله تعالى (ذلك) أي العذاب العظيم (جزاؤهم بأنهم) أي أهل الضلالة (كفروا
 بآياتنا) القرآنية وغيرها وكانوا كل يوم يزدادون كفرا وهم عازمون على الدوام على ذلك
 ما بقوا (وقالوا) انكار القدرتنا (أنذا) كأعظاما ورفانا) ممزقين في الارض ثم كرروا الانكار
 كأنهم على ثقة من أمرهم هذا الذي بطلانه أوضح من الشمس بقولهم (أنت سالعونون
 خلقا جديدا) فنصرتهم جزاء على هذا الانكار المكثرا والخلق الجديد في جلودهم ولحومهم
 مكثرا كل لحظة قال تعالى كلما نصحت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليدوقوا العذاب ثم أتبعه
 بقاطع في بيان جهلهم بقوله تعالى (أولم يروا) أي يعلموا يعيرون بصائرهم على ما هو كل ربه يعيرون
 أبعصارهم لما قام عليه من الدلائل بجهته من الشواهد الجلائل (أن الله الذي خلق السموات)
 جمعها الماد على ذلك من الحسن ولما لم تكن الارض مثل ذلك أفرد هارميدا الجنس الصالح
 للجميع بقوله تعالى (والارض) على كبر أجزائها وعظم احكامها وقوله تعالى (فادري على أن
 يخلق مثلهم) فبه قولان الأول المعنى قادر على أن يخلقهم ثانيا فعبّر عن خلقهم ثانيا بلفظة المثل
 كما يقوله المتكلمون ان الاعادة مثل الابتداء الثاني أن المراد قادر على أن يخلق عبدا آخرين
 يوجدونه ويفترون بكال حكمته وقدرته وبتكرونه وذكر هذه الشبهات الفاسدة وعلى هذا
 فهو كقوله تعالى ويأت بخلق جديد وقوله تعالى ويستبدل قوما غيركم قال الواحدى والقول
 هو الاول لانه أشبه بما قبله ولما بين الله تعالى بالدليل المذكور ان البعث والقسام أمر يمكن

الوجود في نفسه أردفه بيان أن لوقوعه في الوجود وقامه لوما عند الله وهو قوله تعالى
 (وجعل لهم أجيالا ليريب) أي لاشك (فيه) وهو الموت أو الصيام (فأني الظالمون الا كفروا)
 أي بعده هذه الدلائل الظاهرة أبو الاكفر والعجود * ولما قال الكفار لن نؤمن لك حتى
 تفجر لنا من الارض ينبوعا فطلبوا اجراء الانهار والعيون في بلدتهم لتكثر أموالهم ويتسع
 عيشهم بين تعالى أنهم لوملكوا خزائن رحمة الله بقوا على بخلهم وشكهم بقوله تعالى (قل) أي
 لهؤلاء المتعنين (لو أنتم) أي دون غيركم (تملكون خزائن) عبر بصيغة منتهى الجموع لأن المقام
 جدير بالمبالغة (رحمة ربي) أي خزائن رزقه وسائر نعمه وذلك غير متناه (إذا أمسكتم) أي
 لوقع منكم الامساك عن الانفاق في بعض الوجوه التي تحتاجونها (خشيبة) أي مخافة عاقبة
 (الاتفاق) أي الموصل الى الفقر فكان المعنى انكم لوملكتم من الخير وانتم خزائن لانها يملؤها
 البقيت على الشح والدناءة وهذا مبالغة عظيمة في وصفهم بهذا الشح وقول البضاوي تعا
 للزنجشري أنهم مرفوع بفعل يفسره ما بعده قال الزنجشري تقديره لو تملكون جرى فيه على
 مذهب الكوفيين من أن لو يلبها الضلع مضرا كما يلبها ظاهرا والبصريون ينعنون ايلامها
 مضرا الا في شذوذ كقول حاتم لودات سوار لطمتني وأصل هذا المثل ان امرأة عطلاء من الحلبي
 والهيمية لطمت حاتما على نحر الناقة وقالت له بقسوة انما أردناك بقصدها والقصد عندهم
 أن يقطع عرق من عروق ثم يجمع دمه فيشرى وقبل أصله ان المرأة المذكورة لطمت رجلا
 فقال لودات سوار لطمتني لاحتملتها فصار مثلا يضرب لكرم يطمه الذي ثم استدل على صحة
 هذا المرض بالشاهد من مضمون قولهم (وكان) أي جبلة وطبعا (الانسان) أي الذي من
 شأنه الانس نفسه فهو لذلك لا يعقل الامور حتى عقلها (قتورا) أي بجيلا * (تنبه) * فمع الياه
 في ربي نافع وأبو عمر وسكنها الباقر وهم على مراتبهم في المذ (فان قيل) قد يوجد جنس
 الانسان من هو جواد كريم (أجيب) من وجوه الأقل ان الاصل في الانسان البخل لانه خلق
 محتاجا والمحتاج لا بد وأن يجلس ما به يدفع الحاجة وأن يحسكه لنفسه الا أنه قد يجوده لاسباب
 من خارج فثبت أن الاصل في الانسان البخل الثاني أن الانسان انما يذل لطلب الشاء والحد
 ويخرج عن عهدة الواجب فهو في الحقيقة ما أنفق الا لياخذ العوض فهو في الحقيقة بخل
 الثالث أن المراد بهذا الانسان المهود السابق وهم الذين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من
 الارض ينبوعا * ولما قدم سبحانه وتعالى أن أكثر الناس مجذوا الا آيات لكونه تعالى حكم
 بضلالهم ومن حكم بضلاله لا يمكن هداة شرع يسلي نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بما اتفق لمن
 قلمن الانبياء بقوله تعالى (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) أي واضحات واختلف في هذه
 الآيات فقال ابن عباس والغضائلي العصا واليد البيضاء والعقدة التي كانت بلسانه فقلها
 وقلق البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقال مجاهد وعطاء بن السوفان
 والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليدوا السنون ونقص من الثمرات وقال البقاعي
 وهي كافي التوراة العصا ثم الدم ثم الضفادع ثم القمل ثم موت البهائم ثم البرد السكار التي ازلها

الله تعالى مع النار المضطربة فكانت تهب كل ما مرت عليه من نبات وحيوان ثم الجراد
ثم القملة ثم موت الابلكار من الادميين وجميع الحيوان ثم قال وقد نظمته الهيون حفظها نقلت
عصا قبل موت البهائم ظلة * جراد دم ثم الضفادع والبرد
وموت بكور الادمي وغيره * من الحي آتاه الذي عزوان فرد

قال وكانه عذ اليمع العصا آية ولم تفرد اليدلانه ليس فيها ضرر عليهم اه وقال البيضاوي هي
العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر وتيق
الطور على بني اسرائيل وذكر محمد بن كعب القرظي الطمس والجر يدل السنين ونقص
من الثمرات وقال كان الرجل منهم مع أهله في فراشه وقد صاروا حجرين والمرأة منهم قائمة تخبز
وقد صارت حجرا وقال بعضهم هي آيات الكتاب وهي أحكام يبدل عليها ما روى عن صفوان
ان يهوديا قال لصاحبه تعالى نسأل هذا النبي فقال لا تخولنا نبي فانه لو جمع صارت له
أربعة أعين فأتياه فسألاه عن هذه الآية ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقال لا تسركوا
بالله شيئا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الابالحق ولا تزنا ولا تأكلوا الربا ولا تسحرُوا ولا تشموا
بالبري الى سلطان ليقته ولا تسرقوا ولا تقذفوا المحصنة ولا تفروا من الزحف وعلبيكم خاصة
اليهود أن لا تعبدوا في السبت فقبلوا يده وقالوا شهدناك نبي قال فنامتكم أن تبعوني قالوا
ان داود عابه أن لا يزال في ذرئته نبي وانما نضاف ان اتبعناك أن اتقتلنا اليهود وقال الرازي
علم أنه تعالى ذكر في القرآن أشياء كثيرة من معجزات موسى عليه السلام أحدها أنه تعالى أزال
العقدة من لسانه قبل في التفسير ذهب أئهم وجاء فصيحاً ثانياً انقلاب العصا حية نالها تلف
الحية جبالهم وعصيم مع كثرتها رابعها اليد البيضاء وخسة أخرى وهي الطوفان والجراد
والقمل والضفادع والدم والعاشر شق البحر وهو قوله تعالى واذا فرقنا بكم البحر والحادي
عشر الحجر وهو قوله تعالى أن اضرب بعصا الحجر والثاني عشر اطلال الجبل وهو قوله
تعالى واذا نتقنا الجبل فوهم كأنه ظلة والثالث عشر ازال المن والسوى عليه وعلى قومه
والرابع عشر وانطامس عشر قوله تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات
والسادس عشر الطمس على أموالهم حجارة من التفل والدقيق والاطعمة والدراهم والدينار
روى أن عمر بن عبد العزيز سأل محمد بن كعب عن قوله تعالى تسع آيات بينات فذكر محمد
ابن كعب في جملة التسع حل عقدة اللسان والطمس فقال عمر بن عبد العزيز هكذا يجب
أن يكون الحقبة ثم قال يا غلام أخرج ذلك الجراب فأخرجه فنفضه فاذا يبض مكسور ونصف
وجوز مكسور وفوم وعدس وحصى كلها حجارة وقوله تعالى (فأسال) أي يا أعظم خلقنا
(نبي اسرائيل) يجوز أن يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره وقرأ ابن كثير
والكسافي بفتح السين ولا همزة بعدها والباقرن يسكون السين وهمزة مفتوحة بعدها ويجوز
أن يكون الخطاب له خاصة وأمره بالسؤال لهم ليقينه كنهم مع قومهم أي فأسأل نبي اسرائيل
عامة الذين ينهوا قريشا على السؤال عن الروح كافي بعض الروايات وعن أهل الكهف فذئ

القرنين وعن حديث موسى عليه السلام والمؤمنين منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه (اذ) أى عن ذلك حين (جاءهم) أى جاء أباهم فوقع لهم من التكذيب بعد أظهر المعجزات الباهرات ما وقع لك (فقال) أى فذهب الى فرعون فأمره برسالة لهم معه فأبى فأظهره الآيات واحدة بعد أخرى فتسبب عن ذلك صدق ما يقتضيه الحال وهو أن قال (لفرعون) عتوا واستكبارا (أنى لاظنك يا موسى مسهورا) أى مخدوعا مغلوبا على عقلك فكل ما ينشأ عنك فهو من آثار السحر وهذا كما قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم ان تبعون الارجلا مسهورا وقال في موضع آخر ساحروا نهم ربما أطلقوا اسم المفعول مرين اسم الفاعل مبالغة لانه كالتحيز عن الفعل وفي الامر بسؤال اليهود تبيسه على ضلالهم ولما لم يؤمن فرعون على توأرتك الآيات وعظمها فكانه قيل فما قال موسى عليه السلام فقبل (قال) لفرعون (أقد علمت) بفتح التاء قراءة غير الكسائي وقرأ الكسائي بضمها على اخباره عن نفسه (ما أنزل هؤلاء) أى الآيات (الارباب السموات والارض) أى خالقهما ومدبرهما حال كون هذه الآيات (بصائر) أى بينات يصير بها صدق وأما السحر فانه لا يخفى انه خيال لاحقيقة له ولكلك تعاند * (تبيسه) * قوله تعالى هؤلاء الكلام عليه من جهة الهمزتين كالكلام على هؤلاء ان كتم في البقرة وقد تقدم الكلام على ذلك * ثم حكى الله تعالى ان موسى قال لفرعون (وانى) أى وان ظننتنى يا فرعون مسهورا (لاظنك يا فرعون مشهورا) أى ملعونا مطرودا ممنوعا من الخير فاسد العقل فعارضه موسى بذلك وشتان بين الظنين فان ظن فرعون كذب صرف لعناده لرب العالمين لوضوح مكابرتة للبصائر التي كشف عنها ربا الغطاء فهي أوضع من الشمس وظن موسى عليه السلام قريب الى الصفة واليقين من نظائر أماراته لان هذه الآيات ظاهرة وهذه المعجزات قاهرة ولا يرتاب العاقل أنهم من عند الله وفي أنه تعالى أظهرها لاجل تصديقي وأنت منكرها فلا يحطنك على هذا الانتكار الا الحسد والعناد والبغى والجهل وحب الدنيا ومن كان كذلك كانت عاقبته الدمار والنبور (فأراد) أى فانسبب عن هذا الذي هو موجب للايمان في العادة الا ان فرعون أراد (أن يستنزههم) أى يستخف بموسى وبين آمن معه ويخرجهم فيكفونوا كالماء اذا سال من قولهم فزال جرح اذا سال (من الارض) بالنقى والقتل للتمكن منهم كما أراد هؤلاء أن يستنزهوا منها بما هم عليه من الكفر والعناد ثم أخذ تعالى يحذرهم سطوانه بما فعل عن كان قتلهم وأكثرت منهم وأشد بقوله تعالى (فأعرقناه) أى فتسبب عن ذلك ان ردنا كيدته في نحره كما قال تعالى ولا يجين المكر السيئ الا بأهله أراد فرعون أن يخرج موسى من أرض مصر لتخلص له تلك البلاد والله تعالى أهلك فرعون وجعل تلك الارض خالصة لموسى ولقومه فأدخله البحر حين أدخل بني اسرائيل فأنجاهم وأغرق آل فرعون (ومن معه جميعا) كما جرت به سنة الله تعالى فيمن عانده بعد أن رأى الخوارق وكفر النعمة وأفرط في البغي بعد ظهور الحق فليصد هؤلاء مثل ذلك ولا سيما اذا خرج رسولنا من بين أظهرهم ففي هذه الآية وأمثالها إشارة له صلى الله عليه وسلم في ان الله تعالى يسلك به في النصرة والتمكين سبيل اخرائه من الرسل عليهم الصلاة

والسلام (وقلنا من بعده) أي الاغراق (لبنى امراةيل) الذين كانوا تحت يده أذل من العبيد
 لتقواهم واحسانهم (أسكنوا الارض) أي التي أراد أن يستقرزكم منها (فأذا جاءه) أي نجيا
 محققا (وعدا الأثرة) أي القيامة بعد ان سكنتم الارض أحبا ودفنتم فيها أمواتا (جئنا)
 أي بالنا من العظمة والقدرة (بكم) منها (لقيفا) أي بعناكم وياهم مختطفين لاحكم لاحد
 على آخر ولا دفع لاحد عن آخر على غير الحالة التي كانت في الدنيا ثم ميزنا بعضكم عن بعض
 ثم عطف سبحانه وتعالى على قوله تعالى ولقد صرتنا قولة عز وجل (وبالحق) أي من المعاني الثابتة
 التي لا مبرية فيها الا بغيره (أترئاه) فمن أي القرآن فهو ثابت لا يزول كما أن الباطل هو الذاهب
 الزائل وهذا القرآن الكريم مشتمل على أشياء لا تزول وذلك لانه مشتمل على دلائل التوحيد
 وصفات الجلال والاكرام وعلى تعظيم الملائكة وتقدير نبوة الانبياء واثبات الحشر والنشر
 والقيامة وكل ذلك مما لا يقبل الزوال ويشتمل أيضا على شريعة باقية لا يتطرق اليها النقص
 والتغيير والتحريف وأيضاً هذا القرآن تكفل الله تعالى بحفظه عن تحريف الزائغين وتبديل
 الجاهلين كما قال تعالى انما نحن نزلنا الذكروا ناله لحافظون (وبالحق) لا بغيره (نزل) هو ووصل
 اليهم على لسانك بعد انزاله عليك كما أنزلناه سواء غضا طريا محفوظا لم يطرأ عليه طارئ فليس فيه
 من تحريف ولا تبديل كما وقع في كتاب اليهود الذين سألهم قومك ثم قال تعالى (وما أرسلناك
 بأفضل الخلق بما لنا من العظمة (الأمبشرا) للمطيع (ونديرا) للعاصي من العقاب فلا عليك الا
 التبشير والاندرا لما يترحونه عليك من المعجزات فان قبلوا الدين الحق انتفعوا به والا فليس
 عليك من كفرهم شيء ثم ان الله تعالى أخبر أن الحكمة في انزال القرآن مقرراً بقوله عز وجل
 (وقرأنا) أي فصلنا وأورثنا قرأنا (فرقناه) أي أنزلناه منجما في أوقات متطاولة قال سعيد
 ابن جبيرة نزل القرآن كله ليلة القدر من السماء العليا الى السماء السفلى ثم فصل في السنين التي
 نزل فيها قال قتادة كان بين أوله وآخره عشرون سنة وقيل ثلاث وعشرون سنة والمعنى قطعناه
 آية آية وسورة سورة ولم ينزل جملة (لتقرأ على الناس) أي عامة (على مكث) أي مهل ونؤدة
 ليفهموه (ونزلناه) من عندنا بما لنا من العظمة (تنزيلا) بعضه اثر بعض مفرقا بحسب الوقائع
 لانه آمن في فصلها وأعون على الفهم لطول التأمل لما نزل من نجومه في مدة ما بين التجميع
 لفزارة ما فيه من المعاني ثم ان الله تعالى هددهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم قوله تعالى
 (قل) لهؤلاء المضلين (آمنوا به) أي القرآن (أولا تؤمنوا) فالإيمان به غير محتاج اليكم
 ولا موقوف عليكم لانكم ان آمنتم به كان الحظ لكم والالام نضروا الأأنفسكم فاختاروا
 ما تريدون فان ايمانكم بالقرآن لا يزيدكم كالا وامتناعكم منه لا يورثه نقصا نا وقوله تعالى (ان الذين
 آمنوا العلم من قبله) أي من قبل انزاله عن آمن به من بنى امراةيل تعليل له أي ان لم تؤمنوا به
 وانتم أهل جاهلية وشرك فان خيرا منكم وأفضل وهم العلماء الذين قرأوا الكتب وعلموا ما الوحي
 وما الشرائع قد آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم أنه النبي العربي الموعود في كتبهم (أذابتني
 عليهم) أي القرآن (يحمرون للاذقان) منهم زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعبد الله بن سلام

قال الزجاج الذقن جمع اللعين وكما يتسدى الانسان بالغرور الى السجود فأقرب الاشياء من وجهه الى الارض الذقن وقيل ان الاذقان كناية عن العبي والاسنان اذا بالغ عند السجود في الخشوع والخضوع وربما مسح لحيته على التراب فان العجة يبلغ في تطفيها فاذا عقرها الانسان بالتراب في حوض المبالغة فقد أتى بغاية التعظيم وقيل ان الانسان اذا استولى عليه خوف الله تعالى فرمى ساقه على الارض في معرض السجود كالغشي عليه فيكون حينئذ خروجه على الذقن فقوله يخترون للاذقان كناية عن غايته واهمه وخوفه وخشيته (فان قيل) لم قال يخترون للاذقان سجدا ولم يقل يسجدون (أجيب) بأن المقصود من ذكر هذا اللفظ مسارعتهم الى ذلك حتى كانوا يسقطون (فان قيل) لم قال يخترون للاذقان ولم يقل على الاذقان (أجيب) بأن العرب تقول اذا اختر الرجل فوقع لوجهه ختر للذقن ثم بين أن ذلك ليس سقوطا اضطراريا من كل جهة بقوله تعالى (سجدا) أي يفعلون ذلك لما يعلون من خيفته بما أوثقوا من العلم السالف وما في قلوبهم من الاذعان والخشية للرجن (ويقولون) أي على وجه التجديدا المستمر (سبحان ربنا) تزيها له عن خلف الوعد (آن) أي انه (كان) أي كونا لا يتفك (وعدر ربنا) أي المحسن اليها بالايمان وما به من وجوه العرفان (المفعولا) أي دون خلف ولا بد أن يأتي جميع ما وعد به في الكتب المترتبة وبشره من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القران عليه ومن الثواب والعقاب وهو تعريف بقرئس حيث كانوا يستمزجون بالوعد في قولهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ونحوه مما في معناه الطعن في قدرة الله تعالى القادر على كل شيء وقوله تعالى (ويخترون للاذقان يكون) كرهه لاختلاف الحال والسبب فان الاول للشك عند اغجاز الوعد والثاني لما أثر فيهم من مواضع القران حال كونهم ياكين من حشية الله (ويريدهم) أي سماع القران (خشوعا) أي خضوعا وتواضعا واين قلب ورطوبة عين * ولما طالت الكلمات في المناظرة مع المشركين ومنكري النبوات والجواب عن شبهاتهم أنبجها بيان كيف يدعون الله ويطلبونه وكيف يذكرونه في وقت الاشتغال بأداء العبودية فقال تعالى لئيبه محمد صلى الله عليه وسلم (قل) لهم (ادعوا الله أو ادعوا الرجن) واختلف في سبب نزول هذه الآية فقال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات ليلة وهو ساجدا لله يا رجن فسمعها أبو جهل وهم لا يعرفون الرجن فقال ان محمدا ينهانا أن نعبد الهين وهو يدعو الها آخرم الله تعالى يقال له الرجن فأنزل الله تعالى هذه الآية أي ان شئتم قولوا يا الله وان شئتم قولوا يا رجن وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر بالصلاة يقول يا الله يا رجن فسمعهم أهل مكة فأقبلوا عليه فأنزل الله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرجن الآية وعن ابن عباس ان ذكر الرجن كان في القرآن قليلا في أول ما أنزل وكان الذين قد أسلموا من اليهود يسوهم قلة ذلك لكثرة في التوراة كابن سلام وابن يامين وابن صوريا وغيرهم فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فنزل قوله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرجن فقال قريش ما بال محمد كان يدعو الها واحدا وهو الاثن يدعو الهين ما تعرف الرجن

الاصلح العمامة فنزل وهم يذكر الرحمن هم كانوا نزلوا وما الرحمن
 وفرح مؤمنوا هل الكتاب وهو قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفون بما أنزل اليك
 ومن الأحزاب أي مشركي قريش من ينكر بعرضه وعن ابن عباس سئل رسول الله صلى الله عليه
 وسلم عن قول الله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن إلى آخر الآية فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم هو أمان من السرقة فإن رجلا من المهاجرين تلاها حين أخذها فجمعه فدخل عليه
 سارق فجمع ما في البيت وجهه والرجل ليس بناه حتى انتهى إلى الباب فوجد الباب مردودا
 فوضع الكارة ففعل ذلك ثلاث مرات ففتح صاحب الدار فقال اني أحصن بيتي (فان قيل) اذا
 قال الرجل ادع زيدا أو عمرا فهم منه كون زيدا غير العمر وغيره فوهم كون الله تعالى غير الرحمن
 وحينئذ تقوى شبهة أبي جهل لعنه الله تعالى (أجيب) بأن الدعاء هنا معنى التسمية لا بمعنى النداء
 والتسمية تتعدى إلى المفعولين يقال دعوه زيداً ثم يترك أحدهما استغناء عنه فيقال دعوت
 زيدا والله والرحمن المراد بهما الاسم لا المسمى والتخفيف في الآية ادعوا باسم الله أو ادعوا
 باسم الرحمن أي اذكروه بهذا الاسم أو اذكروه بذلك الاسم فقوله ادعوا الله ينبه على ما لزمت في
 كرمه بحكم الوعد من افاضة الرحمة والكرم وأيضا تخصيص هذين الاسمين بالذكر يدل على
 أنهم أشرف من سائر الاسماء وتقدم اسم الله على اسم الرحمن يدل على أن قولنا الله أعظم الاسماء
 وتقدم الكلام على ذلك في تفسير بسم الله الرحمن الرحيم والتونين في قوله تعالى (أي أيا ما تدعوا)
 عوض عن المضاف اليه ومما صلة للإبهام المؤكد والمعنى أي انا تدعوا فهو حسن فوضع موضعه
 قوله تعالى (قله الاسماء الحسنى) لانه اذا حسنت أسماءه كلها حسن هذان الاسمان لانهما
 منها ومعنى كونها أحسن الاسماء أنها مستقلة بمعنى التمجيد والتقدير والتعظيم وقد قدما
 ذكر الاسماء الحسنى في الاعراف عند قوله تعالى والله الاسماء الحسنى فادعوه بها وبعض
 الاحاديث الواردة في فضلها فليراجع ووقف جزء والكسائي على الالف بعد الياء ووقف
 الباقر على الالف بعد الميم واختلف في تفسيره ونزل قوله تعالى (ولا تجهر بصلاتك ولا
 تخافت بها) فروى عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم كان يرفع صوته بالقراءة فاذا سمعه
 المشركون سبوه وسبوا من جاءه فأوحى الله تعالى اليه ولا تجهر بصلاتك فيسمعه المشركون
 فيسبوا الله تعالى عدوا بغير علم ولا تخافت بها فلا تسمع أحمياك (وابتغ بين ذلك سبيلا) وروى
 أنه صلى الله عليه وسلم طاف بالليل على دور الصحابة فكان أبو بكر رضي الله تعالى عنه يحنى
 صوته بالقراءة في صلانه وكان عمر يرفع صوته فلما جاءه النهاء وجاء أبو بكر وعمر فقال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم لا يبكركم تخفى صوتك فقال أنابى ربي وقد علم حاجتى وقال لعمر لرفع صوتك
 فقال أنزجر الشيطان وأوقط الوساوس فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يرفع صوته قليلا
 وهو أن يخفض صوته قليلا ويقل معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك
 سبيلا بأن تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار وقيل ان المراد بالصلاة الدعاء وهذا قول
 عائشة رضي الله تعالى عنها وأبي هريرة ومجاهد قالت عائشة هي الدعاء ويدعى هذا من فروعها أن

النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية إنما ذلك في الدعاء والمسئلة قال عبد الله بن شداد كان
 اعراب من بنى قيم إذا سلم النبي صلى الله عليه وسلم قالوا اللهم أوزقنا ما لا وولدا يجهرون فأترنل
 الله تعالى هذه والخاتمة خفض الصوت والسكون يقال صوت خفت أى خفيض ويقال
 للرجل إذا مات قد خفت أى انقطع كلامه وخفت الزرع إذا ذبل والمستحب من ذلك التوسط
 وهو أن يسمع نفسه كما روى عن ابن مسعود أنه قال من لم يخافت لم يسمع أذنيه وقد مدح الله تعالى
 المؤمنين بقوله تعالى والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وأمر الله تعالى
 رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال عزم من قائل ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها
 كل البسط وبعضهم قال الآية منسوخة بقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية قال الرازي
 وهو بعيد * ولما أمر الله تعالى أنه لا يذكر ولا ينادى إلا باسمائه الحسنى علم كيفية التحميد
 بقوله تعالى (وقل الحمد لله) أى الملك الأعظم ثم ذكر سبحانه وتعالى من صفات التنزيه والجلال
 وهي السلوب ثلاثة أنواع الأول قوله تعالى (الذى لم يتخذ) أى لكونه محيطا بالصفات الحسنى
 (ولدا) والسبب فيه وجوه الأول أن الولد هو الشيء المتولد من جزء من أجزاء ذلك الشيء فكل
 من له ولد فهو مركب من الأجزاء والمركب محدث والمحدث محتاج والمحتاج لا يقدر على كمال
 الانعام فلا يستحق كمال الحمد الثاني أن كل من له ولد فانه يسلك جميع النعم لولده فاذا لم يكن له
 ولد فأفاض تلك النعم على عبيده الثالث أن الولد هو الذى يقوم مقام الوالد بعد انقضائه وفناؤه
 فلو كان له ولد لكان منقضا ومن كان كذلك لم يقدر على كمال الانعام فى كل الاوقات فوجب
 أن لا يستحق الحمد على الاطلاق النوع الثانى من الصفات السلبية قوله تعالى (ولم يكن له) بوجه
 من الوجوه (شريك فى الملك) والسبب فى اعتبار هذه الصفة أنه لو كان له شريك لم يعرف حينئذ
 أن هذه النعم والمنافع حصلت منه أو من شريكه فلا يعرف كونه مستحقا للحمد والشكر النوع
 الثالث قوله تعالى (ولم يكن له ولى من الدن) أى ولم يواله من أجل مذلة به يدفها بما والاه
 والسبب فى اعتباره أنه لو جاز عليه ولى بلى أمره كان مستوجبا لا اعظم أنواع الحمد ومستحقا
 لاقسام الشكر فتنى عنه أن يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا
 أو اضطرارا أو مابعا منه ويقويه وترتب الحمد عليه للدلالة على أنه الذى يستحق جنس الحمد لانه
 كامل الذات المنفرد بالابجاد المنعم على الاطلاق وماعده ناقص عمولك نعمة أو منعم عليه ولذلك
 عطف عليه قوله تعالى (وكبره تكبيرا) أى وعظمه تعظيما على نبي اتحاد الولد والشريك والذل
 وكل ما لا يليق به وترتيب الحمد على ذلك للدلالة على أنه المستحق لجميع المحامد لكل ذاته وتفرده
 فى صفاته روى الامام أحمد فى مسنده عن معاذ الجهنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 انه كان يقول آية العز الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك الى آخر السورة وعن
 ابن عباس أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين
 يحمدونى فى السراء والضراء وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد
 رأس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم أن أفضل الدعاء الحمد لله وأفضل الذكرك لاله الا الله وعن سيرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الكلام الى الله تعالى أربع لاله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله لا يضررك بأية من بدأت أخرجه مسلم وروى أن قول العبد لله أكبر خير له من الدنيا وما فيها وعن عمرو بن شعيب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب علمه وقل الحمد لله الآية يقال أفصح الصبي في منطقة فهمه ما يقول وعن عبد الله بن كعب قال افتتحت التوراة بفاتحة سورة الانعام وختمت بحاجاة هذه السورة وأما ما رواه البيضاوي تبعه المحضري وتبعهما ابن عادل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار ألف أوقية وما تنأ أوقية فحديث موضوع

(سورة الكهف مكية)

الاواصير نفسك الآية وهي مائة وعشر آيات وألف وخمسمائة وسبع وسبعون كلمة وعدد حروفها ستة آلاف وثلثمائة وستون حرفا

(بسم الله) الذي لا كف له ولا شريك (الرحمن) الذي أقام عباده على أروضع الطرق بانزال هذا الكتاب (الرحيم) بتفضيل من اختصه بالصواب وهو قوله تعالى (الحمد لله) تقدم الكلام عليه مستقصى في أول الفاتحة (الذي أنزل على عبده الكتاب) أي القرآن رب تعالى استحقاق الحمد على أنزاله تنبيه على أنه أعظم انعامه وخص رسوله صلى الله عليه وسلم بالذكر لأن أنزال القرآن نعمة عليه على الخصوص وعلى سائر الناس على العموم أما كونه نعمة عليه فلأن الله تعالى أطلع به واسطة هذا الكتاب الكريم على أسرار علوم التوحيد والتزكية وصفات الجلال والاکرام وأسرار أحوال الملائكة والانبيا وأحوال القضاء والقدر وتعلق أحوال العالم السفلي بأحوال العالم العلوي وتعلق أحوال عالم الآخرة بعالم الدنيا وكيفية نزول القضاء من عالم الغيب وكيفية ارتباط عالم الجسمانيات بعالم الروحانيات ولا شك أن ذلك من أعظم النعم وأما كون هذا الكتاب نعمة علينا فلأنه مشتمل على التكليف والاحكام والوعود والوعيد والعقاب وبالجملة فهو كتاب كامل في أقصى الدرجات فكل أحد يتفجع به بقدر ارتباطه وفهمه فوجب عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته أن يحمده وعلى هذه النعم الجزيلة وقال تعالى على عبده لما في كمال من الوصف بالعبودية والاضافة اليه سبحانه وتعالى من الاعلام بتشريفه وإشارة الى أنه الذي أسرى به الى حضرات مجده ليريه من آياته ثم انه تعالى وصف الكتاب بوصفين الأول قوله تعالى (ولم يجعل له) أي فيه (عوجا) أي اختلافا وتناقضا كما قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وبالجملة حال من الكتاب الوصف الثاني قوله تعالى (قيما) قال ابن عباس يريد مستقيما أي معتدلا لا انحراف فيه ولا تفریط قال الرازي وهذا عندى مشكل لأنه لا معنى لتلقى الاعوجاج الا حصول الاستقامة فتفسير القيم بالمستقيم

يوجب التكرار بل الحق أن المراد من كونه فيما كونه سببا لهداية الخلق وأنه يجري مجرى
 من يكون فيما للاطفال فالارواح الشريفة كالاطفال والقرآن كالقسيم المشفق القائم
 بحالهم وقال قبل ذلك ان الشيء يجب أن يكون كاملا في ذاته ثم يكون مكمل لغيره ويجب
 أن يكون تاما في ذاته ثم يكون فوق التمام بأن ينض عن كمال الغير فقله تعالى ولم يجعل له عوجا
 اشارة الى كونه كاملا في ذاته وقوله فيما اشارة الى كونه مكمل لغيره وتظهره قوله تعالى
 في سورة البقرة في صفة الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين فقله لا ريب فيه اشارة الى كونه
 في نفسه بالعاقبة وعدم الاخلال الى حيث يجب على العاقل أن لا يرتاب فيه وقوله
 هدى للمتقين اشارة الى كونه سببا لهداية الخلق ولكمال حالهم فقله تعالى ولم يجعل له عوجا
 قائم مقام قوله تعالى لا ريب فيه وقوله تعالى فيما قائم مقام قوله تعالى هدى للمتقين واختلف
 النحويون في نصب قوله تعالى فيما على أوجه الاقول قال في الكشف لا يجوز جعله حالا من
 الكتاب لان قوله تعالى ولم يجعل له عوجا معطوف على قوله تعالى أنزل فهو داخل في حيز الصلة
 وانه لا يجوز قال ولما بطل هذا وجب أن يتصب بضمير والتقدير ولم يجعل له عوجا جعله فيما
 لانه تعالى اذا نقي عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة حال فان قلت فافائدة الجمع بين نقي العوج
 واثنان الاستقامة وفي أحدهما غنى عن الآخر قلت فائدة التأكيذ ورب مستقيم مشهوده
 بالاستقامة ولا يلحون أدنى عوج عند السبر والتصنع الوجه الثاني انه حال ثانية والجملة
 المنفية قبله حال أيضا كما مر وتعدد الحال الذي حال واحد جائز والتقدير أنزله غير جاهل له عوجا
 فيما الوجه الثالث انه حال أيضا ولكنه بدل من الجملة قبله لانه حال وابدال المفرد من الجملة
 اذا كانت بتقدير مفرد جائز * ولما ذكر تعالى أنه أنزل على عبده هذا الكتاب الموصوف بما ذكر
 أردفه بيان ما لاجله أنزله بقوله عز وجل (لينذر) أي يخوف الكتاب الكافرين (بأسا) أي
 عذابا (شديدا من لدنه) أي صادرا من عنده وقر أشعبة بالكان الدال وكسر النون والهاء وصله
 الهاء ياء والباقون بضم الدال وسكون النون وضم الهاء وابن كثير على أصله بضم الهاء
 في الوصل واو (ويشتر المؤمنين) أي الراضين في هذا الوصف وقرأ حزة والكسائي
 بفتح الباء التهمة وسكون الموحدة وضم الشين مخففة والباقون بضم التهمة وفتح الموحدة
 وكسر الشين مشددة (الذين يعملون الصالحات) وهي ما أمر به خالصه وذلك الشبان مفتاح
 الايمان (أن لهم) أي بسبب أعمالهم (أجر احسنا) هو الجملة حال كونهم (ما كنين فيه أبدا)
 بلا انقطاع أصلا فان لا بد زمان لا آخره وقوله تعالى (وينذرا الذين قالوا اتخذ الله ولدا)
 معطوف على قوله تعالى لينذر بأسا شديدا من لدنه والمعطوف يجب كونه مغايرا للمعطوف
 عليه فالأقول عام في حق كل كافر والثاني خاص بمن أثبت لله ولدا وعادة القرآن جارية بأنه
 اذا ذكر قضية كلمة معطوف عليها بعض جزئياتها تنبها على كونه أعظم جزئيات ذلك الكل
 كقوله تعالى وملائكته ورسوله وجبريل وميكال فكذا ههنا هذا العطف يدل على أن أفع
 أنواع الكفر اثبات الولد لله تعالى * (تنبيه) * الذين آمنوا لله ولدا ثلاث طوائف الاولى

كفار العرب الذين قالوا الملائكة بنات الله الثانية النصارى الذين قالوا المسيح ابن الله الثالثة
اليهود الذين قالوا عزير ابن الله * ثم انه تعالى أتذكر على الصائتين ذلك من وجهين الأول قوله
تعالى (مالهم به) أى القول (من علم) أى أصلا لأنه مما لا يمكن أن يتعلق العلم به لأنه لا وجوده
ولا يمكن وجوده ثم قرر تعالى هذا المعنى وأ كده بقوله (ولآلا بآتهم) الذين يقتبطون بتقليدهم
فى الدين حتى فى هذا الذى لا يتقبله عاقل ولو أخطوا فى تصرف ذنوبى لم يتبعوهم فيه (فان قيل)
اتخاذ الله وولده امحال فى نفسه فكيف قيل مالهم به من علم (أجيب) بأن اتقاء العلم بالنسبة قد
يكون للجهل بالطريق الموصل اليه وقد لا يكون لأنه فى نفسه محال لا يمكن تعلق العرب به وتظهير
قوله تعالى ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به الوجه الثانى (كبرت) أى مقلتهم (كلمة)
أى ما أكبرها من كلمة وصور فظاظة اجترائهم على التعلق بها بقوله تعالى (تخرج من أفواههم)
أى لم يكفهم خطورها فى أنفسهم وترذدها فى صدورهم حتى تفظوا بها ووكان صدورهم
بها على وجه التكرير كما يشير اليه التعبير بالمضارع * (تبيه) * سميت هذه كلمة كما يسمون
القصيدة كلمة * ثم بين تعالى ما أفهمه الكلام من أنه كما أنهم لاعلم لهم بذلك لاعلم لاحد به أصلا
لأنه لا وجوده فقال تعالى (آن) أى ما يقولون الا كذبا) أى قول لا حقيقة له بوجه من
الوجوده * ولما كان صلى الله عليه وسلم شديدا لحرص على ايمان قومه شفقة عليهم وغيره
على المقام الالهى الذى ملا قلبه تعظيما خفض عليه سبحانه وتعالى بقوله تعالى (فعلك باخع)
أى قاتل (نفسك) من شدة التمس والوجد وأشار تعالى الى شدة تفرتهم وسرعة مفارقتهم وعظيم
مباعدتهم بقوله عز من قائل (على آناهم) أى حين تولوا عن التوحيد وعن اجابتك (ان لم
يؤمنوا بهذا الحديث) أى القرآن المتجدد تنزيله على حسب التدرج (أسفا) منك على ذلك
والاسف شدة الحزن والغضب (فان قيل) ذلك يدل على حدوث القرآن (أجيب) بأنه محمول
على الالفاظ وهى حادثة * ثم بين سبحانه وتعالى علة ارشاده الى الاعراض عنهم بغير ما يقدر عليه
من التبليغ للشارة والندارة بأنهم لم يخرجوا عن مراده تعالى وأن الايمان لا يقدر على
ادخاله قلوبهم غيره بقوله عز وجل (انا) أى اننا نفعل ذلك لانا (جعلنا ما على الارض) من
الحيوان والنبات والشجر والانهار والمعادن وغير ذلك وقال بعضهم بل المراد الناس فهم زينة
الارض وبالجملة فليس فى الارض الا المواليد الثلاثة وهى المعادن والنبات والشجر
والحيوان وأشرف أنواع الحيوان الانسان (زينة لها) أى الارض قبل المراد أهلها
أى زينة لاهلها قال الرازى ولا يمتنع أن يكون ما تحسن به الارض زينة لها كما جعل الله السماء
زينة بالكوكب * ولما أخذ بر تعالى بزينة اخرج تعالى بقلته بقوله تعالى (تسبواهم) أى
نعامتهم معاملة المعتبر (أبهم أحسن هملا) باخلاص الحمد مقربة فيصير ما كفاهم منهم
ظاهرا فان الله تعالى يعلم السر وأخفى لتقابه عليهم العجبة على ما يتعارفونه بينهم بأن من أظهر
مواظفة الامر فيما تال من الزينة حاز المثوبة ومن اجترأ على مخالفة الامر بما آتاهم احتق
العقوبة فكأنه تعالى يقول يا محمد انى خلقت الارض وزينتها وأخرجت منها أنواع المنافع

والمصالح والمقصود من خلقها بما فيها من المنافع ابتلاء الخلق بهذه التكاليف ثم انهم يكفرون
 ويتبردون ومع ذلك فلا قطع عنهم مواد هذه النعم فأتى أيضاً بمحمد لا ينبغي أن ننهي في الحزن
 بسبب كفرهم إلى أن تترك الاشتغال بدعوتهم إلى الدين الحق * ثم انه تعالى لما بين أنه انما زين
 الارض لاجل الامتحان والابتلاء لا لاجل أن يبقى الانسان فيها متمتعاً بهم أبداً زهد فيها
 بقوله تعالى (وانالجماعون ماعليها) من جميع تلك الزينة لا يصعب علينا شيء منه (صعبداً)
 أي فماتا (جزوا) أي يا بسا لا ينبت ونظيره قوله تعالى كل من عليها فان وقوله تعالى فيذورها
 فاعاصفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وتخصيص الاهلاك على الارض يودهم بقاء الارض
 الا أن سائر الآيات على أن الارض أيضاً لا تبقى كما قال تعالى يوم تبدل الارض غير الارض
 * ولما أن القوم نجبوا في قصة أصحاب الكهف وسألوا النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل
 الامتحان قال تعالى (أم حسبت) أي ظننت على مالك من العقل الرزين والرأي الرصين (أن
 أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) على ما روي من تهويل السائلين من الكفرة
 من اليهود والعرب والواقع أنهم كانوا من المعائب ليسوا بمحبب بالنسبة إلى كثرة آياتنا فان
 من كان قادرا على تخليق السموات والارض كيف يستبعد من قدرته وحفظه ورحمته حفظ
 طائفة مدة ثلثمائة سنة وأكثر في النوم والكهف الغارا الواسع في الجبل واختلف في الرقيم
 فقيل هو اسم كلهم قال أمية بن أبي الصلت

* وليس بها الا الرقيم مجاورا *

وصيدهم (وهو بكسر الصاد مفعول مجاورا أي فناءهم) والقوم في الكهف هجد (أي نوم)
 وقيل هولوح من رصاص رقت فيه أسماءهم وقصصهم جعل على باب الكهف قال البغوي
 وهذا أظهر الاقاريل وقيل ان الناس رقاو احديتهم نقر في الجبل وقيل هو الوادي الذي فيه
 الكهف وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل أصحاب الرقيم قوم آخرون غير أصحاب الكهف
 كانوا ثلاثة يطلبون الكلاؤ ونحوه لاهلهم فأخذهم المطر فأووا إلى الكهف فأنحطت حخرة
 وسدت عليهم بابه فقال أحدهم اذكروا أيكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا بركته فقال واحد
 استعملت أجراء ذات يوم فغادر رجل منهم وسط النهار وعمل في بقمته مثل عملهم فأعطيته مثل
 أجرهم فغضب أحدهم وترك أجره فوضعت في جانب البيت فخرني بسر فاشتريت فصلة والفصيلة
 ولد الناقة اذا انفصل عن أمه فبلغت ماشاء الله فرجع إلى بعد حين شيخا ضعيفا لا يعرفه وقال
 ادقلى عندك حقاو ذكروا حق عرقته فدفعتم اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج
 عنا فانصدع عنهم الجبل حتى رأوا الضوء والصدع الشق والصداع وجع الرأس وقال آخر
 كان في فضل وأصاب الناس شدة فجاءتني امرأة تطلب مني معروفا فقلت والله ما هودون نفسك
 فأبت وعادت ثم رجعت ثلاثا ثم ذكرت ذلك لزوجها فقال أجبيني له وأعيني عيالك فأمت وسلت
 إلى نفسها فلما كسفتها وهمت بها ارتعدت فقلت لها مالك فقالت أخاف الله تعالى فقلت لها
 خفتيه في الشدة ولم أخفه في الرخا فتركتها وأعطيتها ملتمسها اللهم ان كنت فعلته لوجهك

فافرح عنافانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لي أبوان هرمان وكان لي غنم وكنت
أطعمهما وأسقيهما ثم أرجع الى غنمي فخبسني ذات يوم غيب فلم أرجع حتى أصبحت فأتيت أهلي
وأخذت محلي فخلبت فيه ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين فشق على أن أوقظهما فوقفت
حاسباً محلي على يدي حتى أيقظتهما الصبح فسقيتهما اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك الكريم
فافرح عنافرح الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك النعمان بن بشير وقد قدمنا سبب نزول قصة
أصحاب الكهف عند قوله تعالى ويستلونك عن الروح وذكر محمد بن اسحق سبب نزول هذه
القصة مشروفاً فقال كان النضر بن الحرث من شياطين قريش وكان يؤذى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وينصب له العداوة وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث رسمه واستغديار وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس مجلساً ذكر فيه الله تعالى وحذرقومه ما أصاب من كان قبلهم
من الامم وكان النضر يخلفه في مجلسه اذا قام وقال أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه
فهلوا فأنأحدثتكم بأحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ثم قال ان قريشاً بعثوه
وبعثوا معه عقبه بن أبي معيط الى ابيار يهود بالمدينة وقالوا لهم اسلاهم عن محمد وصفتهم فانهم
أهل الكتاب الاول وعندهم من العلم ما ليس عندنا من علم الانبياء فخرجوا حتى قدما بالمدينة
فسألوا ابيار اليهود عن أحوال محمد فقال لهم اليه وداووه عن ثلاثة عن قبة ذهبوا في الدهر
الاول فان حديثهم عجيب وعن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها وسأوه عن
الروح وما هي فان أخبركم فهو نبي والا فهو منقول فلما قدم النضر وصاحبه مكة فالأقصد
بجئناكم بفصل ما بيننا وبين محمد وأخبرناهم بما قاله اليه وداووا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسألوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبركم بما سألتهم عنه عند أول يستن فانصر فواعنه
فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكرون خمس عشرة ليلة لم ينزل عليه وحى وشق عليه
ذلك ثم جاءه جبريل عليه السلام من عند الله بسورة أهل الكهف وفيها معاشة الله تعالى آياته
على جراته عليهم وفيها خبر أولئك القبة وخبر الرجل الطواف ثم بدأ بالقبة فقال (اد)
أى واذا كراذ (أوى القبة) وهم أصحاب الكهف المسؤول عنهم جمع فتى وهو الشاب الكامل
والشاب أقبل الى الحق وأهدى للسبيل من الشيوخ (الى الكهف) خاتمين على إيمانهم
من قومهم الكفار واختلفوا في سبب مصرهم الى الكهف فقال محمد بن اسحق بن يسار مريح
أهل الانجيل وكثرت فيهم الخطايا وطقت فيهم الملوك حتى عبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت
وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكين بعبادة الله وتوحيده وكان من فعل ذلك من ملوكهم
ملك من الروم يقال له دقمانوس عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه وكان ينزل قري
الروم فلا يترك في قرية تزليها أحد الاقتنه عن دينه حتى يعبد الاصنام أو يقضه ثم نزل مدينة
أهل الكهف وهي افسوس فلما نزل بها كبر على أهل الايمان فاستخفوا منه وهرؤوا في كل
وجه واتخذ شرطا من الكفار وأمرهم أن يتبعوهم في أماكنهم ويخرجوهم اليه فيضيروهم
بين القتل وبين عبادة الاوثان والذبح للطواغيت ففهم من رغب في الحياة ومنهم من باى أن

يصدغرا لله تعالى فيقتل فلما رأى ذلك أهل الشدة في الايمان جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب
والقتل فيقتلون ويقطعون ثم جعل ما قطع من أجسامهم على سور المدينة من نواحيها وعلى كل
باب من أبوابها حتى عظمت القننة فلما رأى ذلك القننة حزوا حزنا شديدا فقاموا واشتغلوا
بالصلاة والصيام والدعاء والتسبيح وكانوا من أشرف المدينة ومن أشرف الروم وكانوا
ثمانية ثمان مائة تكبروا وتضرعوا الى الله تعالى وجعلوا يقولون ربنا اكشف عن عبادك المؤمنين
هذه القننة ورفع عنهم هذا البلاء حتى يهلكوا عبادك فيبصركم على ذلك وقد دخلوا مصلى
لهم أدركهم الشرط فوجدوهم سجدوا على وجوههم يكونون يتضرعون الى الله تعالى فقالوا
لهم ما خلفكم عن أمر الملك انطلقوا اليه ثم خرجوا فرجعوا أمرهم الى دقمانوس فقالوا لجمع
الناس للذبح لآلهتك وهؤلاء القننة من أهل بيتك يستترزون بك ويعصون أمرك فلما سمع ذلك
بعث اليهم فأتى بهم تفيض أعينهم من الدمع معفرة وجوههم في التراب فقال لهم ما منعكم
أن تشهدوا والذبح لآلهتنا التي تعبد في الارض وتجعلوا أنفسكم بأسوة سراة أهل مدينتكم
اختاروا امانا تذبجوا لآلهتنا واما أن أقتلكم فقال له كبيرهم واسمه مكسليمان ان لنا الهاملاء
السماوات والارض عظمت لن ندعون دونه الها أبدا له الحمد والتكبير والتسبيح من أنفسنا
خالصا أبدا يا هنعبد ويا ه نسال النجاة والخير واما الطواغيت فلن نعبدها أبدا اصنع ما يدلك
وقال أصحابه مثل ما قال فلما قالوا ذلك أمر الملك بيزع لباسهم وحلوة كانت عليهم من
الذهب والفضة وقال سأفرغ لكم وأهجز لكم ما وعدتكم من العقوبة وما عني أن أعجل لكم
ذلك الا أنى أراكم شبيا بادية أسنانكم فلا أحب أن أهلككم حتى أجعل لكم أجلا
تذكرون فيه وترجعون الى عقولكم ثم أمرهم فاخرجوا من عنده وانطلق الى مدينة أخرى
قرية منهم لبعض أموره فلما رأى القننة خروجه يادروا قدومه وخافوا اذا قدم مدبنتهم أن
يدكرهم فاتهموا بينهم أن يأخذ كل واحد منهم نفقة من بيت أبيه فيصدقوا منها ويتزودوا
بما بقي ثم انطلقوا الى كهف قريب من المدينة فيمكثوا فيه ويعبدون الله تعالى حتى اذا جاء
دقمانوس أتوه فقاموا بين يديه فيصنع بهم ما يشاء فلما قال ذلك بعضهم لبعض عدل في منسهم
الى بيت أبيه فأخذ نفقة فتصدق منها وانطلقوا بما بقي معهم واتبعهم كلب كان لهم حتى اذا أتوا
ذلك الكهف فلبثوا فيه وقال كعب الاحبار مرزوا بكب قبعتهم فطردوه فعاد قتلوا ذلك
مرارا فقال لهم الكلب ما تريدون مني لا تخشوا جناني أنا أحب أحب احاب الله عز وجل فقاموا
حتى أحرسكم وقال ابن عباس هربوا ليلا من دقمانوس وكانوا سبعة فتراخ مع كلب
فتبعهم على دينهم وتبعه كلبه فخرجوا من البلد الى الكهف وهو قريب من البلد قال ابن
اصحق فلبثوا فيه ليس لهم عمل غير الصلاة والصيام والتسبيح والتعجيبا بتجاه وجه الله تعالى
وجعلوا نفقتهم الى فتي منهم يقال له تليخا فكان يتباع لهم أرزاقهم من المدينة سرا وكان من
أجلهم وأجلدهم وكان اذا دخل المدينة يضع ميناا كانت عليه حسنا ويأخذها بابا ككتاب
المساكين الذين يستطعمون فيها ثم يأخذ ورقه وينطلق الى المدينة فيشتري لهم طعاما وشرايا

وتخصس لهم انطربهل ذكروا أصحابه بشي ثم يرجع الى أصحابه فلبشوا في ذلك ماشاء الله أن
 يلشوا ثم قدم دقيانوس المدينة وأمر عظماء أهلها أن يذبحوا للطواغيت ففزع عن ذلك أهل
 الايمان وكان تلميذا يشترى لأصحابه طعامهم فرجع الى أصحابه وهو يبكي ودهمه طعام فلبس
 لآخرهم أن الجبار قد دخل المدينة وأنهم قد ذكروا والقسموا من عظماء المدينة ففزعوا
 ووقعوا سجودا بدعون وينضرعون ويتعوذون من الفتنة ثم ان تلميذا قال لهم يا اخوتاه
 ارفعوا رؤسكم واطعموا اولادكم وادعوا اليكم فرفعوا رؤسهم وأعينهم تفيض من الدمع فطعموا
 ذلك مع غروب الشمس ثم جعلوا يصعدون ويتدارسون ويذكرون بعضهم بعضا فيمناهم كذلك
 اذ ضرب الله على آذانهم في الكهف وكلهم باسط ذراعيه بباب الكهف فأصابهم ما أصابهم وهم
 مؤمنون موقنون ونفقتهم عند رؤسهم فلما كان من الغد تفقد دقيانوس قائمتهم فلم يجدهم
 فقال لبعض عظمائه وعظماء المدينة لقد ساء في شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا لقد كانوا اذنا
 ان بي غضبا عليهم لجهلهم ما جهلوا من أمرى ما كنت لا تجهل عليهم انهم تابوا وعبدوا
 الهى فقال عظماء المدينة ما أنت بحقيق أن ترحم قوما جردة عصابة فقد كنت أجلبت لهم
 أجلا ولوشا والرجعوا في ذلك الاجل ولكنهم لم يتوبوا فلما قالوا ذلك غضب غضبا شديدا ثم
 أرسل الى آياتهم فاتي بهم فسألهم عنهم وقال أخبروني عن آياتكم المردة الذين عصفوني فقالوا له
 أما نحن فلم نعصل فلم تقبلنا بقوم مردة قد ذهبوا بأموالنا وأهلكوا في أسواق المدينة ثم
 انطلقوا فارتقوا الى جبل يدعى بنجلوس فلما قالوا ذلك خلاصتهم وجعل ما يدري ما يصنع
 بالفتية فألقى الله تعالى في قلبه أن يستجاب الكهف عليهم وأراد الله تعالى أن يكرمهم بذلك
 ويجعلهم آية لامة تستخلف من بعدهم وأن يبين لهم ان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث
 من في القبور فأمر دقيانوس بالكهف أن يستأجرهم وقال دعوهم كما هم في الكهف فيكون
 جوعا وعطشا ويكون كهفهم الذي اختاروا وقبر الهم وهو يظن أنهم أيضا يفعلون ما يصنع بهم
 وقد توفى الله ارواحهم وفاة النوم وكلهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيه ما غشيهم فطلبون
 ذات اليمين وذات الشمال ثم ان رجلين مؤمنين في بيت الملك دقيانوس يكتمان ايمانهما اتفرا أن
 يكتبان بشأن الفتية وخبرهم في لوحين من رصاص ويجعلاهما في تابوت من نحاس ويجعلاه
 التابوت في القبور وقال لعل الله يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من
 يفتح عليهم خبرهم حين يقرأ الكتاب ففعل ذلك وبنيا عليه وبني دقيانوس ما بنى ثم مات وقومه
 وقرن بعده كثيرة وقد حكى الله تعالى عنهم أنهم لما أروا الى الكهف (فقالوا) أى عقب
 استقر ارضهم فيه (ربنا آتانا من لذك) أى من عندك (رحمة) توجب لنا المغفرة والرزق والامن
 من عدوك (وهي لنا من أمرنا) أى من الامر الذى نحن علمه من مفارقة الكفار (رشدنا) الرشد
 والرشد والرشد تقيض الضلال وفي تفسير اللفظ وجهان الأقل أن التقدير هي لنا أمر اذ اردت
 أى حتى نصير بسببه راشدين مهتدين الشافى اجعل أمرنا رشدا كله كقولك رأيت منك
 رشدا * ولما أجابهم سبحانه وتعالى عبر عن ذلك بقوله تعالى (فرضنا) أى عقب هذا القول

قوله بنجلوس هذه
 في النسخ: والذ
 في حجة الحيوا
 منجلوس هـ

وبسببه (على آذانهم) مما يابغع السماع أى اغتنامهم نومة لا تنبهم الاصوات الموقظة فخذف
 المقبول الذى هو الحجاب كما يقال بنى على امرأته يريدون بنى عليها القبة ثم بين تعالى أنه انما
 ضرب على آذانهم (فى الكهف) أى المهود وهو ظرف مكان وقوله تعالى (سنين) ظرف
 زمان وقوله تعالى (عددا) أى ذوات عدد يحتمل التكثير والتقليل فان مدة لبثهم كبعض يوم
 عندهم كقوله تعالى لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقال الزجاج اذا قل الشئ فهم مقدار عدده فلم
 يمتدح الى أن يعدد واذا كثر احتاج الى أن يعدد (ثم بعناهم) أى أيقظناهم من ذلك النوم
 (النعم) أى لم مشاهدة وقد سبق نظير هذه الآية فى القرآن كثيرا منها ما سبق فى سورة البقرة
 الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وفى آل عمران ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
 وقد نهنا على ذلك فى محله (أى الحزبين) أى الفريقين المختلفين فى مدة لبثهم (أحصى
 لما لبثوا أمدا) واختلفوا فى الحزبين المختلفين فقال عطاء عن ابن عباس المراد بالحزبين الملوك
 الذين تداولوا المدينة ملكا بعد ملك وأصحاب الكهف وقال مجاهد الحزبان من القبية أصحاب
 الكهف لما يقطووا الخلق وفى أنهم كم لبثوا ويدل له قوله تعالى قال قائل منهم كم لبثتم
 قالوا لئننا لو ما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فالحزبان هما هذان وكان الذين قالوا
 ربكم أعلم بما لبثتم هم الذين علوا ان لبثهم قد تطاول وقال الضراء ان طائفتين من المسلمين فى زمان
 أصحاب الكهف اختلفوا فى مدة لبثهم * (تنبيه) * أحصى فعل ماض أى أيهم ضبط
 أمر أو فات لبثهم وأمان جهله أفعول تفضيل فقال فى الكشف ليس بالوجه السديد
 وذلك ان بناء من غير الثلاثى مجرد ليس بقياس ونحو أعدى من الحرب وأفلس من ابن المذلق
 شاذ والقياس على الساذج فى غير القرآن ممنوع فكيف به ثم قال الله تعالى (نحن) أى
 بالنامن العظيمة والقدرة الباهرة (نقص الملك) بأشرف الخلق (بأهم) أى خبرهم العظيم
 قصا لم تبسأ (بالحق) أى الصدق (أنهم قمية) أى شبان (أمنوا برهم) أى المحسن اليهم الذى
 تفرد بخلقهم ورزقهم ثم وصفهم الله تعالى بقوله (وزدناهم) بعد أن آمنوا (هدى) بما فقدناه فى
 قلوبهم من المعارف (وردنا على قلوبهم) أى قلوبنا فصار ما فيها من القوى مجتمة ما غير مبدد
 فكانت حالهم فى الجلوة حالهم فى الخلو (اذ قاموا) أى وقت قيامهم بين يدي الجبار دقيانوس
 من غيره بالآفة حين عاتبهم على ترك عبادة الاصنام (فقالوا ربنا رب السموات والارض) وذلك
 لانه كان يدعو الناس الى عبادة الطواغيت فنبت الله تعالى هؤلاء التهمة حتى عصوا ذلك الجبار
 وأقروا بروية الله تعالى وصرحوا بالبرائة من الشرك والانداد بقولهم (لن ندعوك من دونه الها)
 لان ما سواه عاجز والله (لقد قلنا اذا) أى اذ ادعونا من دونه غيره (شوطا) أى قولنا اذ بعد عن
 الحق جدا وقال مجاهد كانوا أبناء عظماء مدبنتهم فخرجوا فاجتمعوا ورواوا الميثقة من غير ميعاد
 فقال رجل منهم هو أكبر القوم انى لا بدنى نفسى شيئا ما ظن أن أحد يجده قالوا ما تجدد قال
 أجد فى نفسى أن ربي رب السموات والارض قالوا نحن كذلك فى أنفسنا فقاموا جميعا فقالوا
 وربنا رب السموات والارض وقال عطاء قالوا ذلك عند قيامهم من النوم قال الرازى وهو يعيد

لان الله تعالى استأنف قسّمهم بقوله تعالى نحن نقص عليك وقال عبيد بن عمير كان أصحاب
 الكهف قبا نامطوقين مسورين ذوى ذوائب وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا في عبد لهم
 عظيم في زى وموكب وأخرجوا معهم ألهمتهم التي بعد ونها وقد قذف الله تعالى في قلوب
 القبية الايمان وكان أحدهم وزير الملك فآمنوا وأخفى كل واحد ايمانه فقالوا في أنفسهم فخرج
 من بين أظهر هؤلاء القوم لا يصيبنا عقاب يجرمهم فخرج شاب منهم حتى انتهى الى ظل شجرة
 جلس فيه ثم خرج آخر فراه جالساً وحده فرجأ أن يكون على مثل أمره من غير أن يظهر ذلك ثم
 خرج آخر فخرجوا كلهم جميعاً فاجتمعوا فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد يكتم صاحبه
 مخافة على نفسه ثم قالوا ليخرج كل فتين فيخلوا ثم يفشى كل واحد سره الى صاحبه ففعلوا
 فاذا هم جميعاً على الايمان واذا بالكهف في الجبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض (هؤلاء قومنا)
 وان كانوا أسن منا وأقوى وأجل في الدنيا اتخذوا من دونه آلهة) أشركوهم معه تعالى
 شبهة واهية (ولاً) أى هلا (ياون عليهم بساطان) أى دليل (بين) أى ظاهر مثل مانا في نحن
 على تقرير معبودنا بالادلة الظاهرة فتسبب عن تجزهم عن دليل أنهم هم أعظم الظالمين فلذلك قالوا
 (نحن أظلم) أى لأحد أظلم (من أقرى) أى نعمد (على الله) أى الملك الاعظم (كذباً) بنسبة
 الشريك اليه تعالى ثم قال بعض القبية لبعض (واد) أى وحين (اعتزلوهم) أى قومهم
 (وما بعدون) أى واعتزلتم معبودهم وقولهم (الا الله) يجوز أن يكون استثناء منه متصلاً على
 ما روى أنهم كانوا يعقرون بالخالق ويشركون معه كما كان أهل مكة وأن يكون منقطعاً وقبل
 هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن القبية بأنهم لم يعبدوا غير الله تعالى (قاوا الى
 الكهف) أى الغار الذى في الجبل (ينشر) أى يبسط (لكم) ويوسع عليكم (ربكم) أى المحسن
 اليكم (من رحمته) ما يكفيكم به المهم من أمركم في الدارين (ويهي لكم من أمركم) أى الذى
 من شأنه أن يهكم (مرقفاً) أى مارتفقون به وتتفنون به وجزءهم بذلك خلوص بينهم وقوة
 وثوقهم بفضل الله وقرأ نافع وابن عامر بفتح الميم وكسر الفاء والباقون بكسر الميم وفتح الفاء
 قال الفراء وهما الغتان واشتقاقهما من الارتفاق وكان الكسائي لا يذكر في حرق الانسان
 الذى في اليد الأ كسر الميم وفتح الفاء والفراء يجيزه في الامر وفي اليد وقبل هما الغتان الا أن الفصح
 أقيس والكسائر أكثر والخطاب في قوله تعالى (وترى الشمس) للنبى صلى الله عليه وسلم وأكل
 أحد وليس المراد أن من خوطب بهذا يرى هذا المعنى ولكن العادة في مخاطبة تكون على هذا
 النحو ومعناه انك لو رأيت على هذه الصورة (اذا طلعت تاور) أى تبدل (عن كهفهم ذات
 آيمين) أى ناحيته (واذا غربت تقرضهم) أى تعدل في سيرها عنهم (ذات الشمال) أى فلا يقع
 شعاعها عليهم فيؤذيهم لان الله تعالى زواها عنهم وقيل ان باب ذلك الكهف كان مغنوماً
 الى جانب الشمال فاذا طلعت الشمس كانت على عيين الكهف واذا غربت كانت على شماله وقرأ
 السوسى بامالة ألف ترى المنقلبة بعد الراء الى الاصل بخلاف عنه والباقون بالفتح فى الوصل وهم
 على أصولهم فى الوقف وأبو عمرو وحجزة والكسائي بالامالة محضة وورش بين اللقطين والباقون

بالفتح وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وزاوير بتشديد الزاي وتخفيف الراء مضمومة وابن عامر
بسكون الزاي ولا ألف بعدها وتشديد الواو على وزن تجمز والباقون وهم عاصم وحجرة
والكسائي وتخفيف الزاي والواو ولا خلاف في ضم الراء * ولما بين أنه تعالى حفظهم من حر
الشمس بين أنه أنعمهم بروح الهواء وألفهم بسبعة الموضع في فضاء الغار فقال تعالى (وهم
في جحوة منه) أي في وسط الكهف ومتسعة بنا لهم برد الريح ونسيها ثم بين تعالى نتيجة هذا
الامر الغريب في النبأ المحجب بقوله تعالى (ذلك) أي المذكور العظيم (من آيات الله) أي
دلائل قدرته (من يهد الله) أي الذي له الملك كله يخلق هذه الهداية في قلبه كأصحاب الكهف
(فهو المهتد) في أي زمان كان فلن تجده مضلًا مغويًا في ذلك إشارة إلى أن أهل الكهف
جاهدوا في الله وأسلبوا وجوههم فلطف بهم وأعانهم وأرشدهم إلى نيل تلك الكرامة
السنية والاختصاص بالآية العظيمة وأن كل من سلك طريق المهتدين الراشدين فهو الذي
أصاب الفلاح واهتدى إلى السعادة وقرأ نافع وأبو عمرو بزيادة ياء بعد الدال في الوصل دون
الوقف والباقون بحذفها وقفًا ووصلًا (ومن يضل) أي يضل الله تعالى ولم يرشده كدقيانوس
وأصحابه (فلن تجده ليا) أي معنا (مرشدا) أي يرشده للعق ثم أنه تعالى عطف على
ما مضى بقية أمرهم بقوله تعالى (وتحسبهم) أي لورايتهم أي المخاطب (أيقاظًا) أي منتبهين
لأن أعينهم مفتحة للهواء لانه يكثر أن يبي لها جمع يفتق بكسر القاف (وهم رقاد) أي
نام جمع رقاد قال الزجاج لكثرة تقلبهم يظن أنهم أيقاظ والدليل عليه قوله تعالى (وتقلبهم) أي
في ذلك حال نومهم تقلبًا كثيرًا بحسب ما ينفعهم كما يكون النائم (ذات) أي في الجهة التي هي
صاحبة (اليمين) منهم (وذات الشمال) لينال روح النسيم جميع أبدانهم ولا يتأثر ما يلي الأرض
منها بطول المكث * (تنبيه) * اختلف في مقدار مدة التقلب فعن أبي هريرة أن لهم في كل عام
تقليبتين وعن مجاهد يكثرون رقادا على أيمانهم تسع سنين ثم ينقلبون على شمالكهم فيمكثون
رقادا تسع سنين وقيل لهم تقلبية واحدة في يوم عاشوراء قال الرازي وهذه التقديرات لا سبيل
للعقل اليها ولفظ القرآن لا يدل عليها وما جاء فيه خبر صحيح فكيف يعرف انتهى وهذا قلت
بحسب ما ينفعهم وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهم أفائدة تقلبهم ثلاثاً لكل الأرض
لحومهم ولا يبايهم اه قال الرازي وهذا أعجب من ذلك لانه تعالى لما قدر على أن يسلك
حياتهم ثلثمائة سنة وأكثر فلا يقدر على حفظ أجسادهم أيضاً من غير تقلب اه وهذا
ليس بحجيب لان القدرة سالحة لذلك وأكثر بحسب العادة وأما مسالك أرواحهم فهو خرق
للعادة فلا يقاس عليه (وكلمهم بأسط ذراعيه) أي يديه أي ملقيهم ما على الأرض مبسوطتين
غير مقبوضتين ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اعتمدوا في السجود ولا يسط أحدكم ذراعيه
انبساط الكلب قال المفسرون كان الكلب قد بسط ذراعيه وجعل وجهه عليه ما * (تنبيه) *
بساط اسم فاعل ماض وانما عمل على حكاية الحال والكسائي بعمله ويستشهد بالآية الكريمة
وأكثر المفسرين على أن الكلب من جنس الكلاب وروى عن ابن جرير أنه كان أسداً

ويسمى الاسد كلبا فان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن أبي لهب فقال اللهم سلط عليه
 كلبا من كلابك فاقرسه الاسد وقال ابن عباس كل كلبا أغزو اسمه قطير وعن علي اسمه ريان
 واختلف في قوله تعالى (بالوصيد) فقال ابن عباس هو باب الكهف وقيل العتبة قال السدي
 والكهف لا يكون له باب ولا عتبة وانما أراد موضع الباب والعتبة وقال الزجاج الوصيد فناء
 البيت وفناء الدار قال الشاعر

بأرض فضاء لا يستوصيدها * على ومعروف فيهما غير منكر

وقال مجاهد والضحاك الوصيد الكهف (لواطلعت عليهم) بكسر الواو على أصل التقاء
 الساكنين أي وهم على تلك الحالة (لوليت منهم) حال وقوع بصرك عليهم (فرارا) لما ألبسهم
 الله تعالى من الهيبة وجعل لهم من الجلالة تديرا منه لما أراد منهم حتى لا يصل اليهم أحد
 حتى يبلغ الكتاب أجله (ولمئت منهم رعبا) أي فزعوا واختلف في ذلك الرعب كان لماذا فقال
 الكلبي لأن أعينهم مفتحة كالسنيقظ الذي يريد أن يتكلم وهم نيام وقيل من وحشة الكلام
 وقيل لكثرة شعورهم وطول أظفارهم وتقلبهم من غير حس كالسنيقظ وقيل إن الله تعالى
 منعهم بالرعب حتى لا يراهم أحد وروى عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال غزو ناعم
 معاوية نحو الروم فررنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف
 لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم فقال ابن عباس قدم منع ذلك من هو خير منك لو اطلعت عليهم لوليت
 منهم فرارا فبعث معاوية ناسا فقال ذهبوا فاططروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم
 ريحا فأخرجتهم وقرأ نافع وابن كثير بتشديد اللام بعد الميم والباقون بتخفيفها والسوسي
 بإبدال الهمزة ياء على أصله وقضو وصلاوحزة في الوقف فقط وقرأ ابن عامر والكسائي
 رعبا ضم العين والباقون بسكونها (وكذلك) أي كما فعلنا بهم ما ذكرنا آية (بعثناهم) أي
 أيقظناهم آية (ليتساءلوا بينهم) أي ليسأل بعضهم بعضا عن أحوالهم في نومهم ويقظتهم
 فيتعرفوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله تعالى وليستبصروا
 بدأمر البعث ويشكروا ما أنعم الله به عليهم (قال قائل منهم) مستفهما من اخوانه (كم لبئتم)
 نايمين في هذا الكهف من ليلة أول يوم وهذا يدل على أن هذا القائل استشعر طول لبثهم عما
 رأى من هيبتهم أو بغير ذلك من الامارات (قالوا البتة أيوما أو بعض يوم) لانهم دخلوا
 الكهف طلوع الشمس وبعثوا آخر النهار فلما رأوا الشمس باقية قالوا أو بعض يوم فلما نظروا
 الى طول أظفارهم وشعورهم (قالوا اربكم أعلم بالئتم) فأحالوا العلم على الله تعالى قال ابن
 عباس القائل ذلك هو رئيسهم فليضار دعلم ذلك الى الله تعالى وعلم أن مثل هذا التفسير لا يحصل
 الا في الايام الطويلة وقرأ نافع وابن كثير وعاصم باظهار الناء الثالثة عند المشئة والباقون
 بالادغام ثم لما علموا أن الامر ملتبس عليهم لا طريق لهم الى عمله أخذوا فاعياهم بهم وقالوا
 (فابعثوا أحدكم يورقكم هذه) أي بفضلكم وقرأ أبو عمر وشعبة وحزرة بسكون الراء والباقون
 بكسر ها والورق اسم للفضة سواء كانت مضر وبه أم لا ويدل عليه ما روى أن غر فجة اتخذ

أنفاس ورق ويقال لها الرقة وفي الحديث في الرقة ربع العشر (إلى المدينة) أى التى خرجت
 منها وهى مدينة طرسوس وهذه الآية تدل على أن السعى فى أمساك الزاد أمر مهم مشروع
 وأنه لا يسلط التوكل على الله تعالى إذ حقيقة التوكل على الله تعالى تهيمته الأسباب واعتقاد
 أن لا مسبب للأسباب إلا الله تعالى فعمل النفقة وما يصلح المسافر هو رأى المتوكلين على الله دون
 المتوكلين على الانقادات على ما فى أوعية القوم من النفقات ومنه قول عائشة رضى الله تعالى
 عنها لمن سألها عن محرم يشد عليه هيمانه أو وثق عليك نفقتك وما حكى عن بعض صلحاء العلماء
 أنه كان شديد الحب إلى أن يرزق حج بيت الله الحرام وعلم منه ذلك فكانت مياسراً أهل بلده كلما
 عزم قوم على حج أتوه أن يحجوا به وألحوا عليه فيعتذرا بهم ويحمد الهيم بذلهم فإذا انفضوا عنه
 قال لمن عنده ما لهذا السفر الأشيان شد الهيمان والتوكل على الرحمن (فلينظروا بها أركى
 طعاماً) قال ابن عباس يريد ما حل من الذبائح لأن عامة أهل بلادهم كانوا مجوساً وفيهم قوم يحفون
 إيمانهم وقال مجاهد كان ملكهم ظالمًا فقولهم أيها أركى طعاماً أى أيها أبعده عن الغصب وكل
 سب حرام وقيل أيها أطيب وأذوقيل أيها أرخص قال الزجاج قولهم أيها رافع بالابتداء
 وأركى خبره وطعاماً تمييز ولا بدتهما من حذف أى أى أهلها أركى أى أحل وقيل لا حذف
 والضمر عائداً عن الأفعمة المدلول عليهما من السياق (فليأتكم) ذلك الأحد (برزق منه)
 لنا كل (وليتأطف) أى وليكن فى ستروكتمان فى دخول المدينة وشراء الأفعمة حتى لا يعرف
 (ولا يشعرون) أى ولا يخبرن (بكم أحداً) من أهل المدينة (أنهم) أى أهل المدينة (ان يظهروا)
 أى يظهروا عاين (عليكم يرجوكم) أى يقتلوكم والرجم معنى القتل كثير فى القرآن كتوله
 ولولا رهلك لرجناك وقوله لا يرجنك وقوله أن ترجون وقال الزجاج أى يقتلوكم بالرجم
 والرجم أخص أنواع القتل (أو يعيدوكم فى ملتهم) ان لنتم لهم (ولن تغلخوا إذا) أى ان
 رجعت إلى ملتهم (أبداً) بل تكونوا خاسرين قال بعض العلماء ولا خوف على المؤمن الفاتر
 يدينه أعظم من هذين الأمرين أحدهما ما فيه هلاك النفس وهو الرجم الذى هو أخص أنواع
 القتل والأخر هلاك الدين (فان قيل) أليس انهم لو أكرهوا على الكفر حتى أظهروا الكفر
 لم يكن عليهم مضرة فكيف قالوا ولن تغلخوا إذا أبداً (أجيب) بأنهم خافوا أنهم لو بقوا على الكفر
 مظهريه لقتلهم فبذلك إلى الكفر الحقيقى فكان خوفهم سبب هذا الاحتمال (فان قيل)
 ما النكته فى العدول عن واحدكم إلى أحدكم وكل ذلك دال على الوحدة (أجيب) بأن النكته فيه
 أن العرب إذا قالوا أحد القوم أرادوا به فرداً منهم وإذا قالوا واحد القوم أرادوا رئيسهم
 والمراد فى القصة أى واحد كان والقرآن الكريم أنزل بلغتهم فرامى مارعوا (وكذلك)
 أى ومنسل ما فعلنا بهم ذلك الأمر العظيم من الربط على قلوبهم والستر والحماية من الطالين لهم
 والحفظ لأجسادهم على عمر الزمان وتعاقب الحدثان وغير ذلك (أعترنا) أى أطلعنا غيرهم
 (عليهم) يقال عثر على كذا علمته وأصله أن من كان غافلاً عن شئ فعثر به نظر إليه فعرفه فكان
 العثر سبباً للحصول العلم فأطلق السبب على السبب بقوله تعالى (ليعلموا) متعلقاً بأعترنا

والضخيرة قيل يعود على مقعول أعثرنا المحذوف تقديره أعثرنا الناس وقيل يعود الى أهل الكهف وهذا هو الظاهر (أن وعد الله) الذي له صفات الكمال بالبعث للروح والجنه معا (حق) لأن قيامهم بعد نومهم يتقبلون نيفا والثمانية سنة مثل من مات ثم بعث قال بعض العارفين علامة القظة بعد النوم علامة البعث بعد الموت * ولما كان من الحق ما قديدا خله شك قال تعالى (وَأَنْ) أي وليعلموا أن (الساعة) أي آية (لأريب) أي لاشك (فيها) * (تنبيه) * اختلف في السبب الذي عرف الناس واقعة أصحاب الكهف فقال محمد بن اسحق أنه لما تلك البلاد رجل صالح يقال له تندوسيس فلما ملك بقي في ملكه ثمانية وستين سنة فتحزب الناس في ملكته فكانوا أحرابا منهم من يؤمن بالله ويعلم أن الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح فبكي واضرعى الى الله تعالى وحزن حزنا شديدا لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق ويقولون لاحياة الالذنيا وانما تعبت الارواح ولا تعبت الاجساد وجعل الملك يرسل الى من يظن فيهم خيرا وأنهم أمم في الخلق فلم يقبلوا منه وجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا يخرجون الناس عن الحق وملة الخواريين فلما رأى ذلك الملك دخل بيته وأغلق بابه عليه ولبس مسحا وجعل تحته رمادا اجلس عليه ودأب ليله ونهاره زمانا يضرع الى الله تعالى ويكي أي رب قدرتي اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم ثم أن الله تعالى يكره هلكة عباده أراد أن يظهر على القبية أصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم ويجعلهم آية وجة عليهم ليعلموا أن الساعة آية لا ريب فيها ويستجيب لعبده تندوسيس ويتم نعمته عليه وأن يجمع من كان يتدمن المؤمنين وألقى الله في نفس رجل من تلك البلاد الذي فيه الكهف أن يهدم ذلك البنيان الذي على فم الكهف فيسبى به حظيرة الغنم فاستأجر غلامين فجعلوا ينزغان تلك الحجارة ويندان تلك الحظيرة حتى اذا نزعوا على فم الكهف وفتح باب الكهف أذن الله تعالى ذوالقدرة والساطان يحيي الموق للقبية أن يجلسوا بين ظهري الكهف فجلسوا وفرحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض كأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يسيقظون لها اذا أصبحوا من ليلتهم ثم قاموا الى الصلاة فصلوا كالذي كانوا يفعلون لا يرى في وجوههم ولا في ألوانهم شيء يكرهونه كهيئتهم حين رقدوا وهم يرون أن ملكهم دقيانوس في طلبهم فاما قضاة اصلا تهم قالوا التملحيا صاحب نفقتهم اتنا بما قال الناس في شأننا عسبة أمس عند الجبار وهم يظنون أنهم رقدوا كععض ما كانوا يرقدون وقد تخيل لهم أنهم قد ناموا أطول ما كانوا ينامون حتى نساءوا لو بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبنتنما قالوا البنايونا ما أربعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبنتنم وكل ذلك في أنفسهم وسبقوا لهم تملحيا القسم بالمدينة وهو يريد أن يؤتى بكم اليوم فتذبحون للطلو اغتبت أو يقتلكم فشاها الله بعد ذلك فعل فقال لهم مكليننا يا اخواناه اعلوا أنكم ملاقوا الله فلا تكفروا بعد ايمانكم اذا دعاكم عدو الله ثم قالوا تملحيا انطلق الى المدينة فتسمع ما يقال لنا بما وما الذي يذكركم عند دقيانوس وتلطف ولا تشعرت بك أحدا وابتع لنا طعاما واتنا به وزدنا على الطعام الذي جئتنا به فقد أصبحنا

قوله يقال له تندوسيس الذي في حياة الجبارين قال تارودوسوس فليتر ٥٥

جينا عافعل تملجنا كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التي كان يشكر فيها وأخذورفا
 من نفقتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس وكانت كخفاف الربيع فانطلق تملجنا
 خارجا فلما مر سباب الكهف رأى الحجارة منزوعة عن باب الكهف ففجبه منها ثم وتولى يال بها
 حتى أتى باب المدينة مستخفيا بصدع الطريق متخوفا أن يراه أحد من أهلها فيعرفه ولا يشعر
 أن دقيانوس وأهله قد هلكوا قبل ذلك بثلاثمائة سنة فلما أتى تملجنا باب المدينة رفع بصره فرأى
 فوق ظهر الباب علامة تكوّن لاهل الايمان اذا كان أمر الايمان ظاهرا فلما رأى عجب
 وجعل ينظر اليها مستخفيا وينظر بيننا وشمالا ثم ترك الباب وتحوّل لباب آخر من أبوابها فرأى
 مثل ذلك فجعل يخيل اليه أن المدينة ليست بالتي كان يعرفها ورأى ناسا كثيرا محدثين لم يكن
 رأيهم قبل ذلك فجعل عيشى ويتعجب ويخيل اليه أنه حيران ثم رجع الى الباب الذي أتى منه
 فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول يا ليت شعري ما هذا أتعاشية أمس فكان المسلمون
 يخجلون هذه العلامة ويستخفون بها رأيا ما اليوم فانها ظاهرة لعلى حاتم ثم رأى أنه ليس بنائم
 فأخذ بكسائه فجعله على رأسه ثم دخل المدينة فجعل عيشى بين ظهري سوقها فيسمع ناسا يحلفون
 باسم عيسى بن مريم فزاده فرقا ورأى أنه حيران فقام مسندا ظهره الى جدار من جدران
 المدينة ويقول في نفسه والله ما أدري ما هذا أتعاشية أمس فليس على وجه الارض انسان
 يذكر عيسى بن مريم الا قتل وأما اليوم فأسمع كل انسان يذكر عيسى ولا يخاف ثم قال في نفسه
 لعل هذه ليست المدينة التي أعرف والله ما أعلم مدينة يقرب مدينة اقسام كالخيران ثم لم يفتى
 فقال له ما اسم هذه المدينة يا فتى فقال اسمها أفسوس فقال في نفسه لعل بي مسأ وأمرأ
 أذهب عقلي والله يحق لي أن أسرع الخروج منها قبل أن أخزى فيها أو يصدني شر فأهلك ثم
 انه أفاق فقال والله لو بعمت الخروج من هذه المدينة قبل أن يقطن بي لكان أكيس فذنا من
 الذين يبيعون الطعام فأخرج الورق التي كانت معه فأعطاها رجلا منهم فقال بعني بهذا
 الورق طعاما فأخذها الرجل فنظر الى ضرب الورق ونقشها ففجبه منها ثم طرحها الى رجل من
 أصحابه فنظر اليها ثم الى آخر ثم جعلوا يطارحونها بينهم من رجل الى رجل ويتعجبون منها ثم
 جعلوا يتشاورون بينهم ويقول بعضهم لبعض ان هذا أصاب كثيرا محبنا في الارض منذ زمان
 ودهر طويل فلما رأهم تملجنا يتشاورون من أجله فرق فرقا شديدا وجعل يرتعدو ويطن أنهم
 فطنوا به وعرفوه وانهم انما يريدون أن يذهبوا به الى ملكهم دقيانوس وجعل أناس آخرون
 يأتونه فيتعرفونه فقال لهم وهو شديد الفرق أفضلوا على قد أخذتم ورتي فأمسكوها وأما
 طعامكم فليس لي حاجة في فقالوا من أنت يا فتى وما شأنك والله لقد وجدت كثر من كنوز
 الاولين وأنت تريد أن تخفيه اطلق معنا وأرنا وشاركنا فيه تخف عليك ما وجدت وانك ان لم
 تفعل نأت بك السلطان فنسلك اليه فيقتلك فلما سمع قولهم قال ما وجدت شيئا وقال قد
 وقعت في كل شيء أحذر منه فالوايا فتى أنك والله لا تستطيع أن تكتم ما وجدت فجعل تملجنا
 لا يدري ما يقول لهم وخاف حتى انه لم يرد اليهم جوابا فلما رأوه لا يشكلم أخذوا كساه وطرحوه

في عنقه وجعلوا يقودونه في سكك المدينة حتى سمع من فيها فقبل أخذ رجل عنده كز واجتمع
 عليه أهل المدينة صغيرهم وكبيرهم فجعلوا يتطرون اليه ويقولون والله ما هذا الفتي من أهل
 هذه المدينة وما رأينا به قط وما نعرفه بفعل تملخنا ما يدري ما يقول لهم فلما اجتمع عليه أهل المدينة
 وكان متبصراً أن أباه واخوته في المدينة وأنه من عظماء أهلها وانهم سميأونه إذا سمعوا به فبينما
 هو قائم كالمديران يتطرمي بأبيه بعض أهله فيخلصه من بين أيديهم إذا ختطفوه وانطلقوا به الى
 رئيسي المدينة ومدبريه اللذين يدبران أمرها وهما رجلان صالحان اسم أحدهما اريوس واسم
 الآخر اسطيوس فلما انطلقوا به اليهما ظن تملخنا انه ينطق به الى دقيانوس الجبار فجعل يلتفت
 يمينا وشمالا وجعل الناس يسخرون منه كما يسخرون من الجنون وجعل تملخنا يكي ويرفع رأسه
 الى السماء وقال اللهم اله السماء واله الارض أفرغ اليوم على صبرا وأولج معي روحا منك
 تؤيدني به عند هذا الجبار وجعل يقول في نفسه فترق ما بيني وبين اخوتي باليتهم يعلمون ما لقيت
 وباليتهم يا توتي فنقوم جميعا بين يدي هذا الجبار فانا كانوا افضنا على الايمان بالله سبحانه وتعالى
 وأن لا نشرك به شيئا ولا نتفرق في حياة ولا موت فلما انتهى به الى الرجلين الصالحين ورأى انه لم
 يذهب به الى دقيانوس أفاق وسكن عنه البكاء فأخذ اريوس واسطيوس الورق فنظرا اليها وعجبا
 منها ثم قال أحدهما أين الكثر الذي وجدت يا فتى فقال تملخنا ما وجدت كزاولكن هذا ورق
 اباقى ونقش المدينة وضربها ولكن والله ما أدري ما شأني وما أقول لكم فقال أحدهما عن أنت
 فقال تملخنا أما أنا فكنيت أرى أني من أهل هذه المدينة فالواغن أبوك ومن يعرفك بها فأبأ بهم
 باسم أبيه فلم يجذوا أحدا يعرفه ولا أباه فقال له أحدهما أنت رجل كذاب لاتأيتنا بالحق فلم يدرك
 تملخنا ما يقول لهم غير أنه تكسر بصره الى الارض فقال بعض من حوله هذا رجل مجنون وقال
 بعضهم ليس بمجنون ولكنه يحقق نفسه عما حتى نقلت منكم فقال له أحدهما ونظرا اليه نظرا
 شديدا أنظن أننا نرسلك وأن صدقك بأن هذا مال أليك ونقش هذه الورق وضربها أكثر من ثلثمائة
 سنة وأنت غلام شاب وتظن أنك تأفكنا ونسخر بنا ونحن شيوخ وشعث كما ترى وحولك سراة هذه
 المدينة وولاية أمرها وخزائن هذه البلدة بأيدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار
 وانى لا ظننى سأمر بك فتعذب عذابا شديدا ثم أوثقك حتى تعترف بهذا الكثر الذي وجدته
 فلما قال ذلك قال لهم تملخنا أبتوني عن شئ سألكم عنه فان علمت صدقتكم عما عندى فقالوا
 سل لانك تعلم شئ قال ما فعل الملك دقيانوس قالوا ليس نعرف اليوم على وجه الارض ملكا
 يسمى دقيانوس ولم يكن الامم كاهلك منذ زمان ودهر طويل وهلكت بعده قرون كثيرة فقال
 تملخنا في اذا الحيران وما هو بصدق أحدمن الناس بما أقول لقد كذفتي وان الملك أكرهنا على
 عبادة الاوثان والذبح للطواغيت فهر بنا منه عشيبة أمس فتمنا فلما اتبهننا خرجت لا شترى طعاما
 وأن تجسس الاخبار فاذا أنا كما ترون فانطلقوا معي الى الكهف الذي في جبل بفيلوس اريكم
 أمضاني فلما سمع اريوس ما يقول تملخنا قال يا قوم لعل هذه آية من آيات الله تعالى جعلها الله
 تعالى لكم على يده هذا الغلام فانطلقوا يسمعه ليرينا أصحابه فانطلق معه اريوس واسطيوس

ومعهما جميع أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا اليهم فلما رأى
 القتيبة أصحاب الكهف تملخا قد احتبس عنهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذي كان يأتي فيه
 فظنوا أنه قد أخذ وذهب به إلى ملكهم دقيانوس فبينما هم يظنون ذلك ويتحققونه إذ سمعوا
 الاصوات وجلبة الخيل مصعدة عندهم فظنوا أنهم رسل الجبار دقيانوس بعث اليهم لساؤلهم
 فقاموا إلى الصلاة وسلم بعضهم على بعض وأوصى بعضهم بعضا وقالوا انطلقوا بنا نأتأخانا تملخا
 فانه الآن بين يدي الجبار وهو ينتظرنا حتى نأتيه فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس على هذه
 الحالة إذا هم باريوس وأصحابه وقوف على باب الكهف فسبقهم تملخا ودخل وهو يبكي فلما
 رأوه يبكي بكوا معه ثم سألوه عن خبره فقص عليهم الخبر كله ففرقوا عنهم كانوا يسأما بأمر الله
 تعالى ذلك الزمن الطويل وانما أقطوا ليكونوا آية للناس وتصديقا للبعث ويعلم الناس أن
 الساعة آتية لا ريب فيها ثم دخل على اثر تملخا اريوس فرأى تابوتا من نحاس محتويا جناحتهم من
 فضة فقام بباب الكهف ثم دعا رجالا من عظماء أهل المدينة ففتح التابوت عندهم فوجد فيه
 لوحين من رصاص مكتوب فيهما مكلميننا ومخشلميننا وتلخينا ومطرونس وكشطونس وبرونس
 وبيطونس كانوا قتيبة هريرومان ملكهم دقيانوس الجبار مخافة أن يقتلهم عن دينهم فدخلوا
 هذا الكهف فلما أخبر بكانهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وانما كتبنا أسماءهم
 وخبرهم ليعلم من بعدهم ان عز عليهم فلما قرؤهم عجبوا وحمدوا الله تعالى الذي أراهم آية البعث
 فيهم ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله تعالى ونسبهم ثم دخلوا على القتيبة الكهف فوجدوهم جلوسا
 مشرقة وجوههم لم تبتل ثيابهم فخر اريوس وأصحابه سجدوا وحمدوا الله تعالى الذي أراهم
 آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضا وبأبأهم القتيبة عن الذي لقوه من ملكهم دقيانوس ثم ان اريوس
 وأصحابه بعثوا يريدوا إلى ملكهم الصالح تندوسيس أن يجعل لعلاك نظرا إلى آية من آيات الله
 جعلها الله تعالى على ملكك وجعلها آية للعالمين ليكون لهم نورا وضياء وتصديقا للبعث فأجمل
 إلى قتيبة بعثهم الله تعالى وكان قد توفاهم منذ أكثر من ثلثمائة سنة فلما أتى الملك الخبر قام ورجع
 إليه عظه وذهب همه فقال أجد الله رب السموات والارض وأعبدك وأسجدك وتطولت
 على ورجعتي فلم تطفى النور الذي جعلته لآبائي وللعبد الصالح قسطي طينوس الملك فلما نبى به
 أهل المدينة ركبوا إليه وساروا معه حتى أتوا مدينة افوس فتلقاهم أهل المدينة وساروا معه
 نحو الكهف فلما صعد الجبل ورأى القتيبة تندوسيس فرحوا به وخرتوا وسجدوا على وجوههم وقام
 تندوسيس قد أمهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الارض يسبحون الله تعالى
 ويحمدونه ثم قالوا هل ننتدو دعك الله السلام عليك ورجة الله وبركاته وحفظك وحفظ ما بك
 ونعبدك بالله من شر الانس والجن فبينما الملك قائم إذ رجعوا إلى مضاجعهم فناموا وتوفى الله
 أنفسهم وقام الملك تندوسيس اليهم فجعل ثيابه عليهم وأمر أن يجعل كل رجل منهم في تابوت من
 ذهب فلما أمسى ونام أتوه في المنام وقالوا له انالم تخلق من ذهب ولا فضة ولكن خلقنا من تراب
 وإلى التراب نصير فارتكنا كما كافي الكهف على التراب حتى يبعثنا الله تعالى منه فأمر الملك

حينئذ يتابوت من ساج فجعلوا فيه وجيهم الله تعالى حين خرجوا من عندهم بالرعب فلم يقدر أحد
على أن يدخل عليهم وقيل إن عليهما محل إلى الملك الصالح قال له الملك من أنت قال أنا رجل من
أهل هذه المدينة وذكر أنه خرج أمس أو منذ أيام وذكر منزله وأقواما لم يعرفهم أحد وكان الملك
قد سمع أن قتيبة فقدوا في الزمان الأول وإن أسماءهم مكتوبة على لوح في خزائنه فدعا بالوحي
فنظر في أسماءهم فاذا اسمه مكتوب في ذكر أسماء الآخرين فقال عليهما اسمي فلما سمع الملك
ذلك ركب هو ومن معه من القوم فلما أتوا باب الكهف قال عليهما دعوني حتى أدخل على أصحابي
وأبشرهم فانهم سمعوا أن رؤسهم معي أرعبتوهم فدخل فبشرهم فقبضت روحه وأرواحهم وأغشى
على الملك وأصحابه أثرهم فلم يهدوا عليهم * ثم وقع التنازع في أمرهم بين أهل المدينة كما قال
تعالى (اذينازعون) أي أهل المدينة (بينهم أمرهم) أي أمر الفتنة في البناء حولهم (فقالوا)
أي الكفار (إنوا عليهم) أي حولهم (بنينا) يسترهم فانهم كانوا على ديننا وقوله تعالى
(رجبهم أعلمهم) يجوز أن يكون من كلام الله تعالى وأن يكون من كلام المتنازعين فيهم (قال
الذين غلبوا على أمرهم) أي أمر القسبة وهم المؤمنون (التيخذن عليهم) أي حولهم (مسجدا)
يصلى فيه وفعل ذلك على باب الكهف وقيل إن بعضهم قال الأولى أن تستدبأ الكهف عليهم
لئلا يدخل أحد عليهم ولا يقف على أحوالهم إنسان وقال الآخرون بل الأولى أن نبني على باب
الكهف مسجدا وهذا القول يدل على أن أولئك الأقوام كانوا عارفين بالله ومعترفين بالعبادة
والصلاة وقيل تنازعا في مقدار مكنهم وقيل في عددهم وأسمائهم * (تنبيه) * فيما يجوز
أن يكون مفعولا به جمع بنائة وأن يكون مصدرا * ولما ذكر أصحاب الكهف عند النبي صلى
الله عليه وسلم وقع الاختلاف في عددهم كما قال تعالى (سبعولون) أي الخائضون في قصتهم من
أهل الكتاب والمؤمنين فقال بعض أهل الكتاب (ثلاثة رابعهم كلهم) أي هم ثلاثة رجال
ورابعهم كلهم بانضمامهم (ويقولون) أي بعضهم (خمس سادسهم كلهم) فهذا القولان
لنصارى نجران وقيل الأول قول اليهود والثاني قول النصارى (فان قيل) لم جاءت سبعين
الاستقبال في الأول دون الآخرين (أجيب) بأن في ذلك وجهين أن تدخل الآخرين في حكم
السبعين كما تقول قدامك وأنت تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا وأن تريد فعل معنى الاستقبال
الذي هو صالح له * ولما كان قولهم ذلك بغير علم كان (رجبا بالغيب) أي ظنا في الغيبة عنهم
فهو يرجع إلى القولين معا ونصب على المفعول له أي لظنهم ذلك (ويقولون) أي المؤمنون
(سبعة وثامنهم كلهم) قال أكثر المفسرين هذا الأخير هو الحق ويدل عليه وجوه الأول أنه
تعالى لما حكى قوله ويقولون سبعة وثامنهم كلهم قال بعده (قل رب أعلم بعتهم ما يعلمهم الأقليل)
وأصبح القولين الأولين بقوله تعالى رجبا بالغيب وتخصيص الشيء بالوصف يدل على أن الحال
في الباقي بخلافه فوجب أن يكون المخصوص بالظن الباطل هو القولان الأولان وأن يكون
القول الثالث محالهما في كونه رجبا بالغيب الوجه الثاني أن الواو في قوله تعالى وثامنهم هي
الواو التي تدخل على الجملة الواقعة مفعولا للشكرك كما تدخل على الواقعة حالا من المعرفة في نحو

قولك جاءني رجل ومعهُ آخرون كيد للصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها
 أمر ثابت مستقر فكانت هذه الواو الة على أن الذين كانوا في الكهف كانوا سبعة وثامنهم كلهم
 وقول محمد بن اسحق انهم كانوا ثمانية مردود فكان أن الله تعالى حكى اختلافهم وتم الكلام عند
 قوله ويقولون سبعة ثم حقق هذا القول بقوله تعالى وثامنهم كلهم والثامن لا يكون الا بعد
 السبع وهذه الواو يسمونها واو الثمانية لان العرب تعد تقول واحداً اثنين ثلاثة أربعة خمسة
 ستة سبعة وثمانية لان العقد كان عندهم سبعة كما هو اليوم عند ناعشرة ونظير هذه الآية في
 ثلاث آيات وهو قوله تعالى والناهون عن المنكر وقوله تعالى حتى اذا اجازوها فقصت ابوابها
 لان ابواب الجنة ثمانية وابواب النار سبعة وقوله تعالى ثياباً وبأكراً قال القفال وقولهم
 واو الثمانية ليس بشئ يدل على قوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن
 المهيمن العزيز الجبار المتكبر ولم يذكر الواو في النعت الثامن ا هـ وقد يجاب بأن ذلك جرى على
 الغالب الوجه الثالث أنه تعالى قال ما يعلمهم الا قليل وهذا يقتضى أنه حصل العطف بعدتهم لذلك
 القليل وكان ابن عباس يقول أنا من أولئك العدد القليل وكان يقول انهم سبعة وثامنهم كلهم
 وكان على رضى الله تعالى عنه يقول كانوا سبعة قال الرازى وأسماءهم تخليفاً مكشليفاً مثلنا
 وهؤلاء الثلاثة كانوا أصحاب بين الملك وعن يساره مرنوش وديرنوش وشاذنوش وكان الملك
 يستشير هؤلاء الستة ليتصرفوا في مهماته والسابع كسقططوش وهو الراعى الذى وافقهم لها
 هر بوا من ملكهم وروى عن ابن عباس أنه قال هم مكشليفاً وتخليفاً ومرطونس وديرنوش
 ودونواقس وكسقططونس وهو الراعى واسم كلهم قطمير واسم مدينهم أنفوس * (تبيينه) *
 في الآية حذف والتقدير سيقولون هم ثلاثة كما تقدم تقديره حذف المبتدأ الدلالة الكلام عليه
 وقيل الاقوال الثلاثة لاهل الكتاب والقليل منهم أى ولا علم بذلك الا لقليل منهم وأكثروهم على
 الظن * ثم انه تعالى لما ذكر هذه القصة أجمعها بأن نهي رسوله صلى الله عليه وسلم عن شئين عن
 المرء وعن الاستفتاء أما النهى عن المرء فبقوله تعالى (لا تخار) أى تجادل (فيهم) أى فى شأن
 القضية (الامرأه) أى جد الا (ظاهراً) أى غير متعمق فيه وهو أن تنص عليهم ما فى القرآن
 من غير أن تكذبهم فى تعيين ذلك العدد ونظيره قوله تعالى ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالحق
 أحسن وأما النهى عن الاستفتاء فقوله تعالى (ولا تستفت فيهم) أى ولا تسأل (منهم) أى من
 أهل الكتاب اليهود (أحداً) عن قصتهم سؤال مسترشد لانه لما ثبت أنه ليس عندهم علم فى هذا
 الباب وجب المنع من استفتائهم وفيما أوحى اليك مندوحة عن غيره ولا سؤال متعنت تريد
 تفضيح المسؤل عنه وتزييف ما عنده فانه يحل بمكارم الاخلاق * ولما سأل أهل مكة عن خبر أهل
 الكهف فقال النبي صلى الله عليه وسلم أخبركم به غداً لم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحي عنه
 خمسة عشر يوماً وفى رواية أخرى أربعين يوماً نزل (ولا تقولن لشيئ) أى لاجل شئ تعزم عليه
 (انى فاعل ذلك) الشئ (غداً) أى فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغداً خاصة (الآن يشاء الله)
 أى الامتناع بما عينته بأن تقول ان شاء الله والسبب فى ذلك ان الانسان اذا قال سأفعل القعل

الغلاني غدا لم يبعده ان يموت قبل مجي الغد ولم يبعده أيضا ان يبق حيا ان يبعده عن ذلك الفعل سائر
 العوائق فاذا لم يقل ان شاء الله صار كاذبا في ذلك الوعد والكذب منفر لا يليق بالانبياء عليهم
 الصلاة والسلام فلهذا السبب وجب عليه ان يقول ان شاء الله حتى اذا نذر عليه الوفاء بذلك
 الوعد لم يصر كاذبا ولم يحصل التنفير * (تنبيه) * قال كثير من الفقهاء اذا قال الرجل لامر أنه
 أنت طالق ان شاء الله لم يقع عليه الطلاق لانه لما علق وقوع الطلاق على مشيئته تعالى لم يقع
 عليه الطلاق الا اذا علمنا حصول المشيئة ومشيئة الله تعالى غيب لا سبيل لنا الى العلم بحصولها
 الا اذا علمنا ان متعلق المشيئة وقع وهو الطلاق وعلى هذا لا يعرف حصول المشيئة الا اذا وقع
 الطلاق ولا يعرف وقوع الطلاق الا اذا عرفت المشيئة فيستوقف العلم بكل واحد منهما على العلم
 بالآخر وهو دور فلهذا لا يقع الطلاق وقبل المراد الا ان شاء الله أي الا ان يأذن لك الله تعالى
 في ذلك القول والمعنى أنه ليس لك ان تجزعن نفسك بانك تفعل الفعل الغلاني الا ان يأذن لك
 الله تعالى في ذلك الاخبار وقد احتج القائلون بأن المعدوم شيء هذه الآية لان الشيء الذي
 سبقه غدا معدوم في الحال فوجب تسمية المعدوم بأنه شيء (وأجيب) بأن هذا الاستدلال
 لا يقيد الا ان المعدوم يسمى بكونه شيئا وعندنا ان السبب فيما يصير شيئا يجوز تسميته بكونه
 شيئا في الحال كما قال تعالى أتى أمر الله فلا تستعجلوه والمراد شيئا في أمر الله واختلف في معنى
 قوله تعالى (واذ كر ربك اذا نسيت) فقال ابن عباس ومجاهد والحسن معناه اذا نسيت الاستثناء
 ثم ذكرت فاستنتن وعند هذا اختلفوا فقال ابن عباس لو لم يحصل التذكرا لابعدم مدة طويلة
 ثم ذكر ان شاء الله كفي في رفع الحنث وعن سعيد بن جبيرة بعد سنة أو شهرا أو أسبوع أو يوم وعن
 طاوس لا يتدر على الاستثناء الا في مجلسه وعن عطاء يستثنى على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند
 عامة الفقهاء انه لا أثر له في الكلام ما لم يكن موصولا واحتج ابن عباس بأن قوله اذا نسيت غير
 مختص بوقت غير معين بل هو متناول لكل الاوقات وظاهره ان الاستثناء لا يجب ان يكون
 متصلا بما عاتمة الفقهاء فقالوا لوجوزنا ذلك للزم ان لا يستقر شيء من العقود والايمان يحكي ان
 المنصور يبلغه ان انا حنيفة خالف ابن عباس في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال
 له الامام ابو حنيفة هذا يرجع عليك لانك تأخذ البيعة بالايمان اترضى ان يخرجوا من عندك
 فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن المنصور كلامه ورضى عنه واستدل بأن الآيات
 الكثيرة دلت على وجوب الوفاء بالعقد والعهد فبالعقد والعهد قال تعالى اوفوا بالعقود وقال تعالى اوفوا
 بالعهد فاذا أتى بالعقد والعهد وجب عليه الوفاء بمقتضاه لاجل هذه الآيات خالفنا الدليل
 فيما اذا كان الاستثناء متصلا لان الاستثناء مع المستثنى منه كالكلام الواحد بدليل ان
 الاستثناء وحده لا يفيد شيئا فهو جار مجرى بعض الكلمة الواحدة فجمله الكلام كالكلمة
 الواحدة المفيدة فاذا لم يكن متصلا فادال التزام التام فوجب الوفاء بذلك المقترن وقيل ان
 قوله تعالى واذا كر ربك اذا نسيت كلام مستأنف لاتعلق له بما قبله قال عكرمة واذا كر ربك اذا
 غضبت وقال وهب مكتوب في الانجيل ابن آدم اذ كرنى حين تغضب اذ كرنى حين غضب وقال

الخصال والسدى هـ ذاق الصلاة المنسية قال الرازي وتعلق هذا الكلام بما قبله يفيد احتمال
 الكلام في هذه القصة وجعله مستأنفا بصير الكلام مبتدأ منقطعا وذلك لا يجوز وفي قوله تعالى
 (وقل عسى أن يهدين ربى لا أقرب من هذا رشدا) وجوه الأول أن يكون قوله تعالى الا ان يشاء
 الله ليس يحسن تركه وذكرا أولى من تركه وهو قوله لا أقرب من هذا رشدا والمراد منه ذكر هذه
 الجملة الثانية أنه لما وعدتهم بشئ وقال معه ان شاء الله فيقول وعسى أن يهدين ربى لئلا
 أحسن وأكمل بما وعدتكم به الثالث أن قوله عسى أن يهدين ربى لا أقرب من هذا رشدا
 إشارة الى قصة أصحاب الكهف أى لعل الله يوفقنى من البيئات والدلائل على صحة يتوفى
 وصدق فى ادعاء النبوة ما هو أعظم فى الدلالة وأقرب رشدا من قصة أصحاب الكهف وقد فعل
 الله تعالى ذلك حين آتاه من قصص الانبياء والاخبار بالغيوب ما هو أعظم من ذلك * ثم شرع
 تعالى فى آية هى آخر الآيات المذكورة فى قصة أصحاب الكهف بقوله تعالى (ولبئوا فى كهفهم)
 أى نياما (ثلثمائة) أى مائة ثلثمائة (سنتين) قال بعضهم وهذه السنون الثلثمائة عند أهل
 الكتاب شمسة وتزيد القمرية عليها تسع سنين وقد ذكرت فى قوله (وازدادوا تسعا) أى تسع
 سنين لأن التفاوت بين الشمسية والقمرية فى كل مائة سنة ثلاث سنين لأن السنة الشمسية تزيد
 على السنة القمرية عشرة أيام وحدى وعشرين ساعة وخمس ساعة فالثلثمائة سنة الشمسية
 ثلثمائة وتسع قمرية قال الرازي وهذا مشكل لأنه لا يصح الحسب هذا القول ويعنى
 أن يقال لعلهم لما استكملوا ثلثمائة سنة قرب أمرهم من الانتباه ثم اتفق ما أوجب بقاؤهم
 فى النوم بعد ذلك تسع سنين وقرأ جزء والكسافى بغير تنوين فى الوصل واللبقون بالتنوين
 فسنتين عطف بيان لثلثمائة لأنه لما قال ولبئوا فى كهفهم ثلثمائة لم يعرف انهم أيام أو شهور
 أو سنون فلما قال سنين صار هذا بيانا لقوله ثلثمائة فكان ذلك عطف بيان له وقيل هو على التقديم
 والتأخر أى لبئوا سنين ثلثمائة وأما وجه القراءة الأولى فهو أن الواجب فى الاضافة أن يقال
 ثلثمائة سنة لأنه يجوز وضع الجمع موضع الواحد فى التمييز كقوله تعالى بالاخسرين أعمالا
 وحذف عشرين لدلالة ما تقدم عليه اذ لا يقال عندى ثلثمائة درهم وتسعها الا وانت تسع تسعة
 دراهم ولو أردت شيئا أو نحوها لم يجز لأنه الغاز ثم ان الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم اذا
 نازعوه فى مدة لبئهم فى الكهف بقوله تعالى (قل الله أعلم بالبنوا) أى فهو أعلم منكم وقد أخبر
 بجنة لبئهم وقيل ان أهل الكتاب قالوا ان المدة من حين دخلوا الكهف الى يومنا هذا وهو
 اجتماعهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ثلثمائة سنين وازدادوا تسع سنين فرد الله تعالى عليهم ذلك
 وقال الله أعلم بالبنوا يعنى بعد قبض ارواحهم الى يومنا هذا لا يعلمه الا الله (له غيب السموات
 والارض) أى ما غاب فيها وخنق من أحوال أهلها ما لا يغيب عن ادراكك والله عز
 ذكره لا يغيب عن ادراكك شئ فيكون عالمها هذه الواقعة لا محالة وقوله تعالى (أبصر به وأسمع)
 كلمة تذكروا فى التعجب أى ما أبصر الله تعالى بكل موجود وما أسمع بكل مسموع (مالهم) أى
 أهل السموات والارض (من دونه) أى الله (من ولى) أى ناصر (ولا يسر لنى حكمه) أى فى

قضائه (أحدا) منهم ولا يجعل لفيه مدخلا لانه غنى بذاته عن كل أحد وقيل الحكم هنا علم
 الغيب أى لا يشرك فى علم غيبه أحدا وقرأ ابن عامر بالثناة فوق قبل الشين ويسكون الكاف
 على نهى كل أحد عن الاشرار والباقون بالتحمية وضم الكاف * (تنبيه) * احتج أصحابنا
 رحمه الله تعالى بهذه القصة على صحة القول بالكرامة للاولياء وقد تقدم ما مر في الولى
 في سورة يونس عند قوله تعالى ألان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون كما يدل على جواز
 كرامات الاولياء القرآن والاحبار والاشهار والمعقول أما القرآن فالمعتمده فيه عندنا آيات الحجية
 الاولى قصة مريم عليها السلام وقد شرحنها في سورة آل عمران فلان عيدها الحجية الثانية قصة
 أصحاب الكهف ويقاؤونهم في النوم سالمين من الآفات مدة ثلثمائة سنة ونسح سنين وأن الله
 تعالى كان بعضهم من حر الشمس ومن الناس من عسك أيضا في هذه المسئلة بقوله تعالى قال
 الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك على أنه غير السيد سليمان
 والسيد جبريل وأما الاخبار فكثيرة منها ما أخرج في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى
 الله عليه وسلم أنه قال لم يتكلم في المهدي الا ثلاثة عيسى بن مريم وصبي في زمن جريج وصبي
 آخر أما عيسى فقد عرفتموه وأما جريج فكان رجلا عبدا في بنى اسرائيل وكانت له أتم فكان
 يوما يصلى اذا شافت اليه أمته فقالت يا جريج فقال يارب أمى وصلاتى الصلاة خير أم رؤيتهم
 يصلى فدعته ثانيا فقال مثل ذلك حتى تم ثلاث مرات وكان يصلى ويدعها فاستد ذلك على أمته
 فقالت اللهم لا تمته حتى تربه المومسات وكانت زانية في بنى اسرائيل فقالت لهم أنا أقتن جريجا
 حتى يرزى بنى فآتمه فلم تقدر على شئ وكان هنالك راع يأوى بالليل الى صومعته فلما أعياها جريج
 راودت الراعى على نفسها فإتاها فولدت ثم قالت ولدى هذا من جريج فاتاه بنو اسرائيل وكسروا
 صومعته وشقوه ثم نحس الغلام قال أبو هريرة كأتى أنظر الى النبي صلى الله عليه وسلم حين قال
 بيده يا غلام من أبولف فقال الراعى فقدم القوم على ما كان منهم واعتذروا اليه وقالوا نبي لك
 صومعته من ذهب أو فضة فأبى عليهم وبناها كما كانت وأما الصبي الآخر فأت امرأه كان
 معها صبي لها ترضعه اذ مر به اساب جميل ذو شارة فقالت اللهم اجعل ابني مثل هذا فقال
 الصبي اللهم لا تجعلنى مثله ثم تر بها امرأه ذكرها أنها سرق وزنت وعوقبت فقالت اللهم
 لا تجعل ابني مثل هذه فقالت الصبي اللهم اجعلنى مثلها فقالت له أمته في ذلك فقال ان الراكب
 جبار من الجبارة فكبرت أن أكون مثله وان هذه قبل لها زنت ولم ترن وقيل لها سرق ولم
 تسرق وهى تقول حسبي الله فأحيت أن أكون مثلها ومنها خبر الغار وهو مشهور في الصحيح
 عن الزهري عن سالم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق ثلاثة رهط من كان
 قبلكم فأواهم المبيت الى غار فدخلوه فانجدرت عليهم صخرة من الجبل فسدت عليهم باب الغار
 وقد ذكرت ذلك عند قوله تعالى كانوا من آياتنا عجبا ومنها قوله صلى الله عليه وسلم رب اشعث
 أغبر ذى طمرين لا يؤبه به لو أقسم على الله لأبره ولم يفرق من شئ وثنى فيما يقسم به على الله تعالى
 ومنها ما روى عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل

يسوق بقره قد حمل عليها التففت البقرة وقالت اني لم اخلق لهذا وانما خلقت للعرث فقال
الناس سبحان الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنت بهذا وأبو بكر وعمر ومنها ما روى
عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا رجل سمع رعدا أو صوتا في الصحاب ان
اسق حديقة فلان قال فقدوت الى تلك الحديقة فاذا رجل قائم فيها فقلت له ما اسمك قال فلان
ابن فلان قلت فما صنع بحديقتك هذه اذا صرمتها قال ولم تسأل عن ذلك قلت لاني سمعت صوتا
في الصحاب أن اسق حديقة فلان قال اما اذ قلت فاني ا جعلها أثلاثا فاجعل لنفسى ولاهلي
ثلاثا واجعل للمساكين وأبناء السبيل ثلثا وأنفق عليها ثلثا وأما الاثلاث فكثيرة أيضا ولنبدا
منها ببعض ما نقل انه ظهر على يد الخلفاء الراشدين من الكرامات ثم ببعض ما ظهر على يد بعض
الصحابة أما أبو بكر رضي الله تعالى عنه فمن كراماته أنه لما حلت جنازته الى باب قبر النبي صلى الله
عليه وسلم ونودي السلام عليك يا رسول الله هذا أبو بكر بالبالب فاذا بالبالب قد فتح واذا هم اتف
يهتف من القبر ادخلوا الحبيب الى الحبيب وأما عمر رضي الله تعالى عنه فقد ظهرت أنواع
كثيرة من كراماته النوع الاول ما روى أنه لما بعث جيشا وأمر عليهم رجلا يدعى سارية بن
الحسين فيبني عمرا يوم الجمعة يخطب جعل يصيح في خطبته وهو على المنبر يا سارية الجبل الجبل قال
علي بن أبي طالب رضي الله عنه كتبت تاريخ هذه الكلمة فلما قدم رسول ذلك الجيش فقال
بأمر المؤمنين عمدونا يوم الجمعة في وقت الخطبة فهزمونا فاذا بانسان يصيح يا سارية الجبل
فأسندنا ظهرنا الى الجبل فهزم الله تعالى الكفار وظفرنا بالغنائم العظيمة ببركة ذلك الصوت
قال الرازي قلت سمعت بعض المذكورين قال كان ذلك معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم لانه
قال لاني بكر وعمر أتمامني بمنزلة السمع والبصر فلما كان عمر بمنزلة البصر لمحمد صلى الله عليه
وسلم لاجرم قدر على أن يرى من ذلك البعد العظيم النوع الثاني ما روى أن نزل مصر كان
في الجاهلية يقف في كل سنة مرة واحدة فكان لا يجري حتى تلقى فيه جارية حسناء فلما جاء
الاسلام كتب عمرو بن العاص الى عمر فكتب عمر على خرقه أيها النيل ان كنت تجري بأمر الله
فاجروا ان كنت انما تجري بأمرك لاجحة بنا اليك فالقيت تلك الخرقه في النيل فجري ولم يبق
بعد ذلك النوع الثالث ما وقعت الزلزلة في المدينة فضرب عمر بالذرة على الارض وقال
اسكني ياذن الله فسكنت وما حدثت الزلزلة بالمدينة بعد ذلك الوقت النوع الرابع وقعت النار
في بعض دور المدينة فكتب عمر على خرقه يا نار اسكني ياذن الله فأقوه في النار فانطفأت
في الحال النوع الخامس ما روى أن رسول ملك الروم جاء الى عمر وطلب داره فقلن أن داره
مثل قصور الملوك فقالوا ليس له ذلك وانما هو في الصحراء يضرب اللبن فلما ذهب الى الصحراء رأى
عمر وضع دبرته تحت رأسه ونام على التراب فتعجب الرسول من ذلك وقال أهل المشرق والمغرب
يضافون هذا الانسان وهو على هذه الصفة ثم قال في نفسه ان وجدته خاليا فآقته وأخلص
الناس منه فلما رفع السيف أخرج الله تعالى من الارض أسدين فقصداه نخاف وألتي السيف
من يده واقبه عمر ولم يشأ أنسأله عن الحال فذكر له الواقعة وأسلم قال الرازي وأقول هذه

الواقعة ترويت بالاحاد وهو تاما هو معلوم بالتواتر وهو أنه مع بعده عن زينة الدنيا واحترازه
 عن التكاليف والنهيات ساس الشرق والغرب وقلب الممالك والدول ولو ظنرت في كتب
 التواريخ علمت أنه لم يتفق لاحد من أول عهد عمر الى الآن ما تيسر له فانه مع غايه بعده عن
 التكاليف كيف قدر على تلك السياسات ولا شك أن هذا من أعظم الكرامات وأما عثمان
 رضي الله تعالى عنه فأشياء كثيرة منها ما روى عن أنس قال سرت في الطريق فوقعت عيني
 على امرأة ثم دخلت على عثمان فقال مالي أرا كم تدخلون علي وآثار الزنا ظاهرة عليكم فقلت
 أبا العوج بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا ولكن فإسأله فإسأله فإسأله فإسأله فإسأله
 بالسيف فأول قطر من دمه سقطت وقعت على المصحف على قوله تعالى فسبككم الله وهو
 السميع العليم ومنها أن جهباها الغفاري اتزع العصا من يد عثمان فكسرها على ركبته
 فوقعت الأكلة في ركبته وأما علي رضي الله تعالى عنه فأشياء كثيرة أيضا منها ما روى أن واحدا
 من محبيه سرق وكان عبدا أسود فأتى به الى علي فقال أسرفت فقال بلي فقطع يده فأنصرف من
 عنده على فلقبه سلمان الفارسي وابن الكواء فقال ابن الكواء من قطع يدك فقال له أمير المؤمنين
 ويصوب المسلمين وختم الرسول وزوج البتول فقال له سلمان قطع يدك وغدحه فقال ولم
 لأمدحه وقد قطع يدي بحق وخلصني من النار فسمع سلمان ذلك فأخبر به عليا فدعا الأسود
 ووضع يده على ساعده وغطاه بمنديل ودعا بدعوات فسمعنا صوتا من السماء ورفع الرداء عن اليد
 فرفعناه فاذا اليد قد برئت وأما ما روى عن بعض الصحابة قسي كثير وذكر منها شيئا قليلا منها
 ما روى محمد بن المنكدر عن سفينة قال ركب البحر فأنكسرت سفينة التي كنت فيها وركبت
 لوحا من ألواحها فطرحني اللوح في خبسة فيها أسد فخرج الاسد الى يريدني فقلت
 بأب الحارث أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقدم الاسد الى ودلني على الطريق
 ثم همهم فظننت أنه يودعني ويرجع ومنها ما روى ثابت عن أنس أن أسيدا بن حنبل ورجلا
 آخر من الانصار تجتأ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة لهما حتى ذهب من الليل
 زمان ثم خرجا من عنده وكانت الليلة شديدة الظلمة وكان في يد كل واحد منهما عصا فأضاعت
 عصا أحدهما لهما حتى مشيا في ضوئها فلما افترقت بينهما الطريق أضاعت الآخر عصا فمشى
 حتى بلغ منزله ومنها ما روى أنه قيل لخالد بن الوليد أن في عسكرك من يشرب الخمر فركب فرسه
 ليلة قطاف بالعسكر فلقى رجلا على فرس ومعه خمر فقال ما هذا قال خل فقال خالد اللهم اجعله
 خلفا فذهب الرجل الى أصحابه فقال أيتكم بخر ما شربت العرب مثله فلبثوا فإذا هو خل
 فقالوا والله ما جئتنا الا بخل فقال والله هذا دعاء خالد ومنها الواقعة المشهورة وهي ان خالد بن
 الوليد كل ككفان السم على اسم الله وما ضره ومنها ما روى أن ابن عمر كان في بعض
 أسقاره فلقى جماعة وقفوا على الطريق من خوف السبع فطرد السبع من طريقهم ثم قال
 اعياي سبط على ابن آدم ما يحافظه ولو أنه لم يحض غير الله لما سبط عليه شيء ومنها ما روى أن النبي
 صلى الله عليه وسلم بعث العلاء الحضرمي في غزاة فجال بينهم وبين المطلوب قطعة من الجمر فبعا

باسم الله الاعظم وشوا على الماء وفي كتب الصوفية من هذا الباب روايات متجاوزة عن
 الحد والحصر فن أرادها طالها وأما الدلائل العقلية على جواز الكرامات فن وجوه الأول
 أنه صلى الله عليه وسلم قال ما يكمن رب العزة من آذى لي وليا فقد بارزته بالمحاربة فجعل أيداه
 الولي فأقام مقام أيداه وتأكد هذا بالخبر المشهور أنه تعالى يقول يوم القيامة يا ابن آدم
 عرضت فلم تعدني استسقتك فاستطعمتك فاستطعمتك فما أطعمتني فيقول يا رب كيف أفعل
 هذا وأنت رب العالمين فيقول إن عبدى فلانا عرض فلم تعده أما علمت أنك لو وعدته لو عدت
 ذلك عندى وكذا في السقي والاطعام فدلّت هذه الاخبار على أن أولياء الله يبلغون هذه
 الدرجات العالية والمراتب الشريفة فاذا جاز اتصال العبد الى هذه الدرجات فأى بعد أن
 يعطيه الله تعالى كسرة خبز أو جرعة ماء أو ينجز له كلما أو دودة الوجه الثاني أنه صلى الله
 عليه وسلم قال عن رب العزة ما تقرب الى عبدى بمثل أداء ما افترض عليه ولا يزال يتقرب الى
 بالتواقل حتى أحبه فاذا أحبته كنت له سمعا وبصرا وقلبا ولسانا ويذا ورجلا فبى يسمع
 وبى يبصر وبى ينطق وبى يعشى وهذا الخبر يدل على أنه لم يقف في سمعهم نصيب لغير الله تعالى لما
 قال أنا سمعه وأنا يبصره وهذا المقام أشرف من نصير الحية والسبع واعطاء عنقود من العنب
 أو شربة من الماء قبل أن وصل برجته عبده الى هذه الدرجات العالية فأى بعدنى أن يعطيه رغيفا
 واحدا أو شربة من الماء في مفازة الوجه الثالث لو امتنع اظهار الكرامة لكان ذلك أمّا
 لاجل أن الله تعالى ليس أهلا لان يفعل مثل هذا الفعل أو لاجل أن المؤمن ليس أهلا لان
 يعطيه الله هذه العطية والأول قدح في قدرة الله تعالى وهو كقر والثاني باطل فان معرفة
 الله تعالى ومحبته وطاعته والمواظبة على ذكره وتقديسه وتعبده وتمليله أشرف من اعطاء
 رغيف واحد في مفازة وتضخيرة أو أسد فان اعطاه المحبة والذكر والشكر من غير وقال
 أولى من أن يعطيه شربة ماء في مفازة فأى بعد فيه واحتج المنكر للكرامات بوجود الأول أن
 ظهور الفعل الخارق العادة جعله الله تعالى دليلا على النبوة فلو حصل لغير النبي لبطلت هذه
 الدلالة الوجه الثاني أن الله تعالى قال وتحمل أنفالكم الى بلدكم تكونوا بالغبه الا بشق
 الانفس والقول بأن الولي ينتقل من بلد الى بلد بعيد لا على هذا الوجه طعن في هذه الآية
 وأيض ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يصل من مكة الى المدينة الا في أيام كثيرة مع التعب الشديد
 فكيف يعقل أن يقال ان الولي ينتقل من بلد نفسه الى الحج في اليوم الواحد الوجه الثالث
 أن هذا الولي الذي يظهر عليه الكرامات اذا ادعى على انسان درهما واحدا فهل يطلب
 بالينة أم لا فان طال البناء بها كان عبثا لان ظهور الكرامة عليه يدل على أنه لا يكذب ومع قيام
 الدليل القاطع كيف يطلب الدليل التلقين وان لم يطلب بها فقد تركا قوله صلى الله عليه وسلم
 البينة على المدعى فهذا يدل على ان القول بالكرامة باطل وأجيب عن الاول بأن الناس
 اختلفوا هل يجوز للولي دعوى الولاية فقال قوم من المحققين انه لا يجوز فعلى هذا الفرق بين
 المحجزة والكرامة ان المحجزة تكون مسبوقة بدعوى الولاية والكرامة لا تكون مسبوقة

يدعى الولاية وعلى القول بالجواز الفرق بينهما أن النبي يدعى المجزة ويقطع بها والولي إذا
 ادعى الكرامة لا يقطع بها لأن المجزى يجب ظهوره والكرامة لا يجب ظهورها وأجيب عن
 الثاني بأن قوله تعالى ويحمل انقالكم الى آخره محمول على المعهود المتعارف وكرامات الاولياء
 أحوال نادرة تصير كالمستثنيات من ذلك العموم المتعارف وأجيب عن الثالث بأن القصد
 بالامور النادرة لا يعول عليه في الشرع فلا ينافي ذلك قوله صلى الله عليه وسلم البينة على
 المدعى ومع هذا فصاحب الكرامة يجب عليه أن يكون خاتما وجلا ولهذا قال المحققون أكثر
 ما حصل الانقطاع عن حضرة الله انما وقع في مقام الكرامات فلا جرم ترى المحققين يخافون
 من الكرامات كما يخافون من أشد أنواع السلاء والذي يدل على أن الاستئناس بالكرامة
 قاطع عن الطريق وجوده الاول أن الكرامات أسماء مغايرة للتعظيم وتعالى فالفرح
 بالكرامة فرح بغير الحق والفرح بغير الحق حجاب والمجرب عن الحق كيف يليق به الفرح
 والسرور الوجه الثاني أن من اعتقد في نفسه أنه صار مستحقا للكرامة بسبب عمله حصل
 لعمله وقع عظيم في قلبه ومن كان لعمله وقع عظيم في قلبه كان جاهلا اذ لو عرف ربه لعلم ان كل
 طاعات الخلق في جنب جلاله تقصير وكل شكر في جنب آلاؤه ونعماته قصور وكل معارفهم
 وعلاوهم فهي في مقابلة عزته حيرة ويجهل وجدت في بعض الكتب أنه قرئ في مجلس الاستاذ
 أبي علي الذقاق قوله تعالى اليه بعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فقال علامة أن
 الحق رفع علمك أن لا يبقى عندك مرتقى علمك في نظرك فان بقي علمك في نظرك فهو غير مرفوع
 وان لم يبق علمك في نظرك فهو مرفوع مقبول الوجه الثالث أن صاحب الكرامة انما
 وجد الكرامة لاظهار الذل والتضرع في حضرة الله تعالى فاذا ارتفع وتكبر وتجبر بسبب
 الكرامات فقد تبطل ما به وصل الى الكرامات فهذا الطريق يؤدي ثبوته الى عدمه فكان
 مردودا ولهذا المعنى الماذكر صلى الله عليه وسلم مناقب نفسه وفضائلها كان يقول في آخر كل
 واحد منها ولا تخراى لا تخرب هذه الكرامات وانما أخرب بالمكرم والمهمل الوجه الرابع أنه
 تعالى وصف عباده المخلصين بقوله تعالى ويدعوننا رغبا أو في ثوابنا ورهباء أي من عذابنا وقيل
 رغبا في صلاتنا ورهبانا رغبا قال بعض المحققين والاحسن أن يقال رغبا فيساورا رهبانا وفي
 هذا التقدير كفاية لا ولي الا للباب جعلنا الله تعالى وأحبنا من أهل ولايته بحمد صلى الله
 عليه وسلم وآله وصحبه * ثم لادل اشتمال القرآن على قصة أصحاب الكهف من حيث انها من
 المغيبات بالاضافة الى النبي صلى الله عليه وسلم على أنه وحى مجزى أمره أن يداوم درسه و يلزم
 أصحابه بقوله تعالى (واتل ما وحي اليك من كتاب ربك) أي القرآن واتبع ما فيه واعمل بما فيه
 (لا مبتدأ لكلامه) أي لا أحد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره وقال بعضهم مقتضى هذا أن
 لا يتطرق التسخيب وأجاب اليه وأجاب بأن النسخ في الحقيقة ليس تبديلا لأن التمسوخ ثابت في وقته الى
 وقت طريان النسخ فالنسخ كالمغاير فكيف يكون تبديلا وهذا الاحتجاج اليه مع التفسير
 المذكور (ولن نجد من دونه) أي الله (ملتجدا) أي ملطفا في البيان والارشاد وقيل ان لم تتبع

القرآن « ونزل في عينه بن حسن القرظاري لما أتى النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم وعنده
 جماعة من الفقراء عليهم سلمان الصامى وعليه شملة قد عرق فيها ريده خصوص يشغفه ثم يتسببه
 فقال له أما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات معضروا شرافها فان أسلمنا أسلم الناس وما يعننا من
 ابتاعك الا هؤلاء أى كما قال قوم نوح أنؤمن لك واتبعك الأوزلون ففهم حتى تبعك أو أجعل لنا
 مجلسا واجعل لهم مجلسا (واصبر نفسك) أى احبسها وبنيتها (مع الذين يدعون ربهم) وتظهر هذه
 الآية قد سبق في سورة الانعام وهو قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
 يريدون وجهه ففي تلك الآية انتهى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن طردهم وفي هذه الآية
 أمره بمجالستهم والمصاهرة معهم وفي قوله تعالى (بالغداة والعشي) وجوه الاول انه حم
 مواظبون على هذا العمل في كل الاوقات كقول القائل ليس فلان عمل بالغداة والعشي
 الا شتم الناس الثانى المراد صلاة الفجر والعصر الثالث أن المراد الغداة وهو الوقت
 الذى ينتقل فيه الانسان من النوم الى اليقظة وهذا الانتقال شبه بالانتقال من الموت الى
 الحياة والعشي هو الوقت الذى ينتقل الانسان فيه من الحياة الى الموت ومن اليقظة الى النوم
 والانسان العاقل يكون في هذين الوقتين كثيرا يذكر الله تعالى عظيم الشكر لآلاء الله ونعمائه
 وقرأ ابن عامر بضم العين المعجمة وسكون الدال وبعدها واو مفتوحة والباقون بفتح العين
 والدال وألقب بعدها والرسم في المصحف بالواو وهما في سورة الانعام (يريدون) بعبادتهم
 (وجهه) تعالى أى رضاه وطاعته لاشيأ من اعراض الدنيا (ولا تعد) أى تنصرف
 (عينك عنهم) الى غيرهم وعبر بالعنين عن صاحبهما انتهى صلى الله عليه وسلم أن يصرف بصره
 ونفسه عنهم لاجل رغبته في مجالسة الاغنياء لعلمهم يؤمنون وقوله تعالى (تريد زينة الحياة
 الدنيا) في موضع الحال أى انك ان فعلت ذلك لم يكن اقدامك عليه الا لرغبتك في زينة الحياة
 الدنيا ولما بالغ تعالى في أمره في مجالسة الفقراء من المسلمين بالغ في النهي عن الالتفات الى
 أقوال الاغنياء والمتكبرين بقوله تعالى (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) أى جع لنا قلبه
 غافلا عن ذكرنا أى عينه بن حسن وقيل أمية بن خلف (اتبع هواه) أى في طلب الشهوات
 (وكان أمره فرطاً) أى اسرافا وباطلا وهذا يدل على أن أشرف أحوال الانسان أن يكون قلبه
 خاليا عن ذكر الحق ويكون معلوماً من الهوى الداعى الى الاشتغال بالخلق لان ذكر الله تعالى
 نور وذك غيره ظلمة لان الوجود طبيعة التور والعدم منبع الظلمة والحق تعالى واجب الوجود
 لذاته فكان التور الحق هو الله تعالى وما سواه فهو محتمل الوجود لذاته والامكان طبيعة عدمية
 فكان منبع الظلمة فالقلب اذا أشرف قلبه ذكر الله تعالى فقد حصل فيه النور والضوء والاشراق
 واذا توجه القلب الى الخلق فقد حصل فيه الظلم والظلمة بل التلذذات فلهذا السبب اذا عرض
 القلب عن الحق وأقبل على الخلق فهو الظلمة الخالصة التامة والاعراض عن الحق هو المراد
 بقوله تعالى أغفلنا قلبه عن ذكرنا والاقبال على الخلق هو المراد بقوله تعالى واتبع هواه روى
 أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال كنت جالسا في عصابة من مشاهير المهاجرين وان بعضهم

ليستتر بعض من القرى وقارى بقرا من القرآن لجا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
 ما الذى كنتم تصنعون فلنا رسول الله كان واحد بقرا من القرآن ونحن نسمع فقال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى جعل من أمتى من أمرت أن أصبر يقضى معهم ثم جلس
 وسطنا وقال أبشروا يا معاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة قد خلون الجنة قبل الاغنيا
 بمقدار خمسة مائة سنة ولما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بأن لا يلتفت الى أولئك
 الاغنيا الذين قالوا ان طردت القرءاء آمنابك قال تعالى بعده (وقل الحق) أى وقل لهؤلاء
 وغيرهم هذا الذى جئتكم به فى أمر أهل الكهف وغيرهم من هذا الوجه العربى المهرى عن
 العوج الظاهر الامجاز الباهر الخج الحق كاتنا (من ربكم) المحسن اليكم فى أمر أهل الكهف
 وغيرهم من صبر نفسى مع المؤمنين والاعراض عن سواهم وغير ذلك لا ما قلتموه فى أمرهم
 ويجوز أن يكون الحق مبتدأ وخبره الجار بعده (فمن شاء) أى منكم ومن غيركم (فليؤمن) بهذا
 الذى قصصناه فيهم وفى غيرهم فهو مقبول مرغوب فيه وان كان فقيرا رث الهيشة ولم يتبع
 الانفسه (ومن شاء) منكم ومن غيركم (فليكفر) فهو أهل لان يعرض عنه ولا يلتفت اليه وان
 كان أغنى الناس وأحسنهم هيشة وان تعاطفت هيشته وهذا لا يقتضى استقلال العبد بعله كما
 تقول المعتزلة فمن ابن عباس فى معنى الآية من شاء الله الايمان آمن ومن شاءه الكفر كفر
 ونقل عن على رضى الله عنه أنه قال هذه الصبيحة تهديد ووعد أى فهى كقوله تعالى اعلموا
 ما كنتم فان الله تعالى لا يتنفع بايمان المؤمنين ولا يستضر بكفر الكافرين بل نفع الايمان يعود
 على المؤمن وضرب الكفر يعود على الكافر كما قال تعالى ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان
 أسأتم فلها ولما هدد السامعين بما حاصله ليختر كل امرئ لنفسه بما يجده غدا عند الله آجعه
 بذلك الوعيد والافعال الباطلة وبذكر الوعد على الايمان والاعمال الصالحة أما الوعيد فقوله
 تعالى (انا آتئدنا) أى هيا بنا بما لنا من العظمة والقدرة (لظالمين) أى لمن أنف عن قبول الحق
 لاجل ان الذين قبلوه فقرا ومساكين وكذا كل من لم يؤمن (نارا) وهى الجحيم ثم وصف الله
 تعالى تلك النار بصفتين الاولى قوله تعالى (أحاط بهم) كلهم (سرادقها) أى فسقطاطها شبه
 ما يحيط بهم من النار وقيل هو الحجر التى تكون حول القسطاط وقيل حائط من نار والمراد أنه
 لا يخلص احم منها ولا فرجة يتفرجون بالنظر الى ما وراءها من غير النار بل هى محيطة من كل
 الجوانب وقيل هو دخان يغشاهم قبل دخولهم النار يحيط بهم كالسرادق حول القسطاط
 الصفة الثانية قوله تعالى (وان يستغيثوا) أى يطلبوا العوث (بغاوثهم) ووصف هذا الماء
 بصفتين الاولى قوله تعالى (كالهول) وهو كما فى حديث مرفوع دردى الزيت وعن ابن مسعود
 أنه دخل بيت المال وأخرج قناعة كانت فيه وأوقد عليها النار حتى تلالا ثم قال هذا هو
 المهل وقال أبو عبيدة والاحقش كل شئ أذبتة من لحاس أذهب أوقضة فهو المهل وقيل أنه
 الصديد والقيح وقيل أنه ضرب من القطران ثم يحتمل أن تكون هذه الاستغاثه لانهم طلبوا ماء
 للشرب فيحتملون هذا المهل قال تعالى صلى نارا حافية تسقى من هين آية ويحتمل أن يستغيثوا

من حر جهنم في طلبوا ما يصبرونه على أنفسهم للشر يدق يطون هذا الماء قال تعالى حكاه عنهم
 أفنضوا علينا من الماء وقال تعالى في آية أخرى سرايلهم من قطران وتغشى وجوههم النار
 فاذا استغاثوا من حر جهنم صب عليهم القطران الذي يرم كل أبدانهم كالقميص والصفة
 الثانية للماء قوله تعالى (يشوى الوجوه) أى اذا قرب الى الفم لشرب فكيف بالقوم والجوف ثم
 وصل تعالى بذلك ذمته فقال تعالى (يشى الشراب) أى ذلك الماء الذى هو كاللؤلؤ لان المقصود
 من شرب الشراب تسكين الحرارة وهذا يبلغ فى احراق الانسان بلغاء عظيما ثم عطف عليه ذم
 النار المعذبة لهم بقوله تعالى (وساءت) أى الدار وقوله تعالى (مر تفعفا) تميز بقول من القائل
 أى قبح مر تفعفا وهو مقابل لقوله تعالى الآتى فى الجنة وحسنت مر تفعفا والآتى ارتفاق
 فى النار. ولما ذكر تعالى وعيد المبطلين أردفه بوعد المحقين فقال تعالى (ان الذين آمنوا)
 ولما كان الايمان هو الاذعان للاوامر عطف عليه ما يحقق ذلك بقوله تعالى (وعملوا الصالحات)
 ثم عظم جزاءهم بقوله تعالى (اننا لنضيع) أى بوجه من الوجوه (أجر من أحسن عملا) وهذه
 الجملة خبران الذين وفيها اقامة الظاهر مقام المضمرة والمعنى أجرهم أى شيهم بما تضمنه (أو تلك)
 لهم جنات عدن) أى اقامة فكأنه قيل قالهم فيها فقيل (تجزي من تحتم) أى من تحت
 منازلهم (الانهار) وذلك لان أفضل المساكن ما كان تجرى فيه الانهار والماء فكأنه قيل
 ثم ماذا قيل (يجعلون فيها) وفى القل للمجهول لان المقصود وجود التعلية وهى لزمتها
 انما يوفى بها من القيب فضلا من الله تعالى. ولما كانت نعم الله لا تحصى نوع منها قال تعالى
 مبعضا (من أساور) جمع أسورة كاحرة جمع سوارى كلبس ذلك مالوك الدينانم جبارة الكفرة
 فى بعض الاقاليم كاهل فارس وقيل من زائدة وقيل للابتداء ومن فى قوله تعالى (من ذهب)
 للبيان صفة لاساور وتكبرها لتعظيم جنسها عن الاحاطة به وقيل للتبعض. ولما كان
 اللباس جزاء العمل فكان موجودا عندهم أسند الفعل اليهم فقال (ويلبسون ثيابا خضرا)
 لان الخضرة أحسن الالوان وأكثرها طراوة ثم وصفها بقوله تعالى (من سندس) وهو مارق
 من الدياج (واسترق) وهو ما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على أن فيها ما نشى
 النفس وتلد الاعين وفى آية أخرى بطائنها من استرق فيكون الغليظ بطانة للرقيق ثم استأنف
 الوصف عن حال جلوسهم فيها بأنه جلوس الملوك المتكئين من النعم فقال تعالى (متكئين فيها)
 أى لانهم فى غاية الراحة (على الارائك) جمع أريكة وهى السرير فى الجملة وهى يتيزر
 بالثياب والستور العروس ثم مدح هذا بقوله تعالى (نعم الثواب) أى الجزاء الجنة لولم يكن لها
 وصف غير ما سمعت فكيف ولها من الاوصاف ما لا يعلمه حق علمه الا الله تعالى والى ذلك أشار
 بقوله تعالى (وحسنت) أى الجنة كلها وبين ذلك بقوله تعالى (مر تفعفا) أى مقر او مر تفعفا
 ويجلسوا ولما انقضت الكفار بأموالهم وأنصارهم على فقراء المسلمين بين الله تعالى أن ذلك مما
 لا يوجب الانتصار لاحتلال أن يصير القمير ثنيا والغنى فقيرا واما الذى يجب الانتصار به
 فطاعة الله تعالى وعبادته وهى حاصله لفقراء المؤمنين وبين ذلك بضرب هذا المثل المذكور

بقوله تعالى (واضرب لهم) أي لهؤلاء الأضياء المتعبرين الذين يستكبرون على المؤمنين
ويطلبون طردهم لضعفهم وفقيرهم (مثلاً) لما آتاهم الله من زينة الحياة الدنيا واعتمدوا عليه
وركنوا إليه ولم يشكروا من آتاهم إياه عليه بل آتاهم إلى الافتقار والتكبر على من زوى ذلك
عنه أكراماً له ومجانة عنه (رجلين) إلى آخر الآية واختلف في سبب نزولها فقيل نزلت في رجلين
من أهل مكة من بني مخزوم أحدهما مؤمن وهو أبو سلمة وكان زوج أم سلمة قبل رسول الله صلى
الله عليه وسلم والآخر كافر وهو الأسود بن عبد المطلب وهما ابنا عبد الأسد بن عبد المطلب وقيل
مثال العيينة بن حصن وأصحابه مع سلمان وأصحابه شبههم بمرجلين من بني إسرائيل أخوين
أحدهما مؤمن واسمه يهوذا في قول ابن عباس وقال مقاتل تخلصا والآخر كافر واسمه فطروس
وقال وهب قطرفة وهما اللذان وصفهما الله تعالى في سورة والصافات وكانت قصتهما على ما حكى
عبد الله بن المبارك عن معمر بن عطاء الخراساني قال كانا رجلين شريكين لهما ثمانمائة ألف
دينار وقيل كانا أخوين وثمان مائة ثمانمائة ألف دينار فاقسماها فاشترى أحدهما أرضاً
بألف دينار فقال صاحبه اللهم إن فلان قد اشترى أرضاً بألف دينار وإني مشتريها بألف دينار
الجنة بألف دينار فصدق بها ثم إن صاحبه بنى داراً بألف دينار فقال صاحبه اللهم إن فلان
بنى داراً بألف دينار وإني اشتريت منك داراً في الجنة بألف دينار فصدق بها ثم تزوج
صاحبه امرأته فاتفق عليها ألف دينار فقال هذا اللهم إنني أخطب اليك من نساء الجنة
بألف دينار فصدق بها ثم إن صاحبه اشترى خدماً ومات بما بألف دينار فقال هذا اللهم إنني
اشترى خدماً ومات بما في الجنة بألف دينار فصدق بها ثم أصابته حاجة شديدة فقال
لو أتيت صاحبني لعل ينالني منه معروف فجلس على طرفه حتى مر به في حشمة فقام إليه
ف نظر إليه الآخر ف عرفه فقال فلان قال نعم قال ماشاً أنك قال أصابني حاجة بعدك فأتيت
لتعيني فخير قال فافعل مالك وقد اقسمتنا مالاً وأخذت شرطه فقص عليه قصته فقال وانك
لمن المصدقين بهذا اذهب فلا أعطيك شيء فطرده وروى أنه لما أتاه أخذيده فجعل يطوف
به ويريه أموال نفسه فقتل فيهما واضرب لهم ثلاثا رجلين أي اذكر لهم خبر رجلين (جعلنا
لأحدهما جنتين) أي يستاقن بسر ما فيهما من الأشجار من يدخلهما (من أعناب) لأنهم من
أشجار البلاد الباردة وتصبر على الحر وهي فاكهة وقوت بالعنب والزبيب والخل وغيرها
ثم أنه تعالى وصف الجنتين بصفات الصفة الأولى قوله تعالى (وجعلناهما) أي أطفئناهما
من جواربهما (بخل) لأنهما من أشجار البلاد الحارة وتصبر على الحر وجمعت عن الأعناب
بعض أسباب الصعاب وقرها فاكهة بالسر والرطب وقوت بالتمر والخل فكان الخل
كألا كليل من رواء العنب * (تبييه) الحفاف الجانب وجهه أحفة يقال أحب به القوم أي
أطافوا بجواربته الصفة الثانية قوله تعالى (وجعلنا بينهما) أي أرضي الجنتين (زوما) لبعده
شعور الآفة لكل لأن زمان الزرع ومكانه غير زمان غمار الثبر ومكانه وذلك هو العسدة في
القوت فكانت الجنتان أرضاً جامعة تخير القاه فاكهة وأفضل الأوقات وعمرتها متواصلة

متشابهة لم توسطها ما يقطعهما ويفصل بينهما مع سعة الأطراف وتساعد الألف وحسن
 الهنات والوصاف الصفة الثالثة قوله تعالى (كلما) أي كل واحدة من (الجنيتين) المذكورتين
 آتت أكلهما) أي ما يطلب منها ويؤكل من غير وجب كاملاً غير منسوب شيء منهما إلى نقص
 ولا زيادة وهو بمعنى (ولم تظلم) أي ولم تنقص (منه شيئاً) يعهد في سائر البساتين فإن الثمار
 تم في عام وتنقص في عام غالباً والظلم النقصان تقول الرجل ظلمني حتى أي نقصني * (تنبيه) *
 كلا اسم مفرد معرفة يؤكده مذكران معرفتان وكلتا اسم مفرد معرفة يؤكده مؤنثان
 معرفتان وإنما إذا أضفنا إلى المظهر كأننا بالان في الأحوال الثلاثة كقولك جاءني كلاً أخويك
 ورأيت كلاً أخويك ومررت بكلاً أخويك وجاءني كلاً أخيك ورأيت كلاً أخيك ومررت
 بكلاً أخيك وإذا أضفنا إلى المظهر كأننا في الرفع بالالف وفي الجر والنصب بالياء وبعضهم يقول
 مع المظهر بالالف في الأحوال الثلاثة أيضاً فقوله تعالى آتت أكلها حمل على اللفظ لأن كلاً
 لفظ مفرد ولو قيل آتت على المعنى لجاز الصفة الرابعة قوله تعالى (وجرنا خلاهما نهرًا) أي
 وسطهما ما بينهما ومنه قوله تعالى ولا وضعا خلا لاكم ومنه يقال خللت القوم أي دخلت
 القوم وذلك ليدوم شربهما ويستغنيا عن المطر عند القحط ويزيد بهما الصفة الخامسة
 قوله تعالى (وكان له) أي صاحب الجنيتين (عمر) أي أنواع من المال سوى الجنيتين قال ابن
 عباس من ذهب وفضة وغير ذلك من أغرماله إذا كثروا عن مجاهد الذهب والفضة خاصة أي كان
 مع الجنيتين أشياء من الأموال ليكون متمكناً من العمارة بالأعوان والآلات وجميع ما يريد
 وقرأ أبو عمرو وعمرنا وعمره الآتي يسكون الميم فيها ما بعد ضم الشاء المثناة وقرأ عاصم بفتح
 المثناة والميم فيها والباقون بضم المثناة والميم فيها ذكر أهل اللغة أن الضم أنواع المال
 من الذهب والفضة وغيرهما وبالفتح جعل الشهر قال قطرب وكان أبو عمرو بن العلاء يقول الشعر
 المال والولد وأنشد للعرث بن حازم

ولقد رأيت معاشرًا • قد أغروا ما لا وولدا

وقال النابغة مهلفاء لك الأقوام كلهم • وما أغرم من مال ومن ولد

(فقال) أي هذا الكافر (لصاحبه) أي المسلم المجهول مثلاً للفقراء المؤمنين (وهو) أي صاحب
 الجنيتين (يحاووه) أي يراجه الكلام من جار مجر إذا رجع اقتضار عليه وتقييم حاله بالنسبة
 إليه والمسلم يحاووه بالوعظ وتقييم الركون إلى الدنيا (أنا أكرمك مالاً) لما تزي من جنات
 ونجاري وقرأ نافع بعد الالف بعد النون والباقون بالتصريح هذا في الوصل وأما في الوقف بالالف
 للبيح وسكن فالون وأبو عمرو والسكاسي ها وهو وضمها الباقون ورتق ورش واحاويه
 (وأعز نقرأ) أي فاساقومون معي في المهمات وينفعون عند الضرورات لأن ذلك لازم لكثرة
 المال غالباً وتزي أكثر الأغنياء من المسلمين وإن لم يطلقوا عنل هذا ألسنتهم فإن السنة
 أحوالهم ناطقة به منادية عليه (ودخل جنته) بصاحبه يطوف به فيها ويقدمها وأفراد
 الجنة لإرادة الجنين ودلالة آفاده الكلام من أنهم ما لا اتصالهما كالجنة الواحدة وإشارة

الى أنه لاجنة له غيرها لانه لاحظ له في الآخرة (وهو) أي والحال أنه (تطالم لنفسه) لاعتماده على ماله والاعراض عن ربه ثم استأنف بيان ظلمه بقوله تعالى (قال ما أظن أن تبيد) أي تععدم (هذه) أي الجنة (أبداً) لطول أمه وتقادى غفلته واعتباره بجهله ثم زاد في الطغيان والبطر بقصر النظر على الحاضر فأنكر البعث بقوله (وما أظن الساعة قائمة) أي كأنه استلذذ بما هو فيه واخلد اليه واعتماد عليه وقوله (ولئن رددت الي ربى) المحسن الى في هذه الدار في الساعة اقسام منه على أنه ان ردا الى ربه على سبيل القرض والتقدير وعلى ما يزعم صاحبه أن الساعة قائمة (لاحدت خيرا منها) أي من هذه الجنة (منقلباً) أي مرجعاً لانه لم يعطى الجنة في الدنيا اليعطيتني في الآخرة أفضل منها قال ذلك طمعا وتبعا على الله وادعاء لكرامته عليه ومكاته عنده وانه ما أولاه الحسنيين الا الاستحقاق واستثاله وان معه هذا الاستحقاق أينما توجه كقوله ان لي عنده للعسنى لا وتبين ما لاولدا (قال له صاحبه) أي المؤمن (وهو) أي والحال أن ذلك صاحب (يحاورة) أي راجعه. منكر عليه (أكفرت بالذي خلقك من تراب) أي خلق أصلك آدم من تراب لان خلق أصله سبب في خلقه فكان خلقه خلقه (ثم من نطفة) متولدة من أغذية أصلها تراب هي مادتك القرية (ثم سوادك) أي عدلك بعد أن أولدك وطورك في أطوار النشأة (رجلاً) أي كلك انساناً ذكراً بالغاً يبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفر بالله تعالى لان منشأه الشك في كمال قدرة الله تعالى ولذلك ترتب الانتكار على خلقه اياه من التراب فان من قدر على بدخ خلقه مرة قدر على أن يبيده منه ولما أنكر على صاحبه أخبر عن اعتقاده بما يصاد اعتقاد صاحبه فقال مؤكداً لاجل انكار صاحبه مستدر كالأجل كفرانه (لكأ) أصله لكن أنا قلت حركة الهمزة الى النون وحذفت الهمزة ثم ادغمت النون في مثلها كما قال القائل

وترميني بالطرف أي أنت مذب * وتقليني لكن اياك لا أقل

أي لكن انا لا أقلك * ولما كان سبحانه وتعالى لاشئ أظهر منه ولاشئ أبطن منه أشار الى ذلك جميعاً باضماره قبل الذكر فقال (هو) أي الظاهر أتم ظهوره فلا يخفى أصلاً ويجوز أن يكون الضمير الذي خلقك (الله) أي المحيط بصفات الكمال (ربى) وحده لم يحسن الى خلقه ورزقاً أحده غيره وهذا اعتقادي في الماضي والحال وقرأ ابن عامر بإثبات الالف بعد النون وقفاً ووصلاتبع المرسوم والباقون بإثبات الالف بعد النون وقفاً وحذفها وصل (فان قيل) قوله لكأ استدر لك ماذا (أجيب) بأنه لقوله أكفرت فكأنه قال لآخيه أكفرت بالله لكني مؤمن موحد كما يقول زيد غائب لكن عمر حاضر وذكر السقالي في قول المؤمن (ولا أشركت ربى) أي المحسن الى في عبادتي (أحداً) وجوهاً أحدها اني لأرى الفقر والغنى الامنة فأجده اذا أعطى وأصبر اذا ابتلى ولا أكفر عند ما ينعم علي ولا أرى كثرة الاموال والاهوان من نفسي وذلك لان الكافر لما اعتز بكثرة المال والجاه فكأنه قد أثبت لله شريكاً في اعطائه الفقر والغنى وأثبت للعقل ذلك الكافر مع كونه منكر البعث كان عابدهم فبين هذا

المؤمن فساد قوله بالثبات الشركاء وثالثها ان هذا الكافر لما هجر الله تعالى عن البعث والحشر
 فقد جعله مسلوا بالخلق في هذا العجز واذا أثبت المساواة فقد أثبت الشرك ثم قال المؤمن
 للكافر (ولولا اذ) أي وهلاجين (دخلت - سنك قلت) عند اجماع بلينها ما يدل على تقويضك
 الامر فيها وفي غيرها الى الله تعالى وهو (ما شاء الله) أي الامر ما شاء الله أو ما شاء الله كان على
 ان ما موصولة أي وأي شيء شاء الله كان على أنها شرطية والجواب محذوف أي اقرارا بأنها
 وما فيها بعيشة الله تعالى ان شاء أيضا وان شاء أهلها وقرأ ابن ذكوان وصحة بالا مالة
 والباقون بالفتح واذا وقف حزة وهشام على شاء أبدل الهزمة المقام المد والتوسط والقصر
 وأظهر اذ عند الدال نافع وابن كثير وعاصم والباقون بالادغام. وهلا قلت (لا قوة الا بالله)
 اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله وأن ما تبسرك من عمارتها وتديرها أمرها بعبودية الله تعالى
 واقداره أو لا يقوى أحد في بدنه ولا في غير ذلك الا بالله وفي الحديث من أعطى خيرا من أهل
 أموال فيقول عند ذلك ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يرفيه مكرها ثم ان المؤمن لما أصل الكافر
 بالايان أجابه عن اختياره بالمال والنفس فقال (ان ترى أنا اقل منك مالا وولدا) أي
 من جهة المال والولد ويحتمل أن يكون أنا فصلا وأن يكون تأ كيدا للمفعول الاول
 وقرأ فالون وأبو عمرو وبابيات الياء وصلوا وحذفها وقفا وابن كثير بابياتهم وصلوا وقفا
 والباقون بال حذف وقفا وصلوا وقوله تعالى (فمسي رب) أي المحسن الى (ان يوتيقي) من
 خزائن رزقه (خيرا من جنك) امانى الدنيا وما في الآخرة لا يمانى جواب الشرط (ويرسل
 عليها) أي جنك (حسابا) جمع حسابانة أي صواعق (من السماء خصب) بعد كونهم اقترعوا لعين
 بما تهم به من الانحجار والزروع (صمدا زلقا) أي أرضا مسلما باستئصال بنيانها وأشجارها
 فلا يثبت فيها نبات ولا يثبت عليها قدم وقوله (أو يصبح ماؤها غورا) أي غائرا في الارض لا تناله
 الايدي والدال مصدر وصف به كالزلق (قلن نستطيع) أنت (له) أي الماء الغائر (طلبيا) يصير
 بحيث لا تقدر على رده الى موضعه ثم انه أخبر الله تعالى أنه حقق ما قدره هذا المؤمن فقال
 (وأحيط) أي وقعت الاحاطة بالهالكين للمفعول لان النكد حاصل باحاطة الهالكين من غير
 نظر الى فاعل مخصوص والدلالة على سهولته (بقره) أي الرجل المشرك كله واستوصل هالكوا
 طلق السهل منه وما في الجبل وما يصبر منه على البرد والحرق وما لا يصبر قال بعض المفسرين ان
 الله تعالى أرسل عليها نارا فاهلكتها وغار ماؤها (فأصبح يقلب كفيه) ندما ويضرب احد لهما
 على الاخرى فحسرا فقلبت الكفين كناية عن الندم والحسرة لان الندم يقرب كفيه ظهرها
 لبطن كما يكتفي عن ذلك بعض الكف والسقوط في البدلانه في معنى الندم فعلى تعديته كآب
 قيل فأصبح ندم (على ما أنفق فيها) أي في عمارتها ولوعائها (وهي خاوية) أي ساقطة (على
 عرونها) أي دعائها التي كانت تحتمل فحطت على الارض وسقطت هي فوقها وقوله تعالى
 (ويقول) عطف على يتلب أو حال من ضميره (يا) للتشبيه (لنتقى) تخيلا رما قاته ليعينه ويذوق
 عقله ودهشته وعدم اعتماد على الله تعالى من غير الشرك بالاعتماد على الغنى (يا شرك رب)

الخدم) كما حال له حاجبه فقدم حيث لا يشقه السدم على ما قرأ في المائتي لاجل ما قاله على
 الدنيا لحرصا على الايمان لحصول الفوز في العقبى لقصور عقله ووقوفه مع المحسوسات
 المشاهدة (فان قيل) ان هذا الكلام يوهم ان جنته انما هلك بشوم شركه وليس مراد الان
 أنواع البلاء أكرها انما يقع للمؤمنين قال تعالى ولو لان يكون الناس أمة واحدة لجلنا
 لمن يكفر بالرحن لميوتهم سقما من فضة ومعارح عليها يظرون وقال هل على الله علمه وسلم خص
 البلاء بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالمثل وأيضا قال باليتي لم أشرك بربى أحد افقدت
 على الشرك ورغب في التوحيد فوجب أن يصيره مؤسقا لم قال تعالى بعده (ولم تكن له فئة)
 أي جماعته ممن نزه الذين اغتربهم ولا من غيرهم (ينصرونه) مما وقع فيه (من دون الله) عند
 هلاكها (وما كان) هو (منصرا) بنفسه بل ليس الامر في ذلك الا لله وحده (أجيب)
 عن القول بأنه لما عظمت حسرته لاجل أنه أنفق عمره في تصحيل الدنيا وكان معرضا في عمره
 كله عن طلب الدين فلما ضاعت الدنيا بالكلمة بقي محروما من الدنيا والدين وعن الثاني بأنه لما
 ندم على الشرك لاعتقاده أنه لو كان موحدا غير مشرك لبقيت عليه جنته فهو وانما رغب
 في ذلك لاجل طلب الدنيا فلذلك لم يقبل الله توحيدَه وقرأ حمزة والكسائي يكن بالتحسنة على
 السد كبير والباقون بالقروية على التأنيث * ولما أنتج هذا المثل قطعنا أنه لا أمر لغير الله تعالى
 المرجح لتصرأ وليا بعد ذلكهم ولا غنائم بعد فقرهم ولا ذلال أعدائهم بعد عزهم وكبرهم
 وإفقارهم بعد اغنائمهم وحده وان غيره انما هو كالتبالي لاحتمال له صرح بذلك في قوله تعالى
 (هنالك) أي في مثل هذه الشدائد العظيمة (الولاية لله) أي الذي له الكمال كله وقرأ حمزة
 والكسائي بكسر الواو أي الملك والباقون بقصها أي النصره وقوله تعالى (الحق) قرأه أبو عمرو
 والكسائي برفع القاف على الاستئناف واتقطع تعليلا تنبيها على ان فزعهم في مثل هذه الأزمان
 اليه تعالى دون غيره برهان قاطع على أنه الحق وما سواه باطل وان الضمير بالعرض الزائل من
 أجهل الجهل وان المؤمنين لا يصيبهم فقر ولا بسوغ طردهم لاجله وأنه يوشك أن يعود فقرهم
 غنى وضعفهم قوة وقرأه الباقرين بخصفها على الوصف أي الثابت الذي لا يتحول يوما ولا يزول
 ولا يفتل ساعة ولا ينام ولا ولا ولاية لغيره بوجه (هو خير نوابا) من نواب غيره لو كان يتيب (وخير
 عقبا) أي عاقبة للمؤمنين وقرأ عاصم وحزرة بسكون القاف والباقون بعضها وانصب على التمييز
 * ولما تم المثل لدنياهم الخاصة بهم التي أنظرتهم فكانت سببا لثباتهم وهم يحسبون أنها
 عين اسعادهم ضرب لدار الدنيا العامة لجميع الناس في قلة نوابهم او سرعة فناها وان تكبر
 كان أخس منها فقال (واضرب) أي صبر (لهم) أي لهؤلاء الكفار المغترين بالعرض القاني
 المتفصرين بكثرة ذكرا الاموال والاولاد وعزة النفر وقوله تعالى (مثل الحياة الدنيا) مفعول
 أول ثم ذكر المثل بقوله تعالى (كلام) وهو المفعول الثاني (أزنتاه) بعظمنا وقد رتنا
 بزال تعالى (من السماء) فيها على بليغ القدرة في امساك في العلو وانزاله في وقت الحاجة
 (فاختلط) أي فتمسب وتسبب عن انزاله أنه اختلط (به نبات الارض) أي التمسب بسببه حتى

خالط بعضه بعضاً من كثرته وتكاثفه كما قال تعالى فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ولعل
 اختلط ذلك الماء بالنبات حتى روى واهتز وغما وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلف
 نبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفاً بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرته
 ثم اذا انقطع ذلك بالمطر مدة جف ذلك النبات (فأصبح هشيباً) أي باسبا متفرقة أجزاؤه
 (تذروه) أي شتره وتفرقه (الرياح) فتذهب به والمعنى أنه تعالى شبه الدنيا بنبات حسن فيس
 فتكسر فمفرقه الرياح حتى يصير عاقيل كأنه بقدره الله تعالى لم يكن وقراً حرة والكسائي
 بالتوحيد والباقون بالجمع (وكان الله) أي المختص بصفات الكمال (على كل شيء) من
 دون ذلك وغيره انشاء واقفاء واعدة (مقدراً) أزلاً وأبداً بتكوينه أولاً ونشئه وسطاً وابطاله
 آخره احوال الدنيا أيضاً كذلك تظهر أولاً في غاية الحسن والنضارة ثم تتزايد قليلاً قليلاً
 ثم تأخذ في الانحطاط الى أن ينتهي الى الهلاك واقفاء ومثل هذا الشيء ليس للعاقل أن يتهيج به
 * (تنبيه) قوله تعالى فأصبح يجوز أن يكون على يابه فإن أكرم ما يطرُق من الآفات صباحاً
 كقوله تعالى فأصبح يقب كضبه ويجوز أن يكون بمعنى صار من غير تعبير بصباح كقول القائل
 أصبحت لأجل السلاح ولا * أم لك رأس البعير انقرا

* ولما بين سبحانه وتعالى أن الدنيا سريرة الانقراض والاتضاء مشرفة على الزوال والبوار
 واقضاء بين بقوله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) ادخال هذا الجزئي تحت هذا الكلي
 فينعقد به قياس بين الانتاج وهو أن المال والبنون زينة الحياة الدنيا ولما كانت زينة
 الحياة الدنيا سريرة الاتضاء والانقراض أنتج اتساجلديها أن المال والبنون سريع
 الاتضاء والانقراض وما كان كذلك فانه ينتج بالعقل أن لا يقفخر به أو يفرح بسببه أو يقيم له
 في نظره وزناً وهذا برهان ظاهر باهر على فساد قول أولئك المشركين الذين اقتضوا على فقراء
 المؤمنين بكرة الاموال * ثم ذكر تعالى ما يدل على رجحان أولئك الفقراء على أولئك الكفار
 من الاغنياء فقال (والباقيات الصالحات خير) أي من الزينة الثانية لان خيرات الدنيا
 منقرضة منقضية وخيرات الآخرة دائمة باقية والدائم الباقي خير من المنقرض المنقضى وهذا
 معلوم بالضرورة لا سيما وقد ثبت أن خيرات الدنيا حقيرة خسيسة وأن خيرات الآخرة رفيعة
 شريفة والمفسرون ذكروا في الباقيات الصالحات أقوالاً أحدها أنها سبحانه الله والحمد لله
 ولا اله الا الله والله أكبر وزاد بعضهم ولا حول ولا قوة الا بالله والفرابي في تفسيره غير الزيادة
 وجه لطيف فقال روى أن من قال سبحان الله حصل له من الثواب عشر حسنات فاذا قال
 الحمد لله صارت عشرين فاذا قال ولا اله الا الله صارت ثلاثين فاذا قال والله أكبر صارت
 أربعين وتحقق القول فيه أن مراتب الثواب أعظمها هو الاستغراق في معرفة الله تعالى
 وفي محبته فاذا قال سبحان الله فقد عرف كونه تعالى منزهاً عن كل ما يليق به وكل ما لا ينبغي
 لحصول هذا العرفان عبادته عظيمة وبهجة كاملة فاذا قال مع ذلك الحمد لله فقد أتقرباً إلى الحق
 سبحانه وتعالى مع كونه منزهاً عن كل ما يليق به وهو المستدعى لكل ما ينبغي ولا فاضة كل خير وكال

فقد تضاعفت درجات المعرفة فلاجرم قلنا تضاعفة الثواب فاذا قال مع ذلك لا اله الا الله فقد اقر
 بان الذي تنزه عن كل ما لا ينبغي وهو المبتدئ لكل ما ينبغي ليس في الوجود موجوده هكذا
 الا هو الواحد فقد صارت مراتب المعرفة ثلاثة فلاجرم صارت درجات الثواب ثلاثة فاذا قال
 العبد والله أكبر فعنى انه أكبر انه أعظم من ان يصل العقل الى كنه كبريائه وجلاله فقد صارت
 مراتب المعرفة أربعة فلاجرم صارت درجات الثواب أربعة وعن أبي هريرة قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لان أقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أحب الى مما طلعت
 عليه الشمس وعن أبي سعيد الخدري أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استكروا من
 الباقيات الصالحات قيل وما هن يا رسول الله قال التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول
 ولا قوة الا بالله ثانياً أنها الصلاة الخمس ثالثاً أنها الطيب من القول رابعاً وهو أعمالها
 وأولاهن أعمال الخيرات التي تبي غراتهم الأبد الا بادن درج في ذلك الصلاة وأعمال الحج
 وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله والكلام
 الطيب وغير ذلك من كل عمل وقول دعاء لمحبة الله تعالى ومعرفته وخدمته وأماما دعائه من قول
 أو عمل الى الاشتغال بأحوال الخلق فهو خارج عن ذلك لان كل ماسوى الحق فهو فان لذاته
 فكان الاشتغال به والاتفاق عليه باطلا وسعيًا ضائعاً وأما الحق لذاته فهو الباقي الذي لا يقبل
 الزوال لاجرهم كان الاشتغال بحبته ومعرفته وطاعته وخدمته هو الذي يبقى بقاء لا يزول ولما
 كان أهم ما الى من حصل البقاء ليس لكفايته بل لمن يحفظها له لوقت حاجته قال تعالى (عند ربك)
 أى الجليل المواهب العالم بالعواقب وخير من المال والبنين في العاجل والآجل (نوابا وخير) من
 ذلك كله (أملاً) أى من جملة ما يرجوه فيها من الثواب ويرجوه فيها من الأمل لان نوابج الى بقاء
 أملها كل ساعة في تحقق وعلو وارتقاء وأمل المال والبنين يخان أحوج ما يكون اليها وعن
 قتادة كل ما أورده وجه الله تعالى خير نوابا أى ما يتعلق بها من الثواب وما يتعلق بها من الأمل
 لان صاحبها يأمل في الدنيا ثواب الله ونصيبه في الآخرة ولما بين سبحانه وتعالى حساسة الدنيا
 وشرف الآخرة أردفه بأحوال يوم القيامة وذكر منها أنواعا النوع الاقول قوله تعالى (ويوم)
 أى واذا كرلهم يوم (نسي) بايسر أمر (الجبال) عن وجه الارض بعواصف القدرة كالتسيرات
 الارض بعد أن صار هتسما بالرياح كما قال تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمزمر
 المصاحب (تنبيه) * ليس في لفظ الآية ما يدل الى أين تسير فال الرازى ويحتمل أن يقال ان الله
 يسيرها الى الموضع الذي يريده ولم يبين ذلك نطقه والحق ان المراد ان الله تعالى يسيرها الى العدم
 لقوله تعالى ويستولونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فاذرها قاعا مفضفا لاترى فيها عوجا
 ولا أمثا ولقوله ويست الجبال بساف كانت هباء منبثا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بضم
 التاء القوية وفتح الباء التحتية بعد السين على فعل مالم يسم فاعله ورفع الجبال باسناد تسير اليها
 كما في قوله تعالى واذا الجبال سيرت والباقون بالنون المضمومة وكسر الباء التحتية بعد السين
 باسناد فعل التسير اليه تعالى نفسه ونصب الجبال لكونه مفعول تسير والمعنى فمن فعل بها ذلك

اعتبار بقوله تعالى وحشرناهم والمعنى واحد لانها اذا سرت فغيرها ليس الا الله تعالى * النوع الثاني قوله تعالى (وترى الارض) بكاملها (بارزة) لانها فيها ولا صدح ولا جبل ولا بقع ولا شجر ولا اطلال بقيت بارزة ظاهرة ليس عليها ما يستترها وهو المراد من قوله تعالى لترى فيها عوجا ولا استوا قيل انها ابرزت ما في بطنها وقذفت الحوق المقبورين فيها فاذا هي بارزة الجوف والبعطن مخفض ذكر الجوف كما قال تعالى والفت ما فيها وتحتت وقال تعالى واخرجت الارض انثقالها النوع الثالث قوله تعالى (وحشرناهم) أي الخلاق قهر الى الوقت الذي تنكشف فيه الحيات وتظهر القبايح والمغيبات ويقع الحساب فيعلم النقيض والقطيع والناقض فيه بصير (فلم تقادر) أي قتلتم (منهم) أي الاولين والاخرين (أحدا) لانه لا ذهول ولا عجز ونظيره قوله تعالى قل ان الاولين والاخرين ينجحون الى صيقات يوم معلوم (فان قيل) ليجي بحشرناهم ما ضياع بعد نصير وترى (أجيب) بأن ذلك يقال للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الالهوال العظام كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك * ولما ذكر تعالى حشرهم وكان من المعالم أنه للعرض ذكر كيفية ذلك العرض فقال باننا الفعل للمفعول على طريقة كلام القادوين ولأن الحروف العرض لا لكونه من معين (وعرضوا على ربك) المحسن اليك برفع أولياتك وخفض أعدائك وقوله تعالى (صفا) حال أي مصطفين واختلف في تفسيره على وجوه الأول أن تعرض الخلق كلهم صفا واحدا الاتساع الارض ظاهر من لا يجب بعضهم بعضا ثانيا ليعدان بكونوا صفا يخف بعضهم ورا بعض مثل الصوف المحيط بالكعبة التي تكون بعضها خاف بعض وعنى هذا المراد بقوله تعالى صفا صفوفا كقوله تعالى يخرجكم طفلا أي اطفالا ثالثا المراد بالصف القيام كما في قوله تعالى فاذا كروا اسم الله عليهم صوا فأي قيسا وقيل كل أمة صف و يقال لهم (لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) أي فرادى حفاة عراة غرلا وليس المراد حصول المساواة من كل وجه لانهم خلقوا صفا واولعقل لهم ولا تكليف عليهم بل المراد ما مر ويقال لشكري البعث (بل زعمتم أن) أي انا (لن نجعل لكم موعدا) أي مكانا ووقتا نجعلكم فيه هذا الجمع فننصركم ما وعدناكم به على السنة رسلنا فكنتم مع التعزز على المؤمنين بالاموال والانصار منكرين البعث والقيامة فالآن قدرتم الاموال والانصار في الدنيا وشاهدتم ان القيامة والبعث حق وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قام بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نفسه وعدا علينا انا كفاهاين الاوان أول خلق يكسى يوم القيامة ابراهيم عليه السلام الآونة صبيحا جرحا من اتمى فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصحابي فيقول انك لاتدرى ما أحد ثوابه لئلا تقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم الى قوله العزيز الحكيم قال فيقال لي انهم لم يزالوا مدبرين على أعقابهم منذ فارقتهم وفي رواية فأقول - حقا - سحطا وقوله عز لا إله الا الله الغرلة العظيمة التي تنقطع من جلد الذكر وهو موضع الشمان وقوله حقا أي بعد الحاق بعض العلق بالجزء منه ولا اله الا الذين ارتدوا من العرب بعنه وعن عائشة رضي الله تعالى

عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا فقلت
 للرجال والنساء جميعا تنظر بعضهم الى بعض فقال الامر أشد من ان يهضم ذلك زاد التسليق
 في رواية لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس على ثلاث طوائف راغبين وراهبين واثنان على بعير
 وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقبل معهم حيث قالوا
 وتبيت معهم حيث باتوا وتصيح معهم حيث أصبحوا وتسمى معهم حيث أمسوا (ووضع) بعد
 العرض المستعقب للجمع بأدنى إشارة (الكاتب) المصنوط فيه دقائق الاعمال وجلالها على
 وجه بين لا يفتنى على حارث ولا غيره شيء منه فيوضع كتاب كل انسان في يده أما في العيون وأما
 في الشعال والمراد الخفس وهو وصف الاعمال (قترى المجرمين مشفقين) أي متعاطفين خوف
 العقاب من الحق وخوف القضيحة من الخلق (بما فيه) من قبائح أعمالهم وسي أفعالهم
 وأقوالهم (ويقولون) عندما ينتهم ما فيه من السيئات وقولهم (يا للئيمه) (وبلينا) أي
 هلكتنا وهو مصدر لا فصل لمن لفظه كناية عن انه لا ندیم لهم اذ ذلك الالهلاك (مال هذا
 الكتاب) أي أي شيء له حال كونه على غير حال الكتب في الدنيا (لا يفادرو) أي لا يترك (صغيرة
 ولا كبيرة) من ذنوبنا وقال ابن عباس الصغيرة التيسم والكبيرة القهقهة وقال سعيد بن
 جبیر الصغيرة المم والميسس والقبلة والكبيرة الزنا (الأحصاها) أي عدّها وأبنتها في هذا
 الكتاب ونظيره قوله تعالى وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تعملون وقوله تعالى انا كنا
 نستنسخ ما كنتم تعملون (تيسيه) ادخال التاء في الصغيرة والكبيرة على تقدير أن المراد الفعلة
 الصغيرة والكبيرة قال بعض العلماء احتجوا من الصغار قبل الكبار لأن الصغار هم التي
 جرتهم الى الكبار واحتزروا من الصغار حذرا من أن تقعوا في الكبار وعن سهل بن سعد
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم ومحقرات الذنوب فانما مثل محقرات الذنوب مثل
 قوم زلوا بطن وادفاه هذا يعود وجاء هذا يعود فطبخوا خبزهم وإن محقرات الذنوب بطورات
 (ووجدوا ما هموا حاشرا) أي مشتتافي كتابهم (ولا ينظرون) أي الذي ريك لا يخلق القرآن
 (أحدًا) منهم ولا من غيرهم في كتاب ولا عقاب ولا ثواب بل يجازي الاعداء بما يستحقونه
 تصديا لهم ويجازي اولياءه الذين عادوهم بما يستحقون تنعيلهم روى الامام أحمد
 في المسند عن جابر بن عبد الله أنه سافر الى عبد الله بن أبي مسرة شهر يستأذن فاستأذن عليه
 قال فخرج يطأ توبه فاعتقني واعتقته قلت حديث بلقي عنك أكلت معتم من رسول الله صلى
 الله عليه وسلم في القصص نغشيت أن عوف قبل أن أسهمه فقال سمعت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يقول يحشر الله عز وجل الناس أو قال العباد حفاة عراة يه ما قبلت وما يه ما قال ليس
 منهم شيء ثم سادى بصوت يسع من بعد كما يسع من قرب أنا الملك أنا الدين لا ينبغي لأحد
 من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن
 يدخل الجنة ولا يحق من أهل النار عليه حق حتى ألقن من متحق للطمعة طال فقلنا كيف وانا

تأتي حفاة عراة يمشون بالحناء والسيات وروى الرازي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أنه قال يحاسب الله النائم في القيامة على مله يوسف وأيوب وسليمان فيدعو السماويك فيقال
 ما شغلكت عني فيقول جعلتني عبد الأدمي فلم يفرغني فيدعو يوسف فيقول كان هذا عبدا
 ملك فلم يمنعه ذلك أن عبدي فيؤمر به إلى النار ثم يدعو المبتلي فإذا قال شغلكتي بالبلاء دعا
 أيوب فيقول قد ابتليت هذا بأشدمن بلائك فلم يمنعه ذلك من عبادتي ثم يؤتى بالملك في الدنيا
 مع ما آناه الله تعالى من الغنى والسعة فيقول ما عملت فيما آتيتك فيقول شغلكتي الملك عن ذلك
 فيدعي سليمان فيقول هذا عبدي آتيته أكثر مما آتيتك فلم يشغله ذلك عن عبادتي أذهب
 فلا عذرك ويؤمر به إلى النار وعن معاذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لن يزول
 قدم العبد يوم القيامة حتى يستل عن أربع عن جسده فيم أبلاه وعن عمره فيم أفناه وعن ماله
 من أين اكتسبه وفيم أفنقه وعن علمه كيف عمل به * ولما كان المقصود من ذكر الآيات
 المتقدمة الرد على القوم الذين افتخروا بأموالهم وأعوانهم على فقراء المسلمين وهذه الآية
 المذكورة في قوله تعالى (وَأَذْكُرَ الَّذِينَ هُمْ أَطَّوعُوا عَنِّي وَلَا هُمْ يُرِيدُونَ) الذين هم أتطوع عني ولا هم
 المقصود من ذكرها عين هذا المعنى وذلك لأن إبليس إنما تكبر على آدم لأنه افتخر بأصله ونسبه
 وقال خلقتني من نار وخلقته من طين وأنا أشرف منه في الأصل والنسب فكيف أصبح له
 وكيف أتواضع له وهو لا المشركون عاموا فقراء المسلمين بمعنى هذه المعاملة فقالوا كيف
 نجالس هؤلاء الفقراء مع أننا ناس من أنساب شريفة وهم من أنساب باذلة ونحن أغنياء وهم
 فقراء ذكر الله تعالى هذه القصة تنبيها على أن هذه الطريقة هي نفسا طريقة إبليس حين أمره
 الله تعالى في جله الملائكة بقوله تعالى (اسجدوا للآدم) سجود الخفاء بلى وضع جبهة تحية له
 (فَسَجَدُوا لِلْإِبْلِيسِ كَانَ مِنَ الْجِنِّ) قيل هم نوع من الملائكة فالاستثناء متصل وقيل
 هو منقطع وإبليس أبو الجن فلا ذرية تذكرت معه بعد والملائكة لا ذرية لهم وكررت
 هذه القصة لهذا المقصود المذكور قال البيضاوي وهكذا ذهب كل تكريم في القرآن
 أي انما يكررت مناسبة ذلك المحل الذي يذكر فيه (ففسق) أي خرج بتركه السجود (عن أمر
 ربه) أي سيده ومالكة المحسن اليه والقاء للسببية وفيه دليل على أن الملك لا يعصى البتة وانما
 عصى إبليس لأنه كان خبيثا في أصله والكلام المستقصى فيه تقدم في سورة البقرة ثم انه تعالى
 حذر عن اتباعه بقوله تعالى (أَفَتَحْتَدُونَهُ) الخطاب لا آدم وذريته والهاهنا وفيما سيأتي
 لإبليس والهزة لأنكار والتعجب أي فسق باستحقاقكم فطرده لاجلكم فيكون ذلك سببا لأن
 تحذوه (وذريته) شركا لي (أولياء) لكم (من دوني) تطيعونهم بدل طاعتي وقوله تعالى
 (وهم لكم عدو) أي أعداء حال ولما كان هذا الفعل أجدر شئ بالذم وصل به قوله تعالى
 (يُبْسِ الظَّالِمِينَ بَدَلًا) من الله إبليس وذريته وكان الأصل لكم ولكنه أبرز الضمير ليعلق الفعل
 بالوصف لإفادة التعصيم روى مجاهد عن الشعبي قال اني لقا عبدا يوما اذا قبيل جمال فقال
 أخبروني هل لابليس زوجة قلت ان ذلك لم ير من مشاهدته ثم ذكرت قوله تعالى أفحتدونيه

وذريته أوليا من دوني فعلت أن لا تكون ذرية الامن زوجة فقلت نعم وقال قتادة يتوالدون
 كما يتوالد البنوادم وقيل انه يدخل ذنبه في دبره فيبيض البيضة فتسقط عن جماعة من الشياطين
 قال مجاهد من ذرية ابليس لا قيس وولهان وهما صاحبا الطهارة والصلاة والتهافت ومرة وبه
 يكتفى وزلتور وهو صاحب الاسواق يزين اللغو والايان الكاذبة ومدح السلع ونزوهو
 صاحب المصائب يزين خشم الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب والاعور وهو صاحب الزنا ينخ
 في احليل الرجل ويجز المرأة ومطوس وهو صاحب الاخبار الكاذبة يلقيها في أفواه الناس
 لا يجدون لها أصلا وداسم وهو الذي اذا دخل الرجل بيته ولم يسم الله ولم يذكر الله دخل معه
 واذا أكل ولم يسم الله أكل معه قال الاعمش رجمادخلت البيت ولم أذكر الله ولم أسلم فرأيت
 مطهرة فقلت ارفعوا خاصتهم ثم اذكركم فقول داسم داسم وعن عثمان بن أبي العاص قال قلت
 يا رسول الله ان الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا أحسسته فتعوذ بالله واتقل عن يسارك ثلاثا
 قال ففعلت ذلك فأذهب الله عني وعن أبي بن كعب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للوضوء
 شيطان يقال له الوهان فاتقوا وساوس الماء وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ان ابليس يضع فرشته على الماء ثم يبعث سراياه فأذناهم منه منزلة أعظمهم فتنبه يحيى أحدهم
 فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئا قال ثم يحيى أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت
 بينه وبين امرأته قال فيسديه منه ويقول نعم أنت قال الاعمش أراه قال فيلترمه واختلفوا
 في عود الضمير في قوله تعالى (ما أشهدتهم) على وجوه أحدها وهو الذي ذهب اليه الاكثرون
 ان المعنى ما شهدت الذين اتخذوهم أوليا (خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم)
 أي ولا أشهدت بعضهم خلق بعض كقوله تعالى اقتلوا انفسكم نبي احضار ابليس وذريته
 خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق بعض ليدل على نفي الاعضاء عنهم في ذلك
 كما صرح به بقوله تعالى (وما كنت متخذ المضلين) أي الذين يضلون الناس ووضع الظاهر
 موضع المضمراظهار الاضلالهم وذلالمهم (عضدا) أي اعوانا وثانيها قال الرازي وهو
 الاقوى عندي ان الضمير عائذ الى الكفار الذين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان لم تطرد
 عن مجلسك هؤلاء الفقراء من عندك فلانؤمن بك فكانت تعالي قال ان هؤلاء الذين اتوا
 بهذا الاقتراح القاسد والتعنط الباطل ما كانوا شركاء في تدبير العالم بدليل اني
 ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم ولا اعتضدت بهم في تدبير النساء
 والآخرة بل هم قوم كسائر الخلق فلم أقدموا على الاقتراح القاسد قال والذي يؤكد
 هذا ان الضمير يجب عوده الى أقرب المذكورات فالأقرب في هذه الآية هو أولئك
 الكفار وهو قوله تعالى يس للظالمين بدلا والمراد بالظالمين أولئك الكفار وثالثها ان يكون المراد
 من قوله ما أشهدتهم الى آخره دون هؤلاء الكفار جاهلين بما جرى به القلم في الازل من أحوال
 السعادة والشقاوة فكانه قبل لهم السعيد من حكم الله بسعادته والشقي من حكم الله بشقاوته

في الازل وانتم غافلون عن أسحوال الازل فانه تعالى قال ما أشهدتهم الى آخره واذا جهلتم هذه
 الحالة فكيف يمكنكم أن تحكموا والانفسكم بالرفعة والعلو والكمال واغريبكم بالذل والدناءة بل
 ربما صار الاظهر في الدنيا والاخرة على العكس مما حكمت به * ولما قررنا على ان القول الذي قالوه
 في الافتخار على القترا اقدم وافيه بابليس عاد بعده الى التحويل بأحوال القيامة فقال (ويوم)
 التقدير واذ كر لهم يا محمد يوم عطفنا على قوله واذ قلنا للملائكة (يقول) أى الله يوم القيامة
 لهؤلاء الكفار تكلم بهم وقرأ حجة بالنون والباقون بالياء (نادوا شركائهم) أى ما عبد من دونه
 وقيل ابليس وذريته ثم بين تعالى ان الاضافة ليست على حقيقة بل تويج لهم فقال تعالى (الذين
 زعمتم) انهم شركائى أو شفعوا لكم لنعوكم من عذابي (فدعوهم) ثم ادبنا في الجهل والضلال
 (فلم يستجيبوا لهم) أى فلم يغضبواهم واستماتة بهم واشتقنا بالانفسهم فضلا عن أن يعينوهم
 (وجعلنا بينهم) أى المشركين والشركاء (موبقا) أى وادبنا من أودية جهنم يهلكون فيه جميعا
 وهم من سبق بالفتح هلك نقل ابن كثير عن عبد الله بن عمر انه قال هو وادعيت فرق به يوم القيامة
 بين أهل الهدى وأهل الضلال وقال الحسن البصرى عداوة أى يؤل بهم الى الهلاك والتلف
 كقول عمر رضى الله تعالى لا يكون حبك كافا ولا بغضك تلفا أى لا يكن حبك يجر الى الكاف
 ولا بغضك يجر الى التلف وقيل الموبق البرزخ البعيد أى وجعلنا بين هؤلاء الكفار وبين
 الملائكة وعيسى برزخا بعيدا يهلك فيه السارى لقرط بعده لانهم في قرع جهنم وهم في أعلى الجنان
 * ولما قرر سبحانه وتعالى ما لهم مع شركائهم ذكر حالهم في استمرار جهلهم فقال تعالى (ورأى
 الجرمون) أى العربيون في الاجرام (النار) من مكان بعيد (فظنوا) ظنا (انهم موقعوها)
 أى مخالطوها في تلك الساعة من غير تأخير ومهلة لشدة ما يسمعون من تغيطها وزفرها كما قال
 تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها نغيظا وزفرا فان مخالطة الذي لغيره اذا كانت قوية
 تامة يقال لها موقعة (ولم) أى والحال انهم لم (يجدوا عندهم صرفا) أى مكانا ينصرفون اليه
 لان الملائكة تسوقهم اليها والموضع موضع التحقق ولكن ظنهم جريا على عادتهم في الجهل
 كما قالوا اتخذ الله ولدا بغير علم وما اظن أن تبده هذه أبدا وما اظن الساعة قائمة ان نطق الاظنا
 وما نحن مستيقنين مع قيام الادلة التي لاشك فيها وقيل الطن هنا بمعنى العلم واليقين * ولما افتخر
 هؤلاء الكفار على فقراء المسلمين بكثرة أموالهم وأبناعهم وبين الله تعالى الوجوه السكينة
 ان قولهم فاسد وشبههم باطله ذكر فيه المنين المتقدمين ثم قال بعده (ولقد صرنا) وأظهر
 نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم الدال وأدغمها الباقون (في هذا القرآن) أى القيم الذى
 لا عوج فيه مع جمعه للمعاني (للناس) أى المزلزلين والثابتين وقوله (من كل مثل) صفة لمخدوف
 أى مثلا من جنس كل مثل لينغظوا وأنا حولنا الكلام وصرناه فى كل وجه من وجوه المعاني
 وأبسننا من العبارات الراتفة والاساليب المتناسقة ما صار بها فى غرابته كالمثل يقبله كل
 من سمعه وتضرب به آباط الابل فى سائر البلاد بين العباد فتسرب قلوبهم وتلمح به ألسنتهم
 فلم يقبلوه ولم يتركوا المجادلة الباطلة كما حال تعالى (وكان الانسان أكرهى) يتأق منه الجدال

وميزالا كثيرة بقوله تعالى (جدلا) أى خصومة قال بعض المحققين والآية دالة على أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام جادلوهم في الدين لأن المجادلة لا تحصل الا من الطرفين ولهذا قيل أراد بالانسان الكافر وقيل الآية على العموم قال ابن الخازن وهو الاصح وكذا قال بغوى فعن على رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله تعالى عنها ليلة فقال الاصليان فقلت يا رسول الله انفسنا بيد الله فاذا شاء ان يعيننا بعننا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت ذلك ولم يرجع الى شيئا ثم سمعته وهو مولى يضرب فخذه وهو يقول وكان الانسان أكثر نبي جدلا وقال ابن عباس أراد النضر بن الحرث وجداه في القرآن وقال الكلبي أراد به خلفا للجمي * ولما بين سبحانه وتعالى اعراضهم بين موجهه عندهم فقال تعالى (وما منع الناس) أى الذين جادلوا بالباطل الايمان هكذا كان الاصل ولكنه عبر عن هذا المفعول الثاني بقوله (ان يؤمنوا) ليقيده بالتجديد وذمهم على الترتل (اذ) أى حين جاءهم الهدى) أى القرآن على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وعطف على المفعول الثاني معبرا بمثل ماضى لما مضى قوله تعالى (ويستغفروا ربهم) أى لامانع لهم من الايمان والامن الاستغفار والتوبة * ولما كان الاستثناء مفرغا فى الباقى فقال (الآن) أى طلب ان تأتيتهم سنة الاولين) أى استغفروا وهو الاهلاك المقدر عليهم (أو) طلب ان تأتيتهم العذاب قبلا) أى مقابلة وعيانا وهو القتل يوم يدور وقيل عذاب الآخرة وقرأ الكوفيون برفع القاف والباء الموحدة والباقون بكسر القاف وفتح الباء الموحدة * ولما كان ذلك ليس الى الرسول وانما هو الى الله تعالى نبه بقوله تعالى (وما ترسل المرسلين الا مبشرين) بالثواب على أفعال الطاعة (ومندرين) بالعقاب على أفعال المعصية فطلب منهم الظالمون من أعمهم ما ليس اليهم (ويجادل الذين كفروا) أى يجتهدون الجدال كلما تأهم أمر من قبلنا (الباطل) من قولهم ما أنتم الا بئس مثله ولو كنتم صادقين لا يتهم بما يطلب منكم مع ان ذلك ليس كذلك اذ ليس لاحد غير الله من الامر شي (ليدحضوا به) أى ليطولوا بجدالهم (الحق) أى القرآن والمعجزات المثبتة لصدقهم (واتخذوا آيات) أى القرآن (وما أنذروا) أى وانذارهم أو الذى أنذروا به من العقاب (هزوا) أى استهزاء وقرأ حفص بالواو ووقفا وصلوا وحزوا بالواو ووقفا لا وصلوا وسكن الزاى حزة ورفعها الباقون وحزوا فى الوقف أيضا النقل * ولما حكى الله تعالى عن الكفار أحوالهم الخبيثة وصفهم بما يوجب الخزي بقوله تعالى (ومن أظلم) أى لاحد أظلم وهو استفهام على سبيل التقرير (ومن ذكر آيات ربه) أى المحسن اليه بها وهى القرآن (فأعرض عنها) تاركها ليعرف من تلك العلامات الخبيثة وما يوجب ذلك الاحسان من الشاكر (ونسى ما قدمت يداه) من الكفر والمعاصى فلم يتفكر فى عاقبتها ثم علل تعالى ذلك الاعراض بقوله تعالى (اننا جعلنا على قلوبهم) فجمع رجوعا الى أسلوب واتخذوا آيات لانه أنص على ذم كل واحد (اكنة) أى أعطية مستحلبة عليها استعمالا يدل سياق العظمة على أنه لا يدع شيئا من الظلم يصل اليها فهى لا تفي شيئا من آياتنا وذل سئد كبير الضمير واقراده على أن المراد بالآيات

القرآن فقال (أن) أي كراهة أن (يفقهوه) أي يفهموه (وفي آذانهم وقرا) أي ثقلا فهم
 لا يسمعون حق السمع ولا يعون حق الوعى (وان تدعهم) أي تترك ردعاهم كل وقت (الى
 الهدى) لتجهيم عما عندك من الحرص والجد على ذلك (فلن يهتدوا) أي بسبب دعائك (إذا)
 أي إذا دعوتهم (أبدا) لأن الله تعالى حكم عليهم بالضلال فلا يقع منهم إيمان ثم قال تعالى (وبك)
 مشير بهذا الاسم الى ما اقتضاه حال الوصف من الاحسان (الغفور) أي البليغ المغفرة
 الذي يستر الذنوب بما يحوها واما بالعلم عنها الى وقت آخر (ذو الرحمة) أي الموصوف بالرحمة
 الذي يعامل وهو قادر مع موجبات الغضب معاملة الراحم بالاكرام ثم استشهد تعالى على ذلك
 بقوله تعالى (لو يؤاخذهم) أي هؤلاء الذين عادوك وهو عالم أنهم لا يؤمنون أو يعاملهم
 معاملة المؤاخذة (بما كسبوا) من الذنوب (لجعل لهم العذاب) أي فى الدنيا (بل لهم
 موعد) وهو اتمام يوم القيامة واما فى الدنيا وهو يوم بدر وسائر أيام الفتح (لن يجردوا من دونه)
 أي الموعد (موثلا) أي ملأ نعيمهم منه فاذا جاء موعدهم أهلكتهم فيه بأول ظلمهم وآخره
 وقوله تعالى (وتلك) مبتدأ وقوله تعالى (القرى) أي الماضية من عاد وثمود ومدين
 وقوم لوط وأشكالهم صفته لان أسماء الاشارة توصف بأسماء الاجناس والخبر (أهلكتهم)
 والمعنى وتلك أصحاب القرى أهلكتهم (لما ظلموا وجعلنا لهم موعدا) أي وقتا معلوما
 لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون وقرأ شعبة بفتح الميم واللام أي لاهلاكهم وقرأ حفص
 بفتح الميم وكسر اللام والباقون بضم الميم وفتح اللام أي لاهلاكهم ثم عطف سبحانه وتعالى
 على قوله تعالى واذقنا للملائكة (واذ) أي واذكر لهم حين (قال موسى لئن شاء) يوشع
 ابن نون بن افرائيم بن يوسف عليهم الصلاة والسلام وانما قال لئن شاء لانه كان يخذمه ويتبعه وقيل
 كان ياخذ منه العلم وقيل فناه عبده وفى الحديث ليقبل أحدكم فتأى وقتائى ولا يقبل عبدي
 وأتى * (تنبيه) * أكثر العلماء على أن موسى المذكور فى هذه الآية هو موسى بن عمران صاحب
 المعجزات الظاهرة وصاحب التوراة وعن كعب الاحبار أنه موسى بن ميشاب بن يوسف بن
 يعقوب وهو قد كان نيا قبل موسى بن عمران قال البغوى والاول أصح واحتج له القفال بأن الله
 تعالى لم يذكر فى كتابه موسى الأراد به صاحب التوراة فاطلاق هذا الاسم يوجب الانصراف
 اليه ولو كان المراد شخصاً آخر يسمى موسى غيره لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز وازالة
 الشبهة كما انما كان المشهور فى العرف عن أبي حنيفة هذا الرجل المعين فلوز كرها هذا
 الاسم وأردناه به رجلا سواه لقيدها ممشى ل أن تقول قال أبو حنيفة الدينورى وعن سعيد بن
 جبيرة قال قلت لابن عباس ان نوحا البكالى الى يزعم ان موسى صاحب الحضرس هو موسى بن
 اسرائيل فقال ابن عباس كذب عدوا لله ونوف البكالى هو نوف بن فضالة الحسرى الشامى
 البكالى ويقال انه دمشق وكانت أمه زوجة كعب الاحبار فقتله ابن كثير وجمحة الذين
 قالوا موسى هذا غير صاحب التوراة أنه يقال بعد أن أنزل عليه التوراة وكلمه بلا واسطة وخصه
 بالمعجزات الباهرة العظيمة التي لم يتفق مثلها الا كبراً كابر الانبياء بعد أن يعنه بعد ذلك الى التعلم

والاستفادة (وأجيب) بأنه لا يعد أن يكون العالم الكامل في كثرة العلوم مجهول بعض العلوم
فيحتاج في تعلمها إلى من هو دونه وهو أمر متعارف روى البخاري حديث أن موسى قام خطيباً
في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم قال أنا فقرب الله تعالى عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوحى
الله تعالى إليه أن لي عبداً بجميع البحرين هو أعلم منك قال بارب فكيف لي به قال تأخذ حوتنا
فتجعله في مكمل فخيشما فقدت الحوت فهو تم فاخذ حوتنا فجعله في مكمل ثم قال (لأبرح) أي
لا أزال أسير في طلب العبد الذي أعلمني ربي بفضلته (حتى أبلغ مجمع البحرين) أي ملحق بجزر الروم
وبجزر فارس مما يلي الشرق قاله قتادة أي المكان الجامع لذلك فالقاء هناك (أو أمضي حبياً)
أي دهر الطويل في بلوغه إن لم أظفر به بمجمع البحرين الذي جعله ربي موعداً لي لقاؤه
والحقب قال في القاموس ثمانون سنة أو أكثر والدهر والسنة والسنون انتهى فساروا وتزودوا
حوتاً ومشوا في مكمل كما أمر به فكانا ياباً كلان منه إلى أن بلغا المجمع كما قال تعالى (فلما بلغا مجمع
بينهما) أي بين البحرين قال لقاؤه إذ فقدت الحوت فأخبرني وإنما واضطرب الحوت في المكمل
وخرج وسقط في البحر فلما استيقظا (نسيما حوتهما) أي نسي يوشع جملته عند الرحيل ونسي
موسى عليه السلام تذكيره وقيل الناسي يوشع فقط وهو على حذف مضاف أي نسي أحدهما
كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان (فأخذ الحوت (سديله في البحر) أي جعله يجعل الله
(سرياً) أي مثل السرب وهو الشق الطويل لانفاذه وذلك أن الله تعالى أمسك عن الحوت
جري الماء فأنجاب عنه فبقى كالكرة لم يلبتم وجمد ما فتحه وقد ورد في حديثه في الصحيح أن الله
تعالى أحياء وأمسك عن موضع جريه في الماء فصارتها لا يلبتم وكان المجمع كان ممتدافظن عليه
السلام أن المطلوب امامه أو ظن المراد مجمع البحرين آخر أفساراً (فلما لجوزاً) ذلك المكان
بالسريفة يومها وليلتها واستمر إلى وقت الغداء من ثاني يوم (قال) موسى عليه السلام
(لقتناه آتياً) أي أحضرنا (عداءنا) وهو ما يؤكل أول النهار لقوي به على ما حصل لنا من
الاعياء ولذلك وصل به قوله (لقد لقينا من سفرنا هذا نصيباً) أي تعباً ولم يجد موسى النصيب حتى
جاوز المكان الذي أمره الله تعالى به فقوله هذا إشارة إلى السفر الذي وقع بعد رجوعهم وما
الموعود وجمع البحرين ونصب ما مقبول بلقينا (قال) له قناه (آيات) أي ما دهاني
وقرأنا فبع تسهيل الهمزة التي هي عين الكلمة ولورش وجه آخر وهو ابد الهاء حرف مد وأسقطها
الكسائي والباقون بالتحقيق (أذا وبيننا إلى الصخرة) التي بمجمع البحرين (فأني نسيت
الحوت) أي نسيت أن أذكر لك أمره ثم علل عدم ذكره بقوله (وما أنسانيه إلا الشيطان)
يوسوسه وقرأ حفص بضم الهاء وأمال الألف الكسائي محضة وورش بين بين وبالفتح
والباقون بالفتح وقوله (أن أذكره) لك في محل نصب على البدل من هاء أنسانيه بدل اشتغال أي
أنسانيه ذكره (واقتديسيله) أي طريقته الذي ذهب فيه (في البحر هيباً) وهو كونه كالسرب
مجهز لموسى أو الخضر وذكره إلا أن مانع من أن يكون للشيطان عليه سلطان على أن هذا
التسبيح ليس مفرداً طاعة بل فيه تزكية لهما في معراج المقامات العالية لوجدان التعب بعد

المكان الذي فيه البغية وحفظ الماء منجبا على طول الزمان وغير ذلك من الآيات الظاهرة
 وقوله تعالى انما سلطانها على الذين يتولونه مبين ان السلطان الحمل على المعاصي وقوله وما
 أنسانيه الا الشيطان أن أذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقد كان في هذه القصة
 خوارق منها حياة الطوت ومنها ایجاد ما كان أكل منه ومنها امسال الماء عن مدخله
 وقد اتفق لنبينا صلى الله عليه وسلم نفسه وأتباعه بركته مثل ذلك أما إعادة ماء كل من الطوت
 المشوى وهو جنبه فقد روى البيهقي في أوخر دلائل النبوة عن اسامة بن زيد رضي الله تعالى
 عنه انه صلى الله عليه وسلم أتى بشاة مشوية فقال لبعض أصحابه ناولني ذراعها وكن أحب
 الشاة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمها ثم قال ناولني ذراعها فتناولني ذراعها
 فقال يا رسول الله انما هذا ذراعان وقد ناولتك فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو سكت
 ما زلت تناولني ذراعها ما قلت لك ناولني ذراعها فقد أخبر صلى الله عليه وسلم انه لو سكت أو جحد الله
 تعالى ذراعها ثم ذراعها وهكذا وأما حياة الطوت المشوى ففي قصة الشاة المشوية المسهومة ان
 ذراعها أخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه مسهوم فهذا أعظم من عود الحياة من غير نطق وكذا
 حنين الجذع ونسليم الحجر وتسيج الحصى ونحو ذلك أعظم من عود الحياة الى ما كان حيا وروى
 البيهقي في الدلائل عن عمرو بن سواد قال قال الشافعي ما أعطى الله تعالى نبيا ما أعطى محمدا
 صلى الله عليه وسلم قلت أعطى عيسى عليه السلام احياء الموتى فقال أعطى محمد صلى الله عليه
 وسلم احياء الجذع الذي كان يخطب الى جنبه حين هي له المنبر وحن الجذع حتى سمع صوته فهذا
 أكبر من ذلك انتهى وقد وردت أشباه كثيرة من احياء الموتى له صلى الله عليه وسلم وبعض أمته
 وروى عن أنس رضي الله تعالى عنه انه قال كفى بالصفحة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فانتبه امرأة ومعها ابن لها فاضاف المرأة الى النساء واضاف ابنها اليها فبليت ان أصابه
 وباء المدينة فمرض أياما ثم قبض ففعضه النبي صلى الله عليه وسلم وأمر بجهازه فلما أوردنا أن نفسه
 قال انت أمته فأعلمها بجهازه حتى جلست عند قدميه فأخذت بهما ثم قالت اللهم اني أسئلتك
 تطوقا وخلعت الاوثان زهدا وهاجرت اليك رغبة اللهم لا تشمت بي عبدة الاوثان ولا تخملني
 من هذه المصيبة ما لا طاقة لي بحملها قال فوالله ما انقضى كلام المرأة حتى حرك قدميه وألقى
 الثوب عن وجهه وعاش حتى قبض الله رسوله صلى الله عليه وسلم وحتى هلكت أمته
 وأما آية الماء فرجعها الى صلاحته ولا فرق بين وجوده بهدم الالتئام بعد الانخراق وبين وجوده
 وصلاحته بالامتناع من الانخراق وقد جهز عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه جيشا واستعمل
 عليه العلاء بن الحضرمي فحصل لهم حر شديد وجهدهم العطش قال بعض الجيش فلما لمت
 الشمس لغرو بها صلى بنا ركعتين ثم مقبده وما ترى في السماء شيئا فوالله ما حط يده حتى بعث الله
 تعالى ريحا وأنشأ بها فأنفرت حتى ملأت القدر والشعاب فشرنا وسقينا واستقينا
 ثم اتينا عدونا وقد جاوزنا خليجا في البحر الى جزيرة فوقف على الخليج وقال يا علي يا عظيم يا حلیم
 يا كريم ثم قال أجزير وابسم الله فاجزنا ما ميل الماء حوافر دوابنا فأصبنا العدو عليه فقتلنا وأسرننا

وسمينانم اتنا الخليل فقال مثل مقالته فاجزنا وما بل الماه حوافر دو اينا والاخبار في ذلك
كثيرة * ولما قال فساه ذلك كانه قيل فما قال موسى عليه السلام حيث قد (قال) له (ذلك) أي
الامر العظيم من فقد الحوت (ما كنا نبعث) أي نريد من هذا الامر الغيب عنا فان الله تعالى
جعله. وعدا في لقاء الخضر وقرأ نافع وأبو عمر والكسائي ثابثا الياء وصلالا وقتوا ابن كثير
يثبتها وصلالا وقتوا والباقون بالحذف (فارتدا على آثارهما) أي فرجعا في الطريق الذي جا
فيه يتصانها (قصا) أي يتبعان اثرهما اتباعا ومقتضين حتى يأتيها الصخرة قال البقاعي يدل على
ان الارض كانت رملا لا علم فيها فالظاهر والله أعلم انه جمع النبل والملح عند ميطا أورشيد من
بلاد مصر ويؤيده نقر العصفور في البحر الذي ركب في سفينه للتعديه كافي الحديث فان الطير
لا يشرب من الملح ومن المشهور في بلاد رشيد ان الامر كان عندهم وان عندهم سمكا ذاهب
الشيء يقولون انه من نسل تلك السمكة والله أعلم انتهى وتقدم عن قتادة انه ملتي بجر فارس
والروم وقال محمد بن كعب طنجة وقال أبي بن كعب افرقيبة وقيل البحران موسى والخضر
لانهم ما كانا بجري علم قال ابن عادل وليس في اللفظ ما يدل على تعيين هذين البحرين فان صح في
الخير الصحيح شي فذلوا والاولى السكوت عنه انتهى ثم استمر اقصان حتى انتهى الى موضع
فقد الحوت (فوجد اعبدا من عبادنا) مضافا الى حضرة عظيمنا قيل كان ملكا من الملائكة
والصحيح الذي جاء في التواريخ وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه الخضر واسمه بليابن
ملكان وكنيته أبو العباس قيل كان من بني اسرائيل وقيل من أبناء الملوك الذين تنزهوا
وتركوا الدنيا والخضر لقب سمي بذلك لانه جلس على فروة يضاء فاذا هي تم تحت خضراء والفروة
قطعة نبات مجتمعة يابسة وقيل سمي خضرا لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله روى ان موسى
عليه السلام رأى الخضر مسجى موكا فسلم عليه فقال الخضر وأني بأرضك السلام
قال اناموسى أنتك تعلمي مما علمت رشدا وفي رواية لقيه مسجى ثوب مستلقيا على قفاه بعض
الثوب تحت رأسه وبعضه تحت رجله وفي رواية لقيه وهو يصلي ويروي لقيه وهو على طنفسة
خضراء على كبد البحر وروى أن موسى عليه السلام لما وصل اليه قال السلام عليك
فقال وعليك السلام يا بني بني اسرائيل فقال موسى ما عرفك هذا فقال الذي بعثك الي وكان
الخضر في أيام افرديون وكان على مقدمة ذى القرنين الاكبر وبني الى أيام موسى وقيل
ان موسى سأل ربه أي عبادك أحب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فأى عبادك أقضى
قال الذي يقضى بالحق ولا يتبع الهوى فقال فأى عبادك أعلم قال الذي يتتبع علم الناس الى عمله
عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك أفضل مني فادلني
عليه قال أعلم منك الخضر قال ابن أطلبه قال على ساحل عند الصخرة قال كيف لي به قال تأخذ
حرفا في مكنل تحب فقدته فهو هناك (آيتناه) يعظمنا (رحمة من عندنا) أي وحيا ونبوة
وكونه نبيا هو قول الجمهور وقيل انه ليس بنبي قال البغوي عند كثر أهل العلم أي فعندهم
انه ولي (وعلمنا من لدنا) أي محامل البحر على قوانين الصادات على أنه ليس مستغرب عند أهل

الاصطفاء (علماً) قد فناه في قلبه بغير واسطة وأهل التصوف سمو العلم بطريق المكاشفة العلم
 اللدني فأداسي العبد في الرياضات بتزين الظاهر بالعبادات وتحتل النفس عن العلائق وعن
 الاخلاق الزبيلة بتجليتها بالاخلاق الجميلة صارت القوى الحسية والخيالية ضعيفة فاذا ضعفت
 قويت القوى العقلية وأشرفت الانوار الالهية في جوهر العقل وحصلت المعارف وكملت
 العلوم من غير واسطة سمي وطلب في التفكير والتأمل وهذا هو المسمى بالعلوم اللدنية ثم اورد سبحانه
 وتعالى القصة على طريق الاستئناف على تقدير سؤال سائل عن كل كلام يرشد اليه ما قبله وذلك
 انه من العلوم ان الطالب للشخص اذا قيده كلمة لكن لا يعرف عين ذلك الكلام فقال لمن كانه سأل
 عن ذلك (قال له موسى) طابا منه على سيدل التأدب والتلطف باظهار ذلك في قالب الاستئذان
 (هل أتبعك) أي اتباعا بل بما حيث توجهت والاتباع الا يتابع بمثل فعل الغير مجرد كونه
 آتيا به وبين أنه لا يطلب منه غير العلم بقوله (على أن تعلمني) أثبت الباء نافع وأبو عمرو وصل لا وقفا
 وابن كسيرة وصل لا ووقفا والباقون بالحذف وزاد في التعطف بالاشارة الى أنه لا يطلب جميع
 ما عنده ليطول عليه الزمان بل جوامع منه يسترشد به الى باقيه فقال (مما علمت) وبناء للمفعول
 العلم المتخاطبين لكونهم من المخلصين بأن الفاعل هو الله تعالى ولاشارة الى سهولة كل أمر الى
 الله تعالى (رشداً) أي علماً يرشدني الى الصواب فيما أقصده وقرأ أبو عمرو وفتح الراء والشين
 والباقون بضم الراء وسكون الشين * ولما أتت موسى عليه السلام العبارة عن السؤال (قال) له
 الخضر عليه السلام (انك) يا موسى (ان تستطيع معي صبراً) نفي عنه استطاعة الصبر معه
 على وجوه من التأكيدها لانصح ولا تستقيم وفتح الياء من معي صبراً في المواضع الثلاثة
 هنا حفص وسكنها الباقون ثم علل عدم الصبر معه واعتذر عنه بقوله (وكيف نصبر) يا موسى
 (على ما لم تحط به خبراً) أي وكيف نصبر على أمور وأنت نبي تظاهرها منا كبير والرجل الصالح
 لا يتألم أن يصبر اذا رأى ذلك بل يادرو ويأخذ في الانكار وخبر امر صدم لم يحط به
 أي لم يخبر بحقيقته (قال) له موسى عليه السلام آتيا بنهاية التواضع لمن هو أعلم منه ارشاداً لما
 ينبغي في طلب العلم رجاء تسهيل الله تعالى له النفع به (سجدتني) فأكد الوعد بالسين ثم أخبر تعالى
 انه قوي تأكيده بالتبرك بذكر الله تعالى لعله بصعوبة الامر على الوجه الذي تقدم الحث عليه
 في هذه السورة في قوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ليعلم أنه منهاج
 الانبياء فقال (ان شاء الله) أي الذي له صفات الكمال (صابراً) على ما يجاوز الصبر عليه ثم زاد
 التأكيده بقوله عظماً بالواو على صابر البيان التمكن في كل من الموضوعين (ولأعصى) أي
 وغير عاص (لك أمرأ) تأمرني به غير مخالف لظاهر أمر الله تعالى * (تنبيه) * ذات هذه الآية
 الكريمة على ان موسى عليه السلام راعى أنواعاً كثيرة من الادب واللطف عند ما أراد أن يعلم
 من الخضر منها انه جعل نفسه تبعاً لقوله هل أتبعك ومنها انه استأذن في اثبات هذه التبعية
 كما أنه قال هل تأذن لي أن أجعل نفسي تبعاً لك وهذه مبالغة عظيمة في التواضع ومنها قوله
 صلى الله عليه وسلم على أن تعلمني وهذا اقرار منه على نفسه بالجهل وعلى أسأذه بالعلم ومنها قوله

مما علمت وصيغة من التبعية وطلب منه تعليم بعض ما علم وهذا أيضا اقرار بالتواضع كما
 يقول لأطلب منك أن تجعلني مساويا لك في العلم بل أطلب منك أن تعطيني جزأ من أجزاء
 ما علمت ومنها أن قوله مما علمت اعتراف منه بان الله تعالى علمه ذلك العلم ومنها قوله رشدا
 طلب منه الارشاد والهداية ومنها قوله سجدت ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا
 ومنها انه ثبت بالخبر ان الخضر عرف أولا أن موسى صاحب التوراة وهو الرجل الذي
 كله الله من غير واسطة وخصه بالمعجزات القاهرة الباهرة ثم انه عليه السلام مع هذه المناسبات
 الرفيعة والدرجات العالية الشريفة أتى بهذه الانواع الكثيرة من التواضع وذلك يدل على
 كونه عليه السلام آتيا في طلب العلم بأعظم أبواب المبالغ في التواضع وذلك يدل على أن هذا
 هو اللائق به لأن كل من كانت احاطته بالعلوم التي علم ما فيها من الهجة والسعادة أكثر كان
 طلبه لها أشد فكان تعظيمه لارباب العلم كدل وأرشده وكل ذلك يدل على أن الواجب على
 المتعلم انظها والتواضع بكل الغايات وإنما المعلم فان رأى ان في التخليط على المتعلم ما يفيد نفعا
 وارشادا الى الخير فالواجب عليه ذكره فان السكوت عنه بوقوع المتعلم في الغرور وذلك يمينه من
 التعلم وروى أن موسى عليه السلام لما قال هل أتبعك على أن تعليني رشدا قال له الخضر
 كني بالتوراة علما وبيي اسراييل شغلا فقال له موسى الله أمرني بهذا (قال) له الخضر (فان
 اتبعني) أي صحبتني ولم يقل اتبعني ولكن جعل الاختيار اياه لأنه شرط عليه شرط افعال
 (فلا تستلني عن شيء) أقوله أو أفعله (حق أحدث لك) خاصة (منه ذكر) أي حتى أبدأ بوجه
 صوابه فاني لأقدم على شيء الا وهو صواب جائز في نفس الامر وان كان ظاهره غير ذلك فقبل
 موسى شرطه رعاية لادب المتعلم من العالم وما اشار لوطر اضياعا على الشرط تسبب عن ذلك
 قوله تعالى (فانطلقا) أي موسى والخضر عليهما السلام على الساحل فأتتهما الى موضع احتجا
 فيه الى ركوب السفينة فإزا ابطلمبان سفينة ركبنا فيها واستمرا (حتى أذركما في السفينة)
 التي حرت بهما وأجاب الشرط بقوله (خرقها) أي أخذ الخضر فأسانفرق السفينة بأن قلع
 لوحا ولو حين من ألواحها من جهة البحر لما بلغت اللجة ولم يقترن خرق بالقاء لأنه لم يكن مسببا
 عن الركوب ثم استأنف قوله (قال) أي موسى عليه السلام منكر ذلك لما في ظاهره من
 الفساد بآلاف المال المقضي الى فساد أكبر منه باهلاك النفوس ناسيا لما عقد على نفسه على
 انه لو لم يفسد لم يترك الاتكار كما فعل مندقل الغلام لأن مثل ذلك غير داخل في الوعد لأن المستثنى
 شرعا كالسنتنق وضعا (أخرقتها) وبين عذره في الاتكار لما في غاية الخرق من الضاعة فقال
 (لتفرق أهلها) فان خرقتها سبب لدخول الماء فيها المقضي الى غرق أهلها وقر أجزءه والكسائي
 بالراء الحسية مفتوحة وفتح الراء ورفع اللام من أهلها والباقون باتاء القوقية مضومة وكسر
 الراء ونصب لام أهلها ثم قال له موسى والله (لقد جئت شيئا مرمورا) أي عظيما منكرا (قال)
 الخضر (ألم أقل انك) يا موسى (لن تستطيع معي صبرا) فذكره بما قال له عند الشرط (قال)
 موسى (لا توراخذني) يا خضر (بما نسيت) أي غفلت عن التسليم لك وترك الاتكار عليك قال ابن

عباس انه لم نفس ولكنه من معارض الكلام أي وهي التورية بالشئ عن الشئ وفي المثل أن
 في المعارض لمدوحة عن الكذب أي سعة فكانه نسي شيئا آخر وقبل معناه بما تركت من
 عهدك والنسيان الترك وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كانت الأولى من موسى
 نسيانا والوسطى شرطا والثالثة عمدا (ولا ترهقني من أمرى عمرا) أي لا تكلفني مشقة يقال
 أرهقه عمرا وأرهقته عمرا أي كلفته ذلك يقول لا تضيق على أمرى ولا تعسر متابعتك على
 ويسر هاعلى بالأعضاء وترك المناقشة وعاملني بالسر ولا تعاملني بالعسر وعمرا مفعول ثان
 لترهقني من أرهقه كذا إذا جهل إياه وغشاه به وما في بما نسبت مصدريه أو بمعنى الذي والعائد
 محمد وروى أن الخضر لما خرق السفينة لم يدخلها الماء وروى أن موسى لما رأى ذلك أخذ
 ثوبه فغشاه الخرق وروى أن الخضر أخذ قدحاً من زجاج ووقع به خرق السفينة (فان قيل)
 قول موسى عليه السلام آخر قمت بالفرق أهلها ان كان صادقا في هذا دل ذلك على صدور ذنب
 عظيم من الخضر ان كان نبيا وان كان كاذبا دل ذلك على صدور الذنب من موسى وأيضا فقد التزم
 موسى أن لا يعترض عليه وجرت العهود المذكورة بذلك ثم انه خالف تلك العهود وذلك ذنب
 (أجيب) بأن كلابنا مصادق فيما قاله وف بحسب ما عنده أما موسى عليه السلام فإنه
 ما خطر له قط أن يعاهد على أن لا ينهيه بما يعتمده منكره وأما الخضر فإنه عقد على ما في نفس
 الامر أنه لا يقدم على منكر (فانطلقا) بعد نزولهما من السفينة وسلامتهما من الفرق
 والعطب (حتى إذا القيما غلاما) قال ابن عباس لم يبلغ الحنث (فقتله) حين لقيه كجادات عليه
 الفاء العاطفة على الشرط قال البغوي في القصة انه ما خرجا من البحر عشرين فرابغلان يلبسون
 فأخذ غلاما ظرهما ووضي الوجه فأضجعه ثم ذبحه بالسكين قال السدي كان أحسنهم وجهها
 كان وجهه يتوقد حسنا قال البغوي وروى أنه أخذ رأسه فاقتلعه بيده وروى عبد الرزاق
 هذا الخبر وأشار بيده بأصابعه الثلاثة الإبهام والسبابة والوسطى وقلع رأسه وروى أنه
 رضع رأسه بالحجارة وقيل ضرب رأسه بالحداد فقتله وكونه لم يبلغ الحنث هو قول الأكثرين
 وقال الحسن كان رجلا قال شعيب الحياثي وكان اسمه جيسور وقال الكلبي كان قتي يقطع
 الطريق ويأخذ المتاع ويلتجئ إلى أبيه وقال الضحاك كان غلاما يعمل بالفساد ويتأذى منه
 أبواه وعن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغلام الذي قتله الخضر طبع
 كافر ولو عاش لارهق أبويه طغيانا وكفرا قال الرازي وليس في القرآن كيف لقياه هبل كان
 يلبع مع جمع من الغلمان أو كان منفردا وهل كان مسلما أو كافرا وهل كان بالغاً وصغيراً وكان
 اسم الغلام بالصغير أليق وان احتمل الكبير لأن قوله بغير نفس أليق بالبالغ منه بالصبي لأن
 الصبي لا يقتل وان قتل قال البقاعي إلا أن يكون شرعهم لا يشترط البلوغ وقال ابن عباس
 ولم يكن نبي الله يقول أقتلت نفسا زكية بغير نفس الا وهو صبي قال الرازي أيضا وكيفية قتله
 هل قتله بان حراسه أو بأن ضرب رأسه بالحداد أو بطريق آخر فليس في القرآن ما يدل على شيء
 من هذه الأقسام انتهى ثم أجاب الشرط بقوله منكره بأن شرعه في الانتكار في هذه أسرع

(قال) موسى (أقلت) يا خضر (فما سارا كية بغير نفس) قتلته ليكون قتلها لها قودا وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وبألف بعد الزاي وتخفيف الياء التحية والباقون بغير ألف بعد الزاي وتشديد التحية قال الكسائي الزا كية والركبة لغتان ومعنى هذه الطهارة وقال أبو عمرو والركبة التي لم تذب والركبة التي اذنت ثم تابت ثم استأنف قوله (لقد) أظهر الدال نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم وأدغمها الباقون (جئت) في قتلك اياها (شيئا) وصرح بالانكار في قوله (نكرا) لان مباشرة الخرق سبب ولهذا قال بعضهم النكر أعظم من الامر في القبح لان قتل الغلام أعظم من خرق السفينة لانه يمكن أن لا يحصل الفرق وأما هنا فقد حصل الاتلاف قطعا والنكر ما أنكرته العقول ونفرت منه النفوس فهو أبلغ في القبح من الامر وقيل الامر أعظم لان خرق السفينة يؤدي الى اتلاف نفوس كثيرة وهذا القتل ليس الاتلاف شخص واحد وقرأ نافع وابن ذكوان وشعبة برفع الكاف والباقون بسكونها ولما كانت هذه ثانية (قال) له الخضر (ألم أقل لئلا تك) يا موسى (ان تستطيع معي صبرا) وهذا عين ما ذكره في المسئلة الاولى لانه هنا زاد لفظه لك (فان قيل) لم زادا هنا (أجيب) بأنه زادها مكافئة بالعقاب على رفض الوصية وسماجة الصبر والنبات لما تكبر منه الاشمزاز والاستكثار ولم يعر بالتذكير اول مرة قال ابن الاثير المكافئة المدافعة والمضاربة والاشمزاز من اشماز الرجل اي انقبض قلبه قال البغوي وفي القصة ان يوشع كان يقول لموسى يا بني الله اذ كر العهد الذي أنت عليه (قال) موسى حيا منه لما فاق شد كبره ما حصل من فرط الوجد لامر الله تعالى فذكر أنه ما تبعه الا بامر الله تعالى (ان سألتك عن شي بعدها) أي بعد هذه المرة واعلم بشدة ندمه على الانكار بقوله (فلا تصاحبي) أي لا تتركني أشعث بل فارقي ثم علل ذلك بقوله (قد بلغت) وأشار الى أن ما وقع منه من الاخلال بالشروط من أعظم الخوارق التي اضطر اليها فقال (من لدني) أي من قبلي (عدوا) باعتبار ضي مرتين واحتمال كلى فيها وقد أخبر الله بحسن حالك في غزارة علمك فدحه به هذه الطريقة من حيث انه أحقلم مرتين أولا وثانيا مع قرب المدّة روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال رحم الله أخي موسى استجيبا فقال ذلك ولولبت مع صاحبه لا بصر أعجب الاعاجيب وعن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله علينا وعلى موسى وكان اذا ذكر أحد من الانبياء بدأ بنفسه لولأن يعجل لرأى العجب ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة أي حياء واشفاق فقال ان سألتك الى آخره وقرأ نافع بضم الدال وتخفيف النون وقرأ شعبة كذلك الا أنه يشم الدال فتصيرسا كنة قريبة من الضم والباقون بضم الدال وتشديد النون (فانطلقا) أي موسى والخضر عيشان لينظر الخضر أمر ما نفذ فيه ما عنده من علمه ورش يغلط اللام في لفظ انطلقا على أصله بعد قتل الغلام (حتى اذا أتيا أهل قرية) قال ابن عباس هي انطاكية وقال ابن سيرين هي اليلة وهي أبعدا أرض الله من السماء وعبر عنها بالقرية ذون المدينة لانه أدل على الذم وقيل برقة وعن أبي هريرة بلدة بالاندلس (استطعما أهلها) أي طلبا من أهل القرية أن يطعموهما وفي الحديث انهما كانا يشبان على

بجائز أولئك القوم يستطعمانهم (فأبو أن يضيفوهما) أي أن يزلوهما ويطعموهما يقال
 ضافه إذا كان له ضيفا وحقيقته مال اليه من ضاف السهم عن الغرض وضيفوه وأضافه أنزله
 وجعله ضيفا (فان قيل) الاستطعام ليس من عادة الكرام وكيف قدم عليه موسى والخضر وقد
 حكى الله تعالى عن موسى أنه قال عند ورود ما مدين رب انى لما أنزلت الى من خير فقير
 (أجيب) بأن اقدم الخائف على الاستطعام أمر مباح في كل الشرائع بل ورمجاوب ذلك عند
 الخوف من الضرر الشديد (فان قيل) لم قال حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها ولم يقل
 استطعماهم (أجيب) بأن التكريه قد يكون للتأكد كقول الشاعر

ليت الغراب غدا يبعث دائما * كان الغراب مقطوع الوداج

وعن قتادة شرا القرى التي لا تصيف الضيف (فائدة) قال الرازى وفي كتب الحكايات ان أهل
 تلك القرية لما سمعوا نزول هذه الآية استحيوا ورجأوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل
 من الذهب وقالوا يا رسول الله جئنا لنبهذ الذهب لتجعل الباء تاح حتى تصير القراءة هكذا فأوأ
 أن يضيفوهما أى أيتناهم لاجل الضيافة حتى يتدفع عنها هذا اللوم فامتنع رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وقال تغيير هذه النقطة يوجب دخول الكذب في كلام الله تعالى وذلك يوجب القدح
 في الالهية فعلمنا أن تغيير النقطة الواحدة من القرآن يوجب بطلان الربوبية والعبودية * ولما
 أبوأ أن يضيفوهما انصرفا (فوجدافها) أى القرية ولم يقل فهم ايذا نابأ أن المراد وصف القرية
 بسوء الطبع (جدارا) أى حائطا مائلا مشرفا على السقوط ولذا قال مستعير المالم يقل صفة
 من يقل (يريد ان ينتفض) أى يسقط وهذا من مجاز كلام العرب لان الجدار لا ارادة وانما
 معناه قرب ودنا من السقوط كما تقول العرب دارى تنظر الى دار فلان اذا كانت تقابلها فاستعير
 الارادة للمشاركة كما استعير لها الهم والعزم في قوله

يريد الرمح صدرا بى برا * ويعدل عن دما بى عقيل

وقول الآخر ان دهر ايلف صدرى بجمل * لزمان بهم بالاحسان

ففى البيت الاقل دليل على استعارة الارادة للمشاركة وفى الثانى دليل على استعارة الهم لها
 وجعل اسم محبوبته يقول ان دهر ايجمع بينى وبينها زمان قصده الاحسان لا الاساءة وتفسير ذلك
 من القرآن قوله تعالى ولما سكت عن موسى الغضب وقوله تعالى أن يقول له كن فيكون وقوله
 تعالى قالنا أتينا طائعين قال الرمنحسرى ولقد بلغنى ان بعض المحرفين لكلام الله تعالى عن لا يعلم
 كان يجعل الضمير للخضر وقيل ان الله تعالى خلق للبعدار حياة و ارادة كالحياوان (فأقامه) أى
 سواه وفى حديث أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم فقال الخضر بيده فأقامه فقال ابن
 عباس هدمه وقعد ينيه وقال سعيد بن جببر سمع الجدار يريده فاستقام بذلك من مجزأته
 وقال السدى بل طينا وجعل بينى الحائط فشق ذلك على موسى عليه السلام (فان قيل)
 الضيافة من المنسوبات فتر کہا تر لمنسوب وذلك غير منكر فكيف يجوز من موسى عليه
 السلام مع علو منصبه أنه غضب عليهم الغضب الشديد الذى لا يحمله تره العهد الذى التقوه فى

قوله ان سألتك عن شيء بعد فلا تصاحبي وأيضاً مثل الغضب لاجل ترك الاكل في ليلة واحدة لا يليق بأدون الناس فضلا عن كليم الله تعالى (أجيب) بأن تلك الحالة كانت حالة افتقار واضطرار الى الطعام فلا جيل تلك الضرورة نسي موسى عليه السلام ما طأله فلا جرم (قال) موسى (لو شئت لانتحفت عليه أجرة) أي اطلبت على عملك أجرة تصرفها في تحصيل المطعوم وتحصيل سائر المهمات وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وبخفيف التاء بعد اللام وكسر الخاء وأظهر ابن كثير الخال عند التاء على أصلها وأدغمها أبو عمرو والباقون بتشديد التاء ففتح الخاء وأظهر حفص الخال على أصله وأدغمها الباقرين ولما كان كلام موسى هذا متضمنا للسؤال (قال) له الخضر (هذا) أي هذا الانكار على الأجر (فراق بيني وبينك) وقيل ان موسى عليه السلام لما شرط أنه ان سأله بعد ذلك هو الآخر حصل به الفراق حيث قال ان سألتك عن شيء بعد فلا تصاحبي فلما ذكر هذا السؤال فارقة وهذا فراق بيني وبينك أي هذا الفراق المعهود للموعد (فان قيل) كيف ساع اضافة بين الى غير متعد (أجيب) بأن مستوع ذلك تكريره بالعطف باو او الأتري أنك لو اقتصر على قولك المال بيني لم يكن كلاما حتى نقول بيننا أو بيني وبين فلان ثم قال له الخضر (سأبتك) أي سأخبرك يا موسى قبل فراقك (سأويل) أي بتفسير (عالم تستطع عليه صبرا) لان هذه المسائل الثلاثة مشتركة في شيء واحد وهو أن أحكام الانبياء عليهم الصلاة والسلام مبنية على الظواهر كما قال صلى الله عليه وسلم نحن نتحكم بالظواهر والله يتولى السرائر والخضر ما كانت أموره وأحكامه مبنية على ظواهر الامور بل كانت مبنية على الاسباب الخفية الواقعة في نفس الامر وذلك لان الظاهر في أموال الناس وفي ارواحهم أنه يحرم التصرف فيها والخضر تصرف في أموال الناس وفي ارواحهم في المسئلة الاولى وفي الثانية من غير سبب ظاهر يبيح ذلك التصرف لان الاقدام على خرق السفينة وقتل الانسان من غير سبب ظاهر يبيح ذلك التصرف محترم والاقدام على اقامة ذلك الجدار المائل في المسئلة الثالثة محتمل للتعيب والمنقحة من غير سبب ظاهر ثم أخذ الخضر في تأويل ذلك مبتدئا بالمسئلة الاولى بقوله (أما السفينة) أي التي أحسن الينا أهلها فخرقتها وكانت لسالكين) عشرة اخوة خمسة زمني وخمسة يعملون في البحر) أي يواجرون ويكتسبون واحتج الشافعي رضي الله عنهم بهذه الآية على أن حال الفقير أشد في الحاجة والضرر من حال المسكين لان الله تعالى ما همم ما كين مع أنهم كانوا يملكون تلك السفينة (فأردت أن أعينها) أي ان أجعلها ذات عيب بان تنفث منفتحة بذلك ساعتم من خوار وتكلف أهلها الوسا أو لم يمين بسدونها بذلك أخف عليهم من أن تنفثهم منفتحة بالكيفية كما يعلم من قوله (وكان وراءهم) أي أمامهم كقوله تعالى ومن وراءهم برزخ وقيل خلقهم وكان طريقهم في ربوعهم عليه (ملك) كان كلفا واسمه الجلندي وقال محمد ابن الحسن اسمه سولة بن خليل (٣) (الازدي وقيل لاسمه هدد بن بدر) (ياخذ كل سفينة) أي صاحفة وعندك التقييد بذلك عليهم (خصبا) من أصحابها ولم يكن عند أصحابها علم به فاذا مرت به تركها لديها فاذا اجتوزته صطو هافا فتعومها قبل سدوها بقا ورة ويقبل بالتاء (فان قيل) قوله

(٣) قوله سولة بن خليل الخ هكذا في النسخ والذي في البضاري منوار بن جالدي الازدي فيعزراه

فأردت أن أعينها بسبب عن خوف الغصب علمها فكان حقه أن يتأخر عن السبب فلم يقدم عليه
(أجيب) بأن النية به التأخير وإنما قدم للعناية ولأن خوف الغصب ليس هو السبب وحده
ولكن مع كونها المسكين فلما كان كل من الغصب والمسكنة سبب القهمل قدمها على الغصب
إشارة إلى أن أقوى السيين الحاملين على فعله الأرقه بالمساكين * ثم شرع في تأويل المسئلة الثانية
بقوله (وأما الغلام) الذي قتله (فكان أبوا مؤمنين) التنسية للتغليب يريد أباه وأمه تغلب
المذكر وهو شائع ومنه العمران قبل أن ذلك الغلام كان بالغاً وكان يقطع الطريق ويقدم
على الأفعال المنكرة وكان أبوا يحتاجان إلى دفع شر الناس عنه والتعصب له وتكذيب من
يرميه بنبي من المنكرات وكان يصير سبباً لوقوعهما في الفسق وربما فاد ذلك الفسق إلى الكفر
وقيل أنه كان صبيلاً لأنه علم منه أنه لو صار بالغاً حصلت فيه هذه المفساد وفي الحديث أنه طبع
كافراً ولو عاش لأرهبهما ذلك كما قال (نخسنا) أي خضنا والخشية خوف بشو به تعظيم (أن
يرهبهما) أي يرهبهما ولحقهما (طغياً ناكراً) أي لمحبتهما له تبعانه في ذلك (فان قل) هل
يجوز الأقدام على قتل الإنسان بمثل ذلك (أجيب) بأنه إذا أتاك ذلك بوحى من الله تعالى جاز
وعن ابن عباس أن نجدة الحروري كتب إليه كيف قتله أي كيف قتل الخضر الغلام وقد
نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب إليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم
موسى فلك أن تقتل رواه عنه مسلم * ولما ذكر ما يلزم على تقدير بقائه من الفساد تسبب عنه قوله
(فأردنا) أي بقتله وراحتهما من شره (أن يبدلهما بهما) أي المحسن اليهما ما عاظناه وأخذ
قال مطرف فرح به أبوا حين ولدوا وخرنا عليه حين قتل ولوليتي كان فيه هلاكهما فليرض كل
امرء بقضاء الله تعالى فإن قضاء الله تعالى للمؤمن فيما يكره خيراً من قضاءه فيما يحب ولهذا
أبدلهما الله تعالى (خبراً من زكاة) أي طهارة وبركة من الذنوب والأخلاق الرديئة وصلاحة
وتقوى (وأقرب رجاء) أي رحمة وعظما عليهما وقيل هو من الرحم والقرابة قال قتادة أي
أوصل للرحم وأبتر للوالدين قال الكلبي أبدلهما الله تعالى جارية فترجها نبي من الأنبياء
فولدت له نبياً فهدى الله تعالى على يديه أمته من الامم وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال أبدلهما الله
تعالى جارية ولدت سبعين نبياً وقال ابن جرير أبدلهما بغلام مسلم وقرأ نافع وأبو عمر وأن يبدلهما
بفتح الباء الموحدة وتشديد الدال والباقون بسكون الموحدة وتخفيف الدال وقرأ ابن عامر
رجاء برفع الحاء والباقون بالسكون * ثم شرع في تأويل المسئلة الثالثة بقوله (وأما الجسد ار)
أي الذي أشرت بأخذ الأجر عليه (فكان لغلامين) ودل على كونهما دون البلوغ بقوله
(يتيمين) وكان اسم أحدهما أصرم والاخر صريماً * ولما كانت القرية لا تنافي التسمية
بالدينة وكان التعبير بالقرية أولاً لئليق عبرها لانها مشتقة من معنى الجمع فكان أليق بالذم في
ترك الضيافة ولما كانت المدينة بمعنى محل الإقامة عبر بها فقال (في المدينة) فكان التعبير
أليق للإشارة به إلى أن الناس يعملون فيها فيندم الجدار وهم مقيمون فأخذون الكثر كما قال
(وكان قصته كقولهما) فلذلك أقمه احتساباً واختلاف في ذلك الكثر فعن أبي الدرداء أن

النبي صلى الله عليه وسلم قال كان ذهباً وفضة رواء البخاري في تاريخه والترمذي والحاكم
 وصححه والزم على أكثرهما في قوله تعالى والذين يكثرزون الذهب والفضة لمن لا يؤتوا زكاهما
 وما يتعلق بهما من الحقوق وعن سعيد بن جبيرة قال كان الكثر جمعاً فيها علم رواء الحاكم وصححه
 وعن ابن عباس قال كان لوحاً من ذهب مكتوباً فيه عجباً لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجباً
 لمن أيقن بالقدر كيف يغضب عجباً لمن أيقن بالرزق كيف يتعب عجباً لمن يؤمن بالحساب كيف
 يغفل عجباً لمن أيقن بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمن إليها لا اله الا الله محمد رسول الله
 وفي الجانب الآخر مكتوب أنا الله لا اله الا أنا وحدي لا شريك لي خلقت الخير والشر فطوبى
 لمن خلقته للخير وأجرته على يديه والويل لكل الويل لمن خلقته للشر وأجرته على يديه
 قال البغوي وهذا قول أكثر أهل التفسير وروى أيضاً ذلك مرفوعاً قال الزجاج الكثر اذا
 أطلق ينصرف الى كثر المال ويجوز عند التقيد أن يقال عنه كثر علم وهذا اللوح كان جاءه
 لهما وقوله (وكان أبوهما صالحاً) فيه تنبيه على أن سعيه في ذلك كان لصلاحه في راعى وتراعى
 ذريته وكان سياحراً اسمه كاسم قال ابن عباس حفظ صلاح أيهما وقيل كان بينهما وبين
 الأب الصالح سبعة أبناء قال محمد بن المنكدر إن الله تعالى يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده
 وعشرته وأهل دويرات حوله غير الون في حفظ الله مادام فيهم قال سعيد بن المسيب انى أصلى
 فأذكر ولدى فأزيد في صلاتي وعن الحسن أنه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ
 الله الغلامين فان بصلاح أيهما قال فأي وجدى خير منه قال قدأنا الله أنكم قوم خصمون
 وذكروا أيضاً أن ذلك الأب الصالح كان من الذين تضع الناس الودائع عنده فبردها اليهم (فأراد
 ربك أن يبلغا) أى الغلامان (أشد هما) أى الحلم وكال الرأي (ويستخرجا كثرهما) ليتقعا به
 ويتقعا الصالحين * (تنبيه) أسند الأروادة في قوله فأردت أن أعيها الى نفسه لانه المباشر
 للتعبير وثانياً في قوله فأردنا الى الله والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وإيجاد الله تعالى
 بدله وثالثاً في قوله فأرد ربك الى الله وحده لانه لا مدخل له في بلوغ الغلامين أو لان الأزل في
 نفسه شر والثالث خير والثاني عجز أو لانه لما ذكر العيب أضافه الى ارادة نفسه ولما ذكر
 القتل عبر عن نفسه بلفظ الجمع تبييناً على أنه من العظماة في علوم الحكمة فلم يقدم على هذا
 القتل الا للحكمة عالية ولما ذكر رعاية مصالح التبيين لاجل صلاح أيهما أضافه الى الله تعالى
 لان التكفل بصلاح الابناء رعاية حق الآباء ليس الا الله تعالى أو لاختلاف حال العارفين في
 الالتفات الى الوسائط (فان قيل) التيمان هل أحدهم ما عرف حصول ذلك الكثر تحت ذلك
 الجدار أم لا فان كان الأول امتنع أن يتركوا سقوط ذلك الجدار وان كان الثاني فكيف يمكنهم
 بعد البلوغ استخراج ذلك الكثر ومعرفة والانتفاع به (وأجيب) لعلمهما كانا جاهلين به الآن
 وصيها كان عالميه ثم إن ذلك الوصي غاب وأشرف ذلك الجدار في غيبته على السقوط ولما
 قرأوا هذه الجوابات قال (رحمة من ربك) أى انما فعلت هذه الافعال لغرض أن تظهر رحمة
 الله لانها سارها ترجع الى حرف واحد وهو تحمل الضرر والادنى لدفع الضرر الاعلى كما تقرر

(وما فعلته) أي شيئا من ذلك (عن أمرى) أي عن اجتهادى ورأى بل بأمر من له الامر وهو الله تعالى * (تنبيه) * اختج من ادعى نبوة الخضر بأمر واحد ما قوله تعالى آتيناه رجعة من عندنا والرجعة هي النبوة قال تعالى وما كتب ترجوان بلقى البيك الكتاب الارحة من ربك والمراد من هذه الرجعة النبوة قال الرازى ولقائل أن يقول مسلم ان النبوة رجعة ولكن لا يلزم أن تكون كل رجعة نبوة الثاني قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما وهذا يقتضى أن الله تعالى علمه بلا واسطة تعليم معلم ولا ارشاد مرشد وكل من علمه الله تعالى بلا واسطة البشر ويجب أن يكون نبيا يعلم الامور بالوحي من الله تعالى قال الرازى وهذا الاستدلال ضعيف لان العلوم الضرورية تحصل ابتداء من الله وذلك لا يدل على النبوة الثالث أن موسى عليه السلام قال هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت والنبي لا يتبع غيري في التعلم قال الرازى وهذا أيضا ضعيف لان النبي لا يتبع غيري في العلوم التي باعتبارها مازنياً ما غير تلك العلوم فلا الرابع أنه أظهر على موسى الترفع حيث قال وكشف ناصبر على ما لم تحط به خيراً وأمام موسى فإنه أظهر له التواضع حيث قال ولأعصى لك أمراً وهذا يدل على أنه كان فوق موسى ومن لا يكون نبياً لا يكون فوق نبي قال الرازى وهذا أيضا ضعيف لانه يجوز أن يكون غير النبي فوق النبي في علومه لا لتوقف نبوته عليها الخامس قوله وما فعلته عن أمرى وفي المعنى أني فعلته بوحى من الله وهذا يدل على النبوة قال الرازى وهذا أيضا ضعيف ظاهر الحجة السادس ما روى أن موسى عليه السلام لما وصل اليه قال السلام عليك قال وعليك السلام يأتي بنى اسرائيل فقال موسى من عرفك هذا قال الذي بعثك الى وهذا يدل على أنه اعترف ذلك بالوحي والوحي لا يكون الا مع النبوة قال الرازى ولقائل أن يقول لم لا يجوز أن يكون ذلك من باب الكرامات والالهامات انتهى وبالجملة فالجهل ورعى أنه نبي كما مر واختلفوا هل هو نبي أم ميت فقيل ان الخضر والياس حيان يلتقيان كل سنة بالموسم قال البغوي وكان سبب حياته فيما يحيى أنه شرب من عين الحياة وذلك أن ذا القرنين دخل الغلظة ليطلب عين الحياة وكان الخضر على مة قد تمته فوقع الخضر على العين فنزل فاغتسل وشرب وشكر الله تعالى وأخطأ ذا القرنين الطريق وذهب آخرون الى أنه ميت لقوله تعالى وما جعلنا البشر من قبلك الخلد وقال النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما صلى العشاء ليلة رأيتكم ليلى منكم هذه فان رأس مائة سنة لا يتي عن هو اليوم على ظهر الارض أحد ولو كان الخضر حيالكان لا يبش بعده * ولما بين لموسى سر تلك القضايا باله (ذلك) أي هذا التأويل العظيم (تأويل ما لم تسطع) يا موسى (عليه صبرا) وحذف ناه الاستطاعة هنا تخفيفا فان استطاع واستطاع بمعنى واحد * (تنبيه) * من فوائد هذه القصة أن لا يجب المره بعلمه ولا يادى الى انكار ما لا يستحسنه فلهل فيه سر الا يعرفه وأن يداوم على التعلم ويتدلل للعلم ويراعى الاحب في المقال وأن ينبه المجرم على جرمه ويعفوعنه حين يتحقق اصراره ثم يهاجره روى أن موسى لما أراد أن يشارك الخضر قال له أرسنى قال لا تطلب العلم لتعذب به واطلبه للعمل به * ولما فرغ من هذه القصة التي حاصلها أنها طواف في الارض لطلب العلم

عقبها بقصة من طاف الارض لطلب الجهاد وقدم الاول اشارة الى علو درجة العلم لانه أساس كل سعادة وقوام كل امرى فقال عاطفا على ويجادل الذين كفروا بالباطل (ويستأنونك) أى اليهود وقبل مشركو مكة يا أشرف الخلق (عن ذى القرنين) وذكروا في سبب تسميته بذلك وجوها الاول قال أبو الطيفل سئل على رضى الله عنه عن ذى القرنين أكان نبيا أم ملكا قال لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان عبدا صالحا أمر قومه بتقوى الله تعالى فضربوه على قرنه الايمن فمات ثم بعثه الله تعالى فأمرهم بتقوى الله تعالى فضربوه على قرنه الايسر فمات ثم بعثه الله تعالى فسمى ذا القرنين فيكم مثله يعنى نفسه الثانى أنه انقرض في وقته قرنان من الناس الثالث أنه كان صفتا رأسه من نحاس الرابع كان على رأسه ما يشبه القرنين الخامس كان لتاجه قرنان السادس أنه طاف قرنى الدنيا شرقها وغربها السابع كان له قرنان أى ضربتان الثامن ان الله تعالى سخر له النور والظلمة فاذا سرى بهدى النور من أمامه وتمتد الظلمة من ورائه التاسع أنه لقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشالانه ينطج أقرانه العاشر أنه رأى فى المنام كأنه صعد الفلك وتعلق بطرفى الشمس وقرنها أى جانبيها فسمى بذلك لهذا السبب الحادى عشر أنه كان له قرنان تواريهما العمامة الثانى عشر أنه دخل النور والظلمة وذكروا في اسمه أيضا وجوها الاول اسمه مزربان اليونانى من ولد يونان بن يافت ابن نوح الثانى اسمه اسكندر بن فيلقوس الروى اشترى فى كتب التواريخ أنه بلغ ملكة أقصى المشرق والمغرب وأمعن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر وبني الاسكندرية وسماها باسم نفسه الثالث شمر بن عمرو بن افرقيس الحيرى وهو الذى بلغ ملكة مشارق الارض ومغاربها واقضيه أحد الشعراء من جبر حيث قال

قد كان ذوا القرنين قبلى مسلما * ملكا علا فى الارض غير مفند

بلغ المشارق والمغارب يتعنى * أسباب ملك من كريم سيد

واختلفوا فى نبوته مع الاتفاق على ايمانه فقال بعضهم كان نبيا واحتجوا على ذلك بوجوه الاول قوله تعالى انما كاله فى الارض وحمل على التمكين فى الدنيا والتمكين الكامل فى الدين هو النبوة الثانى قوله تعالى وان ينساه من كل شئ سببا وهذا يدل على أنه تعالى آتاه من النبوة سببا الثالث قوله تعالى يا ذا القرنين اما أن تعذب الخ والذى تكلم الله معه لابد أن يكون نبيا ومنهم من قال انه كان عبدا صالحا ملكه الله تعالى الارض وأعطاه الله سبحانه وتعالى الملك والحكمة وألبسه الهبة وقد قالوا ملك الارض مؤمنان ذوا القرنين وسليمان وكافران عمرو وذو يحنصر ومنهم من قال انه كان ملكا من الملائكة عن عمرو رضى الله تعالى عنه انه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا أمارضيتم أن تسموا بأسماء الانبياء حتى تسميت بأسماء الملائكة والا تكلم على القول الثانى ويدل له قول على رضى الله تعالى عنه المة قدم * (تنبيه) * قد قدمنا ان اليهود ادمر والمشر كبر أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة أصحاب المكهف وعن قصة ذى القرنين وعن الروح والمراد من قوله تعالى ويسألونك عن ذى القرنين

هو ذلك السؤال ثم قال الله تعالى (قل) أي لهؤلاء المتعنين (سأقول) أي أقص قصاصتنا بعافى
 مستقبل الزمان أعلمنى الله تعالى به (عليكم) أي أيها البعداء والضعيفى قوله تعالى (منه) لذى
 القرنين وقبل لله تعالى (ذكر) أي خبرا كافيا لكم في تعرف أمره جامعاً لمجموع ذكره (أنا مكآله
 في الارض) أي مكآله أمره من التصرف فيها ممكنة يصل بها الى جميع مسالكها ويظهر بها على
 سائر ملوكها (وآتيناه) بعظمتنا (من كل شئ) يحتاج اليه في ذلك (سبباً) أي وصلة توصله اليه
 من العلم والقدرة والآلة (فأتبع سبباً) أي سلك طريقاً نحو المغرب قال البقاعى ولعله بدأ به لأن
 باب التوبة فيه وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو أتبع في المواضع الثلاثة بتشديد التاء الفوقية
 ووصل الهمزة قبل الفوقية والباقون بقطع الهمزة وسكون التاء الفوقية واستمر متبعا له
 (حتى إذا بلغ) في ذلك السير (مغرب الشمس) أي موضع غروبها (وجدناها تقرب في عين حنة)
 أي ذات حجارة وهي الطين الاسود أي بلغ موضعها في الغرب لم يبق بعده شئ من العمران وجد
 الشمس كأنها تقرب في وهدة مظلة وغروبها في رأى العين كما أن ركب البحر يرى الشمس
 كأنها تقرب في البحر إذا لم ير الشط وهي في الحقيقة تغيب وراء البحر والأفهى أكبر من
 الارض مرات كثيرة فكيف يعقل دخولها في عين من عيون الارض قال البيضاوى ولعله
 بلغ ساحل المحيط فرأى ذلك إذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدناها تقرب
 ولم يقل كانت تقرب وقرأ شعبة وجزرة والكسائى وابن عامر بألف بعد الحاء وياء مفتوحة بعد
 الميم عن أبي ذر قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبل فرأى الشمس حين
 غابت فقال أتدرى يا أبا ذر أين تقرب هذه قلت الله ورسوله أعلم قال فانها تقرب في عين حنة
 وقرأ الباقون بغير ألف بعد الحاء وبعد الميم همزة مفتوحة واتفق أن ابن عباس كان عندما وية
 فقرأ معاوية حامية فقال ابن عباس حنة فقال معاوية لعبد الله بن عمر كيف تقرأ قال كما يقرأ
 أمير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار وسأله كيف تجدد الشمس تقرب قال في ماء وطين كذلك
 تجدده في التوراة (ووجد عندها) أي عند تلك العين على الساحل المتصل بها (قوما) أي أمة قال
 ابن جرير مدينة لها اثنا عشر ألف باب ولا يخرج أهلها سمعت وجبة الشمس حين تجب أي
 تقرب قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما يلقظه البحر كانوا كفارا يخبره الله تعالى بين
 أن يعذبهم أو يمدحهم الى الايمان كما حكى ذلك بقوله تعالى (قلنا يا ذا القرنين) أما بواسطة الملك
 ان كان نبيا أو بواسطة نبي زمانه ان لم يكن أو باجتهاد في شريعته (أما أن تعذب) بالقتل على
 كفرهم (وأما أن تتخذ) أي بغاية جهده (فيهم حسنا) بالارشاد وتعليم الشرائع وقيل خبره
 بين القتل والاسر وسماه حسنا في مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله (قال أمانم ظلم) باستمراره
 على الكفر فان ارتقب به حتى ينأس منه ثم نقتله والى ذلك أشار بقوله (فسوف نعذبه) بوعد
 لا خلف فيه بعد طول الدعاء والترفق وقال قتادة كان يطبخ من كفر في القدر وهو العذاب
 المنكر (ثم رذالى ربه) في الآخرة (فيعذبه عذابا نكرا) أي شديدا اجتدى في النار وتقدم
 في نكرا سكون الكاف وضما (وأمانم آمن وعمل صالحا) تصديقا لما أخبر به من تصديقه

(قله) في الدارين (جزء الحسنى) أى الجنة وقرأ حفص وجزء والكسائي بفتح الهمزة بعد
 الزاى منقوطة وتمكسر في الوصل لالتقاء الساكنين قال القراء نصبه على التفسير أى لجملة
 النسبة وقيل منصوب على الحال أى قله المنوبة الحسنى مجزياً بها والباقون بضم الهمزة من غير
 تنوين فالإضافة لليسان قال المفسرون والمعنى على قراءة النصب فله الحسنى جزاء كما تقول له
 هذا الثوب هبة وعلى قراءة الرفع وجهان الأول فله جزاء الفعل الحسنى والفعل الحسنى هى
 الايمان والعمل الصالح والثانى فله جزاء المنوبة الحسنى وإضافة الموصوف الى الصفة مشهورة
 كقوله ولدار الآخرة وأمال ألف الحسنى جزء والكسائي محضه وأبو عمرو وبين وبين وورش
 بالفتح والامالة بين بين (وسم قول) بوعد لاخلف فيه بعد اختياره بالاعمال الصالحة (له) أى
 لأجله (من أمرنا) أى ما أمره به (يسراً) أى قولاً غير شاق من الصلاة والزكاة والخراج
 والجهاد وغيرها وهو ما يطيقه ولا يشق عليه مشقة كثيرة (ثم أتبع) لارادة طلوع مشرق
 الشمس (سبياً) من جهة الجنوب يوصله الى المشرق واستمرته لاييل ولا تغلبه أمة مرت عليها
 (حتى إذا بلغ) فى مسيره ذلك (مطلع الشمس) أى الموضع الذى تطلع عليه أولاً من المعمور من
 الارض (وجدها تطلع على قوم) قال الجلال المحلى هم الزنج وقوله تعالى (لم تجعل لهم دنوئها)
 أى الشمس (ستراً) فيه قولان الأول انه لاشئ لهم من سقف ولا جبل يمنع من وقوع شعاع
 الشمس عليهم لأن أرضهم لا تحمل بناها قال الرازى ولهم سروب يغيثون فيها عند طلوع الشمس
 ويظهرون عند غروبها فيكونون عند طلوع الشمس يتعذر عليهم التصرف فى المعاش وعند
 غروبها يشغلون بتصصيل مهمات المعاش وأحوالهم بالضد من أحوال سائر الخلق وقال قتادة
 يكونون فى أسراب لهم حتى اذا زالت الشمس عنهم خرجوا فرعوا كالبهائم والثانى ان معناه
 لا تياب لهم ويكونون كسائر الحيوانات عمراً أبداً وفى كتب الهيئة ان أكلهم الزنج كذلك
 وحال كل من سكن البلاد القريبة من خط الاستواء كذلك قال الكلبي هم عمارة يفرش
 أحدهم احدى أذنيه ويلتحف بالآخرى وقال الزمخشري وعن بعضهم قال خرجت حتى جاؤزت
 الصين فسألت عن هؤلاء القوم فقبل بينك وبينهم مسيرة يوم وليله قبلتتم وإذا أحدهم يفرش
 احدى أذنيه ويلبس الآخرى فلما قرب طلوع الشمس سمعت صوتاً كهيئة الصلصلة فغشى على
 ثم أفقت فلما طلعت الشمس فاذا هى فوق الماء كهيئة الزيت فأدخلنى سرباً لهم فلما ارتفع
 النهار جعلوا يصطادون السمك ويطرحونه فى الشمس فينضج لهم وعن مجاهد من لا يلبس
 الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الارض وقوله تعالى (كذلك)
 فيه وجوه الأول ان معناه كما بلغ مغرب الشمس كذلك بلغ مطلعها الثانى ان أمره كما
 وصفناه من رفعة المكان وبسطة الملك قال البغوى والصحيح ان معناه كما حكم فى القوم الذين هم
 عند غروب الشمس كذلك فى القوم الذين هم عند مطلعها (وقد أحطنا بما لديه) أى عند ذى
 القرنين من الآلات والجنود وغيرهما (خبراً) أى علماتعلق بظواهره وخفائيه والمعنى ان كثرة
 ذلك بلغت مبلغاً لا يحيط به العلم اللطيف الخبير (ثم) ان ذا القرنين لما بلغ المغرب والمشرق

(أصبح سبياً) آخر من جهة الشمال في ازيادة ناحية السد مخروج بأجوج و اجوج واستقر
أخذافيه (حتى اذا بلغ) في مسيره ذلك (بين السدين) أي بين الجبلين وهما جبال أرمينية
وأذربيجان وقيل جبلان في أواخر الشمال وقيل هذا المكان في منقطع بلاد الترك من ورائهما
يأجوج ومأجوج قال الرازي والاطهر أن موضع السد في ناحية الشمال سد الاسكندر
ما بينهما كما سيأتي وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ووحفص بفتح السين والباقون بضمها وهما الغتان
معناها واحد وقال عكرمة ما كان من صنع بني آدم فهو السد بالفتح وما كان من صنع الله فهو
بالضم وقاله أبو عمرو وقيل بالعكس (وجد من دونهما) أي بقرهم من الجانب الذي هو أدنى
منهما الى الجهة التي أتى منها والقرنين (قوماً) أي أمة من الناس لغتهم في غاية البعد من
لغات بقية الناس لبعد بلادهم عن بقية البلاد فهم كذلك (لا يكادون) أي لا يقربون
(يفقهون) أي يفهمون (قولا) بمن مع ذى القرنين فهما جيد كما يفهم غيرهم لغاية لغتهم
وقلة فطنهم وقرأ حمزة والكسائي بضم الباء وكسر القاف والباقون بفتحهما وقال ابن عباس
لا يفقهون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم واستشكل بقولهم (قالوا يا ذا القرنين)
وأجيب بأنه تكلم عنهم مترجم عن هوجا ورهم ويذهبهم كلامهم (ان يأجوج ومأجوج) وهما
اسمان أعجميان لقبيلتين فلم ينصرفا وقرأ أعاصم بهمزة ساكنة بعد الباء والميم والباقون
بالالف فيهما وهما الغتان أصلهما من أجاج النار وهو ضوءها وشررها شهبها وبه لكثرتهم
وشدتهم وهم من أولاد يافث بن نوح عليه السلام قال الضحاك هم جميل من الترك قال
السدى الترك سريه من يأجوج ومأجوج خرجت فضرب ذو القرنين السد فبقيت خارجة
فجميع الترك منهم وعن قتادة انهم اثنان وعشرون قبيلة بنى ذو القرنين السد على
احدى وعشرين قبيلة وبقيت قبيلة واحدة فهم الترك سموا الترك لانهم تركوا خارجين
قال أهل التواريخ وأولاد نوح عليه السلام ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب
والعجم والرؤم وحام أبو الحبشة والزيج والنوبة ويافث أبو الترك والخزر والصفالسة
ويأجوج ومأجوج وقال ابن عباس في رواية عطاءهم عشرة أجزاء وولد آدم كلهم
جزء وروى عن حذيفة مرفوعاً ان يأجوج أمة ومأجوج أمة وكل أمة أربع مائة ألف
أمة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر الى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وهم
من ولد آدم يسبغون في خراب الارض وقال هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الارز
شجر بالشأم طوله عشرون ومائة ذراع في السماء وصنف منهم طوله وعرضه سواء عشرون
ومائة وهؤلاء لا تقوم لهم الجبال ولا الحديد وصنف منهم يفرش احدى أذنيه ويلتحف
بالاخرى لا يبرون بصيل ولا وحش ولا خنزير الا أكلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشأم
وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية ومنهم ان ثبت لهم محال في
أطفالهم وأضرابهم كما ضراس السباع وعن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال منهم من طوله
شبر ومنهم من هو مفرط في الطول وقال كعب هم نادوة في ولد آدم وذلك أن آدم احتمل ذات

يَوْمَ وَامْتَرَجَتْ نَظْفَتَهُ بِالرَّابِيعِ فَخَلَقَ اللهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ فَهَمَّ يَتَصَلَوْنَ بِسَامَانَ
جَهِيَّةِ الْإِبْرَاهِيمِ وَذَكَرَهُ بَنِي مُنْجِبَةَ أَنْ ذَا الْقَرْنَيْنِ كَانَ رَجُلًا مِنَ الرُّومِ ابْنُ عَجُوزٍ فَلَمَّا بَلَغَ
كَانَ عَسَدًا صَالِحًا قَالَ اللهُ تَعَالَى إِنِّي بَاعْتُكَ إِلَى أُمَّةٍ مُخْتَلَفَةٍ أَسَلْتَهُمْ مِنْهُمْ أَمْتَانِ بَيْنَهُمَا طُولُ
الْأَرْضِ أَحَدَاهُمَا عِنْدَ مَغْرِبِ الشَّمْسِ يُقَالُ لَهَا نَاسِكٌ وَالْآخَرَى عِنْدَ مَطْلَعِهَا يُقَالُ لَهَا مَنَسِكٌ
وَأَمْتَانِ بَيْنَهُمَا عَرْضُ الْأَرْضِ أَحَدَاهُمَا فِي الْقَطْرِ الْإِيمِينَ يُقَالُ لَهَا هَاوِيلٌ وَالْآخَرَى فِي قَطْرِ
الْأَرْضِ الْإيسِرِ يُقَالُ لَهَا نَاوِيلٌ وَأُمٌّ فِي وَسْطِ الْأَرْضِ مِنْهُمْ الْجَنُّ وَالْأَنْسُ وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ
فَقَالَ ذَا الْقَرْنَيْنِ بَأَى قُوَّةً كَثُرَ هَسْمٌ وَبَأَى لِسَانًا طَقَهُمْ قَالَ اللهُ تَعَالَى إِنِّي سَأَطَوَّرُكَ وَأَبْطِ
لَكَ لِسَانًا وَأَشَدُّ عَضْدَكَ فَلَا يَهْوُلُكَ شَيْءٌ وَأَلْسِنَتُكَ الْهَيْبَةُ فَلَا يَرُوعُكَ شَيْءٌ وَأَسْحَرْتُ النَّوْرَ وَالظِّلْمَةَ
وَأَجْعَلُهُمَا مِنْ جَنُودِكَ يَهْدِيكَ النَّوْرُ مِنْ أَمَامِكَ وَتَحْفَظُكَ الظِّلْمَةُ مِنْ وَرَائِكَ فَانْطَلِقْ حَتَّى آتِيَ
مَغْرِبَ الشَّمْسِ فَوَجَدَ جَعَارَ عِدَدِ الْإِبْرَاهِيمِ فَجَاؤُهُمْ بِالظِّلْمَةِ حَتَّى جَعَلَهُمْ فِي مَكَانٍ
وَاحِدٍ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى إِلَى عِبَادَتِهِ فَهَمَّ مِنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَعَتْهُ قَعْمَةٌ
إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الظِّلْمَةَ فَدَخَلَتْ أَجْوَاهُمْ وَيَوْتَهُمْ فَدَخَلُوا فِي دَعْوَتِهِ فَخَنَّدَ مِنْ
أَهْلِ الْمَغْرِبِ جَنْدًا عَظِيمًا فَانْطَلِقْ بِقُوْدِهِمْ بِالظِّلْمَةِ تَسْوِقُهُمْ حَتَّى آتِيَ هَاوِيلَ فَعَمِلَ فِيهِمْ كَعْمَلِهِ
فِي نَاسِكٍ ثُمَّ حَضَى حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَنَسِكٍ عِنْدَ مَطْلَعِ الشَّمْسِ فَعَمِلَ فِيهَا وَجَنَّدَ مِنْهَا جَنُودًا كَعَمَلِهِ
فِي الْإِمْتِينِ ثُمَّ أَخَذَ بِسَاحِمَةِ الْأَرْضِ الْيسِرَى فَاتَى نَاوِيلَ فَعَمِلَ فِيهَا كَعَمَلِهِ فِيمَا قَبْلَهَا ثُمَّ عَمِدَ إِلَى
الْأَمِّ الَّتِي وَسْطِ الْأَرْضِ فَلَمَّا كَانَ مِمَّا يَلِي مَنْقَطِعَ التُّرْكِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ قَالَتْ لَهُ أَمْتَةٌ صَالِحَةٌ مِنْ
الْأَنْسِ إِذَا الْقَرْنَيْنِ ابْنَيْنِ هَذَيْنِ الْجَبَلَيْنِ خَلَقْنَا أَشْبَاهَ الْبَهَائِمِ أَيَّ وَهْمٍ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ
(مَفْسُودُونَ فِي الْأَرْضِ) يَقْتَرِسُونَ الدُّوَابَّ وَالْوَحُوشَ وَالسَّبَاعَ وَيَأْكُونُ الْحَيَاتَ وَالْعَقَابِرَ
وَكُلُّ ذِي رُوحٍ خَلَقَهُ اللهُ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ يَزِدَادُ خَلْقٌ كَزَادَتِهِمْ فَلَا يَشْكُ أَنْهُمْ سَيَلِمُ كُونَ
الْأَرْضِ وَيُظْهِرُونَ عَلَيْهَا وَيَفْسُدُونَ فِيهَا وَقَالَ الْكَلْبِيُّ فَسَادَهُمْ أَنْهُمْ كَانُوا يَخْرُجُونَ أَيَّامَ الرَّبِيعِ
إِلَى أَرْضِهِمْ فَلَا يَدْعُونَ فِيهَا شَيْئًا أَحْضَرَ إِلَّا كَلَوْهُ وَلَا يَأْبَسُوا إِلَّا حَتَّى يَمُوتُوا وَأَدْخَلُوهُ أَرْضَهُمْ وَقَدْ
بَالِغُوا وَلِقُوا مِنْهُمْ أَدَى شَدِيدٍ وَقَتْلًا وَقِيلَ فَسَادَهُمْ أَنْهُمْ كَانُوا يَأْكُونُ النَّاسَ وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنْهُمْ
سَيَفْسُدُونَ فِي الْأَرْضِ بَعْدَ خُرُوجِهِمْ (فَهَلْ يُجْعَلُ لَكَ خُرْجًا) أَيَّ جَعَلًا مِنَ الْمَالِ وَقَرَأَ حِزْمَةٌ
وَالْكَسَائِيُّ بَضْعُ الرَّاءِ وَأَتَفَ بَعْدَهَا وَالْبَاقُونَ بِسُكُونِ الرَّاءِ وَلَا أَلْفَ بَعْدَهَا فَعِيلٌ هَمَّاعِيٌّ وَقِيلَ
الْخُرْجُ مَا تَبَرَّعَتْ بِهِ وَالْخُرْجُ مَا لَمْ يَكُنْ (عَلَى أَنْ يُجْعَلَ) فِي جَمِيعِ مَا (يُنْسَأُ وَيُنْتَهَمُ) مِنَ الْأَرْضِ
الَّتِي يُمْكِنُ تَوْصُلُهُمُ إِلَيْهَا بِمَا تَأَلَّاهُ مِنَ الْمَكْنَةِ (سَدًّا) أَيَّ حَاجِرًا بَيْنَ هَذَيْنِ الْجَبَلَيْنِ فَلَا
يَصِلُونَ إِلَيْهَا وَقَرَأَ قَاعٌ وَابْنُ عَامِرٍ وَسُجْبَةٌ بَرَفِغِ السَّيْنِ وَالْبَاقُونَ بِالنَّصْبِ (قَالَ) لَهُمْ ذَا الْقَرْنَيْنِ
(مَا مَكْنَى فِيهِ رَبِّي) أَيَّ الْحَمْسِينَ الَّتِي تَهْتَرُونَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالرِّجَالِ وَالتَّوَصَّلُ إِلَى جَمِيعِ الْمَمَكِنِ
لِلْمَخْلُوقِ (خَيْرٌ) مَنْ خَرَّاجِكُمْ الَّذِي تَرِيدُونَ بِذَلِكَ كَمَا قَالَ سَلِيمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَمَا أَنَّى اللهُ خَيْرٌ
مِمَّا تَأْتُونَ وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ نُونٌ مَفْتُوحَةٌ بَعْدَ الْكَافِ وَبَعْدَهَا نُونٌ مَكْسُورَةٌ وَالْبَاقُونَ بِنُونٍ
وَاحِدَةٍ مَكْسُورَةٍ مُشَدَّدَةٍ (فَأَعْيَنُونِي بِهَوْنَةٍ) أَيَّ إِنِّي لَا أُرِيدُ الْمَالَ بَلْ أَعْيَنُونِي بِأَيْدِيكُمْ وَقَوَّتُكُمْ

وبالآلات التي أتقوتوك بها في فعل ذلك فإن مامعي انما هو للقتال وما يكون من أسبابه لأمثل هذا
 (أجعل ينسكم) أي بين ما تختصمون به (وبينهم ردما) أي جاحزا حصينا موثقا بعضه فوق بعض
 من التلاصق والتلاحم وهو أعظم من السد من قولهم ثوب ردم إذا كان رقاعا فوق رقاع قالوا
 وماتلك القوة قال فعله وصناع يحسنون البناء قالوا وماتلك الآلات قال (آتوني) أي اعطوني
 (زبر الحديد) أي قطعه وهو جمع زبرة كغرفة وغرف قال الخليل الزبرة من الحديد القطعة
 الضخمة فأتوبه وبالخطب حفزه الأساس حتى يبلغ الماء وجعل الأساس من الخضر والنحاس
 المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الخطب والفحيم (حتى إذا ساوى) أي بذلك البناء
 (بين الصدفين) أي بين جابى الجبلين أي سوى بين طرفي الجبلين سما بذلك لانهما يتصادقان أي
 يتقابلان من قولهم صادفت الرجل لاقبته وقابلته وقرأ ابن كثير وأبوعرو وابن عامر برفع
 الصاد والذال وشعبة برفع الصاد وسكون الذال والباقون بنصب الصاد والذال ثم وضع المنافع
 وأطلق النار في الخطب والقعم و(قال) أي للعملة (أنفخوا) فنفخوا (حتى إذا جعله) أي
 الحديد (نارا) أي كالنار (قال آتوني) أي اعطوني (أفرغ عليه قطرا) أي أصب النحاس
 المذاب على الحديد الحمى فصبه عليه فدخل في خلال الحديد مكان الخطب لأن النار أكلت
 الخطب حتى لزم الحديد النحاس فاختلط والتصق ببعضه ببعض وصار جبالا صلدا قال
 الزمخشري قيل ما بين السدين مائة فرسخ وروى ان عرضه كان خمسين ذراعا وارتقاعه مائتي
 ذراع وعن قتادة قال ذكر لنا أن رجلا في رواية عن رجل من أهل المدينة قال يا رسول الله قد
 رأيت سديا جوج وما جوج قال انعمت لي قال كالبرد المحرطريقة سوداء وطريقة ججرا وهذه
 معجزة عظيمة ان كان نيبا أو كرامة ان لم يكن لأن هذه الزبرة الكبيرة إذا نفخ عليها حتى صارت
 كالنار لم يقدر الحيوان ان يقرب منها والنفخ عليها لا يكون الا بالقرب منها فكانت تعالى صرف
 تلك الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك الناس فحين عليها حتى تمكنوا من العمل فيها * (تبيهه) *
 قطر هو المتنازع فيه وهذه الآية أشهر أمثله الخاة في باب المتنازع وبهاتمسك البصريون
 على ان أعمال الثاني من العاملين المتوجهين فهو معمول واحد وأولى اذ لو كان قطرا مفعول
 آتوني لاضر مفعول أفرغ حذرا من الالباس ثم قال تعالى (فما) أي فتسبب عن ذلك
 انه لمأكل عمل الردم وأحكمه ما (اسطاعوا) أي بأجوج وما أجوج وغيرهم (أن يظهره)
 أي يعاواظهره لعلوه وملاسته وقرأ جزء بتشديد الطاء والباقون بالتحفيف (وما استطاعوا الله
 نقبا) أي خرقا صلابته وسعته وزيادة التناهة تادل على أن العلو عليه أصعب من نقبه
 لارتفاعه وصلابته والتحام بعضه ببعض حتى صار سيكة واحدة من حديد ونحاس في علو
 الجبل فانهم ولو احتالوا بيناهم راج من جانبهم أو وضع تراب حتى ظهر واعلم لم يقنعهم ذلك
 لانهم لاحيلة لهم على النزول من الجانب الآخر ويؤيده أنهم انما يخرجون في آخر الزمان بنقبه
 لا يظهرهم عليه ولا ينافي في الاستطاعة لنقبه ما رواه الامام أحمد والترمذي في التفسير وابن
 ماجه في القتن عن أبي رافع عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان يا جوج

وما جوج ليحفرن السد كل يوم حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا
 فستحفرونه غدافيعودون اليه كما شئتما كان حتى اذ بلغت مدتهم واراد الله تعالى ان يعثمهم
 على الناس حضروا حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه
 غد ان شاء الله تعالى فيستثنى فيعودون اليه وهو كهينته حين تركوه فيحفرونه ويحرجون
 على الناس الحديث وفي حديث الصحيحين عن زينب بنت جحش عن النبي صلى الله عليه وسلم فتح
 اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وحلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه عن
 أبي هريرة وفيه مثل هذا وعقد تسعين لان هذا في آخر الزمان ثم انه قيل فاقال حين فراغه قيل
 (قال هذا) أي السديعي الاقدار عليه (رحمة) أي نعمة (من ربي) أي المحسن الى باقداوى
 عليه ومنع العادية (فاداجاه وعدربي) بقرب قيام الساعة اربوقت خروجهم (جعلها دكا)
 أي مدكو وكامبسوطا روى أنهم يحرجون على الناس فيتبعون المياه ويتحصن الناس
 في حصونهم منهم فيرمون بسهامهم الى السماء فترجع مخضبة بالدماء فيقولون قهرنا من في
 الارض وعلوبنا من في السماء قسوة وعلا فبعث الله تعالى عليهم نغفا في رهاهم وفي رواية
 في آذانهم فيملكون قال صلى الله عليه وسلم فوالذي نفسي بيده ان دواب الارض لتسمن
 وتشكر من لجومهم شكرا اخرجته الترمذي قوله قسوة وعلا أي غلظة وفظاظة وتشكرا
 والتغف دود يخرج في أنوف الابل والغنم وقوله وتشكر من لجومهم شكرا يقال شكرت
 الشاة شكر حين امتلأ ضرعها البنا والمعنى أنهم امتلأ أجسادها بالجوامس وعن النوامس بن
 سمرعان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة تخفض فيه ورفع حتى ظنناه
 في طائفة من النخل فلما رحلنا اليه عرف ذلك فمنا فقال ما شأنكم قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال
 غداة تخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال غير الدجال أخوفني عليكم ان يخرج
 وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وان يخرج وليست فيكم فكل امرئ حجيجه نفسه والله خليفتي على كل
 مسلم وانه شاب قطط أي شديدا الجعودة وقيل حسن الجعودة عينه طافية أي بارزة وقيل محسوفة
 كأن في أشبهه بعبد العزى بن قطن فبن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف انه خارج
 من حله نين الشام والعراق فعاش أي أفسد عينا وعاش شماليا عباد الله فائتوا قلنا يا رسول الله
 وما مكثه في الارض قال اربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهرو يوم كجمعة وسائر أيامه كما يأمكم
 قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أي كفيينا فيه صلاة يوم قال لا اقدر واه قدره أي واليوم
 الثاني والثالث كذلك وسكت عن ذلك للعلم به من الاول قلنا يا رسول الله وما اسرعه في الارض
 قال كالغيث استدرته الريح فباتي على التوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبن له فيأمر
 السماء فتمطر والارض فتنبث وترزح عليهم سارحتهم أطول ما كانت درزا واسعة ضروعها
 وأملاها خواصر ثم باتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصحبون محلين
 ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويتز بالخرية فيقول لها اخرجي كركك فيتبعه كنوزها كيعاسيب
 النخل ثم يدعور رجلا تملأ شأبا فيضربه بالسيف فيقطعه جرتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل

ويتهلل وجهه يضحك فينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء
في دمشق بين مهرودتين أي حلتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين اذا طأ طأ رأسه قطر واذا
رفعه فهدر منه مثل جان كاللؤلؤ فلا يجعل لكافر يجدر يحق نفسه الامات ونفسه ينتهي حيث
ينتهي طرفه حتى يدركه ياب الدقرة بالشأم قرينة من الرملة فيقتله ثم يأتي عيسى بن مريم قوم قد
عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويخبرهم بدرجاتهم في الجنة فينما هو كذلك اذ أوحى الله
تعالى الى عيسى عليه السلام اني قد أخرجت عبادي لايدان لاحد بقنا لهم فجوز عبادي
الى الطور ويبت يا جوج ومأجوج وهم من كل حدب فساون فيترأوا ثلهم على بحيرة
طبرية فيشربون ما فيها ويترأخهم فيقول لقد كان بهذمة مرة ماء ويحصرني الله وأصحابه حتى
يكون رأس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار لاحد كم اليوم فيرغبني الله عيسى
وأصحابه الى الله تعالى فيرسل الله تعالى عليهم النصف في راقهم وهو بالتحريك دودي يكون في
أنوف الابل والغنم كما مر واحدته بالنعفة فيصيحون فرسا أي قلى الواحد قريس ثم يهبط
نبي الله عيسى وأصحابه الى الارض فلا يجردون في الارض موضع شبرا الاملاءه ومعهم وتتهم
فيرغبني الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله تعالى عليهم طيرا كأعناق البخت فتحملهم
حيث شاء الله تعالى ثم يرسل الله تعالى مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض
حتى يتركها كالزلفه وهي بالتحريك جمعها زلف مصانع الماء ويجمع على المزالف أيضا أي قصير
الارض كأنهم مصنعة من مصانع الماء وقيل كالرأة وقيل الزافة الروضة وقيل بالقاف
أيضا ثم يقال للارض انبتي ثمرك وودي بركنك فيومثذنا كل العصابة من الرماة ويستلطون
بقحفها ويبارك في الرسل وهو بتحريك الراء والسين من الابل والغنم من عشرة الى خمسة
وعشرين حتى ان اللقعة من الابل لتكني القمام من الناس وهو مهجوز الجماعة الكثرية
واللقعة من البقر لتكني القبيلة من الناس واللقعة من الغنم لتكني الفخذ من الناس
فيبنما هم كذلك اذ بعث الله تعالى عليهم ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل
مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحرف عليهم تقوم الساعة (وكان
وعدربي) الذي وعده في خروج بأجوج ومأجوج واحراقهم الارض وانسادهم لها قرب
قيام الساعة (حقا) كأننا لا نحالة فلذلك أعان تعالى على هدمه هذا آخر حكاية ذى القرنين
وفي القصة ان ذا القرنين دخل الظلة فلما رجع توفي بشير زور وذكر بعضهم أن عمره كان نيفا
وثلاثين سنة سبحان من يدوم عزه وبقاؤه ثم انه تعالى قال عاطفا على ما تقدمه فقد بان أمر ذى
القرنين أي بيان وصدق في قوله فاذا جاءه وعدربي فانه اذا جاءه وعدا ناهلناه بقدرتنا التي
نؤتيها لأجوج ومأجوج دكا فأنخرجناهم على الناس بعد خروج الدجال (وتر كما بعضهم) أي
يا جوج ومأجوج (بومثذ) أي حين يخرجون (بجوج) أي يضطرب (في بعض) كوج البحر
أو جوج بعض الخلق في بعض فيضطربون ويمتطلون انهم وجنهم حيارى ويؤيده (وتفتح في
الصور) أي القرن النخبة النابتة لقله تعالى (جمعناهم) أي الخلائق في مكان واحد يوم

القيامة قال البقاعي ويجوز أن تكون هذه الفاء فاء الفصيحة فيكون المراد النسخة الأولى أي
 ونسخ فئات الخلائق كلهم فبليت أجسامهم ونفست عظامهم كما كان من تقدمهم ثم نفع الثانية
 لجمعناهم من التراب بعد تمزقهم فيه وتفرقتهم في أقطار الأرض بالسيول والرياح وغير ذلك
 (جمعاً) فأمسناهم دفعة واحدة كلج البصر وحشرناهم إلى الموقف الحساب ثم الثواب والعقاب
 (وعرضنا) أي أظهرنا (جهنم يومئذ) أي أذجعناهم لذلك (للكافرين عرضاً) ظاهرة لهم بكل
 ما فيها من الأهوال وهم لا يجدون لهم عنها مصرفاً * ثم وصفهم بما أوجب لهم ذلك بقوله تعالى
 (الذين كانت) كوناً كأنه جبله لهم (أعينهم) وهو يدل من الكافرين (في غطاء عن ذكرى)
 أي عن القرآن فهم لا يهتمون به وعما جعلنا على الأرض من زينة دليل على الساعة باقائه
 ثم أحيانا وعادته بعد إبادته (وصكناوا) بما جعلناهم عليه (لا يستطيون سمعاً) أي
 لا يقدر أن يسمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم ما يلو عليهم بفضاله فلا يؤمنون به * ولما
 بين تعالى أمر الكافرين أنهم أعرضوا عن الذكر وعن إقناع ما جاء به النبي صلى الله عليه
 وسلم أتبعه بقوله تعالى (ألغسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي) من الأحياء كالملائكة
 وعزير والمسح والاموات كالاصنام (من دوني) وقوله تعالى (أولياء) أي أربابا مفعول ثان
 ليتخذوا والمفعول الثاني لحسب محذوف والمعنى أطلقوا أن اتخذوا المذكورين تبعهم
 ولا يغضبني ولا أعاقبهم عليه كلا وقرأ نافع وأبو عمرو بفتح الياء والباقون بسكونها وهم على
 مراتبهم في المقد * ولما كان معنى الاستفهام الانتكاري ليس الأمر كذلك حسن جداً قوله
 تعالى مؤكداً لاجل إنكارهم (أنا اعتمدنا جهنم) التي تقدمت أنا عرضناها لهم (للكافرين) أي
 هؤلاء وغيرهم (نزلنا) أي هي معدة لهم كالمنزول المعد للضعيف وهذا على سبيل التحكم ونظيره
 قوله تعالى فبشرهم بعباد أليم * ثم ذكر تعالى ما فيه تنبيه على جهل القوم فقال تعالى
 لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل) لهم (هل تنتظرون) أي تخبركم وأدغم الكسافي لام
 هل في النون والباقون بالاطهار (بالأخسرين أعمالاً) أي الذين اتبعوا أنفسهم في عمل
 يرجون به فضلاً ونوالاً فقالوا هلاكا وبوارا واختلقوا فيهم فقال ابن عباس وسعد بن أبي
 وقاص هم اليهود والنصارى وهو قول مجاهد قال سعد بن أبي وقاص أما اليهود فكذبوا
 بمحمد صلى الله عليه وسلم وأما النصارى فكفروا بالجنه فقالوا لا طعام فيها ولا شراب انتهى
 قال البقاعي وكذلك قال اليهود لان الفريقين أنكروا الحشر الجسماني وخصوه بالروحاني
 وقيل هم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع * (تنبيه) * أعمالاً تتميز للأخسرين جمع
 عمل وإن كان مصدرًا لتنوع أعمالهم ثم وصفهم تعالى بضد ما يدعون له لانفسهم من فجاج السعي
 وإحسان الصنع فقال تعالى (الذين ضل) أي ضاع وبطل (سعيهم في الحياة الدنيا) لكفرهم
 * (تنبيه) * محل الوصول الجرفقاً وبدلاً أو بياناً والنصب على النتم والرفع على الخبر
 المحذوف فإنه جواب السؤال ومعنى خسرانهم أنه متلهم عن بشرى سلعة يرجون فيها رجاء
 خسر وخاب سعيه كذلك أعمال هؤلاء الذين اتبعوا أنفسهم مع ضلالهم فبطل جدهم

واجتهادهم في الحياة الدنيا (وهم يحسبون) أي يظنون وقرأ ابن عامر وعاصم وحزق بن
 السبن والباقون بالكسر (أنهم يحسنون صنعا) أي عملا يجازون عليه لاعتقادهم أنهم على
 الحق * ثم بين تعالى السبب في بطلان سعيهم بقوله تعالى (أولئك) أي البعداء البغضاء الذين
 كفروا بآياتهم) أي بدلائل توحيدهم من القرآن وغيره (ولقائه) أي رؤيته لانه يقال لقيت
 فلانا أي رأيته (فان قيل) اللقاء عبارة عن الوصول قال تعالى فالتقى الماء على أمر قد قدر وذلك
 في حق الله تعالى محال فوجب حمله على لقاء ثواب الله تعالى كما قال بعض المفسرين (أجيب)
 بأن لفظ اللقاء وان كان عبارة عن الوصول الآن استعمله في الرؤية مجازا ظاهر مشهور
 والذي يقول ان المراد لقاء ثواب الله قال لا يتم الا بالاضمار وحمل اللفظ على المجاز المتعارف
 المشهور وأولى من حمله على ما يحتاج الى الاضمار ثم قال تعالى (تخبطت) أي فبسبب مجدهم
 الدلائل بطلت (أعمالهم) فسارت هباء منثورا فلا يباينون عليها وفي قوله تعالى (فلا تقيم لهم يوم
 القيامة وزنا) قولان أحدهما ان زدرى بهم وليس لهم عندنا وزن وقد ارتقوله العرب
 ما لقان عندى وزن أى قدر غلسته وروى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال
 لياق الرجل العظيم السمين يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة وقال اقرؤا ان شئتم فلا
 تقيم لهم يوم القيامة وزنا الثاني لان تقيم لهم ميزانا لان الميزان انما يوضع لاهل الحسابات
 والسمات من الموحدن ليميزه مقدار الطاعات ومقدار السيئات وقال أبو سعيد الخدرى تأتى
 ناس بأعمالهم يوم القيامة عندهم في التعظيم كجبال تامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا فذلك قوله
 تعالى فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا * ولما كان هذا السياق في الدلالة على ان لهم جهنم أوضح
 من الشمس قال تعالى (ذلك) أى الامر العظيم الذى يبناه من وعيدهم (جزاؤهم) ثم بين ذلك
 الجزاء بقوله تعالى (جهنم) وصرح بالسببية بقوله تعالى (بما كفروا) أى بما وقعوا التغطية
 للدلائل (واخذوا آياتى) الدالة على وحدانيتنا (ورسلى) المؤيدين بالمعجزات الظاهرات
 (هزوا) أى مهزوا بهم ما فلم يكن ثواب الكفر الذى هو طعن فى الالهية حتى ضموا اليه الهزو
 الذى هو أعظم احتقارا * ولما بين سبحانه وتعالى ما لاحد قسمي أهل الجمع تفرغ عنهم بين
 ما للاخرين على تقدير الجواب لسؤال يقتضيه الحال ترغيبا فى اتباعهم والافتداء بهم بقوله
 (ان الذين آمنوا) أى باشروا الايمان (وعملوا) تصديقا لايمانهم (الصالحات) من الخصال
 (كانت لهم) أى فى علم الله قبل أن يخلقوا البناء أعمالهم على الاساس (جنات) أى بساتين
 (الفردوس) أى أعلى الجنة وأوسطها والاضافة اليه البيان روى عن أى هريرة رضى الله تعالى
 عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا سألت الله تعالى فاسأله الفردوس فإنه أوسط
 الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة وقال كعب ليس فى الجنان جنة
 أعلى من جنة الفردوس فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وقال قتادة الفردوس
 روية الجنة وأوسطها وأفضلها وأرفعها وقال كعب الفردوس هو بستان الجنة الذى فيه
 الاعناب وقال مجاهد هو البستان بالرومية وقال الزجاج هو بالرومية منقول الى لفظ العربية

وقال عكرمة هي الجنة بلسان الحبش وقال الضعالي هي الجنة الملتفة الاشجار (نزلا) أي منزلا
كما كان السعير والاعلال لا ولتلك نزلا وقوله تعالى (خالدين فيها) حال مقدرة (لا يغنون) أي
لا يريدون أدنى ارادة (عنها حولا) أي تحويلا إلى غيرها قال ابن عباس لا يريدون أن يتحولوا عنها
كما ينتقل الرجل من دار إذا لم توافقه إلى دار أخرى * ولما ذكر تعالى في هذه السورة أنواع الدلائل
والبيئات وشرح فيها أقاصيص الأولين والآخرين نبه على حال كمال القرآن بقوله لتنبه صلى الله
عليه وسلم (قل) بأشرف الخلق الخلق (لو كان البحر) أي ماؤه على عظمته عندكم (مدادا)
وهو اسما لما يقببه الشيء كالحبر للدواة والسليط للسراج (لكلمات) أي لكذب كلمات (ووبي)
أي المحسن إلى (لنقد) أي فني مع الضعف فناء لا تدارك له (البحر) لأنه جسم متناه (قبل أن
تنقد) أي تقفي وتقرغ (كلمات ربي) لأن معلوماته تعالى غير متناهية والمتناهي لا يفي البتة
بغير المتناهي وقرأ حمزة والكسائي بالياء التحسية على التذكير والباقون بالفوقية على التأنيث
* ولما لم يكن أحد غيره يقدر على امداد البحر قال تعالى (ولو جئنا بمثله) أي بمثل البحر الموجود
(مدا) أي زيادة ومعونة ونظيره قوله تعالى ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر عده
من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله واختلف في سبب نزول هذه الآية فقال البغوي وابن
عباس قالت اليهود تزعم يا محمد اننا قد أوتينا الحكمة وفي كتابك ومن بؤت الحكمة فقد أوفى
خيرا كثيرا ثم تقول وما أوتيتم من العلم الا قليلا فنزل الله تعالى هذه الآية وقال البيضاوي
وسبب نزولها أن اليهود قالوا في كتابكم ومن بؤت الحكمة فقد أوفى خيرا كثيرا وتقرؤن
وما أوتيتم من العلم الا قليلا انتهى وقال في الكشف يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من
بحر كلمات الله وقيل لما نزل وما أوتيتم من العلم الا قليلا قالت اليهود أوتينا التوراة وفيها علم كل
شيء فنزل الله تعالى هذه الآية * ولما كانوا رجما قالوا ما لك لا تتحدث من هذه الكلمات بكل
ما سألتنا عنه قال الله تعالى (قل) يا خير الخلق لهم (إنما أنبئهم) في استبداد القدرة على ايجاد
العدوم والاعخبار بالغيب (مملككم) أي لأمرني ولا قدرة الا ما يقدرني ربي عليه ولكن (يوحى
إلي) أي من الله تعالى الذي خصني بالرسالة كالوحي إلى الرسل قبلي (إنما الهكم) الذي يجب
أن يعبد (اله واحد) لا يتقسم بمجانسة ولا غيرها قادر على ما يريد لا منازع له لم يؤخر جواب
ما سألتوني عنه من عجز ولا من جهل هذا الذي يعني كل أحد علمه وأما ما سألتهم عنه في أمر
الروح والقصتين فغضتني فأمر لوجهلته ما ضربكم جهله (فن) أي فتسبب عن وحدته
المستلزمة لقدرة أنه من (كان يرجو لقاءه) أي يخاف المصير اليه وقيل يأمل رؤيته ربه
والرجاء يكون بمعنى الخوف والامل جميعا قال الشاعر

فلا كل ماترجوم من الخير كائن * ولا كل ماترجوم من الشر واقع

لجميع بين المعنيين (فليعمل عملا) ولو قليلا (صالحا) يرضيه الله (ولا يشرك) أي وليكن ذلك
العمل مبنيا على الاساس وهو أن لا يشرك ولو بالياء (بعبادته) أي (أحدا) فاذا عمل ذلك حاز نثار
علمه الذي لا يتغير روي أن جندب بن زهير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لأعمل

العجل لله فاذا اطلع عليه سرتي فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه فترلت تصديقا وروى أنه قال له
 لك أجران أجر السر وأجر العلانية وذلك اذا تصدأ ان يتدنى به وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال
 اتقوا الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر قال الرياء وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال
 سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا
 أشرك به غيري فأنا منه بريء هو الذي عمله وعن سعيد بن فضالة قال سمعت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يقول اذا جمع الله تبارك وتعالى الناس ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان يشركني في
 عمل عمله فليطلب نوابه منه فان الله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك والآية جامعة للخلاص في
 العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص في الطاعة * (خاتمة) * وروى في فضائل سورة الكهف
 أحاديث كثيرة منها ما رواه الترمذي وغيره من قرأها عند مضجعه مكان له نور يتلوه
 في مضجعه الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة
 كان له نور يتلوه من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى
 يستيقظ وروى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من حفظ عشر آيات من أول
 سورة الكهف عصم من فتنة الدجال وقال البيضاوي وعنه عليه السلام من قرأ سورة الكهف
 من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ولكن الذي رواه الامام أحمد من قرأ أول سورة
 الكهف كانت له نورا من فرقه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء
 وروى البغوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ أول سورة الكهف وأخرها كانت له
 نورا من قدمه الى رأسه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء ففسأل الله تعالى أن
 ينور قلوبنا وأبصارنا وان يغفر لنا ولا ينزلنا ولا يؤاخذنا بسوء أفعالنا وان يفعل ذلك بوالدينا وولادنا
 وأقاربنا وأصحابنا ومناجنا وجميع اخواتنا المسلمين وأحبائنا آمين ولا حول ولا قوة الا بالله
 العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين

(سورة مريم عليها السلام مكية)

وهي ثمان وتسعون آية وسبع مائة واثنان وستون كلمة
 وثلاثة آلاف وخمسة مائة حرف وحرفان

(بسم الله) المترجم عن كل شائبة نقص القادر على كل ما يريد (الرحمن) الذي عم نواله سائر
 مخلوقاته (الرحيم) بسائر خلقه واختلف في تفسيره قوله تعالى (كهيص) قال ابن عباس
 هو اسم من أسماء الله تعالى وقال قتادة هو اسم من أسماء القرآن وقيل هو اسم الله الاعظم
 وقيل هو اسم السورة وقيل قسم أقسم الله به وعن الكلبي هو شأه أي الله به على نفسه وعنه
 معناه كاف خلقه هاد للعبادة يده فوق أيديهم عالم ببيئته صادق في وعده وعن ابن عباس قال
 الكاف من كريم وكبير والهاء من هاد والياء من رحيم والعين من عليم وعظيم والصاد من صادق
 وقيل انه من المشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه وقد تقدم الكلام على ذلك في أول سورة البقرة

وقرأ نافع بامالة الهاء والياء بين يمين وأمالهما محضة شعبة والكسائي وأمال الهاء محضة أبو عمرو
 وابن عامر وحزرة والسوسي في الياء خلاف في الامالة محضة والفتح والباقون وهم ابن كثير
 وحفص ففتحهما بلا خلاف وجميع القراء في العين المد والتوسط وقوله تعالى (ذكر) مبتدأ
 محذوف الخبر تارة بديره مما يتلى عليكم أو خبر محذوف المبتدأ تقديره المتلوه ذكر أو هذا ذكر
 (رجعت ربك) وقوله تعالى (عبده) مفعول رجعة لانها مصدرية على التاء لانها دالة على
 الوحيدة ورسمت بناء مجرورة ووقف عليها بالهاء ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ووقف بالتاء على
 الرسم الباقون وقوله تعالى (زكريا) بيان له * (تنبيه) * اعلم انه تعالى ذكر في هذه
 السورة قصص جملة من الانبياء * الاولى هذه القصة وهي قصة زكريا فيحتمل أن المراد من
 قوله تعالى رجعة ربك أنه عنى عبده زكريا ثم في كونه رجعة وجهان أحدهما أنه يكون رجعة
 على أمته لانه هداهم الى الايمان والطاعة والثاني أن يكون رجعة على نبينا محمد صلى الله عليه
 وسلم لان الله تعالى لما شرع له صلى الله عليه وسلم طريقته في الاخلاص والابتهاج في جميع
 الامور الى الله تعالى صار ذلك لطفاد اعماله ولامته الى تلك الطريقة فكان زكريا رجعة
 ويحتمل أن يكون المراد أن هذه السورة فيها ذكر الرجعة التي يرحم بها عبده زكريا (اذ نادى
 ربه نداه) مشتق على دعاه (خفيا) أي سرا خوف الليل لانه أسرع الى الاجابة وان كان الجهر
 والاخفاء عند الله سيان وقيل اخفاء ثلاثا بلام على طلب الولد في زمن الشيخوخة وقيل
 أسرته من مواليه الذين خافهم وقيل خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ صوته
 خفات وسمعه تارات (فان قيل) من شرط النداء الجهر فكيف الجمع بين كونه نداه وخفيا
 (أجيب) بوجهين الاول أنه أتى بأقصى ما قدر عليه من رفع الصوت الا ان صوته كان ضعيفا
 لنهاية ضعفه بسبب الكبر فكان نداه نظرا الى القصد خفيا نظر الى الواقع الثاني أنه دعا
 في الصلاة لان الله تعالى أجابه في الصلاة لقوله تعالى فناداه الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب
 ان الله يشركه وكون الاجابة في الصلاة يدل على كون الدعاء فيها فيكون النداء فيها خفيا
 * (تنبيه) * في ناصب اذ ثلاثة أوجه أحدها أنه ذكر ولم يذكر الحوفي غيره والثاني رجعة
 ولم يذكر الجلال المحلى غيره وذكر الوجهين أبو البقاء والثالث أنه بدل من زكريا بدل اشتمال
 لان الوقت مشتمل عليه ثم كانه قبل ما ذلك النداء فقيل (قال ربه) بحذف الاداة للدلالة على
 غاية القرب (التي وهن) أي ضعف جدا (العظيم معنى) أي هذا الجنس الذي هو أقوى ما في
 بدني ولوجع لا وهم أنه وهن مجموع عظامه لاجمعها وقوله (واشعل الرأس) أي منى (شيبا)
 تميز محمول عن الفاعل أي اتشرب الشيب في شعره كما يتشرب شعاع النار في الحطب وانى أريد أن
 أدعوك (ولم أكن بدعائك) أي بدعائي اياك (رب شقيا) أي خابيا فيما مضى فلا تخيبني فيما
 يأتي وان كان ما أدعوك به في غاية البعد في العادة لكنتك فعلت مع أبي ابراهيم مثله فهو دعاء
 وشكروا استعطف ثم عطف على قوله اني وهن قوله (وانى خفت المواتي) أي الذين يلاوني
 في الغيب كبنى المم أن يسبوا الخلافة (من ورائي) أي في بعض الزمان الذي بعدى (وكانت

امرأتى عاقرا) لاتلد أصلا عادل عليه فعل الكون (فهبلى) أى فتسبب عن شيخوختى
 وضعنى وتعد بدلى بالاجابة وخوفى من سوء مخالفة أفاربى ورأسى عن الولد عادة بعقم امرأتى
 وبلوغى من الكبر حد الأحر الذى معه أنى أقول لى قادر على كل شىء هبلى (من لذلک) أى من
 الامور المستبطنة المستغربة التى عندك لم تجرها على مناهج العادات والاسباب المطردات (وليا)
 أى ابنا من صلبى (يرثى) فى جميع ما أنافيه من العلم والتبوة والعمل (ويرث) زيادة على ذلك
 (من آل يعقوب) جزأ ما خصه بهم من المنخ وفضلتم بهم من النعم ومحاسن الاخلاق ومعالى
 الشيم فان الانبياء لا يورثون المال وقيل يرثى الحبورة أى العلم بتجسير الكلام وتحسينه فانه كان
 حبراهو بالفصح والكسر وهو أفصح يقال للعالم بتجسير الكلام وتحسينه وهو يعقوب
 ابن اسحق عليهما السلام وقيل يرثى العلم فيرث من آل يعقوب التبوة وافظ الارث يستعمل
 فى المال وفى العلم والتبوة أما فى المال فلقوله تعالى وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم
 وأما فى التبوة فلقوله تعالى وأورثنا اسرائيل الكتاب الآيه وقال صلى الله عليه وسلم العلماء
 ورثة الانبياء ولان الانبياء لم يورثوا ديارا ولا درهما وانما يورثون العلم وخص اسم يعقوب اقتداء
 به نفسه اذ قال ليوسف عليه السلام وبتنعمتم على كى وعلى آل يعقوب ولان اسرائيل قد صار
 علما على الاسباط كلهم وكانت قد غلبت عليهم الاحداث وقرأ أبو عمرو والكتابى يجزم الناء
 المثناة فيم على أنهم ما جواب الامر اذ تقدروهما ان تهب يرث والباقون بالضم فيما على أنهم ما
 صفة (واعترض) بأن زكريا دعا الله تعالى أن يهبه ولدا يرثه مع أن يحيى قتل قبله فلم يهبه الى ارثه
 منه (وأجيب) بأن اجابة دعاء الانبياء غالبه للالزامة فقد يتخلف لقضاء الله تعالى بخلافه كما فى
 دعاء ابراهيم عليه السلام فى حق آييه وكما فى دعاء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى قوله وسألته
 أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فذعن بها ولما كان من قضاء الله تعالى وقدره أن يوجد يحيى نبيا
 صالحا يتم اقتل استجيب دعاء زكريا فى ايجاد دون ارثه * ولما ختم دعاءه بقوله (واجعله رب)
 أى ايها المحسن الى (رضيا) أى مرضيا عندك أجابه الله تعالى بقوله تعالى (يا زكريا اننا نبشرك
 بغلام) يرث كما سألت (اسمه يحيى) وقرأ جزء بفتح النون وسكون الباء الموحدة وضم الشين
 مخففة والباقون بضم النون وفتح الموحدة وكسر الشين مشددة وكذلك فى آخر السورة
 * (تنبه) * يحيى اسم أعجمى ممنوع من الصرف للعيبة والعجمة وقيل منقول من الفعل
 المضارع كما سمرأ يعمر وانما نولى تعالى تسميته نشر يناله قال تعالى (لم يجعل لمن قبل سميها)
 أى سمي يحيى قال قتادة والكلى لم يسم أحد قبله يحيى * (تنبه) * سميأ مأخوذ من السمو
 وفيه دلالة لقول البصر بين ان الاسم من السموى ولو كان من الوسم لقل وسما وقال سعيد
 ابن جبير وعطاء لم يجعل له شها ومثلا كما قال تعالى هل تعلم له سميأ أى مثلا والمعنى انه لم يكن له مثل
 لان لم يعص ولم يهت به صفة قط وورد هذا لان هذا يقتضى تفضيله على الانبياء قبله كابراهيم وموسى
 وليس كذلك وقيل لم يكن له مثل الى امر النساء لانه كان سيدا وحصورا وعن ابن عباس لم تلد
 العواقر مثله ولذا تم كأنه قيل فما قال فى جواب هذه البشارة العظيمة فقيل (قال) عالما

قوله يرث كما سألت
 هذا يناقض ما قدمه
 من أنه لم يجب الى
 ارثه لتخلفه بكونه
 قتل قبل والده
 وعادة الجمل قوله
 يرث كما سألت
 قد يستشكل بأنه
 سأل ولدا يرث منه
 ولم يفعل ذلك لقتل
 يحيى فى حياة زكريا
 والجواب ان المراد
 وراثه العلم والتبوة
 ولو فى حياة زكريا
 لئلى
 ح اه

بصدها طاب البتة كيدها ولتلتذذ به برديدها وهل ذلك من امر أنه أو من غيرها وهل إذا كان منها
 يكونان على حالتها من الكبر أو غيرها غير طائش ولا عجل (رب) أيها المحسن التي بأجابة الدعاء دائماً
 (أنتي) أي من أين وكيف وعلى أي حال (يكون لي غلام) يولد في غاية القوة والنشاط والكمال
 في الذكورة (وكانت) أي والحال أنه كانت (امرأتي) إذ كانت شابة (عاقراً) غير قابلة للوليد
 وأنا وهي شابان فلم يأتا ولد لاختلال أحد السيلين فكيف بها وقد أبيت قال الجلال المحلى
 بلغت ثماناً وتسعين سنة (وقد بلغت) أنا (من الكبر عتياً) من عما يدس أي نهاية السن قال الجلال
 المحلى مائة وعشرين سنة وجماعة ترسقط ما قبل لم نعجب زكريا عليه السلام بقوله أي يكون لي غلام
 مع أنه هو الذي طلب الغلام وقرأ حفص وحزرة والكسائي عتياً وصلباً وجنباً بكسر عين
 الأزل وصاد الثاني وجميم الثالث وضمّ الباقون وأما بكاف كسر الباء الموحدة حمزة والكسائي
 وضها الباقون وأصل عتي عتو وكسرت التاء تخفية وقلت الواو الأولى بامناسبة الكسرة
 والثانية بامناسبة الهمزة فيها وإنما استجيب للولد من شيخ فإن وعجز عاقراً فإبان المؤثر فيه كامل
 القدرة وأن الوسائط عند المحققين ملغاة ولذلك (قال) أي الله تعالى كما قال الاكثرون لأن زكريا
 إنما كان يخاطب الله ويسأله بقوله رب اني وهن العظم مني وألما الملك المبلغ للشارة تصديقه
 لقوله تعالى فناده الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب إن الله يشرك بعبي وأيضاً فإنه لما قال وقد
 بلغت من الكبر عتياً قال (كذلك) أي الامر كذلك فهو خبر مبتدأ محذوف ثم عليه بقوله (قال
 ربك) أي الذي عودك بالاحسان فدل ذلك على أنه كلام الملك قال ابن عادل ويمكن أن يجاب
 بأنه محتمل أن يحصل النداء أن نداء الله تعالى ونداء الملك ثم ذكر مقول القول فقال (هو) أي
 خلق يحيي منك على هذه الحالة (علي) أي خاصة (هين) أي بأن أرد عليك قوة الجماع وافتنق
 رحم امرأتك للعروق (وقد خلقتك) أي قدرتك وصورتك وأوجدتك (من قبل ولم) أي والحال
 أنك لم (تكن شيئاً) بل كنت معدوماً صرفاً وفيه دليل على أن المعدوم ليس بشئ ولا يظهر الله تعالى
 هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال ليجاب بما يدل عليها وقرأ حمزة والكسائي بعد القاف بنون
 بعدها ألف والباقون بعد القاف بباء مضمومة * ولما ناقته نفسه إلى سرعة المبر به (قال رب
 اجعل لي) على ذلك (آية) أي علامة تدلني على وقوعه (قال آيتك) على وقوع ذلك (أن لا تكلم
 الناس) أي لا تقدر على كلامهم بخلاف ذكر الله تعالى (ثلاث ليال) أي بأيامها كافي آل
 عمران ثلاثة أيام حال كونك (سويماً) من غير خرس ولا مرض وجعلت الآية الدالة عليه سكوت
 ثلاثة أيام وإسالمين من غير ذكر الله دلالة على إخلاصه وانقطاعه بكنيته إلى الله تعالى
 دون غيره (تخرج) عتب اعلام الله تعالى له بهذا (على قومه من المحراب) أي من المسجد
 وهم ينتظرونه أن يفتح لهم الباب متغير اللونه فأذكروه وهو منطلق اللسان بذكر الله تعالى
 منحسه عن كلام الناس فقلوا مالک يا نبي الله (فأوحى إليهم) أي أشار بشفتيه من غير نطق
 وقال مجاهد كتب لهم في الارض (أن سبحوا) أي أوجدوا التزيه والتقدس لله تعالى بالصلاة
 وغيرها (بكرة وعشياً) أي أوائل النهار وأواخره على العادة فعلم عنهم من كلامهم حل امرأته

يحيى قال الجلال المحلى وبعد ولادته بسنين قال الله تعالى له (يا يحيى خذ الكتاب) أى التوراة
(بقوة) أى - إذ ثم إن الله تعالى وصفه بصفات الأولى قوله تعالى (وآتيناه الحكم) قال ابن
عباس النبوة (صبا) قال الجلال المحلى تبع للغوى ابن ثلاث سنين أى أحكم الله عقله
في صباه واستنبأه وقيل المراد بالحكم الحكمة وفهم التوراة فقرأ التوراة وهو صغير قال
الغوى وعن بعض السلف من قرأ القرآن قبل أن يبلغ فهو عن أوفى الحكم صيا * الصفة الثانية
قوله تعالى (وحنانا) أى وآتيناه راحة وهيبة ووقارا ورقة قلب ورزقا وبركة (من لدنا) أى من
عندنا بلا واسطة تعليم ولا تجربة * الصفة الثالثة قوله تعالى (وزكاة) أى وآتيناه طهارة في دينه
قال ابن عباس يعنى بالزكاة الطاعة والأخلاص وقال قتادة هى العمل الصالح وقال الكلبي
يعنى صدقة تصدق الله بها على أوبه * الصفة الرابعة قوله تعالى (وكان) أى - جبلة وطبعاً (تقياً)
أى مخلصاً مطيعاً روى أنه لم يعمل خطيئة ولم يهت بها * الصفة الخامسة قوله تعالى (وبراً بالديه)
أى باراً بالديه ما أحسننا اليهما لأنه لا عبادة بعد تعظيم الله تعالى أعظم من بر الوالدين يدل عليه
قوله تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الاياه وبالوالدين احسانا * الصفة السادسة قوله تعالى
(ولم يكن جباراً) أى متكبراً والمراد وصفه بالتواضع ولين الجانب وذلك من صفات المؤمنين قال
تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم واخفض جناحك للمؤمنين وقال تعالى ولو كنت فظاً غليظ القلب
لافضوا من حولك ولأن رأس العبادة معرفة الانسان نفسه بالذل ومعرفة ربه بالعظمة والكمال
ومن عرف نفسه بالذل وعرف ربه بالكمال كيف يليق به التبحر والترفع ولذلك لما تجرأ بليس
وتخرد صار مبعداً عن رحمة الله تعالى وعن المؤمنين وقيل الجبار هو الذى لا يرى لاحد على نفسه
حقاً وهو من التعظيم والذهاب بنفسه من أنه لا يلزمه قضاء حق لاحد وقيل هو كل من عاقب على
غضب نفسه * الصفة السابعة قوله تعالى (عصياً) أى عاقفاً وعاصياً ربه وهو أبلغ من العاصي
كما أن العليم أبلغ من العالم * الصفة الثامنة قوله تعالى (وسلام عليه) منا (يوم ولد يوم يموت
ويوم يبعث حياً) * فان قيل لم خص هذه الاوقات الثلاثة (أوجب) بوجوه الأول قال محمد بن
جرير الطبري وسلام عليه يوم ولد أى أمان من الله تعالى عليه يوم ولد من أن يناله الشيطان
كما ينال سائر بني آدم ويوم يموت أى أمان من الله من عذاب القبر ويوم يبعث أى ومن عذاب
الله يوم القيامة الثانى قال ابن عيينة أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن يوم ولد فيرى نفسه
خارجاً مما كان فيه ويوم يموت فيرى قوماً ما شاهدهم قط ويوم يبعث فيرى في محشر عظيم
فاكرم الله تعالى يحيى عليه السلام فخصه بالسلم في هذه المواطن الثالث قال عبد الله بن
نقطويه وسلام عليه يوم ولد أى أول ما يرى في الدنيا ويوم يموت أى أول يوم يرى فيه أمر الآخرة
ويوم يبعث حياً أى أول يوم يرى فيه الجنة والنار وهو يوم القيامة وإنما قال حياً تبييناً اعلم كونه
من الشهداء لأنه قتل وقد قال تعالى أحياه عند ربهم يرزقون * (فروع) * الاقول هذا السلام
يمكن أن يكون من الله وأن يكون من الملائكة وعلى التقديرين فبذلك دلالة على تشريفه لأن
الملائكة لا يسلمون الا عن أمر الله تعالى * الثانى يحيى من ربه في هذا السلام على ما سألوا النبياء

لقوله تعالى سلام على نوح سلام على ابراهيم لانه تعالى قال يوم ولد وليس كذلك سائر الانبياء
 الثالث روى ان عيسى عليه السلام قال يحيى عليه السلام أنت أفضل مني لان الله تعالى قال
 سلام عليه وأنا سئلت على نفسي قال الرازي وهذا ليس بقوى لان سلام عيسى على نفسه مجرى
 مجرى سلام الله تعالى على يحيى لان عيسى معصوم لا يفعل الا ما امر الله تعالى انتهى ولكن
 بين السلامين مزية * (تنبيه) * هذه القصة قد ذكرت في آل عمران بقوله تعالى كلما دخل
 عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال ان قال هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي
 من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم لان زكريا عليه السلام لما رأى
 خرق العادة في حق مريم طمع في حق نفسه فدعا وقد وقعت المخالفة في ذكر ما هنا وهناك في
 الالفاظ من وجوه الاول منها ان الله تعالى صرح في آل عمران بان المنادى هو الملائكة بقوله
 تعالى فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب وفي هذه السورة الاكثر على ان المنادى بقوله
 يازكريا اننا نبشرك بغلام اسمه يحيى هو الله تعالى (وأجيب) بأن الله تعالى هو المبرس سواء كان
 بواسطة أم لا الثاني انه قال تعالى في آل عمران اني يكون لي غلام وقد بلغني الكبر و امرأتى
 عاقرة فذكر أولاً كبر سنه ثم عقرا امرأته وفي هذه السورة قال اني يكون لي غلام وكانت امرأتى
 عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا وأجيب بأن الواو لا تقتضي الترتيب الثالث قال في آل
 عمران وقد بلغني الكبر وقال هنا وقد بلغت من الكبر عتيا وأجيب بأن ما بلغك قد بلغت
 الرابع قال في آل عمران آيتك ان لاتكلم الناس ثلاثة أيام بلياليهن كما مر * القصة الثانية قصة مريم
 وابنها عيسى عليهم ما السلام ولما كانت قصة عيسى عليه السلام أغرب من قصة يحيى لان خلق
 الولد من شخصين فاقرب الى مناهج العادات من خلق الولد لان أب البتة وأحسن
 طرق التعليم والفهم الاخذ من الاقرب فالاقرب مرتباً الى الاصب فالاصعب أشار الى
 ذلك بتغيير السياق فقال عاطفاً على ما تقديره اذ كره ذلك لهم (واذ كره) بلفظ الامر (في الكتاب)
 أي القرآن (مريم) أي قصتها وهي ابنة عمران خالة يحيى كما في الصحيح من حديث أنس بن
 مالك بن صعصعة الانصاري في حديث الاسراء فلما خلصت فاذا يحيى وعيسى وهما بالخلعة
 ثم ابدل من مريم بدل اشتمال فقال (اذ) أي اذ كرماتفق لها حين (اتخذت) أي كلفت نفسها
 أن اعتزت وانفردت (من أهلها) حالة (مكاناً شرقياً) أي شرقى بيت المقدس وقال الرازي
 شرقى دارها وعن ابن عباس اني لاعلم خلق الله تعالى لاي شئ اتخذت النصارى الشرق قبلة
 لقوله تعالى مكاناً شرقياً فاتخذت ميلاد عيسى قبلة واقصر الحلال المحلى على الشرق من
 الدار وزد البيضاوي بينهما فقال شرقى بيت المقدس أو شرقى دارها انتهى ويحتمل أن
 يكون شرقى بيت المقدس هو شرقى دارها فلا مخالفة (فاتخذت) أي اخذت بمسودتكف
 ودل على قرب المكان بالانسان بالجار فقال (من دونهم) أي أدنى مكان من مكانهم (حجاباً) أي
 أرسلت ستراً تستر به لفرض صحيح وليس بمذكور واختلف المفسرون فيه على وجوه أحدها

أنها طلبت الخلو كيلا تشغل عن العبادة تأتيها انها علمت فخرجت الى المقبرة تستقي نالها
 أنها كانت في منزل زوج أختها ذكر يوفيه محراب على حدة تسكنه وكان يركبها اذا خرج أطلق
 عليها الباب فتمت أن تجده خلوة في الجبل لتقلى رأسها وثوبها فاقبعت لها الشمس فخرجت
 جلت في المشرفة وراء الجبل فأناها الملك كما قال تعالى (فأرسلنا) لامر يبدل على عظمتنا (التي
 روحنا) أي جبريل عليه السلام ليهلها بما يريد من الكرامة بولادة عيسى عليه السلام من
 غير أب لتلا يشبه عليها الامر فقتل نفسها غما (فتمثل لها) أي تشبه بشين مجة ثوبها وحادثة
 ثوبها مهمله وهو روحاني بصورة الجسماني (بشر اسوياء) في خلقه حسن الشكل وابعها
 أنها قعدت في مشرفة للاغتسال من الحيض متحجبة بشي يسترها وكانت تحوّل من المسجد الى
 بيت خالتها اذا حاضت وتعود اليه اذا طهرت فيبناها في مغتسلها أنها جبريل بعد لبسها ثيابها
 متمتلا بصورة شاب أمر دسوى الخلق تستأنس بكلامه اذا لوانها في الصورة الملتصبة لتفرت
 منه ولم تقدر على استماع كلامه قال البضاوي ولعله لتعجب شهورها فتحدثر نطقها الى روحها أي
 مع أمنها الفتنة لعفتها قال الرازي وكل هذه الوجوه محتملة وليس في اللفظ ما يدل على ترجيح
 واحد منها * ولما رأته مريم جبريل فحوها (قالت اني أعوذ) أي أعتم (بالرحمن) ربي
 الذي رحمة عامة لجميع خلقه (منك) أي أن تقربني وفقها اني نافع وابن كثير وأوعرو وسكنها
 الباقون وهم على مراتبهم في الدنيا تفرست فيه بما أثار الله تعالى من بصيرتها وأصنى من
 شيريتها التقوى قالت (ان كنت تقيا) أي مؤمنا مطيعا وحواب الشرط محذوف دل عليه
 ما قبله أي فاني عانت منك وأعوذ بذلك دل تعوذها من تلك الصورة الحسننة على عفتها وورعها
 (فان قبيل) انما يستعاذ من الفاجر فكيف قالت ان كنت تقيا (أجيب) بأن هذا كقول
 القتائل ان كنت مؤمنا فلا تقلى أي ينبغي أن يكون ايمانك مانعا لك من الظلم كذلك هنا ينبغي
 أن تكون تقوا المانعة لك من الفجور وهذا في نهاية الحسن لانها علمت أنها لا تؤخر الاستعاذة
 الا في التقى وهو كقوله تعالى وذروا ما بينك من الربان ككنتم مؤمنين أي ان شرط الايمان
 بوجبه هذا أن الله تعالى يحنى في حال دون حال وقيل كان في ذلك الزمان انسان فاجر
 يبيع النساء اسمه نقي فظنت مريم ان ذلك الشخص المشاهد هو ذلك فاستعادت منه قال الرازي
 والاول هو الوجه * ولما علم جبريل عليه السلام خوفها (قال) يحجبها عما علمناه اني لست بمن
 تخشين أن يكون متمم ما موكد الاجل استعاذتها (انما أنا رسول ربك) أي الذي عهدت به فأنا
 لست متمم ما بل متصف بما ذكرت وزيادة الرسالة وهو باسم الرب المقضى للاحسان لطفها ولأن
 هذه السورة صدرت بالرحة ومن أعظم مقاصدها تعداد التمس على خالص عباده وقوله (ليب لك)
 قرأ ووش وأوعرو وقالون بخلاف عنه بالياء أي ليهب الله تعالى لك وقرأ الباقون بالهمز أي
 لاهب أمالك وفي مجازة وجهان الاول أن المهمة لما جرت على يده بأن كان هو الذي ينفخ في جيبها
 بأمر الله تعالى جعل نفسه كانه هو الذي وهب لها واضافة الفعل الى من هو سبب مستعمل
 لعل الله تعالى في الإحسان رب انهن أصلن كثيرا من الناس الثاني أن جبريل عليه السلام لما

بشرها بذلك كانت البشارة الصادقة جارية بحجى الهبة ثم بين الموهوب بقوله (غلاماً) اى ولدا
ذكريا في غاية القوة والرجولية ثم وصفه بقوله (زكياً) اى نبيا طاهرا من كل ما يدنس البشر
ناميا على الخير والبركة (قالت) مريم (أتى) اى من أين وكيف (يكون لى غلام) آله (ولم
يمسسى بشر) بنكاح (ولم النبيا) اى زانية فنجبت مما بشرها به جبريل عليه السلام لانها
قد عرفت بالعادة أن الولادة لا تكون الا من رجل والعادة عند أهل المعرفة معتبرة في الامور
وان جوزوا بخلاف ذلك في القدرة فليس في قولها هذا دلالة على أنها لم تعلم أنه تعالى قادر على
خلق الولد ابتداء وكيف وقد عرفت أنه تعالى خلق أبا البشر على هذا الحد ولا انها كانت مفتردة
للعباداة ومن يكون كذلك لا بد أن يعرف قدرة الله تعالى على ذلك وبما تقرر سقط ما قيل قولها
ولم يمسى بشر يدخل تحته قولها ولم النبيا ولهذا اقتصر عليه في سورة آل عمران بقولها قالت
رب أنى يكون لى ولد ولم يمسى بشر فلم تذكري البنى ويجوز أن يقال انها أفردت ذكر البنى مع
دخوله في الكلام الاول لانه أعظم ما فى بابه فهو نظير قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة
الوسطى وقوله تعالى وملائكته ورسوله وجبريل وميكال (قال) لها جبريل عليه السلام
الامر (كذلك) من خلق غلام منك بغير أب وما كان لسان الحال قائلا كيف يكون بغير سبب
أجاب جبريل بقوله (قال ربك هو) اى المذکور وهو ايجاد الولد على هذه الهيئة (على)
وحدى لا يقدر عليه غيرى (هين) اى بأن ينفخ بأمرى جبريل فيك فصلى به ولكون
ما ذكر فى معنى العلة عطف عليه (ولجعل) مما لنا من العظمة (آية للناس) اى علامة على كمال
قدرته على البعث أدل من الآية في يحيى عليه السلام وبه تمام القصة الرباهية في خلق البشر
فانه أوجده من أنثى بلا ذكر وحواء من ذكر بلا أنثى وآدم عليه السلام من ذكر ولا أنثى وبقيّة
أولاده من ذكر وأنثى معا (ورحمتنا) على العباد يتهدون به (وكان) ذلك كله (أمرا
مقتضيا) به فى علمى وقوله تعالى (ختمته) فيه حذف تقديره فنحننا فيها فحمله مدل على ذلك
قوله تعالى في سورة التحريم ومريم ابنت عمران التى أحصت فرجها فنحننا فممن روحنا
واختلف فى النافع فقال بعضهم كان النفع من الله تعالى لهذه الآية ولانه تعالى قال ان مثل
عيسى عند الله كمثل آدم ومقتضى التشبيه حصول المشابهة الا فيما أخرجه الدليل وفى حق آدم
النافع هو الله تعالى قال تعالى فنحننا فيه من روحى فكذلك اهلنا وقال بعضهم النافع جبريل
لان الظاهر من قول جبريل عليه السلام لا هب لك على أحد القرأتين أنه النافع واختلف
فى كيفية نفعه فقيل ان جبريل عليه السلام وقع درعها فنفع في جميعها فحلت حين لبسته وقيل
مد إلى جيب درعها أصابعه ونفع في الجيب وقيل نفع في كم قمصها وقيل في غيرها وقيل نفع
جبريل نفعان بعيد فوصل النفع اليها فحلت بعيسى فى الحال وقيل نفع في ذيلها فدخلت
النفعة في صدرها فحلت بجانم أختها امرأه زكريا تزورها فلما التزمها عرفت أنها حبلى
وذكرت مريم حالها فقالت امرأه زكريا اى وجدت ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك فذلك قوله
تعالى مصدقا بكلمة من الله وقيل حلت وهى بنت ثلاث عشرة سنة وقيل بنت عشرين وقد

كتبت حاضت حبستين قبل أن تحصل قال الرازي وليس في القرآن ما يدل على شيء من هذه
 الأقوال المذكورة ثم عقب بالجل قوله (فاتمدت به) أي فاعتزلت به وهو في بطنها حالة (مكناً
 قصياً) أي بعيداً من أهلها أو من الممكان الشرقي وأشار إلى قرب الولادة من الحمل بقوله
 التعقيب في قوله (فأجأها) أي فأقربها وأجأها (الخاص) وهو تحريك الولد في بطنها للولادة
 (التي جدد الخلة) وهو ما برز منها من الأرض ولم يبلغ الأغصان وكان تعريفاً لأنه لم يكن في
 تلك البلاد الباردة غيرها فكانت كالعلم لما فهم من العجب لأن الخمل من أقل الأشجار صبراً على
 البرد ولعلها ألجئت إليها دون غيرها من الأشجار على كثرتها المناسبة حال الخلة لها لأنها لا تحصل
 إلا باللقاح من ذكر الخمل فحملها بمجرد هزها أنسب بشيء ياتينها بولده من غير والد فكيف إذا كان
 ذلك في غير وقته وكانت يابسة مع الماهيات من المنافع بالاستناد إليها والاعتماد عليهم أو يكون
 رطبها خرساً للنساء وغاية في نفعها وغير ذلك والخرسه بنجاء مبعجة مضمومة طعام النساء وهو
 صر اد الجوهري بقوله طعام الولادة قال ابن عباس الحمل والولادة في ساعة واحدة وقيل
 ثلاث ساعات جلته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها وقيل
 كانت مدته تسعة أشهر كحمل سائر النساء وقيل كانت مدة حملها ثمانية أشهر وذلك آية أخرى له لأنه
 لا يعيش من ولد لثمانية أشهر وولد عيسى لهذه المدة وعاش وقيل ولد لستة أشهر ولما كان
 ذلك أمر اصعب عليها حدثا كان كأنه قيل ياليت شعري ما كان حالها قبيل (قالت) لما حصل
 عندها من خوف العار (ياليتني مت) وأشارت إلى استغراق الزمان بالموت بمعنى عدم الوجود
 فقالت من غير جار (قبل هذا) أي الأمر العظيم وقرأ نافع وحفص وجزرة والكاساني مت بكسر
 الميم والباقون بالضم (وكنت نسياً) أي شيئاً من شأنه أن يطرح وينسى (منسياً) أي متروكاً
 بالفعل لا يخطر على بال (فان قيل) لم قالت ذلك مع أنها كانت تعلم أن الله تعالى بعث جبريل
 عليه السلام إليها وعدها بأن يجعلها وولدها آية للعالمين (أجيب) عن ذلك بأجوبة الأول
 أنها غمت ذلك استخفاءً من الناس فأبساها الاستخفاء بشارة الملائكة بعيسى الثاني أن عادة
 الصالحين إذا وقعوا في بلاء أن يقولوا ذلك كما روى عن أبي بكر رضي الله عنه أنه نظر إلى
 طائر على شجرة فقال طوبى لك يا طائر تقع على الشجر وتناكل من الثمر وددت أني غرة بقرها
 الطائر وعن عمر رضي الله عنه أنه أخذ نبتة من الأرض فقال ياليتني هذه النبتة ولم أكن شيئاً
 وعن علي رضي الله عنه يوم الجمل ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة وعن بلال ليت
 بلال لم تلده أمة فبت ان هذا الكلام يذكره الصالحون عند اشتداد الأمر عليهم الثالث
 لعلها قالت ذلك لتلايق في المعصية من تكلم فيها والافهسي راضية بما بشرت به وقرأ حفص
 وجزرة نسياً يفتخ النون والباقون بالكسر وقوله تعالى (فناداهما من تحتها) قرأه نافع
 وحفص وجزرة بكسر من بحر التاء من تحتها والباقون بفتح من نصب تحتها وأمال ألف ناداهما
 جزرة والكاساني إمالة محضة وقرأ ورش بالفتح وبين اللطين والباقون بالفتح وفي السنادي وأوجه
 أحدها أنه عيسى عليه السلام وهو قول الحسن ومعه بن جبير ثانياً أنه جبريل عليه

السلام وأنه كلقابله للولد بالثبات المنادى على القراءتها لفتح هو عيسى وعلى القراءتها بالكسر
 هو جبريل وهو من روى عن ابن عيينة وعاصم قال الرازي والاول أقرب وصدر به البضاوي
 واقتصر الجلال الحلبي على الثاني والمعنى على الاول أن الله تعالى أنطقه لها حين ولادته تطمينا
 لقلباها وازالة اللوحشة عنها حتى تشاهد في أول الامر ما يبشرها به جبريل من علو شأن ذلك الولد
 وعلى الثاني أن الله تعالى أرسله اليها ليناديها بهذه الكلمات كما أرسل اليها في أول الامر
 نذيرا للنبشارات المتقدمة والضمير في تحتها للسيدة مريم وعلى تقدير أن يكون المنادى هو
 عيسى فهو ظاهر وان كان جبريل فيقال انه كان تحتها يقبل الولد كلقابله وقيل تحتها أسفل من
 مكانها وقيل الضمير فيه للخلعة أي ناداها من تحتها (أن لا تحزني) يجوز في أن تكون مفسرة
 لتقدمها ما هو معنى القول ولا على هذا ناهية وحذف النون للجزم وأن تكون الناصبة ولا
 حينئذ نافية وحذف النون للنصب ومحل أن اما نصب أو جزلانها على حذف حرف الجر أي
 فناداها بكذا (قد جعل ربك) أي المحسن اليك (تحتك) في هذه الارض التي لامها جاز فيها
 (سريا) أي جدد ولا من الماء تطيب به نفسك قال الرازي اتفق المفسرون الا الحسن وعبد
 الرحمن بن زيد أن السري هو النهر والجدول سمي بذلك لأن الماء يسري فيه وأما الحسن وابن
 زيد فانهم جعلوا السري هو عيسى والسري هو النبي ليقال فلان من سروات قومه أي
 أشرفهم واحتج من قال هو النهر بأن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن السري فقال هو
 الجدول وبقوله تعالى فكلني واشربي فدل على أنه النهر حتى يضاف الماء الى الرطب فتا كل
 وتشرب واحتج من قال انه عيسى بأن النهر لا يكون تحتها بل الى جنبها ولا يجوز أن يجاب
 عنه بأن المراد انه جعل النهر تحت أمرها يجري بأمرها ويقف بأمرها كقول فرعون وهذه
 الانهار تجري من تحتي لأن هذا اجل للفظ على مجازة ولو جعلناه على عيسى لم يتجوز الى هذا المجاز
 وأيضا فانه موافق لقوله وجعلنا ابن مريم وأمه آية (وأجيب) بأن المكان المستوي اذا
 كان فيه مبدأ معين فكل من كان أقرب منه كان فوق وكل من كان أبعد منه كان تحت
 * (تنبيه) * اذا قيل بأن السري هو النهر ففيه وجهان الاول قال ابن عباس ان جبريل
 ضرب برجله الارض وقيل عيسى فظهر عين ماء عذب وجرى وقيل كان هناك ماء جاز قال
 ابن عادل والاول أقرب لأن قوله قد جعل ربك تحتك سري يدل على الحدوث في ذلك الوقت ولأن
 الله تعالى ذكره تعظيما لشأنها وقيل كان هناك نهر يابس أجرى الله فيه الماء وحيت
 النخلة اليابسة وأوردت وأثمرت وأرطبت قال أبو عبيدة والقراء السري هو النهر مطلقا
 وقال الاخفش هو النهر الصغير (وهزي اليك) أي أوقعي الهز وهو جذب بصريك (يجذع
 النخلة) أي التي أنت تحتها مع يسها وكون الوقت ليس وقت حملها (تساقط عليك) من أعلاها
 (رطبا حينئذ) طريا آية أخرى عظيمة روي أنها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا غر وكان
 الوقت شتاء فهزتها فجعل الله تعالى لها رأسا وخصا ورطبا وقرأه جزع بفتح التاء والسين
 مخففة وفتح القاف وضم التاء وفتح السين مخففة وكسر القاف والباقون بفتح التاء

وتشديد السين مفتوحة وفتح القاف * (تنبيه) * الباء في يجذع زائدة والمسنى هزى البدن
 جذع النخلة كما في قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم قال القراء تقول العرب هزه وهزبه وخذ
 الخطام وخذبا لخطام وزوجتك فلانة وبفلانة وقال الاخفش يجوز أن يكون على معنى هزى
 البدن رطباً يجذع النخلة أي على جذعها ورطباً يميز وجنيا صفتها والرطب اسم جنس لرطوبة
 بخلاف نخم فإنه جمع للنخمة والفرق أنهم الترموا نذ كبره فقاوا هو الرطب وتأنيت ذلك فقاوا
 هي النخم فذكروا الرطب باعتبار الجنس وأثروا النخم باعتبار الجمعية قال ابن عادل وهو فرقى
 لطيف والرطب ما قطع قبل يسه وجفافه وخص الرطب بالذك كره قال الريح بن خيثم ما للنفساء
 عندي خير من الرطب وللتمر يض خير من العسل وهذه الأفعال الحارة للعادة ككرامات
 لمريم وارهاس لعيسى وفي ذلك تنبيه على أن من قدر أن يثمر النخلة اليابسة في الشتاء قد رأى أن
 يجبلها من غير ظل وتطليب لنفسها فلذلك قال (فكلى) أي من الرطب (واشرب) من السرى
 أو كلي من الرطب واشرب من عصيره (وقزى عينا) أي وطبى نفسك وارفضي عنها ما حزنها
 وقدم الأكل على الشرب لأن حاجة النفساء إلى الرطب أشد من احتياجها إلى شرب الماء
 ككرة ما سال منها من الدم (فان قيل) أن مضرة الخوف أشد من مضرة الجوع والعطش لأن
 الخوف ألم الروح والجوع ألم البدن وألم الروح أقوى من ألم البدن روى أنه أجمعت شاة فقدم
 إليها علف وعند هاذب فبقيت الشاة مدة مديدة لا تتناول العلف مع جوعها خوفاً من الذئب
 ثم كسر رجلها وقدم إليها العلف فتناولت العلف مع ألم البدن فدل ذلك على أن ألم الخوف أشد
 من ألم البدن وإذا كان كذلك فلم تقدم ضرر الجوع والعطش على دفع ضرر الخوف (أجيب)
 بأن هذا الخوف كان قليلاً لا يشاير جبريل عليه السلام كانت قد تقدمت فما كانت تحتاج
 إلا إلى التدبير كبرمة أخرى وقيل قزى عينا بولد لعيسى وقيل بالنوم فإن المهموم لا ينام
 وقوله (فأما) فيه ادغام نون ان الشرطية في ما الزائدة (تزين) حذف منه لام الفعل وعينه
 وألقبت حركتها على الراء وكسرت ياء الضمير لالتقاء الساكنين (من البشر أحد) يشكر عليك
 (فقوى) يامرهم بذلك المنكر جوا بالجمع التأكيد تنبيها على البراءة لأن البريء يكون ساكناً
 لا طمثنانه والمرتاب يكثر كلامه وحلقه (أني نذرت للرحمن) أي الذي عت رجته (صوما) أي
 أي أصا كعن الكلام في شأنه وغيره مع الاناسي بدليل (فلن أكلم اليوم انسيا) فإن كلاً
 يقبل الرد والمجادلة ولكن يتكلم عن المولود الذي كلامه لا يقبل الدفع وأما ألفاً فزوه نفسى
 عن مجادلة السفهاء قالوا ومن أذل الناس سفيه لم يجلسها فلأكل الملائكة وأخلاق
 بالتسبيح والتقدير وسائر أنواع الذكر وقيل صبا ما لانهم كانوا لا يتكلمون في مباحهم فعلى
 هذا كان ذكر الصوم دال على الصمت وهذا النوع من النذر كان جائزاً في شرعهم وهل يجوز
 مثل هذا النذر في شرعنا قال الثعالبي له يجوز لأن الاحتراز عن كلام الأدميين وتجريد
 الفكر بذكر الله تعالى قرينة وتعلله لا يجوز لما فيه من التضييق وتعذيب النفس كتنذر القيام
 في الشمس وروى أنه دخل أبو بكر رضي الله عنه على امرأته فذرت أنها لا تتكلم فضلت

أبو بكر أن الإسلام قد هدم هذا فتكلمى * (تنبية) * اختلقوا في أنهارهم قالت لهم اني نذرت
 للرحن صوما فقال قوم انها ما تكلمت معهم بذلك لانها كانت مأمورة بأنها تأتي بهذا النذر
 فلوقلت كلمت معهم بعد ذلك لوقعت في المناقضة ولكنها سكتت وأشارت برأسها وقال آخرون
 انها ما نذرت في الحال بل صبرت حتى أنها القوم فذكرت لهم أنها نذرت للرحن صوما فلن
 أكلم اليوم انسياب بعد هذا الكلام (فأنت) أي فلما سمعت هذا الكلام اشتد قلبها وزال
 حزنها فأنت (به) أي عيسى (قومها) وان كان فيهم قوة والمحاولة لكل ما يريدون اتيانه البري
 الموقن بأن الله معه حالة كونها (تحملة) غير مبالية بأحد ولا مستحسنة واختلقوا في أنها
 كيف أنت به فقيل ولده ثم جلته في الحال الى قومها وقيل احتمل يوسف التجار مريم وبنها الى
 غار ومكثت فيه أربعين يوما حتى طهرت من نفاسها ثم جلته الى قومها فكلما هي الطريق فقال
 يا أمه أأبشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت على أهلها ومعها الصبي تكبوا وحزنوا وكانوا أهل
 بيت صالحين قال الرازي وليس في القرآن ما يدل على التعيين ثم كأنه قيل فلما أنت به قومها
 ماذا قالوا لها فقيل (قالوا يا مريم) ما هذا الولدان حالها في اتيانها به أمر عيب (لقد جنت
 شيئا قريبا) أي عظيما منكرا فيكون ذلك منهم على وجه الذم فهو من أقرى الجلود يقال أقرت
 الاديم اذا قطعته على جهة الافساد لمن فريته يقال فريته قطعته على جهة الاصلاح وبديل
 على أن مرادهم الاول قولهم بعده (يا أخت هرون ما كان أبوك امراسوه) أي زانيا (وما
 كانت أمك بغيا) أي زانية فن أبن لك هذا الولدان هذا القول ظاهره التوبيخ وفي هرون هذا
 أربعة أقوال أحدها أنه رجل صالح من بنى اسرائيل ينسب اليه كل من عرف بالصلاح
 والمراد أنك كتبت في الزهد كهرون فكيف صرت هكذا وروى أن هرون هذا الملمات تبع
 جنازته أربعون ألفا كلهم سمي هرون من بنى اسرائيل تبركبا معه سوى سائر الناس شبهوا به
 على معنى اناظنا أنك مثله في الصلاح وليس المراد منه الاخوة في النسب كقوله تعالى ان
 المبذرين كانوا اخوان الشياطين وروى المغيرة بن شعبه قال لما قدمت نجران سألتوني فقالوا
 انكم تقرؤن يا أخت هرون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت على رسول الله صلى الله
 عليه وسلم سأله عن ذلك فقال انهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم قال ابن كثير
 وأخطأ محمد بن كعب القرظي في زعمه أنها أخت موسى وهرون نسبافان يتنسما من الدهور
 الطويلة ما لا يجتني على من عنده أدنى علم وكانه عزه في أول التوراتان مريم أخت موسى وهرون
 ضربت بالدف يوم فجي الله تعالى موسى وقومه وأغرق فرعون وقومه وجنوده فاعتقد أن
 هذه هي تلك وهذا في غاية البطلان والمخالفة للعديد الصحيح المتقدم الثاني أنه هرون أخو
 موسى لانها كانت من نسله كما يقال للتسمي بأخاتمهم وللهمد اني بأخاهمدان أي باواحد
 منهم الثالث انه كان فاسقا في بنى اسرائيل فنسبت اليه أي شبهوا به الرابع انه كان لها أخ
 من أبيها سمي هرون من صلها بنى اسرائيل فصرته به قال الرازي وهذا هو الاقرب لوجهين
 الاول ان الاصل في الكلام الحقيقة فيجمل الكلام على أخيها المسمى بهرون الثاني انها

أضفت اليه ووصف أبواها بالصلاح فحينئذ يصير التوبيخ أشد لان من كان حال أبويه وأخيه
بهذا الحال يكون صدور الذنب منه أخفش (فأشارت اليه) أي لما بلغوا في توبيخها أسكتت
وأشارت الي عيسى عليه السلام انه هو الذي يجيبكم قال ابن مسعود لما يكن لها حجة
أشارت اليه ليكون كلامه حجة لها وعن السدي لما أشارت اليه غضبوا وقالوا اضمرتها بنا
أشد من زناها ثم (قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا) لم يبلغ سن هذا الكلام الذي لا يقوله
الا الاكابر العقلاء بل الانبياء والتعبير كان يدل على أنه عند الاشارة اليه لم يحوجهم الا أن
يكلموه بل حين سمع المحاوره ورأى الاشارة يدا منه قول خارق لعادة الرضعا بل الصبيان
روى انه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاعة وأقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره وأشار
بسبابه يمينه وقيل كلهم ثم لم ينكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان * (تنبه) * في كان هذه
أقوال أحدها انها زائدة وهو قول أبي عبيد أي كيف نكلم من في المهد وصيا على هذا نصب
على الحال من الضمير المستتر في الجار والمجرور والواقع صلة ثانياً أنها تأتمت بمعنى حدث
ووجدوا التقدير كيف نكلم من وجد صبيا وصبياحل من الضمير في كان قال الرازي وهذا هو
الاقرب الثالث انها بمعنى صار أي كيف نكلم من صار في المهد صبيا وصبيا على هذا خبرها
(فان قيل) كيف عرفت مرهم من حال عيسى انه يتكلم (أجيب) بأن جبريل أول وعيسى عليه
السلام لما ناداهما من تحتها أن لا تخزني وأمرها عند رؤية الناس بالسكوت صار ذلك كالتمويه
لها على أن الجيب هو عيسى عليه السلام ولعلها عرفت ذلك بالوحي الزكريا والهيا على سبيل
الكرامة واختلفوا في المهد فقيل هو حجرها الماروى أنها أخذته عليه السلام في خرقة فأنت
به قومها فلما رأوها قالوا الهامات قالوا فأشارت اليه وهو في حجرها ولم يكن لها منزل بعد حتى
يعدلها المهد وقيل هو المهد بعينه والمعنى كيف نكلم صبياسيله أن ينام في المهد وقال وهب أبي
زكريا مرهم عند مناظرتها اليهود فقال لعيسى انطق بجحمتك ان كنت أمرت بها فوصف نفسه
بثمان صفات * الصفة الاولى (قال اني عبد الله) أي الملك الاعظم الذي له صفات الكمال لا تعبد
لغيره وفي ذلك اشارة الى أن عبد الله لا يتخذ الهامن دونه ولا يستعبده شيطان ولا هوى * الصفة
الثانية قوله تعالى (آتاني الكتاب) واختلف في ذلك الكتاب فقال بعضهم هو التوراة لان الالف
واللام في الكتاب تتصرف للمعهود والكتاب المعهود لهم هو التوراة وقال أبو مسلم هو الانجيل
لان الالف واللام ههنا للجنس وقال قوم التوراة والانجيل لان الالف واللام تعقيد الاستغراق
(٣) واقتصر البضاوي على الاقول والباقى على الثالث وزاد عليه والزبور وغيرهما من العصف
الصفة الثالثة قوله (وجعلني نبيا) واختلف في معنى ذلك فقيل معناه سيؤتيني الكتاب ويجعلني نبيا
وأي بلفظ الماضي يجعل المحقق وقوعه كالواقع كما في قوله تعالى أنى أمر الله فلا تستهجنوه وقيل هو
اخبار عما كتب في النوح المحفوظ كما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم متى كنت نبيا قال كنت وآدم
بين الروح والجسد وقال الاكثرون أوفى الانجيل وهو صغير طفل ولكن يعقل عقل الرجال وقال
الحسن أنهم التوراة وهو في بطن أمه * الصفة الرابعة قوله (وجعلني مباركا) بأنواع البركات

(٣) قوله واقتصر البضاوي على الاقول الذي في البضاوي تفسير الكتاب بالانجيل وهو الثاني هنا فقل مر ادع الاقول جعل الجنس اه

(انها)

(أيضا) أي في أي مكان (كنت) وذكر وافي تفسير المبارك وجوها أحدها أن البركة في اللقمة هي النبات وأصله من بركة المعبر ومعناه وجعلني ثابتا على دين الله تعالى مستترا عليه نائها إنما كان مباركا لأنه كان يعلم الناس دينهم ويدعوهم إلى طريق الحق فان ضلوا فحقن قيس أنفسهم لما من قبله زوى الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سلمت أم عيسى عيسى إلى الكتاب فقالت للمعلم أذفعه إليك على أن لا تضرب به فقال له المعلم اكتب فقال أي شيء أكتب فقال اكتب أجد فرغ عيسى عليه السلام رأسه فقال هل تدري ما أجد فعلاه بالدرة لمضربه فقال يا مؤذوب لا تضربني إن كنت لا تدري فأسألتني فأنى أعطاك الالف من الآلهة والباء من بهانه والجم من جماله والدال من أداء الحق إلى الله تعالى ثلثها البركة الزيادة والعلو فكأنه قال جعلني في جميع الأحوال منجما مفلحا لأنى ما دمت أننى الله في الدنيا أكون مستعلما على الغير بالحقه فإذا جاء الوقت المعلوم أكرمنى الله تعالى بالرفع إلى السماء رابعها مباركا هي الناس من حيث يحصل دعائه أحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وعن قتادة أن امرأة رآته وهو يحيى الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص فقالت طوبى لطن حلتك وثدى أرضعت به فقال عيسى يجيها طوبى لمن تلا كتاب الله واتبع ما فيه ولم يكن جبارا شقيا * (تبيه) * قوله أي إنما كنت يدل على أن حاله لم يتغير كما قيل انه عاد إلى حال الصغور و زال التكليف الصفة الخامسة قوله (وأوصانى بالصلاة) له طهارة للنفس (والزكاة) طهارة للمال فغلا في نفسى وأمر الغيرى (مادمت حيا) ليكون ذلك حجة على من ادعى أنه اله لانه لا شهية في أن من يصلى إلى اله ليس باله (فان قيل) كيف يؤمر بالصلاة والزكاة مع أنه كان طفلا والقلم مرفوع عن الصغر لقوله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاث الحديث (أجيب) بوجهين الأول أن ذلك لا يدل على أنه تعالى أوصاه بأدائهما في الحال بل بعد البلوغ فيكون المعنى أوصانى بأدائهما في وقت وجوبهما على وهو وقت البلوغ الثاني أن عيسى لما انفصل صبره الله بالغاء فلا تام الخلقه وبدل عليه قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم فكأنه تعالى خلق آدم تاما كاملا دفعة فكذلك القول في عيسى عليه السلام قال الرازى وهذا أقرب إلى ظاهر اللفظ لقوله مادمت حيا فهذا يفيد أن هذا التكليف متوجه عليه في جميع زمان حياته (فان قيل) لو كان الامر كذلك لكان القوم حين رأوه رأوا شخصا كامل الأعضاء تام الخلقه وصدور الكلام عن مثل هذا الشخص لا يكون عجايبا فكان ينبغي أن لا يتعجبوا (أجيب) بأنه تعالى جعله مع صغر جسده قوى التركيب كامل العقل بحيث كان يمكنه أداء الصلاة والزكاة والآية تدل على أن تكليفه لم يتغير حين كان في الارض وحين رفع إلى السماء وحين ينزل * الصفة السادسة قوله (وبرأ) أي وجعلني بارأ * ولما كان السياق لبراءة والدنه قال (بوالدني) أي التي أكرمها الله تعالى باحصان الفرج والحلم لي من غير ذكر وفي ذلك إشارة إلى تنزيه أمته عن الزنا إذ لو كانت زانية لما كان الرسول المعصوم مأورا بتعاطيها الصفة السابعة قوله (ولم يجعلني جبارا) متعاطيا (شقيا) أي عاصيا بأن أفعل فعل الجبارين بغير استحقاق إنما أفعل ذلك بمن يستحق وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال قلبى لين وانى ضعيف فى نفسى وعن بعض العلماء

لأجد العاق الاجبار اشياء ولا اجدسي الملكية الاحتمالا لغورا وتلا وما ملكت أيمانكم ان الله
 لا يحب من كان مختالا لغورا المصفة الثامنة قوله (والسلام) من الله (على) فلا يقدر احد على
 ضرى (يوم ولدت) فلا يضرنى شيطان (ويوم أموت) فلا يضرنى ابسا ومن يولد ويموت فليس باله
 (ويوم أبعث حيا) يوم القيامة كما تقدم في يعي عليه السلام وفي ذلك اشارة الى أنه في البشرية
 مثله سواء لم يفارقه أصلا الا في كونه من غير ذكر واذا كان جنس السلام عليه كان اتباعه كذلك
 ولم يبق لاعادته الا الالهن وتظهره قول موسى عليه السلام والسلام على من اتبع الهدى بعني
 ان العذاب على من كذب ويولى (ذلك) أى الذى تقدم نعتة بقوله انى عبد الله الى آخره هو
 (عيسى بن مريم) لما يصفه النصارى بقولهم انه الله أو ابنه أو اله ثالث فهو تكذيب لهم
 فيما يصفونه على الوجه الابغ والطريق البرهاني حيث جعل الموصوف باضداد ما يصفونه
 وفي ذلك تنبيه على أنه ابن هذه المرأة وقوله تعالى (قول الحق) قرأ عاصم وابن عامر نصب
 اللام على أنه مصدر مؤكد والباقون بالرفع على أنه خبر محذوف أى هو قول الحق الذى لا ريب
 فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق أو لتتمام القصة ثم يجب تعالى من ضلالهم فيه
 بقوله تعالى (الذى فيه يمترون) أى يشكون شكيا كلفونه ويمجادون فيه فتقول اليهود ساحر
 وتقول النصارى ابن الله مع ان أمه امرأة في غاية الوضوح ليس موضع الشك أصلا ثم دل على
 كونه حقا في كونه ابنا لأمه مريم لا غيرها بقوله ردا على من ضل (ما كان) أى ما صح
 ولا يتأتى ولا يتصور في العقول ولا يابص ولا يأتى لانه من المحال لكونه يلزم منه الحاجة (لله)
 الغنى عن كل شئ (ان يتخذ من ولد) وأكده من لان المقام يقتضى النفي العام ولما كان
 اتخاذ الولد من النقائص أشار الى ذلك بالتنزيه العام بقوله تعالى (سبحانه) أى تنزه عن كل نقص
 أى من احتياج الى ولدا وغيره ثم عل ذلك بقوله عز وجل (اذ قاضى أمرا) أى أى أمر كان
 أى أراد ان يحدنه (فأما يقول له كن) أى يريد به ويعلق قدرته به وقوله تعالى (فيكون) قرأه
 ابن عامر بنصب النون بتقدير ان وعلى الجواب والباقون بالرفع بتقدير هو وقوله (وان الله
 ربي وربكم) اخبار عن عيسى عليه السلام انه قال ذلك وقرأ ابن عامر والكوفيون بكسر
 الهمزة على الاستئناف والباقون بفتحها بتقدير حذف حرف الجر متعلق بما بعده والتقدير ولان
 الله ربي وربكم (فأعبدوه) وحده لتقرده بالاحسان كما أعبده كقوله تعالى وان المساجد لله فلا
 تدعوا مع الله أحدا والمعنى لوحدا فته أطبعوه وقيل انه عطف على الصلاة والتقدير وأوصانى
 بالصلاة وبأن الله واليه ذهب القراء (هذا) أى الذى أمر تكلم به (صراط) أى طريق (مستقيم)
 أى يقود الى الجنة وقرأ قبله بالسجين وخلف باشمم الصاد والباقون بالصاد الخالصة واختلف
 في قوله تعالى (فاختلف الاحزاب من بينهم) فقبل هم النصارى واختلفة في عيسى أو هو ابن الله
 أو اله معه أو ثالث ثلاثة وسماوا احزابا لانهم تحزبوا ثلاث فرق في أمر عيسى التسطورية
 والملكية والبعوية وقبل هم اليهود والنصارى فجعله بعضهم ولدا وبه ضمهم كذا وقبل هم
 الكفار الشامل لليهود والنصارى وغيرهم من الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم قال

ابن عادل وهذا هو الظاهر لانه لا تخصيص فيه ويؤيده قوله تعالى (فويل للذين كفروا) أي
 شدة عذاب لهم (من مشهد يوم عظيم) أي حضور يوم القيامة وأهواله وقوله تعالى (أجمع
 بهم وأبصر) أي بهم صيغتان تعجب بمعنى ما أجمعهم وما أبصرهم (يوم بأوتنا) في الآخرة لأن
 حالهم في شدة السمع والبصر جدية بأن يتعجب منها فيندمون حيث لا يتفهم الندم ويتمنون
 المحال من الرجوع الى الدنيا ليتداركوا فلا يجابون الى ذلك بل يسلك بهم في كل ما يؤذهم
 ويهلكهم ويرد بهم وقوله تعالى (لكن الظالمون) من أهامة الظاهر مقام المضمر اشعاروا
 بأنهم ظلوا أنفسهم حيث أغفلوا الاستماع والنظر والاصل ولكنهم (اليوم) أي في الدنيا
 (في ضلال مبين) أي بين ذلك الضلال صواعن سماع الحق وعواعن ابصاره أي اعجب منهم
 يا مخاطب في سمعهم وابصارهم في الآخرة بعد ان كانوا في الدنيا صما عميا وقيل معناه التهديد
 بما سيسمعونه وسيبصرون ما يوصمهم ويصدع قلوبهم ثم ان الله تعالى أمر نبيه محمد صلى الله
 عليه وسلم أن يذرقومه بقوله (وأنذرهم) أي خوفهم (يوم الحسرة) هو يوم القيامة يتحسر فيه
 المسي على ترك الاحسان والمحسن على عدم الازدياد من الاحسان لقول رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ما من أحد يموت الا ندم قالوا وما ندمه يا رسول الله قال ان كان محسنا ندم أن لا يكون
 ازدا وان كان مسينا ندم أن لا يكون نزع وفي قوله تعالى (اذ قضى الامر) وجوه أحدها اذ
 قضى الامر ببيان الدلائل وشرح أمر الثواب والعقاب ثانيا اذ قضى الامر يوم الحسرة بقضاء
 الدنيا وزوال التكليف ثالثا اذ قضى الامر فرغ من الحساب وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل
 النار النار يذبح الموت كما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله تعالى اذ قضى الامر
 فقال حين يجاء بالموت على صورة كبش أملح فيذبح والفريقان يتقران فيزداد أهل الجنة فرحا الى
 فرح وأهل النار غما الى غم وقوله تعالى (وهم في غفلة وهم لا يؤمنون) جملتان حاليتان وفيهما
 قولان أحدهما انها حالان من الضمير المستتر في قوله في ضلال مبين أي استقرت وفي ضلال مبين
 على هاتين الحالتين السيتين والثاني انها حالان من مفعول أنذرهم أي أنذرهم على هذه الحالة
 وما بعدها وعلى الاول يكون قوله وأنذرهم اعتراضا والمعنى وهم في غفلة عما يفعل بهم
 في الآخرة وهم لا يصدقون بذلك اليوم ولما كان الارث هو حوز الشيء بعد موت أهله وكان
 سبحانه وتعالى قد قضى موت الخلائق أجمعين وانه تعالى سبق وحده عبر عن ذلك بالارث مقررا به
 مضمون الكلام السابق فقال مؤكدا تكذيبا لقولهم ان الدهر لا يزال هكذا احبابة لناص وموت
 لاخرين (انما نحن) بعظمة منا التي اقتضت ذلك (ترث الارض) فلاندعهم اشيا من عاقل ولا غيره
 ولما كان العاقل أقوى من غيره صرح به بعد دخوله فقال (ومن عليها) أي من العقلاء بأن
 نسلهم جميع ما في أيديهم (والينا) لا الى غيرنا (يرجعون) فنجاز بهم بأعمالهم * القصة الثالثة
 قصة ابراهيم عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (واذ كرفي الكتاب ابراهيم) أي خبره وقرأ
 هشام ابراهيم بالت بعد الهاء والباقون بالياء وانما أمر الله تعالى نبيه بالذكرك لانه صلى
 الله عليه وسلم ما كان هو ولا قومه ولا أهل بلده مشغولين بالتعليم ومطالعة الكتب فاذا أخبر

عن هذه القصة كما كانت من غير زيادة ولا نقصان كان ذلك اخبارا عن الغيب ومهجرا
 باهراد الاعلى نبوته وانما ذكر الاعتبار بقصة ابراهيم عليه السلام لوجوه الاول ان
 منكرى التوحيد والذين ائتموا توحيدا ومعبودا سوى الله تعالى فريقان منهم من ائتمت
 معبودا غير الله تعالى حيا عاقلا وهم النصارى ومنهم من ائتمت معبودا غير الله تعالى جهادا
 ليس بجي ولا عاقل وهم عبدة الاوثان والفریقان وان اشتركا في الضلال الا ان ضلال
 عبدة الاوثان اعظم فلما بين الله تعالى ضلال الفريق الاول تكلم في ضلال الفريق الثاني
 وهم عبدة الاوثان الثاني ان ابراهيم عليه السلام كان ابا العرب وكانوا مقرين به لولا
 شأنه وطهارة دينه على ما قال تعالى ابيكم ابراهيم وقال تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم
 الا من سفه نفسه فكانت تعالى قال للعرب ان كنتم مقلدين لا بيكم على قولكم انا وجدنا آباءنا
 على امة فاشرف آباءكم واعلاهم قدرا هو ابراهيم عليه السلام فقلدوه في ترك عبادة الاصنام
 والاوثان وان كنتم مستدلين فانظروا في هذه الدلائل التي ذكرها ابراهيم عليه السلام لتعرفوا
 فساد عبادة الاوثان وبالجملة فاتبعوا ابراهيم ائمتا تقليدا واما استدلال الثالث ان كثيرا من
 الكفار في زمان النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون نزل دين آباءنا وانا وجدنا ناذر الله
 تعالى قصة ابراهيم عليه السلام وهو انه ترك دين آبيه وابطل قوله بالدليل ورجح متابعة الدليل
 على متابعة آبيه ثم قال تعالى في صفة ابراهيم (انه كان) جبلة وطبعا (صديقا) أي مبلغ
 الصدق في نفسه في اقواله وافعاله أي كان من اول وجوده الى انتهائه ووصوفا بالصدق
 والصفانة وسيأتي الكلام على قوله بل فعله كبيرهم هذا واني سقيم في محله ولما كانت مرتبة
 النبوة ارفع من مرتبة الصديقية قال تعالى (نبيا) أي استبأه الله تعالى اذ لا رفعة اعلى
 من رفعة من جعله الله واسطة بينه وبين عباده وقوله تعالى (اذ قال) بدل من ابراهيم وما بينهما
 اعتراض او متعلق بكان او بصديقا نبيا أي كان جامعا لخصائص الصديقين والانبيا حين
 قال (لايه) ازهره اذ لا اله من تبه الضلال بعبادة الاصنام مستعظفاه في كل جملة بقوله (يا ابي)
 والثناء عوض عن ياء الاضافة ولا يجمع بينهما وقرأ ابن عامر بفتح التاء في الوصل والباقون
 بكسرها واما الوقف فوقف ابن كثير وابن عامر بالهاء والباقون بالتاء ثم ان الله تعالى حكى عنه
 ايضا انه تكلم مع آبيه باربعة انواع من الكلام النوع الاول قوله (لم تعبد) مريدا بالاستفهام
 الجهلة والल्प والرفق واللين والادب الجليل في فصحه كاشفا الامر غاية الكشف بقوله
 (ما لا يسمع ولا يبصر) أي ليس عنده قابلية لشي من هذين الوصفين ايري ما انت فيه من
 خدمته او يجيبك اذا ناديت به سالوا وما لا (ولا يعني عنك شيئا) في جلب نفع ودفع ضرر فوصف
 الاوثان بصفات ثلاث كل واحدة منها قاذرة في الالهة وبيان ذلك من وجوه احدها
 ان العبادة غاية التعظيم فلا تستحق الا لمن له غاية الانعام وهو الاله الذي منه اصول النعم
 وفروعها على ما تقر في تفسير قوله وان الله وبى وربكم وكانه لا يجوز الاشتغال بشركه طالما تكن
 منعمة وحيث ان لا يجوز الاشتغال بعبادتها وبنائها انما اذ المسمع ولا تبصر ولا تخبر من يطعمها
 عن يمينها فأي فائدة في عبادتها وهذا تنبيه على ان الاله يجب ان يكون عالما بكل المخلوقات

وثالثها أن الدعاء مع العبادة فاذا لم يسمع الوثن دعاء الداعي فأى منفعة في عبادته واذا لم يصر
 تقرب من تقرب اليه فأى منفعة في ذلك التقرب ورابعها ان السامع المبصر الضار النافع
 أفضل من كان عارياً عن كل ذلك والانسان موصوف به هذه الصفات فيكون أفضل وأكمل من
 الوثن فكيف يليق بالافضل عبودية الاخرس وخامسها ان كانت لا تمتنع ولا تنصرف فلا يربح بها
 منفعة ولا يخاف من ضررها فأى فائدة في عبادتها وسادسها اذا كانت لا تحفظ نفسها عن
 الكسر والافساد حين جعلها ابراهيم عليه السلام جذاذاً فأى رجا فيها للغير فكانه عليه السلام
 قال ليست الالهة الا الرب يسمع ويصبر ويجب دعوة الداعي اذا دعاه النوع الثاني قوله
 (يا أبت انى قد جاني) من المعبود الحق (من العلم ما لم يأتك) منه (فأتبعني) اى فتسبب من
 ذلك انى أقول لك وجوباً على اللهى عن المنكر ونصيحة لما لك على من الحق اجتهد فى تبغى
 (أهدك صراطاً) أى طريقاً (سواي) أى مستقيماً كما انى لو كنت معك فى طريق محسوس
 وأخبرت ان أماناً مهلكاً لا ينجو منه أحد وأمرتك أن تسلك مكاناً غير ذلك لا طعتنى ولو
 عصيتنى فيه عدك كل أحد عاواى النوع الثالث قوله (يا أبت لا تعد الشيطان) فان الاصنام ليس
 لها دعوة أصلاً والله تعالى قد حرم عبادة غيره مطلقاً على لسان كل ولّى فتعين أن يكون الأمر
 بذلت الشيطان فكانه هو المعبود بعبادتها فى الحقيقة ثم علل هذا النهى بقوله (ان الشيطان)
 البعيد من كل خير المحترق بالعنة (كان للرجن عصياً) بالقوة من حين خلق وبالفعل من حين أمره
 بالسجود لآدم عليه السلام فأبى فهو عدو لله وله والمطيع للعاصى لشيء عاصى لذلك الشئ
 لأن صديق العدو وعدو (فان قيل) هذا القول يتوقف على اثبات أمور أحدها اثبات الصانع
 وثانها اثبات الشيطان وثالثها ان الشيطان عاص ورابعها أنه لما كان عاصياً لم تجز طاعته
 وخامسها ان الاعتقاد الذى كان عليه آزر مستفاد من طاعة الشيطان ومن شأن الدلالة التى
 تورد على الشخص أن تكون من كسبة من مقدمات معلومة ليس لها الخصم ولعل ابراهيم كان
 متنازعا فى هذه المقدمات وكيف والمحكى عنه انه ما كان يثبت الها سوى غرود فكيف يسلم وجود
 الرجى واذا لم يسلم وجوده فكيف يسلم أن الشيطان عاص للرجى ويتقديرتسليم ذلك فكيف
 يسلم الخصم بمجرد هذا الكلام ان مذهبه مقتبس من الشيطان بل لعله يغلب ذلك على خصمه
 (وأجيب) بأن الحججة المعول عليها فى ابطال مذهب آزر هو قوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر
 ولا يعنى عنك شيئاً وهذا الكلام جرى مجرى التخويف والتحذير الذى يجعله على النظر فى تلك
 الدلالة فيسقط السؤال النوع الرابع قوله (يا أبت انى أخاف) لمحبتى لك وعزى عليك (ان
 يسلك عذاب) أى كائن (من الرجى) الذى هو مولى كل من ولّاه لعصيانك اياه (فتكون) أى
 فتسبب عن ذلك أن تكون (للشيطان ولها) أى ناصر اوراقى سنقى النار ولما دعا ابراهيم
 عليه السلام اياه الى التوحيد وذكر الدلائل على فساد عبادة الاوثان وأردف تلك الدلائل
 بالوعظ البليغ وأورد كل ذلك مقروناً بالرفق والالطف قابله أبوه بجواب يضاد ذلك فقابل بحبه
 بالثقل فانه لم يذكر فى مقابله بحجة الا أن (قال أراغب أنت عن اللهى) باضافتها الى نفسه

فقط اشارة الى مبالغته في تعظيمها والرغبة عن الشيء تركه هذا فأصر على ادعاء الهيتاجهلا
وتقليدا وقابل قوله بالرفق بأبت بالعرف حيث لم يقل يا بني بل قال (يا ابراهيم) وقابل وعظه
بالسفاهة حيث هدده بالضرب والنثم بقوله مقصدا (لئن لم تنته) عما أنت عليه (لا رجعتك)
أى لا تغتلك أو لا رجعتك بالجارية حتى عوت أو تبعد عني أو بالكلام القبيح فاحذرنى (واهجرتي)
أى ابعده عني بالمفارقة من الدار والبلد وهي كهجرة النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أى
تباعده عني (ملياً) أى دهر اطوي بلالكي لأراك وقيل اهجرتي بالقول ولا تخاطبني دهر اطوي لا
لأجل ما صدر منك من هذا الكلام وفي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتأسيه فيما كان
يلقى من الأذى ويقضى من قومه من العناد ومن عمه أى لهب من الشدايد بأعظم آياته
وأقربهم به شهابا لمسمع ابراهيم عليه السلام كلام آية أجب بأمرين أحدهما أن (قال) له مقابلا
لما كان منه من طيش الجهل بما يحق لئله من رزاة العقل والعلم (سلام عليك) توديع
ومشاركة أى سلت منى لأصديقك بمكروه مالم أؤمرفيك بشئ فإنه لم يؤمر بمقاتله على كفره
كقوله لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا ينبتى الجاهلين واذا خاطبهم الجاهلون قالوا
سلاما وهذا يدل على جواز مشاركة المنصوح اذا ظهر منه اللجاج وعلى انه يحسن مقابله الاسامة
بالاحسان ويجوز أن يكون دعاءه بالسلامة استمالة الأتري أنه وعده بالاستغفار فيكون سلام
بر واطف وهو جواب الحلم للسفيه كقوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ثم اصأنف
قوله (سأستغفر لك ربى) أى المحسن الى بان أطلب لك منه عفران ذنوبك بان يوفقك للاسلام
(أنه كان بنى حفيبا) أى مبالغافى الكراى مرة بعد مرة وكرة فى اثر كرة وقد وفى بوعدده بقوله
المذكور فى الشعراء واعقر لابي وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله كما ذكره فى برائة وثانيهما
أنه قال له انقاد الامر آية (واعترلكم) أى جميعا تبرك بلادكم وأشار الى ان من شرط المعبود
أن يكون أهلا للمناداة فى الشدايد بقوله (وما تدعون) أى تعبدون (من دون الله) الذى له
الكامل كله فن أقبل عليه وحده أصاب ومن أقبل على غيره ولو طرفة عين فقد خاب وخسر
(وادعو) أى اعبد (ربى) وحده لاستحقاقه ذلك منى ولم يقيد الاعتزال بزمن بل أشار الى أنهم
ماداموا على هذا الذين فهو معتزل لهم ثم دعائ نفسه بما ينههم به على خسة مسعاها فقل غير
جازم باجابة دعوته وقبول عبادته اجلالا به وهضم لنفسه (عسى أن لا أكون بدعاء ربى)
المنترد بالاحسان الى (شقيبا) أى كما شقيمت بعبادة الاصنام فانها لا تجيب دعاءكم ولا تنفعكم
ولا تنصركم ولما رأى من آييه ومعاشرته ما رأى عزم على غربة مشقة النوى محتسارا للغربة
فى البلاد على غربة الاضداد فكان كما قال الامام أبو سليمان الخطاى

وما غربة الانسان فى شقة النوى * ولكنها والله فى عدم الشكل

وانى غريب بين يست وأهلها * وان كان فيها أسرف وبها أهلى

وحقق ما عزم عليه فبين سبحانه وتعالى تصديق رجاها واجابة دعائه فقال (فلما اعتزلهم) أى
بالهجرة الى الارض المقدسة (وما يعبدون من دون الله) لم يضره ذلك دينا ولا دينا بل نفعه

وهو ضة الله أولاداً كما قال تعالى (وهبنا له) كما هو الشأن في كل من ترك شياؤه (اسحق) ولدا
له صلبيه من زوجته العاقرة العقيم بعد تجاوزها سن الياس وأخذه هو في السن إلى حد لا يولد
لمثله (ويعقوب) ولد الاسحق وخصهما بالذكور لزمهما محل أقامته وقيامهما بعد موته بخلافته
فيه وأما اسمعيل عليه السلام فكان الله سبحانه وتعالى هو المتولى لترتيبه بعد نقله رضيعا
إلى المسجد الحرام واحيائه تلك المشاعر العظام فأقره بالذكور علاله أصلا برأسه بقوله بعد
وإذ ذكر في الكتاب اسمعيل فتركه ذكره مع اسحق الذي هو أخوه لذلك ثم صرح بما ذهب لاولاده
جزاء على هجرته بقوله تعالى (وكلا) أي منهما (جعلنا نبيا) على المقدار ويجزى بالاخبار العظيمة
كما جعلنا ابراهيم عليه السلام نبيا (وهبنا لهم) كلهم (من رجحنا) أي شأنا منها عظيما من النسل
الظاهر والذرية الطيبة واجابة الدعاء واللطيف في القضاء والبركة في المال والاولاد وغير ذلك
من خيرى الدنيا والآخرة (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) وهو النشاء الحسن وعبر باللسان
عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهو العظيمة واستجاب الله تعالى دعوته
في قوله تعالى واجعل لى لسان صدق فى الآخرى فصيبره قدوة حتى ادعاه أهل الاديان
كلهم فقال تعالى مله أيبكم ابراهيم وقد اجتمعت فيه خصال لم تجتمع فى غيره أو لها انه
اعتزل عن الخلق على ما قال وأعتزلكم وما تدعون من دون الله فلا جرم بارك الله فى أولاده
فقال ووهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ثانياً انه تبرأ من أبيه كما قال عز وجل فلما
بين له انه عدو لله تبرأ منه لاجرم سماه الله أباً المسلمين فقال مله أيبكم ابراهيم ثالثاً انه ولد
للجبين ليدنجه فى الله على ما قال تعالى وتله للجبين لاجرم فداه الله تعالى على ما قال وقد نجاه
بذبح عظيم وابعها أسلم نفسه فقال أسلمت لرب العالمين فجعل الله تعالى النار بردا وسلاما
عليه فقال يا نار كوفى بردا وسلاما على ابراهيم خامساً أشفق على هذه الأمة فقال ربنا
وأبعث فيهم رسولا منهم لاجرم أشركه الله تعالى فى الصلوات فى قوله تعالى كما صليت على
ابراهيم وعلى آل ابراهيم سادساً وفى حق سارة فى قوله تعالى وابراهيم الذى وفى لاجرم جعل
موطئ قدمه مباركا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى سابعها عادى كل الخلق فى الله فقال
فأنهم عدو لى الأرب العالمين فاتخذ الله خليلاً كما قال واتخذ الله ابراهيم خليلاً ليعلم صحة قولنا
ما خبر على الله أحداً القصة الرابعة قصة موسى عليه السلام المذكورة فى قوله تعالى (وإذ ذكر
فى الكتاب) أى الذى لا كتاب مثله فى الكمال (موسى) أى الذى أنفذ الله به بنى اسرائيل
من العبودية ثم إن الله تعالى وصفه بأمر أحدها قوله تعالى (انه كان مخفصاً) قرأه عامم
وحزة والكسافى بفتح اللام أى مختار الاختاره الله تعالى واصطفاه وقيل أخلصه الله تعالى من
الذنس والباقون بالكسر أى أخلص التوحيد لله والعبادة ومتى ورد القرآن بقرايتين فكل
منهما ثابت مقطوع به فجعل الله تعالى من صفة موسى عليه السلام كلا الأمرين ثانياً قوله
تعالى (وكان رسولا) إلى بنى اسرائيل والقبط (نبيا) بنسبه الله بغير يدعى وحيلين به المرسل
إليهم فيرفع بذلك قدره فلذلك صرح به بعد دخولها فى الرسالة ضمناً إذ كل رسول نبى وليس

كل نبي رسولاً خلافاً له معتزلة فأنهم زعموا كونهما متلازمين فكل رسول نبي وكل نبي رسول
وسياق الكلام على ذلك ان شاء الله تعالى في سورة الحج عند قوله وما أرسلنا من قبلك من
رسول ولا نبي نالها قوله تعالى (وناديناه) أي بما لنا من العظمة (من جانب الطور) هو
اسم جبل (الايين) أي الذي يلي عين موسى حين أقبل من مدين فأباناها هناك حين حُكَّان
متوجهها إلى مصر بأنه رسولنا ثم واعدناه إليه بعد اغراق آل فرعون فكان لبني إسرائيل
به من العجايب في رحمتهم بانزال الكتاب والالذاب لخطاب من جوف السحاب وفي آياتهم
لما طلبوا الرؤية ثم احيائهم وغير ذلك ما يجبل عن الوصف رابعها قوله تعالى (وقرنا به) بما لنا من
العظمة تقرب تنسيف حاله كونه (نجيباً) تخبره من أمر نابلا واسطة من التجوى وهي السر
والكلام بين اثنين كالسر وقيل قرب مكان أي مكانا عالياً عن أي العالية أنه قرب حتى جمع صرير
القلم حيث يكتب التوراة في الألواح وقيل أفضيانه من أعدائه خامسها قوله تعالى (ووهبنا له)
أي هبة نلحق بعظمتنا (من رحمتنا) أي من أجل رحمتنا وبعض رحمتنا (أخاه) أي معاضدة
أخيه وموازنة لا تنفضه واخوته وذلك اجابة لدعوته واجعل لي وزيراً من أهلي هرون فإنه
كان أسن من موسى * (تنبيه) * أخاه مفعول أو بدل على تقدير أن تكون من للتبعض وقوله
(هرون) عطف بيان وقوله (نبياً) حال منه هي المقصودة بالهبة * القصة الخامسة قصة اسمعيل
عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (وآذ كرفي الكتاب اسمعيل) بن ابراهيم عليهما السلام
الذين هدم معترفون بنبوته ومفتخرون برسالته وأبوته فلزم من ذلك فساد تعطيلهم انكار نبوتك
بأنك من البشر ثم ان الله تعالى وصف اسمعيل بأمر أولها قوله تعالى (انه كان) أي جبلة وطبعاً
(صادق الوعد) في حق الله وفي حق غيره لمعونة الله على ذلك بسبب أنه لا يعدو وعد الامم ورونا
بالاستثناء كما قال لا يه حين أخبره بأمر ذبحه سبحانه ان شاء الله من الصابرين وخصه بالمدح به
وان كان الانبياء كلهم كذلك لقصة الذبح فلا يلزم منه تفضيله مطلقاً وروى عن ابن عباس أنه
وعد صاحبه أنه ينتظره في مكان فانتظره سنة وروى أن عيسى عليه السلام قال له رجل
انتظرني حتى آتيك فقال عليه السلام نعم وانطلق الرجل ونسي الميعاد فجا إلى حاجته إلى ذلك
المكان وعيسى عليه السلام هناك للميعاد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه واعد رجلاً
ونسي ذلك الرجل فانتظره من النخى إلى غروب الشمس وسئل الشعبي عن الرجل يعد ميعاداً
إلى أي وقت ينتظره قال فان واعدته منهارا فكل النهار وان واعدته ليلاً فكل الليل وسئل
ابراهيم بن زيد عن ذلك فقال اذا واعدته في وقت الصلاة فانتظره إلى وقت صلاة أخرى ثانياً
قوله تعالى (وكان رسولاً نبياً) قدمت تفسيره وثالثها قوله تعالى (وكان بأمر أهله بالصلاة)
أي التي هي طهرة البدن وقرّة العين وخير المعون على جميع المآرب (والزكاة) أي التي
هي طهرة المال كما وصي الله تعالى بذلك جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام والمراد بالاهل
قومه وقيل أهله جميع أمته سكان رسولاً أي جزهم قاله الامصهاني وإلى أهل تلك البراري
يدين أيه ابراهيم والمراد بالصلاة قال ابن عباس يريد التي افترضها الله تعالى عليهم قال

الجعوى وهي الخنفة التي اقترضت علينا قسلا كان يبدأ بأهله في الامر بالعبادة ليجعلهم قدوة
 لمن سواهم كما قال تعالى وأذرعشركم الأقربين وأومر أهلك بالصلاة قوا أنفسكم وأهليكم
 نارا وبالزكاة قال ابن عباس انها طاعة الله والاخلاص فكانت تآوله على مايزكويه الفاعل
 عند ربه تعالى والظاهر كما قال ابن عادل ان الزكاة اذا قرنت بالصلاة أن يراد بها الصدقات
 الواجبة رابعها قوله تعالى (وكان عند ربه) بعبادته على حسب ما أمره به (مرضيا)
 وهذا في نهاية المدح لأن المرضي عند الله هو الفائز في كل طاعة بأعلى الدرجات فاقترنت
 به فإنه من أجل آياتك لتجمع بين طهارة القول والبدن والمال فتنال رتبة الرضا * القصة
 السادسة قصة ادريس عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (واذكر في الكتاب) أي
 الجاهل لكل ما يحتاج اليه حتى ما يحتاج اليه من قصص المتقدمين والمتأخرين (ادريس)
 وهو جد أبي نوح عليه السلام قبل سمي ادريس لكثرة دراسته الكتب واسمه أخنوخ
 بمهمله ونون وآخره حاء معجمة وصفه الله تعالى بأمر أحدها وثانيها قوله تعالى (أنه كان
 صديقا نبيا) أي صادقا في أفعاله وأقواله ومصداقا بما آتاه الله من آياته وعلى السنة الملائكة
 ثالثها قوله تعالى (ورفعناه مكانا عليا) وفيه قولان أحدهما أنه رفع المنزلة كقوله تعالى
 للنبي صلى الله عليه وسلم ورفعنا لك ذكرك فإن الله تعالى شرفه بالنبوة وأنزل عليه ثلاثين
 صحيفة وهو أول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب وأول من خاط الشباب ولبسها
 وكانوا من قبله يلبسون الجلود وأول من اتخذ السلاح وقال الكفار وثانيها أنه من
 رفعة المكان ثم اختلفوا فقال بعضهم رفعه الله تعالى الى السماء الرابعة وهي التي رآه النبي
 صلى الله عليه وسلم بها ليلة الاسراء وقيل الى الجنة وهو حي لا يموت وقالوا أربعة من الانبياء
 احياهم اثنان في الارض الخضر والياس واثنان في السماء عيسى وادريس وقال وهب كان
 يرفع لادريس كل يوم من العبادة ما يرفع لجميع أهل الارض في زمانه فحجبت منه الملائكة
 واشتاق له ملك الموت فاستأذن ربه في زيارته فأذن له فأناه في صورة بني آدم وكان ادريس بصوم
 الدهر فلما كان وقت افطاره دعاه الى طعامه فأبى أن يأكل معه ففعل ذلك ثلاث ليل فأنكره
 ادريس وقال له الليلة الثالثة اني أريد أن أعلم من أنت قال أنا ملك الموت استأذنت ربي أن
 أصحبك فقال لي اليك حاجة قال ما هي قال تقبض روعي فأوحى الله تعالى اليه أن اقبض
 روحه فقبض روحه وردها اليه بعد ساعة فقال له ملك الموت ما الفائدة في سؤالك قبض الروح
 قال لا ذوق كرب الموت وغمته فأكون أشد استعدادا له ثم قال له ادريس ان لي اليك حاجة
 أخرى قال وما هي قال ترفعني الى السماء لا تنظر اليها والى الجنة والنار فأذن الله تعالى له في ذلك
 فرفعه فلما قرب من النار قال ليك حاجة قال وما تريد قال تسأل مالكا أن يفتح أبوابها فأردها
 ففعل ثم قال كما يريدني النار فأرني الجنة فذهب به الى الجنة فاستفتح ففتح أبوابها فادخله الجنة
 ثم قال له ملك الموت اخرج تعود الى مكانك فتعلق بشجرة وقال ما أخرج منها فبعث الله تعالى
 ملكا حكيا بينهما فقال له الملك مالك لا تخرج قال ان الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد

ذقه وقال وان منكم الاواردها وقد وردتم اوقال وما هم منها بجزء فلست اخرج فاقوى
الله تعالى الى ملك الموت باذنى دخل الجنة وياذنى لا يخرج فهو حتى هناك وقال آخرون بل رفع
الى السماء وقبض روحه وقال كعب الاحبار ان ادريس سار ذات يوم فى حاجة فاصابه وهج
الشمس فقال يارب انى مشيت يوما فكيف عشتى من يحملها مسيرة خمسة امانه عام فى يوم واحد
اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرفه فقال
يارب خفف عنى حر الشمس فالذى قضيت فيه فقال تعالى ان عبدى ادريس سألنى ان اخفف
عنى حرها وحرها فاجبته قال يارب اجعل بينى وبينه خلة فاذن له حتى اتى ادريس فكان
ادريس يسأله فكان مما سأل ان قال له انى اخبرت انك اكرم الملائكة واماكنهم عند ملك الموت
فاشفع لى ليؤخر اجلى فازداد شكر اعباده فقال الملك لا يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها وانا كلمه
فرفعه الى السماء ووضعه عند مطلع الشمس ثم اتى ملك الموت فقال لى حاجة اليك لى صديق من
بنى آدم تشفع بى اليك لتؤخر اجله فقال ليس ذلك لى ولكن ان احببت اعلنه اجله فقدم لنفسه
قال تم فظننى فى ديوانه فقال انك كلمتني فى انسان ما اراه يموت ابدأ قال وكيف ذلك قال لا اجده
يموت الا عند مطلع الشمس قال انى اتيتك وتركته هناك قال فانطلق فلأرأى تجده الا وقد مات
فوالله ما بقى من اجل ادريس شى فرجع الملك فوجد هيبا * ولما انتهى كشف هذه الاخبار
العالمة المقدار الجليلة الاسرار شرع سبحانه وتعالى ينسب اهلها باشراف نسبهم ويذكر المن
بينهم فقال عز من قائل (اولئك) أى العالو الرتبة الشرفاء التسب المذكورون فى هذه
السورة من لدن زكريا الى ادريس وهو مبتدا وقوله (الذين أنعم الله عليهم) بما خصهم به من
مزيد القرب اليه وعظيم الميزة لديه صفته وقوله تعالى (من النبيين) أى المصطفين بالنبوة
الذين أنبأهم الله تعالى بدقائق الحكم ورفع محالهم بين الامم بيان لهم وهو فى معنى الصفة
وما بعده الى جملة الشرفاء للنبين بقوله (من ذرية آدم) أى ادريس لقربه منه لانه جد
أبى نوح (ومن حملنا مع نوح) فى السفينة أى ابراهيم ابن ائمه سام (ومن ذرية ابراهيم) أى
اسماعيل واسحق ويعقوب (و) من ذرية (اسرائيل) وهو يعقوب أى موسى وهرون وزكريا
ويحيى وكذا عيسى لان مريم من ذريته (ومن هدينا) الى اقوم الطرق (واجتينا) للنبوة
والكرامة أى من جاتهم * وخبر اولئك (اذا اتلى عليهم) من أى نال كان (آيات الرحمن) خزوا
سجدا) للمنع عليهم ثم تقربا اليه لما لهم من البصائر النيرة فى ذكر نعمه عليهم واحسانه
اليهم (ويكافؤا منه وشوقا اليه فكروا من انهم) (تنبيه) * سجدا حال مقدرة قال الزجاج
لانهم وقت الخرو ليسوا سجدا وهو جمع ساجد ويكافؤا بك وايس ب قياس بل قياس جمع
على فعلة كقاض وقضاة ولم يسمع فيه هذا الاصل وأصل يكافؤا بكوا يلقبوا الواو والضممة
كسرة واختلف فى هذا السجود فقال بعضهم انه الصلاة وقال بعضهم سجود التلاوة على
حسب ما تعبدوا به قال الرازى ثم يحتمل أن يكون المراد سجود القرآن ويحتمل أنهم عند
الوقوف كانوا تعبدوا بسجود فية لكون ذلك لاجل ذكر السجود فى الآية انتهى وروى ابن

ماجه وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فاقبوا كوا
وعن صالح المزني قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه
القراءة فابن البكاء وعن ابن عباس اذا قرأتهم سجدة سبحان فلا تنجلوا بالسجود حتى تبكوا
فان لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ما غرغرت عين بماء الا حرم
الله تعالى على النار جسدها وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان القرآن نزل محزنا فاذا قرأتموه
فحازنوا وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يبلغ النار من بكى من خشية الله وقال
العلماء يدعون في سجدة التلاوة بما يليق بآياتها فان قرأ آية تنزل السجدة قال اللهم اجعلني من
الساجدين لوجهك المسبحين بحمديك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك واذا قرأ
سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك الأسفين لك وان قرأ هذه قال اللهم
اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهتمدين بالباكين عند تلاوة آيات كتابك وقرأ آية الكسافي
بيكيا بكسر الباء والباقون بضمها * ولما وصف سبحانه وتعالى هؤلاء الأنبياء بصفة المدح ترغيبا لنا
في التأسى بهم مذكربعدهم من هو بالصدقتهم فقال (خلف من بعدهم) أى في بعض الزمان
الذي بعده هؤلاء الاصفيا مسريعا (خلف) في غاية الرداة من أولادهم يقال خلفه اذا عقبه
خلف سواه ياسكان اللام والخلف يفتح اللام الصالح كما قالوا وعد في ضمان الخير ووعيد في ضمان
الشرو في الحديث في الله خلف من كل هالك وفي الشعر

ذهب الذين يعاش في أكافهم * وبقيت في خلف كخلف الجرب

وقال السدي أوادهم اليهود ومن لحق بهم وقال قتادة في (أضاعوا الصلاة) تركوا الصلاة
المفروضة وقال ابن مسعود وابراهيم أخروها عن وقتها وقال سعيد بن المسيب هو أن لا يبصلى
الظهر حتى يأتي العصر ولا يبصلى العصر حتى تقرب الشمس (واتبعوا الشهوات) أى المعاصي
قال ابن عباس هم اليهود تركوا الصلاة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا سكاح الاخت من
الاب وقال مجاهد هو هؤلاء قوم ينظرون في آخر الزمان ينزوب بعضهم على بعض في الاسواق
والازقة (فسوف يلقون غيا) وهو كما قال وهب وابن عباس وادى جهنم بعيد فقره تستعيد منه
أوديتها كما رواه الحاكم وصححه وقيل هو الخمران وقيل هو الشر كقول القائل

فمن يلقى خيرا يحمده الناس أمره * ومن يقول بعدم على التي لا تأمنا

على التي تتعلق بلائها وقيل يلقون جزاء التي كقوله يلقى أنما أى مجازاة الآثام * (تنبيه) قوله
تعالى يلقون ليس معناه يرون فقط بل معناه الاجتماع والملازمة مع الرؤية * ولما أخبر تعالى
عن هؤلاء بالخيبة فتح لهم باب التوبة وحثهم الى غسل هذه الخبوة بقوله (الامن تاب) أى
مما هو عليه من الضلال ويأذربالاعمال وحافظ على الصلوات وكف نفسه عن الشهوات (وآمن)
بما أخذ عليه به العهد (وعمل) بعد ايمانه تصديقه (صالحا) من الصلوات والذكوات وغيرها
(فأولئك) الصالحون الذين (يدخلون الجنة) التي وعد المتقون (ولا يظنون)
من ظالم (شيئا) من أعمالهم (فان قيل) الاستثناء يدل على أنه لا بد من التوبة والايمن والعمل

الصالح وليس الامر كذلك لان من تاب عن كفره ولم يدخل وقت الصلاة أو كانت المرأة سائضا
 فانه لا يجب عليهم الصلاة والزكاة أيضا غير واجبة وكذلك الصوم فهذا الوصايا في ذلك الوقت
 كان من أهل النجاة مع أنه لم يصدر منه عمل فلم يجوز توقف الاجر على العمل الصالح (أجيب)
 بأن هذه الصورة نادرة والاحكام احتمالات بالاعم الاغلب * (تنبيه) * في هذا الاستثناء وجهان
 قال ابن عادل أظهرهما انه متصل وقال الزجاج هو منقطع وهذا بناء منه على أن المصيب للصلاة
 من الكفاة ووافق الزجاج الجلال المحلى * ولما ذكر تعالى في التائب انه يدخل الجنة وصفها
 بأمر أو أحدها قوله تعالى (جنات عدن) أى اقامة لا يظعن عنها بوجه من الوجوه وصفها بالادوام
 على خلاف وصف الجنان في الدنيا التي لا تدوم ثم بين تعالى انها (التي وعد الرحمن عباده) الذين
 هو أرحمهم وقوله (بالغيب) فيه وجهان أحدهما ان الباطنية وفي صاحب الحال احتمالان
 أحدهما غير الجنة وهو عائد الموصول أى وعد ها وهي غائبة عنهم لا يشاهدونها والثاني عباده
 أى وهم غائبون عنها لا يرونها إنما آمنوا بها بمجرد الاخبار منه والوجه الثاني أن الباطنية أى
 بسبب تصديق الغيب وسبب الايمان به * ولما كان من شأن الوعود القاسية على ما تعارفه
 الناس منهم احتمال عدم الوقوع عين ان وعده ليس كذلك بقوله تعالى (انه كان) أى كونه مؤسفة
 ماضية (وعده ماضية) أى مقصودا بالفعل فلا بد من وقوعه فهو كقوله ان كان وعد ربنا لمفعولا
 ثانيا قوله تعالى (لا يسمعون فيها لغوا) وهو فضول الكلام وما لا طائل تحته وفيه تنبيه ظاهر
 على تجنب لغو واقفائه حيث نزه الله تعالى عنه الدار الآخرة التي لا تكليف فيها وقدم مدح الله
 تعالى أقواما بقوله وإذا أمرتوا بالغمزوا كراما وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنأكلن
 ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين نعوذ بالله من اللغو والجهل والخوض فيما لا يعنيننا
 وقوله تعالى (الاسلام) استثناء منقطع أى ولكن يسمعون قولاً لا يسئلون فيه من العيب والتقبيضة
 أو سلاما من الله أو من الملائكة أو من بعضهم على بعض ويجوز أن يراد باللغو مطلق الكلام قال
 في القاموس لغوا تكلم فيكون الاستثناء متصلاً أى لا يسمعون فيها كلاما الا كالحايد على
 السلامة أو سلاما من الله أو من الملائكة أو من بعضهم على بعض ثالثه قوله تعالى (ولهم
 رزقهم فيها) أى على ما يتمونه ويشتهونه على وجه لا يقضى ايمانهم ولا كلفة عليهم فيه ولا مئة
 عليهم به (بكرة وعشيا) أى على قدرهما في الدنيا وليس في الجنة ثم تروى ليل بل ضوء ونور ابدأ
 وقيل انهم يعرفون النهار برفع الحجب والليل بارطامها (فان قيل) المقصود من هذه الآيات وصف
 الجنة بأحوال مستعظمة ووصول الرزق اليهم بكرة وعشيا ليس من الامور المستعظمة (أجيب)
 بوجهين الاول قال الحسن أراد الله تعالى أن يرغب كل قوم بما أحبه في الدنيا فذلك
 ذكر أساور الذهب والفضة وليس الحرير التي كانت عادة العجم والارثا التي هي الجمال المضروبة
 على الاسرة وكانت عادة أشرف العجم ولا شيء كان أحب الى العرب من الفسدة والعشاء
 فوعدهم بذلك الثاني أن المراد واما الرزق فتقول أنا عند كل من صيحه طومسه بكرة وعشيا
 تزيد الدوام ولا تقصد الوقتين المألوفين وقيل المراد زاهية العيش وسعة الرزق أى لهم رزقهم

متى سأوا * ولما بانته هذه الاوصاف دار الباطل أشار الى علو مرتبتهم او ما هو سببها بقوله تعالى
 (تلك الجنة) باداء البعد لعلو قدرها وعظم أمرها (التي نورث من عبادنا) أي نعطي عطاء الارث
 الذي لا كذفيه ولا استرجاع وتبقى له الجنة كما يبقى للوارث مال الموروث وقيل تنقل تلك المنازل
 ممن لو أطاع لكانت له الى عبادنا الذين اتقوا ربهم فجعل النقل ارثا قاله الحسن (من كان
 تقيا) أي المتقين عن عباده (فان قيل) الفاسق المرتكب الكبائر لم يوصف بذلك الوصف
 فلا يدخلها (أجيب) بأن الآية تدل على أن الجنة يدخلها المتقي وليس فيها لالة على أن غير المتقي
 لا يدخلها وأيضاً صاحب الكبيرة متق عن الكفر ومن صدق عليه انه متق عن الكفر فقد
 صدق عليه أنه متق واذا كان صاحب الكبيرة يصدق عليه أنه متق وجب أن يدخل الجنة
 فدلالة الآية على أن صاحب الكبيرة يدخلها أولى من أن تدل على أنه لا يدخلها * واختلف في
 سبب نزول قول جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم (وما تنزل الآيات من ربك) فقال ابن عباس قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت الآية وقال
 مجاهد أبطأ الملك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقال لعلني أبطأت قال قد فعلت قال
 ولم لا أفعل وأنتم لا تتسوكون ولا تقصون أظفاركم ولا تقنون براجكم وقال وما تنزل
 الآيات من ربك فنزلت وقال قتادة والكلبي احتبس جبريل عليه السلام عن النبي صلى الله عليه
 وسلم حين سأله قومه عن قصة أصحاب الكهف وذى القرنين والروح وسبب سؤالهم عن
 ذلك ما روى ان قرى شابعت خمسة رهط الى يهود المدينة يسألونهم عن صفة النبي صلى الله
 عليه وسلم وهل يجدونه في كتابهم وسألوا النصاري فزعموا أنهم لا يعرفونه وقالت اليهود فوجدته
 في كتابنا وهذا زمانه وقد سألنا رجن اليمامة عن ثلاث فلم يعرف فسالوه عنهن فان أخبركم عن
 خصلتين فاتبعوه فسألوه عن قصة أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فلم يدرك كيف
 يجيب فوعدهم أن يجيبهم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحي عنه أربعين يوماً وقيل خمسة
 عشر يوماً فشق ذلك عليه مشقة عظيمة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فلما نزل جبريل عليه
 السلام قال له النبي صلى الله عليه وسلم أبطأت حتى ساء ظني واشتقت اليك قال اني اليك أشوق
 ولكني عبد هامور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فنزلت هذه الآية وأنزل قوله تعالى
 ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان بشاء الله وسورة الضحى (فان قيل) قوله تلك الجنة
 التي نورث من عبادنا من كان تقيا كلام الله وقوله وما تنزل الآيات من ربك كلام غير الله فكيف جاز
 عطف هذا على ما قبله من غير فصل (أجيب) بأنه اذا كانت القرينة ظاهرة لم يقبح كقوله تعالى
 اذا قضى أمر فانما يقول له كن فيكون وهذا كلام الله تعالى ثم عطف عليه قوله وان الله ربي
 وربكم فاعبدوه ثم علل جبريل قوله ذلك بقوله (له ما بين أيدينا) أي امامنا من أمور الآخرة
 (وما خلفنا) أي من أمور الدنيا (وما بين ذلك) أي ما يكون من هذا الوقت الى قيام الساعة
 أي له علم ذلك جميعه وقيل ما بين ذلك ما بين النخمين وبينهما أربعون سنة وقيل ما بين أيدينا
 ما بين من الدنيا وما خلفنا ما مضى منها وما بين ذلك مدة حياتنا وقيل ما بين أيدينا بعد ان نموت

وما خلقنا قبل أن نخلق وما بين ذلك مدة الحياة وقيل ما بين أيدينا الارض اذا اردنا النزول اليها وما خلقنا السماء وما ينزل منها وما بين ذلك الهواء يريد ان ذلك كله لله فلا نقدر على شيء الا بأمره (وما كان ربك) المحسن اليك (نسباً) بمعنى ناسباً أي تاركاً لك تأخيراً الوحي عندك لقوله تعالى وما ودعك ربك وما قلى أي وما كان امتناع النزول الا لامتناع الامر به وما كان ذلك عن تركه الله تعالى لك وتوديعه اياك ثم استدل على ذلك بقوله (رب السموات والارض وما بينهما) فلا يجوز عليه التسامح اذ لا بد ان يحسبها ما حاله بعد حاله والابلل الامر فيهما وفيمن يتصرف والآن يذلل على ان الله تعالى رب لكل شيء حصل بينهما ففعل العبد مخلوق له تعالى لا تفعل العبد حاصل بين السماء والارض * (تنبيه) * يجوز في رب أن يكون بدلا من ربك وأن يكون خبر مبتدأ محض أي هو رب وقوله تعالى (فاعبده واصطبر لعبادته) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم من رب على ما تقدم أي لما عرفت أن ربك لا ينسأ فاعبده بالمرابفة الدائمة على ما ينسأ من مثلك واصطبر عليها ولا تشوش بابطاء الوحي وهزه الكفار بك (فان قيل) لم يقل واصطبر على عبادته لانها صلته فكان حقه تعدي به على (أجيب) بأنه ضمن معنى الثبات لان العبادات ذات تكاليف قل من ثبت لها فكانت قد ائبت لها اصطبرا كقولك للمعاريب اصبر لقرنك ثم علل ذلك بقوله (هل تعلم لسمياً) قال ابن عباس هل تعلم له مثلاً أي نظيراً فيما يقتضي العبادات والذي يقتضيها كون منه ما بأصول النعم وفروعها وهي خلق الاجسام والحياة والعقل وغيرها فانها لا يقدر على ذلك أحد سواه سبحانه وتعالى واذا كان قد ائتم عليك بغاية الانعام وجب أن تعظمه بغاية التعظيم وهي العبادات وقال الكلبي هل تعلم أحد انسى الله غيره فانهم وان كانوا يطلقون لفظ الاله على الوثن فما أطلقوا لفظ الله تعالى على شيء * ولما أمر تعالى بالعبادة والمصابرة عليها فكانت سائلاً وقال هذه العبادات لا منفعة فيها في الدنيا وأما في الآخرة فقد أنكرها بعضهم فلا بد من ذكر الدلالة على القول بالمشرك حتى يظهر أن الاشتغال بالعبادة يقيد فلماذا حكى الله سبحانه وتعالى قول منكري المشرك قال تعالى (ويقول الانسان أنذا ما مت لسوف أخرج حياً) قال الكلبي نزلت في أبي بن خلف حين أخذ عظما ما باليه فتمتها بيديه ويقول زعم لكم محمد أتابع بعد ما نوت وقيل نزلت في أبي جهل وقيل المراد جنس الكفار القائلين بعدم البعث ثم ان الله تعالى أقام الدليل على صحة البعث بقوله (أولاد كرا الانسان) أي المجرى بهذا الانكار على ربه (أما خلقنا من قبل) أي من قبل جدله (ولم يكن شيئاً) أصلاً وانما يقتضي ذلك قادرون على اعادته فلا يشكر ذلك فال بعض العلماء لو اجتمع كل الخلائق على ايراد حجة في البعث على هذا الاختصار ما قدروا عليه اذ لا شك أن الاعادة ثانياً أهون من الابدال أولاً ونظيره قوله تعالى قل بحسبها الذي أنشأها أو قل مرة وقوله تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وقرأ نافع وابن عامر وعاصم يسكون الذال وض الكاف مخففة والباقون يفتح الذال مشددة وكذا الكاف (فان قيل) كيف أمر الله الانسان بالتذكر مع أن التذكرو العلم بما علمه من قبل ثم تحللها سهواً (أجيب) بأن المراد ألا يتفكر فيعلم خصوصاً

اذا قرئ اولها كرمشدا أما اذا قرئ محققا فالمراد اولا يعلم ذلك من حال نفسه لان كل أحد
 يعلم أنه لم يكن حيا في الدنيا ثم صار حيا ثم انه تعالى لما قرأ المطلوب بالدليل أردفه بالتهديد من
 وجوه أولها قوله تعالى (فوربك) أي المحسن اليك بالانتقام منهم (لنحضرنهم) بعد البعث
 (والشياطين) الذين يضلونهم بأن نحسر كل كافر مع شيطان في سلسلة وقائمة القسم أمران
 أحدهما ان العادة جارية بنا كمد الخبر باليمين والثاني في اقسام الله باسمه مضافا الى رسول
 الله صلى الله عليه وسلم تفخيم لسانه ورفع منته كما رفع من شأن السماء والارض في قوله تعالى
 فورب السماء والارض انه لحق والواو في والشياطين يجوز ان تكون للعطف ومعنى مع
 وهو أولى ثانيا قوله تعالى (ثم لنحضرنهم) بعد طول الوقوف (حول جهنم) من خارجها
 ليشاهد السعداء الاحوال التي نجحهم الله تعالى منها وخلصهم فزيدا وذلك غبطة الى غبطتهم
 وسرورا الى سرورهم ويشتموا بأعداء الله وأعدائهم فترداد مساءتهم وحسرتهم وما يغبطهم
 من سعادة أولياء الله وشماتتهم بهم وقوله تعالى (جثيا) حال مقدرة من مفعول لنحضرنهم وهو
 جمع جان جمع على فقول نحو فاعده وقعود وجالس وجالس وأصله جنو ويواوين أو جنوى من
 جثا يجثو ويجثى لغتان (فان قيل) هذا المعنى حاصل للكل بدليل قوله تعالى وترى كل أمة جاثية
 ولان العادة جارية بأن الناس في مواقف مطالبات الملوك يتجاثون على ركبهم لما في ذلك من
 القلق أوليادهمهم من شدة الامر التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم وإذا كان هذا
 حاصل للكل فكيف يدل على مزيد ذلك الكفار (أجيب) بأنهم يكونون من رقت الحسرة الى
 وقت الحضور على هذه الحالة وذلك يوجب مزيد لهم وقرا حفص وحزرة والكسافي جثيا
 وعثيا وصليا بكسرا أولها والباقون بضمه ثالثا قوله تعالى (لننزعن) أي لناخذن أخذاً شدة
 وعنف (من كل شعبة) أي فرقة من شعبة بذهب واحد (أيهم أشد على الرحمن) الذي همهم
 بالاحسان (عثيا) أي تكبرا مجاوزا للحد والمعنى ان الله تعالى يحضرهم أو لاحول جهنم ثم يميز
 البعض من البعض فن كان أشد همهم تتردا في كفره خص بعذاب عظيم لان عذاب الضال المضل
 يجب أن يكون فوق عذاب من يضل بغير غيره وليس عذاب من يتردو ويخبر كعذاب المقلد
 فثالثة هذا التمييز التخصيص بشدة العذاب لا التخصيص باصل العذاب ولذلك قال تعالى
 في جمعهم (ثم لنحزن أعم) من كل عالم (بالذين هم) بظواهرهم وبواطنهم (أولى بها) أي بجهنم
 (صليا) أي دخولا واحترا فاقبند أيهم ولا يقال أولى الامع اشتراكهم وأصله صلوى من صلى
 بكسر اللام وفتحها (تنبيه) في اعراب أيهم أشد أقوال كثيرة أظهرها عند جمهور العرب وهو
 مذهب سيبويه ان أيهم موصولة بمعنى الذي وان حركتها حركة بناء بنيت عند سيبويه نحر وجهها
 عن النظائر وأشد خبر مبتدأ ضمير والجملة صلة لا بهم وأيهم وصلتها في محل نصب مفعول
 به اولى أحوال أربعة مذ كرتها في شرح القطر * ولما كانوا بهذا الاعلام المؤكدا بالاقسام
 من ذى الحلال والاكرام جديرين باصغاء الافهام الى ما توجه اليها من الكلام التفت الى
 مقام الخطاب انها ماله موم فقال تعالى (وان) أي وما (منكم) أيها الناس أحد (الواردها)

كان ذلك الورد (على ربك) الموجد لك المحسن اليك (جنته مقصيا) أي حقه وقضى به
 لا يتبركه والورد دوما فاة المكان فاختلفوا في معنى الورد هنا فقال ابن عباس والاكثرون
 الورد ههنا هو الدخول والكتابة راجعة الى النار وقالوا يدخلها البرء والفاجر ثم نفي الله
 المتقين فيخرجهم منها ويدل على أن الورد هو الدخول قوله تعالى يقدم قومه يوم القيامة
 فأوردهم النار وروى ابن عيينة عن عمرو بن دينار نافع بن الأزرق ماري ابن عباس
 في الورد فقال ابن عباس هو الدخول وقال نافع ليس الورد الدخول فسلابن عباس أنيكم
 وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون أدخلها هؤلاء أم لا ثم قال ما نافع أما
 والله أنا وأنت سزدها وأنا أرجو أن يخرجني الله منها وما أرى الله يخرجك منها تكذيبك
 ويدل عليه أيضا قوله تعالى (ثم نفي الذين اتقوا) أي الكفر منها ولا يجوز أن يقول ثم نفي الذين
 اتقوا (ونذر الظالمين) بالكفر (فيها جثيا) على الركب الا والكل واردون والاشجار المروية
 بالله على هذا القول روى أن عبد الله بن رواحة قال أخبر الله تعالى عن الورد ولم يخبر بالصدر
 فقال صلى الله عليه وسلم يا ابن رواحة اقرأ ما بعدها ثم نفي الذين اتقوا فدل على أن ابن رواحة
 فهم من الورد الدخول ولم يشكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وعن جابر أنه سأل عن هذه
 الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورد الدخول ولا يبقى برء ولا فاجر الا
 دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما حتى إن للنار نجحيا من بردها ولأن حرارة النار ليست
 بطبعها فالاجزاء الملائكة لا بد أن الكفار يجعلها الله تعالى محرقه مؤذنه والاجزاء الملائكة
 لاجزاء المؤمنين يجعلها بردا وسلاما كما في حق ابراهيم عليه السلام وكان الملائكة الموكلين بها
 لا يجدون ألهما وكافي الكوز الواحد من الماء كان يشربه القمطي فيكون دما ويشربه الاسرايلي
 فيكون ماء عذبا وعن جابر بن عبد الله أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال اذا دخل
 أهل الجنة الجنة وقال بعضهم لبعض أليس وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتوها وهي
 خادمة وخادمة بنحاء معجبة أي ساكنة وروى بالجيم أي باردة ولا بد من ذلك في الملائكة
 الموكلين بالعذاب حتى يكونوا في النار مع المعاقبين (فان قيل) فاذا لم يكن على المؤمنين عذاب في
 دخولهم فما الفائدة في ذلك الدخول (أجيب) بوجوده أهدا أن ذلك مما يزيدهم سرورا اذا علموا
 الخلاص منها ثانيها ان فيه مزيد غم على أهل النار حيث يرون المؤمنين الذين هم أعداؤهم
 يتخلصون منها وهم يبقون فيها ثالثها أن فيه مزيد غم على أهل النار حيث تظهر فضيحتهم عند
 المؤمنين رابعها انهم اذا شاهدوا ذلك العذاب صار سببالمزيد التذاهم بنعيم الجنة وقيل
 المراد بالذين يردونها من تقدم ذكرهم من الكفار فكفى عنهم أولا كناية الغيبة ثم خاطب
 خطاب المشاهدة وعلى هذا القول فلا يدخل الناومون واستدل بقوله تعالى ان الذين
 سبق لهم من الجحشقى أولئك عنهما مبعوثون لا يسمعون حسيسها والمبعوثون لا يوصف بأنه
 وارد هو الورد وواجهتم لسمعوا حسيسها بقوله تعالى وهم من فرغ يومئذ آمنون وروى
 عن محمد بن عيسى عن من المؤمنين فقد وردوها وفي الخبر الجحش كبر من جهنم وهي حظ المؤمنين

من النار وفي رواية الجحى من فيج جهنم فأبردوها بالماء وقوله من فيج جهنم أى وجهها وحترها
 وقال ابن مسعود وان منكم الاواردها يعنى القسامه والكفاية راجعة اليها قال البغوى
 والاقول أصح وعليه أهل السنة وروى أنه يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن
 شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن بر من خير ويخرج من النار
 من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير وفي رواية من ايمان وعن ابن مسعود قال
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لا أعلم آخر أهل النار خروجا منها وأخر أهل الجنة
 دخول الجنة رجل يخرج من النار حيا فبقول الله له اذهب فادخل الجنة قال فأتيتها فبفضل
 اليه أتها ملائى فيرجع فيقول وجدتها ملامئى فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فان كنت مثل
 الدنيا وعشر أمثالها فيقول له أفسخرى وأنت الملك فقلت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ضحك حتى بدت نواجذه فكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة وقوله حتى بدت نواجذه أى أنيابه
 وأضراسه وقبله هى أعلى الاسنان وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعذب
 ناس من أهل التوحيد فى النار حتى يكونوا جمما ثم تدر كهم الرحمة قال فيخرجون فيطرحون
 على باب الجنة قال فيرش عليهم أهل الجنة الماء فينبسون كما ينبت الغناء فى جمالة السيل الحم الحميم
 والغناء كل ما جاء به السيل وقرأ الكسانى نبي بسكون النون الثانية وتخفيف الجيم والباقون
 بفتح النون الثانية وتشديد الجيم * وما أقام تعالى الجنة على مشركى قريش المنكرين بالبعث
 قال تعالى عطفاً على قوله ويقول الانسان (واذ اتلى عليهم) أى الناس من المؤمنين والكفار
 من أى تال كان (آياتنا) أى القرآن حال كونها (بينات) أى واضحات وقيل مرتبات
 الالفاظ ملخصات العائى وقيل ظاهرات الاعجاز (قال الذين كفروا) بايات ربه من بينة
 جهلا منهم ونظر الى ظاهر الحياة الدنيا الذى هو مبلغهم من العلم (لذين آمنوا) أى لاجلهم
 أو مواجهة لهم اعراض عن الاستدلال بالآيات بالاقبال على هذه الشبهة الواهية وهى المفارقة
 بالمكاثرة فى الدينامن قولهم (أى القرىقين) نحن بما لنا من الاتساع أم أنتم بما لكم من خشونة
 العيش ورتانة الحال ولو كنتم أنتم على الحق وكأعلى الباطل لكان حالكم فى الدنيا أحسن
 من حالنا لأن الحكيم لا يلقى به أن يوقع أوليائه المخلصين فى الذل وأعداءه المعرضين عن خدمته
 فى العز والراحة وإنما كان الأمر بالعكس فان الكفار كانوا فى النعمة والراحة والاستعلاء
 والمؤمنين كانوا فى ذلك الوقت فى الخوف والقله هذا حاصل شبهتهم والقائل ذلك هو النضر بن
 الحرث وذو يوهن قريش للذين آمنوا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكان فيهم قسافة
 وفى عيشهم خشونة وفى ثيابهم رتانة وكان المشركون يرحلون شعورهم ويلبسون خير ثيابهم
 فقالوا للمؤمنين أى القرىقين (خير مقاما) أى موضع قيام أو إقامة على قراءة ابن كثير يضم الميم
 والباقون بفتحها فى كتمان القراءتين يحتمل أن يكون اسم مصدر أو اسم مكان اما من قام ثلاثيا
 أو من أقام * (تبيه) * قالوا نيد خير من عمرو شر من بكر ولم يقولوا خير منه ولا أشر منه
 لأن هاتين اللفظتين كراستهما لهما حذف همزتا هما ولم يثبتا الا فى فعل التجب فقالوا

أخير زيد وأشر بعمر ووما أخير زيد أو ما أشر عزز أو الدلة في اثباتهما في فعلي التمجيد أن استعمال
 هذين اللغتين إجماعاً كثر من استعمالهما فعلاً فحذفت الهمزة في موضع التكررة وبقيت
 على أصلها في موضع القلة (وأحسن ندبا) أي مجعاً ومخدناً والندى المجلس يقال ندى ونادى
 والجمع الندية ومنه وتأتون في نادىكم المتكرر وقال تعالى فليدع ناديه ويقال ندوت القوم أندوهم
 إذا جمعتم في مجلس ومنه دار الندوة وكانت تجمع القوم فجعلوا ذلك الامتحان بالانعام
 والاحسان دليلاً على رضا الرحمن مع التكذيب والكفران وغضوا عن أن في ذلك مع
 التكذيب بالبعث تكذيباً بما يشاهدون منا من القدرة على العقاب بأجل النعم وسلب النعم
 ولو شئنا لأهلكناهم وسلبنا جميع ما يقفرون به (وكم أهلكنا قبلهم) ثم بين إجماعكم بقوله (من
 قرن) شاهد وإدبارهم ورأوا آثارهم (هم) أي أهل تلك القرون (أحسن) من هؤلاء (أما أنا)
 أي أمتي (ورثنا) أي ومنظرنا فلو دل حصول نعم الدنيا للإنسان على كونه حبيب الله لوجب
 أن لا يصل إلى هؤلاء نعم في الدنيا وقرأ قالون وابن ذكوان بإبدال الهمزة ياءً وإدغامها في الياء
 وقفاً وصلوا وإذا وقف حذفت ياء الهمزة ياءً وله فيها الإدغام والأظهار * (تنبه) كم مفعول
 أهلكنا مقدم واجب التقديم لأن له صدر الكلام لأنها إنما استقهامية وأخبر به وهي محمولة
 على الاستقهامية أي كثير من القرون أهلكنا ومن قرن تمييز لكم مبين لها وإنما سمي أهل كل
 عصر قرناً لأنهم يتقدمون من بعدهم وقول البيضاوي وهم أحسن صفة لكم تبع فيه
 الرخصى وغيره ورد بأن كم الاستقهامية والخبرية لا توصف ولا يوصف بها منهم أحسن في
 محل جر صفة لقرن وجمعه نظر المعنى لأن القرن مشتمل على أفراد كثيرة * ثم قال تعالى لنبيه
 صلى الله عليه وسلم (قل) لهؤلاء المبعدين رداعليمهم وقطع المعاذيرهم وهتكالستهم هذا الذي
 افتخرتم به لا يدل على حسن الحال في الآخرة بل على عكس ذلك فقد جرت عادة تعالى أنه (من
 كان في الضلالة) منكم كونا راضياً ببطء له في الدنيا وطيب عيشه في ظاهر الحال فيها ونعم
 بأنواع الملاذ وقوله (فليدعه الرحمن مداً) أمر بمعنى الخبر معنا: فندعه في طغيانه ونجهله في كفره
 بالبطء في الآخرة والسعة في الديار والطول في الأعمار وانفصاقها فيما يستلذه من الأوزار
 ولا يزال يذله استدراجاً (حتى إذا رآوا) أي كل من كفر بأعينهم (ما يوعدون) من قبل الله (أما
 العذاب) في الدنيا بأبدى المؤمنين وغيرهم وفي البرزخ (وأما الساعة) أي القيامة التي هم بها
 مكذوبون وعن الاستعداد لها معرضون ولا شيء يشبه أهوالها وخزنها ونكالاتها (فسيعلون)
 إذا رآوا ذلك (من هوشراً مكاناً) أي من جهة المكان الذي يقبل به المقام في قولهم خير مقاماً
 (وأضعف جنداً) أي أقل ناصر أهم أم المؤمنون أي أضعف من جهة الجند أي الذي أشير
 به إلى الندى في قولهم وأحسن ندبا لأنهم في النار والمؤمنون في الجنة فهذا رداعليمهم في قولهم
 أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندبا (ويزيد الله الذين اهتدوا) إلى الإيمان (هدى) بما ينزل
 عليهم من الآيات محض ما زوى عنهم من الدنيا لكرامتهم عندهم بما بسط للضلال له وأنهم
 عليه * وأشار إلى أن مثل ما أخذ أولئك بالنوال وفق هؤلاء لمحاسن الأعمال بأقل الاموال

فقال عز من قائل (والباقيات الصالحات) أي الطاعات والمعارف التي شرحت لها الصدور
وأثارت بها القلوب وأوصلت إلى علام الغيوب (خير صدرك) مما منع به الكفرة والخيرية هنا
في مقابلة قولهم أي الصريقين خير مما وقيل الباقيات الصالحات هي الصلوات وقيل التسبيح
روى أبو الدرداء قال جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وأخذ عودا يابساً وأزال
الورق عنه ثم قال إن قول لاله الا الله والله أكبر وسبحان الله تحط الخطايا كما يحط ورق هذه
الشجرة الربيع خذهن يا أبا الدرداء قبل أن يحال ينك وبينك وبينهن الباقيات الصالحات وهي من
كنوز الجنة فكان أبو الدرداء يقول لا علمن ذلك ولا كثرت عمله حتى إذا رأني الجهال حسبوا
أني مجنون قال الرازي والقول الا قول أولي لانه تعالى انما وصفه بالباقيات الصالحات من
حيث يدوم ثوابها فلا تختص ببعض العبادات فهي باسرها باقية صالحة نظر إلى أثرها الذي هو
الهداية ثم بين تعالى خيرتها بقوله تعالى (نواباً) أي من جهة الثواب (وخير مرداً) أي من جهة
العاقبة يوم الحسرة (فان قيل) لا يجوز أن يقال هذا خيراً الا والمراد انه خير من غيره والذي عليه
الكفار لا خيره أصلاً (أجيب) بأن المراد خير مما ظنه الكفار بقولهم خير مما ما أو حسن نديا
وقيل هو كقولهم الصيف أحتر من الشتاء بمعنى أنه في حتره أبلغ منه في برده فالكفرة يردون إلى
فناء وخسارة والمؤمنون إلى ربح وبقاء * ولما ذكر تعالى الدلائل أو لعل صحة البعث ثم أورد
شبهة المنكرين وأجاب عنها وأورد عليهم الا ن ما ذكره على سبيل الاستهزاء طعننا في القول
بالحشر فقال تعالى (أفأريت الذي) أي الذي يعرض عن هذا اليوم ويريد على ذلك بأن
(كفر يا أيها الناس) الدالات على عظمتنا بالدالات البنات (وقال) جرأ منه وجهلاً (لا وتين)
أي والله لا وتين في الساعة على تقدير قيامها (مالا وولدا) أي عظيمين فلم يكفه في جهله تغيير القادر
حتى ضم اليه أقدار العاجز وقرأ جزء والكسافي وولدا وكذا واد في جميع ما في هذه السورة
بضم الواو وسكون اللام والباقون بفتح الواو واللام في الجميع يقال ولد وولد كما يقال عرب
وعرب وعدم وأما القراءة بفتحة الواو وهو اسم مفرد قائم مقام الجمع وأما قراءة الضم
والاسكان فصيل هي كالتي قبلها في المعنى وقيل بل هي جمع لولد نحو أسد وأسد وأنشدوا على
ذلك ولقد رأيت معاشرا * قد أغر واما لولدا

وأنشدوا شاهد على أن الولد والولد مترادفان قول الآخر

فليت فلانا كان في بطن أمه * وليت فلانا كان ولد جاره

* ولما كان ما ادعاه لعله الابأ حد أمرين لا علم لهوا احد منهما أن ذكر قوله ذلك بقوله تعالى
(أطلع الغيب) الذي هو غائب عن كل مخلوق فهو في بعد عن الخلق كالعالى الذي لا يمكن أحدا
منهم الاطلاع اليه وتفرد به الواحد القهار (أم اتخذ) أي بغاية جهده (عند الرحمن عهداً)
عاهده عليه بأن يؤتيه ما ذكر بطاعة فعلها على وجهها اليق سبحانه فيه عند قوله وقيل
في العهد كلمة الشهادة وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول وعن الكلبي
هل عهد الله اليه أن يؤتيه ذلك وعن الحسن رحمه الله تعالى نزلت في الوليد بن المغيرة والمشهور

أنهم في العاص بن وائل قال حباب بن الارت كان لي عليه دين فاقتضيت فقال لا والله حتى تكفر
 بمحمد فقلت لا والله لا أكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين تبعث قال فاني اذا مت بعثت قلت نعم
 قال اذا بعثت جئني وسيكون لي ثم مال وولدا فاعطيك وقبل صالحه حباب حليما فاقتضاه
 الاجر فقال انكم تزعمون انكم تهتمون وان في الجنة ذهاب وفضة وحرير انا اقتضيك ثم طاني اوفى
 ما لا وولدا فاعطيك حينئذ ثم انه سبحانه وتعالى بين من حاله ضد ما ادغاه فقال تعالى (كلا) وهي
 كلمة رددت وتبني على الخطأ أي هو مخطئ فيما يقول وينتاه (سكتب) أي تحفظ عليه (ما يقول)
 فجاز به في الآخرة وقيل نأمر الملائكة حتى يكتبوا عليه ما يقول (وعند له من العذاب
 مدا) أي زيده بذلك عذابا فوق عذاب كفره وقبل نزيل مدة عذابه (وزنه) بوجه (ما يقول)
 أي ما عنده من المال والولد (وبأنتنا) يوم القيامة (فردا) لا يعصمه مال ولا ولد كان له في
 الدنيا فضلا ان يوتي ثم زائد اقال تعالى واقصد جثمتو نافرادي وقيل فردا رافضاه لهذا القول
 منفرد اعنه * ولما تكلم سبحانه وتعالى في مسئله الحشر والنشر تكلم الاثن في الرد على عباد
 الاصنام فقال (واتخذوا) أي كفار قريش (من دون الله) أي الاوثان (الالهة) يعبدونها
 (ليكونوا لهم عزا) أي منقعة بحيث يكونون لهم شفعا وأنصارا يتخذونهم من الهلاك * ثم
 اجاب تعالى بقوله تعالى (كلا) رددت وانكارا لتعزهم بها (سيكفرون بعبادتهم) أي تستجد
 الالهة بعبادتهم ويقولون ما عبدتمونا كقولهم تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وفي آية
 أخرى ما كانوا يا بايعدون وقبل اذ ادبلك الملائكة لانهم كانوا يكفرون بعبادتهم ويتبرون منهم
 ويخصمونهم وهو المراد من قوله تعالى أهولاء اياكم كانوا يعبدون وقبل ان الله تعالى يحیی
 الاصنام يوم القيامة حتى ينجوا بعبادهم ويتبرأ منهم فيكون ذلك اعظم لحسرتهم ويجوز ان
 يراد الملائكة والاصنام (ويكونون عليهم ضدا) أي أعوانا وأعداء (فان قيل) لم وحده وهو خبر
 عن جمع (أجيب) بأنه امام صدر في الاصل والمصدر موحدة مذكرة وامالانه مفرد في معنى الجمع
 قال الزمخشري والضم العون وحد توحيد قوله عليه الصلاة والسلام وهم يدعي من سواهم
 لانهما كلمتهم وأنهم كشي واحد لفرط تضلتهم وتوافقتهم انتهى والحديث رواه أبو داود وغيره
 والشاهد فيه قوله يدعي لم يقل أيده ولما ذكر تعالى ماله وولاه الكفار مع آلتهم في الآخرة ذكر
 بعده ما لهم مع الشياطين في الدنيا وأنهم يتولونهم وينقادون اليهم فقال تعالى مخاطبا لنبية صلى
 الله عليه وسلم (أم تر) أي تنظر (أنا أرسلنا) أي سلطانا (الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا)
 الازوالهز والاسقزاز اخوات ومعناها التهيج وشدة الازعاج أي تقربهم على العاصي
 وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات (فلا تجعل عليهم) أي تطلب عقوبتهم بأن يهلكوا
 ويبيدوا حتى تستريح أنت والمسلمون من شرورهم (انما تعد لهم عذابا) أي ليس بينك وبين
 ما تطلب من هلاكهم الا أيام محصورة وأنفاس معدودة وقطيرة قوله تعالى ولا تستجمل لهم
 كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ وعن ابن عباس كان اذا قرأها
 بكى وقال آخر العدد خروج فضلك آخر العدد دخول قبرك آخر العدد فراق أهلك وعن

ابن السكيت أنه كان عند المأمون فقراً ما فقال إذا كانت الانقاس بالعدد ولم يكن لها مدد لما
 أمرع ما تنفد وقبل نعداً أنفاسهم وأعمالهم فبحاز بهم على قليلها وكثيرها وقبل نعداً
 الاوقات الى وقت الاجل المعين لكل أحد الذي لا يتطرق اليه الزيادة والنقصان ثم بين تعالى
 ما سبغ في ذلك اليوم من الفصل بين المتقين والمجرمين في كيفية الحشر فقال (يوم) أي
 واذكروم (فحشر المتقين) بما بينهم (الى الرحمن) أي الى محل كرامته وقوله تعالى (وقدا) حال
 أي وافدين عليه كما يفد الوفاة على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم والوفاء بالجماعة
 الوافدون يقال وفدي فدفداً ووفداً ووفادة أي قدم على سبيل التكرمة فهو في الاصل
 مصدر ثم أطلق على الاشخاص كالصف وقال أبو البقاء وقد جمع وافداً مثل ركب وراكب
 وهب وصاحب وهذا الذي قاله ليس بمذهب سيبويه لأن فاعلاً لا يجمع على فعل عند سيبويه
 واجازة الاخفش وحري عليه الجلال المحلى فقال وقد جمع وافد بجمع ركب انتهى وقال ابن
 عباس وفد اركبنا وقال أبو هريرة على الابل وقال على رضى الله تعالى عنه والله ما يحشرون
 على أرجلهم ولكن فوق نوق رحالها الذهب ونجائب سروجها ووقيت ان هو اجماسارت
 وان هو اجماسارت (ونسوق المجرمين) بكفرهم (الى جهنم) وقوله تعالى (وردا) حال أي مشاة
 باهانة واستخفاف كأنهم نم عطاش تساق الى الماء وقيل عطاش قد تقطعت أعناقهم من شدة
 العطش لأن من يرد الماء لا يرد الابدعش وحقيقة الورد السير الى الماء وقوله تعالى (لا يملكون
 الشفاعة) الضمير فيه للعباد المدلول عليهم بذكر المتقين والمجرمين وقيل للمتقين وقيل للمجرمين
 وقوله تعالى (الامن اتخذ عند الرحمن عهداً) استثناء متصل على القولين الاولين منقطع على
 الثالث والمعنى أن الشافعين لا يشفعون الا لمن اتخذ عند الرحمن عهداً كقوله تعالى ولا
 يشفعون الا لمن ارتضى ويدخل في ذلك أهل الكبار من المسلمين اذ كل من اتخذ عند الرحمن
 عهداً وجب دخوله فيه وصاحب الكبيرة اتخذ عند الرحمن عهداً وهو التوحيد فوجب
 دخوله تحته وبؤيده ما روى عن ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال لا صحابه ذات يوم
 أجهز أحدكم أن يتخذ عند كل صباح ومساءه عند الله عهداً قالوا وكيف ذلك قال يقول كل
 صباح ومساءه اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انى أعهد اليك بانى أشهد
 ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمداً عبدك ورسولك فلا تكن الى نفسى فانك ان
 تكن الى نفسى تقرى من الشر وتباعدنى من الخير وانى لأنتق الأبرجتك فأجعل لى عندك
 عهداً تؤقنيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا اتى ذلك طبع الله عليه بطابع وضع تحت
 العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين لهم عهد عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة
 فظهر أن المراد من العهد كلمة الشهادة وظهر وجه الدلالة على ثبوت الشفاعة لاهل الكبار
 ولما رده سبحانه وتعالى على عبدة الاوثان عاد الى الرد على من أثبت له ولداً بقوله تعالى (وقالوا
 اتخذ الرحمن ولداً) أي قالت اليهود وعزير بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب
 الملائكة بنات الله (فقد جتم شيئاً اذا) قال ابن عباس أي متكرراً وقال قتادة أي عظيماً وقال

ابن خالويه الاذوالاذ العجب وقيل العظيم المنكرو والاذة الشدة وأذفه الامر وأذني أفتظني وعظم
 على وقرأ (تكاد السموات) نافع والكسائي بالياء على التذكير والباقون بالتاء على التأنيث
 وقرأ (تفطرن منه) أبو عمرو وابن عامر وشعبة وجزء بعد الياء بنون ساكنة وكسر الطاء مخففاً
 والباقون بعد الياء تنوينه وفتح الطاء مشددة يقال انظر الشيء وتفطر أي تشقق وقرأة التشديد
 أبلغ لأن الفعل مطاوع فعمل والانفعال مطاوع فعل ولأن أصل الفعل التكلف (وتنشق
 الارض) أي تنصف بهم (وتحتر الجبال هذا) أي تسقط وتنطبق عليهم (أن) أي من أجل
 ان (دعوا للرجن ولدا) قال ابن عباس وكعب فزعت السموات والارض والجبال وجميع
 الخلائق الا لتلين وكدادت أن تزول وغضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا اتخذ
 الله ولدا (فان قيل) كيف يؤثر القول في انقطاع السموات وانشقاق الارض وخرو الجبال
 (أجيب) بوجوه الاقول ان الله تعالى يقول كدت أفعل هذا بالسموات والارض والجبال
 عند وجود هذه الكلمة غضباً مني على من تقوه بالولاحل واني لأعجل بالعقوبة الثاني
 أن يكون استعظاما للكلمة وتحويلاً وتصويراً لاثرها في الدين وهدمها لقواعده وأركانها
 الثالث ان السموات والارض والجبال تكاد أن تفعل كذلك لو كانت تفعل هذا القول
 ثم نفي الله تعالى عن نفسه الولد بقوله تعالى (وما ينبغي للرجن أن يتخذ ولدا) أي ما يليق به اتخاذ
 الولد لأن ذلك محال أما الولادة المعروفة فلا مقابلة في امتناعها وأما التبني فان الولد لا بد وأن
 يكون شبيهاً بالوالد ولا يشبهه الله تعالى لأن اتخاذ الولد انما يكون لاغراض أما من سرور
 أو استعانة أو ذكر جميل وكل ذلك لا يصح في حق الله تعالى (ان) أي ما (كل من في السموات
 والارض) أي ان كل معبود من الملائكة في السموات والارض من الناس منهم العزير
 وعيسى (الاقى للرجن) أي ملجئاً الى ربوبيته (عبداً) منقاداً مطيعاً ذليلاً خاضعاً كما يفعل
 العبيد ومن المفسرين كاجلال الهللي من حمله على يوم القيامة خاصة والاول أولى لانه
 لا تخصيص في الآية (لقد أحصاهم) أي حصرهم وأحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوزته وعلمه
 وقبضته وقدرته وكلهم تحت تدبيره وقهره (وعدهم عداً) أي عداً شخصاً منهم وأيامهم وأنفاسهم
 وأفعالهم فان كل شيء عنده بمقدار لا يخفى عليه شيء من أمورهم (وكلهم آتية) أي كل واحد
 منهم يأتيه (يوم القيامة فرداً) أي وحيداً ليس معه من الدنيا شيء من مال أو نصيب يمنعه ولما
 رد سبحانه وتعالى على أصناف الكفرة وبالغ في شرح أحوالهم في الدنيا والاخرة ختم السورة
 بذكر أحوال المؤمنين فقال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً) أي
 سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها من قرابة أو صداقة أو مطنج
 معروف وغير ذلك روى الشيخان أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله عبداً يقول جبريل
 أحببت فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في أهل السماء قد أحب الله فلاناً فأحبه فيحبه
 أهل السماء ثم يوضع له الحبة في الارض واذا أبغض الله عبداً قال مالك لا أحسبه الا هال في
 البغض مثل ذلك والمسير في سبيل امالان السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ محموتين بين

المكفرة فوعدهم الله تعالى ذلك اذا قوى الاسلام والمعنى سيحدث لهم في القلوب مودة واما
 أن يكون ذلك يوم القيامة يحميمهم الله الى خلقه بما يظهر من حسناتهم وروى عن كعب قال
 مكتوب في التوراة لائحة لاحدى في الارض حتى يكون ابتداءها من السماء من الله عز وجل
 ينزلها على أهل السماء ثم على أهل الارض ومصداق ذلك في القرآن قوله سيجعل لهم الرحمن وذا
 وقال ابو مسلم معناه يهب لهم ما يحبون والود والمحبة سواء * ولما ذكر سبحانه وتعالى في هذه
 السورة التوحيد والنبوة والحشر والرد على فرق المبطلين بين تعالى أنه يسرد ذلك بلسان نبيه
 صلى الله عليه وسلم بقوله (فانما يصرناه) أى القرآن (بلسانك) أى العربي أى لولائه تعالى
 نقل قصصهم الى اللغة العربية لما تيسر ذلك (لتبشيره المتقين) أى المؤمنين (وتنذر) أى
 تخوف (به قوما لدا) جمع ألد أى جدل بالباطل وهم كفار مكة ثم انه تعالى ختم السورة بعوذة
 عظيمة بليغة فقال تعالى (وكم) أى كثيرا (أهلكنا قبلهم من قرن) أى أمة من الامم الماضية
 بتكذيب الرسل لانهم اذا تأملوا وعلوا أنه لا بد من زوال الدنيا وأنه لا بد فيها من الموت وخافوا
 سوء العاقبة فى الآخرة كانوا الى الحد من المعاصى أقرب * ثم أكد ذلك بقوله تعالى (هل
 ينحس) أى ترى وقيل تجحد منهم من أحداً وتسمع لهم ركزا) أى صوتا خفيا لا قال الحسن بادوا
 جميعا فلم يبق منهم عين ولا أثر أى فكما أهلكنا أولئك منهمك هؤلاء * (تنبيه) * الركز الصوت الخفى
 دون نطق بحروف ولا فم ومنه ركز الرمح أى غيبه فى الارض وأخفاه ومنه الركاز وهو المال
 المدفون خلفائه واستتاره والحديث الذى ذكره البيضاوى به العالز مخشرى وهو من قرأ سورة
 مريم أعطى عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر
 الانبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا الله فى الدنيا ومن لم يدع الله تعالى حديث موضوع

﴿ سورة طه عليه الصلاة والسلام مكية ﴾

وهى مائة وخمس وثلاثون آية وعدد كلماتها ألف وثلثمائة واحدى وأربعون كلمة وعدد حروفها
 خمسة آلاف ومائتان واثنان وأربعون حرفا وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال أعطيت السورة التى ذكرت فيها البقرة من الذكر الاوّل وأعطيت طه وبس
 والطواستين من ألواح موسى وأعطيت ذواتج القرآن وخواتيم السورة التى ذكرت فيها البقرة
 من تحت العرش وأعطيت المفصل نافلة

(بسم الله) الملك الحق المبين (الرحمن) الذى عمّ نعمه على خلقه أجمعين (الرحيم) الذى خص
 بحبسته عباده المؤمنين وقرأ (طه) شعبة وحجرة والكسافى بامالة الطاء والهاء ووافقه ورش
 وأبو عمرو على امالة الهاء محضة ولم يعل ورش محضة الالهة الهاء وقد تقدم الكلام فى الحرف
 المقطعة فى أول سورة البقرة وفى هذه ههنا قولان الصحيح أنها من تلك وقيل انها كلمة مفيدة
 اتعاطى القول الاوّل فقد تقدم الكلام فيه فى أول سورة البقرة والذى زادوه هنا أمور
 أحدها قال الثعالبي الطاء مشجرة طوبى والهاء الهاء وية فكلمته أقسم بالجنة والنار ثانياً يمكن

عن جعفر الصادق الطاهر طهارتها أهل البيت والهامة هدايتهم ثالثها قال سعيد بن جبيرة هذا
 افتتاح اسمه الطيب الطاهر الهادي رابعها مطمع الشفاعة للامة وهادى الخلق الى الملة
 خامسها الطاهر من الطهارة والهامة من الهداية فكانه قيل باطاهر من الذنوب باهدانا الى
 علام الغيوب سادسها الطاهر طول القراءة والهامة هيتهم في قلوب الكفار قال تعالى
 سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب سابعها الطاهر تسعة في الحساب والهامة بخمسة تكون
 اربعة عشر ومعناها يا ايها البدر واما على القول الثاني فقيل معنى طه يارجل وهو يروي
 عن ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبيرة وقنادة وعكرمة والكلبي ثم قال سعيد بن
 جبيرة بالنطية وقال قنادة بالسريانية وقال عكرمة بالجنسية وقال الكلبي بلغة عك وهو
 بتشديد الكاف ابن عدنان اخو معد وحكي الكلبي انك لو قلت في عك يارجل لم تجب حتى
 تقول طه وقال السدي معناه يافلان وقيل انه صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهمجده على
 احدى رجله فامر أن يطأ الارض بقدميه معا وقال الكلبي لما نزل على رسول الله صلى الله
 عليه وسلم الوحي بمكة اجتهد في العبادة حتى كان راح بين قدميه في الصلاة لطول قيامه وكان
 يصلي الليل كله فأنزل الله عليه هذه الآية وأمره أن يخفف على نفسه فقال تعالى (ما أنزلنا عليك
 القرآن لتشقى) أى لتعب بما فعلت بعد نزوله من طول قيامك بصلاة الليل أى خفف عن نفسك
 فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم صلى الليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل عليه السلام ابق
 على نفسك فان لها عليك حقا ما أنزلناه لئلا تنفك بالصلاة وتذيقها المشقة وما بعثت الا
 بالحنيفية السمحة وروى أنه كان اذا قام من الليل ربط صدره بجمل حتى لا ينام وقيل لما رأى
 المشركون اجتهاده في العبادة قالوا انك لتشقى حيث تركت دين آباءك أى لتتعب وتتعب وما
 أنزل عليك القرآن يا محمد الا للشقائق فتزلت وأصل الشقاء في اللغة العناء وقيل المعنى انك
 لا تلام على كفر قومك كقوله تعالى است عليهم عيسى و قوله تعالى وما أنت عليهم بوكيل أى
 انك لا تأخذ بنبيهم وقيل ان هذه السورة من أوائل ما نزل على رسول الله صلى الله عليه
 وسلم في ذلك الوقت مقهورا تحت ذل الاعداء فكانه تعالى قال لا تظن أنك تبقى أبدا على هذه
 الحالة بل يعلم أمرك ويظهر قدرك فانما أنزلنا عليك القرآن لتبقي شقيا فيما ينهمس بل لتصير
 معظما مكرما وقرأ أجزاء الكسائي بالامالة وأبو عمرو بين وبين وورش بين اللظين والفتح عنده
 ضعيف جدا وكذلك جميع رؤس آى هذه السورة من ذوات الياه وقوله تعالى (الأنذكرة)
 استنشامه طلع أى لكن أنزلناه تذكرة قال الرخمشري فان قلت هل يجوز أن يكون تذكرة بدلا
 من محل لتشقى قلت لا لاختلاف الجنس ولكن هانصب على الاستثناء المنقطع الذى الابهى بمعنى
 لكن (لمن يخشى) أى لمن في قلبه خشية ورقة يتأثر بالانذار أولن علم الله تعالى منه أن يخشى
 بالتصريف منه فانه المستمع به وقوله تعالى (تنزيلا) بدل من اللفظ يفعله الناصب له (من خلق
 الارض) أى من الله الذى خلق الارض (والسموات العلى) أى العالية الرفيعة التى لا يقدر
 على خلقها فى علمه ما غير الله تعالى والعل جمع عليا كقولهم كبرى وكبرى وصغرى وصغرى وقدم

الارض على السموات لانها اقرب الى الجنس وأظهر عندهم من السموات ثم أشار الى وجبه
 احداث الكائنات وتدبير امرها بان قصد العرش وأجرى منه الاحكام والتقدير وأمر من
 الاسباب على ترتيب ومقادير حسبما اقتضته حكمته وتعلق به مشيئته فقال تعالى (الرحمن
 على العرش) وهو سر الملك (استوى) أى استواء يليق به فانه سبحانه وتعالى كان ولا عرش
 ولا مكان واذا خلق الله الخلق لا يحتاج الى مكان فهو بالصفة التي كان لم يزل عليها وتقدم
 الكلام على ذلك في سورة الاعراف مستوفى فراجعه ثم استدل سبحانه وتعالى على كمال قدرته
 بقوله تعالى (له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى) فهو مالك لما فى
 السموات من ملك ونعيم وغيرهما وما لك لما فى الارض من المعادن والقلوات والملك لما بينهما
 من الهوا وما لك لما تحت الثرى وهو التراب الندى والمراد الارضون السبع لانها تحت وقال
 ابن عباس ان الارضين على ظهر النون والنون على بحر ورأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش
 والبحر على حفرة خضراء خضرة السماء منها وهى الحفرة التي ذكر الله تعالى فى قصة لقمان فنكس
 فى حفرة والحفرة على قرن نور والثور على الثرى وما تحت الثرى لا يعلمه الا الله عز وجل وذلك
 الثور فاتح فاه فاذا جعل الله تعالى البحار بحرا واحدا ساتت فى جوف ذلك الثور فاذا وقعت فى
 جوفه ييبس وقرأ أبو عمرو وحجرة والكسائى بالامالة وورش بين اللقطين وكذا جميع رؤس
 آى السورة من ذوات الراء * ولما كانت القدرة تابعة للارادة وهى لا تنفك عن العلم عقب ذلك
 ناطحة علمه تعالى بجليات الامور وخفياتها على حد سواء فقال تعالى (وان تجهر بالقول) أى
 تعلن بالقول فى ذكر أو دعاء فانه تعالى غنى عن الجهر به (فاه يعلم السر وأخفى) قال الحسن
 فى السر ما أسر الرجل الى غيره وأخفى من ذلك ما أسر فى نفسه وعن ابن عباس السر ما أسر
 فى نفسك وأخفى من السر ما يلقى الله تعالى فى قلبك من بعد ولا تعلم انك تتحدث به نفسك
 لانك تعلم ما أسر اليوم ولا تعلم ما أسر غدا والله يعلم ما أسررت اليوم وما أسر غدا وقال على بن
 أبى طلحة عن ابن عباس السر ما أسر ابن آدم فى نفسه وأخفى ما أخفى عليه مما هو فاعلمه قبل أن
 يعلمه وقال مجاهد السر العمل الذى يسر من الناس وأخفى الوسوسة وقيل السر هو العزبة
 وأخفى ما يحظر على القلب ولم يعزم عليه وقال زيد بن أسلم يعلم أسرار العباد وأخفى سره من
 عباده فلا يعلمه أحد * ولما ذكر صفاته وحد نفسه فقال تعالى (الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى)
 التسعة والتسعون والارديم الحديث والحسنى تأنيث الاحسن وفضل اسماء الله تعالى على
 سائر الاسماء فى الحسن لله لانه تعالى معان هى أشرف المعانى وأفضلها روى ان لله تعالى أربعة
 آلاف اسم ألف لا يعلمها الا هو وألف لا يعلمها الا الله والملائكة وألف لا يعلمها الا الله والملائكة
 والانبيا وأما الالف الرابعة فالمؤمنون يعلمونها فلثماتة فى التوراة ولثماتة فى الانجيل ولثماتة
 فى الزبور وثماتة فى القرآن تسعون وتسعون منها ظاهرة وواحد مكنون من أحصاه دخل الجنة
 وذكر فى لاله الا الله فضائل كثيرة أذكر بعضها وأسأل الله تعالى أن يجعلنا ومحبينا من أهلها
 يهوى أبهى الله عليه وسلم قال أفضل الذكر لاله الا الله وأفضل البعاء أسخفر الله ثم لا رسول

الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وروى أنه
 صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى خلق ملكا من الملائكة قبل أن يخلق السموات والارض
 وهو يقول أشهد أن لا اله الا الله ما دابها صوته لا يقطعها ولا يتنفس فيها ولا يتماها فاذا أتمها أمر
 اسرافيل بالنفخ في الصور وقامت القيامة تعظيما لله وعن أنس قال صلى الله عليه وسلم ما زلت
 أشفع الى ربى ويشفعنى واشفع اليه ويشفعنى حتى قلت يا رب شفعى فيمن قال لا اله الا الله فقال
 يا محمد ليست لك ولا لاحد وعزى وجلالى لا أدع أحدا فى النار قال لا اله الا الله وقال سفيان
 الثورى سألت جعفر بن محمد عن حم عسق فقال الهاء حله والميم ملكه والعين عظمته والسين
 سناؤه والقاف قدرته يقول الله عز وجل يجلى وملكى وعظمتى وسنائى وقدرتى لأعذب بالنار
 من قال لا اله الا الله محمد رسول الله وروى عن موسى عليه السلام أنه قال يا رب علمنى شيئا
 أذكرك به قال قل لا اله الا الله قال انما أردت شيئا تخصنى به قال يا موسى لو أن السموات السبع
 ومن فوقهن فى كفة ولاله الا الله فى كفة لالت بهن لا اله الا الله وقال بعض المفسرين فى قوله
 تعالى ألم تكيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة انها لاله الا الله اليه يصعد الكلم
 الطيب لاله الا الله ويواصل بالحق لاله الا الله قل انما أعظمكم بواحدة لاله الا الله وقضوهم
 انهم مسئولون عن قول لاله الا الله بل جاء بالحق وصدق المرسلين هو لاله الا الله ثبت الله الذين
 آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة هو لاله الا الله ويضل الله الظالمين عن قول
 لاله الا الله وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال فى السوق لاله الا الله
 وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت بيده الخير وهو على كل شئ قدير كتب الله له ألف
 ألف حسنة ومحامنه ألف ألف سيئة وبني له بيتا فى الجنة قال الرازى فى النكت فىبغى لاهل
 لاله الا الله أن يخلصوا فى أربعة أشياء حتى يكونوا من أهل لاله الا الله التصديق والتعظيم
 والجلالة والحرمة فمن ليس له التصديق فهو منافق ومن ليس له التعظيم فهو مبتدع ومن ليس له
 الجلالة فهو مرء ومن ايس له الحرمة فهو فاجر وكذاب وحكى أن نبشرا الحافى رأى كاعدا
 فيه بسم الله الرحمن الرحيم فرفعه وطيبه بالمسك فرأى فى النوم كأنه نودى يا بشر طيب اسمنا
 فحن نطيب اسمك فى الدنيا والآخرة وذكر أن صيادا كان يصيد السمك وكانت ابنته تطرحها
 فى الماء وتقول انما وقعت فى الشبكة لغلظها الهناتك الصيبة كانت ترحم غلظتها وكانت تلقاها
 مرة أخرى فى البحر ويحن قد اصطادتنا وسوسة الشيطان وأخرجنا من بحر رحمتك فارحنا
 بفضلك وخلصنا مناهم والقناني فى بحار رحمتك مرة أخرى وعن محمد بن كعب القرظى قال قال
 موسى الهى أى خلقك أكرم عليك قال الذى لا يزال لسانه رطبا من ذكرى قال فأى خلقك
 أعظم قال الذى يلتمس الى عمله علم غيره قال فأى خلقك أعدل قال الذى يقضى على نفسه كما
 يقضى على الناس قال وأى خلقك أعظم جرما قال الذى يهمنى وهو الذى يسألنى ثم لا يرضى بما
 قدمت له الهنا انالانتهمك فاناعلم ان كل ما أحسنت به فهو فضل وكل ما لانفعله فهو عدل فلا
 تؤاخذنا بسوء أفعالنا وأعمالنا وعن الحسن اذا كان يوم القيامة نادى مناد يعلم الجمع من

أولى بالكرم ابن الذين كانت تنجاني جنوبهم - م عن المضاجع فيقومون فيمتخطون رقاب الناس
 ثم يقال ابن الذين لانهمهم تجارة ولا يسع عن ذكركم الله ثم نادى مناد ابن الحامدون الله
 كثيرا على كل حال ثم يكون الحساب على من بقى الهنا نحن حمدناك وأثنينا عليك بحمد رطاقنا
 ومنتهى قدرتنا فاعف عنا بفضل رحمتك يا رحيم الرحمن * ولما عظم الله تعالى حال القرآن
 وحال رسوله صلى الله عليه وسلم بما كلفه أتبع ذلك بما يقوى قلب رسوله صلى الله عليه وسلم من ذكر
 أحوال الانبياء تقوية لقلبه في الابلاغ كقوله تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت
 به فؤادك وبدأ موسى عليه السلام لان فتنته كانت أعظم الفتن لئسلى قلب الرسول صلى الله
 عليه وسلم ويصبر على حمل المكاره فقال تعالى (وهل أتاك حديث موسى) وهذا محتمل لان يكون
 هذا أقول ما أخبر به من أمر موسى فقال وهل أتاك أي لم يأتك الى لان فتنه له وهذا قول
 الكلبي ومحتمل أن يكون قد أتاه ذلك في الزمان المتقدم فكانه قال أليس قد أتاك وهذا قول
 مقاتل والضحاك عن ابن عباس وهذا وان كان على لفظ الاستفهام الذي لا يجوز على الله تعالى
 لكن المقصود منه تقرير الخبر في نفسه وهذه الصورة أبلغ في ذلك كقولك لصاحبك بلغك
 عنى كذا فيطلع السامع الى معرفة ما يؤمى اليه ولو كان المقصود هو الاستفهام لكان الجواب
 يصدر من قبل موسى لاسم قبل الله تعالى وقيل ان هل بمعنى قد وجرى على ذلك الجلال المحلى
 تبعاً بما يغوى وقوله تعالى (أذراى) يجوز أن يكون منصوباً بالحديث وهو الظاهر ويجوز أن
 ينصب باذ كرم قدر أى واذا ذكر أراى (نارا) وذلك أن موسى عليه السلام استأذن شعباً عليه
 السلام فى الرجوع من مدين الى مصر لزيارة والدته وأخيه فأذن له فخرج بأهله وماله وكانت
 أيام شتاء وأخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام وأمر أنه حامل فى شهرها لا تدرى لى لا تضع
 أوتها رافسار فى البرية غير عارف بطريقها فألجأه المسير الى جانب الطور الغربى الايمن فى ليلة
 مظلمة مشعبة شديدة البرد قيل كانت ليله جمعة وأخذت امرأته فى الطلق وتفرقت ماشيته ولأما
 عنده وجعل يقدح زنده فلا يورى فأبصر نارا من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور
 (فقال لاهله امكثوا) أى اقيموا فى مكانكم والخطاب لامرأته وولدها والخادم ويجوز أن يكون
 للمرأة وحدها خرج على ظاهر لفظ الاهل فان الاهل يقع على الجمع وأيضاً قد يحاطب الواحد
 بلفظ الجمع تضييماً وقرأ جزء بضم الهاء فى الوصل والباقون بالكسر (انى آنتت) أى أبصرت
 (نارا) والابناس الابصار المين الذى لاشبهة فيه ومنه انسان العين لانه يتبين به الشيء والانس
 لظهورهم كما قيل الجن لاستنارهم وقيل ابصار ما يؤنس به ولما وجد منه الايتاس وكان
 متيقناً حقيقه لهم بكلمة انى ليوطن أنفسهم * ولما كان الايتاس بالقبر ووجود الهدى
 مترقبين متوقعين بنى الامر فيهما على الرجا والطمع فقال (لعلى آيتكم منها بقبر) أى
 شعلة فى رأس قبيلة أو عوداً ونحو ذلك وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وفتح الياء فى انى ولسلى
 الآتية والباقون بالسكون الابن عامر ففتح لعل مع من ذكر وهم على امراتهم فى المدة
 (أو أجد على النار هدى) أى هادياً يلى على الطريق ومعنى الاستعلاء فى على النار ان أهل

النار يستعملون المكان القريب منها كما قال سيدي في مررت بزيدانه لصوق بكما يقترب من
زيداً ولأن المصلين بها إذا حاطوا بها كانوا مشرفين عليها وقال بعضهم النار أربعة أقسام
ناراً تأكل ولا تشرب وهي نار الدنيا ونار تشرب ولا تأكل وهي التي في الشجر الأخضر كما قال
تعالى الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً وانار تأكل وتشرب وهي نار المعدة ونار
لاتأكل ولا تشرب وهي نار موسى عليه السلام وقيل أيضاً النار أربعة أحدها نارها نور
بلا حرقه وهي نار موسى عليه السلام ثانياً الها حرقه بلا نور وهي نار جهنم أعادنا الله تعالى
منها ثانياً الها الحرقه والنور وهي نار الدنيا رابعها الحرقه ولا نور وهي نار الاشجار (تنبيه) *
ان وصلت هدى بغلاف سدس فيها الاتنين للجمع وان وقف عليها فهم على أصولهم في الفتح
والامالة وبين اللفظين (فلما أتاهما) أي النار قال ابن عباس رأى شجرة خضراء من أسفلها إلى
أعلىها أطافت بها نار بيضاء تنقد كاضوا ما يكون فوق متجهبان شدة ضوء تلك النار وشدة
خضرة تلك الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة تغير ضوء النار قال ابن مسعود
كانت الشجرة مثمرة خضراء وقال مقاتل وقتادة والكبي كانت من العوسج وقال وهب كانت
من العليق وقيل من العناب قال أكثر المفسرين ان الذي رآه موسى لم يكن ناراً بل كان من نور
الرب تعالى وهو قول ابن عباس وعكرمة وغيرهما ذكر بافظ النار لان موسى عليه السلام
حسبه ناراً فلما دنا منها سمع تسبيح الملائكة ورأى نوراً عظيماً قال وهب ظن موسى أنها نار
أو قدت فأخذ من دفاق الحطب وهو الحشيش اليابس ليقتبس من إلهها فالت اليه كأنها تريد
فتأخر عنها وهاها ثم لم تزل تطمعه ويطمع فيها ثم لم يكن بأسرع من خوردها كأنها لم تكن ثم روى
موسى يصيرها إلى فروعها فاذا خضرت لها ساطعة في السماء واذا نور بين السماء والارض له شعاع
تمكّل عنه الابصار فلما رأى موسى عليه السلام ذلك وضع يديه على عينيه وألقبت عليه السكينة
(زودي يا موسى اني انار بك) قال وهب نودي من الشجرة فقبل يا موسى فأجاب سريراً ولم يدر
من دعاه فقال اني أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأبنت فقال أنا فوقك ومعك وأمامك وخلفك
وأقرب اليك منك فعلم أن ذلك لا ينبغي الا لله تعالى فأيقن به وقيل انه سمع بكل أجزائه حتى ان
كل جرحه منه كانت أدنا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وفتح الهمزة من ان على تقدير الباء أي بالنى
لان النداء يوصل بها تقول ناديت به بكذا وأنشد الفارسي قول الشاعر

ناديت باسم ربيعة بن مكدم * ان المنوء باسمه الموقوف

وجوز ان عطية أن تكون بمعنى لاجل وليس بظاهر والباقون بالكسر ما على اضممار القول
كما هو رأى البصريين أي فقيل وامالان النداء في معنى القول عند الكوفيين وقوله تعالى أنا
يجوز أن يكون مبتدأ وما بعده خبره وبالجملة خبران ويجوز أن يكون تأكيد للضمير المنصوب
ويجوز أن يكون فضلاً ويروي ابن مسعود عن فوعا في قوله تعالى (فاخلق عليلين) انهما كانا
من جملة حمار بيت يروي غير مدبوغ فأخر بظلمه ما صبأته للوادي المقدس وقال عكرمة
ويجاء اتمأاً من ذلك فيبشش منه مبه تراه الارض المقدسة فيناله بر كها ويمل لذلك انه قال

تعالى عقبه (انك بالوادي المقدس) أي المظهر أو المبالغة لظنهما وألقاهما من وراء الوادي
هكذا ما قاله أهل التفسير وذكروا أهل الإشارة في ذلك وجوها أحدها أن النعل في النوم يعبر
بالزوجة وقوله فاخضع نعليك إشارة إلى أنه لا يلتفت بخاطره إلى الزوجة والولد وأن لا يثق
مشغول القلب بأمرهما ثانيها المراد بجمع النعلين ترك الالتفات إلى الدنيا والآخرة كأنه
أمره أن يصير متفرق القلب بالكلية في معرفة الله تعالى فلا يلتفت إلى المخلوقات ثالثها أن
الإنسان حال الاستدلال على وجود الصانع لا يمكنه أن يتوصل إليه بالقدمتين مثل أن يقول
العالم المحسوس محدث وكل ما كان كذلك فله مؤثر ومدبر و صانع فها تان المقدمتان شيبتان
بالنعلين لأنهما يتوصل العقل إلى المقصود وينتقل من النظر في الخلق إلى معرفة الخالق
ثم بعد الوصول إلى معرفة الخالق وجب أن لا يبقى ملتصقا إلى تلك المقدمتين فكأنه قيل لا تكن
مشتغل الخاطر بتلك المقدمتين فانك وصلت إلى الوادي المقدس الذي هو بحر معرفة الله تعالى
وقوله تعالى (طوي) بدل أو عطف بيان وقرأه هنا وفي النازعات نافع وابن كثير وأبو عمر وغير
ثبورين فهو ممنوع من الصرف باعتبار البقعة مع العلية وقيل لأنه معدول عن طاء وهو مثل عمر
للعديل عن عامر وقيل انه اسم أجمع في العلية والحجة والباقون بالتسوية فهو مصروف باعتبار
المكان ففيه العلية فقط وعند هؤلاء ليس بأعجمي وقوله تعالى (وأنا اخترت) أي اصطفتك
للسلالة من قومك قرأه أجزاء بتشديد الذون من أنا وقرأ اخترتك بنون بعدها ألف بلفظ الجمع
والباقون بناء مضمومة وقوله تعالى (فاستمع لما وحى) أي اليك مني فيه نهاية الهيبة والجلالة كأنه
تعالى قال لقد جاءك أمر عظيم فتأهب له واجعل كل عقلك وخاطر لك مصروفا اليه وفي قوله تعالى
وأنا اخترتك نهاية اللطف والرحمة فيحصل له من الأول نهاية الرجاء ومن الثاني نهاية الخوف
* (تنبيه) يجوز في لام المأمن تتعلق فاستمع وهو أولى وأن تكون حزينة في المفعول على حد
قوله تعالى ردكم وجوز الزمخشري أن يكون ذلك من باب التنازع ونازعه أبو يحيى بأنه
لو كان كذلك لأعاد الضمير مع الثاني فكان يقول فاستمع لما وحى وأجيب عنه بأن مراده
التعلق المعنوي من حيث الصلاحية وأما تقدير الصناعة فلم بعنه وقوله تعالى (أنتى أنا الله
لا اله الا أنا فاعبدني) بدل مما وحى دال على أنه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى
العلم والأمر بالعبادة التي هي كمال العمل وفي هذه الآية دلالة على أن علم أصول الدين مقدم
على علم الفروع وأيضا فالقاء في قوله تعالى فاعبدني يدل على أن عبادته انما لم تمت بالهيبة
لأن التوحيد من علم الأصول والعبادة من علم الفروع وخص الصلاة بالذكر وأوردتها في قوله
تعالى (وأقم الصلاة لذكرى) العلة التي أناط بها طاعتها وهو تذكرك بالمعبود ويشغل القلب
واللسان بالذكر وقيل لذكرى لأنى ذكرتها في الكتب وأمرت بها وقيل لأنى ذكرت ذكرى وهي
مواقيت الصلاة وأورد ذكرى لما روى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال من نام عن صلاة
أو نسيها فليقمها اذ ذكرها ان الله يقول وأقم الصلاة لذكرى وقيل لأن ذكر الصلاة بالبناء والمدح
وأجمل لك عليها اللسان حديثنا وقيل لذكرى خاصة لا تشوبه بغيره ولما خاطبها

تعالى موسى عليه السلام بقوله تعالى فاعبدي وأقم الصلاة لذكري أتسعه بقوله تعالى (إن الساعة آتية) أي كائنة (أ كاد أخفيها) قال أكثر المفسرين من معناه أ كاد أخفيها من نفسه فكيف يعلمها غيري من الخلق وكيف أظهرها لكم ذكر تعالى على عادة العرب إذا بالغوا في كتمان الشيء يقول الرجل كتمت سرى من نفسي أي أخفيته غاية الاختفاء والله تعالى لا يخفي عليه شيء والمعنى في إخفاها التهرب والتخوف لأنهم إذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت وكذلك المعنى في إخفاء وقت الموت لأن الله تعالى وعد قبول التوبة فإذا عرف وقت موته وانقضاء أجله اشتغل بالمعاصي إلى أن يقرب ذلك الوقت فيتوب ويصلح العمل فيخلص من عقاب المعاصي بتعريف وقت موته فتعريف وقت الموت كالإغراء بفعل المعصية فإذا لم يعلم وقت موته لا يزال على قدم الخوف والوجل فيترك المعاصي أو يتوب منها في كل وقت خوفا معاجلة الأجل وقال أبو مسلم أ كاد يعني أريد وهو كقوله تعالى كذلك كذبنا يوسف ومن أمثالهم المتداولة لا فعل ذلك ولا أ كاد أي لأ أريد أن أفعله وقال الحسن إن أ كاد من الله واجب فعنى قوله تعالى أ كاد أخفيها أي أنا أخفيها عن الخلق كقوله تعالى عسى أن يكون قريبا أي هو قريب وقيل أ كاد صلة في الكلام والمعنى أن الساعة آتية أخفيها قال زيد الخليل سريع إلى الهيئات شال سلاحه * فإن يكاد قرنه يتنفس

أي فإن يتنفس قرنه وقوله تعالى (لنجزي كل نفس بما تسعى) أي تعمل من خير أو شر متعلق بآتية واختلف في مخاطب بقوله تعالى (فلا يصدك) أي يصرفك (بها من لا يؤمن بها) فقيل وهو الأقرب كما قاله الرازي أنه موسى عليه السلام لأن الكلام أجمع خطاب له وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم واختلف أيضا في عود هذين الضميرين على وجهين أحدهما قال أبو مسلم لا يصدك عنها أي عن الصلاة التي أمرتك بها من لا يؤمن بها أي بالساعة فالضمير الأول عائد إلى الصلاة والثاني إلى الساعة ومثل هذا جائز في اللغة فالعرب تلف الخبرين ثم ترمي بجوابهما مجله ليرد السامع إلى كل خبر حقه ثانيهما قال ابن عباس فلا يصدك عن الساعة أي عن الإيمان بها من لا يؤمن بها فالضميران عائدان إلى يوم القيامة وهذا أولى لأن الضمير يعود إلى أقرب المذكورات وهما الأقرب هو الساعة وما قاله أبو مسلم إنما يصار إليه عند الضرورة ولا ضرورة ههنا * (تنبيه) * المقصود من ذلك نهى موسى عليه السلام عن التكذيب بالبعث ولكن ظاهر اللفظ يقتضي نهى من لا يؤمن عن صدق موسى وفيه وجهان أحدهما أن صدق الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليبدل على حمله على المسبب الثاني أن صدق الكافر مسبب عن رخاوة الرجل في الدين فذكر المسبب ليبدل على السبب كقولهم لا أريدك ههنا المراد نهى المخاطب عن حضوره لأن رياه هو فالرؤية مسببة عن الحضور كما أن صدق الكافر مسبب عن الرخاوة والضعف في الدين فقيل لا تكن رخوا بل كن شديدا أصليا حتى لا يلوح منك لمن يكفر بالبعث أنه يطمع في صدق عماتك عليه (وأتبع هوام) أي ميل نفسه إلى اللذات المحبوبة المخدجة لتصرف نظر عن غيرها وخالف أمر الله (فتردى) أي فتملك أن انصدت عنها وما في قوله

تعالى (وما تلك بينك) مبتدأ استهامة وتلك خبره وبينك حال من معنى الإشارة وقوله
 تعالى (يا موسى) تكرر لانه ذكره قبل في قوله تعالى نودي يا موسى وبعد في مواضع كالتقيا يا موسى
 لزيادة الاستئناس والتبسيه (فان قيل) السؤال انما يكون لطلب العلم وهو على الله تعالى محال
 فما الفائدة في ذلك (أجيب) بأن في ذلك فوائد الاولي توقيفه على انها عصا حتى اذا قلبها حية علم
 انها معجزة عظيمة وهذا على عادة العرب يقول الرجل لغيره هل تعرف هذا وهو لا يشك انه يعرفه
 ويريد أن يضم اقراره بلسانه الى معرفته بقلبه الثانية ان يقرر عنده انها خشية حتى اذا قلبها
 نعبا لا يخافها الثالثة انه تعالى لما أراه تلك الانوار المتصاعدة من الشجرة الى السماء وأسمعه
 كلام نفسه ثم أورد عليه التكليف الشاق وذكر له المعاد وختم ذلك بالتهديد العظيم قصير موسى
 عليه السلام ودهش فقيل له وما تلك بينك يا موسى وتكلم معه بكلام البشر ازالة تلك الدهشة
 والحيرة (فان قيل) هذا خطاب من الله تعالى لموسى بلا واسطة ولم يحصل ذلك لمحمد صلى
 الله عليه وآله وسلم (أجيب) بالمنع فقد خاطبه في قوله تعالى فأوحى الى عبده ما أوحى الآن الذي
 ذكره مع موسى عليه السلام أفشاه الى الخلق والذي ذكره مع محمد صلى الله عليه وسلم كان
 سرا لم يؤول له أحد من الخلق وأيضا ان كان موسى تكلم معه فامة محمد يخاطبون الله
 تعالى في كل يوم من ار اعلى ما قاله صلى الله عليه وسلم المصلى يتاجى به والرب يتكلم مع
 أحاد أمة محمد يوم القيامة بالتسليم والتكريم لقوله تعالى سلام قولاً من رب رحيم * (تبسيه) *
 قوله تعالى وما تلك اشارة الى العصا وقوله تعالى بينك اشارة الى اليد وفي هذا انك ذكرها
 الرازي رحمه الله تعالى الاولي أنه تعالى لما أشار اليها جعل كل واحدة منهما معجزة
 فاهرة وبرهاناً ساطعاً ونقله من حد الجهادية الى مقام الكرامة فاذا صار الجهاد بالنظر الواحد
 حيويا وناصر الجسم الكثيف نورانيا لطيفا ثم انه تعالى ينظر كل يوم للمائة وستين مرة الى
 قلب العبد فأى عجب لو انقلب قلبه من موت العصيان الى السعادة بالطاعة ونور المعرفة
 ثانيا ان بالنظر الاول الواحد صار الجهاد نعبا فابلع سحر الصحرة فأى عجب لو صار القلب
 نعبا فابلع سحر النفس الامارة بالسوء ثالثا ان العصا كانت في عين موسى عليه السلام
 فبسبب بركته انقلبت نعبا واورها وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن فاذا حصلت
 لسيد موسى عليه السلام هذه المنزلة فأى عجب لو انقلب قلب المؤمن بسبب اصبعي الرحمن من
 ظلمة العصية الى نور العبودية * ولما سأل تعالى موسى عليه السلام عن ذلك أجاب بأربعة
 أشياء ثلاثة على التفصيل وواحد على الاجمال أولها (قال هي عصاى) وقد تم الجواب بذلك
 الا أنه عليه السلام ذكر الوجود الاخر لانه كان يجب المكاملة مع ربه فجعل ذلك كالوسيلة الى
 تحصيل هذا الغرض ثانيا هو قوله (أو كما) أى أعتمد عليها) اذا مشيت واذا عبيت واذا وقفت
 على رأس القطيع وعند الطفرة ثالثا قوله (وأهش) أى أخطب وورق الشجر (بها) ليسقط على
 عنقى) لتأكله فبدأ عليه السلام وألا يصلح نفسه في قوله أو كما عليها ثم يصلح رعيته في قوله
 أهش بها على عنقى وكذلك في القيامة يقول نفسى نفسى ومحمد صلى الله عليه وسلم يستغل في

الدنيا الا باصلاح امر الامة وما كان الله لعذبهم وانت فيهم اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون فلا
 حرم يوم القيامة سيدنا ايضا بآتمه فيقول آتمى آتمى رابعها قوله (ولى فيها ما رب) جمع ما ربه
 بتثنية الراء حواتج ومنافع (أخرى) تكمل الزاد والسقي وطرد الهوام وانما أجل في الماء رب
 رجاؤه أن يسأله ربه عن تلك الماء رب فيسمع كلام الله تعالى مرة أخرى ويطول أمر المكحلة بسبب
 ذلك وقيل انقطع لسانه بالهيبه فاجل وقيل اسم العصانعة وقيل في الماء رب كانت ذات شعبتين
 ومخجن فاذا طال الغصن حناه بالمخجن واذا طلب كسره لواه بالشعبتين واذا سارا لقاها على عاتقه
 فعلق بها اداوته من القوس والكلانة والحلاب وغيرها واذا كان في العربية ركزها وعرض
 الزندين على شعبتها وألقى عليها الكساء واستظل بالزندين بفتح الزاي تنبيه زبد وزنده والزنذ
 العود الاعلى الذي تقدم حبه النار والزنذ السفلى فيها ثقب فاذا اجتمعا قبل زندان ولم تقل
 زندان واذا قصر رساؤه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل كان فيها من المعجزات
 أنه كان يستقي بها فقتول بطول البئر وتصير شعبتها دلو او يكونان شعبتين بالليل واذا ظهر عدو
 حارب عنه واذا اشتبهت غمرة ركزها فأورقت وأثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقامه فجعلت تماشيه
 ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب وكانت تنبه الهوام وروى عن ابن عباس أنها كانت
 تماشيه وتحمده ولما ذكره موسى هذه الجوابات لربه (قال) له (ألقها) أى انبذها (يا موسى) فألقها
 فاذا هي حية) أى ثعبان عظيم (تسمى) أى تسمى على بطنها سريرا وعاهنا نكت خفية احداها
 أنه عليه السلام لما قال ولى فيها ما رب أخرى أراد الله تعالى أن يعرفه ان فيها ما رب لا يظن
 لها ولا يعرفها وانها أعظم من سائرها وأرى ثانياها كان في رجله شيء وهو النعل وفي يده شيء
 وهو العصا فالرجل آله الهرب والسد آله الطلب فقال أولا فآلخ نعلك اشارة الى ترك الهرب
 ثم قال القها وهو اشارة الى ترك الطلب كانه تعالى قال انك مادمت في مقام الهرب والطلب
 كنت مشتغلا بنفسك بالالحظك فلا تكن خالصا لعرفتي فكأن تارك الهرب والطلب تكن
 خالصا الى ثالثها أن موسى عليه السلام مع علو درجته وكمال صفته لما وصل الى الحضرة ولم
 يكن معه الا النعلان والعصا أمره بالقائما حتى أمكنه الوصول الى الحضرة فأنت في ألف وقرمن
 المعاصي فكيف يمكنك الوصول الى جنبه (فان قبل) كيف قال هنا حية وفي موضع آخر جان
 وهي الحية الخفيفة الصغيرة وقال في موضع آخر ثعبان وهو أكبر ما يكون من الحيات
 (أجيب) بأن الحية اسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والكبير وأما الثعبان والجان
 فيبينها تناف لان الثعبان العظيم من الحيات كما مر والجان الدقيق وفي ذلك وجهان أحدهما
 انها كانت وقت انقلابها حية صغيرة دقيقة ثم تورمت وتزايد جلدها حتى صارت ثعبانا فأريد
 بالجان أول حالها وبالثعبان ما آلهما الثاني أنها كانت في شخص الثعبان وسرعة حركة الجان
 لقوله تعالى فلما رأها تمزق ثيابها جان قال وهب لما ألقى الصاعلى وجه الارض نظرا اليها فاذا هي
 حية تسمى صغرا من أعظم ما يكون من الحيات تسمى بسرعتها تعرف كعرف القرمس وكلية
 يظن فيها أربعمون ذراعا صارت شعبتها شديدا فين لها والمخجن عنقا وعرفها تتر وعينها يتقدان

كالنار وتر بالعضرة العظيمة مثل الخلفة من الابل قتلتم منها وتصف الشجرة العظيمة بأنيابها
 ويسمع لا يابها صريفا عظيما فلما عين ذلك موسى ولي مدبرا وهرب ثم نودي باموسى ارجع حيث
 كنت فرجع وهو شديد الخوف (قال) تعالى له (خذها) أى بينك (ولا تحف) وكان على موسى
 مدرعة من صوف قد دخلها بعدان فلما قال تعالى له خذها الف طرف المدرعة على يده فأمره الله
 أن يكشف يده وذكر بعضهم أنه لما الف كم المدرعة على يده قاله الملك أ رأيت ان أذن الله بما تتحاذر
 أ كانت المدرعة تغنى عنك شياً قال لا ولكنى ضعيف ومن ضعف خلقت وكشف عن يده
 ثم وضعها في قم الحية فاذا هي عصا كما كانت ويده في شعبتها في الموضع الذي كان يضعها اذا نوكا
 عليها كما قال تعالى (سعيدا سيرتها الاولى) وقد أظهر الله تعالى في هذه العصا معجزات لموسى
 عليه السلام منها انقلاب العصا حية ومنها وضع يده في فمها من غير ضرر ومنها انقلاصها
 خشبة مع الامارات التي تقدمت * (تنبيه) * في نصب سيرتها أوجه أحدها أن تكون منصوبة
 على الظرف أى في سيرتها أى طريقتهما ثانيا على البدل من ها سعيدها بدل اشتمال لان السيرة
 الصفة أى سعيدا صفتها وشكلها ثالثا على اسقاط الخافض أى الى سيرتها وقيل غير ذلك
 (فان قيل) لم نؤدى باموسى وخص تلك الكرامات العظيمة وعلم أنه معوث من عند الله تعالى
 الى الخلق فلما ذاق (أجيب) عن ذلك بأوجه أحدها أن ذلك الخوف كان من نفرة الطبع
 لانه عليه السلام ما شاهد مثل ذلك قط وهذا معلوم بدلائل العقول ثانيا انما خافها لانه عليه
 السلام عرف ما لى آدم عليه السلام منها ثالثا أن مجرد قوله ولا تحف لا يدل على حصول
 الخوف كقوله تعالى ولا تطع الكافرين لا يدل على وجود تلك الطاعة لكن قوله فلما رأها تهتر كأنها
 جان ولي مدبرا يدل عليه ولكن ذلك الخوف انما ظهر ليظهر الفرق بينه وبين أفضل الخلق محمد
 صلى الله عليه وسلم فأظهر الرغبة في الجنة ولا النفرة عن النار وقوله تعالى (واضم يدك) أى
 اليمنى (الى جناحك) أى جنبك اليسرى تحت العضد فى الابط (تخرج بيضاء) أى نيرة مشرقة
 تضيء كشمس الشمس تعشى البصر لا بد فيه من حذف والتقدير واضم يدك تنضم وأخرجها
 تخرج تحذف من الأول والثاني وأتى مقابلهما ليدل على ذلك ايجازا واختصارا وانما احتج
 الى هذا لانه لا يترتب على مجرد الضم الخروج وبيضاء حال من فاعل تخرج وقوله تعالى (من
 غير سوء) متعلق بتخرج وروى عن ابن عباس الى جناحك الى صدرك والاول اولى كما قال
 الرازى لانه يقال لكل ناحيتين جناح كجناحى العسك لطرفيه وجناح الانسان جنابه
 والاصل المستعار منه جناح الطائر سيما بذلك لانه يجحهما أى يبلسهما عند الطيران وجناح
 الانسان عضدها فعضدها يشبهان جناح الطير ولانه قال تخرج بيضاء ولو كان المراد بالجناح
 الصدر لم يكن لقوله تخرج معنى والسوء الرذالة والقبح فى كل شئ فكفى به عن البرص كما كفى
 عن العورة بالسوء أو البرص أى بعض شئ الى العرب ولهم عنه نفرة عظيمة واسماءهم لاسمه
 مجاحفة كان جسديا بأن يكفى عنه ولا ترى أحسن ولا أطرف ولا أخف للمفاضل من كليات
 القرآن وأدابه يروى ان موسى عليه السلام كان شديد الادمة فكان اذا أدخل يده اليمنى

في حبيبه فأدخلها في ابطنه الأيسر وأخرجها فكانت تبرق مثل البرق وقيل مثل الشمس من
 غير مرض ثم أذارتها عادت إلى لونها الأول من غير نور وقوله تعالى (آية أخرى) أي مجزة
 ثابتة حال من ضمير تخرج كيبضاء وقوله تعالى (التريك) متعلق بما دل عليه آية آل دنانير
 لتريك وقوله تعالى (من آياتنا الكبرى) أي العظمى على رسالتك متعلق بمحذوف على أنه حال
 من الكبرى والكبرى مقول ثان لتريك والتقدير لتريك الكبرى حال كونها من آياتنا أي
 بعض آياتنا واختلف أي الآيتين أعظم في الاعجاز فقال الحسن البدلانه تعالى قال لتريك من
 آياتنا الكبرى والذي عليه الأكثر أن العصا أعظم إذ ليس في السد الا تغير اللون وأما العصا
 ففيها تغير اللون وخلق الزيادة في الجسم وخلق الحياة والقدرة والاعضاء المختلفة وابتلاع
 الحجر والشجر ثم أعادتها عصا بعد ذلك فقد وقع التغير في كل هذه الأمور فكانت العصا أعظم
 وأما قوله تعالى لتريك من آياتنا الكبرى فقد ثبت انه عائد إلى الكلام وانه غير مختص باليد (فان
 قيل) لم يقل تعالى من آياتنا الكبرى (أجيب) بأن ذلك ذكر لرؤس الآي وقيل فيه اضمحار
 معناه لتريك من آياتنا الآية الكبرى وهذا التقدير يقوى قول القائل بأن اليد أعظم آية * ولا
 أظهر سبحانه وتعالى لموسى هذه الآيات عقبها بأمره بالذهاب إلى فرعون بقوله تعالى (أذهب)
 أي رسولاً (إلى فرعون) وبين تعالى العلة في ذلك بقوله تعالى (انه طغى) أي جاؤزاً لحد في كفره
 إلى أن ادعى الإلهية ولهذا خصه الله تعالى بالذكر مع أنه عليه السلام مبعوث إلى الكل قال
 وهب قال الله تعالى لموسى عليه السلام اسمع كلامي واحفظ وصيتي وانطلق برسالتى فانك بعينى
 ومعنى وان معك يدي ونصرتى وانى ألبسك جبة من سلطاني تستكمل بها القوة في أمرك أبعثك
 إلى خلق ضعيف من خلقي بطر نعمتى وأمن مكرى وغرته الدنيا حتى يحدقني وأنكر ربوبيتي
 أقسم بعزى لولا الحجة التي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت ببطشة جبار ولكن هان على وسقط
 من عيني فبلغه رسالتى وادعه إلى عبادتي وحذره نعمتي وقل له قولنا لا يفتر بلباس الدنيا فان
 ناصيته بيدي لا يطرف ولا يتنفس إلا بعلي في كلام طويل قال فسكت موسى عليه السلام سبعة
 أيام لا يتكلم ثم جاءه ملك فقال أجب ربك فيما أمرك فعند ذلك (قال رب اشرح لي صدري)
 أي وسعه لتعمل الرسالة قال ابن عباس يريد حتى لا أخاف غيرك والسبب في هذا السؤال ما حكى
 الله تعالى عنه في موضع آخر بقوله قال رب انى أخاف أن يكذبون ويفيق صدري ولا ينطلق
 لساني وذلك أن موسى عليه السلام كان يخاف فرعون العين خوفاً شديد الشدة شوكته وكثرة
 جنوده وكان يضيق صدره بما كلف من مقاومة فرعون وحده فسأل الله تعالى أن يوسع قلبه
 حتى يعلم أن أحداً لا يقدر على مضرتة إلا بإذن الله تعالى وإذا علم ذلك لم يخف فرعون وشدة
 شوكته وكثرة جنوده وقيل اشرح لي صدري بالفهم عنك ما أنزلت على من الوحي (ويسر)
 أي سهل (لى أمرى) أي ما أمرتني به من تبليغ الرسالة إلى فرعون وذلك لأن كل ما يصدر من
 العبد من الأفعال والأقوال والحركات والسكات فالله تعالى هو الميسر له (فان قيل) قوله لي
 في اشرح لي صدري ويسر لى أمرى ما جدواه والامر مستتم مستتب بدونه (أجيب) بأنه

قد أبهم الكلام أو لافقال اشرح لي ويسر لي فعمل ان ثم مشرو وحاو ميسرا ثم بين ورفع الاجهام
 بذكرهما فكان آكد لطلب الشرح لصدرة والتيسير لامره من أن يقول اشرح صدري ويسر
 امرى على الايضاح الساذج لانه تكرر المعنى الواحد من طريق الاجمال والتفصيل (واحلل
 عقدة من لسانی) قال ابن عباس كان في لسانه عليه السلام رنة وذلك أن موسى عليه السلام
 كان في حجر فرعون ذات يوم في صغره فلطم فرعون اطمة وأخذ بلحيمته فقال فرعون لا سمه
 امرأته ان هذا عدوى وأراد أن يقتله فقالت له آسمة انه صبي لا يعقل ولا يميز وفي رواية ان أم
 موسى لما فطمته ودته الى فرعون فنشأ موسى في حجر فرعون وامرأته بريانه واتخذاه ولدا فبينما
 هو ذات يوم يلعب بين يدي فرعون ويبيده قضيب يلعب به اذ رفع القضيب فضرب به رأس
 فرعون فغضب فرعون وتطير بضربه وهم يقتله فقالت آسمة أيها الملك انه صغير لا يعقل جربه ان
 شئت نجأت بطشتين في أحدهما جروفي الآخر جوهر فاراد ان يأخذ الجوهر فأخذ جبريل يد
 موسى عليه السلام فوضعهما على النار فأخذ جرة فوضعهما في فيه فاحترق لسانه وصارت عليه
 عقدة وقيل قربا اليه ثمرة جرة فأخذ الجرة فجعلها في فيه فاحترق لسانه ويروى أن يده احترقت
 وان فرعون اجتهد في علاجها فلم تبرأ ولمادعاه قال الى أي رب تدعوني قال الى الذي أبرأ يدي
 وقد عجزت عنها وعن بعضهم انهم تبرأ يده لثلايد خلها مع فرعون في قصعة واحدة فتعقد بينهما
 حرمة المواكلة وقيل كان ذلك التعقد خلقه فقال الله تعالى ازالته واختلفوا في أنه لم يطل حل
 تلك العقدة فقيل لثلايد خل في أداء الوحي وقيل لثلايد استخف بكلامه فينفروا عنه ولا
 يلتفتوا اليه وقيل لظاهر المعجزة كما أن حبس لسان زكريا عليه السلام عن الكلام كان معجزا
 في حقه فكذا اطلاق لسان موسى معجز في حقه واختلفوا في زوال العقدة بكلامه فقيل بقي
 بعضها لقوله وأخي هرون هوأ فصيح من لسانا و قول فرعون ولا يكاديين وكان في لسان الحسين
 ابن علي رضي الله تعالى عنهما رنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربهما من عمه موسى وقال
 الحسن زالت بالكلية لقوله تعالى قد أتيت سوئك يا موسى وضعف هذا الرازي بأنه عليه
 السلام لم يقل واحلل العقد من لسانی بل قال واحلل عقدة من لسانی فاذا حل عقدة واحدة
 فقد أتاه الله سؤله قال والحق أنه انحل أكثر العقد وبقى منها شيء وقال الزنخسري وفي تنكير
 العقدة ولم يقل واحلل عقدة لسانی انه طلب حل بعضها ارادة أن يفهم عنه فمما جيدا أي ولذا
 قال (يقفهوا) أي يفهموا (قولي) عند تبليغ الرسالة ولم يطلب الفصاحة الكاملة ومن لسانی
 صفة للعقدة كأنه قيل عقدة من عقد لسانی * (تنبيه) * استدلل على أن في النطق فضيلة عظيمة
 بوجود أولها قوله تعالى خلق الانسان علمه البيان غماهية الانسان هي الحيوان الناطق فانها
 اتفاق العقلاء على تعظيم أمر اللسان قال زهير

لسان الفتي نصف ونصف فؤاده * فلم يبق الا صورة اللحم والدم

وقالوا ما الانسان لولا اللسان الابهية مرسله أي لو ذهب النطق للسانی لم يبق من الانسان
 الا القدر الحاصل في البهائم وقالوا المرء بصغره قلبه ولسانه وقالوا المرء مجبور تحت لسانه

ثالثها ان في مناظرة آدم عليه السلام مع الملائكة ما ظهرت الفضيلة الا بالنطق حيث قال يا آدم
 انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض * ولما
 رأى موسى عليه السلام أن التعاون على الدين والتظاهر عليه مع مخالصة الود ووزوال التهمة
 قربة عظيمة في الدعاء الى الله تعالى طلب المعاونة على ذلك بقوله (واجعل لي وزيراً) أي معينا
 على الرسالة ولذلك قال عيسى بن مريم عليه السلام من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن
 أنصار الله وقال محمد صلى الله عليه وسلم ان لي في السماء وزيرين وفي الارض وزيرين فالذنان
 في السماء جبريل وميكائيل والذنان في الارض أبو بكر وعمر وقال صلى الله عليه وسلم اذا أراد
 الله تعالى بملك خيراً اقبض له وزيراً صالحاً انسى ذكره وان نوى خيراً أعانه وان أراد شراً كفه
 وقال أنوشروان لا يستغنى أجود السيوف عن الصقل ولا أكرم الدواب عن السوط ولا أعلم
 الملوك عن الوزراء * ولما كان التعاون على الدين منقمة عظيمة أراد أن لا تحصل هذه الدرجة الا
 لاهله فقال (من أهلي) أي أقاربي وقوله (هرون) قال الجلال المحلي مفعول ثان وقوله (أخي)
 عطف بيان وذکر غيره أعارب غير ذلك لاحاجة لنا بذکرها * (تنبيه) الوزير مشتق من الوزر
 لانه يتصل عن الملك أوزاره ومؤنه أو من الوزر لان الملك يعتصم برأيه ويلجئ اليه أموره
 أو من الموازنة وهي المعاونة قال الرازي وكان هرون مخصوصاً بأموار منها النصيحة لقول
 موسى هو أفصح مني لساناً ومنها الرفق لقول هرون يا ابن أم لا تأخذ بطبعي ولا برأسي ومنها
 أنه كان أكبر سنماًه وقال ابن عادل كان أكبر سنماً من موسى بأربع سنين وكان أفصح لساناً
 منه وأجمل وأوسم ابيض اللون وكان موسى آدم اللون ألقى جعداً * ولما طلب موسى عليه
 السلام من الله تعالى أن يجعل هرون وزيراً له طلب منه أن يشد أزره بقوله (اشدده أزرى)
 أي أقوى به ظهري (وأشركه في أمرى) أي في النبوة والرسالة وقرأ ابن عامر بسكون الياء
 من أخي وهمزة مفتوحة من أشدد وهو على مرتبة في المدوهمزة مضمومة من أشركه وابن
 كثير وأبو عمرو وفتح الياء من أخي وهمزة وصل من اشدد وأشركه بهمزة مفتوحة والباقون
 بسكون الياء من أخي وهمزة وصل من اشدد وفتح الهمزة من أشركه ثم انه تعالى حكى عنه
 ما لاجله دعا بهذا الدعاء فقال (كي تسبحك) تسيحاً (كثيراً) قال الكلبي نصلي لك كثيراً
 فحمدك وتبني عليك والتسيح تنزيه الله تعالى في ذاته وصفاته عما يليق به (وذكرك) ذكر
 (كثيراً) أي نصفك بصفات الكمال والجلال والكبرياء وجوزأب البقاء أن يكون كثيراً انصفاً
 زماناً محذوف أي زماناً كثيراً (انك كنت نبأ بصيراً) أي عالماً بالانذار بدينهم هذه الطاعات
 الا وجهك ورضالك أو بصيراً بأن الاستعانة بهذه الاشياء لاجل حاجتي في النبوة اليها أو بصيراً
 بوجوده مصالحنا فأعطانا ما هو الاصلح لنا * ولما سأل موسى عليه السلام ربه تلك الامور المتقدمة
 وكان من المعالوم أن قيامه بما كتب به لا يتم الا باجابه اليها لاجرم (قال) الله تعالى (قد أوتيت
 سؤالك يا موسى) أي أعطيت جميع ما سألته من اعطيتك لما فيه من وجوه المصالح (ولقد مننا عليك
 مرة أخرى) أي انعمنا عليك في وقت آخر وفي ذلك تنبيه على أموراً أحدها كانه تعالى قال اني

واعبت مصلحتك قبل سؤالك فكيف لأعطيك مرادك بعد السؤال ثانياً انى كنت
ريبتك فلو منعك الآن كان ذلك رداً بعد القبول واساءة بعد الاحسان فكيف يليق بكرمى
ثالثاً اننا أعطينا فى الأزمنة السالفة كل ما اختبئ اليه وورقيناك الدرجة العالية وهى منصب
النبوته فكيف يليق بمثل هذه التريية المنع عن المطلوب (فان قيل) لم ذكر تلك النعم بلفظ المنه
مع أن هذه اللفظة مؤذيه والمقام مقام تल्पف (أجيب) بأنه اعتماد ذلك ليعرف موسى
عليه السلام أن هذه النعم التى وصل اليها ما كان مستحقا لى منها بل انما خصه الله تعالى بها
لمحض فضله واحسانه (فان قيل) لم قال مرة أخرى مع أنه تعالى ذكر معنا كثيرة (أجيب) بأنه
لم يعن بمره أخرى واحدة من المن لان ذلك قد يقال فى القليل والكثير ثم بين تلك المنه وهى عمانيه
أو لها قوله تعالى (أذأوحينا الى أمك) وحيا لاعلى وجه النبوة اذ المرأه لا تصلح للقضاء ولا للإمامه
ولا تلى عندا كثر العلماء تزويج نفسها فكيف تصلح للنبوته ويدل على ذلك قوله تعالى وما
أرسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم والوحى جاء ليعنى النبوة فى القرآن كثير اقال تعالى وأوحى
ربك الى النحل واذأوحيت الى الخواريين ثم اختلفوا فى المراد بهذا الوحى على وجوه أحدها
أنه رؤيا رأها أم موسى وكان تأويلها وضع موسى فى التابوت وقذفه فى البحر وأن الله تعالى يرده
عليها ثانياً انه عزيمه جائمه وقعت فى قلبها دفعة واحدة ثالثاً المراد خطور البال وغلبته على
القلب (فان قيل) هذه الوجوه الثلاثة يعترض عليها بأن اللقاء فى البحر قريب من الاهلال وهو
مسا وللخوف الحاصل من القتل المعتاد من فرعون فكيف يجوز الاقدام على أحدهما لاجل
الصيانة عن الثانى (أجيب) بأنم العله اعرفت بالاستقرار صدق رؤياها فكان اللقاء فى البحر
الى السلامة أغلب على ظنهما من وقوع الولد فى يد فرعون رابعها العله أوحى الى بعض الانبياء
فى ذلك الزمان كشعب عليه السلام وأغيره ثم ان ذلك النبي عرفها اتمام مشافهة أمره اسئلة
واعترض على هذا بأن الأمر لو كان كذلك لما لحقها الخوف (وأجيب) بأن ذلك الخوف كان
من لوازم البشرية كما ان موسى عليه السلام كان يخاف فرعون مع أن الله تعالى كان أمره
بالغهاب اليه مرارا خاصها العلى بعض الانبياء المتقدمين كإبراهيم واسحق ويعقوب عليهم
السلام أخبروا بذلك الخبر وانتهى ذلك الخبر الى امه سادسها العلى الله تعالى بعث اليها ملكا
لاعلى وجه النبوة كما بعث الى مريم فى قوله فتمثل لها بشرا سويا وأما قوله تعالى (ما يوحى) فمعناه
ما لا يعلم الا بالوحى أو ما ينفسى أن يوحى ولا يحصل به لعظم شأنه وفرط الاهتمام ويبدل منه
(ان اقد فيه) أى ألقبه (فى التابوت) أى ألقبها أن اجعلها فى التابوت (فان قد فيه) أى
موسى بالتابوت (فى اليم) أى نهر النيل (فليلقه اليم بالساحل) أى شاطئه والامر عنى الخبر
والضمائر كلها لموسى فلقذف فى البحر والملقى الى الساحل هو موسى فى جوف التابوت
حتى لا تفرق الضمائر فبينما فرقتنا فرم النظم الذى هو أم اجزاء القرآن والقانون الذى وقع عليه التحدى
ومر اعانه أهم ما يجب على المقسر (تنبيه) اليم البحر والمراد به هناتيل مصر فى قول الجميع
واليم اسم يقع على النهر والبحر العظيم قال الكسافى والساحل فاعلى بمعنى مفعول سمى بذلك

لأن الماء يسهله أي يصبره إذا علاه وقوله تعالى (ياخذة عدو لي وعدو له) أي فرعون جواب
 فليقله وتكرير عدو للمبالغة أولان الأول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع أي سيصير
 عدو له بعد ذلك فإنه لم يكن في ذلك الوقت بحيث يعادي وروى أنها اتخذت نابوتا قال مقاتل
 إن الذي صنع التابوت حزقيل مؤمن آل فرعون وجعلت في التابوت قطنا محلوها فوضعت فيه
 وجصصته وقبرته ثم ألقته في اليم وكان يشرع منه إلى بستان فرعون ثم كبر فبينما هو جالس
 على رأس بركة مع أسية بنت مزاحم إذا بتابوت يجري به الماء فأمر فرعون القنان والجواري
 بأنزاجه فأخرجوه وفحصوا رأسه فاذا صبي أصبح الناس وجهها فأحبه عدو الله حباً شديداً
 لا يتماثل أن يصبر عنه كما قال تعالى (وألقيت عليك محبة مني) وهذه هي المنة الثانية قال
 الزمخشري مني لا يتناول ما أن يتعلق بالقيت فيكون المعنى على أني أحببتك ومن أحبه الله أحبته
 القلوب وإنما أن يتعلق بمحذوف وهو صفة لمحبة أي محبة خالصة أو واقعة مني قدر مركزتها
 أنافي القلوب وزرعها فيها فلذلك أحب فرعون وأسية حتى قالت قرة عين لي ولك لا تقتلوه وروى
 أنه كان على وجهه مسحة جمال وفي عينه ملاحه لا يكاد يصبر عنه من براه وهو كقوله تعالى
 سيجعل لهم الرحمن وذا المنة الثالثة قوله تعالى (ولتصنع على عيني) أي تربي على رعايتي
 وحفظي لك فأمر أعميك ومر أعميك كما يراعى الرجل الشيء بعينه إذا اعتنى به ويقول للصانع
 اصنع هذا على عيني أنظر إليك لا لتخالف به عن مرادى وبغيتي * (تنبه) * لتصنع معطوف
 على علاه مضمرة مثل لتلطف بك وتصنع أو على الجملة السابقة باضمار فعل معلل مثل فعلت ذلك
 وقرأ بفتح الباء نافع وابن كثير وأبو عمرو وسكنها الباقون المنة الرابعة قوله تعالى (اذتشي
 أختك) والعامل في إذ ألقيت أو تصنع ويجوز أن يكون بدل من إذ أوحينا واستشكل بأن
 الوقتين مختلفان متباعدان (وأجيب) بأنه يصح مع اتساع الوقت كما يصح أن يقول لك الرجل
 لقيت فلان سنة كذا فتقول وأنا لقيته اذ ذلك وبعالقيه هو في أولها وأنت في آخرها فتقول
 هل أدلكم على من يكفله) بروى أن أخته واسمها حريم جاءت متعرفة خبره فصادفتم بطلبون له
 مرضعة يقبل ثديها وذلك أنه كان لا يقبل ثدي امرأه فقالت لهم ذلك فقالوا نعم فجاءت بالأم
 فقبل ثديها فذلك قوله تعالى (فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها) بلطائفك ورؤيتك (ولا تحزن)
 أي هي بفراقك وأنت بفراقها وفقد اشفاقها وروى أن أسية استوهبت من فرعون وتبته
 وهي التي أشقت عليه وطلبت له المرضع المنة الخامسة قوله تعالى (وقلت نفساً) قال ابن
 عباس هو الرجل القبطي الذي قتله خطأ بأبوه صكره حين استغاثه الأسرايلي إليه قال
 الكسائي كان عمره اذ ذلك اثنتي عشرة سنة (فهيمنالك من الغم) أي من غم قتله خوفاً من
 اقتصاص فرعون كما قال تعالى في آية فأصبح في المدينة خائفاً يترقب بالمهاجرة إلى مدين المنة
 السادسة قوله تعالى (وقتنا لتقربنا) قال ابن عباس اختبرناك اختياراً وقيل لتبينالك ابتلاء
 قال ابن عباس التقون وقوعه في محنة بعد محنة وخلصه الله تعالى منها أولها إن أمته جلته
 في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأطفال ثم القاه في البحر في التابوت ثم منعه الرضاع

الامن لدى أمه ثم أخذها بطيعة فرعون حتى هم بقتله ثم تناوله الحجر بدل الجوهره ثم قتله المقبلي
 وخروجه الى مدين خاتفا (فان قيل) انه تعالى عدد أنواع مننه على موسى في هذا المقام
 فكيف يليق بهذا الموضوع وقتنا التقونا (أجيب) بجوابين الاول قتنا أى خلاصنا كتحليصنا
 من قولهم قنت الذهب اذا أردت تحليصه من الفضة وأخوها الثاني ان الفضة تشبه الحديد المحنة
 يقال قتن فلان عن دينه اذا اشتدت عليه المحنة حتى يرجع عن دينه قال تعالى فاذا أودى
 في الله جعل قسمة الناس كعذاب الله وقال تعالى ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا
 وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ولما كان
 التشديد في المحنة يوجب كثرة الذواب عدده الله تعالى من جملة النعم وتقدم تفسير ابن عباس
 وهو قريب من ذلك (فان قيل) هل يصح اطلاق الفتان على الله تعالى استمقا من قوله تعالى
 وقتنا تقونا (أجيب) بأنه لا يصح لانه صفة ذم في العرف وأسماؤه الله تعالى بوقفية لا سيما فيما
 يوهم ما لا ينبغي المنه السابعة قوله تعالى (فلبنت سنين في أهل مدين) والتقدير وقتنا كخروجت
 خاتفا الى أهل مدين فلبنت سنين فيهم عند شعيب عليه السلام وترزجت بابتها وهي اما عشر
 أو عان لقوله على أن تأجرني ثمانى حجج فان أعمت عشرا فني عندك وقال وهب لبنت موسى
 عند شعيب عليه السلام ثمانا وعشرين سنة منها عشر سنين مهورا منه فانه قضى
 أوفى الاجلين والآية على انه لبنت عشر سنين وليس فيها ما يتنى الزيادة على العشر كما قاله
 الرازي وان قال ابن عادل يردده قوله تعالى فلما قضى موسى الاجل أى الاجل المشروط عليه
 في تزويجه وسار بأهله ومدين بلدة شعيب على ثمان مراحل من مصر (ثم جئت على قدر) أى
 على القدر الذى قدرت أنك تجي فيه لان أكلك وأسست بشك غير مستقدم وقبه المعين
 ولا مستأخر وقال عبد الرحمن بن كيسان على رأس أربعين سنة وهو القدر الذى يوحى فيه
 للانبيا وهذا قول أكثر المفسرين أى على الموعد الذى وعد الله وقدر أنه يوحى اليه بالرسالة
 وهو أربعون سنة وكثر تعالى قوله (يا موسى) عقب ما هو غاية الحكاية للتنبية على ذلك المنه
 الثامنة قوله تعالى (واصطنعتك) أى اخترتك لنفسى لاصر فلك فى أوامرى لثلاث شغل
 الاعمال أمرتك به وهو اقامة حجتي وتبليغ رسالتى وأن تكون فى حركاتك وسكناتك لى لانفسك
 ولاغيرك ثم بين تعالى ماله اصطنعه وهو الابلاغ والاداء بقوله تعالى (أذهب أنت وأخوك
 يا آتقى) أى بمجزأتى وقال ابن عباس الآيات التسع التى بعث بهاموسى وقيل انها العصا
 واليد لانهما اللذان جرى ذكرهما فى هذا الموضوع ولم يذكر انه عليه السلام أوفى قبل مجيئه الى
 فرعون ولا بعد مجيئه حتى لقي فرعون فالتمس منه آية غير هاتين الآيتين قال تعالى حكاية عن
 فرعون ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين
 ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين وقال تعالى فذاتك برهانك من ربك الى فرعون ومثله (فان
 قيل) كيف أطلق لفظ الجمع على الاثنين (أجيب) بأن العصا كانت آيات انقلابها حيوانا
 ثم انها فى اول الامر كانت صغيرة لقوله تعالى تهتز كأنها جان ثم كانت تعظم وهذه آية أخرى ثم

كانت تصبر نعبانا وهذه آية أخرى ثم انه عليه السلام كان يدخل يده في فيها فكانت تضمره
 فهذه آية أخرى ثم كانت تنقلب خشبة فهذه آية أخرى وكذلك المدقان يساها آية وشعاعها
 آية أخرى ثم زالها بعد ذلك آية أخرى فدل ذلك على انها كانت آيات كثيرة وقيل الآيات
 العساو واليد وحل عقدة لسانه وقيل معناه أمد كبا آياتي وأظهر على أيديكم من الآيات
 ما تنزاح به العلال من فرعون وقومه (ولانثيا) أي لا تقرا ولا تقصرا (في ذكرى) أي بتسبيح
 وغيره فان من ذكر جلال الله استخف غيره فلا يخاف أحدا وتقوى روحه بذلك الذكر فلا
 تضعف في مقصوده ومن ذكر الله لا بد وأن يكون ذا كرا حسانه وذا كرا احسانه لا يضتر في أداءه
 وأمره وقيل لانتفايا في ذكرى عند فرعون بأن تذكر الصرعون وقومه أن الله لا يرضى منهم
 الكفر وئذ كراههم أمر الثواب والعقاب والترغيب والترهيب وقيل المراد بالذكري تبليغ الرسالة
 (اذها الى فرعون انه طغي) أي باذعاء الربوبية * (تنبيه) * ذكر الله تعالى المذهب اليه هنا وهو
 فرعون وحذفه في قوله اذهب أنت وأخوك با آياتي اختصارا في الكلام وقال القفال فيه
 وجهان أحدهما أن قوله اذهب أنت وأخوك با آياتي يحتمل أن يكون كل واحد منهما مأمورا
 بالذهاب على الانفراد فقيل مرة أخرى اذهب بالعرفان المراد منه أن يشتغل بذلك جميعا لأن
 ينقربه أحدهما دون الآخر والثاني أن قوله اذهب أنت وأخوك با آياتي أمر بالذهاب الى كل
 الناس من بني اسرائيل وقوم فرعون ثم ان قوله تعالى اذهب الى فرعون أمر بالذهاب الى فرعون
 وحده واستبعد هذا بل الذهابان متوجهان لشي واحد وقد حذف من كل من الذهابين ما أثبتته
 في الآخر وقيل انه حذف المذهب اليه من الأول وأثبتته في الثاني وحذف المذهب به وهو
 با آياتي من الثاني وأثبتته في الأول (فقولا له قولنا) أي مثل هل لك الى أن تزكي وأهديك الى
 ربك فتعنى فانه دعوة في صورة عرض ومشورة (فان قيل) لم أمر الله تعالى بالين مع الكافر
 الجاحد (أجيب) بأن عادة الجبار اذا أغلظ عليه في الوعظ يزداد عتوا وتكبيرا فأمر بالين
 حذرا من أن تحمله الحماقة على أن يسطو عليهم ما احتراما لله من حق التريسة وقيل كنياه
 وكان له ثلاث كنى أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة وقيل عداه شبا بالاهرم بعده وملكا
 لا يزل الاباوت وأن تبقى له لذة الطعام والمشرب والمنسكح الى حين موته واذا مات دخل الجنة
 فأعجبه ذلك وكان لا يقطع أمر ادون هاما وكان غابا فلما قدم أخبره بالذي دعاه اليه موسى
 وقال أردت أن أقبل منه فقال له هاما كنت أرى ان لك عقلا ورأيا أنت رب تريد أن تكون
 حروبا وأنت تعبد تريد أن تعبد فقلبه على رأيه وقوله تعالى (لعله يتذكر أو يخشى) متعلق بأذها
 أو قولا أي باشرا الامر على رجائك وطمعك كما مباشرة من رجو ويطمع أن يفر عمله ولا يخيب
 سعيه فهو يجتهد بطوقه ويسعى بالقصى وسعه قال الزمخشري ولا يستقيم أن يراد ذلك في حق
 الله تعالى اذ هو عالم بمواقب الامور وعن سيبويه كل ما ورد في القرآن من لعل وعسى فهو
 من الله واجب بمعنى انه يستحيل بقا معناه في حق الله تعالى وتحال القراء ان لعل بمعنى كي فتعبد
 العلية كما تقول لعل هلك تأخذ أجزتك * (فائدة) * قرأ رجل عندي يحيى بن معاذ فقولا له قولا

لينا فيك يحيى وقال الهى هذا برك بن يقول أنا الاله فكيف برك بن يقول أنت الاله (فان قيل)
ما الفائدة في ارسالهما والمبالغة عليهم ما في الاجتهاد مع علمه تعالى بأنه لا يؤمن (أجيب) بأن ذلك
لازما للجنة وقطع العذرة واطهار ما حدث في تضاعيف ذلك من الآيات والتذكير للمحقق
والخشية للمتوهم ولذلك قدم الاول أى ان لم يتحقق صدقكم ولم يتذكر فلا أقل من أن يتوهمه
فيخشى ويروى عن كعب انه قال والذي يصف به كعب انه لمكتوب في التوراة فقوله
قولنا لينا وسأقضى قلبه فلا يؤمن ولقد نذ كز فرعون وخشى حين لم تنفعه الذكرى والخشية
وذلك حين ألقه الفرق قال آمنتم أنه لاله الا الذى آمنتم به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين
ثم أن موسى وهرون (قالا ربنا اننا نخاف أن يقرط) أى يجعل (علينا) بالعقوبة (أو أن يطغى)
أى يتجاوز الحد في الاساءة علينا (فان قيل) لما تكرر الامر من الله تعالى بالذهاب فعدم
الذهاب والتعلل بالخوف هل يدل على معصية (أجيب) بأن الامر ليس على الفور فسقط
السؤال وهذا من أقوى الدلائل على أن الامر لا يقتضى الفور (فان قيل) قوله تعالى قال
ربنا يدل على أن المتكلم موسى وهرون ولم يكن هرون هناك حاضرا (أجيب) بأن الكلام كان
مع موسى الا أنه كان متبوع هرون فجعل الخطاب معه خطا بامع هرون وكلام هرون على سبيل
التقدير في تلك الحالة وان كان موسى وحده الا أنه تعالى أضافه اليهما كما في قوله تعالى
واذ قلتم نفسا فاذا رآتم فيها وقوله لن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روى أن
القائل عبد الله بن أبى وحده (فان قيل) ان موسى عليه السلام قال رب اشرح لى صدرى
فأجابته الله تعالى بقوله قدأوتيت سؤلك يا موسى وهذا يدل على أنه تعالى قد شرح صدره وبسرله
ذلك الامر فكيف قال بعده اننا نخاف فان حصول الخوف يمنع من حصول شرح الصدر
(أجيب) بأن شرح الصدر عبارة عن تقويته على ضبط تلك الاوامر والنواهي وحفظ تلك
الشرايع على وجه لا يتطرق اليها السهو والتخريف وذلك شئ أخرجه عن الخوف (قال) الله
تعالى لهما (لا تخافا انى معكما) حافظكما وناصركا (اسمع وأرى) أى ما يجرى بينكما وبينه
من قول وفعل فأفعل ما يوجب حفظى ونصرى وقال ابن عباس اسمع دعاءكما فأجيبه وأرى
ما يراذكما فامنع فليست بغافل عنكما فلا تهتما وقال القفال قوله تعالى اسمع وأرى يحتمل أن
يكون من قبيل لقوله تعالى يقرط علينا وأن يطغى يقرط علينا بأن لا يسمع منا أو أن يطغى بأن
يشتملنا قال تعالى انى معكما اسمع كلامكما فأسخره للاستماع منكما وأرى أفعاله فلا تركه حتى يفعل
بكما ما تكرهانه ثم انه سبحانه وتعالى أعاد ذلك التكليف فقال (فأنتباه) لانه سبحانه وتعالى قال
في المرة الاولى اذهب الى فرعون وفي الثانية قال اذهب أنت وأخوك وفي الثالثة قال اذهب
الى فرعون وفي الرابعة قال ههنا فأنتباه (فان قيل) انه تعالى أمرهما في الثانية بأن يقولاه
قولنا لينا وههنا أمرهما بقوله تعالى (فقولانا رسولا ربك فأرسل معنا بنى اسرائيل) أى الى
الشأم (ولا تعذبهم) أى خل عنهم من استعمالك اياهم في اشغالك الشاقة كالحفر والبناء وجعل
الثقل وقطع الحضور وكان فرعون يستعملهم في ذلك مع قتل الاولاد وفي هذا تعظيظ من رجوعه

الأول قوله انارسلوك لربك وهذا يقتضى اقتياده لهما والتزامه لهما وما وذلك يعظم على الملائكة
 المتبوع الثاني قولهما فأرسل معنا بنى اسرائيل فيه ادخال النقص على ملكه لانه كان محتاجا
 اليهم فيما يريد من الاعمال أيضا الثالث قولهما ولا تعذبهم الرابع قولهما (قد جئناك بآية من
 ربك) فما الغايد في التليين أولا والتغليظ ثانيا (أجيب) بأن الانسان اذا ظهر بلحاجه فلا بد له
 من التغليظ حيث لم ينفع التليين (فان قيل) أليس الاولى أن يقول انارسلوك لربك قد جئناك
 بآية فأرسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم لان ذكر المعجز مقرونا بالدعاء للرسالة الاولى من تأخير
 عنه (أجيب) بأن هذا أولى لانهما ذكر مجموع الدعوى ثم استدلا على ذلك المجموع بالمعجز
 وقولهما قد جئناك بآية من ربك قال الزنجشري هذه الجملة تجارية من الجملة الاولى وهى انا
 رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لان دعوى الرسالة لا تثبت الا بينتهما التى هى مجرى الآية
 (فان قيل) ان الله تعالى قد أعطاها آيتين هما العصا واليد ثم قال تعالى اذهب أنت وأخوك
 بآياتي وذلك يدل على ثلاث آيات وقالاهنا قد جئناك بآية من ربك وذلك يدل على أنها كانت
 واحدة فكيف الجمع (أجيب) القفال بأن معنى الآية الاشارة الى جنس الآيات كأنهم قالوا
 قد جئناك ببينات من عند الله ثم يجوز أن يكون ذلك جملة واحدة أو مجما كثيرة وتقدم الجواب
 عن التثنية والجمع وأن في العصا واليد آيات وقوله تعالى (والسلام على من اتبع الهدى) يحتمل
 أن يكون من كلام الله تعالى كأنه تعالى قال فقولا انارسلوك لربك وقولاه والسلام على من اتبع
 الهدى ويحتمل أن يكون كلام الله قد تم عند قوله قد جئناك بآية من ربك وقوله تعالى بعد
 ذلك والسلام على من اتبع الهدى وعدم من قبله ما لمن آمن وصدق بالسلامة له من عقوبات
 الله فى الدنيا والاخرة أو أن سلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتمدين وقال بعضهم ان على معنى
 اللام أى والسلام لمن اتبع الهدى كقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وقال
 تعالى فى موضع آخر ان أحسنتم أحسنتم لافسكنم وان أسأتم فلها (انا قد أوحى اليك انان
 العذاب على من كذب) ما جئنا به (ولولى) أعرض عنه قال البضاوى ولعل تغيير النظم
 والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لان التهديد فى أول الامر أهم وأنجح وبالواقع المتيقن وما
 آتياه وقال انارسلوك وبلغاه ما أمر به (قال) لهما (فبن ربك يا موسى) انما نادى موسى
 وحده بعد مخاطبته لهما معا اما لان موسى هو الاصل فى الرسالة وهرون تبع ورد وزير واما
 لان فرعون كان تخشع به علم الرتبة التى كانت فى لسان موسى عليه الصلاة والسلام ويعلم فصاحة
 أخيه بدليل قوله هو أفصح من لسانا فاراد أن يفهمه ويدل عليه قول فرعون ولا يكاديين وأما
 لانه حذف المعطوف للعلم به أى يا موسى وهرون قاله أبو البقاء ثم ان فرعون لم يشغل مع
 موسى بالبطش والايذاء لمادعاه الى الله تعالى مع أنه كان شديدا القوة عظيم القلبة كثير العسكر
 بل خرج معه فى المناظرة لانه لو أذاه لتسب الى الجهل والسفاهة فاستسكف من ذلك وشرع
 فى المناظرة وذلك يدل على ان السفاهة من غير جهة لم يرضه فرعون مع كمال جهله وكفره فكيف
 يلقى ذلك بن يدعى الاسلام والعلم (تنبيه) قال ههنا بن ربك يا موسى وقال فى سورة الشعراء

ومارب العالمين وهو سؤال عن الماهية فهماسؤالان مختلفان والواقعة واحدة قال ابن عادل
والاقرب أن يقال سؤال من كان مقدما على سؤال مالانه كان يقول اني أنا الله والرب فتسال عن
ربكما فلما قام موسى الدلالة على الوجود وعرف أنه لا يمكنه أن يقاومه في هذا المقام لظهوره
وبجلانه عدل الى طلب الماهية لان العلم بماهية الله تعالى غير حاصل للبشر (فان قيل) لم قال عن
ربكما ولم يقل عن الهسكا (أجيب) بأنه أثبت نفسه ربا في قوله ألم نربك فينا وليند اذ ك ذلك على
سبيل التعجب كأنه قال أناربك فلم تدع ربا آخر وهذا يشبه كلام عمرو ذحين قال له ابراهيم ربي
الذي يصي ويميت قال له عمرو ذنا أنا حسي وأمت فلم تكن الامانة التي ذكرها ابراهيم هي الامانة
مع الاحياء التي عارضه عمرو ذينها الا في اللفظ فكذا ههنا لما ادعى موسى ربوبية الله تعالى ذكر
فرعون هذا الكلام أي أنا الرب الذي ربيتك ومعلوم ان الربوبية التي ادعاها موسى عليه
السلام غير الربوبية في المعنى وأنه لا مشاركة بينهما * ثم كأنه قيل فما أجاب به موسى فقيل
(قال) مستدلا على اثبات الصانع بأحوال المخلوقات (ربنا الذي أعطى كل شيء) أي من الأنواع
(خلقته) أي صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به كما أعطى العين الهيئة التي تطابق
الابصار والاذن الشكل الذي يوافق الاسماع وكذلك الانف واليد والرجل واللسان كل
واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير بناء عنه أو أعطى كل حيوان نظيره
في الخلق والصورة حيث جعلى الحصان والحجرة زوجين والبحير والناقة كذلك والرجل والمرأة
كذلك فلم يزوج منهما شيئا غير جنسه وما هو على خلاف خلقته (ثم هدى) أي ثم عرف الله تعالى
الحيوان الكائن من المخلوق كيف يرتفق بما أعطى وكيف يتوصل اليه قال الزخشمري وقته در
هذا الجواب ما أحضره وما أجمعه وما أيه لمن ألقى الذهن ونظره بين الانصاف وكان طالبا
للعق * ولما خاف فرعون أن يزيد موسى في اظهار تلك العجبة فيظهر للناس صدقه (قال) لموسى
(قبايل) أي حال (القرون) أي الامم (الاولى) كقوم نوح وهو دلو وط صالح في عبادتهم
الاورثان فانها كانت تعبد الاوثان وتنكر البعث عن شق منهم ومن سعدا أراد أن يصرفه عن
ذلك الكلام ويشغله بهذه الحكايات فلم يلتفت اليه فلذلك (قال عليها عند ربي) استأثر به لا يعلمه
الا هو وما أنا الا عبد مثلكم لا أعلم منه الا ما أخبرني به علام الغيوب وعلم أحوال هذه القرون
مثبت عند ربي (في كتاب) هو اللوح المحفوظ ويجوز أن يكون ذلك تخمينا لتكتمه في علمه تعالى
بما استخفظه العالم وقيدته بالكتابة ويؤيده قوله (لا يضل ربي ولا ينسى) والضل أن يخطئ
الشي في مكانه فلم يمتد اليه والنسيان أن يذهب عنه بحيث لا يحظر بياله وهما محالان على علام
الغيوب بخلاف العبد الذليل والبشر الضئيل أي لا يضل تعالى ولا ينسى كما تفضل أنت
وتنسى يا مدعي الربوبية بالجهل والوفاحة ثم عاد الى تميم كلامه الاول وبراذا الدلائل الظاهرة على
الوحدانية فقال (الذي جعل لكم) في جملة الخلق (الارض مهيدا) أي فراشا
* (تنبيه) * هذا الموصول في محلي رفع صفة لربي وخبره محذوف تقديره هو أرض منسوب
على المدح وقرأ عاصم وحجزة هنا وفي سورة الزخرف مهيدا بفتح الميم وسكون الهاء أي

مهداهمهد أو تهديونها فهي لهم كالمهاد وهو ما يهد للصبي وقرأ الباقر بكسر الميم وفتح
 الهاء وألف بعدها وهو اسم ما يهد كالفراس أو جمع مهد (وسأل) أي سهل لكم فيها
 (سبلا) أي طرقا بين الجبال والأودية والبراري تسلكونها من أرض إلى أرض لتبلغوا
 منافعها (وأُنزل من السماء ماء) أي مطرا وعدل بقوله (فأخرجنا به) عن لفظ الغيبة إلى صبغة
 التكلم على الحكاية لكلام الله تعالى تنبيها على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال قدرته
 والحكمة وايدأنا بأنه مطاع تتقاد الأسماء المختلفة لمشيئته وعلى هذا نظر آية قوله تعالى
 ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها أم من خلق السموات والأرض
 وأنزل لكم من السماء ماء فأنسبناه حدائق (أزواجا) أي أصنافا سميت بذلك لانها من دوحه
 مقترنه بعضها مع بعض وقوله تعالى (من نبات) بيان وصفه لازواجا وكذلك (شئ) وهو جمع
 شئب من شت الامر تفرق نحو مرضى جمع مريض وجرحى جمع جريح فألفه للتأنيث أي
 أزواجا بمنزلة وتزوجوا أن يكون صفة للنبات فانه من حيث انه مصدر في الاصل يستوي فيه
 الواحد والجمع أي انها مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل بعضها يصلح للناس
 وبعضها للبهائم فلذلك قال تعالى (كأوا وارعوا أنعامكم) والانعام جمع نعم وهي الأبل والبقر
 والغنم يقال رعت الانعام ورعيتها والامر للإباحة وتذكر النعمة والجله حال من ضمير أخرجنا
 أي مبيحين لكم الأكل ورعى الانعام أي وقية الحيوانات (أن في ذلك) أي فماد كرت من هذه
 النعم (آيات) أي عبرا (الاولى النهى) أي أصحاب العقول جمع نهيمة كقرفة وغرف هي به
 العقل لانه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح * ولما ذكر سبحانه وتعالى منافع الارض والسماء
 بين أنما غيبه مطلوبه لذاتها بل هي مطلوبه لتكونها وسائل للمنافع الاخره فقال (منها) أي
 الارض (خلقناكم) * فان قيل انما خلقنا من النطفه على ما بين في سائر الآيات (أجيب)
 بأوجه أحدها انه لما خلق أصلنا آدم علمه السلام من تراب كما قال تعالى كمثل آدم خلقه من
 تراب حسن اطلاق ذلك علينا ثابها أن تولد الانسان انما هو من النطفه ودم الطمث وهما
 متولدان من الاغذية والغذاء اما حيواني أو نباتي والحيواني ينتهي الى النبات والنبات انما
 يحدث من امتزاج الماء والتراب فصح انه تعالى خلقنا منها وذلك لا شافي كوننا مخلوقين من
 النطفه نالها روى ابن مسعود ان ملك الارحام يأتي الى الرحم حين يكتب أجل المولود وورقه
 والارض التي يدفن فيها فانه يأخذ من تراب تلك البقعه ويثره على النطفه ثم يدخلها في الرحم
 وأخرج ابن المنذر عن عطاء الخراساني قال ان الملك ينطق فيما أخذ من تراب المكان الذي يدفن
 فيه فيذره على النطفه فيخلق من التراب ومن النطفه (وقم اعبدكم) أي مقبورين بعد الموت
 (ومنها يخرجكم) أي عند البعث (تارة) أي مرة (أخرى) أي تأتأب أجزاءكم المتفتنة
 المتخلطه بالتراب وتردهم كما كانوا أحياء ويخرجهم الى المحشر يوم يخرجون من الاجداث
 سراعا ولما كان المقام لتعظيم القدرة عطف عليه قوله تعالى (ولقد آريناه) أي أبصرناه
 (آياتنا كلها) أي التسع المختصه بموسى عليه السلام وهي العصا واليد وقلق البحر والحجر

قوله وهي العصالخ
 فيه أن الخبز يتق
 الجبل كالباعد غرق
 فرعون وعبارة
 الجبل وتقدم أن غايته
 منها في الاعراف
 الاولى والثانية قوله
 فألقى عصاه فاذا هي
 ثعبان مبين وزرع يده
 الخ والثالثة قوله
 ولقد أخذنا آل
 فرعون بالسنين
 ونقص من الثمرات
 وخسة في قوله
 فأرسلنا عليهم
 الطوفان والجراد
 والقمل والضفادع
 والدم وواحدة
 في سورة يونس قوله
 ربنا اطمس على
 أموالهم واشدد على
 قلوبهم اه

والخزاد والقمل والضفادع والدم وتلق الجبل (فكذب) بها وزعم أنها مصر (وأبي)
أن يسلم (فان قيل) قوله تعالى كما يفيد العموم والله تعالى ما أراه جميع الآيات فان من جملة
الآيات ما أظهرها على أيدي الأنبياء قبل موسى عليه السلام وبعبده (أجيب) بأن لفظ الكل
وان كان للعموم قد يستعمل في الخصوص مع القرينة كما يقال دخلت السوق فاشترت كل
شيء أو يقال ان موسى عليه السلام أراه آياته وعدد عليه آيات غيره من الأنبياء فكذب فرعون
بالكل أو يقال تكذيب بعض المعجزات يقتضي تكذيب الكل فحكي سبحانه وتعالى ذلك على
الوجه الذي يلزم ثم كأنه قيل كيف صنع في تكذيبه وإبائه فقيل (قال) حين علم حقيقة ما جاء به
موسى وظهوره وخاف أن يتبعه الناس ويتركوه ووهن في نفسه وهنا عظيما (أجبتنا لخرجننا
من أرضنا) أي الأرض التي نحن مالكوها ويكون لك الملك فيها نصارت فرأته ترعد خوفا
مما جاء به موسى لعله وإيقانه أنه على الحق وأن الحق لو أراد قود الجبال لانقادت له وان مثله
لا يتخذ ولا يذل ناصره وأنه غالبه على ملائكته لا محالة ثم خيل لانساعه أن ذلك مصر بقوله
(بصرك يا موسى) فكان ذلك مع ما ألفوه من عاداتهم في الضلال صار فالهم عن اتباع مارأوه
من البيان ثم أظهر لهم أنه يعارضه بمثل ما أتى به بقوله (فلنا أتيتك بصبر مثله) أي مثل صبرك
يعارضه (فاجعل بيننا وبينك موعدا) أي من الزمان والمكان (لا تخلفه) أي لا تجعله خلفنا
(فحن ولا أنت) أي لا تتجاوزوه ولما كان كل من الزمان والمكان لا ينقل عن الآخر قال
(مكانا) وأورد ذلك المكان لاجل وصفه بقوله (سوى) أي عدلا وقال ابن عباس نصفا
تستوى مسافة الفريقين اليه فانظر الى هذا الكلام الذي زوقه وتنفه وصنعه بما وقف به قومه
عن السعادة واستمر يقودهم بعناده حتى أوردهم البحر فأغرقهم ثم في غمرات النار أحرقتهم
وقيل معنى سوى أي سوى هذا المكان وقر أشعبة وابن عامر وجزرة والكسائي بضم السين
والباقون بكسرها وأمال شعبة وجزرة والكسائي في الوقف محضة والباقون بالفتح وقيل
المراد بالموعود الوعد لان الاخلاف لا يلائم الزمان والمكان أي بل الوعد هو الذي يصح وصفه
بالخلف وعدمه والى هذا انما جماعة مختارين له ورد عليهم بقوله (قال موعدكم يوم الزينة)
فانه لا يطابقه * (تنبيه) * يحتمل ان قوله قال موعدكم يوم الزينة أن يكون من قول فرعون
فحين الوقت وأن يكون من قول موسى عليه السلام وهذا أظهر كما قال الرازي لوجوه الاقول
أنه جواب لقول فرعون فاجعل بيننا وبينك موعدا الثاني وهو ان تعيين يوم الزينة يقتضي
اطلاع الكل على ما سيقع فتعيينه انما يليق بالحق الذي يعرف ان البدله لا المبطل الذي يعرف
انه ليس معه الا التلبيس ثالثها ان قوله موعدكم خطاب للجمع فلو جعلناه من فوعون لموسى
وهرون لزم اما ان نحمله على العظيم أو ان أقل الجمع اثنان فالقول لا يليق بحال فرعون معهم
والثاني غير جائز فاذا جعلناه من موسى عليه السلام استقام الكلام وأختلف في يوم الزينة
فقال مجاهد وقتادة النبروز وقال ابن عباس وسعيد بن جبيرة هو يوم عاشوراء وقيل كان
يوم عيد لهم يترنون فيه ويحتمون في كل سنة وقيل يوم كانوا يتخذون فيه سوقا ويتزينون

ذلك اليوم وبني قوله (وأن يحشر) لانه قول لان القصد الجمع لانه كونه من معين (الناس)
 أي يجتمعوا (ضحى) أي وقت الضحوة فيكون أظهر لما يعمل وأجلى فلا يأتى الليل الا وقد
 قضى الامر وعرف الحق من المظلم ويكثر التعديت بذلك في كل بدو وحضر وبشيع في جميع
 أهل الوبور والمدر (قتولى) أي أعرض (فرعون) عن موسى الى تهينة ما يريد من الكيد
 بعد توبه عن الانقياد لامر الله تعالى (تجمع كسبه) أي مكره وحيلته وخداعه الذى
 دبره على موسى عليه السلام بجمع من يجعل بهم الكيد وهم السحرة حشرهم من كل فج
 وكان أهل مصر أحرار أهل الارض وأكثرهم ساحرا وكانوا في ذلك الزمان أشد اعتناء بالسحر
 وأمهرا ما كانوا أكثر (تم أنى) للميعاد الذى وقع القرار عليه بن حشره من السحرة والجنود
 ومن تبعهم من الناس مع توفر الدواعى على الاتيان للعيد والنظر الى تلك المغالسة التى لم يكن
 مثلها * ولما تشوق السامع الى ما كان من موسى عليه السلام عند ذلك استأنق تعالى الخبر
 عنه بقوله تعالى (قال لهم) أي لاهل الكيد والعناد وهم السحرة وغيرهم (موسى)
 حين رأى اجتماعهم ناصحهم (ويلكم) بأيتها الناس الذين خلقكم الله تعالى لعبادته
 (لافتروا) أي لا تتعمدوا (على الله كذبا) باشر الشاهد معه (فيسحتكم) قال مقاتل يهلككم
 وقال قتادة يستأصلكم (بعذاب) من عنده وقرأ حفص وحزرة والكسائى بضم الباء وكسر
 الحاء من الاسحات وهو لغة نجد وتيمم والباقون بفتحهما والسحت لغة الحجاز (وقد خاب من
 اقترى) كما خاب فرعون فانه اقترى واحتمل ليعيق الملك له فلم ينقعه (فتنازعا) أي تجاذب
 السحرة (أمرهم بينهم) لما سمعوا هذا الكلام علم انهم أنه لا يقدر أن يواجه فرعون بمثله في
 جمع جنوده واتباعه ثم يعلم منه الامن الله تعالى معه (وأسرأ التجوى) قال الكلبي قالوا سرا
 ان غلبنا موسى أتبعناه وقال محمد بن اسحق لما قال لهم موسى لا تقفروا على الله كذبا قال بعضهم
 لبعض ما هذا يقول ساحر وبالغوا في اخضائه ذلك فان التجوى الاسرار لئلا يظهر فرعون وأتباعه
 على ذلك فكأنه قيل ما قالوا حين انتهى تنازعهم فقيل (قالوا) أي السحرة (ان هذان
 لساحران) أي موسى وهرون وقرأ ابن كثير وحذص بسكون النون من ان وشددها الباقون
 وقرأ أبو عمرو وبالباء بعد المذال والباقون بالالف على لغة من يجعل ألف المنى لازما في كل حال
 قال أبو حيان وهى لغة لطوائف من العرب بنى الحرث بن كعب وبعض كناية وختم وزيد وبني
 الضمر وبني الجهم ومراد وعدة وقال شاعرهم * تزودمى بين أذناه ضربة * يريد أذنيه
 وقال آخر
 ان أباه وأبأ أباه * قد بلغنى المجد غاياتها

عن سلف (سهرهما) الذي أظهره لكم وغيره * ولما كان كل حزب بما لديهم فرحين قالوا
 (ويذهب بطريقتكم المثل) مؤث الامثل وهو الافضل أي بذهبكم الذي هو افضل المذاهب
 باظهار مذهبه واعلامه لئلا يخاف أن يبدل دينكم وقيل أراد أهل طريقتكم
 وهم بنو اسرائيل فانهم كانوا أبواب علم فيما بينهم لقول موسى أرسل مع بني اسرائيل وقيل
 الطريقة اسم لوجوه القوم وأشرفهم من حيث انهم قدوة لغيرهم (فأجمعوا كيدكم)
 أي من السحر وغيره فلما تدعو آمنه شيئاً الاجتمه به وقرأ أبو عمرو وهمزة الوصل بين الفاء والجيم
 وفتح الميم والباقون بهمزة مقطوعة وكسر الميم (ثم اتوا) أي للقائه موسى وهرون (صفا) أي
 مصطفيين لأنه أهيأ في صدور الرائيين * (تنبيه) * اختلفوا في عدد السحرة فقال الكلبي كانوا
 اثنتي عشرة وسبعين ساحراً اثنان من القط وسبعون من بني اسرائيل وقال عكرمة كانوا تسعة مائة
 ثلثمائة من القرس وثلثمائة من الروم وثلثمائة من الاسكندرية وقال وهب خمسة عشرة ألفاً
 وقال السدي بضعة وثلاثون ألفاً وقال القاسم بن سلام كانوا سبعين ألفاً وقيل اثني عشر ألفاً
 مع كل منهم على كل قول جبل وعصا وأقبلوا عليه اقبالة واحدة وظاهر القرآن لا يدل على شيء
 من هذه الاقوال * ولما كان التقدير في أني كذلك فقد استعلى عطف عليه قوله (وقد أفلح
 اليوم) في هذا الجمع الذي ما اجتمع مثله قط (من استعلى) أي فاز بالمطلوب من غلب فلما أتى
 السحرة موسى (قالوا) له متأديين لأن لذين القول مع الخصم ان لم ينفع لم يضرب بل نفعهم قال
 بعضهم ولذلك رزقهم الله تعالى الايمان بركته (ياموسى آتأان تلقى) أي مامعك مما تناظرنا به
 أولاً (وامأان نكون) نحن (أول من ألقى) مامعه (قال) لهم موسى عليه السلام مقابلاً
 لأدبهم بأحسن منه ولأنه فهم أن مرادهم بالابتداء وليكون هو الآخر فتكون له العاقبة
 بتسليط معجزته على سحرهم فلا يكون بعدها شك فلا ألقى أنا أولاً (بل ألقوا) أنتم أولاً فانتم زوا
 القرصة لأن ذلك كان مرادهم بما أفهموه من تغيير السياق والتصريح بالاول فالقوا
 مامعهم من الحبال والعصى (فاذا حبالهم وعصيهم) أي التي ألقوا قد فاجأت أنه (يحبيل اليه)
 تخيلاً مبتدأ (من سحرهم) أي الذي قد فاقوا به أهل الارض (أنها) لشدة اضطرابها
 (تسمى) (فان قبيل) كيف يجوز أن يقول موسى عليه السلام بل ألقوا فيما هم بما هو سحر
 (أجيب) بأن ذلك الامر كان مشروطاً والتقدير ألقوا ما أنتم ملقون ان كنتم محقين
 كما في قوله تعالى فأنا وبسورة من مثله أي ان كنتم صادقين وفي القصة انهم لما ألقوا الحبال
 والعصى أخذوا أعين الناس قرأ أي موسى والقوم كأن الارض امتلأت حبات وكانت
 قد أخذت ميلاً من كل جانب وداً وأنها تسعى وقيل اطلعوا بها الرزق فلما وقعت عليها
 الشمس اضطربت فحبل الميهم انها تتحرك وقرأ ابن ذكوان تخيلاً بالتاء التوقية على
 التائيت والباقون بالياء على اسناده الى ضمير الحبال (فأوجس) أي أحس (في نفسه
 خيفة موسى) عليه الصلاة والسلام (فان قبيل) كيف استشعر الخوف وقد عرض
 عليه المعجزات الباهرات كالعصا واليد ثم ان الله تعالى قال له بعد ذلك اني معكم اسمع وأرى

فكيف وقع الخوف في قلبه (أجيب) بأوجه أحدها أنه خاف من جهة ان سحرهم من جنس مجزئ أنه يلتبس أمره على الناس فلا يؤمنوا به الثاني أنه خوف طبع البشرية مثل ما خاف من عصاه أول مارأها كذلك الثالث لعله كان مامورا أن لا يفعل شيئا إلا بالوحي فلما تأخر نزول الوحي عليه في ذلك الوقت خاف أن لا ينزل عليه الوحي في ذلك الجمع فيبقى الخجل ثم انه أزال ذلك الخوف بقوله تعالى (قلنا لا تخف) من شيء من أمرهم ولا غيره ثم علل ذلك بقوله تعالى وأكده أنواعا من التأكيد لاقتضاء الحال انكار أن يغلب أحدا ما أظهر رامن سحرهم لعظمه (انك أنت) خاصة (الاعلى) أى الغالب غلبة ظاهرة لاشبهه فيها (وأتق ما في يمينك) أجمه ولم يقل عصاك تحقير لها أى لا تنال بكثرة حبالهم وعصيم وأتق العويد الذى في يدك أو نعظيها أى لا تختفل بكثرة هذه الاجرام وعظمتها فان في يمينك ما هو أعظم منها أى العصا وهى التى قلنا أنت أول ما سترت فذلك بالمتاجرة وما تلك يمينك يا موسى ثم أريناك منها ما أريناك (تلقف) أى يتبع بقوة واجتهاد مع سرعة لا تسكاد تدرك (ما صنعوا) أى فعلوه بعد تدرب كثير وممارسة طويلة فلما ألقاها صارت أعظم حجة من حياتهم ثم أخذت تزداد عظم حتى ملأت الوادى ثم صعدت حتى عاقت ذنبا بطرف النوبة ثم هبطت وأككت كل ما عملوه فى الملبين والناس ينظرون اليها لا يحسبون إلا أنه سحر ثم أقبلت تخوف عيون المتبعله فاتحة فاه نحو عاتنين ذراعا فصاح بوسى فأخذها فاذا هى عصا كما كانت ونظرت السحرة فاذا هى لم تدع من حبالهم وعصيم شيئا إلا أكلته وعرفوا أنه ليس بسحر وأصل تلفظ تلفظ حذف احدى التامين وناء المضارعة تختمل التأنيث على اسناد الفعل الى العصا والخطاب على اسناد الفعل الى السبب وقرأ ابن ذكوان برفع القاء على الحال أو الاستئناف والباقون بسكونها وحض بسكون اللام وتخفيف القاف على أنه من لفظته بمعنى تلفظته (انما) أى الذى (صنعوا) أى زوروا واقهوا وهالك أمره (كيد ساحر) أى كيد سحرى لا حقيقة له ولا ثبات وقرأ حمزة والكسائى بكسر السين وسكون الحاء بمعنى ذى سحر أو بتسمية الساحر سحرا على المبالغة أو باضافة الكيد الى السحر للبيان كقولهم علم فقه والباقون بفتح السين وكسر الحاء وألف بينهما (فان قيل) لم وحد الساحر ولم يجمع (أجيب) بأن القصد من هذا الكلام معنى الجنسية لا معنى العدد فلو جمع خيل ان المقصود هو العدد ألا ترى الى قوله تعالى (ولا يفلح الساحر) أى هذا الجنس (حيث أتى) أى كيف ما سار وقال ابن عباس لا يسعد حيث كان وقيل معناه حيث احتمال فانه انما يفعل ما لا حقيقة له (فان قيل) لم تكرر أولا ثم عرف ثانيا (أجيب) بأنه قال هذا الذى أتوا به قسم واحد من أقسام السحر لا فائدة فيه ولا شك ان الكلام على هذا الوجه أبلغ ثم انه امثل ما أمره به ربه من القاء العصا فكان ما وعده به سبحانه من تلفظها المصنوعا من غير أن يظفر عليها زيادة فى سخن ولا فى غيره مع أن حبالهم وعصيم كانت شيئا كثيرا فعلم كل من رأى ذلك حقيقة وبطلان ما نعل السحرة فبادر السحرة منهم الى الخضوع لامر الله تعالى ساجدين مبادرة من كانه ألقاهم على وجهه ولذلك قال تعالى بعد ان ذكر مكرهم واجتهادهم فى معارضة موسى عليه السلام وحذف ذكر اللقاء وما سببه من التلفظ

لان مقصود السورة القدرة على تلمين القلوب القاسية (فألقى السحرة) أي فالتاهم ماراً وامن
 أمر الله تعالى بغاية السرعة وبأيسر أمر (سجداً) على وجوههم لله تعالى توبة بما صنعوا
 وغباً بالفرعون بسجودهم وقطعاً للماراً واذلك لانهم كانوا في الطبقة العليا من علم السحر فلما
 رأوا فعل موسى عليه السلام خارجاً عن صناعتهم عرفوا انه ليس من السحر البتة ويقال قال
 ربي بهم كانوا يغلب الناس بالسحر وكانت الآلات تبقى علينا فلو كان هذا سحر فأين الذي ألقيناه
 فاستدلوا بتغيير أحوال الاجسام على الصانع القادر ونظهورها على يد موسى عليه السلام
 على كونه رسولاً صادقاً من عند الله لاجرم تابوا وامنوا وأتوا بما هو النهاية في الخضوع
 وهو السجود قال الاصهاني سبحان الله ما أعظم شأنهم ألقوا بحالهم وعصيم للكفر والجود
 ثم ألقوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود في أعظم الفرق بين الاقنابين فكان ثائلاً لعل هذا
 فعلهم فماذا قالوا فيسئل (قالوا آمننا برب هرون وموسى) ولم يقولوا آمننا برب العالمين لان
 فرعون ادعى الربوبية في قوله انار بكم الاعلى والالهية في قوله ما علمت لكم من اله غيري
 قالوا أنهم قالوا ذلك لكان فرعون يقول أنهم آمنوا بي لا بغيري فلقطع هذه التهمة اختاروا
 هذه العبارة والدليل على ذلك أنهم لم يقتصر على موسى بل قدموا هرون لان فرعون ربي
 موسى في صغره فلما اقتصر على موسى أوقد مواد كره فرعا توهم ان المراد فرعون وذكر
 هرون على الاستتباع وقيل قدموه لكبر سنه أو لروى الآية فسبحان الله ما أعظم أمرهم
 كانوا أول النهار سحرة يقرنون لفرعون بالربوبية وآخره شهداء برز ذوى أنهم لم يرفعوا رؤسهم
 حتى رأوا الجنة والنار ورأوا ثواب أهلها وعن عكرمة لما ختر واسجداً أراههم الله تعالى في
 سجودهم منازلهم التي يصيرون اليها في الجنة فكانه قيل ما قال لهم فرعون حينئذ فضل (قال)
 لهم (آمنتم) أي بالله (له) أي مصدقين أو متبعين لموسى (قبل أن أذن لكم) في ذلك قال
 ذلك ايها ما بانة سيأذن فيه ليقف الناس عن المبادرة الى الاتباع بين خوف العقوبة ورجاء
 الاذن ثم استأنف قوله معللاً محجلاً لاتباعه صداهم عن الاقتداء بالسحرة (انه) أي موسى
 (الكبير) أي معلمكم (الذي علمكم السحر) أي فلم تتبعوه لظهور الحق بل لارادتكم شياً من
 المكر وافقتوه عليه قبل حضوركم في هذا الموطن وهذا على عادته في تحييل أتباعه بما يوقفهم
 عن اتباع الحق ولما خيلهم شرع يزيدهم حيرة تهديد السحرة فقال مقسماً (فلا قطعن) أي
 بسبب ما فعلتم (أيديكم) على سبيل التوزيع (وأرجلكم) أي من كل رجل يدا ورجلا وقوله (من
 خلاف) حال يعنى مختلفة أي الايدي اليمنى والارجل اليسرى (ولا صلبنكم) وعبر عن
 الاستعلاء بالظرف اشارة الى تمكينهم في المصلوب عليه تمكين المطروف في نظره فقال (في جذوع
 النخل) تشبيهاً لقتلكم وردعاً لثألكم (ولتعلمن آياتنا) يريد نفسه امه الله وموسى عليه السلام
 بتدليل قوله آمنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله كقوله يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين
 وفيه تعجب باقتداره وقهره وما ألفه وصرى به من تعذيب الناس بأنواع العذاب وتوضيح لموسى
 عليه السلام واستضعاف له مع الهزيمة لان موسى لم يكن قط من التعذيب في شيء وقيل يريد برب

موسى الذي امنوا به (أشد عذابا وأبني) أي أذوم على مخالفته (فان قيل) ان فرعون مع قرب
 عهده بمشاهدة انقلاب العصا حية وقصدها له وآل الامر ان استغاث بموسى من شرها وعجزه عن
 دفعها كيف يعقل أن يهدد السحرة ويبالغ في وعيدهم الى هذا الحد ويستهنى بموسى في قوله أينا
 أشد عذابا وأبني (أجيب) بأنه كان في أشد الخوف في قلبه الأأن يظهر الجلادة والوقاحة شمسة
 لنا موسى وتر ويجبال امره قال الرازي ومن استقرى أحوال العالم علم ان الفاجر قد يفعل أمثال
 هذه الاشياء ويميدل على معانده قوله انه لكبيركم الذي عليكم السحر لانه كان يعلم ان موسى
 ما خالطهم البتة وما القيم وكان يعلم من سحرته استاذ كل واحد من هو وكيف حصل ذلك العلم ثم
 انه كان يقول مع ذلك هذه الاشياء ثم كانه قبل فما قالوا له فقيل (قالوا) له (ان نؤثرلك أي تختارلك
 على ما جئنا) على لسان موسى (من البنات) التي عايناها وعلما أنه لا يقدر أحد على مضادتها
 * ولما بدوا ويميدل على الخالق من الفعل ترقوا الى ذكره بعد معرفته بفعله اشارة الى علو قدره
 فقالوا (والذي) أي ولا نؤثرلك بالاتباع على الذي (فطرننا) أي استأدأ خلقنا اشارة الى شمول
 ربوبية الله تعالى لهم وله ولجميع الناس وتبنيها على عجز فرعون عنده من استخفه وفي جميع
 أقوالهم هذه من تعظيم الله تعالى عبارة واشارة وتحقير فرعون أمر عظيم * (تنبية) * قد علم عما
 تقران والذي معطوف على ما وانما آخر واذكر الباري تعالى لانه من باب الترقى من الأدنى الى
 الأعلى وقيل الواو مقسم والموصول مقسم به وجواب القسم محذوف أي وحق الذي فطرننا
 لا نؤثرلك على الحق * ولما تسبب عن ذلك انهم لا يبالون به وعلوا أن ما يفعله بهم هو باذن الله تعالى
 قالوا له (فاقص) أي فاصنع في حكمك الذي تعضيه (ما أنت فاض) أي فاقض الذي أنت فاضيه
 ثم علوا ذلك بقولهم (انما تقضى) أي تصنع بنا ما تريد ان قدرك الله عليه (هذه الحيوة الدنيا)
 انصب على الاتساع أي انما حكمك فيها على الجسد خاصة فهي ساعة تعقبها راحة ونحن للخفاف
 الامم يحكم على الروح وان في الجسد فذل هو العذاب الشديد الذي انتم ثم علوا تعظيم الله تعالى
 واستهانتهم بفرعون بقولهم (انا انما نبرئنا) أي المحسنين الينا طول أعمارنا مع اساءتنا بالكفر
 وغيره (ليغفر لنا) من غير نفع يلحقه بالفعل أو ضرر يدركه بالترك (خطاينا) التي قابلنا بها احسانه
 ثم خصوا به العموم فقالوا (وما أكرهنا عليه) وينو ذلك بقولهم (من السحر) لمعارض
 المعجزة فانه كان الاكمل لنا عصيانك فيه لان الله تعالى أحق بأن يتق (فان قيل) كيف قالوا
 ذلك وقد جأوا مختارين يحلفون بعزة فرعون ان لهم الغلبة (أجيب) بأنه قدر وروى ان رؤساء
 السحرة كانوا اثنين وسبعين اثنا من القبط والباقون من بني اسرائيل أكرههم فرعون على تعلم
 السحر وروى انهم رأوا موسى عليه السلام نائما وعصاه تحرسه فقالوا لفرعون ان الساحر اذا
 نام بطل سحره فهذا الاقتدر على معارضته فأبى عليهم وأكرههم على المعارضة وقيل ان الملوك في
 ذلك الزمان كانوا يأخذون البعض من رعيتهم ويكلفونه تعلم السحر فاذا شاخ بعثوا اليه احدا
 ليعلمهم ليكون في كل وقت من يحسنه * ولما كان التقدير فرئنا أهل التقوى وأهل المغفرة
 عطفوا عليه مستخضرين لكاله (والله) أي الجامع لمغات الكمال (خير) جزاء منك فيما وعدتنا

به (وأبى) ثوابا وعقابا قال أبو حيان والظاهر أن الله تعالى سلمهم من فرعون ويؤيده قوله تعالى
 ومن استعكف الغالبون وقال الرازي ليس في القرآن أن فرعون فعل بأولئك القوم المؤمنين
 ما أوعدهم ولم يثبت في الاخبار وقال البقاعي سيأتي في آخر الحديث ما هو صريح في نجاةهم ثم
 عللوا هذا الحكم بقولهم (أنه) أي الامر والشأن (من يأتي ربه) أي الذي ربه وأحسن
 إليه بأن أوجده وجعل له جميع ما يصلحه (مجرما) بأن يموت على كفره (فإن له جهنم) دار الأهانة
 (لا يموت فيها) فيستريح من عذابها بخلاف عذابك فان آخره الموت وان طال (ولا يحيى) فيها
 حياة مهنتا فوبها يتدفع ما قيل ان الجسم الحي لا بد أن يبقى أما حيا أو ميتا مخلوقه عن الوصفين
 محال وقال بعضهم ان لنا حالة ثالثة وهي كحالة المذبح قبل أن يهدأ فلا هو حي لانه قد ذبح
 ذبحا لا تبقى الحياة معه ولا هو ميت لان الروح لم تفارق بعد فهي حالة الثالثة (ومن يأتي ربه) أي ربه
 الذي قد أوجده ورباه (مؤمنا) أي مصدقا به (قد) ضم الى تصديق الايمان أنه (عمل) أي في
 الدنيا (الصالحات) أي التي أمر بها فكان صادق الايمان مستلزما لمصالح الاعمال (فأولئك) أي
 العالو الرتبة (لهم الدرجات العلى) جمع علماء مؤث على التي لان نسبة لدرجاتك التي أوعدها
 اليها ثم ينوها بقولهم (جنات عدن) أي أعدت للاقامة وهبت فيها أسبابها (يجرى من تحتها
 الأنهار) أي من تحت غرفها وأمرتها وأرضها فلا يراد موضع منها لان يجري فيه نهر الاجرى
 وقولهم (خالدين فيها) حال والعامل فيها معنى الاشارة والاستقرار (وذلك جزاء) كل
 (من ترك) أي تطهر من أدناس الكفر * (تنبيه) * هذه الآيات الثلاث وهي من قوله انه من
 يأتي ربه مجرما الى هنا يحتمل أن تكون من كلام السحرة كما تقرر وأن تكون ابتداء كلام من
 الله تعالى وقوله تعالى (ولقد آتينا موسى وحينا الى موسى ان أسر بعبادي) عطف على قوله ولقد آتينا
 آياتنا وفيه دليل على أن موسى عليه السلام كرم مستحيبه فأراد الله تعالى تمييزهم من طبقة
 فرعون وخلصهم فأوحى اليه أن يسرى بهم ليلا والسرى اسم لسير الليل والأسراء مثله
 والحكمة في السرى بهم للابشاهدم العدو فيمنعهم عن مرادهم أو ليكون ذلك عاقبا
 لفرعون عن طلبه وتبعه أو ليكون اذا تقارب العسكران لا يرى عسكر موسى عليه الصلاة
 والسلام عسكر فرعون لعنه الله فلا يهاونهم وقرأ نافع وابن كثير بكسر النون وهمزة وصل
 بعدها من سرى والباقون بسكون النون وهمزة قطع بعدها من أسرى لغتان أي أسرى بني
 اسرائيل من أرض مصر التي لبنت قلب فرعون لهم حتى أذن لهم في مسيرهم بعد ان كان قد
 أبي أن يطلقهم أو يكف عنهم العذاب فأقصد بهم ناحية بحر القلزم (فاضرب) أي اجعل (لهم)
 بالضرب بعصاك (طريقا إلى البحر) والمراد بالطريق الخدس فانه كان لكل سبط طريق وقوله
 (يبسا) صفة طريقا وصف به لما يقول اليه لانه لم يكن يبسا الا بعد ان مرت عليه الصبا فحقت كما
 روى وقيل في الاصل مصدر وصف به مبالغة وقيل جمع يابس كخادم وخدم وصف به الواحد
 مبالغة فلما امتل ما أمر به وأيس الله تعالى له الارض وأراد المرور بها قال الله تعالى له
 (لا تخاف دركا) أي ان يدركك فرعون (ولا تخشى) غمرا وقرأ حمزة بجزم الفاء ولا ألف بينها وبين

الخلاء على أن يكون نهما مستأنفا والباقيون برفع الفاء وألف بيتها وبين الخلاء على أنه مستأنف
 فلا محمل له من الاعراب أو أنه في محمل نصب على الحال من فاعل اضرب أى اضرب غير خائف
 (فأتبعهم فرعون بجنوده) أى وهو معهم على كثرتهم وعلوهم وقوتهم وعزتهم فكانوا كالتابع
 الذى لامعنى له بدون متبوعه والمتبوع بنو اسرائيل وذلك ان موسى خرج بهم أول الليل فأخبر
 فرعون بذلك فقص أثرهم والمعنى فأتبعهم فرعون نفسه ومع جنوده فحذف المفعول الثانى
 وقبل ان الباء زائدة (فغشيتهم) أى فرعون وقومه (من اليم) أى البحر (ماغشيتهم) أى أمر
 لا تحتمل العقول وصفه فأهلكهم وقطع دابرهم ولم يبق منهم أحد وما شاك أحد من عبادنا
 المستضعفين شوكة (وأضل فرعون قومه) أى بدعائهم الى عبادته (وما هدى) أى ما أُرشدهم
 وهذا تكذيب لفرعون وتكلم به فى قوله وما أهديكم الا سبيل الرشاد (تنبيه) * لا بأس بذكر شئ
 من هذه القصة فنقول قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لما أمر الله تعالى موسى أن يقطع
 بقومه البحر وكان بنو اسرائيل استعاروا من قوم فرعون الحلى والدواب ليعيد يخرجون اليه
 فخرج بهم ليلا وكان يوسف عليه الصلاة والسلام عهد اليهم عند موته أن يخرجوا بعظما
 معهم من مصر فلم يعرفوا مكانها حتى دلّتهم بموز على موضع العظم فأخذوه وقال موسى عليه
 السلام للمجوزات حاكمى أى اتطرى لك الشيا اطلبه فقالت أكون معك فى الجنة فلما خرجوا
 تبعهم فرعون وعلى مقدمته ألف وخمسمائة ألف سوى الجنين والقلب فلما انتهى موسى
 الى البحر قال هنا أمرت فأوحى الله تعالى اليه أن اضرب بعضا البحر فترى به فانشق فقال لهم
 موسى ادخلوا فيه فقالوا كيف وهى رطبة فدار به فهبت عليها الصبا لفتت فقالوا تخاف الفرق
 فى بعضا فجعل بينهم كوى يرى بعضهم بعضا ثم دخلوا حتى جاوزوا البحر وأقبل فرعون الى تلك
 الطرق فقال له قومه ان موسى قد هجر البحر كما ترى وكان على فرس حصان فأقبل جبريل عليه
 السلام على فرس أحمى فى ثلاثة وثلاثين من الملائكة فسار جبريل بين يدي فرعون فأبصر الحصان
 الفرس فاقتحم بفرعون على اثرها فصاحت الملائكة فى الناس الحقوا حتى اذالحق آخرهم وكاد
 أولهم أن يخرج التقي البحر عليهم ففرقوا فرجع بنو اسرائيل حتى ينظروا اليهم وقالوا يا موسى
 ادع الله يخرجهم لنا حتى ننظر اليهم فلقتهم البحر الى الساحل وأصابوا من سلاحهم وذوكر ابن
 عباس أن جبريل قال يا محمد لورايتنى وانا أدمس فى فرعون الماء والطين مخافة أن يتوب فهذا
 معنى قوله تعالى فغشيتهم من اليم ما غشيتهم * ولما أتم الله تعالى على قوم موسى عليه السلام
 بأنواع النعم ذكر أولادهم تلك النعم فناداهم بقوله تعالى (يا بنى اسرائيل) والتمادى من وجد من
 اليهود فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وخو طبوا بما أتم به على أجدادهم زمن موسى عليه
 السلام ولا شك أن ازالة الضرر يجب تقديمها على ايصال المنفعة و ايصال المنفعة الدينية أعظم
 من ايصال المنفعة الدنيوية فللهذا ابدأ تعالى بازالة الضرر بقوله (قد أنجيناكم من عدوكم) فان
 فرعون كان ينزل بهم من أنواع القلم كثيرا من القتل والاذلال والخراج والاعمال الشاقة ثم شئ
 بذكر المنفعة الدنيوية بقوله تعالى (وواعدناكم كما جانب الطور الايمن) أى الذى على ايمانكم فى

توجهكم هذا الذي وجوهكم فيه الى بيت أيكم ابراهيم عليه السلام وهو جابه الذي يلي البحر
وناحية مكة واليمن ووجه المنفعة فيه أنه أنزل في ذلك القرب عليهم كتابا فيه بيان دينهم وشرح
شريعتهم ثم ثبت ذكر المنفعة النبوية بقوله (وأنزلنا عليكم) بعد انزال هذا الكتاب في هذه
المواعدة لانعاش أرواحكم (المن) أي الترحيحين (والسلاوي) أي الطير السماوي بتخصيف الميم
والقصر وقوله تعالى (كلا ومن طبيبات مارزقنا كم) أمر ابا حنيفة ان يفسر الطبيب بالذي لان المن
والسلاوي من لذائذ الاطعمة وان يفسر بالحلال لان الله تعالى أنزله اليهم ولم يفسد يد الاممين
فهو أمر ايجاب وقرأ حجة والكسائي قد أتجينا كم ووعدنا كم مارزقنا كم بتاء مضمومة بعد
التحنية من أتجينا وبعد الدال من وعدنا وبعد القاف من رزقنا ولا ألف في الثلاثة والباقون
بالنون وألف بعدها في الثلاثة وأسقط أبو عمر والالف قبل العين من وعدنا وألف بها الباقون * ثم
زجرهم عن العصيان بقوله تعالى (ولا تطغوا فيه) أي فيما رزقناكم بالاخلاق بشكره والتعدي بما
حد الله لكم فيه من السرف والبطر والمنع عن المستحقين وقرأ الكسائي (فيسل) بضم الحاء أي
ينزل والباقون بكسرها أي يجيب (عليكم غضبي) أي عقوبي (ومن يحمل عليه غضبي فقد هوى)
أي هلك وقيل شقي وقيل وقع في الهاوية وقرأ الكسائي بضم اللام الاولى وكسرها الباقون
* ولما كان الانسان محل الزلل وان اجتهد وجاه واستعطفه بقوله سبحانه (واني لغفار) أي
ستار باسبال ذيل العفو (لمن تاب) أي رجع عن ذنوبه من الشرك وما يقاوبه (وآمن) بكل ما يجب
الايمان به (وعمل صالحا) تصديقا لايامانه (ثم اهتدى) باستمراره على ذلك الى موته * (فائدة) * اعلم
أنه تعالى وصف نفسه بكونه غافرا وغفورا وغفارا وغفارا وبأن له غفرا ما ومغفرة وعبر عنه بلفظ الماضي
والمستقبل والامر أما وصف بكونه غافرا فقوله تعالى غافر الذنب وأما كونه غفورا فقوله
تعالى وربك الغفور وأما كونه غفارا فقوله تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وأما الغفران فقوله
تعالى غفرانك ربنا وأما المغفرة فقوله تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس وأما صيغة الماضي
فقوله تعالى في حق داود عليه السلام فغفرنا له وأما صيغة المستقبل فقوله تعالى ويغفر
مادون ذلك لمن يشاء وقوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا وقوله تعالى في حق نينا صلى الله عليه
وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وأما لفظ الاستغفار فقوله تعالى استغفروا ربكم
ويستغفرون لمن في الارض ويستغفرون للذين آمنوا (وهيئا نكتبه لطيفة) وهي ان العبد له
اسماء ثلاثة الظالم والظالم والظلام اذا كثر منه الظلم ولله تعالى في مقابلة كل واحد من هذه
الاسماء اسم فكانه تعالى ان كنت ظالما فأنا غافر وان كنت ظلوما فأنا غفور وان كنت ظلاما
فأنا غفار فيجب على كل من ارتكب معصية كبيرة أو صغيرة أن يتوب منها هذه الآية وتدلت على
أن العمل الصالح غير داخل في الايمان لانه تعالى عطف العمل الصالح على الايمان والمعطوف
يشاير المعطوف عليه * ولما أمر تعالى موسى عليه السلام بحضور الميقات مع قوم مخصوصين
قال المفسرون هم السبعون الذين اختارهم الله تعالى من جملة بني اسرائيل ليذهبوا معه
الى القوريات اخذوا النور وتصار بهم موسى ثم جعل موسى عليه السلام من بينهم شوقا الى ربه

وخلف السبعين وأمرهم أن يتبعوه الى الجبل فقال تعالى له (وما أعجلك عن قومك) أي لمجي
 معاد أخذ التوراة (يا موسى قال) مجيبا ليه تعالى (هم أولاء) أي بالقرب مني ياتون (على أثرى)
 أي ماشين على آثار مشي قبل أن ينطمس وما تقدمتم الا بخطايسيرة لا يعتد بها عادة وليس بيني
 وبينهم الامسافة قريبة يتقدم بها الرفعة بعضهم على بعض (وعجلت اليك رب لترضى) أي لتزداد
 عني رضافان المسارعة الى امتثال أمرك والوفاء بعهدك يوجب مرضاتك * (تنبه) * في
 الآية سوالات الازل قوله تعالى وما أعجلك استفهام وهو على الله تعالى محال وأجيب عنه بانه
 كان في صورة الاستفهام ولا مانع منه الثاني أن موسى عليه السلام لا يخلو تماما أن يكون ممنوعا
 من ذلك التقدم أولي يكن فان كان الاقول كان التقدم معصية وان لم يكن فلا انكار وأجيب
 عنه بأنه عليه السلام له ما وجد نصافي ذلك فاجتهدوا خطأ في اجتهاده فاستوجب العتاب
 الثالث قوله وعجلت والعجلة مذمومة أجيب عنه بأنها مدوحة في الدين قال تعالى وسارعوا الى
 مغفرة من ربكم الرابع قوله لترضى يدل على أنه انما فعل ذلك ليحصل الرضا واذ لم يكن راضيا عنه
 وجب أن يكون ساخطا عليه وذلك لا يليق بحال الانبياء عليهم السلام أجيب عنه بأن المراد
 تحصيل دوام الرضا وزيادته كما مر الخامس قوله اليك يقتضى كون الله تعالى في جهة لان الى
 لانه الغاية وأجيب عنه بأننا اتفقنا على أن الله تعالى لم يكن في الجبل فالمراد مكان وعذك
 السادس قوله تعالى ما أعجلك عن قومك سؤال عن سبب العجلة فكان جوابه اللاتق به أن
 يقول طلب زيادة رضاك والتشوق الى كلامك وأما قوله هم أولاء على أثرى فغير منطبق عليه
 كما ترى أجيب عنه بأن سؤال الله تعالى يتضمن شيئين أحدهما انكار نفس العجلة والثاني
 السؤال عن سبب التقدم فأجاب عن السؤال عن العجلة لانها أهم فقال وعجلت اليك رب
 لترضى (قال) تعالى (فأنا) أي تسبب عن عجلتك عنهم أنا (قدفنا) أي ابتلينا (قومك من بعدك)
 أي بعد فراقت لهم بعبادة العجل وهم الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة ألف وما نتج من
 عبادة العجل منهم الاثنا عشر ألفا (وأضلهم السامري) بانخاذ العجل والدعاء الى عبادته
 فأطاعه بعضهم وامتنع بعضهم والسامري منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لهم
 السامرة وقيل كان علبا من أهل كرمان وقع الى مصر وقيل كان من قوم يعسدون البقر
 جيران لبني اسرائيل ولم يكن منهم واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا (فرجع موسى) لما أخبره به
 بذلك (الى قومه) بعد ما استوفى الاربعين ذا القعدة وعشر ليل من ذى الحجة وأخذ التوراة
 (غضبان) عليهم (أسفا) أي حزينا بما فعلوا (قال) أي لقومه لما رجع اليهم مستعظفا لهم (يا قوم)
 وأتكر عليهم بقوله (ألم يعدكم ربكم) أي الذي أحسن اليكم (وعدا حسنا) أي بأنه ينزل
 عليكم كما باحفاظا ويكفر عنكم خطاياكم وينصرمكم على أعدائكم الى غير ذلك من اكرامه * ولما
 جرت العادة بأن طول الزمان ناقض للعزائم مغير للعهود كما قال أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري
 لأنسينك ان طال الزمان بنا * وكم حبيب تجادى عهد فنتسى
 قال لهم (أطفال عليكم العهد) أي زمن لطف الله تعالى بكم فغيرتم هما فارقتكم عليه كما تغير أهل

الرذائل والافتحلال في العزائم لضعف العقول وقلة التدبر (أم أردتم) أي بالنقض مع قرب
 العهد وذكر الميثاق (أن يحل) أي يجب (عليكم) بسبب عبادة العجل (غضب من ربكم) المحسن
 إليكم أي وكلا الأمرين لم يكن أما الأول فواضح وأما الثاني فلا يظن بأحد ارادته والحاصل
 انه يقول فلعلم ما لا يفعله عاقل (فأخلفتم) أي فنسبب عن فعلكم ذلك أن أخلفتم (موعدى) أي
 وعدكم أي بالثبات على الايمان بالله والقيام على ما أمركم به ولما تشوف السامع الى جوابهم
 استأنف ذكره فقال (قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا) أي بأن ملكنا أمرنا اذ لو خيلنا وأمرنا ولم
 يسؤل لنا السامري لما أخلفناه واختلف في هذا الجيب على وجهين الاول هم الذين لم يعبدوا
 العجل فكانهم قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا أي بأمرنا كملكك وقد يضيف الرجل فعل قرينه الى
 نفسه كقوله تعالى واذ قرنا بكم البحر واذ قلتم نفسا وان كان الفاعل لذلك آباهم لاهم
 فكانهم قالوا الشبهة قويت على عبدة العجل فلم تقدر على منعهم عنه ولم تقدر أيضا على مفارقتهم
 لاناخفنا أن نصير ذلك سببا لوقوع النفرة وزيادة الفتنة الثاني ان هذا قول عبدة العجل والمراد
 أن غيرنا وقع الشبهة في قلوبنا وفاعل السبب فاعل المسبب فخلق الوعد هو الذي أوقع الشبهة
 فانه كان كالمالك لنا (فان قيل) كيف كان رجوع قريب من ستمائة ألف انسان من العقلاء
 المكلفين عن الدين الحق دفعة واحدة الى عبادة عجل يعرف فسادها بالضرورة (أجيب) بأن
 هذا غير ممنوع في حق البله من الناس وقرأعاصم ونافع يفتح الميم وجزرة والكسائي يضمها
 والباقون بكسرها وثلاثتها في الاصل لغات في مصدر ملكت الشيء ثم ان القوم فسروا الضرر
 الحامل لهم على ذلك الفعل فقالوا (ولكنا جلدنا) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وخص يضم
 الحاء وكسر الميم مشددة وأبو عمرو وشعبة وجزرة والكسائي يفتح الحاء والميم مخففة (أوزارا)
 أي ألقالا (من زينة القوم) أي حلى قوم فرعون استعارها منهم بنو اسرائيل بسبب عرس
 وقيل استعارها العبدان لهم ثم لم يردوها عند الخروج مخافة أن يعلموا به وقيل هي ما ألقاه البحر
 على الساحل بعد اغراقهم فاخذوه قال البيضاوي ولعلمهم سموها أوزارا لانها أنام فان الغنائم
 لم تكن تحمل بعد ولا نهم كانوا مستأمنين وليس للمستأمن أن يأخذ من مال الحربى (فقدفناها)
 أي في النار (فكذلك أتى السامري) أي ما كان معه ائمان المال أو من أثر الرسول روى
 أن موسى عليه السلام لما وعده ربه أن يكلمه استخلف على قومه أخاه هرون وأجلهم ثلاثين
 يوما وذهب فصامها بليلها ونهارها ثم كره أن يكلم ربه ويريح فيه متغير فضع شيئا من نبات الارض
 فقال له ربه أو ما علمت ان ريح الصائم أطيب من ريح المسك ارجع فصم عسرا وقيل انهم
 أتاموا بعد مفارقتهم عشرين ليلة وحسبوا أربعين بأيامها وقالوا قد كملت العدة فلما رأى
 قوم موسى أنه لم يرجع إليهم ساءهم ذلك وكان هرون قد خطبهم وقال انكم خرجتم من مصر
 ولقوم فرعون عندكم عوارف أحقر واحقرة والقوها فيها ثم أوقدوا عليها نارا فلا يكون لنا
 ولا لهم وكان السامري قد رأى أثر قبض منه قبضة فزهرهون فقال له يا سامري ألا تلتقي ماني
 بذلك فقال هذه قبضة من أثر الرسول الذي جاؤز بكم البحر ولألقبها على شيء إلا أن تدعوا الله

اذا اُلقيتم ان يكون ما اريد فالتاها وداها هرون فقال اريد ان يكون مجلا فاجتمع ما في الحفرة
 وصار مجلا فهذا معنى قوله تعالى (فأخرج لهم مجلا جسدا) من ذلك الحلي المذاب له جوف
 ليس فيه روح (له خوار) أي صوت يسمع قال ابن عباس لا والله ما كان له صوت قط وانما
 كان الریح يدخل في دبره فيخرج من فيه فكان ذلك الصوت من ذلك وقيل انه صاعه ووضع
 التراب بعد صوغه في فيه (فقالوا) أي السامري ومن اقتن به أقل مارا وهم مشيرين الى
 العجل (هذا الهكم واله موسى فسي) أي فسيه موسى وذهب يطلبه عند الطور وأفضى
 السامري أي ترك ما كان عليه من الايمان (أفلا يرون) أي قالوا ذلك فنسب عن قولهم عليهم
 عن روية (أن) أي انه (لا يرجع اليهم قولا) والاله لا يكون ابكم (ولايك لهم ضرا) فيخافوه كما
 كانوا يخافون فرعون فيقولون ذلك خوفا من ضرره ولا نفعا فيقولون ذلك ريباه (ولقد قال
 لهم هرون من قبل) أي قبل رجوع موسى مستعظا لهم (يا قوم انما فتنتم) أي رقع اختباركم
 فاخترتم في صحة ايمانكم وصدقكم فيه وثباتكم عليه (به) أي بهذا العجل في اخراجه لكم
 على هذه الهيئة الخارقة للعادة وكذلك اجل انكارهم فقال (وان ربكم) أي الذي اخرجكم من
 العدم ورباكم بالاحسان (الرحمن) وحده الذي فضله عام ونعمه شاملة فليس علي بر ولا فاجر نعمة
 الا وهي منه تعالى قبل ان يوجد العجل وهو كذلك بعده ومن رحمته قبول التوبة فخافوا نزاع نعمه
 بعميته وارجوا اسباب طاعته (فاتبعوني) بغاية جهدكم في الرجوع اليه (وأطيعوا أمرى)
 أي في الثبات على الدين (قالوا ان نبرح عليه) أي العجل (عما كفيين) أي مقبين (حتى يرجع
 الينا موسى) ندافعهم فهو اياه وكان معظمهم قد ضل فلم يكن معه من يقوى بهم نخاف أن يجاهد
 بهم الكفار فلا يقيد ذلك شيأ مع ان موسى لم يأمره بجهد من ضل وانما قال له وأصلح ولا تتبع
 سبيل المفسدين فرأى من الاصلاح اعترالهم الى أن يأتي * (تنبه) * انما قال هرون ذلك شفقة
 على نفسه وعلى الخلق أما شفقتة على نفسه فلا أنه كان مأمورا من عنده الله بالامر بالمعروف
 والنهي عن المنكر وكان مأمورا من عنده أخيه بقوله اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل
 المفسدين فلولم يشتغل بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر لكان مخالفا لامر الله تعالى ولامر
 موسى وذلك لا يجوز وأمر الله تعالى الى يوشع بن نون اني مهلك من قومك أربعين ألفا من
 خيارهم وماتت ألف من شرارهم فقال يارب هؤلاء الاشرار يا بال الاخبار قال انهم لم يفضبوا
 لغضبي وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح وهمه غير الله فليس من الله في شيء
 ومن أصبح لا يهتم بالمسلمين فليس منهم وعن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل
 المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد
 ومن عبد الله بن أبي أوفى قال خرجت أريد النبي صلى الله عليه وسلم فاذا أبو بكر وعمر عنده
 فجاء صغير يبكي فقال لهم ضم الصبي اليك فانه ضال فأخذته عمر واذا أم الصبي تولول كاشفة
 عن رأسها جزعا على انها انفصلت النبي صلى الله عليه وسلم أدبوا المرأة فناداها بخاتم وأخذت
 ولدها وجعلت تبكي والصبي في حجرها قالت فترأت النبي صلى الله عليه وسلم فاستصيت فقال

النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك أترونها هذم رحمة بولدها والوايا رسول الله كفى بهذه رحمة فقال
 والذي نفسي بيده أن الله أرحم بأؤمنين من هذه بولدها ولقد سلك هرون في موطنه أحسن
 الوجوه لأنه زجرهم عن الباطل أولاً بقوله ما كنا فتنم به ثم دعاهم إلى معرفة الله بأننا بقوله وأن ربكم
 الرحمن ثم دعاهم ثانياً إلى التوبة بقوله فأتبعوني ثم دعاهم رابعاً بقوله وأطيعوا أمرى وهذا هو
 الترتيب الجيد لأنه لا بد قبل كل شيء من إمامة الأذى عن الطريق وهو إزالة الشبهات ثم معرفة
 الله تعالى فاتمهاهي الأصل ثم التوبة ثم الشريعة فنبت أن هذا الترتيب أحسن الوجوه لأنه
 زجرهم عن الباطل أولاً * ولما ذكر تعالى ما قال هرون تشوفت النفس إلى علم ما قال موسى
 ففصل (قال باهرون) أنت نبي الله وأخي ووزيري وخليفة فأنت أولى الناس بأن أؤممه
 وأخفهم بأن أعاتبه (مامعك إذ) أي حين (وأيتهم ضلوا) عن طريق الهدى واتبوا سبيل
 الردى (أن لا تتبعني) في سبقي من الإخذ على يد الظالم طوعاً أو كرهاً * (تنبه) لا مزبذبة للتأكد
 لأن النافي إذا زيد في كلام كان نافية للصدمة مضمونه فتميداً لثبات المضمون ونصفاً لصدته فيكون ذلك
 في غاية التأكد وأثبت المياه بعد التون ابن كثير ووقفوا وصلوا وأبتم نافع وأبو عمرو وصلوا وقفا
 وحذفها الباقر وصلوا ووقفوا (أعصيت) أي فكبرت عن اتباعي فتسبب عن ذلك أنك عصيت
 (أمرى) وأخذ بليته برأسه يجره إليه غضب الله تعالى فكانه قيل ما قال له فقيل (قال) مجيباً له
 مستعظاً بذكر أول وطن ضمهما بعد تفتح الروح مع ما له من الرقة والسفقة (يا ابن أم) فذكره بها
 خاصة وإن كان شقيقه لأنها يسوءها ما يسوءه وهي أرق من الأب وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو
 وحفص بفتح الميم وكسرها ابن عامر وشعبة وجزء والكسائي (لا تأخذ بليتي ولا رأيي) أي
 بشعرهما * ثم عطف ذلك بقوله (إني خشيت أن تقول) إذا شددت عليهم حتى يصل الأمر إلى
 القتال (فوقت بيني وبين بني إسرائيل) بهفك هذا الذي لم يجده شياً لقله من كان معك وضعفك
 عن ردهم (ولم تقرب قولي) أخفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ولم تقل واردهم
 ولو أدت الأمر إلى السيف * ولما فرغ من نصيحة أقرب الناس إليه وأحقهم بنصيحته
 وحفظه على الهدى إذ كان رأس الهداة تشوف السامع إلى ما كان من غيره فاستأنف تعالى
 ذكره بقوله (قال) أي موسى عليه السلام لرأس أهل الضلال معرضاً عن أخيه بعد قبول عذره
 بإعلام ما نسب إليه سبب السؤواله عن الحامل له عليه (فما خطبك) أي أمر لك هذا العجب العظيم
 الذي جئت على ما صنعت وأخبرني ربي أنك أضللتهم به (يا سامرى قال) السامرى مجيباً له
 (بصرت) من البصر والبصيرة (عالم بصروا به) أي رأيت ما لم يربوا إسرائيل وعرفت ما لم يعرفوا
 وقال ابن عباس علمت ما لم يعلموا ومنه قولهم رجل بصير أي عالم قاله أبو عبيدة و أراد أنه رأى
 جبريل عليه السلام فأخذ من موضع حافر دابته قبضة من تراب كما قال (قبضت) أي فكان
 ذلك سبباً لأن قبضت (قبضة) أي مرة من القبض أطلقها على القبوض تشبيهاً لما فعل بالصدر
 (من أثر) قرئ ذلك (الرسول) أي المعهود (فنبذتها) أي في الحسلى اللقي في النار وأوفى المجهل
 (وكذلك) أي وكما سألني نفسي أخذ أزره (سؤلت) أي حسنت وزييت (إني نفسي) نذهاهي

الخليل فنبذتهم او كان منها ما كان ولم يدعى الى ذلك داع ولا جاني عليه حامل غير التوسيل
 * (تنبيه) كون المراد بالرسول جبريل عليه السلام هو ما عليه عامة المفسرين وادباً بآزده
 التراب الذي أخذته من موضع حافر دابته لما رآه يوم فلق البحر وعن علي رضي الله تعالى عنه
 ان جبريل عليه السلام لما نزل ليذهب بعيسى الى الطور ابصره السامري من بين الناس
 واختلفوا في أنه كيف اختص السامري برؤية جبريل عليه السلام ومعرفة من بين
 الناس فقال ابن عباس في رواية الكشي انما عرفه لانه رباة في صغره وحفظه من القتل حين أمر
 فرعون بدمج أولاد بني اسرائيل فكأنت المرأة اذا ولدت طرحت ولدها حيث لا يشهر به آل
 فرعون فتأخذ الملائكة الولدان ويرونهم حتى يتعرعوا ويختلطوا بالناس فكان السامري
 ممن أخذته جبريل عليه السلام وجعل ككف نفسه في فيه وارضع منه العسل واللبن فلم يزل
 يتخلف اليه حتى عرفه فلما رآه عرفه قال ابن جرير فعلى هذا قوله بصرت بما لم يصروا به يعني
 رأيت ما لم يرووه ومن فسر الابصار بالعلم فهو صحيح ويكون المعنى علمت أن تراب فرس جبريل
 عليه السلام له خاصية الاحياء قال أبو مسلم ليس في القرآن نص صريح بهذا الذي ذكره المفسرون
 فهمنا وجه آخر وهو أن يكون المراد بالرسول موسى عليه السلام وبأزده رسمة الذي أمر
 به فقد يقول الرجل ان فلانا يفتقوا أنرفلان ويقتص أثره اذا كان يمثل رسمة والتقدير أن موسى
 عليه السلام لما أقبل على السامري باللوم والمستله عن الامر الذي دعاه الى اضلال القوم في
 العمل قال بصرت بما لم يصروا به أي عرفت أن الذي أنتم عليه ليس بحق وقد كنت قبضت قبضة
 من أثرك أي الرسول أي شأ من دينك فقد فتته أي طرحته فعند ذلك أعلمه موسى عليه السلام
 بما له من العذاب في الدنيا والآخرة وانما ورد لفظ الاخبار عن غائب كما يقول الرجل لرئيسه
 وهو مواجعه ما يقول الامير في كذا أو بماذا يأمر الامير وأما ادعائه ان موسى رسول
 مع عهده وكفروه فعلى مذهب من حكى الله فيه قوله أيها الذي نزل عليه الذكراك لمجنون وان
 لم يؤمنوا بالانزال قال الرازي وهذا القول الذي ذكره أبو مسلم ليس فيه الا أنه مخالف للمفسرين
 ولكنه أقرب الى التحقيق لوجوه أحدها أن جبريل عليه السلام ليس معهودا باسم الرسول
 ولم يجبر له فيما تقدم ذكر حتى يجعل لام التعريف اشارة اليه فاطلاق لفظ الرسول لا رادة جبريل
 كنهانه تكلف بعلم الغيب وثانيها أنه لا بد فيه من الاضمار وهو قبضة من أثر حافر دابة
 الرسول والاضمار خلاف الاصل وثالثها أنه لا يتم التعسف في بيان أن السامري كيف
 اختص من بين جميع الناس برؤية جبريل ومعرفة وكيف عرف أن تراب حافر فرسه له هذا
 الاثر والذي ذكره من أن جبريل هو الذي رباة فبعد لان السامري ان عرف أنه جبريل حال
 كمال عقله له عرف قطعاً ان موسى نبى صادق فكيف يحاول الاضلال وان كان ما عرفه حال
 البسوخ فاني نفعه كون جبريل مرئياً له حال الطفولية في حصول تلك المعرفة * ثم أن موسى
 عليه السلام لم يسمع من السامري ما ذكر (قال) له (قاضي) أي فتسبب عن فعلك أن أقول
 لك اذهب من بيتنا وحيث ذهبت (فان لك في الحياة) أي ملامت حيا (أن تقول) لكل من

رأيت (الاسمان) أى لا تمسنى ولا أمسك فلا تقدر أن تنفك عن ذلك فكان بهم في البرية مع
 الوحوش والسباع واذا من أحد أو مسه أحد جميعا عاقبه الله تعالى بذلك وكان
 إذ أتى أحد يقول لاسماس أى لا تقربنى ولا تمسنى وقال ابن عباس لاسماس لك ولولدك حتى
 أن بقاياهم اليوم يقولون ذلك واذا من أحد من غيرهم أحد منهم جميعا في ذلك الوقت
 (وإن لك) بعد المات (موعدا) للثواب إن تبت والعقاب إن آيت (لن تخلفه) قرأ ابن كثير وأبو
 عمرو بكسر اللام أى لن تعيب عنه والباقون يفصحها أى بل تبعث إليه فلا تنفك لك عنه كما أنك
 في الحياة لا تقدر أن تنفك عن النفرة من الناس فاختر لنفسك ما يحلو * ولما ذكر الملائكة الحق
 من القدرة التامة في الدارين أتبعه عزير الجمل فقال (وانظر إلى الهلك) أى برعك (الذى ظلت)
 أى دمت في مدة يسيرة جدا بما أشار إليه تخفيف التضيق فإن أصله ظلت بلامين أو لاهما
 مكسورة وحذفت تخفيفا (عليه عاكفا) أى مقبعا تبعده (لن تحرقه) أى بالنار وبالبرد قال الباقى
 كما سلف عن نص التوراة وكان معنى ذلك أنه أجماع حتى لان فهان على المبادر انتهى
 (ثم لتنسفنه) أى لتذريه إذا صار بحالة (في اليم) أى في البحر الذى أغرق الله تعالى فيه آل
 فرعون ثم يجمع الله تعالى سبحانه التى هى من حلهم فيحيمها في نار جهنم ويكويهم بها ويجعلها
 من أشد العذاب عليهم وأكدا فعل اطهار العظمة الله تعالى الذى أمره بذلك وتحققا للصدق
 في الوعد فقال (نسفا) قال الجلال المحلى وفعل موسى عليه السلام بعد ذبحه ما ذكره انتهى وعلى
 هذا لا يصح أن يبرد بالبرد قال الرازى ويمكن أن يقال صار لحما ودمًا وذبج ثم بردت عظامه بالبرد
 حتى صارت بحيث يمكن نسفها * ولما أراهم بطلان ما هم عليه بالعيان أخبرهم بالحق على
 وجه الحصر فقال (إنما ألهمكم الله) أى الجامع لصفات الكمال ثم كشف المراد من ذلك
 وحققه بقوله (الذى لا اله الا هو) أى لا يصلح لهذا المنصب أحد غيره لانه (وسع كل شئ) وقوله
 (علما) تمييز محمول عن الفاعل أى أحاط علمه بكل شئ فنكل شئ إليه بمقتدر وهو غنى عن كل شئ وأما
 الجمل الذى عبدوا فلا يصلح للالهية بوجه ولا في عبادته شئ من حق * ولما شرح الله تعالى قصة
 موسى عليه السلام مع فرعون أو لا ثم مع السامرى ثانيا على هذا الاسلوب الاعظم والسبيل
 الاقوم كان كانه قيل هل يعاد شئ من القصص على هذا الاسلوب السديع والمثال الرفيع
 فقيل نعم (كذلك) أى مثل هذا القصص العالى في هذا النظم العزيز العالى كقصة موسى ومن
 ذكر معه (نقص عليك من انباء) أى أخبار (ما قد سبق) من الامم زيادة في علمك واجلالا
 لمقدارك وتسليمة لقلبك وازدائها لجزئك بما تنفق للرسول من قبلك وتكثير الينباتك وزيادة في
 مهجرتك ولتعتبر السامع ويزداد المستبصر في دينه بصيرة وتتأ كدا لجهة على من عاند وكابر (وقد
 انبأك) أى أعطينا لتشرىفالك وتعظيم القدر (من لنا) أى من عندنا (ذكرنا) أى كنا هو
 القرآن وفي تسمية القرآن بالذكر وجوه أحدها أنه كتاب فيه ذكر ما يحتاج إليه الناس من أمر
 دينهم ودنياهم وثانيها أنه يذكر فيه أنواع الآلاء الله ونعماته وفيه التذكير والموعظة والثالثها فيه
 الذكر والشرف لك ولقومك كما قال تعالى وأنه لذكركم ولقومك وسمى الله تعالى كل كتاب

أنزل ذكر أفعال فاستلوا أهل الذكروا التكبير فيه التحظيم فانه مشتمل على أسرار كتب الله تعالى
 المنزلة (من أعرض عنه) فلم يؤمن به (فانه يحمل يوم القيامة وزناً) أى حلالاً نصلاً من الأئمة (حالدين
 فيه) أى فى عذاب الوزر (وساء) أى وبئس (لهم) أى ذلك الحمل (يوم القيامة) وقوله (حلالاً) تمييز
 مفسر للضمير فى ساء والمخصوص بالذم محذوف تقديره وزرهم واللام للبيان ومن أقبل عليه كان
 مذكراً به بكل ما يريد من العلوم النافعة ويبدل من يوم القيامة (يوم يفتح فى الصور) أى القرن
 النخعة الثانية وقرأ أبو عمر وبنوفى الأولى مفتوحة وضم الفاء على استناد الفعل الى الإمربة
 تظليهاه أو الى النافع والباقون يساء مضمومة وفتح الفاء (وتحشر المجرمين) أى الكافرين
 (يومئذ زرقاً) أى عيونهم مع سواد وجوههم لأن زرقه العيون أبغض شئ من ألوان
 العيون الى العرب لأن الروم أعداءهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا فى صفة العدو وأسود
 الكبد أصهب السبال أزرق العين وقيل المراد العمى لأن حدقة من يذهب نور بصره تزرق
 وقيل عطاشا حال كونهم (يتخافون) أى يخفون أصواتهم (بينهم) لما يلاصق صدورهم من الرعب
 والهول والخفت خفض الصوت واخفاؤه (أن) أى يقول بعضهم لبعض ما (لبنتم) أى يكتمتم
 (الأعسر) أى من اللبالي بأيامها فى الدنيا وقيل فى القبور وقيل بين النفتين وهو مقدر وأربعين
 سنة قالوا ذلك إما استقصار للمدة الراحة فى جنب ما بداهم من الخواف لأن أيام السرور وقصار
 وأما الأنازاهيت عنهم وانقضت والذاهب وان طال مدته قصيرة بالانتهاء ومنه توقيع عبد الله
 ابن المعتز طال الله تعالى بقائه كفى بالانتهاء قصره وأما الاستطالتم الآخرة فانه يستقصر بها
 عمر الدنيا ويقال لبث أهلها فيها بالقياس الى لبثهم فى الآخرة كما قال تعالى كم لبثتم فى الارض
 عدد سنين قالوا البثنا يوماً وبعض يوم فاستلوا هادين واما غلظا ودهسة قال الله تعالى (نحن
 أعلم) أى من كل أحد (بما يقولون) فى ذلك اليوم أى ليس كما قالوا (اذ يقول أمثلهم) أى أعد لهم
 (طريقة) أى رأياً وعملاً فى الدنيا فيما يجبسون (أن) أى ما (لبنتم الا يوماً) أى مبدأ الآحاد
 لا مبدأ العقود كما قال تعالى فى آية أخرى يقسم المجرمون ما بثوا غير ساعة كذلك كلوا
 يوفكون فلا يزالون فى افك وصرف عن الحق فى الدارين لأن الإنسان يموت على ما عاش عليه
 ويعت على ما مات عليه * ولما وصف سبحانه وتعالى أمر يوم القيامة حكى سؤال من لا يؤمن
 بالخير فقال تعالى (ويستألونك) يا أشرف الخلق (عن الجبال) كيف تكون يوم القيامة
 قال الضحالك نزلت فى مشركى مكة قالوا يا محمد كيف تكون الجبال يوم القيامة وكان
 سؤالهم على سبيل الاستهزاء ولما كان مقصودهم من هذا السؤال الطعن فى الحشر والنشر
 فلا حرم أمره الله تعالى بالجواب مقرراً بما يعرف التعقيب بقوله (فقل) لهم (نسفها ربى نسفاً)
 لأن تأخير البيان فى مثل هذه المسئلة الاصولية غير جائز وأما المسائل الفرعية فجاز فلذلك
 ذكر هنا فى حقوقه تعالى يستألونك ماذا ينفقون قل العفو وقوله تعالى ويستألونك عن
 السامى قل اصلاح لهم خير فغير حرف التعقيب والتسلف التذرية وقيل القلع الذى يقلعها
 من أصلها ويجعلها هباء منثوراً قال الخليل بسفها يذهبها ويطيرها وفى ضمير (فيذرها) قولان

أحدهما أنه ضمير الأرض أضرمت للدلالة عليها كقوله تعالى ما ترك على ظهرها من دابة والثاني
ضمير الجبال وذلك على حذف مضاف أي فذرمرأ كرها ومقارها ويذر يجوز أن يكون بمعنى
يخليا فيكون (قاعا) حالا وأن يكون بمعنى يترك التصيرية فيتعدى لاثني فقاعا ثنيهما والقاع
هو المكان المستوي وقيل الأرض التي لا بناء فيها ولا نبات وفي قوله تعالى (صمصفا) قولان
أحدهما الأرض المساء والثاني المستوية والقاع والصفصفتريان من الترادف وجمع
القاع أقوع وأقواع وقيعان (لا ترى فيها) أي الأرض أو مواضع الجبال (عوجا) أي انخفاضا
(ولأمتا) أي ارتفاعا بوجه من الوجوه وعبر هنا في العوج بالكسر وهو المعاني ولم يعبر بالفتح
الذي توصف به الاعيان فإن الأرض أو مواضع الجبال أعيان لامعان نفيبالاعوجاج على
أبلغ وجهه بمعنى أنك لو جعت أهل الخبرة بتسوية الأرض لاتفقوا على الحكم بماستوائها ثم
لو جعت أهل الهندسة فحكموا بما يسهم العلية فيها الحكموا بمثل ذلك (يومئذ) أي يوم
اذنست الجبال (تبعون) أي الناس بعد القيام من القبور بغاية جهدهم (الداخي) أي إلى
المحشر وهو امر اصيل يضع الصور على فيه ويقف على حفرة بيت المقدس ويقول آيتها العظام
البالية والجلود المتزفة والعموم المتفرقة هلموا إلى عرض الرحمن (لا عوج له) أي الداخي في شيء
من قصدهم إليه لانه ليس في الأرض ما يجوههم إلى التعويج ولا يمنع الصوت من النفوذ على
السواء وقيل لا عوج له عانه وهو من المقلوب أي لا عوج له عن دعاء الداخي لا يرفعون عنه مينا
ولا تما ولا يقدرون عليه بل يتبعونه سراعا (وخشعت الاصوات) أي سكنت وذات وقطامت
لخشوع أهلها (للرحمن) الذي عت نعمه فيرجى كرمه وتحشى نقمه (فلا) أي قسبب عن
خشوعها أنك لا (لا تسمع الاهسا) أخفى ما يكون من الاصوات وقيل أخفى شيء من أصوات
الاقدام في نقلها إلى المحشر كصوت أخفاف الابل في مشيها (يومئذ) أي اذ كان ما تقدم (لا تسمع
الشفاعة) أحدا (الامن أذن له الرحمن) أن يشفع له (ورضى له قولا) ولو الايمان المجرّد قال ابن
عباس يعني قال لا اله الا الله فهذا يدل على أنه لا يشفع لغير المؤمن * ولما نفي أن تنفع شفاعة بغير
أذنه عل ذلك كما سلف في آية الكرمي بقوله (يعلم ما بين أيديهم) أي الخلاق من أمور الآخرة
(وما خلفهم) من أمور الدنيا وقيل ما بين أيديهم ما قدموا وما خلفهم ما خلقهم ما خلقوا من الاعمال
ولا يحيطون به علما) أي لا يحيط عليهم معلوماه وقيل الضمير إلى ما أي يعلم ما بين أيديهم وما
خلفهم وهم لا يعلمونه وقيل راجع إلى الله تعالى أي ولا يحيطون بالله علما * ولما ذكر خشوع
الاصوات أتبعه خضوع ذورها فقال (وعنت الوجوه) أي ذلت وخضعت في ذلك اليوم ويصير
المؤمن القهر لله تعالى دون غيره وخص الوجوه بالذكركرمع أن المراد الانحطاط لشرف الوجوه
ولانها أول ما يرضه فيها الذلل (اللعني) الذي هو مطلع على الدقائق والجلالات (القيوم) الذي
لا يقفل عن التدبير ومجازاة كل نفس بما كتبت روى ابن أسامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال اطلبوا اسم الله الاظم في هذه السور الثلاث البقرة وآل عمران وطه قال الرازي
فوجدته المنسوبة في السور الثلاث آله لا اله الا هو الحي القيوم (وقد خاب) أي خسر خسارة

ظاهرة (من جل ظلم) قال ابن عباس خسرت من أشرك بالله والظلم الشرك * ولما شرح الله تعالى
 أحوال القيامة ختم الكلام فيها بشرح أحوال المؤمنين فقال (ومن يعمل من الصالحات)
 أى التى أمره الله تعالى بها بحسب طاقته لانه لن يقدر الله أحد حق قدره ولن يشاء الدين أحد
 الاغلبه (وهو مؤمن) ليكون بناؤها على الاساس كما فى قوله تعالى ومن يأنه مؤمناً قد عمل
 الصالحات (فلا يخاف ظلماً) أى زيادة فى سيئاته (ولا هضمًا) أى بنقص من حسناته قاله ابن
 عباس وقيل لا يؤاخذ بذنوبه لعمله ولا تبطل حسنة عملها وعبر تعالى بالقائه اشارة الى قبول
 الاعمال وجعلها سبباً لذلك الحال وأما غير المؤمن فلو عمل أمثال الجبال لم يكن لها وزن وقوله
 تعالى (وكذلك) معطوف على قوله تعالى وكذلك نقص أى ومثل انزال ما ذكر (أترئاه)
 أى القرآن (قرآناً) جامعاً لجميع المعاني المقصودة ثم وصفه تعالى بالمرين أحد ما قوله
 تعالى (عريباً) أى بلسان العرب لانه فهموه ويقفوا على اعجازه وحسن نظمه وخروجه عن كلام
 البشر الثانى قوله تعالى (وصرفنا فيه من الوعيد) أى كترناه وفضلناه ويدخل تحت الوعيد
 بيان الفرائض والمهارم لان الوعيد ما يتعلق بشكره وتصريفه بقضى بيان الاحكام
 فلذلك قال تعالى (لعلهم يتقون) أى يجتنبون الشرك والمحارم وترك الواجبات تقصير
 التقوى لهم ملكة (أو يحدث لهم ذكراً) أى عظة واعتباراً حين سمعوا فيها فيبطلهم عنها ولهذا
 النكتة أسند التقوى اليهم والاحداث الى القرآن (تعالى الله) فى ذاته وصفاته عن مماثلة
 الخلق لا يماثل كلامه كلامهم كما لا تماثل ذاته وصفاته ذاتهم وصفاتهم (الملك) الذى
 لا يهجزه شئ فلا ملك فى الحقيقة غيره (الحق) أى الثابت الملك فلا زوال لكونه ملكاً فى زمن ما
 ولعظمة ملكه وحقيقته ذاته وصفاته صرف خلقه على ما هم عليه من الامور المتبانية * ولما
 شرح الله تعالى كيفية نفع القرآن للمكلفين وبين أنه سبحانه وتعالى متعال عن كل ما لا ينبغى
 موصوف بالاحسان والرحمة ومن كان كذلك صان رسوله عن السهو والنسيان فى امر الوحي
 فلذات قال تعالى (ولا تجعل بالقرآن) أى بقراءته (من قبل أن يقضى اليك وحيه) من الملك
 النازل به اليك من حضرتنا كما نال من جعل بانزاله عليك جملة بل رتلناه لك ترتيلاً ورتلناه اليك
 ترتيلاً مفصلاً تفصيلاً وموصلاً توصيلاً فاستمع له طمطماً جميع تأمك اليه ولا تساقه بالقراءة
 فاذا فرغ فاقراءه فانما يجمعه فى قلبك ولا تكلفك المساوقة بتلاوته (وقل رب) أيها المحسن الى
 بافاضة العلوم على (زدنى علماً) أى سل الله زيادة العلم بدل الاستجمال فان ما أوحى اليك تناله
 لا بما روى الترمذى عن أبي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انضغني
 بما علمتني وعلني بما نفعني وزدني علماً والحمد لله على كل حال وأعوذ بالله من حال أهل النار وكان
 ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية قال اللهم زدني علماً وبقيناه ولما قال تعالى كذلك نقص عليك من
 انباء ما قد سبق ذكره هذه القصة اعجاز الوعد فقال تعالى (ولقد عهدنا) بحالنا من العظمة (الى
 آدم) ابي البشر أى وصيناه ان لا يأكل من الشجرة وانما عطفها على قوله تعالى وصرفنا قسماً من
 الوعيد للدلالة على أن اساس بن آدم على العصيان وعزفهم راسخ بالنسيان (من قبل) أى فى

زمن من الأزمان الماضية قبل هولاء الذين تقدم في هذه السورة ذكر نسيانهم واعراضهم
 (فسي) عهدنا وأكل منها (ولم نجد له عزما) أي نعيم رأى وثبات على الامر اذ لو كان ذا عزيمة
 وتصلب لم يزل الشيطان ولم يستطع تغيره قال البيضاوي ولعل ذلك كان في يده أمره قبل أن
 يجرب الأمور ويذوق أديها وشربها انتهى والارى العسل والشرى المختل قال البغوي قال
 أبو امامة الباهلي لو وزن حلم آدم بحلم ولده لرج حله وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقال
 البيضاوي وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو وزن آدم بحلم آدم لرج حله وقد قال تعالى
 ولم نجد له عزما قال ابن الاثير والحلم بالكسرة الاناة والتثبت في الامور (فان قيل) ما المراد
 بالنسيان (أجيب) بأنه يجوز أن يراد بالنسيان الذي هو نقيض الذكر وأنه لم يكن بالوصية العناية
 الصادقة ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط النفس حتى تولد من ذلك النسيان ولم يكن
 النسيان في ذلك الوقت مرفوعا عن الانسان بل كان يؤاخذ به وانما رفع عنا وكان الحسن يقول
 ما عصى أحد قط الا بنسيان وان يراد الترك وأنه ترك ما وصى به من الاحتراز عن الشجرة فأكل
 ثمها وقيل نسي عقوبة الله تعالى وظن أنه نهى تنزيهه * (تبيه) * هذا هو المرة الخامسة من قصة
 آدم في القرآن أولها في البقرة ثم في الاعراف ثم في الحجر ثم في الكهف ثم ههنا وقوله تعالى (واذ قلنا
 للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس) تقدم الكلام على ذلك مفصلا في سورة البقرة
 وقوله تعالى (أي) جملة مستأنفة لانها جواب سؤال مة تراى ما نعمة من السجود فاجيب بأنه
 أي ومفعول الابهاء يجوز أن يكون مرادا وقد صرح به في الآية الاخرى في قوله تعالى أي أن
 يكون من الساجدين وحسن حذفه هنا كون العامل رأس فاصله ويجوز أن لا يراد أصلا وان
 المعنى أنه من أهل الابهاء والعصيان من غير نظر الى متعلق الابهاء ما هو (فقلنا) بسبب امتناعه بعد
 أن حملنا عليه ولم نعالجه بالعقوبة (يا آدم ان هذا) الشيطان الذي تكبر عليك (عدوك ولزوجك)
 حواء بالذات لانها منك وسبب تلك العداوة من وجوه الأثر ان ابليس كان حسودا فلما رأى آثارهم
 الله في حق آدم حسده فصارعوا له الثاني ان آدم عليه السلام كان شابا عالما لقوله تعالى وعلم آدم
 الاسماء كلها وابليس كان شيخا جاهلا لانه أثبت فضيلته بفضيلة أصله وذلك جهل والشيخ الجاهل
 أبدا يكون عدوا للشاب العالم الثالث ان ابليس مخلوق من النار وادم مخلوق من الماء والتراب
 فين أصلهما عداوة فثبتت تلك العداوة (فان قيل) لم قال تعالى (فلا يجز جنكما من الجنة) مع
 أن المخرج لهما منها هو الله تعالى (أجيب) بأنه لما كان هو الذي فعل بوسسته ما ترتب عليه
 الخروج صح ذلك (فان قيل) لم قال تعالى (فتشق) أي فتعب وتنصب في الدنيا لم يقل فتشقا
 (أجيب) بوجهين أحدهما أن في ضمن شقاء الرجل وهو قومه أهله وأسيرهم شقاءهم كما أن
 في ضمن سعادته سعادتهم فاختصر الكلام باسناده اليه ودونها مع المحافظة على كونه رأس فاصله
 وعن سفيان بن عيينة قال لم يقل فتشقا لانها داخله معه فوقع المعنى عليهم ما جمعا وعلى
 أولادها جمعا كقوله تعالى يا أيها النبي اذا طلقتم النساء ويا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك
 قد فرض الله عليكم تحيله أيمانكم فدخلوا في المعنى معه وانما كلم النبي وحده الثاني أريد

بالشقاء التعب في طلب الثروت وذلك على الرجل دون المرأة لأن الرجل هو المساعي على زوجته
 زوى أنه اهبط الى آدم نوراً حرف كان يحرث عليه ويسمى العرق عن جبينه ويحتاج بعد الحراث
 الى الحصد والطمع والخبز وغير ذلك مما يحتاج اليه وعن الحسن قال عن بي شفاء الدنيا فلا تلتقي
 ابن آدم الا شقياً ناصباً أي ولو أراد شقاوة الاخرة ما دخل الجنة به وذلك لما كان الشبع
 والري والكسوة والكرت هي الامور التي يدور عليها كثاف الناس ذكر تعالى حصول هذه
 الاشياء في الجنة من غير حاجة الى الكسب والطلب وذكرها بلفظ النبي لا زادها بقوله تعالى
 (انك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ) أي تعطش (فيها ولا تضي) أي لا يحصل لك
 حر شمس الضحى لا تفتاء الشمس في الجنة بل أهلها في ظل عمد وهذه الاشياء كما أنها تفسر لاشقاء
 المذكور في قوله تعالى فتشقى (فوسوس) أي فتهقب تحذيرنا هذان من غير بعد في زمان أن وسوس
 (اليه الشيطان) اخترق الطرود وهو ابليس أي أنهسى اليه الوسوسة وأما وسوس له فنعناه لاجله
 فلذلك عدى نارة باللام في قوله تعالى فوسوس له ما وتارة بالي ثم بين تعالى تلك الوسوسة ما هي
 بقوله تعالى (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) أي على الشجرة التي ان أكلت منها بقيت
 مخلداً (وملك لا يلى) أي لا يبديد ولا يفتى قال الرازي واقعة آدم حبيبة وذلك لان الله تعالى ورغبه
 في دوام الراحة وانتظام المعيشة بقوله تعالى فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى انك ان لا تجوع
 فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضي ورغبه ابليس أيضاً في دوام الراحة بقوله تعالى هل
 أدلك على شجرة الخلد وفي انتظام المعيشة بقوله وملك لا يلى فكان النبي الهى رغب الله تعالى فيه
 آدم هو الذى رغبه ابليس فيه الا أن الله تعالى وقف ذلك الامر على الاحتراس عن تلك الشجرة
 وابدس وقفه على الاقدام عليها ثم ان آدم عليه السلام مع كمال عقله وعلمه بأن الله مولاه وناصره
 ومربيه وعلمه بأن ابليس عدوه حيث امتنع من السجود له وعرض نفسه للعنة بسبب عداوته
 كيف قبل في الواقعة الواحدة والمقصود الواحد قول ابليس مع علمه بعداوته له وأعرض عن
 قول الله تعالى مع علمه بأنه الناصر له والمربي ومن تأمل هذا الباب طال نجه وعرف آخر الامر
 ان هذه القصة كالتبسيه على انه لا دافع لقضاء الله ولا مانع له منه وان الدليل وان كان في غاية
 الظهور ونهاية القوة فانه لا يحصل النفع به الا اذا قضى الله ذلك وقد رواه انتهى ويندل على ذلك
 ما ثبت في الحديث الصحيح روى البخارى ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ارحم آدم وموسى
 عند ربهما الخج آدم موسى قال موسى أنت آدم الذى خلقك الله سيده وفتح فيك من روحه
 وأوجدك ملائكته وأسكنك في جنته ثم أهبطت الناس بخطيتك الى الارض فقال آدم أنت
 موسى الذى اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الالواح فيها بيان كل شئ وقربك نجيباً فكلتم
 وحدث الله كتب التوراة قبل أن يخلقنى قال موسى بأربعين عاماً قال آدم فهل وجدت فيها
 وعصى آدم ربه فغوى قال تم قال أقتلوفنى على ان عملت عملاً كتب الله على ان عمله قبل أن
 يخلقنى بأربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخج آدم موسى وروى مسلم عن عبد الله
 ابن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الله مقادير الخلائق قبل أن

يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة قال وعرشه على الماء وقال كل شئ بقدر حتى العجز
 والكيس ثم كان إبليس قال لا دم بلسان الحمال أو المقال مشير الى الشجرة التي نهى عنها
 ما ينكح وبين الملك الدائم الآن تأكل منها (فأكل) أى تسبب عن قوله وتعب ان أكل
 منها) هو وزوجته منيعين لقوله ناسين ما عهد اليهما لامر قدرة الله في الازل (فبدت لهما
 سواتهما) قال ابن عباس عن التور الذي كان الله ألبسهما حتى بدت فروجهما وانما جمع
 سواتهما كما قال صغت قلوبكما أى فظهر لكل منهما قبله وقبل الآخر وجره وسعى كل منهما سواة
 لان انكشافه بسوء صاحبه (وظفقا يحصفان) أى أخذوا يلزقان (عليهما من ورق الجنة) ليسترا
 به قال ابن عادل وهو ورق التين (وعصى آدم) بالاكل من الشجرة وان كان انما فعل المنهى
 نسيما لان عظم مقامه وعلو مرتبته يقتضيان له مزيد الاعتناء ودوام المراقبة (ربه) المحسن اليه
 عالم ينله أحد من بنيه من تصور به يده واستجد ملائكتكم له ومعاداة من عاداه (فقوى) أى
 فعل ما لم يكن له فعله وقيل أخطأ طريق الحق وقيل حيث طلب الخلد بأكل ما نهى عنه فخاب
 ولم ينل مراده وصار من العزالي الذل ومن الراحة الى التعب قال ابن قتيبة يجوز أن يقال عصى
 آدم ولا يجوز أن يقال آدم عاص لانه انما يقال عاص لمن اعتاد فعل المعصية كالرجل يجتنب ثوبه
 فيقال خاطب به ولا يقال هو خاطب حتى يعاوده ويعتاده * (تنبه) * تمسك بعضهم بقوله تعالى
 وعصى آدم ربه فغوى في صدور الكبيرة عنه من وجهين الاول ان العاصي اسم للذم فلا يطلق
 الاعلى صاحب الكبيرة لقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فإنه نارجهم خالدا فيها ولا معنى
 لصاحب الكبيرة الا من فعل فعلا يعاقب عليه الثاني أن القواية والضلالة اسمان مترادفان
 والمعنى ضد الرشاد ومثل هذا لا يتناول الا الناسق المنهك في فسقه وأوجب بأن المعصية مخالفة
 الامر والامر قد يكون بالواجب وقد يكون بالمندوب فانك تقول أمرته ففصاني وأمرته
 بشرب الدواء فصاني واذا كان كذلك لم يتبع اطلاق اسم العصيان على آدم بكونه للمنذوب
 وان كان وصف تارك المنذوب بأنه عاص مجاز وأجاب أبو مسلم الأصمى بأنه عصى في مصالح
 الدنيا لا فيما يتصل بالتكاليف وكذا القول في غوى قال الرازي والاولى عندي في هذا الباب أن
 يقال هذه الواقعة كانت قبل النبوة وقد تقدم شرح ذلك في البقرة وقيل بل أكل من الشجرة
 متأقلا وهو لا يعلم أن الشجرة التي نهى الله عنها شجرة مخصوصة لاعلى الجنس ولهذا قيل انما
 كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة فهو كما قيل حسنات الابرايسات المقربين أى
 رونها بالاضافة الى علو احوالهم كالسبآت (ثم اجتباها ربه) أى اختاره واصطفاه (فتاب
 عليه) أى قبل توبته وأعاد عليه بالعضو والمغفرة (وهدى) أى هداه لارشده حتى يرجع الى الندم
 والاستغفار * ولما كانت دار الملوكة لا تحتل مثل ذلك وان كان قد هداه بالاجتباها قال على
 طريق الاستئناف (قال) الرب سبحانه وتعالى الذى اتهمت حرمة داره (أهبطا) أى آدم
 وحواء بما اشتقما عليه من ذريتهما (منها) أى الجنة (جميعا) وقيل الخطاب لا دم ومعذرتيه
 وإبليس فقوله تعالى (بعضكم لبعض عدو) يكون على التفسير الاول بعض الذرية لبعض عدو

من ظلم بعضهم لبعض وعلى الثاني آدم وذريته وإبليس وذريته وقوله تعالى (فأما) فيه
 ادغام نون إن الشرطية في ما لمزيدة (يأتينكم مني هدى) أي كتاب ورسول (فمن اتبع هداي)
 الذي أسعفته به من أوامر الكتاب والرسول (فلا يضل) أي بعد ذلك عن طريق السداد في
 الدنيا (ولا يشقى) في الآخرة قال ابن عباس من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداة الله تعالى من
 الصلاة ووفاء الله تعالى يوم القيامة سواء الحساب وذلك إن الله تعالى يقول فمن اتبع هداي
 فلا يضل ولا يشقى • ولما وعد تعالى من اتبع الهدى اتبعه بوعيد من أعرض فقال تعالى (ومن
 أعرض عن ذكري) أي عن القرآن فلم يؤمن به ولم يتبعه (فإن له معيشة ضنكاً) والحنك أصله
 الضيق والشدة وهو مصدره مكانة قال له معيشة ذات ضنك واختلاف في ذلك فقال أبو هريرة
 وأبو سعيد الخدري وابن مسعود المراد بالمعيشة الضنك عذاب القبر وروى أبو هريرة أن
 عذاب القبر للكافر قال قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليسلط عليه في قبره تسعة
 وتسعون تينا هل تدرون ما التسعين تسعة وتسعون حبة لكل حبة تسعة وتسعون رأساً يحشدونه
 ويلسعونه ويفتقون في جسمه إلى يوم يبعثون وقال الحسن وقنادة والكلبي هو الضيق في
 الآخرة في جهنم فإن ظلمهم الضريع والرقوم وشراهم الحميم والغسلين فلا يعوتون فيها ولا
 يحبون وقال ابن عباس المعيشة الضنك هي أن يضيق عليه أبواب الخير فلا يهتدى لشيء
 منها وعن عطاء المعيشة الضنك هي معيشة الكافر لأنه غير موفق بالشواب والعقاب وروى
 عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عقوبة المعصية ثلاثة ضيق
 المعيشة والعسر في الشدة وإن لا يتوصل إلى قوته إلا بصحة الله وذلك أن مع الدين التسليم
 والقناعة والتوصل كل على الله تعالى وعلى قسمة فهو يتق مارزقه الله تعالى بإسماح
 وسهولة فيعيش عيشاً رقيقاً كما قال تعالى فليحنيه حيلة طيبة والمعرض عن الدين يستول
 عليه الحرص الذي لا يزال يطعم به إلى الأزداء من الغنى مسلط عليه الشح الذي يقبض يده
 عن الاتفاق فيعيشه ضنك وحاله مظلة قال صلى الله عليه وسلم لو كان لابن آدم واد من ذهب
 لا يتقى إليه ثانياً ولو كان له وادبان لا يتقى لهما ثالثاً ولا يملك لاجوف ابن آدم إلا القرب ويتوب
 الله على من تاب متفق عليه قال بعض الصوفية لا يعرض أحد عن ذكر ربه إلا أنظم عليه
 وقته وتشوش عليه رزقه وقال تعالى استغفر واربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم
 مدراراً الآية وقال تعالى وإن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً ثم تذكروا
 المعرض في الآخرة بقوله تعالى (ومحشره يوم القيامة أعمى) قال ابن عباس إذا أخرج من القبر
 خرج بصيراً فإذا سبق إلى المحشر عى ولعله جمع بذلك بين هذا وبين قوله تعالى أعمى بهم
 وأبصر يوم يأتوننا وقال عكرمة عى عليه كل شيء إلا جهنم وفي لفظ قال لا يبصر إلا النار وعن
 مجاهد المراد بالعمى عدم الحجة ويؤيد الأول قوله تعالى (قال رب لم حشرتني أعمى) في هذا
 اليوم (وقد كنت بصيراً) أي في الدنيا وفي أول هذا اليوم فكيف قبيلها أحب قبيل (قال)
 له ربه (كذلك) أي مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال (أتك أيا تبا) وأضحى نعم (فأنسيتها) فعميت

عنها وترى صكها غير منظور إليها (وكذلك) أي ومثل تركها (اليوم تسمى) أي تترك في
 العسى والعذاب (وكذلك) أي ومثل هذا الجزاء الشديد (فجزى من أسرف) في منابه هواء
 فتكبر عن مقابضة أو امرنا (ولم يؤمن) بل كذب (بآيات ربه) وخالفها (ولعذاب الآخرة
 أشد) مما نعذبهم به في الدنيا والقبر لعظمه (وأبقي) فإنه غير منقطع * ولما بين الله تعالى أن من
 أهرض عن ذكره كيف يحشر يوم القيامة اتبعه بما يعتبر به المكلف من الأفعال الواقعة
 في الدنيا ممن كذب الرسل فقال (أفلم يهد) أي بين ما يهتدون إلى المقصود (لهم) أي هؤلاء
 الذين أرسلت إليهم أعظم رسلي وفاعل يهد مضمون قوله (كم أهلكنا) وقال أبو البقاء الفاعل
 ما دل عليه أهلكنا أي أهلكنا والجملة مفسرة له وقال الزمخشري فاعل لم يهد الجملة بعده
 يريد لم يهد لهم هذا بعينه ومضمونه ونظيره قوله تعالى وتر كاعليه في الآخرة من سلام على
 نوح في العالمين أي تركاعليه هذا الكلام ويجوز أن يكون فيه ضمير الله والرسول انتهى
 وكم خبرية مفعول أهلكنا (قبلهم من القرون) أي بتكذيبهم لرسلائنا حال كونهم (عشرون)
 أي هؤلاء العرب من أهل مكة وغيرهم (في حساكنهم) أي في سفرهم إلى الشام ويشاهدون
 آثارها لهم (أن في ذلك) أي الأهلاك العظيم الشأن المتوالي في كل أمة (لايات) عظيمة
 بينات (لاولى النبي) أي لذوى العقول الناهية عن التغافل والتعامى * ولما هدهم باهلاك
 الماضين ذكرب السبب التأخير عنهم بقوله تعالى (ولولا كلمة) أي عظيمة قاضية نافذة (سبقت) أي
 في أزل الأزل (من ربك) الذي عودنا لإحسان تأخير العذاب عنهم إلى الآخرة فإنه يعادل
 بالحلم والامانة (لكان) أي العذاب (لزاما) أي لازما أعظم لزوم لهم في الدنيا مثل ما نزل بعد وتود
 ولكن نذ لهم لئلا يرد من شئنا منهم ونخرج من أصلاب بعضهم من يؤمن وانما فعلنا ذلك أكراما
 لك ووجه الامتنان فكثيرا تساعك فعملوا الطيرات فيكون ذلك زيادة في شرفك وإلى ذلك الإشارة
 بقوله صلى الله عليه وسلم وانما سكان الذي أوتيته وجبا أوطاه الله إلى فأجوان أكون
 أكبرهم تابعا وفي رفع قوله تعالى (وأجل مسمى) وجهان أظهرهما عطفه على كلمة أي ولولا أجل
 مسمى لكان العذاب لازما لهم وهذا ما صدر به البضاوى والثاني أنه معطوف على الضمير المستتر
 في كان وقام الفصل بخبرها مقام التأكيده واقصر الجلال المحلى على هذا وجوز الزمخشري
 والبضاوى وفي هذا أجل المسمى قولان أحدهما ولولا أجل مسمى في الدنيا لذلك العذاب
 وهو يوم بدر والثاني ولولا أجل مسمى في الآخرة لذلك العذاب وهذا كما قال الرازي أقرب
 قال أهل السنة له تعالى بحكم المالكية أن يخص من شاء بفضله ومن شاء بعذابه من غير علة
 إذ لو كان فعله لعله لكات تلك العلة اما قديمة فيلزم قدم الفعل واما حادثة فيلزم اقتقارها
 إلى علة أخرى ويلزم التسلسل ثم انه تعالى لما أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بأنه لا يهلك أحدا
 قبل استيفاء أجله أمره بالصبر فقال (فاصبر على ما يقولون) لك من الاستبزاز وغيره وهذا
 كان في أول الأمر ثم نسخ نبي القاتال (وسبح) أي صل وقوله تعالى (بجسد ربك) حال أي
 وأنت طامد لربك على انه وقتك لذلك وأعانك عليه (قبل طلوع الشمس) صلاة الصبح (وقبل

غروبها) صلاة العصر (ومن آناه الليل) أي ساعاته (فسبح) أي صل المغرب والعشاء وقوله
 تعالى (وأطراف النهار) معطوف على محل من آناه المنصوب أي صل الظهر لأن وقتها يدخل
 بزوال الشمس فهو طرف النصف الأول وطرف النصف الثاني قال ابن عباس دخلت الصلوات
 الخمس في ذلك وقيل المراد الصلوات الخمس والنوافل لأن الزمان ما أن يكون قبل طلوع الشمس
 أو قبيل غروبها فالليل والنهار داخلان في هاتين العبارتين وأوقات الصلوات الواجبة دخلت
 فيهما فبقي قوله ومن آناه الليل فسبح وأطراف النهار للنوافل وقال أبو مسلم لا يعدل التسبيح
 على التنزيه والجلال والمعنى اشتغل بتنزيه الله تعالى في هذه الأوقات (فان قيل) النهار له
 طرفان فكيف قال وأطراف النهار ولم يقل طرفي النهار (أجيب) بوجهين أظهرهما أنه انما جمع
 لأنه يلزم في كل نهار ويعود والثاني أن أقل الجمع اثنان وقرأ قوله تعالى (لعلك ترضى) أبو بكر
 والكسائي بضم التاء أي ترضى بما تنال من الثواب كقوله تعالى وكان عند ربه مرضيا وقرأ
 الباقر بفتحها أي ترضى بما تنال من الشفاعة قال تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال
 تعالى عسى أن يعينك ربك بما محمودا والمعنى على القراءتين لا يختلف لأن الله تعالى إذا
 أرضاه فقد رضى به وادارضىه فقد أرضاه ولما كانت النفس ميالة إلى الدنيا مراهونة بالحاضر
 من فاني العطايا وكان تحلیمها عن ذلك هو الموصل إلى حرمتها المؤذن بعلمها قال تعالى مؤكدا
 إذا نابصوبه ذلك (ولا تمدن) مؤكدا بالنون الثقيلة (عينيك) أي لا تطول نظرهم ما بعد
 النظرة الأولى المعنوية (إلى ما تمنى) في هذه الحياة الفانية (أزواجا) أي أصنافا (منهم)
 أي الكفرة استحسنها وتغيبها أن يكون لك مثله والامتناع إلا إذا عباد ربك من المناظر الحسنة
 ويسمع من الاصوات الطيبة ويشم من الروائح الطيبة وغير ذلك من الملابس والمناجح وقوله
 تعالى (زهرة الحياة الدنيا) أي زيتها ووجهتها منصوب بمحذوف دل عليه متعنا وبه على تضمينه
 معنى أعطينا فأزواجا معقول أول زهرة هو الثاني وذكر ابن عادل غير هذين الوجهين سبعة
 أوجه لا حاجة لنا بذلك كراهتم على تعالى تمتعهم بقوله تعالى (لنقتنهم فيه) أي لنفعل بهم فعل
 المختبر فيكون سبب عذابهم في الدنيا العيش الضنك للمعنى وفي الآخرة بالعذاب الاليم
 فصورته تغز من لم يتأمل معناه حق التأمل فما أنت فيه خير مما هم فيه (ورزق ربك) في الجنة
 (خسيرا) مما أوتى في الدنيا (وأبقي) أي أدم وأما رزقه من نعمة الاسلام والنسوة أولان
 أموالم الغالب عليها الغصب والسرقه والحرمه من بعض الوجوه والحلال خير وأبقي قال
 الزمخشري لأن الله تعالى لا يفسد إلى نفسه إلا ما حل وطاب دون ما حرم وخبت والحرام
 لا يسمى زرقا انتهى وهذا جار على مذهبه المخالف لاهل السنة من أن الحرام لا يسمى زرقا وقال
 أبو مسلم الذي نهى عنه بقوله ولا تمدن عينيك ليس هو النظر بل هو الاسف أي لا تأسف على
 ما فاتك مما نال من حظ الدنيا وقال أبو رافع نزلت هذه الآية في ضيق نزل بالنبي صلى الله عليه
 وسلم فبعثني إلى يهودي يبيع أو يستلف إلى مدة فقال والله لا أقفل إلا برهن فأخبرته بقوله
 فقال صلى الله عليه وسلم إنى لا يمين في السماء وإنى لا يمين في الأرض أحمل إليه درعى الحمد

فنزل قوله ولا تمدن عينيك وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم
 ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم وقال أبو الدرداء الدينار من لاداره وماله من لامله
 ولها يجمع من لا عقل له وعن الحسن لولا جق الناس لحربت الدنيا وعن عيسى ابن مريم عليه
 السلام لا تتخذوا الدينار افتخذاً كما لها عبيدا * ولما أمر الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه
 وسلم بتزكية النفس أمره بأن يأمر أهله بالصلاة بقوله عز وجل (وامرأهات بالصلاة) أى أمر
 أهل بيتك والتابعين للنسبك بالصلاة كما كان أبوك * جعل عليه السلام يدعوهم الى كل
 خير اذا الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا
 يهتوا بأمر المعيشة ولا يفتقروا لرباب الثروة وكان صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية
 يذهب الى فاطمة وعلى رضی الله عنهما كل صباح ويقول الصلاة (واصطبر) أى اداوم (عليها
 لأنسألك) أى نكفلك (رزقاً) لنفسك ولا تغربك (بالحن رزقك) وغيرك كما قال تعالى وما خلقت
 الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق
 ذو القوة المتين تفرغ بالك لامور الآخرة وفى معناه قول الناس من كان فى عمل الله كان الله
 فى عمله وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا أصاب أهله ضرراً بالصلاة وتلاه هذه الآية
 وعن عروة بن الزبير انه كان اذا رأى ما عند السلطان قرأ ولا تمدن عينيك الآية ثم ينادى الصلاة
 الصلاة رحكم الله وعن بكر بن عبد الله المزني كان اذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا
 فصولوا بهذا أمر الله رسوله ثم تلا هذه الآية (والعاقبة) أى الجميلة المحمودة (للتقوى)
 أى لاهل التقوى قال ابن عباس الذين صدقوا واتبعوا واتقوا ويؤيده قوله تعالى
 فى موضع آخر والعاقبة للمتقين ولا معونة على الرزق وغيره بشئ يوازي الصلاة فقد كان صلى
 الله عليه وسلم اذا حزبه أمر أى بالبلاء الموحدة أى اذا أجزته فزع الى الصلاة قال ثابت وكان
 الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذا نزل بهم أمر فزعوا الى الصلاة وعن أبي هريرة رضى الله عنه
 قال قال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى تفرغ لعبادى املا صدرك غنى وأسدفقرتك وان لم
 تفعل ثلاث صدرك شغلا ولم أسدفقرتك وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال سمعت رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يقول من جعل الهموم هما واحدا هم المعاد كفاه الله هم دنياه ومن
 تشعبت به هموم أحوال الدنيا لم يسأل الله فى أى أوديتها هلك وعن زيد بن ثابت قال سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كانت الدنيا همه فرفق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه
 ولم يأت من الدنيا الا ما كتب له ومن كانت الآخرة همه جمع الله له أمره وجعل غناه فى قلبه
 وأتته الدنيا وهى راحة * ثم انه تعالى بعد هذه الوصية حكى عنهم شياً بقوله تعالى (وقالوا
 لولا يا نبينا آية من ربك) فكانه من لوازم قوله تعالى فاصبر على ما يقولون وهو قولهم لولا أى
 هلا يا نبينا آية وقال فى موضع آخر لولا ما تاتينا بآية كما أرسل الاولون * ثم أجاب الله تعالى عن
 رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله (أول تأتهم بينة) أى بيان (ما فى الصحف الاولى) من التوراة
 والانجيل وسائر الكتب السماوية المشتمل عليه القرآن من انبياء الامم الماضية واهلاكهم

بـ كذيب الرتل فليؤمنهم أن يكون حالهم في سؤال الآيات كحال أولئك وقرأ نافع
 وأبو عمرو وحفص بالفوقية على التأنيث والباقون بالخصية على التذكير (ولو أنما أهل كلهم)
 معاملتهم في عصيانهم (بعذاب من قبله) أي هذا القرآن المذكور في الآية الماضية وما قاربهما
 وفي قوله تعالى ولا تجعل بالقرآن وفي منى السورة في ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى أو من قبل
 محمد صلى الله عليه وسلم (القالوا) أي يوم القيامة (ربنا) أي من هو متصف بالاحسان البنا (لولا)
 أي هلا ولم لا (أرسلت البنا رسولا) يأمرنا بطاعتك (فتتبع) أي فينتسب عنه أن يتبع (آياتك)
 التي تعيننا بها (من قبل أن نذل) بالعذاب هذا الذل (وتخزي) بالمعاصي التي علمناها على جهل
 فلاجل ذلك أرسلناك اليهم وأقنابك الحجة عليهم * ولما علم هذا أن الإيمانهم كالمتمنع وجد الهضم
 لا يتقطع بل ان جاءهم الهدى طعنوا فيه وان عذبوا قبله تطلوا كان كانه قبل فالذي افع
 معهم فقيل (قل) لهم (كل) أي كل مني ومنكم (متربص) أي منتظر ما يؤول اليه أمرى وأمركم
 (فتربصوا) فأنتم كالبهايم ليس لكم تأمل (فستعلمون) أي عما قريب يوعدا خلف فيه وهو
 يوم القيامة (من أصحاب الصراط) أي الطريق (السوى) أي المستقيم (ومن اهتدى) أي
 من الضلال فصل على جميع ما يتبعه واجتنب جميع ما يضمره أفن أم أنتم قال ابن عادل
 عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قرأ طه وبس قبل أن يخلق
 آدم بالنبي عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالوا طوي لامة ينزل عليها هذا وطوي لاسن تتكلم
 بهذا وطوي لاجواف تحمل هذا وعن الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقرأ أهل
 الجنة من القرآن الا يبس وطه انتهى ولم يذكر ذلك سندا وأما ما رواه البضاوي تعالى مخشري
 من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ طه أعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين والانصار
 فحديث موضوع

﴿سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام مكتية﴾

قال الرازي باجتماع وهي مائة واحدى أو ثمان عشرة آية وألف
 ومائة وستون كلمة وأربعة آلاف وثمان مائة وستون حرفا

(بسم الله) الحكيم العدل الذي تمت قدرته وصم أمره (الرحمن) الذي ساوى بين خلقه في درجة
 ايجاده (الرحيم) الذي نحي من شاء من عبادته في معاده قال أبو جعفر بن الزبير في برهانه لما تقدمت
 قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى قوله فستعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى قال
 تعالى (اقرب) أي قرب (لنناس حسابهم) أي في يوم القيامة أي فلا تمدن عينيك الى ذلك فاني
 جعلته قسنة وأشار بصيغة الافتعال الى مزيد القرب لانه لا مة بعد هذه بنظر أمرها وأخر
 الفاعل تهيولا تذهب النفس في تعيينه كل مذهب (فان قيل) وكيف وصف ذلك اليوم
 بالاقتراب وقد عدت دون هذا القول أكثر من تسعمائة عام (أجيب) بأنه مقرب عند الله
 والليل عليه قوله تعالى ويستجوبونك بالعذاب فان يومنا عذرك كالف سنة مما تعدون ولان
 صكل آت وان طالت أوقات استقبله وقرقه قريب وانما البعيد هو الذي وجد وانقرض

فلا زال ما تهواه أقرب من غد * ولا زال ما تخشاه أبعد من أمس
ولأن ملقي من الدنيا أقصر وائل محلسف منه بدليل تبعات خاتم النبيين صلوات الله وسلامه
عليه الموعود يعنى في آخر الزمان وقال بعنت أنا والساعة كهاتين وأشار بأصعبه وقال
صلى الله عليه وسلم ختمت النبوة بى كل ذلك لاجل ان الباقي من مدة التكليف أقل من الماضي
وعن ابن عباس ان المراد بالناس المشركون وهو من اطلاق اسم الجنس على بعضه لندليل القائم
وهو ما يتوه من صفات المشركين وهو قوله تعالى (وهم) أى والحال أنهم (فى غفلة) أى عن
الحساب (معرضون) عن التأهب لهذا اليوم لا يتفكرون فى عقابتهم ولا تفتنون لما يرجع اليه
خاتمة أمرهم مع انتضاء قولهم أنه لا بد من جراءة المحسن والمسيء وأيضا ان هذه الآية نزات
فى كفار مكة ولما أخبر تعالى عن غفلتهم واعراضهم دل على ذلك بقوله (ما يأتهم) وأعرف
فى النبي بقوله (من ذكر) أى وحى فيهم عن سنة الغفلة والجهالة وقوله تعالى (من ربهم)
صفة ذكر أو صلة لياتيم (محدث) انزاله أى ما يحدث الله تعالى من تنزيل شئ من القرآن
يدكرهم ويعظهم به وبهد اسقط احتجاج المعتزلة بأن القرآن حادث لهذه الآية وقيل معناه ان
الله تعالى يحدث الامر بعد الامر فينزل الآية بعد الآية والسورة بعد السورة فى وقت الحاجة
ليبان الاحكام وغيرها من الامور والوقائع وقيل المذكور المحدث ما قاله النبي صلى الله عليه
وسلم وبينه من السنن والمواعظ سوى ما فى القرآن وأضافه اليه لان الله تعالى قال وما ينطق
عن الهوى ان هو الا وحى بوحى (الاستعوه) أى قصدهوا اسماعه وهو أجد الجهد وأحق
الحق (وهم) أى والحال أنهم (يلعبون) أى يفعلون فعل اللاعبين بالاستهزاء والسخرية
لتناهى غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر فى الامور والتصرف فى العواقب (الاهية) أى غفلة
معرضة (قلوبهم) عن ذكر الله * (تنبيه) قوله تعالى وهم يلعبون لاهية قلوبهم حالان
مترادفتان أو متداختان * ولما ذكر تعالى ما يظهر ونه فى حالة الاستماع من الله واللعب
ذكر ما يخفونه بقوله تعالى عطف على استعوه (وأسروا) أى الناس المحدث عنهم (النجوى)
أى بالغوا فى اسرار كلامهم وقوله تعالى (الذين ظلموا) بدل من واو وأسروا للاجاء بأنهم
ظلمون فيما أسروا به أو مبتدأ والجملة المتقدمة خبره والمعنى وهو لاه أسروا النجوى فوضع
المظهر موضع المضمرة تكميلا على فعلهم بأنه ظلم وقيل جاء على لغة من قال اكلوى البراغيث
وقيل منصوب المحل على الذم ثم بين تعالى ما تناجوا به بقوله تعالى (هل) أى فقلوا فى تناجهم
هذا محجبه من ادعائه النبوة مع مماثلته لهم فى البشرية هل (هذا) الذى اتاكم بهذا الذكر
(الابشر منكم) أى فى خلقه واهلآقه من الاكل والشرب والحياة والمات فكيف
يخص عنكم بالرسالة ما هذا الذى جاءكم به مما لا تقدرون على مثله الاسهر لاصحقة له فيمنذ
نسب عن هذا الاضكار قولهم (أقتانوا للسحروا نتم) أى والحال انكم (تبصرون)
بأعينكم انه بشر مثلكم فكأنهم استدلوا بكونه بظرا على كذبه فى ادعائه النبوة والرسالة

لاعتقادهم ان الرسول لا يكون الاملكاواستلزامه ان ما جاء به من الخوارق كالقرآن بحضر
فانكرو واحضوره (فان قيل) لم أسرو هذا الحديث وبالغوا في اخفائه (أجيب) بأن ذلك كان
يشبه التثاوير فيما بينهم والتحاوري في طلب الطريق الى هدم أمره وعادة المتشاورين في خطب
أن لا يشركوا أعداءهم في مشورتهم ويجهتدوا ورافي طي سرهم عنهم ما أمكن واستطيع
ومنه قول الناس استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان قال البقاعي في الله العجب من قوم
وأما ما عجزهم فلم يجوزوا أن يكون ذلك عن الرحمن الداعي الى القوز بالحنان ويؤمنوا أنه من
الشیطان الداعي الى الهوان باصطلاء النيران والعجب أيضا أنهم أنكروا الاختصاص بالرسالة
مع مشاهدتهم بما يخص الله تعالى به بعض الناس عن بعض من الذكاء والفتنة وحسن
التلائق والاخلاق والقوة والصحة وطول العمر وسعة الرزق ونحو ذلك انتهى ولا عجب فانها
عمول أظلمها باربعها ثم كانه قيل فاذا يقال لهؤلاء فقال (قل) لهم (ربي) الحسن الى (يعلم القول)
سواء كان سرا أم جهرا كما بنا (في السماء والارض) على حد سواء لانه لا مسافة بينه وبين شئ
من ذلك (وهو السميع العليم) فلا يخفى عليه ما يسرون ولا ما يصرحون (فان قيل) هلا قيل يعلم
السرا لقوله تعالى وأسروا النجوى (أجيب) بأن القول عام يشمل السرو والجهر فكان في العلم
به العلم بالسرو وزيادة فكان اكد في بيان الاطلاع على نجواهم من أن يقول يعلم السرا كما أن
قوله يعلم السرا كدم من أن يقول يعلم سرهم (فان قيل) لم ترك هذا الا كد في سورة الفرقان في
قوله تعالى قل أنزله الذي يعلم السرا في السموات والارض ولم يقل يعلم القول كما هنا (أجيب)
بأنه ليس بواجب أن يأتي بالاسرا كد في كل موضع ولكن يجي بالوكيد تارة وبالاسرا كد أخرى
كما يجي بالحسن في موضع وبالاحسن في غيره ليفتن الكلام اقتناوا ويجمع الغاية وما دونها
على أن أسلوب تلك الآية خلاف أسلوب هذه من قبل أنه قد تم ههناهم أسروا النجوى
فكأنه أراد أن يقول ان ربي يعلم ما أسروه ووضع القول موضع ذلك للمبالغة ثم قصد وصف
ذاته بأنه أنزله الذي يعلم السرا في السموات والارض فهو كقوله تعالى علام الغيوب عالم الغيب
لا يعزب عنه مثقال ذرة وقرأ حفص وحزرة والكسائي قال بصيغة الماضي بالاخبار عن
الرسول والباقر قل بصيغة الامر ثم انه تعالى بين أن المشركين اقتسموا القول في النبي صلى
الله عليه وسلم وفيما يقوله بقوله تعالى (بل قالوا) أي قال بعضهم هذا الذي قال لكم (أضغاث
أحلام) أي اخلاط أحلام رآها في النوم وقال بعضهم (بل افتراء) أي اختلقه من عند نفسه
ونسبه الى الله تعالى وقال بعضهم (بل هو) أي النبي صلى الله عليه وسلم (شاعر) فاجابكم به
شعر والشاعر يخيل ما لا حقيقة له لغيره أو أنهم كلهم أضربوا عن قولهم هو صر الى أنه يتخالط
أحلام ثم الى أنه كلام مقترى من عنده ثم الى أنه قول شاعر وهكذا المبطل متحير جاع غير ثابت
على قول واحد قال الزمخشري ويجوز أن يكون تنزيلا من الله تعالى لا قولهم في درج
الفساد وأن قولهم الثاني أفسد من الاول والثالث أفسد من الثاني وكذا الرابع أفسد من
الثالث ثم أنهم لما قد حووا في أعظم المعجزات طلبوا آية غيره ففعلوا (قل يا نبي) دليل على

رسالته (بآية كما) أي مثل ما (أرسل الأقولون) بالآيات كسبيح الجبال وتسخير الریح
وتغيير الماء وحياء الموتى وإزالة الكه والابصر وصحة التميمه من حيث أن الارسال يتضمن
الآياتن بالآية قال الله تعالى مجيبا لهم (ما آمنت قبلهم) أي قبل مشركي مكة (من قرية) أي
من أهل قرية آتهم الآيات (أهلكها) باقتراح الآيات لما جاءتهم (أفهم يؤمنون)
أي لو جنتهم بها وهم أغنى منهم وفيه دليل على أن عدم الآياتن بالمقترح للابقاء عليهم اذ لو أتى به
لم يؤمنوا واستوجبوا عذاب الاستئصال كمن قبلهم * ولما بين تعالى بطلان ما قترحوه
في رسوله صلى الله عليه وسلم كونه بشرا قال تعالى عاطفا على آمنت مجيبا عن قولهم هل
هذا الا بشر مثلكم (وما أرسلنا قبلك) أي في جميع الزمان الذي تقدم زمانك في جميع
طوائف البشر (الأرجالا) أي لم نرسل الملائكة الى الأولين انما أرسلنا رجالا (نوحى اليهم)
مثلك ثم انه تعالى أمر المشركين أن يسألوا أهل الكتاب بقوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر)
وانما أحالهم على هؤلاء لانهم كانوا لا ينكرون أن الرسل كانوا بشرا وانكروا نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم وقيل المراد بالذكر القرآن أي فاسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن وقرأ
ابن كثير والكافي بتفتح السين ولا همزة بعدها وكذا يفعل حمزة في الوقف والياقون
يسكون السين وهمزة مفتوحة بعدها * ثم به تعالى على انهم غير محتاجين فيه الى السؤال
بما قد كان بلغهم على الاجمال من أحوال موسى وعيسى و ابراهيم واسماعيل وغيرهم عليهم السلام
بقوله تعالى معبرا بأداة الشك محر كالمهم على المعالي (ان كنتم) أي يجبلتكم (لا تعلمون) أي
لا أهلية لكم في اقتناص علم بل كنتم أهل تقابل محض وتبع صرف * ولما بين تعالى أنه صلى
الله عليه وسلم على سنة من مضي من الرسل في كونه رجلا بين أنه على سنتهم في جميع الاوصاف
التي حكم بها على البشر في العيش والموت فنبه على الاول بقوله تعالى (وما جعلناهم) أي الذين
اخترنا بعثتهم الى الناس لبأمرهم بأوامرنا (جسدا) أي ذوى جسد ولحم ودم متصفين
بأنهم (لا يأكون الطعام) بل جعلناهم أجسادا بآكون وينشرون وليس ذلك يمنع من
اوسالهم * (فائدة) قال ابن فارس في المجمل وفي كتاب الخليل ان الجسد لا يقال لغير الانسان
وتوحيد الجسد لا وادة الجنس كانه قيل ذوى ضرب من الاجساد أو على حذف المضاف
أي ذوى جسد كما مر وأما ويل الضمير لكل واحد وهو جسم ذولون قال البيضاوى ولذلك أي
ولكون الجسد جسما ذا اللون لا يطلق على الماء والهوا وهو في الماء مبنى على أنه لالون له وانما
يلون بلون طرفه أو مقابله لانه جسم شفاف لكن قال الامام الرازى بل له لون ويرى ومع ذلك
لا يجيب عن رؤية ما وراءه * ثم به على الثاني بقوله تعالى (وما كانوا الذين) أي بأجسادهم
بل ما كانوا كما مات الناس قبلهم وبعدهم وانما امتازوا عن الناس بما آتاهم عن الله تعالى
ورسولهم صلى الله عليه وسلم ليس بخالد قريبا كما أشار اليه ختم طه فانه مريض بكم
وأنت عاصون الملك الذي اقترب حسابه بطلقة وهو مطيع له (ثم صدقناهم الوعد) أي الذي
وعدناهم باهلاكم وهذا مثل قوله تعالى واختار موسى قومه في حذف الجار والاصل

في الوعد ومن قومه ومنه صدقوهم القتال وصدقني سن بكره والاصل في هذا المثل أن أعربيا
 عرض بعيرا للبيع فقال له المشتري ما سنه قال بكر فاتفق أنه ند فقال صاحبه هدع هدع وهذه
 المقظة مما يسكن به اصغار الابل لا السكر فقال المشتري صدقني سن بكره وأعرض فصار مثلا
 * (تنبيه) * أشارتعالى بإداة التراخي إلى أنهم طال بلاؤهم بهم وصبرهم عليهم ثم أحل بهم
 سلوته وأراهم عظمتهم (فأنجيناهم) أي الرسل (ومن نشاء) وهم المؤمنون أو من في ابقائه
 حكمة كمن سبيون هو أو واحد من ذريته ولذلك جيت به العرب من عذاب الاستتصال
 (وأهلكنا المسرفين) أي المذمركين لأن المشرك مسرف على نفسه (لقد أنزلنا اليكم) بامعشر
 قريش (كتابا) أي القرآن (فيه ذكركم) أي شرفكم ووصيتكم كما قال تعالى وانه لذكر لك
 واقومك وأوفيه مكارم الاخلاق التي كنتم تطلبون بها الثناء وحسن الذكركم حسن الجوار والوفاء
 بالعهود وصدق الحديث وأداء الامانة والسعاه وما أشبه ذلك وقيل فيه ذكر ما تحتاجون اليه
 من أمر دينكم أولانه نزل بلفظكم وقيل فيه تذكرة لكم لتحدروا فيكون الذكر بمعنى الوعد
 والوعيد (أفلا تعقلون) فتؤمنوا به وفي ذلك حث على التدبر لأن الخوف من لوازم العقل
 (وكم قصنا) أي أهلنا (من قرية) أي أهلها بغضب شديد لان القصم أقطع الكسر وهو
 الكسر الذي يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف القصم وقوله تعالى (كانت ظلمة) أي كفرة صفة
 لاهلها وصفت بها لما أقيمت مقامها ثم بين الغنى عنها بقوله تعالى (وأنشأنا بعدها) أي بعد
 اهلاك أهلها (قوما آخرين) مكانهم * ثم بين حالها عند احوال البأس بها بقوله تعالى (فلما
 أحسوا) أي أدرك أهلها بجواسمهم (بأسنا) أي عذابنا (إذا هم منها) أي القرية (يركضون)
 هاربين منها سرعين واكصين دوامهم لما أدركتهم مقدمة العذاب والركض ضرب الدابة
 بالرجل وضه اركض برجل أو مشبهين بهم من فرط اسراعهم بعد تبتيرهم على الرسل وقولهم
 لهمم لخبر جنكم من أوضنا ولتعودن في ملتنا فناداهم لسان الحال تقريرا وتشييعا لحالهم
 (لا تركضوا) أو المقاتل والقائل ملك أو من ثم من المؤمنين (وارجعوا) إلى قريتهم (إلى ما أنزلتم)
 أي عتصم (فيه) من التعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة والترف * ولما كان أعظم
 ما يؤسف عليه بعد العيش الناعم المسكن قال (وساكنكم) أي التي كنتم تغفرون بها على
 الضعفاء بما أوسعتم من فئاتها وعليت من بنائها وحسنتم من مشاهدتها (لعلكم تشلون) وفي
 هذا تهكم بهم وتوبيخ أي ارجعوا إلى فعيكم ولساكنكم اهلككم تشلون غدا عملي جبري
 عليكم وينزل بأموالكم وساككنكم فجيئوا السائل عن علم ومشاهدة أو ارجعوا واجلسوا
 كما كنتم في مجالسكم وترتوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحسنكم ومن تملكون أمره
 وينفذيه أمركم ونهيتكم فيقولوا لكم هم تأمرون وماذا أنتم ومن أشبه أم دنياكم على العادة
 أو تشلون في الايمان كما كنتم تشلون فتأبوا بما عندكم من الانفة والحمية والعظمة أو في
 المهامات كما تكون الرؤساء في معاظدهم العلية ومراتبهم السنية فيجيئون سائلهم بما شاؤوا
 * ولما كان كما قيل لهم ارجعوا هذا القائل قيل (قالوا) حين لافع قولهم عند نزول البأس

(يا ويلها) إشارة إلى أنه حل بهم لأنه ينادى بنا القريب ترغيباً كما يقول الشخص لمن يضره
 يأسدي كأنه يستقيث به ليكف عنه وذلك غباوة منهم وعي عن الذي أحلهم لأنهم
 كالبهايم لا يتفكرون إلا السبب الأقرب ثم عللوا حلوه بهم تأكيداً لترغيبهم بقولهم (أنا كنا)
 جبله وطبعاً (ظالمين) حيث كذبنا الرسل وعصينا أمر ربنا فاعترفوا حيث لا يتفهم الاعتراف
 لغفوات مجله. وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن هذه القرية حضور بفتح الحاء وبالضاد
 المعجمة وهي وصول قرينان قرينان من اليمن تنسب اليهما الثياب وفي الحديث كفى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في نوبين وصولين وروى حضورين بعث الله لهم نبياً فقتلوه فسلط الله
 تعالى عليهم يختصر كسلطه الله على أهل بيت المقدس فاستأصلهم وروى أنه لما أخذتهم
 السيوف نادى مناد من السماء يا نارات الأتيةا وهي بفتح اللام وبثلاثة وهمزة سا كنه أي
 يا لاهل ناراتهم أي الطالبية بدمهم فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فندموا وقالوا
 ذلك (فا) أي فتسبب عن إحلالناهم ذلك البأس أنه ما (زالت تلك) الدعوى البعيدة عن
 الخير والسلامة وهي قولهم يا ويلنا (دعواهم) يرددونها للدعوى لهم غير هالان الويل ملازم
 لهم غير منفك عنهم وترغيبهم له غير نافعهم (حق جعلناهم حصيداً) كل زرع المحسود بالمناجل
 بأن قولوا بالسيوف * (تنبه) * حصيد على وزن فعل بمعنى مفعول ولذلك لم يجمع لأنه يستوى
 فيه الجمع وغيره (خامدين) أي عابدين كما تسقى الجبارة سقوفهم وفرشهم وسائر
 ينصب جعل جعل ثلاثة مفاعيل (أجيب) بأن حكم الاثنين الأخيرين حكم الواحد لأن معنى
 قولك جعلته حلوا حامضاً جعلته جامعاً للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم جامعين لما ناله
 الحصد والحدود أو حامدين صفة لخصيداً أو حل من ضميره ثم نبههم سبحانه وتعالى على النظر
 في خلق السموات والأرض وما بينهما ليحسبوا فقال تعالى (وما خلقنا السماء) على علوها
 واحكامها (والأرض) على عظمتها واتساعها (وما بينهما) مما درناه لتقام المنافع من أصناف
 البدائع وغرائب الصنائع (لاعين) أي عابدين كما تسقى الجبارة سقوفهم وفرشهم وسائر
 زخارفهم وهو اللعب وإنما خلقناها مشحونة بضروب البدائع تبصرة للنظار وتذكير الذوى
 الاعتبار وتسيباً لما ينظم به أمر العباد في المعاش والمعاد * ولما نفي عنه اللعب أتبعه دليله
 فقال عز وجل (لو أردنا) أي بما لنا من العظمة (أن نتخذها) أي ما يتلوه به ويلعب وقيل
 هو الولد بلغة اليمن وقيل الزيجة والمراد الرد على النصارى (لا نتخذنا من لدنا) أي من عندنا
 مما يليق أن ينسب لخصرتنا من الحور العين والملائكة بما لنا تمام القدرة وكمال العظمة (أن كنا
 فاعلمين) ذلك لكلام نفعله لأنه لا يليق بجناينا فلم نرده وقوله تعالى (بل نقذف) أي نرمى (بالحق)
 أي الإيمان (على الباطل) أي الكفر اضرب عن اتخاذ الهوى وتنزيه ذاته عن اللعب بل شائناً
 أن نرمى بالحق الذي من جملة الخلق الباطل الذي من عند الله (فبدمه) أي يذمبه
 واستعمار لخص الباطل بالحق القذف والدمع تصوير الإبطال له وإهداره ومحققه فجعله كأنه
 جرم صلب كالعصاة ووجه استعارة القذف والدمع لما ذكرنا أن أصل استعمالهما في

الاجسام ثم استعير القذف له حوض الباطل بالحق والدمع لاذهاب الباطل فالاستعار منه حسي
والمستعاره عقلي (فاذا هو) في الحال (زاهق) أي ذاهب والزهوق ذهاب الروح وذكره
لترشيح المجاز من اطلاق القذف على حوض الباطل ثم عطف على ما أفادته اذا قوله تعالى
(ولكم) أي واذا لكم أيها المبطون (الويل) أي العذاب الشديد (عاصفون) الله تعالى به عما
تهوى أنفكم كل زوجة والولد * (تنبية) * ما تامصدرية أو موصولة أو موصوفة * ولما حكى
الله تعالى كلام الطاعين في النبوات وأجاب عنها بأن أغراضهم من تلك المطاعن القرد وعدم
الاقتداء بهن بقوله تعالى (وله من في السموات) أي الاجرام العالية وهي ما تحت العرش وجمع
السماه هنا لاقتضاء تعظيم الملك ذلك ولما كانت عقولهم لا تدرك لتعقد الارض وحدها فقال
(والارض) أي له ذلك خلقا وملكا أنه منزعه عن طاعتهم لانه هو الملك لجميع المحدثات والمخلوقات
وعبر عن تغليب العقلاء وقوله تعالى (ومن عنده) أي وهم الملائكة باجاء الامة ولان الله تعالى
وصفهم بأنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهذا لا يليق بالبشر مبتدأ خبره (لا يستكبرون
عن عبادته) بنوع كبر طلبا ولا ايجادا وخصهم بالذكر لذكر امتهم عليه تزيلا لهم منزلة المقرين
عند الملك * (تنبية) * هذه العندية للشرف والرتبة لا عندية المكان والجهة فكانه تعالى قال
الملائكة مع كمال شرفهم وعلو مراتبهم ونسابة جلالتهم لا يستكبرون عن عبادته فكيف يليق
بالبشر الضعيف القرد عن طاعته (و) مع ذلك أيضا (لا يستعصرون) أي لا يعيون وانما يحى
بالاستحسان الذي هو ابلغ من الحسور تبيها على أن عبادتهم من ثقلها ووداها حقيقة أن
يستعصموا ولا يستعصرون ولا يطلبون أن يقطعوا عنها فانج ذلك قوله تعالى (يسبحون) أي
ينزهون المستحق للتزبية بأنواع التزبية من الاقوال والافعال (الليل والنهار) أي جميع انامها
دائما (لا يفترون) أي عن ذلك وقسم الاوقات فهو منهم كالتفلسف منا لا يشغلنا عنه شاغل * ولما
كانوا عند هذا البيان جديرين بأن يادروا الى التوحيد فلم يفعلوا كانوا حقيقين بعد الاعراض
عنه بالتوبيخ والتحكم والتعنيف فقال تعالى (أم اتخذوا) أي بل اتخذوا فأم بمعنى بل للاتقال
والهمزة لانكار اتخاذهم (آلهة من الارض) ومعنى نسبتها الى الارض الايدان بأنها
الاصنام التي تعبد في الارض لان الآلهة على ضربين أرضية وسموية ومن ذلك حديث
الامة التي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أين ربك فأشارت الى السماء فقال انها مؤمنة
لانه فهم منها أن مرادها هي الآلهة الارضية التي هي الاصنام لانبات أن السماء مكان الله
تعالى ويجوز أن يراد آلهة من جنس الارض لانها اتمان تحت من بعض الجحارة أو تعقل من
بعض جواهر الارض (هم ينشرون) أي يحبون الموفق لا يقدر على ذلك وهم وان لم يصرخوا
بذلك لزم من ادعائهم لها آلهة أنهم يقدر على ذلك فان من لوازمها الاقتدار على جميع
الممكنات فالمراد به تجهيلهم والتحكم بهم والمبالغة في ذلك زيد الضعير الموهم لاختصاص
الاتشار بهم ثم انه سبحانه وتعالى أمام البرهان القطعي على نفي الضعير ببرهان التامع وهو أشد
برهان لاهل الكلام فقال (لو كان فيهما) أي السموات والارض أي في تبيينهما (آلهة الآلهة)

أى غير الله تعالى (لنفسدنا) أى نظرحنا عن نظامهما المشاهد لوجود التامع بينهم على وفق العادة عند تعدد الحاكم وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعد الأشدق سكان والله أعز على من دم ناظرى ولكن لا يجمع فخلان في شول وهذا ظاهر وأما طريفة التامع فقال المتكلمون القول بوجود الهين منض الى المحال لانا لو فرضنا وجود الهين فلا بد أن يكون كل واحد منهما قادرا على كل المقدورات ولو كان كذلك لكان كل واحد منهما قادرا على تحريك زبد ونسكينه ولو فرضنا أن أحدهما أراد تحريكه والاخر أراد نسكينه فاما أن يقع المرادان وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين أو لا يقع واحد منهما وهو محال لأن التامع من وجود مراد كل واحد منهما مراد الاخر فلا يمتنع مراد هذا الا عند وجود مراد ذلك وبالعكس أو يقع مراد أحدهما دون الاخر وذلك أيضا محال لأن الذى وقع مراده يكون قادرا والذى لم يقع مراده يكون عاجز والعجز نقص وهو على الاله محال فثبت أن الفساد لازم على كل التقديرات واذا وقفت على حقيقة هذه الدلالة عرفت أن جميع مافى العالم العلوى والسفلى من المخلفات دليل على أن وحدانية الله تعالى والدلائل السبعة على الوجدانية كثيرة في القرآن • ولما أفاد هذا الدليل أنه لا يجوز أن يكون المدبر للسموات والارض الا واحدا وأن ذلك الواحد لا يكون الا الله تعالى قال (فسبحان الله) أى فتسبب عن ذلك تارة المتصف بصفات الكمال (رب) أى خالق العرش) أى الكرمى المحيط بجميع الاجسام الذى هو محل التدبير ومنشا التقادير (عما يصفون) أى الكفار الله به من الشريك له وغيره ثم بين تعالى ذلك بقوله عز وجل (لا يسئل) أى من سائل ما (عما يفعل) لعظمته وقوة سلطانه واذا كانت عادة الملوك والجبارة أن لا يسألهم من فى مملكته عن أفعالهم وعما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيبا واجلالا مع جوار الخطا والزلل وأنواع الفساد عليهم كان ملك الملوك ورب الارباب خالقهم ورازقهم أولى بأن لا يسئل عن أفعالهم مع ما علم واستقر فى العقول من أن ما يفعله كله مفعول بدواى الحكمة ولا يجوز عليه تعالى الخطا (وهم يسألون) لانهم مخلوقون مستعدون خطاؤن فما خلقهم بأن يقال لهم لم فعلتم فى كل شئ فعلوه ولما قام الدليل ووضع السبيل واضمحلت كل قال وقيل وانحطت الاطلس ككزرتعالى (أم اتخذوا من دونه آلهة) كزرته استغفنا عالنا ثم واستغفنا مالنا كفرهم واطهار الجهلهم • ولما كان جوابهم اتخذوا ولا يرجع أمر الله تعالى نبيه بجوابهم فقال (قل هاؤا برهانكم) على ما اذعيقوه من عقل أو نقل كما أتيت أنابرهان النقل المؤيد بالعقل • ولما كان تعالى لا يؤاخذ بمخالفة العقل ما لم يختم آية دليل النقل اتبعه قوله مشيرا الى ما بعث الله تعالى به الرسل من الكتب (هنا ذكر) أى موعظة وشرف (من معي) عن آمن بي وهو القرآن الذى عجزتم عن معارضته (وذكر) أى وهذا ذكر (من قبلى) من الامم الماضية وهو التوراة والانجيل وغيرهما من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها الا الامر بالتوحيد والتبى عن الاشرار • ولما كانوا لا يجدون شبهة لهم فضلا عن حجة ذمتهم الله تعالى على جهلهم بمواضع الحق

قوله أى الكرمى
 تبع فيه الجلال
 المحلى وكب عليه
 الجمل قوله الكرمى
 لاحاجة لهذا بل
 الاولى ابقاء العرش
 على ظاهره لان
 التصديق انه جسم
 مغاير للكرمى اه

فقال تعالى (بل أكرههم) أي هؤلاء المدعون (لا يعلمون الحق) فلا يجوزون بينه وبين الباطل بل أكرههم جهلة والجهل أصل الشر والفساد (فهم) أي فتسبب عن جهلهم ما افتخروا به السورة من أنهم (معرضون) عن التوحيد واتساع الرسل * ولما كان الأرسال بالفعل غير مستمرة ففرق للزمان المتقدم كما أن الرسالة لا يقوم بها كل واحد فكذلك الأرسال لا يصلح له كل زمن أثبت الجبار في قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك) وأغرق في النفي فقال (من رسول) في شيع الأولين (الابوحى اليه) من عندنا (أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وهذا مقترن لما سبقه من أي التوحيد وقال تعالى الأنا ولم يقل نحن اثلا يجعلوا ذلك وسيلة إلى ما ادعوه من تعدد الآلهة ولذلك قال فاعبدون بالافراد وقرأ حفص وحزرة والكسائي بالنون وكسر الحاء والفتحة والتدأ رد في ذلك ببراءته عن اتخاذ الولد بقوله (وقالوا اتخذ) أي تكلف كما يتكلف من لا يكون له ولد (الرحمن) أي الذي كل موجود من فيض نعمه (ولدا) نزل في خراعة حيث قالوا الملائكة بنات الله وقيل نزل ذلك في اليه وحدث قالوا انه تعالى صاهرا الجن فكلمات منهم الملائكة كما حكي الله تعالى عنهم قولهم وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ثم انه سبحانه وتعالى نزه نفسه عن ذلك بقوله تعالى (سبحانه) أي تنزه عن أن يكون له ولد فان ذلك يقتضى المجانسة بينه وبين الولد ولا تصح مجانسة النعمة للمنع الحقيقي (بل) أي الذين جعلوه له ولدا وهم الملائكة (عباد) من عباده أنعم عليهم بالاجساد كما أنعم على غيرهم لا أولاد فان العبودية تنافي الوادية (مكرمون) بالعصمة من الزلل ولذلك فسر الأكرام بقوله تعالى (لا يسبقونه) أي لا يسبقون اذنه (بالقول) أي لا يقولون شيئا حتى يقوله كما هو شأن العبيد المؤذنين (وهم بأمره) اذا أمرهم (يعملون) لا بغيره لانهم في غاية المراقبة له تعالى فجمعوا في الطاعة بين القول والفعل وذلك غاية الطاعة ثم عمل اخباره بذلك بعله بما هذا الخبر به من درج فيه بقوله تعالى (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي ما عملوا وما هم عاملون لا تخفى عليه تعالى خافية مما قد تموا وأخروا ثم صرح تعالى بلازم الجملة الاولى فقال (ولا يشقون) أي لا في الدنيا ولا في الآخرة (الامن ارتضى) فلا تطمعوا في شفاعتهم لكم بغير رضاه تعالى قال ابن عباس والضحاك الامن ارتضى أي امن قال لاله الا الله فسقط بذلك قول المعتزلة ان الشفاعه في الآخرة لا تكون لاهل الكبر ثم صرح بلازم الجملة الثانية فقال (وهم من خشيته) أي الامن غيرها (مشفقون) أي خائفون وأصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق خوف مع اعتناء فان عدى عن فعنى الخوف فيه أظهر وان عدى بهلى فبالعكس * ولما نفي تعالى الشرك مطلقا ثم قيد بالولاية أتبعه الهدى على ادعائه بهذيب المتبوع الموجب للتعذيب التابع بقوله تعالى (ومن يقل منهم) أي من الخلائق حتى العباد المكرمين الذين وصف كرامتهم وطرب منزلهم عنده وأخى عليهم (اني الامن دونه) أي الله أي غيره والشي قال ذلك كما قال الجلال المحلى هو ابليس دعا إلى عبادة نفسه وأمر بطاعتها (فذلك) أي الذين

الذي لا يصلح لتقريب أصلا (فجز به جهنم) اظلمه (كذلك) أي مثل هذا الجزء العظيم جدا
(فجزى الظالمين) أي المشركين ثم انه سبحانه وتعالى شرع الآتي في الدلائل الدالة على وجود
الصانع فذكر منها ستة أنواع النوع الأول قوله تعالى (أولم ير) أي يعلم (الذين كفروا) علماء هو
كالمشاهدة (أن السموات والأرض كانتا) ولم يقل كن لأن المراد جماعة السموات وجماعة
الأرض (رتقا) قال ابن عباس والضحك كالتأشيب واحد ملتزقين زبدة واحدة (ففتقناهما)
أي فصلنا بينهما بالهواء والرتق في اللغة السد والفتق الشق قال كعب خلق الله السموات
والأرض بعضها على بعض ثم خلق ريحا توسطتهما فتفجها ما بها وقال مجاهد والسدى كانت
السموات رتقا طبقة فتفتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الأرض كانت رتقا طبقة فتفتقها
فجعلها سبع أرضين وقال عكرمة وعطية كانت السموات رتقا لا تمطر والأرض رتقا لا تنبت
فتفتق السماء بالمطر والأرض بالنبات فيكون المراد بالسموات سماء الدنيا وجمعها باعتبار الارتفاع
أو السموات بأسرها على أن لها مدخلا في الآطوار وإنما قال تعالى رتقا على التوحيد وهو
نعت للسموات والأرض لأنه مصدر والكفرة وإن لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم بالنظر
أو باستفسار من العلماء أو مطالعة الكتب وقرأ ابن كثير لم يغيره وأبين الهزمة ولم والباقون
بالواو وبين الهزمة واللام النوع الثاني من الدلائل قوله تعالى (وجعلنا) أي خلقنا بما اقتضت
عظمة منا (من الماء) الماء هو الدافق وغيره (كل شيء حتى) مجاز في النبات وحقيقة في الحيوان
(فإن قبيل) قد خلق الله تعالى بعض ما هو حتى من غير الماء كآدم وعيسى والملائكة (أجيب)
بأن هذا خرج مخرج الأغلب والأكثر أي أن أكثر ما خلق الله خلق من الماء وبقاؤه بالماء
وقيل المراد بالماء ما تنزل من السماء أو سبع من الأرض (أفلا يؤمنون) مع ظهور هذه الآيات
الواضحات لتوحيد النوع الثالث من الدلائل قوله تعالى (وجعلنا في الأرض رواسي)
أي جبال الأنوار كراعة (أن عمدا) أي تتحرك (بهم) قيل إن الأرض بسطت على الماء فكانت
تتحرك كما تتحرك السفينة في الماء فأرساها الله وأثبتها بالجبال النوع الرابع من الدلائل قوله
تعالى (وجعلنا فيها) أي في الرواسي (بخجا) أي مسالك واسعة سهلة ثم أبدل منها (سلا) أي
مذلة للسالك ولولا ذلك لتعسر أو تعذر الوصول إلى بعض البلاد (لعلهم يهتدون) إلى
منافعهم من ديارهم وغيرها وإلى ما فيها من دلائل الهداية النوع الخامس من الدلائل قوله
تعالى (وجعلنا السماء) وأفردها مع إرادة الجنس لأن أكثر الناس لا يشاهدون منها
الاسماء الدنيا لأن الحفظ للشيء الواحد أنقن (سقا) أي للأرض كالسقف للبيت
(محموظا) أي عن السقوط بالقسرة وعن الفساد والانحلال إلى الوقت المعلوم بالمشيئة وعن
الشياطين بالشهب (وهم) أي أكثر الناس (عن آياتها) أي من الكواكب والكواكب الصغار
والرياح والأمطار وغير ذلك من الدلائل التي تفوت الأنصار الدالة على قدرتنا على كل
ما نريد من البعث وغيره وعلى عظمتنا بالتفرد بالالهية وغير ذلك من أوصاف الكمال من الجلال
والجلال (معرضون) لا يتكبرون فيما فيها من السبر والتدبير وغير ذلك فيعلمون أن خلقها

لا شريك له النوع السادس من الدلائل قوله تعالى (وهو) أى لا غير (الذى خلق الليل
 والنهار) ثم أتبعهما أعظم آيتهما بقوله تعالى (والشمس) التى هى أعظم آية النهار (والقمر)
 الذى هو أعظم آية الليل (كل) أى من الشمس والقمر وتابعه وهو النجوم (فى فلك) أى مستدير
 كالأحواض فى السماء (يسبحون) أى يسبحون بسرعة كالسباح فى الماء وللشمس به
 أى بضمير جمع من يعقل والمراد بانفلك الجنس كقولك كساهم الاميرحله وقلدهم سيفا أى كل
 واحد منهم أو كساهم وقلدهم هذين الجنسين فاكتفى بما يدل على الجنس اختصارا ولأن القرض
 الدلالة على الجنس * ونزل لما قال الكفار ان محمدا سموت (وما جعلنا البشر من قبلك الخلق) أى
 البقاء فى الدنيا (أفان) أى أيتنون موتك فان (مت فهم الخالدون) فيها لا والله ليسوا بالخالدين
 فالجمله الاخيرة هى محل الاستفهام الانكارى وفى معنى ذلك قول فروتن مسيك الصعابى
 وقل للشامتين بنا أفيقوا * سلقى الشامتون كالفينا
 وقرأ نافع وحفص وحزرة والكسائى بكسر الميم والباقون بضمها ثم بين تعالى أن أحد الايقى
 فى هذه الدنيا بقوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) أى ذائقة مرارة الموت أى مرارة مقارنة
 روحها جسدها فلا يفرح أحد ولا يحزن لموت أحد بل يشغل بما بهمه واليه الاشارة بقوله
 (وتبلوكم) أى نعمالكم معاملة المبلى المختبر ليمظهر فى عالم الشهادة الشاكر والصابر والمؤمن
 والكافر كما هو عندنا فى عالم الغيب بأن نخالطكم (بالشر) وهو المضار النسيوية من الضفر
 والام وسائر الشدائد النازلة بالكلفين (والخير) وهو نعم الدنيا من الصحة واللذة والسرور
 والتسكن من المرادات وقوله تعالى (فتنة) مفعول له أى لنتظر أن تصبرون وتشكرون أم لا
 كما يقتن الذهب اذا أريد تصفيته بالنار عما يخالطه من الغش فبين تعالى أن العبد مع
 التكليف يتردد بين هاتين الحالتين لى يشكر على المنح ويصبر على المحن فيعظم ثوابه اذا قام
 بما يلزم (والينا) بعد الموت لالى غيرنا (ترجعون) فنجاز بكم بما علمتم ثم عطف تعالى على
 قوله وأسروا النجوى قوله تعالى (واذرا لى) أى وأنت أشرف الخلق (الذين كفروا) ان
 أى ما (يتخذونك) أى حال الرؤية (الاهزوا) أى مهزوا به يقولون انكارا واستصغارا (أهدأ
 الذى يذكر آلهتكم) أى بسوء والدكر يكون بالخبر والشر فاذا دلت القرينة على أحدهما
 أطلق عليه وذكر العدو ولا يكون الابسوء (وهم) أى والحال أنهم (بذكر الرحمن) أى اذا ذكر
 لهم الرحمن (هم كفرون) وذلك أنهم كانوا يقولون لانعرف الرحمن الامسيلة وهم الثانية
 للتأكد * ونزل فى استحجالهم العذاب (خلق الانسان من عجل) كأنه خلق منه لقرط استحجاله
 وقلة شبانه والعرب تقول لاذى يكتر منه الشئ خلقت منه كقولك خلق زيد من الكرم فجعل
 ما طبع عليه بمنزلة المطبوخ هو منه مما لفته فى رومعه ولذلك قيل انه على القلب أى خلق العجل
 من الانسان ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستحجال الوعد وقال سعيد بن جبيرة والسدى
 لما دخل الروح فى رأس آدم وعينيه نظر الى ثمار الجنة فلما دخل الروح فى جوفه اشتهى
 الطعام فوثب فقبل أن تبلغ الروح الى رجله عجلا الى ثمار الجنة فوقع فقيل خلق الانسان

من جعل والمراد بالانسان آدم وأورث أولاده العجلة وقال قوم معناه خلق الانسان يعني آدم عليه السلام من تعجيل في خلق الله تعالى اياه لان خلقه كان بعد خلق كل شيء في آخر النهار يوم الجمعة فأسرع في خلقه قبل مغيب الشمس قال مجاهد فلما أحيا الروح رأسه قال يارب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس وقبل بسرعته وتعجيل على غير ترتيب خلق سائر الادميين من النطفة ثم العلقة ثم المضغة وغيرها وقال قوم من جعل أى من طين قال الشاعر
والنسع في الحضرة الصمامنبته * والتخل ينبت بين الماء والعجل

ثم قال تعالى مهتد للمكذبين (سأريكم آياتى) أى مواعدى بالعذاب (فلانستعجلون) أى تطلبون أن أوجد العجلة بالعذاب وغيره فاني منزعه عن العجلة التي هي من جملة تقاضكم لانها ارادة الشيء قبل أوانه (فان قيل) لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله خلق الانسان من عجل وقوله تعالى وكان الانسان عجولا أليس هذا من تكليف ما لا يطاق (أجيب) بأن هذا كإركب فيه الشهوة وأمره أن يغلبها لانه أعطاه القدرة التي يستطيع بها فتح الشهوة وترك العجلة وقد أراه بعض آياته وهو القتل بيدر (ويقولون) في استهزائهم (متى هذا الوعد) أى باتيان الآيات من الساعة ومدة زمانها وغيرها (ان كنتم) فيما وعدون به (صادقين) أى عربيقين في هذا الوصف يعنون محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهذا هو الاستعجال المذموم المذكور وعلى سبيل الاستهزاء ثم بين تعالى أنهم يقولون ذلك لجهلهم بقوله تعالى (لويلم الذين كفروا) وذكر المقعول به بقوله تعالى (حين) أى وقت (لا يكفون) أى لا يدفون (عن وجوههم) التي هي أشرف أعضائهم (النار) استسلاما وعجزا (ولاعن ظهورهم) التي هي أشد أجسامهم السباط (ولاهم ينضرون) أى لا ينعفون من العذاب في القامة وجواب لو محذوف والمعنى لو علوا الماء أقاموا على كفرهم ولما استعجلوا العذاب ولا فالوا متى هذا الوعد ان كنتم صادقين (بل تأتيهم) أى القامة (بغتة) أى فجأة (فتبتهم) أى يحيرهم يقال فلان مبهوت أى يحير (فلا يستطيعون ردها) أى لا يطلبون طوع ذلك لهم في ذلك الوقت ليا سبهم منه (ولاهم ينظرون) أى يجهلون لتوبة أو عذرة * ولما كان التقدير يحاق بهم هذا باستهزائهم بك أتبعه ما يدل على أن الرسل في ذلك شرع واحد تسليبه صلى الله عليه وسلم فقال عاطفا على واذا رآك ولقد استهزى برسل من قبلك) أى كثيرين فلك بهم أسوة وقرأ أبو عمرو وعاصم وحزرة في الوصل بكسر الدال والباقون بالضم واذا وقف حزة أبدل الله - مزهيا ما كتبه (خفاق) أى نزل (بالذين حضروا منهم ما كانوا به يستهزئون) وهو العذاب فكذلكا يحمق بمن استهزأ بك * ولما علم الله تعالى أن الكفار في الآخرة لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم بسائر ما وصفهم به أتبعه بأنهم في الدنيا أيضا لولا أن الله تعالى يحرسهم ويحفظهم لما بقوا في السلامة فقال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم

(قل) يا أشرف المرسلين للمستهزئين (من يكلوكم) أى يحفظكم (باللسل والنهار من الرحمن) أى من عذابه ان نزل بكم أى لأحد يفعل ذلك (بل هم من ذكر ربهم) أى القرآن (معرضون) لا يفكرون فيه ولا يحطرونه يسألهم فضلا أن يجافوا بأسه (أم) فيها معنى الهزيمة للانكسار

أَيْ (أَلِهَمُ أَلَهَةٌ) موصوفة بأنها (عَنَّهُمْ) مما يسووههم (من دعوتنا) ليس لهم ذلك ثم وصف آلهم بهم
 بالضعف فقال تعالى (لا يستطيعون) أَيْ الألهة (نصراً أَنفُسَهُمْ) فكيف ينصرون عابديهم
 (ولاهم) أَيْ الكفار (مننا) أَيْ من عذابنا (بمحبوبون) أَيْ يجارون يقال صحبك الله أَيْ حفظك
 وأجارك (بل منعنا هؤلاء) أَيْ الكفار على حقارتهم (وأباهم) من قبلهم بالتم استدرابا
 (حتى طال عليهم العمر) أَيْ امتدت بهم أيام الدنيا بالروح والطمأنينة فحسبوا أن لا يزالوا على
 ذلك لا يغلبون ولا ينزع عنهم نوب أمنتهم واستماعتهم فاغتروا بذلك وذلك طمع فارغ وأمل كاذب
 وغلط ورش اللام بخلاف عنه (أفلا يرون) أَيْ يعلمون علما هو في وضوحه مثل الرؤية بالبصر
 (أن أنات الأرض) أَيْ أرض الكفرة (تقتصم من أطرافها) بتسلط المسلمين عليهم وإظهارهم
 على أهلها بقتل بعض ورد بعض عن دينه إلى الإسلام فهم في نقص وأولياتنا في زيادة (أفهم
 الغالبون) أَيْ مع مشاهدتهم لذلك أم أولياتنا ولما كثر سبحانه وتعالى في القرآن الأدلة وبالغ
 في التنبيه عليهم على ما تقدم أتبعه بقوله تعالى (قل) يا أشرف الخلق لهؤلاء المشركين (أنتم
 أنذركم) أَيْ أخوفكم (بالوحي) أَيْ بالقرآن الذي هو كلام ربكم فلا تنظنوا أنه من قبل نفسي
 (ولا يسمع الصم الدعاء) أَيْ عن يدهم (إذا ما يندرون) أَيْ يخوفون فهم تركوا العمل بما معهم
 كالصم (فان قيل) الصم لا يسمعون دعاء المشر كالأسمعون دعاء المندرك فكيف قيل إذا
 ما يندرون (أجيب) بأنه وضع الظاهر موضع المظهر للدلالة على تصاقهم وسددهم أسماعهم إذا
 أنذروا أَيْ هم على هذه الصفة من الجراءة والجسارة وعلى التصام عن آيات الانذار وقرأ ابن
 عامر ولا تسمع بالثاء الفوقية مضمومة وكسر الميم ونصب ميم الصم على الخطاب النبوي
 والباقون بالياء التحتية وفتح الميم ورفع ميم الصم وفي الدعاء وإذا همزتان مختلفتان من كلمتين
 الأولى مفتوحة والثانية مكسورة قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية بين
 الهمزة والياء والباقون بتحقيق الهمزتين وهذا في حال الوصل فان وقف على الهمزة الأولى
 فالجميع يتبدون الثانية بالتحقيق ويقف جزء وهشام يبادل الهمزة ألفا مع المد والتوسط
 والقصر (ولئن سمعتم) أَيْ أصابتهم (نقعة) أَيْ دفعة خفيفة وفي ذلك ما لغات ذكر المس وما في
 النقعة من معنى القلة فان أصل النقع هبوب رائحة الشيء والتاء الدالة على المرة (من عذاب
 ربك) المحسن اليك بنصرك عليهم من الذي يندرون به (ليقولن) وقد أذلهن أمرها (يا ويلنا)
 الذي لا نرى بحضورتنا الآن غيره (أنا كاذبا لمن) دعوا على أنفسهم بالويل بعدما أقرت وبالظلم
 ثم ذكر تعالى بعض ما يفعل في حساب الساعتهن العدل فقال عاطفا على قوله تعالى بل تأنيبهن
 بغنة (ووضع الموازين القسط) أَيْ ذوات العدل (ليوم القيامة) أَيْ فيه وانما جمع الموازين
 لكثرة من توزن أعمالهم ويجوز أن يرجع إلى الوزنات وقيل وضع الموازين تمجيلا لارصاد
 الحساب السوي والجزاء على حسب الأعمال بالعدل والصحیح الذي عليه أئمة السلف أن الله
 تعالى يضع ميزانا حقيقة توزن به أعمال العباد وعن الحسن هو الميزان له كفتان ولسان ويروى
 أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان فأراه كل كفة ما بين المشرق والمغرب فغشى عليه

ثم أفاق فقال الهسي من الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات قال ياداداني إذا رصبت عن عبدى
 ملائمتها بقرة (فان قيل) كيف توزن الاعمال مع أنها أعراض (أجيب) بأن فيه طريقين
 أحدهما أن توزن بحافات الاعمال فتوضع صحائف الحسنات في كفة وصحائف السيئات
 في كفة والثاني أن توضع في كفة الحسنات جواهر يبيض مشرقة وفي كفة السيئات جواهر
 سود مظلمة (فان قيل) هذه الآية يناقضها قوله تعالى في الكفار فلانقيم لهم يوم القيامة وزنا
 (أجيب) بأن المراد منه انالانكر مهمهم ولا نعظمهم (فلا تظلم نفس شيئا) أى من نقص حسنة
 أو زيادة سيئة (وان كان) أى العمل (منقال) أى وزن (حبة من خردل) أو أصغر منه وانما مثل به
 لانه غاية عندنا في القلة وقرأنا فرفع اللام على أن كان نامة والساقون بالنصب وكذا
 في اقصمان (أبتناجها) أى بوزنها ولما كان حساب الخلائق كلهم في كل ما صدر منهم أمرا
 باهر العقل حقره عند عظمتهم فقال (وكفى بنا) أى بما لنا من العظمة (حاسبين) أى محصين
 في كل شيء فلا يكون في الحساب أحد مثلنا ففيه نوع من جهة أن معناه أن لا يروج عليه شيء
 من خداع ولا يقبل غلطا ولا يضل ولا ينسى الى غير ذلك من كل ما يلزم منه نوع لبس وشوب
 منقص ووعده من جهة أنه مطلع على حسن قصد وان دق وخفي * ولما تكلم سبحانه وتعالى
 في دلائل التوحيد والنبوة والعدا شرع في قصص الانبياء عليهم السلام نسبية لرسوله صلى الله
 عليه وسلم فيما يناله من قومه وتقوية لقلبه على أداء الرسالة والاصر على كل عارض وذكر منها
 محسرا * القصة الاولى قصة موسى عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (ولقد آتينا موسى
 وهرون) أى أخاه الذى سأل ربه أن يشد أزربه (الفرقان) أى التوراة الفارقة بين الحق
 والباطل وبين الحلال والحرام (وضياء) بهاء لا ظلام معه أى ليستضاء بها في ظلمات الحسيرة
 والجهل وقرأ قبيل بعد الضاد بهمزة مفتوحة ممدودة والباقون بيا بعد هاء ألف (وذكرآ) أى
 عظة (للمتقين) أزدك ما يحتاجون اليه من الشرائع وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر
 ويراد بالضياء على هذين التوراة ثم بين المتقين بوصفهم بقوله تعالى (الذين يخشون) أى
 يخافون خوفا عظيما (ربهم) أى المحسن اليهم بعد الايجاب والترتبة وأنواع الاحسان (بالقيب)
 عن الناس أى في الخلا عنهم أو بالقيب قبل أن يكشف لهم الحجاب في الجنة (وهم من الساعة)
 التى توضع فيها الموازين وقد أعرض عنها الجاهلون مع كونها أعظم حامل على كل خير ومباعد
 عن كل ضير (مشفقون) أى خائفون لانهم لقيامها متحققون والنصب الموازين فيما عالون
 * ولما ذكر تعالى فرقان موسى عليه السلام وكان العرب يشاهدون تمسك اليهوديه بنهم على
 كتابهم الذى هو أشرف منه بقوله تعالى (وهذا) أى القرآن وأشار اليه بأداة القرب اجماعا الى
 سهولة تناوله عليهم (ذكر) أى موعظة (مباركة) أى كثيرة خيرة (أنزلناه) على أشرف الرسل محمد
 صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (أفأنتم له منكرون) أى جاحدون استفهام توبيخ * القصة الثانية
 قصة ابراهيم عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (ولقد آتينا) بما لنا من العظمة (ابراهيم
 رشده) أى صلاحه وهداه (من قبل) أى من قبل موسى وهرون ومحمد صلى الله عليه وسلم عليهم وقيل

من قبل استنبأه أو بلوغه حيث قال انى وجهت وجهى (وكتابه) ظاهره او باطنا (عالمين) بأنه
 أهل لما آتينا لانه جبلة خير جامع لحاسن الاوصاف ومكارم الاخلاق والحاصل يدوم على الرشد
 ويرقى فيه الى أعلى درجاته لماطبعا عليه وفي ذلك اشارة الى أنه فعله تعالى باختيار وحكمة
 وانه عالم بالجزئيات وتعليق (اذ قال) أى ابراهيم (لايه وقومه) بعالمين اشارة الى أن قوله
 لما كان باذن منا ورضائنا نصرناه وهو وحده على قومه كلهم ولو لم يكن رضينا المنعناه منه بنصر
 قومه عليه وتكفين النار منه ثم ذكره قول القول في قوله منكر عليهم محقرا الاصنامهم (ما هذه
 التماثيل) أى الصور التى صنعتموها مما تلبس بها ما فيه روح الله جاعلين لها ما لا يكون الا لمن
 لاه مثل وهى الاصنام (التى أنتم لها) أى لاجلها وحدها مع كثرة ما يشابهها وما هو أفضل منها
 (عاكفون) أى مقبون على عبادتها (فان قيل) هلا قال عليها كما كفون كقوله تعالى يعكفون
 على أصنام لهم (أجيب) بأن اللام للاختصاص لا للتعدية ولو قصد التعدية لعداه بصلته التى
 هى على ثم انه تعالى ذكر جوابهم له بما لزم الاستفهام عن السؤال بأنهم (قالوا وجدنا آباءنا لها
 عابدين) فاعتد بناهم لاجحة لنا غير ذلك فاطر ما اوجب التقليد وما أعظم كيد الشيطان للمقلدين
 حتى استدرجهم الى أن قلدوا آباءهم فى عبادة التماثيل وعفروها لها جباههم وهم معتقدون أنهم
 على شئ وبادون فى نصرته مذهبهم ومجادلون أهل الحق عن باطلهم وكفى أهل التقليد مسبة أن
 عبدة الاصنام منهم والتقليدان جازفا غما يجوز لى علم فى الجملة أنه على حق ولذا (قال) ابراهيم
 عليه السلام (لقد كنتم) وأكده بقوله (أنتم) لاجل صحة العطف لان الضمير المرفوع المتصل
 حكمه حكم جزء الفعل والعطف على ضمير هو فى حكم بعض الفعل بمنع وتقومه اسكن أنت
 وزوجك الجنة (وأبأؤكم) أى من قبلكم (فى ضلال مبین) فبين ان المقلدين والمقلدين جميعا
 منضوطون فى سلك ضلال لا يحتج على من به أدنى مسكة لاستناد القرعنين الى غير دليل بل الى
 هوى متبع وشيطان مطاع لاستبعادهم أن يكون ما هم عليه ضلالا بقوام متعجبين من تضليله
 اياهم فلذا (قالوا) ظنا منهم أنه لم يقل لهم ذلك على ظاهره (أجبتنا) فى هذا الكلام (بالحق)
 الذى يطابقه الواقع (أم أنت من اللاعین) أى تقوله على وجه المزاح والملاعبة لاعلى وجه
 الجد (قال) عليه السلام بانى على ما تقديره ليس كلامى لعبابيل هو جد وهذه التماثيل ليست
 أربابا (بل ربكم) أى الذى يستحق منكم اختصاصه بالعبادة (رب السموات والارض) أى
 مدبرهن القائم بصالحهن (الذى فطرهن) أى خلقهن على غير مثال سبق وأنتم وتماثيلكم
 بما فيه ما من مصنوعاته أنتم تشهدون بذلك اذ رجعت الى عقولكم مجردة عن الهوى وقيل
 الضمير فى فطرهن للتماثيل قال الرشمى وكونه للتماثيل أدخل فى تضليلهم وأثبت للاحتجاج
 عليهم (وأنا على ذلكم) أى الامر الين من انه ربكم وحده فلا يجوز عبادة غيره (من
 الشاهدين) أى الذين يقدرون على اقامة الدليل على ما تشهدون به لم يشهدوا الاعلى ما هو
 عندهم مثل الشمس لا كما تعلم أنتم حين اضطررتم السؤال اتى الضلال * ولما أقام البرهان على
 اشياء الله الحق أتبعه البرهان على ابطال الباطل بقوله (وتالله) وهو قسم والاصل فى القسم

الباه الموحدة والواو بدل منها والتاء بدل من الواو وفيها مع كونها بلا زيادة على التاء كبد
 التهج (لا كيدن أصنامكم) أي لا جتهدن في كسرها والتاء كيد وما في التاء من التهج
 من تسهيل الكيد على يده وتأتيه لا لذلك كان امرأته مقنوطاً منه لصعوبته وتعذره ولعمري
 إن مثله صعب متعذر في كل زمان خصوصاً في زمن غر ودمع عتوه واستكباره وقوة سلطانه
 وتهاكمه على نصرته دينه ولكن * إذا الله سقى عقد شئ يسيراً * ولما كان عزمه على ايقاع
 الكيد في جميع الزمان الذي يقع فيه توليهم في أي جزء يسره منه اسقط الجار فقال (بعد أن
 تولوا مدبرين) أي بعد أن تدبروا واطلقوا إلى عيدكم قال مجاهد وقتادة إنما قال إبراهيم
 هذا من قومه ولم يسمع ذلك إلا رجل واحد فأنشأ عليه وقال أنا سمعنا فتى يذكرهم يقال له
 إبراهيم وقال السدي كان لهم في كل سنة مجمع عيد فكانوا إذا رجعوا من عيدهم دخلوا على
 الأصنام فسجدوا لها ثم عادوا إلى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال أبو إبراهيم له يا إبراهيم
 لو خرجت معنا إلى عيدنا أعجبك ديننا فخرج معهم إبراهيم فلما كان ببعض الطريق أتى نفسه
 وقال اني سقيم أشد كفى برجلي فلما مضوا نادى في آخرهم وقد بقي ضعفاً الناس تالله
 لا كيدن أصنامكم فسمعوا منه ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهة وهي فيهم وعظيم مستقبل
 باب البهو صنم عظيم إلى جنبه أصغر منه والأصنام بعضها إلى جنب بعض كل صنم يليه أصغر
 منه إلى باب البهو واداهم قد جعلوا طعاماً فوضعه بين يدي الآلهة وقالوا إذا رجعنا وقد
 بركت الأصنام الآلهة عليه أكلنا منه فلما نظر إبراهيم إليهم وإلى ما بين أيديهم من الطعام
 قال لهم على طريق الاستهزاء ألا تأكلون فلما لم يجيبوه قال لهم مالكم لا تنطقون فراغ عليهم
 ضرباً باليمين وجعل يكسره ثم يقأس في يده حتى لم يبق إلا الصنم الأكبر علق القأس في عنقه
 ثم خرج فذلك قوله عز وجل (جعلهم جذاً) أي فتاناً وقرأ الكسافي بكسر الجيم والباقون
 بعضها (الأكبر الهسم) فانه لم يكسره ووضع القأس في عنقه وقيل ربطه بيده وكانت اثنين
 وسبعين صنماً بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد ورمصاص وخشب وحجر
 وكان الصنم الكبير من الذهب مكللاً بالجوهر في عينيه ياقوتان تتقدان (لعلهم) أي هؤلاء
 الضلال (اليه) أي إبراهيم (يرجعون) عند الزامه بالسؤال فتقوم عليهم الحجة فلما عادوا إلى
 أصنامهم فوجدوها على تلك الحال (قالوا من فعل هذا) الفعل الفاحش (يا لهتنا انه لمن
 الظالمين) حيث وضع الآلهة في غير موضعها فإن الآلهة حقها الأكرام لا الأهانة والانتقام
 (قالوا) أي الذين سمعوا قول إبراهيم وتالله لا كيدن أصنامكم (سمعنا فتى) أي شاباً من الشباب
 (يذكرهم) أي يعيهم ويسبهم (يقال له إبراهيم) أي هو الذي تظن أنه صنع هذا فلما بلغ ذلك
 نمرود الجبار وأشراف قومه (قالوا فتأوبه) إلى بيت الأصنام (على أعين الناس) أي
 جهره والناس ينظرون إليه نظراً الإخفاء معه حتى كأنه ماش على أبصارهم ممن تمكن منها تمكن
 الركب على المركوب (لعلهم يشهدون) عليه بأنه الذي فعل بالآلهة هذا الفعل كرهوا
 أن يأخذوا بغير بيئته وقيل معناه لعلهم يحضرون عذابه وما يصنع به فلما أتوا به (قالوا) منكرين

عليه (أأنت فعلت هذا) الفعل الفاحش (يا لهتنا يا ابراهيم) * (ثنيه) * هنا هم جزئان
مفتوحتان من كلمة التزاه لجميع على تحقيق الاولى وأما الثانية فيسملها نافع وابن كثير وأبو
عمر وهشام بخلاف عنه وأدخل بينهما الفاقولون وأبو عمرو والباقون بتحقيقه ما وعدم
الادخال بينهما ثم (قال) ابراهيم متكبها بهم ومازما بالحجة (بل فعله كبيرهم) غيرة أن يعبد معه من
هودونه وتقييده بقوله (هَذَا) إشارة الى الذي تركه من غير كسر * ولما أخبرهم ولم يكن
احد رآه حتى يشهد على فعله وكانوا قد احلوه بعبادتهم ووضع الطعام لهم محل من يعقل
تسبب عنه أمرهم بسؤالهم فقال (فاسألوه) أي عن الفاعل ليخبروكم به وقوله (إن كانوا
يَظنون) أي على زعمكم انهم الهة يضرون وينفعون فيه تقديم جواب الشرط أي فان قدروا
على النطق أمكنت عنهم القدرة والافلا فأراهم عجزهم عن النطق وفي ضمنه أن فعلت ذلك
روى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات
نتين منهن في ذات الله قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة هذه أختي وقال
في حديث الشفاعة ويذكر كذباته أي انه لم يتكلم بكلمات صورتها صورة الكذب وان كان
حقا في الباطن الا هذه الكلمات وقيل في قوله اني سقيم أي سأسقم وقيل سقيم القلب أي مغتم
بضلاتكم وقوله لسارة هذه أختي أي في الدين وقوله بل فعله كبيرهم هذا روى عن
الكسائي أنه كان يقف عند قوله بل فعله ويقول معناه بل فعله من فعله وقوله كبيرهم هذا مبتدأ
وخبر قال البغوي وهذه التأويلات لتفي الكذب والاولى هو الاول الحديث فيه ويجوز
أن يكون الله تعالى قد أذن له في ذلك لقصد اصلاح وتوب يختم والاحتجاج عليهم كما أذن ليعوسف
عليه السلام حتى نادى مناديه فقال أيتها العير انكم اسارقون ولم يكونوا سرقوا وقال الرازي
الحديث محمول على المعارض فان فيها مندوحة عن الكذب أي تسمية المعارض كذبا لما
اشبهت صورتها صورته وقرأ ابن كثير والكسائي بفتح السين ووزل الهزة وكذا يفعل
جزء في الوقف والباقون بسكون السين وبعدها همزة مفتوحة وقيل الوقف على بل فعله
ثم يتبدى بقوله كبيرهم هذا * ولما اضطرتهم الدليل أن يحققوا أنهم على محض الباطل
(فرجعوا الى أنفسهم) بالتفكير (فقالوا) أي بعضهم لبعض (انكم أنتم الظالمون) لكونكم
وضعتم العبادة في غير موضعهما لابراهيم فانه أصاب باهانتها (تم تكسوا على رؤسهم) أي
انقلبوا غير مستحيين عما يلزمهم من الاقرار بالسفاهة الى المجادلة له بعدما استقاموا بالمرجة من
قولهم تكس الرريض اذا عاد الى حاله الاول شبه عودهم الى الباطل بصورة جعل أسفل النبي
مستعليا على اعلاه ثم انهم قالوا في مجادلته عن شركائهم والله (لقد علمت) يا ابراهيم (ما هو لاد)
لا يحصهم ولا جبريهم (يظنون) أي فكيف تأمرنا بسؤالهم * ولما تسبب عن قولهم هذا
اقرارهم بأنهم لا فائدة فيهم اتجه لابراهيم عليه السلام الحجة عليهم (قال) منكر اعليهم
مومخالهم (أفتعبدون من دون الله) أي بدله (مالا يتعبدكم شيئا) من رزق وغيره لترجوه
(ولا يضركم) شيئا اذا لم تعبدوه لتخافوه (أف) أي تباوقها (لكم) ولما تعبدون من دون الله

أي غيره وقرأ نافع وحفص بتنوين القاء مكسورة وابن كثير وابن عامر بفتح القاء من غير تنوين
 والباقون بكسر القاء من غير تنوين * ولما سبب عن فعلهم هذا ووضح انه لا يقربه عاقل
 أنكرك عليهم وروى عنهم بقوله (أفلا تعقلون) فبح صنيعكم وأنتم شيوخ قد مرت بكم الدهور
 وحكمتكم التجارب * ولما دحضت حججهم وبان عجزهم وظاهر الحق وان دفع الباطل (قالوا) عادلين
 الى العناد واستعمال القوة الحسبية (محقوه) بالنار لتكونوا قد فعلتم فيه فعلاً عظيماً مما فعل
 بالهتكم (وانصروا آلهتكم) التي جعلها جذاذاً (ان كنتم فاعلين) نصرتم قال ابن عمران
 الذي قال هذا رجل من الاكراد قيل اسمه هيتون نخسف الله تعالى به الارض فهو يتجلبل فيها
 الى يوم القيامة وقيل قاله عمرو بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام وروى ان عمرو بن وقومه
 حين هموا باحراقه حبسوه في بيت ثم بنوا عليه بيتاً كل خطيرة بقرية يقال لها كوني ثم جمعوا له
 أصلاب الحطب من اصناف الخشب مدة شهر حتى كان الرجل يمرض فيقول ائن عوفيت
 لاجمع حطب الابراهيم وكانت المرأة تغزل وتشتري بغزلها الحطب احتساباً في دينها وكان
 الرجل يوصي بشرائه الحطب والقائه فيه فلما جمعوا ما أرادوا واشعلوا في كل ناحية من الحطب
 نارا فاشتعلت النار واشتدت حتى كان الطير يمر بها فيحترق من شدة وهجها وحرها وقدوا
 عليه سبعة أيام فلما أرادوا أن يلقوا ابراهيم لم يعلموا كيف يلقوه فجاهم ابليس عليه اللعنة
 فعلهم عمل المنجنيق فعلموا ثم عدوا الى ابراهيم فقيده ورفعه على رأس البنيان ووضعوه
 في المنجنيق مقبداً مغلولاً فصاحت السماء والارض ومن فيهما من الملائكة وبسبح الخلق
 الا الذين صيحة واحدة ربنا خلقت بلقي في النار وليس في ارضك من يعبدك غيره فأذن لنا
 في نصرته فقال عز وجل انه خليلي وليس لي خليل غيره وأنا اله ليس له اله غيره فان استغاث
 بأحد منكم أو دعاه فليضره فقد أدت له في ذلك وان لم يدع أحداً غيري فأنا أعلم به وأنا وليه
 نفلوا بيني وبينه فلما أرادوا القاءه في النار أتاه خازن المياه فقال ان أردت أن أحدث النار وأتاه
 خازن الرياح فقال ان شئت طيرت النار في الهواء فقال ابراهيم عليه السلام لاجحة لي اليكم
 حسبى الله ونعم الوكيل وروى عن كعب الاحبار ان ابراهيم قال حين أوثقوه ليلقوه في النار
 لا اله الا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رواه في المتصنق الى النار
 فاستقبله جبريل فقال يا ابراهيم ائتك حاجة قال اما اليك فلا فقال جبريل فأسأل ربك فقال ابراهيم
 عليه السلام حسبى من سؤالي علمه بحالي وعن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى وقالوا
 حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار وقالها أصحاب محمد صلى الله
 عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم قال كعب الاحبار جعل
 كل شيء يطفى النار عنه الا وزغ فانه كان ينفض في النار وعن أم شريك ان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أمر بقتل الوزغ وقال كان ينفض على ابراهيم * ولما أراد الله تعالى الذي له القوة
 جميعاً سلامته منها قال تعالى (قلنا يا ناركوني) بارادتنا التي لا يتلف عنها امراد (بردا) قال ابن
 عباس لو لم يزل (وعلاما) لما ابراهيم من بردها وفي الاما انه لم يبق يومئذ نار في الارض

الاطقت فلم ينتفع في ذلك اليوم بنا في العالم ولو لم يقل تعالى (علي ابراهيم) لبقيت ذات برد أبدا
 والمعنى كوني ذات برد وسلام على ابراهيم فبولغ في ذلك حتى كان ذاتهم برد وسلام والمراد
 ابردى فيسلم منك ابراهيم أو ابردى بردا غير ضار قال السدي فأخذت الملائكة بضبعي ابراهيم
 فأقعدوه على الارض فاذا بعين ماء عذب وورد أحر وزجر من قال كعب ما أحرقت النار من
 ابراهيم الا وثاقه قالوا وكنان ابراهيم في ذلك الموضع سبعة أيام قال المنهال بن عمرو قال
 ابراهيم ما كنت أيا ما قط أنعم مني في الايام التي كنت في النار وقال ابن يسار وبعث الله تعالى
 ملك الظل في صورة ابراهيم فقعدها الى جنب ابراهيم يؤنسه قال وبعث الله تعالى جبريل عليه
 السلام يقمعه من حر الجحنة وطفنسة فألبسه القميص وأجلسه على الطنفسة وقدمه
 يحذته وقال جبريل يا ابراهيم ان ربك يقول أمأمت أن النار لا تضر أحبائي ثم نظر غرود
 وأشرف على النار من صرح له فراه جالس في روضة والملك قاعد الى جنبه ومأخو نار تحرق
 الحطب فناداه يا ابراهيم بالهك الذي بلغت قدرته ان حال بينك وبين ما أرى هل تستطيع أن
 تخرج منها قال نعم قال هل تخشى ان قت فيها أن تضرك قال لا قال قم فاخرج منها فقام ابراهيم
 يسعى فيها حتى خرج منها فلما خرج اليه قال له من الرجل الذي رأيت معك في مثل صورتك قاعدا
 الى جنبك قال ذلك ملك الظل أرسله الى ربي ليؤنسني فيها فقال غرود اني مقرب الى الهك
 قربا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك حين آيت الاعدادته وتوحيدته اني ذابح له أربعة
 آلاف بقرة قال اذا لا يقبل الله منك ما كنت على دينك حتى تفارقه الى ديني فقال لا أستطيع
 ترك ملكي ولكن أذبحها له فذبحها له غرود ثم كف عن ابراهيم وضعه الله تعالى منه وكان
 ابراهيم اذ ذاك ابن ست عشرة سنة واختار والمعاقبة بالنار لانها أهول ما يعاقب به وافظعه
 ولذلك جاء في الحديث لا يعذب بالنار الا خاقها وقيل ان الله تعالى نزع عنها طبعها الذي طبعها
 عليه من الحرو والاحراق وابقاها على الاضائة والاشراق والاشتعال كما كانت والله على كل شيء
 قدير فدفن عن ابراهيم حترها كما بدفع ذلك عن خزنة جهنم (وأرادوا به كيدا) أي مكرافي اضراره
 بالنار وبعد خروجه منها (فجعلناهم) أي جعلنا من الجلال (الاخسرين) أي أخسر من كل
 خاسر عاديهم برهاننا فاطعنا على انهم على الباطل و ابراهيم على الحق وموجب زيادة درجته
 واستحقاقهم أشد العذاب وقد أرسل الله تعالى على غرود وعنى قومه البعوض فأكت لحومهم
 وشرب دماهم ودخلت في دماغه بعوضة فأهلكته * (فائدة) * وقع مثل هذه القصة لبعض
 اتباع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو أبو مسلم الخولاني طلبه الاسود العنسي لما ادعى النبوة
 فقال له اشهد اني رسول الله قال ما أسمع قال اتشهد ان محمد ارسول الله قال نعم فأمر بنا وقال اني
 فيها ثم وجده فأثمأبصلي فيها وقد صارت عليه بردا وسلاما وقدم المدينة بعد موت النبي صلى الله
 عليه وسلم فأجلسه عمر بينه وبين أبي بكر رضي الله عنهم وقال عمر الحمد لله الذي لم يمتني حتى
 أراي من أمة محمد صلى الله عليه وسلم من فعل به كما فعل بابراهيم خليل الله (ويحيىناه ولو طأ)
 من غرود وقومه من أرض العراق (الى الارض التي باركنا فيها للعالمين) وهي الشام بارك

الله فيها بالخصب وكثرة الاشجار والثمار والانهار ومنها بعث أكثر الانبياء قال أبي بن كعب بارك
الله فيها وسماها مباركة لان ما من ماء عذب الا وينبع أصله من تحت العصرة التي بيت المقدس أي
يهبط من السماء الى العصرة ثم تنشق في الارض قاله أبو العباس وعن قتادة ان عمر رضي الله
تعالى عنه قال لكعب الاحبار ألا تحول الى المدينة فيها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبره
فقال كعب اني وجدت في كتاب الله المنزل يا أمير المؤمنين ان الشام كثر الله في أرضه وبها كثره
من عباده وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ستكون هجرة بعد هجرة فخيرها للناس الى مهاجر ابراهيم قال محمد بن اسحق استجاب لابراهيم
رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله عز وجل به من جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف من
نروذ وملائهم وآمن به لوط وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران بن تارح وهاران هو أخو ابراهيم
وكان له سمانا قال يقال له ناحور بن تارح وآمنت به أيضا سارة وهي بنت عمه وهي سارة بنت
هاران الاكبر عم ابراهيم فخرج من كوثي وهي بضم الكاف ومثلثة قال ابن الاثير هي كوثي
العراق وهي سرّة السواد وبها ولد ابراهيم الخليل عليه السلام وخرج مهاجرا الى ربه ومعه لوط
وسارة كما قال تعالى فأمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي فخرج يلتمس الفرار بدينه والامان
على عبادة ربه حتى نزل حران فكثبها ما شاء الله ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر ثم خرج
من مصر الى الشام فزول السبع من أرض فلسطين وهي برة الشام ووزل لوط بالمؤنفة وهي
على مسيرة يوم وليس له من السبع فبعثه الله تعالى نبيا الى أهلها وما قرب منها فذلك قوله تعالى
ونجيناه و لوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين أي كما أنجيناه أنت يا أشرف الخلق ويا أفضل
أولاده وصديك يا أبكر رضي الله تعالى عنه الى طيبة التي شرفناها بك وبنينا من أنوارها في
أرجاء الارض وأقطارها ما لم يثبت مثله قط وباركنا فيها للعالمين بالخلفاء الراشدين وغيرهم من العلماء
والصالحين الذين انبتت خيراتهم العملية والعلمية والمالية في جميع الاقطار * ولما ولد لابراهيم
عليه السلام في حال شيخوخته وعجز امرأته مع كونها عقيما وكان ذلك داعيا الى الاقتدار على
البعث الذي السباق كله له قال تعالى (وهبنا له) دالاعلى ذلك بنون العظمة (اسحق) أي من
شبه العدم وترشح شرح حاله لتقدمه أي فكان ذلك دليلا على اقتدارنا على ما يزيد لاسيمان إعادة
الخلق في يوم الحساب ثم انه قد بظن أنه لتولده بين شيخ فان وعجزه فقيم كان على حاله من الضعف
لا يولد له معه نقي ذلك بقوله تعالى (ويعقوب نافلة) اي ولدا لاسحق زيادة على مادعابه
ابراهيم عليهم السلام ثم نقي سبحانه وتعالى أولاد يعقوب وهو اسرائيل وذرياتهم الى أن سماوا
النجوم عقدة وباروا الجبال شدة (وكلا) من هؤلاء الاربعة وهم ابراهيم و لوط واسحق ويعقوب
وعظم ربهم بقوله تعالى (جعلنا صالحين) أي مهينين لطاعتهم لله تعالى لكل ما يروونه أو يراون
له أو يراون منهم * ثم لما ذكر انه تعالى أعطاهم رتبة الصلاح في أنفسهم ذكر انه تعالى أعطاهم
رتبة الاصلاح لغيرهم فقال تعالى معظما لاماتهم (وجعلناهم أئمة) أي اعلا ما ومقاصد
يقصدونهم في الدين لما آتيناهم من العلم والنبوة وقرأناهم وابن كبير وأبو عمرو وبسهيل

الهمزة الثانية المكسورة بين الهمزة والياء ويجوز ابدالها عندهم ياء خالصة ولا يدخلون
 بينهما شياً وقد أهدشتم بتحقيق الهمزتين وادخال ألف بينهما بخلاف غيره في الادخال
 وعدمه والباقيون بتحقيق الهمزتين من غير ادخال بلا خلاف (يهدون) أي يدعون اليينا
 من وقتنا للهداية (بأمرنا) أي بأذننا (وأوحينا اليهم) أيضاً (فعل) أي أن يفعلوا (الخيرات)
 ليصوبهم عليها فيتم ~~ص~~ كما لهم بانضمام العلم الى العمل قال البقاعي وعله تعالى عبر بالفعل
 دلالة على انهم امتثلوا كل ما وحي اليهم وقال الزمخشري أصله أن تفعل الخيرات ثم فعلا
 الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك أقام الصلاة وابتداء الزكاة انتهى وقوله تعالى (وأقام الصلاة
 وآتاه الزكاة) من عطف الخاص على العام تعظيماً لأن الصلاة تقرب العبد الى
 الحق تعالى والزكاة احسان الى الخلق قال الزجاج الاضافة في الصلاة عوض من ناء التأنيث
 يعنى فيكون من الغالب لان القليل (وكانوا لنا) دائماً جلبة وطبيعة (عابدين) أي موحدين
 محلصين في العبادة ولذلك قدم الصلاة * القصة الثالثة قصة لوط عليه السلام المذكورة
 في قوله تعالى (ولوطاً) أي وآيماً لوطاً وواذ ذكر لوطاً ثم استأنف قوله تعالى (آيئنا محكم) أي
 نبوة وعملاً محكم بالعلم وقيل فصلايين الخ صوم (وعلمنا) من ينا بالعمل مما ينبغي عمله للانبيا
 (ويحيينا من القرية) أي قرية سدوم (التي كانت) قبل انجاء ناله منها (تعمل) أي أهلها الاعمال
 (النجيات) من اللواط والرمي بالنقد واللعب بالطيور والتضارط في أديبتهم وغير ذلك وانما
 وصف القرية بصفة أهلها وأسندها اليها على حذف المضاف واقامته مقامه ويدل عليه (أنهم
 كانوا) أي بما جابوا عليه (قوم سوء) أي ذوى قدرة على الشر بتانها كهم في الاعمال السيئة
 (فاسقين) أي خارجين من كل خير (وأدخلناه) دونهم (في رجسنا) أي في الاحوال السيئة
 والاقوال العلية والافعال الزكية التي هي سبب للرجة العظمى ومسببة عنها ثم عمل ذلك بقوله
 تعالى (انهم الصالحين) أي الذين سمقت لهم منا الحسنى أي لما جباهه عليه من الخير * القصة
 الرابعة قصة نوح عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (ونوحاً) أي واذكرونا (اذ) أي حين
 (نادى) أي دعا الله تعالى على قومه بالهلاك بقوله رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً
 ونحوه من الدعاء (من قبل) أي من قبل لوط ومن تقدمه (فاستجبنا) أي أوردنا الاجابة
 وأوجدنا هابطة متنا (له) في ذلك النداء ثم تسبب عن ذلك قوله تعالى (فنجيناه وأهله) أي الذين
 دام ثباتهم على الايمان وهم من كان معه في السفينة (من الكرب العظيم) أي من أذى قومه
 ومن الفرق والكرب الغم الشديد قاله السدي وقال أبو حيان الكرب أقصى الغم والاخذ
 بالنفس وهو هنا الفرق عبر عنه بأول احوال مأخذ الفريق (ونصرناه) أي منغناه (من القوم)
 أي المتصدين بالقوة (الذين كذبوا بآياتنا) من أن يصاوا اليه بسوء وقيل من بمعنى على (أنهم
 كانوا قوم سوء) أي لا عمل لهم الا ما يسوء فأنغرقتهم أجمعين) لاجتماع الامرين تكذيب الحق
 والانتماء في الشر لم يفتحا في قوم الا وأهلكهم الله تعالى * القصة الخامسة قصة داود وسليمان
 عليهما السلام المذكورة في قوله تعالى (وداود وسليمان) ابنه أي اذكرهما واذكر

شأنهما (أذ) أى حين (يحبكان في الحرث) الذى أبت الزرع وهو من اطلاق اسم السبب
على السبب كالسما على المطر والنبت قال ابن عباس وأكثر المفسرين كان ذلك كرما
قد نبت عن تقديده وقال قتادة كان زرعا قال ابن الخازن وهو أشبه للعرف (أذقتت)
أى انتشرت ليلابغير راع (فيه غنم القوم) فرغته قال قتادة النفس في الليل والعمل في
الثمار (وكل الحكمةهم) أى الحكمة والمعاينة اليهما (شاهدتين) أى كان ذلك بعلمنا
ومرأى منا لا يخفى علينا عمله وقال الفراء جمع الاثنين فقال لحكمهم ويريد داود وسليمان
لأن الاثنين جمع وهو مثل قوله تعالى فان كان له أخوة فلائمه السدس وهو يريد أخوين
قال ابن عباس وقتادة وذلك ان رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب حرث
والآخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع ان هذا انقلقت غنمه ليللا فوقت في حرث
فأفسدته فلم يتبق منه شيأ فأعطاه داود رقاب الغنم بالحرث فخرجا فقرأ على سليمان عليه السلام
فقال كيف قضى بينكما فأخبراه فقال سليمان وهو ابن احدى عشر سنة لو وليت أمرهما
لقضيت بغير هذا وروى أنه قال غير هذا أرفق بالريقين فأخبر بذلك داود فدعا فقال كيف
تقضى ويروى انه قال بحق النبوة والابوة الاما أخبرتنى بالذى هو أرفق بالريقين قال ادفع
الغنم الى صاحب الحرث فينتفع بذرهما ونسلها ووصفها ويذر صاحب الغنم لصاحب الحرث
مثل حرثه فاذا صار الحرث كهينته دفع الى أهله وأخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود القضاء
ما قضيت كما قال تعالى (ففهمناها) أى الحكومة (سليمان) أى علمناه القضية وألهمنا هاله
* (تنبيه) * يجوز أن تكون حكومتهم ما بوحى الا ان حكومة داود نسخت بحكومة سليمان
ويجوز أن تكون باجتهاد الآن اجتهاد سليمان أشبه بالصواب (فان قيل) ما وجه كل واحدة
من الحكومتين (أجيب) بأن وجه حكومة داود ان الضرر وقع بالغنم فسلت بينكما الى
الجنى عليه كما قال أبو حنيفة في العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى بذلك أو يفديه وعند
الشافعى يبيعه في ذلك أو يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث ووجه
حكومة سليمان انه جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير أن يزول ملك
المالك عن الغنم وأوجب على صاحب الغنم أن يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان
مثاله ما قال أصحاب الشافعى فيمن نصب عبدا وأبق من يده انه يضمن بالقيمة فينتفع بها
المفوض يضمنه بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر ترادا (فان قيل) لو وقعت
هذه الواقعة في شريعنا ما حكمها (أجيب) بأن أبو حنيفة وأصحابه لا يرون فيها ضمانا
بالليل أو بالنهار الا ان يكون مع البهيمة سائق أو قائد لقوله صلى الله عليه وسلم حرح الجعاه
جبار أى هدر رواده الشيطان وغيرهما والشافعى وأصحابه يوجبون الضمان بالليل اذا المعتاد
ضابط الدواب ليللا وذلك قضى النبي صلى الله عليه وسلم لما دخلت ناقه البراء حائطا وأفسدته
فقال على أهل الاموال حفظها بالنهار وعلى أهل المشية حفظها بالليل ولما كان ذلك
رجما وهم شيا فى أمر داود ونفاه بقوله تعالى (وكل) أى منهما (أيتنا حكما) أى نبوة وعلا

مؤساعلى حكمة العلم (وعلميا) مؤيدا باصلاح العمل وعن الحسن لولا هذه الآية لرأيت القضاة
 قد هلكوا ولكنه تعالى أثنى على سليمان عليه السلام لصوابه وعلى داود باجتهاده انتهى
 وهذا على رأى الثانى وعليه أكثر المفسرين وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد
 فأخطأ فله أجر وهل كل مجتهد مصيب أو المصيب واحد لا بعينه رأيان أظهرهما الثانى وإن
 كان مخالفا لفهوم الآية أذ لو كان كل مجتهد مصيبا لم يكن للتقسيم في الحديث معنى وقوله
 صلى الله عليه وسلم وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر لم يرد به أنه يؤجر على الخطأ بل يؤجر على
 اجتهاده في طلب الحق لأن اجتهاده عبادة والأثم في الخطأ عنه موضوع * (فائدة) * من أحكام
 داود وسليمان عليهما السلام ما روى عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يقول كانت امرأتان معهما البناهما فجاء الذئب فذهب بابن احداهما فقاتل لصاحبتها
 انما ذهب بابنك وقالت الاخرى انما ذهب بابنك فصا كالى داود فقضى به للكبرى فخر جتا على
 سليمان فأخبرناه فقال اتوني بالسكين أشقه بينكما فقالت الصغرى لا تفعل بربك الله هو ابنها
 فقضى به للصغرى أخرجاه في الصحيحين ثم انه تعالى ذكر لداود وسليمان بعض معجزات فن بعض
 معجزات الاول ما ذكره بقوله تعالى (وصخرنا مع داود الجبال) مع صلابتها وعظمتها (يسجن)
 معه أى يقتدى الله تعالى ولو شئنا لجعلنا الحرث والغنم تكلمه بصواب الحكم وقال ابن عباس
 كان يفهم تسبيح الحجر والشجر وقوله تعالى (والطير) عطف على الجبال أو مفعول معه وقال
 وهب كانت الجبال تنجاو به بالتسبيح وكذا الطير وقال قتادة بسجن أى يصلين معه اذا صلى وقيل
 كان داود اذا قرئ بسم الله تعالى تسبيح الجبال والطير لينشط في التسبيح ويستشاق اليه وقيل
 يسجن بلسان الحال وقيل يسجن من راهاتسير معه بتسبيح الله تعالى فلما جبلت على التسبيح
 وصفت به (وكذا فاعلين) أى من شأنا الفعل لامثال هذه الافاعيل ولكل شئ يزيد فلا تستكثروا
 علينا أمر اوان كان عندكم حجا وقد اتفق نحو هذا الغير واحد من هذه الامة كان مطرف
 ابن عبد الله بن الشخير اذا دخل بيته سجت معه أبنيته وأما النبي صلى الله عليه وسلم فكان
 الطعام يسجن بحضرة والحصى وغيره (وهلناه مصنعة لبوس) أى صنعة الدروع التى تلبس
 في الحرب قال قتادة أول من صنع هذه الدروع وسردها واتخذها حلقا داود وكانت من قبل
 صفائح وقد ألان الله تعالى لداود الحديد فكان يعمل منه بغير نار كما نه طين قال البغوى وهو
 أى اللبوس في اللغة اسم لكل ما يلبس ويستعمل في الاسلحة كلها وهو بمعنى اللبوس كالحلوب
 والر كوب وقوله تعالى (لكم) متعلق بعلم أو صنعة اللبوس وقوله تعالى (لتحصنكم من بأسكم)
 يدل منه يدل استعمال باعادة الجار ومرجع الضمير يختلف باختلاف القراءات فقرأت أشعبة بالنون
 فالضمير لله تعالى وقرأ ابن عامر وحضص بالناء على التانيث فالضمير للصنعة أو اللبوس على تاويل
 الدرع وقرأ الباقر بن البلاء التعتية فالضمير لداود أو اللبوس وقوله تعالى (فهل أنتم شاكرون)
 أى لنا على ذلك أمر أخرجه في صورة الاستفهام للمبالغة أو التقرير ومن بعض معجزات

الثاني ما ذكره بقوله (ولسليمان) أي وسفرنا سليمان (الريح) قال البغوي وهو هواه يتحرك وهو
 جسم لطيف يتبع بطقه من القبض عليه ويظهر للعس بحركته والريح تذكرون وث (عاصفة)
 أي شديدة الهبوب (فان قيل) قد قال تعالى في موضع آخر تجرى بأمره الرياح والرياح اللين
 (أجيب) بأنها كانت تحت أمره ان أراد أن تشتد اشتدت وان أراد أن تلين لانت وقيل كانت
 في نفسها رخصة طيبة كالنسيم فاذا مرت بكرسيه أهدت به في مدة يسيرة على ما قال تعالى
 غدوها شهر ورواحها شهر وقوله تعالى (تجري بأمره) أي بحسبته حال نائية أو بدل من الأول
 أو حال من ضميرها (الى الارض التي باركنا فيها) أي الشام وذلك أنهم كانت تجرى بسليمان
 وأصحابه الى حيث شاء سليمان ثم يعود الى منزله بالشام قال وهب بن منبه كان سليمان عليه
 السلام اذا خرج الى مجلسه عكفت عليه الطير وقام اليه الحق والانس حتى يجلس على سريره
 وكان امرأ غزاة قلبا يقع عن الغزوي لا يسمع في ناحية من الارض علك الأتاه حتى يذله فكان
 اذا أراد الغز وأمره بسكره فضرب له بحشب ثم نصب له على الخشب ثم جعل عليه الناس والدواب
 وآلة الحرب فاذا جعل معه ما يريد امر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتته
 حتى اذا استقلت به امر الرياح فزت به شهراني ورحته وشهرا في غدوته الى حيث أراد وكانت تخر
 بعسكره الريح الرياح بالزرعة فما تخرتها ولا تثيرها ولا تؤذي طائر أو قال مقاتل نهجت
 الشياطين لسليمان بساطا فرمى في فرسخ ذهبا في ابريسم وكان يوضع له منبر من الذهب في وسط
 البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وقضة تقعد الانبياء عليهم السلام على
 كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتقله
 الطير بأجنحتها حتى لاتقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى
 الرواح ومن الرواح الى الغروب وقال سعيد بن جبيرة كان يوضع لسليمان ستمائة ألف كرسي
 تجلس الانس مما يليه ثم تلهم الجن ثم تظلمهم الطير ثم تحملهم الريح وقال الحسن بن المنكثفت
 الخليل نبى الله سليمان حتى فاتته صلاة العصر غضب الله فعقر الخليل فأبدله الله مكانها خيرا منها
 وأسرع وهي الريح تجرى بأمره كيف يشاء فكان يغدو من ايلياء فيقبل باصطخر ثم يروح منها
 فيكون رواحها يابل وقال ابن زيد كان له مركب من خشب وكان فيه ألف ركن في كل ركن
 ألف بيت تركب معه فيه الجن والانس تحت كل ركن ألف شيطان يرفعون ذلك الركن فاذا
 وارتفعت أمت الريح الرياح فسارت به وهم يقبل عند قوم بينه وبينهم شهر ولا يدري القوم
 الا وقد أظلمهم معه الجيوش (وكذا) أي أزلا وأبدا باحاطة العظمة (بكل شئ) أي من هذا
 وغيره من أمره وغيره (عالمين) ومن علمنا ان ذلك لا يزيدهم الا تواضعا وكما حضرنا الريح له حصرناها
 للنبي صلى الله عليه وسلم اياي الى الاحزاب قال حذيفة رضي الله عنه حتى كانت تقذفهم بالحجارة
 ما تحبوا وزعسكهم فهزهم الله تعالى بها وردوا بغير ظلم لم ينالوا خيرا وأعطى صلى الله عليه
 وسلم أعم مما أعطى جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقد أعطى صلى الله عليه وسلم التصرف
 في العالم العلوي الذي جعل الله تعالى منه القبيض على العالم السفلي بالاحتراف والطباقة

بالاسراء نارة وبامسال المطر لادعاب سبع كسبع يوسف عليه السلام وبارساله أخرى كإني أحاديث
 كثيرة وأتى مع ذلك بفتايج خزائن الأرض كلها فردتها صلي الله عليه وسلم (ومن) أي وسخرنا
 لسليمان من (الشياطين) الذين هم أكثر شئ تمتردا وعتوا (من يفوضون له) أي يدخلون في البحر
 فيضجون منه الجواهر وغيرهما من المنافع وذلك بأن أكتفنا أجسامهم مع لطافتها لتقبل
 القوس في الماء معجزة في معجزة وقد خلقني نينا صلي الله عليه وسلم العفريت الذي جاءه بشهاب
 من نار وأسر جماعة من أصحابه رضي الله تعالى عنهم عفاريت أو أوالى عمر الصدقة وأمكنهم
 الله تعالى منهم (ويعملون عملا دون ذلك) أي سوى القوس كبناء المدن والقصور واخترع
 الصنائع الغربية كقوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الآية (وكألهم حافظين)
 أي حتى لا يخرجوا عن أمره وقال الزجاج معناه حفظناهم من أن يفسدوا ما عملوا وكان من عادة
 الشياطين إذا عملوا علما بالتهار وفرغوا منه قبل الليل أفسدوه وخربوه وفي القصة أن سليمان كان
 إذا بع شيطان مع انسان ليعمل له عملا قال له إذا فرغ من عمله قبل الليل فاشغله بعمل آخر لئلا
 يفسد ما عمل ويخربه * القصة السادسة قصة أيوب عليه السلام المذكورة في قوله تعالى
 (وأيوب) أي واذكر أيوب ويبدل منه (اذنادى ربه) قال وهب بن منبه كان أيوب عليه السلام
 رجلا من الروم وهو أيوب بن أموص بن رزاح بن روم بن عيصو بن اسحق بن ابراهيم وكانت
 أمه من ولد لوط بن هاران وكان الله تعالى قد اصطفاه ونباه وبسط عليه الدنيا وكانت له اثنتان من
 أرض البلقاء من أعمال حوران من أرض الشام كلها سهلها وحلبها وكان فيها من أصناف
 المال كلبه من الابل والبقر والغنم والخليل والحبر ما لا يكون لرجل أفضل منه في العدة والكثرة
 وكان له خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وعبد وولد ومال ويحمل آلة كل
 فدان أنان لكل أنان من الولد اثنتان أو ثلاث أو أربع أو خمس وفوق ذلك وكان الله تعالى قد
 أعطاه أهلا وولدا من رجال ونساء وكان برًا تقيا رحيمًا ملسا كين يعطهم مالهم ويكفل اليتام
 والارامل ويكرم الضيف ويلفق ابن السبيل وكان شاكر الأنعم الله مؤذيا لخلق الله تعالى قد امتنع
 من عبادة الله ابليس أن يصيب منه ما يصيب من أهل الغنى من العزة والفضلة والتشاغل عن
 أمر الله بما هو فيه من الدنيا وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وصدقوه رجل من اليمن يقال له
 اليعن ورجلان من بلده يقال لاحدهما بلدد والآخر صبر وكانوا كهولا وكان ابليس
 لا يجيب عن شئ من السموات وكان يقف فيمن حيثما أراد حتى رفع الله تعالى عيسى عليه
 السلام لحجب من أربع فلما بعث محمد صلي الله عليه وسلم حجب عن السموات كلها الا من استرق
 السمع فسمع ابليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب عليه السلام وذلك حين ذكره الله تعالى
 وأتى عليه فأدركه النبي والحسد ففصد سر يعا حتى وقف من السماء موقعا كان يقفه فقال
 الهي نظرت في أمر عبدك أيوب فوجدته عبدا أنعمت عليه فشكرك وعافيتك فحمدك ولو
 اتلته بزمع ما أعطيتك لمحال عما هو عليه من شكرك وعبادتك ونخرج من طاعتك قال الله
 تعالى انطلق فقد سلطتك على ما له فانقض عدو الله ابليس حتى وقع على الأرض ثم جمع عفاريت

الجن ومرتدة الشياطين وقال لهم ماذا عندكم من القوة فأتى قد سلطت على مال أيوب وهي المصيبة
الفادحة والفتنة التي لاتصبر عليها الرجال فقال عفریت من الشياطين أعطيت من القوة ما إذا
شئت تحوّلت أعصارا من نار واحرقت كل شيء أتى عليه قال له ابليس فأنت الابل ورعاتها فأتى
الابل وقد وضعت روقها ووعت في مراعها فلم يشعر الناس حتى ثامر من تحت الارض اعصار
من نار لا يدون منها أحد الا احترق فأحرق الابل ورعاتها حتى أتى على آخرها ثم جاء عدو الله
ابليس في صورة قبيحة على قعود الى أيوب فوجده قائما يصلي فقال يا أيوب أقبلت نار حتى غشيت
ابلك فأحرقتها ومن فيها عيرى فقال أيوب الحمد لله الذي أعطانيها وهو أخذها وانها مال الله
أعاريها وهو أولى بها اذا شاء تركها واذا شاء نزعها وقديما كنت وطلت نفسي ومالى على الفناء
قال ابليس فان الله ربك أرسل عليا نارا من السماء فاحترقت فتركت الناس مهوتين يتعجبون
منها منهم من يقول ما كان أيوب بعد شيا وما كان أيوب الا في غرور ومنهم من يقول لو كان
الله أيوب يقدر على أن يصنع شيئا يمنع وليه ومنهم من يقول بل هو الذي فعل لي شتم به عدوه
ويفجع صديقه فقال أيوب الحمد لله حين أعطاني وحين نزع مني عرابا نخرجت من بطن أمي
وعرابا نأعوذ في التراب وعرابا نأحشر الى الله عز وجل ليس ينبغي لك أن تفرح حين أعطاك
الله وتبجز حين قبض الله على عاريته الله أولى بك وبما أعطاك ولو علم الله تعالى فيك أيها العبد
خير النقل روحك مع تلك الارواح وصرت شهيدا ولكنه علم منك شرًا فأخرجك فرجع
ابليس الى أصحابه خاسئا ذليلا فقال لهم ماذا عندكم من القوة فأتى لم أكلم قلبه قال عفریت
عندي من القوة ما اذا شئت صيحة لا يسمعها ذور روح الا خرجت روحه قال ابليس فان
الغنم ورعاتها فانطلق حتى توسطها ثم صاح صيحة فنجحت أمواتا من عند آخرها وماتت رعاتها
ثم جاء ابليس ممثلا بقهرمان الرعاة الى أيوب وهو يصلي فقال له مثل القول الاول فرد عليه
أيوب مثل الرد الاول ثم رجع ابليس الى أصحابه فقال ماذا عندكم من القوة فأتى لم أكلم قلب
أيوب فقال عفریت عندي من القوة ما اذا شئت تحوّلت ريحا عاصفا تنسف كل شيء أتى عليه
قال فأت القسادين والحراث فانطلق حين شرع القسادون في الحراث والزروع فلم يشعروا حتى
هبّت ريح عاصف فنسفت كل شيء من ذلك حتى كأنه لم يكن ثم جاء ابليس ممثلا بقهرمان
الحراث الى أيوب وهو قائم يصلي فقال له مثل قوله الاول فرد عليه أيوب مثل رده الاول وجعل
ابليس يهلك أمواله المالا لا حتى مر على آخره كلما انتهى اليه هلاك ما من أمواله الحمد لله
تعالى وأحسن الثناء عليه ورضى عنه بالقضاء ووطن نفسه بالصبر على البلاء حتى لم يبق له مال
فلما رأى ابليس انه قد أفنى ماله ولم ينتج منه بشيئ معدس ريعا حتى وقف في الموقف الذي يصف
فيه وقال الهى ان أيوب يرى انك ما متعته بولده فأنت تعطيه المال فهل أنت مسلط على
ولده فانها المصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال قال الله تعالى انطلق فقد سلطت على ولده
فانقض عدو الله ابليس حتى جاء بنى أيوب وهم في قصرهم فلم يزل يزل بهم حتى تداعى من
قراعه وجعل يحدده بضرب بعضها بعضا ويرميهم بالخشب والحجارة حتى مثل بهم كل مثله

ورفع القصر فقلبه فصار وامنكبين وانطلق الى ايوب متهللاً بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة
 وهو جريح مشدوخ الوجه يسيل دمه ودماغه فأخبره وقال لورأت بيدك كيف عذبوا
 وقلوبوا فكأنوا منكبين على رؤسهم تسيل دماؤهم ولورأت كيف شقت بطونهم فتنازرت
 امعاؤهم لقطع قلبك فلم يزل يقول هذا أوفوه حتى رق قلب ايوب وبكى وقبض قبضة من
 التراب فوضعها على رأسه وقال ليت أمتي لم تلدني فاعتنم ابليس ذلك فصعد سر يعا بالذي كان
 من جزع ايوب مسرورابه ثم لم يلبث ايوب ان فاه وأبصر واستغفر فصد قرناؤه من الملائكة
 بنوبه فسبقت نوبته الى الله عز وجل وهو أعلم فوقها ابليس خاسئاً ذليلاً وقال الهى
 انما هو ن على ايوب المال والولد انه يرى انك ما تمتعه بنفسه فانك تعبد له المال والولد فهل
 أنت مسطى على جسده فقال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على جسده ولكن ليس لك
 سلطان على لسانه ولا على قلبه ولا على عقله وكان الله عز وجل أعلم لم به لم يسلطه عليه الارجحة
 لا يوب ليعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكري للعالمين في كل بلاء نزل بهم لتساويه في
 الصبر ورجاء الثواب فاتقض عدو الله سر يعا فوجد ايوب في مصلاه ساجداً فاجبل قبل
 أن يرفع رأسه فأتاه من قبل وجهه فنفخ في منخره فنفخة اشتعل منها ساير جسده فخرج من قرنه
 الى قدمه نابل مثل ألبات الغنم ووقعت فيه حكمة فحك بأظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها
 بالمسوح الخشن حتى قطعها ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنه فلم يزل يحكها حتى بقل لحمه
 ونقطع وتغير وأتى وأخرجه أهل القرية وجعلوه على كاسة وجعلوا العريش فرضه خلق الله
 كلهم غير امرأته وهي رجة بنت افرائيم بن يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة
 والسلام فكانت تختلف اليه بما يصلحه وتلزمه ولما رأى الثلاثة من أصحابه وهم البقن
 وبلدد وصابر ما ابتلاه الله تعالى به اتهموه ورفضوه من غير أن يتركواديبه فلما طال به
 البلاء انطلقوا اليه فبكتوه ولاموه وقالوا له تب الى الله تعالى من الذنب الذي عوقبت عليه
 قال وحضره معهم فتى حديث السن قد آمن به وصدقه فقال لهم انكم تكلمتم أيها الكهول
 وانتم أحمق بالكلام مني لاسنانكم ولكنكم تركزكم من القول أحسن من الذي قلتم ومن
 الرأى أصوب من الذي رأيتم ومن الامر أجل من الذي أنتم وقد كان لا يوب عليكم من الحق
 والذمام أفضل من الذي وصفتم فهل تدررون أيها الكهول حق من اتقصتم وحرمة من
 اتهمتم ومن الرجل الذي عبت واتهمتم ألم تعلموا انه ايوب نبي الله وخبرته وصفوته من أهل
 الارض الى يومكم هذا فلم تعلموا ولم يطلعكم الله على انه قد سحق شيا من أمره منذ ما آناه الله
 ما آناه الى يومكم هذا ولانه نزع شيا منه من الكرامة التي أكرمها ولان ايوب قال على الله
 غير الحق في طول ما حببتموه الى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذي ازرى به عندكم ووضع
 في انفسكم فقد علمت أن الله تعالى يتلى المؤمنين والصديقين والشهداء والصالحين وليس
 بلاؤه لائلك على خطه عليهم ولا لوه وان له لهم ولكنها كرامة وخبرتهم ولو كان ايوب ليس من
 الله بهذه المنزلة الا انه أخ اخيتوه على وجه العصبه لكان لا يجبل بالحكيم أن يعدل أخاء عند

البلاء ولا يعيره بالمصيبة ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكر وب حزين وانكسره برجه ويكي معه
 ويستغفر له ويحزن لحزنه ويدله على أرشده أمره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فإنا لله
 الله أيها الكهول فقد كان في عظمة الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع ألسنتكم ويكسر قلوبكم
 ألم تعلموا أن الله عباداً أسكنتم خشيتهم من غيري ولا بكم وانهم لهم الضمائم البلاء
 الألباء العالمون بالله ولكنهم إذا ذكر واعظمة الله انقطع ألسنتهم واقشعرت جلودهم
 وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظاما لله واجلاله فاذا استفاقوا من ذلك استبقوا
 الى الله بالأعمال الراسخة يعدون أنفسهم مع الظالمين والخطائين وانهم لا يراروا ومع
 المقصرين المقربين وانهم لا يكاس أقبوا فقال أيوب إن الله سبحانه وتعالى يزرع الحكمة
 بالرحمة في قلب الصغير والكبير فيثبت في القلب يظهرها الله تعالى على اللسان وليست
 تكون الحكمة من قبل السن والشيبة ولا طول التجربة وإذا جعل الله العبد حكيماً
 في الصبأ لم تسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون علمه من الله تعالى نور الكرامة ثم أعرض عنهم
 أيوب عليه السلام يعني الثلاثة وقال أيتقوني غضاباً رهبت قبل أن تسترهبوا وبكيتم قبل
 أن تضربوا فكيف بي لو قلت تصدقوا على بأموالكم لعل الله أن يخلصني أو قربوا قرباً لعل
 الله أن يقبله ويرضى عني وانكم قد أعجبتمكم أنفسكم وظننتم انكم عوضتم باحسانكم
 ولو نظرت فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم لوجدتم لكم عيوباً قدسترها الله تعالى بالعافية التي
 ألسكم وقد كنتم فيما خلا تفرقوني وأنامسوع كلامي معروف حتى منصف من خصمي
 فأصعبت اليوم وليس لي رأي ولا كلام وأنتم كنتم أشد علي من مصيبي ثم أعرض عنهم أيوب
 وأقبل على ربه مستعينا به مستغفراً متضرعاً إليه فقال يا رب لا شيء خلقتني لئني اذكره حتى
 لم تخلقني باليئني عرفت الذنب الذي أذنبت والعمل الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني
 لو كنت أمتني فألحقني بأبائي فالمرت كان أجمل بي ألم أكن للقريب داراً وللمسكين قراراً
 ولليتيم وليلاً وللارملة قوماً الهني أنا عبدك ان أحسنت الي فالن لك وان أسأت فيبدك عقوبتي
 جعلتني البلاء غرضاً والفضة نصيباً وقد وقع بي بلاء لوسلطته علي جبل ضعف عن حمله فكيف
 يحمله ضعفي فان قضاء الله هو الذي أذلني وان سلطتك هو الذي أسقمني وأنجح جسمي ولو أن
 ربي نزع الهيبة التي في صدري وأطلق لساني حتى أتكم بل عني فأدلي بعذري وأتكم ببراهني
 وأخاصم عن نفسي لرجوت أن يعافيني عند ذلك بماي ولكنني ألقاني وتعالى عني فهو يراني
 ولا أراه ويبغمني ولا يسمعني فلما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده أظله غمام حتى ظن أصحابه أنه
 عذاب ثم نودي يا أيوب ان الله تعالى يقول ها أنا قد نوت منك ولم أزل منك قريباً فمأدل بعذرك
 وتكلم بجنتك ونخاصم عن نفسك واشدد أوزرك ووقم مقام جباري بخاصم جباراً ان استطعت
 فإنه لا ينبغي أن يخاصمني الاجبار مثلي لفة منك نفسك يا أيوب أمر ا ما بلغ مثله قوتك أين
 أنت مني يوم خلقت الارض فوضعتها على أساسها هل كنت معي عند باطنها هل أنت على رأى
 مقدار قدرتها أم على أي شيء وضعت أ كفافها بطاعتك حمل الماء الارض أم بحكمتك كانت

الارض للماء غطاء أين كنت متى يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا تعلق بسبب من فوقها ولا
 يقلها دعم من تحتها هل تبلغ من حكمته ان تجرى نورها وتسير نجومها ويختلف بأمر الليلها
 ونهارها أين أنت متى يوم انبعث النهار وسكرت البحار اسطفا تلك حبست أمواج البحار على
 حدودها أم قدرتك فتحث الارحام حتى بلغت مدتها أين أنت متى يوم صببت الماء على التراب
 ونصبت شواخ الجبال هل تدري على أي شيء أرسيتها أم بأي مثقال وزنتها أم هل لك من ذراع
 تطبق جملها أم هل تدري أين الماء الذي أنزلت من السماء أم هل تدري من أي شيء أنشئت
 السحاب أم هل تدري أين خزانة الثلج أم أين جبال البرد أم أين خزانة الليل بالنهار وخزانة النهار
 بالليل وأين خزانة الريح وبأي لغة تتكلم الاشجار من جعل العقول في أجواف الرجال ومن شق
 الاعناق والابصار ومن دانت الملائكة للملكة وقهر الجبارين بجزوه وقسم الارزاق بحكمته في
 كلام كثير يدل على كمال قدرته ذكرها لا يوب فقال أوب عليه الصلاة والسلام كل شأني وكل
 لساني وكل عقلي ورأبي وضعفت قوتي عن هذا الامر الذي تعرض لي يا الهى قد علمت ان كل
 الذي ذكرت صنع يدك وتدير حكمتك وأعظم من ذلك وأعجب لو شئت علمت لا يهجز عنك شيء ولا
 تخفى عليك خافية أدنى البلاء الهى فتكلمت فكان البلاء هو الذي أنطقني فلفت الارض
 انشقت بي فذهبت فيها ولم أتكلم بشيء بسخط ربي وليتني مت بغمي في أشد بلائي قبل ذلك انما
 تكلمت حين تكلمت لتعذرنى وسكت حين سكت لترجى كلمة زلت مني فلم أعد قد وضعت يدي
 على فمي وعضضت على لساني وألصقت بالتراب خدي أعوذ بك اليوم منك واستجير بك من
 جهد البلاء فأجرني واستغفم بك من عقابك فأعنتني وأستعين بك على أمرى فأعني وأوكل
 عليك فأكفني واعتصم بك فأعصمني واستغفرك فأغفر لي فلن أعود لنسي تكبره متى قال الله
 تعالى يا أيوب نفذ فيك على وسبقت رجتي غضبي فقد غفرت لك فقال أوب (التي) قد (مستى
 الضر) بتسلطك الشيطان على في يدي وأهلي ومالي وقد طمع الآن في ديني وذلك انه زين
 لامرأة أوب ان تأمره ان يذبح لصنم فانه يبرأ ثم توب فظن لذلك وحلف ليعرضن بها ان
 برأمانة جلدة وقال وهب لبث أوب في البلاء ثلاث سنين وروى عن أنس يرفعه أن أوب
 لبث ثلاثة عشر سنة وقال كعب سبع سنين وقال الحسن مكث أوب مطر وحاع على
 كاسه لبني اسرائيل سبع سنين وشهرا يختلفون في الدواء ولا يقر به أحد غير امرأته رجة
 صبرت معه تحمدا لله معه اذا جد وأوب مع ذلك لا يفتر عن ذكر الله تعالى والصبر على بلائه
 فلما غلب أوب ابليس ولم يستطع منه شيئا اعترض امرأته في هيئة ليست كهنية بن آدم في
 العظم والجسم والجبال على مركب ليس من مرأكب الناس له عظم وبهاة وكان فقال
 لها انت صاحبة أوب هذا الرجل المتبلى قالت نعم قال هل تعرفيني قالت لا فقال لها اناله
 الارض وأنا الذي صنعت بصاحبك لانه أطاع الله السماء وتركني فأغضبتني ولو وجدني
 سجدة واحدة رددت عليه وعلمك كل ما كان من مال وولده وأراها يا هم يعطن الوادى الذي
 لقيت فيه قال وهب وقد سمعت أنه انما قال لها لو أن صاحبك أكل طعاما ولم يسم عليه لهوف مما
 به من البلاء وفي بعض الكتب أن ابليس قال لها سجدي لي سجدة حتى أرد عليك المال

والاولاد وأعاني زوجك فرجعت الى أيوب فأخبرته بما قال لها وما أراها قال لقد أتاك عدو واقه
ليقتلك عن دينك ثم أقسم ان الله عاقبهم بلضربنها مائة جلدة وعند ذلك قال مسنى الضر من
طمع ابليس في معبودي ودمعته ايها واياي الى الكفر (وأنت) أي والحال أنت (أرحم
الراحمين) فافعل بي ما يفعل الرحمن بالضر وروى هذا التعريف بسؤال الرحمة حيث ذكر نفسه بما
يوجب الرحمة وذكر به بغاية الرحمة ولم يصرح فكان ذلك اللطف في السؤال فهو أجدد بالنوال
ويحكى أن عهوزا تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت يا أمير المؤمنين مشت جردان يتي علي
العصا فقال لها اللطف في السؤال لاجرم لارتدتها تب وثب القهود وملا بينها حبا ثم ان الله
تعالى رحم زوجة امرأة أيوب بصبرها معه على البلاء وخفف عليها وأراد أن يبرئ أيوب فأمره
أن يأخذ ضغنا يشمل على مائة عود صغير فيضربهم به ضربة واحدة كما قال تعالى في آية أخرى
وخذ يدك ضغنا فاضرب به ولا تحثث وروى أن ابليس اتخذ تابوتا وجعل فيه أدوية وجلس
على طريق امرأة أيوب يداوي الناس فترت به امرأة أيوب فقالت انى امرى أقتد اوبه قال
نم ولا أريد شيئا الآن يقول اذا شفيته أنت شفيتهى فذكرت ذلك لا يوب فقال هو ابليس قد
خدعك وحلف ان شفاه الله تعالى ليضربنها مائة جلدة وقال وهب وغيره كانت امرأة أيوب
تعمل للناس وتجيئه بقوته فلما طال عليه البلاء سمها الناس فلا يستعملها أحد فالتست له يوما
من الايام ما تطعمه فلوجدت شيا أعجزت قرنان من رأسها فباعته برغيف فأتته به فقال لها أين
قرنك فأخبرته فخيفتد قال مسنى الضر وقال قوم انما قال ذلك حين قصد الدود الى قلبه ولسانه
نخسنى أن يمنع عن الذكر والفكر وقال حبيب بن أبي ثابت لم يدع الله تعالى بالكشف حتى
ظهرت له ثلاثة أشياء أحدها قدم عليه صد يقان حين بلغهما خبره فخا اليه ولم يبق الاعيناه
ورأيا امرأ عظيمي افتقا لولو كان عند الله لك منزلة ما أصابك هذا والثاني ان امرأه طلبت طعاما
فلم تجد ما تطعمه فباعت ذوايبتها وجلت اليه طعاما والثالث قول ابليس انى أدويه على أن
يقول أنت شفيتهى وقيل ان ابليس وسوس اليه ان امرأه زنت فقطعت ذوايبتها فخيفتد عمل
صبره وحلف ليضربنها مائة جلدة وقيل معناه مسنى الضر من شعبة الاعداء وقيل قال ذلك
حين وقعت دودة من نخذه فردتها الى موضعها وقال كلى جعلنى الله تعالى طعامك فعضته
عضة زادا لها على جميع ما قامى من عض الديدان (فان قيل) ان الله تعالى سماه صابرا وقد
أظهر الشكوى والجزع بقوله انى مسنى الضر ومسنى الشيطان بنصب (أجيب) بأن هذا
ليس بشكاية انما هو دعاء بدليل قوله تعالى (فاستجبنا له) والجزع انما هو الشكوى الى الخلق
وأما الشكوى الى الله تعالى فلا يكون جزعاً ولا تزلزلاً كما قال يعقوب عليه السلام انما أشكو
بى وحزنى الى الله وقال سفيان بن عيينة من أظهر الشكوى الى الناس وهو راض بقضاء الله
تعالى لا يكون ذلك جزعاً كما روى أن جبريل عليه السلام دخل على النبي صلى الله عليه
وسلم فقال كيف تجدك قال أجدنى مغموماً أجدنى مكرهاً وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى
الله تعالى عنها حين قالت وأرأسه بل أنا وأرأسه وروى ان امرأة أيوب قالت له يمو لدعوت

الله فقال لها كم كانت مدة الرخا فقالت ثمانين سنة فقال استحي من الله ان ادعوه وما بلغت
 مدة بلائى مدة رخاى ثم تسبب عن الاجابة قوله تعالى (فبكت فضا) أى بما لتاسن العظيمة (ما به
 من ضر) بأن أمرناه أن ركض برجله فنتسبع له عين من ماء كما قال تعالى اركض برجلك هذا
 مفضل بارد وشراب فركض برجله فانفجرت له عين ما فدخل فيها فاغتسل فأذهب الله تعالى كل
 ما كان به من البلاء بظا هره ثم مشى أربعين خطوة فأمره أن يضرب برجله الارض مرة أخرى
 ففعل فنتبع عين ماء بارد فأمره فشرب منها فذهب كل داء كان يسلطه فصار كاصح ما يكون من
 الرجال وأجلهم فأقبلت امرأته تلتسه في مضجعه فلم تجده فقامت كالوالهة ثم جاءت اليه وهي
 لا تعرفه فقالت يا عبد الله هل لك علم بالرجل المبلى الذى كن ههنا قال نعم ومالى لا أعرفه فتبسبم
 وقال أنا هو فعرفته بضحك فاعتنقته قال ابن عباس فوالذى نفس عبد الله بيده ما فارقت من
 عناقه حتى رذله ما كل ما كان لهما كما قال تعالى (وأتيناها أهله) أى أولاده الذكور والانات بأن
 أحبوا له وكل من الصنفين ثلاث أو سبع (ومثلهم معهم) أى من زوجته رجة وزيدى شباه هذا
 ما دل عليه أكثر المفسرين وقيل اتاه الله تعالى المثل من نسل ماله وولده الذى رده اليه أى فولد
 له من ولده نوافل وقال وهب كان له سبع بنات وثلاثة بنين وروى الضحاك عن ابن عباس رده
 الى امرأته شباهها فولدت له ستة وعشرين ذكرا وقال قوم آتى الله تعالى أيوب فى الدنيا مثل
 أهله الذين هلكوا فأما الذين هلكوا فانهم لم يردوا عليه فى الدنيا وقال عكرمة قيسل لا يوب ان
 أهلك لك فى الآخرة وان شئت بجلناهم لك فى الدنيا وان شئت كانوا لك فى الآخرة وأتيناك
 مثلهم فى الدنيا فقال يكونون لى فى الآخرة وأوفى مثلهم فى الدنيا فعلى هذا يكون معنى الآية
 وأتيناها أهله فى الآخرة ومثلهم معهم فى الدنيا وروى عن أنس يرفعه كان لا يوب أندران
 أندرا للقمح وأندرا لله يرفيعث الله تعالى مصابنين فأفرغت احداهما على أندرا للقمح الذهب
 وأفرغت الاخرى على أندرا للشعر الورق حتى فاض وروى ان الله تعالى بعث اليه ملكا
 فقال ان ربك يقرئك السلام بصبرك فاخرج الى أندرك فخرج اليه فأرسل عليه جرادا من ذهب
 قيل انه لما اغتسل وخرج الدود منه جعل الله تعالى له أجنحة فطارت فجعلها الله تعالى جرادا
 من ذهب وأمطرت عليه فطارت واحدة فاتبعها وردها الى أندره فقال له الملك اما يكفك بما فى
 أندرك فقال هذا بركة من بركات ربي ولا أشبع من ركته وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما أيوب يقف على جرادا من ذهب فجعل أيوب يضحى
 فى ثوبه فتاداه به يا أيوب ألم أكن أغنيك عما ترى قال بلى يا رب ولكن لا غنى لى عن بركتك وقوله
 تعالى (رجة) مفعول له أى نعمة عظيمة ونغمها بقوله تعالى (من عندنا) بحيث لا يشك من ينظر
 ذلك انما فعلناه الارجة مناله وان غيرنا لا يقدر على ذلك (وذكرى) أى عظة عظيمة (للعابدين)
 أى كلهم ليتأسوا به فيصبروا اذا ابتلوا ولا يظنوا أن ذلك انما نزل بهم لهوانهم ويشكروا فيشأوا
 كما أتيت وقيل لرحمتنا العابدين فانادى بهم بالاحسان ولا ننساهم * القصة السابعة قصة
 اسمعيل وادريس وذى الكفل المذكورة فى قوله تعالى (واسمعيل) أى واذا ذكر اسمعيل بن

ابراهيم عليهم السلام الذي سخر ناله من الماء بواسطة الروح الامين ما عاش به صغيرا بعد
 ما كان حاله كالامحالة ثم جعلناه طعام طم وشفا سقم داءنا وصناه وهو كبير من الذبح حين رأى
 أبوه في المنام أنه يذبحه وروى الانبياء وحى وقد بناه بذيح عظيم (و) اذكر (ادريس) أى ابن شدت
 ابن آدم عليهم السلام الذى أحييناه بعد موته ورفعناه مكانا عليا وهو أول نبي بعث من نبي آدم
 عليه السلام وتقدمت قصته في سورة مريم (و) اذكر (ذا الكفل) سمي بذلك قال عطاء لان
 نبيا من أنبياء بنى اسرائيل أوحى الله تعالى اليه انى أريد أن أقبض روحك فأعرض ملكك
 على بنى اسرائيل فن تكفل لك أن يصلى بالليل لا يفتر ويصوم بالنهار لا يفطر ويقضى بين الناس
 ولا يغضب فادع ملكك اليه ففعل ذلك فقام شاب فقال انا أتتكفل لك به سدا فتكفل ووفى به
 فشكر الله له ونبأه فسمى ذا الكفل وقال مجاهد لما كبر اليسع قال لو أنى استخلفت رجلا من
 الناس يعمل عليهم في حباتى حتى أتظرك كيف يعمل قال فجمع الناس فقال من يقبل منى ثلاثا
 أستخلفه بصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب فقام رجل فقال أنا فاستخلفه فأناه ابليس في
 صورة شيخ ضعيف حين أخذ مني القائله وكان لا ينام بالليل والنهار الا تلك التومة فندق الباب
 فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم ففتح الباب فقال ان بنى وبين قومي خصومة وانهم
 ظفوني وفعولوا ما فعلوا وجعل يطول حتى ذهبت القائله فقال اذا رحمت فأنى فاني أخذت حقت
 فانطلق وراح فكان في مجلسه ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام يتبعه فلم يجده فلما كان الغد جعل
 يقضى بين الناس وينظره فلم يره فلما رجع الى القائله وأخذ مني القائله فنادى فقال من
 أت فقال الشيخ المظلوم ففتح له وقال ألم أقل لك اذا تعدت فأنى فقال انهم أخذت قوم اذا
 عرفوا انك قاعد فالوا نحن نعطيك حقت واذا قتت بجدونى قال فانطلق فاذا جلست فأنى وفاته
 القائله فلما جلس جعل ينظر فلا يراه وشق عليه النعاس فلما كان اليوم الثالث قال لبعض
 اهله لا تدعوا هذا الرجل يقرب من هذا الباب حتى أنام فانه قد شق على النعاس فلما كانت تلك
 الساعة جاء فلم يأذن له الرجل فلما اعياه نظر فرأى كوة في البيت فتسور منها فاذا هو في البيت
 يدق عليه الباب من داخل فاستيقظ فقال يا فلان ألم امرك قال أما من قبلى فلم توت فانظر من
 أين أتيت فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما أغلقه واذا بالرجل معه في البيت فقال ألتهم وانضم
 يبابك فقال أعدوا لله قال نعم أعينتى ففعلت ما ترى لا غضبك فعصمك الله تعالى فسمى ذا الكفل
 لانه تكفل بأمر فوفى به وقيل ان ابليس جاءه وقال انى انى غر بما يظلمنى فأجب أن تقوم معى
 وتستوفى حتى منه فانطلق معه حتى اذا كان في السوق خلاه وذهب وروى أنه اعتذر اليه
 وقال صاحبي هرب وقيل ان ذا الكفل رجل كفل أن يصلى كل ليلة مائة ركعة الى أن يقبضه
 الله تعالى فوفى به واختلفوا فى أنه هل كان نبيا فقال الحسن كان نبيا وعن ابن عباس أنه الياس
 وقيل هو زكريا وقيل هو يوسف بن نون وقال أبو موسى لم يكن نبيا ولكن كان عبدا صالحا ولما
 قرن الله تعالى بين هؤلاء الثلاثة استأنف مدحهم بقوله تعالى (كل) أى كل واحد منهم (من
 الصابرين) على ما ثبتناه به فآتيناهم ثواب الصابرين (وأدخلناهم فى رحمتنا) أى فعلنا بهم

من الاجسان ما يفعله الراحم بن رجه على وجههم من جميع جهاتهم فكان ظر فالهم ثم
 علل ذلك بقوله تعالى (انهم من الصالحين) أى لكل ما يرضاه تعالى منهم يعنى أنهم جبالوا جملة
 خير فعملوا على مقتضى ذلك فكانوا من الكاملين فى الصلاح وهم الانبياء لان صلاحهم
 معصوم عن كدر الفساد القصة الثامنة قصة يونس عليه الصلاة والسلام المذكورة فى قوله
 تعالى (وذا النون) أى واذا كرم صاحب الحوت وهو يونس بن متى ويبدل منه (اذ ذهب مغاضبا)
 واختلفوا فى معنى ذلك فقال الضحاك مغاضبا لقومه وهوروايه العوفى وغيره عن ابن عباس
 قال كان قوم يونس يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبى منهم تسعة أسباط ونصفا وبقى سبطان
 ونصفا وحى الله تعالى الى شعيب النبي عليه السلام أن سرالى حرقيل الملك وقل له يوجه نبيا
 قويا الى هؤلاء فى ألقى فى قلوبهم الرعب حتى يرسلوا معه بنى اسرائيل فقال له الملك فى ترى
 وكان فى مملكة خمسة أنبياء فقال يونس فانه قوى أمين فدعا الملك يونس وأمره أن يخرج
 فقال يونس هل أمرت الله بأخرابى قال لا قال فهل سميت لك قال لا قال فههنا أنبياء غيرى أقويا
 فألحو عليه فخرج من بينهم مغاضبا للنبي والملك ولقومه فأتى بجزر الروم فركبه وقال عروة بن
 الزبير وسعيد بن جبيرة وجاعة ذهب عن قومه مغاضبا لربه اذ كشف عن قومه العذاب بعد
 ما وعدهم به وكره أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الخلف فيما وعدهم واستحيما منهم ولم يعلم
 السبب الذى رفع به العذاب عنهم وكان غضبه أنفة من ظهور وخلف وعده وان يسمى كذابا
 لأكراهية الحكم لله تعالى وفى بعض الاخبار انه كان من عادة قومه أن يقتلوا من جرب عليه
 الكذب فغشى أن يقتلوا لم يلأتهم العذاب للمه اذ فغضب والمغاضبة ههنا من المفاعلة التى
 تكون من واحد كالنقمة والمعاقبة فعنى قوله مغاضبا أى غضبانا وقال الحسن انما غضب
 ربه من أجل انه أمره بالمسير الى قوم لينذرهم بأسه ويدعوهم اليه فسأل ربه أن ينظره لينذهب
 فقبل له ان الامر أسرع من ذلك حتى سأله أن ينظره الى أن يأخذ نعلين يلبسهما فلم ينظره وكان فى
 خلقه ضيق فذهب مغاضبا وعن ابن عباس قال أتى جبريل يونس فقال انطلق الى أهل نينوى
 فأنذرهم قال التمس دابة قال الامر أسرع من ذلك فغضب فانطلق الى السفينة وقال وهب ان
 يونس كان عبدا صالحا لو كان فى خلقه ضيق فلما حمل عليه أثقال النبوة نفسخ تحتها نفسخ الربع
 تحت الحمل الثقيل ففقد فيها بين يديه وخرج هاربا فلذلك أخرجه الله تعالى من أولى العزم فقال
 تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فاصبر كما صبرا ولو العزم من الرسل وقال ولا تكن كصاحب الحوت
 اذ نادى وهو مكظوم (فظن أن لن نقدر عليه) أى لن نقضى عليه بالعقوبة فانه يجاهد وقتادة
 والضحاك وقال عطاء وكثير من العلماء معنا فظن أن لن نقضى عليه الجبس من قوله تعالى الله
 يسطر الرق لمن يشاء من عباده ويقدر وعن ابن عباس أنه دخل على معاوية فقال لقد ضربتني
 أمواج القرآن البارحة فغرفت فيها فلم أجده لنقضى خلاصا الا بك قال وما هى يا معاوية فقرأ هذه
 الآية فقال أو يظن نبى الله أن لن يقدر عليه قال هذا من القدر الذى معناه الضيق لا من
 القدرة وقال ابن زيد هو استغفام معناه أظن أنه يجزى به فلا يقدر عليه (فنادى) أى فاقضت

حكمتنا ان عاتبناه حتى يستسلم فألقى نفسه في البحر فالتقمه الحوت فكشفه أربعين من بين يوم
وليلة وقال عطاء سبعة أيام وقيل ان الحوت ذهب به مسيرة ستة آلاف سنة وقيل بلغ به تخوم
الأرض السابعة ومنعناه أن يكون له طعاما فنادى (في الظلمات) ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة
بطن الحوت وقيل في الظلمة الشديدة المستكاثفة في بطن الحوت كقوله تعالى ذهب الله بنورهم
وتركهم في ظلمات وقوله يخرجهم من النور الى الظلمات وقيل ابتلع حوته حوت أكبر منه فجعل
في ظمطي بطن الحوتين وظلمة البحر (أن لا اله الا أنت) ولم ينزهه عن الشريك عم فقال تعالى
(سبحانك) أي تنزهت عن كل نقص فلا يقدر على الاتجا مما أنافيه الا أنت ثم أفصح بطلب
الخلاص بقوله ناسبا الى نفسه من النقص ما نزه الله عن مثله (اني كنت من الظالمين) أي
في خروجي من بين قومي قبل الاذن فاعف عني كما هي سيرة القادرين روى عن أبي هريرة
مر فوعا أوحى الله تعالى الى الحوت ان خذه ولا تخدش له لحما ولا تكسر له عظما فأخذه ثم هوى
به الى مسكنه في البحر فلما انتهى به الى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا فأوحى
الله تعالى اليه ان هذا تسبيح دواب البحر قال فسبح هو في بطن الحوت فسمع الملائكة تسبيحه
فقالوا يا ربنا سمع صوتا ضعيفا بأرض غريبة وفي رواية صوتا مغمورا ومن مكان مجهول فقال
ذلك عبدي يونس عاصي فحبسته في بطن الحوت فقالوا العبد الصالح الذي كان يصعد اليك منه
في كل يوم وليله عمل صالح قال نعم فشفعوا فيه عند ذلك فأمر الحوت فقتله في الساحل كما
قال تعالى فنبذناه بالبحر وهو سقيم فذلك قوله تعالى (فاستجبنا له) أي أجبناه (ونجيناه من الغم)
أي من تلك الظلمات تلك الكلمات (وكذلك) أي وكما نجيناه (نبي المؤمنين) من كربهم اذا
استغاثوا بنا داعين قال الرازي في اللوامع وشرط كل من يلجئ الى الله أن يبدأ بالتوحيد ثم بعده
بالتسبيح والثناء ثم بالاعتراف والاستغفار والاعتذار وهذا شرط كل داع اه وعن النبي صلى
الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الاستجيب له وعن الحسن ما نجاه الله
الاقراره على نفسه بالظلم وقرأ ابن عامر وأبو بكر بنون واحدة مضمومة وتشديد الجيم على
أن أصله نبي فحذفت النون الثانية كما حذفت التاء الثانية في تظاهرون وهي وان كانت فاء
فحذفتها أو وقع من حذف حرف المضارعة الذي لمعنى وقيل هو ما مضى مجهول أسند الى ضمير
المصدر وهو النجاء وقرأ الباقر بنونين الثانية مخففة عند الجيم * (تبيينه) * اختلافوا في متى
كانت رسالة يونس عليه الصلاة والسلام فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس كانت بعد أن
أخرج الله تعالى من بطن الحوت بدليل قوله تعالى في سورة والصفات فنبذناه بالبحر ثم ذكر
بعده وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون وقال آخرون انها كانت من قبل بدليل قوله تعالى
وان يونس لمن المرسلين اذ أتى الفلك المشحون فسأهم فكان من المدحسين فالتقمه الحوت
وهو مليم فلولا أنه كان من المسبحين لبث في بطنه الى يوم يعثون * القصة التاسعة قصة زكريا
عليه الصلاة والسلام المذكورة في قوله تعالى (وزكريا) أي واذا ذكر زكريا ويبدل منه (اذ نادى
ربه) نداه الحبيب القريب فقال (رب) باسقاط أداة البعد (لا تدركني فردا) أي وحيد من غير

ولذكريث ما أتيتني من الحكمة (وأنت) أي والحال أنك (خير الوارثين) أي الباقي بعد
 فناء خلقك وكثيرا ما تمنح ارب بعض عبيدك عبيدا آخرين فأنت الحقيق بأن تفعل في ارب
 من العلم والحكمة ما أحب فتمبني ولذا تم على به (فاستجيبنا له) بعظمتنا وان كان في خدم
 السن لآخر اليه معه وزوجه في حال من العقم لا يرحى معه حبلها فكيف وقد جاوزت
 سن اليأس ولذلك عبر بما يدل على العظمة فقال تعالى (ووهبنا له يحيى) ولذا وارثا نبياحكيا
 عظيما (وأصلحناله) خاصة من بين أهل ذلك الزمان (زوجته) أي جعلنا لها صاحبة لكل
 خير خالصة له فأصلحنها للولادة بعد عقمها وأصلحنها لذكر يبعده ان كانت سريرة الغضب سيئة
 الخلق فأصلحنها له ورزقناها حسن الخلق (أنهم) أي الانبياء الذين سماهم في هذه السورة
 وقيل زكريا وزوجه ويحيى (كأنوا) أي جبله وطبعها (يسارعون في الخيرات) أي الطاعات
 يسارعون في الاسراع بها ما بلغته من يسابق آخر ودل على عظيم أفعالهم بقوله تعالى (ويدعوننا)
 مستحضرين بل لئلا نؤاخذهم بما كانوا (رغبنا) أي طمعا في رحمتنا (ووهبنا) أي خوفا من عذابنا
 (وكأنوا) أي جبله وطبعها (لئنا) خاصة (خاشعين) أي خائفين خوفا عظيما يحمله على الخضوع
 والانكسار قال مجاهد الخشوع هو الخوف اللازم للقلب وقيل متواضعين وسئل
 الاعشى عن هذه الآية فقال أما اني سألت ابراهيم فقال ألا تدري قلت أفدنى قال بينه وبين الله
 إذا أرتخى ستره عليه وأغلق باب فليز الله منه خير العلك ترى أنه يا كل خشنا ويلبس خشنا
 ويتطأ على رأسه * القصة العاشرة قصة مريم وابنها عليهما السلام المذكورة في قوله تعالى
 (والتي) أي واذا مريم التي (أحصنت فرجها) أي حفظته من الحلال والحرام حفظا يحق له
 أن يذكر ويحدث به كما قال تعالى حكاية عنها ولم يمسنى بشر ولم ألبسها لان ذلك غاية في العفة
 والصيانة والتخلي عن الملاذ التي الانتطاع الى الله تعالى بالعبادة مع ما جعت مع ذلك من الامانة
 والاجتماد في متانة الديانة والعصم أنها ليست بنبية (فمفخننا فيما من روحنا) أي أمرنا جبريل
 حتى نضج في جيب درعها فأخذت بذلك النفع المسيح في بطنها وأضاف الروح اليه تعالى
 نشر بها العيسى عليه السلام كبيت الله وناقته الله * ثم بين تعالى ما خص مريم وعيسى من
 الآيات فقال تعالى (وجعلناها وابنها) أي قصتهما وظللهما ولذلك وحده قوله (آية للعالمين)
 من الجن والانس والملائكة وان من تأمل حالهما تحقق كمال قدرة الله تعالى (فان قيل) هلا
 قال تعالى آيتين كما قال تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين (أجيب) بما تقدم وبأن الآية كانت
 قيهما واحدة وهي أنها آتت به من غير خل وهبنا آخر القصص * وللدل ما مضى من قصص
 هؤلاء الانبياء عليهم السلام أنهم كلهم متفقون على التوحيد الذي هو أصل الدين قال تعالى
 (ان هذه) أي ملة الاسلام (أمثكم) أي دينكم أيها المخاطبون أي يجب أن تكونوا عليها حال
 كونها (أمة) قال البغوي وأصل الأمة الجماعة التي هي على مقصد واحد اه فجعل الشريعة
 أمة لاجتماع أهلها على مقصد واحد ثم أكد سبحانه وتعالى هذا المعنى بقوله تعالى (واحدة)
 فأبطل ما سوى الاسلام من الاديان (واناريتكم) أي الحسن اليكم لاغيرى في كل زمان فاني

لا تغير على طول الدهر ولا يشغلني شأن عن شأن (فاعبدون) دون غري فانه لا كف له في * ثم أتت
 بعضهم خالف الامر بالاجتماع كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله تعالى (وتقطعوا) أي بعض
 الخاطئين (أمرهم بينهم) أي تفرقوا أمر دينهم متخالفين فيه وهم طوائف اليهود والنصارى قال
 الكلبي فترواد بينهم يلحن بعضهم بعضا ويترأ بعضهم من بعض * (تنبيه) * الاصل وتقطعتم
 الا أن الكلام صرف الى القسبة على طريقة الالتفات كانه ينهى عليهم ما أفسدوه الى آخرين
 ويقبح عليهم فعلهم عندهم ويقول لهم الأتزون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله تعالى
 والمعنى جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً كما يتوزع الجماعة الشيء ويقسمونه بينهم فيصير لهذا
 نصيب ولذا التنصيب تمثيلاً للاختلاف فيهم فيه وصيرورتهم فرقا أو حزاباً ثم توعدهم بقوله تعالى
 (كل) أي من هذه الفرق وان بالغ في التمدد (النيا) يوم القيامة (راجعون) فخصكم بينهم
 فيتسبب عن ذلك أنما يجازيهم اقامة للعدل فنعطى كلام من الحق التابع لاصفياً شواو المبتل
 المسائل الى الشياطين أعداءنا ما يستحقه وذلك هو معنى قوله تعالى فارأين المحسن والمسيء
 تحميها للعدل وتشويها الى الفضل (فن يعمل) أي منهم الآن (من الصالحات وهو) أي والحال
 أنه (مؤمن) أي يأتي بعمله على الاساس الصحيح (فلا كفران) أي لا جود (لسعيه) بل يشكر
 ويشاب عليه * (تنبيه) * قوله تعالى فلا كفران نفي الجنس ليكون أبلغ من أن يقول فلا تكفر
 سعيه (واناله) أي لسعيه (كاتبون) أي مثبتون في صحيفته عمله وما أشتناه فهو غير ضائع فلا يفقد
 منه شياً قل أو رجل ومن العلوم أن قسمه وهو من يعمل من السيئات وهو كافر فلا تقسيم له وزنا
 ومن يعمل منها وهو مؤمن فهو تحت مشيئتنا قال البقاعي ولعله حذف هذين القسمين ترغيباً
 في الايمان * ولما كان هذا غير صريح في أن هذا الرجوع بعد الموت بينه بقوله تعالى (وحرام)
 أي ممنوع (على قرية) أي أهلها (أهلكها) أي بالموت (أنهم لا يرجعون) أي البنائين يذهبوا
 تحت التراب باطلا من غير حساب بل الناجوتهم رجعون نجسناهم في البرزخ منعمن أو
 معذبين نعيماً أو عذاباً دون النعيم والعذاب الاكبر * (تنبيه) * ما قدرناه في الآية هو ما جرى
 عليه البقاعي والذي قدره الزمخشري أن معنى أهلكها عزمنا على اهلاكها أو قدرنا
 اهلاكها ومعنى الرجوع الرجوع من الكفر الى الاسلام والاناية فتكون لا مزيدة والذي قدره
 الجلال المحلى أن لازادة أي يمنع رجوعهم الى الدنيا فيكون الاهلاك بالموت وهذا قريب
 مما قاله ابن عباس فانه قال وحرام على قرية أهلكها أن يرجعوا بعد الهلاك فجعل لازادة قال
 البقاعي وقال آخرون الحرام بمعنى الواجب فعل هذا ليكون لا بائناً ومعناه واجب على أهل
 قرية أهلكها أي حكمنا بجلاهم أن لا تقبل أعمالهم لانهم لا يرجعون أي لا يتوبون والدليل
 على هذا المعنى انه تعالى قال في الآية التي قبلها ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا
 كفران لسعيه أي تقبل عمله ثم ذكر هذه الآية عقبه وبين ان الكافر لا يقبل عمله انتهى والذي
 قدره البيضاوي قريب مما قدره الزمخشري وكل هذه التقادير صحيحة لكن الاقول أظهر وقرأ
 شعبة وحزرة والنكسائي بكسر الحاء وسكون الراء والباقون بفتح الحاء والراء وألف بعد الراء

قال البخاري وهو الفتان مثل حل وحلال وقوله تعالى (حتى اذا انقضت يا جوج وما جوج)
متعلق كما قال الزمخشري بجرام وحتى غاية له لأن امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيامة
وهي حتى التي يحكي بعدها الكلام أي فهي الابتدائية لا الحارثة ولا العاطفة والحق هو الجمل
الشرطية وقرأ ابن عاصم بتشديد التاء بعد الفاء والباقرن بالتخفيف ويا جوج وما جوج
اسمان أعجميان اسم لقبيلتين من جنس الأوس ويقدر قبله مضاف أي سدهما وذلك قريب
الساعة يقال الناس عشرة أجزاء تسعة منها يا جوج وما جوج وقرأهما عاصم بهمزة ساكنة
والباقرن بالالف * ثم عبر عن كثرتهم التي لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى بقوله تعالى (وهم) أي
والحال أنهم (من كل حذب) أي نشز عال من الأرض (ينسلون) أي يسرعون من التسلان
وهو تقارب الخطامع السرعة كشي الذئب وفي العبارة إيماة إلى أن الأرض كرة وقبل الضمير
راجع إلى الناس المسوقين إلى المحشر روى عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال أطلع النبي صلى
الله عليه وسلم علينا ونحن ننذاك الساعة فقال صلى الله عليه وسلم ما تنذاكرون قلنا ننذاكر
الساعة قال إنما تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدجال والدخان والداية
وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم عليه السلام ويا جوج وما جوج وثلاثة
خسوف خسف بالشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وأخذ ذلك نار يخرج من بين
نظر الناس إلى محشرهم (واقرب الوعد الحق) أي يوم القيامة قال حذيفة لو أن رجلا اتقى
فلو أبعد خروج يا جوج وما جوج لم يركبه حتى تقوم الساعة (فأذاهي شاخصة أبصار الذين
كفروا) قال الكلبى شخضت أبصار الكفار فلا تكاد تطرف من شدة ذلك اليوم * (تنبيه) *
فأذاهي إذا للمفاجأة وهي تقع في الهزاة سادة مسد الفاء كقوله تعالى إذا هم يعظون فإذا
جاءت الفاء معها اتوا وتعالى وصل الجزاء بالشرط فيأكد ولو قبل إذا هي شاخصة أفوهي
شاخصة كان سديدا قال سيبويه والضمير للقصة بمعنى فإذا القصة شاخصة يعنى القصة أن أبصار
الذين كفروا تنخص عند ذلك وقال الزمخشري هي ضمير بهم توضحه الإبصار وتفسره كإفسر
الذين ظلموا وأسر والتجوى وقولهم (يا ويلنا) أي هلا كما متعلق بمعدوف تقديره بقولون
يا ويلنا ويقولون في موضع الحال من الذين كفروا وبالتنبيه (قد كذا) أي في الدنيا (في غفلة من
هذا) أي اليوم حيث كذبنا وقتلنا أنه غير كائن ثم أضربوا عن الغفلة فقالوا (بل كأظالمين)
أنفسنا بعدم اعتقاد واضح من الشيء في غير موضعه حيث أعرضنا عن تأمل دلائله والنظر
في محايده وكذبنا الرسل وعبدنا الأوثان وقوله تعالى (أتسكم) خطاب لأهل مكة وأكده
لأنكارهم مضمون الخبر (وما تعبدون من دون الله) أي غيره من الأوثان (حصب جهنم) أي
وقودها وهو ما رمى به إليها وتمجبه من حصبه يحصبه إذا رامه بالحصب والحصب في لغة أهل
العين الحطب وقلع عكرمة هو الحطب الجشبية قال الفضل يعني يرمونهم في النار كما يرمي
بالحصب وقوله تعالى (أنتم لها واردون) أي داخلون استئناف أو بدل من حصب جهنم واللام
محوضة من على الاختصاص والبالغة على أن ورودهم لأجلها (لو كان هؤلاء) أي الأوثان

(ألهة) أي كما زعمت (ماوردوها) أي ما دخل الاوثان وعابدها النار وقرأ نافع وابن كثير وأبو
 هريرة والهمزة التانيمة خاصة في الوصل بعد تحقيق الأولى والباقيون بتخصيهما (وكل)
 أي من العابدين والمعبودين (فيها) أي في جهنم (خالدون) لان الضكالك لهم عنها بل يحمي بكل
 منهم فيها على الآخر (فان قيل) لم قرنوا بالهتهم (أجيب) بأنهم لا يزالون لمقارنتهم في زيادة
 غم وحسرة حيث أصابهم ما أصابهم بسببهم والنظر الى وجه العذوبات من العذاب لانهم
 قدروا أنهم يستشفعون بهم في الآخرة وينتفعون بشفاعتهم فإذا صادفوا الامر على عكس
 ما قدروا لم يكن شيء أبيض اليهم منهم (فان قيل) اذا عنيبت بما تعبدون الاوثان فلامعنى قوله تعالى
 (لهم فيها زفير) أي تنفس عظيم على غاية من الشدة والمدتكاد تخرج معه النفس (أجيب)
 بأنهم اذا كانوا هم وأوثانهم في قرن واحد جاز أن يقال لهم زفير وان لم يكن الزفير الا هم
 دون الاوثان للتغليب ولهدم الالباس (وهم فيها لا يسمعون) شيأ الشدة غلبانها وقال ابن
 مسعود في هذه الآية اذ انبى في النار من يخلد فيها جحشوا في نوايت من نار ثم جعلت تلك
 النوايت في نوايت أخرى عليها مسامير من نار فلا يسمعون شيأ ولا يرى أحد منهم ان أحدا
 يعذب في النار غيره وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش
 في الخطيم وحول الكعبة ثمانمائة وستون صنما فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحرث فكلمه
 رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أغمه ثم تلا عليهم أنكم وما تعبدون من دون الله الالية فأقبل
 عبد الله بن الزبير السلمي فرآهم يتها مسون فقال فيم خوضكم فأخبره الوليد بن المغيرة بقول
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله أما والله لو وجدت له خصمته فمذعوا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فقال له ابن الزبير أنت قلت ذلك قال نعم قال قد خصمك ورب الكعبة أليس
 اليهود عبدوا عزير والنصارى عبدوا المسيح وشوملج عبدوا الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم
 بل هم عبدوا الشياطين التي أمرتهم بذلك فأنزل الله تعالى (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى)
 أي الحكم بالموعدة بالغة في الحسن في الازل ومنهم من ذكر سواء أضل بأحد منهم الكفار
 فاطروه أم لا (أو لتلك) أي العالو الرتبة (عنها) أي جهنم (مبعدون) برحمة الله تعالى لانهم
 أحسنوا في العبادة واتقوا وهل جزاء الاحسان الا الاحسان وفي رواية عن ابن عباس ان ابن
 الزبير لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم ذلك سكت ولم يجب فعضك القوم فنزل قوله تعالى ولما
 ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا أآلهتنا خيرا أم هو ما ضربه لك الاجد لا بل
 هم قوم خصمون ونزل في عيسى والملائكة ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الالية وقد أسلم ابن
 الزبير بعد ذلك رضى الله تعالى عنه ومدح النبي صلى الله عليه وسلم وادعى جماعة أن المراد
 من الالية الاصنام لان الله تعالى قال وما تعبدون من دون الله ولو اراد الملائكة والناس
 لقال ومن تعبدون بروى ان عليا رضى الله تعالى عنه قرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبو بكر
 وجر وهيمان وطهمة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابن الجراح ثم أقيمت الصلاة
 فقام جبرئيل وهو يقول (لا يسمعون حسيها) أي حركتها باللفظة وهو تنها الشديد فكيف

بما دونه لأن الحس مطلق الصوت أو الصوت الخفي كما قاله البغوي فإذا زادت حروفه زاد معناه
 فذو ذلك بدلا من مبعدون أو حال من ضميره للمبالغة في إبعادهم عنها (وهي) أي الذين
 سبقت لهم من الحسن (في ما شئت أنه سهم) في الجنة كما قال تعالى وفيها ما تشتهي
 الأنفس وتلذ الأعين والشهوة طلب النفس اللذة (خالدون) أي دائماً أبداً في غاية التسم وتقدم
 الطرف للاختصاص والاهتمام به * (فائدة) * في همام مقطوعة من ما ولما كان معنى ذلك أن
 سرورهم ليس له زوال أكده بقوله تعالى (لا يحزنهم الفزع الأكبر) قال الحسن هو حين
 يؤمر بالبعد إلى النار وقال ابن عباس هو النخعة الأخيرة لقوله تعالى ويوم ينفخ في الصور
 ففزع من في السموات ومن في الأرض وقال ابن جريج هو حين يذبح الموت وينادي بأهل
 النار خالد بلا موت وقال سعيد بن جبيرة هو أن تنطبق جهنم وذلك بعد أن يخرج الله تعالى منها
 من يريد أن يخرجها (وتلقاهم) أي تستقبلهم (الملائكة) قال البغوي على أبواب الجنة يهنئونهم
 وقال الجلال الحلبي عند خروجهم من القبور ولا مانع أنها تستقبلهم في الحالين ويقولون لهم
 (هذا يومكم الذي كنتم توعدون) أي هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم به في الدنيا فأبشروا
 فيه بجميع ما يسركم * ولما كانت هذه الأفعال على غاية من الأحوال تشوق بها النفس إلى
 معرفة اليوم الذي تكون فيه قال تعالى (يوم) أي تكون هذه الأشياء يوم (تطوى السموات)
 طياتكون كأنهم لم تكن ثم صور طيات بما يعرفونه فقال مشبها بالمصدر الذي دل عليه الفعل
 (كطى السجل) واختلف في السجل فقال بعضهم هو الكتاب الذي له العلو والقدرة على
 مكتوبه (الكتاب) أي القراطس الذي يكتبه ويرسله إلى أحد وقال السدي هو ملك يكتب أعمال
 العباد وقيل كاتب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذه الأقوال اسم للصيغة
 المكتوب فيها وقال ابن عباس ومجاهد والأكثرون السجل الصيغة والمعنى كطى الصيغة
 على مكتوبها والطحى هو الدرج وهو ضد النشر وإنما وقع هذا الاختلاف لأن السجل يطلق
 على الكتاب وعلى الكاتب فله في القاموس وقرأ حفص وحزرة والكسائي بضم الكاف والتاء
 على الجمع والباقون كسر الكاف وفتح التاء وبين الكاف والتاء ألف على الأفراد فقراءة
 الأفراد لمقابلة لفظ السماء والجمع للدلالة على أن المراد الجنس لجميع السموات تطوى روى عن
 ابن عباس أنه قال يطوى الله تعالى السموات السبع بما فيها من الخليقة والأرضين السبع بما فيها
 من الخليقة بطوى ذلك كله بيمينه أي بقدرته حتى يكون ذلك بمنزلة خردلة وروى عن ابن عباس
 أنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس انكم محشورون إلى
 الله حفاة عراة غرلا أي غير محتونين (كأبد أنا أول خلق نعيده) أي كأبد أنهم في بطون أمهاتهم
 عراة غرلا غير محتونين نعيدهم يوم القيامة نظيره قوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم
 أول مرة (وعدا) وأكيد ذلك بقوله تعالى (علينا) وزاده بقوله تعالى (أنا كنا) أي أزلوا وأبدأوا
 حالة لا تحول (فاعلين) أي شائنا أن نفعل ما نريد لا كافة علينا في شيء من ذلك ثم إنه تعالى حتى
 ذلك بقوله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر) قال سعيد بن جبيرة ومجاهد الزبور جميع

كتب الله تعالى المترية والذكر أتم الكتاب الذي عنده ومعناه من بعد ما كتب ذكره في اللوح
 المحفوظ وقال ابن عباس والضحاك الزبور والتوراة والذكر الكتب المترية من بعد التوراة
 وقال الشعبي الزبور كتاب داود والذكر التوراة وقيل الزبور كتاب داود وعليه السلام والذكر
 القرآن وبه بمعنى قبل كقوله تعالى وكان وراءهم ملك أي أمامهم وقوله تعالى والارض بعد
 ذلك دحاها أي قبله وقرأ حزة بضم الزاي والباقون بقضها (أن الارض) أي أرض الجنة
 (برهما عبادي) وحقق ذلك ما أفادته اضافتهم اليه بقوله تعالى (الصالحون) أي المتصفون
 باخلاق أهل الذكور المقبولون على ربهم الموحدون له المتصفون من الساعة الراهبون
 من سطوته الراجعون في رحمته الخاشعون له فهذا عام في كل صالح وقال مجاهد يعني أمة محمد
 صلى الله عليه وسلم دليله قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض تنبؤاً من
 الجنة حيث نشاء وقال ابن عباس أراد ان أراضى الكفار بقضها المسلمون وهذا حكم من الله
 تعالى باظهار الدين واعزاز المسلمين وقيل أراد بالارض الارض المقدسة وقيل أراد حفس
 الارض الشامل لبقاع أرض الدنيا كلها ولا أرض المحشر والجنة وغير ذلك مما يبغله الله تعالى
 وجرى على هذا البقاع في تفسيره وقرأ حزة بسكون الباء والباقون بقضها (أن في هذا) أي
 القرآن كما قاله البغوي (لبلاغاً) أي وصولاً الى البغية فان من اتبع القرآن وعمل به وصل الى
 ما يرجو من الثواب وقيل بلاغاً أي كفاية يقال في هذا الشيء بلاغ وبلغه أي كفاية
 والقرآن زاد الجنة كبلاغ المسافر وقال الرازي هذا اشارة الى المذكور في هذه السورة من
 الاخبار والوعود والوعيد والمواعظ البالغة (لقوم عابدين) أي عاملين به وقال ابن عباس عاملين
 قال الرازي والاولى أنهم الجاهلون بين أمرين لأن العلم كالشجرة والعمل كالثمر والشجر يدون
 الثمر غير مقيد والثمر يدون الشجر غير كائناً وقال كعب الاحبار هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم
 أهل الصلوات الخمس وشهر رمضان * ولما كان هذا مشيراً الى ارشادهم فكان التقدير
 فما أرسلناك الا للاسعادهم عطف عليه قوله تعالى (وما أرسلناك) أي على حالة من الاحوال
 (الا) على حال كونك (رحمة للعالمين) كلهم أهل السموات وأهل الارض من الجن والانس
 وغيرهم طاعتهم بالثواب وعاصيتهم بتأخير العقاب الذي كانت أصل الامم به فخص غيبتهم وتفرقت
 بهم اظهار الشرفك وعلا قدرتك ثم ترد كثير منهم الى دينك ويحفلهم من أكبر انصارك
 وأعظم أعوانك بعد طول ارتكابهم الضلال وارتكابهم في اشرار الخصال ومن أعظم
 ما يظهر فيه هذا الشرف في عوم الرجعة وقت الشفاعة العظيم يوم يجمع الله تعالى الاقربين
 والاخرين وتقوم الملائكة صفوفاً والثقلان وسطهم ويخرج بعضهم في بعض من شدة ما هم
 فيه يطلبون من يشفع لهم فيصدقون أكبر الانبياء نبيانيا عليهم الصلاة والسلام فيقبل بعضهم
 على بعض وكل منهم يقول لست لها حتى يأتيه صلى الله عليه وسلم فيقول أنا لها ويقوم معه لواء
 الحمد فثقه الله تعالى وهو المقام المحمود الذي يقبضه به الآتون والآخرون فهو صلى الله عليه
 وسلم أفضل الخلق أجمعين ولما أورد تعالى على الكفار الرجوع في أن لا الهواه وبين أنه أرسل

رسوله رحمة للعالمين أسبغ ذلك بأمره صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (قال إنما أوحى إلى أنما ألهمكم
إله واحد) أي ما أوحى إلى في أمر الإله الأوحيد إنيته وما ألهمكم الإله واحد لم يوح إلى شخص
تدعون من الشركه غير ذلك فالآية من قصر الصفة على الموصوف والثاني من قصر الموصوف
على الصفة والمخاطب بهم مامن يعتقد الشركه فهو قصر قلب وقال الرخشري انما قصر الحكم
على شيء أو قصر الشيء على حكم كقولك انما زيد قائم وانما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان في هذه
الآية لان انما يوحى إلى مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما ألهمكم الله واحد بمنزلة انما زيد قائم
وقائده اجتمعا مما للدلالة على ان الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصور على استئثار
الله تعالى بالوحدانية انتهى * ولما كان الوحي الوارد على هذه السنن موجباً أن يخص الوحي بالوحدانية
الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم (فهل أنتم مسلمون) أي منقادون لما يوحى إلى من وحدانية الإله
والاستغناء بمعنى الأمر أي أسلموا (فإن تولوا) أي لم يقبلوا ما دعوتهم إليه (فقل) أي لهم
(آذنتكم) أي أعلمتكم بالحرب كرجل بينه وبين أعدائه هدنة فأحسن منهم بقدره فنبذ إليهم العهد
وأشهر النبذ وأشاعه وآذنتهم جميعاً بذلك وقوله (على سواء) حال من الفاعل والمفعول أي
مستويين في الاعلام بل لم أطوه عن أحد منكم ولا أستبدت به دونكم لتأهبوا (وإن) أي وما
(أدرى أقرب) جدت بحيث يكون قربه على ما يتعارفونه (أم هي يد ما توعدون) من غلب
السلين عليكم أو عذاب الله أو القيامة المشتملة عليه وإن ذلك كائن لا محالة ولا بد أن يطعكم
بذلك الذلة والصغار وإن كنت لأدرى متى يكون ذلك لأن الله تعالى لم يعطني علمه ولم يطلعني عليه
وانما يعلمه الله تعالى (إنه) تعالى (يعلم الجهر من القول) أي مما يبجرون به من العظام وغير ذلك
وبنه تعالى على ذلك فإن من أحوال الجهر أن ترتفع الاصوات جنداً بحيث تختلط ولا يميز بينها
ولا يعرف كثير من حاضرهما ما قاله أكثر القائلين فأعلم سبحانه وتعالى أنه لا يشغله صوت عن آخر
ولا يفونه شيء من ذلك ولو كثرت (ويعلم ما تكتمون) مما تنصرونه في صدوركم من الاحقاد للسلين
وتنظر ذلك قوله تعالى في أول السورة قل رب يعلم القول في السماء والأرض ومن لا زم ذلك
المجازاة عليه بما يحق لكم من تعجيل وتأجيل فستعلمون كيف تخيب ظنونكم ويحقق
ما أقول فتظنون حيث ذنابي صادق ولست بساحر ولا شاعر ولا كاهن فهو من أبلغ التهديد
فانه لا يبلغ من التهديد بالعالم * ولما كان الامهال قد يكون نعمة وقد يكون نقمة قال (وإن)
أي وما (أدرى) أن يكون تأخير عذابكم نعمة لكم كما تظنون أم لا (لهل) أي تأخير العذاب
(نقمة) أي اختبار (لكم) ليظهر ما يعلمه منكم من السر لغيره لأن حالكم حال من يتوقع منه
ذلك (ومتاع) لكم تتمعون به (الحين) أي بلوغ مدة آجالكم التي ضربها لكم في الأزل
ثم يأخذكم بغتة وأنتم لا تتشعرون به ولما كان الله أن يفعل ما يشاء من عدل وفضل وكان من العدل
جواز تعذيب الله تعالى الطائع وتعميم المؤمنين العاصي وكان صلى الله عليه وسلم قد بلغ الغاية
في البيان لهم وهم قد بلغوا النهاية في أدبته وتمكديه أمر الله تعالى أن يفوض الأمر إليه
تسليته بقوله تعالى (قل رب) أي أيتها النفس الطيبة (أحكمت) أي أجزأتكم بيني وبين قومي (بالحق)

أى بالامر الذى يحق لكل من آمن نصر وخذلان وقرأ حفص بفتح القاف وأقف بعدها وفتح اللام بصيغة الماضى على حكاية رسول الله صلى الله عليه وسلم والباقون بضم القاف وسكون اللام بصيغة الامر (فان قيل) كيف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احكم بالحق والله تعالى لا يحكم الا بالحق (أجيب) بأن الحق ههنا يعنى العذاب فكانه استجمل العذاب لقومه فعدوا يوم بدر نظيره قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وقال أهل المعاني معناه رب احكم بحكمك الحق فخذف الحكم وأقيم الحق مقامه والله تعالى يحكم بالحق طلب أم لم يطلب ومعنى الطلب ظهور الرغبة من الطالب فى حكمه الحق (وربنا) أى المحسن لنا أجمعين (الرجن) أى العام الرحمة لنا وانكم بادوارها علينا ولولا عموم رحمته لاهلكنا أجمعين وان كنا نحن أطعناه لانا لا تقدره حتى قدره ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة (المستعان) أى المطلوب منه العون (على ما تقولون) من كذبكم على الله تعالى فى قولكم اتخذ الله ولدا وعلى فى قولكم ساحر وعلى القرآن فى قولكم شعر قال الرازى روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول ذلك فى حروبه ولم يذكره سنداً وأما رواه البيضاوى تعالى لم يخشى من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ اقرب حاسبه الله حساباً يسيراً وصافه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه فى القرآن مجديش موضوع والله تعالى أعلم بالصواب

(سورة الحج مكينة)

الاومن الناس من يعبد الله على حرف الآيتين والاهدان خصمان الست آيات
فدينات وهى ثمان وقيل خمس أو ست أو سبع وسبعون آية

(بسم الله) أى الذى اقتضت عظمتها خضوع كل شئ (الرجن) الذى هم برحمته كل موجود (الرحيم) الذى خص بفضله من شاء من عباده * ولما ختمت السورة التى قبل هذه بالترهيب من القزع الاكبر وطى السماء واتيان ما يوعدون وكان أعظم ذلك يوم الدين افتتحت هذه السورة بالامر بالقوى المنجية من هول ذلك اليوم بقوله تعالى (يا أيها الناس) أى الذين تقدم أول تلك أنه اقرب لهم حسابهم ان أريد أن ذلك عام والافهم وغيرهم (اتقوا) أى احذروا عقاب (آركم) أى المحسن اليكم بأنواع الاحسان بأن يجعلوا بينكم وبين عقابه وقاية الطاعات * ولما أمرهم بالقوى علل ذلك مرهباً لهم بقوله تعالى (ان زلزلة الساعة) أى حركتها الشديدة للاشياء على الاستناد المجازى فتكون الزلزلة مصدراً مضافاً الى فاعله ويصح أن يكون الى المفعول فيه على طريق الانساع فى الطرف واجرائه مجرى المفعول به كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهى الزلزلة المذكورة فى قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها واختلف فى وقتها فمن الحسن أنها تكون يوم القيامة وعن علقمة والشعبي عند طلوع الشمس من مغربها الذى هو اقرب للساعة (شئ عظيم) أى أمر كبير وخطر جليل وحادث هائل لا تحتمل العقول وصفه وهذا الزلزلة نفسها كيف بجميع ما يحدث فى ذلك اليوم الذى لا بد لكم من الحشر فيه

الى الله تعالى ليجازيكم على ما كان منكم لا ينسى منه تغير ولا قماهير (يوم تزونها) أي الزلزلة
 أو الساعة أو كل مرضعة أضرها قبل الذكرتهم بل للامر وتزويها للنفس (تذهل) بسبب ذلك
 (كل مرضعة) أي بالفعل أي تنسى وتفعل حائرة مدهوشة والعايل في يوم تذهل (فان قيل)
 لم قال تعالى مرضعة ولم يقل مرضع (أجيب) بأن المرضعة هي التي في حال الارضاع ملقمة نديها
 للطفل والمرضع التي شأنها أن ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال وضعها فقال مرضعة ليدل
 على أن ذلك الهول اذا فوجئت به هذه وقد ألقمت نديها تنزعها من فيه لما يطعمها من الدهشة
 (عما أرضعت) عن ارضاعها أو عن الذي أرضعته وهو الطفل فما أتاه صدرة أو موصولة
 (وقض كل ذات حل حملها) أي تسقطه قبل التمام رعبا وفرعا * (تنبيه) * هذا ظاهر على القول
 الثاني وهو قول علقمة والشعبي على أن ذلك يكون عند طلوع الشمس من مغربها وأما على
 القول الاول وهو قول الحسن على أن ذلك يوم القيامة كيف يكون ذلك فقيل هو تصوير لهولها
 قاله البضاوي وقال البقاعي في المرضعة هي من ماتت مع ابنها رضيعا وفي ذات الحمل من ماتت
 حاملا فان كل أحد يقوم على مامات عليه وهذا أولى فاني في حال كتابتي في هذا المثل حضر عندي
 سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراي فعنا الله تعالى ببركته فذكر له هذين القولين فأنشرح
 صدره لترجيح هذا الثاني وذلك يوم ناسوا عام من شهر الله المحرم سنة ست وخمسين وتسعمائة
 وعن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها بغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها بغير غم ويؤيد أن
 هذه الزلزلة تكون بعد البعث ماروي عن أبي سعيد الخدري أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك زادي رواية والخير في يديك
 فينادي بصوت ان الله يأمر لئلا يخرج من ذريتك بعنا الى النار قال يارب وما بعث النار قال
 من كل ألف تسعمائة وتسعون فمنئذ تضع الحوامل حملها ويشيب الوليد وساق بقية
 الآية وهو (وترى الناس سكارى) أي لما هم فيه من الدهشة والحيرة ثم بين الله تعالى أن ذلك
 ليس بسكر حقيقة بقوله تعالى (وما هم بسكارى) أي من الشراب ولما نفي أن يكونوا سكارى من
 الشراب أثبت ما أوجب لهم تلك الحالة بقوله (ولكن عذاب الله ذى العزة والجبروت شديد)
 فهو الذي أوجب أن يظن بهم السكر لأن هول أهذه عقولهم واطير عييزهم ثم الحديث عند آخر
 الآية فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم زاد في رواية قالوا يا رسول الله أيا ذلك
 الواحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من باجوج وما جوج تسعمائة وتسعون وتسعون
 ومنكم واحد ثم أتم في الناس كالشعرة السوداء في الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في الثور
 الأسود وفي رواية كالرقعة في ذراع الجمار واني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا ثم قال
 ثلث أهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر أهل الجنة فكبرنا وفي رواية واني لأرجو أن تكونوا ثلثي أهل
 الجنة روى عمران بن حصين رضى الله عنه أن هاتين الآيتين نزلتا في غزوة بني المصطلق ليلا
 فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فثموا المطى حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقرأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فلم يقرأ كثيرا يكلمن تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا

السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبقوا قدرا وكافوا ما بين حزين وبالك
ومضكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم
يقول الله لا دم قدم فأبعت بعث النار وذلك فهو حديث أبي سعيد وزاد فيه ثم قال يدخل من أمتي
سبعون ألفا الجنة بغير حساب قال عمر سبعون ألفا قال نعم ومع كل واحد سبعون ألفا وقرأ حمزة
والكسائي بفتح السين وسكون الكاف فيهما والباقون بضم السين وفتح الكاف وبعد الكاف
ألف وأمال الألف بعد الراء أبو عمرو وحمزة والكسائي محضة وورش بين بين والباقون بالفتح
* ونزل في النضر بن الحرث وكان كثيرا للجدل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول الملائكة
بنات الله والقرآن أساطير الأولين وكان ينكر البعث وأحياء من صارت ربا (ومن الناس) أي
المدبذبين (من لا يسعي في إعلاء نفسه وتهذيبها فيكذب فيؤثر بسوء عمله لانه يجادل في الله) أي
في قدرته على ذلك اليوم وفي غير ذلك بعد أن جاءه العلم بها اجترأ على سلطانه العظيم (بغير علم) بل
بالباطل الذي هو جهل صرف فيترك اتباع الهداة (ويتبع) بغاية جهده في جداله (كل
شيطان) محترق بالسوء مبعث باللعن (مريد) أي متجرب للفساد ولا شغل له غيره قال البيضاوي
وأصله العري أي عن السائر (كتب) أي قدر وقضى على سبيل الحتم الذي لا بد منه تعبيراً
باللازم عن المنزوم (عليه) أي على ذلك الشيطان (أنه) أي الشأن (من يولاه) أي فعل معه فعل
الولي مع وليه باتباعه والاقبال على ما يريته (فانه يضل) ما يغض اليه من الطاعات فيخطئ سبيل
الخير (ويهديه) أي بما يزين له من الشهوات الحاملة على الزلات (الى عذاب السعير) أي النار
* ثم أزم العجبة من كرى البعث بقوله تعالى (يا أيها الناس) أي كافة ويجوز أن يرايه المنكر فقط
(ان كنتم في ريب) أي شك وتهمة وحاجة الى البيان (من البعث) وهو قيام الاجسام بأرواحها
كما كانت قبل عمامت افتسكروا في خلقكم الاولى لتعلموا أن القادر على خلقكم أوقلا قادر على
خلقكم ثانيا ثم انه سبحانه وتعالى ذكر مراتب الخلق الاولى أموراً سبعة المرتبة الاولى قوله
تعالى (فانا خلقناكم) بقدرتنا التي لا يتعاطها شيء (من تراب) لم يسبق له اتصاف بالحياة وفي الخلق
من تراب وجهان أحدهما أنا خلقنا أصلكم وهو آدم عليه الصلاة والسلام من تراب كما قال
تعالى كخ ل آدم خلقه من تراب الثاني من الاغذية والاعذية اما حيوانية واما نباتية وغذاء
الحيوان ينتهي الى الثبات قطعاً للتسلل والنبات انما يتولد من الارض والماء فصح قوله تعالى
انا خلقناكم من تراب المرتبة الثانية قوله تعالى (ثم من نطفة) وحالها أبعد شيء عن حال التراب
فانها بيضاء سائلة لزجة صافية كما قال تعالى من ماء دافق وأصلها الماء القليل قاله البغوي
وأصل النطف الصب قاله البيضاوي المرتبة الثالثة قوله تعالى (ثم من علقة) أي قطعة دم جراه
جامدة ليس فيها أهلية للسيلان ولا شك أن بين الماء وبين الدم الجامد مبادئة شديدة المرتبة
الرابعة قوله تعالى (ثم من مضغة) أي قطعة لحم صغيرة وهي في الاصل قدر ما يمتزج (مخلقة) أي
مستوية لانقص فيها ولا عيب يقال خلق السواك والعود سواة ومسله من قولهم صخرته خلفاه
اذا كانت ملساة (وغير مخلقة) أي وغير مستوية فكان الله تعالى يخلق المصغ متفاوتة منها

ما هو كامل الخلقه وأملس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت
 تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتملمهم وقصانهم هذا قول قتادة
 والفضال وقال مجاهد الخلقه الولد الذي يخرج حيا و غير الخلقه السقط وقال قوم الخلقه
 المصورة و غير الخلقه غير المصورة وهو الذي يبقى لحما من غير تحطيط وتشكيل واحتواء
 روى علقمة عن عبد الله بن مسعود موقو فاعلمه قال ان النطفة اذا استقرت في الرحم أخذها
 ملك بكفه وقال أي رب مخلقة أو غير مخلقة فان قال غير مخلقة قد فيها في الرحم وما لم تكن نسمة
 وان قال مخلقة قال الملك أي رب ذكر أم أنثى وشقي أم سعيد ما الاجل ما العمل ما الرزق بأي
 أرض عوت فيقال له اذهب الى أم الكتاب فانك تجد فيها كل ذلك فذهب فيجدها في أم الكتاب
 فينضحها فلا يزال معه حتى يأتي على آخر صفتها والذي أخرجه في الصحيحين عنه قال حدثنا رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة
 ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي
 أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فولد الذي لا اله غيره ان أحدكم لم يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه
 وبينها الأذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم لم يعمل بعمل
 أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الأذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها
 فكأنه تعالى يقول انما خلقناكم من حال الى حال ومن خلقه الى خلقه (ليسين لكم) بهذا
 التدريج قدرتنا وحكمتنا وان من قدر على خلق البشر من التراب والماء وأولاهم من نطفة
 نائسا ولا تناسب بين التراب والماء وقدر على أن يجعل النطفة علقه وبينهما تباين ظاهر ثم يجعل
 العلقه مضغة والمضغة عظاما قدر على إعادة ما بدأ به هو أدخل في القدره من تلك وأهون
 في القياس وورود الفعل غير معدى الى المبين اءلام بأن أفعاله هذه تبين بهامن قدرته وعلمه
 ما لا يحيط به الوصف ولا يكتسبه الذكر (ونقر في الارحام) أي من ذلك الذي خلقناه (مانشاء)
 انما هو (الى أجل مسمى) هو وقت الوضع وأدناه بعد ستة أشهر وأقصاه آخر أربع سنين بحسب
 قوة الارحام وضعفها وقوة الخلق وضعفها وكثرة تغذيته من الدماء وقتله الى غير ذلك من
 أحوال وشؤون لا يعلمها الا بارها جلت قدرته وتعال عظمته وما لم نشأ اقراره بحجته الارحام
 وأسقطته دون التمام أو تحرقه فيضمحل المرتبة الخامسة قوله تعالى (ثم نخرجكم طفلا) وهو
 معطوف على يسين ومعناه خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغرضين أحدهما أن تبين
 قدرتنا والثاني أن نقتر في الارحام من فقر حتى تولدوا في حال الطفولية من صغر الجثة وضعف
 البدن والسمع والبصر وجميع الحواس لئلا تهلكوا أمهاتكم بكمرا بكم وعظام أجسامكم
 المرتبة السادسة قوله تعالى (ثم أي غدا جلكم لتبلقوا) بهذا الانتقال في أسخان الاجسام
 من الرضاغ الى المراهقة الى البلوغ الى الكهولة (أشدكم) أي الكمال والقوة وهو ما بين
 الثلاثين الى الأربعين جمع شدة كالانم جمع نعمة كأنه شدة في الامور المرتبة السابعة قوله
 تعالى (ومنكم من يتوفى) أي عند بلوغ الاشد أو قبله (ومنكم من يرد) بالشيء وخطه ورسنه
 للجهول اشارة الى سهولته عليه لاستبعاد ما لولا تكرار المشاهدة عند الناظر لتلك القوة والتشاط

وحسن التواصل بين أعضائه والارتباط (التي أورد) أي أخسر (العمر) وهو سن الهرم
 فنقص جميع قواه (للكيلا يعلم من بعد علم) كان أوتي به (شيئاً) أي ليه ودك هيئته الأولى
 في أو ان الطفولية من إضافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر من عرفه حتى يسأل عنه
 من سألته يقول لك من هذا فتقول فلان فما يلبث لحظة إلا سأل عنه (فان قيل) هذه
 الحالة لا تحصل للمؤمنين لقوله تعالى ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا
 الصالحات (أجيب) بأن معنى قوله تعالى ثم رددناه أسفل سافلين هو دلالة على الذم فالمراد به
 ما يجري مجرى العقوبة ولذلك قال تعالى إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لكن قال
 عكرمة من قرأ القرآن لم يصر إلى هذه الحالة وقد علم بعود الإنسان في ذهاب العلم وصغر الجسم
 إلى نحو ما كان عليه في ابتداء الخلق قطعاً أن الذي أعاده إلى ذلك قادر على إعادته بعد الصالحات
 * ولما تم هذا الدليل على الساعة بحكم المقدمات وأصح النتائج وكان أول الإيجاد فيه
 غير مشاهد ذكر الله تعالى دليلاً آخر على البعث مشاهداً بقوله (وترى الأرض هامدة) أي
 باسنة ساكنة سكوت الميت (فإذا أنزلنا) أي بما لنا من القدرة (عليها الماء اهتزت) أي
 تحركت ونأهلت لإخراج النبات (وربت) أي ارتفعت وذلك أول ما يظهر من الماء وزادت
 وغت بما يخرج منها من النبات الناشئ عن التراب والماء وقوله تعالى (وأنبئت) مجاز لأن
 الله تعالى هو المنبت وأضف إلى الأرض توسعاً أي أنبت بتقديرنا لأنهم المنبتة (من كل
زوج) أي صنف (بهيح) أي حسن نصير من أشنات النبات في اختلاف ألوانها وطعمها
 وروائحها وأشكالها ونافعها ومقاديرها قال الحلال المحلى من زائدة ولم أر من ذكر ذلك
 من المفسرين * (تنبيه) * في الآية إشارة إلى أن النبات كما توجه من نقص إلى كمال
 فكذلك الإنسان المؤمن يترقى من نقص إلى كمال ففي المعاد يصل إلى كماله الذي أعد له
 من البقاء والغنى والعلم والصفاء والخلود في دار السلام مبرأ عن عوارض هذا العالم
 * ولما قرر سبحانه هذين الدليلين رتب عليهم ما هو المطلوب والنتيجة وذكر أموراً خمسة
 أحدها قوله تعالى (ذلك) أي المذكور من بدء الخلق إلى إخراجها إلى الأرض (بأن) أي
 بسبب أن تعلموا أن (الله) أي الجامع لا وصف الكمال (هو) أي وحده (الحق) أي
 الثابت الدائم ومساواه فان ثابتهما قوله تعالى (وأنه يحيى الموتى) أي قادر على ذلك والالما
 أحسا النطفة والأرض الميتة (فإنها بقوله تعالى) (وأنه يحيى كل شيء) من الخلق وغيره (قدر)
 انما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون رابعها قوله تعالى (وأن الساعة) التي تقدم
 ذكرها وتقدم التعذير منها وهي - شر الخلائق كلهم - (آتية لاريب) أي لا شك (فيها) أي
 بوجه من الوجوه مما دل عليها مما لا سبيل إلى إنكاره بقول من لا مرءه بقوله وهو حكيم لا يخطئ
 معاده ولا يسوغ بوجه أن يترك عباده بغير حساب خامسها قوله تعالى (وأن الله يبعث)
بالأحياء) (من في القبور) بقتضى وعده الذي لا يقبل الخلف وقد وعد الساعة والبعث فلا بد أن
 يقع بما وعده ونزل في أبي جهل بن هشام كما قاله ابن عباس (ومن الناس من يجادل) أي بغاية

جهده (في الله) أي في قدرته وما يجمعه هذا الاسم الشريف من صفاته بعد هذا اللسان الذي
 لا مثل له ولا خفاء فيه (بغير علم) أنه عن الله تعالى على لسان أحد من أوصيائه أعم من أن يكون
 كتاباً أو غيره (ولا هدى) أرشده إليه أعم من كونه بضرورة أو استدلال (ولا كتاب منير) له نور
 منه صح له انه من الله تعالى ومن العالوم أنه باتتفاء هذه الثلاثة لا يكون جداله الا بالباطل وقيل
 قوله تعالى ومن الناس كتر كما كرت سائر الا فاصب وقيل الازل في المقلدين وهذا في المقلدين
 وقوله تعالى (ثاني عطفه) حال أي لا يرى عنقه تكبراً عن الايمان كما قال تعالى واذا اتى عليه
 آياتناولى مستكبراً والعطف في الاصل الجانب عن بين أو شمال وقوله تعالى (ايضاً عن سبيل
 الله) علة للجدال وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وفتح الباء والباقون بضهما (فان قيل) على قراءة
 الضم ما كان غرضه في جداله الضلال لغيره عن سبيل الله فكيف علله وما كان على قراءة
 الفتح مهتدياً حتى اذا جدل خرج بالجدال عن الهدى الى الضلال (أجيب) عن الاقول
 بأن جداله لما أتى الى الضلال جعل كآته غرضه وعن الثاني بأن الهدى لما كان معترضاً له فكره
 وأعرض عنه وأقبل على الجدال الباطل جعل كالتجريح من الهدى الى الضلال * ولما ذكر
 فعله وغمرته ذكر ما أعد له عليه في الدنيا بقوله تعالى (له في الدنيا خزي) أي اهانة وذل وان طال زمن
 استدراجه بتنعيمه حتى على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا الا وضعه وما أعد له عليه في الآخرة بقوله
 تعالى (ونذيقه يوم القيامة) الذي يجمع فيه الخلائق بالاحياء بعد الموت (عذاب الحريق) أي
 الاحراق بالنار وعن الحسن قال بلغني أن أحدهم يحرق في اليوم سبعين الف مرة ويقال له
 حقيقة أو مجازاً (ذلك) أي العذاب العظيم (بما قدمت يدك) أي بعملك ولكن جرت عادة
 العرب أن تضيف الاعمال الى اليد لانها آلة أكثر العمل واضافة ما يؤتى اليها أنكي
 (وأن) أي وبسبب ان (الله ليس بظلام) أي بنى ظلم ما (للعبيد) وانما هو مجاز لهم على
 أعمالهم أو ان المبالغة لكثرة العبيد * ونزل في قوم من الاعراب كانوا يقسمون المدينة مهاجرين
 من ياديتهم فكان أحدهم اذا قدم المدينة فصح بها جسمه وتجت بها فرسه مهر او وادت امرأته
 غلاماً وكتر ماله قال هذا دين حسن وقد أصبت به خيراً واطمأن به وان كان الامر بخلافه قال
 ما أصبت الا شراً فينقلب عن دينه (ومن الناس من يعبد الله) أي يعمل على سبيل الاستمرار
 والتجدي بما أمر الله به من طاعته (على حرف) فهو من رزل كرزلة من يكون على حرف شفر أو
 جبل أو غيره لا استقراره وكالذي على طرف من العسكر فان رأى غنيمة استتر وان توهم خوفاً
 طارو فرز ذلك معنى قوله تعالى (فان أصابه خير) أي من الدنيا (اطمأن به) أي بسببه وثبت على
 ما هو عليه (وان أصابه فتنة) أي محنة وسقم في نفسه وماله (انقلب على وجهه) أي رجع
 الى الكفر وعن أبي سعيد الخدري أن رجلاً من اليهود أسلم فأصابته مصائب فتشام
 بالاسلام فأق النبي صلى الله عليه وسلم فقال ألقى فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت * ولما كان
 انقلابه هذا مفسد لديننا ولا تحرته قال تعالى (خسر الدنيا) بقوات ما أتله منها ويكون ذلك
 سبب التتير عليه قال تعالى ولو أنتم آتاهم التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ميمهم لا كانوا

من فوقهم ومن تحت أرجلهم وروى أن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه (والآخرة)
بالكفر ثم عظم مصيبته بقوله تعالى (ذَلِكَ) أى الامر العظيم (هو) أى لا غيره (المسمران الميين)
أى المين اذ لا خسران مثله ثم بين هذا المسمران الذى رده الى ما كان فيه قبل الايمان
الحرفى بقوله تعالى (يدعو) أى يعبد حقيقة أو مجازاً (من دون الله) أى غيره من الصنم
(ملا بضرته) ان لم يعبده (وما لا ينفعه) ان عبده (ذَلِكَ) أى الدعاء (هو الضلال البعيد) عن
الحق والرشاد استعير الضلال البعيد من ضلال من أبعث في التيه ضالا فطالت وبعدت مسافة
ضلاله * ولما كان الاحسان جالبا للانسان لان القلوب جبلت على حب من أحسن اليها بين
ان ما قيل فى جلب النفع انما هو على سبيل القرض فقال تعالى (يدعون) أى من (ضرته)
بكونه معبودا لانه يوجب القتل والخزى فى الدنيا والعذاب فى الآخرة (أقرب من نفعه) الذى
يتوقع منه بعبادته وهو الشفاعة والتوسل بها الى الله تعالى * (تبيه) * علم بما تقر بأن اللام
فى لمن مزيدة كما قال الجلال المحلى (فان قيل) الضرر والنفع منقبان عن الاصنام مثنان لها فى
الايين وهذا مستاقض (أجيب) بأن المعنى اذا حصل ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى سفه
الكافر بأنه يعبد جادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله أنه يتفجع به حين
يستشفع به ثم يوم القيامة يقوم هذا الكافر بدعاء وصرخ حين يرى استنصاره بالاصنام ودخوله
النار بعبادتها ولا يرى أثر الشفاعة التى ادعاها لها وقيل الآية الاولى فى الاصنام والثانية فى
الرؤساء وهم الذين كانوا يفزعون اليهم بدليل قوله تعالى (لئنس المولى) أى الناصر هو (ولئنس
العشير) أى صاحب هو قال الرازى وهذا الوصف بالرؤساء أليق لان ذلك لا يكاد يستعمل
فى الاوثان فبين تعالى أنهم يعدلون عن عبادة الله الى عبادة الاصنام والى طاعة الرؤساء
* ولما بين سبحانه وتعالى حال الكفار عقبه به حال المؤمنين بقوله تعالى (ان الله) أى الجامع لجميع
صفات الكمال المستزج عن جميع شوائب النقص (يدخل الذين آمنوا) بالله ورسوله (وعملوا)
تصدقا بالايمانهم (الصالحات) من القروض والتوافل الخاصة الشاهدة بنباتهم فى الايمان
(جنات تجري من تحتها) أى فى أى مكان من أرضها (الانهار) * ولما بين سبحانه وتعالى
حال الفريقين قال تعالى (ان الله) أى المحيط بكل شئ قدرة وعلما (يفعل ما يريد) من اكرام من
يطيعه واهانة من يعصيه لادفعه ولا مانع وقوله تعالى (من كان يظن أن لن ينصره الله
فى الدنيا والآخرة) فيه اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله فى الدنيا والآخرة فمن كان يظن
خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه فالضمير راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم (فان قيل) لم يجزه
ذكر فى هذه الآية (أجيب) بأن فيها ما يدل عليه وهو ذكر الايمان فى قوله تعالى ان الله
يدخل الذين آمنوا والايمان لا يتم الا بالله ورسوله وقيل الضمير راجع الى من فى أول الآية لانه
المذكور ومن حق الكفاية أن ترجع الى المذكور اذا أمكن ذلك وعلى هذا المراد بظن
الرزق قال أبو عبيدة وقف علينا سائل من بنى بكر فقال من ينصر فى نصره الله أى من يعطى
أعطاه الله فكانه قال من كان يظن أن لن يرزقه الله فى الدنيا والآخرة (فلهذا بسبب) أى

يجعل (الى السماء) أى سقف بيته يشد بينه وبين عنقه (ثم ليقطع) أى ليقطعه بأن يقطع نفسه
 من الارض كما فى الصباح وقتل فلما دخل الى مهاج الدنيا ثم ليعده عليه فيجهد فى دفع نصر
 النبي صلى الله عليه وسلم على الأول أو يحصل رزقه على الثاني وقرأ أورش وأبو عمرو وابن عاصم
 بكسر اللام والباقون بسكونها (فليتظر) يبصره وبصيرته (هل يذهب) وان اجتهد (كيديه)
 فى عدم نصرته النبي صلى الله عليه وسلم أوفى فيصل رزقه (ما يغيظ) من ذلك والمعنى فليجتنق
 غيظا فلا بد من نصرته صلى الله عليه وسلم واعلاء كلمته أو أن ذلك لا يغلب القسمة فان الارزاق
 بيد الله لا تتال الا بشيئة الله سبحانه وتعالى وهذا كما يقال لمن أذبر عنه أمر فخرج ان شرب
 برأسك الحداران لم ترض هذه مات غيظا ونحو ذلك والحاصل انه ان لم يصبر طوعا صبرا كرها
 واختلف فى سبب نزول هذه الآية على القول الأول فذكر وافهم وجوها أحدها كان قوم من
 المسلمين لشدة غيظهم على الكفار يستبطنون ما وعد الله رسوله من النصر فزات ثنائها قال
 مقاتل تزات فى نفر من أسد وغيظان قالوا نخاف أن الله لا ينصر محمد اذ قطع الذى بيننا وبين
 حلفائنا من اليهود فلا يعبرتنا ثالثها ان حساده وأعداء كثيرة وكانوا يتوقعون أن لا ينصره
 وأن لا يعينه على أعدائه حتى شاهدوا أن الله نصره غاظهم ذلك (وكذلك) أى ومثل ما أنزلنا
 هذه الآيات لبيان حكمها واطهار أسرارها (أنزلناه) أى القرآن الباقى وقوله تعالى (آيات
 بينات) أى معجزات ظلمها كما كان معجزا حكمها حال وقوله تعالى (وأن الله) أى الموصوف
 بالاكرام كما هو موصوف بالانتقام (يهدى) أى بآياته (من يريد) أى هدايته أى ينبتة على
 الهدى معطوف على محمل أنزلناه * ولما قال تعالى وأن الله يهدى من يريد أن يبعه بيان من
 يهديه ومن لا يهديه وبدأ بالقسم الأول بقوله (ان الذين آمنوا) بالله ورسوله وعبر بالفعل لشغل
 الأقرار باللسان الذى هو أدنى وجوه الايمان ثم شرع فى القسم الثانى بقوله تعالى (والذين
 هادوا) أى اتصلا ودين اليهودية (والصابئين) وهم فرقة من النصارى سميت بذلك قبل تسميتها الى
 صابى عم نوح عليه السلام وقبل لخروجهم عن دين الى دين آخر واطلاق الصابئة على هذا هو
 المشهور وتارة يوافقونهم فى أصول دينهم ففعل منا كحتم وتارة يخالفونهم فلا يحل منا كحتم
 وتطلق أيضا على قوم أقدم من النصارى يعبدون الكواكب السبعة ويضيفون الآثار
 إليها ويتنون الصانع المختار فهو لا لاقتل منا كحتم وقد ألقى الاصطخرى والهامل على قتلهم
 لما استفتى القاهر الفقه الفقيه فبذلوا له أموالا كثيرة فتركهم والبلاء قديم وقرأ نافع بالباء
 الخمسة بعد الباء والباقون بهم زمكسورة بعد الباء الموحدة (والنصارى) أى الذين اتصلا
 دين النصرانية (والجوس) قال قتادة هم عبدة الشمس والقمر والنيران قال (والذين أشركوا)
 هم عبدة الأوثان قال مقاتل الاديان كلها ستة واحد للرحن وهو الاسلام وخمسة للشيطان
 وقبل خمسة أربعة للشيطان وواحد للرحن يجعل الصابئين مع النصارى لانهم فرع منهم كما مر
 على المشهور وقد تقدم الكلام على هذه الآية فى سورة البقرة (ان الله) الذى هو أحكم
 الحاكمين (يفصل بينهم يوم القيامة) بإدخال المؤمنين الجنة وغبرهم النار وأدخلت ان

على كل واحد من جزأى الجملة لزيادة التأكيده ونحوه قول جرير

ان الخليفة ان الله سر به * سر بال ملك به ترحى الخواتيم

ثم عجل ذلك بقوله تعالى (ان الله) أى الجسام لجميع صفات الكمال (على كل شئ) من
الاشياء كلها (شهيد) أى عالم به علم مشاهدة (ألم تر) أى تعلم (أن الله سبحانه) أى يخضع
منقاد الامره سبحانه مسخر الما يريد منه تسخير من هو فى غاية الاجتهاد فى العباداة والاخلاص
فيها (من فى السموات ومن فى الارض) ان خصصت بذلك العاقل أفهم خضوع غيره من باب أولى
وان ادخلت غير العاقل فى التعليل ثم أتبعه بأشرف ما ذكره لا يعقل لان كلامها عبد من دون
الله أو عبد شئ منه فقال تعالى (والشمس والقمر والنجوم) من الاجرام العلوية بقصد الشمس
جبر والتبرك كناية والدبران نجم والشعرى نجم والترابى وعطار وأسد قاله أبو حيان روى عن
عرو بن دينار قال سمعت رجلاً يطوف بالبيت ويكفي فأذاه وطاوس فقال أعجبت من بكائى قلت
نعم قال ورب الكعبة ان هذا الله ربيك من خشية الله ولا ذنب له * ثم أتبع ذلك أعلى الذوات
السفلية فقال (والجبال) أى التى قد خست منها الاصنام. (والشجر) أى التى عبد بعضها
(والدواب) أى التى عبد منها البقر كل هذه الاشياء تنقاد لامر الله ولا تأبى عن تديبه (وكثير من
الناس) وهم المؤمنون بزيادة الخضوع سجد سجوداً هو منه عبادة مشروعة حتى له الثواب
(وكثير) أى من الناس (حق عليه العذاب) وهم الكافرون لانهم أبو السجود المتوقف
على الايمان (ومن بين الله) أى بشقه (فأله من مكرم) أى مسعد لانه لا قدرة لتفسيره أصلاً
(ان الله) أى الملك الاعظم (يفعل ما يشاء) من الاكرام والاهانة لا مانع له من ذلك فقل عن على
رضى الله تعالى عنه أنه قيل له ان رجلاً يتكلم فى المشيئة فقال له على يا عبد الله خلقك الله لما
يشاء وألماشت قال بل لما يشاء قال فيمرضك اذا شاء وأذاشت قال بل اذا شاء قال فيسقيك
اذا شاء وأذاشت قال بل اذا شاء قال فيدخلك حيث شئت أو حيث يشاء قال بل حيث يشاء
قال والله لو قلت غير ذلك لضربت الذى فيه عيناً بالسيف * ولما بين تعالى أن الناس
قسمان منهم من يسجد لله ومنهم من حق عليه العذاب ذكر كيفية اختصاصهم بقوله تعالى
(هذان خصمان) أى المؤمنون خصم والكفار الخمسة خصم وهو يطلق على الواحد والجماعة
وقرأ ابن كثير بتشديد النون والباقون بالتخفيف (اختصموا) أى أوقعو الخصومة بغاية الجهد
(فإبرهيم) أى دينه وروى عن قيس بن عباد قال سمعت أبا ذر يقسم قسماً ان هذه الآية
هذان خصمان اختصاصاً فى يوم نزلت فى الذين برزوا يوم بدر حجة وعلى وعبيدة بن الحرث
وعتبة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة أخرجاه فى العجيين وعن ابن عباس قال للمبارز على
رحمة وعبيدة عتبة وشيبة والوليد قالوا لهم تكلموا وانعرفكم قال أنا على وهذا حجة وهذا
عبيدة فقالوا أ كفاء كرام فقال على أدعوكم الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم فقال عتبة
هم للمبارزة فبارز على شيبة فلم يلبث أن قتله وبارز حجة عتبة فقتله وبارز عبيدة الوليد فصعق عليه
فأتى على فقتله فنزلت وعن قتادة نزلت الآية فى المسلمين وأهل الكتاب فقال أهل الكتاب

نينا قبل نبيكم وكاننا قبل كما بكم ونحن أولى بالله منكم قال المسلمون كأننا يقضى على الكعب
 كلها وينصلي الله عليه وسلم خاتم الانبياء فخصن أولى بالله منكم وعن ابن عباس أنها نزلت
 كذلك لكن قال أهل الكتاب نحن أولى بالله وأقدم بين يديكم كأبا وينينا قبل نبيكم
 وقال المسلمون نحن أحق بالله منكم آمننا بنينا محمد صلى الله عليه وسلم وآمننا ببيكم وبعما نزل الله
 من كتاب وانتم تعرفون نينا وكاننا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا فهذه خصوصتهم في ربهم وقيل
 المؤمنون والكافرون من أي ملة كانوا فالمؤمنون خصم والكفار خصم وقيل الخصمان
 الجنة والنار لما روى عن أبي هريرة أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة
 والنار فقالت النار أوترت بالتكبرين والتعبرين وقالت الجنة غالي لا يدخلني الاصفاء الناس
 وسقطهم فقال الله عز وجل الجنة أنت رحتي أرحم بل من أشاء من عبادي وقال للنار انما أنت
 هذا بي أعذبك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منكما طوها وعن عكرمة فقالت النار
 خلقني الله لعقوبته وقالت الجنة خلقني الله لرحمته وهذا القول بعيد عن السياق لان الله تعالى
 ذكر جزاء الخسعين بقوله تعالى (فالذين كفروا) وهو الفصل بينهم المعنى بقوله تعالى ان الله
 يفصل بينهم يوم القيامة (قطعت) أي قدرت (لهم) على تقادير جثثهم (ثياب من نار) أي نيران
 تحيط بهم احاطة الثياب سابعة عليهم كما كانوا يسلبون الثياب في الدنيا فاخراوت ككبرا
 وعن ابراهيم التيمي أنه قال سمعان من قطع من النار شيئا وعن سعيد بن جبير قال قطعت من
 نحاس وليس من الايتشني اذا حكي أشد حرارة منه وقال في قوله (بصب) أي اذا دخلوها
 (من فوق رؤوسهم الحميم) قال ابن النحاس يذاب على رؤوسهم ولكن المشهور أنه الماء الحار وعن
 ابن عباس لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابتها والجملة حال من الضعيف لهم أو خير ثان
 وقرأ أبو عمرو في الوصل بكسر الهاء والميم وقرأ جزة والكسائي بضم الهاء والميم والباقون بكسر
 الهاء وضم الميم هذا في الوصل فان وقف على رؤوسهم فالجمع بكسر الهاء وسكون الميم وجزء
 على أصله في الوقف على رؤوسهم بتسهيل الهمزة (بصهر) أي يذاب (به) من شدة حرارته
 (ما في بطونهم) من شحم وغيره (والجلود) فيكون أثره في الباطن والظاهر سواء وقال ابن عباس
 يسقون ماء اذا دخل بطونهم اذا بها والجلود مع البطون (ولهم مقلع) جمع مقمعة بكسر
 ثم فتح وهو عود وحديد وقيل سوط يضرب به الوجه والرأس ليرد المضروب عن مراده وذا
 عنفا ثم نفي الجواز بقوله تعالى (من حديد) أي يجمعون بها روى أبو سعيد الخدري عن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قال لو أن مقمعا من حديد وضع في الارض فاجتمع الثقلان ما أفلوه
 من الارض ولو ضرب الجبل بجمع من حديد لتقتت ثم عاد كما كان (كلا أرادوا أن يخرجوا
 منها) أي من تلك الثياب أو من النار (من غم) أي كلما حلوا والنروج من النار لا يطعمهم
 من الغم والكرب الذي يأخذ بأنفسهم (أعبدوا فيها) أي رذوا اليها بالمقامع وعن الحسن أنهم
 يضربون بلطب النار فترفعهم حتى اذا سككوا في أعلاها ضربوا بالمقامع فهو وانها سبجين
 خريفا وعن الفضيل بن عياض قال والله ما طعموا في النروج لان الارجل مقيدة والأيدي

مؤثمة ولكن يرتفعهم لهما وتردّهم مقامهما وعن الحسن قال كان عمر يقول أكثروا ذكر النار
 فان حترها شديد وقهرها بعيد وان مقامهما من حديد (و) قبل لهم (دوقوا عذاب الحريق)
 أي البالغ نهاية الاحراق * ولما ذكر تعالى مالا أحد الخصبين وهم الكافرون أسعه مالا حتر
 وهم المؤمنون وغيره الاسلوب فيه حيث لم يقل والذين آمنوا عطف على الذين كفروا وأسند
 الادخال فيه الى الله تعالى وأكده بان احاد الحلال المؤمنين وتعليق الشأهم فقال (ان الله) أي
 النبي له الامر كله (يدخل الذين آمنوا) بالله ورسوله (وعملوا) تصديقا لايانهم (الصالحات)
 من القروض والتوافل الخالصة الشاهدة بنبأهم في الايمان (جنات تجري) أي دائما (من)
 تحتها الأنهار) أي المياه الواسعة أينما أردت من أرضها تجري للثمن في مقابلة ما يجري من فوق
 رؤس أهل النار عن معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة بجر الماء ويجز
 العسل ويجز اللبن ويجز الخمر ثم تشق الأنهار بعد أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح (يصلون
 فيها) من خليت المرأة اذ البست الحل في مقابلة ما يزال من بوطن الكثرة وظواهرهم وقوله
 تعالى (من أساور) صفة مفعول محذوف أي حلما من أساور ومن زائدة أو تعضد وأساور جمع
 أسورة وهي جمع سوار * ولما كان المقصود الخت على التقوى المعلقة الى الانعام بالفضل
 شوق اليه بأعلى ما يعرف من الحلبة فقال (من ذهب) وقوله تعالى (واؤلؤ) معطوف على أساور
 لانه لم يعهد السوار منه الا أن مرصعة وعن أبي موسى الأشعري أن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آيتهما وماقيهما وجنتان من ذهب آيتهما وماقيهما
 وما بين القوم وبين أن ينظروا اليك درهم الارداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن وعن أبي
 سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عليهم التجان أدنى لؤلؤة منها التضيء ما بين
 المنرق والمغرب أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقرأ نافع وعاصم نصب الهمزة الثانية
 مع التنوين عطف على محل أساورا واضمارا لتأنيدها مثل ويوتون والباقون بالتخفيف مع
 التنوين وابدل الهمزة الاولى الساكنة حرف مد السوسى وأبو بكر هذا حاله الوصل وأما
 الوقف فهمزة يبدل الاولى واو وكذا الثانية تبدل واو وله أيضا فيها الروم وقوله تعالى (ولباسهم)
 فيها حرير) وهو الابريسم المحرم لبلسه على الرجال المكلفين في الدنيا في مقابلة لباس الكفار
 كما كان لباس الكفار في الدنيا حريرا ولباس المؤمنين دون ذلك وقد ورد في الصحاح عن عبد الله
 ابن الزبير عن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تلبسوا الحرير فان من لبسه
 في الدنيا لم يلبسه في الآخرة قال ابن كثير قال عبد الله بن الزبير ومن لم يلبس الحرير في الآخرة
 لم يدخل الجنة قال الله تعالى ولباسهم فيها حريراتهن وفي الصحاح أيضا عن عمر رضي الله
 عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة قال القاسمي
 فيوشك المشبه بالكفار في لباسهم أن قطعة الله بهم فلا يموت مسلما ٥١ والاولى أن يحصل
 ذلك على أنه لا يلبس مع السابقين فان من مات على الاسلام لا يقم دخول الجنة أو على من
 استكمل من الرجال المكلفين (وهندوا) أي في الدنيا (الى الطيبين من القول) قال ابن عباس

هو شهادة أن لا إله الا الله وقيل هو لاله الا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله وقال السدي
هو القرآن وقال عطاء هو قول أهل الجنة الحمد لله الذي صدقنا وعده (وهذا الى صراط
الجميد) أي طريق الله المحمود وبينه فكان فعلهم حسناً كما كان قولهم حسناً فدخلوا الجنة
التي هي أشرف دار عند خير جبار وحلو فيها أشرف الحلى كما تحلوا في الدنيا بأشرف الطرائق
عكس المكفار فانهم آثروا القاني لحضوره وأعرضوا عن الباقي مع شرفه لغيبه فدخلوا ناراً
كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدها فيها ثم ذكر تعالى بعد ما فصل بين الفريقين حرمة البيت
وعظم جرم من صدغنه فقال تعالى (ان الذين كفروا) أي أوقعو هذا الفعل الخبيث وضح
عطف (ويصدون) وان كان مضارعاً على الماضي لان المضارع قد لا يلاحظ منه زمان معين
من حال أو استقبال بل يكون المقصود منه الدلالة على مجرد الاستمرار كما يقال فلان يحسن الى
الغفراء لا يراد حال ولا استقبال وانما يراد استمرار وجود الاحسان منه فالصدوم منهم مستقر
دائم للناس (عن سيد الله) أي عن طاعته باقتسامهم طرق مكة يقول بعضهم لمن يميزه خرج فينا
ساحراً وآخر يقول شاعراً وآخر يقول كاهناً فلانهم عوامنهم فانه يريد أن يردكم عن دينكم حتى
قال من أسلم لم يزلوا ي حتى جعلت في أذني الكرسف مخافة أن أسمع شيئاً من كلامهم وكانوا
يؤذون من أسلم الى غير ذلك من أعمالهم (و) يصدون عن (المسجد الحرام) أن تقام شعائره
من الطواف بالبيت والصلاة والحج والاعتقاد من هو أهل ذلك من أوليائنا ثم وصفه بما بين
شديد ظلمهم في الصدغنه بقوله تعالى (الذي جعلناه) بما لنا من العظمة (للناس) أي كلهم
ثم بين جعله لهم بقوله تعالى (سواء العا كف) أي المقيم (فيه والباد) أي الطارئ من البادية
وهو الحائى اليه من غربة وقال بعضهم يدخل في العا كف الغريب اذا جاءه للتعبد وان لم يكن
من أهله قال الرنخسرى وقد استشهد به سدا أصحاب أبي حنيفة فالتين ان المراد بالمسجد
الحرام مكة على امتناع جواز بيع دور مكة واجارتها انتهى وأيضاً هو مذهب ابن عمر وعمر
ابن عبد العزيز واهنق الحنطى المعروف بابن راهوية قال البيضاوى وهو مع ضعفه معارض
بقوله تعالى الذين أخرجوا من ديارهم الآية وشرى عمردار السجن فيها من غير تكبير انتهى
ووجه الرأى الضعف بقوله لان العا كف قد يراد به الملازم للمسجد المعتكف فيه على
الدوام وفى الاكثر فلا يلزم ما ذكره ويحتمل أن يراد بالعا كف الجوار والمسجد المتكف فى كل وقت
من الاوقات من التعبد فيه فلا وجه لصف الكلام عن ظاهره مع هذه الاحتمالات انتهى
واستدل أيضاً بالجواز بقوله صلى الله عليه وسلم لما قال له أسامة بن زيد يا رسول الله أتزل غدا
بدارك بمكة فقال وهل تزل لنا عقيل من رباغ أو دورو وكان عقيل ورث أباطال دون على
وبعد لانهما كانا مسلمين ولا يورث الا ما كان الميت مالكه قال الرويانى ويكره بيعها
واجابته الخروج من الخلاف ونازعه النووي فى مجموعه وقال انه خلاف الاولى لانه لم يرد فيه
نهى مقصود والاقول كما قال الزكشى هو المنصوص بل اعترض على النووي فانه هربح
بكرهه بيع العصف والشرطي ولم يرد فى ذلك نهى مقصود (تنبيه) محتمل الخلاف بين العلماء

في يسع نفس الارض أما البناء فهو مملوك يجوز فيه بلا خلاف أي اذ لم يكن من أجزاء أرضها
 قيل إن اسحق الحنطلي ناظر الشافعي رضى الله تعالى عنه بمكة في يسع دور مكة فاستدل
 الشافعي بجمام واستدل هو على المنع بقوله حدثني بعض التابعين بأنها لا تباع فقال له الشافعي
 لو قام غيرك بمساكن لا أمرت بفرك أذنيه أقول لك قال الله ورسوله تقول حدثني بعض التابعين
 وقال الرازي فقال اسحق فلما علمت أن الحجة لم تني تركت قولي وقرأه خص سواء بالنصب على
 أنه ثانی مفعولى جعلناه أي جعلناه مستويا للعالك فيه والبلاد والباقون بالرفع على أن
 الجملة مفعول ثان جعلناه ويكون للناس حالاً من الهاء ويصح أن يكون حالاً من المستكن
 في الناس يصعب له مفعولاً ثانياً جعلناه وقرأورش وأبو عمر والبادي بإثبات الأيام بعد الدال ومثلاً
 لا وقتاً وأثبتها ابن كثير وقتاً ومثلاً وحذفها الباقر وقتاً ومثلاً (ومن يرد فيه) أي المسجد
 الحرام (بالحدانظلم) أي يميل إلى الظلم والاحداث العدل عن القصد وأصله الحد الحافر وقيل
 الاحداث فيه هو الشرك وعبادة غير الله وقيل هو كل شيء منهي عنه من قول أو فعل حتى شتم
 الخادم وقيل هو دخول الحرم بغير حرام أو ارتكاب شيء من محظورات الاحرام من قتل صيد
 أو قطع شجر وقال ابن عباس هو أن تقتل فيه من لا يقتلك أو تظلم فيه من لا يظلمك وقال مجاهد
 هو تضاعف الستات بمكة كالتضاعف الحسنات وقال سعيد بن جبيرة احتكار الطعام بمكة بدليل
 ما روى يعلى بن أمية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن احتكار الطعام في الحرم الحساد
 وعن عطاء قول الرجل في المبايعه لا والله بلى والله وعن عبد الله بن عمر أنه كان له فسطاطان
 أحدهما في الحل والآخر في الحرم فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل فقبل له فقال
 كأنه حدث أن من الاحداث فيه أن يقول الرجل لا والله وبلى والله * (تنبيهه) * قوله بالحدانظلم
 حالان مترادفان ومفعول ردمتوك ليتناول كل متناول كأنه قال ومن يرد فيه مراد اما عادلا
 عن القصد لما لم يذقه من عذاب ألم) أي مؤلم أي بعضه وشعران محذوف لدلالة جواب الشرط
 عليه تقديره ان الذين كفر واوعدتد عن سبيل الله والمسجد الحرام نذيقهم من عذاب ألم
 فكل من ارتكب فيه ذنباً فهو كذلك فينبغي لمن كان فيه أن يضبط نفسه ويسلك طريق السداد
 والعدل في جميع ما هم به ويقصده * ولما ذكر تعالى القرابين وجزاء كل وخته بذكر البيت أتبعه
 التذكير به فقال تعالى (واذ) أي واذا كراذ (بأن الأبراهيم مكان البيت) أي جعلناه مكان البيت
 صبراً أي مرجعاً يرجع اليه للعمارة والعبادة فإن البيت رفع إلى السماء أيام الطوفان وكان من
 ياقوته جزاء فأعلم الله إبراهيم عليه السلام مكانه بريح أرسلها يقال لها الخوج كسفت ما حوله
 فناء على اسمه القديم وقيل بعث الله تعالى له بجبابه بقدر البيت فقامت بجبال البيت وفيها رأس
 يتكلم بإبراهيم ابن علي دورى فبنى عليه وعن عطاء بن أبي رباح قال لما أهبط الله آدم عليه السلام
 كان رجلاً في الأرض ورأسه في السماء يسمع تسبيح أهل السماء ودعاهم وأنس اليهم فهابت
 الملائكة منه حتى شكت إلى الله تعالى في دعائها وقيل في صلاتها فاخضه الله تعالى إلى
 الأرض فلما فقد ما كان يسمع منهم استوحش وقيل أول من بنى البيت إبراهيم لما روى وورد

في العيصين عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله أي مسجد وضع أوله المسجد الحرام قلت
 أي قال بيت المقدس قلت كيهما قال أريهون سنة ثم فسرت التوبة بقوله تعالى (أن لا تشركني
 شيئاً) فابتدأ بأبى العباد ورأسها وعطف على النهي قوله تعالى (وطهر بيتي) أي عن كل ما لا
 يليق به من الإوثان والأتقاد ووطوف عريان به كما كانت العرب تفعل (للطائفتين) أي الذين
 يطوفون بالبيت (فإن قيل) كيف يكون النهي عن الشرك والأمر بتطهير البيت تفسير التوبة
 (أجيب) بأن التوبة لما كانت مقصودة من أجل العبادة فكانه قيل تعبدنا إبراهيم قلنا
 لا تشركني شيئاً وطهر بيتي للطائفتين وقال ابن عباس للطائفتين بالبيت من غير أهله (والثائفتين)
 أي المقيمين (والركع السجود) أي المصلين من الكل وقال غيره المقيمين هم المصلون لأن
 المصلى لا بد أن يكون في صلاته جامعاً بين التسليم والركوع والسجود قال البضاوي ولعله عبر
 عن الصلاة بأركانها للدلالة على أن كل واحد منها مستقل بآتقضاء ذلك كيف وقد اجتمعت
 (وأذن في الناس) أي أعلمهم ونادفهم (بالحج) وهو قصد البيت على سبيل التكرار للعبادة
 المخصوصة بالمشاعر المنصوصة وفي المأمور بذلك قولان أحدهما وعليه أكثر المفسرين أنه
 إبراهيم عليه السلام قالوا المأثور من بناء البيت قال الله تعالى له أذن في الناس بالحج قال يارب
 وما يبلغ صوتي قال عليك الأذان وعلى السبلاخ فصعد إبراهيم الصفا وفي رواية أخرى أبان قيس
 وفي أخرى على المقام قال إبراهيم كيف أقول قال جبريل قل لبيك اللهم لبيك فهو أول من لبي
 وفي رواية أخرى صعد على الصفا قال يا أيها الناس إن الله كتب عليكم حج هذا البيت العتيق
 فسمعه ما بين السماء والأرض فابقى شيء سمع صوته الأقبل يلي بقول لبيك اللهم لبيك وفي رواية
 أخرى إن الله يدعوك إلى حج بيته الحرام لبيككم به الجنة ويجزيكم من النار فاجابه يومئذ من كان
 في أصلاب الرجال وأرقام النساء وكل من وصل إليه صوته من حجر أو شجر أو نبتة أو تراب قال
 مجاهد فاج انسان ولا يحج أحد حتى تقوم الساعة الا وقد أجمع ذلك النقاد فمن أجاب مرة
 مرة ومن أجاب مرتين أو أكثر فبج مرتين أو أكثر بذلك المقدار وفي رواية فنادى على جبل
 أبي قيس يا أيها الناس إن ربكم ينيبكم ينيبوا ووجب الحج عليكم اليه فأجيبوا ربكم والتفت
 بوجهه يميناً وشمالاً وشرقا وغربا فأجابه كل من كتب له أن يحج من أصلاب الرجال وأرقام
 الإقطات لبيك اللهم لبيك وعن ابن عباس قال لما أمر الله إبراهيم بالأذان تواضعت له الجبال
 وخضت وار تفضت له القرى القول الثاني أن المأمور بذلك هو النبي محمد صلى الله عليه
 وسلم وهو قول الحسن واختاره أكثر المعتزلة واحتجوا عليه بأن ما جاء في القرآن وأمكن حله
 على أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو الخطاب به فهو أولى لأن قوله تعالى واذنوا تصديقه
 واذا ذكر بالجملة ذنوا تأنيهاً وفي حكم المذكور فاذا قال تعالى وأذن فإليه يرجع الخطاب أي أن
 يفعل ذلك في حجة الوداع روى عن أبي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقال يا أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا وجواب الأمر (بأن تؤتم) أي يا أيها بيتك
 النبي ينتهز ذلك مجيباً لصوتك بأذنك من طائفتين من طائفتين من أهل الأرض كما

يحيون موت الداعي من قبلنا اذ ادعاهم بعد الموت بمثل ذلك (رجالاً) أى مشاة على أرجلهم
جمع راجل كقائم وقائم (و) ربكنا (على كل ضامر) أى يعبر مهزول وهو يطلق على الذكرو الانثى
* (تسمه) * على كل ضامر حال معطوف على حال كأنه قال رجالاً وربكنا وقوله تعالى (يأتين)
صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع (من كل شيء) أى طريق واسع بين جبلين (عميق) أى بعيد
روى سعيد بن جبير باسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الحجاج الزاكب له بكل خطوة
تخطوها راحلته سبعون حسنة وللمائى سبعة أئمن حسنات الحرم قبل يارسول الله بها
حسنات الحرم قال كل حسنة عمانية ألت حسنة وفي هذا دلالة على أن المنى أفضل من الركوب
وفذلك خلاف بين الأئمة بحله كتب الفقه * ولما كان الانسان ميالاً الى الفوائد مشوقاً الى
جبل العوائد علل الايمان بما يرغبه مبيحاً من فضله ما يقصده من امر المعاش بقوله تعالى
(الشهدوا) أى ليحضر واحضروا تاماً (منافع لهم) واختلف في تلك المنافع فبعضهم جعلها على
منافع الدنيا هي أن تجروا في أيام الحج وبعدهم جعلها على منافع الآخرة وهى العفو والمغفرة
وبعضهم جعلها على الامر بنجها وهو كما قال الرازى أولى فبأوتون لتلك المنافع يتقانون من مشعر
من مشاعر الحج الى مشعر ومن مشهد الى مشهد مجموعين بالدعوة خاشعين بالهبة خاتمين
من السطوة راجين للمغفرة ثم يتفرقون الى منازلهم وموطنهم ويتوجهون الى مساكنهم
كالسائر الى مواقت الحشر يوم البعث والنشر المنفرقين الى دارى النعيم والحجيم فبأياها
المصدقون بأن خلقتنا ابراهيم عليه السلام فادى بالحج فأجابهم بقدرتنا كرامة له من أراد
الله تعالى حجه على بعد أقطارهم وتساوى دارهم ممن كان موجوداً في ذلك الزمان وممن كان
في ظهور الآباء والاقهات الاقربين والابعدين صدقوا ان الداعي من قبلنا النصح في الصور
يجب عليه كل من كان على ظهرها ممن حفظناه جسده أو سلطاناً عليه الارض فخرقناه حتى صار
تراوا وما بين ذلك لان الكل علمنا يسير قال الزمخشري وعن أبي حنيفة رجه الله انه كان
بفاضل بين العبادات كلها قبل أن يحج فلما حج فضل الحج على العبادات كلها المشاهدة من تلك
الخصائص * ولما كانت المنافع لا تطيب ولا تثر الا بالتقوى وكان الحامل على التقوى ذكر الله
تعالى قال تعالى (ويذكر واسم الله) أى الجامع لجميع الكمالات بالتكبير وغيره عند الذبح
وغيره وقيل سكنى بالذبح عن الذبح لان ذبح المسلمين لا ينفع عنه تنبهاً على ان المقصود دوماً
يتقرب به الى الله تعالى أن يذكر واسم * واختلف في الايام المعلومات في قوله تعالى (في أيام
معلومات) فالذى عليه أكثر المفسرين وهو اختيار الشعبي وأبى حنيفة أنه عشر ذى الحجة
واختبوا بأنها معلومة عند الناس بحرصهم على عملها من أجل أن وقت الحج في آخرها ثم للمنافع
أوقات من العشر معرفة كيوم عرفة والمشعر الحرام وتلك الذبائح وقت منها وهو يوم النحر
وعن ابن عباس أنها أيام التشريق وقيل يوم عرفة الى آخر أيام التشريق وقيل يوم النحر الى آخر
أيام التشريق واستدل لهذا بقوله تعالى (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) وهى الابل والبقر
والغنم من الهدايا والغنما أى يذكر واسم الله تعالى عند نحرها ونحر الغنما والهدايا يكون
في هذه الايام وتقدم الكلام على الايام المعلومات في سورة البقرة عند قوله تعالى واذكروا الله

في أيام معدودات وقوله تعالى (فكفوا عنها) أي من لحومها أمر بإباحة وذلك أن الجاهلية
 كانوا لا يأكلون من لحوم هداياهم شيئاً فأمر الله تعالى بمخالفتهم وانفق العلماء على أن الهدى
 إذا كان تطوعاً يجوز للمهدي أن يأكل منه وكذلك أخصية التطوع لما روى عن جابر بن عبد الله
 في قصة حجة الوداع فأتى على يدين من اليمن وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة
 ففصر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً وستين بدنة وبقصر على ما غبر أي ما بقي وأشركه في بدنه
 ثم أمر من كل بدنة ببيضة أي بقطعة فجعلت في قدر فطبخت فأكل من لحمها وشرب من مرقها
 أخرجه مسلم واختلفوا في الهدى الواجب بالشرع مثل دم التمتع والقران ولأبى كل من واجب الواجب
 بافساد الحج وقوته وجزاء الصيد هل يجوز للمهدي أن يأكل شيئاً منه قال الشافعي رضى
 الله عنه لا يأكل منه شيئاً وكذلك ما أوجب على نفسه بالنذر وقال ابن عمر رضى الله عنهما
 لا يأكل من جزاء الصيد والنذرية كل مما سوى ذلك وبه قال أحمد وإسحق وقال مالك يأكل
 من هدى التمتع ومن كل هدى وجب عليه إلا من فدية الأذى وجزاء الصيد والنذر وعن
 أصحاب أبي حنيفة أنه يأكل من كل من دم التمتع والقران ولأبى كل من واجب سواهما وقوله
 تعالى (وأطعموا البائس) أي الذي أصابه بؤس أي شدة الفقر أي المحتاج أمر بإيجاب وقد
 قيل به في الأول (تمليك قضاوتهم) أي يزولوا وأصحابهم وشعثهم كقص الشارب والاضفار
 وتف الأبط والاستحدا عند الاحلال (وليفوا نذرهم) من الهدايا والغنابا (وليطوفوا)
 طواف الأفاضة الذي به تمام التحلل (بالبيت العتيق) أي القديم لأنه أول بيت وضع للناس
 وقال ابن عباس سمى عتيقاً لأن الله تعالى أعنته من تسلط الجبابرة فكفكم من جبار سار إليه
 ليهدمه فغنى الله تعالى منه (فان قيل) قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع (أجيب) بأنه ما قصد تسلط
 على البيت وإنما قصد من ابن الزبير فاحتمل لإخراجه ثم نبأه ولما قصد تسلط عليه ابرهة فعلى به
 ما فعل وقيل لأن الله تعالى أعنته من الفرق فانه رفع في أيام الطوفان وقال مجاهد لانه لم يملك قط
 وقيل بيت كريم أي العتيق بمعنى الكرم من قولهم عناق الخيل والطير والطواف ينقسم إلى
 ثلاثة هذا ويدخل وقته بعد الوقوف وهذا لا يجبر تركه بدم لانه ركن الثاني طواف الوداع ووقته
 عند اعادة السفر من مكة وهو واجب يجبر تركه بدم الثالث طواف القدوم وهو مستحب للحاج
 والحلال إذا قدم مكة روت عائشة رضى الله تعالى عنها أن أول شيء بدأ به حين قدم النبي صلى
 الله عليه وسلم أنه توضأ ثم طاف ثم لم تكن عمرة ثم حج أبو بكر وعمر مثله وقرأ ابن ذكوان وليطوفوا
 وليطوفوا بكسر اللام فهما والناقون بالسكانها وفتح أبو بكر الواو من وليطوفوا وشد الفاء وقوله
 تعالى (ذلك) خبر مبتدأ مقدر رأى الأمر أو الشأن ذلك المذكور كما يفتق الكتاب جملة من كابه
 في بعض المعاني ثم إذا أراد الخوض في معنى آخر قال هذا فقد كان كذا (ومن يعظم) أي بغاية
 جهده (حرمات الله) ذى الحلال والاكرام كلها وهي ما لا يحل انتهاكها من مناسك الحج وغيرها
 وقيل الحرمات هنا مناسك الحج وتعظيمها أقامتها واتمامها وعن زيد بن أسلم الحرمات خمس
 الصكبة الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والحرم حتى يصل (فهو) أي

التعظيم الحامل له على امتثال الامر فيها على وجهه واجتناب المنهي عنه كالذبح بذكر اسم خبير
 الله والطواف عريانا (خير) كائن (له عند ربه) أي الذي أسدى اليه كل ما هو فيه من النعم في
 الآخرة ومن اتهاكها فهو شر عليه عند ربه ثم انه تعالى بين أحكام الحج بقوله تعالى (وأحلت
 لكم الانعام) أي أكلها بعد الذبح وهي الابل والبقر والغنم (الأماتيل) أي على سبيل التحذير
 مستترا (عليكم) تحريمه في قوله تعالى حرمت عليكم الميتة الآية فالاستثناء منقطع ويجوز أن
 يكون متصلا والتصریح لمعارض من الموت ونحوه فحافظوا على حدوده وإياكم تحرموا
 مما حل تشا كتحريم عبدة الاوثان البعيرة والسائبة وغير ذلك وأن تحلوا ما حرم الله شيئا
 كاحلالهم أكل الموقوذة والميتة وغير ذلك * ولما فهم من ذلك حل السوائب وما معها وتحريم
 المذبح للانصاب وكان سبب ذلك كراهة الاوثان تسبب عنه قوله تعالى (فاجتنبوا) أي بقاية الجهد
 اقتداءه بأبيكم ابراهيم عليه السلام الذي تقدم الايصال له بمثل ذلك عند جعل البيت له مباحة
 (الرجس) أي القذر الذي من حقه ان يجتنب من غير أمر ثم بينه وميزه بقوله تعالى (من
 الاوثان) أي الذي هو الاوثان كما تجتنب الانجاس فهو بيان للرجس وتمييزه كقولك عندي
 عشرون من الدراهم وسمى الاوثان رجسا وكذا الحجر والميسر والازلام على طريق التشبيه
 يعني أنكم كما تحرمون بطباعكم من الرجس وتجتنبونه فعليكم ان تتقروا عن هذه الاشياء مثل
 تلك النقرة ونبه على هذا المعنى بقوله تعالى رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه جعل العلة
 في اجتنابه أنه رجس والرجس يجتنب وقوله تعالى (واجتنبوا قول الزور) تعمير بعد تخصيص
 فان عبادة الاوثان رأس الزور لان المشرك زاعم أن الوثن تحقق له العبادة كما أنه قال فاجتنبوا
 عبادة الاوثان التي هي رأس الزور واجتنبوا قول الزور ككراهة لاتقروا منه شيئا المتعدي
 في القبح والسماحة وما نذك بشئ من قبيله عبادة الاوثان والزور من الزور والازور وهو
 الانحراف كما ان الافك من افكها اذا صرته فان الكذب منصرف مصروف عن الواقع وقيل
 قول الزور قولهم هذا حلال وهذا حرام وما أشبه ذلك من اقترانهم وقيل هو قول المشركين
 في تليتهم لبيك لاشريكك اشريك هولك تملكه ومملك وقيل هو شهادة الزور لما روى
 أبو داود والترمذي أنه صلى الله عليه وسلم صلى الصبح فلما سلم قام قائما مستقبلا للناس بوجهه
 الكريم وقال عدت شهادة الزور الاشرار بالله قالها ثلاثا وتلاه هذه الآية وقوله تعالى
 (حفظاه) أي مسلمين عادلين عن كل دين سوى دينه (غير مشركين به) تأكيده لما قبله
 وهما سالان من الواو (ومن يشرك) أي يقع شيئا من الشرك (بالله) الذي له العظمة كما بينت
 من الاشياء في وقت من الاوقات (فكأنما لم يمسسها) أي سقط (من السماء) لعلوما كان فيه من
 أوج التوحيد وسفل ما انحط اليه من حضيض الاشرار (فقطرة طير) أي تاخذ به بسرعة
 وهو نازل في الهواء قبل أن يصل الى الارض (أو تهوى به الريح) أي حيث لم يجد في الهواء
 ما يملكه (في مكان) من الارض (صحيح) بعيد فهو لا يرجي خلاصه * (تبيه) قال الزمخشرى
 يجوز في هذا التشبيه أن يكون من المركب والمفرق فان كان تشبيها من كفاك أنه قال من

أشرك بالله تعالى فقد أهلك نفسه هلاكاً ليس بعده هلاكاً بأن صور حاله بصورة حال من يختر من
 السماء فاختطفته الطير فتفرق حزماً في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت في بهض
 المطاوع البعيدة وإن كان مقرراً فقد شبه الإيمان في علو ما بالسماء والذي ترك الإيمان وأشرك بالله
 بالساقط من السماء والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به
 في وادي الضلالة بالريح التي تهوى بما عصفت به في بعض المهاوى المتلفة أه قوله يطوح به
 الباء مزيدة للتأكيد قال الجوهري طوحه أي توجهه أي توجهه وذهب به ههنا وههنا وقرأ نافع بفتح
 الخاء وتشديد الطاء والباقون بأسكان الخاء وتخفيف الطاء ثم عظم ما تقدم من التوحيد وما
 هو منسب عنه بالإشارة بأداة البدل فقال تعالى (ذلك) أي الأمر العظيم الكبير في رعاياه
 فاز ومن حاد عنه حاب ثم عطف عليه ما هو أعم من هذا القدر فقال تعالى (ومن يعظم شعائر
 الله) جمع شعيرة وهي البدن التي تهدي الحرم لانها من معالم الحج بأن يختار عظام الأجرام
 حساناً ما غالية الأثمان ويترك المكاس في شرائها فقد كانوا يقولون في ثلاث ويكروهن
 المكاس فيهن الهدى والاضحية والرقبة وروى ابن عمر عن أبيه رضي الله عنهم ما أنه أهدى
 نجية طلبت منه بثلاثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعها ويشتري بثمنها بدنا
 فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نهى عنه فيها جل لا يجهل
 في أفضه بره من ذهب وكان ابن عمر يسوق البدن بحملة بالقباطي فيصدق بطومها وجلالها
 ويعتقد أن طاعة الله في التقرب بها واهدائها إلى بيته المعظم أمر عظيم لا بد أن يقام به ويسارع
 فيه (فإنها) أي تعظيمها ناشئ (من تقوى القلوب) فمن لا ابتداء فإن جعلت تبعيضية فلا بد من
 حذف تقديره فإن تعظيمها من أفعال ذوى القلوب فحذف هذه المضافات ولا يستقيم
 المعنى الابتدائها لانه لا بد من راجع من الجزء إلى من يرتبط به وانما ذكرت القلوب لانها
 من أركان التقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها في سائر الاعضاء وسميت تلك البدن
 شعائر لاشعارها بما يعرف به أنها هدى كطعن حديدية بسنامها قال الباقى ولعلها مأخوذ من
 الشعر لانها اذا جرحت قطع شيء من شعرها وأزيل عن محل الجرح فيكون من الأزالة (لكم
 فيها) أي البدن (منافع) تركوبها والحل عليه بما لا يضرها وعن ابراهيم من احتاج إلى ظهرها
 ركب ومن احتاج إلى لبنتها شرب وقال أصحاب الرأي لا يركبها الا اذا اضطر إليها (الآجل
 مسمى) وهو وقت شعرها (ثم حملها) أي مكان حل شعرها (إلى البيت العتيق) أي عنده والمراد
 الحرم جميعه وقيل المراد بالشعائر المناسك ومشاهدة الحج وبللنافع الأجر والثواب في قضاء
 المناسك إلى انقضاء آجالها ومغسلها محل الناس من أحوالهم إلى البيت يطوفون به طواف الزيارة
 (ولكل أمة) أي جماعة مؤمنة سلفت قبلكم (جعلنا منسكاً) أي متعبداً أو قربانياً يتقربون
 به إلى الله تعالى وقرأ حمزة والكسائي منسكاً وفي آخر السورة بكسر السين في الموضعين
 فيكون بمعنى الموضع والباقون بقصها مصدر بمعنى التمسك (ليذكروا اسم الله) أي
 الملك الأعلى وحده على ذللتهم وقرائينهم لانه الرزق لهم وحده فيقولون عند الضرورة

أكبر الاله الا الله والله أكبر اللهم منك واليك ثم علل الذكر بالنعمة تيسرها على التذكر فيها
 فقال تعالى (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) فوجب شكره لذلك عليهم وفيه تيسره على أن
 القربان يجب أن يكون من الانعام (فالله أكبر) أي الذي شرع هذه المناسك كلها (والله واحد)
 وان اختلفت فروع شرائعه ونسخ بعضها بعضها واذا كان واحدا ووجب اختصاصه بالعبادة
 فلذا قال تعالى (فله) وحده (سلوا) أي انقادوا بجميع طواهركم وبواطنكم في كل ما أمر به
 أو نهى عنه (وبشر الخبيثين) أي المطيعين المتواضعين من الخبت وهو المظلم من الارض
 وقيل هم الذين لا يظلمون واذا ظلوا لم يتصروا * ثمين علاماتهم بقوله تعالى (الذين اذا ذكروا الله)
 أي الذي له الجلال والجمال (وجلّت) أي خافت خوفا من عجا (قلوبهم) فيظهر عليها الخشوع
 والتواضع لله تعالى (والصابرين) الذين صابروا عبادتهم (على ما أصابهم) من الصكاف
 والمصائب ولما كان ذلك قد يشغل عن الصلاة قال تعالى (والمقبي الصلاة) في أوقاتها
 والمحافظة عليها وان حصل لهم من المشاق بأفعال الحج وغيره ما عسى أن يحصل ولذلك عبر
 بالوصف دون الفعل اشارة الى أنه لا يقيهما على الوجه المشروع مع تلك المشاق والشواغل
 الارواح في حياهم فهم لما تمكن حيا في قلوبهم والخوف من الغفلة عنها كانوا دائما في صلاة
 (ومحارزونهم يتقون) في وجوه الخير من الهدايا التي يغفلون في أثمانها وغير ذلك احسانا الى
 خلق الله تعالى * ولما قدم تعالى الحث على التقرب بالانعام كلها وكانت الابل أعظمها خلقا
 وأجلها في أنفسهم أمر اخصها بالذكر فقال تعالى (والبدن) أي الابل المعروفة جمع بدنة كغشب
 وخشبة واتصاه بفعل يخره (جعلناها لكم من شعائر الله) أي من اعلام دينه التي شرعها
 الله تعالى وقيل لانها تشعروهي أن نطقن بجديده في سنامها يعلم بذلك أنها هدى (لكم فيها
 حنين) أي تنفع في الدنيا ونواب في العقبى كما قال ابن عباس دينا وأخرى وروى الترمذي
 وحسنه عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما عمل ابن آدم يوم
 النحر عملا أحب الى الله من هراقة الدم وانه ليؤتى يوم القيامة بقرنها وأظلافها وأشعارها وان
 الدم يلقى من الله بمكان قبل أن يقع الى الارض فطيبوا بها نفسا وروى الدارقطني في السنن عن
 ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نفتق الورك في شيء أفضل من نخيرة في يوم
 عيّد وعن بعض السلف أنه لم يملك الاتعة دنانير فاشتري بها بدنة فتقبله في ذلك فقال سمعت
 ربي يقول لكم فيها خير (فأذكروا اسم الله عليها) أي على ذبحها بالتكبير حال كونها (صواف)
 أي طاعة على ثلاث معقولة اليد اليسرى لان البدنة تعقل احدي يديها فتقوم على ثلاث (فأذا
 وجبت جنوبها) أي سقطت سقوطا بردت به بزوال أرواحها فلا حركة لها أصلا من وجب
 الحائط وجبته سقطت ووجبت الشمس وجبة غربت قال ابن كثير وقد جاء في حديث من فروع
 ولا يهلوا النفوس أن ترهق وقوله تعالى (فكلوا منها) أي اذا كانت تطوعا أمر اباحة ذمها لما
 قد يظن أنه يحرم الاكل منها للامر بتقريبها لله تعالى (واطعموا القانع) أي المتعرض للسؤال
 يمشون عوانا كسائر (المعتر) أي النائل وقيل بالعكس وهو قول الشافعي لوجه الله تعالى

قال في كتاب اختلاف الحديث القانع هو السائل والمغتر هو الزائر وقيل القانع هو الجالس
 في بيته المتعفف الذي يضع بما يعطى ولا يسأل ولا يتعرض والمغتر المتعرض وقيل القانع هو
 المسكين والمغتر الذي ليس بمسكين ولا تكون له ذبيحة فيجيء إلى القوم فيتعرض لهم لاجل لهم
 (كذلك) أى مثل هذا التسخير العظيم الذى وصفناه من نحرها قياما (مضرهاها) بعظمتنا التى
 لولاها ما كان ذلك (لكم) وذلكنا هالبا ونهارا مع عظمتها وقوتها تأخذونها منقادة فتعقلونها
 وتحسبونها ولو شئنا لجعلناها وحشية لم نطق ولم تكن بأعجز من بعض الوحش التى هى أصغر منها
 جرما وأقل قوة (لعلكم تشكرون) انعامنا عليكم لتعرفوا أن ما دللها لكم الا الله تعالى فيكون
 حالكم حال من يرجو شكره فتوقفوا الشكر بأن لا تحترموا منها الا ما حرم عليكم ولا تحلوا منها الا
 ما أحل وتمهدوا منها ما حدث على اهدائه وتتصرفوا بحسب ما أمركم * ولما حث تعالى على
 التقرب به امدكورا اسمه عليها قال تعالى (لن نسال الله) الذى له صفات الكمال (لحومها)
 المأكولة (ولادماؤها) المهرقة أى لا يرفعان اليه (ولكن ناله التقوى منكم) أى يرفع اليه منكم
 العمل الصالح الخالص له مع الايمان كما قال تعالى والعمل الصالح يرفعه أى يقبله وقيل كان
 أهل الجاهلية اذا نحرروا البدن نفخوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون أرادوا
 مثل ذلك فترأت * ثم كثر سبحانه وتعالى التنبيه على عظيم تسخيرها منبها على ما أوجب عليهم به
 بقوله تعالى (كذلك) أى التسخير العظيم (مضرها لكم) بعظمتها وغنا عنكم (لتسكروا الله على
 ما هداكم) أى أرشدكم لعالم دينه ومناسك حجه كأن تقولوا الله أكبر على ما هدانا والمجد لله
 على ما أولانا فاختصر الكلام بأن ضمن التكبير معنى الشكر وعدى تعديته * ثم وعد من امتثل
 الامر بقوله تعالى (وبشر المحسنين) أى المخلصين فيما يفعلونه ويذرونه كما قال تعالى من قبل
 وبشر المحبتين والمحسن هو الذى يفعل الحسن من الاعمال ويتمسك به فيصير محبته الى نفسه
 بتوفير الثواب عليه وقال ابن عباس الموحدين وقوله تعالى (ان الله) أى الذى لا كف له
 (يدفع عن الذين آمنوا) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وفتح الباء وسكون الدال وفتح الفاء والباقون
 بضم الباء وفتح الدال وبعدها ألف وكسر الفاء أى يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه ولم يذكر الله
 تعالى ما يدفع عنهم حتى يكون أعظم وأنخم وأعم وان كان في الحقيقة أنه يدفع بأس المشركين
 فلذلك قال تعالى بعده (ان الله) أى الذى له صفات الكمال (لا يجب) أى لا يكرم كما يفعل المحب
 (كل حوران) فى أماته (كفور) لنعمته وهم المشركون قال ابن عباس خانوا الله فجعلوا
 معه شركا وكفروا بنعمه فبذلك على أنه يدفع عن المؤمنين كيد من هذه صفة وقال مقاتل
 يدفع عن الذين آمنوا بحكمة حين أمر المؤمنين بالكف عن كفار مكة قبل الهجرة حين أذوهم
 فاستأذوا النبي صلى الله عليه وسلم فى قتلهم سرا فنتهاهم عن ذلك ثم أذن الله تعالى لهم فى قتالهم
 بقوله تعالى (أذن للذين يقاتلون) أى المشركين والمأذون لهم فيه وهو فى القتال محذوف لدلالة
 يقاتلون عليه (بأنهم) أى بسبب أنهم (طلوا) فكانوا يأوتونه صلى الله عليه وسلم بين مضروب
 ومضروب يتطلون اليه فيقولون لهم اصبروا فأتى لم أمر بالقتال حتى هاجر فأتت وهي أول

آية نزلت في القتال بعد ما نهي عنه في يثرب وسبعين آية. وقيل نزلت في قوم بأعيانهم مهاجرين
 من مكة الى المدينة فاعترضهم مشركو مكة فأذن الله لهم في قتال الكفار الذين منعوهم من
 الهجرة بأنهم ظلموا واعتدوا عليهم بالأيذاء. وقرأ نافع وأبو عمرو وعاصم بضم الهمزة والباقون
 بقضها. ولما كان التقدير فان الله أراد اظهار دينه بهم عطف عليه قوله تعالى (وان الله) أي
 الذي هو الملك الاعلى (على نصرهم لقدير) وفي ذلك وعد من الله بنصر المؤمنين ثم وصفهم
 بقوله تعالى (الذين أخرجوا من ديارهم) الى الشعب والحبشة والمدينة (بغير حق) أو بجد ذلك
 ما أخرجوا (الآن يقولوا) أي بقولهم (ربنا الله) وهذا القول حق والخراج به اخراج بغير
 حق ونظير ذلك قوله تعالى هل تتقون منا الا ان آمنابالله (تبيه) الذين أخرجوا مجرور
 نعت للذين يقا تلون أو بدل منه أو منصوب على المدح أو مرفوع خبر مبتدأ المحذوف (ولو لا دفع
 الله) أي المحيط بكل شيء (علما) (الناس بعضهم ببعض) أي بتسليط المسلمين منهم على الكافرين
 بالجهادة لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة في أزمانهم وعلى متعبديتهم كما قال تعالى
 (لهدمت) أي خربت (صوامع) وهي معابد صغار للرهبان مرتفعة (وسبع) ككنايس
 للصارى (وصلوات) أي كائس لليهود وسببت بها لانها يصلى فيها. وقيل هي كلمة معربة أصلها
 بالعبرانية صلواتا (ومساجد) للمسلمين (يدكر فيها) أي هذه المواضع المذكورة (اسم الله) العلى
 العظيم (كثيرا) وتقطع العبادات بخرابها. وقيل الضمير يرجع للمساجد فقط نشرها بها بأن
 ذكر الله يحصل فيها كثيرا (فان قيل) لم تقدم الصوامع والبسج في الذكر على المساجد (أجيب)
 بأنها أقدم في الوجود. وقيل أخرها في الذكر كما في قوله تعالى ومنهم سابق بالخيرات ولان الذكر
 آخر العمل فلما كان ينصلى الله عليه وسلم خبر الرسل وأمتنا خيرا لام لا جرم كانوا آخرهم
 ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون والسابقون وقيل أخرها لتكون بعيدة عن الهدم
 قرية من الذكرو وقرأ نافع دفاع بكسر الدال وفتح الفاء وألف بعدها والباقون يتخج الدال وسكون
 الفاء. وقرأ نافع وابن كثير لهدمت بتضيف الدال والباقون بتشديدها وأظهر التاء عند الصاد
 نافع وابن كثير وعاصم وأدغمها الباقون (ولينصرن الله) أي الملك الاعظم (من ينصره) أي
 ينصر دينه وأولياؤه كائنا من كان منهم أو من غيرهم وقد أنجز الله تعالى وعده بأن سلط المهاجرين
 والانصار على صناديد العرب وأكسرة العجم وقياسرتهم وأورثهم أرضهم وديارهم (ان الله)
 أي الذي لا كف له (القوى) أي على ما يريد (عزير) أي منيع في سلطانه وقدرته وقوله تعالى
 (الذين ان مكناهم) أي بما لنا من القدرة (في الارض) باعلانهم على ضدهم (أما أمر الصلاة)
 أي التي هي عماد الدين الدالة على المراقبة والاعراض عن تحصيل الفاني (وأما الزكاة)
 أي المؤذنة بالزهد في الحاصل منه المؤذن بعمل النفس للرحيل (وأمر بالمعروف) أي الذي
 أمر الله تعالى ورسوله به (ونها عن المنكر) أي الذي نهى الله ورسوله عنه وصف للذين
 هاجروا وهو اخبار من الله تعالى بظهور الغيب عملستكون عليه سيرة المهاجرين والانصار رضي
 الله تعالى عنهم. وعن عثمان رضي الله تعالى عنه هذا والله شاء قبل بلاءه يريد ان الله تعالى أنفي

عليهم قبل أن يجدوا من اخلصهم ما احدثوا * (تنبيه) في ذلك دليل على صحة خلافة الائمة الاربعة
 الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين واذا ثبت ذلك وجب أن يكونوا على
 الحق ولا يجوز رجل الاية على أمير المؤمنين على وحده لان الآية ذال على الجمع وعن الحسن هم
 أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين منصوب بدل من قوله تعالى من نصره (ولله) أي الملك
 الاعلى (عاقبة الامور) أي آخر امورا الخلق ومصيرها اليه في الآخرة فلا يكون لاحد فيها أمر
 حتى انه لا ينطق احد الا باذن منه * ولما بين سبحانه وتعالى فيما تقدم اخراج الكفار للمؤمنين
 من ديارهم بغير حق وأذن في مقاتلتهم وضمن لرسوله صلى الله عليه وسلم النصر وبين ان الله
 عاقبة الامور اذ دفعه بما يجري مجرى التسليية للنبي صلى الله عليه وسلم في النصر على ما هم عليه من
 أذيتهم وأذية المؤمنين بالتكذيب وغيره فقال تعالى (وان يكذبوا فقد كذبت قبلهم) أي قبل
 قومك (قوم نوح) وتأنيث قوم باعتبار المعنى وتحقير المكذبين في قدرته وان كانوا من أشية
 الناس (ومعاد) أي ذور الابدان الشداد قوم هود (وعود) أو لولا الابنية الطوال في السهول
 والجبال قوم صالح (وقوم ابراهيم) المتعبرون المتكبرون (وقوم لوط) الانفجاس بما لم يستقيم
 اليه احد من الناس (وأصحاب مدين) أبواب الاموال المجموعة من خزائن الضلال فأنت
 يا أشرف الخلق لست بأوحدى في التكذيب فان هؤلاء قد كذبوا رسلكم قبل قومك * ولما كان
 موسى عليه السلام قد أتى من الآيات المرئية ثم المسجوعة بما لم يأت بمثله احد ممن تقدمه فكان
 تكذيبه في غاية البعد غير سبحانه وتعالى الاسلوب تبسيها على ذلك وعلى ان الذين أطبقوا على
 تكذيبه القبط وأما قومه فما كذبهم إلا أناس يسرف فقال تعالى (وكذب موسى)
 وفي ذلك أيضا تعظيم للتأسية وتفعيم للتصليية (فأما ليلت للكافرين) أي أهلهم بتأخير العقاب
 عنهم الى الوقت الذي ضربت له لهم وعبر عن طول الاملاء بأداة التراخي زيادة لتأسية فقال
 تعالى (ثم أخذتهم) أخذ عزير مقتدره ثم به سبحانه وتعالى بالاستفهام في قوله تعالى (فكيف
 كان تكبير) أي انيكاري لافعالهم على أنه كان في أخذهم عبر وعجائب وأحوال وعرائب
 حيث أبدلهم بالنعمة مجننة وبالجمية هلاكا وبالعمارة خرابا والابتنفهام للتقريب رأى وهو واقع
 موقعه فليحذر هؤلاء الذين أنتهم بأعظم ما أتى به رسول قومه مثل ذلك فان يؤمنوا بل فعلت
 بهم كما فعلت بهؤلاء وان كانوا أتمكن الناس فلا يحزنك أمرهم * (تنبيه) * أثبت ورض الباء
 بعد الراء من تكبير في الوصل وحذفها الباقون وقفا ووصلا (وكان) أي وك (من قرية)
 وقيل معنى كآين رب وقوله تعالى (أهلكتها) قرأه أبو عمر وبعد الكاف بتاء فوقية معهومة
 والباقون بعد الكاف بنون وبعدها ألف والمراد أهلها بدليل قوله تعالى (وهي) أي ليلال أنها
 (طامة) أي أهلها بقتلهم ويحتمل أن يكون المراد اهلاكا نفس القرية فيدخل تحت هلاكتها
 هلاكا من فيها لان العذاب السازل اذا بلغ أن يهلك القرية تقتصر منه دمة يجعل هالكين فيها
 وان كان الاقل أقرب (فهني) أي فتسبب عن هلاكها أنها (حاربة) أي من دمة ساقطة
 أي حديدانها (على بحر وشها) أي سقوطها اذ كل من تقع أطال من سقطت أوجية أو ظلة

أزكرم فهو عرش والسواوي الساقط من خوى النجم اذا سقط أو انخلى من خوى المتزل اذا خلت
من أهله وخوى بطن الحمل * (تنبيه) * قوله على عروشها لا يتناول من أن يتعلق بخاوية فيكون
المعنى انها سقطت على عروشها أى سقطت أى تصفت الاخشاب أو الامن كثرة المطار وغير
ذلك من الاشرار فسقطت ثم سقط عليها الجدران فسقطت فوق القوف أو خالية مع بقاها
عروشها وسلامتها واما أن يكون خيرا بعد خيرا كأنه قيل هي خاوية وهي على عروشها أى
خاتمة مظلة على عروشها على معنى أن السقف سقط الى الارض فصارت في قرار الحيطان
مائلة فهي مشرفة على السقف الساقطة وقوله فهي خاوية جملة معطوفة على أهلكتها
لا على وهي ظلمة فانها حال كقوته والاهلاك ليس حال خرابها فلا يحصل لها ان نصبت كأن
بقت يفسره أهلكتها لانها معطوفة على جملة أهلكتها كما مر وهي مفسرة لا لجملة لها وان
رفعت كأن بالابتداء فعملها رفع خبرا ثانيا للكان والخبر الاول أهلكتها (و) كمن (بتر معطولة)
أى متروكة يموت أهلها (وقصر مشيد) أى وبيع خال يموت أهله * (تنبيه) * على مماقتة انه ان
بتر معطوف على قرينة وهو يقوى على أن عروشها بمعنى مع أوجه وروى أن هذه بترت على
صالح عليه السلام مع أربعة آلاف نفر من آمن به وبجأهم الله تعالى من العذاب وهي
بمضرموت وانما سميت بذلك لان صالحا حين حضر هامات ثم بلدة عند البئر معها ياخضروا
بنا عما قوم صالح وأمروا عليهم جهلس بن جلاس وأقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا أصناما
فأرسل الله تعالى اليهم حنظلة بن صفوان عليه السلام نبيا فقتلوه فأهلكهم الله تعالى وعطل
بترهم ونزب قصورهم وقوله تعالى (أفلم يسئروا) أى كذا ومكة (في الارض) يحتمل انهم
لم يسافروا فحذوا على السفر ليرى واصراع من أهلكتهم الله تعالى بكفرهم وشاهدوا آثارهم
فيعتبروا وان يكونا قد سافروا ورا ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا كأن لم يسافروا ولم يروا
(مفتكون) أى فتسبب عن سرهم أن تكون (لهم قلوب) واعية (يعتقدون بها) جادأوه بأبصارهم
بما نزل به لكذبين قبلهم (أو) أى أو يكون لهم ان كانوا عمى الابصار كما دل عليه جعل هذا
قسما (أذان يسمعون بها) أخبارهم بالاهلاك وخراب الديار فيعتبروا (فانها) أى القصة
(لانعمى الابصار) ويجوز أن يكون الضمير بهم ما يفسره الابصار وفي نعمى راجع اليه
والمعنى ان ابصارهم حصى سالمة لا عمى فيها وانما العمى لقلوبهم كآمال تعالى (وليكن يعنى
القلوب التي في الصهور) ولا يعتد بعسمى الابصار فانه ليس بعسمى بالإضافة الى عمى القلوب
(فان قيل) خاوية ثابتة في ذكر الصدور (أجيب) بأن الذي قيدت ويرى واعتقد أن العمى
على الحقيقة للصدر وهو ان تصاب الصدقة بما يطمس نورها واستعماله في القلب استعارة
وتشبيها فلما أريد اثباتها هو خلاف المعتقد من نسبة العمى الى القلوب حقيقة وبقية عن
الابصار احتياج هذا التصور الى زيادة تبيين وفضل تعريفه ليعتقد ان مكان العمى هو
القلوب لا الابصار كما تقول ليس المضاعف ولكنه السانك الذي بين فكيتك فقول الذي بين
فكيتك فقرر بها اذ عينه لسانه وتبيت لان محل المضاعف هو لا غير مكانه فقلت وما نصبت المضاعف

السيف وأبنته للسالك فلتة ولا شهوا منى ولكن تعمدت به أيام بعينه تعمد اقبل لما نزل قوله
 تعالى ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى قال ابن أم مكتوم يا رسول الله أنا في الدنيا
 أعمى أفأكون في الآخرة أعمى فقلت (ويستعملونك بالعذاب) الذي توعدتهم به تكذيبا
 واستزاه (و) الحال انه (لن يخلف الله) أي الذي لا كف له (وعده) لا تمناع الخلف فيه وفي خبره
 سبحانه وتعالى فيصيبهم ما وعدهم به ولو من بعد حين لكنه تعالى حلیم لا يجعل بالعقوبة وقد
 أنجزه يوم بدر (وان يوما عند ربك) أي المحسن اليك بتأخير العذاب عنهم اكرام لك من أيام
 الآخرة بالعذاب (كأن سنة مما تعدون) في الدنيا وطول أيامه حقيقة أو من حيث ان أيام
 الشدا ثم مطالعة وقرأ ابن كثير وحجزة والكسائي بالياء على القيبة والباقون بالتاء على الخطاب
 (وكأن من قرية أمليت لها) أي أمهلتها كما أمهلتكم (وهي ظالمة) تظلمكم بالاستعجال وغيره
 (ثم أخذتها) أي بالعذاب والمراد أهلها (والى المصير) أي المرجع فينقطع كل حكم دون حكمي
 نفسه وعبدوته يد (فان قيل) لم قال فكأن من قرية أهلكتها بالقاه وقال هنا بالواو (أجيب)
 بأن الاولى وقت بدلا عن قوله تعالى فكيف كان تكبر وأما هذه فخكها حكم ما تقدم
 من الجملتين المعطوفتين بالواو أعني قوله تعالى ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كأن
 سنة مما تعدون * ولما كان الاستعجال لا يطلب من الرسول وانما يطلب من المرسل أمره الله تعالى
 بأن يديم لهم التعزيف والانداز بقوله تعالى (قل) أي لهم ولا يصدك عن دعائهم ما أخبرناك
 به من عملهم (يا أيها الناس) أي جميعا من قومك وغيرهم (انما نالكم نذير مبين) أي بين
 الانذار والاقصار على الانذار مع عموم الخطاب وذكر القرية يقين لان صدر الكلام وسياقه
 للمشركين وانما ذكر المؤمنين وتوابعهم بقوله (فالذين آمنوا) أي أقرؤا بالايان (وعملوا) أي
 تصديقا لدعواهم تلك (الصالحات لهم مغفرة) أي لما فرط منهم (ورزق) أي في الدنيا بالفتانم
 وغيرها وفي الآخرة بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (كريم) أي لاختصه فيه
 ولادامته بانقطاع ولا غيره زيادة في غيظهم * ولما كان في سياق الانذار قال معبرا بالماضى زيادة
 في التخيوف (والذين سعوا) أي أوقعوا السعي ولومرة واحدة (في آياتنا) أي القرآن بابطالها
 (مجهزين) من اتبع النبي صلى الله عليه وسلم أي ينسبونهم الى العجز وينبطونهم عن الايمان
 أو مقدرين عجزنا عنهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بتشديد الجيم بعد العين على انها حال مقسدة
 والباقون بألف بعد العين وتخفيف الجيم أي سابقين لسابقين فيها بالتشبيط (أو تلك)
 البعداء البغضاء (أصحاب الجحيم) أي النار استحقاقا بما سعوا فيه فكأنهم فيها يعلموا انهم هم
 العاجزون * ولما لاح من ذلك ان الشيطان أتى شيا يفاخرن فيها بجدا لهم في دين الله الذي
 أمر رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بإظهاره وتقريره وأشهاره عطف عليه تسليته له صلى
 الله عليه وسلم قوله تعالى (وما أرسلنا) أي بعظمتنا (من قبلك) ثم اكد الاستقراق بقوله تعالى
 (من رسول) وهو نبي أمر بالتبليغ (ولاجي) وهو من لم يؤمر بالتبليغ وهذا هو المشهور فعني
 أرسلنا وحينما قال النبي أعظم من الرسول ويبدل عليه ما رواه الامام أحمد من أنه صلى الله عليه وسلم

سئل عن الانبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قيل فكتم الرسل فقال ثلثمائة وثلاثة
 عشر جماعة وقيل كما هو ظاهر الآية الرسول من جمع الى المهجزة كما بمنزلة عليه والتي غير
 الرسول من لا كتاب له وقيل يمكن جعل الآية عليه أيضا والرسول من يأتيه الكتاب والتي يقال
 له ولن يوحى اليه في المنام (الاذاعني) أي تلا على الناس ما أمره الله تعالى به أو حدثهم به
 واشتهى في نفسه أن يقبلوه حرصا منه على ايمانهم شفقة عليهم (ألقى الشيطان) من التسمية
 والتخييلات (في أمينيه) أي فيما تلاه أو حدث به واشتهى أن يقبل ما يتلقفه منه أو لياؤه
 فيجادلون به أهل الطاعة ليضلواهم وأن الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادواهم وكذلك جعلنا
 لكل نبي عدوا وشياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا كما يفعل
 هؤلاء فيما يفترون به في وجه الشريعة أصولا وفرعاً من قولهم في القرآن شعر وسحر وكهانة
 وقولهم لو شاء الله ما أشركوا ولا آباؤنا وقولهم ان ما قبله الله تعالى بالمرت حنف أنه في بالاكل
 مما ذبح وقولهم نحن أهل الله وسكان حرمه ولا تخرج من الحرم فتقف في الحج بالمشعر الحرام
 وتقف الناس بعرفة ونحن نطوف في ثيابنا وكذا من ولدناه وأما غيرنا فلا يطوف الا عاريا ذكر
 كان أو أنى الآن يعطيه أحدنا ما يلبسه ونحو ذلك مما يريدون أن يطفوا به فوالله تعالى
 وكذا تأويلات الباطنية والاعتقادية وانظارهم التي الحسد وافيها يصل الله تعالى بها من يشاء ثم
 يحوها من أراد من عباده وما أراد من أمره (فيسخ) أي فيسبب عن القائه أنه يسخ (الله)
 أي المحبط بكل شيء علما وقدرة (ما يلقى الشيطان) فيسببه بايضاح أمره (ثم يحكم الله آياته) أي ثم
 يجعلها جليلة فيما يريد منها وأدل دليل على أن هذا هو المراد من الافتتاح بالتأخرة في الآيات
 الختام بقوله عطا على ما تقديره فالله على ما يشاء قدير (والله عليم) باحوال خلقه (حكيم)
 فيما فعله بهم وقيل انه صلى الله عليه وسلم حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقال ابن عباس
 ومحمد بن كعب القرظي وغيرهما من المفسرين لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعراض
 قومه عنه وشق عليه ما رأى من مبعدهم لما جاءهم به غنى في نفسه أن يأتيهم من الله ما يقارب
 بينه وبين قومه وذلك لحرصه على ايمانهم فجلس ذات يوم في ناد من أندية قريش كسيرا أهله
 وأحب يومئذ أن يأتيه من الله تعالى شيء لم يضره وعنه وقتي ذلك فأنزل الله تعالى سورة والنجم اذا
 هوى فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ أفرأيت اللات والعزى ومناة الثالثة
 الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى أن قال تلك القرانتي العلى وان
 شفاعتهن لترجي فصرح به المشركون ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءة السورة
 كلها وسجد في آخرها وسجد المسلمون لسجوده وسجد جميع من في المسجد من المشركين فلم يبق
 في المسجد مؤمن ولا كافر الا سجد سوى الوليد بن المغيرة وأبو أحيحة سعيد بن العاص فانهما
 أخذوا حفنة من البطء ورفعها على جبهتهما وسجدا عليها لانهما كانا مشركين كبيرين فلم
 يسب طبعها السجود وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا وقالوا قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن
 الذكر وقالوا قد عرفنا أن الله تعالى يحيي ويميت ويرزق ولكن هذه آلهتنا نشفع لنا عنده فاذا

جعل لهم محمدًا تصيافضن معه فلما أُنسب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمما جبريل فقال
 يا محمد ماذا صنعت لقد تلوت على الناس ما لم آتتك به عن الله عز وجل فخرن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم حزنًا شديدًا وخاف من الله تعالى خوفًا شديدًا فأُنزل الله تعالى هذه الآية تزيه له
 وكان به رحيمًا وسع بذلك من كان بأرض الحبشة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وبلغهم
 سيحود قريش وقيل قد أسلمت أهل مكة فرجع أكثرهم إلى عشائرهم وقالوا هم أحب إلينا
 حتى إذا نادوا من مكة ببلغهم أن الذي كانوا يتحدثون به من اسلام أهل مكة كان باطلا فلم يدخل
 أحد منهم إلى الجوار مستخفيًا فلما نزلت هذه الآية قالت قريش ندم محمد على ماذا كرم من منزلة
 آلهتنا عند الله تعالى فغير ذلك قال الرازي هذه رواية عامة للمفسرين الظاهرة أما أهل
 التحقيق فقد قالوا هذه الرواية باطلة موضوعة واحتجوا على البطلان بالقرآن والسنة والمعقول
 أمّا القرآن فموجود أحداهما قوله تعالى ولولا قول علمنا بعض الأقاويل لاخذنا منه بالبين ثم
 لقطعنا منه الوتين ثانياً قوله تعالى قل ما يكون لي أن أبذله من لقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى
 إليّ نالها قوله تعالى وما ينطق عن الهوى وأما السنة فمما روى عن محمد بن خزيمة أنه
 سئل عن هذه القصة فقال هذا من وضع الزنادقة ووصف فيه كتابًا وقال البيهقي هذه القصة
 غير ثابتة من جهة النقل فقد روى البخاري في صحيحه أنه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة التجم
 ووجد فيها وجدًا للمسلمون والكفار والانس والجن وليس فيه حديث القرانق وأما المعقول
 فمن وجوه أحدها أن من جوز على النبي صلى الله عليه وسلم تعظيم الاوثان فقد كفر لأن من
 المعلوم بالضرورة أن النبي كان معظمه سبعة في نبي الاوثان ثانياً قوله تعالى فينسخ الله ما يلقى
 الشيطان ثم يحكم الله آياته وازالة ما يلقى الشيطان عن الرسول صلى الله عليه وسلم أقوى من
 نسخ هذه الآيات التي تبقى الشبهة معها فإذا أراد الله تعالى احكام الآيات لتلايقبس
 ما ليس بقرآن فأبى عن الشيطان من ذلك أصلاً ولي ثالثها وهو أقوى الوجوه لوجوزنا
 ذلك ارتفع الايقان عن شرعه وبلجوزنا في كل واحد من الاحكام والشرائع أن يكون كذلك
 فيبطل قوة تعالى ببلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من
 الناس فانه لا فرق في العقل بين نقصان من الوحي وبين الزيادة فيه وزاد الرازي أدلة أخرى
 على ذلك ثم قال وقد عرفنا أن هذه القصة موضوعة أكثر ما في الباب ان جعلنا من المفسرين
 ذكرها وخبر الواحد لا يارض الدلائل العقلية والنقلية المتواترة انتهى وهذا هو الذي
 يطعن اليه القلب وان أظن اب جبر العسقلاني في صحتها ثم قال وحسن دفته بين تأويل ما وقع
 فيها بما يشكر وهو قوله ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرائق الخ انتهى وعلى القول بما قد
 سلك العلماء في ذلك مسائل أحسنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرتل القرآن فارتدته
 الشيطان في سكتة من السكات ونطق بتلك الكلمات مما يكافئتمته بحيث سمعه من دالبيه
 فظن بها من قوله وأشاعها وقال البيضاوي بعد أن ذكر بعض هذه القصة وهو مردود عند
 المحققين وان صح ما بينه فلا يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه انتهى قال ابن الاثير
 والغرائق هنا الاصطلاح على الاصل للذكور ومن طير الماء واحدها حافز نوق وضمير في سبي به

ليأمنه قال وكذا برعون أن الاصنام تقر بهم من الله وتشفع لهم فشبهت بالطيور التي تعلق
إلى السماء وترتفع وقبل تمنى أي قرأ كقول حسان في حق عثمان بن عفان

تمنى كتاب الله أول ليلة * تمنى داود اليزور على رسل

أي على ثأن وتمهل * ولما ذكر سبحانه وتعالى ما حكم به من تمكين الشيطان من هذا الالتقاء
ذكر العلة في ذلك بقوله تعالى (ليجعل ما يلقى الشيطان) أي في المتأول والمحدث به من تلك الشبهة
في قلوب أوليائه على التفسير الأول وعلى الثاني وغيره يقول بما يناسبه (قننة) أي اختبأوا
وامتنعوا (لذبن في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق (والقاسية) أي الجافية (قلوبهم) عن قول
الحق وهم المشركون (وان الظالمين) أي الواضحين لاقوالهم وأفعالهم في غير مواضعها
كفعل من هو في الظلام (لني شقاق) أي خلاف لكونهم في شق غير شق حزب الله بمعاجرتهم في
الآيات بتلك الشبهة التي تلقوها من الشيطان وجادلوا بها أوليائه الرحمن (بعيد) عن الصواب
لتصفي إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة ويرضوه وليقتروا ما هم مقترفون وعلى ثبوت
ذكر القصة وجرى عليه الجلال المهلى قال انهم في خلاف طويل مع النبي صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين حيث جرى على لسانه ذكر آلهتهم بما يرضيهم ثم أبطل ذلك (وليعلم الذين أووا العلم)
باتقان حججه واحكام براهينه وضعف شبه المعاجزين (أنه) أي الشيء الذي تلاوته وتحدثت به
(الحق) أي الثابت الذي لا يمكن زواله (من ربك) أي المحسن اليك بتعليم آياته (فيؤمنوا به)
لمساظرهم من صحنه بما ظهر من ضعف تلك الشبهة (فصحت) أي طمئت وتخصع (له قلوبهم)
وتسكن به نفوسهم (وان الله) بجلاله وعظمته (لهادى الذين آمنوا) في جميع ما يليقه أوليائه
الشيطان (الى صراط مستقيم) أي قويم وهو الاسلام يصلون به الى معرفة بطلانه حتى لا تطغى
حيرة ولا تغتر بهم شبهة فيوصلهم ذلك الى سعادة الدارين (ولا يزال الذين كفروا) أي وجد
منهم الكفر وطبعوا عليه (في صرية) أي شك (منه) قال ابن جرير أي من القرآن وقيل مما
ألقى الشيطان على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون فإياه ذكر كما يجحون ارتد عنها وقيل من
الدين وهو الصراط المستقيم (حتى تأتيهم الساعة) أي القيامة وقيل أشراطها وقيل الموت
(بغتة) أي فجأة (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) قال عكرمة والضحاك لا ليل بعده وهو يوم القيامة
والاصكثون على أنه يوم بدروسي عقيم لأنه لم يكن في ذلك اليوم للكفار خير كالشيخ العظيم
التي لا تأتي بجحر وقيل لأنه لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه ويقوى التفسير الأول
قوله تعالى (الملك يومئذ) أي يوم القيامة (الله) أي المحيط بجميع صفات الكمال وحده * ولما
كان كانه قيل ما منى اختصاصه بكل الأيامه قبل (يحكم بينهم) أي المؤمنين والكافرين
بالامر القليل الذي لاحكم فيه ظاهرا ولا باطنا لغيره كما تزونه الآن بل يعنى فيه الامر على أم
شي من العدل (فالذين آمنوا وعملوا) أي وصدقوا دعواهم الايمان بأن عملوا (الصالحات) وهي
بأمرهم الله (في جنات النعيم) فضلاله ووجه لهم بما رحمهم الله تعالى من توقيفهم للاعمال
الصالحات (والذين كفروا) أي ستروا ما أعطيناهم من المعرفة بالادلة على وحدا (انما) وكذبوا

يَا آيَاتُنَا) أَي سَاعِينَ بِمَا أُعْطَيْنَاهُمْ مِنَ الْقَهْمِ فِي تَجْمِيزِهَا بِالْمَجَادَّةِ بِمَا يُوْحَى إِلَيْهِمْ أَوْلِيَا وَهُمْ مِنَ
 الشَّيَاطِينِ مِنَ الشَّبَهَةِ (فَأَوْلَيْتُكَ) أَي الْبَعْدَاءِ عَنِ أَسْبَابِ الْكُرْمِ (لَهُمْ عَذَابٌ مِهِينٌ) أَي شَدِيدٌ
 بِسَبَبِ مَا سَعَوْا فِي آهَانَةِ آيَاتِنَا بِرَيْدِينَ اعْتِرَازًا نَفْسَهُمْ بِمَعَايِشِ الْتَكْبِيرِ عَنِ آيَاتِنَا (فَانْقِيلُ)
 لَمْ أَدْخُلِ الْقَاءَ فِي خَبَرِ السَّانِي دُونَ الْآوَلِ (أَجِيبُ) بِأَنَّ فِي ذَلِكَ تَنْبِيْهًا عَلَى أَنَّ آثَابَةَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْجَنَانِ
 قَدْ فَضَّلَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّ عِقَابَ الْكَافِرِينَ مِنْ سَبَبٍ عَنِ أَعْمَالِهِمْ وَلِذَلِكَ قَالَ لَهُمْ عَذَابٌ وَلَمْ يَقُلْ
 هُمْ فِي عَذَابٍ • وَلَمَّا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ فِي حَصْرٍ مَعَ الْكُفَّارِ رَغِبَ إِلَيْهِمُ اللَّهُ فِي الْهَجْرَةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى
 (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أَي فَارَقُوا أَوْطَانَهُمْ وَعَشَائِرَهُمْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَطَلَبِ مَرْضَاتِهِ مِنْ
 مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ (ثُمَّ قَاتَلُوا) فِي الْجِهَادِ بَعْدَ الْهَجْرَةِ وَقَرَأَ ابْنُ عَابَرَ بِشَدِيدِ التَّوَابِ وَالْبَاقُونَ
 بِالْتَضْيِيفِ وَالْحَقُّ بِهِ مُطْلَقُ الْمَوْتِ فَضْلًا مِنْهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (أَوْ مَاتُوا) أَي مِنْ غَيْرِ قَتْلِ (لِيَرْزُقَهُمُ اللَّهُ)
 أَي الْجَمَاعَ لِصِنَاتِ الْكَيْلِ (رِزْقًا حَسَنًا) هُوَ رِزْقُ الْجَنَّةِ مِنْ حِينَ تَفَارَقَ أَرْوَاحُهُمْ أَشْبَاهَهُمْ
 لِأَنَّهُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ (وَإِنَّ اللَّهَ) أَي الْمَلِكُ الْأَعْلَى الْقَادِرُ عَلَى الْإِحْيَاءِ كَمَا قَدَّرَ عَلَى الْإِمَانَةِ (لَهُوَ)
 خَيْرُ الرَّازِقِينَ) فَانَّهُ رِزْقُهُ بِحَسَابِ رِزْقِ الْخَلْقِ عَامَةً الْبَارِئِينَ وَالْفَاجِرِ (فَانْقِيلُ) الرَّازِقُ
 فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى لِأَنَّ رِزْقَ الْخَلْقِ غَيْرُهُ فَكَيْفَ قَالَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (أَجِيبُ) بِأَنَّ غَيْرَ اللَّهِ
 يُسَمَّى رِزْقًا عَلَى الْمَجَازِ كَقَوْلِهِمْ رِزْقُ السُّلْطَانِ الْجَيْشِ أَي أَعْطَاهُمْ أَرْزَاقَهُمْ وَإِنْ كَانَ الرَّازِقُ
 فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى • وَلَمَّا كَانَ الرَّزْقُ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِجَسَدِ الدَّارِ وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَفْضَلِ الرَّزْقِ قَالَ
 تَعَالَى دَلَّ الْأَعْلَى خَتَمًا الَّذِي قَبْلَ (أَيْدِي خَلْقِهِمْ مَدْخَلًا بِرِضْوَانِهِ) هُوَ الْجَنَّةُ يَكْرُمُونَ فِيهَا بِعَالَمِ الْعَيْنِ وَأَتَتْ
 وَلَا أَدْنَى • سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَسْرٍ وَلَا يَنْلَهُمْ فِيهَا مَكْرَهُمْ وَقِيلَ هُوَ خِيْمَةٌ فِي الْجَنَّةِ مِنْ دَرَّةٍ
 بِيضَاءٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مِصْرَاعٍ وَقَرَأَ نَافِعٌ بِفَتْحِ الْمِيمِ أَي دَخُولًا أَوْ مَكَانَ دَخُولِ وَالْبَاقُونَ بِالضَّمِّ
 أَي ادْخَالًا أَوْ مَكَانَ ادْخَالِ (وَإِنَّ اللَّهَ) أَي الَّذِي عَمَّتْ رِجَّتُهُ وَتَمَّتْ عَظَمَتُهُ (لَعَلِمِ) أَي بِمَقْصَدِهِمْ
 وَمَا عَمِلُوا مِنْ مَرِيضِيهِ وَغَيْرِهِ (حَلِيمِ) عَمَّا قَصُرَ وَاقِفِهِ مِنْ طَاعَتِهِ وَمَا فَتَرَطُوا فِي جَنَبِهِ تَعَالَى فَلَا
 يَعْجَلُ أَحَدًا بِالْعُقُوبَةِ رَوَى أَنَّ طَوَاقِفَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا يَا نَبِيَّ
 اللَّهُ هُوَ لَا الَّذِينَ قَتَلُوا قَدْ عَلِمْنَا مَا أَعْطَاهُمْ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْخَيْرِ وَنَحْنُ نَجَاهِدُكَ كَمَا جَاهِدُوا وَإِنَّا
 أَنْ مَسَامِعُكَ فَانزَلِ اللَّهُ تَعَالَى هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ (ذَلِكَ) أَي الْأَمْرَ الْمُقَرَّرَ مِنْ مَقْصَدَاتِ اللَّهِ تَعَالَى
 الَّذِي قَصَصْنَاهُ عَلَيْكَ (وَمَنْ عَاقَبَ) أَي جَازَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (بِعَمَلِ مَا عَاقَبَ بِهِ) ظُلْمًا مِنَ
 الْمُشْرِكِينَ أَي خَاتَلَهُمْ كَمَا قَاتَلُوهُ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ (ثُمَّ يَفِي عَلَيْهِ) أَي ظَلَمَ بِإِخْرَاجِهِ مِنْ مَنْزِلِهِ قَالَ
 مِقَاتِلُ نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَوْ أَقْوَامٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِلْبَلَدَيْنِ بَقِيَّتَا مِنْ حَرَمٍ فَقَالَ بَعْضُهُمْ
 لِبَعْضٍ إِنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ يَكْرَهُونَ الْقِتَالَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ فَأَجْهَلُوا عَلَيْهِمْ فَنَاشَدَهُمُ الْمُسْلِمُونَ وَكَرَهُوا
 قِتَالَهُمْ وَمَا أَوْهَمَ أَنْ يَكْتُمُوا عَنِ الْقِتَالِ لِأَجْلِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ فَبَاقِيَ الْمُشْرِكُونَ فَقَاتَلُوهُمْ فَذَلِكَ
 بِغَيْرِهِمْ عَلَيْهِمْ وَنَبَتْ الْمُسْلِمُونَ لَهُمْ فَفَضَّرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى (لِيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ) أَي
 الَّذِي لَا كُفَّهَ (إِنَّ اللَّهَ) أَي الَّذِي أَحْطَا بِكُلِّ شَيْءٍ قُدْرَةً وَعَمَلًا (لَعَقُوقُ) عَنِ الْمُؤْمِنِينَ (غَضُورُ) لَهُمْ
 (فَانْقِيلُ) لَمْ يَسْمَعْ إِتْدَاءَ فَعَلُهُمْ عُقُوبَةً مَعَ أَنَّ الْعِقَابَ مِنَ الْعُقُوبِ وَهُوَ مُتَّفِقٌ فِي الْإِتْدَاءِ

(أجيب) بأنه أطلق عليه ذلك للعلق الذي بينه وبين الثاني كقوله تعالى وجبراً سيئة سيئة مثلها
يخادعون الله وهو خادعهم وكما في قوله كما تدبرن تدان (فان قيل) كيف طابق ذكر العفو الغفور
في هذا الموضوع مع أن ذلك الفعل جائز للمؤمنين لانهم مظلومون (أجيب) بأن المنصرف لما تبع
هواه في الانتقام وأعرض عما ندب الله تعالى له بقوله تعالى ولن صبر وغفران ذلك لمن عزم
الامور وبقوله تعالى فن عفواً وأصلح فأجره على الله وبقوله تعالى وأن تعفوا أقرب للتقوى فكان
في اعراضه عما ندب اليه نوع اساءة أدب فكانت تعالى قال عفوت عن هذه الاساءة وغفرت له فإني
أنا الذي أذنت له فيها وفي ذكر العفو تنبسه على أنه تعالى قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو
الا القادر على ضده (ذلك) أي النصر (بأن الله) أي المتصف بجميع صفات الكمال (ويج) أي
يدخل لاجل مصالح العباد المسمى والمحسن (الليل في النهار) فيمعوظ لانه بضايه ولو شاء الله
تعالى مؤاخذه الناس لبعده سرمد اقتعلت مصالح النهار (ويج النهار في الليل) فينبخ
ضياه بظلامه ولو لذلك لتعلت مصالح الليل أو بأن يدخل كلا منهما في الآخر فيزيد به وذلك
من أثر قدرته التي هي النصر (وأن الله) بجلاله وعظمته (سميع) الكل ما يقال (بصير) لكل
ما يفضل دائم الاتصاف بذلك فهو غير محتاج الى سكون الليل للسمع وللضياء النهار ليبصر لانه
سبحانه وتعالى منزّه عن الاغراض * ولما ووصف تعالى نفسه بما ليس لغيره عليه بقوله تعالى (ذلك)
أي الاتصاف بتمام القدرة وشمول العلم (بأن الله) أي القادر على كل ما أراد (هو) وحده
(الحق) أي الثابت الواجب الوجود (وأن ما يدعون) أي يعبدوا المشركون (من دونه) وهو
الاصنام (هو الباطل) الزائل وقرانافع وابن كثير وابن عامر وشعبة نالوا على الخطاب للمشركين
والباقون بالياء على الغيبة وأن هذه مقطوعة من مافي الرسم (وأن الله) لكونه هو الحق
الذي لا كف له (هو) وحده (العلي) أي العال على كل شيء بقدرته (الكبير) وكل ما سواه
سافل حقير تحت قهره وأمره * ثم انه سبحانه وتعالى استدل على كمال قدرته بأمر ستة الاقوال
قوله تعالى (الم تر) أي أيم الخطاب (أن الله) أي المحيط بقدرة وعلما (أنزل من السماء ماء) أي
مطرا بأن يرسل رياحاً كثيرة يحياها فيمطر على الارض الماء (فتصبح الارض) أي بعد أن كانت
مسودة يابسة ميتة جامدة (مخضرة) حية يانعة مهتزة نامية بما فيه رزق العباد وعمارة البلاد
(فان قيل) لم قال تعالى فتصبح ولم يقل فأصبحت أجيب بأن ذلك لتكنة وهي افادة بقاء المطر زمانا
بعد زمان كما تقول أتم على فلان عام كذا فأرواح وأعدو ساكراله ولو قلت فرحت وغدوت
ساكراله لم يقع ذلك الموضع (فان قيل) لم رفع ولم نصب جوابا للاستفهام (أجيب) بأنه لو نصب
لا عطي عكس ما هو الفرض لان معناه أثبتت الاخضر فينقلب بالنصب الى نقي الاخضر
ووجه ذلك بأن النصب بتقدير أن وهو علم للاستقبال فيجعل الفعل مترقا والرفع حزم باثباته
مثاله أن تقول لصاحبك أتم تراني أنعمت عليك فتشكر فان نصبته فأنتم ناف لشكره مثاله
في تفریطه فيه وان رفعته فأنتم مثبت لشكره وهذا وأمثاله مما يجب أن يتنبه له من اتسم
بالعلم في علم الاعراب وبتوقير أهل (أن الله) أي الذي له تمام النعم وكال المعلم (لطيف) بعبادته في

اخراج النبات بالماء (خبير) أي بمصالح الخلق ومنافعهم فانه مطلع على السر الروان دقت فلا
 يستبد عليه احبائه من أراد بعد موته وقال ابن عباس لطف بأرزاق عباده خبير بما في
 قلوبهم من القنوط الامر الثاني قوله تعالى (له ما في السموات) أي التي أنزل منها الماء (وما في
 الارض) أي التي استقر فيها ملكا وخلقاً (وان الله) أي الذي له الاحاطة التامة (لهو) أي
 وحده (الغني) في ذاته عن كل شيء (الجسد) أي المستوجب للحمد بصفاته وأفعاله الامر
 الثالث قوله تعالى (ألم تر) أي أيها مخاطب (أن الله) ذا الجلال والاكرام (صخر لكم) فضلامنه
 (ما في الارض) كله من مسالكها وبجائها وما فيها من حيوان وجماد وزرع وغمار فلا تسخيره
 تعالى الا بل والبرقع فوته ما حتى ذللهما للضعف من الناس لما اتفق بهما أحد منهم الامر
 الرابع قوله تعالى (والفلك) أي وصخر لكم الفلك أي السفن ثم بين تسخيرها بقوله (تجرى في
 البحر) العجاج المتلاطم بالامواج بريح طيبة للركوب والجل (بأمره) أي بأذنه الامر الخامس
 قوله تعالى (ويسد السماء) أي كراهة (أن تقع على الارض) التي تحتها علقها وعظمها وكونها
 بغير عذقتكم (والابانته) أي عيشته فيقع ذلك يوم القيامة حين يريد طي هذا العالم ويجاد
 عالم البقاء (ان الله) أي الذي له الخلق والامر (بالناس) أي على ظلمهم (لرؤف) أي بما يحفظ من
 سرائرهم (رحيم) أي حيث هبأ لهم أسباب الاستدلال وفتح لهم أبواب المنافع ودفع عنهم أبواب
 المضار (وهو) أي وحده (الذي أحياكم) أي عن الجمادية بعد أن أوجدكم من العدم (تمحيصكم)
 أي عند اقتضاه آجالكم ليكون الموت واعظا لاولي البصائر منكم (تمحيصكم) أي يوم البعث
 للثواب والعقاب واطهار العدل في الجزاء (ان الانسان) أي المشرك (للكفور) أي
 بليغ الكفر حيث لم يشكر على هذه النعم المحيطة به فيوحده الله تعالى وقال ابن عباس هو
 الاسود بن عبد الاسد وأبو جهل والعاص بن وائل وأبي بن خلف فال الرازي والاولى تعجبه
 في كل المنكرين (للكل أمة) أي في كل زمان (جعلنا منسكا) قال ابن عباس شريعة يعبدن
 بها (هم ناسكوه) أي عاملون بها وروى عنه أنه قال عبدا وقال مجاهد وقادة موضع
 قربان يذبحون فيه وقيل موضع عبادة وقرأ أجزءة والكسائي منسكا بكسر السين والساكنون
 بضمها فلا ينزعنك في الامر) أي أمر الذبايح نزلت في بديل بن ورقاء وشمر بن سفيان ويريد بن
 خنيس قالوا الاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما لكم تأكلون مما تقتلون ولا تأكلون مما قتله الله
 تعالى يعنون الميتة وقال الزجاج هونن له صلى الله عليه وسلم عن منازعتهم كما تقول لا يضاربك
 فلان أي فلا تضاربه وهذا جائز في الفعل الذي لا يكون الا بين اثنين معناه لا تنازعهم
 أئمت (وادع) أي أوقع الدعوة لجميع الخلق (الحربك) الحسن البكري الذي دینه ثم عمل ذلك
 بقوله (انك) مؤكده بحسب ما عندهم من الانكسار (لعل هدى) أي دين واضح (مستقيم)
 هودين الاسلام (وان جادلوك) أي في أمر الدين بعد ان ظهر الحق ولزمت الحجة (فصل الله)
 أي الملك المحبط بالعز والعلم (أعلم بالصالحين) من الجهادة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليه
 وهذا وعيد فيه وفق وكان ذلك قبل الامر بالقتال ولما أمر الله تعالى بالامراض منهم وكان

ذلك شديدا على النفس لتسوقها الى النصرة رجا في ذلك بقوله تعالى مستأنا فاحذروهم (الله)
 أى الذى لا كف له (يحكم بينكم) أى ينيك مع اتباعك وبينهم (يوم القيامة) الذى هو يوم
 التغابن (فما كنتم فيه تفتخرون) من أمر الدين ومن نصر ذلك اليوم لم يبال بما حل به فهو كقوله
 وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون قال البغوى والاختلاف ذهاب كل واحد من الخصمين
 الى خلاف ما ذهب اليه الآخر (الم تعلم أن الله) بجلال عزه وعظيم سلطانه (يعلم ما فى السماء
 والارض) فلا يخفى عليه شئ (ان ذلك) أى ما ذكر (فى كتاب) كتب فيه كل شئ حكم بوقوعه
 قبل وقوعه وكتب جزاؤه وهو اللوح المحفوظ (ان ذلك) أى علم ما ذكر (على الله) وحده
 (بسر) أى سهل لان عمله مقتضى ذاته المتعلق بكل المعلومات على السواء (ويعبدون) أى
 المشركون على سبيل التجدد والاستمرار (من دون الله) أى من أدنى رتبة من رتبة الذى
 قامت جميع الدلائل على احتوائه على جميع صفات الكمال وتزويه عن شوائب النقص
 (الم ينزل به سلطانا) أى حجة واحدة من الحجج وهو الاصنام (وماليس لهم به علم) حصل لهم من
 ضرورة العقل واستدلاله بالحنة (ومال الظالمين) أى الذين وضعوا التعبد فى غير موضعه
 لارتكابهم لهذا الامر العظيم الخطر وأكذبتى واستغرق المنى باثبات الجار فقال تعالى
 (من نصير) أى ينصرهم من الله لا بما أشركوه به ولا من غيره فيدفع عنهم عذابه أو يقترمذهم
 (واذا تسلى) أى على سبيل التحذير والمبالغة من أى تال كان (عليهم آياتنا) أى من القرآن حال
 كونها (بينات) لاختفاء فيها عند من له بصيرة فى شئ مما دعيت اليه من الاصول والفروع
 (تعرف فى وجوه الذين كفروا) أى تلبسوا بالكفر (المنكر) أى الانكار الذى هو منكر فى
 نفسه فيظهر أثره فى وجوههم من الكراهة والعبوس لما حصل لهم من الغيظ • ثم بين ما لاح
 فى وجوههم بقوله تعالى (يكادون يسطون) أى يوقعون السطوة بالبطش والعنف (بالذين يتلون
 عليهم آياتنا) أى الدالة على أسماءنا الحسنى وصفاتنا العليا القاضية بوحدا يتنمى كونها
 بينات فى غاية الوضوح فى أنها كلامنا لما فيها من الحكم والبلاغة التى عجزوا عنها ثم أمر الله
 تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقابلهم بالوعيد بقوله تعالى (قل أفأنسكم) أى أفأخبركم خيرا
 عظيما (بشر من ذلكم) بأكره اليكم من القرآن المتلوق عليكم وقوله تعالى (النار) كانه جواب
 سائل قال ما هو قبيل النار أى هو النار ويجوز أن تكون مبتدأ أخبره (وعدها الله الذين كفروا)
 جزاء لهم فبئس الموعدة (وبئس المصير) أى النار وما بين تعالى أنه لا حجة لعابد غيره اتجه
 بأن الحجة قائمة على أن ذلك النصير فى غاية الحقارة فقال تعالى مناديا أهل العقل منها تسيها عاما
 (يا أيها الناس ضرب مثل) حاصله أن من عبدتوه من الاصنام أحقر منكم (فاستمعوا)
 أى انصتوا (له) وتذبروه ثم فسره بقوله تعالى (ان الذين تدعون) أى تعبدون وتدعونهم
 فى حوايجكم وتجعلونهم آلهة (من دون الله) أى الملك الاعلى من هذه الاصنام التى أنتم بها
 مفترون (لن يخلفوا ذابا) أى لا قدرة لهم على ذلك فى زمن من الأزمان على حال من الاحوال
 مع صغر فكيف بما هو أكبر منه (ولوا جمعوا) أى الذين زعمتمهم شركاء (له) أى الخلق فهم

في هذا أمثالكم * (تنبيه) * محل ولو اجتمعوا له النص على الحال كأنه قال تعالى يستحيل
 أن يخلقوا الذباب مشروطين عليهم اجتماعهم لخلقهم وتعاونهم عليه وهذا من أبلغ ما أنزل الله
 تعالى في تجهيل قريش واسترك كل عقولهم والشهادة على أن الشيطان قد خدعهم بخداعه
 حيث وصفوا بالالهية التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة بالمعلومات عن
 آخرها صوراً وتماثيل يستحيل منها أن تقدر على أقل ما خلقه الله تعالى وأذله وأصغره وأحقره
 ولو اجتمعوا ذلك وتساندوا وأدل من ذلك على عجزهم واتقاء قدرتهم - من هذا الخلق الأقل
 الأذل لو اختلف منهم شيئاً فاجتمعوا على أن يستخصوه منه لم يقدروا كما قال تعالى (وان يسلمهم
 الذباب) أي الذي تقدم أنهم لا قدرة لهم على خلقه وهو غاية في الحقايرة (شيئاً) أي من الأشياء جل
 أو قل (لا يستنقذونه منه) العجزهم فكيف يجعلونهم شركاء الله هذا أمر مستغرب عبر عنه بضرب
 مثل * (تنبيه) * الذباب مفرد وجعه القليل أذبة والكثير ذبان مثل غراب وأغربة وغربان
 وعن ابن عباس أنهم كانوا يطلون الأصنام بالزعفران ورؤسها بالعسل ويغلقون عليها الأبواب
 فدخل الذباب من الكوى فبأكله وعن ابن زيد كانوا يحلون الأصنام بالواقيت واللاقي
 وأنواع الجواهر ويطيبونها بأوان الطيب فرمى بسقط شيء منها فأخذها طائراً وذباب فلا
 تقدر الآلهة على استرداده منه (ضعف الطالب) قال الضحاك هو العابد (والمطلوب) المعبود
 وقال ابن عباس الطالب الذباب يطلب ما سلب من الطيب الذي على الصنم والمطلوب هو
 الصنم وقيل على العكس الطالب الصنم والمطلوب الذباب أي لو طلب الصنم أن يخلق الذباب
 لعجز عنه * ولما أنتج هذا جهلهم بالله عز وجل عبر عنه بقوله تعالى (ما قدروا الله) أي الذي له
 الكمال كله (حق قدره) أي ما عظموه وحق تعظيمه وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق صفته
 حيث أشركوا به ما لا يمنع من الذباب ولا ينصف منه (إن الله) أي الجامع لصفات الكمال
 (القوى) على خلق الممكآت بأسرها (عزير) أي لا يغيبه شيء وأهتهم التي يعبدونها عاجزة
 عن أقلها مقهورة من أذلها قال الكلبي في هذه الآية وفي تفسيرها في سورة الأنعام أنها نزلت في
 جماعة من اليهود مالك بن الصبف وكعب بن الأشرف وكعب بن أسد وغيرهم حيث قالوا إن الله
 تعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض وأجناس خلقها استلقى واستراح ووضع إحدى
 رجليه على الأخرى فنزلت هذه الآية تكذيباً لهم ونزل قوله تعالى وما مسنن من لغوب قال
 الرازي واعلم أن منشأ هذه التشبيه هو القول بالتشبيه فيجب تنزيه ذات الله تعالى عن مشابهة
 سائر الذات خلاف ما يقوله المشبهة وتنزيه صفاته عن مشابهة سائر الصفات خلاف ما يقوله
 الكرامية وتنزيه أفعاله عن مشابهة سائر الأفعال أعني عن الغرض والدواعي واستحقاق المدح
 والذم خلاف ما يقوله المعتزلة قال أبو القاسم الأنصاري رحمه الله تعالى فهو سبحانه وتعالى خير
 النعت عزير الوصف فالوهم لا تصور والافكار لا تقدره والعقول لا تمتلئها والازمنة لا تدركه
 والجنان لا تعقوبه ولا يتخذه صمدى الذات سرمدى الصفات * ولما ذكر سبحانه وتعالى ما يتعلق
 بالالهيات ذكر ما يتعلق بالنبوات بقوله تعالى (الله) أي الملك الأعلى (يسمطى) أي يختار ويختص

(من الملائكة رسلاً) جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم الصلاة والسلام (ومن
 الناس) كبارهم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم نزلت حين قالت المشركون
 أنزل عليه الذر من بيننا فأخبر تعالى أن الاختيار إليه يختار من يشاء من خلقه (إن الله) أى
 الذى له الجلال والجلال (سميع) لفعالتهم (بصير) بن يتخذ رسولاً (يعلم ما بين أيديهم) أى الرسل
 (وما خلفهم) أى علمه محيط بما هم مطلعون عليه وبما غاب عنهم فلا يفعلون شيئاً إلا بأذنه (والى الله)
 أى وحده تعالى (ترجع) بقافية السهولة (الأمور) يوم يتجلى لفصل القضاء فيكون أمره ظاهراً
 لاختفاء فيه ولا يصدر شئ من الأشياء الا على وجه العدل الظاهر لكل احد ولا يكون لاحد
 المقات الى غير: وقرأ ابن عاصم وحزرة والكسائي بفتح التاء وكسر الجيم والباقون بضم التاء وفتح
 الجيم ولما ثبت سبحانه وتعالى أن الملك والامر له وحده خاطب القبلين على دينه وهم الخلق
 من الناس بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) أى تلبسوا بالايمان (اركعوا) تصديقاً لايمانكم
 (واسجدوا) أى صلوا الصلاة التى شرعها لكم فانها رأس العبادة ليكون دليلاً على صدقكم فى
 الاقرار بالايمان * (تبييه) * اماخص هذين الركنين فى التعبير عن الصلاة لانهما الخافضتا
 الهيئات المعادة هما الان على الخضوع فحسن التعبير بهما وذكر عن ابن عباس ان الناس
 كانوا فى أول الاسلام يركعون ولا يسجدون وقيل كان الناس أول ما أسلموا يسجدون بلا ركوع
 ويركعون بلا سجود حتى نزلت هذه الآية ولما خص أفضل العبادة عم بقوله تعالى (واعبدوا)
 أى بأنواع العبادة (ربكم) أى المحسن اليكم بكل نعمة دينية ودنيوية * ولما ذكر عوم العبادة
 اشبهها ما قد يكون أعم منها مما صورته صورتها وأقديكون بلائمة فتقال (وافعلوا الخير) أى كاه
 من القرب كصلة الارحام وعبادة المريض ونحو ذلك من معالى الاخلاق بنية وبغير نية حتى يكون
 لكم ذلك عادة فيخف عليكم عمل الله تعالى قال أبو حيان بدأ تعالى بخالص وهو الصلاة ثم عام
 وهو واعبدوا ربكم ثم بأعم وهو وافعلوا الخير (لعاكم تفلحون) أى افعلوا هذا كاه
 وأتم راجون الفلاح وهو الفوز بالبقاء فى الجنة طامعون فيه غير مستيقنين ولا تشكوا على
 أعمالكم وقال الامام أبو القاسم الانصارى لعل كلمة ترج تشعر بان الانسان قلباً يخلج فى
 أداء فريضة من تقصير وليس هو على يقين من أن الذى أتى به مقبول عند الله والعواقب
 مستورة وكل ميسر لما خلق له * (تبييه) * اختلف فى سجود التلاوة عند قراءة هذه الآية
 فذهب قوم الى أنه يسجد عندها وهو قول عمرو على وابن عمرو وابن مسعود وابن عباس وبه قال ابن
 المبارك والشافعى وأجدوا بحق لظاهر ما فيها من الامر بالسجود وقول البيضاوى ولقوله صلى
 الله عليه وسلم فضلت سورة الحج يسجدت من لم يسجد ما فلا يقرأها ما حدثت ضعيف
 رواه الترمذى وضعفه وذهب قوم الى أنه لا يسجد وهو قول سفیان الثورى وقول أبي حنيفة
 وأصحابه لانهم يقولون قرن السجود بالركوع فى ذلك فدل ذلك على انها سجدة صلاية لا يسجد
 تلاوة * ولما كان الجهاد أساس العبادة وهو مع كونه حقيقة فى جهاد الكفار صالح لان يوم
 كل أمر معروف ونهى عن منكر بالمال والنفس بالقول والفعل بالسيف وغيره وكل جهاد

في تهذيب النفس وإخلاص العمل ختم به فقال تعالى (وجاهدوا في الله) أي لله فمن أجله
 أعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وقول البيضاوي وعنه عليه
 الصلاة والسلام أنه رجع من غزوة تبوك فقال وجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر
 حديث رواه البيهقي وضعف أسناده وقال غيره لأصل له قبل أراد الأصغر جهاد الكفار
 وبالأكبر جهاد النفس (حق جهاده) أي باستفراغ الطاقة في كل ما أمر به من جهاد العدو
 والنفس على الوجه الذي أمر به من الحج والفز وغيرهما (فان قيل) ما وجه هذه الأضافة
 وكان القياس حق الجهاد في الله وحق جهادكم في الله كما قال تعالى (وجاهدوا في الله) (أجيب)
 بأن الأضافة تكون بأدنى ملائمة واختصاص فلما كان الجهاد محتصا بالله من حيث أنه مفعول
 لاجله صحت إضافته إليه وعن مجاهد عن الكلبى إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى فاتقوا الله
 ما استطعتم ولما أمر الله تعالى بهذه الأوامر أتبعها بعض ما يجب به شكره وهو كالتعليل
 لما قبله فقال تعالى (هو اجتنابكم) أي اجتنابكم له ولضمرته وجعل الرسالة قبضكم
 والرسول منكم وجه له أشرف الرسل ودينه أشرف الأديان وكأبه أعظم الكتب وجعلكم
 لكونكم أتباعه خير الأام (وما جعل عليكم في الدين) أي الذي اختاره لكم (من حرج) أي
 من ضيق وشدة وهو أن المؤمن لا يبتلى بشئ من الذنوب إلا جعل الله تعالى له منه محرر جاعضا
 بالتوبة وبعضها برد المطالم والقصاص وبعضها بأشكال الكفارات من الأمراض والمصائب
 وغير ذلك فليس في دين الإسلام ما لا يجد العبد سبيلا إلى الخلاص من الذنوب ومن العقاب لمن
 وفقه الله تعالى وسهله عند الضرورات كالفقر والتيمم وأكل الميتة والفظر للريض والمسافر وغير
 ذلك قال صلى الله عليه وسلم إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم رواه البخاري وعن ابن عباس
 أنه قال الحرج ما كان على نبي أمرا يبل من الأصارات التي كانت عليهم وضعها الله تعالى عن هذه
 الأمة وقوله تعالى (مله أيبكم) نصب بزعم الخافض وهو الكفاف وعلى المصدر بضعل دل عليه
 مضمون ما قبله بوجه المضاف أي وسع دينكم توسعة ملة أيبكم وعلى الاعتراف أي اتبعوا ملة
 أيبكم وعلى الاختصاص أي أعني بالدين ملة أيبكم كقولك الحمد لله الجيد وقوله تعالى
 (إبراهيم) عطف بيان (فان قيل) لم كان إبراهيم أبا للأمة كلها (أجيب) بأنه أبو رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فكان أبا للأمة لأن أمة الرسول في حكم أولاده واختلف في عود ضمير (هو)
 على قولين أحدهما أنه يعود على إبراهيم عليه الصلاة والسلام وإن لكل نبي دعوة مستجابة
 ودعوة إبراهيم عليه السلام وبنوا جعلنا مسلمين لك ومن ذرينا أمة مسلمة لك فاستجاب الله
 تعالى له فخطبها محمد صلى الله عليه وسلم وأتمته والثاني أنه يعود على الله تعالى في قوله تعالى
 هو اجتنابكم وروى عطاء بن ابن عباس أنه قال إن الله تعالى (مماكم المسلمين من قبل) أي في
 كل الكتب التولية التي نزلت قبل أنزال هذا القرآن (وفي هذا) أي وسماكم في هذا القرآن الذي
 أنزل عليكم من بعد أنزال تلك الكتب وهذا القول كما قال الرازي أقرب لأنه تعالى قال (ليكون
 الرسول شهيدا عليكم) أي يوم القيامة أنه بليكم (وتكفروا شهداء على الناس) أي إن رسلكم

قوله فليس في دين
 الإسلام كذا في
 التسخ وهي عبارة
 غير مستقيمة وأنها
 سقط والصواب
 في محاذاتها أن
 يقال فليس في دين
 الإسلام ما لا يجد
 العبد سبيلا إلى
 الخلاص منه من
 الذنوب والآصار
 بل المحسرج من
 الذنوب بما سبق
 من التوبة وما معها
 لمن وفقه الله ومن
 الآصار بالتسهيل
 عند الضرورات
 كالفصل الخ ٥٦

بلغتهم فينبأ أنه قد أتى سماه بذلك لهذا الغرض وهذا اليليق الاذنه تعالى وانما كانوا شهداء على
الناس لساير الانبياء لانهم لم يفرقوا بين أحد منهم وعلوا ان أخبارهم من كتابهم على لسان نبيهم
محمد صلى الله عليه وسلم فلذلك صحّت شهادتهم وقبلها الحكم العدل وعن كعب أعطيت هذا
الامة ثلاثا لم يعطهن الا الانبياء جعلهم شهداء على الناس وما جعل عليهم في الدين من حرج
وقال تعالى ادعوني استجب لكم وعن أبي حاتم عن ابن زيد أنه قال لم يذكر الله بالايان والاسلام
غير هذه الامة ذكرها بما وكرهها ما جمعها ولم يسع بآمة ذكرت بالاسلام والايان غيرها وعن
مكحول ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تسحى الله عز وجل باسمي بي ما أتقى هو السلام وبسبي
أتقى المسلمين وهو المؤمن وبسبي أتقى المؤمنين * (تبينه) * في الآية دليل على أن شهادة غير المسلم
ليست مقبولة * ولما تدبهم تعالى ليكونوا خيرا لامم تسب عن ذلك قوله تعالى (فأقيموا الصلاة)
التي هي أركان قلوبكم وصلته ما بينكم وبين ربكم أي داوموا عليها (وأنوا الزكاة) التي هي
طهرة أبدانكم وصلته بينكم وبين اخوانكم (واعتصموا بالله) أي الهبط بجميع صفات الكمال
في جميع ما أمركم به من المناسك التي تقدمت وغيرها ثم علل تعالى أهليته بقوله تعالى (هو) أي
وخطه (مولاكم) أي المتولى لجميع أموركم فهو ينصركم على كل من يعاديكم بحيث أن تتكفوا
من اظهار هذا الدين من مناسك الحج وغيرها * ثم علل الامر بالاعتصام وتوحده بالولاية بقوله
تعالى (فتم المولى) أي هو (ونعم النصير) أي الناصر لكم لانه تعالى اذا تولى أحدا كفاه كل
ما أهمه واذا نصر أحدا أعلاه عن كل من خصه ولا يزال العبد يتقرب اليه بالانوافل حتى أحبه
فاذا أحبت الحديث انه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت وهذا نتيجة التقوى وما قبله
من أفعال الطاعة دليلها فقد انطبق آخر السورة على أولها ورد مقطعا على مطلعها وقول
البيضاوي تبعه الزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحج أعطى من الاجر
كحجة حجها وعمرة اعمرها بعد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي حديث موضوع

﴿سورة المؤمنین مكية﴾

وهي مائة وعثمان وتسع عشرة آية وألف وعثمان مائة وأربعون
كلمة وأربعة آلاف وعثمان مائة حرف

(بسم الله) الذي له الامر كله (الرحمن) الذي عم انعامه (الرحيم) الذي خص من اراد بالايان
عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه
الوحى يسمع عند وجهه دوى كدوى النحل فانزل عليه يوما فكت ساعة حتى سرتى عنه فاستقبل
القبلة ورفع يديه فقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واغنا ولا تحرمنا واثرنا ولا تؤثر
علينا اللهم ارضنا وارض عنا ثم قال لقد أنزل على عشر آيات من آقامهن دخل الجنة ثم قرأ
(قد أفلح المؤمنون) حتى ختم العشرة آيات قال ابن عباس قد سعد المصديقون بالتوحيد وبقوا
في الجنة وقيل الفلاح البقاء والنجاة روى هذا الحديث الترمذى وغيره وانكره النسائي

وغيره (تسبه) قال الرضخري قد خصه لما هي ثبت المتوقع ولما تسبه ولا شك ان المؤمنين
 كانوا متوقعين مثل هذه البشارة وهي الاخبار بنبات الفلاح لهم نحو طوبوا بادل على نبات
 ما نوقوه (فان قيل) ما المؤمن (أجيب) بأنه في اللغة هو المصدق وأما في الشريعة فقد اختلف
 فيه على قولين أحدهما أن كل من نطق بالشهادتين موطن قلبه لسانه فهو مؤمن والاخر أنه
 صفة مدح لا يستحقها الا البر التقي دون الفاسق * ثم انه تعالى حكم بحصول الفلاح لمن كان
 مستجمعا لصفات سبعة الصفة الاولى كونهم مؤمنين الصفة الثانية المذكورة في قوله
 تعالى (الذين هم) أي بضمايرهم وظواهرهم (في صلاتهم خاشعون) قال ابن عباس يخبتون
 أذلاء وقبيل خائفون وقبيل متواضعون وعن قتادة الخشوع الزام موضع السجود روى
 الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي رافعا بصره الى السماء
 فلما نزلت هذه الآية روى بصره الى نحو مسجده أي موضع سجوده وكان الرجل اذا قام الى
 الصلاة هاب الرحمن أن يشد بصره الى شيء أو يتحدث بشئ من شأن الدنيا وقبيل هو جمع الهمة لها
 والاعراض عما سواها ومن الخشوع أن يستعمل الادب فتوقى ككف التوب والعبث
 بجسده ونياه والتشيمك والاتفات والتطلي والتناوب والتغميض وتغطية القم والسدل
 والفرقة والاختصاص وتقلب الحصى روى الترمذي لكن بسند ضعيف أنه صلى الله عليه وسلم
 أبصر رجلا يعبت بليته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه ونظر الحسن الى
 رجل يعبت بالحصى وهو يقول اللهم زدني الخور العين فقال بس الخاطب أنت تخطب
 وأنت تعبت وعنه أنه قال كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة بأسرع وعن معاذ
 ابن جبل من عرف من على عينه وشماله وهو في الصلاة فلا صلاة له وروى أنه صلى الله عليه وسلم
 قال انما يكتب العبد من صلاته ما عقل منها وقال صلى الله عليه وسلم كم من قائم حظه من قيامه
 التعب والنصب وقال من لم تنه الصلاة عن القمشاء والمنكسر لم يزد من الله الا بعدا فينبغي
 للشخص أن يحناط في صلاته ليوقعها على التمام فان بعض العلماء اختار عدم الامامة فقبيل
 له في ذلك فقال أخاف ان تركت القامحة أن يعاتبني الشافعي وان قرأتهم أن يعاتبني أبو حنيفة
 فاخترت عدم الامامة طلبا للخلاص من هذا الخلاف (فان قيل) لم أضيف الصلاة اليهم
 (أجيب) بأن الصلاة وصله بين الله وبين عباده والمصلي هو المنقطع بها وحده وهي عدته وذخيره
 فهي صلاته وأما الله تعالى فهو غني متعال عن الحاجة اليها والاتقاع بها الصفة الثالثة
 المذكورة في قوله تعالى (والذين هم) أي بضمايرهم التي تتبعها ظواهرهم (عن اللغو) قال ابن
 عباس عن الشريك (معرضون) أي تاركون وقال الحسن عن المعاصي وقال الزجاج هو كل باطل
 وهو وما لا يحمد من القول والفعل وقبيل هو كل ما لا يعنى الشخص من قول أو فعل وهو
 ما يستحق أن يسقط ويلغى فدحهم الله تعالى بأنهم معرضون عن هذا اللغو والاعراض عنه
 هو بأن لا يفعله ولا يرضى به ولا يخاطب من يأتيه كما قال تعالى واذا أمرتوا باللغو فتركوا كما أمرتوا
 وهو الكلام القبيح كرموا أنفسهم عن المخول فيه الصفة الرابعة المذكورة في قوله تعالى

(والذين هم للزكاة فاعلون) أي مؤدون (تنبيه) الزكاة اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين هو
 القدر الذي يخرج من المذكي من النصاب إلى المستحق والمعنى فعل المذكي الذي هو التزكية وهو
 المراد هنا لأنه ما من مصدر أو يعبر عن معناه بالفعل ويقال محذوفه فاعل تقول للضارب فاعل
 الضرب والمقاتل فاعل القتل وللمذكي فاعل التزكية ويجوز أن يراد بالزكاة العين ويقدر
 مضاف محذوف وهو الأداء وقيل الزكاة هنا هي العمل الصالح لأن هذه السورة مكية وإنما
 فرضت الزكاة بالمدينة سنة اثنتين من الهجرة قال البقاعي والظاهر أن التي فرضت بالمدينة
 هي ذات النصب وأن أصل الزكاة كان واجبا بمكة كما قال تعالى في سورة الانعام وأوحاه
 يوم حصاده انتهى الصفة الخامسة المذكورة في قوله تعالى (والذين هم لقروجهم) في
 الجماع ومقدماته (حافظون) أي دائمًا لا يتبعونها شهواتها والفرج اسم لسواة الرجل والمرأة
 وحفظه التمسك عن الحرام ثم استثنى من ذلك قوله تعالى (الأعلى أزواجهم) اللاتي استحقوا
 أيضا من بعد النكاح ولعلوا لذكره يعلى ونظيره كان زياد على البصرة أي والبايع عليها ومنه
 قولهم فلانة تحت فلان ومن ثم سميت المرأة فراسًا وقيل على بمعنى من وجرى على ذلك البغوي
 (أو ما ملكت أيمنهم) رقبته من الاماء (فان قيل) هلا قال تعالى أو من ملكك (أجيب) بأنه
 انما عبر بالقرب الاماء عما لا يعقل لنقصهن عن الحرائر الناقصات عن الذكر ولأنه اجتمع فيها
 وصفان أحدهما الاثوثة وهي مظنة نقصان العقل والاخرى كونها بحيث تباع وتشترى كسائر
 السلع قال البغوي والآية في الرجال خاصة لأن المرأة لا يجوز لها أن تستمتع بفرج مملوكها
 (فأنهم غير مملومين) على ذلك إذا كان على وجهه أذن فيه الشرع دون الإتيان في غير المأني
 وفي حال الحيض أو النفاس أو نحو ذلك كوطء الامة قبل الاستبراء فإنه حرام ومن فعله فإنه
 مملوم (فن استثنى) أي طلب متديا (وراء ذلك) العظيم المنفعة الذي وقع استثنائه بزنا ولو اوطأ
 أو استغناه يبدأ وبهيمة أو غيرها (فأولئك) المبعدون من الفلاح (هم العادون) أي المبالغون
 في تعدي الحدود عن سعيدين جبير قال عذب الله تعالى أمة كانوا يعشون بهذا كبرهم أي في
 أيديهم وقيل يحشرون وأيديهم حبالى الصفة السادسة المذكورة في قوله تعالى (والذين هم
 لاماناتهم) أي في الفروج وغيرها سواء كانت بينهم وبين الله كالصلاة والصيام وبينهم وبين
 انطلق كالودائع والبضائع أو في المعاني الباطنة كالإخلاص والصدق (وعهدهم راعون) أي
 حافظون بالقيام والرعاية والإصلاح والعهد ما عقده الشخص على نفسه فيما يقربه إلى ربه
 ويقع أيضا على ما أمر الله تعالى به كقوله تعالى الذين قالوا إن الله عهد بيننا (تنبيه) سمى
 الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه أمانة وعهدا ومنه قوله تعالى إن الله يأمر بالحق
 الامانات إلى أهلها وقال تعالى وتحضون أماناتكم وانما تؤذى العيون لا المعاني ويحان المؤمن
 عليه الامانة في نفسها وترأب كنيلا ماتهم بغير ألف بين النون والياء على الأفراد لمن
 الالباس أولانها في الأصل مصدر والباقون بالالف على الجمع الصفة السابعة المذكورة في
 قوله تعالى (والذين هم على صلواتهم) التي وصفوا بالخشوع فيها (يحافظون) أي يراعيون

عليها ولا يتكون شيأ من مفروضاتها ولا مسنوناتها يجتهدون في كالاتها جهدهم ويؤدونها في أوقاتها (فان قيل) كيف كثر الصلاة أو لا وأخر (أجيب) بأنهم ما ذكران مختلفان فليس بمكروه وصفاً أو لا بالخشوع في صلاتهم وأخرابها حفاظة عليها وذلك أن لا يسوؤها ويؤدوها في أوقاتها ويقوموا أركانها ويوطنوا أنفسهم بالاهتمام بها وبما ينبغي أن تتم به أوصافها وأيضاً فقد وحدثت أو لا بقاد الخشوع في جنس الصلاة أي صلاة كانت وبجعت آخر اعلى غير قراءة حمزة والكسائي فإن غيرهما قرأ بالجمع وأما ما فقر آبا لفراد لتفاد المحافظة على أعدادها وهي الصلوات الخمس والسنن المرتبة مع كل صلاة وصلاة الجمعة وصلاة الجنازة والعيدين والكسوفين والاستسقاء والوتر والضحى وصلاة التسبيح وصلاة الحاجة وغيرها من النوافل • ولما ذكر تعالى مجموع هذه الصفات العظيمة نغم حوائجهم فقال تعالى (أو لئنك) أي الباقون من الاحسان أعلى مكان (هم الوارثون) أي المستحقون لهذا الوصف فيرون منازل أهل الجنة في الجنة روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فان مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله وقال مجاهد لكل واحد منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فأما المؤمن فيبنى منزله الذي له في الجنة ويهدم منزله الذي له في النار وأما الكافر فيهدم منزله الذي في الجنة ويبني منزله الذي له في النار وقال بعض المفسرين معنى الورثة هو أن يؤل أمرهم الى الجنة وينالوها كما يؤل أمر الميراث الى الوارث (الذين يرثون الفردوس) وهو أعلى الجنة عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض والفردوس أعلاها درجة منها تفجر أنهار الجنة الاربعة ومن فوقها يكون عرش الرحمن فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس اللهم بجاه محمد صلى الله عليه وسلم أن تجعلنا ووالدينا وأحبائنا من أهل (هم فيها خالدون) أي لا يجزجون منها ولا يموتون وأنت الفردوس بقوله تعالى فيها على تأيت الجنة وهو البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر روى أن الله تعالى بنى جنة الفردوس ابنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الأذفر وفي رواية ولبنة من مسك مذوى وغرس فيها من جيد الفاكهة وجسد الريحان وروى أن الله تعالى خلق ثلاثة أشياء بيده خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده ثم قال وعزى لا يدخلها مد من حجر ولا ديوث والمراد أن الله تعالى لم بكل ذلك الى غيره من ملك من الملائكة والجنة مخلوقة الآن قال تعالى أعدت للمتقين • ولما أمر سبحانه وتعالى بالعبادات في هذه الآيات والاشتغال بعبادة الله لا يصبغ الا بعد معرفة الله تعالى عقها بذكر ما يدل على وجوده واتصافه بصفات الجلال والوحدانية فقد كرم من الدلائل أنواعا الاقول الاستدلال بتقليب الانسان في أدوار الخلقه وأدوار القطرة وهي تسع مراتب الاولى قوله تعالى (ولقد خلقنا الانسان) أي آدم (من سلاله) هي من سللت الشيء من الشيء أي استخرجته منه وهو خلاصته وقال ابن عباس السلالة صفرة الماء وقوله تعالى (من طين) متعلق بسلالة وقيل المراد

بالإنسان هذا النوع والسلافة قال مجاهد من بنى آدم وقال عكرمة هو الماء يسيل من الظهر
 والعرب تسمى النطفة سلافة والولد سليلاً وسلافة لانهم ما سألوا من منته المرتبة الثانية قوله
 تعالى (ثم جعلناه) أي نسله فحذف المضاف (نطفة) أي منيا من الصلب والترائب بأن خلقناه
 منها (في قرار مكين) أي مستقر حصين هو الرحم * (تنبيه) * مكين في الاصل صفة للمستقر في
 الرحم وصف به المحل للمبالغة كما عبر عنه بالقرار المرتبة الثالثة قوله تعالى (ثم) أي بعد تراخ
 في الزمان وعلو في المرتبة والعظمة (خلقنا) أي بالثمان العظمة (النطفة) أي البيضاء جذاً
 (علقة) حمراء دماغليفاً شديد الحمرة جامداً غليظاً المرتبة الرابعة قوله تعالى (خلقنا) أي بما لنا
 من القوة والقدرة العظيمة (العلقة مضغة) أي قطعة لحم قدر ما يعض لاشكل فيها ولا تحطيط
 المرتبة الخامسة قوله تعالى (خلقنا المضغة) أي بتقليدها بما شئنا لها من الحرارة والامور الطيبة
 الغامضة (عظاماً) من رأس ورجلين وما بينهما المرتبة السادسة قوله تعالى (فكسونا) بما
 لنا من قوة الاختراع تلك (العظام لحم) بما ولدنا منها لترجيح اللحم لها قبل كونها عظماً فسترنا
 تلك العظام وقويتها وشدناها بالارباط والاعصاب وقرأ ابن عامر وأبو بكر عظاماً والعظام
 بفتح العين واسكان الطاء من غير ألف على التوحيد كما كلفها باسم الجنس عن الجمع والباقون
 بكسر العين وفتح الطاء وألف بعدها على الجمع قال الجلال المحلى وخلقنا في المواضع الثلاثة بمعنى
 صيرنا المرتبة السابعة قوله تعالى (ثم أنشأناه) أي هذا المحدث عنه بعظمنا (خلقنا آخر)
 أي خلقنا ما بيننا خلق الاقل مباينة ما بعدها حيث جعله حيواناً وكان جاداً وناطقاً وكان
 أبيضاً وسامعاً وكان أصم وبصيراً وكان أكمه وأودع ظاهره وباطنه بل كل عضو من أعضائه
 وكل جزء من أجزائه عجائب فطره وغرائب حكمه لا تدركه بوصف الواصف ولا يبلغه بدمج
 الشارح وشم لمباين الخلقين من التفاوت قال الزمخشري وقد احتج به أبو حنيفة رحمه الله فيمن
 غضب بصفة فأفرخت عنده فقال بضم البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق آخر سوى البيضة ٥١
 ولما كان هذا التفصيل لتطویر الانسان سبباً لتعظيم الخالق قال تعالى (فتبارك الله) أي تنزه
 عن كل شائبة نقص وحاز جميع صفات الكمال وأشار الى جمال الانسان بقوله تعالى (أحسن
 الخالقين) أي المقدرين ويميزاً أحسن محذوف أي خلقا روى عن عمر رضي الله تعالى عنه
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ قوله لخلقنا آخر قال فتبارك الله أحسن الخالقين وروى
 أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فمطقت بذلك قبل
 املائه فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا فنزلت فقال عبد الله ان كان محمد
 نبياً يوحى اليه فانما يوحى الي فلحق بمكة كافر ثم أسلم يوم الفتح وروى سعيد بن جبيرة عن
 ابن عباس أنه قال لما نزلت هذه الآية قال عمر بن الخطاب فتبارك الله أحسن الخالقين فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت يا عمر وكان عمر يقول وافقني ربي في أربع الصلوة
 خلف المقام وضرب الحجاب على النسوة وقولي لهن أو وليد لئن الله خيراً منكم فنزل قوله تعالى
 عسى ربه ان يطلقكن الآية والزابع قلت فتبارك الله أحسن الخالقين فقال هكذا أنزل

قال العارفون هذه الواقعة كانت سبب السعادة لعمر والشقاوة لعبد الله بن سعد بن أبي
سرح فإنه قيل انه مات كافراً قال الله تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا المرتبة الثامنة قوله
تعالى (ثم انكم بعد ذلك) أى الامر العظيم من الوصف بالحياة والموت في العمر في آجال متفاوتة
ما بين طفل ورضيع ومحتمل شديد وشاب نشيط وكهل عظيم وشيخ هرم الى ما بين ذلك من شئون
لا يحيط بها الا اللطيف الخبير (لميتون) أى لصائر من الموت لا بحالة ولذلك ذكر النعت
الذى للنبوت وهو ميت دون اسم الضاعل وهو ماتت فإنه للعدوث للنبوت المرتبة التاسعة
قوله تعالى (ثم انكم يوم القيامة) أى الذى يجمع فيه جميع الخلائق (تبعثون) للحساب
والجزاء النوع الثانى من الدلائل الاستدلال بخلق السموات وهو قوله تعالى (واقصد خلقنا
فوقكم) فى جميع جهة الفوق فى ارتفاع لا تدركونه حق الادراك (سبع طرائق) أى سموات
جمع طريقه لانها طرق الملائكة ومنعلاقاتهم وقيل الافلاك لانها طرائق الكواكب فيها
مسيرها وقيل لانها طرق بعضها فوق بعض كطارقة النعل وكل شئ فوقه مثله فهو طريقه
(وما كان) أى بما لان من العظمة (عن الخلق) أى الذى خلقناه تحتها (عافين) أى ان تسقط عليهم
فتملكهم بل ينسكها كآية وبعك السماء أن تقع على الارض الا بذنه ولا مهلدين أمر هابل
لحفظها عن الزوال والاختلاف وتدبيراً مرها حتى تلغ منتهى أمرها وما قدر لها من الكمال
حسب ما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة * النوع الثالث من الدلائل الاستدلال بنزول
الامطار وكيفية تأثيرها فى النبات وهو قوله تعالى (وأترلنا من السماء) أى من جرمها وهو ظاهر
اللفظ وعليه أكثر المفسرين أو من السحاب وسماء سماه لقوله (ما بقدر) أى بقدر وما تكفيهم
بما شئهم فى الزرع والفرس والشرب وأنواع المنفعة ويسلون معه من المضرة اذ لو كان فوق
ذلك لا غرقت البحار الاقطار ولو كان دون ذلك لادى الى جفاف النبات والاشجار (فأسكاه)
أى فجعلناه نباتاً مستقراً (فى الارض) كقوله تعالى فسلكه ينابيع فى الارض وعن ابن
عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أنزل من الجنة خمسة أنهار سيجون نهر الهند
وجيخون نهر بلخ وديجبله والقرات نهر العراق والنيل نهر مصر أنزلها الله تعالى من عين واحدة
من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناح جبريل فاستودعها الجبال
وأجرها فى الارض وجعل فيها نافع للناس من أصناف معانيدهم فاذا كان عند خروج
يا جوج وما جوج أرسل الله تعالى جبريل فرفع من الارض القران والهلم كله والحجر الاسود
من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بحافيه وهذه الامار الخمسة فيرفع كل ذلك الى
السماء وذلك قوله تعالى (واناعلى ذهابه لقادرون) قدرة هي فى نهاية العظمة فانما كما قدرنا
على ايجادها واختراعها فنقدر على رفعه وازالته ووزوله فاذا رفعت هذه الاشياء كلها من الارض
فقدأهلها خيرا الدين والدنيا قال البيهقي وروى هذا الحديث الامام الحسن بن سفيان عن عثمان
ابن سعيد عن سابق الاسكندري عن سلمة بن علي عن مقاتل بن حبان * (تبيينه) فى تشكر ذهاب
ايماء الى تشكر طريقه وفيه ايدان باقتدار المذهب وأنه لا يتعابا عليه شئ اذ اراد وهو ابلغ

في الأبد من قوله تعالى قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن ياتى بكم بما معين فعلى العباد
 أن يستعظموا النعمة في الماء ويقيدها بالسكر الدائم ويحافوا نقادها إذا لم تشكروا أنه
 تعالى سبحانه لما به على عظم نعمته يخلق الماء ذكر بعده هذه النعمة الخاصة له من الماء بقوله
 تعالى (فأنشأنا) أي فأخرجنا وأحيينا (لكم) خاصة لنا (به) أي بذلك الماء الذي جعلنا منه كل
 شيء حي (جنات) أي سباتين (من نخيل وأعناب) صرح بهذين الصنفين لشرههما ولائهما
 أكثر ما عند العرب من الثمار وسمى الأول باسم شجرته لكثرة ما قيم من المنافع المقصودة بخلاف
 الثاني فإنه المقصود من شجرته وأشار إلى غيره بما بقوله تعالى (لكم) أي خاصة (فيها) أي
 الجنات (فوا) ككثيرة (تفكهون بها) (ومنها) أي ومن الجنات من غمارها وزروعها (تأكلون)
 رطباً وإيساً وتراً وزينباً وقوله تعالى (وشجرة) عطف على جنات أي وأنشأنا لكم شجرة أي
 زيتونة (تخرج من طور سيناء) وهو الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى بن عمران عليه
 السلام بين مصر وابله وقيل بفلسطين وفي رواية أخرى طور سينين ولا يخالو ما أن يضاف فيه
 الطور إلى بقعة اسمها سيناء وأما أن يكون اسمها للجبل مر كما من مضاف ومضاف إليه
 كما مر في القيس وبلدك فين أضاف فن كسر سين سيناء وهو نافع وابن كثير وأبو عمرو وقد منع
 الصرف للتعريف والجمعة والتأنيث لأنها بقعة وفعلاء لا تكون لأفعل للتأنيث كعلباء وحرباء ومن
 قرأ بفتح السين وهم السابقون لم يصر فيه لأن الألف للتأنيث كصراة قال مجاهد معناه البركة أي
 من جبل مباركة وقال قتادة معناه الحسن أي الجبل الحسن وقال الفخالة هو القبطية ومعناه
 الحسن وقال عكرمة بالحبشية وقال مقاتل كل جبل فيه أشجار مثمرة فهو سيناء وسنين بلغة
 القبط وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (تنت) بضم التاء الفوقية وكسر الباء الموحدة من الرباعي
 والسابقون بفتح الفوقية وضم الموحدة من الثلاثي فتوله تعالى (بالدهن) تكون الباء على الأول
 زائدة وعلى الثاني معدية قال المفسرون وإنما أضافها الله تعالى إلى هذا الجبل لأن منه
 تشبعت في البلاد وانتشرت ولأن معظمها هناك قال بعض المفسرين وإنما عرف الدهن لأنه
 أجل الأدهان وأكلها وهو في الأصل مانع لزج خفيف يقطع ولا يختلط بالماء الذي هو أصله
 فيسرح ويدهن به وقوله تعالى (وصبغ للأكابن) عطف على الدهن أي أدام يصبغ اللقمة
 بغمسها فيه وهو الزيت فيل أنها أول شجرة تثبت بعد الطوفان ووصفها الله تعالى بالبركة في
 قوله تعالى (تؤخذ من شجرته بركة) النوع الرابع من الدلائل الاستدلال بالحوال الحيوانات
 وهو قوله تعالى (وان أنبئكم في الأنعام) وهي الأبل والبقر والغنم (عبرة) عظيمة تعتبرون بها
 وتستدلون بها على الهدى وغيره (تسقيكم مما في بطونها) أي اللبن يجعله لكم شرباً نافعاً للبدن
 موافقاً للشهوة قلندون به من بين القرث والدم (ولكم فيها) أي جماعة الأنعام وقدم الجار
 نفعها للمنافعها حتى كان غيرها عدم (منافع كثيرة) باستسلامها ليراد منها عملاً لا يتيسر من
 أصغر منها وأولادها وأصوافها وأوبارها وأشهادها وغير ذلك من آثارها (ومنها تأكلون)
 أي وكما تتغنون بها وهي حية تتغنون بما بعد الذبح أيضاً بسببها فمن غير ما ستخرج ثامن شيء من

ذلك ولو شاء لمنعها وسلطها عليكم ولو شاء لجعل لها لا يفتضح أو يجعله قدرا لا يؤكل ولكنها
 يتدبره وعلمها ما لم يذكر ذلها (وعليها) أي الانعام الصالحة للعمل وهي الابل والبقر وقيل
 المراد الابل خاصة لانها هي المحمول عليهم في العادة وقرنها بالثقل التي هي السفن في قوله تعالى
 (وعلى الفلك تحملون) لانها سفائن البرف كما يعمل على الفلك في البحر فيعمل على هذه في البر قال
 ذوالرمة في المعنى * سفينة بتر تحت خدي زمامها * قال الزمخشري يريد صيدحه أي ناقته لان
 اسمها كان صيدح قال

رأيت الناس يتجمعون غنما * فقلت لصيدح اتبعي بلا

يريد بلال بن أبي بردة الأشعري والى الكوفة * ولما بين سبحانه وتعالى دلائل التوحيد أردفها
 بذكر القصة كما هو العادة في سائر السور مبتدئا بقصة نوح عليه السلام فقال تعالى (ولقد
 أرسلنا) أي بمالنا من العظمة (نوحا) وهو الاب الثاني بعد آدم عليهما الصلاة والسلام وكان اسمه
 يشكرو يحيى نوحا لوجوه أحدها الكثرة ماناح على نفسه حين دعا على قومه بالهلاك فأهلكهم الله
 تعالى بالطوفان فقدم على ذلك ثنائها المراد جمعه ربه في شأن ابنه ثالثا أنه ترك بكم مجذوم فقال له
 احسأ يا قبيح فموتت على ذلك (الى قومه) وهم جميع أهل الارض لتواصل ما بينهم لكونهم على
 لغة واحدة محصورين لأنه أرسل الى الخلق كافة لان ذلك من خصائص نبينا محمد صلى الله عليه
 وسلم وعلى جميع الانبياء (فقال) أي فتسبب عن ذلك ان قال (يا قوم) ترفقا بهم (اعبدوا الله)
 وحده لانه الهكم وحده لاستحقاقه لجميع خلال الكمال واستأنف على سبيل التعليل قوله (مالكم
 من اله) أي معبود يهتق (غيره) فلا تعبدوا سواه (أفلا تتقون) أي أفلا تتخافون عقوبته ان
 عبدتم غيره وقرأ الكسائي بكسر الراء والهاء والباءون بضمها (فقال) أي فتسبب عن ذلك
 ان كذبوه بأن قال (الملائكة) أي الاشراف الذي تملأ رؤسهم الصدور عظيمة (الذين كفروا من
 قومه) لعوامهم (ما هذا) أي نوح عليه السلام (الابشر مملكم) أي فلا يعلم ما لا تعلمون فانكروا
 ان يكون بعض البشر نبيا ولم يشكروا أن يكون بعض الطين انسانا وبعض الماء علقمة وبعض
 العلقمة مضغة الى آخره فكانه قيل ما جعله على ذلك فقالوا (يريدان بتفضل) يتكاف الفضل
 بادعاهم مثل هذا (عليكم) لتكونوا أتباعا له ولا خصوصية له دونكم (ولو شاء الله) أي الملك
 الاعلى الارسال اليكم وعدم عبادة غيره (لا تزل) كذلك (ملائكة) رسلا بلاغ الوحي اليها قال
 الزمخشري وما أعجب شأن الضلال لم يرضوا للنسوة بشروا قدرضوا للالوهية بحجر (ما معناهم هذا)
 أي الذي دعا اليه نوح من التوحيد (في آياتنا الاواين) أي الامم الماضية (ان) أي ما (هو)
 الارجل به جنه) أي جنون ولا جله يقول ما يدعيه (فتر بصوابه) أي فتسبب عن الحكم بجنونه
 انان امرم كالكف عنه لانه لا حرج على جنونه (حتى) أي الى (حين) لعله يفتق أو يموت فكانه
 قيل فما قال فقيل (قال) عندما أيسر من فلاحهم (رب انصرني) أي أعني عليهم - ثم (عما كذبون)
 أي بسبب تكذيبهم في فان تكذيب الرسول استخفاف بالمرسل (فأرحمنا) أي تسبب عن جهانه
 ان أو حينا (اليه ان اصنع الفلك) أي السفينة (بأعيننا) أي انه لا يفتق عناشي من أمرنا

ولا من أمرهم وأن تعرف قدر تنا على كل شيء فننق بجمعنا ولا نتحقق شأن أمرهم روى أنه لما
 أوحى إليه أن يصنعها على مثال جوجو الطائر قال الجوهرى جوجو الطائر والسفينة صدرهما
 والجمع الجاسجى • ولما كان لا يعلم الصنعة قال تعالى (ووجينا) أى وأمرنا وتعلمنا كيف تصنع
 فان جبريل علمه عمل السفينة ووصف كيفية اتخاذها وقد تقدم الكلام عليها مستوفى في سورة
 هود (فأذا جاء أمرنا) أى بالهلاك غضب فراغك منها أو بالكوب (وفار السور) قال ابن عباس
 وجه الأرض وفي القاموس السور الكانون يخترقه ووجه الأرض وعن قتادة أنه أشرف موضع
 في الأرض أى أعلاه وعن عليّ طلوع الفجر وعن الحسن أنه الموضع المنخفض من السفينة
 الذى يسيل الماء إليه وقيل هو مثل كقولهم حى الوطيس والاقرب كما قال الرازى وعليه
 أكثر المفسرين هو السور المعروف بتدور الخباز فيكون له فيه آية روى أنه قيل لنوح إذا
 رأيت الماء يقور في السور فاركب أنت ومن معك في السفينة فلما تبع الماء من السور أخبرته
 امر أنه فركب وقيل كان تنور آدم وكان من حجارة فصارت نوح واختلف في مكانه فغن الشعي
 في مسجد الكوفة عن عيين الداخل مما يلي باب كندة وكان نوح عمل السفينة وسط المسجد وقيل
 بالشام بموضع يقال له عين وردة وقيل بالهند وقرأ فالون والبرى وأبو عمرو وباسقاط الهمزة الأولى
 من الهمزتين المفتوحتين من كلمتين وحقق الأولى وسهل الثانية ورش وقيل (فأسلك) أى أدخل
 (فيها) أى السفينة (من كل زوجين) من الحيوان (اثنين) ذكر وأنى وقرأ حفص بتثوين
 اللام من كل أى من كل نوع زوجين فزوجين مفعول واثنين تأكيد والباقون بغير تثوين
 فاثنين مفعول ومن متعلق بأسلك وفي القصة ان الله تعالى حشر نوح السباع والطير وغيرها
 فجعل يضرب يده في كل جمع فمقع يده اليمنى على الذكور واليسرى على الانثى فيجعلها
 في السفينة وروى أنه لم يحمل الا ما يلذ ويبض (وأهلك) أى وأهل بيتك من زوجك وأولادك
 (الامن سبق عليه) لاله (القول منهم) بالهلاك وهو زوجته وولده كنعان بخلاف سام وحام
 وباقت فحملهم وزوجاتهم الثلاثة وفي سورة هود ومن آمن وما آمن معه الا قليل قيل كانوا ستة
 رجال ونساءهم وقيل جميع من كان في السفينة عمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء
 (ولا تخاطبني) أى بالسؤال في النجاة (في الذين ظلموا) أى كفروا ثم عمل ذلك بقوله تعالى (انهم
 مفرقون) أى قد حتم القضاء عليهم لعظلمهم بالاشراك والمعاصى ومن هذا شأنه لا يشفع له فانه تعالى
 بعد ان أملى لهم الدهر المتناول فلم يزيدوا الا ضلالا ولم تتم لهم الحجة البالغة لم يبق الا أن يجعلوا عبرة
 للمعتبرين ونحن نكرمك عن سؤال لا يقبل ولقد بالغ سبحانه وتعالى حيث اتبع النهى عنه
 الامر بالجد على هلاكهم والنجاة منهم بقوله تعالى (فاذا استسويت) أى اعتدلت (أنت ومن
 معك) أى من البشر وغيرهم (على الظنك) فقرغت من امتثال الامر بالجل (فقل الحمد لله) أى
 الذى لا كلف له لانه مختص بصفات الحمد (الذى تجأتان) بجمعنا فيه (من القوم) أى الاعداء
 الاغبياء (الظالمين) أى الكافرين لقوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله وب
 العالمين • (تنبيه) • اعلم ان الله تعالى قل ولم يقل قولوا لان نوح عليه السلام كان لهم نبي واماما

فكان قوله قولاً لهم مع ما فيه من الأشعار يفضّل النبوة واطهار كبرياء الربوبية وان يرتبه تلك
 المخاطبة لا يترقى إليها الملك أوتى ولما أشار له بهذا القول إلى السلامة بالجلل أسعته بالإشارة إلى
 الوعد بساكن الارض بقوله تعالى (وقل رب أنزلي) في الفلك ثم في الارض وفي كل منزل تنزلي
 به وتورثي آياه (منزل مباركاً) أي يبارك له فيه ويعطيه الزيادة في خير الدارين وقرأ أبو بكر بفتح
 الميم وكسر الزاي أي مكان النزول والباقون بضم الميم وفتح الزاي مصدر أو اسم مكان ثم ان
 الله تعالى أمره أن يشفع الدعاء بالثناء عليه المطابق لمستلته وهو قوله تعالى (وأنت خير المثلين)
 ماذا كررنا لك تكفي نزيلك كل ملم وتعطيه كل أمر * ولما كانت هذه القصة من أغرب القصص
 حث على تدبرها بقوله تعالى (إن في ذلك) أي الامر العظيم من أمر نوح والسفينة واهلاك
 الكفار (آيات) أي دلالات على قدرة الله تعالى وصدق الانبياء في ان المؤمن ينهم المظنون
 وانهم الوارثون للارض بعد الفالين وان عظمت شوكتهم واشتدت صلواتهم (وان كان)
 بما لنا من العظمة والوصف الثابت الدال على تمام القدرة (لمبتلين) أي فاعلين فعل انجيب
 المختبر لبعادنا برسال الرسل لظهور في عالم الشهادة الصالح منهم من غيره ثم تبلى الصالحين منهم
 بما يزيد حسناتهم وينقص سيئاتهم ويعلى درجاتهم ثم يجعل لهم العاقبة كما قال تعالى والعاقبة
 للمتقين * (تنبيه) * ان هي المنخفضة من التثنية واسمها ضمير الشأن واللام هي الفارقة * القصة
 الثانية قصة هود وقيل صالح عليهم السلام المذكورة في قوله تعالى (ثم أنشأنا) أي أحدنا
 وأحياناً (من بعدهم) أي من بعدهم (قرنا) أي قوماً (آخرين) هم عاد قوم هود
 وقيل هود قوم صالح (فأرسلنا) أي فبعثنا انشاء نالهم وتب عننا أرسلنا (فيهم رسولا
 منهم) هو هود وقيل صالح قال البغوي والأول هو الاظهر وهو المروي عن ابن عباس ويشهد له
 حكاية الله قول هود وادكروا اذ جعلكم خلائف من بعد قوم نوح ويحي قصة هود على ان قصة
 نوح في سورة الاعراف وسورة هود والشعراء ثم بين تعالى ما أرسل به بقوله تعالى (أن اعبدوا
 الله) أي وحدوه لانه لا مكان له ثم دل على الاستغراق بقوله تعالى (مالكم من المغيره أفلا
 تتقون) أي هذه الحالة التي أنتم عليها مخافة عقابه فتؤمنون وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر
 والكسائي بضم النون في الوصل والباقون بكسرها والقراءة في غيره ذكرت قريباً (وقال الملا)
 أي الاشراف التي تكثر رؤيتهم الصدور (من قومه الذين كفروا) أي غطوا ما يعرفون من أدلة
 التوحيد والانتقام من المشركين (وكذبوا بقاء الآخرة) أي بالمصير اليها (وأترقتاهم)
 أي والحال انما العظمة نعمناهم (في الحياة الدنيا) بالاموال والاولاد وكثرة السرور
 يخاطبون أبا عنهم (ما هذا) أشاروا اليه بتعقير اله عند المخاطبين (الابنشر مثلكم)
 في الخلق والحال ثم وصفوهم بما يوجب المساواة لهم في كل وصف فقالوا (يا كل عماتنا كون منته)
 أي من طعام الدنيا (ويشرب مما تشربون) أي من شربها فكيف يكون رسولا دونكم وتولاهم
 (ولئن) اللام لام قسم أي والله لئن (أطعمت بشر مثلكم) أي فيما يأمركم به (انكم اذا) أي
 ان أطعموه (لحاسرون) أي يخبونون لكونكم فضلتم مثلكم علىكم بما يدعيه ثم بينوا

انكارهم بقولهم (أي بعدكم أنكم اذ انتم) ففارقتم أرواحكم أجسادكم (وكنتم) أي وكنتم
 أجسادكم (تراباً) باستيلاء التراب على مادون عظامكم (وعظاماً) مجردة عن العروق والاعصاب
 (أنكم مخرجون) أي من تلك الحالة التي صرتم اليها فرجعون إلى ما كنتم عليه من الحياة
 على ما كان لكم من الاجسام * (تنبيه) * قوله تعالى مخرجون خبر انكم الاولى وانكم الثانية
 تأكيد لها الماطال الفصل ثم استأنفوا التصريح بمبادل عليه الكلام من استبعاد ذلك فقالوا
 (هيئات هيئات) اسم فعل ماضٍ بمعنى مصدر أي بعد بعد جدا وقال ابن عباس هي كلمة بعد أي
 بعيد ثم كانه قيل لاي شيء هذا الاستبعاد فقيل (لما توقعون) من الاخراج من القبور
 (فان قيل) لما توقعون هو المستبعد ومن حقه أن يرفع هيئات كما ارتفع به في قوله
 * فهيات هيئات العقيق وأهله * فهاهذه اللام (أجيب) بان الزجاج قال في تفسيره البعد
 لما توقعون فتزل منزلة المصدر ويصح أن تكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة
 الاستبعاد كما جاءت اللام في هيئت تلك لبيان المهيت به أو ان اللام زائدة للبيان * (فائدة) * وقف
 البرزي والكسائي على هيئات الاولى والثانية بالهاء والباقون بالتاء على المرسوم وقولهم (ان هي)
 ضمير لا يعلم ما يعنى به الابعاد من بيانه وأصله ان الحياة (الاحيائية الدنيا) ثم وضع هي موضع
 الحياة لان الخبر يدل عليها وبينها ومنه هي النفس تتحمل ما حلت والمعنى لاجماعة الالهة الحياة
 لان ان الثانية دخلت على هي التي بمعنى الحياة الدالة على الجنس فنقضتها فوازنت لاتي
 نقت ما بعد هانتي الجنس (وغوت وغوتي) أي يموت منامن هو موجود وينشأ آخرون بعدهم
 وقيل يموت قوم ويحيا قوم وقيل غوت الآباء ونساء الابناء وقيل في الآخرة بتقديم وتأخير أي نجحاً
 وغوت لانهم كانوا يشكرون البعث بعد الموت كما قالوا (وما نحن بمعوثين) بعد الموت فكانه
 قيل فهاهنا الكلام الذي يقوله فقيل كذب ثم حصر وأمره في الكذب فقالوا (ان) أي ما
 (هو الا رجل افترى) أي نعمة (على الله) أي الملك الاعلى (كذبا) فلا يفتت اليه (وما نحن
 له بمؤمنين) أي بصدقين فيما يخبرنا به من البعث والرسالة فكانه قيل فما قال فقيل (قال رب)
 أي أيها المحسن الي بالرسالة وبارسالي اليهم وبغيره من أنواع النعم (انصرتي) أي أوقع لي النصر
 (بما كذبون) فاجابه به بان (قال فما قبل) من الزمان وما زائدة وأكدت القلة بزيادتها (ايصحن)
 أي بصيرت (نادمين) أي على كفرهم وتكذيبهم اذا عاينوا العذاب (فأخذتهم الصيحة) أي
 صيحة العذاب والهلاك كانته (بالحق) أي الامر الثابت من العذاب الذي لا يمكن مداغته
 لهم ولاغيرهم غير الله تعالى فأنوا وقيل صيحة جبريل عليه السلام ويكون القوم غود على
 الخلاف السابق (فجعلناهم) بسبب الصيحة (غثاء) أي مطر وحين يمين كما طرح الغثاء شمسوا
 في دمارهم بالغثاء وهو جيل السبل مما يلي واسود من الورق والعيضان ومنه قوله فيجعله غثاء
 أجوى أي أسود بايسا * ولما كان هلاكهم على هذا الوجه سببها وانهم عبر عنه بقوله تعالى
 (فبعدها) أي هلاكاً وطرداع الرحمة (للقوم الظالمين) الذين وضعوا قوتهم التي كان يجب
 عليهم بذلها في نصر الرسل في خذلانهم * (تنبيه) * يحتمل هذا الدعاء عليهم والاعخبار عنهم ووضع

الظاهر موضع ضميرهم للتعليل وبعد اوصاف ونفرا وتحوينا ونحوها مصادر موضوعة مواضع
 أفعالها وهي من جملة المصادر التي قال سيبويه نصبت بأفعال لا يستعمل أظهارها * القصة
 الثالثة المذكورة في قوله تعالى (ثم أنشأنا) أي بعظمتنا التي لا يضرها تقدم ولا تأخير (من
 بعدهم) أي من بعد من قدمنا ذكره من نوح والقرن الذي بعده (قرونا) أي أقواما (آخرين)
 فهو سبحانه وتعالى نارة يقص علينا في القرآن مفصلا كما تقدم وتارة يقصر مجلا كما هنا وقيل
 المراد قصة لوط وشعيب وأيوب ويوسف عليهم السلام وعن ابن عباس بنى اسرائيل ثم انه تعالى
 أخبر بأنه لم يجعل على أحد منهم قبل الاجل الذي أجل لهم بقوله تعالى (ما تسبق من أمة أجلها)
 أي الذي قدر لها بأن تحوت قبله (وما يستأخرون) عنه * (تنبيه) * ذكر الضمير بعد تأنيده رعاية
 للمعنى ومن زائدة (ثم أرسلنا رسالاتنا) أي متتابعين بين كل اثنين زمان طويل وقرأ أبو عمرو
 رسلنا بسكون السين والباقون برفعها وقرأ تترابن كثير وأبو عمرو في الوصل بتنوين الراء على
 أنه مصدر بمعنى التواتر وقع حالا والباقون بغير تنوين ولما كان كأنه قيل فكان ماذا قيل (كلما
 جاء أمة رسولها) أي بما أمرناه من التوحيد (كذبوه) أي كافعل هو لا بل لما أمرتهم بذلك
 * (تنبيه) * أضاف الرسول مع ارسال الى الرسل ومع الجي الى المرسل اليهم لان ارسال
 الذي هو مبدأ الامر منه والجي الذي هو منتهاه اليهم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بتصديق
 الاولى وتسهيل الثانية بين الهمزة والواو والباقون بتحققة هما وهم على مراتبهم في المذ
 (فأتبعنا) القرون بسبب تكذيبهم (بعضهم بعضا) في الاهلاك فليبق عند الناس منهم الا
 أخبارهم كما قال تعالى (وجعلناهم أحاديث) أي أخبارا يسمعونها ويتعجب منها لكونوا غلبة
 للمستبصرين فيعملوا أنه لا يفلح الكافرون ولا يخيب المؤمنون وما أحسن قول القائل
 ولا شيء يدوم فكن حديثا * جميل الذكر فالذي حديث

والاحاديث تكون جمع الحديث ومنه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكون جمعها
 للاحدونه التي هي مثل الالهوية والالعوية وهي ما يتحدث به الناس تلهيا وتعبها وهو المراد هنا
 ولما تسبب عن تكذيبهم هلا كههم المقتضى لبعدهم قال تعالى (فبعثنا القوم) أي أقواما على
 ما يطلب منهم (لا يؤمنون) أي لا يوجد منهم ايمان وان جرت عليهم الفصول الاربعة لانه
 لا مزاج لهم معتدل * القصة الرابعة قصة موسى وهرون عليهما السلام المذكورة في قوله
 تعالى (ثم أرسلنا) أي بعنا من العظيمة (موسى وأخاه هرون) بآياتنا قال ابن عباس الآيات
 التسع وهي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والبحر والسنين ونقص الثمرات
 (وسلطان مبین) أي حجة بينة وهي العصا وأفردها بالذكر لانها قد تعلق بها معجزات شتى من
 انقلابها حية ونفثها ما أفكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضرها
 وكونها حارسا وشجعة وشجرة خضراء عمرة ودلوا ورشاه فجعلت مكانها ليست بعضا
 لما استبدت به من الفضائل فلذلك عطفت عليها كقوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته
 ورسوله وجبريل وميكال ويجوز أن يراد بالآيات نفس تلك المعجزات والسلطان المبين كيفية

دلالتها على الصدق وذلك لانها وان شاركت آيات سائر الانبياء في كونها آيات فقد فارقتها
 في قوة دلالتها على قول موسى عليه السلام وان يراد بالسلطان المين المعجزات والآيات الحجج
 وان يراد بها المعجزات فانها آيات النبوة وحجة بينة على ما يدعيه النبي قال الرازي واعلم ان
 الآية تدل على أن معجزات موسى كانت معجزات هرون أيضا وان النبوة كما كانت مشتركة
 بينهما فكذلك المعجزات (الى فرعون وملائه) أي وقومه ولكن لما كان الاطراف
 لا يخالفون الاشراف عددهم عدما ومن الواضح ان التقدير ان اعبدوا الله مالكم من غيره
 وأشار بقوله تعالى (فاستكبروا) الى انهم أوجدوا الكبر عن الاتباع فيما دعواهم اليه عقب
 الابلاغ من غير تأمل ولا تثبيت وطلبوا أن لا يكونوا تحت أمر من دعاهم وأشار بالكون الى
 فساد جبلتهم بقوله تعالى (وكانوا قوما) أي أقوياء (عالمين) أي متكبرين فاهرين غيرهم بالظلم
 ولما تسبب عن استكبارهم وعلوهم انكارهم للاتباع قال تعالى (فقالوا أنؤمن) أي بالله تعالى
 مصدقين (لبشرين مثلنا) أي في البشرية والمأكل والمشرب وغيرهما مما يعتري البشر كما قال
 من تقدمهم (وقومهما) أي والحال ان قومهما أي بنى اسرائيل (لنا عابدون) خضوعا
 وتذللًا أي في غاية الذل والافتقار كالعبيد فنحن أعلى منهما بهذا لأنه كان يدعي الالهية فادعى
 للناس العبادته وأن طاعتهم له عبادة على الحقيقة (فكذبوهما) أي فرعون وملائه موسى
 وهرون (فكانوا) أي فرعون وملائه بسبب تكذيبهم (من المهلكين) أي بالفرق بصر القانم
 ولم تغن عنهم قوتهم في أنفسهم ولا قوتهم على خصوص بنى اسرائيل واستعبادهم ولا ضربي
 اسرائيل ضعفهم عن دفاعهم ولا ذلهم لهم وصغارهم في أيديهم ولما كان ضلال بنى اسرائيل
 بعد اقتادهم من عبودية فرعون وقومه أعجب قال تعالى نسليه لنبيه صلى الله عليه وسلم (ولقد
 آتينا) أي بعضنا (موسى الكتاب) أي التوراة (لعلهم) أي قوم موسى وهرون عليهما
 السلام (يهتدون) من الضلالة الى المعارف والاحكام ولا يصح عود الضمير الى فرعون وملائه
 لان التوراة انما اوتيتا بنو اسرائيل بعد اغراق فرعون وملائه بدليل قوله تعالى واقد آتينا
 موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى * القصة الخامسة قصة عيسى عليه السلام
 المذكورة في قوله تعالى (وجعلنا) أي بعظمتنا وقدرتنا (ابن مريم) نسبه اليها تحققة الكونه
 لأب له وكونه بشرا محمولا في البطن مولودا لا يصح لرتبة الالهية وزاد في تحقيق ذلك بقوله
 (وآمته) وقال تعالى (آية) ولم يقل آيتين لان الآية فيهما واحدة ولادته من غير رجل ويحتمل
 ان الآية الاولى حذف لدلالة الثانية عليها والتقدير وجعلنا ابن مريم آية وآمته آية لان الله
 تعالى جعل مريم آية لانها حلت من غير ذكر وقال الحسن قد تكلمت في صغرها كما تكلم عيسى
 وهو قولها هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ولم تلتقم ثديا قط * (تنبه) قال
 بعض المفسرين ولعل في ذلك إشارة الى انه تكلمت به آية للقدرة على ايجاد الانسان بكل
 اعتبار من غير ذكر ولا أنثى وهو آدم عليه السلام ومن ذكر بلا أنثى وهي حواء عليها السلام ومن
 أنثى بلا ذكر وهو عيسى عليه السلام ومن الزوجين وهو بقية الناس (وآويناهما) أي

بعضمتنا (الى ريو) أى مكان عال من الارض * (تنبيه) * قد اختلف في هذه الروية فقال عليه
 عن ابن عباس هي بيت المقدس وهو قول قتادة وكعب قال كعب هي أقرب الارض الى السماء
 بثمانية عشر ميلا وقال عبد الله بن سلام هي دمشق وقال أبو هريرة هي الرملة وقال السدي
 هي أرض فلسطين وقال ابن زيد هي مصر وقرأ ابن عاصم بفتح الراء والباقون بضم الراء
 (ذات قرار) أى منبسطة مستوية واسعة يستقر عليها ساكنوها (وهين) أى ماء جار ظاهر
 تراه العيون * (تنبيه) * قد اختلف في زيادة ميم معين واصالته فوجه من جعلها مضمولاً أنه
 مدول بالعين لظهوره من عانه اذا أدركه بعينه نحو ركبته اذا ضرب به ركبته ووجه من جعله فعلاً
 أنه نفاع لظهوره وبجره من الماعون وهو المنفعة قيل سبب الاواء أنها مرت بانها الى الرية
 وبقيت بها اثني عشر سنة ثم رجعت الى أهلها بمدايات ملكهم وههنا آخر القصر وقد
 اختلف في الخطاب بقوله تعالى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) على وجوه أحدها أنه محمد صلى
 الله عليه وسلم وحده على مذهب العرب في مخاطبة الواحد بلفظ الجماعة ناطهاً أنه عيسى عليه
 السلام لانه روى أن عيسى عليه السلام كان يأكل من غزل امته ناطهاً أنه كل رسول خوطب
 بذلك ووصى به لانه تعالى في الازل منكم أمرناه ولا يشترط في الامر وجود الماء ويرى بل الخطاب
 ازل على تقدير وجود الخطابين فنقول البيضاوى لا على أنهم خوطبوا بذلك دفعة لانهم ارساوا
 في أرضة مختلفة بل على معنى ان كلامهم خوطب به في زمانه تبع فيه الكشاف فان المعتزلة
 أنكروا قدم الكلام فعملوا الآية على خلاف ظاهرها وأنت خبير بان عدم اشتراط ما ذكر
 انما هو في التعلق العنوى لا التصريحي الذى الكلام فيه فانه مشروط فيه ذلك وانما خاطب جميع
 الرسل بذلك ليعتقد السامع ان أمر الخوطب به جميع الرسل ووصوا به حقيقة أن يؤخذ به
 ويعمل عليه وهذا كما قال الرازى أقرب لانه روى عن ام عبد الله أخت شداد بن أوس
 أنها بعثت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدر من لبن في شدة الحر عند فطره وهو ضامن فرد
 صلى الله عليه وسلم الرسول اليها وقال من أين لك هذا فقالت من شاة في ثم رده صلى الله عليه وسلم
 وقال من أين هذه الشاة فقالت اشتريتها من مالى فأخذه ثم أنها جاءته فالت يا رسول الله
 لم رده فقال صلى الله عليه وسلم بذلك أمرت الرسل أن لاتأكل الاطبا ولا تعمل الاصلحا
 والمراد بالطيب الحلال وقيل طيبات الرزق الحلال الصافي القوام فالحلال هو الذى لا يعصى
 الله تعالى فيه والصافي هو الذى لا ينسى الله فيه والقوام هو الذى يمسك النفس ويحفظ العقل
 وقيل المراد بالطيب المستلذ أى ما تستلذه النفس من المأكول والمشرب والقواكه ويشهده
 بحبسه على عقب قوله تعالى وآتيناهما الى ريو ذوات قرار ومعين واعلم أنه سبحانه وتعالى كما قال
 للمرسلين يا أيها الرسل كلوا من الطيبات قال لاه مؤمنين يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات
 ما رزقناكم وولد سبحانه وتعالى على ان الحلال هو على الطاعة بقوله تعالى (واعلموا اصلحاً)
 فروضاً وفضلاً ووجهاً وغير خافين من أحد فغير الله تعالى ثم حثهم على دوام المراقبة بقوله تعالى
 (الى جاء) أى بكل شئ (تصطلون عليهم) أى بالغ العلم فاجاز بكم عليه وقرأ (وان هذه) بكسر

الهزيمة الكوفيون على الاستئناف والباقون بخصها على تقدير واعلموا أن هذا ما مله
 الاسلام وخفف النون ساكنة ابن عامر وشدها مفتوحة الباقر (أمتكم) أي دينكم
 أيها المخاطبون أي يجب أن تكونوا عليها حال كونها (أمة واحدة) لاشتات فيها أصلا
 فإدامت موحدة فهي مرضية (وأنا ربكم) أي المحسن إليكم بالخلق والرزق وحدي فمن
 وحدني نجح ومن أشرك معي غيبي هلك (فاتقون) أي فاحذرون (تقطعوا) أي الامم
 وانما أضرهم لوضوح ارادتهم لان الآية التي قبلها قد صرحت بأن الانبياء ومن نجح منهم
 أمة واحدة لا خلاف بينهم فاعلم قطعاً أن الضمير للامم ومن نشأ بعدهم ولذلك كان النظر إلى
 الامر الذي كان واحداً أهم فقدم وقوله (أمرهم) أي دينهم بعد ان كان مجتمعة متصلاً
 (بينهم) وقوله تعالى (زبراً) حال من فاعل قطعوا أي أحزاباً متضالفة فصاروا فرقا
 كما هو ودوالنصارى والمجوس وغيرهم من الاديان المختلفة جمع زبور بمعنى الفرقة وقيل
 معنى زبراً كتبنا أي عمسك كل قوم بكتاب فآمنوا به وكفروا بما سواه من الكتب (كل
 حزب) أي فرقة من المتخزين (بمالديهم) أي عندهم من ضلال وهدى وقرأ حزة بضم
 الهاء والباقون بكسرهما (فرحون) أي مسرورون فضلا عن أنهم راضون وقوله تعالى
 (قدرهم) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي اترك كفار مكة (في غمرتهم) أي ضلالهم
 شبهها بالماء الذي يغمر القامة لانهم مغمورون فيها (حتى حين) أي الى أن يقتلوا أو يوتوا سلى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ونهى عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيرها ولما
 كان الموجب لغرورهم ظنهم ان حالهم في بسط الارزاق من الاموال والاولاد حلة رضا
 عنهم أنكرو ذلك عليهم تنبيها لمن سبقت له السعادة وكتبت له الحسنى وزيادة فقال تعالى
 (أيحسبون) أي لنصف عقولهم وقرأ ابن عامر وعاصم وحزرة بفتح السين والباقون بكسرهما
 (أعمأتمهم) أي تعطيمهم ونجعله مدد الهم (به من مال) يسره لهم (وبين) تمتعهم بهم ثم أخبر عن
 أن بقوله تعالى (تسارع) أي فيجعل (الهم) أي به (في الخيرات) لا تفعل ذلك (بل لا يشعرون)
 أنهم في غاية البعد عن الخيرات فسندرجهم من حيث لا يعلمون وقال تعالى في موضع آخر
 فلا تهيجك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وزهق أنفسهم
 وهم كافرين وروى عن زيد بن مسرة أنه قال أوحى الله تعالى الى نبي من الانبياء أن يفرح
 عبدي أن أبسط اليه الدنيا وهو أبعد له مني ويحزن أن أقبض عنه الدنيا وهو أقرب له مني
 وعن الحسن انه لما أتى عمر رضي الله عنه بسوارى كسرى فأخذها ووضعها في يد سراقه
 ابن مالك فبلغا من كيبه فقال عمر اللهم اني قد علمت ان نبيك عليه الصلاة والسلام كان يحب أن
 يصيب ما لا ينفعه في سبيك فزويت ذلك عنه ثم ان أبابكر كان يحب ذلك اللهم لا يكون ذلك
 مكرامتك ثم فلا يحسبون الآية ولذا كرأه الاقتران ذكر أهل الوفاق ووصفهم بأربع
 صفات الاولى قوله تعالى (ان الذين هم) أي يواطئهم (من خشية ربهم) أي الخوف العظيم من
 المحسن اليهم المنم عليهم (مشفقون) أي دافعون على الخذر الصفة الثانية قوله تعالى (والذين

هم بالآيات ربههم) أي القرآن (يؤمنون) أي يصدقون الصفة الثالثة قوله تعالى (والذين هم
 بربهم) أي الذي لا يحسن اليهم غيره (لأبشركون) أي شيأمن شرك في وقت من الاوقات
 كما يشرك في الاحسان اليهم أحد * ولما أثبت لهم الايمان الخاص نفي عنهم المحب بقوله
 تعالى (والذين يؤمنون) أي يعطون (مأثراً) أي ما اعطوا من الصدقة والاعمال الصالحة وهذه
 الصفة الرابعة (وقلوبهم وجله) أي شديدة الخوف أن لا يقبل منهم ولا ينصيبهم من عذاب الله
 ثم علل ذلك بقوله تعالى (أنهم الى ربهم) أي الذي طال احسانه اليهم (راجعون) بالبعث
 فيجازيهم على التقدير والقطمير ويجزيهم بكل قليل وكثير وهو الناقد البصير ولا تنفع هناك
 الندامة وليس هناك الا الحكم العدل والحكم القاطع من جهة مالك الملك قال الحسن
 البصري المؤمن جمع ايمان وخشية والمنافق جمع اساءة وامنا * ثم أثبت لهم ما فهم ان ضده
 لا ضد ادهم بقوله تعالى (أو تلك يسارعون في الخسرات وهم لها سابقون) أي يبادرون الى
 الاعمال الصالحة قبل الموت * ولما ذكر تعالى كيفية أعمال المؤمنين المخلصين ذكر أنه تعالى
 لا يكلف أحد اذ فوق طاقته بقوله تعالى (ولا تكلف نفسا الا وسعها) أي طاقتها فمن لم يستطع أن
 يصلي الفرض فأتها فليصل قاعدا ومن لم يستطع أن يصلي قاعدا فليصل مضطجعا ومن لم يستطع
 أن يصوم رمضان فليطهرا لانبى الخلوقة على العجز (ولدينا) أي وعندنا (كتاب ينطق بالحق)
 بما علمته كل نفس وهو اللوح المحفوظ تسطر فيه الاعمال وقبيل كتب الحافظة وتطيره قوله
 تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق وقوله تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فنبه تعالى
 الكتاب عن بصدر عنه البيان فان الكتاب لا ينطق لكنه يعرف بما فيه كما يعرف بنطق الناطق
 اذا كان محققا (فان قيل) ما فائدة ذلك الكتاب مع ان الله تعالى يعلم ذلك اذ لا تخفى عليه خافية
 (اجيب) بأن الله تعالى يفعل ما يشاء وقد يكون في ذلك حكمة لا يطلع عليها الا هو تعالى (وهم)
 أي الخلق كلهم (لا يظلمون) أي لا ينقص من حسناتهم ولا يزداد في سيئاتهم * ثم ذكر حال الكفار
 فقال تعالى (بل قلوبهم) أي الكفرة من الخلق (في عمرة) أي جهالة قد أغرقتها (من هذا) أي
 القرآن والذي وصف به حال هؤلاء * ومن كتاب الحافظة (ولهم أعمال من دون ذلك) المذكور
 للمؤمنين (هم) أي الكفار (لها) أي لتلك الاعمال الخبيثة (عاملون) أي لا بد أن يعملوها
 فيعذبون عليها لما سبق لهم من الشقاوة (حتى اذا أخذنا متفرقيهم) أي رؤساءهم وأغنياءهم
 (بالعذاب) قال ابن عباس هو السيف يوم بدر وقيل هو الجوع دعا عليهم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وقال اللهم اشد وطأك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاههم الله
 تعالى بالقمح حتى أكلوا الكلاب والجف والعظام المحرقة والقذرو والاولاد (اذا هم يجأرون)
 أي يصيحون ويستغيثون ويجزعون وأصل الجأر رفع الصوت بالتضرع قاله البيهقي فكانت
 قيل فهل يقبل اعتذارهم أو يرحم انكسارهم قبيل لا بل يقال لهم بلسان الحال أو المقال
 (لا تجأروا اليوم) فان الجأر غير نافع لكم * ثم علل ذلك بقوله تعالى (انكم مثالا لتصرون) أي
 بوجه من الوجوه ومن عدم نصير تام بحيلة ناصر اخلافاً لندم الخلق والاعمال الخبيثة ثم علل ذلك

فصر لهم بقوله تعالى (قد كانت آياتي) أي من القرآن (تلى عليكم) أي من أوليائهم وهم الهداة
 المنصاة (فكنتم) كوناهاو كالجبله (على أعقابكم) عند تلاوتها (تنكصون) أي تعرضون
 مدبرين عن سماعها والعدل بها والنكوص الرجوع القهقري (متكبرين) عن الإيمان
 واختلف في عود الضمير في (به) فقال ابن عباس بالبيت الحرام وشهرة استكبارهم واقتضاهم
 أنهم قوامه أغنت عن سبق ذكره وذلك أنهم يقولون نحن أهل حرم الله وجيران بيته فلا يظهر
 علينا أحد ولا يخاف أحدان فإيمانهم فيه وسائر الناس في الخوف وقيل بالقرآن فلم يؤمنوا به
 وقوله تعالى (سامرا) نصب على الحال أي جماعة يصدون باللسل حول البيت وقوله تعالى
 (تهجرون) قرأه نافع بضم التاء وكسر الجيم من الأجهار وهو الألفاس أي تفحشون وتفحشون
 الخناذكر أنهم كانوا يسبون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والباقون بفتح التاء وضم الجيم
 أي تعرضون عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الإيمان وعن القرآن وترفضونها وتسمون
 القرآن سحرا وشعرا ثم انه تعالى لما وصف حالهم رد عليهم بأن بين أن اقدامهم على هذه الامور
 لا بد أن يكون لاحد أمور أربعة أحدها أن لا يتأملوا في دليل نبوته وهو المراد من قوله تعالى
 (أفلم يتدبروا القول) أي القرآن الدال على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وأصل يدبروا يتدبروا
 أدغمت التاء في الدال ثانيها أن يعتقدوا ان ما جاء به الرسول أمر على خلاف العادة وهو
 المراد من قوله تعالى (أم جاءهم) في هذا القول (مالم يأت آباءهم الأولين) الذين بعد اسمعيل
 وقبله ثالثها أن لا يكونوا عاقلين بأماته وحسن حاله قبل ادعائه النبوة وهو المراد من قوله تعالى
 (أم لم يعرفوا رسوله) أي الذي أتاهم بهذا القول الذي لا قول مثله وهم يعرفون نسبه
 وصدقه وأماته وما جاءهم به من معالي الاخلاق حتى أنهم لا يجدون فيه اذا تحققت الحقائق
 فتيصه يذكرونها ولا وصحة يستحلونها كما دلت عليه الاحاديث الصحاح منها حديث أبي سفيان
 ابن حرب الذي في أول الضاري في سؤال هرقل ملك الروم له عن شأنه صلى الله عليه وسلم وقد
 اتفقت كلمتهم عليه بتسميته الامين (فهم) أي فتسبب عن جهلهم به أنهم (له) أي نفسه أو القول
 الذي أتى به (متكبرون) فيكونوا ممن جهل الحق بل جهل حال الآتي به وفي هذا غاية التوبيخ لهم
 بجهلهم وبغباوتهم بأنهم يعرفون أنه أصدق الخلق وأعلامهم في كل معنى جميل ثم كذبوه وابعها
 أن يعتقدوا فيه الجنون فيقولوا انما جعله على ادعائه الرسالة جنونه وهو المراد من قوله تعالى
 (أم يقولون) أي بعد تدبر ما أتى به وعدم عثورهم فيه على وجه من وجوه الطعن (به) أي
 رسوله (جنه) أي جنون فلا يوثق به * ولما كانت هذه الاقسام منفية عنه فانهم أعرف
 الناس بهذا النبي الكريم وانه أكملهم خلقا وأشرفهم خلقا وأظهرهم شيئا وأعظمهم
 همما وأرجمهم عقلا وأمتهم رأيا وأرضاهم قولا وأصوبهم فعلا اضرب عنها وقال تعالى (بل)
 أي لم ينكسوا عند سماع الآيات ويسمروا ويهجروا للاعتقاد شيئا مما مضى وانما فعلوا
 ذلك لان هذا الرسول الكريم (جاءهم بالحق) أي القرآن المشتغل على التوحيد وشرائع
 الاسلام وقال الجلال المحلى الاستفهام فيه للتقرير بالحق من صدق النبي ومحجى الرسول للام

الماضية ومعرفه رسولهم بالصدق والامانة وان لاجنون به وبلى للانتقال (وأكثرهم) أي
 والحال ان أكثرهم (اللعق كارهون) متابعه للاهواء الرذيلة والشهوات البهيمية عنادا وانما قيد
 تعالى الحكم بالاكثر لان بعضهم يترك جهلا وتقليدا وخوفا من أن يقال صبا وبه ضم يتبعه
 توفيقا من الله تعالى وتأيد انهم بين تعالى ان اتباع الهوى يؤدي الى الفساد العظيم بقوله تعالى
 (ولو اتبع الحق) أي القرآن (أهواءهم) بأن جاءهم به ووه من الشرك والولد لله تعالى الله عن
 ذلك علوا كبيرا (لفسدت السموات) على علوها واحكامها (والارض) على كثافتها وانتظامها
 (ومن فيهن) على كثرتهم وانتشارهم وقوتهم أي خرجت عن نظامها المشاهد بسبب ادعائهم
 تعدد الالهة لوجود المتنازع في الشيء عادة عند تعدد الحاكم كما سبق تقريره في قوله تعالى
 لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا (بل أنبأهم) بعضهمنا (بذكرهم) أي بالقرآن الذي فيه ذكرهم
 وشرفهم وقيل بالذكر الذي تنمونه بقولهم لو أن عندنا ذكرا من الأولين (نهم عن ذكرهم) أي
 الذي هو شرفهم (معرضون) لا يلتفتون اليه ثم بين تعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يطمع
 فيهم حتى يكون ذلك سببا لغرتهم بقوله تعالى (أم تسألهم) أي على ما جنتهم به (حرجا) أي اجرا
 وقرأ حمزة والكسائي بفتح الراء وبعدها ألف والباقون بسكون الراء * ولما كان الانتكار معناه
 النفي حسن موقع فاء السببية في قوله تعالى (فخرج ربك) أي رزقه في الدنيا ونوابه في العقبى
 (خبر) لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن عطايتهم وقرأ ابن عامر بسكون الراء والباقون
 بفتحها وألف بعدها قال أبو عمرو بن العلاء الخرج ما تبرعت به والخرج ما لم ترك أداءه قال
 الزنجشيري والوجه ان الخرج اخص من الخراج كقولك خراج القرية وخرج الكردية أي
 الرقبة زيادة اللفظ زيادة المعنى ولذلك حسنت قرأتهم من قرأ آخر جال خراج ربك يعني أم تسألهم
 على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخالق فالكثير من عطاء الخالق خير وقوله تعالى (وهو خير
 الرازقين) تقرير لخبره خراجه * وما يذيف سبحانه وتعالى طريق القوم اتبعه بصحة ما جاء به
 الرسول عليه السلام بقوله تعالى (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) تشهد عقولهم السليمة
 على استقامته لا عوج فيه يوجب اتهامهم له كما تشهد له به العقول الصحيحة فمن سلكه أو وصله الى
 الغرض فجاز كل شرف * (تنبيه) * قد أوزمهم الله تعالى الخجة في هذه الآيات وقطع معاذيرهم
 وعلاهم فان الذي أرسل اليهم رجل معروف أمره وحاله مخبور سره وعلمته خليف بأن يجتبي مثله
 للرسالة من بين ظهرانيهم وأنه لم يعرض له حتى يدعى مثل هذه الدعوى العظيمة باطل ولم يجعل له
 سلما الى التل من دنياهم واستعطاء أموالهم ولم يدعهم الى دين الاسلام الذي هو الصراط
 المستقيم الامع ابرازا لم يكون من أدواتهم وهو اخلاصهم بالتدبير والتأمل من غير رهان (وان
 الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي بالبعث والنواب والعقاب (عن الصراط) أي الذي لا صراط
 غير لانه لا موصل الى القصد غيره (لنا كيون) أي عادلون منصرفون في سائر أحوالهم سائرون
 على غير منهج أصلا بل خبط عشواء (ولو رجناهم) أي عاملناهم معاملة المرحوم في ازالة ضرره
 وهو معنى قوله تعالى (وكشفنا ما بهم من ضر) أي جوع أصابع مكة سبع سنين (الجوا)

أى عادوا وتعبدوا (في طغيانهم) الذى كانوا عليه قبل هذا (بعمهون) أى يترددون ولقد أخذناهم بالذباب) وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا على قريش أن يجعل عليهم سنين كسنى يوسف فأصابهم القحط فجاء يوسفان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أنشدك الله والرحم ألسنتى زعم أنك بعثت رجة للعالمين فقال بلى فقال قد قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فقد أكلوا القرب والعمام والعلهز وشككنا الله الضرع فادع الله تعالى يكشف عنا هذا القحط فدعا فكشف عنهم فأنزله الله تعالى هذه الآية * (تنبيه) * العلهز ويرحط بدماء العجم فيؤكل في الجذب والعلهز أيضا القراد الضخم وشكك بعض الاعراب الى النبي صلى الله عليه وسلم السنة فقال

ولا شئ مما يمايأ كل الناس عندنا * سوى الخنظل العامى والعلهز القبل
وليس لنا الا اليك فرارنا * وأين فرار الناس الا الى الرسل

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واستسقى لرفع هذه المحن فقال الله تعالى عنهم (فما استكفونا) أى خضعوا خضوعا عاوا كالجبله لهم وأصله طلب السكون (لربهم) أى المحسن اليهم عقب المحنة (وما يتضرعون) أى يجتهدون الدعاء بالخضوع والذل والخشوع في كل وقت بحيث يكون لهم عادة بل هم على ما جبلوا عليه من الاستكبار والعقو (حتى إذا قضت عليهم بابادا) أى صاحب (عذاب شديد) قال ابن عباس يعنى القتل يوم بدر وهو قول مجاهد وقيل هو الموت وقيل هو قيام الساعة (إذا هم فيه) أى ذلك الباب مطروحون لا يقدرون منه على نوح خلاص (مبلسون) متحيرون آيسون من كل خير ثم انه سبحانه القت الى خطايهم وبين عظيم نعمته من وجوه أحدها ما ذكره بقوله تعالى (وهو الذى أنشأ) أى خلق (لكم) يامن يكذب بالآخرة (السمع) بمعنى الاسماع (والابصار) على غير مثال سبق لتحسنوا بها ما نصب من الآيات (والانفثة) أى التى هى مراكز العقول فتشكروا فى الآيات وتستدلوا بها على الوحدة فكنتم بها أعلى من بقية الحيوان جمع فؤاد وهو القلب وانما خص هذه الثلاثة بالذكر لانه يتعلق بهامن المنافع الدينية والدنيوية مما لا يتعلق بغيرها فمن لم يمهلهما فيما خلقت له فهو بمنزلة عمادها كما قال عز وجل فما أغنى عنهم معهم ولا ابصارهم ولا أنفثهم من شئ إذ كانوا يجحدون بآيات الله * ولما صور لهم هذه النعم وهى بحيث لا يشك عاقل فى أنه لو تصور أن يعطى آدمى شيئا منها لم يقدر على مكافئته حسن تبيكينهم فى كفر النعم فقال تعالى (قليلًا ما تشكرون) لمن أولاكم هذه النعم التى لا يقدر غيره على شئ منها مع ادعائكم انكم اذكركم الناس لمن أسدى اليكم أقل ما يكون من النعم التى يقدر على مثلها كل أحد فكنتم بذلك مثل الحيوانات العجم صما بكيا عما قال أبو مسلم ليس المراد ان لهم شكرا وان قل لكنه كما يقال للكفور الجاحد النعمة ما أقل شكر فلان ثانيا ما ذكره فى قوله تعالى (وهو) أى وحده (الذى ذرأكم) أى خلقكم وشككم (فى الارض) للتنازل (والله) وحده (تخسرون) يوم التشور نالها ما ذكره بقوله تعالى (وهو) أى وحده (الذى) من شأنه أنه (يجي

وميت) فلما منع له من البعث ولا غيره مما يريد زابعا ما ذكره بقوله تعالى (وله اختلاف
 الليل والنهار) أى التصرف فيهما بالسواد والبياض والزيادة والنقصان (أفلا تعقلون) أى
 بالنظر والتأمل ان الكل منا وان قدرنا تم المكئات ككها وان البعث من جملتها فتعتبرون
 * ولما كان معنى الاستفهام الانكارى النفي حسن بعده قوله تعالى (بل قالوا) أى هؤلاء
 العرب (مثل ما قال الأولون) من قوم نوح ومن بعدهم فقالوا ذلك تقليد للآخرين ثم حكى الشبهة
 عنهم من وجهين أحدهما ما ذكره بقوله تعالى (قالوا) أى منكرين بالبعث متجهين من أمره
 (أندامتنا وكنا) أى بالبلاء بعد الموت (ترابا وعظاما) نخرة ثم أكسدا والانكار بقوله سم
 (أنا لمبعوثون) أى لمحشورون بعد ذلك قالوا ذلك استبعادا ولم يتأملوا انهم قبل ذلك أيضا
 كانوا ترابا خلقوا ناسيها ما ذكره بقوله تعالى انهم قالوا (لقد وعدنا نحن وآبائنا هذا) أى البعث
 بعد الموت (من قبل) كأنهم قالوا ان هذا الوعد كما وقع منه صلى الله عليه وسلم فقد وقع قديما
 من سائر الانبياء ولم يوجد مع طول العهد وظنوا ان الاعادة تكون في دار الدنيا ثم قالوا (ان)
 أى ما (هذه الاساطير) أى أكاذيب (الأولين) كالأضاحيك والاعاجيب جمع اسطورة
 بالضم وقيل جمع أسطار جمع سطر قال رؤبة * انى واسطار سطر ن سطر * وهو ما كتبه الأولون
 مما لا حقيقة له * ولما أنكروا البعث هذا الانكار المؤكد ونفوه هذا النفي المحتم أمره الله تعالى
 أن يقرزهم بثلاثة أشياء هم بها مقرون ولها عار فون يلزمهم من نسليها الاقرار بالبعث قطعها
 أحدها قوله تعالى (قل) أى يجيب الانكارهم البعث لمنزلة لهم (لن الارض) أى على سعتها
 وكثرة مجاسيها (ومن فيها) على كثرتهم واختلافهم (ان كنتم) أى مما هو كالجبل لكم (تعلمون)
 أى أهلا للعلم وفيه تنبيه على أنهم أنكروا شيئا لا ينكره عاقل * ولما كانوا مقرين بذلك أخبر
 تعالى عن جوابهم - قبل جوابهم - ليكون من دلائل النبوة وعلام الرسالة بقوله تعالى استنفا
 (سيقولون) أى قطعاً ذلك كله (لله) أى المختص بصفات الكمال ثم انه تعالى أمره بقوله (قل)
 أى لهم اذا قالوا ذلك منكر اعليمهم (أفلا تذكرون) أى فى ذلك المر كوزنى طباعكم المقطوع
 به عندكم ما غفلتم عنه من تمام قدرته وباهر عظمته فتصدقوا ما أخبر به من البعث الذى
 هودون ذلك وتعلموا أنه لا يصلح شئ منها وهو ملكه أن يكون شريكاً له تعالى ولا ولداً وتعلموا
 ان القادر على الخلق ابتداء قادر على الاحياء بعد الموت وأنه لا يصح فى الحكمة أصلاً أن يترك
 البعث لان أقلكم لا يرضى بترك حساب عبده والعدل بينهم وقرأ حفص وجزء والكسافى
 بتخفيف الذال والباقون بالتشديد بادغام التاء الثانية فى الذال ثابها قوله تعالى (قل) أى لهم
 (من رب) أى خالق ومدبر (السعوات السبع) كما شاهدون من حركاتها وسيرها فلا *
 (ورب العرش) أى الكرمى (العظيم) كما قال تعالى وسع كرسيه السموات والارض
 (سيقولون لله) أى الذى له كل شئ هو رب ذلك لاجواب لهم غير ذلك ولما تأكد الامر وزاد
 الوضوح حسن التهديد على التحدى فقال تعالى (قل) أى منكر اعليمهم (أفلا تتقون)
 أى تحذرون عبادة غيره طالها قوله (قل) أمره الله تعالى بعد ما قرزهم بالعالمين العلوى والسفلى

أن يقرهم بما هو أعم وأعظم وهو قوله تعالى (من بيده) أي من تحت قدرته ومشيئته (ملكوت
 كل شئ) من أنس وجن وغيرهما والملكوت الملك البليغ قال ابن الأثير كانت العرب إذا كان
 السيد فيهم أجار أحداً لا يجتر جوارره وليس لمن دونه أن يجبر عليه إلا يعاب عليه ولو أجار
 ما أفاد ولهذا قال تعالى (وهو يجبر) أي يمنع ويغيب من شاء فيكون في حوز لا يقدر أحد على
 الدنق من ساحته (ولا يجار عليه) أي ولا يمكن أحداً أبداً أن يجبر جواراً يكون مستعلياً عليه
 بأن يكون على غير مراده بل يأخذ من أراد وإن نصره جميع الخلاق ويعلى من أراد وإن
 تحاملت عليه كل المصائب فبين كالشمس أنه لا شريك يمانعه ولا ولد يضارعه وأنه السيد
 العظيم الذي لا أعظم منه الذي له الخلق والامر ولا معقب لحكمه وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن
 ثم ألهمهم إلى المبادأة إلى الاعتراف به وهيبهم بقوله تعالى (ان كنتم تعارون) أي في عداد من
 يعلم ولذلك استأنف قوله تعالى (سيعقولون لله) أي الذي بيده ذلك خاصه * (نبيه) *
 سيعقولون لله الأول لا خلاف فيها وأما الثانية والثالثة فقرأ أبو عمرو وسيقولون الله بزيادة
 همزة الوصل مع التفضيم فيه ما ورفع الهاء والباقيون بغير همزة الوصل مع الترتيق وكسر الهاء
 والتقدير ذلك كاه لله * ولما كان جوابهم بذلك يقتضي انكاراً يوقفهم في الاقرار بالبعث استأنف
 قوله تعالى (قل) أي لهم منكر عليهم (فأنتي تسحرون) أي فكيف بعد اقراركم بهذا كله
 تتحدعون وتصرفون عن الحق وكيف يخيل لكم أنه باطل * ولما كان الانكار بمعنى النفي حسن
 قوله تعالى (بل) أي ليس الامر كما يقولون بل (أيناهم بالحق) أي بالصدق من التوحيد والوعد
 بالمشور (وانهم لكاذبون) في كل ما ادعوه من الولد والشريك وغيرهما مما بين القرآن
 فساده ومن أعظم كذبهم قولهم اتخذ الرحمن ولداً قال تعالى رد عليهم (ما اتخذ الله) أي
 الذي لا يصف له (من ولد) أي لا من الملائكة ولا من غيرهما لما قام من الأدلة على غناه وأنه
 لا يجانس له * ولما كان الولد أخص من مطلق الشريك قال تعالى (وما كان معه) أي بوجه
 من الوجوه (من الله) يشابه في الألوهية (إذا) لو كان معه اله آخر (لذهب كل اله بما خلق)
 بالتصرف فيه وحده ليميز ما له مما لغيره (فان قيل) إذا تدخل الاعلى كلام هو جزاء وجواب
 فكيف وقع قوله تعالى لذهب جزاء وجواباً ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل (أجيب) بأن
 الشرط محذوف تقديره ولو كان معه آلهة وانما حذف لدلالة قوله تعالى وما كان معه من اله
 عليه وهو جواب لمن معه المحاجة من المشركين (ولعلا بعضهم) أي بعض الآلهة (على
 بعض) إذا تخالفت أو امرهم فلم يرض أحد منهم أن يضاف ما خلقه الى غيره ولأن يضي فيه
 أمر على غير مراده كما هو مقتضى العادة فلا يكوون المغلوب اله العجز ولا يكون مجبراً غير
 مجار عليه بيده وحده ملكوت كل شئ * ولما طابق الدليل الارزاقى نفي الشريك نزه نفسه
 الشريفة بما هو نتيجة ذلك من قوله تعالى (سبحان الله) أي المصنف بجميع صفات الكمال
 المزهة عن شائبة هكل نقص (عما يصفون) من كل ما لا يليق بجنابه المقدس من الانداد
 والاولاد لما سبق من الدليل على فساده ثم أقام دليلاً آخر على كماله بوصفه بقوله تعالى (علم)

الغيب والشهادة) أى ما غاب وما شهد وقرأ نافع وحفص وحزرة والكسافى يرفع الميم على أنه
 خبر مبتدأ محذوف تقديره هو والباقيون بالخفض على أنه صفة لله ثم رتب على هذا الدليل
 قوله تعالى (تعالى) أى تعاطم (عما يشركون) معه من الآلهة ثم إن الله تعالى أمر
 فيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (قل رب) أى أيها المحسن الى (أما) فيه ادغام نون
 ان الشرطية في ما الزائدة أى ان كان لا بد أن (ترجى) لأن ما والنون للتاكيد (ما وعدون)
 من العذاب في الدنيا والآخرة (رب فلا تجعلني) باحسانك الى (في القوم الظالمين) أى قريبتهم
 في العذاب (فان قيل) كيف يجوز أن يجعل الله تعالى بيده صلى الله عليه وسلم المعصوم مع
 الظالمين حتى يطلب أن لا يجعله معهم (أجيب) بأنه يجوز أن يسأل العبد ربه ما علم أنه يفعله
 وأن يستعذبه بما علم أنه لا يفعله اظهار العبودية وتواضعه له واخباته واستغفاره صلى الله
 عليه وسلم اذا قام من مجلسه سبعين مرة أو مائة مرة لذلك وما أحسن قول الحسن في قول أبي بكر
 الصديق رضي الله تعالى عنه ولستكم ولست بجزركم كان يعلم انه خيرهم ولكن المؤمن يهضم
 نفسه وانما ذكر ربه مرتين مرتة قبل الشرط ومرتة قبل الجزاء مبالغة في التضرع (وانا) أى بما لنا
 من العظمة (على أن تريك) أى قبل موتك (مانعدهم) من العذاب (لقادرون) ككنا نؤخره
 علم بأن بعضهم أو بعض أعقابهم يؤمنون وهو صادق بالقتل يوم يدأ وفتح مكة ثم كانه قال
 لماذا أفعال فيما تعلم من أمرهم فقال تعالى (ادفع بالتي هي أحسن) أى من الأقوال والأفعال
 بالصفح والمداراة (السيئة) اذاهم اياك وهذا قبل الامر بالقتال فهى مفسوخة وقيل بحكمة
 لأن المداراة محثون عليها ما لم تؤذ الى نقصان دين أو مروءة (نحن أعلم بما يصقون) فى حثك
 وحققنا فلوشنا من عندهم منه أو عاجلناهم بالعذاب وليس أحد باغبر منا فاصبر كما صبر أولو العزم
 من الرسل * ولما أدب سبحانه وتعالى ربه صلى الله عليه وسلم بأن يدفع بالتي هي أحسن على
 ما به يقوى على ذلك بقوله تعالى (وقل رب) أى أيها المحسن الى (أعوذ بك) أى التجئ اليك
 (من همزات الشياطين) أى أن يصلوا الى بوساوسهم وأصل الله عز الخصر ومنه همزات
 الرائض شبه حثهم الناس على المعاصى بهمز الرائض الدواب على المشى وانما جمع همزات
 لتنوع الوسواس أو لثقله المضاف اليه (وأعوذ بك رب) أى أيها الربى (أن يحضرون)
 فى حال من الاحوال خصوص حال الصلاة وقرآنة القرآن وحلول الاجل لانها أحرى الاحوال
 وهم انما يحضرون بالسوء ولولم تصل الى وسوسهم فان بعدهم بركة وعن جبير بن مطعم
 قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة قال عمر ولا أدرى أى صلاة هى فقال
 الله أكبر كبيرا ثلاثا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة وأصيل ثلاثا ما عوذ بالله من
 الشيطان الرجيم من نفثه ونفثه وهمزه قال نفثه الشعر ونفثه الكبر وهمزه الموتة
 أخرجه أبو داود لأن الشعر يخرج من القلب فيه يفظ به اللسان وينفثه كما ينث الريق والمتكبر
 ينثفح ويتعاطم ويجمع نفسه ويحتاج الى أن ينثفح والموتة الجنون والجنون يصير فى الدنيا
 كالهيئة ثم إن الله تعالى أخبرنا هؤلاء الكفار الذين شكروا البعث يسألون الرجعة الى الدنيا

عند معاينة الموت بقوله تعالى (حتى) وهي هنا كما قال الجلال المحلى استدائية أو متعلقة
 بصقون أو بكذبون كما قال الزنجشيري وقد تم المذموم ليذهب الوهم في فاعله كل مذهب فقال
 (إذا جاء أحدكم الموت) فكشف له الغطاء وظهر له الحق ولاحت له بوارق العذاب ولم يبق
 في شيء من ذلك ارتباب (قال) متحسرا على ما تطفئه من الإيمان والطاعة مخاطبا للملائكة
 العذاب على عذجه له ووقوفه مع المحسوس من ذاب البهائم (رب ارجعون) أي ردوني
 إلى الدنيا والعمل ويجوز أن يكون الجمع له تعالى ولله لائكة أو ولله تعظيم على عادة مخاطبات
 الأكابر سيما الملوك كقوله * ألافارجوني بالله محمد * وقوله * فان شئت حرمت النساءواكم * أو
 القصد تكرر العمل للناس كدلانه في معنى ارجعني كما قيل في قفا واطرافهم ما معنى قف
 واطرف اطرق * ولما كان في تلك الحالة مع وصوله إلى الغرغرة ليس على القطع من اليأس
 قال (علي أعمل) أي لأن كون على رجا من أن اعمل (صالحا فيما تركت) أي ضيقت من
 الإيمان بالله وتوابعه فدخل في الأعمال البديهة والمالية وعنه صلى الله عليه وسلم
 إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا انزعك إلى الدنيا فيقول إلى دار الله وموم والاحزان إلى قدوما
 على الله وأما الكافر فيقول رب ارجعون اعلی أعمل صالحا فيما تركت قال قتادة ما تعني أن يرجع
 إلى أهله ولا عشرينه ولا يجمع الدنيا ويقضى الشهوات ولكن تعني أن يرجع فيعمل بطاعة الله
 فرحم الله امرأ أعمل فيما تنهاه الكافر إذا رأى العذاب وقال ابن كثير كان العلامة زباد
 يقول لينزل أحدكم نفسه أنه قد حضر الموت واستقال ربه فأقاله فيعمل بطاعة الله تعالى
 * ولما كان القضاء قد قطع بأنه لا يرجع ولورجع لم يعمل بطاعة الله عز وجل ولوردوا
 المائمه واعنه وانهم لكاذبون قال الله تعالى له رد عاورد الكلامه (كلام) أي لا يكون شيء من
 ذلك وكانه قيل فما حكم ما قال فقيل (انها كلمة) والمراد بالكلمة في اللغة الطائفة من الكلام
 المنتظم بعضها مع بعض رب ارجعون إلى آخره (هو فائلها) وقد عرف منه الخداع والكذب
 فهي كما عهد منه لاحقة لها فلا يجاب البها ولا تسمع منه وهو لا محالة لا يجلبها ولا يسكت عنها
 لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط الندم (ومن ورائهم) أي امامهم والضمير للجماعة (برزخ)
 أي حائل بينهم وبين الرجعة واختاف في معناه فقال مجاهد حجاب بينهم وبين الرجوع
 إلى الدنيا وقال قتادة بقية الدنيا وقال النخائل البرزخ ما بين الموت إلى البعث وقيل هو الموت
 وقيل هو القبر فيه (اليوم يبعثون) وهو يوم القيامة وفي هذا انطاط كل من الرجوع إلى
 الدنيا لما علم أنه لا رجعة يوم البعث إلى الدنيا وانما الرجوع فيه إلى حياة تكون في الآخرة
 (فأذ نفتح في الصور) أي القرن روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنها النفضة الأولى ونفتح
 في الصور نفتح من في السموات ومن في الأرض (فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) ثم نفتح
 فيه أخرى فاذا هم قيام يظنون وأقبل بعضهم على بعض يتسألون وعن ابن مسعود أنها
 النفضة الثانية قال يؤخذ بيد العبد والامة يوم القيامة فينصب على رؤس الآتين والآخريين
 ثم نادى مناد هذا فلان بن فلان فمن كان له قبله حق فليأت إلى حقه فيفرح المرء أن يكون له

قوله في
 فاعله منه
 نظر آه

حق على والده أو ولده أو زوجته أو أخيه فيما أخذه منهم ثم قرأ ابن مسعود فلا أنساب بينهم
 يومئذ ولا يتساءلون وفي رواية عطاه عن ابن عباس أنها النصفة الثانية فلا أنساب بينهم أي
 لا يتفخرون بالانساب يومئذ كما كانوا يتفخرون به في الدنيا ولا يتساءلون سؤال تواصل
 كما كانوا يتساءلون في الدنيا من أنت ومن أي قبيل أنت ولم يرد أن الإنسان ينقطع نسبه
 (فان قيل) قد قال تعالى هنا ولا يتساءلون وقال تعالى في موضع آخر وأقبل بعضهم على بعض
 يتساءلون (أجيب) بأن ابن عباس قال إن للقيامه أحوالا ومواطن ففي مواطن يشتد عليهم
 الخوف فيشتغلهم عظم الأمر عن التساؤل فلا يتساءلون وفي مواطن يضيقون أفاقه فيتساءلون
 وقيل التساؤل بعد دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار (فمن نقلت موازينه) أي
 بالأعمال المقبولة قال القاسمي ولعل الجمع لأن لكل عمل ميزانا يعرف أنه لا يصلح له غيره وذلك
 أدل لدليل على القدرة (فأولئك) أي خاصة قال أيضا ولعل جمع للبشارة بـ كثرة الناجي
 بعد أن أفرد للدلالة على كثرة الأعمال أو على عموم الوزن لكل فرد (هم المفلحون) أي
 الفائزون بالجنة والدرجات العلى (ومن خفت موازينه) لأعراضه عن تلك الأعمال المؤسسة
 على الإيمان (فأولئك) خاصة (الذين خسروا أنفسهم) لاهلاكهم إياها باتباعها شهواتها
 في دار الأعمال وشغلها بأهوائها عن مراتب السكال وقوله تعالى (في جهنم خالدون) بدل
 من الصلة أو خبر ثان ولولئك هي دار لا ينفك أسيرها ولا ينطفئ سعيها ثم استأنف قوله تعالى
 (تلفح) أي تغشى بشدة حرها ومومها ووجهها (وجوههم أنبار) فحرة لها فاطنك
 بغيرها واللح كالتفح لأنه أشد تأثيرا (رهم فيها كالحون) أي عابسون قد شمرت شفاههم
 العليا والسفلى عن أسنانهم وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
 تشويه النار تقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتستر حتى شفته السفلى حتى تضرب سرته
 وقوله تعالى (ألم تكن آياتي) أي من القرآن على أضياف القول أي يقال لهم ألم تكن آياتي
 (تلى عليكم) أي تابع لكم قراءتها في الدنيا شيئا فشيئا (فكنتم بها تكذبون) ثم استأنف
 جوابه بقوله تعالى (قالوا ربنا) أي المسيح علينا نعمه (غلبت علينا شقوتنا) أي ملكتنا بحيث
 صارت أحوالها مؤدية إلى سوء العاقبة (وكأ) أي بما جعلنا عليه (قوماضين) في ذلك عن
 الحق أقوياء في موجبات الشقوة فكان سبيلا للضلال عن طريق السعادة (ربنا) أي من عودنا
 بالاحسان (أخرجنا منها) أي من النار تفضلا منك على عادة فضلك وردنا إلى دار الدنيا لتعمل
 ما يرضيك (فان عدنا) إلى مثل ذلك الضلال (فانا ظالمون) لأنفسنا ثم استأنف جوابهم
 بأن (قال) لهم بلسان ملك بعد قدر الدنيا مرتين كما يقال للكلب (اخسوا) أي انزعروا
 زجر الكلاب وانفردوا من مخاطبتي سا كتن سكوت هو ان (فيها) أي النار (ولما تكلمون)
 أصلا فانهم استمروا بل لمخاطبتي لأنكم لم تزلوا متصفين بالظلم فبأس القوم بعد ذلك
 ولا يتكلموا بكلمة إلا الرزق والشهيق والعواء كهواء الكلاب وقال القرظي إذا قيل لهم ذلك
 انقطع رجائهم وأقبل بعضهم ينبغي في وجه بعض فانطبقت عليهم وعن ابن عباس إن لهم ست

دعوات اذا دخلوا النار قالوا ألف سنة ربنا أبصرنا وسمعنا فيجبون حتى القول متى فينادون
 ألفا ربنا أمنا اثنتين فيجبون ذلك بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم فينادون ألفا ما مالك ليقض
 علينا ربك فيجبون انكم ما كثون فينادون ألفا ربنا أخرجنا منها فيجبون أولم تكونوا أقسمتم
 فينادون ألفا أخرجنا نعمل صالحا فيجبون أولم نعممكم فينادون ألفا رب ارجعون فيجبون
 اخسوا فيها ولا تكلمون ثم لا يكون لهم الا الزفة والشهيق والعواء ثم علل ذلك بقوله تعالى (انه
 كان) أى كوننا بنا (فريق) أى ناس قد استضعفوه (من عبادى) وهم المؤمنون (يقولون)
 مع الاستمرار (ربنا) أى أيها المحسن الينا بالخلق والرزق (آمنا) أى أوقمنا الايمان بجميع
 ما جاءتناه الرسل (فاغفر لنا) أى استر لنا ذلنا (وارحمنا) أى اقبل بنا فعل الراحم (وأنت خير
 الراحمين) لانك تخلص برحمتك من كل شقاء وهو ان (فاتخذتوهم) أى قنيتهم عن ايمانهم
 ان اتخذتوهم (حضرنا) أى تسفرون منهم وتستهزؤن بهم وقرأ نافع وحزرة والكسافى بضم
 السين والباقون بالكسر وهو مصدر سخر كالسخر الآن فى اياه السب زيادة قوة الفعل كما
 قيل الخصوصية فى الخصوص وعن الكسافى والقراء ان المكسور من الهزء والمضموم
 من الضميرة والعود به أى تسفرونهم وتتعبدونهم قال الزنجشمرى والاول مذهب الخليل
 وسيبويه انتهى وأظهر المذاهب عند التاء ابن كثير وحضف والباقون بالادغام (حتى أنسوكم
 ذكرى) أى بات تذكر فى فخافونى وأضاف ذلك اليهم لانهم كانوا السبب فيه لفرط اشتغالهم
 بالاستهزاء بهم (وكنتم منهم تضحكون) استهزاء بهم نزات فى كفار قريش كانوا يستهزؤن بالقراء
 من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل بلال وعمار وصهيب وخباب ولما شوقت
 النفس بعد العلم بما فعل بأعدائهم الى جزائهم قال الله تعالى (انى جزيتهم اليوم) أى بالنعيم المقيم
 (بما صبروا) أى على عبادتى ولم يشغلهم عنها تألمهم بأذاكم كما يشغلكم عنها التذاكم بها انتم
 فجازوا دنسكم وهو معنى قوله تعالى (انهم هم القاتلون) أى يطولونهم الناجون من عذاب النار
 وقرأ مجزاة والكسافى بـ كسر الهمزة على الاستئناف والباقون بقضها على أنه مفعول ثان
 لجزيتهم ثم ان الله تعالى (قال) لهم على لسان الملك المأمور بسؤالهم بـ كسيتا وتو أيضا لانهم
 كانوا يظنون أن بعد الموت يدوم الضاء ولا إعادة فلما حصلوا فى النار أيقنوا أنها دائمة وانهم
 فيها يخلدون سألمهم (كم ليتم فى الارض) على تلك الحال فى الدنيا التى كنتم تعدونها فوزا (عدد
 سنين) أنتم فيها ظافرون ولا عدائكم فاهرون وقرأ ابن كثير وحزرة والكسافى قل كم بضم القاف
 وسكون اللام على الامر للملك أو لبعض رؤساء أهل النار والباقون بفتح القاف واللام وألف
 بينهما خبرا وتقدم فوجبه وأظهر التاء المثلثة عند التاء المشاة فوق نافع وابن كثير وعاصم وأدغمها
 فيها المساقون (قالوا البنا يوما أو بعض يوم) يشكون فى ذلك (فان قيل) كيف يصح فى جوابهم أن
 يقولوا ذلك ولا يقع من أهل النار الكذب (أجيب) بأنهم نسوا ذلك لكثرة ما هم فيه من
 الأهوال وقد عترفوا بهذا التمساح حيث قالوا (فأسأل العاذرين) أى الملائكة المحصنين أعمال
 الخلق وعاصمهم قال ابن عباس أنساعهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفتين وقيل قالوا ذلك

تصغير البهائم وتحقيرها بالإضافة إلى ما وقعوا فيه من دوام العذاب قال بعضهم
 ألا إن أيام الشقاء طويلة * كما أن أيام السرور وقصار

وقرأ ابن كثير والكسائي بفتح السين وتركوا الهمز بعدها وكذا يفعل حمزة في الوقف والباقون
 بسكون السين وهمزة مفتوحة بعدها ثم (قال) الله تعالى لهم على لسان الملك (إن) أي ما (الجنم)
 أي في الدنيا (الأقبلا) لأن الواحد وان طال مكثه في الدنيا فإنه يكون قليلا في جنب ما يلبث في
 الآخرة (لو أنكم كنتم تعلمون) أي في عدا من يعلم في ذلك الوقت لما آثرتم الفاني على الباقي
 ولا قبلتم على ما ينفعكم ولتركتم أفعالكم التي لا يرضاها عاقل ولكنكم كنتم في عداد الهائم
 وقرأ حمزة والكسائي قل أمرا والباقون قال خيرا ولينتم تقدم مثله وتوجيه قال وقل ثم وبخبرهم
 الله تعالى على تغافلهم بقوله تعالى (أخسبتم إنما خلقناكم) على ما لنا من العظمة وقوله تعالى
 (عبثا) حال أي عابثين كقوله لا عين أومضول له أي ما خلقناكم للعبث ولم يدعنا إلى خلقكم
 إلا الحكمة اقتضت ذلك وهي أن تعبدكم وتكلفكم المشاق من الطاعات وترك المعاصي (و) حسبت
 (أنكم البينا لترجعون) في الآخرة للجزاء وروى البيهقي بسنده عن أنس أن رجلا مصابا مر به
 على ابن مسعود فدرفاه في أذنه أخسبت إنما خلقناكم عبثا وأنكم البينا لترجعون حتى ختمت
 السورة فبرئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو أن رجلا موقفا فرأها على
 جبل لزال وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء الفوقية وكسر الجيم والباقون بضم الفوقية وفتح
 الجيم ثم نزه سبحانه وتعالى نفسه عما يقوله ويصفه به المشركون بقوله تعالى (فتعالى الله) أي
 الذي له الجلال والجمال علوا كبيرا عن العبث وغيره مما يليق به (الملك) أي المحيط بأهل
 مملكته علما وقدره وسباسة وحفظا ورعاية (الحق) أي الذي لا يتطرق الباطل إليه في شيء في ذاته
 ولا في صفاته فلا زال له ولا للملك (لا اله الا هو) فلا يوجد له نظير أصلا في ذاته ولا في صفاته
 ولا في أفعاله فهو متعال عن سمات النقص والعبث ثم زاد في التعيين والتأكيد والتفرد بوصفه
 بصفة لا يدعيها غيره بقوله تعالى (رب العرش) أي السمير المحيط بجميع الكائنات الذي تنزل
 منه محكمات الأحكام والفضية والاحكام ولذا وصفه بالكرم فقال (الكريم) أولسبته إلى أكرم الأكرمين
 * ولما بين سبحانه وتعالى أنه الملك الحق لا اله الا هو أتبعه بأن من ادعى الها آخر فقد ادعى باطلا
 بقوله تعالى (ومن يدع مع الله) أي الملك الذي لا كف له (الها آخر) يعبد (لأبرهان له) أي
 بسبب دعائه بذلك إذا اجتمع في إقامة برهان على ذلك لم يجد ثم ذكر أن من قال ذلك خزاؤه
 العقاب العظيم بقوله تعالى (فإنما حسابه) أي جزاؤه الذي لا يمكن زيادته ولا نقصه (عند ربه)
 أي الذي رباؤه ولم يربه أحد سواه الذي هو أعلم بسريته وعلانيته فلا يخفى عليه شيء من أمره
 * ولما افتتح السورة بقوله قد أفعل المؤمنين ختمها بقوله (أنه لا يفلح الكافرون) أي لا يسعدون
 فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة * ولما شرح الله تعالى أحوال الكفار في جهلهم في الدنيا
 وعذابهم في الآخرة أمر الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام بالانقطاع إليه والالتجاء إلى
 ضميره ورجته بقوله تعالى (وقل رب) أي أيها المحسن إلى (اعظم وأرحم) أي أكرم من هذين

الوصفين (وأنت خير الراحمين) فمن رحمة أفلح بما توقعه لمن امتثال ما أشرت إليه أول السورة فكان من المؤمنين وكان من الوارثين الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فقد انطبق على الأول هذا الآخر بفوز كل مؤمن وخيبة كل كافر فسأل الله تعالى أن يكون لنا ولوالدينا ولاحبنا بنا رحم ورحم وخير عافرته المتولى للسرائر والمرجوا لصلاح الضمائر وما رواه البيضاوي نبال الزمخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة المؤمنون بشربة الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت حدث موضوع وقوله أبيضاتهما للزمخشري روى أن أول سورة قد أفلح وآخرها من كنوز العرش من عمل ثلاث آيات من أولها واتعظ بأربع آيات من آخرها فقد نجح وأفلح قال شيخنا ابن حجر حافظ عصره لم أجده

(سورة النور مدنية)

* (وهي ثنتان أو أربع وستون آية) *

(بسم الله) الذي تمت كلمته فبهرت قدرته (الرحمن) الذي ظهرت الحقائق كلها بشمول رحمة (الرحيم) الذي شرف من اختياره بخدمته قوله تعالى (سورة) خبر لمبتدأ محذوف تقديره هذه سورة أي عظيمة أو سورة أنزلناها مبتدأ موصوف والخبر محذوف أي فيما أوجبنا اليك سورة أنزلناها وقال الاخضري لا يعدا لابتداء بالصفة فسورة مبتدأ وأنزلناها خبره ثم رغب في امتثال ما فيها مبيها أن تنويها للتعظيم بقوله تعالى (أنزلناها) أي بما لنا من العظمة وتمام العلم والقدرة (وفرضناها) أي قدرنا ما فيها من الحدود وقيل أوجبناها عليكم وعلى من بعدكم إلى قيام الساعة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بتشديد الراء لكثرة الفروض والباقون بالتخفيف (وأنزلنا فيها آيات) من الحدود والأحكام والمواعظ والأمثال وغيرها (بينات) أي واضححات الدلالة (لعلكم تذكرون) أي تتعظون وقرأ أخضري وحجزة والكسائي بتخفيف الذال والباقون بالتشديد ثم انه تعالى ذكر في السورة أحكاما كثيرة * الحكم الأول قوله تعالى (الزانية والزاني) أي غير المحصنين لرحمهما بالسنة وأل فيما ذكر موصولة وهو مبتدأ ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو (فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) أي ضربة يقال جلده اذا ضرب جلده ويزاد على ذلك بالسنة تقر بعام والرقيق على النصف مما ذكر ولا رجم عليه لانه لا يتنصف واعلم أن الزمان الكبار ويدل عليه أمور أحدها ان الله تعالى قرنه بالشرك وقتل النفس في قوله تعالى ولا يرثون ومن يفعل ذلك يلق آثاما ثانياه ا قوله تعالى ولا تقر بوا الزانية كان فاحشة وساء سميلا ثالثها ان الله تعالى أوجب المائة فيه بكلها بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه الرجم وروى حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال بامعشر الناس اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة أما اللاتي في الدنيا فيذهب البهاو يورث الفقر وينقص العمر وأما اللاتي في الآخرة فمخط الله سبحانه وتعالى وسوء الحساب وعذاب النار وعن عبد الله قال قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم عند الله قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك

قلت ثم اى قال ان تقبل ولدت خشية ان يأكل معك قلت ثم اى قال ان ترني بجلده جارية فانزل
الله تعالى تصديقاً لذلك والذين لا يدهون مع الله الهما آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله
الخالق ولا بزون والزنا يلاج حشفة أو قد رها من مقطوعها من الذكر المتصل الاصلى من
الادى الواضع ولو اشل وغير منتشر وكان ملفوفاً في خرقة يقبل محرم في نفس الامر لعينه حال
عن الشبهة المسقطه للعدم شتى طبعاً بان كان فرج آدمى حتى ولا يشترط ازالة البكارة حتى
لو كانت غوراً وأدخل الحشفة فيها ولم يزل بكارتها ترتب عليه حد الزنا بخلاف التحليل لا بد فيه
من ازالة البكارة لقوله صلى الله عليه وسلم حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك واختلف في اللواط
هل يطلق عليه اسم الزنا ولا فقال بعضهم يطلق عليه لقوله صلى الله عليه وسلم اذا أتى الرجل
الرجل فهما زانيان والذي عليه أكثر أصحابنا أنه غير داخل تحت اسم الزنا لانه لو حلف لا يرني
فلاط لم يحنث والحديث محمول على الائم بتدليل قوله صلى الله عليه وسلم اذا أتت المرأة المرأة فهما
زانيتان وللشافعي في حده قولان أحدهما أن الفاعل ان كان محصناً فانه يرحم ولا فيجلد مائة
ويغرب عاماً وأما المفعول فلا يتصور فيه احصان فيجلد ويغرب والقول الثاني يقتل الفاعل
والمفعول به سواء كان محصناً أم لا لما روى عن ابن عباس انه قال من عمل عمل قوم لوط فاقتلوا
الفاعل والمفعول به وأما بيان البهائم فمرام باجماع الائمة واختلف في عقوبته على أقوال
أحدها حد الزنا فيرحم الفاعل المحصن ويجلد غيره ويغرب والثاني أنه يقتل محصناً كان أو غير
محصن لما روى عن ابن عباس أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتى بهيمة فاقتلوه
واقتلوا معه والثالث وهو الاصح أنه يعز لان الحد شرع للزجر عما قيل النفس اليه
وضعهو احديث ابن عباس اضعف اسناده وهو ان ثبت فهو معارض بما روى انه صلى الله عليه
وسلم نهى عن ذبح الحيوان الا لما كله وأما السحاق من النساء واثبات المرأة الميتة والاستثناء
بالبد فلا يشرع فيه شئ من ذلك الا التعزير والمقيم للعد هو الامام أو نائبه والسيدان يقيم الحد
على رقبته ولا يجوز الشفاعة في اسقاط الحد ولا تركه ولا تخفيفه كما قال تعالى (ولا تأخذكم) أى
على أى حال من الاحوال (بهم اراقة) أى رجة ورقة فتعطلوا الحدود ولا تغيرها وقرأ ابن كثير
بفتح الهمزة والباقون يسكونها والسومى على أصله من البدل وقيل معنى الرافة أن يصفقوا
الضرب (في دين الله) أى الذى شرعه لكم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لو سرت فاطمة بنت
محمد لقطعتم يدها روى أن محمضى الله عنه جلد جارية له زنت فقال للبلاد اضرب ظهرها
ورجلها فقال لها ابنه ولا تأخذكم بهم اراقة في دين الله فقال يا بنى ان الله تعالى لم يأمرنا بتقلها
وقد ضربت فأوجعت ثم انه سبحانه وتعالى زاد في الحض على ذلك بقوله تعالى (ان كنتم
تؤمنون بالله) أى الذى هو أرحم الراحمين فانه ما شرع ذلك الا رجة للناس عموماً وللزانيين
خصوصاً فلا تزيدوا في الحد ولا تنقصوا منه شيئاً وفى الحديث يؤتى بال نقص من الحدود
سوطاً فيقول رجة لعباد ليقال له أنت أرحم منى فيؤمر به الى النار ويؤتى من زاد سوطاً
فيقول لينتموا عن معاصبك فيؤمر به الى النار وعن أبى هريرة اقامة حد بارض خير من مطر

أربعين ليلة ثم أتبع ذلك بما ربه بقوله تعالى (والبوم الأسحر) الذي يحاسب فيه على التقير
 والقطمير والخفي والجلجلى (وليشهد) أى ولحضر (عذابهما) أى حذهما إذا أقيم عليهما
 (طائفة من المؤمنين) والطائفة الفرقة التى يمكن أن تكون حلقة وأقلها ثلاثة وأربعة وهى
 صفة غالبية كأنها الجماعة الحاففة حول الشئ وعن ابن عباس فى تفسيرها أربعة إلى أربعين
 رجلا من المصدقين بالله تعالى وعن الحسن عشرة وعن قتادة ثلاثة فصاعدا وعن عكرمة
 رجلا من فصاعدا وعن مجاهد أقلها رجل فصاعدا وقيل رجلا من فضل قول ابن عباس لأن
 الأربعة هى الجماعة التى ثبت بها الزنا ولا يجب على الامام حضور رجم ولا على الشهود لانه
 صلى الله عليه وسلم أمر برجم ماعز والغامدية ولم يحضر رجمهما وانما خص المؤمنين بالحضور
 لأن ذلك أفضح والفسق بين صلحاء قومه أنجل ويشهد له قول ابن عباس إلى أربعين رجلا من
 المصدقين بالله * (تنبيه) * الضرب يكون بسوط لاحتديد يجرح ولا خلق لا يؤلم ويفترق بين
 السياط على أعضائه ولا يجمعه فى موضع واحد وانفقوا على أنه يتقى المالك كالوجه والبطن
 والفرج ويضرب على الرأس لقول أبي بكر رضى الله عنه اضرب على الرأس فان الشيطان
 فيه ولا يشديده وينزع الثياب التى تمنع ألم الضرب كالنرو ولو فرق سياط الحد تقربا ليحصل
 به التكميل مثل أن يضرب كل يوم سوطا أو سوطين فان فرق وضرب والالم موجود كفى وان
 وجب الحد على حامل لا يقام عليها حتى تضع وترضعه حتى يتقطع ويندب أن يحفر للمرأة إلى
 صدرها ان ثبت زناها بالينة لا باقرارها ولا بندب الرجل مطلقا وان وجب الحد على المريض
 نظران كان يرمى زواله كصداع انتظرا ولا يرمى كرامة فلا يؤخر ولا يضرب بالسياط بل
 بعشكال عليه مائة شراخ فيقوم ذلك مقام جلده وأما فى حال الحز والبرد الشديدين فان كان
 الحد رجما لم يؤخر لأن النفس مستوفاة وان كان جلد أخر إلى اعتدال الهواء ويقبل رجوع
 الزانى عن اقراره ولو فى أثناء الحد واذامات فى الحد بغسل ويكفن ويصلى عليه ويدفن فى مقابر
 المسلمين * الحكم الثانى قوله تعالى (الزانى لا ينكح) أى لا يتزوج (الارائسة أو مشركة) أى
 المعلوم اتصافه بالزنا مقصور نكاحه على زانية أو مشركة (والزانية لا ينكحها) أى لا يتزوجها
 (الازان أو مشركة) أى والمعلوم اتصافها بالزنا مقصور نكاحها على زان أو مشركة اذ الغالب
 أن المائل إلى الزنا لا يرغب فى نكاح الصوالح والمسافحة لا يرغب فيها الصلحاء فان المشاكلة
 على الالفه والانضمام والمخالفة سبب النفرة والافتراق وقال بعضهم الجنسية علة الضم
 والمشاكلة سبب المواصله والمخالفة توجب المباحة وتحرم المؤلفه وعن أبي هريرة رضى
 الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخال وعن
 على رضى الله تعالى عنه أنه خطب أهل الكوفة بهد ثلاثة أيام من مقدمه عليهم فقال يا أهل
 الكوفة قد علمنا شراركم من خباركم فقالوا كيف ومالك الثلاثة أيام فقال كان معنا شرار
 وخيار فانضم خيارنا إلى خياركم وشرارنا إلى شراركم وعن الشعبي أنه قال ان لله ملكا موكلا
 بجمع الاشكال بعضها إلى بعض وقال القائل

عن المرء لا تسأل وصل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدى
فان قيل لم قدمت الزانية على الزاني اولاً ثم قدم عليها نانياً (أجيب) بأن تلك الآية سبقت
لعقوبتهما على ما جئنا والمرأة هي المادة التي منها نشأت الجنابة لانها لو لم تقطع الرجل ولم يتمكن
لم يطعم ولم يتمكن فلما كانت أصلاً وأولاً في ذلك بدى بذكرها وأما الزانية فسوقه لذكر النكاح
والرجل أصل فيه لانه الراغب فيه والمطاب ومنه يد والطلب (وحرم ذلك) أي نكاح الزاني
والزانية فقهر بما المشوبة فيه (على المؤمنين) واختلف العلماء في معنى الآية وحكمها فقال
قوم منهم بمجاهد وعطاء وقتادة والزهرى والشعبي ورواية عن ابن عباس قدم المهاجرون لمدينة
وفيهم فقراء لا مال لهم ولا عشاء وبالمدينة نساء بغايا هن يومئذ أخصب أهل المدينة فرغب ناس
من فقراء المسلمين في نكاحهن لينفقن عليهم فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك
فقرئت هذه الآية وحرم ذلك على المؤمنين أن يتزوجوا تلك البغايا لانهن كن مشركات وقال
عكرمة نزلت في نساء كن بمكة وبالمدينة لهن ربايات يعرفن بهن منهن أم مهزول جارية السائب
ابن أبي السائب المخزومي وكان الرجل يتكح الزانية في الجاهلية يتخذها مائة فأراد ناس من
المسلمين نكاحهن على تلك الصفة فاستأذن رجل منهم النبي صلى الله عليه وسلم في نكاح أم مهزول
فاشترطت أن تنفق عليه فقزلت هذه الآية وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كان رجل
يقال له مرثد بن أبي مرثد الغنوي وكان يحمل الاسارى من مكة حتى يأتيهم المدينة وكانت
بمكة بغي يقال لها عناق وكانت صديقة له في الجاهلية فلما أتى مكة دعتة عناق الى نفسها فقال
مرثد ان الله حرم الزنا فقالت فانكعني فقال حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أنكع عناقاً فأمسك رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولم ير دعي شيئاً فقزل الزاني لا ينكح الا الزانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا الزان أو مشرك
فدعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأها على وقال لا تنكحها أخرجها الترمذي والنسائي
وأبو داود بألفاظ متقاربة المعنى فعلى قول هؤلاء كان التحريم خاصاً في حق أولئك دون سائر
الناس وقال قوم منهم سعيد بن جبيرة والضحالك ورواية عن ابن عباس المراد من النكاح هو
الجماع ومعنى الآية الزاني لا يزني الا بزانية أو مشركة والزانية لا تزني الا بزنان أو مشرك وقال
زيد بن هرون ان جامعها وهو مستحل فهو مشرك وان جامعها وهو محرّم فهو زان وعن عائشة
رضي الله عنها ان الرجل اذا زنى بامرأة ليس له أن يتزوجهما لهذه الآية واذا باشرها كان زانياً
وكان ابن مسعود يحرم نكاح الزانية ويقول اذا تزوج الزاني الزانية فهما زانان أبداً وقال
الحسن الزاني المجلود لا ينكح الا الزانية المجلودة والزانية المجلودة لا ينكحها الا الزان المجلود وقال سعيد
ابن المسيب وجماعة منهم الشافعي رحمه الله تعالى ان حكم الآية منسوخ وكان نكاح الزانية
حرام بهذه الآية فتسجنها الله تعالى بقوله تعالى وأنكسوا الايامي منكم وهو جمع أيم وهي من لا
زوج لها فدخلت الزانية في ايامي المسلمين واحتج من جوز نكاح الزانية بما روى عن جابر أن رجلاً
أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان امرأتى لاتعقب بدلا مس قال طلقها قال فأتى

أحبها وهي جميلة قال استمتع بها وفي رواية غيره أمسكها إذا وقد أجاز ابن عباس وشبهه بن
سرق غير شجرة ثم اشتراه وعنه صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن ذلك فقال أوله سفاح وآخره نكاح
وعن عمر رضي الله تعالى عنه أنه ضرب رجلاً وامرأة زنياً ورض أن يجمع بينهما في الغلام
* ولما نفر سبحانه وتعالى عن نكاح من اتصف بالزنا من رجل أو امرأته نهي عن الرمي به فقال
تعالى (والذين يرمون) أي بالزنا (المحصنات) جمع محصنة وهي هنا المسلمة الحرة المكففة العفيفة
وهذا هو الحكم الثالث والذي يدل على أن المراد الرمي بالزنا أمور أحدها تقدم ذكر الزنا
ثانيها أنه تعالى ذكر المحصنات وهن العفاف فدل ذلك على أن المراد بالرمي رميها بضد ذلك
ثالثها انعقاد الإجماع على أنه لا يجب الجلد بالرمي بغير الزنا فوجب أن يكون المراد هو الرمي بالزنا
رابعها قوله تعالى (ثم لم يأوا) أي إلى الحكام (بأربعة شهداء) أي ذكر ورواه معلوم أن هذا
العدم من الشهود غير شرط إلا في الزنا وشرط القاذف الذي يجب بسبب القذف التكليف
والاختيار والتزام الأحكام والعلم بالتحريم وعدم اذن المقذوف وأن يكون غير أصل وألفاظ
القذف تنقسم إلى صريح وكناية وتعريض فمن الصريح قوله لرجل أو امرأة زنت أو زنت أو
يا زاني أو يا زانية ولو كسر التاء في خطاب الرجل وفتحها في خطاب المرأة أو زنت في الجبل ومن
الكناية زنات وزنات في الجبل بالمهز فان نوى بذلك القذف كان قذفاً ولا فلا ومن التعريض
يا ابن الحلال وأما أنا فلست بزنا فهذا ليس بقذف وإن نواه (فإن قيل) إذا كان ذلك القذف
يشمل الذكر والآن في فلم كانت الآية الكريمة في الإناث فقط (أجيب) بأن الكلام في حقهن
أشنع وتنبها على عظيم حق أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله تعالى عنها وحدث القاذف الحر
غانون كما قال تعالى (فاجلدوهم) أي أيها المؤمنون من الأئمة ونوابهم (ثمانين جلدة) لكل واحد
منهم لكل محصنة وحدث القاذف الرقيق ولو به معضاً ومكاتباً أربعون جلدة على النصف من
الحر لآية النساء فعلمين نصف ما على المحصنات من العذاب فهذه الآية مخصوصة بتلك
اذ لا فرق بين الذكر والآن ولا بين حد الزنا وحدث القذف ويدل على أن المراد بالآية الاحرار
قوله تعالى (ولا تقبلوا لهم) أي بعد قذفهم (شهادة) أي شهادة كانت (أبداً) للحكم بإقترانهم
لأن العبد لا تقبل شهادته وإن لم يقذف * ولما كان التقدير أنهم قد اقترعوا عطف عليه
تحذيراً من الأقدام عليه من غير تثبت (وأولئك) أي الذين تقدم ذمهم بالقذف فنزلت ريتهم
جسداً (هم الفاسقون) أي الهككوم بفسقهم الثابت لهم هذا الوصف وإن كان القاذف
منهم محققاً نفس الامر وفي ذلك دليل على أن القذف من البكار لأن اسم الفسق لا يقع الأعلى
صاحب كبيرة واختلف العلماء في قبول شهادة القاذف بعد التوبة وحكم هذا الاستثناء
المذكور في قوله (الالذين تابوا) أي رجعوا عما وقعوا فيه من القذف وغيره وندموا عليه
وعزموا على أن لا يعودوا (من بعد ذلك) أي الأمر الذي أوجب إبعادهم فذهب قوم إلى أن
القاذف ترد شهادته بنفس القذف فإذا تاب وصلح حاله كما قال تعالى (وأصلحوا) أي بعد التوبة
بعض مئة نظن بها حسن الحال وهي سنة يعتبر بها حال التائب بالوصول الأربعة التي تكشف

الطابع (فإن الله) أى الذى له صفات الكمال (غفور) أى ستور لهم ما أقدموا عليه لرجوعهم
 عنه (رحيم) أى يفعل بهم من الاكرام فعل الراحم بالمرحوم فى قبول الشهادة وقبلت شهادته
 سواء قبل الحدوبعد وزال عنه اسم الفسق وقالوا هذا الاستثناء يرجع الى رد الشهادة والى
 الفسق وروى ذلك عن ابن عمرو بن عباس وجمع من الصحابة وبه قال مالك والشافعى وذهب
 قوم الى أن شهادة المحدود فى القذف لا تقبل أبدا وان تاب وقالوا الاستثناء يرجع الى قوله
 وأولئك هم الفاسقون وروى ذلك عن النخعي وشرح وبه قال أصحاب الرأى قالوا بنفس القذف
 لا ترد شهادته ما لم يحسد قال الشافعى هو قبل أن يحسد ثم منه حين يحسد لأن الحدود كفارات
 فكيف يرد بها فى أحسن حاله وذهب الشعبي الى أن حد القذف يسقط بالتوبة (فإن قيل)
 اذا قلتم بالاول فامعنى قوله تعالى أبدا (أجيب) بأن معنى أبدا مادام مصراعلى القذف لأن
 أبدا كل انسان مدته على ما يلقى بحاله كما يقال لا تقبل شهادة الكافر أبدا يراد بذلك مادام على
 كفره فاذا أسلم قبلت شهادته * (تنبيهان) * الاقرار بالزنا هل يثبت بشهادة رجلين أو أربع كالزنا
 فيه قولان أصحهما أنه يثبت برجلين بخلاف فعل الزنا لأن الفعل بغمض الاطلاع عليه و اذا
 شهد على فعل الزنا يجب أن يذكر الزانى ومن فى فيها لانه قد يرام على جارية لايه فيظنه زنا
 ويجب الحد وأن يقول فى شهادته رأيت ذكره يدخل فى فرجها وان لم يقل دخول الميسل فى
 المكحلة لكن قوله ذلك أولى فلو شهدوا مطلقا أنه زنى لم يقبلوا الا أنهم ربما يرون المفاخذة زنا
 ويشترط أيضا أن يفسر فى اقراره كالشهود ويصح رجوعه عن الاقرار ولو فى أثناء الحد كما مر
 ولا فرق فى قبول الشهادة بين أن يجيىء الشهود متدرجين أو مجتمعين كما قاله الشافعى وقال
 أبو حنيفة اذا شهدوا متفرقين لا يثبت وعليهم حد القذف ولو شهد على الزنا أقل من أربعة
 أو أربعة وفيهم الزوج لم يثبت الزنا وعليهم الحد لأن شهادة الزوج لا تقبل فى حق زوجته قال
 ابن الرقة فى الكفاية لاسميرين أحدهم أن الزنا تعرض لمحل حق الزوج فان الزانى يستمتع
 بالمنافع المستحقة له فشهاده فى حقها تنضم اثبات جنابة الغير على ما هو مستحق له فلم تنضم كما
 اذا شهد أنه جنى على عبده والثانى أن من شهد بزنا زوجته ففسد شهادته دال على اظهار العداوة
 لان زناها هو غر صدوره بتلطيخ فراشه وادخال الغير عليه وعلى ولده وهو أبلغ من مؤلم الضرب
 وفاخص السب ولو قذف رجل وجاء بأربعة فساق شهدوا على المقذوف بالزنا لم يحسد والآن
 شرائط الشهادة بالزنا فقد وجدت عند القاضى الا أنه لم تقبل شهادتهم لاجل التهمة فكما اعتبرنا
 التهمة فى نفي الحد عن المشهود عليه فكذلك اوجبنا اعتبارها فى نفي الحد عنهم * ولما كان لفظ
 المحصنات عاما للزوجات وكان لهن حكم غير ما تقدم وهو الحكم الرابع أفردهن بقوله (والذين
 يرون) أى بالزنا (انراهم) أى من المؤمنات والكافرات الحرائر والاماء (ولم يكن لهم
 شهداء) يشهدون على حمة ما قالوه (الا أنفسهم) أى غير أنفسهم وهذا ربما يفهم أنه اذا كان
 الزوج أحد الابنة كنى وهذا المفهوم معطل لكونه حكاية حال واقعة لا شهود فيها وقوله تعالى
 فى الآية قبلها ثم لا يأتوا بأربعة شهداء معناه يقتضى كون الشهداء اربعة الرأى بالزنا ولعله استثناء

من الشهداء لان لعانه يكون بلفظ الشهادة ومذهب الشافعي أنه لا يقبل في ذلك كما تقدمناه
(فشهداة أحدهم) أي فالواجب شهادة أحدهم على من رماها وأفعليهم شهادة أحدهم (أربع
شهادات) من خمس في مقابلة أربعة شهداء (بالله) أي مقرونة بهذا الاسم الكسري العظيم
الموجب لاستحضار جميع صفات الجلال والجمال (انه لمن الصادقين) أي فيما قد فيها به وقرأ حصص
وحجزة والكسائي يرفع العين على أنه خبر شهادة والباقون ينصبها على المصدر (والخامسة ان
لعنت الله) أي الملك الأعظم (عليه) أي القاذف نفسه (ان كان من الكاذبين) فيارماها به وقرأ
نافع بتخفيف ان ساكنة ورفع لعنة والباقون بتشديد النون منصوبة ونصب لعنة ورسعت
لعنة تاء مجرورة ووقف عليه ابالهاء ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ووقف الباقون بالتاء وإذا
وقف الكسائي أمال الهاء هذا العان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عليه وحصول القرقة
بنفسه فرقة فصح عندنا لقوله صلى الله عليه وسلم المتلاعنان لا يجتمعان أبدا وبتقريب الحاكم
فرقة طلاق عند أبي حنيفة ونفي الوالدان تعرض له فيه وثبوت حد الزنا على المرأة بقوله تعالى
(ويدرا) أي يدفع (عنها) أي المقدوفة (العذاب) أي العهود وهو الحد الذي أوجبه عليها كما
تقدم (أن تشهد أربع شهادات) من خمس (بالله) الذي له جميع الاسماء الحسنى والصفات العليا
كما تقدم في الروح (انه لمن الكاذبين) فيما قاله عليها (والخامسة) من الشهادات (ان غضب الله)
الذي له الامر كله (عليها ان كان من الصادقين) أي فيارماها به روى البخاري في تفسيره وغيره
عن ابن عباس ان هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن صهما
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم البينة أو حد في ظهره فقال يا رسول الله اذاري أي أحدنا على
امرأته رجلا ينطلق بلبس البينة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول البينة أو حد في ظهره
فقال هلال بن أمية والذي بعثك بالحق اني لصادق ولينزلن الله ما يرى ظهرى من الحد فنزل
جبريل عليه السلام وأنزل عليه والذين يرمون أزواجهم حتى يبلغ ان كان من الصادقين
فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه ما جأ فأقام هلال بن أمية فشهدوا النبي صلى
الله عليه وسلم يقول والله يعلم ان أحد كما كاذب فهل منك كاذب ثم قامت فشهدت فلما كانت
عند الخامسة أوقفوها وقالوا انهم اموجية قال ابن عباس فتلك كانت ونكصت حتى ظننا انها
ترجع ثم قالت لا فضع قومي ساثر اليوم فضت وقال النبي صلى الله عليه وسلم أبصر وهما فان
جاءت به أكل العينين سايف الاليتين خدخ الساقين فهو لشريك بن صهما فجاءت به كذلك
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن وقد روى البخاري
أيضا عن سهل بن سعد أن سبب نزولها قصة مثل هذه لعويعرضي الله عنه وقد تقدم أنه لا يتبع
أن يكون للآية الواحدة عدة أسباب معا أو منفردة * (تنبيه) * خصت المرأة بالغضب لانه
أبلغ من اللعن الذي هو الطرد لانه قد يكون بسبب غير الغضب وسبب التغليب عليه الخ على
اعتراقها بالحق لما يصدق الزوج من التريسة من أنه لا يتجشم فضيحة أهله المستلزم لغضبه
الاهو صادق ولا ينام مادة الفساد وخالطة الانساب وبشترط في اللعان امر القاضى وتلقينه

كلماته في الجوابين فيقول قل أشهد بالله الخ لأن اللعان عين والعين لا يعتبها قبل استخلاف
 القاضي وان غلب فيه معنى الشهادة فهي لا تؤدى عندهم الا باذنه وان تأخر لعانها عن لعانه
 لان لعانها لا سقط الحد الذي وجب عليها بلعان الزوج كما حل عملتم و بلاعن أخرس باشارة
 مضممة أو كتابة ويكرر كلمة الشهادة أربعاً أو يكتنهما مرة ويشير اليه أربعاً ويصح اللعان بالجمية
 وان عرف العربية ويشترط الولا بين الكلمات الخمس فيؤثر الفصل الطويل ولا يشترط الولا
 بين لعاني الزوجين ولو أبدل لفظ شهادة بخلف ونحوه أو لفظ غضب بلعن أو عكسه أو ذكره
 قبل تمام الشهادة لم يصح ذلك ويصح أن يتلاعنا قائمين وان بلفظ اللعان بزمان وهو بعد عصر
 الجمعة فيؤخر البه ان لم يكن طلب الكيد والاف بعد عصر أى يوم كان ويمكن عند أشرف بلد
 اللعان فيبكة بين الحجر الأسود والمقام وهو المسمى بالحطيم والمدينة على المنبر وبيت المقدس عند
 الصخرة وغيرهما على نبرالجامع وتلاعن حائض يباب المسجد وذمى في بيعة للنصارى وكتيبة
 لليهود وبيت نار لجوس لانهم يعظمونها لايتأه نام ونى لانه لا حرمه لوقرأه فخص والخامسة
 الاخيرة بالنصب والباقون بالرفع وقرأ نافع بتخفيف النون ساكنة وكسر الصاد ورفع الهاء
 من الاسم الجليل والباقون بشديد النون منصوبة ونصب الصاد وخفض الهاء ولما حرم
 سبحانه تعالى هذه الجمل الاعراض والانساب فصان بذلك الدين والاموال علم أن التقدير فلولا
 أنه سبحانه خير الغافرين وخير الراجين لما فعل بكم ذلك ولا فضع المذنبين وأظهر صرائر
 المتخفين ففسد النظام فعطف على هذا الذي علم تقديره قوله تعالى (ولو لافضل الله) أى بحاله
 من الكرم والاتصاف بصفات الكمال (عليكم ورحمته) أى بكم بالستر في ذلك (وان الله) أى الذى
 أحاط بكل شئ بقدره وعلما (تواب) بقبوله التوبة في ذلك وغير ذلك (حكيم) يحكم الامور فيجزمها
 من الفساد بما يعلم من عواقب الامور لفضح كل عاص ولم يوجب أربعة شهداء ستر لكم الحكيم
 الخامس قصة الافك المذكورة في قوله تعالى (ان الذين جاؤا بالا فك) أى أسوأ الكذب سمى
 افكالكونه مصروفان الحق من قولهم أفك الشئ اذا صرفه عن جهته وذلك أن عائشة
 رضى الله تعالى عنها وعن أبوها كانت تسحق الشاء لما كانت عليه من الحصانة والشرف
 والعفة والكرم فمن رماها بسوء فقد قلب الامر عن أحسن وجوهه الى أقيح افضائه (فان قيل)
 لم ترك تسميتها (أجيب) بأنه ترك تزييمها عن هذا القول وابعاد الصون جانبها العلى عن هذا
 المراد وقوله تعالى (عصبة) خبر ان أى جماعة أفلهم عشرة وأكثروهم أربعون وكذا العصابة
 وقوله تعالى (منكم) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعائشة وصفوان عن بعد عندكم
 في عدد المسلمين يريد عبد الله بن أبى وزيد بن وقاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن أنانة وحنيفة
 بنت جحش ومن ساعدتهم وقوله تعالى (لا تحسبوه شر الكرم) مستأنف أى لا تتشأ عنه فتنة
 ولا يصدقه أحد (بل هو خير لكم) لا كسابكم به الثواب العظيم لانه كان بلا ميينا ومحنة
 ظاهرة وظهور بكر امتكم على الله تعالى بانزال ثمان عشرة آية في براكم وتعظيم شأنكم فهو بل
 الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشأن

رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبنيته له وتبرئته لام المؤمنين رضوان الله تعالى عليهم وانظهر لاهل
البيت وتحويل لمن تكلم في ذلك أو سمع به فلم تبعه أذناه وعدة الطاف للسامعين والتالين الى يوم
القيامة وفوا ئدنية وأحكام وآداب لا تخفى على متأملها ولما كان لاشفاء لغظ الانسان أعظم
من اتصار الملك الديان له علل ذلك بقوله تعالى (لكل امرئ منهم) أي الا فسين (ما اكتسب)
أي بخوضه فيه (من الاثم) الموجب لشقائه (والذي تولى كبره) أي معظمه (منهم) أي من
الخاصين وهو ابن أبي قحافة بدأ به وأداعه عدو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو وحسان
وسطح فانهما تابعا به بالتصريح به والذي بعنى الذين على هذا (له عذاب عظيم) في الآخرة
أوفى الدنيا بأن جلد واوصار ابن أبي مطرود امشهورا بالنفاق وحسان أعشى أشل البسدين
وسطح مكفوف البصر * (تنبيه) * قصة الافك معروفة في الصحيح والسنن وغيرهما شهيرة جدا
ولكن نذكره هنا طر فابتغى كذب كرا النبي صلى الله عليه وسلم وبذكر السيدة عائشة وأبوها رضى الله
تعالى عنهم فنقول عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا أراد سفرأ أقرع بين أزواجه فأيتن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه
قالت عائشة فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعدما أنزل الحجاب فكنت أحجل في هودج وأنزل فيه فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله
عليه وسلم من غزوته ثلاث وقفل ودوننا من المدينة فافلن فاذا ن ليلة بالرحيل فقامت حين اذوا
بالرحيل فشببت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأنى أقبلت الى رحلي فلمست صدرى واذا عقدلى
من جزع أظفار قد انقطع فخرجت فالتست عقدى فحسبى ابتغاؤه قالت وأقبل الرهط الذين
يرحلون بي فاحتلوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت أرك عليه وهم يحسمون أنى فيه
وكان النساء اذا ذل الخفاف لم يبلبن ولم يغشهن اللحم انما يأكلن العلقمة من الطعام فلم يستنكر
القوم خفة الهودج حين رفعوه وحلوه وهكذا جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا
ووجدت عقدى بعد ما سارا بالجيش فحنت منا زلهم وليس بها منهم داع ولا يجيب فيمعت منزلى
الذى كنت فيه وظننت انهم سيفقدونى فيرجعون الى قبينا أنا جالسة فى منزلى غلبتني عيني فمعت
وكان صفوان بن معطل السهمجى ثم الذكوانى رضى الله تعالى عنه قد عرس من وراء الجيش فأدبلج
فأصبح عند منزلى فرأى سواد انسان فأنتم فعر فى حين رأى وكان رانى قسل الحجاب فاستنقظت
باستر جاعه حتى عرفنى فخرمت وجهى بجلبابى ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير
استرجاعه وهوى حتى أنا خرا حلته فوطئ على يدها فقامت اليها فركبت ما فانطلق يقودنى الراحلة
حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين فى فخر الطهيرة وهم نزول فهلك من هلك وكان الذى تولى
كبرا الافك منهم عبد الله بن أبي ابن سلول فقد منا المدينة فاشتكى بها شهر والناس يفيضون
فى قول أصحاب الافك ولا أشعر بشئ من ذلك وهو يربى فى وجهى انى لا أعرف من رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا لطف الذى كنت أرى منه حين أشتكى انما يدخل فيسلم ثم يقول كيف
يتحصم ثم ينصرف فذلك الذى يربى فيه ولا أشعر بالشر حتى نقهت فخرجت أنا وأتم سطح

قبل المناصع وكان مبرزنا وكنا لا نخرج الا بسلا وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا
 وأمرنا أمر العرب الاولى في البرية وكنا نأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا فأقبلت أنا وأمام
 مسطح حين فرغنا من شأنا ثم أتت أم مسطح في مرطها فقالت نعم مسطح فقلت لها بش
 ما قلت أنت سميت رجلا شهيدا برافقتك يا هنتاه ولم تسمي ما قال قالت وما قال فأخبرتني بقول
 أهل الافك فازدت مرضا على مرضي فلما رجعت الى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ثم قال كيف تبيكم فقلت له أتأذن لي أن أتى أوى قالت وأنا أريد أن أستيقن الخبرين قبلهما
 قالت فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنت أوى فقلت لامي يا أمه ما ذا يتحدث الناس
 قالت يا بنية هوني عليك فوالله ما كانت امرأة قط وضئمة عند رجل يحبها لها ضرايرا إلا أكثرن
 عليها قالت فقلت سبحان الله ولقد تحدثت الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت
 لا يرقأ لي دمع ولا أكمل بنوم ثم أصبحت أبكي قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن
 أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبت الوحى يسألهم ما يستشيران في فراق أهله قالت فأما
 أسامة فأشار علي النبي صلى الله عليه وسلم بما يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه من الودة
 فقال أسامة هم أهلك يا رسول الله ولانعلم والله الا خيرا وأما علي فقال يا رسول الله لم يضيع الله
 عليك والناس مساواها كثير ورسول الجارية تصدقك قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم برة
 فقال أي برة هل رأيت من شيء يريك قالت والذي بعثك بالحق ان رأيت عليها امرأة اغمصه
 أكثر من أن يجاربه حديثه السن تمام عن عجين أهلها فتأني الداجن فتأكله قالت فقام
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذ من عبد الله بن أبي ابن سلول فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يا معشر المسلمين من بعدني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي
 والله ما علمت على أهلي الا خيرا وقد ذكر وارجلما علمت عليه الا خيرا ولم يدخل على أهلي الا معي
 ذلك فقام سعد أخو بني عبد الاشهل فقال أبا يا رسول الله أعذرك فان كان من الاوس ضربت
 عنقه وان كان من أخواتنا من الخزرج أمرتنا فنقلنا فيه أمرنا فنقلنا فيه أمرنا وهو سيد
 الخزرج قالت وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن جلته الحمية فقال لسعد كذبت لعمر الله
 لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحببت أن تقتله فقام أسيد بن حضير ابن عم سعد
 فقال لسعد بن عباد كذبت لعمر الله لا تقتله ككأنك منافق تجادل عن المنافقين قالت فتأثر
 الحيان الاوس والخزرج حتى هموا أن يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر
 فلم يرزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يحضضهم حتى سكنوا وسكت قالت فبكيت يومئذ ذلك كله
 لا يرقأ لي دمع ولا أكمل بنوم قالت وأصبح أبو أي عندي وقد بكيت ليلتين ويوما لا أكمل
 بنوم ولا يرقأ لي دمع حتى اتى لاطن أن البكاء فأتني كبدى فبينما أوبى جالسان عندي وأنا أبكي
 فاستأذنت علي امرأة من الانصار فأذنت لها فجلست تبكي معي قالت فبينما نحن على ذلك اذ
 دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس قالت ولم يجلس عندي منذ قبل ما قبل
 قبلها وقد لبث شهر الا بوحى اليه في شأني شيء قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين

جلس ثم قال أما بعد يا عائشة انه بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة ففسيريئك الله وان كنت
ألمت بذنب فاستغفري الله وتوبى اليه فان العبد اذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه قالت فلما
قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمي حتى لا أحس منه بقطرة فقلت لابي أجب
رسول الله فيما قال فقال انى والله ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لاهى
أجيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال فقالت أوى والله ما أدرى ما أقول لرسول الله فقلت
وأنا جارية حدیثة السن لا أقرأ من القرآن كثيرا والله لقد علمت ما سمعتم هذا الحدیث حتى
استغفرتى أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم انى بريئة لانصدقونى ولئن اعترفت لكم بأمر والله
يعلم انى منه بريئة لصدقونى فوالله لا أجذبى ولالكم مثالا ما قال العبد الصالح أبو يوسف
ولم اذكر اسمه حين قال فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تحوات واضطجعت على
فراشى والله يعلم حينئذ انى بريئة والله مبرئى ببراءتى ولكن والله ما كنت أظن أن الله ينزل فى
شأنى وحياتى لى لشأنى فى نفسى كان أحقر من أن يتكلم الله تعالى فى بأمرى ولكن كنت أرجو
أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها فوالله ما رام رسول الله صلى
الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل الله تعالى على نبيه فأخذه ما كان
يأخذه عند الوحي من البرء حتى انه لينحدر منه العرق مثل الجمان فى اليوم الشاق من ثقل
الذى أنزل عليه فسبحى بشوب فوالله ما سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت ان
نفس أبوى ستخرجان فرأى من أن يأتى الله بتحقيق ما قال الناس فلما سرى عنه وهو يضصك
فكان أول كلمة تكلم بها أن قال أبشرى يا عائشة قد برأك الله فكنت أشد ما كنت غضبا فقال لى
أبوى قولى اليه فقلت والله لا أقوم اليه ولا أجده ولا أجد كما ولا أجد الا الله الذى أنزل براءتى
لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه وأنزل الله تعالى ان الذين جاؤا العشر آيات كلها فقال
أبو بكر والله لا أنفق على مسطح بعد الذى قال لعائشة ما قال فأنزل الله ولا يأتى أولو الفضل
منكم الى قوله غفور رحيم فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه بلى والله انى لاحب أن يغفر الله لى
فرجع النفقة الى مسطح التى كان ينفقها عليه وقال والله لا أنزعها منه أبدا قالت عائشة وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش عن أمرى فقال زينب ما علمت وأورأت
فقالت يا رسول الله أحمى سمى وبصرى والله ما علمت الا خبرا قالت عائشة وهى التى تساميتى
من أزواج النبی صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع قالت عائشة والله ان الرجل الذى قيل
له ما قيل ليقول سبحان الله الذى نفسى بيده ما كشفت كنف أى قط قالت ثم قتل بعد ذلك
فى سبيل الله تعالى قالت ولما نزل عذرى قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك وتلا
القرآن وضرب عبد الله بن أبى ومسطحا وحسان وجمعة الحد قال عروة وكانت عائشة تذكره
أن يسب عندنا حسان وتقول انه الذى قال

فان أبى ووالده وعرضى * لعرض محمد منكم وقاه

وقال الحافظ ابن عمر بن عبد البر فى الاستيعاب وأنكر قوم أن يكون حسان خاص فى الافك

وحدقيقه وروى عن عائشة أنها برأتها من ذلك انتهى وقال غيره واقبلنا أن نؤمن بذلك أصلاً
وان جاءت تسميته في الصحيح فقد يظن الثقة لاسباب لا تخص كما يعرف ذلك من ما روى نقل
الاخبار وكيف يظن به ذلك ولاشغل له الامدح النبي صلى الله عليه وسلم والمدافعة عنه والذم
لاعدائه وقد شهد النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل معه وهو القائل يدح عائشة ويكذب
من نقل عنه ذلك

حصان رزان مازن بريسة * وتصعب غرني من لحوم الغوائل
حليلة خير الناس دينا ومنصبا * نبي الهدى والمكرمات الفواضل
عقيلة حتى من اوى بن غالب * كرام المساعي مجدها غير زائل
مهذبة قد طيب الله خبيها * وطهرها من كل شين وباطل
وان كان ما بلغت عنى قلبه * فلا رفعت سوطي الى انا الى
فكيف وودى ما حيت ونصرتي * لآل رسول الله زين المحافل
له ربة عال على الناس فضلها * تقاصر عنها سورة المتناول
وفي هذا القدر كفاية لاولى الاسباب فان في هذه القصة عبرة لمن اعتبر فان أهل الافك استمروا في
هذا أكثر من شهر والله تعالى عالم بما يتولون وان قولهم يكاد يقطع الاكباد في أحب خلقه اليه
وهو قادر على تكذيبهم عند أول ما خاضوا فيه ولكنه سبحانه أراد لنا رفع الدرجات
ولا تخرب الهالكات ولا بأص بيان غريب هذه الالفاظ التي وقعت في هذه القصة من كلام
عائشة وغيرها قولها اذن أى أعلم بالرحيل وقولها فقدت عقدالى من جزع اظنار هو نوع من
الخرز وهو الحجر اليماني المعروف وقولها لم يهبلن أى لم يكتر لجهن من السمن فيثقلن وقولها انما
ياكلن العلقه من الطعام وهو بضم العين أى البلغم من الطعام وهى قدر ما يسجد الرق
وقولها ليس بها منهم دواع ولا يجيب أى ليس بها أحد لا من يدعو ولا من يرد جوابا وقولها
فيمت أى قصدت وقولها قد عرس من وراء الجيس فأدج التعر يس نزول الاساقف بالليل للراحة
والادلاج بالثديديسيرا آخر الليل وبالتخفيف سير الليل كله وقولها باسترجاعه هو قول القتائل
ان الله واناليه واجعون قولها خربت أى غلظت وجهي بجلبابى أى اترارى وقولها سوغرين
في نحر الظهيرة الوغرشمة الحتر وكذلك نحر الظهيرة أى اظلمها وقولها والناس يضيضون أى
يخوضون ويعدثون وقولها وهو يرينى يقال رابى الشئ يرينى أى تشككت فيه وقولها ولا
أرى من النبي اللعق أى الرنق بها والطف في الاطفال الرنق وفي الاقوال ثلث الكلام وقولها
حين نعت أى أفقت من المرض والمناصع المواضع انطالية تنفض فيها الحاجة من غائط وبول
وأصله المكان الواسع الخلالى والمرط كسهم من صرف أو نحر قولها فقلت تعس مسلح أى خسر
وقولها يا هتاه أى يا بلهاء كأنها نسبتها الى البله وقله المعرفة وقولها الايرقا أى لا يقطع وقول
بريرة ان رأيت بعسى التتى أى سأرايت منها أمرا أنعمه عليه بالصاد المهمله أى أعبه
والداجن الشاة التي تألف البيت وتقيم به وقوله صلى الله عليه وسلم من يعدنى فى ان انا كلفه

على سوء صنيعه ان عانت أو عاقبت فلا تلوموني على ذلك وقولها ولكن حلتها الجنة أي جعله
 الغضب والافقة والتعصب على الجهل للقرابة وقولها فتناور الحبان أي تاروا فنهضوا للقتال
 والخصاصة وقولها فلم يرل يحققهضم أي يهون عليهم ويسكت وقوله صلى الله عليه وسلم ان كنت
 ألمت قيل هو من اللحم وهو صفار الذنوب قيل معناه مقارفة الذنب من غير فعل وقولها القلص
 دمي أي انقطع جريانه قوله ما رام أي ما برح من مكانه والبرحاء الشدة والجمانة الدرة وجمعه
 جمان وقولها فسرى عنه أي كشف عنه وقول زينب أحمى سمعى وبصرى أي أنههما عن أن
 أخبر بعلم أجمع ولم أبصر وقولها وهي التي كانت تساميني من السموة وهو العلو والغلبة فصعبها
 الله تعالى أي منعها الله من الوقوع في الشر بالورع وقول الرجل ما كشفت كنف أي أي
 ستر أي وقول حسن في عائشة حسان بفتح الحاء امرأة حصان أي متعفة رزان أي ثابتة
 ما ترن أي ترمي ولا تهتم بريبة أي أمر يرب الناس وتصبح غرنى أي خاتمة الموت والقرن الجوع
 من لحوم الغوافل جمع غافلة والمعنى انها لا تغتاب أحدا ممن هو غافل وقرأ لا تحسبوه وتحسبونه
 ابن عامر وعاصم وحزرة بفتح السين والباقون بكسرهما * ولما أخبر سبحانه وتعالى بعقاب أهل
 الافك وكان في المؤمنين من سمعه وسكت وفيهم من سمعه فتحدث به متجبجا من قائله أو متشبها
 في أمره وفيهم من أكذبه اتبعه سبحانه وتعالى بعتابهم في أساوب خطاياهم مثنيا على من كذبه
 فقال سبحانه وتعالى مستأنفا محمضا (لولا) أي هلا ولم لا (أذ) أي حين (سمعتهموه) أي أيها
 المدعون للإيمان (ظن المؤمنون) أي منكم (والمؤمنات) وكان الاصل ظننتم أي أيها العصبية
 ولكنه التفت الى الغيبة تنبيه على التوبيخ وصرح بالنساء وبه على الوصف المقضى لحسن
 الظن نحو يشا الذي ظن السوء من سوء الظانمة (بأنفسهم) حقيقة (خيبر) وهم دون من
 كذب عليها فقطعوا يبراءتها لأن الانسان لا يظن في الناس الا ما هو متصف به أو باخوانهم لأن
 المؤمنين كالجسد الواحد وذلك فهو ما يروى ان أبأيوب الانصاري قال لام أيوب الأترين
 ما يقال فضالت لو كنت بدل صفوان كنت تظن بجرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء قال لا
 قالت لو كنت أبأيدل عائشة ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعائشة خير مني وصفوان
 خير منك (وقالوا هذا افك بين) أي كذب بين (فان قيل) هلا قيل لولا اذ سمعتموه وظننتم
 بأنفسكم خيرا وقلتم ولم عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر (أجيب) بأن ذلك
 مبالغة في التوبيخ على طريقة الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دالا على أن الاشتراك فيه
 يقتضى أن لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عائب ولا طاعن وفيه تنبيه على
 أن حق المؤمن اذا سمع قالة في أخيه أن يبنى الامر فيها على الظن لا على الشك أو أن يقول بل
 فيه بناء على ظنه بالمؤمن الخيرة هذا افك مبين هكذا اللفظ المصريح ببراءة مساحته لا يقول كما
 يقول المستيقن المطاع على حقيقة الحال وهذا من الادب الحسن الذي قل القاطم به والحافظ له
 وليكف تجرد من يسبح فيسكت ولا يشبع ما يبعه باخوانه ثم عطف سبحانه وتعالى كذب الا يمكن
 أن تعالى من يخالف اختلافه وأذاعه ملتزم يديه الى ظن الخير (لولا) أي هلا ولم لا (جاءوا عليه)

بأربعة شهاداء) كما تقدم أن القذف لا يباح إلا بها (فأذ) أي حين (لم يأتوا بالشهادة) أي
الموصوفين (فأولئك) أي البعدا من الصواب (عند الله هم الكاذبون) قد جعل الله التفضل
بين الرمي الصادق والرمي الكاذب بثبوت شهادة الشهود الأربعة واتقانها والذين رموا عائشة
لم تكن لهم بيعة على قولهم فقامت عليهم الحجة وكانوا عند الله أي في حكمه وشريعته كاذبين
وهذا توخي وتخصيف للذين هموا الأفلك فلم يجتدوا في دفعه وإنكاره واحتجاج عليهم بما هو
ظاهر مكشوف في الشرع من وجوب تكذيب القاذف بغير بيعة في التكيل به إذا قذف
امرأة محصنة من عرض نساء المسلمين فكيف بأتم المؤمنين الصديقة بنت الصديق حرمة
رسول الله صلى الله عليه وسلم حبيبة حبيب رب العالمين * ولما بين الله سبحانه وتعالى الدليل
على كذب الخائنين في هذا الكلام وأنهم استخفوا والملام قال عاطفا على لولا الماضية التي
للتخصيص (ولولا) التي هي لامتناع الشيء لوجود غيره (فضل الله) أي المحط بصفات الكمال
(عليكم ورحمته) أي معاملته لكم بمنزلة الانعام والاکرام اللازم للرحمة (في الدنيا) بقبول
التوبة والمعاملة بالحلم (والأسرة) بالعقوبة من يريد أن يعفو عنه منكم (مسكم) أي أجلكم
(في ما أفضتم) أي أيها العصبية أي خضتم (فيه) من حديث الأفلك (عذاب عظيم) أي يحقر معه
اللوم والجلد * (فائدة) هي مقطوعة في الرسم من ما كاترى ثم بين تعالى وقت حلول العذاب
وزمان نعيمه بقوله تعالى (أذ) أي مسكم حين (تلقونه) أي تجتهدون في تلي أي قبول هذا
الكلام الفاحش واقامه (بالسننكم) أي برويه بعضكم عن بعض وذلك أن الرجل منهم كان يلقى
الرجل فيقول بلغني كذا وكذا يتلقونه تلقيا يلقيه بعضهم إلى بعض وحذف من الفعل إحدى
الساكنين (وتقولون بأفواهكم) أي كلاما مختصا بالأفواه فهو كلام لا حقيقة له فلا يمكن
ارتسامه في القلب بنوع دليل وأكده هذا المعنى بقوله تعالى (ما ليس لكم به علم) أي بوجه من
الوجوه وتذكيره للتخبر (فان قبيل) القول لا يكون إلا باللفظ فاعنى قوله تعالى بأفواهكم
(أجيب) بأن معناه أن الشيء المعلوم يكون علمه في القلب فيترجم عنه اللسان وهذا الأفلك ليس
الأقول لا يجري على ألسنتكم ويدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علمه في القلب كقوله تعالى
يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم (وتحسبونه) بدليل سكوتكم عن إنكاره (هينا) أي لا أثر
فيه (وهو) أي والحال أنه (عند الله) أي الذي لا يبلغ أحد مقدا وعظامة (عظيم) في الوزر
واستخبر العذاب فهذه ثلاثة آنام مرتبة علق بها مس العذاب العظيم تلي الأفلك بالسنتهم
والتحدث به من غير تحقيق واستخارهم لذلك وهو عند الله تعالى عظيم (ولولا) أي وهلا ولم لا (أذ)
أي حين (سعتوه وقلتم) من غير توقف ولا تعلم (ما يكون) أي ما ينبغي وما يصح (لأن) أن تتكلم
بهذا أي القول المخصوص ويجوز أن تكون الإشارة إلى نوعه فان قذف أحاد الناس محرم
فكيف بمن اختارها العليم الحكيم لعصبية كل الخلق (فان قبيل) كيف جاز الفصل بين لولا
وقلم (أجيب) بأن الظروف تنزل من الشيء منزلة نفسه لوقوعه فيها وأنهم لا انفكاك لها عنه
فلذلك تسع فيها ما لا تسع في غيرها (فان قبيل) أي فائدة في تقديم الظرف حتى أوقع ما لا

(أجيب) بأن الغائبة عنه بيان أنه كان الواجب عليهم أن يتوبوا أقول ماسعوا بالافضل عن
التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم (فان قيل) ما معنى يكون والكلام بدونه
ملتزم لو قيل ما لنا أن نتكلم بهذا (أجيب) بأن معناه ينبغي ويصح أي ما ينبغي لنا أن نتكلم بهذا
وما يصح لنا كما تقدم تقريره ونحوه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق وقوله تعالى (سبحانك) ^{الذي}
تعجب من أن يخطر ذلك بالبال في حال من الاحوال (فان قيل) ما معنى التعجب في كلمة التسبيح
(أجيب) بأن الاصل في ذلك أن يسبح الله تعالى عند رؤيته التعجب من صناعه ثم كثر حتى
استعمل في كل متعجب منه وقيل تعرفه فهو منزوع عن أن يرضى بظلم هؤلاء القذفة وعن أن لا يهاقهم
ومن أن تكون حرمة نبيه صلى الله عليه وسلم فاجرة حال البضاوى فان غورها شفر عنه ويجل
بمقصود الزواج بخلاف كفرها فانه لا يفتخر أي ولهذا كانت امرأة فوح ولو طأ كافر تين وهذا
يقضى حل نكاح الكفاية مع أنها لا تحل له صلى الله عليه وسلم لانها تكفر بصحته ولانه أمترف
من أن يضع ماله في رحم كافرة بنكاح ولقوله تعالى وأزواجه أمهاتهم ولا يجوز أن تكون
الكافرة أم المؤمنين ونحو رسالت ربي أن لا أزوج الا من كانت معي في الجنة فأعطاني رواء
الحاكم وصححه اسناده اما التسري بالكافرة فلا يحرم لانه صلى الله عليه وسلم تسرى برعاية
وكانت يهودية بمن بنى قرينة ولا يشكل تعليلهم السابق من أنه أشرف أن يضع ماله في رحم
كافرة لان القصد بالنكاح اصاله التوالد فاحتط له وبأنه يلزم منه أن تكون الزوجة المشركة
أم المؤمنين بخلاف الملك فيهما (هذا بيان) أي كذب يهت من بواجه به ويحيره لشدة ما يفعل
في القوى الباطنة لانه في غاية الغفلة عنه لكونه أبعد الناس منه ثم هوته بقوله (عظيم)
لعظمة المهوت عليه فان حشرة الذنوب وعظماها باعتبار مته لها مقامها ولما كان هذا كله
وعظماهم واستصلا حاترجه بقوله (يعظكم الله) أي رفق قلوبكم الذي له الكمال كله فيعمل بجملة
ولا يجهل بحكمته (أن) أي كراهة أن (تعودوا للمثلة أبدا) أي مادمت أحياء مكلفين ثم عظم هذا
الوعظ بطوله تعالى (ان كنتم مؤمنين) أي متصفين بالايمان راضعين فيه فانكم لا تعودون
فان الايمان يمنع عنه وهذا تهيب وتقريع لأنه يخرج عن الايمان كما تقول المعتزلة (فان قيل)
هل يجوز أن يسمى الله واعظا كقوله تعالى يعظكم الله (أجيب) بأنه لا يجوز كما قاله الرازي قال
كما لا يجوز أن يسمى الله معلما كقوله تعالى الرحمن علم القرآن لان أسماء الله تعالى توقيفية (ويبين
الله) أي بما له من صفات الكمال والاکرام (لكم الآيات) أي الدالة على الشرائع ومحاسن
الاداب كي تتقوا وتتأذوا (والله) أي المحيط بجميع الكمال (علم) أي بما أمر به ونهى عنه
(حكيم) لا يضيع نيا الا في أحكم مواضعه وان دق عليكم فهم ذلك فلا تتوقفوا في أمر من أو امره
موقفا كان من أعظم الوعظ بيان ما يستحق على الذنب من العقاب بينه بقوله تعالى (ان الذين
يجنون) أي يريدون وعبر بالحب اشارة الى أنه لا يرتكب هذا مع شناعته الا محب له ولا يحبه
الا بعد عن الاستقامة (ان تنسج) أي تنسج بالقول أو بالفعل (الفاحشة) الفعل الكبيرة
التي (في الدين آمنوا) أي بسببها اليهم وهم الغيبة وقيل المنافقون (لهم مذابئ أليم في الدنيا)

أي بالخذلقة القذف (والأثرة) أي بالنار لحق الله تعالى أن لم يتب (والله) أي المستجمع لصفات
 الجلال والجمال (يعلم) أي له العلم التام فهو يعلم مقادير الاشياء ما ظهر منها وما بطن وما الحكمة
 في اظهاره أوسرته وغير ذلك من جميع الامور (وأنتم لا تعلمون) أي ليس لكم علم من أنفسكم
 فاعملوا بما علمكم فلا تتجاوزوه ولا تضلوا وقيل معناه يعلم ما في قلب من يجب أن تشيع القاحشة
 فيما زيه عليها وأنتم لا تعلمون ذلك وقيل والله يعلم انتفاء القاحشة عنهم وأنتم أيهم العصبية
 لا تعلمون وجودها فيهم وقوله تعالى (ولو لا فضل الله عليكم ورحمته) أي بكم تكثير بالمنة
 بترك المعالجة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف عليه (وأن الله) أي الذي له القدرة
 التامة فسبقت رحمته غضبه (رؤف رحيم) على حصول فضله ورحمته وجواب لولا محذوف
 كأنه قال لعذبكم واستأصلكم لئلا يكون رؤف رحيم **قال ابن عباس** الخطاب لحسان ومسطح
 وحنه قال الرازي ويجوز أن يكون الخطاب عاما وقيل الجواب في قوله تعالى ما زكي منكم من
 أحد وقرأ رؤف نافع وابن كثير وابن عامر وحفص بعد الهززة والباقون بقصرها (يا أيها الذين
 آمنوا لا تتبعوا خطوات) أي طارق (الشيطان) بتزيينه أي لا تسلكوا مسالكه في اشاعة
 القاحشة ولا في غيرها (ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه) أي المتبع (يأمر بالفحشاء)
 أي بالقبائح من الافعال (والمنكر) أي ما أنكره الشرع وهو كل ما يكرهه الله تعالى وقرأ
 قتل وابن عامر وحفص والكسائي بضم الطاء والباقون بالسكون (ولو لا فضل الله) أي
 الذي لا اله غيره (عليكم ورحمته) أي بكم توفيق التوبة الماحية للذنوب وتشريع الحدود
 المكفرة لها (ما زكي) أي ما ظهر من ذنبها (منكم من أحد أبدا) آخر الدهر والاية عند
 بعض المفسرين على العموم قالوا أخبر الله أنه لو لا فضل الله ورحمته ما صلح منكم من أحد
 وقال ابن عباس الخطاب للذين خاضوا في الافك ومعناه ما ظهر من هذا الذنب ولا صلح أمره
 بعد الذي فعل بالتوبة منه (ولكن الله) أي العليم بأحوال خلقه (يزكي) أي يطهر (من
 يشاء) من الذنوب بقبول التوبة منها (والله سميع) أي لا قالوا لهم (عليم) أي بما في قلوبهم
 (ولا ياتل) أي يحلف اقتبعا من الاية وهو القسم (أرلوا الفضل) أي أصحاب الفتي (منكم
 والسعة أن) أي أن لا (بوئوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليصنوا
 وليصنوا) عنهم في ذلك (ألا تعجبون أن يغفر الله لكم) أي على عفوكم وصغبتكم واخسانكم
 إلى من أساء إليكم قال المفسرون نزلت هذه الآية في أبي بكر رضي الله عنه حيث حلف أن
 لا يتق على مسطح وهو ابن خالة أبي بكر رضي الله تعالى عنه وكان يتبع في حجره وكان يتق عليه
 فلما فرط منه ما فرط قال لهم أبو بكر قوموا الستم مني ولست منكم وكفى بذلك داعيا في المنع
 فإن الانسان اذا أحسن إلى قريسه وكافأ بالاسامة كان أشد عليه مما اذا صدرت الاسامة من
 أجنبي قال الشاعر

وظلم ذوى القربى أشد مضامة * على المرء من وضع الحسام المهند

فقال له مسطح نشدك الله والاسلام والقرايه لاتحوجنا إلى أحد فما كان لنا أول الامر من

ذنب فقال ألم تتكلم فقال قد كان بعض ذلك عجباً من قول حسان فلم يقبل عذره وقال انطلقوا
 أيها القوم فإن الله لم يجعل لكم عذراً ولا فرجاً يخرجوا الا يدرون ابن يذمبون وابن يذمبون
 من الارض وناس من العصاة أقسموا أن لا يتصدقوا على من تكلم بشئ من الافك فبعث
 رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي بكر وقرأ عليه الآية فلما وصل الى قوله ألا تحبون أن يغفر
 الله لكم (واقفه غفور رحيم) أي مع كمال قدرته فتخلقوا باخلاقه قال بلى يا رب انى أحب أن
 تغفرنى فذهب أبو بكر الى بيته وأرسل الى مسطح وأصحابه وقال قبلت ما أنزل الله تعالى على
 الرأس والعين وانما فعلت بكم ما فعلت اذ مضط الله عليكم أما ادعوا عنكم فرحبا بكم وجعل
 له مثل ما كان له وقال والله لا أنزعها أبداً وذلك من أعظم أنواع المجاهدات ولا شك أن هذا
 أعظم من مقاتلة الكفار لان هذا المجاهدة مع النفس وذلك مجاهدة مع الكفار ومجاهدة
 النفس أشد من مجاهدة الكفار ولهذا يرى أنه صلى الله عليه وسلم قال رجعتنا من الجهاد
 الا صغرى الجهاد الا كبر (ان الذين يرون المحصنات) أى العفاف (القافلات) أى عن
 الفواحش وهن السليمان الصدور والنقيات الصلوب بأن لا يقع في قلوبهن فقلها اللان ليس
 فيهن ذهاب ولا مكر لانهن لم يجربن الامور ولم يرزن الاحوال فلا يقطن لما تقطن له المجربات
 العرافات قال في ذلك القائل متغزلا

ولقد لهوت بطفلة تميالة * بلها تطلقنى على أسرارها

وكذلك البهمن الرجال في قوله صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البه وقيل البههم الراضون
 بنعيم الجنة والقطناء لم يرضوا الا بالنظر الى وجهه الكريم (المؤمنات) بالله ورسوله (لغواني
 الدنيا والآخرة) أى عذبوها في الدنيا بالحد وفي الآخرة بالنار (ولههم عذاب عظيم) لعظم ذنوبهم
 حال مقاتل هذا خاص في عبد الله بن أبي ابن سلول المناق وروى أنه قيل لسعيد بن جبيرة من
 قذف مؤمنة بلعنة الله في الدنيا والآخرة فقال ذلك لعائشة رضى الله تعالى عنها خاصة قال
 الزنجبرى ولو قلبت القرآن كله وقشيت عما أوعده العاصاة لم تر أن الله عز وجل قد علق في شئ
 تفلنخله في افك عائشة رضوان الله عليها ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد
 الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ما ركب من ذلك واستقطاع ما أقدم عليه
 ما أنزل فيه على طرق مختلفة وأساليب مختلفة كل واحد منها كاف في بابه ولو لم تنزل الا هذه
 الثلاث آيات لكنى بها حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب العظيم
 في الآخرة وبأن السنهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم كما قال تعالى (يوم تشهد عليهم
 ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) أى من قول وفعل وهو يوم القيامة بما أفكروا
 وبهم وافاته تعالى وفيهم جزاءهم الحق كما قال تعالى (يومئذ يوفىهم الله دينهم الحق) أى جزاءهم
 الواجب الذين هم أهل (ويعلمون) عند ذلك (أن الله هو الحق المبين) حيث حقق لهم جزاءهم الذى
 كانوا يشكون فيه فأوجز في ذلك وأشبع وفصل وأجل وأكد وكثر وجاء بما لم يقع في وعيد
 المشركين وعبد الآثان الامماهودى في القضاة وما ذاك الا لامر عظيم وعن ابن عباس

أنه كان بالبصرة يوم عرفة وكان يسئل عن تفسير القرآن حتى سئل عن هذه الآيات فقال من
 أذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الأمن خاص في أمر عائشة وهذا منه بالغة وتعظيم لامر
 الأفك ولقد برأ الله تعالى أربعة بأربعة برأ يوسف عليه السلام بلسان الشاهد فقال
 تعالى وشهد شاهد من أهلها الآية وبرأ موسى عليه الصلاة والسلام من قول النبي وذنبه
 باعجر الذي ذهب بنوبه وبرأ مريم بانطاق ولدها عليه الصلاة والسلام حين نادى من تحتها اني
 عبد الله الآية وبرأ عائشة رضي الله تعالى عنها بهذه الآيات العظام في كتابه المعجز المتلو
 هل وبه الدهر مثل هذه التبرئة في المبالغات فانظر كيف بينها وبين تبرئة أولئك وما ذاك الا
 لاطها علو منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتمية على انافة عمل سيد واد آدم وخيرة
 الاولين والآخرين وبجة الله على العالمين ومن أراد ان يحقق عظيمة شأنه وتقدم قدمه
 وحرارة لصب السبق دون كل سابق فليستق ذلك من آيات الافك وليستأمل كيف غضب الله
 تعالى له في حرمة وكيفية بالغ في نفي التهمة عن حجابيه وقال قوم ليس لمن كذب عائشة وبقيصة
 أزواج النبي صلى الله عليه وسلم توبة لان الله تعالى لم يذكر في كذبتون توبة وما ذكر من قول
 السورة فذالك في كذب غيرهن (فان قيل) ان كانت عائشة هي المرادة فكيف قيل المحصنات
 (أجيب) بانها لما كانت أم المؤمنين جمعت ارادة لها ولسانها من نساء الامة الموصوفات
 بالاحسان والفضلة والايان واذا قيل ان هذا حكم كل قاذف ما لم يقب (فان قيل) ما معنى قوله
 تعالى هو الحق المبين (أجيب) بأن معناه ذو الحق المبين أي العادل الظاهر العدل الذي لا ظلم
 في حكمه والحق الذي لا يوصف يبطل ومن هذه صفته كان له أن يجازي الحسن على احسانه
 والمسي على اسائه بحق مثله أن يتي ويحجب محارمه وقرأ يشم حجرة والكسائي بالبلاء التحية
 والباقرن بالقوية ويوم ناصبه الاستقرار الذي تعلق به لهم وقرأ أبو هريرة ويوفهم الله بكسر الهاء
 والميم وحجرة والكسائي بضم الهاء والميم والباقرن بكسر الهاء بضم الميم هذا كله في الوصل
 وأما الوقف فالجميع بكسر الهاء وسكون الميم (الطيبات) أي من النساء والكلمات (الطيبين)
 من الناس (والطيبون) أي من الناس (الطيبات) أي محاذ كرك (والطيبات) أي محاذ كرك
 (الطيبين) أي من الناس (والطيبون) أي منهم (الطيبات) أي محاذ كرك فاللائق بالحيث مثله
 والطيب مثله (أو ثلاث) أي الطيبون والطيبات من النساء ومنهم صفوان وعائشة (مبتوتون
 مما يقولون) أي الخبيثون والخبيثات من النساء وقيل عائشة وصفوان ذكرهما بلفظ الجمع
 كقوله تعالى فان كان له اخوة أي اخوان (لهم) أي الطيبين والطيبات من النساء على الاول
 وصفوان وعائشة على الثاني (مغفرة) أي عفو عن الذنوب (ورزق كريم) هو الجنة ويروي أن
 عائشة رضي الله تعالى عنها كانت تقطر بأشياء أعطيتها لم تظنها امرأة غيرها منها أن جبريل
 عليه السلام أتى بصورتها في سرقه من حرير وقال للنبي صلى الله عليه وسلم هذه زوجتك ويروي
 أنه أتى بصورتها في راحته ومنها أنه صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بغيرها ومنها أنه قبض
 صلى الله عليه وسلم ورأسه الشريف في حجرها ومنها أنه دفن في بيتها ومنها أنه سكن بغزل

عليه الرحمة وهو معهما في الحاف ومنها ان براءتها زالت من السماء ومنها انها ابسة خليفعة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصديقه وخلقت طيبة ووعدت بغفرة ورزق كريم وكان
مسروق رحمة الله تعالى اذ اروي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قال حدثتني الصديقة
بنت الصديق حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الميراث من السماء * الحكم السادس
ما ذكره بقوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم) أي التي تسكنونها
فان المؤجر والمعير لا يدخلان الا باذن وقرأ ورش وأبو عمرو وحفص بضم الباء الموحدة
والباقون بكسر ها وفي قوله تعالى (حتى تستأنسوا) وجهان أحدهما أنه من الاستئناس الظاهر
الذي هو خلاف الاستئناس لان الذي يطرق باب غيره لا يدري أي يؤذن له أم لا فهو كالمتنوحش
من خفاء الحال عليه فاذا أذن له فقد استأنس والمعنى حتى يؤذن لكم كقوله تعالى لا تدخلوا
بيوت النبي الا أن يؤذن لكم وهذا من باب الكناية والاراد ان هذا النوع من الاستئناس
يرد في الاذن فوضع موضع الاذن والثاني أن يكون من الاستئناس بمعنى الاستعلام
والاستكشاف استفعال من أنس الشيء اذا أبصره ظاهرا مكشوقا والمعنى تستعلموا
وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم أم لا ومنه قولهم استأنس هل ترى أحدا واستأنت
فلم أر أحدا أي تعرفت واستعلمت وقال الخليل بن أحمد الاستئناس الاستصار من قوله سم
أنت نارا أي أبصرت وقيل هو أن يتكلم بالتسبيحة والتكبير والتحميدة ويتنحى يؤذن
أهل البيت وعن أبي أيوب الانصاري قال يا رسول الله ما الاستئناس قال أن يتكلم الرجل
(وتسألوا على أهلها) كان يقول الواحد السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فان أذن له دخل
والاربع قال قتادة المزة الاولى للسمع والثانية ليهما والثالثة ان شاء أذن وان شاوره
وهذا من محاسن الأدب فان أول مرتبة رجمانهم بعض الاستئصال من الاذن وفي الثانية
ربما كان هناك مانع يقتضي المنع فان لم يجب في الثالثة يستدل بعدم الاذن على مانع ولهذا
كان الاولى في الاستئذان ثلاثا أن لا تكون متصلة بل يكون بين كل واحدة والاخرى
وقتها ولا بد من اذن صريح اذا كان الداخل أجنبيا أو قريبا غير محرم سواء كان الباب
مغلقا أم لا وان كان محرما فان كان ساكنا مع صاحبه فيه لم يلزمه الاستئذان ولكن عليه
أن يشعر بدخوله ويتنحى أو شدة وطه أو نحو ذلك ليستتر العريان فان لم يكن ساكنا فان كان
الباب مغلقا لم يدخل الا باذن وان كان مفتوحا وجهان والوجه الاستئذان وعن أبي موسى
الاشعري انه أتى باب عمر فقال السلام عليكم أأدخل قالها ثلاثا ثم رجع وقال جعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاستئذان ثلاثا واستأذن رجل على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال أبلغ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حرة إلا يقال لها روضة فومى الى هذا
فعليه فانه لا يحسن أن يستأذن قوله يقول السلام عليكم أأدخل فسمع الرجل فقال أأدخل
وكان أهل الجاهلية يقول الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته حيمته صبايا وحيمته منشاء ثم
يدخل فرعيا صاب صاحب البيت مع امرأته في الحاف واحدها فقال الله عز وجل عن ذلك وعلم

ما هو الاحسن الاجمل وكمن باب من ابواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة فقد
 تركوا العمل به وباب الاستئذان من ذلك قال الزحدرى يُنَاثِرُ فِي سِنِكَ اذ رُفِعَ عَلَيْكَ
 الباب بواحد من غير استئذان ولا تحية من تحايا اسلام ولا جاهلية وهو ممن يسع ما أنزل الله فيه
 وما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أين الاذن الواعينة (ذلكم خير لكم) أى من
 تحية الجاهلية ومن أن تدخلوا من غير استئذان روى أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم
 أستاذن على أى قال نعم قال انه ليس لها خادم غبرى أستاذن عليها كما دخلت قال أتجب
 أن تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستأذن وقوله تعالى (لكنم تذكرون) متعلق بمعدوف أى
 أنزل عليكم وقيل بين لكم هذا اوداة أن تذكروا وتعلموا وتملوا بما أمرتم به في باب الاستئذان
 وقرأ حفص وحزرة والكسائي بضعيف الذال والباقون بالثشديد (فإن لم تجدوا فيها) أى
 البيوت (أحدا) يأذن لكم في دخولها (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) أى حتى يأتي من يأذن
 لكم فإن المنافع من الدخول فيها ليس الاطلاع على العورات فقط وانما شرع لتلاؤم على
 الاحوال التي تطرأ للناس في العادة عن غيرهم ويتحققون من اطلاع أحد عليها ولانه تصرف
 في ملك غيرك فلا بد أن يكون برضاه والا شبه الغصب والتغلب (وان قيل لكم ارجعوا) أى
 بعد الاستئذان (ارجعوا) أى اذا كان في البيت أحد وقال لكم ارجعوا فارجعوا (هو)
 أى الرجوع (أزكى) أى أظهر وأصلح (لكم) من الوقوف على الابواب منتظرين لان هذا
 مما يجلب الكراهة ويقدم في قلوب الناس خصوصا اذا كانوا ذوي مروءة من تاضين للاداب
 الحسنة واذا نهى عن ذلك لادائه الى الكراهة وجب الاتهاء عن كل ما يؤدى اليها من قرع
 الباب بعنف والتصيح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل في عادات من لم يتهذب من أكثر
 الناس وعن أبي عبيد رجه الله تعالى ما قرعت يا اعمى عالم قط وكفى بقصة بنى اسد ذابرة
 وما نزل فيها من قوله تعالى ان الذين يتادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون وعن قتادة
 رجه الله تعالى اذ لم يؤذن له لا يقعد ورواه الباب فان للناس حاجات وان حضر ولم يستأذن وقعد
 على الباب منتظرا جاز وكان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يأتى باب الانصارى لطلب الحديث
 فيقعد على الباب حتى يخرج ولا يستأذن فيخرج الرجل فيقول يا ابن عم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لو أخبرني فيقول هكذا أمرنا أن نطلب العلم فاذا وقف فلا ينظر من شق الباب
 اذا كان الباب مردودا لما روى عن أى هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
 اطلع في بيت قوم فقد حل لهم أن يقضوا عينه وفي رواية للتسائي قال لو أن امرأ اطلع عليك
 بغير إذن فخذت عينه ففقات عينه ما كان عليك جناح ولو عرض امرأ في دار من حريق أو هدم
 أو هجوم سارق أو ظهر ومنكر يجب انكاره ما زاد الدخول بغير إذن (والله) أى الذى لا يخفى
 عليه شئ (بما تمهلون) من الدخول باذن وبغير إذن (عليه) فيما يزيدكم عليه «ولما نزلت آية
 الاستئذان قالوا يا رسول الله كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام على ظهر الطريق ليس
 فيها انسان فانزل الله تعالى (ليس عليكم جناح) أى انتم (أن تدخلوا بيوتنا غير مسكونة) أى

بغير استئذان منكم وذلك كي يوت الخنايات والربط المسبلة (فيها متاع) أي منفعة (لكم)
 والمنفعة فيها بالنزول وأنواع المتاع والاقوام من الحر والبرد ونحو ذلك وقال ابن زبيد هي بيوت
 التجار وحواليهم التي بالسواق يدخلها للبيع والشراء وهو المنفعة. وقال إبراهيم الضحى ليس
 على حوائف الاسواق أذن وكان ابن سيرين رحمه الله تعالى إذا جاءه إلى حائفت السوق يقول
 السلام عليكم أدخل ثم يلبغ وقال عطاء بن السجستاني البيوت الخرية والمتاع هو قضاء الحاجة فيها من البول
 والقائط وذلك استثناء من الحكم السابق لشهوة البيوت المسكونة وغيرها (والله يعلم
 ما تدون) أي تظهرون (وما تكفون) أي تخفون في دخول غير بيوتكم من قصد صلاح أو غيره
 وفي ذلك وعبد من الله تعالى لمن دخل لفساد أو تطلع على عورات وسياق أنهم إذا دخلوا
 بيوتهم سلوا على أنفسهم والحكم السابع حكم النظر المذكور في قوله تعالى (قل للمؤمنين
 يقضوا من أبصارهم) أي عما لا يحل لهم نظره (ويحفظوا أرواحهم) أي عما لا يحل لهم قوله
 بها * (تبيه) * من التبويض والمراد غض البصر عما لا يحل كالمز والاقصاء به على ما يحل
 وجوزوا لاختصاص أن تكون من زيادة وأباه سميويه (فان قيل) لم دخلت من في غض البصر دون
 حفظ الفرج (أجيب) بأن في ذلك دلالة على أن المراد أن أمر النظر أوسع بدليل جواز النظر
 للخصام فيما عدا ما بين السرة والركبة وأما نظر الفروج فالامر فيه ضيق وكفالكفر أن أبيع
 النظر إلا ما استثنى منه وحظر الجماع إلا ما استثنى منه ويجوز أن يراد مع حفظها عن الافشاء
 إلى ما لا يحل حفظها عن الابداء وعن ابن زيد كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا إلا
 هذا فإنه أراد به الاستتار (فان قيل) لم قدم غض البصر على حفظ الفرج (أجيب) بأن البلوى
 فيه أشد وروى عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله تعالى عنه قال سألت النبي صلى الله عليه
 وسلم عن نظر الفجأة فقال اصرف بصرك وعن بريدة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لعلي يا علي لا تبص النظر النظر فان لك الأولى وليست لك الثانية أخرجه
 أبو داود والترمذي وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال لا يبصر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة ولا يفضي الرجل إلى الرجل
 في ثوب واحد ولا تفضي المرأة إلى المرأة في ثوب واحد (ذلك) أي غض البصر وحفظ الفرج
 (أزكى) أي خير (لهم) لما فيه من البعد عن الريبة سئل الشيخ الشبلي رحمه الله تعالى عن
 قوله تعالى يقضوا من أبصارهم فقال أبصار الرؤس عن الحرمات وأبصار القلوب عن المحرمات
 ثم أخبر سبحانه وتعالى بأنه خير بأحوالهم وأفعالهم بقوله تعالى (إن الله) أي الملك الذي
 لا يخفى عليه شيء (خير بما يصنعون) بسائر حواسهم وجوارحهم فليعلم إذا عرفوا ذلك
 أن يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون (وقل للمؤمنات يقضن من أبصارهن)
 عما لا يحل لهن نظره (ويحفظن فروجهن) عما لا يحل لهن فعله لهما روى عن أم سلمة رضي
 الله تعالى عنها أنها قالت كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة بنت الحارث
 إذا حمل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعد ما أمرنا بالتحجب فقال صلى الله عليه وسلم احتسبا

منه فقلت يا رسول الله أليس هو أعشى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفعميا وإن أتت السقا
 تصمرانه وقوله تعالى (ولا يدين) أي يظهرن (زينهن) أي لغير محرم والزينة مخفية وظاهرة
 فانظية مثل الخفمال والخضاب في الرجل والسوار في المعصم والقرط في الأذن والقلاد
 في العنق فلا يجوز للمرأة اظهارها ولا يجوز للاجنبي النظر اليها والمراد من الزينة ما وضعها
 من البدن وذكر الزينة للمبالغة في الامر بالصون والستر لأن هذه الزينة واقعة على مواضع
 من الجسد لا يجل النظر اليها (الآماظهر منها) أي من الزينة الظاهرة واختلف أهل العلم
 في هذه الزينة التي استتھاها الله تعالى فقال سعيد بن جبيرة جماعة هي الوجه والكفان وقال
 ابن مسعود رضي الله تعالى عنه هي الثياب وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هي الكحل
 والخاتم والخضاب في الكف فما كان من الزينة الظاهرة يجوز للاجنبي النظر اليها إن لم يحتف
 قنة في أحد وجهين وعليه الأكثر وانما رخص في هذا التقدير لأنه أن تبدي من بدنها
 لانه ليس بعورة في الصلاة وسائر بدنها عورتها ولان سترها فيه حرج فان المرأة لا تجذبها من
 حراولة الاشياء يديها ومن الحاجة الى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة
 والنكاح وتضطر الى المشي في الطرقات وخاصة الفقيرات والوجه الثاني يحرم لانه محل الفسنة
 ودرج حسما للباب (وليضرن بجمهرهن على جوبهن) أي يسترن الرؤس والاعناق والصدور
 بالمقانع فان جوبهن كانت واسعة تبتدومنهن المحورهن وصدورهن وما حولها وكن يسدلن
 الخمرن وراهن فتبقى مكشوفة فأمرن بأن يسدلنهن من قدامهن حتى تقطعها ويجوز أن يراد
 بالجوب الصدر وتسمية لها باسم ما يليها ويلابسها ومنه قولهم ناصح الجيب بالنون والصاد
 أي سليم الصدر وقولك ضربت بخمارها على جيبها كقولك ضربت يدي على الحائط اذا
 وضعتها عليه قالت عائشة رضي الله تعالى عنها يرحم الله تعالى نساء المهاجرات لما أنزل الله
 وليضرن بجمهرهن على جوبهن شققن مروطهن فاخترن بها والمرط كساء من صوف وخز
 أو كان وقيل هو الازر وقيل هو الدرع وقرأ نافع وأبو عمرو وهشام وعاصم بنم الجيب والباقون
 بكسرها وكر قوله تعالى (ولا يدين زينهن) لبيان من يجعل له الابداء ومن لا يجعل له أي الزينة
 الخفية التي لم يبع لهن كشفها في الصلاة ولا لاجانب وهي ماعد الوجه والكفين (الالبعواتن)
 أي فاتهم المقصودون بالزينة ولهم أن ينظروا الى جميع بدنهن حتى القرح ولو الدر ولكن
 يكره وقال ابن عباس لا يضمن الجلباب والخمار من الاثار واجهتن (أو باهن أو باه
 بعولتن أو ابناهن أو ابناهن عولتن أو اخوانهن أو اخوانهن أو بنى اخواتهن) فيجوز
 لهؤلاء أن ينظروا الى الزينة الخفية ولا ينظروا الى ما بين السررة والركبة وانما سوغ في الزينة
 الخفية لاولئك المذكورين في الآية للعابجة المضطرة الى مداخلتهم ومخالطتهم وقلنا الفسنة
 من جهتهم ولما في الطباع من الغيرة من محاسن القرايب ونحوها المرأة الى صحتها في الاسفار
 للترجل والمركوب وغير ذلك (أو نسائهن) أي المؤمنات فان الكافرات لا يضر منهن ومن وصهن
 للرجال فلا يجوز للمسلم أن يفتخر من مناسبا عنده النساء الكافرات لانهم أجنبيات عن الدين

فكن كل رجال الابان لكن يجوز ان ترى الكافرة منها ما يد وعقد المهنة وقد كتب عمر بن الخطاب الى ابي عبدة بن الجراح ان يمنع نساء اهل الكتاب ان يدخلن الحمامات مع المسلمات وقيل للنساء كلهن وللعلماء في ذلك خلاف (تنبيه) العورة على اربعة اقسام عورة الرجل مع الرجل وعورة المرأة مع المرأة وعورة المرأة مع الرجل وعورة الرجل مع المرأة أما الرجل مع الرجل فيجوز له ان ينظر الى جميع بدنه ما عدا ما بين السرة والركبة وكذلك المرأة مع المرأة وأما المرأة مع الرجل أو الرجل مع المرأة فلا ينظر احدهما من الاخر شيئا وقيل يجوز للاجنبي ان ينظر الى وجهها وكفيها انما أمن الفتنة ولم تكن شهوة وقيل يجوز لها ان تنظر منه ما عدا ما بين السرة والركبة ويجوز لغيره ان يخطب حرة ان ينظر وجهها وكفيها وهي تجاز ان ينظر منها ما عدا ما بين السرة والركبة ويحرم ان ينظر بشهوة ويحرم النظر بشهوة لكل منظور اليه الا ان أراد ان يتزوج بها والاحليته ويناح النظر من الاجنبى لهاصله وشهادة حتى يجوز النظر الى الفرج للشهادة على الزنا والولادة والى الثدي للشهادة على الرضا عن تعليم ومداداة بتدرج الحاجة وكل ما حرم نظره متصلا حرم نظره منفصلا كشمه وعانة من رجل أو قلامة نظره من اجنبية ويحرم اضطلاع رجلين أو امرأتين في ثوب واحد اذا كانا عاريتين وان كان كل منهما في جانب من القماش للخبر المتقدم ويجب التفريق بين ابن هنر سني و اخوته وأخواته في المصعب اذا كانا عاريتين وتسن مصافحة الرجلين والمرأتين بغير ما من مسيلين بلبثان ويتصانحان الا غفر لهما ما قبل ان يتفرقا وتكره مصافحة من به عاهة كجذام أو برص والمعانقة والتقبيل في الرأس اللهم عن ذلك الا لقادم من سفر أو تباعدهد ويسن تقبيل الطفل ولولغير أبويه شفقة ولا بأس بتقبيل وجه الميت الصالح ويسن تقبيل يد السلي لتصلاح أو علم أو زهد أو نحو ذلك ويكره لغيره أو وجهه أو نحو ذلك وقوله تعالى (أو ما ملكت أيمانهم) يوم الاماء والعبيد فيصل نظر العبد الضيف غير البعض والمشترك والمكاتب الى سيده العقيقة لما روى ابوداد انه صلى الله عليه وسلم أتى فاطمة رضى الله تعالى عنها بعبد ووجهها وعلمها ثوب اذا قطعت به رأسها لم يبلغ رجلها واذا غطت رجلها لم يبلغ رأسها فلما رآها النبي صلى الله عليه وسلم وما تلقى قال صلى الله عليه وسلم انه ليس عليك بأس انما هو أولك وغلامك وعن عائشة أنها قالت لعبدهاذ كران انك اذا وضعتني في القبر وخرجت فأنت حرة وأما القاسق والبعض والمشترك والمكاتب فكالاجنبى بل قيل ان المراد بالآية الاماء وعبد ارادة كلاجنبى وبه قال ابن المسيب آخره وقال لا تقرنكم آية التورفة ان المراد بها الاماء (أو التابعين) أى الذين يتبعون القوم لصيوان من فضل طعامهم (غير أولى الآرية) أى أصحاب الحاجة الى النساء (من الرجال) أى ليس لهم همة الى ذلك ولا حاجة لهم في النساء لانهم لا يبرهنون شيلين أمرهن وقيل هم شيوخ صلحاء اذا كانوا معهن غصوا بأبصارهم وقيل هم المسجونون سواء كان حرا أم لا وهو ذهاب الذكرو الإنفيعن أما ذهاب الذكر

قوله الا ان أراد ان يتزوج بها عورة يشمل الامة وقد قال فيها ويحرم ان ينظر بشهوة فليحذر

٥١

فقط أو الاثنين فقط فكالفضل وعن أبي حنيفة لا يحل امساك الخصبان واستخدمهم
 ويبيعهم وشراؤهم قال الرخشمري فان قلت روى أنه أهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 خصي تقبله قلت لا يقبل فيما تم به البلوى الاحديث مكشوف وان صح فاعله قبله ليعتقه
 أو لسبب من الاسباب انتهى وعندنا يجوز جميع ذلك اذا لمانع منه وقيل المراد بأولى
 الآية هو الخنث وقرأ ابن عاصم وشعبة بنصب الراء على الاستثناء والحال والتناقض بكسرهما
 على الوصفية وقوله تعالى (أو الطفل) بمعنى الاطفال وضع الواحد موضع الجمع لانه يفيد
 الجنس وبينه ما بعده وهو قوله تعالى (الذين لم يظهروا) أي لم يطلعوا (على عورات النساء)
 للجماع فيعوزلهن أن يبين لهن ما عدا ما بين السرة والركبة قال امام الحرمين رجه الله تعالى
 اذا لم يبلغ الطفل حدا يحكى ما يراه فكالعدم أو بلغه من غير شهوة فكالحرم أو بشهوة فكالبالغ
 (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) وذلك ان المرأة كانت تضرب برجلها الارض
 ليعتق خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال وقيل كانت تضرب باحدى رجليها على الاخرى ليعلم أنها
 ذات خلخالين فهين عن ذلك لان ذلك يورث ميلا في الرجال واذا وقع النهي عن اظهار صوت
 الحلي فواضع الحلي أبلغ في النهي وأوامر الله ونواهيها في كل باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر على
 مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد ولا يتخلل من تقصير يقع منه فلذلك قال تعالى (وتوبوا الى الله)
 أي الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات (جميعاً) أي المؤمنون أي مما وقع لكم من
 النظر المنعوق منه ومن غيره وشروط التوبة أن يقطع الشخص عن الذنب ويندم على ما مضى
 منه ويعزم على أن لا يعود اليه ويرد الحقوق لاهلها وقرأ ابن عاصم في الوصل أنه المؤمنون بضم
 الهاء لانها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت الالف لالتقاء الساكنين اتبعت
 حركتها حركة ما قبلها والباقون بقصها وأما الوقف فوق أبو عمرو والكسائي بالالف بعد الهاء
 ووقف الباقر على الهاء ساكنة (لعلكم تظنون) أي تنجون من ذلك بقبول التوبة منه وفي
 الآية تغليب الذكور على الاناث وعن ابن عباس توبوا عما كنتم تفعلونه في الجاهلية لعلكم
 تسعدون في الدنيا والآخرة (فان قيل) على هذا قدمت التوبة بالاسلام لانه يجب ما قبله فما
 معنى هذه التوبة (أجيب) بأن بعض العلماء قال ان من أذنب ذنباً ثم تاب منه لم يزل ذمته كذا ذكره أن
 يجتد التوبة لانه يلزمه أن يستقر على ذمه وعزمه على عدم العود الى أن يلقى الله تعالى والذي
 عليه الاكثر أنه لا يلزمه تجديدها وعن أبي بردة أنه سمع الاغر يتحدث ابن عمر أنه سمع رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس توبوا الى ربكم فاني أوتب الى ربي كل يوم مائة مرة وعن
 ابن عمر قال انا كنا نعتذر لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس يقول رب اغفر لي وتب علي انك
 أنت التواب الغفور مائة مرة وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تاب
 قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يسقط على بصره وقد أضل في أرض فلاة ولما نسي
 عباس يفضي الى الشفاح الخلل بالنسب المقتضى للالفة وحسن العربية ومزيد الشفقة المؤدية

الى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه عقبه بالحكم الثامن وهو الامر بالنكاح المذكور
في قوله تعالى (وأنتكحوا الايامي منكم) جمع ايم والايامى واليتامى أصلهما أيام ويام
فقلبا والايام هي من ليس لها زوج بكرة كانت أو ثيبا ومن ليس له امرأة فيشمل ذلك الذكر
والانثى قال الشاعر

فان تنكحني انكح وان تتأبى * وان كنت أفتى منكم أنأبى

أى أقرب الى الشباب منك وأنأبى بالرفع على فله جواب ان تتأبى وما ينهـ ما جله معترضة
والمعنى أو أفصل في حالتى التزويج والتأبى وان كنت أقرب الى الشباب منك وعنه صلى الله عليه
وسلم اللهم اننا نعوذ بك من العيبة والغيبة والايعة والقزم والقرم العيبة شهوة اللبن والغيبة العطش
والايعة شهوة النكاح مع الخلو من الزوجية والايعة والقزم والبخل والقرم شهوة اللحم وهذا في الاحرار
والحرار وأما غيرهم فهو قوله تعالى (والصالحين) أى المؤمنين (من عبادكم) وهو من جموع
عبد (وأما نكحكم) والخطاب للاولياء والسادة وهذا الامر أمر نذير فيستحب لمن ناقت نفسه
للكناح ووجد أهفته أن يتزوج ومن لم يجد أهفته استحبه أن يكسر شهوته بالصوم لما ورد
أنه صلى الله عليه وسلم قال يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض البصر
وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء أى قاطع لشهوته لأن الواجب يكسر
الواو نوع من الخصاص وهو أن ترض عروق الانثيين وتترك الخصيتان كماهما فشب الصوم في قطعه
شهوة النكاح بالوجاء الذى يقطع النسل والباءة بالدمون النكاح وهى المهر وكسوة فصل
التكبير ونفقة يومه فان لم تكسر شهوته بالصوم فلا يكسرها بالكافور ونحوه بل يتزوج ويكره
لغير التأتى ان فقد الابهة أو وجدها وكان به علة كهرم فان وجدها ولا علة به وهو غير تاتى
فالتأخلى للعبادة أفضل من النكاح ان كان متعبدا فان لم يتعبد فالنكاح أفضل من تركه لقوله
صلى الله عليه وسلم من أحب فطرق فليستن بسنقى وهى النكاح وعنه صلى الله عليه وسلم من
كان له مال يتزوج به فلم يتزوج فليس منا وعنه صلى الله عليه وسلم اذا تزوج أحدكم عج شيطانه
يا ويله عصم ابن آدم متى ثلثى دينه والاحاديث فى ذلك كثيرة وربما كان واجب التزويج اذا أدى
الى المعصية أو فسدته وعنه صلى الله عليه وسلم اذا أتى على احدى مائة وعشرون سنة فقد حلت لهم
العزوبة والعزلة والتعرب على رؤس الجبال وفى رواية يأتى على الناس زمان لا تامل المعيشة
فيه الا بالمعصية فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة ويندب النكاح للمرأة التاتقة وفى معناها
المتحاجة الى النفقة والحفاقة من اقسام الفجيرة ويستحب أن تكون المذكورة بكرة الا للذر
لقوله صلى الله عليه وسلم هلا بكرة اتلاعبها وتلاعبك ولودا لقوله صلى الله عليه وسلم تزوجوا
الولود والودود فانى مكاتركم الام يوم القيامة وفى رواية باعياض لا تتزوج بجهوزا ولا عاقرا
فانى مكاتركم دينة لاروى عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهم أنه صلى الله عليه وسلم قال الدنيا
متاع وخير متاعها المرأة الصالحة وقيل المراد بالصالحين الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه
وقوله تعالى (ان يكونوا) أى الاحرار (فقراء يعنهم الله) أى بالتزويج (من فضله) رتلعا عاه

أن يمنع من النكاح والمعنى لا يمنع فقرا الخاطب والمطلوب من المناكحة فإن في فضل الله غنية
 عن المال فإنه غادر أجمع أو وعد من الله تعالى بالقسي لقوله صلى الله عليه وسلم اطلبوا القسي
 في هذه الآية لكن ينبغي أن تكون شريطة الله تعالى غير منسبة في هذا الوعد وانظر وهو
 مشيئة ولا يشاء الحكيم إلا ما اقتضته الحكمة ونحوه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
 من حيث لا يحتسب وقد جاءت الشريعة منه وصية في قوله تعالى وإن خضعت عيلة نسوة فبغيتكم
 الله من فضله إن شاء الله عليه حكيم ومن لم ينس هذه الشريعة لم ينصب معترضه برب كان
 غنيا فافقره النكاح وبما سبق تاب واقى الله وصكان له شيء نفقي وأصبح مسكينا وورد التسوا
 الرزق بالنكاح وشكى إلى النبي صلى الله عليه وسلم رجل الحاجة فقال عليك بالباء أي النكاح
 وعن عمر رضي الله عنه عجبت لمن يتنقى بغير النكاح والله تعالى يقول إن يكونوا فقرا
 بغنيهم الله من فضله وحكي عنه أنه قال عجبت لمن لم يطلب الغني بالباء وقال طلحة بن عطرف
 تزوجوا فإنه أوسع لكم في رزقكم وأوسع في أخلاقكم ويزيد الله في ثروتكم قال الزهري
 ولقد كان عندنا رجل راح الحال ثم رأيت بعد سنين وقد اتعنت حاله وحسنت فسألته فقال
 كنت في أول أمرى على ما علت وذلك قبل أن أرزق ولدا فلما رزقت بكر ولدى تراخيت عن
 الفقر فلما ولدى الثاني ازددت خيرا فلما تاملت ما أوتيت من الله على الخير صافيا أصبحت إلى ما ترى
 انتهى (والله) أي الذي له الملك كله (واسع) أي ذو سعة ملحقه لا تنفد نعمه إذ لا تنهى قدرته
 (عليه) بهم يسطر الرزق لمن يشاء ويقدره ولما ذكر تعالى تزويج الحرث والامامه ذكر حال من
 يعجز عن ذلك بقوله (وليس تخفف الذين لا يجدون نكاحا) أي وليعهد في طلب العفة عن الزنا
 والحرام الذين لا يجدون ما ينكحون به من مهر ونفقة يوم التكنين وكسوة فصله وقيل لا يجدون
 ما ينكحون (حق بغنيهم الله) أي يوسع عليهم (من فضله) فينكحون ولما ذكر تعالى نكاح
 الصالحين من العبيد والامامه على كتابتهم بالحكم التاسع وهو الأمر بالكتابة المذكور
 في قوله تعالى (والذين يفتنون الكتاب) أي يطلبون الكتابة (معملكت أيمانكم) أي من
 العبيد والامامه (فكتابوهم إن علمت فيهم خيرا) أي أمانته وقدرته على الكسب لاداء مال الكتابة
 • وسبب نزول هذه الآية ما روى أن غلاما لحو يطب بن عبد العزى يقال له الصبيح سأل مولاه
 أن يكتبه فأبى فأنزله الله هذه الآية فكانت له حو يطب على مائة دينار وذهب له منها عشرين
 فأذاها وقتل يوم حنين في الحرب وأركانها أربعة رقيق وصيغة وعوض وسيد وشرط في السيد
 كونه مختارا أهل تبرع وولاه وكتابة المريض مرض الموت محسوبة من الثلث فإن خلف مثلى
 قيمته صحت الكتابة في ككله أو مثل قيمته صحت في ثلثيه أو لم يخلف غيره صحت في ثلثه وشرط
 في الرقيق اختيار وعدم صبا وجنون وأن لا يتعلق به حق آدمي لأمم وشرط في الصيغة لفظ يشهر
 بالكتابة كأن يقول السيد للموكل كاتبك على الفين في شهرين كل شهر ألف فإذا آتيت ما فات حر
 فيقول السيد قبلت ذلك فلا يصح عقد هالامه وجلانمعا بنصين فأكثر كما جرى عليه العصابة فن
 بعدهم فلا يقسم بيان قدر العوض وصحته وعقد العيوض وقسط كل فهم فلا يجوز عند الشافعي

رضى الله تعالى عنه بنصر واحد ولا بحال لان العبد لا يملك شيئا فقدها بحال يمنع من حصول
 الغرض لانه لا يقدر على أداءه البذل عاجلا وحسداً أى خيفة رضى الله تعالى عنه بنحو زحالا
 وموجبلا ونجباً وغيره منجم لان الله تعالى لم يذكر التخييم وقياساً على سائر العقود وهى سنة
 لا واجبة وان طلبها الرقيق لتسليته مطلقاً أو المالك وتخصم المالك على المالك بطلب رقيق
 أمين قوي على الكسب وبه ما فسر الشافعى الخبر فى الآية واصبرت الامانة لتلايضع ما يحصله
 فلا يعق والطب والقدرة على الكسب ليوثق بتحصيل العجوم روى أنه صلى الله عليه وسلم قال
 ثلاث حق على الله عونهم المكاتب الذى يريد الأداء والنكاح يريد العفاف والجاهد فى سبيل
 الله فان فقدت هذه الشروط أو بعضها فهى مباحة اذا لا تقوى رجاء العتق بها ولا تركه بحال
 لانها عند قدمه ما ذكره قد نفضى الى العتق نعم ان كان الرقيق فامعاً بسيرة أو فهوها وعلم سببه
 أنه لو كاتبه مع العجز عن الكسب باتباع الفسق لم يعد محرراً حينئذ اتضحها
 التمكن من الفساد ونصح على عوض قليل وكثير ويجب أن يحط عنه قبل عتقه شيئاً ممتولاً
 من العجوم أو يدفعه اليه من جنسها أو من غيرها كما قال تعالى (وَأَوْهَمُوا أُمَّهَاتَهُنَّ) (من
 مال الله الذى آتاكم) ما يستعينون به فى أداء ما التزموه لكم أيام السادة وفى معنى الآيات
 حط شئ ممتول مما التزموه بل الحط أولى من الدفع لان القصد بالحط الاعانة على العتق وهى
 محقة فيه موهومة فى الدفع اذ قد يصرف المدفوع فى جهة أخرى وكون ذلك فى العجم الاخير
 أولى منه فيما قبله لانه أقرب الى العتق روى ان عمر رضى الله تعالى عنه كاتب عبد الله بن كعب
 بأمانة وهو أول عبد كتب فى الاسلام فأتاه بأقول لجم فدفعه اليه عمر وقال استعن به على
 كتابتك فقال لو أخرته الى آخر فجم فقال أخاف أن لا أدرك ذلك وكونه ربعاً من العجوم أولى
 فان لم تسع به نفسه فكونه سبعاً أو لوى روى حط الربع الفساق وغيره وحط السبع المالك عن ابن
 عمر رضى الله تعالى عنه وعند أبي حنيفة أمر للمسلمين على جهة الوجوب بإعتاقهم للمكاتبين
 واعطائهم منهم مهمم الذى جعل الله لهم من بيت المال كقوله وفى الرقاب ولما بين تعالى ما يصح
 من تزويج العبيد والاماء أتبع ذلك بالحكم العاشر وهو الاكراه على الزنا المذكور فى قوله
 تعالى (ولا تتركوا قسيماكم) أى اماءكم (على البغاء) أى الزنا كان لعبد الله بن أبى راس
 المتأخرين ست جوار معاذة ومسيكة وأميمة وعجرة وأردى وقبيلة بكرههن على البغاء
 وضرب يدين ضرباً فشتك فقتلتهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففترت وكذلك
 كانوا يفعلون فى الجاهلية يؤاجرون اماءهم فلما جاء الاسلام قالت مسيكة لعاذة ان هذا
 الامر الذى نحن فيه لا يخلو من وجهين فان يك خيراً فقد استكثرنا منه وان يك شراً فقد ان
 لنا ان ندعه فأتى الله هذه الآية وروى أنه جاست احدى الجاهليين يوماً يريد وجبات الاخرى
 بين يده فقال له عذا اربحها فارتبها فقال لا والله لا تفعل قد جاء الاسلام وحرم الزنا فأتى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وشكا اليه ففترت وبكى بالفتى والقناة عن العبد والامة وفى الحديث عن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقبل أحدكم قساً وقتاً ولا يقبل عبداً ومشي (ان أردت

خصت أي تعففا عنه وهذه الارادة تحمل الاكراه فلا مفهوم للشرط لان الاكراه لا يتصور
 الا عند ارادة التعصن فأما اذا لم ترد المرأة التعصن فانها بفي الطبع طوعا وكلمة ان واينارها
 على اذا ايدان بأن البناغيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وأن ما وجد من معاذة
 وسبيك من حيز الشاذ التلار ولان الكلام ورد على سبب وهو الذي ذكر في سبب نزول
 الآية فخرج النهي على صورة صفة السبب وان لم تكن شرطا فيه وقال الحسين بن الفضل
 في الآية تقديم وتأخير تقديرها وانكسروا الايامي منكم ان اردن تحصنا ولا تكسروا
 قسايتكم على البغاه (لتنفقوا عرض الحياة الدنيا) أي تطلبوا من أموال الدنيا ما يسبب
 وأولادهن (ومن يكرههن فإن الله من بعدا كراهتهن غفور) أي لهون (رحيم) بين
 وكان الحسن اذا قرأ هذه الآية قال لهن والله هن أي لا للمكروه الا اذا تاب (فان قيل) ان
 المكروهة غير آمنة فلا حاجة الى المغفرة (أجيب) بأن الزنا لا يباح بالاكراه فهي آمنة لكن لا حد
 عليها للاكراه * ولما ذكر تعالى في هذه السورة هذه الاحكام وصف القرآن بصفات ثلاث أحدها
 قوله تعالى (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات) أي الآيات التي بينت في هذه السورة وأوضحت فيها
 الاحكام والحدود وقرأ ابن عامر وحفص وحزرة والكسائي بكسر الياء التحتية والباقون
 بضمها لانها واضحت تصدقها الكتب المتقدمة والعقول السليمة من بين معنى تبيين أولانها
 بينت الاحكام والحدود ثانيا قوله تعالى (ومثلنا من الذين خلوا من قبلكم) أي من جنس
 أمثالهم أي وقصة عجيبه مثل قصصهم وهي قصة عائشة رضي الله تعالى عنها فانها كقصة
 يوسف ومريم عليهم السلام ثالثا قوله تعالى (وموعظة للمتقين) أي ما وعظ به في قوله تعالى
 ولا تأخذكم بهم مارأفة في دين الله وقوله تعالى لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون الخ وفي قوله تعالى
 لولا اذ سمعتموه قلتم الخ وفي قوله تعالى يعظكم الله أن تعودوا الخ وتخصيصها للمتقين
 لانهم المتفقون بها * واختلف في معنى قوله تعالى (الله نور السموات والارض) فقال ابن
 عباس الله هادي أهل السموات والارض فهم بنوره الى الحق يهتدون وهدايتهم من حيرة
 الضلال ينصون وقال الفضال منور السموات والارض فقال نور السماء بالانكسار ونور
 الارض بالانبياء وقال مجاهد مدبر الامور في السموات والارض وقال أبي بن كعب والحسن
 وأبو العالية من زين السموات والارض زين السماء بالشمس والقمر والنجوم وزين الارض
 بالانبياء والعلماء والمؤمنين ويقال بالنبات والاشجار وقبل معناه الانوار كلها منه كما يقال فلان
 رجة أي منه الرحمة وقد يذكر مثل هذا اللفظ على طريق المدح كما قال القائل
 اذا سار عبد الله من مر وليه * قد سار منها نورها وجمالها

والارض ونور السموات والارض الحق شبه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله تعالى الله ولي
الذين آمنوا يجر جهنم من الظلمات الى النور الى الباطل الى الحق وأضاف النور الى
السموات والارض لاحد معنيين اما للدلالة على سعة اشراقه وفضواضه حتى تضيء له
السموات والارض واما أن يراد أهل السموات والارض وانهم يستضيئون به واختلف
أيضاً في معنى قوله تعالى (مثل نوره) فقال ابن عباس مثل نوره الذي أعطي المؤمن أى مثل
نور الله في قلب المؤمن وهو النور الذي يهتدى به كما قال تعالى فهو على نور من ربه وقال
الحسن وزيد بن أسلم أراد بالنور القرآن وقال سعيد بن جبيرة والفصاحك هو محمد صلى الله عليه
وسلم وقيل أراد بالنور الطاعة سمي طاعة الله نوراً وأضاف هذه الانوار الى نفسه تفضلاً
أى صفة نوره المحيية الشأن في الاضاءة (كمشكاة) أى كصفة مشكاة وهي الكوة
في الجدار غير النافذة (فيها مصباح) أى سراج ضخم ناقب (المصباح في زجاجة) أى قد بديل
من زجاج شامى أزهر وانما ذكر الزجاج لان النور وضوء النهار فيها أبين من كل شئ وضوءه يزيد
في الزجاج ثم وصف الزجاج بقوله تعالى (الزجاج كانهما) أى النور فيها (كوكب درى)
أى مضى شبهها في الضوء باحدى الدرارى من الكواكب الخمسة العظام وهي المشاهير
المسترى والزهرة والمريخ وزحل وعطارد (فان قيل) لم يشبه بالكواكب ولم يشبه بالشمس
والقمر (أجيب) بأنهم ما يلحقهما الخسوف والكسوف والكواكب لا يلحقها ذلك وقرأ
أبو عمرو والكسافى بكسر الهمزة من الدر بمعنى الدفع لدفعه الظلام والباقون بضمهما منسوب
الى الدر أى اللؤلؤ في صفائه وحسنه وان كان الكوكب كدرضاً من الدر لكن يفضل
الكواكب بصفائه كما يفضل الدر السائر الحلب وهمز مع المد أبو عمرو وشعبة وجزرة والكسافى
والباقون بغير همز وكل من أهل الهمز على حر تنبه في المد (توقد من شجرة مباركة زيتونه)
أى اشتد توقده من شجرة الزيتون المتسكائر نفعه بأن رويت قبيلة المصباح بزيت الشجرة
وهي شجرة كثيرة البركة وفيها منافع كثيرة لان الزيت يسرج به ويدهن به وهو ادم وهو أصنى
الادهان وأضوأها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح التاء والواو وتشديد القاف على وزن
تفعل على الماضي أى المصباح وقرأ أبو بكر وجزرة والكسافى بضم التاء والقوية وتحصيف
القاف أى المصباح (لا شرقية ولا غربية) أى ليست بشرقية وحدها لاتصبيها الشمس اذا
غربت ولا غربية وحدها فلا تصبيها الشمس اذا طلعت بل هي مصاحبة للشمس طول النهار تصبيها
الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية وغربية تأخذ حظه من الامرين فيكون
زيتها أضوأ وهذا كما يقال فلان ليس أسود ولا أبيض أى ليس أسود خالصاً ولا أبيض خالصاً
اجتمع فيه كل واحد منهما وهذا الرمان ليس بجلا ولا حامض أى اجتمع فيه الحلاوة والحوضة
هذا قول ابن عباس والا كثيرين وقال السدى وجماعة معناه أنها ليست في مقناة لاتصبيها
الشمس ولا في مضحية لاتصبيها الظل فهي لاتضرها شمس ولا ظل والمقناة بقاف فنون فهجرة
وهي بفتح النون وضما المكان الذى لاتطلع عليه الشمس وقول البضاوى تبعاً للزخرفى

وفي الحديث لا خير في شجرة مقناة ولا في نبات في مقناة ولا خير فيهما في مضي قال ابن حجر
العسقلاني لم أجده وقيل معناه أنهم معتدلة ليست في شرق يصيبها الحر ولا في غرب يضربها البرد
وقيل معناه هي شامية لأن الشام وسط الأرض لشرقي ولا غربي وقيل ليست هذه الشجرة من
أشجار الدنيا لأنهم لو كانت في الدنيا لكانت شرقية أو غربية وانما هو مثل ضربه الله تعالى لنوره
(يكاد يضيئها) أي من صفاته (بضيء ولولم تسمه نار) أي يكاد يتسلا لا يضيء بنفسه من
غير نار (نور على نور) أي نور الصباح على نور الزجاجة (تنبيه) واختلاف أهل العلم في معنى هذا
التشليل فقال بعضهم وقع التشليل لنور محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لكعب الأحبار
أخبرني عن قوله تعالى مثل نوره كشكاة قال كعب هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم
فالمشكاة صدر والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة توقد من شجرة مباركة هي شجرة النبوة
يكاد نور محمد صلى الله عليه وسلم وأمره يتبين للناس ولولم يتكلم أنه نبى كما يكاد ذلك الزيت يضيء
ولولم تسمه نار وروى سالم عن عوف هذه الآية قال المشكاة جوف النبي صلى الله عليه وسلم
والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعله الله تعالى فيه لشرقية ولا غربية لا يهودى ولا نصراني
توقد من شجرة مباركة إبراهيم نور على نور نور قلب إبراهيم ونور قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقال
محمد بن كعب القرظي المشكاة إبراهيم والزجاجة اسمعيل عليهما السلام والمصباح محمد صلى الله
عليه وسلم سماه الله تعالى مصباحا كما سماه سراحا فقال تعالى وسراجا منيرا توقد من شجرة مباركة
وهي إبراهيم عليه السلام سماه مباركا لأن أكثر الأنبياء من صلبه لشرقية ولا غربية يعنى
إبراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولا مسكنا كان حنيفا مسلما لأن اليهود تصلى قبل المغرب
والنصارى قبل المشرق يكاد زيتها يضيء ولولم تسمه نار تكاد محاسن محمد صلى الله عليه وسلم
تظهر للناس قبل أن يوحى إليه نور على نور من نسل نبي نور محمد على نور إبراهيم عليهما السلام
وقال بعضهم وقع هذا التشليل لنور قلب المؤمن روى أبو العالية عن أبي بن كعب قال هذا مثل
المؤمن فالمشكاة نفسه والزجاجة صدره والمصباح ما جهل الله من الأيمان والقرآن في قلبه توقد
من شجرة مباركة وهي الإخلاص لله وخدمته كمثل شجرة التفاح التي تخرج من خضراء فاعمة
لا تصيبها الشمس لا إذا طلعت ولا إذا غربت فكذلك المؤمن قد احترس من أن يصيبه شيء من
الفتن فهو بين أربع خلال إن أعطى شكر وإن ابتلى صبر وإن حكم عدل وإن طال صديق
يكاد زيتها يضيء أي يكاد قلب المؤمن يعرف الحق قبل أن يبين له لموافقته إياه نور على نور قال
أبي أي فهو يتقلب في خمسة أنوار قوله نور وعمله نور ويدخله نور ويخرج نور ومسيره
إلى النور يوم القيامة قال ابن عباس هذا مثل نور الله وهذا في قلب المؤمن كما يكاد الزيت
الصابي يضيء قبل أن تسمه النار فإذا مسته النار ازداد ضوؤه على ضوء ذلك يكاد قلب المؤمن
يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم فإذا جاء العلم ازداد الهدى على الهدى ونور على نور وقال
الكلي قوله تعالى نور على نور يعنى إيمان المؤمن وعمله وقال المسدي نور الأيمان ونور القرآن
وقال الحسن وابن زيد هذا مثل للقرآن فالمصباح هو القرآن فكليهما متشابها بالمصباح يهتدى

بالقرآن والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة فوه وإسائه والشجرة المباركة شجرة الوحي يكاد يزيها
 يضى بمعنى تكاد حجة القرآن تضخ وان لم يقرأ نور على نور يعنى القرآن نور من الله خلقه مع
 ما قام لهم من الدلائل والاعلام قبل نزول القرآن فاذا دوا بذلك نورا على نور (يهدى الله
 لنوره) قال ابن عباس دين الاسلام وقيل القرآن (من يشاء) فان الاسباب بدون مشيئته
 لاغية وقيل يوفق الله لاصابة الحق من تطر وتدبر يعنى عقله والانصاف من نفسه ولم يذهب
 عن الجادة الموصلة اليه عينا وشملا ومن لم يتدبر فهو كالاعمى سواء عليه جنح الليل الدامس
 وضجوة النهار الشامس (ويضرب) أى بين (الله الامثال للناس) تقريرا للافهام ونسهلا
 للاكدار (والله بكل شئ عليم) معقولا كان أو محسوسا ظاهرا كان أو خفيا وفيه وعيد لمن
 تدبرها ولم يكثر بها وقوله تعالى (في بيوت) يتعلق بما قبله أى كشكاة فى بيوت الله وهى
 المساجد كأنه قيل مثل نوره كما ترى فى المسجد نورا المشكاة التى من صفحتها كتبت وكتبه
 وهو يسبح أى يسبح رجال فى بيوت وفى قوله فيها تكرر لقوله فى بيوت كقوله زيد فى الدار
 رجالس فيها أو يحذف كقوله تعالى فى تسع آيات أى سبحوا فى بيوت والبيوت هى المساجد قال
 سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال المساجد بيوت الله فى الارض وهى تسمى لاهل السماء
 كاتسمى النجوم لاهل الارض وقيل المراد بالبيوت المساجد الثلاثة وقيل المراد اربعة
 مساجد لم ينها الانبياء الكعبة بناها ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فجعلها قبلة وبيت
 المقدس بناه داود وسليمان عليهما السلام ومسجد المدينة ومسجد قبا بناهما النبي صلى
 الله عليه وسلم وأتى فيها بجمع الكثرة دون جمع القلة للتعظيم (أذن الله أن ترفع) قال مجاهد
 تبنى نظيره قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وقال الحسن تعظم أى فلا يد كرفها
 الفحش من القول وتظهر من الانحس والاقذار وقوله تعالى (ويد كرفها اسم) عام فيما
 يتنهى ذكره حق المذكرة فى أفعاله والمباحثة فى أحكامه وقال ابن عباس سئل فيها كتابه
 (يسبح) أى يبلى (له فيها بالقدوة والاصال) أى بالقدوة والعنى قال أهل التفسير أراد به
 الصلوات المقرضة فالتى تؤدى بالقدوة صلاة الفجر التى تؤدى بالاصال صلاة الظهر
 والعصر والعشاء من لان اسم الاصيل يقع على هذا الوقت وقيل أراد به الصبح والعصر قال صلى
 الله عليه وسلم من صلى البردين دخل الجنة أراد صلاة الصبح وصلاة العصر وقال ابن عباس
 التسبيح بالقدوة صلاة الضحى وروى من منى الى صلاة مكتوبة وهو متطهر فأجره كأجر الحاج
 المحرم ومن منى الى تسبيح الضحى لا ينصبه الاياه فأجره كأجر المعقر وصلاة على الرضلة لا لغو
 بينهما كتاب فى عليين وقرأ ابن عامر وشعبة بفتح الباء الموحدة والباقون بكسر ها (رجال لانهم
 تجارة) أى معاملة راجحة وقيل المراد بالتجارة الشراء لقوله تعالى (ولا يسع عن ذكر الله) اطلاقا
 لاسم الجنس على النوع كما تقول رزق فلان تجارة سالحة اذا اتجه له بيع صالح أو شراء وعلى
 الاثر ذكر مبالغة للتعظيم والتعميم بعد التخصيص وقيل التجارة لاهل الجلب تقول شجر فلان
 فى كذا أى جلب (تسمية) قوله تعالى رجال فاعلى يسبح بكسر الباء وعلى قصتها نائب الفاعل

له ورجال فاعل فعل مقدر جواب سؤال مقدر كأنه قيل من يسبحه وحذف من قوله تعالى
(واقام الصلاة) الهاء تخفيفاً أي واقامة الصلاة وأراد أداءها في وقتها لأن من آخر الصلاة عن
وقته لا يكون من مقبلي الصلاة وانما ذكر أقام الصلاة مع ان المراد من ذكراته الصلوات الخمس
لانه تعالى أراد باقامة الصلاة حفظ المواقيت روى سالم عن ابن عمر أنه كان في السوق فأقيمت
الصلاة فقام الناس وغلقوا حوانيتهم فدخلوا المسجد قال ابن عمر فهم نزلت هذه الآية (وايتاء
الزكاة) قال ابن عباس اذا حضر وقت أداء الزكاة لم يحسوها أي فيخرجون ما يجب اخراجه
من المال للمستحقين وقيل هي الاعمال الصالحة ومع ما هم عليه (بخافون يوماً) هو يوم القيامة
(تقوا) أي تضطرب (فيه القلوب) بين النجاة والهلاك (والابصار) بين ناحيتي العين والشمال
وقيل تغلب القلوب عما كانت عليه في الدنيا من الشك الى اليقين وتنفتح الابصار من الاغطية
وقوله تعالى (ليجزئهم الله) متعلق بيسبح أو بلاتلهمهم أو بخافون (أحسن ما عملوا) في الطاعات
فرضها ونقلها أي ثوابه الموعود لهم من الجنة وأحسن بمعنى حسن (وزيدهم من فضله) مالم
يستحقوه بأعمالهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت وقوله تعالى (والله يرزق من يشاء بغير حساب)
تقرر للزيادة وتبنيه على كمال القدرة ونفاذ المشيئة وسعة الاحسان وكمال جوده فكانه سبحانه
وتعالى لما وصفهم بالجد والاجتهاد في الطاعة ومع ذلك يكونون في نهاية الخوف قاله سبحانه
وتعالى يعطيهم الثواب العظيم على طاعتهم ويزيدهم الفضل الذي لا حد له في مقابلة خوفهم
وقوله تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب) أي خالهم على ضد ذلك فإن أعمالهم التي
يحسبونها صالحة نافعة عند الله تعالى يمجدها في الاغشية مخيبة في العاقبة كسراب وهو ما يرى في
القبلة وقت الضحى الا كبرشيء بالماء الجاري وهو ليس بماه ولكن الذي ينظر اليه من بعيد
يظنه ماء جارياً وقيل هو الشعاع الذي يرى نصف النهار في شدة الحر في البراري الذي يخيل الناظر
انه الماء السراب أي الجاري فاذا قرب منه انعش فلم ير شيئاً وأما الال فانهما يكون أول النهار
كانه ماء بين السماء والارض وقال البغوي والال ما ارتفع عن الارض وهو شعاع يجرى
بين السماء والارض بالغدوات شبه بالمرأة ترفع فيها الشخص ويرى فيها الصغير كبيراً والقصير
طويلاً والرقراق يكون بالعشاء وهو ما ترقرف من السراب أي جاء وذهب وقوله تعالى (بضعة)
جمع قاع وهي أرض سهلة مطمئنة قد انقربت عن الجبال والال كما قاله في القاموس وقيل
القبعة بمعنى القاع وهو الارض المستوية المنبسطة وفيها يكون السراب وقال القراء جمع قاع
نكار وجيرة وقال الفارسي جمعه قبعة وقبعان (بحسبه) أي يظنه (الظمان) أي العطشان
الشديد العطش من ضعف العقل (ماء) فقصده ولا يزال سائراً (حتى اذا جاءه) أي ما قدر أنه ماء
وقيل جاء الى موضع السراب (لم يجده شيئاً) مما حسبه ووجه التشبيه أن الذي جاء به الكافران
كان من أفعال البر فهو لا يستحق عليه ثواب مع أنه يعتقد ان له ثواب عليه وان كان من أفعال الاثم
فهو يستحق عليه العقاب مع أنه يعتقد ان له ثواب فكيف كان فهو يعتقد أن له ثواب عند الله تعالى
فاذا وافى عرصة القيامة ولم يجد الثواب بل وجد العقاب العظيم عظمت حسرته وتناهى عنه

فيشبهه حاله حال الظمان الذي اشتدت حاجته الى الماء فاذا شاهد السراب في البر تعلق به قلبه
 فاذا اجابه لم يجده شيئاً فكذلك حال الكافر يحسب أن عمله نافعه فاذا احتاج الى عمله لم يجده شيئاً
 ولا ينفعه وقال مجاهد السراب عمل الكافر واتبائه اياه موته ومفارقة الدنيا (فان قيل) قوله
 تعالى حتى اذا جاءه يدل على كونه شيئاً وقوله تعالى لم يجده شيئاً مناقض له (أجيب) بأن معناه لم
 يجده شيئاً نادفاً كما يقال فلان ما عمل شيئاً وان كان قد اجتهد وأنه اذا جاء موضع السراب لم يجده
 السراب يرى من بعد بسبب الكثافة كانه ضباب وهباء فاذا قرب منه رفق وانتشر وصار
 كالهواء (ووجد الله عنده) أي ووجد عقاب الله الذي وعده الكفار وأوجد زبانية الله
 أو وجد محاسباً اياه أو قدم على الله (قوفاه حسابه) أي جزاء عمله قيل نزلت في عتبة بن ربيعة
 فانه قد تبعه وليس المسوح والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر بالاسلام قال ابن الخازن والاصح
 أن الآية عامة في حق جميع الكفار (والله سريع الحساب) لانه تعالى عالم بجميع المعلومات
 فلا يشغله محاسبة واحد عن واحد وفي هذا رد على المشبهة قههم الله تعالى لانه تعالى لو كان
 مستكماً بالآلة كما يقولون لما صح ذلك وقوله تعالى (أو كظلمات) عطف على كسراب على حذف
 مضاف واحد تقديره أو كذي ظلمات ودل على هذا المضاف قوله تعالى اذا أخرج يده لم يكد
 يراها فالكتابة تعود الى المضاف المحذوف وهو قول أبي علي وقال غيره على حذف مضافين
 تقديره أو كاعمال ذي ظلمات فتدري ليصح عود الضمير اليه في قوله تعالى اذا أخرج يده وقد
 أعمال ليصح تشبيه أعمال الكفار بأعمال صاحب الظلمة اذ لا معنى لتشبيه العمل بصاحب
 الظلمة أو للتخصيص فان أعمالهم لكونها لاغية لا منفعة لها كالسراب وليكونها خالية عن نور
 الحق كالظلمات المتركة من ليج البحر والامواج والسهاب والتسويق فان أعمالهم ان كانت
 حسنة فكالسراب وان كانت فيجحة فكالظلمات وللتقسيم باعتبار وقتين فانها كالظلمات في
 الدنيا وكالسراب في الآخرة وقوله تعالى (في بحر لجي) صفة للظلمات فيمتعلق بمحذوف والجي
 منسوب الى اللج وهو معظم البحر وقيل منسوب الى اللجة بالنساء وهي أيضاً معظمه فاللجي هو
 العميق الكثير الماء وقوله تعالى (يقشاه) أي يغطي هذا البحر ويعاوه (موج) كائن (من فوقه
 موج) أي أمواج مترادفة متركة (من فوقه) أي الموج الثاني المركوم وقوله تعالى (سحاب)
 أي غيم غطى النجوم ويجب أنوارها صفة أخرى لبحر وقوله تعالى (ظلمات) أي من البحر
 والموجين والسهاب خبر مبتدأ مضمرة تقديره هذه ظلمات أو تلك ظلمات ويجوز ان يكون ظلمات
 مبتدأ والجملة من قوله تعالى (بعضها فوق بعض) خبره قاله الحوفي (فان قيل) لا مسوغ
 للإبتداء بهذه التكررة (أجيب) بأنهم موصوفة بتقدير أي ظلمات كثيرة متكاثفة وقرأ البري
 سحاب بالالتوين وجر ظلمات وقبيل يتون سحاب ويميز ظلمات والبري جعل الموج المتراكم
 بمنزلة السحاب وأما قبيل فانه جعل ظلمات بدلان ظلمات الاولى والباقيون يتون سحاب
 وظلمات بالرفع فيما (اذا أخرج) أي الكافر في هذا البحر بدلالة المعنى وان لم يجره لذكر (بده)
 وهي أقرب ما يرى اليه في هذه الظلمات (لم يكد) أي الكائن فيه (يراه) أي لم يقرب من

فوقتها فضلا عن أن يراها كقول ذي الرمة

إذا غير النأي (أي البعد وفي نسخة الهجر) المحيين لم يكد*

رئيس الهوى (أي ثابته بمعنى الهوى الثابت) من حبه مية يبرح

أي يزول والمعنى لم يقرب من البراح فضلا عن أن يبرح* (تنبيه) في كيفية هذا التشبيه وجوه
أحدها قال الحسن إن الله تعالى ذكر ثلاثة أنواع من الظلة ظلة البحر وظلة الامواج وظلة
السحاب كذا الكافر له ظلمات ثلاثة ظلة الاعتقاد وظلة القول وظلة العمل ثانيا قال ابن
عباس شبه قلبه وبصره بهذه الظلمات الثلاث ثالثا أن الكافر لا يدري ولا يدري أنه
لا يدري ويعتقد أنه يدري فهذه المراتب الثلاثة تشبه تلك الظلمات الثلاث رابعا قلب مظلم
في صدر مظلم في جسد مظلم خاسها ان هذه الظلمات متراكمة فكذا الكافر لشدة اصراره على
كفره قد تراكت عليه الضلالات حتى لو ذكر عنده أظهر الدلائل لم يفهمه (ومن لم يجعل الله)
أي الملك الاعظم (له نورا خاله من نور) قال ابن عباس من لم يجعل الله دينا واما نانا فلا دين له
وقيل من لم يمهده الله فلا هادي له لانه تعالى قادر على ما يريد* ولما وصف تعالى انوار قلوب
المؤمنين وظلمات قلوب الجاهلين أتبع ذلك بدلائل التوحيد بقوله تعالى (ألتر) أي تعلم علما
يشبه المشاهدة في اليقين والوثاقه بالوحى والاستدلال (أن الله) أي الحائز لصفات الكمال
(يسبح له) أي يترجمه عن كل شائبة تقص (من في السموات والارض) لان التسبيح لا يرى بالبصر
بل يعلم بالقلب وهذا استقهام والمراد به التقرير والبيان وهذا التسبيح اتماما أن يكون المراد منه
دلالتة بخلق هذه الاشياء على كونه تعالى منزها عن النقائص موصوفا بعبود الجلال أو يكون
المراد منه في حق البعض الدلالة على التنزيه وفي حق الباقي النطق باللسان قال الرازي والاول
أقرب لان القسم الثاني متعذر لان في الارض من لا يكون مكلفا لا يسبح بهذا المعنى والمكلفون
منهم من لا يسبح أيضا بهذا المعنى كالكفار وأما القسم الثالث وهو أن يقال ان من في السموات
وهم الملائكة يسبحون باللسان وأما الذين في الارض فبهم من يسبح باللسان ومنهم من يسبح
على لسان الدلالة فهذا يقتضى استعمال اللفظ الواحد في الحقيقة والجازمعا وهو غير جائز
عند أكثر العلماء فلم يبق الا القسم الاول وهو أن هذه الاشياء مشتركة في أن اجسامها
وصفاتة الله على تنزيه الله تعالى وقدرته والهيته وتوحيده وعدمه فسمى ذلك تنزيها توسعا
(فان قيل) فالتسبيح بهذا المعنى حاصل لجميع المخلوقات فتاوجه تخصيصه ههنا بالعقل (أجيب)
بأن خلقة العقلاء أشد دلالة على وجود المانع سبحانه وتعالى لان العجائب والغرائب في
خلقهم أكثر وهي العقل والنطق والقهم* ولما كان أمر الطير دلالة أعجب ولانها قد تكون
بين السماء والارض فتكون خارجة عن حكم من فيها ما خهها بالذكر من جملة الحيوان بقوله تعالى
(والطير صافات) أي باسطات أجنحتها في جوار السماء لاشبهه في أنه لا يسكنها الا الله تعالى
وامساك لها في الجوع أم أنها اجرام ثقيلة واقداره لها فيه على القبض والابسط حجة قاطعة على
كمال قدرته تعالى واختلاف في عود الضمائر في قوله تعالى (كل) أي من المخلوقات (قد علم

صلاته وتسيحه) على قولين أحدهما أنها كلها عائلة على كل أى كل قد علم هو صلاة نفسه
 وتسيحها قال ابن عادل وهذا أولى لتوافق الضمائر ثانيهما أن الضمير في علم عائلى الله تعالى
 وفي صلاته وتسيحه عائلى كل ويدل عليه قوله تعالى (والله) أى المحيط علما وقدره (عليهم بما
 يفعلون) وقيل ان ضرب أجنحة الطير صلته وتسيحه وهذا يؤيد أن المراد من التسيح دلالة هذه
 الامور على التنزيه لا النطق باللسان روى أن اباناب قال كنت جالسا عند أبي جعفر الباقر
 فقال لى أتدرى ما تقول هذه العصافير عند طلوع الشمس وبعد طلوعها قال لا قال فانتهى بقدر
 الله ربهن ويسألنه قوت يومهن قال بعض العلماء اننا شاهد من الطيور وسائر الحيوانات أعمالا
 لطيفة يعجز عنها كثير من العقلاء فاذا كان كذلك فلم لا يجوز أن يلهمها معرفة ودعاه وتسيحه
 وبيان أنه تعالى ألهمها الاعمال الطيبة بوجوه أحدها ان الدب يرمى بالحجارة ويأخذ العصا
 ويرمى الانسان حتى يتوهم أنه مات فيتركه وربما عاد يشمه ويتجسس نفسه ويصعد الشجرة
 أخف صعوده ويهشم الجوز بين كفيه تقر بها الواحدة وصدمته بالآخرى ثم يفتح فاه فيسذر
 قشره ويتغذى به ويحكى عن القار في سرقته أمور عجيبة ثانيها أمر النحل وماله من الرياسة
 والسيوت المسدسة التي لا يتكمن من بنائها أفضل المهندسين ثالثها انتقال الكركى من
 طرف من اطراف العالم الى الطرف الاخر طالبا لما يوافقه من الاهوية ويقال من خواص
 الخليل ان كل واحد يعرف صوت الفرس الذي قاتله وقتاماً والتماسيح تفتح أفواهها الطائر يقع
 عليها يقال لها القطقاط وتنظف ما بين أسنانها وعلى رأس ذلك الطائر كالشوكه فاذا هم التمساح
 بالتقام ذلك الطائر تأذى من تلك الشوكه فيفتح فاه فيخرج ذلك الطائر والسلمفاة تتناول بعدد
 أسكل الحية سعترا جبليا ثم تعود وقد عوفيت من ذلك وحكى عن بعض الثقات الجبريين
 للصيد أنه شاهد الحبارى تقاقل الافعى وتنهزم عنها الى بقله تتناول منها ثم تعود ولا تزال كذلك
 وكان ذلك الشخص قاعدا فى كن وكانت البقلة قريبة من مسكنه فلما اشتغل الحبارى بالافعى
 قلع البقلة فعاد الحبارى الى منبتها فلم يجدها فأخذ خنيد وروحول منبتها دورا نامتبا عا حتى خر ميتا
 فعلم الشخص أنه يعالج بها كل الكاهن اللسعة وقلق البقلة هي الجرجير البرى وابن عرس يستظهر
 في مقاتله الحية بأكل السذاب فان النكهة السذابة تنقر منها الافعى والكلاب اذا مرضت
 بطونها أكلت سنبل القمح واذا جرحت داوت الجراحة بالسعتر الجسلى رابعها القنافة تحس
 بالشمال والجنوب قبل الهبوب فقير المدخل الى حجرها وكان رجل بالقسطنطينية قد أترى
 بسبب أنه يذرب الرياح قبل هبوبها وينفع الناس بانذاره وكان السبب فيه فنقد افى داره يفعل
 الصنيع المذكور فيستدل به وانلطاف صناع فى اتخاذ العرش من الطين وقطع الخشب فان
 أعوزه الطين ابل وتفرغ فى التراب ليحمل جناحه قدر من الطين واذا فرغ بالغ فى تعهد الفراخ
 وتأخذ زرقها بمنقارها وترميها من العرش والغرائق تصعد فى الجو عند الطيران فان حجب بعضها
 عن بعض صحاب أو ضباب أحدثت عن أجنحتها حفيها سمعوا ينبع به بعضها بعضا واذا باتت
 على جبل فانهم انضع رأسها تحت أجنحتها الا القاندا فانه ينام مكشوف الرأس فيسرع اتبائه

واذا سمع جرس اصباح وحال النمل في الذهاب الى مواضعها على خط مستقيم يحفظ بعضها بعضا
 أمر عجيب واذا كشف عن بيوتها السائر الذي كان يستورها وكان تحتها بيض لها فان كل غلظة
 تأخذ بيضة في قفها وتذهب في أمرع وقت والاستقصاء في هذا الباب مذكور في كتاب طبائع
 الحيوان والمقصود من ذلك أن الفضلاء من العقلاء يعجزون عن أمثال تلك الحيسل واذا كان
 كذلك فلم لا يجوز أن يقال انها تسبح الله تعالى وتثنى عليه وان كانت غير عارفة بسائر الامور
 التي يعرفها الناس ويؤيد هذا قوله تعالى ولكن لا تفضهن نسيصهم وقوله صلى الله عليه وسلم
 ان نوحا عليه السلام أوصى فيه عند موته بلا اله الا الله فان السموات السبع والارضين السبع
 لو كن في حلقة مبهمة قسمتهن وسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء وقال
 الغزالي في الاحياء روى أن رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال تولت عنى الدنيا وقلت
 ذات يدي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها
 يرزقون قال فقلت وما هي يا رسول الله قال قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر
 الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر الى أن تسمى الصبح تأتلك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله عز
 وجل من كل كلمة ملكا يسبح الله الى يوم القيامة لك ثوابه ثم نبه سبحانه وتعالى بقوله
 (ولله ملك السموات والارض) على أن الكل منه لان كل ما سواه يمكن ومحدث والممكن
 والمحدث لا يوجد الا عند الانتهاء الى القديم الواجب الوجود ويدخل في هذا جميع الاجرام
 والاعراض وأفعال العباد وأحوالهم وخواطرهم وفي قوله تعالى (والى الله) أى الذى له
 الاحاطة بكل شيء (المصير) دليل على المعاد وأنه لا بد من مصير الكل اليه بعد الفناء والرؤية
 في قوله تعالى (الم تر) نظرية (أن الله) أى ذال الجلال والجمال (يرضى سبحانه) أى يسوقه برفق
 بعد أن أنشأه من العدم تارة من السفلى وتارة من العلو ضعيقا رقيقا متفرقا قال أبو
 حيان وهو اسم جنس واحده معجبة والمعنى يسوق سبحانه الى سبحانه وهو معنى قوله تعالى (ثم
 يوقف بينه) أى بين أجزائه بعد أن كان قطعاً في جهات مختلفة فيجعل القطع المتفرقة قطعة
 واحدة (ثم يجعله ركاماً) فى غاية العظمة مترا كما بعضه على بعض بعد أن كان فى غاية الرقة (فترى)
 أى فى تلك الحالة المستمرة (الودق) أى المطر (يخرج من خلاله) أى من فوقه التى حدثت
 بالترام وارهاص بعضها فى بعض (فان قيل) بين انما تدخل على منى فما فوقه فلم دخلت هنا
 على مفرد (أجيب) بأن المراد بالجنس فعاد الضمير على حكمه أو على حذفه مضاف أى
 بين أجزائه كما مر وبين قطعه فان كل قطعة معجبة وقرأ السوسى فترى فى الوصل بالامالة بخلاف
 عنه والباقون بالفتح وأما فى الوقف فأبو عمرو وحجرة والكسائي بالامالة تحضة وورش بالامالة
 بين وبين والباقون بالفتح (وينزل من السماء) أى من الغمام وكل ما علا فهو سماء (من جبال فيها)
 أى فى السماء وهى السحاب الذى صار بعد تراكمه كالجبال وقوله تعالى (من برد) بيان للجبال
 والمفعول محذوف أى ينزل مبتدأ من السماء من جبال فيها من بردا فمن الاولى لا تبدأ
 الغاية بتأقاف الثانية لتبعض والثالثة للبيان ويجوز أن تكون الثانية لا تبدأ الغاية أيضا

ويجري وهما يدل من الاولى باعادة العامل والتقديرو ينزل من جبال أى من جبال فيها فهو يدل
 اشتمال والاخيرة للتبعض واقع موقع المفعول (فان قيل) مامعنى من جبال فيها من برد
 (أجيب) بأن فيه معنيين أحدهما أن يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الارض جبال
 حجر وليس في العقل قاطع يمنع الثاني أن يراد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا
 من ذهب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بسكون النون واخفائها عند الزاى وتخفيف الزاى
 والباقون بفتح النون وتشديد الزاى ثم بين تعالى أن ذلك باختياره وارادته بقوله تعالى (فصيب
 به) أى بكل من البرد والطرعلى وجه النقمة أو الرحمة (من يشاء) أى من الناس وغيرهم
 (ويصرفه عن من يشاء) صرفه عنه (فائدة) عن مقطوعة من من في الرسم ثم نه تعالى على ما هو
 غاية في العجب في ذلك مما في الماء من النور الذي ربما نزل منه صاعقة فأحرقت ما لا تحرق النار
 بقوله تعالى (يكاد) أى يقرب (سنا) أى ضوء (برقه) وهو اضطراب النور في خلاله (يذهب)
 أى هو متبسا (بالابصار) أى الساطرة له أى يحفظها الشدة لعلانه وتلا أنه فتكون قوة البرق
 دليلا على تكاثف السحاب وبشيرة بقوة المطر ونذيرا بنزول الصواعق واعلم أن البرق الذى
 صفته كذلك لا بد وأن يكون نارا عظيمة خالصة والنار ضد الماء والبرد لظهوره يقتضى ظهور
 الضد من الضد وذلك لا يمكن الا بقدره قادر حكيم ثم ذكر تعالى ما هو أدل على الاختيار بقوله
 تعالى مترجما يشمل ما مضى وزيادة (يقب الله) أى الذى له الامر كله بتحويل الظلام ضياء
 والضياء ظلاما والنقص تارة والزيادة أخرى مع المطر تارة والصحو أخرى (الليل والنهار) فينشأ
 عن ذلك التقلب من الحر والبرد والنمو والتسوية واليبس ما يهبر العقول ولهذا قال منها على
 النتيجة (أن في ذلك) الامر العظيم الذى ذكر من جميع ما تقدم (لعبرة) أى دلالة على وجود
 الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيئته وتنزيهه عن الحاجة وما يقضى اليها
 (لاولى الابصار) أى لاصحاب البصائر على قدرة الله تعالى وتوحيده ولما استدل تعالى أولا
 بأحوال السماء والارض وثانيا بالانوار العلوية استدل ثالثا بأحوال الحيوانات بقوله
 تعالى (والله) أى الذى له العلم الكامل والقدرة الشاملة (خلق كل دابة) أى حيوان (من ماء)
 وقرأ حزة والكسائي بألف بعد الخاء وكسر اللام ورفع القاف وكسر لام كل والباقون بفتح
 اللام والخاء ولا آتف بينهما ونصب لام كل (فان قيل) كسبر من الحيوانات لم يخلق من الماء
 كالملائكة خلقوا من النور وهم أعظم الحيوانات عددا وكذا الجن وهم مخلوقون من النار
 وخلق آدم من التراب كما قال تعالى خلقه من تراب وخلق عيسى من الریح كما قال تعالى
 فنمخنا فيه من روحنا ونزى كثيرا من الحيوانات يتوالد من نطفة (أجيب) بوجوده أحسنها
 ما قال القائل أن من ماء صله كل دابة وليس هو من صله خلق والمعنى أن كل دابة متولدة من
 الماء فهى مخلوقة لله تعالى ثانيا ان أصل جميع المخلوقات من الماء على ما روى ان أول
 ما خلق الله تعالى جوهره فنظر اليها بعين الهيبة فصارت ماء ثم قسم ذلك الماء فخلق منه النار
 والهواء والنور والتراب والمقصود من هذه الآية بيان أصل الخلق فكان أصل الخلقة الماء

فهذا ذكره الله تعالى ثلثها المراد من الدابة التي تدب على وجه الارض ومسكنها هناك فخرج
 الملائكة والجن وابهه الماء كان الغالب من هذه الحيوانات كونها مخلوقة من الماء اتماما لها
 متولدة من النطفة واما لانها لا تعيش الا بالماء أطلق عليها لفظ كل تنزيلا للغالب منزلة الكل
 (فان قيل) لم نكر الماء في قوله تعالى من ماء وعرفه في قوله تعالى من الماء كل شيء حي (أجيب)
 بأنه جاء ههنا من كسر الهمزة المعنى خلق كل دابة من نوع من الماء محتصا بتلك الدابة وعرفه
 في قوله تعالى من الماء كل شيء حي لان المقصود هناك كونهم مخلوقين من هذا الجنس وههنا
 بيان أن ذلك الجنس ينقسم الى أنواع كثيرة (فهم) أي الدواب (من يشئ على بطنه) كالحيصة
 والحيتان والديدان واستعمروا المشي للزحف على البطن كما قالوا في الامر المستمر قدمشي هذا
 الامر ويقال فلان مامشي له أمر أو معي بذلك للمشاكله يذكر الزاحف مع الماشي (ومنهم
 من يشئ على رجلين) أي فقط كالأرنب والطيور (ومنهم من يشئ على أربع) أي من
 الأيدي والأرجل كالنمل والوحش (فان قيل) لم يحصر القسمة في هذه الثلاثة أنواع
 من المشي وقد نجد من يشئ على أكثر من أربع كالغناكب والعقارب والحيوان الذي له
 أربع وأربعون رجلا الذي يسمى دخال الأذن (أجيب) بأن هذا القسم الذي لم يذكر كالنادر
 فكان ملحقا بالعدم وقال النقاش انه اكتفى بذكر ما يشئ على أربع عن ذكر ما يشئ على أكثر
 من أربع لان جميع الحيوان انما اعتمده على أربع وهي قوائم شبيهة وكثرة الأرجل لبعض
 الحيوان زيادة في الخلقة لا يحتاج ذلك الحيوان في مشيه الى جميعها وبأن قوله تعالى (يخلق
 الله ما يشاء) كالتمسك على سائر الاقسام (فان قيل) لم جاءت الاجناس الثلاثة على هذا
 الترتيب (أجيب) بأنه قدم ما هو أعرق في القدرة وهو الماشي بغير آله مشي من أرجل
 أو قوائم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على أربع * (تمت) انما أطلق من على غير العاقل
 لاختلافه بالعاقل في المفصل بين وهو كل دابة وكان التعبير عن أولي لبواق اللفظ * ولما
 كانت هذه الأدلة ناظرة الى البعث اتمت نظر وكانوا منكروين له أكد ذلك بقوله تعالى (ان الله)
 أي الذي له الكمال المطلق (على كل شيء) من ذلك وغيره (قدير) لانه القادر على الكل والعالم
 بالكل فهو المطلع على أحوال هذه الحيوانات فأى عمقل يقف عليها وأي خاطر يصل الى ذرة
 من أسرارها بل هو الذي يخلق ما يشاء كيف يشاء ولا يمنع منه مانع * ولما انضح بهذا
 ما لله تعالى من صفات الكمال والتزهد عن كل شائبة نقص وقامت أدلة الوحدةانية على
 ساق واتسقت براهين الألوهية أي اتساق قال تعالى مترجما تلك الأدلة (لقد أنزنا) أي
 في هذه السورة وما تقدمها بما لنا من العظمة (آيات) أي مما لنا من الحكم والاحكام والأدلة
 والامثال (مبينات) للحقائق بأنواع الدلائل التي لا تخفى فيها (والله) أي الملك الأعظم (يهدي
 من يشاء) من عباده (الى صراط) طريق (مستقيم) هو دين الاسلام الموصل الى دار الحق
 والفوز بالجنة * ولما ذكر تعالى دلائل التوحيد أتته بدم قوم اعترفوا بالدين بأنفسهم
 ولكنهم لم يفعلوا به فلوهم فقال تعالى (ويقولون) أي الذين ذمهم الله تعالى (أمنابالله) أي

الذي أوضع لنا جلالة وعظمته وكلامه (وبالرسول) أي الذي علمنا بكامل رسالته وعموما بما قام عليها من الأدلة (وأطعنا) أي وأوجدنا الطاعة لله ورسوله ثم عظم المخالفة بين الفعل والقول بأداة البعد فقال تعالى (ثم يتولى) أي يرتد بانكارا القلب ويعرض عن طاعة الله ورسوله فضلا منهم عن الحق (فريق منهم) أي ناس يقصدون الفرقه من هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة (من بعد ذلك) أي القول السديد المؤكد مع الله الذي هو أكبر من كل شيء ومع رسوله الذي هو أشرف الخلائق (وما أولئك) أي البعداء البغضاء الذين صاروا يتولاهم في محل البعد (بالمؤمنين) أي اليهوديين الموافقة قلوبهم لأسنتهم (فان قيل) انه تعالى حكى عن كلهم انهم يقولون آمنا ثم حكى عن فريق منهم التولي فكيف يصح أن يقول في جبههم وما أولئك بالمؤمنين مع أن التولي فريق (أجيب) بان قوله تعالى وما أولئك بالمؤمنين راجع الى الذين تولوا الى الجملة الاولى ولورجع الى الجملة الاولى لصح ويكون معنى قوله تعالى ثم يتولى فريق منهم أي يرجع عن هذا الفريق الى الباقي فيظهر بعضهم لبعض الرجوع كما أظهره بينهم * ولما افضهم بما آخضوه من توليهم فجع عليهم ما أظهره فقال تعالى معبراً بأداة التحقيق (واذ ادعوا) أي الفريق الذين ادعوا الاليمان من أي ادع كان (الى الله) أي الى ما نصب الملك الاعظم من أحكامه (ورسوله) وأفرد الضمير في قوله تعالى (ليحكم) وقد تقدم اسمان وهما الله ورسوله فهو كقوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه لان حكم رسوله هو حكمه قال المفسر كقولك أعجبني زيد وكرمه تريد كرم زيد ومنه قوله

ومنهل من القلاف أوسطه * غلسته قبل القطا وفرطه

أي قبل فرط القطا (بينهم) أي بما أراه الله (اذا فريق منهم) أي ناس محبوبون على الإذى (معرضون) أي فاجزوا الأعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم بأنك لا تحكم لهم وهو شرح للتولي ومبالغة فيه (وأن يكن لهم) أي على سبيل الفرض (الحق) أي بلا شبهة (يأتوا اليه) أي الرسول (مذعنين) أي متقادين لعلمهم بأنه يحكم لهم لانهم يعلمون أنه دائر مع الحق لهم وعلمهم فليس انقيادهم طاعة الله ورسوله * (تنبيه) * قوله تعالى اليه يجوز تعليقه بأتوا الان أي وجاء قد يتعديان بالي ويجوز أن يتعلق بمذعنين لانه بمعنى مسرعين في الطاعة وصححه المفسر قال تقدم صانته ودلالته على الاختصاص ومذعنين حال ثم قسم تعالى الامر في عدولهم عن حكومته صلى الله عليه وسلم اذا كان الحق عليهم بين أن يكونوا مرضى القلوب بقوله تعالى (أفي قلوبهم مرض) أي نوع فساد من أصل القطرة يحملهم على الضلال أو مرتابين في نبوته بقوله تعالى (أم ادناؤا) أي بأن رأوا منك تهمة فزال ثقتهم وبقيهم بك أو متافئين الخفيف في قضائه بقوله تعالى (أم يخافون أن يخيف) أي بجور (الله) أي الغنى عن كل شيء لانه له كل شيء (عليهم ورسوله) أي الذي لا ينطق عن الهوى * ثم أضر ب عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاول بقوله تعالى (بل أولئك) أي البعداء البغضاء (هم الظالمون) أي الكاملون في الظلم ووجه التقسيم أن امتناعهم أما لخلل فيهم أو في الحاكم والناسي اما أن يكون محققا

عندهم أو متوقعا وكل منهما باطل لأن منصب نبوته وفرط أمانته تمنعه فتعين الأول فظلمهم بعم
خلل عقيدتهم وميل نفوسهم إلى الخيف وضيق الفاصل لثقي ذلك عن غيرهم (فان قيل) إذا
خافوا أن يحيف الله عليهم ورسوله فقد ارتابوا في الدنيا واذ ارتابوا في قلوبهم مرض والكل
واحد قائل فائدة في التعديد (أجيب) بأن قوله تعالى في قلوبهم مرض أشار به إلى التناقض وقوله
تعالى أم ارتابوا الإشارة إلى أنهم بلغوا في حب الدنيا إلى حيث يتركون الدين بسببه (فان قيل)
هذه الثلاثة متغايرة ولكنهما متلازمة فكيف أدخل عليها كلمة أم (أجيب) بأنه تعالى نهيهم على
كل واحد من هذه الأوصاف فكان في قلوبهم مرض وهو التناقض وكان فيها شك وارتباب
وكانوا يخافون الخيف من الرسول وكل واحد من ذلك كفر وتناقض واختلافوا في سبب نزول
هذه الآية فقال مقاتل نزلت في بشر المنافق وكان قد خاصم يهوديا في أرض فقال اليهودي
تصاحم إلى محمد صلى الله عليه وسلم وقال المنافق تصاحم إلى كعب بن الأشرف فان محمد يحيف
علينا فانزل الله تعالى هذه الآية وقدمت قصتها في سورة النساء وقال الضحاك نزلت في المغيرة
ابن وائل كان بينه وبين علي رضي الله تعالى عنه أرض فقاما مها فوقع إلى علي ما لا يصيبه الماء
الأيضبة فقال المغيرة يعني أرضك فباعه أياها وتفاضل المغيرة أخذت صبغة لا ينالها الماء
فقال لعلي اقبض أرضك فاعما اشتريتها ان رضيت ما ولم أرضها فقال علي بل اشتريتها ورضيت ما
وقبضتها وعرفت حالها ألا قبلها منك ودعاه إلى أن يخاصمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال المغيرة أما محمد فلا تأبه ولا تأحكم إليه فانه يفضي وأنا أخاف أن يحيف علي فنزلت الآية
وقال الحسن نزلت في المنافقين الذين كانوا يظهرون الإيمان ويسرون الكفر * ولما نفي تعالى
عنهم الإيمان الكامل بما وصفهم به كان كأنه سئل عن حال المؤمنين فقال تعالى (أما كان)
أى دائما (قول المؤمنين) أى العربيقين في ذلك الوصف (أذادعوا) أى من أى داع كان
(إلى الله) أى إلى ما أنزل الملك الذى لا كف له من أحكامه (ورسوله) الذى لا ينطق عن الهوى
(أيحكم) أى الرسول (بينهم) بما أراه الله تعالى أى حكومة من الحكومات لهم وأوعليهم
(أن يقولوا سمعنا) أى الدعاء (وأطعنا) أى بالاجابة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم وهذا ليس
على طريق الخبر ولكنه تعليم أدب الشرع بمعنى ان المؤمنين ينبغي أن يكونوا هكذا (وأولئك)
أى العالو الرتبة (هم المظنون) الذين وصفهم الله تعالى في أول المؤمنين وهذا يدل على
عادة تعالى في اتباع ذكر الحق المبطل والتنبية على ما ينبغي بعد انكاره لما لا ينبغي * ولما رتب
تعالى الفلاح على هذا النوع الخاص أشبعه عموم الطاعة بقوله تعالى (ومن يطع الله) أى الذى
له الأمر كله (ورسوله) أى فيما ساءه وسره (ويحس الله) أى فيما صدر عنه من الذنوب في الماضي
ليحمله ذلك على كل خير (ويته) أى الله فيما نبي من عمره بأن يجعل بينه وبين ما يستخطه وقاية
من المباحات فيتر كها وربعا (فأولئك) أى العالو الرتبة (هم القاترون) بما لا عين رأت ولا أذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر من التعميم المقيم وعن ابن عباس في تفسير هذه الآية (ومن يطع
الله في فرائضه ورسوله في سنته ويحس الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل وعن بعض

المولود أنه سأل عن آية كالمية فقلت عليه هذه الآية وقرأ أبو عمرو وشعبة وخلاّد وبقه يسكون
 الهاء بضمها عن خلاّد وقالون باختلاس كسرة الهاء وحض بسكون القاف وقصر كسرة
 الهاء والباقون وخلاّد في احد وجهيه بأشباع كسرة الهاء * ولما ذكر تعالى ما ترتب على الطاعة
 الظاهرة التي هي داسيل الاقياد الباطن ذكر حال المنافقين بقوله تعالى (وأقسموا بالله) أي
 الذي له الكمال المطلق وقوله تعالى (جهداً أيمنهم) مستعار من جهده نفسه اذا بلغ أقصى
 وسعها وذلك اذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها او وكادتها وعن ابن عباس من قال بالله فقد بالغ
 في اليمين وبلغ غاية شدتها (لئن أمرتهم) أي أمر من الامور (ليخرجن) محامهم متلبسون به
 من خلافه كما نأما كان وذلك ان المنافقين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أينما
 كنت نكن معك لئن خرجت نخرجنا ولئن أقتأقتنا وان أمرتنا بالجهاد جاهدنا فقال الله
 تعالى (قل) أي لهم (لا تقصروا) أي لا تحلفوا فان العلم بما أنتم عليه لا يحتاج الى الاقسام
 وههنا قد تم الكلام ولو كان قسمهم صادقا لمنهوا عنه لأن من حلف على القيام بالبر لا ينهى عنه
 فثبت أن قسمهم كان لفظاً وهم وكنان باطنهم يخالف ظاهرهم ومن نوى الغدر لا الوفاء
 فقصه قبيح قال المتنب

وفي اليمين على ما أنت واعدته * ما دل لك في المعادتهم

وفي رفع قوله تعالى (طاعة معروفة) ثلاثة أوجه أحدها انه خبر مبتدأ مضمر تقديره أمر ناطعة
 أو المطلوب طاعة ثانياً انه مبتدأ وان الخبر محذوف أي أمثل أو أولى أو خير أي طاعة معروفة
 للشيء صلى الله عليه وسلم خير من قسمكم الذي لا تصدقون فيه ثالثها طاعة مبتدأ أي هذه الحقيقة
 ومعروفة وان الخبر أي معروفة منكم ومن غيركم واردة الحقيقة هو الذي سوغ الابتداء بهامع
 تشكيك لفظها لان العموم الذي تصلح له قد تخصص باردة الحقيقة كما قاله في أعرف المعارف
 والمعنى ان الطاعة وان اجتهد العبد في اخفائها لا بد أن تظهر مخفياً لها على شمالكه وكذا المعصية
 لانه ما أسر عبد سريرة الا ألبسه الله رداءه هاروا الطبراني عن عثمان وعن عثمان بن عفان
 رضى الله تعالى عنه قال لو أن رجلاً دخل بيتاً في جوف بيت فأدى هناك عملاً وشك الناس أن
 يتحدثوا به وما من عامل عمل عملاً الا كساه الله رداء عمله ان كان خيراً فخير وان كان شراً فشر
 وعن سعيد لو أن أحدكم يعمل في حفرة معاه ليس لها باب ولا كوة تخرج عمله للناس كأنما من كان
 (ان الله) أي الذي له الاحاطة بكل شيء (خبير بما تعملون) أي لا يخفى عليه شيء من سرايركم فانه
 فاضحكم بالحسنة ومجازيكم على تقاكم * ولما تبه تعالى على خداعهم وأشار الى عدم الاعتزاز
 بما يمانهم أمر بترغيهم وترهيبهم مشيراً الى الاعراض عن عقوبتهم بقوله تعالى (قل) أي لهم
 (أطيعوا الله) أي الذي له الكمال المطلق (وأطيعوا الرسول) أي الذي له الرسالة المطلقة ظاهراً
 وباطناً وقوله تعالى (فان تولوا) أي عن طاعته بحدف احدى التامين خطاب لهم أي فان تولوا
 فما ضر رفقوه وانما ضررتهم أنفسهم (فانما عليهم) أي محمد صلى الله عليه وسلم (ما حمل) أي
 ما حمله الله تعالى من أداء الرسالة واذا أدى فقد خرج من عهدته التكليف (وعليكم) أي وأما

أنتم فعليكم (ما حلت) أي ما كلفتم من التلق بالقبول والاذعان فإن لم تفعلوا وتوليت فقد عرضتم
 أنفسكم لحظ الله عذابه وإن أضغتموه فقد أحرزتم نصيبكم من الخروج عن الضلالة إلى
 الهدى فالنفع والضرعائد اليكم (وإن تطيعوه) بالاقبال على كل ما نأمركم به (تمتعوا)
 أي إلى كل خير (وما على الرسول) أي من جهة غيره (الابلاغ) أي بما الرسول الأمام
 وهاد وما عليه الآن يبلغ ما له تنفع في قبولكم ولا عليه ضرر في توليتكم والبلاغ معنى التبليغ
 كالإداء بمعنى التأدية ومعنى (المين) كونه مقرر ونابالآيات والمعجزات روى أنه صلى الله عليه
 وسلم قال على المنبر من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث
 بنعمة الله شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب وقال أبو امامة الباهلي عليكم بالسواد
 الأعظم فقال رجل ما السواد الأعظم فنادى أبو امامة هذه الآية في سورة النور فإن تولوا فأتاها
 عليه ما حل وعليكم ما حلت وقوله تعالى (وعد الله) أي الذي له الإحاطة بكل شيء (الذين
 آمنوا منكم وعملوا) أي تصديقاً لايمانهم (الصالحات) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
 وللأمة أوله ولن معه ومن للبيان ثم كدغاية التأكيد بلام القسم لما عدا كثر الناس من
 الرب في ذلك بقوله تعالى (ليس خلفهم في الأرض) أي أرض العرب والجمجم بأن يتد زمانهم
 وينفذ أحكامهم فيعلمهم متصرفين في الأرض تصرف الملوك في عماليكهم (كما استخلف الذين
 من قبلكم) أي من الأمم من بني إسرائيل وغيرهم من كل من حصلت له مكنة وظفر على الإعداء
 بعد الضعف الشديد كما كتب في الزبور أن الأرض يرثها عبادي الصالحون وكما قال موسى عليه
 السلام إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وقرأ أبو بكر رضي الله
 عنه الفوقية وكسر اللام والباقون بفتح التاء واللام (وليكمن لهم) أي في الباطن والظاهر (ديمن
 الذي أرضى لهم) وهو دين الإسلام وتمكينه تيسره وتوسكده وإضافة اليهم إشارة إلى
 وسوخ أقدامهم فيه وإنه الذي لا يفسخ * ولما بشرهم بالتمكين أشار بهم إلى مقداره بقوله تعالى
 (وليبذلهم من بعد خوفهم) أي الذي كانوا عليه (أمناً) وذلك إن النبي صلى الله عليه وسلم
 وأصحابه مكنوا بمكة عشرين سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصحون في السلاح ويمسكون
 فيه حتى قال رجل ما أتى علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال صلى الله عليه وسلم لا تصبرون
 إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتجباً باليس فيه حديدية وأنجز الله تعالى وعده
 وأظفرهم على جزيرة العرب واقتصوا بعض بلاد المشرق والمغرب ومن قواملك الأكاسرة
 وملكوا خزائهم واستولوا على الدنيا واستعبدوا أبناء القياصرة وتمكنوا شراً وغير ما مكنكم
 تحصل قبلكم لآفة من الأمم كما قال صلى الله عليه وسلم إن الله زوى لي الأرض ف رأيت مشارقها
 ومغاربها وسيلغ ملك أمتي ما زوى لي منها ولما قتلوا عثمان رضي الله عنه وخرجوا على علي
 ثم ابنه الحسن نزع الله ذلك الأثر كما أشير إليه من وتذكروا منا وجاء الخوف واستمر تطاول
 ويريد اقلب لقلباً إلى انصاره في زمانها هذا إلى أمر عظيم وذلك تصديق لقوله عليه أفضل الصلاة
 والسلام الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم ملك الله من يشاء فتصير لى كاتم نصير بيزى قطع سبيل

وسفلك دما وأخذ أموال بغير حقها والثلاثون خلافة أبي بكر سنان وخلافة عمر عشرة
 وخلافة عثمان اثنا عشر وخلافة علي ستة واليزيدي بكسر الباء وتشديد الزاي الأولى
 والقصر السلب والتقلب وقوله قطع سبيل نصب اما عطف بيان لقوله يزيدي أو بدل منه وقرأ
 ابن كثير وأبو بكر يسكون الباء الموحدة وتخفيف الهمزة والباقون بفتح الموحدة وتشديد الهمزة
 ثم اتبع ذلك بتخصبه بقوله تعالى نعلبلا للتمكين ومآعه (بعبدوني) أي وحدي وقوله تعالى
 (لا يشركون شيئا) حال من الواو أي بعبدوني غير مشركين (فان قيل) فما محل بعبدوني
 (أجيب) بأنه مستأنف لا محل له كان فأتا قال حالهم مستخفين ويؤمنون فقال بعبدوني
 ويجوز أن يكون حالهم أي وعدهم أي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم وأخلافهم فحمله نصب
 ولما كان التقدير فن ثبت على دين الاسلام واتقاد لاحكامه استقام نال هذه البشرية عطف
 عليه قوله تعالى (ومن كفر) أي ارتد وكفر هذه النعمة (بعذلك) أي بعد الوعد والخلافة
 (فأولئك) أي البعدها من الخير (هم الفاسقون) أي الخارجون عن الدين خروجا كاملا
 لا يقبل معه معذرة ولا يقال لصاحبه عثرة بل تقام عليهم الاحكام بالقتل وغيره ولا يراعى منهم
 ملام ولا تؤخذ بهم رافة عند اتقام كما تقدم أول السورة فيمن لزمه الجلد وقيل المراد بالكفر
 كفران النعمة لا الكفر بالله وقوله تعالى فأولئك هم الفاسقون أي العاصون لله وقوله تعالى
 (وأطيعوا الصلاة) أي فأنها أقوام ما بينكم وبين ربكم معطوف على أطيعوا الله وأطيعوا
 الرسول قال الزمخشري وليس يبعد أن يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فواصل وان طال
 لان حق المعطوف أن يكون غير المعطوف عليه (وأنا الزكاة) فأنها نظام ما بينكم وبين
 اخوانكم (وأطيعوا الرسول) أي في كل حال بأمركم به وكررت طاعة الرسول تأكيدا للوجوب
 (لعلكم ترحمون) أي لتكونوا على رجا من الرحمة من لاراحم في الحقيقة غيره والفاعل
 في قوله تعالى (لا تحسبن) ضمير المخاطب أي لا تحسبن أيها المخاطب (الذين كفروا) أي وان
 ازدادت كثرتهم على العتد وتجاوزت عظمتهم الحد (معجزين) أي لاهل ودنا وقيل لنا
 (في الارض) أي فانهم ما خوذون لاجمالة وقرأ ابن عامر وحزبة الباء على الغيبة قال النحاس
 ما علت أحدا من أهل العربية بصريا ولا كوفيا الا وهو يطن قراءة حمزة ففهم من يقول هي لمن
 لانهم يأتون بالفعل واحد ليسين وأجيب عن ذلك من وجهين أحدهما أن المفعول الاوّل
 محذوف تقديره ولا يحسبن الذين كفروا أنفسهم معجزين لان حذف أحد المفعولين ضعيف
 عند البصريين ومنه قول عنترة

ولقد نزلت فلا تظني فيه * من عنزة الهب المكرم

أي فلا تظني فيه وانما والثاني ان الهمزة على ما قوله معجزين في الارض قاله الكوفيون وقرأ
 الباقرن بالتاء على الخطاب وفتح السين ابن عامر وعاصم وحزرة وكسرها الباقرن وقوله تعالى
 (وما وهم النار) أي مسكنهم معطوف على لا يحسبن الذين كفروا معجزين كما قيل الذين
 كفروا والباقرن نارا هلا ولا يفوتونا وما وأهم النار والمراد بهم المقصود عليه بالله جهنم

أيانهم • ولما كانت سكنى الشيء لا تكون إلا بعد المسير إليه قال تعالى (وليس المصير)
 أي المرجع مصيرها فكيف إذا كان على وجه السكنى واختلف في سبب نزول قوله تعالى
 (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) الآية فقال ابن عباس وجه رسول
 الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الأنصار يقال له مدبج بن عمرو والى عمر رضى الله تعالى عنه
 وقت الطهيرة ليدعوه فدخل فرأى عمر بجالة كره عمر رؤيته لذلك فنزلت وقال مقاتل نزلت في
 أسماء بنت مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها في وقت فكرهته فأنت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فقالت ان خدمنا وعلما نريد خلون علينا في حال نكرهها فنزلت واللام في ليستأذنكم
 للامر وملك اليمين يشمل العبيد والاماء قال بعض المفسرين هذا الخطاب وان كان ظاهره
 للرجال فالمراد به الرجال والنساء لان التسدي كبير فغلب على التأنيث قال الرازي والاولى عندي
 ان الحكم ثابت في النساء بقياس جلي لان النساء في باب العورة أشد حلا من الرجال فهو كحريم
 الضرب بالقياس على حرمة التأقيف وقال ابن عباس هي في الرجال والنساء أي البالغين أو من
 قاربوا البلوغ يستأذنون على كل حال في الليل والنهار للدخول عليكم كراهة الاطلاع على
 عورتكم والتطرق بذلك الى مساكنكم واختلف العلماء في هذا الامر فقيل للندب وقيل
 للوجوب واستظهر (والذين) أي وليستأذنكم الذين ظهر واعلى عورات النساء ولكنهم
 (لم يفلو الحلم) وقيد بقوله تعالى (منكم) ليخرج الكفار والارفاة وعبر عن البلوغ بالاحتلام
 لانه أقوى دلالته (ثلاث مرات) في اليوم والليله وقيل ثلاث استئذانات في كل مرة فان لم يحصل
 الاذن رجوع المستأذن كما تقدم المرة الاولى من الاوقات الثلاث (من قبل صلاة الفجر) لانه
 وقت الصيام من المضاجع وطرح ثياب النوم (و) المرة الثانية (حين تضعون ثيابكم) أي التي
 للخروج بين الناس (من الطهيرة) أي شدة الحر وهو اتصاف النهار (و) المرة الثالثة (من
 بعد صلاة العشاء) لانه وقت الانفصال من ثياب البقظة والاتصال بثياب النوم وخص هذه
 الاوقات لان ساعات الخلو ووضع الثياب والاتصاف بالصف وأثبت من في الموضوعين
 دلالة على قرب الزمن من الوقت المذكور لضبطه وأسقطها في الاوسط دلالة على استغراقه لانه
 غير مضبوط ثم عمل ذلك بقوله تعالى (ثلاث عورات) أي اختلافات في التستر والتعطف
 (لكم) لانها من ساعات وضع الثياب والخلو قال البيضاوي وأصل العورة الخلل ومنها
 اعورت المكان ورجل اعور اذا بدا فيه خلل انتهى وسميت هذه الاوقات عورات لان
 الانسان يضع فيها ثيابه فربما تدور عورته وقرأ أبو بكر وحزرة والكسائي في الوصل ثلاث
 بالنصب بتقدير أوقات منصوباً بديل من محل ما قبله فام المضاف اليه مقامه والباقيون بالرفع على
 انها خبر مبتدأ مقدر بعده مضاف وقام المضاف اليه مقامه أي هي أوقات ويجوز ان يكون
 مبتدأ وخبره ما بعده • ثم بين سبحانه وتعالى حكم ما عدا ذلك بقوله تعالى مستأثفا (ليس عليكم)
 أي في ترك الامر (ولا عليهم) أي المالك والمصيان في ترك الاستئذان (جناح) أي اثم
 وأمله الميل في الدخول عليكم في جميع الساعات (بعدن) أي بعد هذه الاوقات الثلاثة اذا

هجوموا عليكم ثم علل الاباحة في غيرها نحو جالغيرهم بقوله تعالى (طوافون عليكم) أى لعمل
 ما تحتاجون في الخدمة كما أتم طوافون عليهم لعمل ما يصلحهم ويصلحكم في الاستخدام
 (بعضكم) طواف (على بعض) لعمل ما يميز عنه الآخر ويشق عليه فلو عم الامر بالاستئذان
 لاذى الى المخرج (فان قيل) لم رفع بعضكم على بعض (أجيب) بأنه رفع بالانداء وخبره على
 بعض أى طواف على بعض وحذف لان طوافون يدل عليه ويجوز أن يرتفع يطوف مضمر
 لتلك الدلالة (كذلك) أى كما بين ما ذكر (بين الله) أى بما لمن احاطة العلم والقدرة (لكم)
 أيتها الاممة (الآيات) في الاحكام وغيرها بعبه وحكمته (والله) أى الذى له الاحاطة العامة
 بكل شئ (عليه) بكل شئ (حكيم) فيما يريد فلا يقدر احد على نقضه ونحو الآية بهذا الوصف
 يدل على انها محكمة لم تنسخ واختلف في ذلك فقال الرخسرى عن ابن عباس انه قال آية
 لا يؤمن بها أكثر الناس آية الاذن وانى لا أمر جاريتى أى زوجتى أن تستأذن على وسأله عطاء
 استأذن على اختى قال نعم وان كانت في حجر لثغونها وتلا هذه الآية وعنه ثلاث آيات محمد بن
 الناس الاذن كله وقوله تعالى أن أكرمكم عند الله أتقاكم فقال الناس أعظمكم بيتا وقوله واذا
 حضر القسعة وعن ابن مسعود عليكم أن تستأذوا على آباءكم وأمهاتكم واخواتكم وعن
 الشعبي ليست منسوخة فليل له ان الناس لا يعملون بها فقال الله المستعان وعن سعيد بن
 جبير ان الناس يقولون هي منسوخة والله ما هي منسوخة ولكن الناس تهاونوا بما أو قال قوم
 هي منسوخة روى البغوى عن ابن عباس أنه قال لم يكن للقوم ستر ولا حجاب فكان الخدم
 والولائد يدخلون فرجاء منهم ما لا يحبون فأمر وبالاستئذان وقد بسط الله الرزق واتخذ
 الناس الستور فعمل الرواية اختلفت عن ابن عباس * ولما بين تعالى حكم الصبيان والارقاء
 الذين هم أطوع للامر وأقبل لكل خبراً تبعه حكم البالغين من الاحرار بقوله تعالى (واذ بلغ
 الاطفال منكم الحلم) أى اذا بلغ أطفالكم الاحرار بلوغ السن الذى يكون فيه انزال المنى
 سواء أى من أم لا واختلف في ذلك السن فقال عامة العلماء هو خمس عشرة سنة أى قرية
 تحديده لا فرق في ذلك بين الذكر وغيره وقال أبو حنيفة هو ثمانى عشرة سنة فى الغلام وسبع
 عشرة سنة فى الجارية وعن على رضى الله عنه أنه اعتبر القامة وتقدر بخمسة أشبار وبه أخذ
 الفرزدق فى قوله

ما زال مذمعت يداه ازاره * وسما فأدر لخمسة الاشبار

واعتبر غيره الآيات أى للعانة وعن عثمان رضى الله تعالى عنه أنه سأل عن غلامه فقال هل
 انخضر ازاره أى بنت شعر عاتيه فأستند الاخضر ارانى الازار على المحازولانه مما اشتل عليه
 الازار ونبات العانة الخشن عندنا علامة على بلوغ ولد الكافر فقط أما اذا رأى المنى فى وقت
 امكانه وهو اسستكالى تسع سنين قرية فاننا نحكمه ببلوغه سواء كان ذكراً أم أنثى مسلماً كافراً
 وأما الخنثى فلا بد أن بينى من فرجه أو يجهض بالفرج ويبنى من الذكر (فليستأذوا) أى
 على غيرهم فى جميع الاوقات (كما استأذن الذين من قبلهم) أى من الاحرار الكبار الذين

جعلوا جميعا للمالك فلا يدخل في ذلك الا رفا خلا يستعمل بذلك على أن العبد البالغ يستأذن
 على سيده وقيل المراد الذين كانوا مع ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام (كذلك) أي كايين
 لكم ما ذكر (بين الله) أي الذي له الاحاطة والقدرة (لكم) أيها الامة (آياته) أي دلالته
 (والله) أي الذي يعلم السر وأخفى (عليم) أي بأحوال خلقه (حكيم) أي فيما يدر لهم قال
 سعيد بن المسيب يستأذن الرجل على امته فأما أنزلت هذه الآية في ذلك أو هل حذيفة أستاذ
 الرجل على والدته فقال نعم ان لم تفعل رأيت منها ما تكره وعن أنس قال لما كانت صبيحة يوم
 احتلت دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته اني قد احتلت فقال لا تدخل على النساء
 فما أتى على يوم كان أشد منه • ولما ذكر تعالى اقبال الشباب في تعيين حكم الحجاب أبعه الحكم
 عند ابارا الشباب في اتقاء الظاهر من الشباب بقوله تعالى (والقواعد من النساء) أي
 اللاتي قد عنن الولد والحيض من الكبر فلا يلدن ولا يحضن واحسدتهن فاعد بلاهاه وقيل
 قد عنن عن الأزواج وهو معنى قوله (اللاتي لا يرجون نكاحا) أي لا يردن الرجال لكبرهن
 قال ابن منبه سميت المرأة قاعدا اذا كبرت لانها تكثر القعود وقال ربيعة هن العجز المواتي
 اذا واهن الرجل استقدرنه فأما من كان فيها شبة من جمال وهي محل الشهوة فلا تدخل
 في هذه الآية (فليس عليهن جناح) أي حرج في (أن يضعن ثيابهن) أي الظاهرة فوق الثياب
 الساترة بحضرة الرجال كالجلباب والرداء والقناع فوق الخمار أما الخمار فلا يجوز وضعه لما
 فيه من كشف العورة (غير متبرجات بزينة) أي من غير أن يرذن بوضع الجلباب والرداء
 اظهار زينتهن ثم ان الزينة الخفية في قوله تعالى ولا يبدن زينتهن الالبعولتهن وأغير قاصدات
 بالوضع التبرج والتبرج هو أن تظهر المرأة محاسن ما ينبغي لها أن تستره • ولما ذكر الله تعالى
 الجوارع عقبه بالمستحب بعثامه على اختيار أفضل الاعمال وأحسنها بقوله تعالى (وأن
 يستعففن) أي فلا يقين الرداء أو الجلباب (خبرهن) من الالتقاء كقوله تعالى وأن تعفوا أقرب
 للتقوى وان تصدقوا لانه أبعد عن التهمة (والله) أي الذي جلت عظمته (سميع) لقولكم
 (عليم) بما في قلوبكم واختلف في سبب نزول قوله تعالى (ليس على الاعمى حرج) أي في مؤاكلة
 غيره (ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) كذلك فقال ابن عباس لما أنزل الله تعالى
 يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل تخرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى
 والزمن والعصى والعرج وقالوا الطعام أفضل الاموال وقد نهى الله تعالى عن أكل المال
 بالباطل والاعمى لا يصير موضع الطعام الطيب والاعرج لا يتمكن من الجلوس ولا يستطيع
 المزاوجة على الطعام والمريض يضعف عن تناول فلا يستوفى من الطعام حقه فأنزل الله تعالى
 هذه الآية وعلى هذا تكون على معنى في أي ليس في الاعمى أي ليس عليكم في مؤاكلة الاعمى
 والاعرج والمريض حرج وقال سعيد بن جبيرة والغصاة وغيرهما كان العربان والعميان
 والمرضى يتزهرن عن مؤاكلة الاحياء لان الناس يستقدرون منهم ويكرهون مؤاكلتهم وعن
 عكرمة كانت الأنصار فيما مضى لها قرينة فكانت لا تأكل من هذه البيوت اذا استغثوا وكان

هؤلاء يقولون الاعشى رجلاً كل أكثر وعباس سقت يده الى ما سقت عن اكله وهو لا يشهر
 والا عرج رجلاً أخذ في مجلسه مكان اثنين فيضيق على جلسيه والمرضى يخلون من راحة
 تؤذي أو جرح يبيض أو نحو ذلك فترلت وقال سبحانه نزلت الآية ترخيصاً لها في الاكل من
 بيوت من سعى الله في هذه الآية وذلك ان هؤلاء كانوا يدخلون محل الرجل لطلب الطعام فاذا
 لم يكن عنده ما يطعمهم ذهب بهم الى بيت أبيه وبيت امه وبعض من سعى الله في هذه الآية
 فكان أهل الزمانة يتخرجون من هذا الطعام ويقولون ذهب بنا الى بيت عمه نزلت الآية وقال
 سعد بن المسيب كان المسلمون اذا غزوا غلقوا منازلهم ويدعون اليهم مفاة ابوابهم ويقولون
 قد أحللتنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا فكانوا يتخرجون من ذلك ويقولون ندخلها وهم غيب
 فأنزل الله تعالى هذه الآية رخصة لهم وقال الحسن نزلت رخصة لهم في التخلف عن الجهاد
 وقال تم الكلام عند قوله تعالى ولا على المريض حرج وقوله تعالى ولا على أنفسكم أن
 تأكلوا من بيوتكم كلام مستأنف منقطع عما قبله (فان قيل) أي نذرة في اباحة كل الانسان
 طعامه في بيته (أجيب) بأن المراد من البيوت التي فيها أزواجكم عيالكم فيدخل فيه بيوت
 الاولاد لان بيت ولده كبيته قال صلى الله عليه وسلم أنت ومالك بيتك وقال صلى الله عليه وسلم
 ان أطلب ما يأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه وللمنازل قوله تعالى ولاتأكلوا
 أموالكم بينكم بالباطل قالوا لا يحصل لاحد منا أن يأكل عند أحدنا نزل الله تعالى ولا على
 أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أي لا حرج عليكم أن تأكلوا من بيوتكم (أو بيوت آبائكم)
 أي وان بعدت أنسابهم قال البقاعي وله جمع لذلك فانه لم يركب حرمته حرمتمكم (أو بيوت
 أمتها نكم) كذلك وقدم الاب لانه أجل وهو حاكم بيته دللنا والمساله (أو بيوت اخوانكم) أي
 من الابوين أو الالاب أو الامم بالنسب أو الرضاع فانهم من أولى من رضى بذلك بعد الوالدين لانهم
 منكم وهم أولياء بيوتهم (أو بيوت اخوانكم) فانهم بعدهم من أولى البيت فان كن من زوجات
 فلا بد من اذن الزوج (أو بيوت أعمامكم) فانهم شائق آبائكم سواء كانوا أشقاء أو الالاب أم لام
 ولو أفرد الم لتوهم انه الشقيق فقط فانه أحق بالام (أو بيوت عماتكم) فانهم بعد الاعمام
 لضعفهن ولانهن ربما كان أولياء بيوتهم الازواج (أو بيوت أخوالكم) لانهم شائق
 أمتها نكم (أو بيوت خالاتكم) آخرهن لما ذكر في العمات (أو أماملكم مقاصحه) قال ابن
 عباس عن ذلك وكيل الرجل وقبته في ضيعته وما شئته لابس عليه أن يأكل من غرضيعته
 ويشرب من لبن ما شئته ولا يحمل ولا يدخل وصلك المقاصح كونها في يده وحفظه وقال الضحاک
 يعني من بيوت عبيدكم وممالئكم لان السيد ملك منزل عبده والمقاصح الخزانة نقوله تعالى وعنده
 مقاصح الغيب لا يعلمها الا هو ويجوز أن تكون الذي يقتر به وقال عكرمة اذا ملك الرجل المقاصح
 فهو خازن فلا بأس أن يطعم الشيء اليسير وقال السدي الرجل يولى طعام غيره ويقوم عليه فلا
 بأس أن يأكل منه وقيل أو ممالئكم مقاصحه ما خزنوه عندهم وقال مجاهد وقتادة من بيوت
 أنفسكم مما ذخرت وطعامكم (أو اصديقكم) أي أو بيوت اصديقائكم والصديق هو الذي

صدق في آية ويكون واحدا وجعا وكذا الخليلط والقطين والعدس وقال ابن عباس نزلت في الحرب بن يبرح غازي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف مالك بن زيد على أهله فلما رجع وجد وجهه وادفأه عن حاله فقال تقرحت أكل طعامك بغير إذنك فانزل الله هذه الآية يحكى عن نيسن أنه دخل داره وإذا حلقة من أصدفاته وقد استلوا سلا من تحت سريره فيها النيسن ولطف الاطعمة وهم مكبون عليها بأكلون فتملت أسارير وجهه سرورا وضحك وقال هل كوجدناهم يريد كبراء العصابة ومن لقبهم من البديين وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو أب في آل جاريته كدهه فيأخذ ماشاء فإذا حضر مولاها فأخبرته أعتقها سرورا بذلك وعن يبرح بن محمد من عظم حرمة الصديق أن جعله الله تعالى في الانس والثقة والابسا وطرح الحمة بمنزلة النفس والاب والابن والاخ وعن ابن عباس الصديق أكبر من الوالدين إن الجهنميين استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والامهات بل قالوا اننا من شافعين ولا صديق جيم والمعنى يجوز الاكل من بيوت من ذكر وان لم يحضروا وإذا علم رضا صاحب البيت باذن أو قرينة ظاهرة الحلال فان ذلك يقوم مقام الاذن الصريح ولذلك خص هؤلاء فانهم يعتادون التبسط بينهم ويرجى سماح الاستئذان وثقل كن قدم الله طعام فاستاذن صاحبه في الاكل منه (فان قيل) اذا كان ذلك لا بد فيه من العيب بالرضا فحينئذ لا فرق بينهم وبين غيرهم (أجيب) بأن هؤلاء يكتبونهم أدنى قرينة بل ينبغي أن يشترط فيهم أن لا يعلم عدم الرضا بخلاف غيرهم لا بد فيه من صريح الاذن أو قرينة قوية هذا ما ظهر لي ولم أر من تعرض لذلك وكان الحسن وقتادة يريان دخول الرجل بيت صديقه والاكل من طعامه بغير إذنه لهذه الآية واحتج أوحيفة بهذه الآية عمر أن من سرق من ذى رحم محرم أنه لا يقطع لأن الله تعالى أباح لهم الاكل من بيوتهم ودخول بغير اذنهم (فان قيل) فيلزم أن لا يقطع اذا سرق من مال صديقه (أجيب) بأن من سرق من ظله لا يكون صديقه وقيل ان هذا كان أول الاسلام ثم نسخ فلا دليل له فيه وقرأ أيونكم ريبوننا وورش وأبو عمرو وحفص بضم الباء الموحدة والباقون بالكسر وقرأ حمزة والكسائي أمهاتكم في الوصل بكسر الهمزة والباقون بالضم وكسر الميم حمزة وفتحها والباقون ولما ذكر تعالى معدن الاكل ذكر حاله بقوله تعالى (ليس عليكم جناح) أي اثم (أن تأكلوا جميعا) أي مجتمعين (أو أشاتا) أي متفرقين واختلف في سبب نزول هذه الآية فقيل الاكثرون نزلت في بني لؤي بن عمرو بن كنانة وكانوا يتخرجون أن يأكل الرجل وحده فراجعوا فاعتد منتظرانها راه الى الليل فان لم يجد من يؤاكله كل ضرورة وقال عطاء عن ابن عباس كان الغني يدخل على الفقير من ثوبى قرابته وصداقته فيدعوه الى طعامه فيقول والله اني لا جنح أي أخرج أن أكل معك وأاغنى وأنت فقير فنزلت هذه الآية وقال عكرمة وأبو صالح نزلت في قوم من الانصار كانوا الايا كون اذا نزل بهم ضيف الاعم ضيفهم فرخص لهم في أن يأكلوا كيف شاؤوا مجتمعين أو أشاتا متفرقين وقال الكلبي كانوا اذا اجتمعوا لبأ كلوا طعاما عزوا الاعمى طعاما وحده وكذلك الرمن والمريض فيمن الله تعالى لهم أن ذلك غير

واجب وقيل تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الأكل وزيادة بعضهم
 بعض * (تنبيه) * جميعا حال من فاعل تأكلوا وأشتا ناعطف عليه وهو جمع شنت وشنتع
 شنت وشنتان تنبئة شنت روى أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم اتانا كل ولانسمع ل
 فاعلمكم تاكون متفرقين اجتماعا على طعامكم واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه وروى
 صلى الله عليه وسلم قال كلوا جميعا ولا تفرقوا واذكروا اسم الله فان البركة مع الجماعة * ولما
 تعالى مواطن الأكل وكيفيته ذكر الحال التي عليها الداخلة الى تلك المواطن أو غيرها بقا
 تعالى (فاذا دخلتم) أي بسبب ذلك أو غيره (بيوتا) أي من هذه البيوت (فسلوا على أنفسكم
 أي على أهلها الذين هم منكم ديناً وقرابة جعل أنفس المؤمنين كالنفس الواحدة كقوله تعالى
 ولا تقتلوا أنفسكم وقال ابن عباس اذا لم يكن في البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا
 السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وقال قتادة اذا دخلت بيتك فسلم على أهلك فهم أحو
 بالسلام ممن سلمت عليهم واذا دخلت بيتا لا أحد فيه فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
 حدثنا أن الملائكة ترد عليه (تحية من عند الله) أي ثابتة بأمره مشروعة من الله (مباركة)
 أي لانه يرجي بها زيادة الخير والثواب (طيبة) أي تطيب بها نفس المستمع والتحية طلب سلامة
 وحياة للمسلم عليه والحيا من عند الله ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجي
 بها من الله تعالى زيادة الخير وطيب الرزق وعن أنس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 عشر سنين وقيل تسع سنين فما قال لي شي فعلته لم فعلته ولا قال لي شي تركته لم تركته وكنت
 واقفا على رأسه أصب الماء على يديه فرفع رأسه فقال ألا أعلمك ثلاث خصال تتفهم ما قلت بلي
 بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال متى لقيت من امتي أحد فسلم عليه بطل عرك واذا دخلت بيتك
 فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة البرار الاوابين * (تنبيه) * تحية
 منصوب على المصدر من معنى فسأوا فهو من باب قعدت جلو فسأكاته قال فقروا تحية وقال
 القفال وان كان في البيت أهل الذمة فليقل السلام على من اتبع الهدى وكرهه تعالى (كذلك
 بين الله) أي الذي أحاط علمه بكل شي (الآيات) ثالثا لمزيد التأكيد وتغنيم الاحكام
 المحتمة به وفصل الاولين بما هو المقصود لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال تعالى (لعلكم
 تعقلون) أي عن الله أمره ونهيه وأدبه * ولما كان أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل
 موطن يجب الاقامة فيه وبهجر معاده من الاوطان قال تعالى (انما المؤمنون) أي الكاملون
 في الايمان (الذين آمنوا بالله) أي الملك الاعلى (ورسوله) أي ظاهره وباطنه (واذا كانوا معه)
 أي الرسول صلى الله عليه وسلم (على أمر جامع) أي يجمعهم من حرب حضرت أو صلاة جمعة
 أو عيد أو جماعة أو تشاور في أمر نزل ووصف الامر بالجمع للمباقة أو من الاسناد المجازي
 لانه لما كان سببا في جمعهم نسب الفعل اليه مجازا (لم يذهبوا) أي يتفرقوا عنه ولم ينصرفوا
 عما اجتمعوا له لعذر لهم (حتى يستأذنوه) قال الكلبي كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض في
 خطبته بالناقين ويعيهم فينظر المنافقين يمينا وشمالا فاذا لم يرههم أخذوا نسلوا ونرجعوا

ولم يذوا وان أبصرهم أحذبوا وصلوا خوفاً فزلت هذه الآية فكان المؤمن بعد نزولها
لاصح لحاجة حتى يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المنافقون يحرجون بغير إذن
فأما هذا أن الامام يوم الجمعة أن يشير بيده قال أهل العلم كذلك كل أمر اجتمع عليه
المؤمن مع الامام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه الا باذن وهذا اذا لم يكن سبب يمنعه من المقام
فحدث سبب يمنعه عن المقام كأن يكونوا في المسجد فخص منهم امرأة أو يجنب الرجل
أعرض له مرض فلا يحتاج الى الاستئذان * ولما كان اعتبار الاذن كالمصدق لجهة كمال
اليمان والمير للمخلص فيه أعاده مؤكداً على أسلوب أبلغ بقوله تعالى (ان الذين يستأذنونك)
ل تعظيم الملك ورعاية للادب (أو لتأن) أي العالو الرتبة (الذين يؤمنون بالله) أي الذي له الامر
له (ورسوله) فانه يفيد أن المستأذن مؤمن لا محالة وان الذاهب بغير إذن ليس كذلك * ولما
س على الاستئذان تسبب عن ذلك اعلامه صلى الله عليه وسلم بما يفعل اذا اذنت بقوله تعالى
فاذا استأذنت ل بعض شأنهم) وهو ما تشتهد الحساسة اليه (فأذن لمن شئت منهم) بالانصراف
ى ان شئت فأذن وان شئت فلا تأذن ففي ذلك تفويض الامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
واستدل به على أن بعض الاحكام مندوخ الى رأيه قال الضحاك ومقاتل المراد عمر بن الخطاب
وذلك أنه استأذن في غزوة تبوك في الرجوع الى أهله فأذن له وقال انطلق فوائته ما أنت بمنافق
يريد أن يسمع المناقون ذلك الكلام فلما سمعوا ذلك قالوا ما بال محمد اذا استأذنه أصحابه أذن
لهم واذا استأذناه أي فوالله ما نراه يعدل قال ابن عباس ان عمر استأذن النبي صلى الله عليه
وسلم في العمرة فأذن له ثم قال يا أبا حفص لا تنسنا من صالح دعائك ولما كان في الاستئذان
ولو اذرت رسولاً في نفسه تفديداً الامر الدنيا على أمر الدين أمر الله تعالى بأن يستغفر لهم
بقوله تعالى (واستغفر لهم الله) أي الذي له الامر كله بعد الاذن ليكون ذلك شاملاً لمن حثت
دعواه وغيره ثم علل ذلك ترغيباً في الاستغفار وتطيباً لقلوب أهل الاوزار بقوله تعالى (ان الله)
أي الذي لا يخفى عليه شيء (غفور) أي لفرط العباد (رحيم) أي بالتستر عليهم ولما أظهرت
هذه السورة بعمومها وهذه الآيات بخصوصها من شرف الرسول ما أمر العشول صرح بتفخيم
شانه وتعظيم مقامه بقوله تعالى (لأجعلوا) أي بأبيها الذين آمنوا (دعاء الرسول بينكم كدعاه
بعضكم بعضاً) قال سعيد بن جبير وجماعة معناه لا تتنادوه باسمه فتقولوا يا محمد ولا بكنيته فتقولوا
يا أبا القاسم بل نادوه وتناطبوهم بالتوقير فتقولوا يا رسول الله يا نبي الله وعلى هذا يكون المصدر
مضافاً المشعولة وقال المبرد والقائل لأجعلوا دعاه اياكم كدعاه بعضكم بعض فتناطبون منه كما
يتناطبا بعضكم عن بعض اذا دعاه لامر بل يجب عليكم المبادنة لامرته ويؤيده قوله تعالى فيلجذر
الذين يخالفون عن أمره وعلى هذا يكون المصدره مضافاً للقائل وقال ابن عباس احذروا دعاه
الرسول عليكم اذا مضطسموه فإذن دعاهم موجب ليس كدعاه غيره وروى عنه ايضا لا ترفعوا
أصواتكم في دعائه وهو المراد من قوله ان الذين يفضون أصواتهم ضد رسول الله وقول
المبرد كما قال ابن عادل أقرب الى نظم الآية ولما كان بعضهم يظهر الموافقة فيمن الخالفة

حذر من ذلك بقوله تعالى (قد يعلم الله) أي الذي لا تخفى عليه خافية (الذين يسألون منكم) أي يسألون للملا قليلا ليعلموا ذهابهم في غاية الخفاء ونظير تسلل تدرج وتدخل وقوله تعالى (لو إذا) حال أي ملاوذين واللواذ والملاوذة التستر يقال لاذ فلان بكذا إذا استتر به وقال ابن عباس أي يلوذ بعضهم ببعض وذلك أن المنافقين كان ينقل عليهم المقام في المسجد يوم الجمعة لاسيما في خطبة النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا يلوذون ببعض أصحابه فيخرجون من المسجد في استتار وقد للتحقيق ونسب عن علمه تعالى قوله تعالى (فليحذر) أي يوقع الحذر (الذين يخالفون عن أمره) أي يعرضون عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصرفون عنه بغرابة وقال أبو بكر الرازي الضمير في أمره لله لأنه يليه وقال الجلال المحلى أي الله ورسوله وكل صحيح فإن مخالفة أمر أحدهما مخالفة أمر الآخر (أن أي لكلا) (تصميم قسنة) قال مجاهد بلاه في الدنيا وعن ابن عباس قسنة قتل وعن عطاء زلازل وأهوال وعن جعفر بن محمد بلط الله عليهم سلطانا جائرا (أو يصدبهم عذاب أليم) أي وجميع في الآخرة * (تنبيه) الآية تدل على أن الأمر للوجوب لأن تاركه الأمر مخالف للأمر ومخالف الأمر يستحق العذاب ولا معنى للوجوب إلا ذلك ولما أقام تعالى الأدلة على أنه نور السموات والأرض وختم بالتحذير لكل مخالف أتيج ذلك أن له كل شيء فقال تعالى (ألا إن الله مافي السموات والأرض) خلقا وملكا وعبيدا (فان قيل) ما فائدة ذكر عبيد بعد ملكا (أجيب) عنه انما ذكرنا شرايتهم أن ما لنا لا يعقل فقط ولما كانت أحوالهم من جهة ما هو له وانما يخلفه قال تعالى (قد يعلم ما أنتم) أي أيها المكلفون (عليه) أي من الموافقة والمخالفة والاخلاص والتفان وانما كدعله بقصد لتأكيده الوعيد وذلك أن قد اذا دخلت على المضارع كانت بمعنى رعا فوافقت ربماني خروجها إلى معنى التكبير في نحو قول بعضهم

فان تمس مهجورا القضاء فرعا * أقام به بعد الوفود وفود

ونحو قول زهير

أخي ثقة لانهلك الخرماله * ولكنه قد هلك المال ناله

والمعنى أن جميع ما في السموات والأرض مختص به تعالى فكيف يخفى عليه أحوال المنافقين وان حكاوا ويجتهدون في سترها عن العيون واخفاها وقوله تعالى (ويوم) أي ويعلم يوم (يرجعون اليه) فيه التفات عن الخطاب أي متى تكون أو يوم يرجع المنافقون اليه للجزاء (فيثبتهم) أي فنسب عن ذلك أنه يجزهم (بما عملوا) أي من الخير والشر فيجازيهم عليه (والله) أي الذي لا تخفى عليه خافية (بكل شيء) أي من أعمالهم وغيرها (عليه) عن عائشة رضي الله تعالى عنها وعن أبيها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلوا النساء الغرف ولا تطوهن الكتاب وعلوهن الغزل وسورة النور أخرجه أبو عبد الله في البيع في صحيحه وأما قول البيضاوي تعالى للكشاف من قرأ سورة النور أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي فهو حديث موضوع

(سورة الفرقان علية)

الاقوله تعالى والذين لا يدعون مع الله الها آخرا لى رحمانا قدى وآمها سبع وسبعون آية وعثمانة وثمانون سبعون كلمة وعدد حروفها ثلاثة آلاف وسبع مائة وعشرون حرفا

(بسم الله) الذى له الحجة البالغة (الرحمن) الذى عم الخلق بنعمه (الرحيم) الذى وسعت رحمته كل شىء (تبارك) قال الزجاج تفاعل من البركة وهى كثرة الخير وزيادته ومنه تبارك الله ونفسه معنيان تزايد خبره وتكاثر أوترا بدين كل شىء وتعالى عنه فى صفاته وأفعاله وعن ابن عباس كان معناه جاء نابك بركة وخير وقال الضحاك تبارك تعاضم ولا يستعمل الله تعالى ولا يتصرف فيه ثم وصف ذاته الشريفة بما يدل على ذلك بقوله تعالى (الذى نزل الفرقان) أى القرآن والفرقان مصدر يفرق بين الشئين إذا فصل بينهما وسمى به القرآن لفصله بين الحق والباطل ولأنه لم ينزل بجملة واحدة ولكن مقروفاً مفصولاً بين بعضه وبعض فى الأتزال الأتري قوله تعالى وقرأ آفاقنا لتقرأه على الناس على مكث (على عبده) أى محمد صلى الله عليه وسلم وأضاف الى نفسه إضافة تشريف وفى عود ضمير (ليكون) ثلاثة أوجه أحدها أنه يعود على الذى نزل أى ليكون الفرقان نذيراً الثانى أنه يعون على الفرقان أى ليكون الفرقان نذيراً وأضاف الأندار اليه كما وأضاف الهداية اليه فى قوله تعالى ان هذا القرآن يهتدى للقى هى أقوم قال ابن عادل وهو بعد لان المنذرو والنذير فى صفات الفاعل المحرف ووصف القرآن به مجاز ورجل الكلام على الحقيقة أولى الثالث أنه يعود على عبده أى ليكون عبده محمد صلى الله عليه وسلم (للعالمين نذيراً) أى وبشيرا وهذا أحسن الوجوه معنى وصناعة لقربه بما يعود عليه والضمير يعود على أقرب به مذكور وللعالمين متعلق بنذيرا وانما قدم لاجل الفواصل ونذيرا بمعنى منذر أى يخوف ويجوز أن يكون مصدرا بمعنى الأندار كالتكبير بمعنى الإنكار ومنه قوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر (تنبيه) المراد بالعالمين قال الباقى أى المكلفين كلهم من الجن والانس والملائكة اه ولكن فى رساله للملائكة خلاف بين العلماء فقد نقل الجلال الهللى فى شرحه على جمع الجوامع الإجماع على أنه لم يرسل اليهم وغيره صرح بأنه أرسل اليهم ومن حفظه جهة على من لم يحفظ (فان قيل) قوله تعالى تبارك يدل على كثرة الخير والبركة فالمدكور عقبه لابد وأن يكون مينا لكثرة الخير والمنافع والأندار يوجب التمس والخوف فكيف يليق ذكره بهذا الموضوع (أجيب) بأن الأندار يجرى مجرى تأديب الوالد أنه (أ) كما كانت المبالغة فى تأديب الوالد أكثر كان رجوع المخلق الى الله تعالى أكثر وكانت السعادة الاخرى أتم وأكثرو هذا كالتبسيه على أنه لا التفات الى المنافع العاجلة لانه تعالى لما وصف نفسه أن يعلى الخيرات الكثيره لم يذكر الامتناع الدين ولم يذكر منافع الدنيا البتة وقوله تعالى (الذى يملك السموات والارض) إشارة الى احتياج هذه المخلوقات اليه سبحانه وتعالى حال حدوثها وانه تعالى هو المتصرف فيها كيف يشاء فلا انكار أن يرسل رسولا الى كل من فيها (تنبيه) يجوز فى

(١) قوله كما انه الخ كذا فى التسخ ولا يحق ما فيه والذى يستفاد من أطرافه أن يقال فالولد كما بالغ والده فى تأديبه كان رجوعه اليه أكثر وأتم لسعادته وكذلك الخلق كلما بالغ خلقهم فى اندارهم كان رجوعهم اليه أكثر وأتم لسعادتهم الاخرى اه

الذي رفع نعتا للذي الاول اوسيانا اوبدلا وخبر المبتدأ محذوف والنصب على المدح وما
 بعده يدل على أنه من تمام الجملة فليس اجنسيا فلا يضر الفصل به بين الموصول الاول والثاني اذا
 جعلنا الثاني تابعا له (ولم يتخذ ولدا) أي هو الفرد ابدأ ولا يصح أن يكون غيره تعالى معبودا
 ووارثا للملك عنه وهذا رد على النصارى (ولم يكن له شريك في الملك) أي هو المنفرد بالالوهية
 واذا عرف العبد ذلك انقطع رجاءه عن ككل من سواه تعالى ولم يستغل قلبه الابرجته
 واحسانه وفيه رد على الوثنية القائلين بعبادة النجوم والاورقان * ولما تقي تعالى الشريك
 فكان قائلا يقول هنا أقوام يعترفون بنبي الشريك والشركاء والانداد ومع ذلك يقولون
 يخلق أفعال أنفسهم فرد الله تعالى عليهم بقوله (وخلق كل شيء) أي من شأنه أن يخلق ومنه
 أفعال العباد وخلق هنا يعني الاحداث أي احدث كل شيء احدثا امرأ هي فيه التقدير
 والتسوية (فقدرة تقديرا) أي هيأه لما يصلح له مثاله أنه خلق الانسان على هذا الشكل
 المقدر الذي تراه فقدرة للتكليف والمصالح المنوطة به في بابي الدين والدينا وكذلك كل حيوان
 وجماد جاء به على الجبلبة المستوية للقدرة وسمى احداث الله خلقا لانه لا يحدث شيئا بالحكمة
 الاعلى وجه التقدير من غير تفاروت فاذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك احدث وأوجد
 من غير نظر الى وجه الاشتقاق فكانه قيل وأوجد كل شيء فقدرة تقدير في ايجاد ولم يوجد
 متفادنا ولو جعل خلق كل شيء على معناه الاصل من التقدير لصار الكلام وقد ذكر كل شيء فقدرة
 فلم يصر له كبير فائدة وقيل لجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدرة للبقاء الى امد معلوم واختلف في
 عود الضمير في قوله تعالى (واتخذوا من دونه) أي الله تعالى أي غيره (آلهة) على ثلاثة
 أوجه أحدها أنه يعود على الكفار الذين تضمنهم لفظ العالمين ثانياً أنه يعود على من ادعى
 لله شركا وولد الدلالة قوله تعالى ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ثالثاً انه يعود على
 المنذرين لدلالة نذر عليهم * ولما وصف نفسه سبحانه وتعالى بصفات الحلال والعزة
 والعلو أردفه بتزييف مذهب من يعبد غيره من وجوه منها أنهم ليست خالقة للاشياء بقوله تعالى
 (لا يخلقون شيئا) والاله يجب أن يكون قادرا على الخلق والايجاد ومنها أنها مخلوقة بقوله تعالى
 (وهم يخلقون) والمخلوق محتاج والاله يجب أن يكون غنيا وعلب العقلاء على غيرهم لان
 الكفار كانوا يعبدون العقلاء كزير والمسيح والملائكة وغيرهم كالكواكب والاصنام
 التي يصنعونها ويصورونها ومنها أنها لا تملك لانفسها شراً ولا تنفع بقوله تعالى (ولا يملكون)
 أي لا يستطيعون (لانفسهم ضرا) أي دفعه (ولا تنفع) أي جلبه ومن كان كذلك فليس باله ومنها
 انها لا تقدر على موت ولا حياة ولا نشور بقوله تعالى (ولا يملكون موتا ولا حياة) أي امانة
 لاحد واحياء لاحد (ولا نشورا) أي بعنا للاموات فيجب أن يكون المعبود قادرا على ايصال
 الثواب الى المطيعين والعقاب الى العصاة فمن لا يكون كذلك يجب أن لا يصلح للالهية * (تبيه) *
 احتج أهل السنة بقوله تعالى لا يخلقون شيئا على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى لانه تعالى عاب
 هؤلاء الكفار من حيث عبدا وما لا يخلق شيئا وذلك لئلا يدل على أن من خلق يستحق أن يعبد

فلو كان الصدق الخالق للكان معبودا لها * ولما تكلم تعالى أو لاعلى التوحيد وثباتى الرد على
 عبدة غيره تكلم ثالثا في مسئلة النبوة وحكى شبه الكفار في انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
 * الشبهة الاولى قوله تعالى (وقال الذين كفروا) أى مظهر والوصف الذى جلمهم على هذا القول
 وهو ستر ما ظهر لهم ولغيرهم كالشمس والاجتهاد في اخفائه (ان) أى ما (هَذَا) أى القرآن
 (الافق) أى كذب مصر ورف عن وجهه (اقتراه) اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم (وأعانه
 عليه) أى القرآن (قوم آخرون) أى من غير قومه وهم اليهود فانهم يلقون اليه أخبار الامم
 وهو يعبر عنها بعبارة وقيل عداس مولى حويط بن عبد العزى ويساره مولى العلاء بن
 الحضرمى وأبو فكيمة الزوى كانوا بمكة من أهل الكتاب فزعم المشركون أن محمدا يأخذ منهم
 فردا لله تعالى عليهم بقوله تعالى (فقد جاؤا) أى قائلوه هذه المقالة (ظلمنا) وهو جعل الكلام
 العجزا فكا محتمقا متلقا من اليهود وجعلوا العربى يتلقن من العجمى الرومى كلاما عربيا أعجز
 بفصاحته جميع فصحاء العرب (وزورا) أى بهتوه بنسبة ما هو برى منه اليه وقرأ ابن كثير
 وابن ذكوان وعاصم باظهار الدال والباقون بالادغام * (تجهيه) * جاء وأتى يستعملان في معنى
 فعل فيعديان تعديته وظلم المفعول به وقيل انه على اسقاط الخافض أى جاؤا بظلم * الشبهة الثانية
 قوله تعالى (وقالوا أساطير الاولين) أى ما سطره الاقرون من أكاذيبهم جمع أسطورة بالضم
 كأحدوثه أو اسطار (اكتنبا) أى تطلب كتابها له من ذلك القوم وأخذها والمعنى ان هذا القرآن
 ليس من الله تعالى انما هو مما سطره الاقرون الاول كحادث رسمه واسفنديار استنسخها
 محمد من أهل الكتاب (فهى) أى فنسب عن تكلفه ذلك أنها (على عليه) أى تقرأ عليه ليحفظها
 (بكرة) قبل أن تنتشر الناس (وأصيلا) أى عشيا حين يأوون الى مساكنهم أو دأما لتكلف
 حفظها بالانساخ لانه أمى لا يقدر أن يكتب من الكتاب أو ليكتب وهذا كما ترى لا يقوله
 من لمسكة في عقل أو مر واة كيف وهو يدعوهم الى المعارضة ولو بسورة من مثله وقيم
 الكتاب والشعراء والبغاة والخطباء وهم أكثر منه مالا وأعظم أعوانا ولا يقدرون على شئ
 منه (فان قيل) كيف قيل اكتبها فهى على عليه وانما يقال أمليت عليه فهو يكتبها (أجيب)
 بوجهين أحدهما أراد اكتبها او طلبه فهى على عليه الثانى انها كتبت له وهو أمى فهى
 على أى تلقى عليه من كتاب ليحفظها لان صورة اللقاء على الحافظ كصورة اللقاء على الكاتب
 وقرأ فهى قالون وأبو عمرو والكسافى بسكون الهاء والباقون بكسر هاء ثم أمره الله تعالى
 بجوابهم بقوله تعالى (قل) أى دال على بطلان ما قالوه وهدد الهم (أنزله الذى يعلم السر)
 أى الغيب (في السموات والارض) لانه أعجز كم عن آخركم بفصاحته وتضمنه أخبارا عن
 منغيات مستقبله واشياء مكنونة لا يعلمها الا عالم الاسرار فكيف تجعلونه أساطير الاولين مع
 علمكم أن ما تقولونه باطل وزور وكذلك باطن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبراهنه مما هيئتونه
 وهو يجازيكم على ما علم منكم وعلم منه (فان قيل) كيف بطلان هذا قوله تعالى (انه كان) أى أنزل
 وأبدا (غفرار حيا) أجيب بأننا كلنا ما تقدمه في معنى الوعد عقبه ما يدل على القدرة

عليه لانه لا يوصف بالرحمة والمغفرة الا القادر على العقوبة وهو تبيسه على انهم استوجبوا
بمكارتهم هذه أن يصب عليهم العذاب صبا ولو كان صرف ذلك عنهم لانه غفور رحيم يهمل
ولا يعاجل * الشبهة الثالثة قوله تعالى (وقالوا مال هذا الرسول) أي مال هذا الذي يزعم الرسالة
وفيه استهانة وتهكم وتصغير شأنه وتسميته بالرسول سخريه منهم كأنهم قالوا مال هذا الزاعم أنه
رسول ويضوه قول فرعون أن رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون أي ان أصحابه رسول الله
فما باله حاله مثل حالنا (يا أكل الطعام) أي كما نأكله (ويحشى) أي ويتردد (في الاسواق) اطلب
المعاش كما يحشى فلا يجوز أن يمتاز عنا بالنسبة يعنون انه يجب أن يكون ملكا مستغنيا عن
الاكل والشرب والتعيش وكذلك كانوا يقولون له لست انت بملك لانك تأكل الطعام والملك
لا يأكل ولان الملك لا يتسوق وأنت تسوق وما قالوه فاسد لان أكله الطعام لكونه آدميا
ومشيه في الاسواق لتواضعه وكان ذلك صفة في التوراة ولم يكن محبا في الاسواق وليس شيء
من ذلك ينافي النبوة ولانه لم يدع أنه ملك من الملوك ثم نزلوا عن اقتراحهم أن يكون ملكا في
اقتراح أن يكون انسا نامعه ملك حتى يسانده في الازدراء والتخويف فقالوا (ولولا) أي هلا (أنزل
اليه ملك) أي يصدقه وبشده (فيكون معه نذيرا) أي داعيا ثم نزلوا أيضا الى أنه لم يكن مرفودا
بملك فليكن مرفودا بكنز فقالوا (أو يلقى اليه كنز) أي ينزل عليه كنز من السماء ينقذه فلا يحتاج
الى المشي في الاسواق لطلب المعاش ثم نزلوا فاقنعوا بان يكون رجلا له بستان فقالوا (أو تكون
له جنة) أي بستان (يا أكل منها) أي ان لم يلق اليه كنز فلا أقل أن يكون له بستان كالمساير
فيتميش ربيعه وقرأ جزءة والكسائي بالنون أن نأكل نحن منها فيكون له مزية علينا بها
والباقون بالباء وقوله تعالى (وقال الظالمون) وضع فيه الظاهر موضع المضمر اذا الاصل وقالوا
تسبيلا عليهم بالظلم فيما قالوا (ان) أي ما تتبعون الا رجلا مسحورا) أي محمدا وعامفا لولا على
عقله وقيل مصر وفاقن الحق ولما أنهى تعالى ما ذكر من أقوالهم الناشئة عن ضلالهم القوت
سجانه وتعالى الى رسوله صلى الله عليه وسلم مسابله بقوله تعالى (انظر) أي يا أفضل الخلق
(كيف ضربوا لك الامثال) أي بالمسحور والمحتاج الى ما ينقذه الى ملك يقوم معه بالامر
(فضلوا) أي بذلك عن جميع طرق الهدى (فلا يستطيعون) أي في الحال ولا في المال بسبب
الضلال (سبيلا) أي سلوا سبيلا من السبل الموصلة الى ما يستحق أن يقصد بل هم في مجاهل
موحشة وفيها في مهلكة * ولما أثبت انهم لاعلم لهم ولا قدرة ولا عين ولا بركة أثبت لنفسه سجانه
وتعالى ما يستحق من الكمال الذي يفيض به على من يشاء من عباده ما يشاء بقوله تعالى (تبارك)
أي ثبت ثباتا مقترنا بالعين والبركة لا ثبات الا هو (الذي ان شاء) فانه لا مكر له (جعل لك) أي
في الدنيا (خبر من ذلك) أي من الذي قالوه على طريق التهمك من الكفر والبستان وقوله تعالى
(جنات) يدل من خيرا ويجوز أن يكون منه ويا باضمار أعني ثم وصفها بقوله تعالى (تجري من
تحتها الانهار) أي تكون أرضها عيونا تابعة أي في اى موضع أريد منه اجراء نهر جرى فمضى

لاتزال يرافقني صاحبها عن كل حاجة ولا توجهه في استمرارها الى سقى (ويجعل لك قصورا) أيضا
وهي جمع قصر وهو المسكن الرفيع قال المفسرون القصور هي البيوت المشيدة والعرب تسمى
كل بيت مشيد قصرا ويحتمل أن يكون لكل جنة قصر فيكون مسكنا ومنزها ويجوز أن تكون
القصور مجموعة والجنات مجموعة وقال مجاهد ان شاء جعل جنات في الآخرة وقصورا في
الدنيا ولم يشأ الله سبحانه وتعالى ما أشار اليه في هذه الآية الشريفة في هذه الدنيا الثانية وأخره
الى الآخرة الباقية وقد عرض عليه سبحانه وتعالى ما شاء في ذلك في الدنيا فأباه روى أنه عليه
الصلاة والسلام قال عرض على ربي لي جعل لي بطيما مكة ذهبا فقلت لا يا رب ولكن أشبع
يوما وأجوع يوما أو قال ثلاثا أو نحو هذا فاذا جعت تضرعت اليك واذا شبعت حمدتك
وشكرتك وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو شئت
أسارت معي جبال مكة ذهبا جاني ملك فقال ان ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك ان شئت
لم يعبدا وان شئت نياما لكا فنظرت الى جبريل عليه السلام فأشار الى أن تضع نفسك فقلت نياما
عبدا قالت وكنان النبي صلى الله عليه وسلم به ذلك لا يأكل متكئا ويقول أكل كجأيا كل
العبد وأجلس كما يجلس العبد وعن ابن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس
وجبريل عليه السلام معه فقال جبريل عليه السلام هذا ملك قد نزل من السماء استأذن
ربه في زيارتك فلم يلبث الا قليلا حتى جاء الملك وسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
ان الله يخبرك أن يعطيك مفااتيح كل شيء لم يعطه أحد قبلك ولا يعطيه أحد بعدك من غير
أن يتفصل مما آذ الشياطين قال صلى الله عليه وسلم بل يجتمعها لي في الآخرة فنزل تبارك الذي
ان شاء الآية وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة برفع اللام من يجعل وفيه وجهان
أحدهما أنه مستأنف والثاني أنه معطوف على جواب الشرط لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز
في جوابه الجزم والرفع كقوله

وان آناه خليل يوم مسئلة * يقول لا غائب مالي ولا حرم

والباقون بالجزم ويجوز في يجعل لك اذا ادغمت أن تكون اللام في تقدير الجزم والرفع * ثم
أضرب سبحانه وتعالى عن كلامهم في حق رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (بل) أي
لا يظنوا أنهم كذبو بما جنت به لانهم لا يعتقدون فيك كذبا بل (كذبوا بالساعة) أي القيامة
فقصرت أظفارهم على الحطام الذي وظنوا أن الكرامة انما هي بالمال فلا يرجون ثوابا ولا
عقابا فلا يتكفون النظر والفكر ولهذا لا يفتخعون بما يورد عليهم من الدلائل (وأعدنا) أي
والحال انا أعدنا أي هيأنا بما لنا من العظمة (لمن كذب) من هؤلاء وغيرهم (بالساعة سعيرا) أي
نارا شديدة الاتقاد بما أعظموا الحريق في قلوبهم من كذبهم من الانبياء وأتباعهم وعن الحسن
أن السعير اسم من أسماء جهنم * (تنبيه) * احتج أهل السنة على أن الجنة مخلوقة بقوله تعالى
أعدت للمتقين وعلى أن النار هي دار العقاب مخلوقة بهذه الآية (اذا آتاهم من مكان بعيد)
وهو أقصى ما تمكن رؤيته من دار الكلي والسدى من محبرة عام وقيل من مسيرة مائة سنة

وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال من كذب على متعمداً فليتبوأ جزاءه عني جهنم مقعداً قالوا وهل
 لها من عيين قال نعم ألم تسمع قوله تعالى إذا رأيتهم من مكان بعيد وقال البيضاوي تبعاً
 للزمخشري إذا كانت جبراً أي منهم كقوله عليه الصلاة والسلام لا ترى نارها أي لا تتقربان
 بحيث تكون احداهما جبراً أي من الأخرى على الجواز انتهى وهذا أويل للمعتزلة بناءً منهم على
 أن الرؤية مشروطة بالحياة بخلاف الأشاعرة فإنهم يحوزون رؤيتها حقيقة كمنغظها وزفيرها
 في قوله تعالى (سجوا لها تعظيلاً) أي علينا كالفضبان إذ غلى صدره من الغضب (وزفيراً) أي
 صوتاً شديداً إذ لا امتناع من أنها تكون رائية معقاة زافرة وأشار البيضاوي إلى ذلك بعد
 ما ذكر بقوله هذا وإن الحياة لما تكن مشروطة عندنا بالبيئة يمكن أن يخلق الله فيها حياة
 قبرى وتغيط وترفر وقال الجلال المحلى وسماع التغيط رؤيته وعلمه انتهى قال عبد الله بن عمر
 تفرج جهنم يوم القيامة زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الاخر لوجهه وقيل إذا رأيتهم
 زبانتهم تغيطوا وزفروا غضبا على الكفار للاقتحام منهم فنسب اليها على حذف مضاف (وإذا
 ألقوا) أي طرحوا طرح اهانة (منها) أي النار (مكاناً) ثم وصفه تعالى بقوله تعالى (ضيقاً)
 زيادة في فظاعتها قال ابن عباس يضيّق عليهم كما يضيّق الزج في الرمح (مترنين) أي مصغدين
 زيادة قد قرئت أيدهم إلى أعناقهم من الأغلال وقد قيل الكرب مع الضيق كما أن الروح
 مع السعة ولذلك وصف الله تعالى الجنة بأن عرضها السموات والأرض وجاء في الأحاديث أن
 لكل مؤمن من القصور والجنان كذا وكذا وقد جمع الله تعالى على أهل النار أنواع الضيق
 والأرهاق حيث ألقاهم في مكان ضيق يتراصون فيه تراصاً كما مر عن ابن عباس أنه يضيّق
 عليهم كما يضيّق الزج في الرمح وهو منقول أيضاً عن ابن عمر وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن
 ذلك فقال والذي نفسي بيده أنهم يستكروهون في النار كما يستكروه الوثني في الحائط وهم مع ذلك
 الضيق مسلون مقرنون في السلاسل قرئت أيدهم إلى أعناقهم ويقرن مع كل كافر شيطانه
 في سلسله في أرجلهم * (تنبه) * مكاناً منصوب على الظرف ومنها في محل نصب على الحال
 من مكاناً لأنه في الأصل صفة له ومقرنين حال من مفعول ألقوا وقرأ ابن كثير ضيقاً يسكون
 الياء والباقون بكسر الياء مشددة (دعواهنالك) أي في ذلك المكان البغيض البعيد
 عن الرفق (ثبورا) قال ابن عباس ويلا وقال الضحاك هلا كما يقولون وثبوراه هذا حينك
 وزماتك لأنه لا مناد لهم غيره وليس يحضراً أحداً منهم سواء قال البغوي وفي الحديث أن أول
 من يكسى حسله من النار بليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه
 وهو يقول يا ثبوراه وهم ينادون يا ثبوراهم حتى يفتقوا على النار فيقال لهم (لاندعوا اليوم)
 أي أيها الكفار (ثبورا واحداً) لأنكم لا تموتون إذا حلت بكم أسباب العذاب والهلاك
 (وادعوا ثبوراً كثيراً) أي هلاككم أكثر من أن تدعوم مرة واحدة وأدعوا أدعية كثيرة
 وقال الكلبي نزل هذا كله في أبي جهل والكفار الذين ذكروا تلك الشبه * ولما وصف تعالى

العقاب المثل للمكذبين بالساعة اتبعه بما يؤكده الحسرة والندامة بقوله تعالى (قل) أي لهؤلاء
البعداء البغضاء (أذلك) أي المذكورين الوعيد وصفة النار (خير أم جنة الخلد) أي الإقامة
الدائمة (التي وعد المتقون) أي وعد الله تعالى لهم فالراجع إلى الموصوف وهوها وعدها
محذوف (فان قيل) كيف يقال العذاب خيراً من جنة الخلد وهل يجوز أن يقول القائل السكر
أحلى أم الصبر (أجيب) بأنه يحسن في معرض التقرير كما إذا أعطى السيد عبده مالا
فقره زدوا بي واستكبر فضر به ويقول له هذا خير أم ذلك قال أبو مسلم جنة الخلد هي التي لا ينقطع
نعيمها والخلد والخلود سواء كالشكر والشكور قال تعالى لا تزيد منكم جزاء ولا شكورا
(فان قيل) الجنة اسم لدار الخلد فأى فائدة في قوله تعالى جنة الخلد (أجيب) بأن الأضائة
قد تكون للتمييز وقد تكون لبيان صفة الكمال كقوله تعالى هو الله الخالق البارئ وهذا من هذا
البيان وللتمييز عن جنات الدنيا ثم حقق تعالى أمرها تأكيدياً للشارة بقوله (كانت لهم جزاء)
أي ثواباً على أعمالهم بفضل الله تعالى وكرمه (ومصيراً) أي مرجعاً (فان قيل) إن الجنة مستصير
للمتقين جزاء ومصير الكفابعد ما صارت كذلك فلم قال تعالى كانت (أجيب) من وجهين
الأول أن ما وعد الله تعالى فهو في تحققه كالواقع الثاني أنه كان مكتوباً في اللوح المحفوظ
قبل أن يخلقهم الله تعالى بأزمته متطاولاً إن الجنة جزاؤهم ومصيرهم (فان قيل) لم جمع تعالى
بين الجزاء والمصير (أجيب) بأن ذلك كقوله تعالى نعم الثواب وحسنت من تقفا فذبح الثواب
ومكانه كما قال تعالى بنس الشراب وساءت من تقفا فذم العقاب ومكانه لأن النعيم لا يتم للمتعتم
الاطيب المكان وسعته ووافقه المراد والشهوة والانتقص وكذلك العقاب يتضاعف
بغناثة الموضع وضيقه وغلته فلذلك ذكر المصير مع ذكر الجزاء * (تبيهه) * المتقى يشمل من
اتقى الكفر وان لم يتق المعاصي وان كان غيره أكمل * ثم ذكر تعالى نعمهم فيها بعد أن ذكر
نعيمهم بقوله تعالى (لهم فيها) أي الجنة (ما يشاؤون) من كل ما تشتهيه أنفسهم كما قال تعالى
ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم وفيها ما تشتهى الأنفس (فان قيل) أهل الدرجات النازلة إذا
شاهدوا الدرجات العالية لا بد وأن يريدوها فاذا أسألوا ربهم فان أعطاهم لم يتق بين الناقص
والكامل تفاوت في الدرجة وان لم يعطها لهم قدح ذلك في قوله تعالى لهم فيها ما يشاؤون (أجيب)
بأن الله تعالى يزيل هذا الخاطر عن كلوب أهل الجنة ويشغلون بجماعهم فيه من اللذات عن
الالتفات إلى حال غيرهم وقوله تعالى (خالدين) منصوب على الحال إما من فاعل يشاؤون وإما
من فاعل لهم لوقوعه خيراً وإما على ما محذوف أي لهم فيها الذي يشاؤون حال كونهم
خالدين وقوله تعالى (كان على ربك) أي وعدهم ما ذكر (وعدا) يدل على أن الجنة جعلت لهم
بحكم الوعد والتفضل لا بحكم الاستصفاق وقوله تعالى (منوئلاً) أي مطلوباً اختلف في المسائل
فلا أكثر على أن المؤمنين سألوهم في الدنيا حين قالوا ربنا وأتانا ما وعدتنا على رسلك روى أنه
صلى الله عليه وسلم قال ما منكم من يدعو بدعوة ليس فيها ثم ولا قطعة رحم الأعداء بها
أحدى ثلاث إماماً أن يجعل له دعوته وإماماً أن يدخرها له في الآخرة وإماماً أن يصرف عنه من

السوء مثلها قالوا اذا تكبر قال الله تعالى **أكثر** وروى أنه يدعى بالمؤمن يوم القيامة حتى يوقفه الله تعالى بين يديه فيقول عبدي فيقول نعم يا رب فيقول اني امرتك أن تدعوني ووعدتك أن أستجيب لك فهل كنت تدعوني اما انك لم تدعني بدعوة الاستجيب لك أليس دعوتني يوم كذا وكذا الغم نزل بك ان أفرج عنك ففرجت عنك فيقول نعم يا رب فيقول اني عملت لك في الدنيا ودعوتني يوم كذا وكذا الغم نزل بك ان أفرج عنك فلم تفرج قال نعم يا رب فيقول اني ادخرت لك في الجنة كذا وكذا ودعوتني في حاجة أفضيها لك في يوم كذا وكذا ففضيتها فيقول نعم يا رب فيقول اني عملت لك في الدنيا ودعوتني يوم كذا وكذا في حاجة أفضيها لك فلم ترضاءها فيقول نعم يا رب فيقول اني ادخرت لك في الجنة كذا وكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يدع الله دعوة دعاها عبده المؤمن الا يناله امانا ان يكون بحمل له في الدنيا واما ان يكون ادخره في الآخرة فيقول المؤمن في هذا المقام باليه لم يكن بحمل له شيء من دعائه وروى لا تجلوا في الدعاء فانه لا يهلك مع الدعاء أحد وروى ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة وروى يستجاب لاحدكم ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لي وروى لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع باثم أو قطعة رحم ما لم يستعجل قيل يا رسول الله ما الاستعجال قال يقول قد دعوت فلم يستجب لي فيستحسر أي ييل عند ذلك ويدع الدعاء فليدع الانسان وهو موقن بالاجابة وقال محمد بن كعب القرظي الطلب من الملائكة للمؤمنين سألو اربهم للمؤمنين بقولهم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم وقيل ان المكلفين سألوها بلسان الحال لانهم لما تحموا المشقة الشديدة في طاعة الله كان ذلك قائما مقام السؤال قال المتبني

وفي النفس حاجات وفيك فطنة * سكوني كلام عندها وخطاب

* ولما ذكر تعالى حالهم في أنفسهم أتبعه ذكر حالهم مع معبوداتهم من دونه بقوله تعالى (ويوم) أي واذا كرلهم يوم (نحشرهم) أي المشركين وقرأ ابن كثير وحفص بالياء والباقون بالنون واختلف في المراد بقوله تعالى (وما يعبدون من دون الله) أي غيره فقال الاكثرون من الملائكة والجن والسيح وعزبر وغيرهم وقال عكرمة والخالك والكلي من الاصنام فقيل لهم كيف يخاطب الله تعالى الجناد بقوله تعالى (فيقول أأنتم أضلتم عبادي هؤلاء) أي أوقعوهم في الضلال بأمركم اياهم بعبادتهم (أم هم ضلوا السبيل) أي طريق الحق بأنفسهم فأجابوا بوجهين أحدهما انه تعالى يخلق الحياة فيم او يخطأها فانها ما أن يكون ذلك بالكلام النفساني لا بالقول اللساني بل بلسان الحال كما ذكره بعضهم في تيسير الجمل وكلام الايدي والارجل ويجوز أن يكون السؤال عامالمهم جميعا (فان قيل) كيف صح استعمال ما في العقلاء (أجيب) على الاول بأنه أريده الوصف كانه قيل ومعبودهم الاتراك تقول اذا أردت السؤال عن صفة زيد ما زيدتني أطويل أم قصر فقيه أم طيب وقال تعالى والسماء وما بناها ولا أنتم عابدون ما أعبد وأما على القول الثاني فواضع وأما على القول الثالث فغلب غير العاقل

لغلبة عباده أو تصغيراً (فان قيل) ما فائدة هذا السؤال مع ان الله تعالى كان عالم بالازل بحال
 المسؤل عنه (أجيب) بأن هذا سؤال تفرغ للمشركين كما قال لعيسى عليه السلام أنت قلت
 للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله وقرأ ابن عامر فمقول بالنون والباقون بالياء وقرأ
 أنتم نافع وابن كثير بسهيل الثانية وادخل ألف بينها وبين همزة الاستفهام وورش وابن
 كثير بسهيل الثانية ولألف بينهما وبين الاولى ولورش وجه آخر وهو ابدال الثانية ألفاً
 وهشام بسهيل الثانية وتحقيقهما مع الادخال والباقون بتحقيقهما وقرأ هؤلاء أم هم نافع وابن
 كثير وأبو عمرو في الوصل بابدال الهمزة من أم ياء خالصة والباقون بتحقيقها (قالوا سبحانك)
 أي تنزيهاً لك عما يليق بك أو تعجباً عما قيل لهم لانهم ائمام لا تنكحوا أو انبياء معصومون فما
 بعدهم عن الضلال الذي هو مختص بالبدليس وجذوده أو جادات وهي لا تقدر على شيء أو اشعاراً
 بأنهم الموسومون بتسميته وتوحيده فكيف يليق بهم اضلال عبيده (ما كان ينبغي) أي يستقيم
 (لنا ان نتخذ) أي نتكلف ان نأخذ باختيارنا بغير ارادة منك (من دونك) أي غيرك (من أولياء)
 العصمة أو لعدم القدرة فكيف يستقيم لنا أن نأمر بعبادتنا (فان قيل) ما فائدة أنتم وهم وهلا قيل
 أاضلتم عبادي هؤلاء أم ضلوا السبيل (أجيب) بأن السؤال ليس عن الفعل ووجوده لانه لولا
 وجوده لما توجه هذا العتاب وانما هو عن مقوليه فلا بد من ذكره وايلاونه صرف الاستفهام
 حتى يعلم أنه المسؤل عنه * (تنبيه) * من أولياء مفعول أول ومن زائدة لتأكيد النفي ومقابله
 المفعول الثاني ولما تضمن كلامهم انهم انما ضلوا ولم يتحملهم على الضلال حسن الاستدراك
 بقولهم (ولكن متعتم وآباءهم) وهو أن ذكر واسبه أي أنعمت عليهم وعلى آباءهم من قبلهم بأنواع
 النعم والصحة وطول العمر في الدنيا فجعلوا ذلك ذريعة الى ضلالهم عكس القضية (حتى نسوا
 الذكراً) أي تركوا الايمان بالقرآن وقيل تركوا ذكره وغضوا عنه (وكانوا) أي في علمك
 بما قضيت عليهم في الازل (قوما بوراً) أي هلكي وهو مصدور وصف به ولذلك يستوى فيه الواحد
 والجمع أو جمع بالتركه انك وعوذ وقوله (فقد كذبكم) فيه التفات الى العبد بالاحتجاج والالزام
 على حذف القول والمعنى فقد كذب المعبودون العابدين (بما) أي بسبب ما (تقولون) أي أيها
 العابدون من أنهم يستحقون العبادة وأنهم يشفعون لكم وأنهم أضلوكم ولما سبب عن
 تظلمهم عن عبدتهم أنه لا نفع في أيديهم ولا ضرر حال تعالى (فما يستطيعون) أي المعبودون
 (صرفاً) أي ان شيء من الاشياء عن أحد من الناس لأنهم ولا غيركم من عذاب ولا غيره بوجه حيلة
 ولا شفاعاة ولا معاداة (ولانصراً) أي ضلناكم من الله تعالى ان أراد بكم سوءاً وهذا نحو قوله
 تعالى لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً وقرأ حفص بالتاء على الخطاب والباقون بالياء
 على الغيبة (ومن يظلم) أي بالشرك (منكم) أي أيها المكافون (بذقة) أي بما لتان من العظمة
 (عذاباً كبيراً) أي شديد في الدنيا بالقتل أو الاسر أو ضرب الجزية وفي الآخرة بتأرجحهم وروى
 الضمالتعن ابن عباس أنه قال لما حصر المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم بقولهم
 ما لهذا الرسول الى آخرها أنزل الله تعالى (وما أرسلنا قبلك) أي يا أشرف المخلوق أحداً (من)

المرسلين الا) وحالهم (انهم لبا كلون الطعام) كأننا كل ويا كل غيرك من الادميين (ويعشون
 في الاسواق) كما تفعل فهو - ذه عادة مستقر من الله تعالى في كل رسله وهم يعلمون ذلك بالسمع
 من أخبارهم وهذا أنا كيد من الله تعالى لانهم لا يكذبونه صلى الله عليه وسلم وقيل معنى الآية
 وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا لتقبل لهم مثل هذا انهم بأكلون الطعام ويعشون في الاسواق
 كما قال تعالى في موضع آخر ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك (وجعلنا) أي بالاعطاء والمنع
 بما لنا من العظمة (بعضكم) أي أيها الناس (لبعض قننة) أي بليمة والمعنى أنه تعالى ابتلى المرسلين
 بالمرسل اليهم وبما نصبتهم والعداوة لهم وأقاويلهم الخارجة عن حد الانصاف وبجعل الغنى
 قننة للفقير والصحيح قننة للمريض والشريف قننة للوضيع يقول الثاني من كل مالى لأكون
 كالاول وقال ابن عباس جعلت لبعضكم بلاء لبعض لتصبروا على ما تمعون منهم وترون
 من خلافهم فتنبعوا الهدى أم لا وقال مقاتل نزلت هذه الآية في أبي جهل والوليد بن عتبة
 والعاصم بن وائل والنضر بن الحرث وذلك أنهم رأوا اباذروا بن مسعود وعمارا وبلالا وصهبا
 وعامرا بن فهيرة ومن دونهم قد أسلوا قبلهم فقالوا أناسلم ونكون مثل هؤلاء وقيل جعلنا لك قننة
 لهم لانك لو كنت غنيا صاحب كنوز ووجبات لكان ميلهم اليك وطاعتهم لك للدينافسكون
 بمزوجة بالدنيا وانما به ثباتك فقيرا لتكون طاعة من يطيعك خاصة لوجه الله من غير طمع دينوى
 وقوله تعالى (أتصبرون) أي على ما تمعون مما بتليته به استفهام بمعنى الامر أي اصبروا (وكان
 ربك) أي المحسن اليك احسانا لم يحسنه الى أحد سواك لاسيما يجعلك نبياعدا (بصيرا) أي بكل
 شئ فهو عالم بالانسان قبل الامتحان لم يفده ذلك علمالم يكن عنده ولكن يعلم ذلك شهادة كما يعلم
 علم الغيب ولتقوم عليهم بذلك الحجة فلا يضيعتن صدورك ولا تستعصقن أقاويلهم فان صبرك عليها
 سعادتك وفوزك في الدارين روى أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا نظر أحدكم من فضل عليه في
 المال والجسم قلينظر الى من هو دونه في المال والجسم وروى انظر الى من هو أسفل منك ولا
 تنظروا الى من هو فوقكم حذر أن تزدروا نعمة الله عليكم * الشبهة الرابعة لمنكري نبوة محمد صلى
 الله عليه وسلم قوله تعالى (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) أي لا يخافون البعث قال القراء الربا
 بمعنى الخوف لغة تهامة ومنه قوله تعالى مالكم لا ترجون لله وقارا أي لا تخافون لله عظمة
 (لولا) أي هلا ولا (أترل) أي على أي وجه كان من أي منزل كان (علينا الملائكة) كما نزلت
 عليه فيما يزعم وكانوا رسلا النبأ وتفخيرا بصدقه (أونرى ربنا) مما له علينا من الاحسان وبما لنا
 نحن من العظمة بالقوة بالاموال وغيرها فأي امرنا بما يريد من غير حاجة الى واسطة قال الله ردنا
 عليهم (لقد استكبروا) أي تعظموا (في شأن) أنفسهم) أي أظهرها والاستكبار عن الحق
 وهو الكفر والعداوة في قلوبهم واعتقدوه كما قال تعالى ان في صدورهم الاكبر ما هم يبالغه
 (وعتوا) أي تجاوزوا الحد في الظلم (عتوا كبيرا) أي بالغوا أقصى مراتب حيث عاينوا المعجزات
 الظاهرة فأعرضوا عنها واقترحوا انفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطامع النفوس القدسية
 واللام جواب قسم محذوف وفي غوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ تعجب الأثرى

أن المعنى ما أشد استكبارهم وما أكبر عقوبتهم * ثم بين تعالى لهم حالهم عند بعض ما طلبوا بقوله
 تعالى (يوم يرون الملائكة) أي يوم القيامة وقال ابن عباس عند الموت (لابشري) أي من البشر
 أصلاً (يومئذ) وقوله تعالى (المجرمين) أي الكافرين أما ظاهر في موضع ضمير وأما لأنه عام
 فقد تناولهم بعمومه بخلاف المؤمنين فلهم البشري بالجنسة * (تنبيه) * في نصب يوم أو وجه
 أحدها أنه منصوب بأخبار فعل يدل عليه قوله تعالى لابشري أي يمنعون البشري يوم يرون
 الثاني بإذراك فيكون مفعولاً به الثالث يهدون مقدرًا ولا يجوز أن يعمل فيه نفس البشري
 لوجهين أحدهما أنها مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله والثاني أنها منفية بلا وما بعد لا يعمل
 فيما قبلها وقوله (ويقولون) أي في ذلك الوقت (حجرًا محجورًا) عطف على المدلول ويقول الكفرة
 لهم حينئذ هذه الكلمة استعازة وطلب من الله تعالى أن يمنع لقاء الملائكة عنهم مع أنهم كانوا
 يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه وهم إذا رأواهم عند الموت أو يوم القيامة كرهوا لقاءهم
 وفزعوا منهم لأنهم لا يلقونهم إلا بما يكرهون وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو
 والشداء النازلة أو نحو ذلك حجرًا محجورًا يضعونها موضع الاستعازة فهم يقولون ذلك إذا عابوا
 الملائكة قال سيويه يقول الرجل للرجل تفعل كذا وكذا فيقول حجرًا وهي من حجره إذا منع
 لأن المستعذ طالب من الله أن يمنع المكروه عنه فلا يلحقه وكان المعنى أسأل الله أن يمنع ذلك
 منعًا ويحجره حجرًا وقال ابن عباس تقول الملائكة حرامًا محترماً أن يدخل الجنة إلا من قال
 لا إله إلا الله وقيل إذا خرج الكفار من قبورهم تقول الملائكة لهم حرام محرم عليكم
 أن تكون لكم البشري * ولما كان المريد لا يظال شيء لشدته كراهته له لا يقع في إبطاله بغيره بل
 يأتيه بنفسه فيبطله عبرة تعالى بقوله (وقدمنا) أي وعمدنا بما نأمن العظمة والقدرة الباهرة في
 ذلك اليوم الذي يرون فيه الملائكة سواء كان في الدنيا أم في الآخرة (إلى ما عملوا من عمل)
 أي من مكارم الأخلاق من الجود وصله الرحم وإغاثة الملهوف ونحو ذلك (لجملتهن) أي كونه
 ليؤسس على الإيمان وانما هو للهوى والشيطان (هباءً) وهو ما يرى في شعاع الشمس
 الداخل من كوة مما يشبه الغبار (منثورًا) أي مفرقًا أي مثله في عدم النفع إذا ثواب فيه لعدم
 شرطه في يجازون عليه في الدنيا فتكون النار سستهم ومقبلهم ولهذا بين حال اضدادهم
 وهم المؤمنون بقوله تعالى (أصحاب الجنة يومئذ) أي يوم أذرون الملائكة (خير مستقترًا)
 من الكفار (وأحسن مقيلاً) منهم والمستقتر المكان الذي يكونون فيه في أكثر أوقاتهم
 مستقترين فيجالسون ويتجادون والمقيل المكان الذي يأوون إليه للاستراحة إلى أزواجهم
 والتمتع بغير أزواجهم وملاستقتر كما ان المترفين في الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب روي أنه يفرغ
 من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار قال ابن مسعود
 لا يتصف النهار يوم القيامة حتى يقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وقال ابن
 عباس في هذه الآية الحساب في ذلك اليوم في أوله وقال يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى
 يكون قد واصل العصر إلى غروب الشمس * (تنبيه) * في فعل ههنا قولان أحدهما أنها على

بأهل من التفضيل والمعنى ان المؤمنين خيري الاخرة مستقر من مستقر الكفار وأحسن
 مضلا من مضاهم ولو فرض أن يكون لهم ذلك أو على أنهم خيري الاخرة منهم في الدنيا والثاني
 أن يكون مجرد الوصف من غير مفاضله ومن ذلك المعنى قوله تعالى ان أصحاب الجنة اليوم في
 شغل فاكفونهم وأزواجهم في ظلال على الارائك متكئون ذكر وافي تفسير الشغل اقتضاض
 الأيكار وانما سمي مكان دعوتهم واسترواحهم الحورم قفلا مع أنه لا يوم في الجنة على طريق
 التشبيه * ثم عطف تعالى على قوله يوم يرون قوله تعالى (ويوم تشقق السماء) أي كل سماه
 (بالغمام) أي كما تشقق الارض بالنبات فيخرج من خلال شقوقها وهو غيم أبيض رقيق مثل
 الضبابه ولم يكن الالبي اسرائيل في تيمهم * (تبيه) في هذه الباء ثلاثة أوجه أحدها انها
 سمية أي بسبب الغمام يعني سبب طلوعه منها ونحوه السماء منظره كانه الذي تشقق به
 السماء الثاني أنها للعالم أي ملتبسة بالغمام الثالث أنها بمعنى عن أي عن الغمام كقوله تعالى
 يوم تشقق الارض عنهم سراعا والباء وعن يتعاقبان تقول رميت عن القوس وبالقوس وقرأ
 أبو عمرو والكوفيون بتخفيف الشين والباقون بتشديدها ثم أشار تعالى الى جهل من طلب
 نزول الملائكة دفعة واحدة بقوله تعالى (وزل الملائكة) أي بالتدرج بأمر حرم لا يمكنهم
 التخلف عنه بأمر من الامور وغيرة من الذين طلبوا أن يروهم في حال واحد (تترابلا) في أيديهم
 صحائف الاعمال قال ابن عباس تشقق السماء الدنيا فنزل أهلها وهم أكثر من في الارض من
 الجن والانس ثم تشقق السماء الثانية فنزل أهلها وهم أكثر من أهل سماه الدنيا وأهل
 الارض جفا وانما سمي كذلك حتى تشقق السماء السابعة وأهل كل سماه يدورون على السماء
 التي قبلها ثم تنزل الكروبيون ثم حلة العرش (فان قيل) ثبت أن نسبة الارض الى سماه الدنيا
 ككفة في فلاة فكيف نسع الارض هؤلاء (أجاب) بعض المفسرين بأن الملائكة تكون في
 الغمام والغمام يكون مقر الملائكة ويجوز ان الله تعالى يوسع الارض حتى تسع الجميع وقرأ
 ابن كثير بنونين الاولى مضمومة والثانية ساكنة وتخفيف الزاي ورفع اللام ونصب الملائكة
 والباقون بنون واحدة والزاي مشددة ونصب اللام ورفع الملائكة ثم بين تعالى أن ذلك اليوم
 لا يقضى فيه غيره بقوله تعالى (الملك يومئذ) أي اذن تشقق السماء بالغمام ثم وصف الملك بقوله
 تعالى (الحق) أي الثابت بثباته لا يمكن زواله ثم أخبر عنه بقوله تعالى (الرحمن) أي العام الرحمة
 في الدارين ومن عموم رحمة وحضه ما سكته أن يسر قلوب أهل وده تعذيب أهل عادونه
 الذين عادوهم فيه لتضييعهم الحق بأبصار الباطل ولولا اتصافه بالرحمة لم يدخل أحد الجنة (فان
 قيل) مثل هذا الملك لم يكن قط الا للرحمن فما الغائبة في قوله تعالى يومئذ (أجيب) بأن في ذلك
 اليوم لا مالكه سواه لافي الصورة ولا في المعنى فتخضع له الملوذ وتقول له الوجود وتذل له الجبارة
 بخلاف سائر الأيام (وكان) أي ذلك اليوم الذي تظهر فيه الملائكة الذي طلب الكفار رؤيتهم له
 (يوما على الكافر ينهيرا) أي شديد العسر والاستعار * (تبيه) هذا الخطاب يدل على أنه
 لا يكون على المؤمنين عسيرا جاء في الحديث أنه يهون يوم القيامة على المؤمن حتى يكون عليه

قوله وغيره الضمير
 عائدا على من طلب
 باعتبار معناه هـ

أخف من صلاة مكتوبة صلاحها في الدنيا وقوله تعالى (ويوم يعرض الظالم) أي المشرك لقرط
تأسفه لما يرى فيه من الأهوال المعمول له ذوف أو معطوف على يوم تشقق وأل في الظالم تحتل
العهد والجنس لكن قال ابن عباس أراد بالظالم عقبة بن أبي معيط بن أمية بن عبد شمس كان
لا يقدم من سفر الا صنع طعاما ودعا اليه جهر اجيرانه وأشرف قومه وكان يكثر مجالسة النبي
صلى الله عليه وسلم ويحببه حديه فقدم ذات يوم من سفر فصنع طعاما ودعا الناس ودعا النبي
صلى الله عليه وسلم فلما قرب الطعام قال النبي صلى الله عليه وسلم ما أنا بأكل طعامك حتى تشهد
أن لا اله الا الله واني رسول الله فقال عقبة أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله
فأكل صلى الله عليه وسلم من طعامه وكان عقبة صديقا لابي بن خلف فلما أتى أبي بن خلف قال له
يا عقبة صيبت فقال لا والله ما صيبت ولكن دخل على رجل فابى أن يأكل طعامي الا أن أشهده
فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم والشهادة تسببت في نفسي فقال ما أنا بالذي
أرضى منك أبدا الا أن تاتيه وتبصق في وجهه وتطأ قدمه وتلمم وجهه وعينه فوجده ساجدا في
دار الندوة ففعل ذلك عقبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا ألتك خارجا من مكة الا علوت رأسك
بالسيف فقتل عقبة يوم بدر صبرا أمر عليا رضي الله عنه فقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت بن أفلح
الانصاري وأما أبي بن خلف فقتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده يوم أحد طعنه في المارزة فرجع
الى مكة ومات قال الضعالم لما صق عقبة في وجه النبي صلى الله عليه وسلم عاد بصاقه في وجهه
فاحترق خده فكان أثر ذلك فيه حتى مات وقال الشعبي كان عقبة خليل أمية فأسلم عقبة
فقال أمية وجهي من وجهك حرام ان يابعت محمدا فكفر وارتد فأرسل الله تعالى ويوم يعرض
الظالم أي عقبة (على يديه) قال الضعالم بأكل يديه الى المرفق ثم تبت ولا يزال هكذا كلما
أكلها تبت وقال المحققون هذه اللفظة للتخسر والنم يقال عرض أنامله وعض على يديه وهو
لا يشعر حال كونه مع هذا الفعل (يقول) أي يجتدي كل لحظة قوله (يا ليتني اتخذت) أي
أرغمت نفسي وكأنتها أن أخذ في الدنيا (مع الرسول) أي محمد صلى الله عليه وسلم (سبيلا)
أي طر يقا الى الهدى * ولما تأسف على مجاورة الرسول ندم على مصادقة غيره بقوله (يا ويلتي)
أي يا هلاكى الذى ليس لى منادم غيره لانه ليس يحضرنى سواه (ليتني لم أتخذ فلانا) أي أيبسا
(خليلا) أي صديقا واقفه في أعماله لما علمت من سوء عاقبتهم فكفى عن اسمه وان أريد به الجنس
فكل من اتخذ من الضلن خليلا كان خليله اسم علم عليه لا محالة فجعله كناية عنه وقرأ أبو عمرو
بفتح الميم والباقون بالسكون وأظهر الدال عند التاء ابن كثير وحفص وأدغمها الباقون ثم
استأنف قوله الذى يتوقع كل سامع أن يقوله (أقد) أي والله لقد (أضلنى عن الذكر) أي عمى على
طريق القرآن الذى لا ذكر فى الحقيقة غيره وصرفى عنه والجله فى موضع العلة لما قبلها (بعد
اذجائى) ولم يكن لى منه مانع يرتقى عن الايمان به وقرأ نافع وابن ذكوان وعاصم باظهار الدال
والباقون بالادغام وقوله تعالى (وكان الشيطان) اشارة الى خليله سماه شيطانا لانه أضله
كياضل الشيطان وأولى كل من كان سبيلا للضلال من عمارة الجن والانس (للانسان خذولا) أي

شديد الخذلان بورده ثم يسله الى أكره ما يكون لا ينصره ولو أراد ما استطاع بل هو في شر من ذلك
لأن عليه ائمه في نفسه ومثل اثم من أضله * (تنبيه) * حكم هذه الآية عام في كل خليلين ومتعابين
اجتمعوا على معصية الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل
المسك ونافخ الكبر فامل المسك أما أن يجديك وأما ان يتناع منه وأما أن تجدي بحاطبية
ونافخ الكبر أما أن يحرق ثيابك وأما أن تجدي بحاخبيته وقال صلى الله عليه وسلم المرء على
دين خليله فليتنظراً - دمكم من يخالل وقال صلى الله عليه وسلم لاتصاحب الامؤمنا ولا يابأ كل
طعامك الا تقي * ولما ذكر تعالى أقوال الكفار ذكروا رسول محمد صلى الله عليه وسلم بقوله
تعالى (وقال الرسول يا رب) أي أيها المحسن الى بأنواع الاحسان وعبر بإداة البعد هضمها
لنفسه ومباغفة في التضرع (ان قومي) أي قريشا الذين لهم قوة وممنة (اتخذوا هذا
القرآن) أي المقتضى للاجتماع عليه والمبادرة اليه (مهجورا) أي متروكا بعيد الموثوق به
ولم يقبلوه وأعرضوا عن استماعه * (تنبيه) * أشار بصفة الاعتعال الى أنهم عاجلوا أنفسهم
في تركه علاجا كثيرا المايرون من حسن نظمه ويزدون من لذيذ معانيه ورائق أساليبه واطيف
عجائبه وبديع غرائبه وأكثروا المنسرين على أن هذا القول وقع من النبي صلى الله عليه
وسلم وقال أبو مسلم بل المراد أنه يقوله في الآخرة كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة
بشهاد الاية والاولى لأن قوله تعالى (وكذلك) أي كما جاءه لئلا يصدق من مشركي قومك
(جعلنا لكل نبي) من الانبياء قبلك رفعة لدرجاتهم (عدوا من الجرمين) أي من المشركين
تسليه صلى الله عليه وسلم كأنه تعالى يقول له فاصبر كما صبروا ولا يكون ذلك الا اذا وقع القول
منه (وكفى بربك) أي المحسن اليك (هاديا) أي يهدي بك من قضى بسعادته (ونصيرا) أي ينصرك
على من حكم بشقاوته * (تنبيه) * اخرج أهل السنة بهذه الآية على أنه تعالى خلق الخبير والنسر
لأن قوله تعالى لكل نبي عدو فايدل على أن تلك العداوة من جعل الله تعالى وتلك العداوة كفر
(فان قيل) قوله تعالى يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا كقول نوح عليه السلام رب
انني دعوت قومي لبالونهم اراهم يزهدهم دعائي الا فارا فكم ان المقصود من هذا انزال العذاب
فكذلك ما هنا فكيف يليق هذا بمن وصفه الله تعالى بالرجة في قوله تعالى وما أرسلناك الا رجة
للعالمين (أجيب) بأن نوحا عليه السلام لما ذكر ذلك دعا عليهم وأما النبي صلى الله عليه وسلم
لما ذكر هذا المريد عليهم بل انتظر فلما قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا كان ذلك
كلاما له بالصبر على ذلك وترك الدعاء عليهم فافترقا * الشبهة الخامسة لمنكري التوبة ما حكاه الله
تعالى عنهم بقوله تعالى (وقال الذين كفروا) أي الذين غطوا عداوتهم - سدا مات شهد عقولهم
بصفتهم من أن القرآن كلام الله تعالى لا يجاهزه لهم مفترقا فضلا عن كونه محجة (لولا) أي هلا
(انزل عليه القرآن) أي أنزل كغيره في آخر لئلا يناقض قولهم (بجمله) وأكثروا بقولهم
(واحدة) أي من أوله الى آخره كما أنزل التوراة على موسى والانجيل على عيسى والزيور على
داود ولصحق أنه من عند الله تعالى ويزول عما اتوههم من أنه الذي يرتبه قليلا قليلا وهذا

الاعتراض في غاية السقوط لان الاعجاز لا يتوقف بنزوله جملة أو متفرقا مع أن للتفریق فوائد
 منها ما أشار اليه بقوله تعالى (كذلك) أي أنزلناه شيئا فشيئا هل هذا الوجه العظيم الذي أنكره
 (الكتبت) أي تقرى (به فؤادك) أي قلبك تنعجه وتحفظه لأن المتلقن إنما يقوى قلبه على
 حفظ العلم شيئا فشيئا وجزء عقب جزء ولو أتى عليه جملة واحدة لتعبا بحفظه والرسول صلى
 الله عليه وسلم فارت حاله حال داود وموسى عليهما السلام وعيسى حيث كان أميالا يقرأ ولا
 يكتب وهم كانوا قارئين كاتبين فلم يكن له بدمن التلقن والتصفى فأنزله الله عليه منجبا في عشرين
 سنة وقبل في ثلاث وعشرين سنة وأيضاً فكان ينزل على حسب الحوادث وجوابات السائلين
 ولأن بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتأتى ذلك إلا فيما أنزل مفرقا (فان قبيل) ذاق كذلك
 يجب أن يكون إشارة الى شئ تقدمه والذي تقدم هو انزاله جملة فكيف فسر كذلك بأنزلناه
 مفرقا (أجيب) بأن الإشارة الى الانزال مفرقا الى جملة والدليل على فساد هذا الاعتراض
 أيضا أنهم عجزوا عن أن يأتيوا بفهم واحد من نجومه ونحوه وإيسوره واحدة من أقصر السور
 فأبرزوا صفة عجزهم وسجلوا به على أنفسهم حين لا ذوا بالناصبية وقزعوا الى المجاذبة ثم
 قالوا هل أنزل جملة واحدة كأنهم قدروا على تفاريقه حتى يقدروا على جملة وقوله تعالى
 (ورتلناه ترتيلا) معطوف على الفعل الذي تعلق به كذلك كأنه قال تعالى كذلك فرقناه ورتلناه
 ترتيلا ومعنى ترتيله قال ابن عباس ينام ينام والترتل التبيين في تودة وثبت وقال السدي
 فصلناه تفصيلا وقال مجاهد بعضه في اثره وض وقال الحسن تقرىفا آية بعد آية ووقعة عقب
 وقعة ويجوز أن يكون المعنى وأمرنا بترتل قراءته وذلك قوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا أي
 اقرأه بترتل وثبت ومنه حديث عائشة رضيت الله تعالى عنها في صفة قراءته لا كسر دكم هذا
 لو أراد السامع أن يعده حروفه لعدّها وقيل هو أن تنزله مع كونه ممتدة فاعلى عنك وقهل في مدة
 متباعدة وهي عشرون سنة ولم تفرقه في مدة متقاربة * ولما كان التقدير قد بطل ما أتوا به من
 هذا الاعتراض عطف عليه (ولا يا أولئك) أي يا أشرف الخلق أي المشركون (بمثل) أي باعتراض
 في ابطال أمرهم يخيلون به لعقول الضعفاء يجتهدون في تخنيقه وتحسينه وتدقيقه حتى يصبر
 عندهم في غاية الحسن والرشاقة لفظا ومعنى (الاجتنالك) في جوابه (بالحق) أي الذي
 لا محمد عنه فيزعم ما أتوا به لبطالانه فسمى ما يوردون من الشبهه مثل ما يسمى ما يدفع به الشبهه حقا
 (وأحسن) أي من مثلهم (تفسيرا) أي بياناً وتفصيلاً * ولما كان التفسير هو التفسير
 عملياً عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسيره هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه
 كذا وكذا أو لا يا أولئك بحال وصفة هجيبية يقولون هلا كانت هذه صفتك وحالك فتعوان بقرون
 بك ملك ينذر معك أو يلقى اليك ككزاً وتكون لك جنة أو ينزل عليك القرآن جملة واحدة
 إلا أعطيناك نحن من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا أن تعطاه وما هو أحسن
 فكشفا لما بعثت عليه ودلالة على حصته * ثم بين تعالى حال هؤلاء المعاندين في الاخرة بقوله
 تعالى (الذين) أي هم الذين (يبحشرون) أي يجمعون قهراً ما حين مقوليين (على وجوههم)

مسحورين (الى جهنم) أى كما أنهم لم ينظروا فى الدنيا بعين الانصاف فان الآخرة صر آة
 الدنيا مهما عمل هنا رآه هناك كما أن الدنيا من رعة الآخرة مهما عمل فيها حتى ثمه هناك روى
 البخارى أن رجلا قال يا بنى الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال الذى أمشاه
 على الرجلين فى الدنيا فادرا أن يشبهه على وجهه يوم القيامة وروى البيهقى يحشر الناس يوم
 القيامة على ثلاثة أوصاف صنف على الدواب وصنف على الوجود وصنف على الاقدام * ولما
 وصف الله تعالى المتعنتين فى أمر القرآن بهذا الوصف استأنف الاخبار عنهم بقوله تعالى
 (أولئك) أى البعداء البغضاء (نمر) أى شر الخلق (مكانا) هو جهنم (وأصل سيلا) أى أخطأ
 طريقا من غيرهم وهو كفرهم * ولما قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين
 وذكر ذلك فى معرض التسلية له صلى الله عليه وسلم ذكر قصص جماعة من الانبياء وعرفه تكذيب
 أهمهم زيادة فى تسليته * القصة الاولى قصة موسى عليه السلام المذكورة فى قوله تعالى (ولقد
 آتينا) أى بالنامن العظيمة (موسى الكتاب) أى التوراة (وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا) أى
 معيننا (فان قيل) كونه وزيرا كلنا فى لكونه شريكا فى النبوة والرسالة (أجيب) بأنه لا منافاة
 بين النبوة والرسالة والوزارة فقد كان يعث فى الزمن الواحد انبياء متعددون ويؤمنون
 بأن يوازي بعضهم بعضا (تنبيه) هرون بدل أويان أو نصب على القطع ووزير مفعول ثان
 وقيل حال والمفعول الثانى معه ويدل على رسالة هرون عليه السلام قوله تعالى (فقلنا اذها
 الى القوم) أى الذين فيهم قوة وقدرة على ما يعاونونه وهم القبط فرعون وقومه (الذين كذبوا
 بآياتنا) فذهب اليهم بالرسالة فكذبوهما (فدمرناهم تدميرا) أى أهل كلهم اهلا كما أى فانت
 يا محمد لست أول من كذب من الرسل فلك اسوة بمن قبلك (فان قيل) الفاء للتعقيب والاهلال لم
 يحصل عقب بعثة موسى وهرون اليهم بل بعده بفترة مديدة (أجيب) بأن فاء التعقيب محمولة هنا
 على الحكم باهلا كهم لاعلى الوقوع أو على أنه على ارادة اختصار القصة فاقصر على حاشيتها
 أى أولها وآخرها لانها المقصودان من القصة بطولها أعنى الزام الحجية ببعثة الرسل واستصفاق
 التدمير بكذبهم * (تنبيه) قوله تعالى كذبوا بآياتنا ان جعلنا تكذيب الآيات على الآيات
 الالهية فهو ظاهر وان جعلناه على تكذيب آيات النبوة فاللفظ وان كان للماضى فالمراد به
 المستقبل * القصة الثانية قصة نوح عليه السلام المذكورة فى قوله تعالى (وقوم) أى ودمرنا
 قوم (نوح لما كذبوا الرسل) كأنهم كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل صريحا أو كان تكذيبهم
 لواحد منهم تكذبا للجميع بالقوة لان المعجزات هى البرهان على صدقهم وهى تساوية
 الاقدام فى كونها خوارق لا يقدر على معارضتها فالتكذيب بنسبها منها تكذيب للجميع أو لم يروا
 بعثة الرسل أصلا كالبراهمة وهم قوم يمنون بعثة الرسل نسبوا الى رجل يقال له برهام قدمه
 لهيهم ذلك وقتره فى عقولهم ولانهم عللوا تكذيبهم بأنه من البشر فلزمهم تكذيب كل رسول من
 البشر * ثم بين تعالى تدميرهم بقوله تعالى (أغرقتناهم) قال الكلبى أمطرنا عليهم السماء أربعة
 يوما وأخرج ماء الارض أيضا فى تلك الاربعين فصارت الارض بجزا واحدا (وجعلناهم) أى

قوم نوح في ذلك (للتاس آية) أي لمن بعدهم عبرة ليعتبر كل من سلك طريقهم (وأعدنا) أي
 ههنا في الآخرة (لظالمين) أي للكافرين وكان الأصل لهم ولكنه تعالى أظهر تعميما
 وتعليفا للحكم بالوصف (عدنا ألبما) أي مؤلما سوى ما يحمل بهم في الدنيا * القصة الثالثة قصة
 هود عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (وعادا) أي ودمرنا عادا قوم هود بالريح * القصة
 الرابعة قصة صالح عليه السلام المذكورة في قوله (وعودا) أي ودمرنا عودا قوم صالح
 بالصيحة * القصة الخامسة المذكورة في قوله تعالى (وأصحاب الرس) أي البئر التي هي غير مطوية
 أي بنية قال ابن جرير والرس في كلام العرب كل محفور مثل البئر والقبر أي ودمرناهم
 بالحدف واختلف في نبيهم فقبل شعيب وقبل غيره كانوا قعودا حولها فانهارت بهم وبمنازلهم
 فهلكوا جميعا وقال الكلبى الرس يثر بفتح اليمامة قتلوا نبيهم فأهلكهم الله تعالى وفتح بفتح الفاء
 واللام والبطيم قرية عظيمة بناحية اليمن من مساكن عاد وبسكون اللام واد قريب من البصرة
 وقيل الرس الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا التجار وقيل أصحاب حنظلة بن
 صفوان كانوا مبتلين بالعنقاء وهي أعظم ما يكون من الطير سميت بذلك لطول عنقها وكانت
 تسكن جبلهم الذي يقال له فتح قيل هو بناء فوقية فخاء معجمة أو مهله وبياء تية وجم وهي
 تنقض على صيانتهم فتحطفهم ان أعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة ثم انهم
 قتلوا حنظلة فأهلكوا (وقرونا) أي ودمرنا قرونا (بين ذلك) أي الامر العظيم المذكور وهو
 بين كل أمتين من هذه الامم وقد ذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير إليها بذلك ويحسب الحساب
 أعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى فذلك المحسوب أو المعدود ثم قال الله
 تعالى (كثيرا) وناهيك بما يقول فيه سبحانه وتعالى انه كثير وأسند البغوي في تفسير أمة
 وسطا في البقرة عن أبي سعيد الخدري قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بعد صلاة
 العصر فماتر لشيئا الى يوم القيامة الا ذكره في مقامه ذلك حتى اذا كانت الشمس على رؤس
 النخل وأطراف الحيطان قال انه لم يبق من الدنيا فيما مضى الا كباقي من يومكم هذا الا وان هذه
 الامة توفى سبعين أمة هي آخرها وكرمها على الله عز وجل ثم انه تعالى قال تسليمة لئيبه محمد
 صلى الله عليه وسلم وناسية وبيان الشر بعته بالعمو عن أمتهم (وكلا) أي من هذه الامم
 (ضربنا) أي بما لنا من العظمة (له الامثال) حتى وضع له السبيل وقام من غير شبهة الدليل
 (وكلا ضربنا تبيرا) أي أهلكنا أهلا كما قال الاخفش كسرنا تكمسيرا وقال الزجاج كل
 شيء كسرته وقتته فسد تبره (ولقد أتوا) أي هؤلاء المكذبون من قومك (على القرية التي
 أمطرت) أي وقع امطارها من لا يقدروا على الامطار سواها بالحجارة ولذا قال تعالى (مطر السوء)
 مصدر ساء وهي قرى قوم لوط قال البغوي كانت خمس قرى فأهلك الله تعالى أربعها منها
 لعلمهم الفاحشة وبجنتهم واحدة منهم وهي صغر وكان أهلها لا يعملون العمل الخبيث (فان
 قيل) لم عبرت على بالقرية وهي قرى (أجيب) بأنه تعالى قال ذلك تحقيرا شأنها في جنب قدرته
 تعالى واهانة لمن يريد عذابه ولا نهما كهم على الفاحشة جميعهم حتى كانوا كائنا منهم شيء واحد

وقوله تعالى (أنهم يكونون رويهم نابل كالأبرجون) أي لا يخافون (نشورا) أي بعثا
 بعد الموت لأنه استقر في أنفسهم اعتقادهم التكذيب بالآخرة واستمروا عليه قرنا بعد
 قرن حتى تمكن منهم ذلك ~~تسكينا~~ لا ينفج معه الاعتبار الامن شاء الله (وآذرا أولئك) أي مع
 ما يعلمون من صدق حديثك وكرم أفعالك ولولم تأتهم بحجزة فكيف وقد أتيتهم بما بهر العقول
 (إن) أي ما (يتخذونك الأهزوا) أي مهزواً بك وعبر تعالى بالمصدر إشارة الى ما بلغتهم
 في الاستهزاء مع شدة بعده صلى الله عليه وسلم عن ذلك يقولون (أهذا الذي بعث الله رسولا)
 أي في دعواه محتمرين له أن تأتيه الرسالة وقوله (إن) محففة من النقلة أي أنه (كألدنيا)
 أي بصرفنا (عن آلهتنا) أي عن عبادتها بفرط اجتهاده في الدعاء الى التوحيد وكثرة ما يورد
 مما سبق الى الذهن انها حجج ومعجزات (لولا ان صبرنا) أي بما لنا من الاجتماع والتعاقد
 (عليها) أي على التمسك بعبادتها قال الله تعالى (وسوف يعلمون) أي في حال لا يتفهم
 فيه العمل ولا العلم وان طالتمدة الامهال في التمكين (حين يرون العذاب) عيانا في الآخرة
 (من أضل سبيلا) أي أخطأ طريقاً هم أم المؤمنون * ولما كان صلى الله عليه وسلم حريصا
 على رجوعهم ولزوم ما ينفعهم واجتناب ما يضرهم سلاه تعالى بقوله تعالى متحجبا من حالهم
 (أرايت) أي أخبرني (من اتخذ الله هواه) أي أطاعه وبخ عليه دينه لا سمع حجة ولا نظر
 دليلا (فان قيل) لم آخرهواه والاصل قولك اتخذ الهوى الها (أجيب) بأنه ما هو الا التقدير
 المفعول الثاني على الاول العناية كما تقول علمت منطلقا زيدا النضل عنيتك بالمنطلق ولما كان
 لا يقدر على صرف الهوى الا الله تعالى تسبب عن شدة حرصه على هداهم قوله تعالى (أأنت
~~تكون~~ عليه زكيلا) أي حافظا تحفظه من اتباعه هواه لا قدرة لك على ذلك (أم تحسب
 أن أكثرهم) أي هؤلاء المدعوقين (يسمعون) أي سماع من ينزجر ولو كان غير عاقل كالبهائم
 (أو يقولون) أي كالبهائم ما يرون وان لم يكن لهم سمع حتى تقطع في رجوعهم باختيارهم من
 غير قسر (فان قيل) انه تعالى لما نفي عنهم السمع والعقل فكيف ذمهم على الاعراض عن الدين
 وكيف بعث اليهم الرسول فان من شرط التكليف العقل (أجيب) بأنه ليس المراد أنهم سم
 لا يعقلون شيأ بل المراد أنهم لم ينتفعوا بذلك العقل فهو كقول الرجل لغيره اذا لم يفهم انما أنت
 أعمى وأصم (فان قيل) لم خص الاكثر بذلك دون الكل (أجيب) بأنه كان منهم من آمن
 ومنهم من عقل الحق فكبار استكبارا وخوفا على الرئاسة ولما كان هذا الاستفهام مفيدا
 للنفى استأنف ما فهمه بقوله تعالى (إن) أي ما (هم) ألا كالانعام) أي في عدم انتفاعهم بقرع
 الآيات آذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات (بل هم أضل) أي منها
 (سبيلا) لانها فتاد لن يتهدوا وتميزن يحسن اليها بمن يسى اليها وتطلب ما يتفهمها
 وتتجنب ما يضرها وتهدى لمراعيها ومشاربها وهؤلاء لا يتقادون ربه ولا يعرفون احسانه
 اليهم من اساءة الشيطان الذي هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع ولا يتقون
 العقاب الذي هو أشد المضار والمهلك ولا يهتدون للعق الذي هو المشرع الهني والعذب الروي

* ولما بين تعالى جهل المعرضين عن دلائل التوحيد وبين فساد طريقتهم ذكر أنوفاً من
 الدلائل على وجود الصانع أولها الاستدلال بالنظر إلى حال الظل مخاطباً برأس المخلصين
 الناظرين هذا النظر حثاً لاهل وده على مثل ذلك بقوله تعالى (المرت) أى تنظر (الربك)
 أى إلى صنعه وقدرته (كيف مذكراً للظل) وهو ما بين طلوع الصبح إلى طلوع الشمس يجعله عموداً
 لأنه ظل لا شمس معه كما قال تعالى فى ظل الجنة وظل عموداً لم يكن معه شمس وإن كان بينهما
 فرق وهو الليل لأن ظل الأرض الممدود على قريب من نصف وجهها مدة تحجب نور الشمس
 عما قابل قرصها من الأرض حتى امتد بساطه وضرب فسطاطه ككاهن حجب ظل ضلالهم
 أنوار عقولهم وغفلت طباعهم نفوذ اسماعهم (ولو شاء لجله) أى الظل (سأ كان) أى دائماً ثابتاً
 لا يزول ولا تذهب الشمس لا صقاً بأصل كل منزل من جبل وبناء وشجر غير منبسط فلم تنفع به
 أحد سوى انبساط الظل وامتداده بحر كامن وعدم ذلك سكوناً لكنه تعالى لم يشأ بل جعله
 متحركاً كما يسوق الشمس له وقال أبو عبيدة الظل ما نسخته الشمس وهو بالقدرة والنبي ما منحن
 الشمس وهو بعد الزوال سمي فداً لأنه فاء من جانب المشرق إلى جانب المغرب (ثم جعلنا الشمس
 عليه) أى الظل (دليلاً) أى إن الناس يستدلون بالشمس وأحوالها فى مسيرها على
 أحوال الظل من كونه ثابتاً فى مكان أو زائلاً ومتسعاً ومتقلصاً فلم تكن الشمس لما
 عرف الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة والأشياء تعرف باضدادها (ثم قبضناه) أى انقل
 (الينا) أى إلى الجهة التى أردنا لا بقدر أحد غيرنا أن يحوله إلى جهة غيرها وانقبض جمع
 المنبسط من الشيء ومعناه إن الظل يجمع الأرض قبل طلوع الشمس فإذا طلعت قبض الله
 الظل (قبضاً يسيراً) أى على مهل وفى هذا القبض اليسير شيئاً بعد شئ من المنافع مما لا
 يعد ولا يحصى ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت أكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعاً
 وقيل المراد من قبضها يسيراً قبضها عند قيام الساعة وذلك قبض أسبابها وهى الأجرام
 التى تلقى الظلال وقوله تعالى يسيراً كقوله تعالى حشر علينا يسيراً (فإن قيل) ثم فى هذين
 الموضعين كيف موقعها (أجيب) بأن موقعها بيان تفاضل الأمور الثلاثة كان
 الثانى أعظم من الأول والثالث أعظم منهما تشبيهاً التبعاً بما بينهما من الفضل بتبعاً بما بين
 الحوادث فى الوقت * ولما تضمنت هذه الآية الليل والنهار وهو النوع الثانى قال تعالى مصرحاً
 بهما (وهو) أى ربك المحسن اليك وحده (الذى جعل) دليلاً على الحق واطهاراً للنعمة
 على الخلق (لكم الليل) أى الذى تكامل به مدة الظل (لباساً) أى ساتراً للأشياء شبه ظلامه
 باللباس فى ستره (والنوم سباتاً) أى راحة للابدان يقطع المشاغل هو عبارة عن كونه موتاً أصغر
 طويلاً لما كان من الاحساس قاطعاً لما كان من الشعور والتقلب فيه دلائل لاهل البصائر
 قال البغوى وغيره وأصل السبت القطع وفى جعله تعالى لخلق من القوائد الدينية والدينية
 ما لا يعد ولا يحصى وكذا فى قوله تعالى (وجعل) أى وحده (النهار تسويراً) أى منشوراً
 فيه لا بشيء الرزق وغيره وفى ذلك إشارة إلى أن النوم واليقظة أمران لهما الموت والتشور يحكى

ان لقمان قال لابنه يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشرب ثم ذكر النوع الثالث بقوله تعالى
 (وهو) أي وحده (الذي أرسل الرياح) وقرأه ابن كثير بالافراد لارادة الجنس وقرأه الباقون
 بالجمع لكونها تارة صبا وتارة بورا وتارة شمالا وتارة جنوبا وغير ذلك ويسن الدعاء عند هبوب
 الريح ويكره سبها لخبر الريح من روح الله تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب فاذا رأيتوها فلا تسبوها
 واسألوا الله خيرها واستعيذوا بالله من شرها رواه أبو داود وغيره باسناد حسن وقوله تعالى
 (نشرا) قرأه نافع وابن كثير وأبو عمرو بضم النون والشين أي ناشرات للسحاب وقرأه ابن
 عاصم بضم النون وسكون الشين على التخفيف وقرأه عاصم بالياء الموحدة مضمومة وسكون
 الشين جمع بشور بمعنى مبشر وقرأه حمزة والكسائي بفتح النون وسكون الشين على أنه
 مصدر وصفه (بين يدي رحمة) أي قدام المطر ولما كان الماء مسببا عما تحمله الريح من
 السحاب أتبعه به بقوله تعالى (وأزلنا) أي بما لنا من العظمة (من السماء) أي من السحاب
 أو الجرم المهور (ماء) ثم أبدل منه بيا للنعمة به فقال تعالى (طهورا) أي طاهرا في نفسه
 مطهرا لغيره كما قال تعالى في آية أخرى ليطهركم به فهو اسم لما يطهر به كالوضوء لما يتوضأ به
 وكالسحور اسم لما يتسحر به والظهور اسم لما يظفر به قال صلى الله عليه وسلم في البحر هو الظهور
 مأوؤه الحبل ميتته أراد به المطهر فالماء المطهر لانه يظفر الانسان من الحدث والخبث وذهب
 بعض الأئمة الى أن الظهور هو الطاهر حتى جوزوا إزالة نجاسة بالمناعات الطاهرة مثل الخل وردة
 بأنه لو جاز إزالة النجاسة بها لجاز إزالة الحدث بها وذهب بعض منهم الى أن الظهور ما يتكرر
 به التطهير كالصبر اسم لمن يتكرر منه الصبر والشكور اسم لمن يتكرر منه الشكر حتى
 جوزوا الوضوء بالماء الذي يتوضأ به مرة بعد مرة وردة بأن فعولا تأتي اسم الالة كسحور لما
 يتسحر به كما في فنجوز أن يكون طهورا كذلك ولو سلم اقتضاؤه التكرر فالمراد جمع ما بين الأدلة
 فان العبادة رضى الله عنهم لم يجتمعوا الماء في أسفارهم القليلة الماء بل عدلوا عنه الى التيمم
 ثبوت ذلك لجنس الماء أو في المحل الذي كان يميز عليه فانه يظهر كل جزء منه (النجي به) أي
 بالماء (بلدة ميتا) أي بالنبات وذكريتا باعتبار المكان (ونسقيه) أي بالماء وهو من أسقاه
 مزيد أسقاه وهما الفتان قال ابن القطاع سقيتك شرابا وأسقيتك والله تعالى أسقى عباده وأرضه
 (مما خلقنا أنعاما) أي بلا وبقرا وغنما (وأناسي كثيرا) جمع انسان وأصلها ناسين فأبدلت
 النون ياء وأدغمت فيها الياء أو جمع أنسى وقدم تعالى النبات لانه به حياة الانعام والانعام على
 الانسان لان بها كمال حياته (فان قيل) لم خص الانعام من بين ما خلق من الحيوان (أجيب) بأن
 الطير والوحش تعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الانعام ولانها قانية الاناسي وعامة
 منافعهم متعلقة بها فكان الانعام عليهم يسقى أنعامهم كالانعام بسقيهم (فان قيل) لما تكرر الانعام
 والاناسي ووصفها بالكثرة (أجيب) بأن جل الناس منيخون بالقرب من الودية والانهار ومنابع
 الماء فيهم غنية عن سقى السماء فأعقابهم وهم كثير منهم لا يعيشون الا بما ينزل الله من رحمة
 وسقياسماءه وكذلك قوله تعالى لنجي به بلدة ميتا يريد به بعض بلاد هذولة المتبدين عن مظان

الماء واختلف في عودها في قوله تعالى (ولقد صرفناه بينهم) على ثلاثة أوجه أولها قال
 الجمهور أنها ترجع إلى المطر أي صرفنا نزول الماء من وابل وطل وغير ذلك مرة يبلد ومرة يبلد
 أخرى قال ابن عباس ما عامر بالمطر من عام آخر ولكن الله تعالى يصرفه في الأرض وقرأ هذه
 الآية وهذا كما روى مرفوعا ما بين ساعة من ليل أو نهار إلا والسما تطرف فيها فصرفه الله تعالى
 حيث يشاء وروى عن ابن مسعود رفعه قال ليس من سنة بالمطر من أخرى ولكن الله تعالى قسم
 هذه الأرزاق فجعلها في السماء الدنيا في هذا القطر ينزل منه كل سنة بكل معلوم ووزن معلوم وإذا
 عمل قوم بالمعاصي حوّل الله ذلك إلى غيرهم فإذا عصوا جميعا صرف الله ذلك إلى الضيافي والجار
 وروى أن الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لانه لا يتخلف ولكن تختلف فيه البلاد
 نائها قال أبو مسلم التميمي راجع إلى المطر والسحاب والظلال وسائر ما ذكره الله من الأدلة نائها
 صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب والصحف التي أنزلت على الرسل عليهم
 الصلاة والسلام وهو ذكر انشاء السحاب وانزال المطر (ليذكروا) أي ليذكروا ويعلموا كمال
 القدرة وحق النعمة ويقوموا بشكره * (تنبيه) * أصل يذكروا ويذكروا وأدغمت التاء في
 الذال وقرأه ززة والكسائي بـ ككون الذال ورفع الكاف مخففة والباقيون بفتح الذال
 والكاف مشددين (فأني) أي لم يرد (أكثر الناس) أي بعبادتهم (الأكفورا) أي يجودا
 للنعمة وقلة الأكرثا بها وكفرا عنهم هو أنهم إذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا وهو بفتح
 النون وهمزة آخره وقت النجم الفلاني على عادة العرب في إضافة المطر إلى الأنواع فيكره أن
 يقول ذلك لايهامه ان النوء فاعل المطر حقيقة فان اعتقد أنه الفاعل له حقيقة كفر روى زيد بن
 خالد الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في انزما كانت
 من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم الليلة قالوا الله ورسوله
 أعلم قال قال أصبح من عبادي من مؤمن بي وكافر بي فأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا
 فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب وأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر
 بالكواكب وأفاد تعليق الحكم بالباء أنه لو قال مطرنا في نوء كذا لم يكره ونقل الشافعي عن بعض
 الصحابة أنه كان يقول عند المطر مطرنا بنوء الفتح ثم يقرأ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا يحسب لها
 (ولو شئنا لبعثنا) أي بما لنا من العظمة ونفوذ الكلمة (في كل قرية نذيرا) أي رسولاً يناديهم من
 الدنيا والملائكة أو غيرهم كما قسمنا المطر عليهم أو انما قصرنا الأمر عليك وعظمتك به وأجلناك
 وفصلناك على سائر الرسل (فلا تطع الكافرين) فيما قصدوا من التفسير عن الدعاء بما يبدونه
 من المقترحات أو يظهر من لك من المداهنه أو من القلق من صدادع الأندار ويحفلون لك انك
 لو أقلت من هرجوا أن يوافقوك ويقابل ذلك بالتشدد والتصبر (وجاهدكم) أي بالدعاء (به) أي
 القرآن الذي تقدم الحديث عنه في قوله تعالى ولقد صرفناه أو تبرك طاعتهم المدلول عليه بقوله
 تعالى فلا تطع أو بالسيف والاقرب الاقرب الاقرب لان السورة مكية والأمر بالقتال ورد بعد الهجرة
 بزمان (جهادا كبيرا) أي جامع لكل المجاهدات الظاهرة والباطنة لان في ذلك اقبال كثير

من الناس اليك واجتماعهم عليك فيقوى أمرك ويعظم خطبك وتضعف شوكتهم وتتكسر
سورتهم فان مجاهدة السفهاء بالحق أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف * ثم ذكر النوع الرابع
بقوله تعالى (وهو الذي مرجح البحرين أي المائين الواسعين الكبيرين بأن خلاهما متجاورين
متلاصقين وهو بقدرته تعالى يفصل بينهما ويضعهما التمازج (هذا عذب أي خلوسائع فرات)
أي شديد العذوبة بالغ الغاية فيها حتى يضرب الى الخلاوة لافرق بين ما كان منه على وجه
الارض وما كان في بطنها (وهذا الملح أي شديد الملوحة (أجاج) أي مرمق بلوحته وممرارته
لا يصلح لسقى ولا شرب * (تبييه) * أشار تعالى بأداة القرب في الموضوعين تنبيه اعلى وجود
الوصفين مع مدة المقاربة لا يلتبس أحدهما بالآخر حتى انه اذا حفر على شاطئ البحر الملح
بالقرب جدا منه خرج الماء عذبا (وجعل) أي الله تعالى (بينهما برضا) أي حازم من قدرته
مانعا من اختلاطهما ثم انه تعالى أتم تقرير النعمة في منهما من الاختلاط بالكلمة التي جرت
عادتهم بقولها عند التعوذ تشبيها لكل منهما بالمتعوذ بقوله تعالى (وبجرا محجورا) فكان كل
واحد من البحرين تعوذ من صاحبه ويقول له ذلك كما قال تعالى لا تغان أي لا يبغي أحدهما
على صاحبه بالملوحة أو العذوبة فانتقاء البقي كاله وذهنها ثم جعل كل واحد منهما في صورة
الباعث على صاحبه فهو يتعوذ منه وهو من أحسن الاستعارات وأشهدا على البلاغة
(فان قيل) لا وجود للبحر العذب فكيف ذكره الله تعالى هنا (أجيب) بأن المراد منه الاودية
الغضام كالنيل وحيصون ومن البحر الابح البحار الكبار * ثم ذكر النوع الخامس بقوله تعالى
(وهو) أي وحده (الذي خلق من الماء) أي المني من الرجل والمرأة (بشرا) أي انسانا (لجعل)
أي بعد ذلك بالتطوير في أطوار الخلق والتدوير في أدوار التربية (نسبا) أي ذكر انساب اليه
(وصهرا) أي أنى يصاهر بها فيقسم هذا الماء بعد التطوير الى ذكر وأنثى كما جعل ذلك الماء
قسامين عذبا وملحا ونحو هذا قوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وقيل النسب مالا
يجل نكاحه والصهر ما يجل نكاحه فالتسب ما يوجب الحرمة والصهر ما لا يوجبها قال البغوي
وقيل وهو الصحيح النسب من القرابة والصهر الخلطة التي تشبه القرابة وهو التسب المحرم
للكناح وقيل ذكر الله تعالى أنه حرم بالتسب سبع ما في قوله تعالى في النساء حرمت عليكم أمهاتكم
(وكان ربك) أي المحسن اليك بارسالك وانزال هذا الذكر اليك (قدرا) حيث خلق من مادة
واحدة بشرا اذا أعضاء مختلفة وطباع متباينة وجعله قسامين ذكرا وأنثى وربما يخلق من نطفة
واحدة نوعين ذكرا وأنثى فهو يوفق من يشاء فيصعله عذب المذاق سهل الاخلاق ويجذله من
يشاء فيصعله مر الاخلاق كثير الشقاق غريبا في الشقاق * ولما ذكر تعالى دلائل التوحيد
عاد الى تبيين سيرتهم فقال تعالى (ويعبدون) أي هؤلاء الكفرة (من دون الله) أي مما
يعلمون أنه في الرتبة دون الله المستجمع لصفات الكمال والعظمة بحيث انه لا ضر ولا نفع الا وهو
بيده (ملا يتقهم) بوجه من الوجود ان عبدوه في ازالة كربة (ولا يضرمهم) في ازالة نعمة من نم
الله تعالى عليهم ان تركوهم (وكان الكافر) أي مع علمه بضعفه وبجزه (على ربه) أي المحسن اليه

لا غير (ظهيراً) أى معنى للشيطان من الانس والجن على أولياء الله تعالى روى أنها نزلت في أبى
 جهل ويجوز أن يراد بالظهير الجماعة كقوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير كما جاء الصديق
 والخليط وعلى هذا يكون المراد بالكافر الجنس فان بعضهم مظاهر لبعض على اطلاق تورد
 الله قال تعالى واخوانهم يتوكلون في النجى وهذا أولى لان خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ
 ولانه اوفق لظاهر قوله تعالى وبعدون من دون الله وقيل معناه وكان الذى يفعل هذا الفعل
 وهو عبادة ما لا يتبع ولا يضر على ربه هيناً مهيناً من قولهم ظهرت به اذا خلقته خلف ظهره
 لا تلتفت اليه وهو نحو قوله تعالى اوثان لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم
 * ولما كان التقدير تسليمة لمصلى الله عليه وسلم فالزم ما أمره به ولا يزيد همك بردهم عما هم
 فيه فانما أرسلناك عليهم وكلا عطف عليه قوله تعالى (وما أرسلناك) يا أشرف الخلق بما لنا
 من العظمة (الامبشرا) بالثواب على الايمان والطاعة (ونذيراً) أى نحو فابا العقاب على الكفر
 والعصية * ثم كانه قيل فلماذا أقول لهم اذا طعنوا في الرسالة فقال تعالى (قل) أى لهم بأكرم
 الخلق حقيقة وأعد لهم طريقة سنجبا عليهم بازالة ما يكون موضعاً للتمية (ما أسئلكم عليه)
 أى على تليغ ما أرسلت به (من أجر) فتتموهنى أى ادعوكم لاجله اذا لغرض لى الانفكعكم ثم أكد
 هذا المعنى بقوله تعالى مستتبياً لان الاستثناء معيار العموم (الامن) أى الأجر من (شاء) أن
 يتخذ أى يكف نفسه ويخاف هواه ويجعل له (الى ربه سبيلاً) فانه اذا اهتدى به دابة ربه كان
 لى مثل أجره لا تقع لى من جهته * كما اهذافان سميت هذا اجراً فهو مطلوب لى ولا مره فى أنه
 لا ينقص أحد شيئاً من دينه فاناد فائدتين الاولى أنه لا طمع له أصلاً فى شئ ينقصهم والثانية
 اظهار الشفقة البالغة حيث لم يقصد بتفويتهم الموصلة لهم الى ربهم فوابال نفسه وقيل الاستثناء
 منقطع أى لى من يشاء أن يتخذ الى ربه سبيلاً ففعل وجرى على هذا الجلال المحلى وقال
 ابن عادل فى الاول نظر لانه لم يسند السؤال المتنى فى الظاهر الى الله تعالى انما أسنده الى
 مخاطبين فكيف يصح هذا التقدير انتهى وقرأ قالون والبرى وأبو عمر وباسقاط الهمزة
 الاولى مع المد والقصر وسهل ورش وقيل الثانية ولهما أيضاً الدالها ألفاً والباقيون بتصديق
 الهمزتين * ولما بين تعالى أن الكفار يتظاهرون على ايذانه وأمره أن لا يطلب منهم أجراً
 أمره أن يتوكل عليه فى دفع جميع المضار وجلب جميع المنافع بقوله تعالى (وتوكل) أى أظهر
 العجز والضعف واستسلم واعتمد فى أمره كله ولا سيما فى مواجهمته بالانذار وفى ردهم من عنادهم
 (على المحلى الذى لا يموت) فلا ضياح لمن توكل عليه فانه الحقيق بأن يتوكل عليه دون الاحياء
 الذين يموتون فانهم اذا ما واضاع من توكل عليهم وعن بعض السلف انه قرأها فقال لا يصح
 لى عقل أن يتوكل عليها بمخلوق (وسبح) متلبساً (بحمده) أى ترهه عن كل نقص مشتبهه كل كمال
 وقبل صل لشكر اعلى نعمه وقيل قل سبحانه الله والحمد لله وحده وعلى هذا اقتصر الجلال
 المحلى (وكفى به بذنوب عباده) أى ما ظهر منها وما بطن وكل ما سواه عبد (خيراً) أى عالماً مطلقاً
 فلا يخفى عليه خافية شئ منها وان دق خلاطك ان آمنوا أو كفروا وهذه الكلمة يراد بها المباشرة

يقال كفى بالعالم كالأوكنى بالأدب ما لا وهو معنى حسبك أى لا تحتاج معه الى غيره لانه تعالى خير
بأحوالهم قادر على مكافأتهم وهذا وعيد شديد * ولما أمر الله تعالى رسوله بمحمد اصله الله عليه
وسلم أن يتوسل عليه وصف تعالى نفسه بأموالها من حيث لا يحوت ومنها أنه عالم بجميع
المعلومات ومنها أنه قادر على كل الممكثات وهو قوله تعالى (الذى خلق السموات والارض) على
عظمهما (وما بينهما) من القضاء والعناصر والعباد وأعمالهم من الذنوب وغيرها لا يعلم من
خلق وقوله تعالى (فى ستة أيام) أى من أيام الدنيا تجيب للغبى الجاهل وتدريب للفظن العالم فى
الحلم والايانة والصبر على عباد الله تعالى فى دعوتهم (فان قيل) الايام عبارة عن حركة الشمس فى
السموات فقبل السموات لا أيام فكيف قال تعالى فى ستة أيام (أجيب) بأنه تعالى خلقها فى
مدة مقدارها هذه الايام (فان قيل) يلزم على هذا اقدم الزمان وهو ممنوع (أجيب) بأن الله
تعالى خلق هذه المدة أولاً ثم خلق السموات والارض فيها بمقدار ستة أيام فلا يلزم من ذلك قدم
الزمان وقيل فى ستة أيام من الأيام الآخرة كل يوم مقداره ألف سنة وهو بعيد لان التعريف
لا بد وأن يكون بأمر معلوم لا بأمر مجهول (فان قيل) لم يقدر الخلق والايام بهذه المقدار
(أجيب) بأنه يجب على المكلف أن يقطع الطمع عن مثل هذا فإنه يجوز لاساحله من ذلك تقدير
الملائكة الذين هم اصحاب النار بسعة عشر ووجه العرش بثمانية والشهور باثني عشر والسموات
بالسبع وعدد الصلوات ومقادير النصب فى الزكوات والحدود والكفارات فالأقارب أن
كل ما قاله الله حق هو الدين والواجب ترك البعث عن هذه الاشياء وقد نص الله تعالى على
ذلك فى قوله عز وجل وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا قنينة للذين
كفروا ليستيقن الذين يؤتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايماناً ولا يرتاب الذين آمنوا الكتاب
والمؤمنون وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مما لا تعلم قال تعالى
وما يعلم جنود ربك الا هو وهذا اجواب أيضاً عن أنه لم يخلقها فى لحظة وهو قادر على ذلك وعن
سعيد بن جبيرة انما خلقها فى ستة أيام وهو قادر ان يخلقها فى لحظة واحدة تعلمه تعلقه الرفق
والثبوت وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيد للمسلمين وعن مجاهد اول الايام يوم
الاحد واخرها يوم الجمعة * ولما كان تدبير هذا الملك أمر باهرا أشار اليه بأداة التراخي بقوله
تعالى (ثم استوى على العرش) أى شرع فى التدبير لهذا الملك الذى اخترعه وأوجده
ولا يجوز أن يفسر بالاستقرار لانه يقتضى التغير الذى هو دليل الحدوث ويقتضى التركيب
وكل ذلك على الله محال (فان قيل) يلزم من ذلك أن يكون خلق العرش بعد خلق السموات
وقد قال تعالى وكان عرشه على الماء (أجيب) بأن كلمة ثم ما دخلت على خلق العرش بل على رفعه
على السموات وهو فى اللغة سرير الملك وفى رفع قوله تعالى (الرحمن) أوجه أحدها أنه خبر
الذى خلق أو خبر مبتدأ مضمرة أى هو الرحمن ولهذا أجاز الزجاج وغيره الوقف على العرش ثم
يتسمى الرحمن أى هو الرحمن الذى لا يفنى السجود والتعظيم الا له أو يكون بدلان الضمير
استوى وعلى هذا اقتصر الجلال المحلى واختلف فى معنى الفاء فى قوله تعالى (فأسئل به) على

قولين أحدهما أنهما على بابها وهي متعلقة بالسؤال والمراد بقوله (خبيرا) أى عالم بالخبر
بحقيقته هو الله تعالى ويكون من التجربة يدك قوله رأيت به أسدا والمعنى فاسأل الله الخبير
بالاشياء قال الزمخشري أو فاسأل بسؤاله خبيرا كقولك رأيت به أسدا أى برؤيته انتهى قال
الكلبي فقوله به يعود الى ما ذكر من خلق السموات والارض والاستواء على العرش والباء من
صلة الخبير وذلك الخبير هو الله تعالى لانه لا دليل في العقل على كيفية خلق السموات والارض
والاستواء على العرش ولا يعلمها أحد الا الله تعالى والثاني أن تكون الباء بمعنى عن اما
مطلقا واما مع السؤال خاصة كهذه الآية وكقول علقمة بن عبيدة

فان تسألوني بالنساء فاني * خبير بأدواء النساء طبيب

والضمير في به لله وخبير من صفات الملك وهو جبريل عليه السلام فعن ابن عباس أن ذلك
الخبير هو جبريل وانما قدم لرؤس الآي وحسن النظم وقال ابن جرير الباء في به صلة والمعنى
فاسأله خبيرا وخبيرا نصب على الحال وقيل به يجرى مجرى القسم كقوله تعالى واتقوا الله
الذي تساءلون به وقيل فاسأل بهذا الاسم من يخبرك من أهل الكتاب حتى تعرف من شكره
ومن ثم كانوا يقولون مانعرف الرحمن الا الذي باليامة يعنون مسيلة الكذاب وكان يقال
له رجن اليمامة وقيل فاسأل بسبب سؤالك اياه خبيرا عن هذه الامور وكل أمر تريد فيخبرك
بحقيقة أمره استداء وحالوما لا فلا يضيئ صدرك بسبب هؤلاء المدعويين فانه ما أرسلك
الارواح وعالم بهم فسمعى كعبك عليهم ويحسن لك العاقبة وقرأ ابن كثير والكسائي بالنقل وكذا
يقرأ جزة في الوقف والياقون بسكون السين وفتح الهمزة * ولما ذكر تعالى احسانه اليهم
وانعامه عليهم ذكرا ما أبدوه من كفرهم في موضع شكرهم بقوله (واذا قيل لهم) أى من أى
قائل قال لهؤلاء الذين يتقبلون في نعمه (اسجدوا) أى اخضعوا بالصلاة وغيرها (للرحمن) أى
الذي لانعمة لكم الامنه (قالوا وما الرحمن) متجاهلين في معرفته فضلا عن كفر نعمته ومعبرين
بأداة ما لا يعقل وقال ابن عربي انما عبروا بذلك اشارة الى جهلهم بالصفة دون الموصوف ثم
محبوا من أمره بذلك منكرين عليه بقولهم (انسجدوا لآمرنا) فغير واعنه بعد التجاهل في
أمره والانكار على الداعي اليه أيضا بأداة ما لا يعقل (ورادهم) أى هذا الامر الواضح المقضى
للاقبال والسكون شكر النعمة وطمعاني الزيادة (تقورا) أى عن الايمان والسجود
(تنبيه) * هذه السجدة من عزائم مجود التلاوة يسن للقارئ والمستمع والسامع أن يسجد
عند قراءتها وسماعها وقرأ واذا قيل لهم هشام والكسائي بالاشتمال وضم القاف مع سكون
الياء والباقرن بكسر القاف وقرأ الما بأمرنا جزة والكسائي بالياء التحتية والباقرن بالتاء
الفوقية وأبدل ورس والسوسى الهمزة وقفوا ووصلا ووصلا ووصلا * ولما حكى تعالى عن
الكفار مزيد النفرة عن السجود ذكرا ما لاتفكر واقبه لعرفوا وجوب السجود والعدا للرحمن
قال عز من قائل (تبارك) أى ثبت ثباتا لا نظيره (الذي جعل في السماء) التي تقدم أنه اخترعها
واختلف في معنى قوله (بروجا) فقال الزجاج ومجاهد وقتادة هي النجوم الكبار سميت بروجها

لظهورها وقال عطية العوفي هي التصور فيها الحرس كما قال تعالى ولو كنتم في بروج مشيدة
 وقال عطية عن ابن عباس هي الانعاش التي هي منازل الكواكب السبعة السيارة وهي
 الحمل والنور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والقرب والقوس
 والجدي والدلو والحوت فالحمل والقرب بيتا المريح والثور والميزان بيتا الزهرة والجوزاء
 والسنبلة بيتا عطارد والسرطان بيت القمر والاسديت الشمس والقوس والحوت بيتا
 المشتري والجدي والدلو بيتا زحل وهذه البروج مقسومة على الطبائع الاربعة فيكون
 نصيب كل واحد منها ثلاثة بروج تسمى المثلثات فالحمل والاسد والقوس مثلثة نارية
 والثور والسنبلة والجدي مثلثة أرضية والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان
 والقرب والحوت مثلثة مائية (وجعل فيها) أي السماء وقيل البروج (سراجا) أي شمسا
 وقرأ حزة والكسائي بضم السين والراء على الجمع للتنبه على عظمته في ذلك من حيث انه أعظم
 من ألوف من السرج فهو قائم مقام الوصف كما في الذي بعده كما سأل وقيل المراد بالجمع
 الشمس والكواكب الكبار والباقيون بكسر السين وفتح الراء وألف بعدها على التوحيد
 (وقرأ منبرا) أي مضيا بالليل * ولما ذكر تعالى هاتين الآيتين ذكرهما آياتاه بقوله تعالى (وهو
 الذي جعل الليل) أي الذي آتاه القمر (والنهار) أي الذي آتاه الشمس (خليفة) أي ذوى
 حالة معروفة في الاختلاف فيأتي هذا خلف ذلك بضد ما له من الاوصاف وقال ابن عباس
 والحسن يعني خلفا وعضوا يقوم أحدهما مقام صاحبه من فاته عمله في أحدهما قضاءه في الآخر
 قال شقيق جابرجل الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال فاتتني الصلاة الليلة قال أدركنا
 ما فالتك من ليلتك في نهارك فان الله عز وجل جعل الليل والنهار خليفة (لمن أراد أن يذكر) أي
 يتذكر آلاء الله ويتفكر في صنعه فيعلم أنه لا بد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم على
 العباد وقرأ حزة بسكون الذال وضم الكاف مخففة من ذكر بمعنى تذكر والباقيون بفتح الكاف
 والذال مشددين (أو أراد شكورا) أي شكره ممة ربه عليه من الايمان بكل منه ما بعد
 الآخر لاجتناء ثمراته ولو جعل أحدهما دائما لكانت مصالح الآخر وطلعت السامة
 والملل منه والتواني في الامور المقدرة بالاقوات وقتر العزم الذي انما يشير له تداركها دخول
 وقت آخر وغبر ذلك من الامور التي أحكمها العلي الكبير وعن الحسن من فاته عمله من
 التذكر والشكر بالنهار كان له في الليل مستعقب ومن فاته بالليل كان له في النهار مستعقب
 * ولما ذكر الله تعالى عبادته الذين خذلهم بتسلط الشيطان عليهم فصاروا حريبا وبضفهم الى
 اسم من اسمائه ايذانا باهااتهم لهوانهم عنده أشار الى عباده الذين أخذهم لنفسه بقوله تعالى
 (وعباد الرحمن) فأضافهم اليه وفعلة لهم وان كان الخلق كلهم عباده وأضافهم الى وصف
 الرحمة الابلغ الذي أنكره أولئك بتشيرتهم ثم وصفهم بضد ما وصف به المتكبرين عن السجود
 اشارة الى أنهم تخلفوا من هذه الصفة التي أضيفوا اليها بصفات كثيرة الصفة الاولى قوله
 تعالى (الذين يشقون) وقال تعالى (على الارض) تذكر كبريا عما يصبرون اليه وحنا على السعي في

معالي الاخلاق (هونا) أي هينين أو مشايهنا مصدر وصفه بمبالغة والهون الرفق واللين
ومنه الحديث أحب حبيبك هونا وما قوله المؤمنون هينون والمثل اذا عزأخولك فنهن والمعنى
اذا عاصر فياسر والمعنى أنهم يعيشون بسكينة ووضوح وقار لا يضربون لوقارهم بأقدامهم ولا
يبحثون بعالمهم أشرا وبطر اولئك كره بعض العلماء الركوب في الاسواق لقوله تعالى يعيشون
في الاسواق (تنبيه) «عبدا مرفوع بالاستداء وفي خبره وجهان أحدهما الجملة الاخيرة
في آخر السورة اولئك يجوزون به بدأ الرخصى والذين يعيشون وما بعده صفات للمبتدا والثاني
أن الخبر الذين يعيشون الصفة الثانية (واذا خاطبهم الجاهلون) أي بما يكرهون (قالوا سلاما)
أي تسلما منكم لانجاهلكم ومشاركة لاخبر بيننا ولا شر أي فسلمت منكم تسلما فأقيم السلام
مقام التسلم وقيل قالوا سدا من القول أي يسلمون فيه من الاثم والايذاء وليس المراد التحية
لان المؤمنين لم يؤمروا وبالسلام على المشركين وعن أبي العالمة نسختها آية القتال ولا حاجة الى
ادعاء النسخ بآية القتال ولا غيرها لان الاغضاء عن السفهاء وترك المقاتلة مستحسن في الادب
والمرأة والتربية أسلم للعرض والورع وأطلق الخطاب اعلاما بأن أكثر خصال الجاهل وهو
الذي يخالف العلم والحكمة الجهل وهو السفه وقوله الادب من قوله

الا لا يجهلن أحدعلينا * فجهل فوق جهل الجاهلينا

* ولماذا كرتعالى ما بينهم وبين الخلق ذكر ما بينهم وبينه وهي الصفة الثالثة بقوله تعالى (والذين
يبيتون) من البيوتة قال الزجاج كل من أدركه الليل قيل بات وان لم يمت كما يقال بات فلان
قلقا والمعنى يبيتون (لربهم) أي المحسن اليهم (سجدا) على وجوههم في الصلاة وقدمه لانه أنهى
الخضوع وأخر عنه قوله تعالى (وقياما) أي على أقدامهم وان كان تطويل القيام أفضل
للورى وتخصيص البيوتة لان العباداة بالليل أشق وأبعد من الرياء قال الرخصى والظاهر
أنه وصف لهم باحياء الليل أو أكثره وقيل من قرأ شيئا من القرآن في صلاة وان قل فقد بات
ساجدا وقائما وقال ابن عباس من صلى بعد العشاء ركعتين فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما
الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى عشاء الآخرة في جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى
الصبح في جماعة كان كقيام ليلة * ولماذا كرتعالى تهذيبم للخلق والخلق وصفهم الله تعالى أنهم
مع ذلك خائفون وجلون وهي الصفة الرابعة بقوله تعالى (والذين يقولون ربنا) أي المحسن
الينا (اسرف عذاب جهنم) قال ابن عباس يقولون في سجودهم وقيامهم هذا القول
ثم علل سؤالهم بقوله تعالى (ان عذابها كان) أي كونها جابت عليه (غراما) أي هلاكا وخسرانا
لحلالزما لا ينق عنه كما قال

ان يعاقب يكن غراما وان يعـ* ط جزيلا فانه لا يبالى

ومنه الغريم ملازمته والحاحه فهم يبتلون الى الله تعالى في صرف العذاب عنهم لعدم اعتدادهم
بأعمالهم ووثوقهم على استمرار أحوالهم * ولما ثبت لهم هذا الوصف أتبع قوله تعالى (انها ساءت)

أى تناهت هي في كل ما يحصل منه سوء وهي في معنى بنيت في جميع المذام (مستقرا) أى موضع
استقرار (ومقاما) أى موضع إقامة * (تبيه) * ساءت في حكم بنيت كما مر فقها ضهير بهم
يفسر مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضهير هو
الذي ربط الجمله باسم ان وجعلها خبرا لها ويجوز أن تكون ساءت بمعنى أحرزت فقها ضهير
اسم ان ومستقرا حال أو تمييز والتعليل ان يصح أن يكونا متداخلين أو مترادفين وأن يكونا من
كلام الله تعالى وحكاية لقولهم * ولما ذكر تعالى أفعالهم وأقوالهم أسبع ذلك بذكر انفاقهم وهو
الصفة الخامسة بقوله تعالى (والذين إذا أنفقوا) أى للخلق أو الخلق في واجب أو مستحب
أو مباح (لم يسرفوا) أى لم يجاوزوا الحد في النفقة بالتبذير فيضيعوا الاموال في غير حقها (ولم
يقتروا) أى لم يضيعوا فيضيعوا الحقوق (وكان) أى انفاقهم (بين ذلك) أى الاسراف والاقتار
(قواما) أى وسطا * (تبيه) * اسم كان ضهير يعود على الانفاق المفهوم من قوله تعالى انفقوا
وخبرها قواما وبين ذلك معمولا وقيل غير ذلك وذكر المفسرون في الاسراف والتقتير وجوها
أحدها قال الرازي وهو الاقوى وصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقتير وبغله أمر صلى الله
عليه وسلم بقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط اذ يقال ما عال من
اقتصد وسأل رجل بعض العلماء ما البناء الذي لا سرف فيه قال ما ستر لك من الشمس وأكنك من
المطر قال فما الطعام الذي لا سرف فيه قال ماسد الجوعه قال فما اللباس الذي لا سرف فيه قال
ما ستر عورتك وأدفاك من البرد * ثانيا وهو قول ابن عباس الاسراف النفقة في معصية الله
تعالى والاقتار منع حق الله تعالى وقال مجاهد لو أنفق أحد مثل جبل أبي قبيس ذهبيا في
طاعة الله تعالى لم يكن سرفا ولو أنفق صاعا في معصية الله تعالى كان سرفا وقال الحسن
لم ينفقوا في معاصي الله ولم يسكوا عما ينبي وأنشدوا

ذهب المال في جد وخير * ذهب لا يقال له ذهب

وسمع رجل رجلا يقول لا خير في الاسراف فقال لا اسراف في الخير وعن عمر بن عبد العزيز
انه شكك وعبد الملك بن مروان حين تزوجه ابنته وأحسن اليه فقال وصلت الرحم وذهبت
وصنعت وجاءه كلام كثير حسن فقال ابن لعبد الملك انما هو كلام أعده لهذا المقام فسكت
عبد الملك فلما كان بعد أيام دخل عليه والابن حاضر فسأله عن نفقته وأحواله فقال النفقة
بين الشيتين فعرف عبد الملك أنه أراد ما في هذه الآية فقال لابنه يا بني هذا أيضا مما أعده
* وثالثها السرف مجاوزة الحد في التتم والتوسع في الدنيا وان كان من حلال لانه يؤدى الى
الخيلاء وكسر قلوب الفقراء فكانت الصابة لا ياكلون طعاما للتتم واللذة ولا يلبسون ثوبا
للجمال والزينة ولكن كانوا يأكلون ما يستجدونهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون
ما يستعرونه وارتهم ويقهيم من الحر والبرد وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه كفى سرفا أن لا يشتهي
الرجل شيئا الا اشتراه فأكله وقرأ نافع وابن عامر يفتروا بضم التحتية وكسر الفوقية من اقتر
وابن كثير وأبو عمرو يفتح التحتية وكسر الفوقية والكوفيون يفتح التحتية وضم الفوقية * ولما

ذكر تعالى ما قلناه من أصول الطاعات أتبعه بذكر ما تخلوا عنه من أمهات المعاصي التي هي
 الفحشاء والمنكر وهو الصفة السادسة بقوله تعالى (والذين لا يدعون) أي رجة لانفسهم
 واستعمال العدل (مع الله) أي الذي اختص بصفات الكمال (الهاتر) أي دعاء جليبا بالعبادة
 ولاخفاء بالرياء ولما نفي عنهم ما يوجب قتل انفسهم بخسارتهم اياها أتبعه نفي قتل غيرهم بقوله
 سبحانه (ولا يقتلون النفس) رجة للخلق وطاعة للخالق ولما كان من الانفس ما لا حرمة له بين
 المراد بقوله تعالى (التي حرم الله) أي منع من قتلها (الابالغ) أي بأن نعمل ما يبيع قتلها ولما
 ذكر القتل الجلي أتبعه الخفي بتضييع نسب الولد بقوله تعالى (ولا يزنون) أي رجة للمزني بها
 ولا فاربها ان تهتمت حرمتهم مع رجته لنفسه على أن الزنا أيضا جاري القتل والقتل وفيه
 التسبب الى ايجاد نفس بالباطل كما أن القتل سبب الى اعدامها بذلك وقد روي في الصحيح عن
 عبد الله بن مسعود أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم وفي رواية أكبر عند الله
 قال أن تدعوه لتندوه وهو خلقك قال ثم أي قال أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قال ثم أي
 قال أن تزاني حليله جارية فنزل الله تصديق ذلك والذين لا يدعون مع الله الها آخر الآية (وقد
 استشكل) تصديق هذه الآية الخبر من حيث ان الذي فيه قتل خاص وزنا خاص والتقسيد بكونه
 أكبر والذي فيه مطلق القتل والزنا من غير تعرض لعظم (وأجيب) بدفع الاشكال بأنها ناطقت
 بعظم ذلك من سبعة أوجه الاول الاعتراض بين المبتدأ الذي هو وعباد الرحمن وما عطف عليه
 والخبر الذي هو أولئك يجوزون العفرقة على احدي الروايتين بذكر هذه الثلاثة خاصة وذلك دال
 على مزيد الاهتمام الدال على الاعظام الثاني الاشارة بأداة البعد في قوله تعالى (ومن يفعل
 ذلك) أي هذا الفعل العظيم القبيح مع قرب المذكورات فدل على أن البعد من رتبها فهو اشارة
 الى جيب ما تقدم لانه بمعنى ما ذكر فلذلك وحده وأدغم لام يفعل في الذال أبو الحرف والباقون
 بالظهار الثالث التعبير بالتي مع المصدر المزيد الدال على زيادة المعنى في قوله (يلقن أمنا) دون
 يأتم ويلقن أمنا أي جزاءه الرابع التقسيد بالمضاعفة في قوله تعالى مستأففا (يضاعف) بأسهل
 أمر (فه العذاب) جزاء ما أتبع نفسه هوها الخامس التحويل بقوله تعالى (يوم القيامة)
 الذي هو أهول من غيره بما لا يقاس السادس الاخبار بالخلود الذي أقل درجته أن يكون
 مكنا طويلا بقوله تعالى (ويخلد فيه) وقرأ بضاعف ويخلد ابن عامر وشعبة برفع الفاء والدال
 والباقون بجزمها وأسقط الالف من يضاعف مع تشديد العين ابن كثير وابن عامر فالجزم على
 أنهم ما يدلان من يلق بدل اشتمال والرفع على الاستئناف السابع التصريح بقوله تعالى
 (مهانا) فلما أعظم الأمر من هذه الأوجه علم أن كلام من هذه الذنوب ~~كثير~~ و إذا كان
 الاعتم كبيرا كان الاخص المذكورا أعظم من مطلق الاعتم لانه زاد عليه بما صاره خاصا فثبت
 بهذا أنها كآثر وان قتل الولد والزنا بجملته الجسار أكبر ما ذكر فوجد تصديق الآية للخبر وقرأ
 حفص مع ابن كثير بصله الهاء الياء من فمه قبل مهانا (فان قيل) ~~ذ~~ ر أن من صفات عباد
 الرحمن صفات حسنة فكيف يليق بعد ذلك أن يظهرهم عن الأمور العظيمة مثل الشرك والقتل

والزنا فلو كان الترتيب بالعكس كان أولى (أجيب) بأن الموصوف بتلك الصفات السابقة قد يكون متمسكا بالشرك تدينا وبقمتل المؤودة تدينا وبالزنا تدينا فبين تعالى أن المراد لا يصير بتلك الخصال وحدها من عباد الرحمن حتى يجتنب تلك الكبائر وأجاب الحسن بأن المقصود من ذلك التنبيه على الفرق بين سيرة المسلمين وسيرة الكفار كانه قال تعالى وعباد الرحمن الذين لا يدعون مع الله الها آخروا أنهم تدعون ولا يقتلون ولا يقتلون وأنتم تقتلون المؤودة ولا بزنون وأنتم تزنون * ولما تم تعالى تهديد الفجار على هذه الاوزار اتبعه ترغيب الابرار الى العزيز الغفار بقوله تعالى (الامن تاب) أى يرجع عن كل شئ كان فيه من هذه النقائص (وآمن) أى وجد الاساس الذى لا يثبت عمل بدونه وهو الايمان وأكدر جوعه بقوله تعالى (وعمل عملا صالحا) أى مؤسسا على أساس الايمان (فان قيل) العمل الصالح يدخل فيه التوبة والايان فذكرهما قبل العمل الصالح يستغنى عنه (أجيب) بأنهما أفراد بالذكر لعلو شأنها * (تنبيه) * اختلف في هذا الاستثناء على وجهين أحدهما أنه استثناء متصل وهو ما دل عليه كلام الجمهور لانه من الجنس والثاني أنه منقطع ورجحه أبو حيان معلا بأن المستثنى منه محكوم عليه بأنه يضاعف له العذاب فيصير التقدير الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا فلا يضاعف له العذاب ولا يلزم من انتفاء التضعيف انتفاء العذاب غير المضعف بخلافه في المنقطع فان التقدير لكن من تاب الى آخره فلا ياتي عذابا بالية ووجه كلام الجمهور بأن ما ذكر ليس يلزم اذ المقصود الاخبار بان من فعل كذا فانه يحصل به ما ذكر الا أن يتوب وأما اصابة أصل العذاب وعدمه فلا تعرض في الآية له ثم زاد تعالى في الترغيب بالايان قائما بطل الجزاء بالشرط دليل على أنه سببه فقال تعالى (فأولئك) أى العالو المنزلة (يبدل الله) أى الذى له العظمة والكبرياء (سيئاتهم حسنات) قال ابن عباس ومجاهد هذا التبديل في الدنيا فيبدل الله تعالى قبائح أعمالهم في الشرك بحسن الاعمال في الاسلام فيبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المؤمنين قتل المشركين وبالزنا احصانا وعفة فكانه تعالى يشرهم بتوفيقهم لهذه الاعمال الصالحة فيستوجبوا بها الثواب وقال الزجاج ان السيئة بعينها لا تصير حسنة فالتأويل أن السيئة تعفى بالتوبة وتكتب مع التوبة حسنة والكافر يحبط الله عمله ويثبت عليه السيئات وقال سعيد بن المسيب ومكحول ان الله تعالى يحو السيئة عن العبد ويثبت له بدلها الحسنه بحكم هذه الآية وهذا هو ظاهر الآية ويبدل له ما روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى لأعلم آخر رجل يخرج من النار رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال له اعرضوا عليه صفارذ نوبه وارفعوا عنه كبارها فيعرض عليه صفارها فيقال له عملت يوم كذا وكذا وكذا وكذا وعلمت يوم كذا وكذا وكذا وكذا فيقول نعم فلا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبارذ نوبه أن تعرض عليه فيقال له انك مكان كل سيئة حسنة فيقول يارب قد عملت أشياء لأراهاها فما قال أبو هريرة فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك حتى بدت نواجذه (وكان الله) أى الذى له الجلال والاکرام على الاطلاق أنزل وأبدا (عقورا) أى استور الذنوب لكل من تاب بهذا الشرط (رحيما) به بأن يعا له بالا كرام كما

يعامل المرحوم فيعطيه مكان كل سيئة حسنة روى البخاري عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في أهل الشرك ولما نزل صدرها قال أهل مكة قد عدلنا بالله وقتلنا النفس التي حرم الله وأتيننا القواحش فأنزل الله الامن تاب الى رحمة روى البخاري في التفسير ان ناسا من أهل الشرك كانوا قتلوا قاتلا كثيرا ووزنوا قاتلا كثيرا فأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذي تقول وتدعوا اليه الحسن لو نتجربنا اننا لماعلمنا ككفارة فزلت هذه الآية ونزل قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله (ومن تاب) أي عن ذنوبه غير ما ذكر (وعمل) تصديقا لادعائه التوبة (صالحا) ولو كان كل من يذنب وعمله ضعيفا ورغب سبحانه في ذلك بقوله تعالى معلما أنه يصل الى الله (فانه يتوب) أي يرجع واصلا (الى الله) أي الذي له صفات الكمال فهو يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات (متابا) أي رجوعا مرضيا عند الله بأن يرغبه تعالى في الاعمال الصالحة فلا يزال كل يوم في زيادة ينتمه وعمله فيخف عليه ما كان ثقيلا ويتيسر عليه ما كان عسيرا ويسهل عليه ما كان صعبا كما مر في ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم ولا يزال كذلك حتى يحبس فيكون سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها بأن يوفقه للخير فلا يسمع الا ما يرضيه وهكذا • ولما وصف سبحانه وتعالى عباده بأنهم تحلوا بأصول الفضائل وتحلوا عن أمهات الرذائل ورغب في التوبة لان الانسان ليجزه لا ينفك عن النقص مدحهم بصفة أخرى وهي الصفة المذكورة في قوله تعالى (والذين لا يشهدون) أي لا يحضرون (الزور) أي القول المتحرف عن الصدق كذبا كان أو مقاربا له فضلا عن أن يتقوه وابه الخبر فلا يسمعوا أو يقرءوا عليه في مواضع عيسى بن مريم عليه السلام اياكم ومجالسة الخطائين ويحتمل أنهم لا يشهدون شهادة الزور فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وعن قتادة مجالس الباطل وعن ابن الحنفية اللهو والقضاء وعن مجاهد أعياد المشركين ثم عطف عليه بما هو أعم منه بقوله تعالى (واذا مروا باللقو) أي الذي ينبغي أن يطرح من الكلام القبيح وغيره (مروا كما) أي أمرين بالمعروف ناهين عن المنكر ان تعلق بهم أمر أو نهى إشارة أو عبارة على حسب ما يرون نافعان لم يتعلق بهم ذلك كانوا معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه لقوله تعالى وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين ومن ذلك الاعضاء عن القواحش والصفح عن الذنوب والكتابة عما ما يستهجن التصريح به وعن الحسن لم تشققهم المعاصي وقيل اذا سمعوا من الكفار الاذي أعرضوا عنه * ثم ذكر الصفة الثامنة لله تعالى (والذين اذا ذكروا) أي ذكروهم غيرهم كأنهم كانوا من كان لانهم يعرفون الحق بنفسه لا بقائله (بآيات ربهم) أي الذي وفقهم لذكر احسانه اليهم في حسن تربيته لهم بالاعتبار بالآيات المرئية والمسموعة (لم يحزوا) أي لم يسهطوا (عليها صما) أي غير واعين لها (وعيانا) أي غير متبصرين بما فيها لكن لا يسمع ولا يبصر كما في جهل والاخذ بن شريق بل حزوا سامعين بان وان عية مبصرين يعيون راعية فالمراد من التي نفي الحال وهي صما وعيانا دون

الفعل وهو الحزور فالمراد نفي القيد دون المقيد كما تقول لا يلحقني زيد مسلما عوني للسلام
 للقاء * الصفة التاسعة المذكورة في قوله تعالى (والذين يقولون) أي علم منهم بعد انصافهم
 بجميع ماضي أنهم أهل للامامة (ربنا هب لنا من أزواجنا) اللائق قرنتهن بنا كما نعت بنبينا
 محمد صلى الله عليه وسلم قد حلت أزواجه في كلامك القديم وجعلت مدحهن بتي على تعاقب
 الأزمان والسنين (وذرياتنا قرة أعين) لنا بأن نراهم مطيعين لك ولا شيء أسر للمؤمن من أن يرى
 حبيبه يطيع الله تعالى وعن محمد بن كعب ليس شيء أقرّ لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده
 يطيعون الله وعن ابن عباس هو الولد إذا رآه يكتب الفقه وخصوصا الأزواج والذرية بذلك لأن
 الاقربين أولى بالمعروف * (تنبيهه) * من في قوله تعالى من أزواجنا يستحيل أن تكون بيانية
 كانه قيل هب لنا قرة أعين ثم نبهت القرة وفسرت بقوله من أزواجنا وذرياتنا ومعناه ان اجعلهم
 لهم قرة أعين وهو من قولهم رأيت منك أسدا أي أنت أسد وأن تكون ابتدائية على معنى هب
 لنا من جهة مآثر به عيوننا من طاعة واصلاح وأوجم القسلة في أعين لان المتقين الذين
 يفعلون الطاعة ويسرون بها قليلون في جنب العاصين وقيل سألو أن يلحق الله بهم أزواجهم
 وذرياتهم في الجنة ليتم لهم سرورهم ووجد القرة لانهم مصدر وأصلها من البرذلان العرب
 تتأذى من الحزوت وتروح الى البرد وتذكر قرة العين عند السرور وخضنة العين عند الحزن ويقال
 دمع العين عند السرور وبارد وعند الحزن حار وقال الأزهري معنى قرة العين أن يصادف
 قلبه من رضاه فنقر عينه عن النظر الى غيره وقرأ نافع وابن كثير وابن عاشر وحقق بألف بعد
 الياء على الجمع والباقون بغير ألف على الأفراد (واجعلنا للمتقين إماما) أي أمّة يقتدون بنا في
 أمر الدين باضافة العلم والتوفيق للعمل فاكتفى بالواحد لادلالته على الجنس ولعدم اللبس
 كقوله تعالى ثم يخرج حكم طفلا أو أرادوا واجعل كل واحد منّا وأرادوا جمع أمّ كصائم
 وصيام أو أرادوا اجعلنا اماما واحدا واتفاق كلمتنا وعن بعضهم في الآية ما يدل على
 ان الرياسة في الدين يحسن أن تطلب ويرغب فيها وقال الحسن فقد أدى بالمتقين ويقضى
 المقعون بنا وقيل هذا من الملقوب أي واجعل المتقين لنا اماما واجعلنا مؤتمنين مقدين بهم وهو
 قول مجاهد وقيل نزلت هذه الآية في العشرة المبشرين بالجنة * ولما بين تعالى صفات المتقين
 المخلصين بين بعده احسانه اليهم بقوله تعالى (أولئك) أي العالوا الرتبة العظيمة العظيم المنزلة
 (يحيون) أي فضلا من الله تعالى على ما وفقهم له من هذه الاعمال الزاكية والاحوال
 الصافية (الفرقة) أي الغرفات وهي العلال في الجنة فوحدا اقتصارا على الواحد البدال
 على الجنس والدليل على ذلك قوله تعالى وهم في الغرفات آمنون وقيل هي من أسماء الجنة
 * ولما كانت القرب في غاية التعجب لنا فاتها الشهوات النفس وهوها وطبع البدن ورجب فيها
 بأن جعلها سببا لهذا الجزاء بقوله تعالى (بما صبروا) أي أوقعوا الصبر على أمر ربهم ومرارة
 غمرتهم بين الجاهلين في أفعالهم وأقوالهم وأحوالهم وغير ذلك من معاني خلالهم * ولما كان
 المنزل لا يطيب الا بالاباكرامة والسلامة قال تعالى (ويلقون فيها) أي العرفة (بحجة) أي دعاه

الحياة من بعضهم لبعض ومن الملائكة الذين لا يردد دعاءهم ولا يعتري في اخبارهم لانهم عن الله تعالى ينطقون وذلك على وجه الاعظام والاکرام مكان ما أهانهم عبادة الشيطان وقيل ملكا وقيل بقائه دائماً (وسلاماً) أي من الله والملائكة وغيرهم وسلامته من كل آفة مكان ما أصابوهم بالمصائب اللهم وفقنا لما اعتك واجعلنا من أهل رحمتك وارزقنا عمارتكم في دار رضوانك يا أرحم الراحمين وقرأ حجة والكسافي وشعبة بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف من لقي كما قال تعالى فسوف يلقون غيا والباقون بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف أي يجعلهم الله تعالى لاقين بأيسر أمر كما قال تعالى ولقاهم نضرة وسرورا (خالد بن فيما) أي الغرفة لا يموتون ولا يخرجون مكان ما أنجزوهم من ديارهم حتى هاجروا وولد على علواً مرها وعظيم قدرها باراز مدحها في مظهر التعجب بقوله تعالى (حسنت) أي ما أحسنها (مستقراً) أي وضع استقرار (ومقاماً) أي موضع إقامة وهذا مقابل ساءت ومثله في الاعراب * ولما شرح سبحانه وتعالى صفات المتقين وأثنى عليهم من أجلها وشرح نوابهم أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (قل) أي لكفار مكة (ما يعبا) أي ما يصنع (بكم) أيها الكافرون من عبأت الجبين أولاً يعتد بكم (ربي) أي المحسن إلى واليكم برحمانته المخصص لي بالاحسان برحميته وانما خص بالاضافة لاعترافة دونهم (لولا دعائكم) أي عبادتكم وما متنعنة ليعني الاستغهام وهي في محل النصب وهي عبارة عن المصدر كانه قيل وأي عب يعبا بكم لولا عبادتكم وطاعتكم اياه كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون (فقد كذبتم) عما أخبرتكم به حديث خالفتوه وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وقال قوم ما يعبا ما يالي بعبه فرتكم ربي لولا دعائكم معه آلهة وما يفعل بعدا بكم لولا شرككم كما قال تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم لولا دعائكم أي نداؤكم في الشدة ائذ كما قال تعالى فاذا ركبو في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وقوله تعالى فاخذناهم بالأساء والضراء لعلمهم يتضرعون ويجوز أن تكون ما نافية وبحري على ذلك الجلال الهلي (فسوف) أي قسب عن تكذيبكم أن يجازيكم على ذلك ولكنه مع قدرته واختياره وقوته لا يعاجلكم بل (يكون) جزاء هذا التكذيب عند انقضاء ما ضرب به لكم من الآجال (لزماً) أي لازماً بحيث بكم لا محالة فاعتدوا وتمموا ذلك اليوم فكل آت قريب وكل بعيد عندكم قريب عنده وعن مجاهد هو القتل يوم بدروانه لوزم بين القتل لزماً ما قتل منهم تسعون وأسر منهم سبعون وعن ابن مسعود خمس قدميين الدخان والقرور والروم والبطشة والزرار وما رواه البخاري بساير النجاشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن من

قرأ سورة الفرقان لقي الله وهو مؤمن بأن الساعة آتية

لاريب فيها وادخل الجنة بغير حساب

حديث موضوع

والله أعلم

• (تم الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث أوله سورة الشعراء) •

